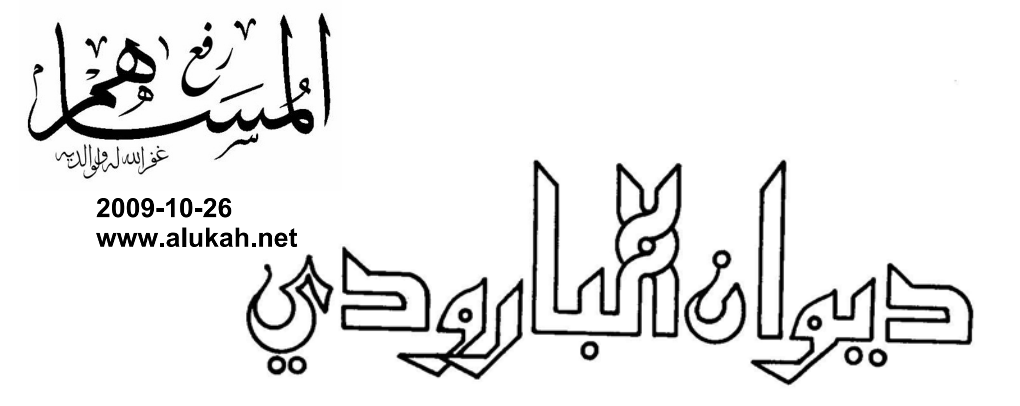


ديوان البارودي

محمود سامي البارودي باشا

١ / ٤

حققه وضبطه وشرحه

علي الجارم　　　محمد شفيق معروف

دار العودة - بيروت

يطلب من دار العودة - بيروت
كورنيش المزرعة - بناية ريفييرا سنتر
تلفون: ٨١٨٤٠٥ - ٨١٨٤٠٦
ص. ب: ١٤٦٢٨٤ / برقياً: العودة

تقديم ديوان البارودي

شعر الباروديّ حياته ، فكلّ قصيدة في ديوانه صورة لحالة نفسيّة من حالات هذا الشاعر الملهم . والديوان في مجموعه صورة للعصر الذي عاش فيه ، وللبيئة التي أحاطت به ، وللنهضة المتوثّبة في الحياة حوله ، وللثورة التي تمخّضت عنها تلك النهضة ، وللنكسة التي أصابت النهضة والثورة كلتيهما ، والتي نقلت الشاعر من وطنه إلى منفاه ليقيم به سبعة عشر عاماً وبعض عام ، يستأثر الشعر بها جميعاً . وقد اختار الباروديّ في أثناء نفيه أجود ما قيل من الشعر في العصر العباسيّ ، وقال أجود مما اختار ، فبعث الشعر العربيّ خلقاً جديداً . وشعر المنفى كشعر الشباب وشعر الكهولة صورة صادقة لهذه الحياة التي أراد لها القدر أن تكون نغماً من الأنغام ؛ تسمو بها النشوة إلى ذروة السرور والطرب حيناً ، ويدفعها الطموح إلى مضطرب الثورة والمثل الأعلى حيناً آخر ، ثم تصقلها السنّ ويصقلها النفي ، فإذا الحكمة والحنين والحبّ تبعث إلى هذا النغم سكينة تسمو به على المألوف من ألحان الحياة ؛ لا يغيّر من ذلك ما يدفعه النفي إلى نفس الشاعر من ألم تترجم عنه صيحات ثائرة تعيد أمام أذهاننا صورة من نزوات شبابه وثورة كهولته .

أما وديوان البارودي حياته ، فلا بدّ في تقديمه من وصف هذه الحياة ، ومن تصوير البيئة التي عاش فيها . وليس يتسع التقديم للإفاضة في الوصف والتصوير ؛ فلنتناول من جوانب هذه الحياة ، ومن نواحي هذه البيئة ، ما يجلّي أمامنا الحالات النفسيّة التي أملت على الشاعر شعره . وسنرى أنّ هذا الوصف كثيراً ما يوضح أغراض الشاعر ، فيعيننا على



إدراكها كاملة ، ويجلو لنا العمل العظيم الذي أتمّه البارودي ، فبعث به الشعر العربيّ واللغة العربية ، ومهّد لنا من ألوان المتاع بهما ، والانتفاع بتراثهما ، ما يرفع ذكره في الخالدين .

- ١ -

ولد محمود سامي البارودي بمصر لأبوين من الجراكسة في السابع والعشرين من شهر رجب سنة ١٢٥٥ هجرية (١٨٣٩ ميلادية) . وكان أبوه حسن حسني (بك) البارودي من أمراء المدفعيّة ، ثم صار مديراً لبربر ودنقلة في عهد المغفور له محمد علي (باشا) والي مصر . وكان عبد الله (بك) الجركسي جدّه لأبيه . أما لقبه « البارودي » فنسبة إلى بلدة إيتاي البارود إحدى بلاد مديرية البحيرة ؛ ذلك أن أحد أجداده الأمير مراداً البارودي بن يوسف شاويش ، كان ملتزماً لها ، وكان كلّ ملتزم ينسب في ذلك العهد إلى التزامه .

وكان أجداد البارودي يرقون بنسبهم إلى حكّام مصر المماليك . وكان الشاعر شديد الاعتداد بهذا النسب في شعره وفي كلّ أعماله ، فكان له فيه أثر قويّ في جميع أدوار حياته ، وفي المصير الذي انتهى إليه .

ولقد حُرِم البارودي العطف الأبويّ منذ نعومة أظفاره . مات أبوه بدنقلة وهو في السابعة من عمره ، فكفله بعض أهله وضمّوه إليهم . وقد تلقّى في بيتهم دراسته الأولى من الثامنة إلى الثانية عشرة من عمره ، ثم التحق بالمدرسة الحربية مع أمثاله من الجراكسة والترك وأبناء الطبقة الحاكمة . فقد كانت الجندية مظهر السيادة والعزّة ، ومن ثمّ كان لزاماً على أبناء هذه الطبقة أن يتعلّموا فنونها لينهضوا بالمناصب الرئيسية للدولة . هذا إلى أن مصر كانت يومئذ في أوج النشاط الذي بثّه فيها محمد علي ، والذي كان الجيش أسّه



وقوامه .

وخرج الباروديّ من المدرسة الحربية في أخريات سنة ١٢٧١ هجرية (١٨٥٤ ميلادية) ، وهو في السادسة عشرة من عمره . ولسوءِ حظِّه وحسن حظِّ الأدب كانت ولاية مصر قد آلت حينئذ إلى عباس الأوّل ثم إلى سعيد . وكان عباس قد عدل عن الخطة التي بدأها محمد علي حين رأى الدولة العثمانية تنظر إلى جيش مصر بعين الريبة والقلق . لذا تعطَّلت النهضة التي كانت متَّصلة بالجيش في الصناعة والتعليم ، وبدأ يخيّم على مصر جوّ من الركود وإن دأبت الروح المصرية في توثُّبها بعد الذي رأته من قوّتها على غزو الشعوب وغزو المملكة العثمانية نفسها .

وأطلّ عهد سعيد ، وخرج « الباشجاويش » محمود سامي الباروديّ من المدرسة الحربية في هذا الجوّ الراكد ، تستجنّ في حناياه أسباب اليقظة والقلق . ماذا تراه يصنع ؟ لقد سُرِّح الجيش ، وأقفرت ميادين القتال من ألوية مصر ، وقُسِر هو وأمثاله من رجال السيف على عيش الخمول والدعة . وكان أكثر هؤلاء رجالاً صغار الأحلام لم يلبثوا أن اطمأنوا إلى سكينتهم ، وسكنوا إلى خمولهم . ولعلّ كثيراً منهم قد سرّهم البعد عن مواطن القتال وخطره ، وطاب لهم عيش الدعة والتنادر بفارغ القول وهُراء النميمة والنفاق . فأمّا هذا الشاب الذي لم يخض بعدُ غمار الحياة والذي يجري في عروقه دم الإمارة والمجد ، فقد أحسّ ثورة الشباب تهزّه هزّاً عنيفاً . تطلّع إلى الماضي القريب ، وذكر مسيرة الأعلام المصرية إلى بلاد العرب وإلى سوريا وإلى الأناضول ، فتمنّى لو أنه نعم بنعيم هؤلاء الغزاة وشاركهم في سرّائهم وضرّائهم . وتطلّع إلى ما قبل هذا الماضي ، فارتسمت أمامه صورة أجداده المماليك يحكمون على ضفاف الوادي ، فحنّ إلى عهدهم ، وتمنّى لو كان معهم . والمنى حلم مسعد ما اتّصل بمستقبل يرجو الإنسان فيه مجداً وسلطاناً . لكنّها ألم لاذع حين يطلب إلينا الماضي أن نحققها فإذا المستقبل أمامنا



مظلم عبوس .

كيف يتسلّى الشابّ عن هذا الألم؟ ألا سبيل إلى ميادين يخلقها ، وحروب يخوض غمارها مع الخائضين؟ إنَّ العرب أجدادنا الأوّلين ـ والعربيّ جدٌّ لكلّ مَنْ تكلّم العربية ـ قد سجّلوا في شعرهم وقائع الحرب ، وصوّروا ميادينها ، وبلغوا من قوّة تصويرهم أن أجروا فيها حياة لا تبلَى ، حياة لا تعرف الركود ولا الضعف ولا الاستكانة . فليرجع الشابّ إلى ديوان الحماسة ، ويقرأ الشُعَراء الذين يطوون الزمن أمام بصائرنا ، ويجعلوننا ، على بعد ما بيننا وبينهم ، نسمع قعقعة السلاح ، ونرى نزال الأبطال ، ونشترك معهم في المعركة بقلوبنا وأرواحنا ، وإن لم نشترك فيها بدروعنا وسيوفنا .

اندفع الشابّ يقرأُ الشعر العربيّ القديم ، فتختزن ذاكرته القوية منه كل ما طاب لها ادّكاره . وألفى الباروديّ في هذا الشعر روعة وجمالاً يأخذان باللبّ ، ويحرّكان اللسان إلى القول . وهذا الشعر لا يقف عند الحروب والميادين وما تخلعه على الأبطال من مجد ، بل يتناول الحياة كلّها : جدّها وهزلها ، حلوها ومرّها . ففيه الغزل والوصف والحكمة ، وكلّ ما يطمع الإنسان أن يجده فيه ، وأنت كلّما ازددت إمعاناً في قراءته وتدقيقاً في معانيه ، انفسحت لك آماده ، فازددت به متاعاً ، وبحفظه تعلُّقاً .

وتحرّكت نفس الشابّ لقول الشعر بعد أن توفّر على مطالعته واستظهاره . لكن ! أيّ شعر يقول ؟ وإلى أي الأغراض ينزع ؟ أفيمدح ؟ ولكن مَنْ؟ ولماذا؟ أفيدعو؟ ولكن مَنْ ؟ وإلى أيّ شيء ؟ وهل بين الأغراض أنبل مما يجول بنفسه من آمال وآلام ؟ أليس هو الباروديّ ، سليل المماليك ، الطموح إلى المجد وإلى الفخر بماض مؤثّل ! والدم الذي يجري في عروقه ، وإن فقد أباه طفلاً وعاش يتيماً ، يسمو به على أمثاله من أرباب السيف جميعاً ، بل يسمو به على كلٍّ من في المملكة ، ويجعله وحده الجدير بأن يكون غرض شعره .



هذه النزعة في شعر البارودي بدت منذ شبابه ، ومنذ بدأ قريضه يستقرّ لتحفظه الأجيال . والقصيدة التي رثى بها أباه وهو في العشرين من سنّه تصرّح بهذا المعنى واضحاً جليّاً ، فهو يقول فيها إنه فرد بين أنداده ، لا نظير له فيهم . وهو يكرر هذا المعنى في كل شعره طول حياته . وإيمانه بتفوّقه هو الذي سما به إلى الذروة من مناصب الدولة ، كما أنه هو الذي انتهى به إلى النفي ، وبشعره إلى الخلود .

ولقد رضي البارودي عن شعره منذ قاله ؛ إذ رآه صورة نفسه ، وما تصبو إليه من مجد . لذلك لم ينصرف عنه حين عيّره أبناءُ طائفته أنه يحاكي النظّامين الذين يلتمسون عطف حاكم أو عطاءَ أمير . وكيف يسمع لهم ، أم كيف يطيعهم وهو يقول الشعر سموّاً بأغراضه عن أن تصاغ إلا في أجمل اللفظ وأروع العبارة ! ولقد سبقه من الأمراء في الدول العربية شعراء مجيدون خلّد الدهر شعرهم ، وأثبت التاريخ في أمجد صحفه أسماءَهم . كان ابن المعتزّ شاعراً ، وكان الشريف الرضيّ شاعراً ، وكان أبو فراس شاعراً ، وكان آمرؤ القيس قبل هؤلاء جميعاً شاعراً . ولقد قرأ البارودي شعرهم جميعاً فطرب له واهتزّ لروعته . أفلم يقرأ من يعيّرونه مثل ما قرأ ؟ وما ذنبه إذا قعد بهم جهلهم عن المتاع بجمال الشعر ، وقعدت بهم قرائحهم عن صوغ مثله ! وهو في هذا المعنى يقول :

تكلّمت كالماضين قبلي بما جرت ... بـه عـادة الإنسـان أن يتكلّمـا
فـلا يعتمـدني بـالإسـاءَة غـافـل ... فـلا بـدّ لابن الأيـك أن يتـرنّمـا

كانت دولة الشعر ناشئة إذ ذاك . فكان عبد الله فكري ومحمود صفوت الساعاتي وعبد الله نديم وقليلون غيرهم يقولونه في أغراض شتّى . لكن البارودي الناشىء كان من طراز غير هؤلاء جميعاً . كان غيرَهم بنسبه ، وبتفكيره ، وبمثله الأعلى في الحياة ، ثم كان غيرَهم بموهبته في الشعر . فهو لم يتعلّم النحو والصرف والعروض والقوافي ، وهو لم



يقل الشعر يبتغي بقوله مأرباً . إنما سجع به لأنه في سليقته ، ولا بدّ لابن الأيك أن يترنّم ، وسجع به على عادة الأمراء الشعراء من قبله ليخلق من بحوره ميادين لمجد يعوّضه ممّا فات سيفه في ميادين القتال ، بعد أن ردّت الأقدار سيف مصر إلى غمده .

على أنه رأى الجوّ المحيط به لا يتّسع لتحليقه ولا لطموحه . ولعلّه رأى كذلك أنّ هذا الشعر العربيّ الذي اتّصلت أنغامه بروحه قد يضيق على سعته عمّا تصبو إليه روحه . لذلك سافر إلى الآستانة عاصمة الدولة ، والتحق بوزارة الخارجية ، وتعلّم اللغتين التركيّة والفارسية ، وعكف على آدابهما ، فاستظهر شعرهما وتغنّى بأوزانه ، ودعته سليقة الشاعر إلى القول فقال بالتركية وبالفارسية ، كما قال من قبل بالعربية .

على أن السليقة العربية كانت أصيلة في نفسه ، فلم يفتأ طَوالَ السنين التي أقامها على ضفاف البسفور يقرأ دواوين الشعراء الأمويين والعباسيين ويدرسها ويستظهر منها ما يطيب له استظهاره . فلما كانت سنة ١٢٧٩ هجرية (١٨٦٣ ميلادية) سافر إسماعيل (باشا) بعد أن تولّى أريكة مصر يرفع إلى متبوعه الأعظم بالآستانة آي الشكر على ولايته ، وألحق سامي الباروديّ بالحاشية التي صحبته في أثناء مقامه بدار الخلافة ، فتوسّم إسماعيل فيه النجابة والطموح ، فعاد به إلى مصر في شهر رمضان من تلك السنة .

- ٢ -

عاد الباروديّ إلى مصر في الرابعة والعشرين من سنّه يبدأ صفحة جديدة من حياته . فقد عقد إسماعيل العزم على أن يعيد مصر سيرتها في عهد جدّه . فيجب أن يكون لها جيش قويّ وأعلام خفّاقة ، ويجب أن تعود إلى نهضتها في العلم والصناعة ، بل يجب أنْ تتطلّع إليها أنظار العالم كلّه إعجاباً بها وتقرّباً إليها . ويجب لذلك أن تنقل كلّ ما في أوروبا من أسباب الحضارة ، وأن تسير في ذلك بخطى جبّارة تجعل هذا العاهل المصلح يرى



بعينيه ثمرة سياسته ومجهوده .

ورقِّي الباروديّ في رتبته العسكرية أوَّل ما نزل مصر وعيِّن على قيادة فـرقتين من الفرسان (Les Gardes) ففتح رقّيه آفاقاً من الحياة أمامه جعل عابسها يبسم له . وزاد في ابتسامها أنه لم يلبث في منصبه الجديد إلا قليلاً ، ثم أُوفد إلى فرنسا مع جماعة من ضباط العسكرية المصرية حيث شهدوا مناورات الجيش الفرنسي السنوية ، ومن هناك سافروا إلى لندن ، فشهدوا من الأعمال العسكرية ما زادهم بها علماً .

وعادوا جميعاً إلى مصر ، فإذا الحظ يلقى الباروديّ مفتوح الذراعين ليضمه إليه ، فيرقى به في سنة إلى رتبة « القائمقام » في فرسان الحرس (Les Gardes) ، ثم إلى رتبة « أميرالاي » ليتسلَّم قيادة الفيلق الرابع من عسكر الحرس الخاصّ . أيّ شيء هذا إلا أنه المجد الذي طمح إليه صبيّاً ، فلمّا لم تتيسّر له أسبابه هجر مصر إلى الآستانة . أما وقد بدأ الدهر يعرف له مكانه ، ويهيّىء له أسباب العظمة طائعاً مختاراً ، بل مغتبطاً مسروراً ، فقد بدأت الأمور تطمئنّ والعدل يعود إلى مصر .

أفآن لهذا الشابّ أن يستقر ؟ كلاّ ! فقد شبّت الثورة في جزيرة أقريطش (كريت) على الدولة العثمانية بعد أربعة أشهر من تسلّمه تلك القيادة . وكانت سياسة إسماعيل ترمي إلى مجاملة الخليفة ومعاونته ليبلغ الغاية من أغراضه . لذلك أرسل جنداً يعاون قوّات جلالته على قمع تلك الثـورة ، ثم كان البـاروديّ « رئيس ياور حـرب » في هذا الجند . ما كان أسعده يوم عيِّن ، وما كان أشدّه سعادة يوم سافر ! لقد شعر بسيفه يهتزّ في قرابه ، وبيده تمسك مقبض هذا السيف لتضرب به الثائرين ، ورأى مجد الجنديّ يتجلّى أمامه وهو واقف على السفينة يلقي على الموج المصطخب نظراته الهادئة المطمئنة . فلمّا رست به السفينة على شاطىء الجزيرة الثائرة خفّ يتقدّم رفاقه ، مسرِّحاً بصره في الأودية



والوهاد حوله ، مشوقاً أيَّ شوق للقاءِ الذين خرجوا على الولاءِ للدولة وتنكَّبوا عن طاعة السلطان .

وأحسن الباروديّ البلاءَ في الحرب ، فأنعم عليه السلطان بالوسام العثمانيّ من الدرجة الرابعة . لكن إنعام الباروديّ علينا وعلى نفسه كان أعظم من كلّ وسام . ففي هذه الحرب قال نونيته التي مطلعها :

أخذ الكرى بمعاقد الأجفان وهفا السرى بأعنّة الفرسان

كما قال أبياته التي استهلّها بقوله :

ولما تداعى القوم واشتبك القنا ودارت كما تهوى على قطبها الحرب

من يومئذ بدأت الأنظار تتطلّع إلى الباروديّ الشاعر تطلّع إعجاب وإكبار . لقد ترنّم هذا الشابّ بأنغام في الشعر لم يألفها أهل زمانه . فهم إنما ألفوا الشعر تجارة ومرتزقاً ، كان محمود صفوت الساعاتي ، أسلم معاصريه ديباجة وأقومهم عبارة ، لا يقول إلا ليمدح أمراءَ الحجاز أحياناً ، وولاة مصر وساداتها أحياناً أخرى ، يبتغي عطاءَهم ، ويرجو إحسانهم ، وكان ما يعرض في شعر هؤلاء المعاصرين من حكمة أو فخر قولاً معاداً ، سبقهم إليه غيرهم في ديباجة أمتن ولفظ أكرم . وكانوا جميعاً متأثّرين بشعر المتأخّرين ، فكانت المحسّنات البديعيّة عندهم كلّ شيء ، وكانت معانيهم في جملتها مطروقة متداولة . أمّا هذه القفزة التي قفزها الباروديّ فسما بها إلى مكان الفحول من الشعراء الأوّلين في الجاهلية والعصور الأولى من الإسلام ، فقد أثارت عجب الناس واستثارت إعجابهم . وحقّ للناس أن يعجبوا . فهذا الشابّ الشاعر الملهم هو الرسول الذي بعثته العناية لينفخ في الشعر العربيّ روحاً تنشره من الجدث الذي انطوى عليه القرون الطوال ، وليمهّد السبيل من بعده لأبناء مذهبه : شوقي ، وحافظ وإسماعيل صبري ، ومن سار



سيرتهم ونسج نسجهم .

ما الجديد الذي استرعى الأسماع في شعر الباروديّ ؟ أهو الأسلوب الجزل والديباجة البدوية اللذان تجلّيا في كثير منه ؟ لكن أسلوب الساعاتي وديباجته كانا لا يخلوان من جزالة وبداوة ، وقد نزع جميع الشعراء إبّان هذه النهضة الأولى ذلك المنزع ، فإن فاقهم الباروديّ ، وسما عليهم ، فلا جديد في تفوّقه . إنّما الجديد الذي استرعى الأسماع لشعره ، ودعا إلى الإعجاب به ، هو نزوعه إلى تصوير الواقع كما هو في بساطة وسلاسة وقوّة ، دونِ اعتماد على محسّنات اللفظ البديعيّة من جناس وطباق ونحوهما ، ودونِ إغراب في الخيال ، إن أثار العجب لم يثر الإعجاب .

وفي شعر الباروديّ ظاهرة لعلّه لم يفطن لها أوّل الأمر أحد . فهو قد اعتمد في تصويره الواقع على حاسّة النظر أكثر من اعتماده على سواها . وأنت إذ تقرأ قصيدتيه اللتين أثبتنا مطلعيهما عن حرب أقريطش ترى تصوير المرئيّات واضحاً فيهما كلّ الوضوح ، وترى هذا التصوير سهلاً لا تعمُّلَ فيه . فهو في القصيدة الأولى يصوّر الليل الضارب بِجرانه فوق الربى والمتالع ، لا تستبين العين في ظلمائه غير الضوء المنبعث من أسنّة الحراب ، وغير التماع سيوف الثائرين المختفين في جنح الظلام ، فإذا أصبح الصبح رأيت هذه الجبال انقلبت أسنّة وأعنّة لكثرة العدوّ الجاثم فوقها ، ورأيت الماءَ أحمر قانياً لكثرة ما يختلط به من دم القتلى .

وتستطيع أن ترجع إلى القصيدة الثانية في هذا الجزء من الديوان لترى صورة الحرب دائرة الرحى ، والخيل مائجة من الكرّ والفرّ صدورها ، والأرض دائرة بالأبطال كأنهم سكارى من وقع الهول ، والشاعر يرى هذا كلّه ثم يقول :

صبرت لها حتى تجلّت سماؤها وإني صبور إن ألَمّ بيَ الخَطبُ

وتصوير المنظور صفة بارزة في شعر البارودي كلّه . وذلك شأنه بخاصّة في ما لم ينزع فيه إلى تقليد المتقدّمين . بل لقد كان هذا التصوير الروائي للمنظورات يغالبه وهو يقلِّد . وبائيته المشهورة التي قالها في صباه معارضاً قصيدة الشريف الرضيّ « لغير العلا مني القلى والتجنُّب » ، والتي مطلعها :

سـواي بتحنان الأغـاريـد يـطرب وغيـريَ بـاللَّذَّات يلهـو ويعجب

فيها من هذا التصوير شيء غير قليل .

وأنت ترى التصوير واقعيّاً في غير تقليد في بائيته التي مطلعها :

أيـن أيـام لَـذَّتـي وشـبـابـي أتـراهـا تعـود بعـد الـذهـاب

وهو يصف في هذه القصيدة مشهداً لمصر تراه أعيننا كما رآه هو ، ويصفه وصفاً قويّاً يجعله حيّاً ناطقاً ، كله النشاط والحركة . ولقد قال هذه القصيدة وهو منفيٌّ في سرنديب يأسف فيها لذهاب الشباب ، ويحنّ إلى وطنه ، فإذا الوطن صورة منظورة أمامه يرسمها رسم مصوّر بارع .

ولقد قوّت البيئة التي عاش فيها الباروديّ هذا الجانب التصويريّ من شاعريّته . فهو مذ عاد من أقريطش بعد قمع ثورتها ، قد أقام اثنتي عشرة سنة كاملة بعيداً عن ميادين القتال عيّن أثناءَها ياوراً (بمعية) الخديوي إسماعيل ، ثم رئيس الياورية ، ثم اصطفاه الخديوي كاتم سرّه الخاصّ ، ثم سافر في رحلتين قصيرتين إلى الآستانة في مهمة سياسية تتّصل بفتنة الهرسك ، ثم بفتنة البلقان والجبل الأسود .

في هذه السنوات الاثنتي عشرة كانت مصر ميدان حياة ونشاط قلّ نظيرهما في أمّة من الأمم . نهض بها إسماعيل بعد النكسة التي أصابتها في عهد سلفيه سعيد وعباس الأوّل ، نهضة هي أدنى إلى الثورة منها إلى النشاط . أراد لها أن تقف مع الأمم الأوروبية

في صفّ الحضارة ، وأن تكاتفها في الوجود الدولي . وهذه الأُمم قد بلغت مكانتها في أجيال متعاقبة بذلت أثناءها جهوداً جبارة لتبلغ ما بلغته . فليضاعف أبو الأشبال الجهود ، وليجعل الزمن رهن أمره ، وليدفع مصر متضافرة معه ، قوية بقوّته ، ليصل في سنوات إلى ما وصلت إليه أوروبا في تلك الأجيال . وماذا ينقصه أو ينقص مصر لتحقيق هذه المعجزة ؟ العزم ! الذكاء ! الهمة ! البأس ! هذا كله موفور فيه وفي مصر . وكلّ ما عليه أن يتجنّب ما وقع فيه جدّه الأكبر فلا يناصب الدولة العثمانيّة العداوة ، فينجو من تألّب أوروبا عليه . فأمّا المال فالحصول عليه يسير . فمصر غنية ، وقناة السويس التي تشقّ خلالها ستزيدها ثراءً ، وتجعلها مركز الحياة في العالم . ذلك ما يؤكّده ديلسبس ، وذلك ما لا سبيل إلى الريب فيه . فلتقترض مصر المال لتحقّق بنهضتها المعجزة التي تبهر العالم . ومصر الناهضة الفتيَّة القوية قديرة على أداء ديونها وعلى مضاعفة ثروتها .

وأوّل ما مرّ بخاطر إسماعيل أن تضارع عاصمته عاصمة نابليون الثالث ، وأن تكون القاهرة باريس الشرق . ولم تك إلا سنوات حتى قامت القصور شاهقة على شاطىء النيل بين الجزيرة والروضة : روضة المقياس . لكن إسماعيل كان أبعد نظراً وأعمق ذكاءً من أن يكتفي بهذه المظاهر . فلتفتح المدارس ، ولتمد السكك الحديدية ، وليعمّ النشاط المعمِّر أنحاءَ الدولة جميعاً ، ولتضارع حكومة مصر شركة قناة السويس في الجدّ والمثابرة ، وليكن افتتاح القناة بين البحرين الأبيض والأحمر مشهداً فذّاً في تاريخ العالم كلّه ، تقع فيه أعين الملوك والساسة على مصر المتحضِّرة الناهضة بعبءِ الحضارة كنهوض فرنسا وإنجلترا بعبئها ، وعلى إسماعيل مليك مصر ذي الأيد قائماً في أبّهة من السلطان تَذْوِي أمامها أبّهة أصحاب العروش في الدول الأوروبية كلّها .

وقد رأيتَ الباروديّ في معيَّة إسماعيل ورأيته أمين سرّه . والباروديّ شابّ شاعر قويّ الحسّ طموح إلى العلا ، ابتسم له الحظّ فقرّبه من صاحب العرش ، وجعل الحياة



وسرّها ونعمتها في ملكه وطوع يده . ماذا يصنع ؟ أقام بحلوان ، وأرخى لشبابه ولهوى الشباب العِنان ، فعرف الشراب ومجالسه ، والغواني وفتنتهنّ ، والطرب بالموسيقى وبالغناءِ ، وقال في هذه الأغراض جميعاً ، فما تكاد قصيدة من قصائده تخلو منها . لكنك في حِلٍّ من أنْ تسأل : أأمعن في الحبّ وخضع لسلطانه ؟ أوَبلغ من إدمان الشراب وحياة اللهو ما بلغ الماجنون ؟ أم كان شعره في الغزل وفي الخمر شعر محاكاة أكثر منه تحدّثاً عن غرام صادق آخذ بمجامع قلبه ، وعن إغراق في اللهو والخمر ووَلَعٍ بهما ؟ أحسبنا في حلٍّ من القول بأنه كان مقلِّداً في غزله وفي خمرياته ، وأنَّ هوى نفسه كان إلى شيءٍ غير المرأة وغير الخمر ، وأنّ حديثه عن الخمر وعن المرأة إنَّما كان تقدمة إلى الفخر والوصف والسياسة وغيرها من الأغراض التي يريد القول فيها ، وأنه في هذه التقدمة كان ينسج على غرار الأقدمين .

وما أكثر ما نسج الباروديّ على غرارهم ! فهو طالما راضَ القول معارضاً الفحول الأوّلين ، محاولاً أن يبزّهم في ديباجته وفي قوّة معانيه . وقد وُفِّق للتفوّق عليهم في أحيان ، وقصّر عن مداهم في أحيان أُخرى . وكثيراً ما كان ينتقل في معارضاته من بيئته المصرية الحديثة إلى بيئة بدوية جاهلية أوبيئة إسلامية بالشام أو بالعراق في عهد بني أمية أو بني العباس ، ثم كان يجعل الغزل واللهو بالخمر والنساء ، والحماسة والفخر ، أغراضاً له في القصيدة الواحدة على طراز من حمل نفسه على معارضتهم . وكانت ذاكرته القوية تواتيه في ما يعارضهم فيه حتى تخاله أحدهم ، ويختلط عليك الأمر إذا أردت أن تميز بين شعره وشعرهم . ومن كانت هذه حاله لم يكن غزله ولم يكن لهوه صادرين عن عاطفة ألهبها الحبّ أو حرّكتها الخمر بمقدار ما حرّكها الحرص على التفوّق في حلبة الفحول الأوّلين .

وأنت تراه يذكر في الحبّ ما تكاد تظنه حكاية حال ، كقصيدته عن غرامه بغادة

حلوان . وإنا لنميل إلى القول بأنّ هذا الغرام لا يزيد على صورة تخيلها الشاعر ، وأقصى ما يذهب إليه الظنّ أنها صورة رآها في ليلة أنس فأعجبته فخلع عليها من شعره معاني الغرام ، وإن لم يملكه حبّ ، ولم يقم بنفسه غرام . فالقصيدة التي تقصّ هذه الحكاية تبدأ بالخمر والحديث عنها ، ثمّ تروي حديث هذا الغرام لتنتقل منه إلى الفخر بقومه الذين يدفعون عنه مصارع هواه ، فهم :

رجال أولو بأس شديد ونجدة ... فقولهم قول وفعلهم فعل
إذا غضبوا ردُّوا إلى الأُفق شمسَه ... وسال بدفّاع القنا الحزن والسهل

وأنت ترى تداول هذه الصور في الكثير من قصائد شبابه : خمر ، وغزل ، وفخر . ولا ريب في أنه كان يحسّ ما يقوله في هذه الأغراض جميعاً . لكن الذي لا ريب فيه كذلك أنّ الحبّ لم يفتن يوماً لبّه ، وأنّ الخمر لم تذهب يوماً بعقله . فأمّا الفخر فكان يعبّر عن إمانيّه الخفيّة وآماله المكظومة .

أقام يقول الشعر في هذه الأغراض وفي ما يتّصل بها ، متنقّلاً بين حلوان والجزيرة ، سعيداً بمقامه إلى جانب إسماعيل ، مطمئناً إلى حظّه بمصر ، اثنتي عشرة سنة كاملة . وكما اختزنت ذاكرته الشعر صدر شبابه فقد اختزنت في هذه السنوات المتعاقبة من صور مصر ما زاده حبّاً لها وتعلّقاً بها ، وما جعله يتحدّث في شعره عنها ، ويصف بديع مناظرها وصفاً لم يسبقه إليه أحد . وصف نهرها الفيّاض أبا الخير والنعمة ، ووصف مزارعها الفسيحة تترامى أمام النظر إلى حدود الأفق ، ووصف آثارها الفرعونية على نحو لعلّه أحدث ما جدّد الشعر في عهده . وصف هذا كلّه مستقلاً بوصفه حيناً ، جاعلاً منه بعض موضوعه في قصيدة من القصائد حيناً آخر ، مستمتعاً به في الحالين ، مسبغاً عليه من روعة شعره ثوباً يزيده جمالاً ، ويزيد المصريّ له حبّاً ، وبه تعلّقاً .

فلمّا كانت سنة ١٢٩٤ هجرية (١٨٧٨ ميلادية) أعلنت روسيا الحرب على تركيا ، وأرسل إسماعيل جيشاً يعاون متبوعه الأعظم . وسافر الباروديّ مع الجيش ، واشترك في الحرب ، وكوفىء عن مواقفه فيها بإنعام الخليفة عليه برتبة أمير اللواء وبنيشان الشرف (الميداليا) وبالوسام المجيديّ من الدرجة الثالثة .

ولم تصرفه ميادين القتال عن قول الشعر ، بل لقد بعث منها إلى مصر من عيون شعره ما جرى بعضه مجرى الأمثال . ومن ذا الذي لا يحفظ قوله :

إذا نحن سرنا صرّح الشرّ باسمه وصاح القنا بالموت واستقتل الجند

وفي هذه الفترة أضاف الباروديّ الحنينَ إلى الوطن إلى أغراض شعره . فهذا الحنين الذي لم يكن بادياً أيّام أقريطش قد بدأ في حرب البلقان يظهر قويّاً ، كما ترى في أبيات هذه القصيدة بل في مطلعها :

هو البينُ حتى لا سلامٌ ولا رَدُّ ولا نظرةٌ يقضي بها حقَّه الوجدُ

وظلّ تصوير المنظور واضحاً في هذا الطور وضوحه في أطوار شعر الباروديّ جميعاً ، بل ظلّ يزداد قوّة ووضوحاً ، وتزداد فيه الحركة والحياة بنوع خاصّ . فالباروديّ إذ كان يسجِّل الصور في شعره لم يكن يسجلها في صمتها وسكينتها على ما يولع به عشّاق الطبيعة الصامتة ، بل في نشاطها وتحرّكها ، حتى يرسم أمامك فيض الحياة في كلّ ما تقع عليه عينه ، وما تحيط به باصرته .

- ٣ -

عاد الباروديّ من حرب البلقان وقد أدرك الأربعين ، وبلغ من الرتب العسكرية أسماها ، فعيِّن مديراً للشرقية ، فمحافظاً للعاصمة . وبينما هو في هذا المنصب ترك

إسماعيل حكم مصر بعد تدخُّل الدول الأجنبيّة في شؤونها ، فكان ذلك نذيراً بتجهُّم الحظّ لبلاده ، وللشاعر الفحل الذي شدا بجمالها وتغنًّى بمجدها .

لكن النهضة التي بثَّها إسماعيل في مصر ، تركت في نفس الشعب أثراً لا يسهل التغافل عنه أو القضاء عليه . يستطيع السلطان العثمانيّ أن يصدر فرماناً بتولية توفيق ، ويستطيع إسماعيل أن يغادر بلاده إلى إيطاليا ، ويستطيع توفيق أن يجلس على عرش أبيه ، ذلك كلّه يسير ، لأنّه يصدر بأوامر رسمية ، وينفذ طوعاً لهذه الأوامر . لكن النبات الذي وضعت بذرته في التربة المصرية من عهد محمد علي ، والذي تعهّده إسماعيل بعنايته ، وبذل الجهد والمال لتقويته ، لا يمكن أن تنزعه الأوامر ، أو يذهب به تغيير الجالس على العرش . فكان طبيعيّاً أن تثير هذه الأحداث عواطف الشعب المصريّ على التدخُّل الأجنبيّ ، وأن تُلهب في النفوس شرارة القوميّة ، وأن تدفعها إلى التشبث بالشورى وبالحكم النيابيّ وسيلة لإقامة العدل ومتابعة الإصلاح .

وزاد ارتقاء توفيق عرش مصر رجاء الشعب في بلوغ هذه المطالب ، فازداد بها تشبّثاً . ذلك أنَّ توفيقاً كان متَّصلاً بالسيد جمال الدين الأفغانيّ وبالشيخ محمد عبده وبالدعاة إلى الإصلاح وإلى الشورى . على أنه لم يلبث حين آل إليه الأمر أن أعاد المراقبة الثنائية ، وأصدر قانون التصفية ، وخاصم الحكم النيابيّ ، وأعاد السلطة المطلقة . وهو لم يفعل ذلك تمرّداً منه على المبادىء التي قال من قبل بها ، وإنّما فعله ضعفاً أمام التدخّل الأجنبيّ الذي ازداد في عهده على ما كان في عهد أبيه ، فكان للأجانب في الواقع زمام الأمر ، وإن أرادت المظاهر الرسمية أن يكون توفيق الممسك بهذا الزمام .

وكان سامي الباروديّ من أنصار الحركة القومية ومن المقرّبين لذلك إلى توفيق في الزمن الأخير من عهد أبيه والفترة الأولى من عهده . ولقربه منه عيّنه مديراً للأوقاف ،



فأصلح فيها ما وسعه الإصلاح . على أنَّ اطِّراد التدخُّل الأجنبيّ ومقاومته لفكرة الحكومة النيابية في مصر حال دون ما يحتاج إليه الإصلاح من هدوء واستقرار . وقد أحسّ المستنيرون من المصريين بأنَّ عليهم واجباً لأنفسهم ولبلادهم أن يقاوموا تيّار هذا التدخُّل ، وكان المستنيرون يومئذ هم رجال الجيش كما سبق القول . لذلك انتقلت حركة المطالبة بالشورى والإصلاح من أيدي المدنيين إلى أيدي العسكريين .

آذن هذا الانتقال بإثارة مشكلة جديدة لم تكن بادية للعيان في عهد إسماعيل ، على رغم ما كان من نشاطها في أثناءِ استخفائها . تلك حركة المصريين في الجيش . فقد كان رؤساء الجيش من الجراكسة والترك ، ولم يكن يرقى إلى الصفوف الأُولى من المصريين أحد . وكان هؤلاء الرؤساء على جانب عظيم من الغطرسة والبطش . أما ومصر تريد أن يكون أمرها لبنيها ولا تريد للأجنبيّ سلطاناً ، فمن الحقّ أن تكون رياسة الجيش للمصريين ، وألّا يكون لهؤلاء الرؤساء الأجانب ما لهم من سلطان .

لم تكن هذه الفكرة واضحة في النفس المصرية هذا الوضوح في عهد إسماعيل ، ولا أوّل حكم توفيق . ولعلّ التدخُّل الأجنبيّ هو وحده صاحب الفضل في تحريكها وإظهارها من بعدُ بجلاء وقوّة . وإنّما كانت الشكوى قبل ظهورها مقصورة على طلب العدل ورفع الظلم . لذلك كان محمود سامي الباروديّ ، وهو جركسيّ كغيره من الجراكسة ، محبوباً من المصريين محبّاً لهم ، بل كان موضع رجاءِ العسكريين منهم في رفع الحيف النازل بهم . وكيف لا يحبّه المصريون جميعاً وقد تغنّى بحبّ مصر ما تغنّى ، وقد وصف من جمال مصر ما لم يسبقه أحد إليه ، وقد صوّر هذا الجمال في دقّة تدلّ على إخلاصه وصدق محبّته ! .

فلما ثار العسكريون المصريون بناظر الحربية عثمان رفقي فاستقال ، أُسند توفيق

هذه الوزارة إلى الباروديّ مع ديوان الأوقاف .

على أنّ إسراع توفيق إلى الاتّعاظ بالحوادث وإذعانه للتدخّل الأوروبيّ وظهوره بتأييد الحكم المطلق أوقف الباروديّ موقف الحيرة : أيظلّ على ولائه لصاحب العرش ، أم على وفائه للشعب الذي اختصّه بمحبته . ورأى رياض (باشا) ، رئيس الوزارة يومئذ ، إيثار الباروديّ للشعب ، فدسّ عليه عند توفيق ، فاضطره إلى الاستقالة من الأوقاف والحربية ، ودفعه إلى اعتزال الحياة السياسية والعيش بعيداً عن جوّ القلق والاضطراب .

رأى توفيق حركة الجيش تكبر ، فنحّى رياضاً وأسند الوزارة إلى شريف (باشا) ولم يقبل الباروديّ العود إلى الحكم حتى ألحّ عليه توفيق وأقسم له أن ليس في نفسه منه شيء . واستقال شريف فاضطرّ الباروديّ أن يؤلّف الوزارة ، بعد أن أصبح زمام الأمر في مصر إلى الضباط الذين يعدّون الجراكسة أجانب كغيرهم من الأجانب .

وكان الباروديّ يرجو أن يتلافى هذه الحركة ، وأن يصل بحسن رأيه إلى إقامة العدل والإصلاح في مصر على أساس من مبادىء الثورة السلميّة التي انتشرت دعايتها في البلاد ، لكن الأمور سارت على غير هواه ، واندفع الضباط يفكّرون في خلع توفيق . وقد نازعته نفسه يومئذ إلى مكان المجد وتحرّكت فيها أسباب الاعتداد بمكان أجداده المماليك الذين حكموا مصر . وقصيدته التي مطلعها :

قلّدت جيدَ المعالي حليةَ الغَزَلِ وقلت في الجدِّ ما أغنى عن الهزل

لا تبرئه من هذا التفكير وإن ذكر في الديوان أنها قيلت في عهد إسماعيل . لكنه رأى إنكلترا وفرنسا تتدخّلان وتبعثان بمذكّرتهما المشتركة إلى الحكومة المصرية ، فأحسّ الخطر ،



ورأى أن لا طاقة لمصر بمواجهة هذا الموقف . ولقد حاول أن يتخلَّص منه بالاعتزال في مزارعه ، وذلك بعد أن نصح للعرابيين ، وصارحهم برأيـه . لكن اندفـاعه في حـركة الضباط من بداءتها حال بينه وبين التخلُّص منهم ، فلم يكن له بدٌّ من أن يسير معهم ، وأن يربط حظَّه بحظِّهم .

وهذا الموقف الذي وقفه الباروديّ هو الـذي جعله لا يبرز في الصفّ الأوّل من صفوف الثورة العرابية ، ولا يتولَّى زعامتها . ولو أنه كان مؤمناً بها إيمان عرابي وأصحابه لكان الطبيعيّ أن يتقدَّمهم وأن يدعو بدعايتهم . فهو قـد اشترك في حـروب أقريـطش والروسيا وأبلى فيهما بلاءً يجعله أقدر ضباط الثورة جميعاً على قيادتها . وهو قد كان ـ لا ريب ـ أكثرهم ذكاءً وأعلاهم ثقافة وأعرفهم بشؤون الحياة الدولية . أما وقد سايرهم إذعاناً لحكم الأحوال فقد رجع إلى الصف الثاني من صفـوف الثورة . فلمَّا أخفقت وحوكم زعماؤها حكم عليه معهم ، لأنَّه شجّعهم أوّل أمرهم ، ولأنَّه لم يتنصّل عنهم حين لجّوا في عصيانهم .

ونُفِي مع زملائه زعماء الثورة إلى سيلان فأقام بها سبعة عشر عاماً وبعض عام . ولقد أقاموا جميعا في كولومبو سبعة أعوام عاف الباروديّ خلالها بيئتهم إذ دبّت الشحناءُ بينهم وانقلب كلٌّ يلقي على زملائه تبعة ما حلّ به . ولم يكن ذلك ديدن الباروديّ ولا كان من خلاله . لذلك انتقل إلى كنْدِي حيث قضى عشرة أعوام أخر تعلَّم خلالها الإنجليزية ، وعلَّم بعضَ أهل كندي الدين الإسلامي واللغة العربية ، واستطاع أن يتسلَّى ، وإن لم يَسْلُ يوماً وطنه وأهله ومجده .

لمن يبثّ شكواه أو يعلن أساه ؟! لا خير في اصطفاء زملائه وكلّهم طائر اللبّ مروّع القلب . ولا خير في التحدُّث إلى أهل البلاد ، وقلّ منهم من يفهم حديثه ، وأقلّ من ذلك

من يعرف قصته . لا معين له على الشكوى إذاً إلا ربَّةُ الشعر ، فليشركها معه ، وليترنَّم وإيّاها بهمومه ، وليستعن بها على التصبّر إن لم يجد إلى الصبر الوسيلة ، وليتَّخذ منها رسوله إلى النائين عنه بمصر ممن يذكرونه ، ويتحسَّرون على مصابه حسرة على الشعر أن يقسو به القدر كلّ هذه القسوة .

وكانت ربَّةُ الشعر نعم العزاء . مدّت إليه قيثارتها ، وألهمته أبلغ آياتها يُوقعها عليها ليصعِّد في أنغامها كربة نفسه وهمَّ قلبه . يراجعه الحنين إلى الوطن فيشكو النوى ويصوّر الوطن أروع صورة في أبرع عبارة ، ويثور على الحنين وعلى الوطن فيلعن مصر ، ويهجو ناسها ، ويحزّ الأسى في نفسه فيتوجع ، وتراجعه جركسيته ، ويثور في عروقه دم المماليك ، فيعود إلى الفخر ، وتبلغه الأنباء بوفاة الأهل والأصدقاء ، فيرثي ويبكي ويسلم أمره إلى الله ، وينخرط في الأسى وفي الألم ، فيتّخذ الزهد ملجأً من أساه ومن ألمه ، ويقصّر الزهد فلا يأسو جراح نفسه ، فيثور ويبلغ بالثورة أقصى الحدود ، ويشعر بذهاب الشباب وبالأجل المكتوب في الغربة والنأي عن الإخوان والأهل فيستسلم للقضاء . وربَّة الشعر في هذه الحالات جميعاً مُسلمةٌ إليه نفسَها ، مُسْلِسةٌ له قِيادَها ، مادّة إليه قيثارتها ، تلهمه وتقول معه ، وتعينه في هذا المنفى على أن يعيد إلى الشعر العربيّ جِدّةً لا تبلَى ، ويجعل من آلامه وحسراته وثوراته وحنينه وضعفه وبكائه أَدَاةَ هذه الجدّة ، ومصدرَ هذا البعث ، بعد أن ظلَّت اللغة السليمة والأدب الرفيع ملتفين في أكفانهما قرابة ألف عام .

ونحن نحاول اليوم أن نتلمَّس الجديد في شعر البارودي ، ونقصد بالجديد ما أبدع من أغراض لم تكن مطروقة في عهد الأوّلين ممن بعث لغتهم وشعرهم ، وما كانت ذاتيته قوية واضحة فيه ، وما يتَّصل بالحاضر ممَّا جعله الشعرُ الأوروبيّ أغراضه ، فيأخذ بألبابنا ما في ديوانه من الشعر السياسي ، ومن وصف الطبيعَة المصرية والآثار المصرية والحياة

المصرية . أمّا ما خلا ذلك فلم يعدُ الباروديّ فيه مقاصد المتقدّمين من شعراءِ العرب ، ولم يعدُ أوزانهم وقوافيهم وأغراضهم . لم يفكّر في الملاحم الكبرى كما فكّر هوميروس في الإلياذة ، ولا فكّر في المسرحيات الشعرية كما فكّر شكسبير في مسرحيّاته ، وكما فكّر دانتي في الكوميديا الإلهية . وهو في الحقّ لم يتّجه بالشعر العربيّ غير وجهة الأقدمين الذين عارضهم ، وراض القول على مثالهم ، وإن كان من الحقّ كذلك أنه لم يَفْنَ فيهم ، ولم يقصر همّه على النقل عنهم ، بل بدت شخصيته بارزة في شعره ، وبدا شعره مرآة بيئته وزمانه . فلو أنه عاصر الأقدمين ، وعاش بينهم لكان له ما للأخطل وللفرزدق ولأبي فراس ولبشار من ذاتية يمتاز بها عن غيره ، ويقف بها في الصفّ الأوّل من هؤلاء الأقران المبرِّزين .

لكن يجب أن نعدِّل هذا الرأي إذا أردنا أن نبلغ النَّصَفَة حين البحث عن الجديد في شعر الباروديّ ، وأن نقول إن هذا الشعر كان في عصره جديداً كله . كانت محاكاته الأقدمين جديدة ، وكانت معارضته إياهم جديدة ، وكانت رياضته القول على مثالهم جديدة . فقد هوى الشعر العربيّ قبله إلى درك من الانحلال جعله بالنسبة إلينا نسياً منسياً ، وجعلنا نكاد نسقط من حسابنا هذا الألف الذي انقضى من السنين بين الشعر العربيّ بدء انحلاله ، وبين هذا الشاعر الذي بعث الشعر العربيّ إلى الحياة من جديد . ونحن جميعاً مقلّدون في أكثر ما نعرض له من شؤون الحياة : مقلّدون في الفنّ والأدب والشعر والعلم لأنها من شؤون الحياة . وإنما نجدّد بقدرٍ في حدود ما يُصلح فساد الماضي ، ويضيف إلى الصالح منه ما يزيد حياته بريقاً وما يزيده على الحياة قوّة . فإذا كان الباروديّ قد بعث الشعر العربيّ واللغة العربية من مرقدهما وردّ إليهما حياة ذوت وذبلت قروناً متعاقبة ، فعمله هذا خَلْق لا ريب فيه ، وهو في عصره جديد كلّه ، وهو جدير لهذا أن يتسنّم ذروة المجد ، وأن يجلس بين الخالدين .

وإذا كان لم يعرف وحدة الغرض في القصيدة الواحدة كما نفهمها اليوم ، وكما يفهمها أهل الغرب ، وكان ينتقل من الغزل إلى المدح إلى الفخر إلى الحماسة إلى الحكمة ، كما كان يفعل البحتريّ وأبو تمّام والمتنبي وغيرهم من كبار الشعراء ، فذلك لأنَّ رسالته لم تكن تجديد الشعر العربيّ في حياته المتدفّقة الفيّاضة ، بل كانت بعث الشعر العربيّ من مرقده ، وتمزيق الأكفان التي احتوته مئات السنين . وما وُفِّق له البارودي من هذا البعث لا يزال حتى اليوم أعظم تجديد تَمّ في حياة الشعر العربيّ منذ نهض البارودي به ، لا يُقْرَن إليه إلا ما وُفِّق له شوقي حين وضع مسرحيّاته الشعرية الخالدة : مجنون ليلى ، ومصرع كليوبترا ، وما إليهما .

ولعلك لا تعثر في شعر البارودي على فلسفة ظاهرة ، ولقد تعثر فيه على زلّات غير قليلة في اللغة كما يريدها المتزمّتون ، وقد يقع له أحياناً أن يسيء الانتقال من غرض إلى غرض ، أو أن تضمّ القصيدة الواحدة من قصائده أبياتاً بالغة غاية القوّة والجزالة ، وأخرى متخاذلة منحلّة ، أو ضعيفة النسج نابية في استعمال بعض المفردات ، وقد تراه متناقضاً في القصيدة الواحدة : زاهداً في أوّلها مسلماً أمره للمقادير ، ثائراً في آخرها مالئاً ماضغيه فخراً بنسبه وفعاله وشجاعته وشعره ، كما تراه يغرب في اللفظ حين يعارض الأقدمين ، ثم لا يمنعه ذلك من أن يسيغ بعض الألفاظ العاميَّة التي تأباها المعجمات ويثور بها رجالها ، لكنك تجد له العذر عن ذلك كلّه حين ترجعه إلى أسبابه ، وتجد له عذراً أبلغ حين تذكر أن العبقرية التي تحلّق بصاحبها في سموات تتعلّق بها القلوب والعقول في إعجاب وتقدير ، هي التي تستبيح ما يؤاخذ الناسُ المجيدين به ، وما يحذر هؤلاء المجيدون الوقوع فيه ، لأنهم لا يجدون عوضاً عنه في سمو صاحب الموهبة بعبقريته إلى حيث لا يلحقه أحد .

وللبارودي مع ذلك عذره عن كثير من هذه المآخذ التي يتغاضى عنها كثيرون ويرون بعضها ضعيفاً وبعضها يشوبه الخطأ . فعذره عن أخطائه اللغوية هو عذر الفحول الأوّلين



من كبار الشعراء الذين يستشهد بهم في كلّ خروج على قواعد اللغة . فهم لم يكونوا يتقيّدون بها وقد كانت حديثة الوضع في عهدهم ، وكانت أقوالهم حجّة لذاتها . وهذا عذر ناهض للبارودي ، وهو كما رأيت لم يتعلّم النحو والصرف والعروض والقوافي ، وهو قد قال الشعر طوعاً لموهبته ، بعد أن قرأ الشعراءَ الأوّلين وحفظ عنهم كلّ ما اطمأنَّ إليه من أقوالهم ، وأنت لذلك تستطيع أن تقول إنه عاصرهم وعاش معهم . فلم يكن أبناء زمانه من المصريين يعرفون اللغة العربية ، وإنَّما كانوا يتحدّثون بلغة أخرى هي العامية . فحياة الباروديّ المتَّصلة باللغة العربية كانت بين الشعراء الجاهليين وشعراء العصرين الأمويّ والعباسيّ . من ثمَّ صارت لغتهم لغته ، وصارت سليقة له كما كانت سليقة لهم ، فكان يقولها ويتصرّف فيها كما كانوا يقولونها ويتصرَّفون فيها . فإذا هو سما بسليقته في اللغة كما سَمَوْا ، ولم يتقيّد بما يتقيد به غيره من قواعدها فلا تثريب عليه ، ولا شيءَ في ذلك يؤاخذ به ، وإن وجب التنبيه إليه .

أمّا ما يقال عن سرقات الباروديّ فلا ينهض مأخذاً عليه . وهو قد أسلف العذر عن محاكاة الأقدمين ، إذ نصّ في تقديم بعض قصائده على أنها معارضة لقصيدة قديمة معروفة ، أو أنّها رياضة للقول على طريقة العرب . هذا إلى أنَّ رسالة الباروديّ في الشعر كانت رسالة بعث كما قدّمنا . وقد اتُّهم الفحول من الشعراء الأقدمين قبله بالسرقة ، فاعتذر رواتهم وأنصارهم عنهم بأنَّ ما نسب إليهم من ذلك إنما هو من توارد الخواطر ، «كما يقع الحافر على الحافر» على حدّ تعبيرهم . والباروديّ أبلغ عذراً ، فقد كان محفوظه من الشعر القديم ضخماً ، وكان شعره هو ضخماً كذلك ، وأنت تصادف في ديوانه أبياتاً له مذكورة في أكثر من قصيدة ، فلا عجب إذا ظنّ بيتاً محفوظاً لغيره بعض ما قاله فأدمجه في قصيدة من القصائد على أنه له .

والحقّ أنّ الباروديّ ما كان بحاجة إلى السرقة وعبقريتُه الشعرية ما عرفتَ ، وديوانه

تربو فيه القصائد على المئات ، والأبيات على الألوف ، وما ينسب إليه أنه نقله عن الأقدمين قليل ، كقوله :

عليّ طلاب العزّ من مستقرّه ولا ذنب لي إن عارضتْني المقادرُ

وهو صورة في لفظه ومعناه من قول أبي فراس :

عليّ طِلاَبُ العزّ من مستقرّه ولا ذنبَ لي إن حاربتني المطالب

وهذا التطابق البيِّن على قلَّته في شعر البارودي قد أُوخذ غيره من الفحول بمثله . وإنّما يفسّره أنَّ روح البارودي متَّصلة بالأقدمين كلّ الاتّصال . وما قاله في الحكمة وكثير مما قاله في الفخر ليس إلا ترديداً لما قالوا ، لأنه لم تكن له فلسفة خاصّة كما قدّمنا ، ولأنّه كان يبعث معاني الأقدمين كما كان يبعث لغتهم .

وأنا لا أسيغ تسمية هذا البعث سرقة . والشعراء والكتاب في كلّ أمة وعصر يتداولون المعاني بينهم ، ثم يمتاز المبرِّز منهم بسطوع معانيه وقوّتها ، وبوضوح شخصيته في أغراضه وأسلوبه . وللبارودي من هذا التبريز حظٌّ قلّ نظيره ، وأنت لا تجد هذا التبريز في قصائد المديح القليلة التي قالها ، لأنه قال هذه القصائد مجاملة ، أو نزولاً على حكم الأحوال ، فلم تكن متَّصلة بنفسه ولا صادرة عن وجدانه الأبيّ المتعالي بفضله ومجده على كلّ مَنْ سواه . أمّا في الإباءِ ، وفي الفخر ، وفي الحنين ، وفي الرثاء ، وفي وصف الوقائع ووصف الطبيعة ، فقد سما البارودي إلى حيث لا يلحقه إلاّ الأقلُّون من أكبر الشعراء فحولة ، وأكثرهم تبريزاً .

ويرجع تبريزه في هذه الأغراض إلى أنه كان يعبّر بها تعبيراً صادقاً عمّا تنطوي عليه جوانحه ويتردّد في أعماق قلبه ، أو عمّا شارك بنفسه فيه ، وكان له منه نصيب يرضاه . وهذا سرّ قوّته في وصف الحرب ووقائعها ، وسرّ دقّته في التصوير السياسيّ لحال بلاده ،



وهو السرّ في عظمة ما قال في المنفى من مختلف ضروب الشعر في مختلف الأغراض ، وفي تفرّده بالقول في أغراض لم يعرفها معاصروه ، لأنه لم يكن من طرازهم نسباً ولا ثقافة ولا طموحاً في الحياة . فهو قد رأى من بهجة الدنيا ومن صروف الحدثان ومن عبرة المنفى ما لم يروا ، وهو قد قال الشعر مخلصاً للشعر ، محبّاً إيّاه ، لا يبتغي به إلا رضا نفسه ورضا الفنّ ، مؤمناً بأنه وسيلته إلى الخلود في ضمير الأجيال .

وهذا الإيمان بالشعر هو الذي جعله يتوفّر عليه في المنفى ويجعله بغية الحياة فيه . فلقد أيس من العود إلى الوطن ، إذ أبت عليه نفسه أن يضعف فيسترحم كما فعل زملاؤه . بل إنّ له في هذه الفترة لأبياتاً ثائرة لا تقلّ عُنْفاً عن أشدّ الثورات المسلّحة . وليس طبيعيًّا أن يكون هذا الشعر الثائر وسيلة للعفو عنه . من ذلك قوله :

فحتّام نسري في دياجير محنة ... يضيق بها عن صحبة السيف غمده
إذا المرء لم يدفع يد الجور إن سطت ... عليه فلا يأْسَفْ إذا ضاع مجده
عفاء على الدنيا إذا المرء لم يعش ... بها بطلاً يحمي الحقيقة شَدُّه
وإني آمرؤ لا أستكين لصولة ... وإن شدّ ساقي دون مسعاي قِدُّه

بل لقد كانت هذه الأبيات وأمثالها أدنى إلى إثارة حفيظة الإنجليز وحفيظة صاحب العرش في مصر عليه . وما كان زهده وإسلامه أمره لله ليمحُوَا أثرها ، أو لينهضا حجّةً على أنه ضعف ، فتاب عمّا قدّم ، وندم على ما انطوت عليه نفسه من حبّ المجد وطلابه . وطال به النفي سبعة عشر عاماً كان قول الشعر ، كما كان اختيار أجود ما قاله الأقدمون ، سلوته فيها . فلما تقدّمت به السنّ ، وطال به النوى ، وتخطّف الموت في أثناء ذلك ابنته وزوجه وأصحابه ، بدأ بصره يضعف ، وصحته تضمحلّ ، ونذر الفناء تدبّ إليه . هنالك رأى أولو الأمر أن يعود المنفيّون من سيلان إلى بلادهم . وعاد الباروديّ مهيض الجناح

محطّماً ليس فيه « غير أشلاءِ همّةٍ في ثياب » . لكنّه عاد يحمل معه كتاب الخلود الذي لا يبلى . ذلك هو ديوان شعره الذي نقدّمه للقرّاء .

وللأقدار سخرية يا لها من سخرية ! فهذا الرجل الذي بعث العربية في أفصح لفظ وأمتن ديباجة ، وخلع عليها من الجلال والجمال ما ردّ إليها كلّ قوّتها وكلّ بلاغتها ، قد عفا عنه خديوي مصر بأمر كريم هذا نصّه :

« بناءً على الإنهاء المرفوع لنا من محمود سامي بالتماس الإحسان عليه بالتمتع بالحقوق الوطنية قد اقتضت مكارمنا منح المومى إليه التمتُّع بالحقوق الوطنية . وعلى ذلك فيجوز له من الآن امتلاك أيّ ملك من أي نوع كان في الأقطار المصرية بطريق الإرث أو الهبة أو البيع أو بأيّ طريقة كانت الذي كان محروماً منه بمقتضى الأمر العالي الصادر في ١٤ من ديسمبر سنة ١٨٨٢ (٣٠ من صفر سنة ١٣٠٠) وأصدرنا هذا لعطوفتكم لإجراءِ مقتضاه » .

عباس حلمي

وتاريخ هذا الأمر ١٨ من المحرّم سنة ١٣١٨ (١٧ من مايو سنة ١٩٠٠) .

فلمّا صدر هذا الأمر وردّته السفينة إلى وطنه ، كان أوّل ما قاله إثر عودته قصيدته التي مطلعها :

أبـابـل رأْيَ العينِ أم هـذه مصـر فـإني أرى فيهـا عيـوناً هي السحـر

ونزل البارودي مصر ، فكانت أوبته إليها عيداً نشر البشر في عالم الأدب كلّه . أصبح منزله ندوة الأدباء والشعراء وذوي المكانة ، يأنسون إليه ويأنس إليهم ، ويستمتعون بحديثه ، ويرى في مجالستهم ما يأسو الجراح التي أدمت قلبه سنوات النفي الطوال . فإذا خلا إلى نفسه رتّب مختاراته ، وعُنِي بتنقيح ديوانه يريد إعدادهما للطبع . ولقد بذل في



ذلك مجهوداً يدلّ على حبه شعره وإيمانهِ به . وأصول الديوان تشهد بهذا المجهود . فأنت ترى الأبيات التي حذفها من بعض القصائد ، والأبيات الأخرى التي غيَّرها كلّها أو بعضها ، شهيدة على صدق إيمانه بأن العبقرية مجهود متَّصلٌ في سبيل الكمال .

وقضى في مصر أربع سنوات ذهب أثناءَها ما بقي من بصره ، فإذا ريح الوطن ووفاء بنيه يعزّيانه عن نور البصر ، وعن كل ما في الحياة . فلمّا كانت الأيام الأخيرة من شهر ديسمبر سنة ١٩٠٤ (السادس من شوّال سنة ١٣٢٢) لبى داعي ربّه تاركاً لمصر وللعالم العربيّ هذا التراث الذي لا يبلَى ، ولا يعدو عليه الموت ، ولا يجني عليه النسيان .

لبّى نداءَ ربّه ولم يكن قد طبع المختارات ولا الديوان ، فتولّت أرملته التي تزوّجها بسرنديب طبع المختارات وطبع الجزءَين الأوّل والثاني من الديوان (إلى آخرِ قافية اللام) .

وحسب الباروديّ ديوانه آية لمجده وتراثاً للأجيال بعده . فهذا الديوان تمثال عبقريّة خالدة، وهو باق لذلك بقاءَ الأبد أيّاً كان الشاعر الذي ينسب إليه . فما بالك وهو صورة صادقة لحياة صاحبه ! . . أوَتستطيع الفنون مجتمعة أن تقيم تمثالاً يخلّد من هذا الشاعر الملهم ما يخلّده شعره النابض بالحياة وأنغامها ، والذي بعث العربية خلقاً جديداً ؟

أدع الجواب لأرباب الفنّ ولقرّاء الديوان .

محمد حسين هيكل . . . .

مقدّمة الديوان

قَالَ الْفَقِيرُ إِلَى رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى مَحْمُودٌ الْبَارُودِيُّ :

اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ عَلَى مَا هَدَيْتَ ، وَأَشْكُرُكَ عَلَى جَزِيلِ مَا أَسْدَيْتَ ، وَأَسْتَعِينُكَ عَلَى رِعَايَةِ مَا أَسْبَغْتَ مِنَ النِّعَم ، وَأَسْتَهْدِيكَ لِشُكْرِ مَا أَثْبَتَّ مِنَ الدِّعَمِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَثَرَاتِ اللِّسَانِ ، وَغَفَلاتِ الْجَنَانِ ، كَمَا أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَدَرَاتِ الزَّمَانِ ، وبَغَتَاتِ الْحَدَثَانِ ، وَأَسْأَلُكَ اللُّطْفَ فِيمَا قَضَيْتَ ، والْمَعُونَةَ عَلَى مَا أَمْضَيْتَ ، وأَسْتَغْفِرُكَ مِنْ قَوْلٍ يَعْقُبُهُ النَّدَمُ ، أَوْ فِعْلٍ تَزِلُّ بِهِ القَدَمُ ، فَأَنْتَ الثِّقَةُ لِمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ ، والعِصْمَةُ لِمَنْ فَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَيْكَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُكَ الأَمِينُ ، وَشَفِيعُكَ الضَّمِينُ ، الَّذِي بَعَثْتَهُ بِالنُورِ الْبَاهِرِ ، والْبُرْهَانِ الْقَاهِرِ ، فَقَامَ بِالْحَقِّ صَادِعَاً ، ولِلضَّلالَةِ رادِعاً ، حَتَّى ثَبَتَ الدِّينُ ، ووَضَحَ الْيَقِينُ ، اللَّهُمَّ فَصَلِّ عليه ما أَشْرَقَ النَّجْمُ ، وأَوْرَقَ الشَّجَرُ والنَّجْمُ(١) ، وَعَلَى آلِهِ بُدُورِ الْمَحَافِلِ ، وأَصحابِهِ صُدُورِ الْجَحَافِلِ ، صَلاةً يَهْتَزُّ لَهَا الفَلَكُ ، وَيَتَنَزَّلُ بِرِضْوانها الْمَلَكُ ، واحْشُرْنا في زُمْرَتِهِمْ مَعَ الْقَوْمِ الفائِزِينَ ، ولا تَجْعَلْنا مِنَ المَغْضِوبِ عَلَيْهِمْ ولا الضَّالِّينَ ، آمِينَ .

وبعدُ فإِنَّ الشِّعْرَ لُمْعَةٌ خَيَالِيَّةٌ يَتَأَلَّقُ وَمِيضُها في سَمَاوَةِ الفِكْرِ ، فَتَنْبَعِثُ أَشِعَّتُها إِلى

---

(١) النجم من النبات : ما لا يقوم على ساق .

صحيفةِ القَلْبِ ، فيَفيضُ بلألائِهَا نوراً يَتَّصِلُ خَيْطُهُ بأَسَلَةِ[٢] اللِّسانِ ، فَيَنْفُثُ بألْوانٍ من الحِكْمَةِ يَنْبَلِجُ بِهَا الْحالِكُ ، ويَهْتَدِي بِدَلِيلِها السَّالِكُ ، وخَيْرُ الكلام ما ائْتَلَفَتْ أَلْفاظُهُ ، وائْتَلَقَتْ مَعَانِيهِ ، وكان قريبَ الْمَأْخَذِ ، بعيدَ المَرْمَى ، سَلِيماً مِنْ وَصْمَةِ التَّكَلُّفِ ، بَرِيئاً مِنْ عَشْوَةِ التَّعَسُّفِ ، غَنِيّاً عَنْ مُراجَعَةِ الفِكْرَةِ ، فهذه صِفَةُ الشِّعْرِ الجَيِّدِ ، فَمَنْ آتاهُ اللهُ مِنْهُ حظّاً ، وكانَ كَرِيمَ الشَّمائِلِ ، طاهِرَ النَّفْسِ ، فقدْ مَلَكَ أَعِنَّةَ القُلوبِ ، ونالَ مَودَّةَ النُّفُوسِ ، وصارَ بَيْنَ قَوْمِهِ كالْغُرَّةِ في الجوادِ الأَدْهَمِ ، والبَدْرِ في الظَّلامِ الأَيْهَمِ[٣] ، ولَوْ لم يَكُنْ مِنْ حَسَناتِ الشِّعْرِ الحَكِيمِ إلاَّ تَهْذِيبُ النُّفُوسِ ، وتَدْرِيبُ الأَفْهامِ ، وتَنْبِيهُ الْخواطِرِ إلى مَكارِمِ الأخلاقِ ، لَكانَ قد بَلَغَ الغايَةَ التي لَيْسَ وَراءَها لِذِي رَغْبَةٍ مَسْرَحٌ ، وارْتَبأَ[٤] الصَّهْوَةَ التي لَيْسَ دُونَها لذِي هِمَّةٍ مَطْمَحٌ ، ومِنْ عجائِبِهِ تَنافُسُ النَّاسِ فِيهِ ، وتَغايُرُ الطِّباعِ عَلَيْهِ ، وصَغْوُ الأَسْماعِ إلَيهِ ، كأَنَّما هُوَ مَخْلُوقٌ مِنْ كُلِّ نَفْسٍ ، أو مَطْبُوعٌ في كُلِّ قَلْبٍ ، فإِنَّك تَرَى الأُمَمَ على اخْتِلافِ أَلْسِنَتِهِمْ ، وتَبايُنِ أَخْلاقِهِمْ ، وتَعَدُّدِ مَشارِبِهِمْ ، لَهِجِينَ به ، عاكِفِينَ عَلَيْهِ ، لا يَخْلُو مِنْهُ جِيلٌ دونَ جِيلٍ ، ولا يَخْتَصُّ بِهِ قَبِيلٌ دونَ قَبِيلٍ ، ولا غَرْوَ ، فإِنَّهُ مَعْرِضُ الصِّفَاتِ ، وَمَتْجَرُ الكَمالاتِ ، ولَقَدْ سَمِعَ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) قَوْلَ زُهَيْرِ بن أَبِي سُلْمَى :

فإِنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلاثٌ ... يَمِينٌ أَوْ نِفارٌ أَوْ جَلاءُ

فَجَعَلَ يَعْجَبُ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِمَقاطِعِ الْحِكْمَةِ وتَفْصِيلِها .

وللشِّعْرِ رُتْبَةٌ لا يَجْهَلُها إلاَّ مَنْ جَفا طَبْعُهُ ، وَنَبا عَنْ قَبُولِ الْحِكْمَةِ سَمْعُهُ ، فَهُوَ حِلْيَةٌ يَزْدانُ بجمَالِهَا العاطِلُ ، وعُوذَةٌ لا يَتَطَرَّقُ إِلَيها الباطِلُ .

---

(٢) أسلة اللسان : طرفه .

(٣) الأيهم : الصعب الشديد الحالك الذي لا يهتدى فيه .

(٤) ارتبأ : علا وأشرف .

ولَقَدْ كُنْتُ في رَيْعَانِ الفُتُوَّةِ ، وانْدِفَاعِ الْقَرِيحةِ بتيَّارِ القُوَّةِ ، أَلْهجُ بِهِ لَهجَ الحَمَامِ بِهَدِيلِهِ ، وآنَسُ بِهِ أُنْسَ العَدِيلِ بعَدِيلِهِ ، لا تَذَرُّعاً إلى وَجْهٍ أَنْتَوِيهِ ، ولا تَطَلُّعاً إلى غُنْمٍ أَحْتَوِيهِ ، وإنَّما هيَ أَغْراضٌ حرَّكَتْني ، وإباءٌ جَمَحَ بِي ، وغَرامٌ سالَ عَلى قَلْبِي ، فَلَمْ أَتَمالَكْ أنْ أَهَبْتُ ، فَحرَّكْتُ به جَرْسِي ، أَوْ هَتَفْتُ فسَرَّيْتُ به عَنْ نَفْسِي ، كما قلتُ :

تَكَلَّمْتُ كالماضِينَ قَبْلِي بِمَا جَرتْ ... بِهِ عادَةُ الإنْسَانِ أَنْ يَتَكَلَّمَا
فلا يَعْتَمِدْنِي بالإسَاءَةِ غافِلٌ ... فلا بُدَّ لابْنِ الأَيْكِ أَنْ يَتَرَنَّمَا

وقَدْ يَقِفُ الناظِرُ في دِيواني هذا على أَبياتٍ قُلْتُها في شَكْوَى الزمانِ ، فَيَظُنُّ بِي سُوءاً مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ يُجِيلُها ، ولا عِذْرَةٍ يَسْتَبِينُهَا ، فإنِّي إنْ ذَكَرْتُ الدَّهْرَ فإنَّما أَقْصِدُ بهِ العالَمَ الأَرْضِيَّ لِكَوْنِهِ فِيهِ ، مِنْ قَبيلِ ذِكْرِ الشيءِ باسْمِ غَيْرِهِ لِمُجاوَرَتِهِ إيَّاهُ ، كقولِهِ تعالى : ﴿ واسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾[5] أي أَهْلَ القَرْيَةِ ، وكَما قالَ أبُو كَبيرٍ عامِرُ ابنُ حُلَيْسٍ الْهُذَلِيُّ :

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وبَيْنَها ... فَلَمَّا انْقَضَى ما بَيْنَنا سَكَنَ الدَّهْرُ

فإنَّهُ أَرادَ بِسَعْيِ الدَّهْرِ سَعْيَ أَهْلِ الدَّهْرِ بالنَّمائِمِ والوِشَاياتِ ، فلمَّا انْقَضَى ما كانَ بَيْنَهُما مِنَ الوَصْلِ ، سَكَنُوا وتَرَكُوا السِّعَايَةَ ، ولهذا أَمْثِلَةٌ كَثِيرَةٌ .

لا أَقُولُ ذلك تَبَرُّؤاً مِنَ الوَهَمِ ، ولا اعْتِماداً على صِحَّةِ الْفَهَمِ ، فإنَّ المَرْءَ وإنْ كَثُرَ إحْسَانُهُ ، لا يَسْلَمُ مِنَ الزَّلَّةِ لِسانُهُ ، وقَلَّ مَنْ تَوَغَّلَ في حَرَجَاتِ الْقَرِيضِ ، فَنَجا قَبْلَ أنْ يَغَصَّ بالْجَرِيضِ[6] ، ولَقَدْ ذَكَرْتُ مَرَّةً قَوْلَ أَبِي المِنْهَالِ بنِ بُقَيْلَةَ الأَكْبَرِ[7] .

وإنَّما الشِعْرُ لُبُّ المرءِ يَعْرِضُهُ ... عَلَى المَجالِسِ إنْ كَيْساً وإنْ حمِقَا

---

(٥) الآية ٨٢ من سورة يوسف .
(٦) الجريض : الريق . والمراد بقوله : «قبل أن يغصّ بالجريض» ، قبل أن يصيبه التقصير والعيّ .
(٧) اسمه بقيلة الأكبر أبو المنهال : شاعر أشجعي إسلامي ، كان في زمن عمر بن الخطاب .

وإنَّ أَشْعَرَ بَيْتٍ أَنْتَ قائلُهُ ... بَيْتٌ يُقالُ إذا أَنْشَدْتَهُ صَدَقا

ثُمَّ عَرَضَ لي قَوْلُ الْحُطَيْئَةِ[٨] :

الشِّعْرُ صَعْبٌ وطَوِيلٌ سُلَّمُهْ ... إذا ارْتَقَى فِيهِ الَّذِي لا يَعْلَمُهْ
زَلَّتْ بِهِ إلَى الْحَضِيضِ قَدَمُهْ ... والشِّعْرُ لا يَسْطِيعُهُ مَنْ يَظْلِمُهْ
يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهْ

فَعَزَمْتُ عَلَى الإقْصارِ قَبْلَ الإحْصارِ[٩] تفادِياً مِنْ خَطَإٍ رُبَّما عَرَضَ أو ناقِدٍ رُبَّما اعْتَرَضَ ، بَيْدَ أَنِّي راجَعْتُ المَخِيلَةَ لأَسْبُرَ هذه الدَّخِيلَةَ ، عالِماً أَنَّ للنَّفْسِ طَفْرَةً ، ولِلْوَهْمِ عِنْدَ التَوَجُّسِ نَفْرَةً ، فأَشْفَقْتُ مِنْ هذا العَزْمِ ، بعدَ الإصْرَارِ والجَزْمِ ، ولَسْتُ بأَوَّلِ مَنْ عَدَلَ عَنْ رَأْيِهِ ، وثَابَ عَنْ مُتابَعَةِ وَأْيِهِ[١٠] ، فهذا عُمَرُ بنُ أَبي رَبِيعَةَ ، لم يُطِقْ أَنْ يُغالِبَ الطَّبِيعَةَ ، وَقَدْ كانَ رَكِبَ مِنْ قُحْمَةِ[١١] اليمينِ عَقَبَةً ، أَلَّا يَلُوكَ بيْتاً إلَّا أَعْتَقَ رَقَبَةً ، فلم يَلْبَثْ أَنْ هاجَ بِهِ الْحَنِينُ ، وعَلِقَ بِمَدارِجِ أَنْفاسِهِ الأَنِينُ ، فَقالَ كَلِمَتَهُ الَّتي أَوَّلُها :

تَقُولُ وَلِيدَتِي لَمَّا رَأَتْنِي ... طَرِبْتُ وكُنْتُ قَدْ أَقْصَرْتُ حِينا

ثُمَّ أَعْتَقَ لِكُلِّ بَيْتٍ عَبْداً ، وَلَمْ يَجِدْ مِنَ الْمَقَالِ بُدَّاً ، وَلَا بِدْعَ فلِلإنْسَانِ فُتُونٌ بِشِعْرِهِ ، وَوَلُوعٌ بِبَناتِ فِكْرِهِ ، ولَوْلا ذلك ما دَوَّنَ النَّاسُ أَشْعَارَهُمْ ، ولا اتَّخَذُوا حِلْيَةَ الأَدَبِ شِعَارَهُمْ ، كَيْفَ لا ؟ وبَقَاءُ الذِّكْرَةِ حَياةُ الأَبَدِ ، وحُبُّ الْخُلُودِ أَطْمَعَ لُقْمان في لُبَدٍ[١٢] ،

---

(٨) هو أبو مليكة جرول الحطيئة العبسي : من فحول المخضرمين عمّر طويلاً، ومات سنة ٥٩ هـ.
(٩) الإحصار: العيّ والعجز.
(١٠) الوأي : الوعد الذي يوثقه المرء على نفسه.
(١١) القحمة : الأمر الشاقّ.
(١٢) لبد: آخر نسور لقمان، ظن أنه لبد أي أقام وخلد فلا يموت. ولقمان هذا رجل مؤمن من قوم

وإنّي وإنْ لم أَكُنْ مِنْ فُـرْسانِ هـذهِ الْغَـارَةِ ، ولا مِنْ رُمـاةِ الْحَـدَقِ(١٣) في مِثْـلِ هـذه الْقَارَةِ(١٤) ، فالتَّخَلُّقُ بأَخْلاقِ الكِرام مَحْمَدَةٌ ، والتَّعَلُّقُ بِأَذْيَالِ الخُمُولِ مَفْسَدةٌ ، ولِلّهِ دَرُّ مَنْ قال :

عَلَيَّ السَّعْيُ في طَلَب المَعَـالِـي ... وَلَـيْسَ عَـلـيَّ إدْرَاكُ الـمَـرامِ

والله أَسأَلُ أَنْ يُلْهِمَنِي الصَّوابَ ، ولا يَحْرِمَنِي الثَّوابَ ، إِنَّهُ أَكْرَمُ مَسْؤُولٍ ، وأَفْضَلُ مَأْمُولٍ ، آمين .

عاد قيل إنه عمّر طويلاً، واختار أن يبقى في الدنيا بقاء سبعة أنسر، كلما هلك نسر خلفه نسر آخر، وكان لبد آخر هذه النسور، فكان لقمان يطمع في خلود ذلك النسر ليبقى حياً ببقائه.

(١٣) الحدق: جمع حدقة (بفتحتين)، وهي من العين سوادها الأعظم. ورماة الحدق هم المهرة في النضال.

(١٤) القارة: الأرض ذات الحجارة السود ، وقوم رماة من العرب.



قافية الهمزة

قال في النَّسِيب :

صِلَةُ الْخَيَـالِ عَلَى الْبِعَـادِ لِقَـاءُ ... لَـوْ كَـانَ يَمْلِكُ عَيْنِيَ الإِغْفَـاءُ[1]

يـا هـاجِري مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ في الْهَـوَى ... مَـهْـلاً فَـهَـجْـرُكَ والْـمَـنُـونُ سَـواءُ

أَغْـرَيْتَ لَـحْـظَكَ بـالْـفُـؤادِ فـشَـفَّـهُ ... ومِنَ الْعُيُـونِ عَلَى النُّفُـوسِ بَـلاءُ[2]

هِـيَ نَـظْرَةٌ فـامْنُـنْ عَلَي بِـأُخْـتِـهـا ... فـالْخَمْـرُ مِنْ أَلَمِ الْخُمـارِ شِفَـاءُ[3]

أنـا مِنْـكَ مَـطْوِيُّ الْفُؤادِ عَلَى جَـوىً ... لَـوْلا الْـدُّمُـوعُ ذَكَتْ بِـهِ الْحَـوْبَـاءُ[4]

لا أَنْـتَ تَـرْحَـمُـنِـي ولا نَـارُ الْـهَـوَى ... تَـخْـبُـو وَلاَ لِـلنَّـفْسِ عَـنْـكَ عَـزاءُ

فَـانْـظُرْ إِلَيَّ تَجِـدْ خَـيَـالَـةَ صُـورَةٍ ... لـم يَـبْـقَ فـيـهـا لِلحَـيـاةِ ذَمَـاءُ[5]

رَقَّـتْ لِيَ الْـوَرْقَـاءُ فـي عَـذَبـاتِـهـا ... وبَـكَـتْ عَـلَيَّ بِـدَمْـعِـهَـا الأَنْـدَاءُ[6]

---

(١) يريد بالخيال: طيف الحبيب.

(٢) أغريت: أولعت. واللحظ: النظر بمؤخر العين، والمراد النظرة الفاتنة الساحرة. وشفه: هزله وآلمه. والبلاء: الفتنة والعذاب.

(٣) الخمار: ما يصيب المخمور من الصداع وأذى الخمر.

(٤) ذكت: اشتعلت وتوقدت واحترقت، والمراد هلكت. والحوباء: النفس.

(٥) الخيالة: الطيف والصورة. والذماء: الحركة وبقية النفس.

(٦) الورقاء: الحمامة في لونها بياض إلى سواد. والعذبات: الأغصان. والأنداء: جمع ندى وهو المطر.

وَتَحَدَّثَتْ رُسُلُ النَّسِيمِ بلَوْعَتِي ... فَلِكُلِّ غُصْنٍ نَحْوَهَا إِصْغَاءُ

كَلَفِيَ تَنَاقَلَهُ الْحَمَامُ عَنِ الصَّبَا ... فصَبَتْ إِلَيْهِ الْغِيدُ والشُّعَراءُ[(٧)]

فَبِقَلْبِ كُلِّ فَتىً غَرامٌ كامِنٌ ... وبِعِطْفِ كُلِّ مَلِيحَةٍ خُيَلاءُ

فَدَعِ التَّكَهُّنَ يا طَبِيبُ فإِنَّمَا ... دائِي الْهَوَى ولِكُلِّ نَفْسٍ داءُ

أَلَمُ الصَّبَابَةِ لَذَّةٌ تَحْيَا بِهَا ... نَفْسِي وَدَائِي لَوْ عَلِمْتَ دَواءُ

وبِمُهْجَتِي رَشَئِيَّةٌ مِنْ دُونِهَا ... أُسُدٌ لَهَا قَصَبُ الرِّمَاحِ أَبَاءُ[(٨)]

هَيْفَاءُ مالَ بِهَا النَّعِيمُ فَخَطْوُهَا ... دُونَ الْقَطاةِ ونُطْقُهَا إِيمَاءُ[(٩)]

تَرْنُو بِأَحْوَرَ لَوْ تَمَكَّنَ لَحْظُهُ ... مِنْ صَخْرَةٍ لَارْفَضَّ منها الماءُ[(١٠)]

حَكَمَ الجَمالُ لها بِمَا تَخْتَارُهُ ... فَتَحَكَّمَتْ في النَّاسِ كيفَ تَشاءُ

غَضِبَتْ عَلَيَّ وما جَنَيتُ ورُبَّما ... حَمَلَ الْمَشُوقُ الذَّنْبَ وهوَ بَراءُ

طافَ الوُشاةُ بها فكانَ لِقَوْلِهِمْ ... في مِسْمَعَيْهَا رَنَّةٌ وحُداءُ[(١١)]

لَوْلَا النَّمِيمَةُ لم يَقَعْ بَيْنَ امْرِئٍ ... وأَخِيهِ مِنْ بَعْدِ الْوِدادِ عِداءُ[(١٢)]

أَشَقِيقَةَ الْقَمَرَيْنِ أَيُّ وَسِيلَةٍ ... تُدْنِي إِلَيكِ فَلَيْس لِي شُفَعَاءُ[(١٣)]

---

(٧) الصبا: الريح تهب من مطلع الشمس عند العرب، وهي أحب الرياح إلى العرب. والغيد: جمع غيداء ،وهي المرأة الناعمة المتثنية ليناً.

(٨) رشئيّة: نسبة إلى الرشأ وهو الظبي، أي الغزال إذا قوي ومشى مع أمه، وتشبه به الحسناء في جمال العينين والجيد والرشاقة ولطف الحركة. والأباء: الأجمة.

(٩) القطاة: واحدة القطا، وهو نوع من الحمام.

(١٠) أحور: صفة من الحور (بفتحتين) وهو شدة بياض العين في شدة سوادها. وارفضّ: خرج وترشّش.

(١١) الوشاة: جمع واش، وهو من يسعى بالفساد والتفرقة بين الناس. والحداء: غناء الحادي، المراد أنها تأثرت بقول الوشاة.

(١٢) النميمة: السعاية والوشاية والإفساد.

(١٣) القمران: الشمس والقمر.

جُـودِي عَـلَيَّ ولَـوْ بِـوَعْـدٍ كـاذِبٍ فـالْـوَعْـدُ فـيـهِ تَـعِـلَّةٌ ورَجَـاءُ
وَثِقِي بِكِتْمَـانِ الْحَـدِيثِ فـإِنَّمَـا شَـفَـتـاي خَـتْـمٌ والْـفُـؤادُ وِعَـاءُ
لا تَـرْهَـبِي قَـوْلَ الْـوُشـاةِ فـإِنَّهُـمْ قَـدْ أَحْسَنُوا في الْقَـوْلِ حِينَ أَسـاءُوا
زَعَـمُـوكِ شَمْـسَـاً لا تَـلُوحُ بـظُلْمَـةٍ ولِـقَـولِهِـمْ عِنْـدِي يَـدٌ بَـيْـضـاءُ[١٤]
فَـعَـلامَ تَخْـشَـيْـنَ الـزِّيـارَةَ بـعْـدَمـا (أمِنَ ازْدِيـارَكِ في الدُّجَى الـرُّقَباءُ)[١٥]
هِـيَ زَلَّـةٌ في الـرأْيِ مِـنْهُـمْ أَعْقَـبَتْ نَـفْـعَـاً كَـذَلِـكَ تَـفْـعَـلُ الْـجُـهَـلاءُ
كَـيْـدُ الْـغَـبِـيِّ مَـسـاءَةٌ لِـضَـمِـيـرِهِ وَلِـمَـنْ يُـحَـاوِلُ كَـيْـدَهُ إِرْضَـاءُ
والـنـاسُ أَشْـبَـاهٌ ولَـكِـنْ فَـرَّقَـتْ مـا بَـيْـنَـهُـمْ فـي الـرُّتْـبَـةِ الآراءُ
والـنَّفْسُ إِنْ صَـلَحَتْ زَكَـتْ وَإِذَا خَـلَـتْ مِنْ فِـطْـنَـةٍ لَعِبَتْ بِـهـا الأَهْـوَاءُ[١٦]
لَـوْ لَـمْ يَكُـنْ بَيْـنَ الـرِّجـالِ تَفـاوُتٌ مـا كـانَ فـيـهِـمْ سـادَةٌ ورِعَـاءُ
ولَـقَـدْ بَلَوْتُ الـنّـاسَ فـي أَطْـوارِهِـمْ ومَـلِلْتُ حَتَّـى مَـلَّنـي الإِبْـلاءُ[١٧]
فـإذا الـمَـوَدَّةُ خَـلَّـةٌ مَـكْـذُوبَـةٌ بَـيْـنَ الْـبَـرِيَّـةِ والْـوَفـاءُ رِيـاءُ[١٨]
كَيْفَ الْـوُثُـوقُ بِـذِمَّـةٍ مِـنْ صـاحِبٍ وَبِـكُـلِّ قَـلْـبٍ نُـقْـطَـةٌ سَـوْداءُ
لَـوْ كَـانَ فِـي الـدُّنْيَـا وِدَادٌ صَـادِقٌ مَـا حَـالَ بَـيْنَ الـخُلَّتَيْـنِ جَـفَـاءُ[١٩]
فـانْفُضْ يَـدَيْـكَ مِنَ الـزَّمـانِ وأَهْلِهِ فـالسَّعْيُ في طَـلَبِ الصَّـدِيقِ هَبَـاءُ

وقال يَمْدَحُ الخديوي « عبَّاس حلمي باشا الثاني » ، ويَشْكُرُهُ عَلى ما أَوْلاهُ مِنْ حُسْنِ

---

(١٤) اليد: النعمة والصنيعة. وبيضاء: ظاهرة مشهورة.
(١٥) الازديار: الزيارة. والشطر الثاني مطلع قصيدة أبي الطيب المتنبي.
(١٦) زكت: استقامت أمورها، وصلحت أحوالها.
(١٧) بلوت الناس: خبرتهم. والإبلاء: مصدر أبليته، بمعنى بلوته وامتحنته.
(١٨) الخلة: الخصلة. ورياء: نفاق.
(١٩) بين الخلّتين: بين الصديقتين.

الرِّضَا ، وذَلِكَ بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنْ « سَرَنْدِيب » سنةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وثلثمائةٍ وألفٍ هجريَّة (١٣١٧ هـ أواخر سنة ١٨٩٩ م) :

عَبَّاسُ يا خَيْرَ المُلُوكِ عَدَالَةً ... وَأَجَلَّ مَنْ نَطَقَ امْرُؤٌ بِثَنَائِهِ
أَوْلَيْتَنِي مِنْكَ الرِّضَا وجَلَوْتَ لِي ... وَجْهاً قَرَأْتُ البِشْرَ في أَثْنَائِهِ
فاسْلَمْ لِمُلْكٍ أَنْتَ بَدْرُ سَرِيرِهِ ... وعِمَادُ قُوَّتِهِ ونَصْرُ لِوائِهِ
يأَيُّها الصَّادِي إلى نَيْلِ الْمُنَى ... رِدْ بَحْرَ سُدَّتِهِ تَفُزْ بِوِلائِهِ[1]
هُوَ ذَلِكَ الْمَلِكُ الَّذِي وَرِثَ الْعُلا ... عَنْ نَفْسِهِ شَرَفا وعَن آبائِهِ
الْعَدْلُ مِنْ أَخْلاقِهِ والْعِلْمُ مِنْ ... أَوْصافِهِ والْحِلْمُ مِنْ أَسْمَائِهِ
لا غَرْوَ أَنْ جَمَعَ المَحَامِدَ يافِعاً ... وسَمَا بِهِمَّتِهِ عَلَى نُظَرائِهِ
فالْعَيْنُ وَهْيَ صَغِيرَةٌ في حَجْمِها ... تَسَعُ الفَضَاءَ بِأَرْضِهِ وسَمائِهِ

وقال يُهَنِّئُهُ بِوَلَدِهِ الأمير « محمدٍ عبدِ القادرِ » سنةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وثلثمائة وألف هجرية (١٣١٩هـ ١٩٠١م) :

أَهِلالُ أَرْضٍ أَمْ هِلالُ سَماءِ ... شَمِلَ الزَّمَانَ وأَهْلَهُ بِضِيَاءِ ؟
بَدَرَتْ لَوامِعُ مِنْهُ شَقَّ وَمِيضُها ... حُجُبَ الظَّلامِ فَمَاجَ في لأْلاءِ
وَبَدَتْ أَسِرَّتُهُ فكانَتْ غُرَّةً ... لِلْمُلْكِ فَوْقَ أَسِرَّةِ الْجَوْزَاءِ[1]
نُورٌ تَوَلَّدَ بَيْنَ بَدْرٍ طالِعٍ ... في أَوْجِ عِزَّتِهِ وشَمْسِ عَلاءِ
أَكْرِمْ بِطَلْعَتِهِ هِلالاً لم يَزَلْ ... يَعْنُو إِلَيْهِ هِلالُ كُلِّ لِواءِ[2]

---

(١) الصادي : العطشان. والسدة: باب الدار أو فناؤها، والمراد قصره الشبيه بالبحر.

(١) الأسرة: خطوط الجبهة، ومحاسن الوجه، مفردها سِرار. والجوزاء: برج من بروج السماء. والمراد بأسرة الجوزاء: منازلها في السماء. وهذا كناية عن الرفعة والعلاء.

(٢) يعنو: يخضع.

هُـوَ مَـوْلِـدُ عَمٍّ (الْكِنـانَـةِ) نُـورُهُ ... فَتَبـاشَـرَتْ بـالْـيُـمْـنِ والسَّـرّاءِ[٣]

لَبِسَتْ بِـهِ الـدُّنيـا جَمـالَ شَبـابِهـا ... وتَبَـرَّجَـتْ كـالـغـادَةِ الـحَسْنـاءِ

فـاهْنَأْ « بعبـدِ القـادرِ » الشَّهْم الـذي ... وافـاكَ يَـرْفُـلُ فـي سَنـاً وسَنـاءِ

واسْعَـدْ بِـهِ وأَخِيـهِ يـا ابْنَ محمَّـدٍ ... فـي ظِـلِّ مُـلْكٍ وارِفِ الأَفْـيَـاءِ

ولَـسَـوْفَ تَـنْـجُـمُ أَنْـجُـمٌ عَـلَوِيَّـةٌ ... تَـجْـلُو ظَـلامَ الـشَّـكِّ بـالآراءِ[٤]

منهـا صُـدُورُ مَحـافِـلٍ وجَحَـافِـلٍ ... في يَـومِ أَقْـضِـيَـةٍ ويَـوْم لِقَـاءِ[٥]

وَبَـوارِقٌ تَـنْـهَـلُّ فـيـنَـا بـالـنَّـدَى ... وصَـواعِـقٌ تَـنْـقَضُّ فـي الأَعـداءِ

وَكَـأَنَّـنِـي بِـكَ بَـيْـنَـهُـمْ مُـتَـرَفِّـعـاً ... كـالْبَـدْرِ بَيْنَ كَـواكِبِ الْخَضْـراءِ[٦]

فـانْعَمْ بِعِـزِّكَ يـا مـلِيـكُ ولا تَـزَلْ ... تَـحْـوِي يَـدَاكَ مَقـالِـدَ الْعَلْيـاءِ[٧]

لا زِلْـتَ مَـعْـمُـور الفِـنـاءِ مُـهَـنَّـأً ... فـي نِـعْـمَـةٍ مَـوْصُـولَـةٍ بِـبَـقـاءِ

وقال يذكر أيَّاماً مَضَتْ له بالْجِيْزَةِ :

غـادِ الـنَّـدَى بـالْجِـيـزَةِ الْفَـيْـحَـاءِ ... واحْـدُ الصَّبُـوحَ بِنَغْمَـةِ الْـوَرْقَـاءِ[١]

والْمَحْ بِـطَرْفِـكَ مـا وَحَتْـهُ يَـدُ الصَّبـا ... فَـوْقَ الْغَـدِيـرِ تَجِدْ حُـروفَ هِجاءِ[٢]

مِـنْ كُـلِّ حَـرْفٍ فيـهِ مَـعْنَـى صَبْـوَةٍ ... تَـتْـلُو بِـهِ الْـوَرْقَـاءُ لَـحْـنَ غِـنَـاءِ

---

(٣) الكنانة (في الأصل): جعبة السهام، والمراد بها مصر.

(٤) تنجم: تطلع. وتجلو: تكشف وتوضح.

(٥) الجحافل: جمع جحفل، وهو الجيش. والأقضية: جمع قضاء، وهو الحكم. والمراد بيوم اللقاء: يوم الحرب.

(٦) الخضراء: السماء.

(٧) مقالد: جمع مقلد، وهو المفتاح.

(١) الفيحاء: الواسعة. والصبوح: الخمر تشرب في الصباح. والورقاء: الحمامة في لونها بياض إلى سواد.

(٢) وحته: كتبته. والصبا: الريح تهب من مطلع الشمس.

مَـيْـدَانُ سَبْـقٍ لِـلْـخَـلاعَـةِ أَشْـرَقَـتْ	فـيـهِ الْـكُـمَـيْـتُ بِـغُـرَّةٍ غَـرَّاءِ(٣)
حَـمْـرَاءُ دارَ بهـا الْـحَـبـابُ كـأَنَّـهـا	شَـفَـقٌ بَـدَتْ فِـيـهِ نُجُـومُ سَـمـاءِ(٤)
هِـيَ كـالأَشِعَّـةِ غَـيْـرَ أَنَّ ضِـيَـاءَهـا	مِـنْ ذاتِـهـا لا مِـنْ ثُـقُـوبِ ضِـيـاءِ
وإذا رَجَـعْـتَ إِلى الْـيَـقِـيـنِ فـإِنَّـهـا	نـارٌ تَـحَـلَّـلَ جِـسْـمُـهـا فـي مـاءِ
تَجْـرِي فَتَفْـعَـلُ بـالْعُقُـولِ كُؤُوسُـهـا	مـا تَـفْـعَـلُ الأَلْـحَـاظُ بـالأَحْـشَـاءِ
خَفِيَتْ عَلَى الأَحْـقَـابِ فَهِـي ذَخِيـرَةٌ	مِـنْ عَـهْـدِ آدَمَ أُودِعَـتْ بِـوِعَـاءِ(٥)
مَـحَقَ الْـفَـنَـاءُ وُجُـودَهـا فَـتَـزَايَـلَتْ	إِلَّا نَـسِـيـمـاً شَـفَّ عَـنْ حَـوْبـاءِ(٦)
هِيَ جَمْـرَةُ الفُـرْسِ الَّتِي سَجَـدَتْ لهَـا	أَمْـلاكُـهـا فـي سَـالِـفِ الآنـاءِ(٧)
فـانْـهَضْ إِلَى شُرْبِ الصَّبُـوحِ فَقَـدْ بَـدَا	شَيْـبُ الـصَّبـاحِ بِـلِمَّـةِ الـظَّلْمـاءِ(٨)
وَتَـرَنَّـمَـتْ فـي وَكْـرِهـا سَـحَـرِيَّـةٌ	تُغْنِي الْمَقَـامَـةَ عَنْ صَفِيـرِ النَّـاءِ(٩)
وَرْقَـاءُ تَـسْـجَـعُ فـي سَـمـاوَةِ أَيْـكَـةٍ	مَـوْشِيَّـةِ الْـعَـذَبـاتِ بـالأَنْـدَاءِ(١٠)

(٣) الكميت: الخمر فيها سواد وحمرة. والغرة: بياض في جبهة الفرس، والمراد الرغوة. وغراء: بيضاء مشرقة.

(٤) الحباب: الفقاقيع التي تطفو على الشراب.

(٥) الأحقاب: جمع حقب، وهو الدهر أو السنة. والذخيرة: ما يختاره الإنسان ويدّخره لوقت الحاجة. والمعنى أنها معتّقة جيّدة.

(٦) تزايلت: تفرّقت. والحوباء: النفس، ويراد بها (هنا): جوهر الخمر وقد رق وصفا.

(٧) يريد بجمرة الفرس: نارهم التي كانوا يعبدونها. والآناء: الأزمان.

(٨) الصبوح: الخمر تشرب في الصباح.

(٩) السحرية: طائر يغرّد في السحر (قبيل الصبح). والمقامة: القوم. والناء: الناي، من آلات الطرب والغناء.

(١٠) ورقاء: حمامة رمادية اللون. وتسجع: تهدل، وتردد الصوت. والسماوة: السماء. والأيكة: شجرة ملتفة الأغصان، كثيرة الفروع. وموشيَّة: مرقومة منقوشة مزيّنة. والعذبات: الأغصان. والأنداء: جمع ندى، وهو البلل والمطر الخفيف.



تَبْكِي الْهَـدِيـلَ ومـا رأتْـهُ فَـيَـا لَهـا … مِنْ ذُكْـرَةٍ عَـرَضَتْ بِغَيْـرِ لِقـاءِ[11]

قَـدْ أَشْبَهَـتْنِي في الْـهَـوى لَكنَّـهـا … لَـمْ تَحْكِنِي في لَـوْعَتِي وَبُكـائِـي

مَـالَ النَّسِيمُ بِـهَـا ومَـالَ بِيَ الأَسَـى … شَتَّـانَ بَيْـنَ نَعِيمِـهـا وَشَقـائِـي

أنَـا يَـا حَمَـامَـةُ مِنْـكِ أَعْلَمُ بـالْهَـوَى … فَـدَعِي الْحَنِيـنَ فَلَسْـتِ مِنْ أَكْـفـائِي

إِنِّـي امْـرُؤٌ مَـلَكَ الـودادُ قِـيَـادَتِـي … وَجَـرَى عَلَى صِـدْقِ الْعُهُـودِ وَفـائِي

لا أَسْتَـرِيـحُ إِلَى السُّلُوِّ ولَـوْ جَنَـى … خِـلِّي عَـلَيَّ ولاَ أَشِـيـنُ وَلائِـي

لا ذِمَّتِي رَهْـنُ الْفِـكَـاكِ ولا يَـدِي … تُـلْقِي أَزِمَّـةَ عِـفَّـتِـي وَحَـبائِـي

لكِـنَّـنِي غَـرَضٌ لأَسْـهُـمِ حـاسِـدٍ … وَارِي الجَوانِحِ مِنْ لَهِيبِ عِـدَائِي[12]

مِـنْ غَيْـرِ مـا ذَنْبٍ جَنَيْتُ وإِنَّـمـا … بُغْضُ الْفَضِيلَةِ شِيمَـةُ الْجُـهَـلاَءِ

تَـعِسْتَ مُـقـارَنَـةُ الـلَّئِيـمِ فَـإِنَّـهـا … شَـرَقُ النُّفُوسِ ومِحْنَـةُ الْكُـرَمـاءِ[13]

أَنـا فـي زَمـانٍ غـادِرٍ وَمَـعَـاشِـرٍ … يَـتَـلَوَّنُـونَ تَـلَوُّنَ الْـحِـرْبـاءِ

أَعْـداءُ غَـيْبٍ لَـيْسَ يَـسْلَمُ صـاحِبٌ … مِنْهُـمْ وإِخْـوَةُ مَـحْـضَـرٍ ورَخَـاءِ[14]

أَقْبِـحْ بِهِـمْ قَـوْمـاً بَـلَوْتُ إِخـاءَهُـمْ … فَـبَـلَوْتُ أَقْـبَـحَ ذِمَّـةٍ وإِخَـاءِ[15]

قَـدْ أَصْبَحُـوا لـلدَّهْـرِ سُبَّـةَ نـاقِـمٍ … فِـي كُـلِّ مَصْـدَرِ مِـحْنَـةٍ وبَـلاَءِ[16]

وَأَشَـدُّ مَـا يَلْقَى الْـفَـتَـى فـي دَهْـرِهِ … فَـقْـدُ الْكِـرَامِ وصُحْبَـةُ الـلُّؤَمَـاءِ

---

(١١) الهديل (في ما تزعم العرب): جَدّ للحمام مات عطشاً، أو ضيعة، أو صاده جارح من الطير فما من حمامة إلاّ وهي تبكي عليه. والذكرة: اسم من ذكرت الشيء بعد النسيان.

(١٢) وار: متّقد. والجوانح: الضلوع تحت الترائب مما يلي الصدر.

(١٣) مقارنة اللئيم: مصاحبته.

(١٤) أعداء غيب: يتناولون الغائب بأسباب العداوة.

(١٥) بلوت: خبرت وامتحنت. والذمة: العهد والأمان.

(١٦) السبَّة: من يكثر الناس سبّه. وناقم: كاره ساخط. والمحنة والبلاء: البلوى والشرّ والعذاب.

شَقِيَ ابنُ آدَمَ في الزّمانِ بِعَقْلِهِ إنَّ الفَضِيلَةَ آفَةُ العُقَلاءِ[17]

وقال يَصِفُ أيَّامَ الخريفِ :

تَوازَنَ الصَّيْفُ والشِّتَاءُ واعْتَدَلَ الصُّبْحُ والْمَسَاءُ[1]
واصْطَلَحَتْ بَعْدَ طُولِ عَتْبٍ بَيْنَهُمَا الأَرْضُ والسَّمَاءُ
فلا اصْطِحارٌ ولا اكْتِنَانٌ ولا ابْتِرادٌ ولا اصْطِلاءُ[2]
تَبْتَهِجُ العَيْنُ في رِياضٍ أنْضَرَها الماءُ والْهَواءُ
مَنَابِتٌ زَرْعُها بَهِيجٌ وَغَيْضَةٌ ماؤُها رَوَاءُ[3]
لِلطَّيْرِ في أيْكِها هَدِيلٌ ولِلصَّبا بَيْنَها مُكَاءُ[4]
تَوارَتِ الشَّمْسُ عَنْ ذَراهَا وشَبَّ مِنْ زَهْرِهَا سَناءُ[5]
فالصُّبْحُ والظُّهْرُ والعَشَايَا والْوَهْنُ مِنْ لَيْلِها سَوَاءُ[6]
فَلا ضَبَابٌ ولا غَمَامٌ ولا ظَلامٌ ولا ضِياءُ
فَقُمْ بنا نَغْتَنِمْ شَبَاباً ولَذَّةً بَعْدَها فَنَاءُ

---

(١٧) الآفة: عرض يفسد ما يصيبه، وهي العاهة. والمراد بالفضيلة: فضيلة العقل، أو هي الفضل والخير مطلقاً.

(١) يريد بالصبح والمساء: النهار والليل، فهما يعتدلان في أيام الخريف.

(٢) يريد بالاصطحار: الخروج إلى الفضاء الواسع هرباً من الحر. ويريد بالاكتنان: الاستتار بالمنازل والثياب الثقيلة ونحوها اتقاء البرد الشديد. والابتراد: مصدر ابترد الإنسان الماء، أي صبّه على جسمه بارداً، أو شربه كذلك ليبرّد كبده. والاصطلاء: الاستدفاء.

(٣) الغيضة: الأجمة، وهي الشجر الملتف الكثير. وماء رواء: كثير مروٍ.

(٤) الأيك: الشجر الكثير الملتف، الواحدة أيكة. والهديل: صوت الحمام وسجعه. والصبا: الريح تهبّ من جهة الشرق. ومكاء: صفير.

(٥) ذراها: شجرها، والذرى (في الأصل): كل ما يستذري به الإنسان، أي يستتر ويستظل.

(٦) الوهن: نصف الليل، أو حين يدبر. والمعنى: أنّ جوّها معتدل في جميع ساعات اليوم.

وَلا تُطِلْ فِكْرَةَ التَّمَنِّي ... فَإِنَّهُ الْحُكْمُ والْقَضَاءُ
يُرِيْدُ كُلُّ امْرِئٍ مُنَاهُ ... (وَيَفْعَلُ اللهُ ما يَشَاءُ)

وقال يَصِفُ منزلاً نَزَلَهُ في بعضِ نواحِي «قَنْدِيَة» بجزيرة «أَقْرِيطِش»:

وَخَمِيلَةٍ بَكَرَتْ سَمَاوَةُ أَيْكِهَا ... تَحْمِي الْهَجِيرَ عَنِ النُّفُوسِ وتَدْرَأُ[1]
تَسْتَنُّ فيها الرِّيحُ بَينَ مَنابِتٍ ... خَضْراءَ يَغْشاها الْجَبَانُ فَيَجْرُؤُ[2]
تَسْتَوقِفُ الأَبْصارَ في غُدْرانِها ... صُوَرٌ تَزُولُ مَعَ النَّسِيمِ وتَطْرَأُ
يَنْسَى بها الْمَوْتُورُ ما في نَفْسِهِ ... طَرَباً ويَنزِلُها السَّقِيمُ فَيَبْرَأُ[3]
فالْوُرْقُ تَهْتِفُ والرَّبارِبُ تَرْتَعِي ... والْعِينُ تَبْغَمُ والبَلابِلُ تَصْرَأُ[4]
فَنَبَاتُها عَمَّا يَعِيبُ مُنَزَّهٌ ... وهَواؤُها مِمَّا يَشِينُ مُبَرَّأُ
شَجْرَاءُ تَسْلُكُها السَّمُومُ فَتَغْتَدِي ... رَهْواً ويَسْكُنُها الْهَجِيرُ فَيَمْرَأُ[5]
فَتَحَ الرَّبِيعُ بها مَدَارِسَ بَهْجَةٍ ... لِلْعَينِ فيها بَهْجَةٌ لا تَضْرَأُ[6]
فالرِّيحُ تكتبُ والْغَدِيرُ صَحِيفَةٌ ... والسُّحْبُ تَنْقُطُ والحمائِمُ تَقْرَأُ

---

(١) الخميلة: الشجر المجتمع الكثيف، أو الموضع الكثير الشجر. والسماوة: السماء. والأيك: الشجر الكثير الملتف، الواحدة أيكة.
(٢) تستن: تقبل وتدبر. ويغشاها: يجيئها.
(٣) يريد بالموتور: الحزين، أو المغيظ المحنق.
(٤) الورق: جمع ورقاء، وهي الحمامة في لونها بياض إلى سواد. والربارب: جمع ربرب: وهو القطيع من بقر الوحش. وترتعي: ترعى وتسرح. والعين: بقر الوحش والظباء ونحوها. وتبغم: مضارع بغمت الظبية: أي صاحت إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها. وتصرأ: تصيح.
(٥) شجراء: كثيرة الشجر. والسموم: الريح الحارة. وتغتدي: تصير. ورهواً: معتدلة لطيفة. والهجير: شدّة الحرّ. ويمرأ: يعتدل ويحسن.
(٦) تضرأ: تخفى.

صُوَرٌ تَدُلُّ عَلَى حَكِيمٍ صانِعٍ   واللهُ يَخْلُقُ ما يَشاءُ ويَبْرأُ(٧)

وقال:

أَلَا عاطِنِيها بِنْتَ كَرْمٍ تَزَوَّجَتْ   عَلَى نَغَماتِ الْعُودِ بابْنِ سَمَاءِ(١)

أَتَتْ حِقَبٌ مِنْ دُونِها فَتَهَدَّمَتْ   سِوَى رَدْعِ لَوْنٍ أَوْ رَفِيفِ ذَمَاءِ(٢)

إذا اتَّقَدَتْ في الْكَأْسِ خِلْتَ ومِيضَها   عَلَى وَتَراتِ الْكَفِّ نَضْحَ دِماءِ(٣)

فَهاتِ وخُذْ واشْرَبْ ودُرْ واسْقِ وارْتَجِعْ   إِلَى الدَّوْرِ مِنْ بَدْءٍ عَلَى النُّدَماءِ

ودَعْنِي مِنْ ذِكْرِ الْوَقارِ فإِنَّنِي   عَلَى سَرَفٍ مِنْ بِغْضَةِ الْحُلَماءِ(٤)

فَما الْعَيْشُ إلَّا ساعَةٌ سَوْفَ تَنْقَضِي   وَذَا الدَّهْرُ فِينا مُولَعٌ بِرِماءِ(٥)

وَلَا تَحْسَبَنَّ المرءَ يَبْقَى مُخَلَّداً   فَما النَّقْصُ إلَّا بعدَ كُلِّ نَماءِ

أَبِي آدمُ باعَ الْجِنانَ بِحَبَّةٍ   وَبِعْتُ أَنا الدُّنْيا بِجَرْعَةِ ماءِ

وقال:

لَكَ رُوحِي فاصْنَعْ بِها ما تَشاءُ   فَهْيَ مِنِّي لِناظِرَيْكَ فِداءُ

لا تَكِلْنِي إِلَى الصُّدُودِ فَحَسْبِي   لَوْعَةٌ لا تُقِلُّها الأَحْشاءُ

---

(٧) يبرأ: يخلق.

(١) عاطنيها: أي الخمر، والمعاطاة: الإعطاء والمناولة. وكني ببنت الكرم عن الخمر. وتزوّجت: خلطت. وكني بابن السماء عن الماء. يقول: اسقني على نغمات العود خمراً مزجت بالماء.

(٢) الحقب: جمع حقبة وهي السنة. ويريد بردع اللون: أثره وبقيّته. والرفيف: النضارة والبريق. والذماء: البقيّة.

(٣) وترات: جمع وَتَرة، وهي جُلَيْدة بين كل إصبعين.

(٤) السرف: خلاف الاعتدال. والبغضة: البغضاء، وهي شدّة البغض والكراهية.

(٥) الرماء: مصدر راميته مراماة ورماء. يقول: ليست الحياة إلا ساعة ثم تنتهي، وهذا الدهر مغرم برمي الأحياء وإهلاكهم

أنـا واللهِ مُـنْـذُ غِـبْـتَ عَـلِيـلُ	لَـيْسَ لِـي غَـيْـرَ أَنْ أَراكَ دَواءُ
كَيْفَ أُرْوِي غَلِيـلَ قَلْبِي وَلَـمْ يَـبْـ	ـقَ لِعَيْنِي مِنْ بَعْـدِ هَجْـرِكَ مَـاءُ
فَتَـرَفَّقْ بِمُـهْـجَـةٍ شَفَّـهَـا الْـوَجْـ	ـدُ وعَيْنٍ أَخْنَى عَلَيْهَـا الْبُكَـاءُ[1]
أنـا راضٍ بِنَـظْرَةٍ مِنْـكَ تَـشْفِـي	بَـرْحَ قَـلْبٍ هـاجَـتْ بِـهِ الأَدْوَاءُ[2]
نَـظْرَةٌ رُبَّـمـا أَمـاتَـتْ وَأَحْـيَـتْ	وَمِـنَ الْـخَـمْـرِ عِـلَّةٌ وشِـفَـاءُ
لا تَـخَـلْ نَـمَّـةَ الْـوُشَـاةِ صَـلاحـاً	فَـهْيَ داءٌ تَـدْوَى بـه الْـحَـوْبَـاءُ[3]
ومِـنَ الـنـاسِ مَـنْ تَـراهُ سَلِيـمـاً	وَبِـهِ لِـلْحُـقُـودِ داءٌ عَـيـاءُ[4]
فـاحْـذَرِ الناسَ مـا اسْتَـطَعْتَ فـإنَّ النـ	ـاسَ إلاَّ أَقَـلَّهُـمْ أَعْـدَاءُ
واخْتَبِـرْنِي تَجِـدْ صَـدِيـقـاً حَمِيمـاً	لـم تُـغَـيِّـرْ وِدادَهُ الأَهْـوَاءُ
صـادِقـاً في الَّـذِي يَقُـولُ وإنْ ضـا	قَـتْ عَلَيْـهِ بِـرُحْـبِـهـا الـدَّهْـنَـاءُ[5]

وقال وقد نَظَمَ قولَ أعرابيٍّ في صديقٍ له :

« صَفِرَتْ[1] عِيابُ[2] الوُدِّ بَيْنِي وبَيْنَهُ بَعْدَ امْتلائِها واكْفَهَرَّتْ[3] وُجُوهٌ كانَتْ بِمائِها »[4] :

لَـقَـدْ صَفِـرَتْ عِـيـابُ الْـوُدِّ بَـيْـنِـي	وبَـيْـنَ أَحِـبَّـتِـي بـعـدَ امْـتـلاَءِ

(١) شفَّها: أضعفها. وأخنى عليها: أهلكها، والمراد أضعف بصرها، وذهب بمائها.

(٢) البرح: المشقّة والشدّة. والأدواء: جمع داء.

(٣) النمّ: رفع الحديث إشاعة له وإفساداً، وتزيين الكلام بالكذب. والنمّة: اسم مرّة منه. والوشاة: جمع واش، وهو من يسعى بالفساد والتفرقة بين الناس. وتدوى: تمرض. والحوباء: النفس.

(٤) الحقود: جمع حقْد، وهو الضغن، والانطواء على العداوة والبغضاء. وداء عياء: لا يبرأ منه.

(٥) رحبها: سعتها. والدهناء: الفلاة، وهي الأرض الواسعة المقفرة.

(١) صفرت: خلت.

(٢) يراد بالعياب (هنا): الصدور والقلوب، واحدتها عيبة.

(٣) اكفهرّت: عبست واغبرّت.

(٤) بمائها: برونقها وبشاشتها.

وَعَـادَتْ أَوْجُـهُ الْـمَـعْـرُوفِ سُـوداً   وكـانَـتْ مِـنْ نَـضـارَتِـهـا بِـمـاءِ

وقال عِنْدَ وُرُودِ نَعْيِ ابْنَتِهِ إِلَيْهِ ولم يَسْتَطِعِ البُكَاءَ مِنْ غَلَبَةِ الحُزْنِ عليه(★) :

فَـزِعْـتُ إِلَى الـدُّمُـوعِ فَـلَمْ تُجِبْنِي   وفَقْـدُ الـدَّمْـعِ عِنْـدَ الْحُـزْنِ دَاءُ(١)

ومـا قَـصَّـرْتُ فـي جَـزَعٍ ولَـكِـنْ   إذا غَـلَبَ الأَسَـى ذَهَـبَ الْـبُـكَـاءُ

وقال يَرْثِي صديقَهُ « عبد الله باشا فكري »★ رَحِمهُ الله :

أَلَا بِـأَبِـي مَـنْ كَـانَ نُـوراً مُـجَـسَّـداً   يَـفِـيضُ عَـلَيْـنَـا بِـالـنَّـعِـيمِ رَوَاؤُهُ(١)

ثَـوَى بُـرْهَـةً في الأَرْضِ حتى إذا قَضَى   لُـبَـانَـتَـهُ مِـنْـهَـا دَعَـتْـهُ سَـمَـاؤُهُ(٢)

ومـا كـان إِلَّا كَـوْكَبـاً حَـلَّ بِـالثَّـرَى   لِـوَقْـتٍ فـلمَّـا تَـمَّ شـالَ ضِـيَـاؤُهُ(٣)

نَضَـا عَنْـهُ أَثْـوَابَ الْفَنَـاءِ ورَفْـرَفَـتْ   إِلَـى الْفَـلَكِ الأَعْـلَى بِـهِ مُـضْـوَاؤُهُ(٤)

فَـأَصْبَحَ في لُـجٍّ مِنَ النُّـورِ سَـابِحـاً   سَـوَاحِـلُهُ مَـجْـهُـولَـةٌ وَفَـضَـاؤُهُ(٥)

(★) في سنة ١٨٨٥ توفِّيت بمصر زوجة البارودي «عديلة يكن» عن سبعة وثلاثين عاماً، ونُعِيَتْ إليه في منفاه، فرثاها بقصيدة دالية من عيون شعره في سبعة وستين بيتاً. وبعدها بقليل نُعِيَتْ إليه ابنتهما «ستيرة»، فلم يزد في رثائها على هذين البيتين.

(١) فزعت إليه: لجأت إليه عند الفزع.

(★) عبد الله باشا فكري: كاتب شاعر أديب، كان من حاشية سعيد باشا ثم إسماعيل باشا، وقد تقلّب في جملة مناصب، آخرها نظارة المعارف في وزارة البارودي سنة ١٢٩٩ هـ (١٨٨٢ م)، وكانت وفاته سنة ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م). وفي بعض أوراق البارودي ما يدلّ على أن هذه القصيدة قيلت أولاً في رثاء السيد جمال الدين الحسيني، ثم تحوّلت إلى رثاء فكري باشا.

(١) ماء رَواء: كثير، للوارد فيه ريّ. والرُّواء: حسن المنظر.

(٢) ثوى: أقام. واللبانة: الحاجة تدعو إليها الهمة لا الفاقة.

(٣) تمّ: أي الوقت. المراد أنه انتقل إلى العالم العلوي.

(٤) نضا: جرّد. والمضواء: التقدم. والمعنى أنه ترك حياة الفناء والزوال، وصعد مسرعاً إلى عالم الخلد والبقاء.

(٥) اللجّ: معظم الماء، على تشبيه النور بالبحر اللجيّ.

تَجَـرَّدَ مِنْ غِمْـدِ الْحَـوادِثِ نـاصِعـاً ... وَمَـا الـسَّـيْـفُ إلَّا أَثْـرُهُ ومَـضـاؤُهُ(٦)

فـإنْ يَـكُ وَلَّـى فَـهُـوَ بـاقٍ بِـأُفْـقِـهِ ... كَـنَجْـمٍ يَشُـوقُ الـنَّـاظِـرِينَ بَـهَـاؤُهُ

ولَـوْلا اعْـتِقَـادِي أَنَّـهُ فـي حَـظِيـرَةٍ ... مِنَ الْقُدْسِ لاسْتَوْلَى على الْجَفْنِ ماؤُهُ(٧)

عـليـكَ سَـلامٌ مِـنْ فُـؤادٍ نَـزَا بِـهِ ... إلَـيْـكَ نِـزاعٌ أَعْـجَـزَ الـطِّبَّ داؤُهُ(٨)

وقال يَهْجُو :

وصَـاحِبٍ كَهُمُـومِ النَّفْسِ مُعْتَـرِضٍ ... مـا بَيْـنَ تَـرْقُـوَةٍ مِـنِّي وأَحْـشـاءِ(١)

إنْ قَـالَ خَـيْـراً فَعَـنْ سَـهْـوٍ أَلَـمَّ بِـهِ ... أَوْ قَـالَ شَـرَّاً فَعَـنْ قَـصْـدٍ وإمْـضَـاءِ

لا يَـفْعَـلُ الـسُّـوءَ إلَّا بَـعْـدَ مَـقْـدَرَةٍ ... ولا يُـكَـفْـكِـفُ إلَّا بَـعْـدَ إيـذاءِ(٢)

عـاشَـرْتُـهُ حِقْبَـةً مِنْ غَيْـرِ سـابِقَـةٍ ... فَـكَـانَ أَقْـتَـلَ مِـنْ داءٍ لِـحَـوْبـاءِ(٣)

يَـبْـغِـي رِضـايَ وقَـدْ أَوْدَى بِـرُمَّـتِـهِ ... وكَيْفَ يَحْيَـا صَـرِيـعٌ بَعْـدَ إيـداءِ ؟(٤)

لا بـارَكَ اللهُ فـيـهِ حَـيْـثُ كَـانَ ولَا ... جَـزَاهُ عَـنْ فِـعْـلِهِ إلَّا بـأَسْـواءِ(٥)

---

(٦) الغمد: جفن السيف وغلافه الذي يخبأ فيه. وأثْرُ السيف: فرنده، وهو جوهره ووشيه ورونقه. ومضاؤه: حدّته وسرعة قطعه.

(٧) القدس: الطهر، ومنه قيل للجنّة حظيرة القدس. واستيلاء الماء على العين: ذهاب بصرها من شدة الحزن وكثرة البكاء.

(٨) نزا: طمح ووثب. والنزاع: الاشتياق.

(١) الترقوة: العظم الذي في أعلى الصدر، بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين، وهما ترقوتان. والأحشاء: جمع حشا، وهو المعي، وما اشتملت عليه الضلوع، وما حواه الجوف.

(٢) يكفكف: يمنع، ويكفّ.

(٣) الحوباء: النفس.

(٤) أودى برمته: أي فنى الرضا كلّه بجملته، فلم يبق منه شيء. والصريع: المصروع، أي المطروح على الأرض. والمراد الهالك، أي لن يحيا الهالك بعد هلاكه.

(٥) الأسواء: جمع سوء، وهو اسم جامع لكل آفة وداء.

قافية الألف المقصورة

وقال وقد استقال من وِزارةِ الجِهَادِيَّةِ والبَحْرِيَّةِ ووزارة الأَوْقَافِ ، وسافَرَ إلى ضَيْعَتِهِ بناحِيَةِ « قرقيرة » بالدقَهْلِيَّةِ ، وذلك سَنَةَ ثمانٍ وتِسْعِينَ ومائتين وأَلفٍ هجرية (١٢٩٨ هـ - ١٨٨١ م)(★)

هَجَرَتْ « ظَلُومُ » وهَجْرُها صِلَةُ الأَسَى ... فَمَتَى تَجُودُ عَلَى الْمُتَيَّمِ بِاللُّقَى ؟(١)

جَزِعَتْ لِراعِيَةِ الْمَشِيبِ وما دَرَتْ ... أَنَّ الْمَشِيبَ لَهِيبُ نِيرانِ الْجَوَى(٢)

وَلَوَتْ بِوَعْدِكَ بعدَ طُولِ ضَمانِهِ ... وَمِنَ الْوُعُودِ خِلَابَةٌ ما تُقْتَضَى(٣)

لَيْتَ الشَّبابَ لَنَا يَعُودُ بِطِيبِهِ ... ومِنَ السَّفَاهِ طِلابُ عُمْرٍ قَدْ مَضَى(٤)

والشَّيْبُ أَكْمَلُ صاحِبٍ لَوْ أَنَّهُ ... يَبْقَى ولَكِنْ لا سَبِيلَ إلى الْبَقَا(٥)

(★) وفي ٢٥ من رمضان سنة ١٢٩٨ هـ (٢ من أغسطس سنة ١٨٨١ م) استقال البارودي من وزارتي الجهادية والأوقاف لمّا أحسّ أن الخديوي قد أساء به ظنّاً، واستمع للوشايات التي تتهمه بمساعدة الضباط الساخطين الثائرين.

(١) ظلوم: اسم محبوبته. والمتيّم: الذي ذلله العشق وعبّده.

(٢) راعية المشيب: أوائله. والجوى: الحرقة وشدة الوجد.

(٣) لوت بالوعد: أخلفته. وخلابة: خدعة. واقتضى دينه: أخذه. والمعنى أن وعدها ككثير من وعود الحسان ليس له وفاء.

(٤) السفاه: الجهل، ونقص العقل.

(٥) يشير بالشطر الأول إلى ما يلازم الشيب عادة من الوقار والمهابة والرزانة والاستقامة ورجاحة العقل وكثرة التجارب ونحو ذلك.



والـدَّهْـرُ مَـدْرَجَـةُ الْخُـطُوبِ فَمَنْ يَعِشْ يَهْـرَمْ وَمَنْ يَهْـرَمْ يَعِـثْ فيـهِ الْـبِلَى (٦)

فـاذْهَبْ بِنَفْسِـكَ عَنْ مُتَـابَعَـةِ الصِّبَـا وارْجِـعْ لِحِلْمِـكَ فـالأُمُـورُ إلى انْتِهَـا

الْـيَـوْمَ آنَ لِسـابِـقٍ أَنْ يَـحْـتَـذِي طَلْقَ الـرِّهَـانِ ومُغْمَـدٍ أَنْ يُنْتَضَى (٧)

وَلَقَـدْ عَلَوْتُ سَـراةَ أَدْهَـمَ لَـوْ جَـرَى فـي شَـأْوِهِ بَـرْقٌ تَـعَـثَّـر أَوْ كَـبَـا (٨)

يَـطْوِي المَـدَى طَيَّ السِّجِـلِّ ويَهْتَـدِي في كُـلِّ مَهْمَـهَـةٍ يَضِـلُّ بهـا الْقَـطَا (٩)

يَجْـرِي عَلَى عَجَلٍ فـلا يَشْكُـو الْـوَجَى مَـدَّ النَّهـارِ وَلا يَمَـلُّ مِنَ السُّـرَى (١٠)

لا الْـوَخْـدُ مِنْـهُ ولا الـرَّسِيمُ ولا يُـرَى يَمْشِي الْعِـرَضْنَـةَ أو يَسِيرُ الْهَيْـدَبى (١١)

رَيَّـانُ مِـلْءَ ضُـلُوعِـهِ لَـكِـنَّـهُ يَشْكُـو بِـزَفْـرَتِـهِ لَهِيبـاً في الْحَشَـا

مـا زالَ يَنْهَـجُ في الْمَسِيـر طَـرائِقـاً تَـدَعُ الْجِيَادَ مُقَيَّـداتٍ بِـالْـوَجَى (١٢)

حَـتَّـى وَصَـلْتُ إلَـى جَـنـابٍ أَفْـيَـحٍ زاهِي النَّبـات بَعِيـدِ أَعْمـاقِ الثَّـرَى (١٣)

---

(٦) مدرجة: ممرّ وطريق. والخطوب: جمع خطب وهو الأمر الشديد ينزل بالإنسان.

(٧) آن: حان، أي جاء أينه. السابق: الفرس المجلى في الحلبة. ويريد بطلق الرهان: أنه أرخى له العنان للفوز في الرهان. وينتضي: يسل، أي يخرج من غمده.

(٨) السراة: أعلى كل شيء. والأدهم: الفرس الأسود، ويريد به قطار سكة الحديد. والشأو: الأمد والغاية. وكبا: انكبّ على وجهه وسقط.

(٩) المدى: الغاية. والسجل: الكتاب. والمهمة: المفازة البعيدة. والقطا: ضرب من الحمام يضرب المثل بهدايته.

(١٠) الوجى: الحفا، وهو رقة القدم والحافر من كثرة السير. والسرى: سيرُ عامة الليل.

(١١) الوخد: سعة الخطو، أو أن يرمي البعير بقوائمه كمشي النعام. والرسيم: سير للإبل قريب من الهرولة، دون الجري. ويمشي العرضنة: أي في مشيته بغي من نشاطه، فالعرضنة: نوع من السير يمتاز بالخفة والسرعة والنشاط. والهيدبى: مشي للخيل فيه جدّ.

(١٢) ينهج الطريق: يسلكه، ويسير فيه. يقول: إن هذا القطار يسلك على الدوام طرقاً شاقة طويلة، لو سلكتها كرام الخيل لقيدها الحفا.

والمعنى: أنها لا تستطيع سلوك هذه الطرق، ولا تقوى على مثل ما يقوى عليه القطار.

(١٣) جناب أفيح: ناحية واسعة.



تَسْتَنُّ فِيهِ الْعَيْنُ بَيْنَ مَنابِتٍ طَابَتْ مَغارِسُها وجَنَّاتٍ رِوَا[١٤]

مُلْتَفُّ أَفْنَانِ الْحَدَائِقِ لَوْ سَرَتْ فيها السَّمُومُ لَشَابَهَتْ رِيحَ الصَّبَا[١٥]

فَتُرَابُهُ نَفَسُ الْعَبِيرِ ونَبْتُهُ سَرَقُ الْحَرِيرِ وماؤُهُ فَلَقُ الضُّحَى[١٦]

فَإِذَا شَمِمْتَ وَجَدْتَ أَطْيَبَ نَفْحَةٍ وإِذَا الْتَفَتَّ رَأَيْتَ أَحْسَنَ ما يُرَى

والقُطْنُ بَيْنَ مُلَوَّزٍ ومُنَوِّرٍ كَالْغَادَةِ ازْدَانَتْ بِأَنْوَاعِ الْحُلَى

فَكَأَنَّ عاقِدَهُ كُراتُ زُمُرُّدٍ وكَأَنَّ زَاهِرَهُ كَوَاكِبُ في الرُّوَا[١٧]

دَبَّتْ به رُوحُ الْحَيَاةِ فَلَوْ وَهَتْ عَنْهُ الْقُيُودُ مِنَ الْجَدَاوِلِ قَدْ مَشَى[١٨]

فَأُصُولُهُ الدَّكْنَاءُ تَسْبَحُ في الثَّرَى وفُرُوعُهُ الخَضْرَاءُ تَلْعَبُ في الْهَوا

لم يَسْرِ فيه الطَّرْفُ مَذْهَبَ فِكْرَةٍ مَحْدُودَةٍ إلَّا تَرَاجَعَ بِالْمُنَى[١٩]

هذا لَعَمْرُ أَبِيكَ داعِيَةُ الرِّضَا وسَلامَةُ العُقْبَى وَمِفْتَاحُ الْغِنَى[٢٠]

---

(١٤) تستن: تعدو مقبلة مدبرة في نشاط.

(١٥) الأفنان: الأغصان. والسموم: الريح الحارة. والصبا: ريح تهبّ عند العرب من مطلع الشمس، وهي أطيب الرياح، وأحبها إليهم.

(١٦) سرق الحرير: أجود أنواعه، أو شققه، أي قطعه المشقوقة، الواحدة سرقة. والفلق: ضوء الصبح.

(١٧) يريد بالعاقد: ما انعقد من اللوز قبل أن يتفتح. والزمرد: حجر أخضر اللون، شديد الخضرة، شفّاف، واحدته زُمُرُّدَة. وزاهر: أبيض مضيء مشرق، صفة من زهر السراج والقمر والوجه، أي تلألأ، ويريد بالزاهر المتفتّح من القطن. والروا: أصله الرواء بالمد، وهو حسن المنظر.

(١٨) وهت: ضعفت وانفكت. جعل الجداول وقنوات الماء التي تحيط بنبات القطن قيوداً، وقال: إن روح الحياة قد سرت فيه، ولو انفكت عنه هذه القيود لمشى.

(١٩) معنى «لم يسر فيه الطرف مذهب فكرة محدودة»: لم تجل العين في هذا النبات مقدار جولة الفكرة المحدودة، والمراد اللمحة، والبرهة اليسيرة، والمدة القصيرة. والمنى: جمع منية وهي الأمنية، أي الشيء الذي يريده الإنسان، ويقدّر حصوله.

(٢٠) العقبى: العاقبة، وجزاء الأمور.

فَعَــلامَ أَجْهَــدُ فـي الْمَــطَالِـبِ بــاذِلاً نَـفْـسِـي وهــذا لِـلْمَــطالِـبِ مُـنْـتَـهَـى

فــالْـحَـمْـدُ للهِ الَّــذِي وَهَـبَ الْـعُــلا وَسَــرَا الأَذَى عَنِّي فـأَبْصَــرْتُ الْهُــدَى

قافية الباء

قال في صِبَاهُ يَرُوضُ القولَ ، ويَذْكُر الطَّرَدَ(★) :

سِـوَايَ بِتَحْنَـانِ الأَغَـارِيـدِ يَـطْرَبُ ... وغَيْـرِيَ بـاللَّذَّاتِ يَـلْهُـو ويُعْجَبُ(١)

ومـا أَنَـا مِمَّنْ تَـأْسِـرُ الْـخَمْـرُ لُبَّـهُ ... وَيَمْلِكُ سَمْعَيْـهِ الْيَـرَاعُ الْـمُثَـقَّبُ(٢)

ولَـكِـنْ أَخُـو هَـمٍّ إذا مـا تَـرَجَّـحَـتْ ... بِـهِ سَوْرَةٌ نَحْـوَ الْعُـلاَ راحَ يَـدْأَبُ(٣)

نَـفَى الـنَّـوْمَ عَنْ عَيْنَيْـهِ نَـفْسٌ أَبِـيَّـةٌ ... لَهـا بينَ أَطْـرافِ الأَسِنَّـة مَـطْلَبُ(٤)

بَعِيـدُ مَنـاطِ الْهَمِّ فَـالغَـرْبُ مَشْـرِقٌ ... إذَا مَـا رَمَى عَيْنَيْـهِ والشَّـرْقُ مَغْرِبُ(٥)

لَـهُ غُـدُواتٌ يَـتْبَـعُ الْـوَحْشُ ظِـلَّهـا ... وتَغْـدُو على آثـارِهـا الـطَّيْـرُ تَنْعَبُ(٦)

(★) في بعض ما كتب عن البارودي أنه نظم هذه القصيدة سنة ١٨٦٣ وهو في الرابعة والعشرين، بعد انتقاله من ديوان الخديوي إسماعيل (إدارة المكاتبات باللغة التركية بين مصر والآستانة) إلى الجيش. وما لبث أن أرسل مع طائفة مختارة من الضباط سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م) إلى فرنسا، ثم إلى إنجلترا للإفادة من خبرة ضباط هذين الجيشين، ودراسة النظم العسكرية فيهما. وفي إنجلترا دعاهم أحد نبلاء الإنجليز إلى رياضة في الريف الإنجليزي على ظهور الخيل لمزاولة الصيد.

(١) أغرد الطائر إغراداً: رفع صوته وطرّب، أي رجّعه ومدّه.

(٢) اللب: العقل. واليراع: جمع يراعة، وهي القصبة. والمراد باليراع المثقب: المزمار.

(٣) الهم: العزيمة والإرادة القوية.

(٤) الأسنة: جمع سنان، وهو نصل الرمح.

(٥) بعيد مناط الهم: أي أن إرادته وعزمه لا يتعلقان إلا بالأمور البعيدة، والمقاصد العالية الشريفة

(٦) الغدوات: جمع غدوة، وهي السير في الصباح. وتنعب: تصيح وتصوت.



هَمَامَةُ نَفْسٍ أَصْغَرَتْ كُلَّ مَأْرَبٍ فَكَلَّفَتِ الأَيَّامَ ما لَيْسَ يُوهَبُ(٧)

وَمَنْ تَكُنِ الْعَلْيَاءُ هِمَّةَ نَفْسِهِ فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحَبَّبُ

إذا أَنا لم أُعْطِ الْمَكَارِمَ حَقَّها فلا عَزَّنِي خالٌ ولا ضَمَّنِي أَبُ(٨)

ولا حَمَلَتْ دِرْعِي كُمَيْتٌ طِمِرَّةٌ ولا دارَ في كَفِّي سِنانٌ مُذَرَّبُ(٩)

خُلِقْتُ عَيُوفاً لا أَرَى لابْنِ حُرَّةٍ لَدَيَّ يَداً أُغْضِي لها حِينَ يَغْضَبُ(١٠)

فَلَسْتُ لأَمْرٍ لَمْ يَكُنْ مُتَوَقِّعاً ولَسْتُ على شيءٍ مَضَى أَتَعَتَّبُ(١١)

أَسِيرُ على نَهْجٍ يَرَى النَّاسُ غَيْرَهُ لِكُلِّ امْرِىءٍ في ما يُحاوِلُ مَذْهَبُ

وَإِنِّي إذا ما الشَّكُّ أَظْلَمَ لَيْلُهُ وأَمْسَتْ بِهِ الأَحْلامُ حَيْرَى تَشَعَّبُ(١٢)

صَدَعْتُ حِفافَيْ طُرَّتَيْهِ بِكَوكَبٍ مِنَ الرَّأْيِ لا يَخْفَى عَلَيْهِ الْمُغَيَّبُ(١٣)

وبَحْرٍ مِنَ الْهَيجَاءِ خُضْتُ عُبابَهُ ولا عاصِمٌ إلَّا الصَّفِيحُ الْمُشَطَّبُ(١٤)

تَظَلُّ بِهِ حُمْرُ المَنَايا وسُودُها حَواسِرَ في أَلْوَانِهَا تَتَقَلَّبُ(١٥)

---

(٧) يريد بالهمامة: قوة العزم. وفسرت الهمامة بأنها اهتمام النفس بالأمر، وقصدها إليه، واعتناؤها به، وذلك إذا آنست عدم الاقتدار إن لم تتوجه إليه بكلياتها. والمأرب: الحاجة والمطلب.

(٨) عزّني: قوّاني.

(٩) الدرع: لبوس من حلق الحديد يلبسه المحارب، ويريد به نفسه. والكميت من الخيل: ما كان بين الأسود والأحمر، يستوي فيه المذكر والمؤنث. والطمرة: الفرس العالية الطويلة القوائم الخفيفة. والسنان: نصل الرمح. ومذرّب: حادّ ماض.

(١٠) عيوفاً: صفة من عاف الرجل الطعام والشراب يعافه، أي كرهه، فلم يأكله، ولم يشربه، والمراد أنه أبيّ النفس. واليد: النعمة والإحسان. وأغضى: أسكت.

(١١) أتعتّب: أغضب.

(١٢) الأحلام: جمع حلم، وهو الأناة والعقل. وتشعّب: تتفرق.

(١٣) صدعت: شققت. وحفافاه: جانباه، مثنى حفاف وهو الجانب. والطرّة: الشعر الذي تصفّفه الجارية على جبهتها. والمعنى: أنه يزيل خفاء الشك برأيه الثاقب السديد.

(١٤) الهيجاء: الحرب. والعباب: الموج. والعاصم: الحافظ الواقي. والصفيح: السيف العريض. وسيف مشطّب: فيه شطب، وهي طرائق السيف.

(١٥) حواسر: منكشفات.



تَـوَسَّطْتُـهُ والْخَيْـلُ بـالْخَيْـلِ تَلْتَقِي وبِيضُ الظُّبَا في الْهَامِ تَبْدُو وتَغْـرُبُ[١٦]

فمَـا زِلْتُ حتَّى بَيْنَ الْكَـرُّ مَـوْقِفِي لَـدَى سـاعَـةٍ فيها الْعُقُـولُ تَغَيَّبُ[١٧]

لَـدُنْ غُـدْوَةٍ حَتَّى أَتَى الليـلُ والْتَقَى عَلَى غَيْهَبٍ مِنْ ساطِعِ النَّقْعِ غَيْهَبُ[١٨]

كَـذَلِـكَ دَأْبِي في الْمِـراسِ وَإِنَّنِي لأَمْـرَحُ في غَيٍّ التَّصـابِي وأَلْعَـبُ[١٩]

وفِتْيَـان لَـهْـوٍ قَـدْ دَعَـوْتُ ولِلْكَـرَى خِبـاءٌ بِـأَهْـدَابِ الْجُفُـونِ مُـطَنَّبُ[٢٠]

إِلَى مَـرْبَـعٍ يَجْـرِي النَّسِيمُ خِـلالَـهُ بِنَشْـرِ الْخُـزَامَى والنَّـدَى يَتَصَبَّبُ[٢١]

فَلَمْ يَمْضِ أَنْ جـاءُوا مُـلَبِّيـنَ دَعْـوَتِي سِراعاً كَمـا وَافَى عَلَى الْماءِ رَبْـرَبُ[٢٢]

بِـخَيْـلٍ كَـآرَامِ الـصَّـرِيـمِ وراءَهـا ضَـوارِي سَلُوقٍ عـاطِـلٌ ومُلَبَّـبُ[٢٣]

مِنَ الـلَّاءِ لا يَـأْكُلْنَ زاداً سِـوَى الَّـذِي يُضَـرِّسْنَـهُ والصَّيْـدُ أَشْهَى وأَعْـذَبُ[٢٤]

---

(١٦) الظبا: جمع ظُبَة، وهي حد السيف والسنان ونحوهما. والهام: جمع هامة، وهي الرأس.

(١٧) كرّ الفارس كرّاً: إذا فرّ للجولان، ثم عاد للقتال.

(١٨) لدن غدوة: من أول النهار. والغيهب: الظلمة والليل. والنقع: الغبار. والساطع: المرتفع.

(١٩) الدأب: الشأن والعادة. والمراس: الشدة. والغيّ: الضلال. والمراد بالتصابي: الميل إلى الصبا واللهو.

(٢٠) الكرى: النعاس. والخباء: شبه الخيمة، يعمل من الوبر أو الصوف، وينصب على عمودين أو ثلاثة. والأهداب: جمع هدب، وهو ما نبت من الشعر على أشفار العيون. ومطنّب: مشدود بالأطناب، وهي حبال الأخبية.

(٢١) المربع: الموضع يرتبع القوم فيه، أي يقيمون به زمن الربيع. والنشر: الرائحة الطيبة. والخزامى: بقلة طيبة الرائحة لها نور كنور البنفسج.

(٢٢) الربرب: القطيع من بقر الوحش.

(٢٣) الآرام: مقلوب أرآم، جمع رئم وهو الظبي الخالص البياض. والصريم: الرملة المنصرمة، أي المنقطعة من الرمال. وضوار: جمع ضار، وهو الكلب الذي ضرى بالصيد، أي لزمه، وأولع به، واعتاده. وسلوق: قرية باليمن، أو بلد بطرف إرمينية تنسب إليهما الكلاب. وعاطل: غير مطوّق. وملبّب: مطوّق.

(٢٤) ضرّسه: عضّه عضّاً شديداً، وضرّس السبع فريسته: إذا مضغ لحمها ولم يبتلعه. والمراد بالتضريس هنا: أخذ الكلب الفريسة بأسنانه بعد صيدها.



تَـرَى كُلَّ مُحْمَـرِّ الْحَمـالِيقِ فـاغِـرٍ — إِلَى الْـوَحْشِ لا يَـأْلُـو وَلَا يَتَنَصَّبُ(٢٥)

يَكَـادُ يَفُـوتُ الْبَـرقَ شَـدّاً إِذَا انْبَـرَتْ — لَـهُ بِنْتُ مَـاءٍ أَوْ تَـعَـرَّضَ ثَعْـلَبُ(٢٦)

فَـمِـلْنـا إِلَـى وادٍ كَـأَنَّ تِـلاعَـهُ — مِنَ الْعَصْبِ مَوْشِيُّ الْحَبائِكِ مُذْهَبُ(٢٧)

تُـرَاحُ بِـهِ الآمَـالُ بَـعْـدَ كَـلالِـهـا — وَيَصْبُـو إِلَيْـهِ ذُو الْحِجَـا وَهْـوَ أَشْيَبُ(٢٨)

فَـبَيْـنَـا نَـرُودُ الأَرْضَ بِـالْعَيْنِ إِذْ رَأَى — رَبِيئَتُنَـا سِـرْبـاً فَقَـالَ أَلَا ارْكَبُـوا(٢٩)

فَقُمْنَـا إِلَى خَيْـلٍ كَـأَنَّ مُتُـونَـهـا — مِنَ الضُّمْرِ خُوطُ الضَّيْمَرَانِ الْمُشَذَّبُ(٣٠)

فَلَمَّـا انْتَـهَيْنـا حَيْثُ أَخْبَـرَ أُطْلِقَتْ — بُـزَاةٌ وَجَـالَتْ في الْمَقَـاوِدِ أَكْلُبُ(٣١)

فما كَـانَ إِلَّا لَفْتَـةُ الْجِيـدِ أَنْ غَلَتْ — قُـدُورٌ وفـارَ اللَّحْمُ وانْفَضَّ مَـأْرَبُ(٣٢)

وَقُلْنَـا لِسـاقِينَـا أَدِرْهـا فَـإِنَّـمـا — قُصَـارَى بَنِي الأَيَّـامِ أَنْ يَتَشَعَّبُـوا(٣٣)

فَـقَـامَ إِلَـى رَاقُـودِ خَـمْـرٍ كَـأَنَّـهُ — إِذَا اسْتَقْبَلَتْـهُ الْعَيْنُ أَسْـوَدُ مُغْضَبُ(٣٤)

يَـمُـجُّ سُـلافـاً فـي إِنـاءٍ كَـأَنَّـهُ — إذا مَـا اسْتَقَلَّتْهُ الأَنَـامِلُ كَـوْكَبُ(٣٥)

---

(٢٥) **الحماليق**: جمع حملاق، أو حَمْلوق، وهو ما غطّته الأجفان من بياض مقلة العين. والمراد بمحمر الحماليق: كلب الصيد. واحمرار حماليقه: كناية عن شدّة بأسه، وعظم بطشه. **ولا يألو**: لا يقصّر. وتنصّب الشيء: اتّضع. والمراد أنه لا يألم ولا يضعف ولا يتوقف.

(٢٦) **شدّاً**: عدواً وجرياً. بنات الماء: الطيور المائية.

(٢٧) **التلاع**: جمع تلعة، وهي ما ارتفع من الأرض. والعصب: برد يصبغ غزله ثم ينسج. **وموشّى**: منقوش. والحبائك: خطوط الثوب وطرائقه. ومذهب: دخل الذهب في نسجه.

(٢٨) **كلالها**: تعبها وإعياؤها. والحجا: العقل.

(٢٩) **نرود الأرض بالعين**: نجول فيها بعيوننا. وربيئتنا: طليعتنا ورائدنا. وسرباً: قطيعاً من الظباء.

(٣٠) **الخوط**: الغصن الناعم. والضيمران: ريحان البرّ، أو الريحان الفارسيّ. والتشذيب: الإصلاح، ونزع ما على الشجر من الأغصان.

(٣١) **البزاة**: جمع باز، وهو ضرب من الصقور. والمقاود: جمع مقود، وهو حبل في العنق للقياد.

(٣٢) **انفضّ مأرب**: انتهت حاجتنا.

(٣٣) **قصارى الشيء**: غايته وآخره. والتشعّب: التفرق.

(٣٤) **الراقود**: الدنّ الكبير العميق.

(٣٥) **يمجّ**: يخرج ويرمي. وسلافاً: خمراً. واستقلّته: حملته ورفعته.



فَـلَمْ نَـأْلُ أَنْ دَارَتْ بِنَـا الأَرْضُ دَوْرَةً   وحَتَّى رَأَيْنَـا الأُفْـقَ يَـنْـأَى ويَـقْـرُبُ

إِلَـى أَنْ تَـوَلَّـى الْـيَـوْمُ إِلاَّ أَقَـلَّهُ   وَقَـدْ كـادَتِ الشَّمْسُ الْمُنِيـرَةُ تَغْـرُبُ

فَـرُحْنَا نَجُرُّ الذَّيْـلَ تِيهـاً لِمنـزلٍ   بِـهِ لأَخِ الـلَّذَّاتِ واللَّهْـو مَـلْعَبُ[٣٦]

مَـسـارِحُ سِكِّيـرٍ ومَـرْبِضُ فـاتِـكٍ   ومُخْـدَعُ أَكْـوابٍ بـهِ الخَمْـرُ تُسْكَبُ[٣٧]

فَلَمَّـا رآنـا صـاحبُ الـدّارِ أَشْـرَقَتْ   أَسـارِيـرُهُ زَهْـواً وَجـاءَ يُـرَحِّـبُ

وقَـالَ انْـزِلُـوا يـا بَـارَكَ اللهُ فِـيكُـمُ   فَعِنْـدِي لَكُمْ مـا تَشْتَهُـونَ وأَطْيَبُ

وَراحَ إِلَـى دَنٍّ تَـكَـامَـلَ سِـنُّـهُ   وشَيَّبَ فَـوْدَيْـهِ مِنَ الـدَّهْـرِ أَحْقُبُ[٣٨]

فمـا زالَ حتّى اسْتَـلَّ مِنْـهُ سَبِيكَـةً   مِنَ الخمرِ تَطْفُـو في الإِنَـاءِ وتَـرْسُبُ

يَحُـومُ علَيْهَـا الـطَّيْرُ مِنْ كُـلِّ جانِبٍ   وَيَسْـرِي عَلَيْهَـا الـطّارِقُ الْمُتَـأَوِّبُ[٣٩]

فَيـا حُسْنَ ذاكَ اليومِ لَـوْ كـانَ بـاقِياً   ويـا طِيبَ هـذا الليـلِ لَـوْ دامَ طَيِّبُ

يَـوَدُّ الْفَتَى مـا لا يكُـونُ طَـمَـاعَـةً   ولَمْ يَـدْرِ أَنَّ الـدَّهْـرَ بـالنَّاسِ قُلَّبُ

ولَـوْ عَـلِمَ الإِنْسَـانُ مـا فِيـهِ نَفْعُـهُ   لأَبْـصَـرَ مـا يَـأْتِي ومَـا يَتَجَـنَّـبُ

وَلَكِنَّهـا الأَقْـدَارُ تَجْـرِي بِحُكْـمِهـا   عَـلَيْنَـا وأَمْـرُ الْغَيْـبِ سِـرٌّ مُـحَجَّـبُ

نَـظُنُّ بـأَنَّـا قـادِرُونَ وأَنَّـنـا   نُقـادُ كَمَـا قِيـدَ الْجَنِيبُ ونُصْحَبُ[٤٠]

فَـرَحْمَـةُ رَبِّ الْعَـالَمِينَ عَلَى امْـرِئٍ   أَصَـابَ هُـداهُ أَو دَرَى كَيْفَ يَـذْهَـبُ

---

(٣٦) التيه: الصلف والكبرياء.

(٣٧) المسارح: جمع مسرح، وهو المرعى، والمراد مطلق المكان. والمربض: المأوى. وفاتك: باطش قاتل. والمخدع: خزانة، أو بيت صغير يحرز فيه الشيء.

(٣٨) الفود: معظم شعر اللمة مما يلي الأذن. والأحقب: جمع حقب، وهو السنة أو أكثر.

(٣٩) ويسري عليها: يسير على ضوئها. والطارق: إذا جاء ليلاً. والمتأوّب: كالطارق.

(٤٠) الجنيب: الفرس تقوده إلى جنبك.

وقال يُهنِّئُ « الخديوي إسماعيل باشا » بولايَةِ مصرَ سنةَ تسع وسبعين ومائتين وألف هجرية (١٢٧٩ هـ - ١٨٦٣ م)(★) :

طَرِبَ الْفُؤادُ وكانَ غَيْرَ طَرُوبِ ... والْمَرْءُ رَهْنُ بَشاشَةٍ وَقُطُوبِ

وَرَدَ الْبَشِيرُ فَقُلْتُ مِنْ سَرَفِ الْمُنَى ... أَعِدِ الْحَدِيثَ عَلَيَّ فَهْوَ حَسِيبي(١)

خَبَرٌ جَلا صَدَأَ الْقُلُوبِ فَلَمْ يَدَعْ ... فِيهَا مَجالَ تَحَفُّزٍ لِوَجِيبِ(٢)

ضَرَحَ الْقَذَى كَقَمِيصِ « يُوسُفَ » عِنْدَمَا ... وَرَدَ الْبَشِيرُ بِهِ إِلَى « يَعْقُوبِ »(٣)

فَلْتَهْنَ مِصْرُ وَأَهْلُهَا بِسَلامَةٍ ... جاءَتْ لَهَا بِالأَمْنِ بَعْدَ خُطُوبِ(٤)

بِالْمَاجِدِ الْمَنْسُوبِ بَلْ بِالأَرْوَعِ الْـ ... ـمَشْبُوبِ بَلْ بِالأَبْلَجِ الْمَعْصُوبِ(٥)

رَبِّ الْعُلا والْمَجْدِ (إِسْمَاعِيلَ) مَنْ ... وَضَحَتْ بِهِ الأَيَّامُ بَعْدَ شُحُوبِ

وَرَدَ الْبِلادَ ولَيْلُها مُتَراكِبٌ ... فأَضاءَهَا كَالْكَوْكَبِ الْمَشْبُوبِ(٦)

(★) سافر الخديوي إسماعيل إلى الآستانة على أثر اعتلائه عرش مصر، ليرفع إلى السلطان عبد العزيز فروض الشكر والولاء. وفي شهر رمضان سنة ١٢٧٩ هـ (فبراير سنة ١٨٦٣ م) عاد البارودي من الآستانة إلى مصر في حاشية الخديوي. وعلى أثر هذه العودة نظم هذه القصيدة، وهو في الرابعة والعشرين.

(١) السرف: مجاوزة الحد. وحسيبي: كافيَّ. والمعنى أنه لما بشّر بولاية الخديوي «إسماعيل» رأى أنّ هذه البشرى قد حققت أعظم آماله وأبعد أمانيه، ولهذا تملّكه الفرح، واستخفّه الطرب.

(٢) تحفّز: تهيّؤ. ووجيب القلب: رجنانه واضطرابه.

(٣) ضرحه: دفعه ونحّاه. والقذى: ما يسقط في العين وفي الشراب، والمراد به هنا: كل ما يسبب الألم.

(٤) الخطوب: جمع خطب، وهو الأمر الشديد ينزل بالناس.

(٥) المنسوب: ذو النسب. والأروع: من يعجبك بحسنه وجهارة منظره أو بشجاعته. والمَشْبُوب: الحسن الوجه. والبُلْجة: الضوء ونقاوة ما بين الحاجبين. ويقال للرجل الطلق الوجه ذي الكرم والمعروف: أبلج. والمعصوب: المتوّج.

(٦) ليل متراكب: ظلماته بعضها فوق بعض. والمشبوب: المتّقد.

بِـرَوِيَّـةٍ تَـجْلُو الـصَّـوَاب وعَـزْمَـةٍ تَمْضِي مَضـاءَ اللَّهْـذَمِ الْمَـذْرُوبِ[٧]

مَـلِكٌ تَـرَفَّـعَ أَنْ تَـكُـونَ صِـفَـاتُـهُ إِلَّا لَـهُ أَوْ لِابْـنِـهِ الْـمَـحْـبُـوبِ

ذو هَـيْـبَـةٍ تَـكْـفِـيـهِ سَـوْقَ جُـنُـودِهِ وبَـدِيـهَـةٍ تُـغْـنِـي عَـنِ الـتَّـجْـرِيـبِ

نَـمَّـتْ شَـمـائِـلُـهُ عَـلَى أَعْـراقِـهِ نَـمَّ النَّـسِيـمِ عَلَى أَرِيـجِ الـطِّيبِ[٨]

أَكْنِي بِـزَهْـرِ الـرَّوْضِ عَنْ أَخْـلاَقِـهِ وَبِـنَـشْـرِهِ عَـنْ فَضْـلِهِ الْـمَـرْغُـوبِ[٩]

وأَقُـولُ إِنَّ الْـبَـرْقَ يَـحْـكِـي بِـشْـرَهُ لَـوْ كَـانَ بَـرْقُ الْمُـزْنِ غَيْـرَ خَلُوبِ[١٠]

فَـالْخِصْبُ فِي الـدُّنْيَا عَـلامَـةُ عَـدْلِـهِ والْغَيْثُ فَضْلَةُ جُـودِهِ الْمَـسْكُـوبِ[١١]

أَجْـرَى نَـسِـيـمَ الأَمْـنِ بَـعْـدَ رُكُـودِهِ وأَفَـاضَ مَـاءَ الْعَـدْلِ بَعْـدَ نُضُـوبِ[١٢]

وَأَعَـادَ مِصْـرَ إِلَى جَمـالِ شَبـابِـهـا مِـنْ بَعْـدِ مـا لَـبِسَـتْ خِمَـارَ مَشِيـبِ

فَـتَنَـعَّـمَـتْ مِـنْ فَـيْـضِـهِ فـي غِـبْـطَـةٍ وَتَـمَـتَّـعَـتْ مِـنْ عَـدْلِـهِ بِـنَـصِـيـبِ

وإِذَا أَرادَ اللهُ رَحْـمَـةَ أُمَّـةٍ بَـعَـثَ الـشِّـفَـاءَ لَـهَـا بِخَـيْـرِ طَـبِـيـبِ

فَـلَقَـدْ مَلَكْـتَ زِمَـامَـهـا وسَـقَـيْـتَـهـا بَـعْـدَ الصَّـدَى مِنْ رَحْمَـةٍ بِـذَنُـوبِ[١٣]

ومعنى هذا البيت والذي قبله: أنّ البلاد سعدت بولاية الممدوح وحكمه، فصلحت أحوالها، واستقامت أمورها.

(٧) اللهذم: السنان القاطع. والمذروب: المحدّ المسنون.

(٨) الشمائل: الأخلاق، مفردها شِمال. والأعراق: جمع عرق، وهو الأصل. والأريج: توهّج ريح الطيب.

(٩) الكناية: أن تتكلم بشيء وتريد به غيره. والنشر: الرائحة الطيبة.

(١٠) المزن: جمع مزنة، وهي السحابة. وخَلَبَهُ: إذا خدعه.

(١١) الغيث: المطر.

(١٢) ركوده: سكونه. ونضب الماء نضوباً: غار في الأرض.

(١٣) الزمام: المقود، وهو الحبل الذي تقاد به الدابة. والصدى: العطش. والذنوب: الدلو العظيمة الملأى ماء.

فَغَـدَتْ وَمَـا فِي الأَرْضِ أَحْسَنُ بُقْعَـةً	مِـنْـهَـا لِـمُـزْدَرِعٍ وَلاَ لِـكَـسُـوبِ[١٤]
يَـسْتَـنُّ فِيـهَـا الـنِّـيـلُ بَـيْـنَ حَـدَائِـقٍ	غُـلْبٍ ورَفَّـافِ الـنَّـبـاتِ خَصِيـبِ[١٥]
وتَـرَى السَّفِينَ يَجُـولُ فَـوْقَ سَـراتِـهِ	زَفَّ الـرِّئَـالِ تَمَـطَّرَتْ بِسُهُـوبِ[١٦]
مِـنْ كُـلِّ راقِصَـةٍ عَـلَى نَقْـرِ الـصَّبَـا	تَخْتَـالُ بيْنَ شَـمـائِـلٍ وجَنُـوبِ[١٧]
مَـلَكَتْ أَزِمَّـتَها الـرِّيَـاحُ فَـسَيْـرُهَـا	ضَـرْبَـانِ بَـيْـنَ تَـحَـفُّـزٍ ودَبِـيـبِ
فَـإذا أَطَـلْتَ عِـنَـانَـهـا وَقَـفَـتْ وإنْ	أَقْصَـرْتَـهُ سَـارَتْ بِغَيْـرِ لُغُـوبِ[١٨]
فَـانْـعَـمْ بِـخَـيْـرِ وِلايَـةٍ وَلاَّكَـهـا	رَبُّ الْعِـبـادِ بِـرَغْـمِ كُـلِّ رَقِيـبِ[١٩]
مَـا آثَـرُوكَ لَـهـا بِـغَـيـرِ رَوِيَّـةٍ	بَـلْ لاِعْـتِـصـامِـهِـمُ بِـخَـيْـرِ لَـبِـيـبِ
فَـاسْمَـعْ مَقَـالَـةَ صَادِقٍ لَمْ يَنْتَسِبْ	لِـسِـوَاكَ فِـي أَدَبٍ وَلاَ تَـهْـذِيـبِ
أَوْلَـيْـتَـهُ خَـيْـراً فَـقَـامَ بِـشُـكْـرِهِ	والشُّكْـرُ لِـلإحْسَـانِ خَيْـرُ ضَـرِيبِ[٢٠]
فَـاعْـطِفْ عَلَيْـهِ تَجِدْ سَلِيـلَ كَـرَامَـةٍ	أَهْـلاً لِـحُـسْـنِ الأَهْـلِ والـتَّـرْحِـيـبِ

---

(١٤) المزدرع: الزارع. والكسوب: طالب الرزق.

(١٥) يستنّ: يجري ويضطرب. وغلب: جمع غلباء، وهي الحديقة المتكاثفة. ورفّ النبات يرفّ، وله وريف ورفيف: هو أن يهتزّ نضارة وتلألؤاً.

يقول: إن النيل يجري بين حدائق متكاثفة، ووادٍ خصيب نضير النبات.

(١٦) السراة: أعلى كل شيء. والزفّ: الإسراع، أي يسرع إسراع الرئال. والرئال: أولاد النعام. مفرده رأل ورألة. وتمطرت: ذهبت مسرعة. والسهوب: جمع سهب، وهو المستوى من الأرض في سهولة. سهوب الفلاة: نواحيها التي لا مسلك فيها.

(١٧) الصبا: الريح تهبّ من مطلع الشمس. ونقرها: نفخها وتصويتها. والشمائل: جمع شَمال وهي الريح التي تهب من ناحية يسارك وأنت متّجه إلى الشرق. والجَنوب: الريح المقابلة للشمال.

(١٨) العنان في الأصل: سير اللجام الذي تمسك به الدابة، والمراد بإطالة العنان إرخاء حبل الشراع للسفينة. واللغوب: الإعياء والضعف والتعب.

(١٩) الرقيب: المراقب، ومراده العدوّ.

(٢٠) الضريب: المثل.



يُنْبِيكَ ظَاهِرُهُ بِوُدِّ ضَمِيرِهِ والْوَجْهُ وَسْمَةُ مُخْلِصٍ ومُرِيبِ[٢١]

وَإِلَيْكَ مِنْ حَوْكِ اللِّسَانِ حَبِيرَةً يُغْنِيكَ رَوْنَقُهَا عَن التَّشْبِيبِ[٢٢]

حَضَرِيَّةَ الأَنْسَابِ إلاَّ أَنَّهَا بَدَوِيَّةٌ في الطَّبْعِ والتَّرْكِيبِ

وَلِعَتْ بِمَنْطِقِهَا النُّفُوسُ غَرَابَةً والنَّفْسُ مُولَعَةٌ بِكُلِّ غَرِيبِ

أَرْسَلْتُهَا مَثَلاً بِمَدْحِكَ فِي الْوَرَى والسَّهْمُ مَنْسُوبٌ لِكُلِّ مُصِيبِ[٢٣]

كَلِمٌ أَثَرْتُ بِهَا جَوَادَ بَرَاعَةٍ لا يُقْتَفَى في الْحُضْرِ والتَّقْرِيبِ[٢٤]

تَرَكَ « الْوَلِيدَ » مُلَثَّماً بِغُبَارِهِ وَمَضَى فَكَفْكَفَ مِنْ عِنَانِ « حَبِيبِ »[٢٥]

فَاسْتَجْلِهَا تَلْمَحْ خِلالَكَ بَيْنَهَا فِي وَشْيِ بُرْدٍ لِلْكَلامِ قَشِيبِ[٢٦]

كَزُجَاجَةِ التَّصْوِيرِ شَفَّتْ فَاجْتَلَتْ مِنْ وَصْفِهِ ما كان غَيْرَ قَرِيبِ[٢٧]

لا زِلْتَ فِي فَلَكِ الْمَعَالِي كَوْكَباً تُهْدِي الضِّيَاءَ لأَعْيُنٍ وقُلُوبِ

---

(٢١) يريد بالوسمة: العلامة. والمريب: المتّهم في إخلاصه.

(٢٢) الحوك: النسج. والحبيرة: الجديدة الموشّاة من الثياب. وشبّب الشاعر قصيدته: حَسَّنَها وزيّنها بذكر النساء.

(٢٣) الورى: الخلق، والناس.

(٢٤) البراعة: الغَلَبُ والتفوّق، أو هي اليراعة: بمعنى القلم. والكلام على التشبيه: أي يراعة كالجواد السبّاق. ولا يقتفي: لا يتبع. والحُضْر: ارتفاع الفرس في عَدْوِه كالإحضار، أو هو عَدْوٌ ذو وَثْب. والتقريب: ضرب من العدو، أو أن يرفع الفرس يديه معاً، ويضعهما معاً.

(٢٥) الوليد: هو أبو عبادة بن عبيد البحتري الطائي المتوفى سنة ٢٨٤ هـ. وكفكف: دفع وصرف. وحبيب بن أوس الطائي: هو أبو تمّام الشاعر النابغة المشهور المتوفى سنة ٢٣١ هـ.
والمراد: أن هذه القصيدة فاقت بشرف موضوعها، وجمال نسجها، شعر هذين الشاعرين المشهورين.

(٢٦) استجلها: انظر إليها. وخلالك: خصالك. ووشيت الثوب وشياً: رقمته ونقشته. والبرد: الثوب. وقشيب: جديد.

(٢٧) شفّت: صفت فحكت ما وراءها. واجتلت من وصفه... الخ: أي عرضت وصفه مجلوّاً باهراً. والضمير في وصفه يعود على التصوير بمعنى الشيء المصوّر أو يعود على الممدوح.



وقالَ يذكُرُ أيّامَ الشّبابِ :

أعِدْ يا دَهْرُ أيّامَ الشَّبابِ ... وأيْنَ مِنَ الصِّبا دَرْكُ الطِّلابِ ؟[١]

زَمانٌ كُلَّما لاحَتْ بِفِكْرِي ... مَخايِلُهُ بَكَيْتُ لِفَرْطِ ما بِي[٢]

مَضى عَنّي وَغادَرَ بي وَلُوعاً ... تَوَلَّدَ مِنْهُ حُزْني واكْتِئابي[٣]

وَكَيْفَ تَلَذُّ بَعْدَ الشَّيْبِ نَفْسِي ... وَفِي اللَّذّاتِ إنْ سَنَحَتْ عَذابِي

أصُدُّ عَنِ النَّعيمِ صُدُودَ عَجْزٍ ... وَأُظْهِرُ سَلْوَةً وَالْقَلْبُ صَابِي[٤]

وَمَا فِي الدَّهْرِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ ... يَكُونُ قِوَامُها رَوْحَ الشَّبابِ

فَيَاللهِ كَمْ لِي مِنْ لَيالٍ ... بِهِ سَلَفَتْ وأيّامٍ عِذابِ[٥]

إذِ النَّعْمَاءُ وَارِفَةٌ عَلَيْنَا ... وَمَرْعَى اللَّهْوِ مُخْضَرُّ الْجَنابِ[٦]

نَطِيرُ مَعَ السُّرُورِ إذَا انْتَشَيْنَا ... بِأجْنِحَةِ الْخَلاعَةِ وَالتَّصابِي[٧]

فَغُدْوَتُنَا وَرَوْحَتُنَا سَوَاءٌ ... لِعَابٌ في لِعَابٍ في لِعَابِ[٨]

وَرُبَّتَ رَوْضَةٍ مِلْنَا إلَيْهَا ... وَقَرْنُ الشَّمْسِ تِبْرِيُّ الإهَابِ[٩]

---

(١) الدرك: اللحاق. والطلاب: ما تطلبه من غيرك، يتمنى أن يعيد إليه الدهر أيام الشباب.

(٢) المخايل: جمع مخيلة وهي ما يتخيّل. والمراد بمخايل زمان الشباب: ذكرياته وصوره.

(٣) الولوع: اسم من ولع بالشيء، أي علق به، وأغرى.

(٤) صاب: مائل، أي مال إلى الجهل والفتوّة.

(٥) سلفت: مضت.

(٦) وارفة: متّسعة طويلة ممتدّة. والجناب: الناحية.

(٧) الخلاعة: الاستهتار. والتصابي: الميل إلى دواعي الصبا وجهل الفتوّة، والتصابي أيضاً: الشوق وتوقان النفس إلى شهواتها.

(٨) الغدوة: السير في أول النهار. والروحة: العودة آخر النهار. والمعنى: أن سيرنا متشابه في المرح واللهو واللعب، وأوقاتنا كلّها في هذا سواء.

(٩) قرن الشمس: أول شعاعها. والتبر: الذهب قبل أن يصاغ ويضرب. والإهاب: الجلد.

نَمَتْ أَدْوَاحُها وسَمَتْ فَكَانَتْ ... عَلَى السَّاحاتِ أَمْثَالَ الْقِبَابِ[١٠]

فَزَهْرُ غُصُونِهَا طَلْقُ الْمُحَيَّا ... وجَدْوَلُ مائِها عَذْبُ الرُّضابِ[١١]

كَأَنَّ غُصُونَها غِيدٌ تَهَادَى ... مِنَ الزَّهْرِ الْمُنَمَّقِ في ثِيَابِ[١٢]

سَقَتْهَا السُّحْبُ رَيِّقَها فَمَالَتْ ... كَما مَالَ النَّزِيفُ مِنَ الشَّرَابِ[١٣]

فَسَبَّحَ طَيْرُها شُكْراً وأَثْنَتْ ... بِأَلْسِنَةِ النَّباتِ عَلَى السَّحَابِ

ويَوْمٍ ناعِمِ الطَّرَفَيْنِ نَادٍ ... عَلِيلِ الْجَوِّ هَلْهَالِ الرَّبَابِ[١٤]

سَبَقْتُ بِهِ الشُّرُوقَ إِلَى التَّصَابِي ... بُكُوراً قَبْلَ تَنْعابِ الغُرابِ[١٥]

وسُقْتُ مَعَ الْغُواةِ كُمَيْتَ لَهْوٍ ... جَمُوحاً لا تَلِينُ عَلَى الْجِذَابِ[١٦]

إذَا أَلْجَمْتَها بِالْمَاءِ قَرَّتْ ... ودَارَ بِجِيدِها لَبَبُ الْحَبابِ[١٧]

مُوَرَّدَةً إذَا اتَّقَدَتْ بِكَفٍّ ... جَلَتْها لِلأَشِعَّةِ في خِضَابِ[١٨]

هُوَ الْعَصْرُ الَّذِي دَارَتْ عَلَيْنَا ... بِهِ اللَّذَّاتُ واضِعَةَ النِّقَابِ[١٩]

---

(١٠) الأدواح: جمع دوح، والدوح جمع دوحة ،وهي الشجرة العظيمة.

(١١) الرضاب: الريق المرشوف. وماء عذب الرضاب: أي سائغ طيّب هنيء .

(١٢) الغيد: جمع غيداء، وهي المرأة المتثنّية ليناً. والمنمّق: المحسّن المزيّن.

(١٣) الريّق: الخالص، وريّق السحب: ماؤها العذب النقيّ. والنزيف: السكران. ويريد بالشراب الخمر.

(١٤) ناد: بليل الهواء. وهلهال: رقيق. والرباب: السحاب الأبيض، واحدته ربابة.

(١٥) التصابي: الانهماك في دواعي الصبا، وجهل الفتوّة. وتنعاب: صياح.

(١٦) المراد بالغواة: الندامى. والكميت: الفرس لونها أحمر قانىء، ويريد بها الخمر. وجموحاً: صفة من جمح الفرس. ولا تلين على الجذاب: تأكيد لمعنى الجموح.

(١٧) ألجمتها بالماء: المراد مزجتها به. وقرت: استقرّت وسكنت. واللبب: موضع القلادة من العنق، وقد أطلقه هنا على القلادة نفسها. والحباب: نفّاخات الشراب، أي الفقاقيع التي تعلوه، واسمها اليعاليل.

(١٨) جلتها: أوضحتها وكشفتها. والخضاب: ما يختضب به، كالحنّاء ونحوه.

(١٩) النقاب: ما تغطّي به المرأة وجهها. ووضعتْ خِمارَها أو نقابها: خلعتْهُ، وكشفتْ عن وجهها. ووضع النقاب هنا: كناية عن الخلاعة، وترك الحياء، وركوب الهَوَى، والتمادي في اللّذات.

نُـجَـاهِـرُ بِـالْـغَـرَامِ وَلاَ نُـبَـالِـي	وَنَنْـطِقُ بِـالصَّـوابِ ولا نُـحَـابِي[٢٠]
فَـيَـا لَـكَ مِـنْ زَمَـانٍ عِـشْتُ فِـيـهِ	نَـدِيمَ الـرَّاحِ والْهِـيفِ الكِعَـابِ[٢١]
إِذَا ذَكَـرْتُـهُ نَـفْـسِـي أَبْـصَـرْتُـهُ	كَـأَنِّـي مِـنْـهُ أَنْـظُرُ فِـي كِـتَـابِ
تَـحَـوَّلَ ظِـلُّهُ عَـنِّـي وأَذْكَـى	بِـقَلْبِي لَـوْعَـةً مِثْـلَ الشِّـهَـابِ[٢٢]
كَـذَاكَ الـدَّهْـرُ مَـلَّاقٌ خَـلُوبٌ	يَغُـرُّ أَخَا الـطَّمَاعَـةِ بِـالْكِـذَابِ[٢٣]
فَـلاَ تَـرْكَـنْ إِلَـيْـهِ فَـكُـلُّ شَـيْءٍ	تَـرَاهُ بِـهِ يَـؤُولُ إِلَـى ذَهَـابِ
وَعِشْ فَـرْداً فَـمَـا فِي الـنَـاس خِـلٌّ	يَـسُـرُّكَ فِـي بِـعَـادٍ واقْـتِـرَابِ
حَـلَبْـتُ الـدَّهْـرَ أَشْـطُرَهُ مَـلِيَّـاً	وذُقْتُ الْعَـيْشَ مِنْ أَرْيٍ وَصَـابِ[٢٤]
فَـمَـا أَبْصَـرْتُ فِـي الإِخْـوَانِ نَـدْبَـاً	يَـجِـلُّ عَنِ الْـمَـلاَمَـةِ والْعِـتَـابِ[٢٥]
وَلَـكِـنَّـا نُـعَـاشِـرُ مَـنْ لَـقِـيـنَـا	عَـلَى حُكْـمِ الْمُـرُوءَةِ والتَّغَـابِي[٢٦]

وقَالَ وَهُوَ بِسَرَنْدِيبَ يَتَشَوَّقُ إلى مِصْرَ ، ويَرْثِي صَدِيقَيْهِ : الأَسْتَاذَ الشيخَ حُسَيْناً المَرْصَفِيَّ ، وعَبْدَ اللهِ باشا فِكْرِي★ :

أَيْـنَ أَيَّـامُ لَـذَّتِـي وشَـبَـابِـي ؟	أَتُـرَاهَـا تَـعُـودُ بَـعْـدَ الـذَّهَـابِ ؟

---

(٢٠) نحابي : نسامح ونجامل.

(٢١) الراح : الخمر. والهيف : جمع هيفاء، وهي المرأة الضامرة البطن والخاصرة. والكعاب : جمع كاعب، وهي الجارية نهد ثديها، أي ظهر وبرز.

(٢٢) أذكى : أشعل وأوقد. واللوعة : حرقة في القلب، وألم من حبّ أو همّ ونحوه. والشّهاب : شعلة من نار ساطعة.

(٢٣) ملاّق : خدّاع. وخلوب : خادع. ويغرّ : يخدع. والطماعة : الطمع.

(٢٤) حلبت الدهر أشطره : مرّ به خيره وشرّه. ومليّاً : أي زماناً طويلاً. والأرى : العسل. والصاب : شجر مرّ، الواحدة صابة. والمراد بأرى العيش وصابه : حلو الحياة ومرّها.

(٢٥) الندب : الخفيف في الحاجة ، والظريف والنجيب.

(٢٦) التغابي : التغافل.

(★) توفي عبد الله باشا فكري، والشيخ حسين المرصفي سنة ١٣٠٧ هـ.

ذاكَ عَـهْـدٌ مَضَـى وأَبْـعَـدُ شَـيْءٍ أنْ يَـرُدَّ الـزَّمـانُ عَهْـدَ التَّصَـابِي[1]

فَـأَدِيـرَا عَـلَيَّ ذِكْـراهُ إنِّـي مُـنْـذُ فـارَقْتُـهُ شَـدِيـدُ الـمُـصَـابِ

كُـلُّ شَـيءٍ يَـسْـلُوهُ ذُو الـلُّبِّ إلَّا مـاضِيَ اللَّهْـوِ فِي زَمـانِ الشَّبـابِ

لَيْتَ شِعْـرِي مَتَى أَرَى رَوْضَـةَ الْمَنـ ـيَـلِ ذَاتَ النَّخِيـلِ والأَعْـنَـابِ[2]

حَيْثُ تَـجْـرِي السَّفِيـنُ مُسْتَبِقَـاتٍ فَـوْقَ نَهْـرٍ مِثْـلِ اللُّجَيْنِ الْمُـذابِ[3]

قَـدْ أَحـاطَـتْ بِشَـاطِئَـيْـهِ قُصُـورٌ مُـشْـرِقَـاتٌ يَـلُحْـنَ مِثْـلَ الْقِبـابِ

مَـلْعَبٌ تَـسْـرَحُ الـنَّـوَاظِـرُ مِـنْـهُ بَـيْـنَ أَفْـنـانِ جَـنَّـةٍ وشِـعـابِ[4]

كُـلَّمـا شَـافَـهَ الـنَّسِـيـمُ ثَـراهُ عـادَ مِنْـهُ بِنَفْـحَـةٍ كَـالْـمَـلابِ[5]

ذاكَ مَـرْعَـى أُنْسِـي ومَـلْعَـبُ لَـهْـوِي وَجَنَى صَبْـوَتِي وَمَـغْنَـى صِحـابِي[6]

لَسْتُ أَنْسَـاهُ مـا حَيِيتُ وحـاشَـا أَنْ تَـرانِـي لِعَـهْـدِهِ غَيْـرَ صَـابِـي[7]

لَـيْسَ يَـرْعَـى حَـقَّ الْـوِدادِ ولا يَـذْ كُـرُ عَـهْـداً إلَّا كَـرِيمُ الـنِّصَـابِ[8]

فَـلَئِـنْ زالَ فـاشْـتِـيَـاقِـي إلَـيْـهِ مِثْـلُ قَـوْلِي بـاقٍ عَـلَى الأَحْقَـابِ[9]

يـا نَـدِيمَيَّ مِنْ « سَـرَنْـدِيبَ » كُـفَّـا عَـنْ مَـلامِـي وخَـلِّيَـانـي لِـمَـا بِـي

---

(١) يريد بعهد التصابي: زمن الشباب، ودواعي الصبا.

(٢) ليت شعري: ليتني أعلم.

(٣) السفين: اسم جمع لسفينة. واللجين: الفضّة.

(٤) الأفنان: جمع فنن، وهو الغصن. والشعاب: جمع شعب، وهو مسيل الماء.

(٥) شافهه: داناه وقاربه. والثرى: الندى والتراب النديّ والأرض. والملاب: عطر، أو هو الزعفران.

(٦) الجنى: كل ما يجنى. والصبوة: جهلة الفتوّة. والمغنى: المنزل الذي غنى به أهله، أي أقاموا فيه وعاشوا، ثم ظعنوا.

(٧) صاب: مائل، مشوق.

(٨) النصاب: الأصل.

(٩) الأحقاب: جمع حقب، وهو الدهر، أو السنة.

كَيْفَ لا أَنْـدُبُ الـشَّـبـابَ وقَـدْ أَصْـ ـبَحْتُ كَـهْـلاً في مِـحْـنَـةٍ واغْـتِـرابِ

أَخْلَقَ الـشَّـيْـبُ جِـدَّتِي وَكَـسَـانِـي خِـلْـعَـةً مِـنْـهُ رَثَّـةَ الْـجِلْبَـابِ[١٠]

وَلَـوَى شَـعْـرَ حـاجِـبَـيَّ عَـلَى عَـيْـ ـنَـيَّ حَـتَّـى أَطَـلَّ كـالْـهُـدَّابِ[١١]

لا أَرَى الـشَّـيْءَ حِـيـنَ يَـسْـنَـحُ إلَّا كَـخَـيـالٍ كَـأَنَّـنِي فـي ضَـبـابِ[١٢]

وإذَا مـا دُعِـيـتُ حِـرْتُ كَـأَنِّـي أَسْـمَـعُ الصَّـوْتَ مِـنْ وَرَاءِ حِـجـابِ

كُـلَّمَـا رُمْـتُ نَـهْـضَـةً أَقْـعَـدَتْـنِـي وَنْـيَـةٌ لا تُـقِـلُّـهـا أَعْـصـابِـي[١٣]

لـم تَـدَعْ صَـوْلَـةُ الْـحَـوَادِثِ مِـنِّـي غَـيْـرَ أَشْـلاءِ هِـمَّـةٍ فـي ثِـيَـابِ[١٤]

فَـجَـعَـتْـنِـي بِـوالِـدَيَّ وأَهْـلِي ثُـمَّ أَنْـحَـتْ تَـكُـرُّ فِـي أَتْـرَابِي[١٥]

كُـلَّ يَـوْمٍ يَـزُولُ عَـنِّـي حَـبِـيـبٌ يـا لِقَـلْبِـي مِـنْ فُـرْقَـةِ الأَحْـبَـابِ !

أَيْنَ مِنِّي (حُسَيْنُ) بَـلْ أَيْنَ (عَبْـدُ اللَّـ ـهِ) رَبُّ الْـكَـمـالِ والآدَابِ

مَـضَـيَـا غَـيْـرَ ذُكْـرَةٍ وبَـقَـاءُ الـذِّ كْـرِ فَـخْـرٌ يَـدُومُ لِـلأَعْـقَـابِ[١٦]

لَـمْ أَجِـدْ مِـنْهُـمـا بَـدِيـلاً لِـنَـفْـسِي غَـيْـرَ حُـزْنِي عَـلَيْـهِـمـا واكْـتِـئَـابِـي

---

(١٠) أخلق: أبلى وأفنى. وجدّ الشيء يجدّ جدّة: صار جديداً، وهو نقيض الخلق. والخلعة: ما تمنحه غيرك من الثياب. ورثّة: بالية.

(١١) الهدّاب: خمل الثوب، أي الخيوط التي تبقى في طرفيه دون أن يكمل نسجها.

(١٢) يسنح: يعرض ويظهر.

(١٣) رمت: أردت وطلبت. وونى في الأمر ونياً: ضعف وفتر، والونية: اسم مرة منه.

(١٤) الصولة: السطوة. والأشلاء: جمع شلو، وهو العضو، أو بقيّة الشيء.

(١٥) الفجع: أن يوجع الإنسان بشيء يكرم عليه فيعدمه. وأنحت: أقبلت. والكر: أن يفرّ الفارس للجولان، ثم يعود للقتال، والمراد: تصيب. والأتراب: جمع ترب، وهو من ولد معك، ومن ساواك في السنّ.

(١٦) الذكرة: ضدّ النسيان، والذكرة أيضاً: الصيت. والمعنى: أنهما مضيا ولم ينس صيتهما. والذكر: الصيت والثناء والشرف والعلاء. والأعقاب: جمع عقب، وهو ولد الرجل، وولد ولده

قَــدْ لَعَمْـرِي عَــرَفْتُ دَهْـرِي فــأَنْكَــرْ ... تُ أُمُــوراً مــا كُنَّ لي في حِســابِ[17]

وتَـجَنَّبْتُ صُـحْـبَـةَ الـنَّـاسِ حَـتَّـى ... كــانَ عَــوْنــاً على التُّقـاةِ اجْتِنــابِي[18]

لا أُبــالِـي بِــمــا يُــقــالُ وإِنْ كُــنْـ ... ـتُ مَــلِـيئــاً بِــرَدِّ كُــلِّ جَــوابِ[19]

قَــدْ كَفــاني بُعْـدِي عَنِ الـنَّــاسِ أَنِّي ... فــي أَمــانٍ مِنْ غِـيبَــةِ الْـمُغْـتَــابِ[20]

فَـلْيَقُــلْ حَــاسِـدِي عَـلـيَّ كَـمــا شَــا ... ءَ فَسَمْعِي عَنِ الْخَنَــا في احْتِجَــابِ[21]

لَـيْسَ يَـخْـفَـى عَـلَيَّ شَـيْءٌ ولَـكِـنْ ... أَتَغــابَى والْـحَـزْمُ إِلْفُ الـتَّـغَــابِـي[22]

وكَفَى بــالْـمَشِـيبِ وهْـوَ أَخُــو الْـحَـزْ ... مِ دَلِــيــلاً إِلى طَـرِيــقِ الـصَّــوابِ

إِنَّـمــا الْـمَــرْءُ صُــورَةٌ سَــوْفَ تَـبْـلَى ... وَانْتِهــاءُ الْعُمْــرانِ بَــدْءُ الخَــرابِ[23]

وقال يَرُوضُ القولَ(★) :

سَلُوا عَنْ فُـؤادِي قَبْـلَ شَــدِّ الـرَّكــائِبِ ... فَقَــدْ ضــاعَ مِنِّي بَيْنَ تِلْكَ الْـمَــلاعِبِ

أَغــارَتْ عَلَيْـهِ فــاحْتَـوَتْــهُ بِلَحْـظِهــا ... فَتــاةٌ لَهَا في السِّلْمِ فَتْكُ الْمُحَـارِبِ[1]

فَــلا تَبْـرَحُــوا أَوْ تَسْـأَلُــوهَــا فَــرُبَّمَــا ... أَعَــادَتْـهُ أَوْ جــاءَتْ بِــوَعْــدٍ مُقــارِبِ

---

(١٧) لعمري: وحياتي. يشير إلى أنه لما عرف دهره، وفطن لأحوال الناس في زمانه، أنكر كثيراً من أمورهم، ولم ترقه أخلاقهم، ولهذا صرّح في البيت الآتي بأنه اعتزلهم، واجتنب صحبتهم.

(١٨) التقاة: التقوى، وهي أن تحفظ نفسك مما يغضب الله تعالى.

(١٩) المليء: القادر على الشيء، يقال: هو مليء بكذا، أي مضطلع به.

(٢٠) الغيبة: أن تذكر غيرك بما يكره، أي أن تتكلم خلْفَ إنسان مستور بما يَغُمُّه لو سَمِعَه، فإن كان صِدْقاً سُمِّي غيبةً، وإنْ كان كِذباً سُمِّيَ بُهْتَاناً. يريد: أن بعده عن الناس جعله في أمن من شر الغيبة، ولكن عبارة البيت لا تحسن أداء هذا المعنى.

(٢١) الخنا: الفحش والقبح.

(٢٢) أتغابى: أتغافل، وأظهر الغباوة، وهي قلّة الفطنة.

(٢٣) تبلى: تهلك وتفنى.

(★) يروض القول: يذلله، ويمرّن نفسه عليه.

(١) اللحظ: النظر بمؤخر العين، وجمعه ألحاظ.

وكَيْـفَ تُـواريـهِ وَهَـذا أَنِينُـهُ ... يَـدُلُّ عَلَيـهِ السَّمْـعُ مِنْ كُـلِّ جـانِبِ

فَيَـا سَـرَوَاتِ الْحَيِّ هَـلاَّ أَجَبْتُمُ ... دعـاءَ فَتىً مِنْكُمْ قَـرِيبِ الْمَنَـاسِبِ[٢]

إذا لَـمْ تُعِينُـوني وَأَنْتُـمْ عَشِيـرتي ... فَسِيـرُوا وخَـلُّوني فَـلَسْتُ بِـذَاهِـبِ

أَيَـذْهَـبُ قَلْبِـي غيـلَةً ثُـمَّ لا أرَى ... لَـهُ بَيْنَكُـمْ مِنْ ثـائـرٍ أَوْ مُـطالِـبِ

إذا الْمَـرءُ لَمْ يَنْصُـرْ أَخَـاهُ بَنَفْسِـهِ ... لَـدَى كُـلِّ مَكْـرُوهٍ فَلَيْسَ بِصـاحِبِ

فَـلا تَعْـذُلُـوني إنْ تَخَلَّفْتُ بَعْـدَكُـمْ ... فَمـا أَنَـا عَنْ مَثْـوَى الْفُؤَادِ بِـراغِبِ[٣]

فَـثَـمَّ جَـنَـابٌ لا يُـراعُ نَـزِيـلُهُ ... بِـنَـائِـرَةٍ لَـوْلا عُيُـونُ الْكَـوَاعِبِ[٤]

إذا سـارَ فِيـهِ الـطِّرْفُ قِيـدَ بَنـانَـةٍ ... تَعَثَّـرَ مـا بَيْنَ الْقنـا والْـقَـوَاضِبِ[٥]

وبَيْنَ الْعَـوالِي فِي الْخُـدُورِ نَـوَاشِـىءٌ ... مِنَ الْعَينِ حُمْـرُ الْحَلْي بِيضُ التَّرائِبِ[٦]

إِذَا هُـنَّ رَفَّـعْـنَ السُّـجُـوفَ أَرَيْـنَـنـا ... مَحَاسِنَ تَـدْعُـو لِلصِّبا كُـلَّ راهِبِ[٧]

جَـلَوْن بِـحُـلْوانَ الْـوُجُـوهَ كَـوَاكِـبـاً ... فَيـا مَنْ رَأى فِي الأَرْضِ سَيْرَ الْكَواكِبِ

---

(٢) السـروات: جمع سَـراة، اسم جمع لسَـري، وهو الـرئيس الشريف ذو المـروءة. والحيّ: العشيرة، أو البطن من بطون العرب، وهو دون القبيلة. والمناسب: الأنساب والقرابات.

(٣) لا تعذلوني: لا تلوموني. ومثوى الفؤاد: مقامه ومستقرّه.

(٤) الجناب: فناء الدار أو المحلّة أو الناحية. ويقال: أنا في جناب فلان، أي في كنفه ورعايته. والنائرة: العداوة والشحناء. والكواعب: جمع كاعب، وهي الجارية التي كعب ثديها، أي نهد وبرز، وظهر، وارتفع.

(٥) الطرف: العين، أو هي الطِّرف، وهو الحصان الكريم. وقيد: قدر. يقال بينهما قيد شبر، أي مقدار شبر. والبنانة: واحدة البنان، وهي أطراف الأصابع. والقنا: جمع قناة، وهي الرمح. والقواضب: جمع قاضب، وهو السيف القطّاع

(٦) العوالي: جمع عالية، وهي أعلى الرمح، أو النصف الـذي يلي السنان، أو رأس الـرمح. والخدور: جمع خدر، وهو الستر. والنواشىء: جمع ناشئة، وهي الجارية جاوزت حدّ الصغر وشبّت. والعين: جمع عيناء، وهي التي عظم سواد عينها في سعة مستحسنة. والترائب: عظام الصدر، واحدتها تريبة، والمراد أنهن بيض الأجسام.

(٧) السجوف: جمع سجف، وهو الستر. والصِّبا: جهلة الفتوّة، واللهو من الغزل والعشق والغرام.

وَفَــوَّقْنَ أَلْحَــاظــاً فَــأَصْمَيْـنَ أَنْفُســاً بِــلا تِـرَةٍ إِلَّا مَـجَـانَـةَ لاعِـبِ[٨]

فَكَمْ مِنْ صَـريـعٍ في حَبـائِـلِ مُقْلَةٍ وَكَـمْ مِنْ أَسِـيـرٍ فِي قُـيُـودِ ذَوائِـبِ[٩]

لَعَمْـرُكَ مـا فِي الأَرْضِ وَهْيَ رَحِيبَـةٌ كَغِـزْلانِ هَـذَا الْحَيِّ عُـذْرٌ لِنَاسِبِ[١٠]

فَـلا تَـطْلُبَـنَّ الْحُسْنَ فـي غَيْـرِ أَهْـلِهِ فَـأَبْدَعُ مـا فِي الأَرْضِ حُسْنُ الأَعـارِبِ

فَهُنَّ الأُلى عَـوَّدْنَ قَلْبِي عَلى الْهَـوَى وأَخْـلَفْنَ ظَـنِّي بِـالْـعِـدَاتِ الْكَـوَاذِبِ

وتَـيَّـمْـنَـنِي حَـتَّـى إذا مـا تَـرَكْـنَنِي أَخَـا سَـقَمٍ أَسْـلَمْنَنِي لِـلنَّـوائِـبِ[١١]

وَمَــا كُنْتُ لَـوْلاهُنَّ أَسْتَقْبِـلُ الـصَّبَـا وأَسْأَلُ عَنْ أَهْلِ الْحِمَى كُـلَّ راكِبِ[١٢]

وَمَــا زَاد مــاءُ الـنِّـيـلِ إلاَّ لأَنَّــنِـي وَقَـفْتُ بِـهِ أَبْكِي فِـرَاقَ الْـحَبَـائِـبِ

فَيـا صاحِبِي هَـلْ مِنْ فَكَـاكٍ لِـوَاقِـعٍ بِـأَسْـرِ الْهَـوَى أَوْ مِنْ نَجـاةٍ لِهَـائِبِ

خَضَعْتُ لأَحْكَـامِ الْهَـوَى بَعْـدَ عِـزَّةٍ ومَا كُنْتُ لَوْلَا الْحُبُّ طَوْعَ الْجَواذِبِ[١٣]

وإنَّـا أُنَـاسٌ لا تَـهَـابُ نُـفُـوسُـنَـا لِقَـاءَ الأَعَـادِي أَوْ قِـرَاعَ الْكَتَـائِبِ[١٤]

نَـرُدُّ عَـلَى الأَعْـقَـابِ كُـلَّ سَـرِيَّـةٍ ونَعْجَـزُ عَنْ نَبْـلِ الْعُيُـونِ الْصَّـوائِبِ

---

(٨) فوّق السّهم: جعل له فُوقاً (بضم الفاء)، وهو موضع الوتر من السهم، أو فوَّقه: وضعه في الوتر عند الرمي. وأصمى الصائد الصيد: رماه فقتله مكانه وهو يراه. والترة: الذحل، أي الثأر. والمجانة: عدم المبالاة، أو الهزل.

(٩) الذوائب: جمع ذؤابة، وهي الضفيرة من الشعر إذا كانت مرسلة.

(١٠) يريد بالغزلان: الفتيات الجميلات. ونسب الشاعر بالمرأة نسباً ونسيباً: شبَّبَ بِها في الشعر، وتغزّل، وعَرَّض بهواها وحبِّها.

(١١) تيّمه تتييماً: استعبده، وذلّله، وذَهَب بعقله. وسقم: مرض. والنوائب: النوازل والشدائد.

(١٢) الصَّبا: الريح تهبّ من مطلع الشمس. والحمى: المكان الذي لا يقرب، ولا يُجترَأ عليه. ويريد بالحمى: ديار الأحبّاء.

(١٣) يراد بالجواذب: الحسان اللائي يجتذبن العُشّاق إليهنّ بحسنهنّ. أو يرادّ بها: دواعي الهوى وآثاره.

(١٤) القراع: القتال والمغالبة. والكتائب: جمع كتيبة، وهي الفرقة من الجيش.

فَلَوْ كـانَ هـذا الْحُبُّ شَخْصـاً مُحارِبـاً لأَوْجَـرْتُـهُ فَـوْهَـاءَ رَيَّـا الْجَـوانِبِ[١٥]
وَلَكِنَّـهُ الْـخَصْـمُ الَّـذِي خَضَـعَتْ لَـهُ رِقـابُ أُنـاسٍ أَخْضَعُـوا كُـلَّ غـالِبِ
فَـلاَ يَحْسَبَنَّ النّـاسُ قَـوْلِي فُكَـاهَـةً فـإِنَّ الْهَـوَى بَحْـرٌ كَثِيـرُ الْعَجَـائِبِ
إِذا الْـمَـرْءُ لم يَـفْـرِ الأُمُـورَ بِـعِلْمِـهِ تَحَيَّـرَ مـا بَيْنَ اخْتِـلافِ الْمَـذاهِبِ[١٦]

وقالَ وَهُوَ بِسَرَنْدِيبَ :

لِـكُـلِّ دَمْـعٍ مِـنْ مُـقْـلَةٍ سَـبَـبُ وَكَـيْفَ يَـمْلِكُ دَمْـعَ الْعَيْـنِ مُكْـتَئِبُ ؟
لَـوْلاَ مُكَـابَـدَةُ الأَشْـوَاقِ مـا دَمَعَـتْ عَيْنٌ وَلاَ بَـاتَ قَلْبٌ في الْحَشَـا يَجِبُ[١]
فَيَـا أَخَـا الْعَـذْلِ لا تَعْجَلْ بِـلائِمَـةٍ عَـلَيَّ فَـالْحُبُّ سُلْطَانٌ لَـهُ الْغَلَبُ[٢]
لَـوْ كَـانَ لِلْمَـرْءِ عَقْـلٌ يَسْتَضيءُ بِـهِ فِي ظُلْمَـةِ الشَّكِّ لم تَعْلَقْ بِـهِ النُّوَبُ[٣]
وَلَـوْ تَبَيَّـنَ مـا في الْغَيْبِ مِنْ حَـدَثٍ لَـكَـانَ يَـعْـلَمُ مـا يَـأْتِـي وَيَـجْـتَـنِـبُ
لَـكِنَّـهُ غَـرَضٌ لِـلدَّهْـرِ يَـرْشُـقُـهُ بِـأَسْهُـمٍ مـا لَـهـا رِيشٌ ولا عَـقَـبُ
فَـكَـيفَ أَكْتُـمُ أَشْـوَاقِـي وَبِـي كَـلَفٌ تَكَـادُ مِنْ مَسِّـهِ الأَحْشَـاءُ تَـنْشَعِبُ ؟
أَمْ كَـيْفَ أَسْلُو وَلِي قَـلْبٌ إِذَا الْتَـهَبَـتْ بِـالأُفْـقِ لَمْـعَـةُ بَـرْقٍ كَـادَ يَلْتَـهِبُ ؟
أَصْبَحْتُ فِي الْحُبِّ مَطْوِيّـاً عَلَى حُـرَقٍ يَكَـادُ أَيْسَـرُهَـا بِـالـرُّوحِ يَنْتَشِبُ[٤]
إِذَا تَـنَفَّـسْتُ فَـاضَـتْ زَفْـرَتِـي شَـرَراً كَمَـا اسْتَـنَـارَ وَرَاءَ الْقَـدْحَـةِ اللَّهَبُ

---

(١٥) أوجره الرمح : طعنه به في فيه. وطعنة فوهاء : واسعة. وروى من الماء فهو ريّان وهي ريّا.
والمراد : أن الدم يسيل من جوانب هذه الطعنة.
(١٦) فرى الشيء يفريه : قطعه على وجه الإصلاح. والمراد معالجة الأمور بتدبّر ورويّة وإصلاح.
(١) مكابدة : مقاساة. ووجب القلب يجب وجيباً : إضطرب.
(٢) العذل : اللوم ، ومثله اللائمة والملامة.
(٣) النوب : النوازل والمصائب.
(٤) الحرق : جمع حرقة، وهي الاحتراق. وينتشب : يعتلق، والمراد يقضي على الروح.

لم يَبْقَ لِي غَيْرَ نَفْسِي مـا أَجُـودُ بِـهِ ... وَقَـدْ فَعلْتُ فَهَـلْ مِنْ رَحْمَـةٍ تَجِبُ ؟

كَـأَنَّ قَـلْبِـي إِذَا هَـاجَ الْـغَـرَامُ بِـهِ ... بَيْنَ الْحَشَا طـائِـرٌ في الْفَخِّ يَضْـطَرِبُ

لا يَتْـرُكُ الْحُـبُّ قَلْبِي مِنْ لَـواعِـجِـهِ ... كَـأَنَّمَـا بَيْـنَ قَلْبِـي والْهَـوَى نَـسَبُ(٥)

فَـلا تَـلُمْنِـي عَلَى دَمْـعٍ تَـحَـدَّرَ في ... سَفْـحِ الْعَقِيقِ فَلِي في سَفْحِهِ أَرَبُ(٦)

مَـنَـازِلُ كُـلَّمـا لاحَـتْ مَـخَـايِـلُهَـا ... في صَفْحَةِ الْفِكْرِ مِنِّي هـاجَنِي طَرَبُ(٧)

لِي عِنْـدَ سَـاكِنِهَـا عَهْـدٌ شَقِيتُ بِـهِ ... وَالْعَهْـدُ مـا لم يَصُنْـهُ الْـوُدُّ مُنْقَضِبُ(٨)

وعَـادَ ظَنِّي عَـلِيـلاً بَـعْـدَ صِـحَّـتِـهِ ... والـظَّنُّ يَـبْـعُـدُ أَحْيَـانـاً ويَـقْـتَـرِبُ

فَيَـا سَرَاةَ الْحِمَى مـا بَـالُ نُصْـرَتِكُمْ ... ضـاقَـتْ عَلَيَّ وأَنْـتُمْ سـادَةٌ نُـجُـبُ(٩)

أَضَعْتُـمُـوني وكـانَـتْ لِي بِكُمْ ثِـقَـةٌ ... مَتَى خَفَـرْتُمْ ذِمَامَ الْعَهْـدِ يا عَـرَبُ ؟(١٠)

أَلَيْسَ في الحَقِّ أَنْ يَلْقَى النَّـزِيـلُ بِكُمْ ... إِمْنـاً إذا خافَ أَنْ يَنْتَـابَـهُ الْعَـطَبُ ؟(١١)

فَـكَـيْـفَ تَـسْـلُبُـنِـي قَـلْبِـي بِـلاَ تِـرَةٍ ... فَتـاةُ خِـدْرٍ لَهَـا فِي الْحَيِّ مُنْتَسَبُ ؟(١٢)

مَـرَّتْ عَلَيْنَـا تَهَـادَى في صَـوَاحِبِهَـا ... كَـالْبَـدْرِ في هَـالَـةٍ حَفَّتْ بِـهِ الشُّهُبُ

---

(٥) اللواعج : حرق الحب .

(٦) تحدّر : تنزّل وانصبّ . والعقيق : الوادي ، أوْ اسم لموضع يريده الشاعر . وسفح العقيق : عرضه وناحيته . والسفح في آخر البيت قد يكون بمعنى إرسال الدمع ، وقد يكون بمعنى الناحية ، والضمير المتصل به صالح لأن يعود على الدمع ، أو أن يعود على العقيق . والأرب : الحاجة .

(٧) المخايل : جمع مخيلة ، وهي في الأصل الظنّ ، والمراد بمخايل المنازل : صورها .

(٨) مُنقضب : منقطع .

(٩) السراة : اسم جمع لسريّ ، وهو الشريف السخيّ ذو المروءة . والحمى : المكان أو الشيء المحظور الذي لا يقرب ، ولا يجترأ عليه . ونجب : جمع نجيب ، وهو الكريم الحسب .

(١٠) خفرتم : نقضتم . والذمام : الحرمة .

(١١) العطب : الهلاك .

(١٢) الترة : الذحل ، وهو الثأر . ووتره : أصابه بمكروه . والخدر : الستر . وجارية مخدّرة : أي لزمت الخدر . والحيّ : القبيلة من العرب . ولها في الحيّ منتسب : أي أصيلة في قومها .

تَهْتَـزُّ مِنْ فَـرْعِهـا الْفَيْنَـانِ في سَـرَقٍ كَسَمْهَـرِيٍّ لـهُ مِنْ سَـوْسَنٍ عَـذَبُ[13]

كَـأَنَّ غُـرَّتَـهَـا مِنْ تَـحْـتِ طُـرَّتِـهَـا فَجْـرٌ بِجَـانِحَـةِ الـظَّلْمَـاءِ مُنْتَقِبُ[14]

كـانَتْ لنـا آيَـةً في الْحُسْنِ فـاحْتَجَبَتْ عَنَّـا بِلَيْـلِ النَّـوَى والْبَـدْرُ يَحْتَجِبُ[15]

فَـهَـلْ إلى نَـظْرَةٍ يَـحْـيَـا بِـهَـا رَمَـقٌ ذَرِيعَـةٌ تَبْتَغِيهـا النَّفْسُ أو سَبَبُ ؟

أَبِيتُ فـي غُـرْبَـةٍ لا النَّفْسُ راضِيَـةٌ بهـا وَلاَ الْمُلْتَقى مِنْ شِيعَتِي كَثَبُ[16]

فَـلا رَفِـيقٌ تَسُـرُّ النَّـفْسَ طَلْعَـتُـهُ ولا صَـدِيـقٌ يَـرَى مـا بِي فَـيَكْـتَئِبُ

وَمِـنْ عَجَـائِب مَـا لاَقَيْتُ مِنْ زَمَنِي أَنِّي مُنِيتُ بِـخَـطْبٍ أَمْـرُهُ عَجَبُ[17]

لَـم أَقْتَـرِفْ زَلَّـةً تَـقْضِـي عَـلَيَّ بمـا أَصْبَحْتُ فيهِ فَماذَا الْوَيْلُ والْحَرَبُ ؟[18]

فَـهَـلْ دِفَـاعِي عَـنْ دِيني وَعَنْ وَطَـنِي ذَنْـبٌ أُدَانُ بِـهِ ظُـلْمـاً وأُغْـتَـرِبُ ؟

فَـلاَ يـظُنَّ بِـيَ الْـحُـسَّـادُ مَـنْـدَمَـةً فَـإِنَّنِي صـابِـرٌ فِي اللهِ مُـحْـتَسِبُ

أَثْـرَيْتُ مَجْـداً فَلَمْ أَعْبَـأْ بِمَـا سَلَبَتْ أَيْـدِي الْحَـوادِثِ مِنِّي فَهْـوَ مُكْتَسَبُ

لا يَخْفِضُ الْبُؤْسُ نَفْسـاً وَهْـيَ عَـالِيَـةٌ وَلاَ يُشِيـدُ بِـذِكْـرِ الْخَـامِـلِ النَّشَبُ[19]

---

(١٣) الفرع: الشعر التامّ. والفينان: الحسن الطويل. والسرق: الحرير. والسمهريّ: الرمح المنسوب إلى سمهر زوج ردينة، وكانا مثقّفين للرماح. والسوسن: نبات مشموم، عريض الورق من الرياحين. والعذب: أغصان الشجر، الواحدة بهاء، والعذبة أيضاً: طرف كل شيء.

(١٤) الغرّة: بياض الجبهة. والطرّة: الشعر الموفى على الجبهة تطرّه الجارية، أي تحفه وتصفّفه وتسوّيه. وجانحة: اسم فاعل من جنح الليل إذا أدبر ومال للذهاب. والظلماء: ظلمة الليل. وانتقبت المرأة: غطّت وجهها بالنقاب.

(١٥) النوى: البعد.

(١٦) شيعة الرجل: أتباعه وأنصاره. والكثب: القرب.
والمعنى: أن اللقاء أو مكانه غير قريب.

(١٧) منيت بالشيء: بُليت به وأصبت. والخطب: الأمر الشديد.

(١٨) اقتراف الزلّة: مخالطتها وارتكابها. والويل: العذاب. والحَرَب: أي اشتدّ غَضبه.

(١٩) النشب: المال والعقار.

إنِّي امْـرُؤٌ لا يَـرُدُّ الخَـوْفُ بـادِرَتِـي ولا يَحِيفُ عَلَى أَخْـلاَقِيَ الْغَـضَبُ[٢٠]

مَـلَكْتُ حِـلْمِي فَـلَمْ أَنْـطِقْ بِمُـنْـدِيَـةٍ وَصُنْتُ عِرْضِي فَلَم تَعْلَقْ بِهِ الـرِّيَبُ[٢١]

ومـا أُبَـالِي ونَفْسِي غَـيْـرُ خـاطِئَـةٍ إذا تَـخَـرَّصَ أَقْـوامٌ وَإِنْ كَـذَبُـوا[٢٢]

هـا إنَّها فِـرْيَـةٌ قَـدْ كـانَ بـاءَ بِهـا في ثَوْبِ « يُوسُفَ » مِنْ قَبْلِي دَمٌ كَذِبُ[٢٣]

فـإِنْ يَكُنْ سَـاءَنِي دَهْـرِي وغَـادَرَنِي في غُـرْبَـةٍ لَيْسَ لِي فيهـا أَخٌ حَـدِبُ[٢٤]

فَسَوْفَ تَصْفُـو اللَّيَـالِي بَعْدَ كُـدْرَتِهـا وكُـلُّ دَوْرٍ إذا مـا تَـمَّ يَـنْـقَـلِبُ[٢٥]

وقال[★] :

وَلَمَّـا تَـدَاعَى الْقَـوْمُ واشْتَبَـكَ الْقَنَـا ودَارَتْ كَمَا تَهْوَى عَلَى قُطْبِها الْحَرْبُ[١]

وَزُيِّـنَ لـلنَّـاسِ الْـفِـرارُ مِـنَ الـرَّدَى وَمَاجَتْ صُدُورُ الْخَيْلِ والْتَهَبَ الضَّرْبُ[٢]

ودَارَتْ بِـنَـا الأَرْضُ الْفَـضَـاءُ كَـأَنَّنـا سُقِينَـا بِكَأْسٍ لا يُفِيقُ لَهَـا شَـرْبُ[٣]

صَبَـرْتُ لَهـا حَتَّى تَجَلَّتْ سَـمـاؤُهـا وإِنِّـي صَبُـورٌ إِنْ أَلَـمَّ بِيَ الْـخَـطْبُ[٤]

---

(٢٠) يحيف: يجور، ويطغى.

(٢١) المندية: المخزية، لأنها إذا ذكرت نَدِي جبين صاحبها حياء. والريب: جمع ريبة، وهي التهمة والشكّ.

(٢٢) تخرّص القول: افتعله وافتراه واختلقه.

(٢٣) فرية: تهمة مصنوعة مختلقة. وباء: رجع. ويوسف الصدّيق بن يعقوب عليهما السلام رماه إخوته في غيابة الجبّ.

(٢٤) تحدّب: تعطّف. وهو حدب على أخيه أي عاطف راحم.

(٢٥) الكدرة: ضد الصفو.

(★) يبدو لنا أن هذه الأبيات ممّا نظمه البارودي في حرب «كريد» أولى الحروب التي خاض غمارها سنة ١٢٨٢ ـ ١٢٨٤ هـ (١٨٦٥ ـ ١٨٦٧ م) وهو في الثامنة والعشرين.

(١) تداعى القوم: اعتزوا في الحرب، أي انتسبوا إلى آبائهم وقبائلهم، أو تجمّعوا. والقنا: جمع قناة، وهي الرمح. وقطب الرحى: حديدة تدور عليها.

(٢) الردى: الهلاك.

(٣) المرادُ بالشُّرْب: السكارى. (٤) تجلّت: تكشّفت. والخطب: الأمر الشديد.

وقال :

مَنْ صَاحَبَ الْعَجْزَ لَمْ يَظْفَرْ بِمَا طَلَبَا ... فارْكَبْ مِنَ الْعَزْمِ طِرْفاً يَسْبِقُ الشُّهُبَا[1]

لا يُدْرِكُ الْمَجْدَ إلّا مَنْ إذا هَتَفَتْ ... بِهِ الْحَمِيَّةُ هَزَّ الرُّمْحَ وانْتَصَبَا[2]

يَسْتَهِلُ الصَّعْبَ إنْ هاجَتْ حَفِيظَتُهُ ... ولا يُشَاوِرُ غَيْرَ السَّيْفِ إنْ غَضِبَا[3]

يَنْهَلُّ صارِمُهُ حَتْفاً وَمَنْطِقُهُ ... سِحْراً حَلالاً إذا ما صَالَ أَوْ خَطَبَا[4]

إنْ حَلَّ أَرْضاً حَمَى بِالسَّيْفِ جانِبَهَا ... وإنْ وَعَى نَبْأَةً مِنْ صارِخٍ رَكِبَا[5]

فَذَاكَ إنْ يَحْيَ تَحْيَ الأَرْضُ في رَغَدٍ ... وَإنْ يَمُتْ يَنْقَلِبْ صِدْقُ الْمُنَى كَذِبَا

فَاحْمِلْ بِنَفْسِكَ تَبْلُغْ ما أَرَدْتَ بِهَا ... فَاللَّيْثُ لا يَرْهَبُ الأَخْطَارَ إنْ وَثَبَا

وَجُدْ بِمَا مَلَكَتْ كَفَّاكَ مِنْ نَشَبٍ ... فَالْجُودُ كَالْبَأْسِ يَحْمِي الْعِرْضَ والنَّسَبا[6]

لا يَقْعُدُ الْبَطَلُ الصِّنْدِيدُ عَنْ كَرَمٍ ... مَنْ جادَ بالنَّفْسِ لَمْ يَبْخَلْ بِمَا كَسَبَا[7]

وقَال يَصِفُ لَيْلَةَ أُنْس :

وَلَيْلَةِ أُنْسٍ قَصَّرَ اللَّهْوُ طُولَهَا ... بِعَذْرَاءَ شَابَتْ وَهْيَ دُونَ حِجَابِ[1]

صَدَعْنَا بِهَا الظَّلْمَاءَ حَتَّى تَبَلَّجَتْ ... ضَبَابَتُهَا مِنْ ضَوْئِهَا بِشِهَابِ[2]

---

(١) الطرف: الكريم من الخيل. والشهب: ما ينقضّ بالليل شبيهاً بالكواكب.

(٢) الحميّة: الأنفة والاستكبار.

(٣) الحفيظة: الحميّة والغضب، والمراد أنه لا يلجأ إلا إلى القوّة إذا غضب.

(٤) الصارم: السيف القاطع. والحتف: الهلاك. وصال: وثب للقتال.

(٥) وعى الشيء: حفظه وتدبّره، والمراد (هنا): سمع. والنبأة: الصوت الخفيف. ويراد بالشطر الثاني أنّه إن سمع مستصرخاً ركب جَوَادَهُ، وسارعَ إلى إنجاده وإغاثته.

(٦) نشب: مال.

(٧) الصنديد: السيد الشريف الشجاع.

(١) يراد بالعذراء (هنا): الخمر لم تتناولها كفّ شارب.

(٢) صدعنا: شققنا وفرّقنا. وتبلّجَتْ: أضاءت وأشرقت. والشهاب: شعلة من نار ساطعة.

مُعَتَّقَةٍ كانَتْ ذَخِيرَةَ مَعْشَرٍ ... لأَبْنائِهِمْ فِي جَوْفِ أَقْتَمَ كابِي(٣)

أَتَتْ دُونَها الأَيَّامُ حَتَّى تَخَلَّصَتْ ... فَلَمْ يَبْقَ منها الْيَومَ غَيْرُ لُبابِ(٤)

إِذَا اتَّقَدَتْ في الْكَأْسِ خِلْتَ مُدِيرَها ... تَخَضَّبَ مِنْهَا كَفُّهُ بِخِضابِ

كَأَنَّ سَنَا الْكاساتِ والنَّدُّ ساطِعٌ ... نُجُومٌ تَراءَتْ مِنْ خِلالِ ضَبابِ(٥)

فَيَا حُسْنَهَا مِنْ لَيْلَةٍ غَيْرَ أَنَّها ... تَوَلَّتْ ولَمْ نَشْعُرْ لَها بِذَهابِ

وقَدْ لاحَ بِالظَّلْماءِ فَجْرٌ كَأَنَّهُ ... بَياضُ مَشِيبٍ في سَوَادِ شَبابِ

وقال:

قُمْ هَاتِها والَّيْلُ مَالَ عَمُودُهُ ... لِلْغَرْبِ وانْتَشَرَتْ جُنُودُ الْمَغْرِبِ(١)

وبَدَا الْهِلالُ عَلَى الأَصِيلِ كَأَنَّهُ ... نُونٌ مُفَضَّضَةٌ بِرَقٍّ مُذْهَبِ(٢)

وقالَ في الْغَزَلِ:

يَا مَنْ رَأَى الشَّادِنَ في سِرْبِهِ ... يَتِيهُ بِالْحُسْنِ عَلَى تِرْبِهِ(١)

أَرْسَلَ فَرْعَيْهِ لِكَي يَعْبَثَا ... بِأُكْرَتَي نَهْدَيْهِ مِنْ عُجْبِهِ(٢)

---

(٣) الأقتم: ما كان لونه أغبر ضارباً إلى سوادٍ، أو حمرةٍ. وفي جوف أقتم: أي في جوف دنّ يعلوه سواد، لما طلي به من القار. وكاب: كمد اللون متغيّره.

(٤) لباب كل شيء: خالصه.

(٥) السنا: الضوء. والندّ: عود يتبخّر به. ويراد بالند (هنا): دخان البخور. وساطع: مرتفع.

(١) يقصد بميل عمود الليل إلى الغرب: انتشار الظلمة بعد غروب الشمس. وجنود المغرب: ما يظهر من النجوم في ناحية الغرب في أول الليل.

(٢) الرق: جلد رقيق يكتب فيه.

(١) الشادن: الظبي إذا قوي، واستغنى عن أمّه، ويراد به هنا: الجارية الحسناء المترعرعة. والسرب: القطيع من الظباء. والمراد: جماعة النساء. والترب: اللِّدَة: وهو من ولد معك، ومن كانت سنّه مثل سنّك.

(٢) الفرع: الشعر الطويل التامّ. والأكرة: لغة في الكرة. والنهد: الثدي.

أَحْتَمِلُ الْمَكْرُوهَ مِنْ أَجْلِهِ وأَبْذُلُ الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ
قَدْ لامَنِي الْعَاذِلُ فيهِ ولَوْ رَأى الْهُدَى أقْصَرَ عَنْ عَتْبِهِ[٣]
وهَلْ يُطِيقُ الْمَرْءُ سَتْرَ الْهَوَى مِنْ بَعْدِ ما اسْتَوْلَى عَلَى لُبِّهِ[٤]
تَقَلُّبُ الْعَينِ دَلِيلٌ عَلَى ما أَضْمَرَ الإنْسَانُ في قَلْبِهِ
يا سامَحَ اللهُ عُيُونَ الْمَهَا فَهُنَّ عَوْنُ الدَّهْرِ في حَرْبِهِ
أَمَا كَفَى ما جَرَّ أَحْدَاثُهُ ؟ حَتَّى دَعَا الْغِيدَ إلى حِزْبِهِ[٥]

وقَالَ :

أَفَتَّانَةَ الْعَينَيْنِ كُفِّي عَنِ الْقَلْبِ وصُونِي حِمَاهُ فَهُوَ مَنْزِلَةُ الْحُبِّ
ولا تُسْلِمِي عَيْنَيَّ لِلسُّهْدِ والْبُكَا فَإِنَّهُمَا مَجْرَى هَواكِ إلَى قَلْبِي
وإنِّي لَراضٍ مِنْ هَواكِ بِنَظْرَةٍ وَحَسْبِي بها إنْ أَنْتِ لم تَبْخَلِي حَسْبِي
إذا كانَ ذَنْبِي أَنَّ قَلْبِي مُعَلَّقٌ بِحُبِّكِ يا لَيْلَى فلا تَغْفِرِي ذَنْبِي

وقَالَ :

قَالَتْ وقَدْ سَمِعَتْ شِعْرِي فَأَعْجَبَها إنِّي أَخَافُ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ أَبِي
أَرَاهُ يَهْتِفُ بِاسْمِي غَيْرَ مُكْتَرِثٍ ولَوْ كَنَى لَمْ يَدَعْ لِلظَّنِّ مِنْ سَبَبِ[١]
فَكَيْفَ أَصْنَعُ إنْ ذَاعَتْ مَقَالَتُهُ مَا بَيْنَ قَوْمِي وهُمْ مِنْ سادَةِ الْعَرَبِ ؟
فَنَازَعَتْهَا فَتَاةٌ مِنْ صَوَاحِبِهَا قَوْلاً يُؤَلِّفُ بَيْنَ الْمَاءِ واللَّهَبِ[٢]

---

(٣) العاذل: اللائم. والعتب: اللوم.
(٤) اللبّ: العقل.
(٥) أحداث الدهر: نوائبه ومصائبه. والغيد: جمع غيداء، وهي المرأة الناعمة، المتثنّية ليناً.
(١) الكناية: أن تتكلّم بشيء وتريد به غيره.
(٢) نازعتها: جاذبتها.

قالَتْ دَعِيهِ يَصُوغُ الْقَوْلَ في جُمَلٍ مِنَ الْهَوَى فَهْيَ آياتٌ مِنَ الأَدَبِ
وما عَلَيْكِ وفي الأَسْماءِ مُشْتَرَكٌ إنْ قالَ في الشِّعْرِ يا لَيْلَى ولَمْ يَعِبِ ؟
وحَسْبُهُ مِنْكَ داءٌ لَوْ تَضَمَّنَهُ قَلْبُ الْحَمامَةِ ما غَنَّتْ على عَذَبِ[٣]
فاسْتأْنَسَتْ ثُمَّ قالَتْ وَهْيَ باسَمَةٌ إنْ كانَ ما قُلْتِ حَقّاً فَهْوَ في تَعَبِ
يا حُسْنَهُ مِنْ حَدِيثٍ شَفَّ باطِنُهُ عَنْ رِقَّةٍ أَلْبَسَتْنِي خِلْعَةَ الطَّرَبِ[٤]

وقالَ :

أَلا يا لَقَوْمِي مِنْ غَزالٍ مُرَبَّبِ يَجُولُ وِشاحاهُ على فَنَنٍ رَطْبِ[١]
تَعَرَّضَ لِي يَوْماً فَصَوَّرْتُ حُسْنَهُ بِبَلُّورَتَيْ عَيْنَيَّ في صَفْحَةِ الْقَلْبِ

وقالَ :

ذَهَبَ الهَوَى بِمَخِيلَتِي وشَبابِي وأَقَمْتُ بَيْنَ مَلامَةٍ وعِتابِ[١]
هِيَ نَظْرَةٌ كانَتْ حِبالَةَ خُدْعَةٍ مَلَكَتْ عَلَيَّ بَدِيهَتِي وصَوابِي[٢]
نَصَبَتْ حَبائِلَ هُدْبِها فَتَصَيَّدَتْ قَلْبِي فَراحَ فَرِيسَةَ الأَهْدابِ[٣]
ما كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ طارِقَةِ الْهَوَى أَنَّ الْعُيُونَ مَصايِدُ الأَلْبابِ[٤]

---

(٣) العَذَب : جمع عذبة، وهي غصن الشجرة.
(٤) شفّ : كشف. والخلعة : ما يعطيه الإنسان غيره من الثياب منحة.
(١) مربّب : مربّىً، يقال : ربّب الرجل الصبيّ، أي ربّاه حتى أدرك. والمراد بالغزال : الفتاة الجميلة. والوشاح : أديم عريض يرصّع بالجواهر وتشدّه المرأة بين عاتقها وكشحها. وفنن : غصن، والمراد به : القوام الجميل المائس.
(١) المخيلة : الكبر والإعجاب بالنفس.
(٢) الحبالة : الشَرَك، أي المصيدة. وخدعه : ختله، وأراد به المكروه من حيث لا يعلم، والخدعة : ما يخدع به الإنسان.
(٣) حبائل : جمع حبالة، وهي المصيدة. والهدب. ما نبت من الشعر على أشفار العين.
(٤) طارقة الهوى : نائبة الحبّ. والألباب : جمع لبّ، وهو العقل.

ومِنَ الْعَجائِبِ في الْهَوَى أَنَّ الفَتَى ... يُدْعَى إِلَيْهِ بِأَهْوَنِ الأَسْبابِ
فارْبَحْ مَلامَكَ يا عَذُولُ فإنَّنِي ... راضٍ بِسُقْمِي في الْهَوَى وعَذَابِي[٥]

وقال :

بِقَلْبِي لِلْهَوَى داءٌ عَجِيبُ ... تَحَيَّرَ في تَلافِيهِ الطَّبِيبُ
إذا أَخْفَيْتُهُ أَبْلَى فُؤادِي ... وإنْ أَظْهَرْتُهُ غَضِبَ الْحَبِيبُ

وقال في الشَّباب :

سَعَيْتُ فَأَدْرَكْتُ الْمُنَى غَيْرَ أَنَّنِي ... أَضَعْتُ شَبَابِي في سَبِيلِ طِلابِي
فَمَا تَنْفَعُ الدُّنْيَا وإنْ نِلْتُ كُلَّ مَا ... تَمَنَّيْتُ مِنْهَا بَعْدَ فَقْدِ شَبابِي

وقالَ :

تَحَمَّلْ إِلَى نادِي الْحَبِيبِ رِسَالَةً ... أَرَقَّ عَلَى الْمَخْمُورِ مِنْ نَفَسِ الصَّبا[١]
وخَبِّرْهُ عَنِّي أَنَّنِي مُنْذُ بَيْنِهِ ... أُكابِدُ هَوْلاً يَتْرُكُ الطِّفْلَ أَشْيَبا[٢]
فإنْ لانَ فاشْكُرْهُ عَلَى فَضْلِ مَا أَتَى ... مِنَ الْبِرِّ واعْذِرْهُ إِذا صَدَّ أَوْ أَبَى
وَلا تُخْجِلَنْهُ بِالْعِتَابِ فَإِنَّنِي ... أَخافُ إِذا مَا احْمَرَّ أَنْ يَتَلَهَّبا

وقالَ وكَتَبَ بِها إلى صَدِيقٍ له :

أَتَزْعُمُنِي خِلاًّ وتَهْجُرُ ساحَتِي ... عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ إِنَّ ذا لَعَجِيبُ[١]

---

(٥) العذول : اللائم .
(١) نادي الحبيب : مجلسه . والنفس : نسيم الهواء . والصبا : الريح تهبّ من مطلع الشمس . ونفس الصبا : رائحتها الطيّبة ، أو حركتها إذا كانت معتدلة لطيفة .
(٢) البين : الارتحال والبعد . وكابد الأمر : قاسى شدّته .
(١) تزعمني : تظنني . وخِلاًّ : صديقاً . والساحة : الموضع المتّسع أمام الدار ، والمراد بساحتي : مجلسي .

إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْمُحِبِّينَ وُصْلَةٌ تُؤَكِّدُ عَهْداً فَالصُّدُودُ قَرِيبُ[٢]
وإِنَّ وِدادَ الْقَلْبِ ما لَمْ يَكُنْ لَهُ دَلِيلٌ عَلَى إِخْلاصِهِ لَمُرِيبُ

وقالَ وَهُوَ بِسَرَنْدِيبَ وَقَدْ سَمِعَ بَاكِيَةً بِلَيْلٍ :

وبَاكِيَةٍ شَجَتْ قَلْبِي بِلَحْنٍ تَهِيجُ لَهُ الْمَسامِعُ والْقُلوبُ[١]
سَأَلْتُ فَقِيلَ قَدْ فَقَدَتْ حَبِيباً وهَلْ يَبْقَى عَلَى الدُّنْيَا حَبِيبُ ؟
بَكَيْتُ لَهَا وَلَمْ أَفْهَمْ صداهَا وقَدْ يَبْكِي مِنَ الطَّرَبِ الْغَرِيبُ[٢]

وقالَ :

لَيْسَ ابْنُ آدَمَ ذا جَهْلٍ بِمَصْرَعِهِ لَكِنَّهُ يَتَنَاسَى الْجِدَّ بِاللَّعِبِ
تَراهُ يَلْهُو وَلَا يَنْفَكُّ في حَذَرٍ ورَاحَةُ النَّفْسِ لا تَخْلُو مِنَ التَّعَبِ

وقال :

تَرَفَّقْ فإِنَّ الرِّفْقَ زَيْنٌ وقَلَّمَا يَنالُ الْفَتَى بِالْعُنْفِ ما كانَ طَالِبَا
إِذَا لَم يَكُنْ لِلْمَرْءِ عَقْلٌ يَرُدُّهُ إِلَى الْحِلْمِ لم يَبْرَحْ مَدَى الدَّهْرِ عاتِبَا
وَإِنْ هُوَ لَمْ يَصْفَحْ عَنِ الْخِلِّ إِنْ هَفَا أَقَامَ وَحِيداً أَوْ قَضَى الْعُمْرَ غَاضِبَا[١]

وقال :

إِنِّي إِذَا ما الْخِلُّ خاسَ بِعَهْدِهِ بَعدَ الوِدادِ فَلَسْتُ مِنْ أَصْحَابِهِ[١]

---

(٢) الوصلة : الاتصال . والمراد بالعهد هنا : موثق الحبّ والوفاء .
(١) شجت قلبي : حزنته . واللَّحن : الصوت فيه ترجيع وترديد .
(٢) الصدى : رجع الصوت ، أي ما يردّه الجبل ونحوه على المصوّت فيه ، والمراد بالصدى (هنا) : اللغة . والطرب (هنا) : خفّة تصيب الإنسان لشدة حزن .
(١) الخلّ : الصديق . وهفا : زلّ وأخطأ .
(١) خاس بالعهد : غدر ونكث .



وإذا عَـتَبْتُ عَـلَيْـهِ ثُـمَّـتَ لَـمْ يَـعُـدْ عَـنْ غَيِّـهِ لَـمْ أُكْـثَـرِثْ لِـعِـتَـابِـهِ[٢]

وقال :

بَـلَوْتُ سَـرائِـرَ الإِخْـوَانِ حَـتَّـى رَأَيْتُ عَـدُوَّ نَفْسِي مِنْ حَـبِـيـبِي[١]
فَـلاَ تَـأْمَـنْ عَـلَى سِـرٍّ صِـحَـابـاً فَـإِنَّـهُـمُ جَـواسِـيسُ الْـغُـيُـوبِ

وقالَ في كِتْمَانِ السِّرِّ :

أَلَـمْ تَـعْـلَـمْ وَخَيْـرُ الْـقَـوْلِ أَبْـقَـى بِـأَنَّ الـصَّـمْـتَ مَـنْـجَـاةُ الأَرِيـبِ[١]
فَـلا تَـأْمَـنْ عَـلَى سِـرٍّ حَـبِـيـبـاً فَـقَـدْ يَـأْتِي الْـعَـدُوُّ مِنَ الْـحَـبِـيـبِ

وقالَ فِي لُزُومِ الاحْتِرَاسِ مِنَ الْعَدُوِّ :

لا تَـرْكَـنَـنَّ إِلَـى الْـعَـدُوِّ فَـإِنَّـهُ يَبْغِي سِقَـاطَـكَ بِـالحَـدِيثِ الْمُعْجِبِ[١]
كَـالنَّـارِ تَخْتَـدِعُ الْفَـراشَ بِحُسْنِهَـا فَيَنَـالُ مِنْـهُ الْبُـؤْسُ إِنْ لَمْ يَـعْـطَـبِ[٢]

وقال :

أَرَى كُـلَّ حَيٍّ يَـظْلِمُ الـدَّهْـرَ جُهْـدَهُ وَلَسْتُ أَرَى لِـلدَّهْـرِ فِي عَـمَـلٍ ذَنْبَـا
إذا سـاءَ صُنْـعُ الْمَـرْءِ ساءَتْ حَيَـاتُـهُ فَمَـا لِصُرُوفِ الـدَّهْرِ يُـوسِعُها سَبَّـا ؟[١]

---

(٢) الغيّ : الضلال .
(١) بلوت : امتحنت واختبرت . والسرائر: جمع سريرة ، وهي السرّ الذي يكتم ، والمـُراد بها : دخائل النفوس .
(١) الأريب: العاقل ، الجيِّد الرأي .
(١) السقاط : الخطأ ، والعثرة ، والزلّة . والمعجب : المستحسن الرائق .
(٢) تختدعه : أي تختله ، وتريد به المكروه من حيث لا يعلم .
(١) صروف الدهر: حوادثه ونوائبه ، مفردها صرف .

وقالَ في رَجُلٍ اغْتَابَهُ :

لا أُجَازِيكَ بِالَّذِي خُضْتَ فِيهِ مِنْ حَدِيثٍ وَلاَ أُمِضُّكَ عَتْبَا

غَفَرَ اللهُ لِي إذَا كَانَ صِدْقاً وَعَفَا اللهُ عَنْكَ إنْ كَانَ كِذْبَا

وقالَ :

وَذِي جَبَرُوتٍ لا يَرَى غَيْرَ نَفْسِهِ عَظِيماً ولاَ يُصْغِي إلى قَوْلِ مُصْحِبِ(١)

نَظَرْتُ إلَيْهِ نَظْرَةً فَتَطامَنَتْ غَوارِبُهُ وانْقادَ بَعْدَ التَّجَنُّبِ(٢)

وما كُنْتُ لَوْلاَ أنْ رَأى كِبْرَ شَأْنِهِ لأُصْدِرَهُ إلاَّ بِأَهْلٍ ومَرْحَبِ(٣)

وَلَكِنَّنِي سَهْلٌ لِمَنْ رَامَ خُلَّتِي وصَعْبٌ عَلَى ذِي الْكِبْرِياءِ الْمُغَلَّبِ(٤)

ولَوْ أَنَّهُ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ شَقَاؤُهُ لَطَارَتْ بِهِ في الناسِ عنْقَاءُ مُغْرِبِ(٥)

وَلَكِنَّهُ أَلْقَى إلَيَّ زِمَامَهُ فَسِرْتُ بِهِ سَيْرَ الذَّلُولِ الْمُهَذَّبِ(٦)

ولَيْسَ يَسُودُ الْمَرْءُ إلاَّ بِحِلْمِهِ عَلَى قَوْمِهِ والصَّفْحِ عَنْ كُلِّ مُذْنِبِ

وقال :

---

(١) الجبروت: الكبر. ومصحب: اسم فاعل من أصحبت غيري، أي منعته وحفظته وأجرته، والمراد بالمصحب (هنا): الناصح.

(٢) تطامنت: انخفضت. والغوارب: جمع غارب، وهو ما بين العنق والسنام. الغارب (أيضاً): أعلى كلّ شيء. ومعنى تطامنت غواربه: أنه ذلّ وخضع.

(٣) أصدره: أرجعه، والمراد: أودّعه.

(٤) خلّتي: صداقتي. والمغلّب: المحكوم له بالقهر والغلبة.

(٥) عنقاء مغرب: الداهية، أو طائر معروف الاسم مجهول الجسم، أو طائر عظيم يبعد في طيرانه. ومعنى طارت به عنقاء مغرب: أنه ضلّ وهلك.

(٦) الزمام: مقود البعير ونحوه. وإلقاء الزمام: كناية عن الانقياد والخضوع. والذلول: الدابّة السهلة المنقادة.

أَتُخْفِرُ ذِمَّتِي وتَرُومُ عَطْفِي ؟ لَقَدْ مَنَّتْكَ نَفْسُكَ بِالْكِذابِ[1]
فَمَا بَعْدَ الْقَطِيعَةِ مِنْ تَلاَقٍ ولا بَعْدَ الْخَدِيعَةِ مِنْ عِتَابِ[2]
وكَيْفَ يَصِحُّ بَعْدَ الْغَدْرِ وُدٌّ وَتَسْلَمُ نِيَّةٌ بَعْدَ ارْتِيَابِ ؟[3]
رُوَيْدَكَ إِنَّنِي صَعْبٌ أَبِيٌّ عَلَى الأَقْرَانِ مَرْهُوبُ الْجَنَابِ[4]
أُجَاهِرُ بِالْعِدَاءِ وَلاَ أُبَالِي وأَنْطِقُ بِالصَّوَابِ ولا أُحَابِي[5]
فَمَا زَنْدِي لَدَي الْعَوْصَاءِ كَابٍ وَلاَ سَيْفِي غَدَاةَ الْحَرْبِ نَابِي[6]
يَهَابُ الْقِرْنُ بَادِرَتِي فَيَمْضِي ومَا جَرَّدْتُ سَيْفِي مِنْ قِرابِ[7]
فَإِنْ رُمْتَ السَّلاَمَةَ فَاجْتَنِبْنِي عَدُوّاً فَالسَّلاَمَةُ في اجْتِنَابِي
فَقَدْ عَادَيْتُ أَعْظَمَ مِنْكَ قَدْراً ومَا ضَاقَتْ عَلَى بَدَنِي ثِيَابِي
فَإِنْ تَنْزَعْ فَأَنْتَ طَلِيقُ عَفْوِي وإِنْ تَطْمَعْ فَسَوْفَ تَرَى عِقَابِي[8]

وَقَالَ يَهْجُو :

---

(١) الإخفار: الغدر، ونقض العهد.
(٢) الخديعة: اسم مصدر من خدعه أي ختله، وأراد به المكروه من حيث لا يعلم.
(٣) الارتياب: الشكّ.
(٤) رويدك: تمهّل. والأقران: جمع قرن، وهو كفؤك في الشجاعة، أو من يقاومك في القتال وغيره. والجناب: الفناء والناحية، ومعنى مرهوب الجناب: أنه قوي عزيز الجانب، لا يجترأ على حماه.
(٥) حاباه: اختصّه، ومال إليه.
(٦) الزند: العود الذي تقدح به النار، وهو الأعلى، والسفلى زندة. والعوصاء: الشدة والداهية الشديدة، والأمر الصعب. وكبا الزند: لم يخرج ناره. والغداة: الضحوة، أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس، والمراد بغداة الحرب: وقتها مطلقاً. وسيف ناب: كليل الحدّ، غير ماضٍ، وهو اسم فاعل من نبا السيف: إذا لم يقطع.
(٧) البادرة: الحدّة في الغضب. والقراب: الغمد.
(٨) نزع عن الشيء نزوعاً: كفّ عنه، وأقلع، وانتهى.

لاَ تَبْهَتِ الشَّيْطَانَ فِي فِعْلِهِ ... فَقَدْ كَفَى أَنَّكَ مِنْ حِزْبِهِ[١]
فَاخْسَأْ فَمَا الْخِنْزِيرُ فِي نَوْعِهِ ... أَخَسَّ طَبْعاً مِنْكَ فِي كَسْبِهِ[٢]
لَوْ لَمْ تَكُنْ فِي الدَّهْرِ مُسْتَوْزَراً ... مَا سَارَعَ النَّاسُ إِلَى سَبِّهِ[٣]
ذَاكَ الَّذِي لَوْلاَ خُمُولُ الْوَرَى ... مَا نَامَ مِنْ أَمْنٍ عَلَى جَنْبِهِ[٤]
يَفْعَلُ بِالنَّاسِ أَفَاعِيلَهُ ... وَلاَ يَخَافُ اللهَ مِنْ ذَنْبِهِ[٥]
فَالْخَيْرُ وَالنِّعْمَةُ فِي بُعْدِهِ ... والشَّرُّ وَالنِّقْمَةُ فِي قُرْبِهِ
أَشَدُّ خَلْقِ اللهِ كِبْراً فَإِنْ ... فَاجَأْتَهُ كَرَّ عَلَى عَقْبِهِ[٦]
.... مِنَ الْجَوِّ إِلَى شُهْبِهِ[٧]
هَجَوْتُهُ لا بَالِغاً لُؤْمَهُ ... لَكِنَّنِي كَفْكَفْتُ مِنْ غَرْبِهِ[٨]
فَإِنْ أَكُنْ قَدْ نِلْتُ مِنْ عِرْضِهِ ... فَإِنَّنِي دَنَّسْتُ شِعْرِي بِهِ[٩]
فَلاَ يَلُومَنَّ سِوَى نَفْسِهِ ... مَنْ سَلَّطَ النَّاسَ عَلَى ثَلْبِهِ[١٠]

---

(١) بهته: أخذه بغتة، وفاجأه. يريد أن أفعال المهجو شرّ وأنكى من أفعال الشيطان.
(٢) أخسأ: أمر من خسأ الكلب ونحوه، أي طرده، وأبعده، وزجره، مستهيناً به، مذلاً له. ويراد بالكسب هنا: العمل المستقبح.
(٣) المستوزر: الوزير، أو المؤهّل للوزارة.
(٤) «ذاك»: إشارة إلى المهجوّ. والورى: الخلق والناس. ويراد بخمول الورى: ضعف الناس وجبنهم وقعودهم عن مكافحة ذلك الوزير الشرّير.
(٥) أفاعيله: أفعاله المستنكرة المستقبحة.
(٦) الكبر: التجبر، والعتوّ، والطغيان. وكرّ على عقبه: أي انثنى راجعاً.
(٧) لم ينكشف لنا من هذا البيت غير هذه الكلمات.
(٨) اللؤم: الخسّة ودناءة الأصل والشحّ والمهانة. وكفكفت: دفعت وصرفت. والغرب: الحدّة والتمادي في الأمر.
(٩) معنى «نلت من عرضه»: بلغت مقصودي من إظهار عيبه.
(١٠) ثلبه ثلباً: عابه وتنقّصه.



وقال(★) :

وَغْـدٌ تَـكَـوَّنَ مِـنْ لُـؤْمٍ ومِـنْ دَنَسٍ فَمَـا يَغَـارُ عَلَى عِـرْضٍ ولا حَسَبِ(١)
يَلْتَـذُّ بِـالـطَّعْنِ فِيـهِ والْهِجَـاءِ كَمَـا يَلْتَذُّ بِالْحَكِّ والتَّظْفِيـرِ ذو الْجَـرَبِ(٢).

وقال :

كَـيْـفَ أَهْـجُـوكَ والـدَّنَـاءَةُ سُـورٌ مِنْ حَـدِيـدٍ يَقِيـكَ طَعْنِي وضَـرْبِي ؟
لَـكَ عِـرْضٌ أَرَقُّ نَـسْجَـاً مِـنَ الـرِّيـحِ وَأَوْهَى مِنْ طَيْلَسـانِ ابْنِ حَـرْبِ(١)

وقال :

وَذِي خِـلالٍ كَـأَنَّ اللهَ صَـوَّرَهَـا مِنْ صِبْغَـةِ اللُّؤْمِ أَوْ مِنْ حَمْأَةِ الـرِّيَبِ(١)

(★) قيل إن هذه القصيدة في هجاء «إسماعيل صدّيق المفتش»، وكان أخاً في الرضاعة للخديوي إسماعيل، ثم صديقاً له في صغره. ولما اعتلى العرش عيّنه مفتشاً عامًّا، ثم وزيراً للمالية سنة ١٨٦٩، فكان الحاكم بأمر الخديوي، واشتهر بالقسوة على الفلاحين. وفي سنة ١٨٧٦ جاءت بعثة الدائنين الأجانب للتحقيق في الكارثة الماليّة، فانكشفت في الدخل اختلاسات وسرقات لا ريب فيها، فخشي الخديوي إسماعيل استفحال الأمر، وافتضاح الحقائق التي يعرفها إسماعيل صدّيق، فقضى عليه في شهر نوڤمبر من سنة ١٨٧٦ بطريقة ما زالت مجهولة إلى اليوم.

(١) **الوغد**: الأحمق، الضعيف، الرذل، الدنيء. والدنس: القذر.

(٢) **طعن فيه بالقول**: قدح فيه، وعابه، وتنقّصه. والتظفير: غرز الأظفار في الجسم.

(١) **العرض**: النفس والحسب. وأوهى: أضعف. والطيلسان: كساء مدوّر لا أسفل له، لحمته أو سداه من صوف، يلبسه الخواصّ من العلماء والمشايخ، وهو من لباس العجم، معرّب عن الفارسيّة، وأصله: «تالسان» أو «تالشان». وفي كتاب «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب» للثعالبي: (طيلسان ابن حرب): كان محمد بن حرب أهدى إلى الحمدونيّ طيلساناً خلقاً. فقال في وصفه ما يقرب من مائتي مقطوعة لا تخلو واحدة منها من معنى بديع. وصار الطيلسان عرضة لشعره، ومثلاً في البلي والخلوقة.

(١) **الخلال**: جمع خلّة، وهي الخصلة. والحمأة: الطين الأسود المنتن. والريب: جمع ريبة، وهي الشكّ والظنّة والتهمة.



نَـال الْـعَـلاَءَ ولَـكِـنْ خَـابَ رَائِـدُهُ ... عَنْ نُجْعَةِ الْفَضْلِ والآدابِ والْحَسَبِ[٢]
هَجَـوْتُـهُ رَغْبَـةً في الصِّـدْقِ إِذْ نَفَـرَتْ ... شَمَائِلِي عَنْ مَقَالِ الْمَدْحِ في الْكَذِبِ[٣]

وقَالَ :

عَـدِمْتَ حَمِيَّـةً وسَقِـمْتَ وُدّاً ... فَلَمْ تُـدْرِكْ لِمَكْـرُمَـةٍ نَصِيبَـا[١]
فَمَـا أَحْـزَنْتَ في حَـرْبٍ عَـدُوّاً ... وَلاَ أَفْـرَحْـتَ فِي سِـلْمٍ حَبِيبَـا

وقَالَ يُعَزِّي :

أُعَـزِّيـكَ لاَ أَنِّـي أَظُـنُّـكَ جَـازِعـاً ... لِخَـطْبٍ وَلَكِنِّي عَـمَـدْتُ لِـوَاجِبِ[١]
وَكَيْفَ أُعَزِّي مَنْ فَـرَى الـدَّهْـرَ خِبْـرَةً ... وَأَدْرَكَ مَـا فِي طَيِّـهِ مِنْ عَجَـائِبِ ؟[٢]
فَيَـا صَـاحِبِي مَهْـلاً فَلَسْتَ بِـوَاجِـدٍ ... سِـوَى حَـاضِـرٍ يَبْكِي فَجِيعَـةَ غَـائِبِ
وَصَبْـرَاً فَـإِنَّ الصَّبْـرَ أَكْـرَمُ صـاحِبٍ ... لِمَنْ بَـانَ عَنْ مَثْـوَاهُ أَكْـرَمَ صَاحِبِ[٣]
وَلاَ تَـأْسَ مِنْ وَقْعِ الْخُطُوبِ وَإِنْ جَفَتْ ... عَلَيْكَ فَـإِنَّ النَّـاسَ مَـرْعَى النَّـوائِبِ[٤]
إِذَا مَـا الـرَّدَى أَوْدَى بِـآدَمَ قَـبْـلَنَـا ... فَهَـلْ أَحَـدٌ مِنْ نَسْلِهِ غَيْـرُ ذَاهِبِ ؟[٥]

---

(٢) الرائد: المرسل في طلب الكلأ. والنجعة: طلب الكلأ في موضعه. والحسب: ما تعدّه من مفاخر آبائك، أو الدين، أو الكرم، أو الشرف.
(٣) الشمائل: جمع شِمال، بمعنى الخلق والطبع.
(١) الحميّة: الأنفة والاستنكاف والاستكبار.
(١) الخطب: النازلة، والكارثة، والمصيبة، والأمر الشديد المكروه يكثر فيه التخاطب.
(٢) فرى الشيء: شقّه، وقطعه، أو فتّته. وفرى الدهر خبرة: أي اختبر الزمان خبرة وافية، وعرفه معرفة واسعة، وأحاط بدقائقه وخفاياه.
(٣) بان عنه: انقطع عنه، وفارقه. ومثواه: منزله، ومستقرّه.
(٤) لا تأس : لا تحزن . والخطوب : الرزايا والمصائب . وجفا عليه الشيء : ثقل . والمرعى : يجوز أن تقرأ في الأصل المخطوط المطموس (صرعى » . والنوائب : النوازل والمصائب ، الواحدة : نائبة .
(٥) الردى: الهلاك، والموت.

فَإِنْ تَكُ قَدْ فَارَقْتَ شَهْمَاً مُهَذَّباً فَكُلُّ ابْنِ أُنْثَى عُرْضَةٌ لِلْمَصَائِبِ[٦]

وَمَا مَاتَ مَنْ أَبْقَاكَ تَهْتِفُ بِاسْمِهِ وَتُذْكَرُ عَنْهُ صَالِحَاتُ الْمَنَاقِبِ[٧](★)

وقَالَ في الزُّهْدِ :

إلَامَ يَهْفُو بِحِلْمِكَ الطَّرَبُ ؟ أَبَعْدَ خَمْسِينَ في الصِّبَا أَرَبُ ؟[١]

هَيْهَاتَ وَلَّى الشَّبَابُ واقْتَرَبَتْ سَاعَةُ وِرْدٍ دَنَا بِهَا الْقَرَبُ[٢]

فَلَيْسَ دُونَ الْحِمَامِ مُبْتَعَدٌ وَلَيْسَ نَحْوَ الْحَيَاةِ مُقْتَرَبُ[٣]

كُلُّ امْرِىءٍ سَائِرٌ لِمَنْزِلَةٍ لَيْسَ لَهُ عَنْ فِنَائِهَا هَرَبُ[٤]

وَسَاكِنٌ بَيْنَ جِيرَةٍ قَذَفٍ لا نَسَبٌ بَيْنَهُمْ ولا قُرَبُ[٥]

فِي قَفْرَةٍ لِلصِّلالِ مُزْدَحَفٌ فِيهَا ولِلضَّارِيَاتِ مُضْطَرَبُ[٦]

وَشَاهِدٌ مَوْقِفاً يُدَانُ بِهِ فَالْوَيْلُ لِلظَّالِمِينَ والْحَرَبُ[٧]

فَارْبَأْ يَفَاعاً أَوِ اتَّخِذْ سَرَباً إنْ كَانَ يُغْنِي الْيَفَاعُ والسَّرَبُ[٨]

---

(٦) الشهم: السيد السديد الرأي، النافذ الحكم، الذكيّ الفؤاد، المتوقّد الذهن.

(٧) تهتف باسمه: تمدحه، وتطريه، وتحيي سيرته وذكراه. والمناقب: المآثر، والمفاخر، والأفعال الكريمة، والخصال الحميدة. الواحدة منقبة.

(★) نقل إلينا أن البارودي نظم هذه القصيدة في تعزية خليل مطران صاحب الجوائب المصرية عن عمّه حبيب مطران.

(١) يهفو: يستطير ويذهب. والأرب: الحاجة، أو الكلف.

(٢) هيهات: بعد. والورد: الإشراف على الماء وغيره. والمراد بساعة الورد: ساعة الإشراف على الموت. والقرب: سير الليل لورد الغد، والمراد هنا سير الزمن، وذهاب معظم العمر.

(٣) الحمام: قضاء الموت وقدره.

(٤) المنزلة: المنزل، والمراد القبر، أو الدار الآخرة.

(٥) قَذَف: بعيدة. وجيرة قذف: أي جيران مفترقون متباعدون.

(٦) القفرة: الخلاء من الأرض. والصلال: جمع صلّ، وهو الحيّة. والضاريات: الوحوش والسباع المفترسة.

(٧) المراد بالموقف: موقف الحساب يوم القيامة. والحرب: الويل والهلاك والعذاب.

(٨) اربأ: أمر من ربأ، بمعنى علا وارتفع. واليفاع: التلّ. والسرب: الحفير تحت الأرض.



لا الْبَـازُ يَـنْـجُـو مِـنَ الْـحِـمَـامِ وَلاَ يَـخْلُصُ مِـنْـهُ الْـحَـمَـامُ والْـخَـرَبُ[٩]

مُـسَـلَّطٌ فـي الْـوَرَى فَـلاَ عَـجَـمٌ يَـبْقَـى عَـلَـى فَـتْكِـهِ وَلاَ عَـرَبُ[١٠]

فَـكَـمْ قُـصُـورٍ خَـلَتْ وَكَـمْ أُمَـمٍ بَـادَتْ فَـغَصَّـتْ بِجَمْـعِـهَـا الـتُّـرَبُ

فَـمَـنْـزِلٌ عَـامِـرٌ بِـقَـاطِـنِـهِ وَمَـنْـزِلٌ بَـعْـدَ أَهْـلِـهِ خَـرِبُ

يَـغْـدُو الْـفَـتَـى لاهِـيـاً بِـعِـيـشَـتِـهِ وَلَيْسَ يَـدْرِي ما الصَّـابُ والضَـرَبُ[١١]

وَيَـقْـتَـنِـي نَـبْـعَـةً يَـصِـيـدُ بِـهَـا ونَبْـعُ مَنْ حَـارَبَ الـرَّدَى غَـرَبُ[١٢]

لا يَـبْـلُـغُ الـرِّبْـحَ أَوْ يُـفـارِقُـهُ كَـمَـاتِـحٍ خَـانَ كَفَّـهُ الْكَـرَبُ[١٣]

يَـا وارِداً لا يَـمَـلُّ مَـوْرِدَهُ حَـذارِ مِنْ أَنْ يُصِيبَـكَ الـشَّـرَبُ[١٤]

تَـصْبُـو إِلَـى اللَّهْـوِ غَـيْـرَ مُـكْـتَـرِثٍ والـلَّهْـوُ فِـيـهِ الْـبَـوارُ والـتَّـرَبُ[١٥]

وَتَـتْـرُكُ الْـبِـرَّ غَـيْـرَ مُـحْـتَـسِـبٍ أَجْـراً وبِـالْـبِـرِّ تُـفْـتَـحُ الأُرَبُ[١٦]

دَعِ الْـحُـمَـيَّـا فَـلاِبْـنِ حَـانَـتِـهَـا مِنْ صَـدْمَـةِ الْكَـأْسِ لَهْـذَمٌ ذَرِبُ[١٧]

---

(٩) الباز، والبازي: ضرب من الصقور. والحِمام: قضاء الموت وقدره. والخرب: ذكر الحبارى، وهو طائر على شكل الإوزّة. ومعنى البيت أن الموت لا ينجو منه قويّ ولا ضعيف.

(١٠) الورى: الخلق.

(١١) الصاب: عصارة شجر مرّ. والضرب: العسل الأبيض.

(١٢) النبعة: واحدة النبع، وهو شجر تتّخذ منه القسيّ والسهام، والمراد بالنبعة (هنا): القوس نفسها، أي أداة الصيد. والردى: الهلاك. والغرب: شجر ضعيف لا يصلح للسهام.

(١٣) الماتح: الذي يستقي الماء بالدلو. وللدّلو عادة عَرْقُوَتَان: أي خشبتان تعترضان على فوهة الدلو كالصليب. والكرب: حبل صغير يربط بالعرقوتين، ويتّصل به الرشاء، وهو الحبل الطويل.

(١٤) الوارد: المشرف على الماء. والمورد: موضع الورود. والشرب: مصدر شرب، بمعنى عطش. والمعنى: أنّ المتغالي في طلب الشيء قد يحرمه.

(١٥) البوار: الهلاك والكساد. والترب: مصدر ترب، أي خسر وافتقر.

(١٦) البرّ: الخير، والإحسان، والصدق، والطاعة. والأرب: جمع أربة، وهي العقدة.

(١٧) حميّا الكأس: سورتها وشدّتها، أو إسكارها. والمراد بالحميا، الخمر. وابن الحانة:

تَــرَاهُ نُــصْــبَ الْــعُــيُــونِ مُــتَّــكِــئــاً وَعَــقْــلُــهُ فــي الــضَّــلالِ مُــغْــتَــرِبُ[18]

فَــبِــئْــسَــتِ الْــخَــمْــرُ مِــنْ مُــخَــادِعَــةٍ لِــسَــلْــمِــهــا فِــي الْــقُــلُــوبِ مُــحْــتَــرَبُ[19]

إذا تَــفَــشَّــتْ بِــمُــهْــجَــةٍ قَــتَــلَــتْ كَــمَــا تَــفَــشَّــى فِــي الْمَــبْــرَكِ الْجَــرَبُ[20]

فَــتُــبْ إلــى اللهِ قَــبْــلَ مَــنْــدَمَــةٍ تَــكْــثُــرُ فــيــهــا الْــهُــمُــومُ والْــكُــرَبُ

واعْــتَــدْ عَلَى الْــخَــيْــرِ فَــالْــمُــوَفَّــقُ مَــنْ هَــذَّبَــهُ الاعْــتِــيَــادُ والــدَّرَبُ[21]

وَجُــدْ بِــمَــا قَــدْ حَــوَتْ يَــدَاكَ فَــمَــا يَــنْــفَــعُ ثَــمَّ الــلُّــجَــيْــنُ والْــغَــرَبُ[22]

فَــإِنَّ لِــلــدَّهْــرِ لَــوْ فَــطَــنْــتَ لَــهُ قَــوْسَــاً مِــنَ الْــمَــوْتِ سَــهْــمُــهَــا غَــرَبُ[23](★)

السكِّير. والمراد بصدمة الكأس: ألم الخمر، وصداعها، وأذاها. واللّهذم. السّنان القاطع. وذرب: حادّ، ماضٍ.

(١٨) النصب: كلّ ما نصب، أي رفع. والمراد بنصب العيون: أنه شاخص للعيون.

(١٩) مخادعة: اسم فاعل من خادعه، أي خاتله، وأراد به المكروه من حيث لا يعلم.

(٢٠) المهجة: النفس. وبرك البعير: أي استناخ، ووقع على بركه وهو صدره. والمبرك: موضع البروك.

(٢١) الدرب: الاعتياد.

(٢٢) ثمّ: أي في الدار الآخرة. واللجين: الفضّة. والغرب: الذهب

(٢٣) غَرَب: من قولهم: أصابه سهم غَرَب، أي لا يعرف من رماه.

(★) والشطر الثاني من البيت الأول يدلّ على أن هذه البائيَّة الزهديّة هي من قصائده السرنديبية، فقد نفي من مصر إلى سرنديب في ديسمبر سنة ١٨٨٢ وعمره يومئذ ثلاثة وأربعون عاماً. وفي منفاه بلغ الستين. وفي نحو الخمسين، أي في نحو سنة ١٨٩٠ نظم هذه القصيدة.



قافية التاء

قال:

أدِرِ الْكَـأْسَ يـا نَـدِيـمُ وهـاتِ ... واسْقِنِيهـا عَلَى جَبِيـنِ الْغَـدَاةِ[1]

شَـاقَ سَمْعِي الْغِنَـاءُ فِي رَوْنَـقِ الْفَجْـ ... ـرِ وسَجْـعُ الطُّيُـورِ في الْعَـذَبـاتِ[2]

أيُّ شَـيءٍ أَشْهَـى إلَى النَّفْسِ مِنْ كَـأْ ... سٍ مُـدارٍ عَلَى بِسَـاطِ نَبـاتِ[3] ؟

هُـوَ يَـوْمٌ تَـعَـطَّرَتْ طَـرَفَـاهُ ... بِشَـمـالٍ مِـسْكِـيَّـةِ النَّـفَـحَـاتِ

بـاسِمُ الزَّهْـرِ عـاطِرُ النَّشْرِ هَـامِي الْـ ... ـقَـطْرِ وَانِي الصَّبَـا عَلِيـلُ الْمَهَـاةِ[4]

مَـسْـرَحٌ لِلْعُـيُـونِ يَـمْـتَـدُّ فِـيـهِ ... نَـفَسُ الـرِّيـحِ بَـيْـنَ مـاضٍ وآتِ

فـامْـتَثِـلْ دَعْـوَةَ الـصَّبُـوحِ وبـادِرْ ... فُـرْصَـةَ الـدَّهْـرِ قَبْـلَ وَشْـكِ الْفَـواتِ[5]

---

(١) الغداة: البكرة، أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس، ومعنى على جبين الغداة: في أولها.

(٢) رونق الفجر: حسنه وبهاؤه. وسجع الطيور: هديرها وتغريدها. والعذبات: الأغصان.

(٣) كأس: قدح، إناء.

(٤) النشر: الريح الطيبة. وهامي القطر: كثير المطر. ووان: ضعيف عليل فاتر. والصبا: ريح تهبّ من مطلع الشمس، ومعنى واني الصبا: أن هواءه عليل معتدل لطيف. والمهاة: الشمس. ويوم عليل المهاة: أي شمسه ضعيفة كأيام الشتاء.

(٥) الصبوح: شرب الغداة بين الفجر وطلوع الشمس، والمراد الخمر تشرب في أول النهار.

وتَــدَرَّجْ مَــعِـي إلَــى رَوْضَــةِ الْـمَـنْـ ـيَـلِ ذاتِ الـنَّـخِـيـلِ والـثَّـمَـراتِ(٦)

فَهْيَ مَــرْعَى الْهَــوَى وَمَغْنَى التَّصَــابِي ومَــراحُ الْـمُـنى ومَـسْـرَى الْـحَـيَـاةِ

أَلِـفَـتْـهَـا الـنُّـفُـوسُ فَـهْـيَ إلَـيْـهَـا مِنْ أَلِيمِ الأَشْـوَاقِ فـي حَـسَـرَاتِ

تَـبْـعَـثُ الـلَّـهْـوَ والـسُّـرُورَ وتَـمْـحُـو مِـنْ فُـؤادِ الْـحَـزِيـنِ كُـلَّ شَـكَـاةِ

بَـيْـنَ نَـدْمَـانَ كَـالْـكَـواكِبِ حُـسْـنـاً ورَعَـابِـيـبَ كَـالـدُّمَـى خَـفِـراتِ(٧)

يَـتَـسـاقَـوْنَ بِـالْـكُـؤُوسِ مُـدامـاً هِـيَ كَـالشَّـمْسِ فـي قَـمِـيصِ إيَـاةِ(٨)

فـي أَبـارِيـقَ كَـالـطُّـيُـورِ اشْـرَأَبَّـتْ حَـذَرَ الْفَتْـكِ مِنْ صِيَـاحِ الْـبُـزَاةِ(٩)

حـانِـيَـاتٍ عَلَى الْكُؤُوسِ مِـنَ الـرَّأْ فَـةِ يُـرْضِـعْـنَـهُـنَّ كَـالأُمَّـهَـاتِ

لا تَـرَى الْـعَـيْـنُ بَـيْـنَـهُـمْ غَـيْـرَ صَـبٍّ بِـسَـمَـاعٍ أَوْ هَـائِـمٍ بِـفَـتَـاةِ(١٠)

ومُـغَـنٍّ إذا شَـدَا خِـلْـتَ أَنَّ الْـ ـأَرْضَ ظَـلَّـتْ تَـدُورُ بِـالْـفَـلَواتِ

مَـلَكَ الـسَّـمْـعَ والْـفُـؤَادَ بِـلَحْـنٍ يَفْتِنُ الْغِيـدَ داخِـلَ الْـحُـجُـرَاتِ(١١)

يَـبْعَـثُ الـصَّـوْتَ مُـرْسَـلاً فـإذا مَـا غَـضَّ مِـنْـهُ اسْـتَـدَارَ بَـيْـنَ الـلَّـهَـاةِ

غَـرِدٍ يُـبْـطِلُ الْـحَـدِيـثَ ويُـنْـسِـي رَبَّـةَ الْـحُـزْنِ لَـوْعَـةَ الـذُّكُـرَاتِ

---

(٦) تدرّج: أمر من التدرج وهو المشي في مهلة ورفق. وروضة المنيل: جزيرة في النيل شرقي الجيزة.

(٧) رعابيب: فتيات بيض حسان ناعمات، الواحدة رعبوبة أو رعبوب أو رعبيب. والدمى: جمع دمية، وهي الصورة المنقّشة المزيّنة من العاج ونحوه.

(٨) المُدام: الخمر. والإياة: نور الشمس وحسنها.

(٩) اشرأب: رفع رأسه. والفتك: القتل على غرة. والبزاة: جمع البازي، وهو نوع من الصقور.

(١٠) صبّ: كلف، مولع، محبّ، صفة من الصبابة وهي رقّة الشوق، أو رقّة الهوى. والمراد بالسماع: سماع الغناء.

(١١) اللحن: ما اختاره المغني، ومال إليه من الأغاني. واللحن أيضاً: التغريد والتطريب، وهو مدّ الصوت وترجيعه وتحسينه. والغيد: جمع غيداء، وهي المرأة الناعمة المتثنية ليناً.

تِـلْكَ واللهِ لَـذَّةُ الْـعَـيْشِ لا سَـوْ مُ الأَمَـانِي في عـالَـمِ الْخَـطَرَاتِ

وقالَ :

زَمْـزِمِـي الْـكَـأْسَ وَهَـاتِـي واسْقِنِـيهَـا يـا مَـهَـاتِـي[1]

وامْـزُجِـيـهَـا بِـرُضَـابِ مِـنْـكِ مَعْـسُـولِ اللَّهَـاةِ[2]

إنَّـمـا الـرَّاحُ مَـدارُ الْـ ـأُنْسِ فِـي كُـلِّ الـجِـهَـاتِ[3]

طـالَـمـا عَـاصَـيْـتُ فيـهَـا أَهْـلَ وُدِّي وَنُـهَـاتِـي[4]

لا أُبـالِـي فـي هَـواهَـا بِـسَـمَـاعِ الـتُّـرَّهَـاتِ[5]

كَـيْـفَ أَخْـشَـى قَـوْلَ دَاهٍ ؟ أَنـا مِـنْ قَـوْمٍ دُهـاةِ[6]

وقالَ في الْغَزَلِ :

سَمِـعَ الْـخَلِيُّ تَـأَوُّهِـي فَـتَـلَفَّـتَـا وأَصَـابَـهُ عَجَبٌ فَقَـالَ مَنِ الْفَتَى ؟[1]

فَـأَجَبْتُـهُ إنِّـي امْـرُؤٌ لَـعِـبَ الأَسَـى بِـفُـؤادِهِ يَـوْمَ الـنَّـوَى فَـتَـشَـتَّـتَـا[2]

أُنْـظُرْ إلَـيَّ تَـجِـدْ خَـيَـالاً بـالِـيـاً تَـحْتَ الـثِّـيَـابِ يَكـادُ أَلَّا يُنْعَـتَـا[3]

---

(١) يقصد بقوله: «زمزمي الكأس» طهّريها ونقّيها. والمهاة: الشمس والبلّورة والبقرة الوحشية، والمراد بالمهاة: المرأة الحسناء يشبهونها بالشمس في الحسن، وبالبلّورة في الصفاء والتألّق، وبالبقرة الوحشية في اتساع العيون وجمالها.

(٢) الرُّضاب: الريق. وعسل الطعام والشراب: أي عمله بالعسل، فهو معسول. واللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى الفم.

(٣) الراح: الخمر.

(٤) النهاة: الذين كانوا ينهونه عن شرب الخمر، جمع ناه.

(٥) الترّهات: جمع ترهة، وهي الباطل.

(٦) داه: اسم فاعل من الدهاء، وهو النُكْر وجودة الرأي.

(١) الخلي: الخالي من الهم والعشق.

(٢) الأسى: الحزن. والنوى: البعد. وتشتت: تفرق أي الفؤاد.

(٣) بالياً: خلقاً فانياً.

قَـدْ كـانَ لِـي قَلْبٌ أَصَـابَ سَـوادَهُ	سَـهْـمٌ لِـطَرْفٍ فـاتِـرٍ فَـتَـفَـتَّـتَـا[٤]
تَـبِـعَ الْـهَـوَى قَـلْبِـي فَـهَـامَ ولَـيْـتَـهُ	قَـبْـلَ التَّـوَغُّـلِ في البَـلاءِ تَثَبَّـتَـا[٥]
أَلْـقَـتْـهُ فِـي شَـرَكِ الْـمَـحَـبَّـةِ غَـادَةٌ	هَيْهَـاتَ لَيْسَ بِصاحِبي إِنْ أَفْلَتَـا[٦]
كَـالْـوَرْدِ خَـدّاً والْـبَـنَـفْـسَـجِ طُـرَّةً	والْـغُـصْـنِ قَـدّاً والْغَـزَالَـةِ مَـلْفَتَـا[٧]
نَـظَرَتْ بِكَحْـلاوَيْنِ أَوْدَعَتَـا الْـهَـوَى	بِـالْـقَلْبِ حَتَّـى هَـامَ ثُـمَّ تَـخَـلَّتَـا[٨]
تـاللهِ لَـوْ عَـلِمَ الْعَـذُولُ بِمـا جَـنَـى	طَـرْفِـي عَلَيَّ لَسـاءَهُ أَنْ يَشْـمَـتَـا[٩]
طَـرْفٌ أَطَـلْتُ عِنَـانَـهُ لِـيُصِـيـبَ لـي	بَعْضَ الْمُنَى فَـأَصـابَنِي لَمَّـا أَتَى[١٠]
يـا قَلْبُ حَسْبُكَ قَـدْ أَفـاقَ مَعَـاشِـرٌ	وأَراكَ تَدْأَبُ في الهَوَى فـإِلَى مَتَى ؟[١١]

وقالَ فِي الأَحْمَق :

لا تُـعَـاشِـرْ مـا عِشْـتَ أَحْـمَـقَ واَعْلَمْ	أَنَّـهُ فِـي الْـوُجُـودِ حَـيٌّ كَـمَـيْـتِ[١]

---

(٤) **سواد القلب**: حبّته. والطرف: العين. وفاتر: ضعيف، والفتور من صفات الحسن في عيون النساء لأنه عنوان الخفر والحياء.

(٥) **البلاء (هنا)**: محنة الحب وهمومه.

(٦) **الشرك**: حبائل الصيد، وما ينصب للطير. والغادة: المرأة الناعمة اللّينة.

(٧) **الطرّة**: الشعر الموفى على الجبهة تطرّه الجارية أي تسوّيه وتحفّه وتعدله وتصففه. وتشبيه الطرة بالبنفسج غير مألوف، ولعله يقصد إلى ما في الطرة من رائحة ذكية، أو يقصد تشبيهها بطاقة البنفسج في النعومة والغزارة. والقدّ: القوام.

(٨) **بكحلاوين**: أي بعينين كحلاوين. والكحلاء: الشديدة سواد العين، أو التي تبدو كأنها مكحولة وإن لم تكحل.

(٩) **العذول**: اللائم. ويريد بما جنى طرفي عليّ: الذي جرته عينه إليه من آلام الحبّ وهمومه.

(١٠) **الطرف**: العين. والعنان: سير اللجام الذي تمسك به الدابة.

(١١) **حسبك**: كفاك. ومعاشر: جمع معشر، بمعنى الجماعة من الناس.

(١) **الأحمق**: القليل العقل.

لَيْسَ بَيْنَ الْجُنونِ والْحُمْقِ إلاَّ مِثْلُ مَا بَيْنَ أدْهَمٍ وكُمَيْتِ[٢]

وَقالَ وَقَدْ مَرَّ بِصَحْراءِ الْقَرافَةِ ، فَرَأى نِسْوَةً يَنُحْنَ على هالِكٍ :

رَأَيْتُ بِصَحْراءِ الْقَرافَةِ نِسْوَةً نَوازِعَ لا يَأْوِينَ حُزْناً إلى بَيْتِ[١]
يَنُحْنَ على مَيْتٍ سَيَتْبَعْنَ إثْرَهُ وَمِنْ عَجَبٍ مَيْتٌ يَنُوحُ على مَيْتِ[٢]

وقال في الزُّهْدِ :

كُلُّ حَيٍّ سَيَمُوتُ لَيْسَ في الدُّنيا ثُبُوتُ[١]
حَرَكاتٌ سَوْفَ تَفْنَى ثُمَّ يَتْلُوها خُفُوتُ[٢]
وَكَلامٌ لَيْسَ يَحْلُو بَعْدَهُ إلاَّ السُّكُوتُ
أيُّها السَّادِرُ قُلْ لي أيْنَ ذاكَ الْجَبَرُوتُ ؟[٣]
كُنْتَ مَطْبُوعاً على النُّطْـ ـقِ فَمَا هَذا الصُّمُوتُ ؟
لَيْتَ شِعْرِي أهُمُودٌ مَا أرَاهُ أمْ قُنُوتُ ؟[٤]
أيْنَ أمْلاكٌ لَهُمْ في كُلِّ أفْقٍ مَلَكُوتُ[٥]

---

(٢) الأدهم: الأسود. والكميت من الخيل ما كان بين الأسود والأحمر. والمعنى أن الحمق قريب من الجنون، كقرب الكمتة من الدهمة.
(١) القرافة: مقبرة بمصر. ونوازع: مشتاقات تحن إلى هذا الميت.
(٢) ناح الإنسان: بكى، واستبكى غيره.
(١) الثبوت: الدوام والاستقرار.
(٢) الخفوت: السكون والسكوت.
(٣) السادر: التائه في الغيّ، الذي لا يهتم، ولا يبالي ما صنع. والجبروت: الكبر.
(٤) ليت شعري: أي ليتني أدري. والهمود: الموت. والقنوت: السكوت والخشوع.
(٥) الملكوت: الملك والعز والسلطان.

زَالَتِ التِّيجَانُ عَنْهُمْ   وَخَلَتْ تِلْكَ التُّخُوتُ(٦)
أَصْبَحَتْ أَوْطَانُهُمْ مِنْ   بَعْدِهِمْ وَهْيَ خُبُوتُ(٧)
لا سَمِيعٌ يَفْقَهُ الْقَوْ   لَ ولا حَيٌّ يَصُوتُ
عَمَرَتْ مِنْهُمْ قُبورٌ   وَخَلَتْ مِنْهُمْ بُيُوتُ
لم تَذُدْ عَنْهُمْ نُحُوسَ الدَّ   هْرِ إذْ حانَتْ بُخُوتُ(٨)
خَمَدَتْ تِلْكَ الْمَسَاعِي   وانْقَضَتْ تلكَ النُّعُوتُ
إِنَّما الدُّنْيا خَيَالٌ   باطِلٌ سَوْفَ يَفُوتُ
لَيْسَ لِلإِنْسانِ فِيهَا   غَيْرَ تَقْوَى اللهِ قُوتُ

---

(٦) خلا المكان: فرغ. والتخوت: جمع تخت، وهو وعاء تصان فيه الثياب، وقد استعمله المولدون في ما يجلس عليه، وبخاصة فيما يجلس عليه الملك، وهو المراد هنا.

(٧) الخبوت: جمع خبت وهو المتسع من بطون الأرض، أو هو ما اطمأن من الأرض واتسع، أو هو الخفيّ المطمئنّ من الأرض فيه رمل.

(٨) لم تذد: لم تدفع، ولم تمنع. والبخوت: جمع بخت، وهو الجدّ، أي الحظ والحظوة والرزق والعظمة.

قافية الثاء

قال :

إلَى اللهِ أَشْكُو أَنَّنِي بَيْنَ مَعْشَرٍ   سَواءٌ لَدَيْهِمْ طَيِّبٌ وخَبِيثُ[1]

لَهُمْ أَلْسُنٌ إنْ رُمْتَ أمْراً بَلَغْتَهُ   مِنَ النَّفْسِ مَصْنُوعٌ لَهُنَّ حَدِيثُ[2]

تَرِثُّ عَلى قُرْبِ الوِدادِ عُهُودُهُمْ   وكَيْفَ يَدُومُ الشَّيءُ وهْوَ رَثِيثُ ؟[3]

فَلَيْسَ لَهُمْ فِي سالِفِ الدَّهْرِ مَحْتِدٌ   قَدِيمٌ ولاَ فِي الْمَكْرُمَاتِ حَدِيثُ[4]

بَرِمْتُ بِهِمْ حَتَّى سَئِمْتُ مَكَانَتِي   وَأَنْكَرْتُ طِيبَ الْعَيْشِ وَهْوَ دَمِيثُ[5]

إذا لم يُغِثْنِي اللهُ مِنْهُمْ بِفَضْلِهِ   فَمَا لِيَ بَيْنَ الْعَالَمِينَ مُغِيثُ

وقال :

آهِ مِنْ غُرْبَةٍ وَفَقْدِ حَبِيبٍ   أَوْرَثَا مُهْجَتِي عَذاباً مَكِيثَا

لا تَسَلْنِي عَمَّا أُقاسِي فَإِنِّي   بَيْنَ قَوْمٍ لا يَفْقَهُونَ حَدِيثَا

---

(١) المعشر : جماعة الناس .

(٢) رام الشيء : طلبه .

(٣) ترثّ : تبلى وتخلق ، ماضي رثّ ، ومثله أرثّ .

(٤) سالف الدهر : ماضي الزمان . والمحتد : الأصل .

(٥) برمت بالشيء : سئمت منه وضجرت . ودميث : سهل لين .

وقال :

أَلا قُـلْ لِقَـوْمٍ شـامِتِينَ تَـرَبَّصـوا تَـهَـزُّمَ شَـرٍّ بِـالْـمَـنِيَّـة كـارِثِ[1]
أَرَى سِتْـرَ خَـطْبٍ قَـدْ تَـرَفَّـعَ وانْبَـرَتْ تَلُوحُ لَهُـمْ مِنْـهُ وُجُـوهُ الْـحَـوادِثِ[2]

(١) كارث: شديد فادح، من كرثه الغمّ يكرثه، أي اشتدّ عليه.
(٢) الخطب: الأمر الشديد ينزل بالناس. وحوادث الدهر وأحداثه: نوائبه.

قافية الجيم

قال يمدحُ النبيّ صلّى الله عليه وسلم :

يـا صـارِمَ اللَّحْظِ مَنْ أَغْـرَاكَ بِـالْمُهَـجِ ... حَتَّى فَتَكْتَ بِهَـا ظُلْمـاً بِـلا حَـرَجِ [1]

مـا زالَ يَـخْـدَعُ نَفْسِي وهْـيَ لاهِيَـةٌ ... حَتَّى أَصَـابَ سَوادَ الْقَلْبِ بِـالـدَّعَـجِ [2]

طَـــرْفٌ لَوَ أَنَّ الـظُّبَـا كـانَتْ كَلَحْـظَتِـهِ ... يَـومَ الْكَـرِيهَــةِ مـا أَبْقَتْ عَلَى وَدَجِ [3]

أَوْحَـى إِلى الـقَلْبِ فـانْـقَـادَتْ أَزِمَّتُـهُ ... طَـوْعــاً إِلَيْــهِ وخَــلاَّنِي وَلَمْ يَعُـجِ [4]

فَـكَيْـفَ لِي بِـتَـلافِيــهِ وَقَــدْ عَـلِقَـتْ ... بِــهِ حَبائِــلُ ذاكَ الشَّـادِنِ الْغَنِـجِ [5]

كـادَتْ تُـذِيـبُ فُؤادِي نـارُ لَـوْعَـتِـهِ ... لَوْلَمْ أَكُنْ مِنْ مَسِيلِ الدَّمْعِ في لُجَجِ [6]

---

(١) المراد باللحظ الصارم: النظرة الفاتنة الساحرة. والمهج: جمع مهجة، وهي الروح. والفتك: البطش أو القتل على غفلة.

(٢) خدعه: ختله، وأراد به المكروه من حيث لا يعلم. وسواد القلب وسويداؤه: حبّته. والدعج: شدة سواد العين مع سعتها.

(٣) الطرف: العين. والظبا: جمع ظبة، وهي حدّ السيف والسنان ونحوهما. والكريهة: الحرب أو الشدّة فيها. والودج: عرق في العنق، وهو الوريد الذي يقطعه الذابح فلا تبقى معه حياة.

(٤) الأزمّة: جمع زمام، وهو المقود أي الحبل الذي تقاد به الدابة. ولم يعج: لم يرجع.

(٥) الحبائل: جمع حبالة، وهي الشرك. والشادن: الغزال إذا قوي واستغنى عن أمّه. والغنج: الحسن الدل.

(٦) اللوعة: حرقة في القلب، وألم من حبّ أو غيره. واللجج: جمع لجة، وهي معظم الماء.

لَـوْلا الْفَـواتِنُ مِنْ غِـزْلانِ « كـاظِمَـةٍ » ... مـا كـانَ لِلْحُبِّ سُلْطَانٌ عَلى الْمُهَـجِ (٧)

فَـهَـلْ إلَـى صِـلَةٍ مِـنْ غَـادِرٍ عِـدَةٌ ... تَشْفِي تَبارِيـحَ قَلْبٍ بِـالْفِـراقِ شَـجِ (٨)

أَبِيتُ أَرْعَـى نُجُـومَ الـلَّيْـلِ في ظُلَمٍ ... يَخْشى الضَّـلالَـةَ فيهـا كُـلُّ مُـدَّلِـجِ (٩)

كَـأَنَّ أَنْـجُـمَـهُ والْـجَـوُّ مُعْـتَـكِـرٌ ... غِيـدٌ بِـأَخْبِيَـةٍ يَنْـظُرْنَ مِنْ فُـرَجِ (١٠)

لَـيْـلٌ غَيـاهِـبُـهُ حَـيْـرَى وأَنْـجُـمُـهُ ... حَسْرَى وساعاتُهُ في الطُّولِ كالْحِجَجِ (١١)

كَـأنَّمـا الصُّبْـحُ خـافَ اللَّيْـلَ حِينَ رَأَى ... ظَـلْـمَـاءَهُ ذاتَ أَسْـدادٍ فَـلَمْ يَـلِجِ (١٢)

فَـلَيْتَ مَـنْ لامَنِي لانَـتْ شَـكِـيـمَـتُـهُ ... فَكَفَّ عَنِّي فُضُـولَ الْمَنطِقِ السَّمِـجِ (١٣)

يَـظُنُّ بِـي سَـفَـهـاً أَنِّـي عَـلَى سَـرَفٍ ... ولا يَكَـادُ يَـرَى مـا فِيـهِ مِنْ عِـوَجِ (١٤)

فـاعْـدِلْ عَنِ اللَّوْمِ إنْ كُنْتَ امْـرَأً فَـطِنَـاً ... فاللَّوْمُ في الْحُبِّ مَعْدُودٌ مِنَ الْهَـوَجِ (١٥)

---

(٧) الفواتن: جمع فـاتنة، وهي المـرأة المعجبة المـدلهة. وكـاظمة: مـوضع تغنى بـه الشعراء الأقدمون. والمهج: جمع مهجة، وهي الروح والنفس.

(٨) التباريح: جمع تبريح، وهو الشدّة، وتباريح الشوق: تـوهّجه وتـوقّده. والشجي: الحـزين المهموم.

(٩) أرعى النجوم: أراقبها، وأنتظر مغيبها. والمدّلج: السائر في آخر الليل، أو الذي يسير الليل كله.

(١٠) اعتكر الليل: اشتدّ سواده والتبس. وغيد: جمع غيداء، وهي المرأة المتثنية ليناً. والأخبية: جمع خباء، وهو بناء يكون من وبر أو صوف، ويقوم على عمودين أو ثلاثة. وفرج: جمع فرجة، وهي الثغرة.

(١١) الغياهب: جمع غيهب. والمراد بحيرى: أن ظلمات هذا الليل مجتمعة واقفة، كأنها لا تدري كيف تسير. وحسرى: جمع حسير، أي كليل ضعيف. والحجج: جمع حجة، وهي السنة.

(١٢) الأسداد: جمع سدّ، وهو الحاجز بين الشيئين، يقال: ضُربت بينهم الأسداد. وولج: دخل.

(١٣) الشكيمة: الطبع. والمراد بفضول المنطق: الكلام الزائد الذي لا فـائدة فيـه. والسمج: القبيح.

(١٤) السفه: الجهل، وخفّة العقل. والسرف: ضدّ القصـد. والعوج: عـدم الاستقامـة، وسوء الخلق.

(١٥) الفطن: الحاذق الفهم. والهوج: الحمق والطيش والتسرّع.

هَيْهَاتَ يَسْلُكُ لَوْمُ الْعَاذِلِينَ إِلَى ... قَلْبٍ بِحُبِّ رَسُولِ اللهِ مُمْتَزِجِ[١٦]

هُوَ النَّبِيُّ الذي لَوْلَا هِدَايَتُهُ ... لَكانَ أَعْلَمُ مَنْ فِي الأَرْضِ كَالْهَمَجِ[١٧]

أَنَا الَّذي بِتُّ مِنْ وَجْدِي بِرَوْضَتِهِ ... أَحِنُّ شَوْقاً كَطَيْرِ الْبَانَةِ الْهَزِجِ[١٨]

هاجَتْ بِذِكْرَاهُ نَفْسِي فاكْتَسَتْ وَلَهاً ... وأَيُّ صَبٍّ بِذِكْرِ الشَّوْقِ لَمْ يَهِجِ ؟[١٩]

فَمَا احْتِيَالِي ونَفْسِي غَيْرُ صابِرَةٍ ... عَلَى البُعَادِ وهَمِّي غَيْرُ مُنْفَرِجِ[٢٠]

لا أَسْتَطِيعُ بَرَاحاً إِنْ هَمَمْتُ وَلَا ... أَقْوَى عَلَى دَفْعِ ما بِالنَّفْسِ مِنْ حِوَجِ[٢١]

لَوْ كانَ لِلْمَرْءِ حُكْمٌ في تَنَقُّلِهِ ... ما كانَ إِلَّا إِلَى مَغْنَاهُ مُنْعَرَجِي[٢٢]

فَهَلْ إِلَى صِلَةِ الآمَالِ مِنْ سَبَبٍ ؟ ... أَمْ هَلْ إِلَى ضِيقَةِ الأَحْزَانِ مِنْ فَرَجِ ؟

يا رَبِّ بِالْمُصْطَفَى هَبْ لي وَإِنْ عَظُمَتْ ... جَرائِمِي رَحْمَةً تُغْنِي عَنِ الْحُجَجِ[٢٣]

ولا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي فَإِنَّ يَدِي ... مَغْلُولَةٌ وَصَبَاحِي غَيْرُ مُنْبَلِجِ[٢٤]

---

(١٦) العاذل: اللائم.

(١٧) الهمج: الحمقى، وهم خفاف الأحلام، ضعاف العقول من الناس.

(١٨) يريد بالروضة: قبر النبي (صلعم)، أو ما بين قبره ومنبر مسجده، كأنما هو روضة من رياض الجنة. والبانة: واحدة البان، وهو ضرب من الشجر يسمو ويطول في ارتفاع مثل نبات الأثل. والهزج: المغرّد.

(١٩) الوله: ذهاب العقل، والتحيّر من شدة الوجد. والصب: العاشق المشتاق، من الصبابة: وهي رقّة الشوق وحرارته، أو رقّة الهوى.

(٢٠) البعاد: البعد. والهمّ: الوجد والحزن. وانفرج الهمّ: انكشف وزال.

(٢١) برح مكانه: زال عنه. وهممت بالشيء: أردته، وعزمت عليه. والدفع: مصدر دَفَع الشيء: أي نحاه، وأزاله بقوّة. والحوج: جمع حاجة.

(٢٢) المغنى: المنزل، والمراد قبره ومسجده (صلعم). والمنعرج: الانعراج، وهو الانعطاف والانحناء، والمراد: الانتقال والسفر.

(٢٣) الحجج: جمع حجّة، وهي الدليل والبرهان، والمراد بها المعذرة.

(٢٤) يده مغلولة: مربوطة إلى عنقه بالغلّ، وهو طوق من حديد يجعل في العنق.

مَـا لِـي سِـواكَ وأَنْتَ الْـمُسْـتَعـانُ إذَا ... ضَاقَ الزِّحَامُ غَداةَ المَـوقِفِ الْحَرِجِ[٢٥]

لَـم يَبْـقَ لِـي أَمَـلٌ إلاَّ إِلَـيْـكَ فَـلاَ ... تَقْطَعْ رَجَائِي فَقَدْ أَشْفَقْتُ مِنْ حَرَجِي[٢٦]

وقال :

أَبَعْـدَ سِتِّينَ لـي حَـاجٌ فَـأَطْلُبـهَـا ؟ ... هَيْهَـاتَ ما لامْـرِىءٍ بَعْدَ الصِّبَا حاجُ[١]

إنَّ ابْـنَ آدَمَ في الـدُّنْـيَـا عَـلَى خَـطَرٍ ... لا يَـسْتَـقِيـمُ لَـهُ قَـصْـدٌ ومِـنْـهَـاجُ[٢]

كَـأَنَّـمَـا هُـوَ فـي فُـلْكٍ تُـحِـيطُ بِـهِ ... مِـنْ جـانِـبَـيْـهِ أَعَـاصِيـرٌ وأَمْـواجُ[٣]

يَهْـوَى الْبَـقَـاءَ ومَكْـرُوهُ الْـفَنَـاءِ بِـهِ ... ويَـسْـتَـعِـزُّ بِـأَمْـنٍ فِـيـهِ إِزْعَـاجُ[٤]

لا أَحْفِـلُ الـطَّـيْـرَ إنْ غَنَّتْ وإنْ نَعَـبَتْ ... سِـيَّـان عِـنْـدِي صَـفَّـارٌ وشَـحَّـاجُ[٥]

يَسْتَعْـظِمُـونَ مِنَ الْحَجَّـاجِ صَـوْلَتَـهُ ... وكُـلُّ قَـوْمٍ بِهِمْ للظُّلْمِ حَجَّـاجُ[٦](★)

---

(٢٥) الغداة: ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس، والمراد بها هنا الوقت مطلقاً. والحرج: الضيق، ويقصد بالموقف الحرج: موقف الحساب يوم القيامة.

(٢٦) الحرج: الإثم والذنب.

(١) الحاج: جمع حاجة، والمراد حاجات الشباب، ودواعي الصبا.

(٢) الخطر: الإشراف على الهلاك.

(٣) الفُلْك: السفينة.

(٤) استعزّ به: عد نفسه عزيزاً به، أي قويّاً غالباً.

(٥) صفار: أي كثير الصفير. وغراب شحاج: كثير الشحيج أو الشُحَاج، وهو صوت الغراب، أو صوت غليظ له إذا أسنّ.

(٦) الحجاج: هو أبو محمد بن يوسف الثقفي، أحد جبابرة العرب وحكّامها، وموطّد ملك بني أمية في عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد، وقد اشتهر الحجّاج بالشدّة والقسوة وسفك الدماء، ولد سنة ٤١ هـ، ومات سنة ٩٥. والصولة: السطوة والقهر والبطش.

(★) هذه الأبيات من شعره في سرنديب وهو في الستين من عمره، أي في أوائل سنة ١٨٩٩ قبل أن يفرج عنه ببضعة أشهر.

قافية الحاء

وقال وهو في حربِ الرُّوس(★) سنة أربع وتسعين ومائتين وألف هجرية (١٢٩٤ هـ ـ ١٨٧٧ م) يذكر شوقَهُ إلى الوطن ، ويَصِفُ هذه الحربَ :

هَنِيئاً « لِرَيَّا » ما تَضُمُّ الْجَوَانِحُ ... وإنْ طَوَّحَتْ بِي في هَواهَا الطَّوائِحُ(١)

فَتَاةٌ لَهَا فِي مَنْصِبِ الْحُسْنِ سُورَةٌ ... تُقَصِّرُ عنها الْغِيدُ وَهْيَ رَواجِحُ(٢)

أَحَاطَ عَلَى مِثْلِ الْكَثِيبِ إزارُهَا ... ودَارَتْ عَلَى مِثْلِ الْقَناةِ الْوَشائِحُ(٣)

فَفِي الْغُصْنِ مِنْهَا إنْ تَثَنَّتْ مَشابِهٌ ... وفي الْبَدْرِ منها إنْ تَجَلَّتْ مَلامِحُ

مَحَاسِنُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ كَثِيرَةٌ ... وَلَكِنَّها إنْ وازَنَتْها مَقابِحُ(٤)

(★) يريد الحرب التي كانت بين تركيا وروسيا وحلفائها، أعلنتها روسيا في إبريل سنة ١٨٧٧ م (شهر ربيع الثاني سنة ١٢٩٤ هـ) وتبعتها رومانيا ثم الصرب والجبل الأسود. وقد انتهت هذه الحرب بهزيمة تركيا، وعقد معاهدة «سان استفانو» في مارس سنة ١٨٧٨ م.

(١) ريا: اسم محبوبته. والجوانح: أضلاع الصدر. وطوّحته الطوائح: قذفته القواذف، وطوح به: ألقاه في الهواء.

(٢) المنصب: الأصل. والسورة: المنزلة. والغيد: جمع غيداء، وهي المرأة الناعمة المتثنية ليناً.

(٣) الكثيب: المجتمع من الرمل يشبه به كفل المرأة، أي عجزُها. والإزار: الملحفة، والمراد به: ما يغطي أسفل الجسم من الثياب. والقناة: الرمح، يشبّه قدّ المرأة وقامتها بالقناة في الاعتدال، والاستواء، واللدانة، والمرونة. والوشائح: جمع وشاح، وهو نسيج عريض يرصع بالجواهر، وتشده المرأة بين عاتقها وكشحها.

(٤) ربّات الحجال: المخدرات المحجّبات من النساء.

كأَنَّ اهْتِزازَ الْقُرْطِ في صَفْحِ جِيدِها ... سَنا كَوْكَبٍ في مَطْلَعِ الْفَجْرِ لائِحُ[٥]

لها ذُكْرَةٌ عِنْدِي وَطَيْفٌ كلاهُما ... بِتِمْثالِها غادٍ عَلَيَّ ورائِحُ[٦]

عَجِبْتُ لِعَيْنِي كَيْفَ تَظْمَأُ دُونَها ... وإِنْسانُها في لُجَّةِ الْماءِ سابِحُ[٧]

أَحِنُّ لَها شَوْقاً ودُونَ مَزارِها ... مَسالِكُ يَأْوِيها الرَّدَى ومَنادِحُ[٨]

فَيافٍ يَضِلُّ النَّجْمُ في قُذُفاتِها ... وتَظْلَعُ فيها النَّائِجاتُ الْبَوارِحُ[٩]

وَلُجَّةُ بَحْرٍ كُلَّما هَبَّ عاصِفٌ ... مِنَ الرِّيحِ دَوَّى مَوْجُها الْمُتَناطِحُ

فَقَلْبِيَ تَحْتَ السَّرْدِ كالنَّارِ لافِحٌ ... ودَمْعِيَ فَوْقَ الْخَدِّ كالْماءِ سافِحُ[١٠]

ولَوْ كُنْتُ مَطْلُوقَ الْعِنانِ لَما ثَنَت ... هَوايَ الْفَيافِي والْبِحارُ الطَّوافِحُ[١١]

ولَكِنَّنِي في جَحْفَلٍ لَيْسَ دُونَهُ ... بَراحٌ لِذِي عُذْرٍ وَلاَ عَنْهُ بارِحُ[١٢]

يُكافِحُنِي شَوْقِي إذا اللَّيْلُ جَنَّنِي ... وأَغْدُو عَلَى جَمْعِ العِدَا فَأُكافِحُ[١٣]

خَصِيمانِ هذا بِالْفُؤادِ مُخَيِّمٌ ... وذلكَ عَنْ مَرْمَى الْقَذِيفَةِ نازِحُ[١٤]

---

(٥) القرط: ما يعلّق في شحمة الأذن من الحليّ.

(٦) الذكرة: الحفظ للشيء، والشيء يجري على اللسان. والطيف: الخيال الطائف في المنام. والتمثال: الصورة.

(٧) إنسان العين: حدقتها وسوادها. ولجّة الماء: معظمه.

(٨) المزار: موضع الزيارة. يأويها: يقيم بها. والردى: الهلاك. والمنادح: الأراضي الواسعة.

(٩) الفيافي: الصحارى. والقذفات: جمع قذفة، وهي الجانب والناحية. وظلع البعير والرجل: أي غمز في مشيه، وهو شبيه بالعرج. والنائجات: الرياح السريعة، يقال: للريح نئيج أي مرّ سريع بصوت. والبوارح: جمع بارح، وهي الريح الحارة في الصيف، أو الريح البارح: الشديدة.

(١٠) السرد: اسم جامع للدروع. ولافح: حارّ محرق. وسافح: منصبّ.

(١١) العنان: سير اللجام الذي تمسك به الدابة.

(١٢) الجحفل: الجيش الكثير. والبراح: المتسع من الأرض لا زرع به ولا شجر. وبارح: زائل. ولا بارح عنه: أي لا مفرّ منه، ولا محيص عنه.

(١٣) يكافحني: يلاقيني. وجنّه الليل: ستره.

(١٤) الخصيم: المخاصم. ومخيِّم: مقيم. والقذيفة: كل ما يرمى به. ونازح: بعيد.

وَمَا بِيَ ما أَخْشَاهُ مِنْ صَوْلَةِ الْعِدا — لَوَ انَّ الْهَوَى يُولِي يَداً أَوْ يُسامِحُ[15]

فَيا « رَوْضَةَ الْمِقْياسِ » حَيَّاكِ عارِضٌ — مِنَ الْمُزْنِ خَفَّاقُ الْجَناحَيْنِ دالِحُ[16]

ضَحُوكُ ثَنايَا الْبَرْقِ تَجْرِي عُيُونُهُ — بِوَدْقٍ بِهِ تَحْيَا الرُّبَا والصَّحاصِحُ[17]

تَحُوكُ بِخَيْطِ الْمُزْنِ مِنْهُ يَدُ الصَّبَا — لَها حُلَّةً تَخْتالُ فِيهَا الأَباطِحُ[18]

مَنازِلُ حَلَّ الدَّهْرُ فِيهَا تَمائِمي — وصَافَحَنِي فيها الْقَنا والصَّفائِحُ[19]

وإنَّ أَحَقَّ الأَرْضِ بِالشُّكْرِ مَنْزِلٌ — يَكُونُ بهِ لِلْمَرْءِ خِلٌّ مُنَاصِحُ

فَهَلْ تَرْجِعُ الأَيَّامُ فيهِ بِما مَضَتْ — ويَجْرِي بِوَصْلٍ مِنْ « أُمَيْمَةَ » سانِحُ ؟[20]

لَعَمْرِي لَقَدْ طَالَ النَّوَى وَتَقاذَفَتْ — مَهامِهُ دُونَ الْمُلْتَقَى ومَطاوِحُ[21]

وأَصْبَحْتُ في أَرْضٍ يَحارُ بها الْقَطا — وتَرْهَبُها الْجِنَّانُ وَهْيَ سَوارِحُ[22]

بَعِيدَةُ أَقْطارِ الدَّيامِيمِ لَوْ عَدَا — « سُلَيْكٌ » بها شَأْواً قَضَى وَهْوَ رازِحُ[23]

---

(١٥) الصولة: السطوة والوثوب.

(١٦) روضة المقياس: جزيرة في النيل شرقي الجيزة، وقد أكثر البارودي من التغني بها. والعارض: السحاب المعترض في الأفق. والمزن: السحاب. وخفّاق الجناحين: مضطرب متحرك، تسوقه الرياح. وسحاب دالح: كثير المطر.

(١٧) الثنايا: الأسنان الأربع التي في مقدم الفم، واحدتها ثنية. والودق: المطر. والصحاصح: جمع صحصح، وهو ما استوى من الأرض.

(١٨) الصبا: ريح تهب من مطلع الشمس. والأباطح: جمع الأبطح، وهو المكان المتسع.

(١٩) التمائم: جمع تميمة، وهي عوذة أو خرزة تعلّق على الصبيّ لتدفع العين عنه، ومعنى حلّ الدهر فيها تمائمي: أنه ترعرع وشبّ وجاوز الصبا في هذه المنازل. والقنا: جمع قناة، وهي الرمح. والصفائح: السيوف العراض.

(٢٠) مرّ به الطائر سانحاً: أي عن يمينه، وهو مما يتفاءل به.

(٢١) النوى: البعد. والمهامه: جمع مهمه أو مهمهة، وهي المفازة البعيدة والبلد المقفر. والمطاوح: المقاذف والمهالك.

(٢٢) القطا: ضرب من الحمام يضرب المثل بهدايته. والجنان: جمع جان، والجان والجنّ والجنّة: خلاف الأنس، والبشر.

(٢٣) الدياميم: جمع ديموم أو ديمومة، وهي الأرض القفر، أو الصحراء الواسعة. وسليك بن

تَصِيحُ بهـا الأَصْـدَاءُ في غَسَقِ الـدُّجَى	صِيَـاحَ الثَّكَـالَى هَيَّجَتْها النَّـوائِـحُ(٢٤)
تَـرَدَّتْ بِسَمُّـورِ الْـغَمـامِ جِبـالُهـا	ومَـاجَتْ بِتَيَّـارِ السُّيُـولِ الْبَطَائِـحُ(٢٥)
فـأَنْجـادُهـا لِلْكَـاسِـراتِ مَعَـاقِـلُ	وأَغْـوَارُهـا لِلْعـاسِـلاتِ مَسَـارِحُ(٢٦)
مَهَـالِـكُ يَنْسَى الْـمَـرْءُ فيـهـا خَلِيلَهُ	ويَنْـدُرُ عَنْ سَـوْمِ الْعُـلا مَنْ يُنَـافِـحُ(٢٧)
فَـلاَ جَـوَّ إِلاَّ سَـمْـهَـرِيٌّ وقَـاضِـبٌ	ولا أَرْضَ إِلاَّ شَـمَّـرِيٌّ وسَـابِـحُ(٢٨)
تَـرانَـا بِهَـا كَـالأُسْـدِ نَرْصُـدُ غَـارَةً	يَـطِيـرُ بِهَـا فَتْقٌ مِنَ الصُّبْحِ لامِـحُ(٢٩)
مَـدافِعُنَـا نُـصْبُ الْـعِـدَا ومُشَـاتُـنَـا	قِيَـامٌ تَلِيهـا الصَّـافِنـاتُ الْقَـوارِحُ(٣٠)

يثربيّ بن سنان بن سلكة، وهي أمه: لصّ جاهليّ فتّاك عداء، يضرب به المثل في العدو، قيل: كان يطلب الخيل فيدركها، وتطلبه هي فلا تدركه. وكانت لـه دراية واسعـة بالأرض ومَجَاهلها وفجاجها. وجرى شأواً: جرى طلقاً وشوطاً، والشأو: الغاية والأمد. ورزح رزوحاً: سقط إعياء، أو هزالاً.

(٢٤) الأصداء: جمع صدى، وهو طائر يصرّ بالليل، يقفز قفزاناً. والصدى أيضاً: الصوت يعود على من يصيح في الخلاء. والمراد بغسق الدجى: ظلام الليل. والثكالى: جمع ثكلى، وهي المرأة التي فقدت ولدها.

(٢٥) تردت: لبست الرداء. والسمّور: حيوان برّي ثَدْيِيّ من آكلات اللحوم، يتّخذ من جلده فراء ثمينة. والبطائح: جمع بطيحة، وهي مسيل واسع فيه دقاق الحصى.

(٢٦) الأنجـاد: جمع نجد، وهو مـا أشرف وارتفـع من الأرض. والكاسـرات: الطيـور تكسر أجنحتها، أي تضمها للوقوع. والمعاقل: جمع معقل، وهو الملجأ. والأغوار: جمع غور، وهو المطمئن من الأرض. والعاسلات: الذئاب، عسل الذئب يعسل عسلاً وعسـلاناً: أي اضطرب في عدوه وهزّ رأسه. والمسارح: جمع مسرح، وهو المرعى.

(٢٧) الخليل: الصديق. ويندر: يسقط، أو يهلك، أو يقلّ. والمراد بسوم العلا: طلب الرفعة، ومعالجة الوصول إليها. وينافح: يكافح ويدافع.

(٢٨) السمهريّ: الرمح الصلب، وقيل: منسوب إلى سمهر: اسم رجل كان يثقّف الرماح ويقوّمها. والقاضب: السيف القطاع. والشمّريّ: الشجاع المجرّب الماضي في الأمـور. والسابـح: الفرس يسبح بيديه في سيره.

(٢٩) الغارة: الهجمة. وفتق الصبح: انشقاق الفجر. ولامح: لامع.

(٣٠) الصافنات: جمع الصافن، وهو من الخيل ما يقف على ثلاث قوائم، وقد أقام الرابعة على

ثَـلاثَـةُ أَصْنَـافٍ تَـقِـيـهِـنَّ سَـاقَـةٌ ... صِيَالَ الْعِدَا إِنْ صاحَ بِالشَّرِّ صائِحُ[٣١]

فَـلَسْـتَ تَـرَى إِلَّا كُـمَـاةً بَـوَاسِـلا ... وجُرْداً تَخُوضُ الْمَوْتَ وَهْيَ ضَوابِحُ[٣٢]

نُغِيـرُ على الأَبْـطَالِ والصُّبْـحُ بَـاسِمٌ ... ونَـأْوِي إِلَى الأَدْغَالِ واللَّيْـلُ جانِـحُ[٣٣]

بَكَى صاحِبِي لَمَّـا رَأَى الْحَـرْبَ أَقْبَلَتْ ... بِـأَبْنَـائِهـا والْيَـوْمُ أَغْبَـرُ كـالِـحُ

ولَـمْ يَـكُ مَـبْـكَـاهُ لِـخَـوْفٍ وإِنَّـمَـا ... تَـوَهَّمَ أَنِّي في الْكَـرِيهَـةِ طَـائِـحُ[٣٤]

فَقَـالَ اتَّئِـدْ قَبْـلَ الـصِّيَـالِ ولا تَـكُنْ ... لَنَفْسِـكَ حَـرْبَـاً إِنَّنِي لَـكَ نَـاصِـحُ[٣٥]

أَلَـمْ تَـرَ مَعْـقُـودَ الـدُّخَـانِ كَـأَنَّمَـا ... عَلَى عَـاتِقِ الْجَـوْزَاءِ مِنْـهُ سَـرائِـحُ[٣٦]

وقَـدْ نَشَـأَتْ لِلْحَـرْبِ مُـزْنَـةُ قَسْطَلٍ ... لَهَـا مُسْتَهِـلٌّ بِـالْـمَنِيَّـةِ راشِـحُ[٣٧]

فَـلاَ رَأْيَ إِلَّا أَنْ تَـكُـونَ بِـنَـجْـوَةٍ ... فـإِنَّـكَ مَقْصُـودُ الْمَكَـانَـةِ واضِـحُ[٣٨]

فَـقُلْتُ تَـعَـلَّمْ إِنَّـمَـا هِـيَ خُـطَّةٌ ... يَـطُولُ بهـا مَجْـدٌ وتُخْشَى فَضَـائِـحُ[٣٩]

فَمَـا كُـلُّ مـا تَـرْجُـو مِنَ الأَمْـرِ نَـاجِعٌ ... ولا كُلُّ ما تَخْشَى مِنَ الْخَـطْبِ فَادِحُ[٤٠]

طرف الحافر، وهو من الصفات المحمودة في الخيل. والقوارح: جمع قارح، وهو من الخيل ونحوها ما بلغ الخامسة من عمره.

(٣١) ساقة الجيش: مؤخره. وصال على قرنه صولاً وصيالاً: سطا عليه وبطش به.

(٣٢) الكماة: جمع كميّ، وهو الشجاع، أو لابس السلاح. والجرد: جمع أجرد، وهو الفرس السبّاق. وضوابح: جمع ضابح، وضبح الخيل: صوت أنفاسها عند العدو والجري.

(٣٣) الأدغال: جمع دغل، وهو الشجر الكثير الملتفّ.

(٣٤) الكريهة: الحرب. وطائح: هالك.

(٣٥) اتئد: تأنّ وتمهّل. والصيال: السطو والبطش.

(٣٦) العاتق: ما بين المنكب والعنق. والجوزاء: كوكب. والسرائح: جمع سريحة، وهي القطعة من الثوب، والمراد قطع الدخان.

(٣٧) المزنة: السحابة. والقسطل: الغبار. واستهلّ المطر: اشتدّ انصبابه.

(٣٨) النجوة: ما ارتفع من الأرض، والمراد المكان البعيد عن الخطر.

(٣٩) الخطّة: الشأن والحالة.

(٤٠) ناجع: نافع ذو أثر ظاهر. والخطب: الشأن والأمر والنازلة. وفادح: صعب شاق باهظ.

فَقَـدْ يَهْلَكُ الـرِّعْـدِيـدُ في عُقْـرِ دارِهِ ... ويَنْجُو مِنَ الْحَتفِ الْكَمِيُّ الْمُشايِـح(٤١)

وَكُـلُّ امْـرِىءٍ يَـوْمـاً مُـلاقٍ حِمَـامَـهُ ... وإنْ عَـارَ في أَرْسَـانِـهِ وَهْـوَ جـامِـحُ(٤٢)

فَمَـا بـارِحٌ إلاَّ مَـعَ الْخَـيْـرِ سـانِـحٌ ... ولا سَـانِـحٌ إلاَّ مَـعَ الشَّـرِّ بـارِحُ(٤٣)

فَـإنْ عِشْتُ صـافَحْتُ الثُّـرَيَّـا وإنْ أَمُتْ ... فـإنَّ كَـرِيمـاً مَنْ تَضُمُّ الصَّفَـائِـحُ(٤٤)

وسَألَهُ أَحَدُ الْفُضَلاءِ أَنْ يُوازِنَ★ قَصِيدَةَ ابْنِ النَّبِيهِ★★ التي أَوَّلُها :

يا سَاكِنِي السَّفْحِ كَمْ عَيْنٍ بِكُمْ سَفَحَتْ ... نَـزَحْتُمْ فَهِيَ بَعْـدَ الْبُعْـدِ مَـا نَـزَحَتْ

فقال :

مـاذَا عَلَى قُـرَّةِ الْعَيْنَينِ لَـوْ صَـفَحَـتْ ... وعَـاوَدَتْ بِـوِصـالٍ بَعْدَ ما صَفَحَتْ(١)

بـايَعْتُهـا الْقَلْبَ إيجَـاباً بِمَـا وَعَـدَتْ ... فَيَـا لَهـا صَفْقَـةً في الْحُبِّ مـا رَبِحَتْ

قَدْ يَـزْعُمُ النَّـاسُ أَنَّ الْبُخْـلَ مَقْـطَعَـةٌ ... فَمَـا لِقَلْبِيَ يَهْـوَاهـا ومـا سَمَحَتْ(٢)

خُـوطِيَّـةُ الْقَـدِّ لـو مَـرَّ الْحَمَـامُ بِهـا ... لم يَشْتَبِـهْ أَنَّها مِنْ أَيْكِـهِ انْتَـزَحَتْ(٣)

---

(٤١) الرعديد: الجبان. والحتف: الموت. والكميّ: الشجاع. والمشايح: المقاتل.

(٤٢) الحمام: قضاء الموت وقدره. وعار الفرس يعير: ذهب كأنه منفلت من صاحبه. والأرسان: جمع رسن، وهو الحبل. وجامح: مستعص.

(٤٣) البارح: الطائر الأشأم. وسنح الطائر: جرى على يمينك إلى يسارك، والعرب تتيامن بذلك.

(٤٤) الثريا: نجم معروف، يضرب به المثل في الرفعة والعلاء. والصفائح: حجارة عراض رقاق، والمراد القبر.

(★) يوازن القصيدة: يأتي بقصيدة تعادلها، أي من بحرها وقافيتها.

(★★) ابن النبيه المصري: هو أبو الحسن عليّ بن محمد، كان شاعراً رقيق الشعر بديع الغزل، اتّصل ببني أيوب ملوك الشام والجزيرة من أقارب صلاح الدين، واختصّ بـالملك الأشرف موسى، الملقّب بشاه أرمن. توفي بنصيبين من مدن الجزيرة سنة ٦١٩ هـ.

(١) قرّت العين: بردت سروراً، ويقال: هو قرة العين ، أي متعتها، ومبعث سرورها.

(٢) يزعم: يظنّ.

(٣) الخوط: الغصن الناعم. والقدّ: اعتدال القامة، وحسن الطول، وجمال القوَام. والأيك:



خَـفَّتْ مَـعَـاطِـفُـهَـا لَـكِـنْ رَوادِفُـهَـا ... بِمِثْلِ ما حَمَّلَتْني في الْهَـوى رَجَحَتْ[٤]

وَيْـلاهُ مِنْ لَحْـظِهَـا الْفَتَّـاكِ إنْ نَـظَرَتْ ... وَآهِ مِنْ قَـدِّهَـا الْعَسَّـالِ إنْ سَنَحَتْ[٥]

يَمُـوتُ قَلْبِي ويَحْيَـا حَيْـرَةً وهُـدىً ... في عالَمِ الْوَجْـدِ إنْ صَدَّتْ وإنْ جَنَحَتْ

كَـالْبَدْرِ إنْ سَفَـرَتْ والـظَّبي إنْ نَـظَرَتْ ... والْغُصْنِ إنْ خَطَرَتْ والزَّهْرِ إنْ نَفَحَتْ[٦]

وا خَجْلَةَ الْبَـدْرِ إنْ لاحَتْ أَسِـرَّتُـهَـا ... وَحَيْـرَةَ الـرَّشَـإِ الْـوَسْنَـانِ إنْ لَمَحَتْ[٧]

لَـهَـا رَوَابِطُ لا تَـنْـفَـكُّ آخِـذَةً ... بِعُـرْوَةِ الْقَلْبِ إنْ جَدَّتْ وإنْ مَـزَحَتْ[٨]

يـا سَـرْحَـةَ الأَمَـلِ الْمَمْنُـوعِ جَـانِبُـهُ ... ويـا غَزالَـةَ وادِي الْحُسْنِ إنْ سَـرَحَتْ[٩]

تَـرَفَّـقِي بِـفُـؤَادٍ أَنْـتِ مُـنْـيَـتُـهُ ... ومُقْلَةٍ لِسِـوَى مَـرْآكِ مـا طَمَـحَتْ[١٠]

حَـاشَـاكِ أَنْ تَسْمَعِي قَـوْلَ الْـوُشَـاةِ بِنَـا ... فَـإنَّهَـا رُبَّمَـا غَشَّتْ إذَا نَـصَحَـتْ[١١]

أَفْسَـدْتُ في حُبِّكُمْ نَفْسِي جَـوىً وَأَسىً ... والنَّفْسُ في الْحُبِّ مَهْمَا أُفْسِدَتْ صَلَحَتْ[١٢]

الشجر الكثير الملتفّ، الواحدة: أيكة. وانتزح انتزاحاً: نأى، وبعُد.

(٤) المعاطف: جمع معطف، اسم مكان من عطف، أي مال، والمراد بها: الخصور. والروادف: الأعجاز.

(٥) الويل: العذاب. واللحظ: النظر بمؤخر العين. والفتك: القتل على غفلة. والعسّال: المهتزّ، من عسل الرمح أي اهتزّ. وسنحت: عرضت ومرّت.

(٦) سفرت: كشفت عن وجهها. والظبي: الغزال. وخطرت: اهتزّت في مشيها وتبخترت. ونفح الطيب: فاح، وله نفحة طيبة.

(٧) أسرّة الوجه: محاسنه. والرشأ: ولد الظبية إذا قوي، ومشى مع أمه، وهو الغزال. والوسنان: صفة من الوسن، وهو النعاس، والمراد فتور الطرف من الحياء. ولمح إليه: اختلس النظر.

(٨) المراد بعروة القلب: نياطه، وهو عرق متصل به.

(٩) السرحة: شجرة عظيمة طويلة، والعرب تكنّي بها عن المرأة. يقول: إنها سرحة أمل عزّ تحقيقه، وإذا مشت كانت ظبية تسير في وادي الجمال والبهاء.

(١٠) المقلة: العين.

(١١) الوشاة: جمع واش، وهو من يكذب في كلامه، أو ينمّ ويسعى بغيره.

(١٢) الجوى: الحرقة وشدة الوجد. والأسى: الحزن.

مَـا زِلْتُ أَسْحَرُهَـا بـالشِّعْـرِ تَسْمَعُـهُ ... مِنْ ذاتِ فَهْمٍ تُجِيدُ الْقَوْلَ إنْ شَرَحَتْ
حَتَّى إِذا عَـلِمَتْ مـا حَـلَّ بِـي ورأَتْ ... سُقْمِي وخَافَتْ عَلَى نَفْسٍ بِهَا افْتَضَحَتْ(١٣)
حَنَّتْ رَثَتْ عَـطَفَتْ مالَتْ صَبَتْ عَـزَمَتْ ... هَمَّتْ سَرَتْ وَصَلَتْ عادَتْ دَنَتْ مَنَحَتْ(١٤)
فَبِتُّ مِنْ وَصْلِهَـا فـي نِعْمَـة عَـظُمَتْ ... مـا شِئْتُ أَوْ جَنَّـةٍ أَبْـوابُـهـا فُتِحَتْ
أَنَـالُ مِنْ ثَغْـرِهَـا الـدُّرِّيِّ مـا سَـأَلَتْ ... نَفْسِي وَمِنْ خَـدِّهَا الْـوَرْدِيِّ ما اقْتَرَحَتْ
في رَوْضَـةٍ بَسَمَتْ أَزْهَـارُهَـا ونَـمَتْ ... أَفْنَـانُهَـا وسَجَتْ أَظْـلالُهَـا وَضَحَتْ(١٥)
تَـكَلَّلَتْ بِـجُمَـانِ الْـقَـطْرِ وَاتَّـزَرَتْ ... بِسُنْدُسِ النَّبْتِ والرَّيْحَانِ واتَّشَحَتْ(١٦)
تَـرَنَّـحَ الْغُصْنُ مِنْ أَشْـوَاقِـهِ طَـرَبـاً ... لَمَّا رَأَى الطَّيْرَ في أَوْكَارِهَـا صَدَحَتْ(١٧)
صَـحَّ النَّسِيمُ بِهـا وَهْـوَ الْعَلِيـلُ وَقَـدْ ... مَـالَتْ بِخَمْرِ النَّدَى أَغْصَـانُهـا وَصَحَتْ
وَلَـيْـلَةٍ سـالَ فـي أَعْـقَـابِـهَـا شَـفَـقٌ ... كَـأَنَّهَـا بِحُسَـامِ الْفَجْـرِ قَـدْ ذُبِحَتْ(١٨)
طَـالَتْ وَقَصَّـرَهَـا لَـهْـوِي بِغَـانِـيَـةٍ ... إنْ أَعْرَضَتْ قَتَلَتْ أَوْ أَقْبَلَتْ فَضَحَتْ(١٩)

---

(١٣) السقم: المرض.
(١٤) صبت إليه: حنّت ومالت.
(١٥) الروضة: الموضع المعجب بمياهه وأشجاره وعشبه وأزهاره. والأفنان: جمع فنن وهو الغصن. وسجت: سكنت ودامت وسترت ما فيها. وضحت: برزت للشمس، أي الروضة.
(١٦) تكلّلت: لبست الإكليل، وهو شبه عصابة مزيّنة بالجواهر، أو هو التاج. والجمان: اللؤلؤ، أو هنوات أشكال اللؤلؤ من فضّة، الواحدة جمانة. والسندس: ما رقّ من الديباج، وهو الحرير. والريحان: كل نبات طيب الرائحة، أو هو نبات مخصوص طيّب الرائحة. واتّشحت: لبست الوشاح، وهو شيء ينسج من أديم عريضاً، ويرصّع بالجواهر، وتشدّه المرأة بين عاتقها وكشحها.
(١٧) الأوكار: جمع وكر وهو عشّ الطائر حيث كان في شجر أو جبل. وصدحت: غنّت.
(١٨) أعقابها: أواخرها. والشفق: بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل إلى قريب من العتمة. والحسام: السيف القاطع.
(١٩) الغانية: الجارية التي غنيت بحسنها الفطريّ وجمالها الطبيعيّ عن الزينة والحسن المصنوع.

هَيْفَـاءُ إنْ نَـطَقَتْ غَنَّـتْ وإنْ خَـطَرَتْ رَنَّتْ وإنْ فَـوَّقَتْ أَلْحَاظَهَـا جَـرَحَتْ[٢٠]

دَارَتْ عَلَيْنَـا بهـا الْكَـاسَـاتُ مُتْـرَعَـةً بِخَمْـرَةٍ لَـوْ بَـدَتْ في ظُلْمَـةٍ قَـدَحَتْ

حَمْـرَاءَ سَلْسَلَهَـا الإبْـرِيقُ في قَـدَحٍ كَشُعْلَةٍ لَفَحَتْ في ثَلْجَـةٍ نَـصَحَـتْ[٢١]

رُوحٌ إذَا سَـلَكَـتْ فـي هَـامِـدٍ نَبَضَـتْ عُـرُوقُهُ أَوْ دَنَتْ مِنْ صَخْـرَةٍ رَشَحَتْ[٢٢]

طَـارَتْ بِـأَلْبَـابِنَـا سُكْـراً ولا عَجَـبٌ وهْيَ الْكُمَيْتُ إذَا في حَلْبَـةٍ جَمَحَتْ[٢٣]

حَتَّى بَـدَا الْفَجْـرُ مِنْ أَطْـرَافِ ظُلْمَتِهَـا كَـغُـرَّةٍ في جَـوَادٍ أَدْهَـم وَضَحَـتْ[٢٤]

فَيَـا لَهَـا لَيْلَةً مـا كـانَ أَحْـسَنَـهـا لَـوْ أَنَّهـا لَبِثَتْ حَـوْلاً وَمَا بَـرِحَتْ[٢٥]

وقال عَلَى وَزْنٍ مُخْتَرَعٍ ★ :

امْـلإِ الْـقَـدَحْ واعْصِ مَنْ نَصَحْ[١]

---

(٢٠) هيفاء: خميصة البطن، دقيقة الخصر. وخطرت: اهتزّت في مشيتها وتبخترت. والرنّة: الصوت، والمراد أنها إذا تبخترت في مشيتها سمع جرس حليّها. وفوّق السهم: جعل له فوقاً أو جعل الوتر في فوقه عند الرمي. والمراد بتفويق الألحاظ: توجيه النظرات وتصويبها.

(٢١) حمراء أي الخمر وسلسلها: صبّها متّصلاً بعضها ببعض كهيئة السلسلة. والقدح: إناء يشرب فيه. ونصحت: خلصت وصفت.

(٢٢) هامد: خال من الحياة.

(٢٣) الألباب: جمع لبّ وهو العقل. والكميت: الخمر التي فيها سواد وحمرة. ومن الخيل الذي خالط حمرته قنوء، أي الذي اشتدّت حمرته، وضربت إلى السواد، ولونه الكمتة. والحلبة: خيل تجمع للسباق من كل ناحية، وقد تطلق الحلبة على مجال الخيل للسباق.

(٢٤) الغـرّة : بياض في جبهة الفرس. وأدهم: أسود.

(٢٥) حول: سنة.

(★) هذه القصيدة من مجزوء المتدارك، وأجزاؤه فاعلن ثماني مرات، لم يبق منها في كلّ شطر هنا غير التفعيلة الأولى، والوتد المجموع من التفعيلة الثانية «علن». ولم تنظم العرب على هذا الوزن في ما نعلم. وقد حاكى فيه «شوقي» البارودي في قصيدته التي مطلعها:

مال واحتجب وادّعى الغضب

(١) القدح: إناء يشرب فيه، ويريد هنا إناء الخمر.



وَارْوِ غُلَّتِي بِابْنَةِ الْفَرَحْ[٢]
فَالْفَتَى مَتَى ذاقَها انْشَرَحْ
وَهْيَ إنْ سَرَتْ في الْعَلِيلِ صَحْ[٣]
أوْ صَبَا بِهَا باخِلٌ سَمَحْ[٤]
فاهْجُرِ الْكَرَى واغْدُ نَصْطَبِحْ[٥]
فالدُّجَى مَضَى والسَّنَا لَمَحْ[٦]
والْحَمامُ في أيْكِهِ صَدَحْ[٧]
فَاتْبَعِ الْهَوَى حَيْثُمَا سَرَحْ
واصْطَحِبْ بِمَنْ يَبْعَثُ الْمَرَحْ
فِيهِ لِلْمُنَى كُلُّ مُقْتَرَحْ
واحْذَرِ الَّذِي إنْ وَعَى سَبَحْ
كُلَّما رَأى فُرْصَةً قَدَحْ[٨]
لَيْسَ مَنْ أسَا مِثْلَ مَنْ جَرَحْ[٩]
أيْنَ مَنْ رَأى فاسِداً صَلَحْ ؟
كُلُّ مَنْ وَشَى سَوْفَ يَفْتَضِحْ[١٠]

---

(٢) الغلة: حرارة العطش. (٣) العليل: المريض.
(٤) صبا بها: مال إليها.
(٥) الكرى: النعاس. ونصطبح: نشرب صبوحاً.
(٦) الدجى: جمع دجية، وهي الظلمة.
(٧) الأيك: الشجر الكثير الملتف، الواحدة أيكة
(٨) قدح فيه: طعن.
(٩) أسا الجرح يأسوه: داواه.
(١٠) وشى: كذب وسعى بين الناس بالفساد.

فَـاتْـرُكِ الأَذَى فَـالأذَى تَـرَحْ
وَاسْـعَ لِـلْعُـلا مَنْ سَعَى نَجَحْ
وَارْعَ مـا حَـوَتْ هَـذِهِ الْـمُـلَحْ

وقالَ يَصِفُ لَيْلَةَ أُنْسٍ :

وَلَـيْـلَةٍ بِـضِيَـاءِ الْـكَـأْسِ لامِـعَـةٍ — أَدْرَكْتُ بِـاللَّهْـوِ فيهـا كُـلَّ مُـقْتَـرَحِ
أَحْيَيْتُهَـا بَـعْـدَمَـا نَـامَ الْخَلِيُّ بِهَـا — بِغَـادَةٍ لَـوْ رَأَتْهَـا الشَّمْسُ لَمْ تَلُحِ [1]
فَـلَوْ تَـأَمَّـلْتَـنِـي وَالْـكَـأْسُ دائِـرَةٌ — لَـخِلْتَـنِي مَـلِكـاً يَـخْـتَـالُ مِـنْ مَـرَحِ
وَكَـيْـفَ لا تَـبْـلُغُ الأَفْـلاكَ مَـنْـزِلَـتِي — والْبَدْرُ في مَجْلِسِي والشَّمْسُ في قَدَحِي ؟[2]

وقالَ في الْغَزَلِ :

وَا لَـوْعَـةَ الْقَلْبِ مِنْ غِـزْلَانِ أَخْبِيَـةٍ — تَكَـادُ تَسْكَـرُ مِنْ أَحْـدَاقِهَـا الـرَّاحُ[1]
مِنْ كُـلِّ مَـائِسَـةٍ كَـالْغُصْنِ قَـدْ جَمَعَتْ — بَـدَائِـعَـاً كُلُّهـا لِـلْحُسْـنِ أَوْضَـاحُ[2]
فَـالْعَيْنُ نَـرْجِـسَـةٌ والشَّعْـرُ سَـوْسَنَـةٌ — والـنَّـهْـدُ رُمَّـانَـةٌ والْـخَـدُّ تُـفَّـاحُ

وقال :

(أَلَا يـا حَمَـامَ الأَيْـكِ إِلْفُـكَ حَـاضِـرٌ — وَغُـصْـنُـكَ مَـيَّـادٌ فَفِيمَ تَـنُـوحُ ؟)[1]

---

(١) الخليّ : الخالي من الهمّ ، والمراد به (هنا) : البعيد عن اللهو ودواعيه . والغادة : المرأة الناعمة المتثنية ليناً .
(٢) الأفلاك : جمع فلك ، وهو مدار النجوم . وقد أراد بالبدر : الغادة التي تقدّم ذكرها في البيت السابق . وأراد بالشمس : الخمر للمعانها وتلألئها وشعاعها .
(١) الأخبية : جمع خباء ، وهو بيت صغير من وبر أو صوف أو شعر ، ويكون على عمودين أو ثلاثة . والأحداق : جمع حدقة ، وهي سواد العين . والراح : الخمر .
(٢) مائسة : متبخترة ، والبخترة والتبختر : مشية حسنة .
(١) الأيك : الشجر الكثير الملتفّ ، الواحدة أيكة . وميّاد : مهتزّ متحرّك .

غَـدَوْتَ سَلِيمـاً فـي نَعِيمٍ وَغِبْـطَةٍ ... وَلـكِـنَّ قَـلْبِي بِـالْـغَـرَامِ جَـرِيـحُ

فـإِنْ كُنْتَ لِي عَوْنـاً عَلَى الشَّوْقِ فـاسْتَعِرْ ... لِعَيْـنَيْـكَ دَمْـعـاً فَـالْبُـكَـاءُ مُـرِيـحُ

وَإِلَّا فَـدَعْنِي مِنْ هَـدِيلِكَ وانْـصَـرِفْ ... فَـلَيْس سَـواءً بَـاذِلٌ وشَـحِـيـحُ[٢]

وقَالَ يصفُ سَحابَةً :

سَـارِيَـةٌ خَـفَّـاقَـةُ الْـجَـنـاحِ ... تُـواصِلُ الْغُـدُوَّ بِـالـرَّوَاحِ[١]

تَبِيتُ فِي مَـهْـدٍ مِنَ الْـبِـطَاحِ ... بـاكِيَـةً بِمَـدْمَـعٍ سَـفَّـاحِ[٢]

ضَـحَّـاكَـةً كَـثِـيـرَةَ الـنُّـوَاحِ ... مَنْشُـورَةً في الْأُفْقِ كَالْـوِشَـاحِ[٣]

تَحْمِلُهَا كَـوَاهِـلُ الـرِّيَـاحِ[٤]

وقال :

يَـا كَـوْكَبَ الصُّبْـحِ مَتَى يَنْقَضِـي ... عُمْرُ الدُّجَى يَـا كَـوْكَبَ الصُّبْـحِ[١]

قَـدْ سَـدَّ حِصْنُ الـلَّيْـلِ أَبْـوَابَـهُ ... فَـاتْـلُ عَـلَيْـهِ سُـورَةَ الْـفَـتْـحِ

إِنِّـي أَرَى أَنْـجُـمَـهُ قَـدْ وَنَـتْ ... فَـمَـا لَهَـا أَيْـدٌ عَـلَى السَّـبْـحِ[٢]

---

(٢) الهديل والهدير: سجع الحمام وصوته.

(١) السارية: السحابة التي تأتي ليلاً. الغدوّ: الذهاب في الغدوة، وهي ما بين الفجر وطلوع الشمس. والرواح: ضد الغدوّ، وهو الذهاب والانطلاق في العشي، أو في آخر النهار، وقد تستعمل العرب الرواح والغدوّ في المسير أيّ وقت كان من ليل أو نهار.

(٢) البطاح: جمع الأبطح، وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى، أو هو كل مكان متسع.

(٣) الوشاح: شيء ينسج من أديم عريضاً، ويرصّع بالجواهر وتشدّه المرأة بين عاتقها وكشحها.

(٤) الكواهل: جمع كاهل وهو مقدّم أعلى الظهر مما يلي العنق، وهو الثلث الأعلى وفيه ستّ فقرات، أو هو ما بين الكتفين.

(١) الدجى: جمع دجية، وهي الظلمة.

(٢) ونت: ضعفت وفترت. والأيد: مصدر آد يئيد أيداً، أي اشتدّ وقوي.

وَقَـدْ بَـدَا ذُو ذَنَـبٍ طـالِـعـاً كَـأَنَّـهُ سُـنْـبُـلَةُ الْـقَـمْـحِ (٣)

وقالَ في الرُّوحِ بَعْدَ مُفارَقَةِ الْجِسْمِ :

بَـلَغْتِ مَـدَاكِ مِـنْ أَرَبٍ فَـسِـيحِـي فَـأَنْتِ الْيَـوْمَ في جَـوٍّ فَسِـيحِ (١)
تَـرَكْتِ الْجِسْمَ فَـيمَـا كَـانَ مِـنْـهُ وَغِبْتِ بِـلُجَّـةِ لَـوْنِ الْمَسِـيحِ (٢)
فَعَـادَتْ صُـورَةُ الْجُثْمَـانِ عُـطْلاً لِـفَقْـدِكِ مِـثْـلَ دِينَـارٍ مَسِـيحِ (٣)
وَلَـوْ يَقْـوَى لَسَـارَ وَكَـيْفَ يَقْـوى عَلَى هَوْلِ السُّرَى قَدَمُ الْكَسِيحِ ؟(٤)
سَبَحْتِ بغَمْـرَةٍ كَـالْشَّمْسِ نُـوراً وَعَـامَ مِنَ الْخَجَالَـةِ في مَسِيحِ (٥)
فَـلَيْتَـكِ تَـرْجِعِيـنَ لَنَـا بِـصِـدْقٍ يُـبَـاغِتُ كُـلَّ خَتَّـالٍ مَسِيـحِ (٦)
بِـرَبِّـكِ هَـلْ وَجَـدْتِ كَمَا وَجَـدْنَـا خِـلافـاً بَيْنَ أَحْمَـدَ وَالْمَسِيـحِ ؟

وقالَ في صِباه :

هُـوَ مَـا قُلْتُ فَـاحْـذَرْنَهَـا صَبَـاحَـا غَـارَةً تَمْـلأُ الْفَضَـاءَ رِمَـاحَـا(١)
تَـتْـرُكُ الْـمَـاءَ لا يَـسُـوغُ لِـظَامٍ وتَـرُدُّ الـدَّمَ الْـحَـرَامَ مُبـاحَـا(٢)

---

(٣) ذو ذنب: يريد كوكباً له شعاع ممتدّ خلفه، ولذلك شبّهه بسنبلة القمح ذات الخيوط الممتدّة.

(١) المدى: الغاية. والأرب: الحاجة.

(٢) اللجّة: معظم الماء، ويراد بها العالم العلوي. والمسيح: القطعة من الفضّة.

(٣) صورة عُطْل (بضمّ فسكون، أو بضمتين): خالية، متعطّلة، وأصله: خلوّ المرأة من الحليّ. والمراد أن الجثمان صار - بعد فقد الروح - جثّة هامدة، وصورة متعطّلة من خصائص الحياة وزينتها. ودينار مسيح: أطلس، لا نقش عليه.

(٤) هول السرى: صعوبة السير. والهول في الأصل: الفزع والخوف. والسرى: السير ليلاً.

(٥) غمرة الشيء: مزدحمه، والمراد متّسع الفضاء.

(٦) ختّال: خدّاع، أي أراد به المكروه من حيث لا يعلم. ومسيح: كذّاب.

(١) الغارة: اسم من الإغارة على العدوّ، وهي الهجوم عليه والإيقاع به، وقد تطلق الغارة على الخيل المغيرة.

(٢) لا يسوغ: لا يسهل شربه. وظام: أصلها ظامىء، شديد العطش.

لا تَــرَى بَيْنَهــا سِــوَى عَبْقَــرِيٍّ يَــأْلَفُ الطَّعْنَ نَجْــدَةً وارْتِيَاحَــا[٣]

لَهِــجٌ بِــالْحُــروبِ لا يَــأْلَفُ الْخَفْـ ـضَ ولا يَصْحَبُ الْفَتَـاةَ الـرَّدَاحَـا[٤]

مِـسْـعَـرٌ لِـلْوَغَـى أَخُــو غَــدَوَاتٍ تَجْعَـلُ الأَرْضَ مَـأْتَمـاً وصِيَـاحَـا[٥]

لا يُـرَى عَـاتِبـاً عَلَى شِيَمِ الـدَّهْـ ـرِ وَلَا عَـابِـثـاً ولا مَـزَّاحَــا[٦]

يَـفْعَـلُ الْـفَعْـلَةَ التي تَبْهَـرُ الـنَّـا سَ وتَـرْنُـو لَهَـا الْعُيُـونُ طِمَـاحـا[٧]

لا كَـمَنْ يَسْـأَلُ الْـوُفُـودَ عَنِ الأَنْـ ـبَاءِ عَجْـزاً وَيَـرْقُبُ الأَشْبَـاحَـا[٨]

فَــاعْتَبِـرْ أَيُّهَــا الْمُجَــاهِـرُ بِــالْقَـوْ لِ وَلَا تَـبْـعَـثَـنْ عَـلَيْـكَ نُـواحَـا

إِنَّ فـي بُــرْدَتَـيَّ هَــاتَـيْـنِ لَـيْـثـاً يَقِصُ الْقِـرْنَ أَوْ يَفُـلُّ الـسِّـلاحَـا[٩]

سَـدِكَـاتٍ بِـالـرُّمْـحِ مِنْـهُ بَنـانٌ تَمْـلأُ الأَرْضَ والسَّماءَ جِـرَاحَـاً[١٠]

أَنَـا مِنْ مَعْشَـرٍ كِـرامٍ عَلَى الـدَّهْـ ـرِ أَفَـادُوهُ عِـزَّةً وصَـلاحَـاً[١١]

---

(٣) العبقريّ: السيد، والشديد القويّ، والذي ليس فوقه شيء، نسبة إلى عبقر، وعبقر: موضع تزعم العرب أنه من أرض الجنّ، ثم نسبوا إليه كل شيء تعجّبوا من حذقه، أو جودة صنعته وقوّته. والنجدة: الشجاعة والبأس والشدّة.

(٤) لهج: مولع مغرم. والخفض: الدعة والراحة. والرداح: المملوءة الجسم، التامّة الخلق.

(٥) المسعر: موقد نار الحرب. والوغى: الأصوات والجلبة، ويطلق على الحرب لما فيها من جلبة وأصوات مختلطة. وغدوات: جمع غداة، وهي البكرة، أي الوقت ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس. ومعنى (أخو غدوات): أنه كثير الإغارة والهجوم في أوائل النهار.

(٦) شيم الدهر: طبائعه، جمع شيمة: وهي الغريزة والطبيعة والجبلة التي خلق الإنسان عليها.

(٧) تبهر الناس: تغلبهم، والمراد تتركهم في عجب ودهش. وترنو: تديم النظر، من الرنوّ، وهو إدامة النظر بسكون الطرف.

(٨) الأشباح: جمع شبح، وهو الشخص.

(٩) البردة: كساء صغير أسود مربع. ويقص القرن: يدقّ عنقه ويكسره. والقرن: كفؤك في الشجاعة، ومن يقاومك في القتال.

(١٠) سدكات: جمع سدكة، وهي صفة من سدك بالشيء، أي لزمه. البنان: أطراف الأصابع، واحدتها بنانة، والمراد اليد.

(١١) المعشر: جماعة الناس، والمراد: الأسرة والآباء.



فَـرَعُـوا بـالْقَنـا قِنَـانَ الْمَعَـالِي ... وأَعَـدُّوا لِبَـابِهَـا مِـفْتَـاحَـا[12]

عَـمَـرُوا الأَرْضَ مُـدَّةً ثُـمَّ زَالُـوا ... مِثْلَمَـا زَالَتِ الْقُـرُونُ اجْتِيَـاحَـا[13]

وَأَتَــتْ بَـعْـدَهُـمْ عَـلِيَّ لَـيَـالٍ ... لا أَرَى في سَمـائِـهَـا مِصبَـاحَـا

فَـسَقَـاهُـمْ مُنَـزِّلُ الْـغَيْـث سحْـلاً ... يَجْعَـلُ النَّبْتَ لِلْعَـراءِ وِشَـاحَـا[14]

---

(١٢) فرعوا: صعدوا وعلوا. والقنا: جمع قناة، وهي الرمح. والقنـان: جمع قنّـة، وهي أعلى الجبل.

(١٣) القرون: جمع قرن، وهو من الزمان مائة سنة، أو هو كل أمة هلكت، فلم يبق منها أحد.

(١٤) الغيث: المطر. والسحل : الدلو العظيمة إذا كانت مملوءة. والوشاح: أي فرعان من لؤلؤ وجوهر منظومان يخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر، أو أديم عريض يرصّع بالجواهر تشدّه المرأة بين عاتقها وكشحها، والمراد غيث غزير يجعل النبات زينة للفضاء.

قافية الدال

قال يُهَنِّىءُ الخديوي « محمد توفيق باشا » بجُلُوسِهِ عَلَى الأَرِيْكَةِ الخديويّة سنة سبع وتسعين ومائتين وألف هجرية (١٢٩٧ هـ - ١٨٧٩ م)(★) ويذكّره بما وَعَدَ بِهِ من إنشاء مجلس نيابيّ :

أَبَنِي الْكِنَانَةِ أَبْشِرُوا بِمُحَمَّدِ وَثِقُوا بِرَاعٍ فِي الْمَكَارِمِ أَوْحَدِ[١]

فَهُوَ الزَّعِيمُ لَكُمْ بِكُلِّ فَضِيلَةٍ تَبْقَى مَآثِرُهَا وَعَيْشٍ أَرْغَدِ[٢]

مَلِكٌ نَمَتْهُ أُرُومَةٌ عَلَوِيَّةٌ مَلَكَتْ بِسُؤْدُدِهَا عِنَانَ الْفَرْقَدِ[٣]

يَقِظُ الْبَصِيرَةِ لَوْ سَرَتْ في عَيْنِهِ سِنَةُ الرُّقَادِ فَقَلْبُهُ لَمْ يَرْقُدِ[٤]

(★) تولّى الخديوي «محمد توفيق» حكم مصر وهو في السابعة والعشرين من عمره بعد عزل والده «الخديوي إسماعيل». وكان العزل والتولية في اليوم السادس والعشرين من شهر يونية سنة ١٨٧٩ برسالتين برقيتين وردتا على مصر في ذلك اليوم من الباب العالي بالآستانة: إحداهما بعزل إسماعيل، والأخرى بتولية توفيق.

(١) بنو الكنانة: أهل مصر.

(٢) الزعيم: الكفيل، وهو من يقوم بالشيء ويلتزمه. والمآثر: جمع مأثرة، وهي المكرمة

(٣) نمته: رفعته. والأرومة: الأصل. وعلويّة: نسبة إلى محمد عليّ باشا رأس الأسرة المالكة بمصر. والسؤدد: السيادة والمجد والشرف. والعنان: سير اللجام الذي تمسك به الدابة. والفرقد: نجم يهتدى به، وهما فرقدان.

(٤) البصيرة: حسن التبصّر في الأمور، وقوّة الفهم. والسِنة: النوم، أو أوله، أو النعاس.

بَـدَهَـاتُـهُ قَيْـدُ الصَّـوَابِ وَعَـزْمُـهُ ... شَرَكُ الْفَوارِسِ في الْعَجَاجِ الأَرْبَدِ[٥]

فَـإِذَا تَنَمَّـرَ فَهْـوَ « زَيْـدٌ » في الْـوَغَى ... وإِذَا تَكَلَّمَ فَهْوَ « قَيْسٌ » في النَّدِي[٦]

مُـتَقَسَّمٌ مَـا بَيْنَ حُـنْكَـةِ أَشْيَـبٍ ... صَـدَقَتْ مَخِيلَتُهُ وَحِلْيَـةِ أَمْـرَدِ[٧]

لا يَسْتَـرِيحُ إِلى الْفَـرَاغِ ولا يَـرَى ... عَـيْشـاً يَـلَذُّ بِـهِ إِذَا لَـمْ يَـجْـهَـدِ

فَـنَـهَـارُهُ غَـيْـثُ الـلَّهِـيفِ ولَـيْـلُهُ ... في طَـاعَـةِ الـرَّحْمَنِ لَيْـلُ الْعُبَّـدِ[٨]

لَهِـجٌ بِحُبِّ الصَّـالِحَـاتِ فَكُلَّمَـا ... بَلَغَ النِّهَـايَـةَ مِنْ صَنِيـعٍ يَبْتَـدِي[٩]

خُـلُقٌ تَـمَيَّـزَ عَـنْ سِـوَاهُ بِـفَـضْـلِهِ ... والْفَضْلُ فِي الأَخْلاَقِ إِرْثُ الْمَحْتِدِ[١٠]

إِقْلِيـدُ مُعْـضِلَةٍ ومَـعْـقِـلُ عَـائِـذٍ ... وَسَـمَـاءُ مُنْتَجِـعٍ وَقِبْلَةُ مُـهْتَـدِ[١١]

---

(٥) بدهات: جمع بدهة، وبدهه الأمر: فاجأه. والمراد بالبدهات: الأفكار والآراء التي يراها أوّل وهلة. والشرك: حبالة الصائد. والعجاج: الغبار والدخان، والمراد غبار الحرب ودخانها. والأربد: المغبرّ الكدر.

(٦) تنمّر: غضب. وزيد الخيل: من قبيلة طيىء، ومن شجعان العرب وفرسانهم المشهورين في الجاهلية، سمّي بذلك لشجاعته وكثرة خيله، ولما وفد على النبيّ صلى الله عليه وسلّم سماه زيد الخير. والوغى: الحرب. وقيس بن خارجة بن سنان: من أشهر خطباء العرب في الجاهلية، وهو خطيب حرب داحس والغبراء ـ أو قيس بن مسعود البكري: أحد الخطباء المشهورين الذين أوفدهم النعمان على كسرى بزعامة أكثم بن صيفيّ. والندي: هو مجلس القوم نهاراً، أو المجلس ما داموا مجتمعين فيه، كالنادي والندوة والمنتدى.

(٧) الحنكة: اسم من حنك الإنسان الشيء، أي فهمه وأحكمه. وحنكت السنّ الرجل: إذا أحكمته التجارب. المخيلة: الظنّ. ومرد الغلام مرداً: لم تنبت لحيته، فهو أمرد.

(٨) الغيث (هنا): بمعنى الغوث وهو النجدة. واللهيف والملهوف: المظلوم المضطر يستغيث ويتحسّر.

(٩) لهج: مغرم.

(١٠) الإرث: الميراث، والأمر القديم توارثه الآخر عن الأول. والمحتد: الأصل.

(١١) الإقليد: المفتاح. والمعضلة: الشديدة من شدائد الدهر، والأمر المستغلق الذي لا يهتدى لوجه. والمعقل: الملجأ. والعائذ: اللاجىء والمعتصم. والسماء (هنا): المطر. والمنتجع: طالب الكلأ في موضعه. والقبلة: الجهة، وكلّ ما يستقبل.

حَسُنَتْ بِـهِ الأَيَّـامُ حَتَّى أَسْفَـرَتْ ... عَنْ وَجْهِ مَعْشُوقِ الشَّمائِلِ أَغْيَـدِ(١٢)

وَصَفَتْ مَـوَارِدُ مِصْـرَ حَتَّى أَصْبَحَتْ ... بَعْـدَ الْكُـدُورَةِ شِـرْعَـةً لِلْوُرَّدِ(١٣)

فَـالْعَـدْلُ يَـرْعَـاهَـا بِـرَأْفَـةِ وَالِـدٍ ... والْبَـأْسُ يَحْمِيهَا بِصَـوْلَـةِ أَصْيَـدِ(١٤)

بَلَغَتْ بِفَضْـلِ «مُحَمَّـدٍ» مَـا أَمَّلَتْ ... مِنْ عِيشَـةٍ رَغْـدٍ وَجَـدٍّ أَسْعَـدِ(١٥)

هُـوَ ذَلِـكَ الْمَلِكُ الَّـذي أَوْصَـافُـهُ ... في الشِّعْـرِ حِلْيَـةُ رَاجِـزٍ وَمُقَصِّـدِ(١٦)

فَبِنُـورِهِ فـي كُـلِّ جُنْـحٍ نَـهْتَـدِي ... وبِهَـدْيِهِ في كُـلِّ خَـطْـبٍ نَقْتَـدِي(١٧)

سَـنَّ الْمَـشُـورَةَ وهِيَ أَكْـرَمُ خُـطَّةٍ ... يَجْـرِي عَلَيْهَـا كُـلُّ رَاعٍ مُـرْشِـدِ(١٨)

هِيَ عِصْمَـةُ الـدِّينِ التي أَوْحَى بِهَـا ... رَبُّ الْعِبَـادِ إلى النَّبِيِّ «مُحَمَّـدِ»(١٩)

فَمَنِ اسْتَعَـانَ بِـهَـا تَـأَيَّـدَ مُلْكُـهُ ... وَمَنِ اسْتَهَـانَ بِـأَمْـرِهَـا لَمْ يَـرْشُـدِ

أَمْـرَانِ مـا اجْتَمَعَـا لِقَـائِـدِ أُمَّـةٍ ... إلاَّ جَنَى بِـهِمَـا ثِـمَـارَ السُّـؤْدُدِ(٢٠)

جَمْـعٌ يَكُـونُ الأَمْـرُ فِي مَـا بَيْنَهُمْ ... شُـورَى وجُنْـدٌ لِلْعَـدُوِّ بِمَـرْصَـدِ(٢١)

---

(١٢) الشمائل: جمع شمال، بمعنى الطبع والخلق. وأغيد: ناعم جميل ليّن الأعطاف.

(١٣) الكدورة: زوال صفاء الماء. والشرعة: الشريعة، وهي مورد الشاربة. والورّد: جمع وارد.

(١٤) البأس: الشجاعة والشدة في الحرب. والصولة: السطوة والاستطالة والوثوب في القتال. والأصيد: الملك لا يلتفت من زهوه يميناً ولا شمالاً، أو هو الذي يرفع رأسه كبراً، وهي صفة محمودة في الملوك. والأصيد: الأسد.

(١٥) عيشة رغد: واسعة طيّبة. والجد: الحظ والرزق والعظمة.

(١٦) الراجز: اسم فاعلٍ من رجز الشاعر: أي قال شعراً من بحر الرجز. والمقصّد: من قصّد الشاعر شعره تقصيداً: أي نقّحه، وهذّبه، وجوّده، وقصّد القصيد: أي أتمّه وطوّله.

(١٧) جنح الليل: ظلامه واختلاطه، أو الطّائفة منه، والمراد به هنا: المشكل من الأمور. والخطب: الأمر الشديد ينزل بالناس.

(١٨) سنّ الأمر: بيّنه. والمراد بالمشورة (هنا): إنشاء مجلس نيابيّ للأمة.

(١٩) عصمة الدين: حفظه ووقايته.

(٢٠) السؤدد والسودد (بضم الدال في الأولى وفتحها في الثانية): السيادة والمجد والشرف.

(٢١) الجمع: جماعة الناس. والمراد به: الأمّة، والرعيّة. والمرصد: من رصدت الشيء، أي

هَيْهَـاتَ يَحْيَـا الْمُلْكُ دُونَ مَشُـورَةٍ ... وَيَعِـزُّ رُكْنُ الْمَجْـدِ مَـا لَمْ يُعْمَـدِ

فَـالسَّيْفُ لا يَمْـضِي بِـدُونِ رَوِيَّـةٍ ... والـرَّأْيُ لا يَمْضِي بِغَيْرِ مُهَنَّـدِ(٢٢)

فَاعْكُفْ عَلَى الشُّورَى تَجِدْ في طَيِّهَا ... مِنْ بَيِّنَـاتِ الحُكْمِ مَا لَمْ يُـوجَدِ(٢٣)

لا غَـرْوَ أَنْ أَبْصَـرْتَ في صَفَحَـاتِهَـا ... صُـوَرَ الْحَـوَادِثِ فَهْيَ مِـرْآةُ الْغَـدِ

فَـالعَقْـلُ كَـالْمِنْظَارِ يُبْصِـرُ مـا نَـأَى ... عَنْـهُ قَـرِيبـاً دُونَ لَـمْسٍ بِـالْيَـدِ

وَكَفَـاكَ عِلْمُـكَ بِـالأُمُـورِ وَلَيْسَ مَنْ ... سَلَكَ السَّبِيـلَ كَجَـائِـرٍ لَمْ يَـهْتَـدِ

فَـلأَنْـتَ أَوَّلُ مَـنْ أَفَـادَ بِـعَـدْلِـهِ ... حُـرِّيَّـةَ الأَخْـلاَقِ بَعْـدَ تَعَبُّـدِ(٢٤)

أَطْـلَقْـتَ كُـلَّ مُـقَـيَّـدٍ وَحَـلَلْتَ كُـ ... ـلَّ مُعَقَّـدٍ وَجَمَعْتَ كُـلَّ مُبَـدَّدِ(٢٥)

وَتَمَتَّعَتْ بِـالْـعَـدْلِ مِنْـكَ رَعِيَّـةٌ ... كَـانَتْ فَـرِيسَـةَ كُـلِّ بـاغٍ مُعْتَـدِ(٢٦)

فَـاسْلَمْ لِخَيْـرِ وِلاَيَـةٍ عَـزَّتْ بِهَـا ... نَفْسُ النَّصِيـحِ وذَلَّ كُـلُّ مُفَنِّـدِ(٢٧)

ضَرَحَتْ قَذَاةَ الْغَيِّ عَنْ جَفْنِ الْهُـدَى ... وَسَرَتْ قِنَاعَ الْيَأْسِ عَنْ أَمَلٍ نَـدِ(٢٨)

ارتقبته، وانتظرته، وقعدتُ له على الطريق.

(٢٢) الرويَّة: التفكُّر، والتدبُّر في الأمور. والرأي: العقل، والبصيرة، والتدبير. والمهنَّد: السيف المطبوع من حديد الهند.

(٢٣) عكف على الشيء: أقبل عليه، ولزمه ولم ينصرفْ عنه. وفي طَيِّها: في أثنائها. أي في ما انطوت عليه. وبيِّنات الحكْم: حججه الواضحة، جمع بيِّنة.

(٢٤) يريد بحريّة الأخلاق: حريّة ما خلق عليه الناس من سجايا وطبائع، وما يرونه من آراء ومذاهب.

(٢٥) مبدَّد: مفرّق.

(٢٦) الرعيّة: القوم. والباغي: الظالم المعتدي.

(٢٧) المفنّد: العاجز، أو الكاذب، أو خاطىء الرأي، أو ضعيف التفكير.

(٢٨) ضرحت: دفعت وطرحت ونحّت، أي الولاية. والقذاة والقذى: ما يسقط في العين والشراب. والغيّ: الضلال والانهماك في الجهل. وأمل ند: ناضر، من الندى، بمعنى البلل، وذلك على تشبيه الأمل بالغصن الرطيب.

ضَـمَّتْ إلَـيْـكَ زِمَـامَ كُـلِّ مُـثَـلِّثٍ ... وَثَنَتْ إلَيْكَ عِنَانَ كُـلِّ مُـوَحِّـدِ[٢٩]

وَتَـأَلَّـفَتْ بَـعْـدَ الْـعَـدَاوَةِ أَنْـفُسٌ ... سَكَنَتْ بِعَـدْلِكَ في نَعِيمٍ سَـرْمَدِ[٣٠]

فَحَبَـاكَ رَبُّـكَ بِـالْجَمِيـلِ كَـرَامَةً ... لِجَزِيلِ مَـا أَوْلَيْتَ أُمَّةَ « أَحْمَـدِ »[٣١]

وَتَـهَنَّ بِـالْـمُلْكِ الَّـذِي أَلْبَسْتَـهُ ... شَـرَفـاً بِمِثْـلِ رِدَائِـهِ لَمْ يَـرْتَـدِ

بَـزَغَتْ بِـهِ شَمْسُ الْهِـدَايَـةِ بَعْـدَ مَـا ... أَفَلَتْ وأَبْصَـرَ كُـلُّ طَـرْفٍ أَرْمَـدِ[٣٢]

لَـمْ يَبْـقَ مِـنْ ذِي خَـلَّةٍ إلَّا اغْـتَـدَى ... بِجَمِيـلِ صُنْعِكَ مَصْـدَراً لِلْوُفَّـدِ[٣٣]

بَلَغَتْ بِـكَ الآمَـالُ أَبْعَـدَ غَـايَـةٍ ... قَصَرَتْ عَلَى الإِغْضَاءِ طَرْفَ الْحُسَّدِ[٣٤]

فَـاسْعَدْ وَدُمْ واغْنَم وَجُـدْ وانْعَمْ وَسُدْ ... وابْـدَأْ وَعُـدْ وَتَـهَـنَّ واسْـلَمْ وَازْدَدِ

لا زالَ عَـدْلُـكَ في الأَنَـامِ مُخَلَّداً ... فَـالْعَـدْلُ في الأَيَّـامِ خَيْـرُ مُخَلَّدِ[٣٥]

وقالَ يفخَرُ ، وَيُعَرِّضُ بِالمَظَالِمِ عَلَى عِهد الحُكُومة الاسْتِبْدَادِيَّة(★) :

---

(٢٩) الزمام: المقود، وهو الحبل تقاد به الدابة. ويريد بكلّ مثلّث: النصارى. والعنان: سير اللجام الذي تمسك به الدابة، ويريد بكل موحّد: المسلمين.

(٣٠) ونعيم سرمد: دائم.

(٣١) حباك: أعطاك. وجزيل: عظيم كثير.

(٣٢) أرمد: صفة من الرمد: وهو داء التهابيّ يصيب العين.

(٣٣) الخلّة: الحاجة والفقر.

(٣٤) الإغضاء: مصدر أغضى الرجل عينه: أي قارب بين جفنيه. والطرف: العين.

(٣٥) الأنام: الناس.

(★) لعله يقصد بالحكومة الاستبدادية: حكومة الخديوي إسماعيل في أواخر أيامه لما فسد حكمه، وأثقل مصر بالديون، فتدخّل الأجانب في أمورها وفرضوا على الحكومة سلطانهم.
وقد يكون المقصود حكومة الخديوي توفيق ابن الخديوي اسماعيل وهذا هو الأرجح، فكلاهما جنح في حكمه للظلم والاستبداد. وفي عهد «توفيق» توقّدت الثورة العرابية، وكان البارودي من قادتها، والضاربين في غمرتها.

رَضِيتُ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا لا أَوَدُّهُ ... وَأَيُّ امْرِئٍ يَقْوَى عَلَى الدَّهْرِ زَنْدُهُ ؟[1]

أُحَاوِلُ وَصْلاً والصُّدُودُ خَصِيمُهُ ... وَأَبْغِي وفَاءً والطَّبِيعَةُ ضِدُّهُ[2]

حَسِبْتُ الْهَوَى سَهْلاً ولَمْ أَدْرِ أَنَّهُ ... أَخُو غَدَرَاتٍ يَتْبَعُ الْهَزْلَ جِدُّهُ[3]

تَخِفُّ لَهُ الأَحْلامُ وَهْيَ رَزِينَةٌ ... وَيَعْنُو لَهُ مِنْ كُلِّ صَعْبٍ أَشَدُّهُ[4]

وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّ الْفَتَى وَهْوَ عَاقِلٌ ... يُطِيعُ الْهَوَى فِيمَا يُنَافِيهِ رُشْدُهُ[5]

يَفِرُّ مِنَ السُّلْوَانِ وَهْوَ يُرِيحُهُ ... وَيَأْوِي إلى الأَشْجَانِ وَهْيَ تَكُدُّهُ[6]

وَمَا الْحُبُّ إلَّا حَاكِمٌ غَيْرُ عَادِلٍ ... إذا رامَ أَمْراً لم يَجِدْ مَنْ يَصُدُّهُ[7]

لَهُ مِنْ لَفِيفِ الْغِيدِ جَيْشُ مَلاحَةٍ ... تُغِيرُ عَلَى مَثْوى الضَّمائِرِ جُنْدُهُ[8]

ذَوَابِلُهُ قَامَاتُهُ وسُيُوفُهُ ... لِحَاظُ الْعَذَارَى والْقَلائِدُ سَرْدُهُ[9]

---

(١) الزند: موصل طرف الذراع في الكفّ. ويكنى به هنا عن القوّة والمقدرة، أو عن الجهد والطاقة.

(٢) الصدود: الإعراض. وخاصمه مخاصمة وخصاماً: نازعه، وجادله، ولاحاهُ، وعاداه، فهو خصيم، ومخاصم.

(٣) غدرات: جمع غدرة، وهي نقض العهد وترك الوفاء. ومعنى يتبع الهزل جده: أنه يكون في مبدئه هيّناً سهلاً، فلا يلبث أن ينقلب عنيفاً صارماً.

(٤) تخفّ: تضعف. والأحلام: العقول. ورزينة: ثقيلة ثابتة. ويعنو: يخضع ويذلّ.

(٥) ينافيه: يخالفه ويطارده. والرشد: الهدى والصلاح، وهو خلاف الغيّ والجهل والضلال.

(٦) الأشجان: الأحزان والهموم، واحدها شجن.

(٧) رام: طلب.

(٨) لفيف: جماعة وحزب. والغيد: جمع غيداء، وهي المرأة الناعمة المتثنية ليناً. والملاحة: الحسن. وثوى بالمكان: نزل به وأقام، واستقرّ. ومثوى الضمائر: منزلها ومقامها، والمراد القلوب.

(٩) الذوابل: الرماح، جمع ذابل: أي دقيق، قشره لاصق به. وقاماته: أي قامات هذا الجيش من الحسان، وقامة الإنسان: قدّه، وحسن طوله، واعتداله. ولحاظ العذارى: نظراتهن الفاتنة. والقلائد: جمع قلادة، وهي ما تزين به المرأة عنقها من الحليّ كعقود اللآلىء ونحوها. والسرد: اسم جامع للدروع، وسائر الأسلحة.

إِذَا مَاجَ بِالْهِيفِ الْحِسَانِ تَأَرَّجَتْ ... مَسَالِكُهُ واشْتَقَّ فِي الْجَوِّ نَدُّهُ(١٠)

فَأَيُّ فُؤَادٍ لا تَذُوبُ حَصَاتُهُ ... غَرَاماً وَطَرْفٍ لَيْسَ يُقْذِيهِ سُهْدُهُ؟(١١)

بَلَوْتُ الْهَوَى حَتَّى اعْتَرَفْتُ بِكُلِّ مَا ... جَهِلْتُ فَلا يَغْرُرْكَ فَالصَّابُ شَهْدُهُ(١٢)

ظَلُومٌ لَهُ فِي كُلِّ حَيٍّ جَرِيرَةٌ ... يَضِجُّ لَهَا غَوْرُ الْفَضَاءِ وَنَجْدُهُ(١٣)

إِذَا احْتَلَّ قَلْباً مُطْمَئِنّاً تَحَرَّكَتْ ... وَسَاوِسُهُ فِي الصَّدْرِ واخْتَلَّ وَكْدُهُ(١٤)

فَإِنْ كُنْتَ ذَا لُبٍّ فَلا تَقْرَبَنَّهُ ... فَغَيْرُ بَعِيدٍ أَنْ يُصِيبَكَ حَدُّهُ(١٥)

وَقَدْ كُنْتَ أَوْلَى بِالنَّصِيحَةِ لَوْ صَغَا ... فُؤَادِي وَلَكِنْ خَالَفَ الْحَزْمَ قَصْدُهُ(١٦)

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ عَقْلٌ يَقُودُهُ ... فَيُوشِكُ أَنْ يَلْقَى حُسَاماً يَقُدُّهُ(١٧)

لَعَمْرِي لَقَدْ وَلَّى الشَّبَابُ وحَلَّ بِي ... مِنَ الشَّيْبِ خَطْبٌ لا يُطاقُ مَرَدُّهُ(١٨)

فَأَيُّ نَعِيمٍ فِي الزَّمَانِ أَرُومُهُ ؟ ... وَأَيُّ خَلِيلٍ لِلْوَفَاءِ أُعِدُّهُ ؟(١٩)

---

(١٠) ماج: أي الجيش، والمعنى: اضطرب اضطراب الموج. والهيف: جمع هيفاء: وهي المرأة الضامرة البطن والخاصرة، والهيف: من صفات الحسن في النساء. وتأرّجت: توهّجت رائحته وفاحت. والندّ: نوع من الطيب، أو هو العنبر، أو هو عود طيّب الرائحة يتبخّر به.

(١١) الحصاة: العقل والرأي. والقذى: الغمص والرمص وكل ما يقع في العين فيهيجها ويؤذيها. وأقذاها: ألقى فيها القذى. والسهد والسهاد: الأرق وعدم النوم.

(١٢) بلوته: جرّبته واختبرته. والصاب: عصارة شجر مرّ.

(١٣) ظلوم: أي الهوى. والحيّ: البطن من بطون العرب، وهو دون القبيلة، ويطلق على مَحَلّتهم وديارهم. وجريرة: ذنب وجناية. والغور: المطمئنّ من الأرض. والنجد: ما ارتفع من الأرض.

(١٤) احتلّ: أي الهوى. والوكد: المراد، والهمّ، والقصد.

(١٥) ذا لبّ: صاحب عقل.

(١٦) الحزم: إتقان الرأي، وضبط الأمر، والأخذ فيه بالثقة.

(١٧) الحسام: السيف القاطع. ويقدّهُ: يشقّه.

(١٨) الخطب: الأمر الشديد ينزل بالإنسان.

(١٩) أرومه: أطلبه. والخليل: الصديق.

وَكَيْفَ أَلُومُ النـاسَ في الْغَـدْرِ بَعْدَمَـا ... رَأَيْـتُ شَبـابِـي قَـدْ تَغَيَّـرَ عَـهْـدُهُ ؟

وَأَبْـعَـدُ مَـفْـقُـودٍ شَبَـابٌ رَمَـتْ بِـهِ ... صُـرُوفُ اللَّيَـالِي عِنْـدَ مَنْ لا يَـرُدُّهُ[٢٠]

فَـمَنْ لِـي بِخِـلٍّ صَـادِقٍ أَسْتَعِينُـهُ ... عَلى أَمَلِي أَوْ نَـاصِـرٍ أَسْتَمِـدُّهُ ؟[٢١]

صَحِبْتُ بَنِي الـدُّنْيـا طَـوِيـلاً فلم أَجِـدْ ... خَلِيـلاً فَهَـلْ مِنْ صـاحِبٍ أَسْتَجِـدُّهُ

فَـأَكْثَـرُ مَنْ لاقَيْتُ لَـمْ يَصْـفُ قَلْبُـهُ ... وَأَصْـدَقُ مَـنْ وَالَيْـتُ لَـمْ يُـغْـنِ وُدُّهُ

أُطَـالِبُ أَيَّـامِي بِمَـا لَيْسَ عِنْـدَهـا ... وَمَنْ طَلَبَ الْمَعْـدُومَ أَعْيَاهُ وُجْـدُهُ[٢٢]

فَمَـا كُـلُّ حَيٍّ يَـنْصُـرُ الْـقَـوْلَ فِعْلُهُ ... وَلاَ كُـلُّ خِـلٍّ يَصْـدُقُ النَّـفْسَ وَعْـدُهُ

وَأَصْعَبُ مَـا يَلْقَى الْـفَتَـى في زَمَـانِـهِ ... صَحَـابَـةُ مَنْ يَشْفِي مِنَ الـدَّاءِ فَقْـدُهُ

وَلِـلنُّجْـحِ أَسْبَـابٌ إِذَا لَمْ يَـفُـزْ بهـا ... لَبِيبٌ مِنَ الْـفِتْيَـانِ لم يُـورِ زَنْـدُهُ[٢٣]

ولَكِنْ إِذا لـم يُـسْـعِـدِ الْـمَـرءَ جَـدُّهُ ... عَلَى سَعْيِـهِ لَمْ يَبْلُغِ الـسُّؤْلَ جِـدُّهُ[٢٤]

وَمَـا أَنَـا بِـالْـمَـغْلُوبِ دُونَ مَـرامِـهِ ... وَلَكِنَّـهُ قَـدْ يَخْـذُلُ المرءَ جَهْـدُهُ[٢٥]

ومـا أُبْتُ بِـالْـحِـرْمَـانِ إِلَّا لأَنَّـنِي ... «أَوَدُّ مِـنَ الأَيَّـامِ مـا لا تَـوَدُّهُ»[٢٦]

فَـإِنْ يَـكُ فَـارَقْتُ الـرِّضَـا فَلَبَعْـدَمَـا ... صَحِبْتُ زَمـانـاً يُغْضِبُ الْحُـرَّ عَبْـدُهُ

أَبَـى الـدَّهْـرُ إِلَّا أَنْ يَسُـودَ وَضِيـعُـهُ ... وَيَمْلِكَ أَعْنَـاقَ الْمَـطَالِـبِ وَغْـدُهُ[٢٧]

---

(٢٠) صروف الليالي: حدثان الزمان ونوائبه.

(٢١) أستمدّه: أطلب منه المدد والمعونة والنصرة.

(٢٢) أعياه: أتعبه وأعجزه.

(٢٣) اللبيب: العاقل. وورَيَ الزند يَوْرَى: أي أخرج ناره.

(٢٤) جدّه: حظّه. والسؤل: ما يسأله الإنسان ويطلبه.

(٢٥) دون مرامه: دون بلوغ مطلبه.

(٢٦) آب: رجع.

(٢٧) الوغد: الدنيء اللئيم الوضيع الهمّة.

تَـداعَتْ لِـدَرْكِ الثَّـأْرِ فِينَـا ثُـعَـالُـهُ	ونَـامَتْ عَلى طُـولِ الْـوَتِيـرَةِ أُسْـدُهُ(۲۸)
فَحَتَّـامَ نَسْـرِي في دَيَـاجِيـرِ مِحْنَـةٍ	يَضِيقُ بِهَا عَنْ صُحْبَةِ السَّيْفِ غِمْـدُهُ(۲۹)
إذَا الْمَـرءُ لَمْ يَدْفَـعْ يَدَ الْجَـوْرِ إنْ سَطَتْ	عَلَيْـهِ فـلا يَـأْسَفْ إذَا ضَـاعَ مَجْـدُهُ(۳۰)
وَمَنْ ذَلَّ خَـوْفَ الْمَـوْتِ كـانَتْ حَيَاتُـهُ	أَضَـرَّ عَـلَيْـهِ مِـنْ حِـمَـامٍ يَـؤُدُّهُ(۳۱)
وَأَقْتَـلُ دَاءٍ رُؤْيَـةُ الـعَيْـنِ ظَـالِـمـاً	يُسِيءُ وَيُتْلَى في الْمَحَافِلِ حَمْـدُهُ(۳۲)
عَـلامَ يَعِيشُ الْمَـرءُ في الـدَّهْـرِ خَـامِـلاً	أَيَفْـرَحُ في الـدُّنْيَـا بَيـومٍ يَعُـدُّهُ ؟(۳۳)
يَـرَى الـضَّيْـمَ يَغْشَـاهُ فَيَلْتَـذُّ وَقْعَـهُ	كَـذِي جَـرَبٍ يَلْتَـذُّ بـالْحَـكِّ جِلْدُهُ(۳٤)
إذَا الْمَـرءُ لاقَى السَّيْـلَ ثُمَّتَ لَمْ يَعُـجْ	إِلَـى وَزَرٍ يَـحْـمِـيـهِ أَرْدَاهُ مَــدُّهُ(۳٥)
عَفَـاءٌ علَى الـدُّنْيَـا إذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعِشْ	بِهَـا بَـطَلاً يَحْمِي الْحَقِيقَـةَ شَـدُّهُ(۳٦)
مِنَ الْعَـارِ أَنْ يَـرْضَى الفَتَى بِـمَـذَلَّـةٍ	وفي السَّـيْفِ مـا يَـكْفِـي لأَمْـرٍ يُعِـدُّهُ
وَإِنِّـي امْـرُؤٌ لا أَسْـتَكِيـنُ لِصَـوْلَـةٍ	وإِنْ شَـدَّ سَـاقِي دُونَ مَسْعَـايَ قِـدُّهُ(۳۷)

---

(۲۸) الـدرك: الإدراك واللحاق. وثعـال وثعالـة: علما جنس للثعلب، واستعمله هنـا استعمال الجمع. والوتيرة والترة: أي الثأر، أو الظلم فيه. ويريد بالثعالب: خساس الناس، وبالأسد: أشرافهم.

(۲۹) الدياجير: جمع ديجور، وهو الظلام. والمحنة: البلاء والفتنة. وغمد السيف: جفنه الذي يتوارى فيه.

(۳۰) الجور: الميل عن القصد، والظلم.

(۳۱) الحمام: قضاء الموت وقدره. ويؤدّه: يدهاه، وينزل به.

(۳۲) المحافل: جمع محفل، وهو مجتمع الناس.

(۳۳) الخامل: الساقط الذي لا نباهة له.

(۳٤) الضيم: الظلم.

(۳٥) لم يعج: لم يرجع، ولم يلجأ. والوزر: الملجأ والمُعْتَصم، وأصله الجبل المنيع.

(۳٦) العفاء: التراب والدروس، أي الامّحاء والزوال. والشدّ: العدو، والمراد به هنا: الحملة في الحرب.

(۳۷) الصولة: الاستطالة والسطوة والبطش. والقدّ: سير يقدّ من جلد غير مدبوغ ويقيّد به الأسير ونحوه.



أَبَتْ لِيَ حَمْلَ الضَّيْمِ نَفْسٌ أَبِيَّةٌ ... وقَلْبٌ إذَا سِيمَ الأَذَى شَبَّ وَقْدُهُ[٣٨]

نَمَانِي إلى الْعَلْيَاءِ فَرْعٌ تَأَثَّلَتْ ... أُرُومَتُهُ في الْمَجْدِ وافْتَرَّ سَعْدُهُ[٣٩]

وحَسْبُ الْفَتَى مَجْداً إذَا طَالَبَ الْعُلا ... بِمَا كَانَ أَوْصَاهُ أَبُوهُ وَجِدُّهُ

إذَا وُلِدَ الْمَوْلُودُ مِنَّا فَدَرُّهُ ... دَمُ الصِّيدِ والْجُرْدُ الْعَنَاجِيجُ مَهْدُهُ[٤٠]

فَإِنْ عَاشَ فَالْبِيدُ الدَّيَامِيمُ دَارُهُ ... وإنْ مَاتَ فالطَّيْرُ الأَضَامِيمُ لَحْدُهُ[٤١]

أَصُدُّ عَنِ الْمَرْمَى الْقَرِيبِ تَرَفُّعاً ... وأَطْلُبُ أَمْراً يُعْجِزُ الطَّيْرَ بُعْدُهُ

وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ تَلَاعَبُ بِالْقَنَا ... أُسُودُ الْوَغَى فيهِ وتَمْرَحُ جُرْدُهُ[٤٢]

يُمَزِّقُ أَسْتَارَ النَّوَاظِرِ بَرْقُهُ ... وَيَقْرَعُ أَصْدَافَ الْمَسَامِعِ رَعْدُهُ[٤٣]

تُدَبِّرُ أَحْكَامَ الطِّعَانِ كُهُولُهُ ... وَتَمْلِكُ تَصْرِيفَ الأَعِنَّةِ مُرْدُهُ[٤٤]

---

(٣٨) أبى الرجل يأبى إباء: امتنع فهو آب وأبيّ. والضّيم: الظلم والضّير. وسيم الأذى: أريد به الأذى، وحمل على المكروه. وشبّ: اتّقد. والوقد: النار.

(٣٩) نماني: عزاني ونسبني ورفعني. والعلياء: السماء وكلّ شيء عال. والفرع: الغصن. ويريد به هنا: نسبه القريب. والأرومة: الأصل. وتأثّلت: تأصّلت وعظمت. والمجد: العزّ والشرف. وافترّ: تلألأ وأشرق.

(٤٠) درّه: لبنه وغذاؤه. والصيد: جمع أصيد، وهو الأسد، ورافع رأسه كبراً. والجرد: جمع أجرد، وهو الفرس السبّاق، أو القصير الشعر الرقيقه. والعناجيج: جياد الخيل والإبل.

(٤١) البيد: جمع بيداء وهي المفازة، أي الموضع المهلك. والدياميم: جمع ديموم أو ديمومة، وهي الفلاة الواسعة أي الصحراء. والأضاميم: الجماعات، واحدتها إضمامة.

(٤٢) القنا: جمع قناة،وهي الرمح . والوغى :الجرب .وجرد ، جمع أجرد: وهو الفرس السبّاق.

(٤٣) يريد بأستار النواظر: الجفون. وأراد بالبرق: لمعان الأسلحة وضوء نيران الحرب في ذلك اليوم. والمراد بأصداف المسامع: أول ما يصل إليه الصوت من أجزاء الأذن.

(٤٤) الطعان: مصدر طاعنه بالرمح ونحوه، أي ضربه به ووخزه. والمراد بالكهول: الشيوخ المجرّبون. والأعنّة: جمع عنان، وهو في الأصل سير اللجام الذي تمسك به الدابة، والمراد بتصريف الأعنة: تنفيذ خطط القتال. والمرد: جمع أمرد، وهو الغلام لم تنبت لحيته.

قُلُوبُ الرِّجَالِ الْمُسْتَبِدَّةِ أَكْلُهُ وَفَيْضُ الدِّمَاءِ الْمُسْتَهِلَّةِ وِرْدُه(٤٥)

أُحَمِّلُ صَدْرَ النَّصْلِ فِيهِ سَرِيرَةً تُعَدُّ لأَمْرٍ لا يُحَاوَلُ رَدُّهُ(٤٦)

فَإِمَّا حَيَاةٌ مِثْلُ ما تَشْتَهِي الْعُلا وإِمَّا رَدىً يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ وَفْدُهُ(٤٧)

وقالَ على رَوِيِّ قَصِيدَةِ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِيِّ (★) التي أوَّلُها :

أَمِنَ آلِ مَيَّةَ رائحٌ أَوْ مُغْتَدِ عَجْلاَنَ ذَا زادٍ وغَيْرَ مُزَوَّدِ

وَقَدْ سَلَكَ فيها مَسَالِكَ الْعَرَبِ في ما كَانَتْ تَتَمَدَّحُ بِهِ مِنْ مُبَاشَرَةِ الْحُروبِ ، وارْتِيادِ الْمَنَابِتِ ، ورُكُوبِ الْخَيْلِ ، وشُرْبِ الْخَمْرِ ، والتَّشْبِيبِ بالنِّسَاءِ .

ظَنَّ الظُّنُونَ فَبَاتَ غَيْرَ مُوَسَّدِ حَيْرَانَ يَكْلأُ مُسْتَنِيرَ الْفَرْقَدِ(١)

تُلْوِي بِهِ الذُّكُراتُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَظَلُّ مُلْقَى بَيْنَ أَيْدِي الْعُوَّدِ(٢)

---

(٤٥) استبدّ بالأمر: انفرد به من غير مشارك له فيه. والمستهلّة: اسم فاعل من استهل المطر ونحوه، أي اشتد انصبابه. والورد: النصيب من الماء.

(٤٦) النصل: حديدة السهم والرمح والسيف ونحوها. والسريرة: السر الذي يكتم، والمراد (هنا): الخطّة المرسومة المكتومة.

(٤٧) الردى: الهلاك.

في هذه القصيدة تحريض صريح على دفع الظلم بقوة السلاح، وفيها تهديد ووعيد، وهذا يرجّح أن البارودي نظمها لما اشتدّ الجفاء، وتأزّمت الأمور بين الخديوي توفيق والوزارة الوطنية (وزارة محمود سامي البارودي) في مايو سنة ١٨٨٢ قبيل توقّد الثورة العرابيّة.

(★) النابغة الذبياني: أحد فحول شعراء الجاهلية، وحكمهم بعكاظ، واسمه زياد بن معاوية، وكنيته أبو أمامة، وقبيلته ذبيان، وذبيان من قيس، وقيس من مضر، ومضر أعظم القبائل العدنانية وأشهرها، ولُقِّب بالنابغة لنبوغه في الشعر فجاءه وهو كبير، بعد أن امتنع عليه وهو صغير.

(١) الفرقد: نجم قريب من القطب الشمالي، ثابت الموقع تقريباً، ولهذا يُهتدى به ، وهو المسمى (النجم القطبي) وبقربه نجم آخر مماثل له، وأصغر منه، وهما فرقدان.

(٢) تلوي به: تذهب به، ومن كلامهم: ألوى بهم الدهر: أي أهلكهم. والعوّد: جمع عائد، من عدت المريض أعوده عيادة.

طَـوْراً يَـهُـمُّ بِـأَن يَـزِلَّ بِـنَـفْـسِــهِ   سَـرَفـاً وتـاراتٍ يَمِيـلُ عَلَى الْيَــدِ[٣]

فَكَــأَنَّمَـا افْتَــرَسَتْ بِـطَائِــرِ حِلْمِــهِ   مَشْمُــولَـةٌ أَوْ سَــاغَ سُمَّ الأَسْــوَدِ[٤]

قَـالُـوا غَـداً يَـوْمُ الـرَّحِيـلِ وَمَنْ لَهُمْ   خَـوْفَ التَّفَـرُّقِ أَنْ أَعِيشَ إِلَى غَـدِ ؟

هِيَ مُهْجَـةٌ ذَهَبَ الْهَـوَى بِشَغَـافِهَـا   مَعْمُــودَةٌ إِنْ لَمْ تَمُتْ فَكَــأَنْ قَــدِ[٥]

يَــأَهْــلَ ذا الْبَيْتِ الــرَّفِيــعِ مَنَــارُهُ   أَدْعُــوكُمُ يَـا قَــوْمُ دَعْـوَةَ مُقْصَــدِ[٦]

إِنِّي فَقَــدْتُ الْـيَــوْمَ بَيْـنَ بُيُــوتِـكُمْ   عَــقْــلِي فَــرُدُّوهُ عَــلَيَّ لأَهْــتَــدِي

أَوْ فَــاسْتَقِيــدُونِي بِبَعْضِ قِيَــانِكُــمْ   حَـتَّى تَــرُدَّ إِلَـيَّ نَفْسِي أَوْ تَــدِي[٧]

بَـلْ يا أَخَـا السَّيْفِ الـطَّوِيـلِ نِجَادُهُ   إِنْ أَنْتَ لَمْ تَحْمِ النَّـزِيلَ فَـأَغْمِـدِ[٨]

هَــذِي لِحَـاظُ الْغِيـدِ بَيْنَ شِعَـابِكُمْ   فَتَكَتْ بِنَــا خَلْســاً بِغَيْــرِ مُهَنَّــدِ[٩]

---

(٣) الطور: التارة والمرّة. والسرف: التبديد والتضييع.

(٤) الفرس والافتراس (في الأصل): دقّ العنق والقتل، ومنه فرس الأسد فريسته وافترسها، وقد ضمّنه الشاعر (هنا) معنى فتك. والحلم: العقل والأناة. والمشمولة: الخمر الباردة، يقال: شَمَلَ الخمر أي عرضها لريح الشمال فبردت. وساغ: شرب. والأسود: العظيم من الحيات وفيه سواد.

(٥) المهجة: النفس والروح ودم القلب، والمراد بها (هنا): القلب. والشغاف: غلاف القلب أو حجابه أو حبته أو سويداؤه. ومعمودة: هدّها العشق.

(٦) المنار: علم الطريق، أو هو موضع النور كالمنارة، ورفعة المنار كناية عن الشهرة وعظم القدر والمجادة. والمقصد: المطعون.

(٧) استقدت الحاكم من القاتل: سألته أن يقتصّ لي منه، ومعنى استقيدوني (هنا): مكّنوني من أخذ القود. وببعض قيانكم، يريد بالبعض محبوبته. والقيان: جمع قينة وهي الأمة البيضاء، أو الأمة المغنيَّة أو أعمّ. تــدي: تعطي الدية، يقال: ودى القاتل القتيل يديه دية: إذا أعطى وليّه المال الذي هو بدل النفس.

(٨) النجاد: حمائل السيف، وما يعلّق به كالسير ونحوه. وأغمد: أمر من أغمد السيف: إذا جعله في غمده.

(٩) لحظه لحظاً: نظر إليه بمؤخر عينه، ويقال: فتنته ألحاظها ولحظاتها. وقد استعمل اللحظ (هنا)



مِنْ كُـلِّ نَـاعِمَـةِ الصِّبَـا بَـدَوِيَّـةٍ ... رَيَّـا الشَّبـابِ سَلِيمَـةِ الْمُتَجَـرَّدِ(١٠)

هَيْفَـاءَ إنْ خَـطَرَتْ سَبَتْ وإذَا رَنَتْ ... سَلَبَتْ فُؤَادَ الْعَـابِـدِ الْمُتَشَـدِّدِ(١١)

يَخْفِضْنَ مِنْ أَبْصَـارِهِـنَّ تَخَتُّـلاً ... لِلنَّفْسِ فِعْلَ الْقَـانِتَـاتِ الْعُبَّـدِ(١٢)

فَـإذَا أَصَبْنَ أَخَـا الشَّبَـابِ سَلَبْنَـهُ ... وَرَمَيْنَ مُهْجَتَـهُ بِـطَرْفٍ أَصْيَـدِ(١٣)

وَإذَا لَمَحْـنَ أَخَـا الْمَشِيبِ قَلَيْنَـهُ ... وَسَتَرْنَ ضَاحِيَـةَ الْمَحَاسِنِ بِـالْيَدِ(١٤)

فَـلَئِنْ غَـدَوْتُ دَرِيئَـةً لِـعُيُـونِـهَـا ... فَلَقَـدْ أَفُـلُّ زَعَـارَةَ الْمُـتَمَـرِّدِ(١٥)

وَلَقَـدْ شَهِـدْتُ الْحَـرْبَ في إبَّـانِهَـا ... وَلَـبِئْسَ رَاعِي الْحَيِّ إنْ لَـمْ أَشْهَـدِ

تَتَقَصَّفُ الْـمُـرَّانُ في حَـجَـرَاتِهَـا ... ويَعُـودُ فِيهـا السَّيْفُ مِثْـلَ الأَدْرَدِ(١٦)

عَصَفَتْ بهـا رِيحُ الـرَّدَى فَتَـدَفَّقَتْ ... بِـدَمِ الْفَوَارِسِ كَـالأَتِيِّ المُزْبِـدِ(١٧)

اسما بمعنى العين، ثم جمعه على لحاظ. والغيد: جمع غيداء، وهي المرأة الناعمة المتثنّية ليناً. والشعاب: جمع شعب، وهو الطريق في الجبل، والمراد به (هنا) الطريق مطلقاً. وخلساً: مصدر خلس الشيء أي استلبه واختطفه بسرعة على غفلة. والمهنّد: السيف المطبوع من حديد الهند.

(١٠) الصبا (بكسر الصاد): الصغر. وريّا: متنعمة ممتلئة. يقال هي بضّة المتجرّد وسليمة المتجرّد: أي بضّة وسليمة عند التجرّد.

(١١) هيفاء: صفة من الهيف، وهو ضمر البطن ورقّة الخاصرة. وسبت: أسرت. ورنا إليه: أدام النّظر بسكون الطّرف.

(١٢) التختّل: الخديعة. والقانتات: جمع قانتة، وهي العابدة الطائعة.

(١٣) أصيد: صفة من الصيد، وهو عدم الالتفات من الزهو والكبر والدلال.

(١٤) قلينه: أبغضنه. والمراد بضاحية المحاسن: الوجه الجميل الفاتن.

(١٥) الدريئة: الحلقة يُتَعلّم الطعن والرمي عليها، والمراد بالدريئة (هنا): الهدف والغرض. والزعارة: الشراسة وسوء الخلق.

(١٦) المرّان: الرماح، واحدتها مرانة من المرونة وهي اللين في صلابة. والحجرات: النّواحي، مفردها حجرة. والأدرد: الذي سقطت أسنانه وبقيت أصولها.

(١٧) الرّدى: الهلاك. والأتيّ: السيل.

مــا زِلْتُ أَطْعَنُ بَيْنَهــا حَتَّى انْـثَـنَـتْ عَنْ مِثْلِ حَاشِيَةِ الرِّدَاءِ الْمُجْسَـدِ[١٨]

وَلَقَـدْ هَبَـطْتُ الْغَيْثَ يَلْمَـعُ نَـوْرُهُ في كُـلِّ وَضَّـاحِ الأَسِـرَّةِ أَغْيَـدِ[١٩]

تَـجْـرِي بِـهِ الآرَامُ بَيْـنَ مَنَـاهِـلٍ طَـابَتْ مَـوَارِدُهَــا وَظِـلٍّ أَبْـرَدِ[٢٠]

بِـمُـضَـمَّـرٍ أَرِنٍ كَـأَنَّ سَـرَاتَـهُ بَعْدَ الْحَمِيمِ سَبِيكَةٌ مِنْ عَسْجَدِ[٢١]

خَلَصَتْ لَـهُ الْيُمْنَى وَعَـمَّ ثَـلاثَـةً مِنْهُ الْبَيَاضُ إِلَى وَظِيفٍ أَجْـرَدِ[٢٢]

فَكَـأَنَّمَـا انْـتَـزَعَ الأَصِيـلَ رِدَاءَهُ سَلَباً وَخَاضَ مِنَ الضُّحَى في مَـوْرِدِ

زَجِـلٌ يُـرَدِّدُ فِي اللَّهَـاةِ صَـهِـيـلَهُ رَفْعـاً كَزَمْـزَمَـةِ الْحَبِيِّ الْمُـرْعِـدِ[٢٣]

مُـتَـلَفِّـتـاً عَـنْ جَـانِـبَـيْـهِ يَـهُـزُّهُ مَـرَحُ الصِّبَا كَـالشَّـارِبِ الْمُتَغَـرِّدِ

فَـإِذَا ثَنَيْتَ لَـهُ الْعِنَـانَ وَجَـدْتَـهُ يَمْطُو كَسِيدِ الـرَّدْهَـةِ الْمُتَـوَرِّدِ[٢٤]

---

(١٨) انثنت الحرب: انتهت ووضعت أوزارها. والمجسد: الثوب المصبوغ بالجسد، وهو الزعفران.

(١٩) هبطت الغيث: نزلت بأرضه. والغيث: النبات والكلأ، وهو في الأصل المطر، وسمّي الكلأ غيثاً لأن الغيث سببه. والنور: الزهر. والأسرّة: خطوط الكفّ والجبهة، واحدها سرار. ووضّاح الأسرّة: صفة للنبت. والأغيد من النبات: الناعم المتثني.

(٢٠) الآرام: جمع رئم، وهو الظبي الخالص البياض. والمناهل: الآبار وعيون المياه العذبة. والموارد: مواضع ورود الماء، أي بلوغه والإشراف عليه، والمراد بها (هنا) المياه نفسها. وظلّ أبرد: بارد.

(٢١) مضمّر: خفيف اللحم، معدّ للسباق. وأرن: نشيط خفيف سريع. والسراة: الظهر وأعلى كلّ شيء. والحميم: العرق. والعسجد: الذهب.

(٢٢) الوظيف من الحيوان: مستدقّ الذراع والساق، أو هو ما فوق الرّسغ إلى الساق. وأجرد: قصير الشعر رقيقه.

(٢٣) زجل: صفة من الزجل وهو الجلبة والتطريب ورفع الصوت. واللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى الفم. والزمزمة: الصوت البعيد له دويّ وتتابع كصوت الرعد. والحبيّ: السحاب يشرف من الأفق على الأرض، أو الذي بعضه فوق بعض. والمرعد: ذو الرعد.

(٢٤) يمطو: يتمطّى ويتبختر. والسيد: الذئب والأسد. والردهة: شبه أكمة خشنة. والمتورّد: الجريء، من قولهم: هو يتورّد المهالك، أو الوردي اللون.

وإذَا أُطَعْتَ لَـهُ الْعِنَـانَ رَأَيْتَـهُ	يَطْوِي الْمَهَامِهَ فَدْفَداً فِي فَدْفَدِ[٢٥]
يَكْفِيكَ مِنْـهُ إذَا أَحَسَّ بِنَبْـأَةٍ	شَدٌّ كَمَعْمَعَةِ الأَبَـاءِ الْمُوقَـدِ[٢٦]
صُلْبُ السَّنَـابِـكِ لا يَمُـرُّ بِجَلْمَـدٍ	فِي الشَّـدِّ إلاَّ رَضَّ فِيـهِ بِجَلْمَـدِ[٢٧]
نِعْمَ الْعَتَـادُ إذَا الشِّفَـاهُ تَقَلَّصَتْ	يومَ الْكَرِيهَةِ فِي الْعَجَاجِ الأَرْبَـدِ[٢٨]
وَلَقَدْ شَرِبْتُ الْخَمْـرَ بَيْنَ غَطَارِفٍ	شُمِّ الْمَعَاطِسِ كَالْغُصُـونِ الْمُيَّدِ[٢٩]
يَتَلاعَبُونَ عَلَى الْكُؤوسِ إذَا جَرَتْ	لَعِباً يَـرُوحُ الْجِدُّ فِيـهِ وَيَغْتَـدِي[٣٠]
لا يَنْـطِقُـونَ بِغَيْـرِ مـا أَمَـرَ الْهَـوَى	فَكَلامُهُمْ كَالرَّوْضِ مَصْقُولٌ نَدِي[٣١]
مِنْ كُـلِّ وَضَّـاحِ الْجَبِينِ كَـأَنَّـهُ	قَمَـرٌ تَـوَسَّطَ جُنْحَ لَيْـلٍ أَسْـوَدِ[٣٢]
بَـلْ رُبَّ غَـانِيَـةٍ طَرَقْتُ خِبَـاءَهَـا	وَالنَّجْمُ يَطْرِفُ عَنْ لَواحِظِ أَرْمَـدِ[٣٣]

(٢٥) المهـامه: جمع مهمه أو مهمهة، وهي المفازة البعيدة، أي الأرض الواسعة المهلكة والبلد المقفر. والفدفد: الفلاة، وهي الأرض لا ماء فيها، أو هو المكان الصّلب الغليظ المرتفع، أو الأرض المستوية.

(٢٦) النبأة: الصوت الخفيّ. والشدّ: العدو والجري. والمعمعة: صوت الحريق في القصب ونحوه. والأباء: الأجمة من الحلفاء والقصب.

(٢٧) السنابك: جمع سنبك، وهو طرف الحافر. والجلمد: الصخر كالجلمود. والشدّ: العدو. ورضّ: دقّ وكسر.

(٢٨) تقلّص الشفاه: كناية عن الشدّة والبأساء. والكريهة: الشدة في الحرب. والعجاج: الغبار والدّخان. والأربد: الأغبر الرماديّ.

(٢٩) غطارف: جمع غطريف، وهو السيّد الشريف، والسخيّ السريّ. وشمّ: جمع أشم، صفة من الشمم وهو ارتفاع قصبة الأنف وحسنها واستواء أعلاها. والمعاطس: جمع معطس، وهو الأنف.

(٣٠) يروح ويغتدي: يذهب ويجيء.

(٣١) الروض: جمع روضة، وهي أرض ذات بقل وعشب وزهر. ومصقول: مجلوّ. وند: مبتلّ نضير غضّ.

(٣٢) وضّاح: أغرّ أبيض حسن اللون. والجبين: ما فوق الصُّدْغ عن يمين الجبهة، أو شمالها، وهما جبينان. وجنح الليل: ظلامه واختلاطه، أو طائفة منه.

(٣٣) الغانية: المرأة الغنيّة بحسنها عن الزينة. والخباء: بيت من وبر أو صوف، ينصب على

قَــالَتْ وَقَــدْ نَــظَرَتْ إِلَيَّ فَضَحْتَنِي فَارْجِعْ لِشَأْنِكَ فَالرِّجَالُ بِمَرْصَـدِ[٣٤]
فَمَسَحْتُهَــا حَتَّى اطْمَــأَنَّ فُؤَادُهــا وَنَفَيْتُ رَوْعَتَهَا بِــرَأْيٍ مُحْصَــدِ[٣٥]
وَخَرَجْتُ أَخْتَرِقُ الصُّفُوفَ مِنَ الْعِدَا مُتَلَثِّمــاً والسَّـيْفُ يَـلْمَــعُ فِي يَـدِي
فَـلَنِعْـمَ ذَاكَ الْعَـيْشُ لَــوْ لَمْ يَـنْقَضِ وَلَـنِعْـمَ هَــذَا الْعَـيْشُ إِنْ لَمْ يَـنْفَـدِ
يَـرْجُو الْفَتَى فِي الـدَّهْرِ طُولَ حَيَاتِـهِ ونَـعِـيمِـهِ والْـمَـرْءُ غَـيْـرُ مُـخَـلَّدِ

وفي الوسيلة الأدبيَّة(★) جاءَت هذه القصيدة في ثمانية وأَربعين بيتاً بزيادة خَمْسة الأَبْيَات الآتية بَيْن البيْتين التّاسع والثلاثين والأَربعين :

فَخلَبْتُهَــا بِــالْقَــولِ حَتَّى رُضْتُــهــا وَطَــوَيْتُهَا طَيَّ الْحَبِيــرَةِ بِـالْيَــدِ[١]
مَــا زِلْتُ أَمْنَعُهَــا الْـمَنَــامَ غَــوايَــةً حَتَّى لَقَــدْ بِتْنَــا بِلَيْــلِ الأَنْـقَـدِ[٢]
رَوْعَـاءُ تَفْـزَعُ مِنْ عَصَـافِيـرِ الضُّحَى تَـرَفاً وتَجْـزَعُ مِنْ صِيَاحِ الْهُـدْهُدِ[٣]

عمودين أو ثلاثة. ويطرف: مضارع طرف بصره إذا أطبق أحد جفنيه على الآخر، وطرف البصر أي تحرك جفناه. واللواحظ: جمع لاحظة، بمعنى ناظرة، والمراد العيون. وأرمد: صفة من الرمد، وهو مرض يصيب العين فيهيجها.

(٣٤) المرصد: موضع الرصد، وهو الارتقاب والانتظار.

(٣٥) المسح: إمرار اليد على الشيء. والروعة: الفزعة والخوف. والرأي المحصد: المحصف السديد المحكم الصائب.

(★) انظر الوسيلة الأدبية للشيخ حسين المرصفي، (ج ٢، ص ٤٩٤ ـ ٤٩٦) طبعة مطبعة المدارس الملكيّة بدرب الجماميز بالقاهرة سنة ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥م).

(١) خلبه: خدعه، وفتن قلبه بلطيف الكلام، وحلو المنطق. والحبير: الثوب الناعم الموشى.

(٢) الغواية: الإمعان في الضلال. والأنقد: القنفذ، وهو لا ينام الليل. وبتنا بليل الأنقد: أي لم ننم، فهو كناية عن السهر، وعدم النوم. والقنفذ: دويبة ذات شوك حادّ، يلتفّ فيصير كالكرة، وبذلك يقي نفسه خطر الاعتداء عليه.

(٣) روعاء: معجبة بنفسها، وجهارة منظرها. والهدهد: جنس طير من الجوائم الرقيقات المناقير، له قنزعة على رأسه. والهدهد أيضاً: كل ما يقرقر من الطير، أي يردّد صوته، ويرجّعه.



حَتَّى إذا نَمَّ الصَّبَا وَتَتَابَعَتْ زِيَمُ الْكَوَاكِبِ كَالْمَهَا الْمُتَبَدِّدِ[٤]

قَالَتْ دَخَلْتَ وَمَا إخَالُكَ بَارِحاً إلَّا وَقَدْ أَبْقَيْتَ عَارَ الْمُسْنَدِ[٥]

وقَالَ وهو بأَقْرِيطِش[★] أَيَّامَ الْحَرْبِ يَتَشَوَّقُ إلى مِصْرَ سنة ١٢٨٢ هـ :

سَرَى الْبَرْقُ مِصْرِيّاً فَأَرَّقَنِي وَحْدِي وأذْكَرَنِي مَا لَسْتُ أَنْسَاهُ مِنْ عَهْدِ

فَيَا بَرْقُ حَدِّثْنِي وَأَنْتَ مُصَدَّقٌ عَنِ الآلِ والأَصْحَابِ مَا فَعَلُوا بَعْدِي

وَعَنْ رَوْضَةِ الْمِقْيَاسِ تَجْرِي خِلالَهَا جَدَاوِلُ يُسْدِيهَا الْغَمَامُ بِمَا يُسْدِي[١]

إذَا صَافَحَتْهَا الرِّيحُ رَهْواً تَجَعَّدَتْ حَبَائِكُهَا مِثْلَ الْمُقَدَّرَةِ السَّرْدِ[٢]

وَإنْ ضَاحَكَتْهَا الشَّمْسُ رَفَّتْ كَأَنَّهَا مَنَاصِلُ سُلَّتْ لِلضِّرَابِ مِنَ الْغِمْدِ[٣]

---

(٤) الصبا: ريح تهب من مطلع الشمس. ونمّت الريح: جلبت الرائحة، أو الحركة. وزيم الكواكب: أي الكواكب المتفرقة، جمع زيمة. والمها: البقر الوحشيّ، الواحدة مهاة.

(٥) المسند: الدهر والأبد. وعار المسند: العار الذي يبقى لاصقاً بصاحبه بقاء الدهر.

(★) أقريطش: (بفتح أوله وكسر الراء والطاء): (كريد) جزيرة مشهورة ببحر الروم إلى الجنوبي الشرقي من بلاد اليونان، وكانت هذه الجزيرة من أملاك الدولة العثمانية، وفي سنة ١٢٨٢ هـ، أعلنت العصيان والثورة بتشجيع روسيا، ومساعدة اليونان، فأرسلت الدولة إليها جيشاً لإخماد الفتنة، وبعث الخديوي «إسماعيل» نجدة عسكرية كان البارودي من ضباطها، وهذه هي الحرب التي يشير إليها، وقد انتهت بمنح الجزيرة بعض الامتيازات في المؤتمر الذي انعقد بباريس في ١٢ من جمادى الآخرة سنة ١٢٨٦ هـ (١٩ من سبتمبر سنة ١٨٦٩م).

(١) روضة المقياس: جزيرة في النيل شرقيّ الجيزة، وفيها مقياس قديم يعرف به ما يعتور النيل من زيادة ونقصان. والغمام: السحاب أو الأبيض منه، الواحدة غمامة.

(٢) رهواً: سهلة لينة ساكنة. وتجعّدت: تقبّضت كأنها الشعر الجعد، وهو خلاف السبط المسترسل. والحبائك: الطرائق في الماء والرمل ونحوهما، الواحدة حبيكة. والمقدّرة: المحكمة المتقنة، أو الضيّقة، من التقدير وهو التضييق. والسرد: نسج الدرع، وتداخل الحلق بعضها في بعض.

(٣) رفّت: برق لونها وتلألأ. والمناصل: جمع منصل، وهو السيف. وسلّت: انتزعت وأخرجت. والغمد: جفن السيف وغطاؤه.



نَعِمْتُ بِهَا دَهْراً وَمَا كُلُّ نِعْمَةٍ حَبَتْكَ بِهَا الأَيَّامُ إِلَّا إِلَى الرَّدِّ(٤)

فَوَا أَسَفَا إِذْ لَيْسَ يُجْدِي تَأَسُّفٌ عَلَى مَا طَوَاهُ الدَّهْرُ مِنْ عَيْشِنَا الرَّغْدِ(٥)

إِذِ الدَّهْرُ سَمْحٌ وَاللَّيَالِي سَمِيعَةٌ و « لَمْيَاءُ » لَمْ تُخْلِفْ بِلَيَّانِهَا وَعْدِي(٦)

فَتَاةٌ تُرِيكَ الشَّمْسَ تَحْتَ خِمَارِهَا إِذَا سَفَرَتْ والْغُصْنَ في مَعْقِدِ الْبَنْدِ(٧)

مِنَ الْفَاتِنَاتِ الْغِيدِ لَوْ مَرَّ ظِلُّهَا عَلَى قَانِتٍ دَبَّتْ بِهِ سَوْرَةُ الْوَجْدِ(٨)

فَتَاللهِ أَنْسَى عَهْدَهَا مَا تَرَنَّمَتْ بَنَاتُ الضُّحَى بَيْنَ الأَرَاكَةِ والرَّنْدِ(٩)

حَلَفْتُ بِمَا وَارَى الْخِمَارُ مِنَ الْحَيَا وَمَا ضَمَّتِ الأَرْدَانُ مِنْ حَسَبٍ عِدِّ(١٠)

وبِاللُّؤْلُؤِ الْمَنْضُودِ بَيْنَ يَوَاقِتٍ هِيَ الشَّهْدُ ظَنّاً بَلْ أَلَذُّ مِنَ الشَّهْدِ(١١)

---

(٤) حبتك: أعطتك.

(٥) عيش رغد: طيب واسع ليّن.

(٦) الليالي سميعة: كناية عن أن الأمور كانت تجري على هواه. ولمياء: اسم محبوبته. وليّان: مصدر لواه بدينه ليّاً وليّاناً، أي مطله وسوّفه بوعد الوفاء مرة بعد أخرى.

(٧) الخمار: ما تغطي به المرأة رأسها. وسفرت: كشفت عن وجهها. ومعقد الشيء: موضع عقده. والبند: الحزام.

(٨) الفاتنات: جمع فاتنة، اسم فاعل من فتنته، أي استمالته وأعجبته، أو أوقعته في الفتنة، أو دلّهته، أي سلبت بالعشق فؤاده. والغيد: جمع غيداء، وهي الفتاة الناعمة المتثنية ليناً. وقانت: ناسك عابد. وسورة الوجد: شدة الحب.

(٩) ترنّمت: رجّعت صوتها وطرّبت وغرّدت. ويريد ببنات الضحى: الطيور المغرّدة، حين تشرق الشمس ويمتدّ النهار. والأراكة: شجرة طويلة ناعمة كثيرة الورق والأغصان خوّارة العود، ولها ثمر في عناقيد يسمى البرير، يملأ العنقود الكفّ، والجمع أراك، أو الأراك: شجر من الحمض يستاك بقضبانه. والرند: شجر طيّب الرائحة من أشجار البادية، وقيل هو العود، وقيل هو الآس.

(١٠) الأردان: جمع ردن، وهو أصل الكمّ، والمراد بالأردان (هنا): الأثواب. وعِدّ: قديم، أو كثير، وهذا مستعار من قولهم ماء عِدّ، أي كثير جار، له مادة لا تنقطع كماء العين.

(١١) المنضود: المصفوف المنظوم المنسّق، والمراد أسنان المحبوبة. والياقوت: حجر كريم، صلب، رزين، شفاف، يتركب من أكسيد الألمنيوم، وهو أكثر المعادن صلابة بعد الماس،



يَمِينـاً لَـوِ اسْتَسْقَيْتَ أَرْضـاً بِـهِ الْحَيَـا لَخَاضَ بِهَا الرُّعْيَانُ فِي كَلإٍ جَعْـدِ(١٢)

لأَنـتِ وَأَيُّ النَّـاسِ أَنْـتِ ؟ حَبِيبَـةٌ إِلَيَّ وَلَـوْ عَـذَّبْتِ قَلْبِيَ بِـالـصَّـدِّ

إِلَيْـكِ سَلَبْتُ الْعَيْنَ طِيبَ مَنَـامِهَـا وفيكِ رَعَيْتُ النَّجْمَ في أُفْقِهِ وَحْدِي(١٣)

وذَلَّلْتُ هَـذِي النَّفْسَ بَعْـدَ إِبـائِهـا وَلَـوْلاكِ لَمْ تَسْمَـحْ بِحَـلٍّ ولا عَقْـدِ

فَحَتَّـامَ تَجْـزِينِي بِـوُدِّيَ جَفْـوَةً ؟ أَمَا تَرْهَبِينَ اللهَ فِي حُرْمَةِ الْمَجْدِ ؟(١٤)

سَلِي عَنِّيَ اللَّيْـلَ الطَّوِيـلَ فَـإِنَّـهُ خَبِيـرٌ بمـا أُخْفِيـهِ شَوْقـاً وَمَـا أُبْـدِي

هَـلِ اكْتَحَلَتْ عَيْنَـايَ إِلَّا بِمَـدْمَـعٍ إِذَا ذَكَـرَتْـكِ النَّفْسُ سَالَ عَلَى خَدِّي ؟

أُصَبِّـرُ عَـنْـكِ النَّفْسَ وَهْـيَ أَبِيَّـةٌ وَهَيْهَـاتَ صَبْـرُ الظَّامِئَـاتِ عَنِ الْـوِرْدِ

كَـأَنِّـي أُلاقِي مِنْ هَـوَاكِ ابْنَ خِيسَـةٍ أَخَـا فَتَكَـاتٍ لا يُـنَهْنَـهُ بِـالـرَّدِّ(١٥)

تَـنَكَّـبَ مُـمْـسَـاهُ وَأَخْـطأَ صَيْـدَهُ فَأَقْعَى عَلَى غَيْظٍ مِنَ الْجُوعِ وَالْكَدِّ(١٦)

لَـهُ نَـعَـراتٌ بِـالْـفَـلاةِ كَـأَنَّـهـا عَلَى عُدَوَاءِ الدَّارِ جَلْجَلَةُ الـرَّعْـدِ(١٧)

يتزين به الناس، وألوانه مختلفة، منها الأحمر الرماني، واحدته أو القطعة منه ياقوتة، والجمع يواقيت، ويريد باليواقيت الشفتين. والظن (هنا) بمعناه العلم واليقين.

(١٢) استسقيت: طلبت السقي. والحيا: المطر. وجعد: كثير ند.

(١٣) إليك: بسببك. وسلبت: أخذت وحرمت. ورعيت النجم: راقبته وانتظرت مغيبه. وأفق النجم (هنا): فلكه ومداره.

(١٤) حتام: حتى الموصولة بما الاستفهامية بعد حذف ألفها، ومعناها إلى أيّ غاية ؟ أو إلى أيّ وقت؟

(١٥) كـني بابن خيسة عن الأسد، والخيسة: موضعه، وهي أيضاً الشجر الملتفّ، أو ما كان حلفاء وقصباً. وينهنه : يُكفّ ويُدْفَع .

(١٦) تنكب: انحرف، ومال عن القصد. وممساه: يراد به (هنا) مكان مبيته. وأقعى إقعاء: جلس على أليتيه، ونصب ساقيه، ووضع يديه على الأرض كما يقعي الكلب.

(١٧) نعرات: أصوات، جمع نعرة، وهي الصراخ والصياح في حرب أو شرّ. وعدواء الدار: بعدها. وجلجلة الرعد: صوته.



يُمَزِّقُ أَسْتَارَ الظَّلامِ بِأَعْيُنٍ تَطِيرُ شَراراً كَالسُّقَاطِ مِنَ الزَّنْدِ[(١٨)]

كَأَنَّهُمَا مَاوِيَّتَانِ أُدِيرَتَا إِلَى الشَّمْسِ فَانْبَثَّا شُعَاعاً مِنَ الْوَقْدِ[(١٩)]

فَهَذَا الَّذِي أَلْقَاهُ مِنْكَ عَلَى النَّوَى فَرَاخِي وَثَاقِي يَا ابْنَةَ الْقَوْمِ أَوْ شُدِّي[(٢٠)]

وقال وهو في حرب الروس[(★)] مع الدولة العثمانية سنة ١٢٩٤ هـ (١٨٧٧ م) .

وأرسل بها إلى الأستاذ الشيخ « حسين المرصفي »[(★★)] :

هُوَ الْبَيْنُ حَتَّى لاَ سَلاَمٌ وَلاَ رَدُّ وَلا نَظْرَةٌ يَقْضِي بِها حَقَّهُ الْوَجْدُ[(١)]

لَقَدْ نَعَبَ (الْوَابُورُ) بِالْبَيْنِ بَيْنَهُمْ فَسَارُوا وَلاَ زَمُّوا جِمَالاً وَلاَ شَدُّوا[(٢)]

سَرَى بِهِمُ سَيْرَ الْغَمَامِ كَأَنَّمَا لَهُ في تَنَائِي كُلِّ ذِي خُلَّةٍ قَصْدُ[(٣)]

فَلاَ عَيْنَ إلاَّ وَهْيَ عَيْنٌ مِنَ الْبُكَى وَلاَ خَدَّ إلاَّ لِلدُّمُوعِ بِهِ خَدُّ[(٤)]

---

(١٨) السقاط: ما سقط من الشيء، ويريد بالسقاط (هنا): ما يسقط من الزند عند قدحه وإيرائه. والزند: العود الذي تقدح به النار.

(١٩) الماويّة: المرآة. والوقد: النار واتّقادها.

(٢٠) النوى: البعد.

(★) تقدم التعريف بتلك الحرب في مقدمة القصيدة التي مطلعها «هنيئاً لريا ما تضمّ الجوانح» أوّل قافية الحاء.

(★★) الشيخ حسين بن أحمد المرصفي عالم لغوي أديب ضرير، تخرج في الأزهر، وتعلم اللغة الفرنسية، ونبغ في علوم اللغة العربية وآدابها، ثم اشتغل بتدريسها في الأزهر ودار العلوم. وهو يعدّ من الأفذاذ الذين ردّوا على اللغة العربية في العصر الحديث ما كان لها من البهاء في العصر القديم. ومن تلاميذه وأصحابه الذين انتفعوا بفضله وأدبه حفني ناصف، والبارودي، وعبد الله فكري. توفي سنة ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩م).

(١) البين: الفراق.

(٢) نعب: صفر وصوّت. وزمّ البعير خطمه: أي وضع في أنفه ما يقوده به. وزمّه: شدّ عليه الزمام، وهو المقود، أي الحبل الذي يقاد به. وشدّ الرحل ونحوه: إذا وضعه على ظهر البعير وربطه وأوثقه

(٣) الغمام: السحاب، الواحدة غمامة. والتنائي: التباعد. والخلّة: الصداقة.

(٤) العين الأولى: حاسّة الرؤية. والعينِ الثانية: ينبوع الماء. وللدموع به خدّ: طريق أو تأثير.



فَيَا سَعْدُ حَدِّثْنِي بِأَخْبَارِ مَنْ مَضَى فَأَنْتَ خَبِيرٌ بِالأَحَادِيثِ يَا سَعْدُ

لَعَلَّ حَدِيثَ الشَّوْقِ يُطْفِيءُ لَوْعَةً مِنَ الْوَجْدِ أَوْ يَقْضِي بِصَاحِبِهِ الْفَقْدُ

هُوَ النَّارُ فِي الأَحْشَاءِ لَكِنْ لِوَقْعِهَا عَلَى كَبِدِي مِمَّا أَلَذُّ بِهِ بَرْدُ

لَعَمْرُ الْمَغَانِي وَهْيَ عِنْدِي عَزِيزَةٌ بِسَاكِنِهَا مَا شَاقَنِي بَعْدَهَا عَهْدُ[٥]

لَكَانَتْ وَفِيهَا مَا تَرَى عَيْنُ نَاظِرٍ وَأَمْسَتْ وَمَا فِيهَا لِغَيْرِ الأَسَى وَفْدُ

خَلاَءٌ مِنَ الأُلاَّفِ إِلاَّ عِصَابَةً حَدَاهُمْ إِلَى عِرْفَانِهَا أَمَلٌ فَرْدُ[٦]

دَعَتْهُمْ إِلَيْهَا نَفْحَةٌ عَنْبَرِيَّةٌ وِبِالنَّفْحَةِ الْحَسْنَاءِ قَدْ يُعْرَفُ الْوَرْدُ[٧]

وَقَفْنَا فَسَلَّمْنَا فَرَدَّتْ بِأَلْسُنٍ صَوَامِتَ إِلاَّ أَنَّهَا أَلْسُنٌ لُدُّ[٨]

فَمِنْ مُقْلَةٍ عَبْرَى وَمِنْ لَفْحِ زَفْرَةٍ لها شَرَرٌ بَيْنَ الْحَشَا ما لَهُ زَنْدُ[٩]

فَيَا قَلْبُ صَبْراً إِنْ أَلَمَّ بِكَ النَّوَى فَكُلُّ فِراقٍ أَوْ تَلاقٍ لَهُ حَدُّ[١٠]

فَقَدْ يُشْعَبُ الإِلْفَانِ أَدْنَاهُمَا الْهَوَى ويَلْتَئِمُ الضِّدَّانِ أَقْصَاهُمَا الْحِقْدُ

عَلَى هَذِهِ تَجْرِي اللَّيَالِي بِحُكْمِها فَآوِنَةً قُرْبٌ وَآوِنَةً بُعْدُ

---

(٥) المغاني: جمع مغنى، وهو المنزل الذي أقام به أهله، ثم غادروه ورحلوا عنه.

(٦) العصابة: العصبة، وهي الجماعة من الرجال، ويريد بالعصابة: نفسه ومن كان معه من رفقائه حينما وقفوا بهذه الديار. وحداهم: بعثهم ودفعهم.

(٧) النفحة: اسم مرّة من نفح الطيب: أي فاح وتضوّع وانتشرت رائحته. وعنبريّة: نسبة إلى العنبر من الطيب: وهو مادّة صلبة، لا طعم لها، ولا ريح إلاّ إذا سحقت، أو أحرقت. ويقال إنه روث دابّة بحريّة.

(٨) لدّ: جمع ألدّ، صفة من اللدد، وهو شدة الخصومة، والمراد أن رسومها كانت واضحة الدلالة كأنها تنطق بما مضى من أحوال أهلها بفصاحة ولسن.

(٩) المقلة: شحمة العين التي تجمع سوادها وبياضها. وعبرى: يجري دمعها حزناً. واللفح: مصدر لفحته النار والسموم بحرّها، أي أحرقته. والحشا: ما اشتملت عليه الضلوع، أو ما حواه البطن.

(١٠) النوى: البعد.

وما كُنْتُ لَـوْلاَ الْحُبُّ أَخْـضَـعُ لِلَّتي تُـسِيـءُ ولَكِنَّ الْفَتَى لِلْهَـوى عَبْـدُ

فَعُـودِي صُلْبٌ لاَ يَـلِينُ لِـغَـامِـزِ وَقَـلْبِيَ سَيْـفٌ لاَ يُـفَـلُّ لَـهُ حَـدُّ[11]

إِبَـاءٌ كَمَـا شَـاءَ الـفَخَـارُ وَصَبْـوَةٌ يَـذِلُّ لَهَـا في خِيسِهِ الأَسَـدُ الْـوَرْدُ[12]

وَإِنَّـا أُنَـاسٌ لَـيْسَ فِينَـا مَـعَـابَـةٌ سِـوَى أَنَّ وادِينَـا بِحُكْمِ الْهَـوَى نَجْدُ

نَـلِينُ ـ وإِنْ كُـنَّـا أَشِـدَّاءَ ـ لِلْهَـوَى وَنَغْضَبُ في شَـرْوَى نَقِيرٍ فَنَشْتَـدُّ[13]

وَحَسْبُـكَ مِنَّـا شِيـمَـةٌ عَـرَبِيَّـةٌ هِيَ الْخَمْرُ مَا لَمْ يَأْتِ مِنْ دُونِها حَرْدُ[14]

وَبِي ظَـمـأٌ لَـمْ يَبْـلُغِ الْـمـاءُ رِيَّـهُ وفِي النَّفْسِ أَمْـرٌ لَيْسَ يُـدْرِكُـهُ الْجَهْـدُ

أَوَدُّ ومـا وُدُّ امْـرِىءٍ نَـافِـعٌ لَـهُ وإِنْ كـانَ ذَا عَـقْـلٍ إِذَا لم يَـكُنْ جَـدُّ

وَمَـا بِـيَ مِنْ فَـقْـرٍ لِـدُنْـيَـا وإِنَّـمَـا طِـلاَبُ الْعُـلا مَجْـدٌ وإِنْ كَـانَ لِي مَجْـدُ

وَكَـمْ مِـنْ يَـدٍ لِلّٰهِ عِـنْـدِي وَنِـعْـمَـةٍ يَعَضُّ عَلَيْهَـا كَفَّـهُ الْحـاسِـدُ الْـوَغْـدُ

أَنَـا الْـمَـرْءُ لا يُـطْغِيـهِ عِـزٌّ لِـثَـرْوَةٍ أَصَـابَ وَلاَ يُلْوِي بِـأَخْـلاقِـهِ الْكَـدُّ[15]

أَصُـدُّ عَنِ الْمَـوْفُـورِ يُـدْرِكُـهُ الْخَنَـا وَأَقْنَـعُ بِـالْمَيْسُـورِ يَعْقُبُـهُ الْحَمْـدُ[16]

وَمَنْ كَـانَ ذَا نَفْسٍ كَنَفْسِي تَـصَـدَّعَتْ لِـعِـزَّتِـهِ الـدُّنْيَـا وذَلَّـتْ لَـهُ الأُسْـدُ

---

(١١) يقال هو صلب العود: إذا كان قويّ الشكيمة، ماضي العزم. وغامز: اسم فاعل من غمَز الرجل العود ونحوه إذا جسّه ليعرف لينه من صلابته. ومعنى لا يلين لغامز: أنه ليس فيه ضعف ولا عيب.

(١٢) الصبوة: الفتوة والسطوة. وخيس الأسد: موضعه، وأصله الشجر الملتفّ، أو ما كان حلفاء وقصباً. والورد: الجريء، أو هو ما كان بين الكميت والأشقر، أو ورديّ اللون.

(١٣) شروى نقير: مثل يضرب للقلة.

(١٤) شيمة: خلق وغريزة وطبيعة وجبلّة. والحرد: الغضب.

(١٥) يطغيه: يحمله على الطغيان، وهو مجاوزة الحدّ.

(١٦) الموفور: الشيء التامّ، والمراد المال الكثير. والخنا: الفحش.

وَمِنْ شِيَمِي حُبُّ الْوَفَاءِ سَجِيَّةً ... وما خَيْرُ قَلْبٍ لَا يَدُومُ لَهُ عَهْدُ ؟[17]

وَلَكِنَّ إِخْوَاناً بِمِصْرَ وَرُفْقَةً ... نَسُونَا فَلَا عَهْدٌ لَدَيْهِمْ ولا وَعْدُ

أَحِنُّ لَهُمْ شَوْقاً عَلَى أَنَّ دُونَنَا ... مَهامِهَ تَعْيَا دُونَ أَقْرَبِهَا الرُّبْدُ[18]

فَيَا ساكِنِي الْفُسْطَاطِ ما بَالُ كُتْبِنَا ... ثَوَتْ عِنْدَكُمْ شَهْراً وَلَيْسَ لها رَدُّ ؟[19]

أَفِي الْحَقِّ أَنَّا ذاكِرُونَ لِعَهْدِكُمْ ... وأَنْتُمْ عَلَيْنَا لَيْسَ يَعْطِفُكُمْ وُدُّ ؟

فَلا ضَيْرَ إِنَّ اللهَ يُعْقِبُ عَوْدَةً ... يَهُونُ لَهَا بَعْدَ الْمُواصَلَةِ الصَّدُّ[20]

جَزَى اللهُ خَيْراً مَنْ جَزانِي بِمِثْلِهِ ... عَلَى شُقَّةٍ غَزْرُ الحَيَاةِ بِهَا ثَمْدُ[21]

أَبِيتُ لِذِكْراكُمْ بها مُتَمَلْمِلاً ... كَأَنِّي سَلِيمٌ أَوْ مَشَتْ نَحْوَهُ الْوِرْدُ[22]

فَلاَ تَحْسَبُونِي غَافِلاً عَنْ وِدَادِكُمْ ... رُوَيداً فَمَا في مُهْجَتِي حَجَرٌ صَلْدُ[23]

هُوَ الْحُبُّ لا يَثْنِيهِ نَأْيٌ ورُبَّما ... تَأَرَّجَ مِنْ مَسِّ الضِّرَامِ لَهُ النَّدُّ[24]

نَأَتْ بِيَ عَنْكُمْ غُرْبَةٌ وتَجَهَّمَتْ ... بِوَجْهِيَ أَيَّامٌ خَلائِقُهَا نُكْدُ[25]

---

(١٧) الشيم: جمع شيمة، وهي الخلق والغريزة والطبيعة والجبلة التي خلق الإنسان عليها، ومثلها السجيّة. يقول: إنّ حب الوفاء طبيعة من طبائعه، ولا خير في قلب لا يدوم له وفاء.

(١٨) المهامه: جمع مهمه وهو المفازة البعيدة، أي الصحراء الواسعة المهلكة. والربد: النعام.

(١٩) الفسطاط: اسم مصر القديمة التي بناها عمرو بن العاص لما فتح مصر سنة ٢١ هـ (٦٤١م)، وهو في الأصل: السرادق، ومجتمع أهل الكورة. وثوت: أقامت.

(٢٠) لا ضير: لا ضرر، أي في البعد والقطيعة. ويعقب عودة: يأتي بعد هذا السفر بعودة.

(٢١) الشّقّة: البعد والسفر البعيد. والغزر: مصدر غزر الماء ونحوه غزارة وغزراً أي كثر، فهو غزير. والثمد: الماء القليل، أو ما يظهر في الشتاء، ويذهب في الصيف.

(٢٢) السليم: من لدغته الحية. والورد: من أسماء الحمى.

(٢٣) المهجة: الدم، أو دم القلب، أو الروح. والمراد القلب. وصلد: صلب.

(٢٤) النأي: البعد. وتأرّج الطيب: فاح، وتوهّجت ريحه. والضرام: اشتعال النار في الحلفاء ونحوها. والمراد بالضرام (هنا): النار. والندّ: عود طيّب الرائحة يتبخّر به، أو هو نوع من الطيب، أو هو العنبر.

(٢٥) تجهّم فلان فلاناً: استقبله بوجه باسر كريه كالح مكفهرّ، أو أغلظ له في القول. ونكد: مشؤومة عسرة، وهي جمع نكداء.



أُدُورُ بِعَيْنِي لا أَرَى غَيْرَ أُمَّةٍ مِنَ الرُّوسِ بِالْبَلْقَانِ يُخْطِئُهَا الْعَدُّ(٢٦)

جَوَاثٍ عَلَى هَامِ الْجِبَالِ لِغَارَةٍ يَطِيرُ بِهَا ضَوْءُ الصَّبَاحِ إِذَا يَبْدُو

إِذَا نَحْنُ سِرْنَا صَرَّحَ الشَّرُّ بِإِسْمِهِ وَصَاحَ الْقَنَا بِالْمَوْتِ واسْتَقْتَلَ الْجُنْدُ(٢٧)

فَأَنْتَ تَرَى بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ كَبَّةً يُحَدِّثُ فيها نَفْسَهُ الْبَطَلُ الْجَعْدُ(٢٨)

عَلَى الأَرْضِ مِنْها بِالدِّمَاءِ جَدَاوِلٌ وَفَوْقَ سَرَاةِ النَّجْمِ مِنْ نَقْعِهَا لِبْدُ(٢٩)

إِذَا اشْتَبَكُوا أَوْ رَاجَعُوا الزَّحْفَ خِلْتَهُمْ بُحُوراً تَوَالَى بَيْنَهَا الْجَزْرُ والْمَدُّ

نَشُلُّهُمُ شَلَّ الْعِطَاشِ وَنَتْ بِهَا مُرَاغَمَةُ السُّقْيَا وَمَاطَلَهَا الْوِرْدُ(٣٠)

فَهُمْ بَيْنَ مَقْتُولٍ طَرِيحٍ وَهَارِبٍ طَلِيحٍ وَمَأْسُورٍ يُجَاذِبُهُ الْقِدُّ(٣١)

نَرُوحُ إِلَى الشُّورَى إِذَا أَقْبَلَ الدُّجَى ونَغْدُو عَلَيْهِمْ بِالمَنَايَا إِذَا نَغْدُو(٣٢)

وَنَقْعٍ كَلُجِّ الْبَحْرِ خُضْتُ غِمَارَهُ ولا مَعْقِلٌ إِلَّا الْمَنَاصِلُ والْجُرْدُ(٣٣)

---

(٢٦) يخطئها العدّ: كناية عن كثرتها.

(٢٧) صرّح الشرّ باسمه: ظهر وبان. وهذا كناية عن اشتداد القتال. والقنا: جمع قناة، وهي الرمح. وصاح القنا بالموت: دعاه وناداه. واستقتل: استسلم للقتل، واستمات، ولم يبال بالموت لشجاعته.

(٢٨) الكبة: الدفعة في القتال، والحملة في الحرب. والجعد: الكريم الجواد.

(٢٩) سراة النجم: أعلاه. والنقع: الغبار. واللبد: ما يتلبّد من شعر أو صوف.

(٣٠) ونت: ضعفت وفترت. والمراغمة: الهجران والتباعد والمفارقة. والسقيا: السقي، اسم من سقانا الله الغيث، وأسقانا. والورد: النصيب من الماء، أو الإشراف عليه.

(٣١) طليح: متعب مُعْيٍ. القدّ: سير يقدّ، أي يقطع ويشقّ من جلد غير مدبوغ ويقيّد به الأسير ونحوه.

(٣٢) نروح: نعود وقت المساء. والدجى: جمع دجية، وهي الظلمة. ونغدو عليهم: نباكرهم، أي نسرع إليهم في البكرة.

(٣٣) النقع: الغبار الذي تثيره سنابك الخيل وحركات المتحاربين في ساحة الوغى. واللجّ: معظم الماء كاللجّة. والغمار: جمع غمر وهو الماء الكثير، أو معظم البحر. والمعقل: الملجأ. والمناصل: جمع منصل وهو السيف. والجرد: جمع أجرد، وهو الفرس السبّاق، أو هو ما كان قصير الشعر رقيقه، وهذا من الصفات المستحسنة في الخيل.

صَبَـرْتُ لَـهُ والْمَـوْتُ يَـحْمَـرُّ تَـارَةً ... وَيَنْغَـلُّ طَـوْراً في الْعَجَـاجِ فَيَسْـوَدُّ[٣٤]

فَمَـا كُنْتُ إلَّا اللَّيْثَ أَنْهَـضَـهُ الـطَّوَى ... ومَـا كُنْتُ إلَّا السَّيْفَ فَـارَقَـهُ الْغِمْـدُ[٣٥]

صَؤُولٌ ولِـلأَبْـطَالِ هَمْسٌ مِنَ الْـوَنَى ... ضَرُوبٌ وقَلْبُ الْقِرْنِ في صَدْرِهِ يَعْدُو[٣٦]

فمـا مُهْجَـةٌ إلَّا وَرُمْحِي ضَمِيـرُهَـا ... ولا لَـبَّـةٌ إلَّا وسَيْـفِي لَـهَـا عِـقْـدُ[٣٧]

وَمَـا كُـلُّ سـاعٍ بَـالِـغٌ سُؤْلَ نَفْسِـهِ ... وَلَا كُـلُّ طَـلَّابٍ يُصَـاحِبُـهُ الـرُّشْـدُ

إِذَا الْقَلْبُ لَمْ يَنْصُـرْكَ فِي كُـلِّ مَـوْطِنٍ ... فَـمَـا الـسَّـيْفُ إلَّا آلَـةٌ حَـمْـلُهَـا إِدُّ

إِذا كَـانَ عُـقْبَى كُـلِّ شَـيْءٍ وإِنْ زَكَـا ... فَـنَـاءٌ فَمَـكْـرُوهُ الْفَـنَـاءِ هُـوَ الْـخُـلْدُ

وتَخْلِيـدُ ذِكْـرِ الْـمَـرءِ بَعْـدَ وَفـاتِـهِ ... حَـيَـاةٌ لَـهُ لا مَـوْتَ يَلْحَقُهـا بَـعْـدُ

فَفِيـمَ يَخَـافُ الْـمَـرْءُ سَـوْرَةَ يَـوْمِـهِ ... وفي غَـدِهِ مـا لَيْسَ مِنْ وَقْعِـهِ بُـدُّ[٣٨]

لِـيَضْـنَ بِيَ الْـحُسَّـادُ غَـيْـظاً فَـإِنَّـنِي ... لآنـافِـهِمْ رَغْـمٌ وأَكْـبَـادِهِـمْ وَقْـدُ[٣٩]

أَنَـا القَـائِـلُ الْمَحْـمُودُ مِنْ غَيْـرِ سُبَّـةٍ ... وَمِنْ شِيمَـةِ الْفَضْلِ الْعَـدَاوَةُ والضَّدُّ[٤٠]

---

(٣٤) احمرار الموت: كناية عن كثرة القتل، وجريان الدماء. وينغلّ: يدخل. والطور: المرّة والحين والتارة. والعجاج: الغبار والدخان.

(٣٥) الطوى: الجوع. وغمد السيف: جفنه الذي يتوارى فيه.

(٣٦) صؤول: صفة من صول صآلة، أي وثب مقاتلاً. الونى: الضعف والفتور والكلال والإعياء. وضروب: صيغة مبالغة من الضرب. والقرن: كفؤك في الشجاعة، ومن يقاومك في قتال وغيره.

(٣٧) المهجة: الدم، أو دم القلب، أو الروح، والمراد بها هنا: القلب. والضمير: باطن الإنسان، وسرّه، وما يضمره في نفسه، وهذا كناية عن أن رمحه يشقّ القلوب، ويفتك بالأنفس. واللبّة: موضع القلادة من الصدر.

(٣٨) السورة: الغضب والسطوة والشدّة والحدّة.

(٣٩) ضنى: مرض مرضاً مخامراً كلّما ظنّ برأه نكس. ورغم: قسر وذلّ وقهر، وأصله من أرغم الله تعالى أنفه، أي ألصقه بالرغام وهو التراب. والوقد: النار، أو اتّقادها.

(٤٠) السبّة: العيب والعار الذي يسبّ به صاحبه. والشيمة: الخلق والغريزة والطبيعة والجبلّة. والضدّ: مصدر ضده في الخصومة، أي غلبه

فَقَـدْ يَحْسُـدُ الْمَـرْءُ ابْنَـهُ وَهْـوَ نَفْسُـهُ ... ورُبَّ سِوَارٍ ضَاقَ عَنْ حَمْلِهِ الْعَضُدُ[٤١]

فَـلاَ زِلْتَ مَحْسُـوداً عَلَى الْمَجْدِ والْعُـلاَ ... فَـلَيْس بِمَـحْسُـودٍ فَـتىً ولَـهُ نِـدُّ

ويلاحظ أنّ الجزء الثاني من الوسيلة الأدبيّة طبع سنة ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥ م) وأنّ البارودي عاد إلى ديوان شعره بالتنقيح والتهذيب بعد عودته من سرنديب سنة ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) .

وقالَ في يَوْمِ عِيدِ الفِطْرِ وَهُوَ في تِلْكَ الْحَرْبِ :

أَرَاكَ الْحِمَى شَـوْقِي إِلَيْـكَ شَـدِيـدُ ... وَصَبْـرِي وَنَـوْمِي في هَـوَاكَ شَـرِيـدُ[١]

مَـضَى زَمَـنٌ لَمْ يَـأْتِنِي عَـنْـكَ قَـادِمٌ ... بِبُشْـرَى ولَمْ يَعْـطِفْ عَـلَيَّ بَـرِيـدُ[٢]

وَحِيـدٌ مِنَ الْخُـلاَّنِ في أَرْضِ غُـرْبَـةٍ ... أَلاَ كُـلُّ مَنْ يَبْغِي الْـوَفَـاءَ وَحِيـدُ[٣]

فَهَـلْ لِغَـرِيبٍ طَـوَّحَتْـهُ يَـدُ النَّـوَى ... رُجُـوعٌ وهَـلْ لِلْحَـائِمَـاتِ وُرُودُ ؟[٤]

وَهَـلْ زَمَـنٌ وَلَّـى وَعَـيْشٌ تَـقَـيَّـضَـتْ ... غَضَـارَتُـهُ بَعْـدَ الـذَّهَـابِ يَعُـودُ ؟[٥]

أُعَـلِّلُ نَـفْسِـي بِـالـقَـدِيمِ وَإِنَّـمـا ... يَلَذُّ اقْتِبَـالُ الشَّـيءِ وَهْـوَ جَـدِيـدُ[٦]

---

(٤١) العضد : ما بين المرفق إلى الكتف.

(١) الأراك: الحمض، وهو كل نبات فيه ملوحة ومرارة، أو الأراك شجر من الحمض يستاك بقضبانه، الواحدة أراكة. والحمى: المكان المحميّ، أي المحظور الذي لا يقرب ولا يجترأ عليه. ويريد بأراك الحمى: موطنه بمصر.

(٢) يعطف: يميل. والبريد: الرسول.

(٣) الخلاّن: جمع خليل، وهو الصديق.

(٤) النوى: البعد. والحائمات: جمع حائمة، اسم فاعل من حام الطير على الماء حوماً وحوماناً، أي دار به ودوّم، وكلّ عطشان حائم.

(٥) تقيّضت: ذهبت وزالت، وأصلها من تقيّض الجدار أو الكثيب: إذا تهدم وانهال. والغضارة: النعمة، والسعة، والخصب.

(٦) الاقتبال: الاستقبال والاستئناف.

وَمَـا ذِكْـرِيَ الأَيَّـامَ إِلاَّ لأَنَّـهَـا ذِمَـامٌ لِـعِـرْفَـان الصِّبَـا وعُـهُـود(٧)

فَـلَيْسَ بِمَفْقُـودٍ فـتىً ضَـمَّـهُ الثَّرَى ولـكِـنَّ مَـنْ غَـالَ الْـبِـعَـاد فَـقِـيـدُ

أَلاَ أَيُّـهـا الْـيَـوْمُ الَّـذِي لَـمْ أَكُـنْ لَـهُ ذَكُـوراً سِـوَى أَنْ قِيـلَ لِي هُـوَ عِيدُ

أَتَسْـأَلُنَـا لُبْسَ الجَـدِيـدِ سَـفَـاهَـةً وأَثْـوابُنَـا مَـا قَـدْ عَلِمْتَ حَـدِيـدُ(٨)

فَـحَظُّ أُنَـاسٍ مِـنْـهُ كَـأْسٌ وقَـيْـنَـةٌ وحَظُّ رِجَـالٍ ذُكْـرَةٌ وَنَـشِـيـدُ(٩)

لِيَهْنَ بِـهِ مَنْ بَـاتَ جَـذْلاَنَ نَـاعِـمـاً أَخَـا نَشَـوَاتٍ مَـا عَلَيْـهِ حَـقُـودُ(١٠)

تَـرَى أَهْـلَهُ مُسْتَبْشِـرِيـنَ بِـقُـرْبِـهِ فَـهُـمْ حَـوْلَـهُ لا يَـبْـرَحُـونَ شُـهُـودُ

إِذَا سَـارَ عَـنْـهُـمْ سَـارَ وَهْـوَ مُـكَـرَّمٌ وإِنْ عَـادَ فِـيهِـمْ عَـادَ وَهْـوَ سَعِـيـدُ

يُـخَـاطِـبُ كُـلاًّ بِـالَّـذِي هُـوَ أَهْـلُهُ فَـمُـبْـدِيءُ شُـكْـرٍ تَـارَةً وَمُـعِـيـدُ

فَمَنْ لِغَـرِيـبٍ «سَـرَنْسُـوفُ» مُقَـامُـهُ رَمَـتْ شَمْـلَهُ الأَيَّـامُ فَهْـوَ لَـهِيـدُ(١١)

بِـلادٌ بِـهَـا مَـا بِـالْـجَحِيـمِ وإِنَّـمَـا مَـكَـانَ اللَّظَى ثَـلْجٌ بِهَـا وجَلِيـدُ(١٢)

تَـجَـمَّـعَتِ الْـبُـلْـغَـارُ والـرُّومُ بَـيْـنَـهَـا وزَاحَـمَـهَـا الـتَّـاتَـارُ فَـهْـيَ حُـشُـودُ

إِذَا رَاطَنُـوا بَعْضـاً سَمِعْتَ لِصَـوْتِهِـمْ هَـدِيـداً تَكَـادُ الأَرْضُ مِنْهُ تَمِيـدُ(١٣)

---

(٧) الذمام: الحرمة، وما يذم الرجل على إضاعته، كالعهد ونحوه.

(٨) سفاهة: نقص في العقل، وأصله الخفّة. ويريد بالحديد: الدروع ونحوها.

(٩) القينة: الأمة المغنية، أو الأمة مطلقاً. والذكرة (بضم فسكون)، يريد بها (هنا): تذكّر من فارقهم من أحبابه. والنشيد: الشعر المنشود ،أي المقروء، أو المتغنّى به

(١٠) جذلان: بات فرحاً مسروراً. ونشوات: جمع نشوة، وهي السكر.

(١١) «سرنسوف»: مقاطعة بأكرانيا من روسيا، حاضرتها باسمها، على أحد روافد نهر دنيبر. ورمت شمله الأيام: فرّقت ما اجتمع من أمره. ولهيد: حسير مثقل مجهود.

(١٢) اللّظى: النار أو لهبها.

(١٣) الرطانة: الكلام باللغة الأعجميّة، وراطنه كلّمه بها، والكلام الفصيح راطن بعضهم بعضاً. وهديداً: دويّاً أو صوتاً غليظاً كهدير البعير. وتميد: تتحرك.

قِبَاحُ النَّوَاصِي والْوُجُوهِ كَأَنَّهُمْ لِغَيْرِ أَبِي هَذَا الأَنَامِ جُنُودُ[14]

سَوَاسِيَةٌ لَيْسُوا بِنَسْلِ قَبيلَةٍ فَتُعْرَفَ آباءٌ لَهُمْ وجُدُودُ[15]

لَهُمْ صُوَرٌ لَيْسَتْ وُجُوهاً وإنَّما تُنَاطُ إِلَيْهَا أَعْيُنٌ وَخُدودُ[16]

يَخُورُونَ حَولِي كَالْعُجُولِ وَبَعْضُهُمْ يُهَجِّنُ لَحْنَ الْقَوْلِ حِينَ يُجِيدُ[17]

أَدُورُ بِعَينِي لا أَرَى بَيْنَهُمْ فَتىً يَرُودُ مَعِي في الْقَوْلِ حَيْثُ أَرُودُ[18]

فَلاَ أَنَا مِنْهُمْ مُسْتَفِيدٌ غَرِيبَةً وَلاَ أَنَا فِيهِمْ ما أَقَمْتُ مُفِيدُ

فَمَنْ لِي بِأَيَّامٍ مَضَتْ قَبْلَ هَذِهِ بِمِصْرَ وَعَيْشِي لَوْ يَدُومُ حَمِيدُ

عَسَى اللهُ يَقْضِي قُرْبَةً بَعْدَ غُرْبَةٍ فَيَفْرَحَ بِاللُّقْيَا أَبٌ وَوَلِيدُ

وقَالَ يَرُوضُ الشِّعْرَ(★) :

تَوَلَّى الصِّبَا عَنِّي فَكَيْفَ أُعِيدُهُ وقَدْ سَارَ في وادِي الْفَنَاءِ بَرِيدُهُ[1]

أُحَاوِلُ مِنْهُ رَجْعَةً بَعْدَ ما مَضَى وذَلِكَ رَأْيٌ غَابَ عَنِّي سَدِيدُهُ[2]

فَمَا كُلُّ جَفْرٍ غَاضَ يَرْتَدُّ نَبْعُهُ ولا كُلُّ ساقٍ جَفَّ يَخْضَرُّ عُودُهُ[3]

---

(١٤) النواصي: جمع ناصية، وهي قصاص الشعر حيث تنتهي نبتته من مقدّم الرأس، والمراد بالنواصي هنا: الجباه. والأنام: الخلق، والمراد الناس، وأبو الأنام: آدم عليه السلام.

(١٥) سواسية: جمع سواء، والمعنى: متساوون في القبح والدمامة. والقبيلة: الطائفة من الناس ينسبون إلى أب واحد، وهي دون الشعب.

(١٦) تناط: تعلّق.

(١٧) خار الثور يخور خواراً: صاح. ويهجّن: يقبّح. ولحن القول: فحواه ومعناه، واللحن أيضاً: اللغة، وهو يريد بلحن القول هنا: لغة العرب.

(١٨) يرود: يجيء ويذهب ويتردّد.

(★) يروض الشعر: يذلّله ويمرّن عليه نفسه، وأصله من راض الرجل المهر: أي ذلّله ومرّنه على المشي.

(١) تولى: ذهب وأدبر. والفناء: العدم والهلاك. والبريد: حامل الرسائل، أو دابّته.

(٢) أمر سديد: صائب مستقيم. (٣) الجفر: البئر الواسعة التي لم تطو، أي لم تبن بالحجارة.

فَـإِنْ أَكُ فَـارَقْـتُ الـشَّـبَـابَ فَـقَـبْـلَهُ ... بَكَيْتُ رَضَـاعـاً بَـانَ عَنِّي حَمِيـدُهُ[٤]

وَأَيُّ شَـبَـابٍ لا يَـزُولُ نَـعِـيـمُـهُ ؟ ... وسِـرْبالِ عَيْشٍ لَيْسَ يَبْلَى جَدِيدُهُ ؟[٥]

فَـلاَ غَـرْوَ أَنْ شَـابَتْ مِنَ الْحُـزْنِ لِمَّتِي ... فَـإِنِّـي فـي دَهْـرٍ يَـشِـيبُ وَلِـيـدُهُ[٦]

يُـهَـدِّمُ مِنْ أَجْسَـادِنَـا مَـا يَشِيـدُهُ ... وَيَـنْقُصُ مِـنْ أَنْفَـاسِنَـا مَـا يَـزِيـدُهُ

أَرَى كُـلَّ شَيْءٍ لا يَـدُومُ فَمَـا الَّـذِي ... يَنَـالُ امْـرُؤٌ مِنْ حُبِّ مَـا لا يُفِيـدُهُ ؟

وَلَكِنَّ نَفْسـاً رُبَّـمَـا اهْتَـاجَ شَـوْقُـهَـا ... فَـحَنَّتْ وقَلْبـاً رُبَّـمَـا اعْـتَـادَ عِـيـدُهُ

فَـوَاحَسْـرَتَـا كَمْ زَفْـرَةٍ إِثْـرَ لَـوْعَـةٍ ... إِذَا عَـصَفَـتْ بِـالْقَـلْبِ كَـادَتْ تُبِيـدُهُ

أَحِـنُّ إِلَـى وادِي الـنَّـقَـا ويَـسُـرُّنِي ... عَـلَى بُعْـدِهِ أَنْ تَـسْتَـهِـلَّ سُعُـودُهُ[٧]

وأُصْـدُقُـهُ وُدِّي وإِنْ كُـنْـتُ عَـالِـمـاً ... بِـأَنَّ النَّقَـا لَـمْ يَـدْنُ مِنِّي بَعِيـدُهُ[٨]

مَعَـانُ هَـوىً تَجْـرِي بِـدَمْعِي وِهَـادُهُ ... وتُـشْـرِقُ مِنْ نِـيـرانِ قَلْبِي نُجُـودُهُ[٩]

تَـضِـنُّ بِـإِهْـدَاءِ الـسَّـلامِ ظِبَـاؤُهُ ... وتُكْـرِمُ مَثْـوَى الـطَّارِقِينَ أُسُـودُهُ[١٠]

تَسَـاهَمَ فِيـهِ الْبَـأْسُ والْحُسْنُ فَاسْتَوَتْ ... ضَـرَاغِمُـهُ عِنْـدَ اللِّقَـاءِ وغِيـدُهُ[١١]

---

(٤) الرضاع: مصدر رضع الطفل أمّه، والمراد ببكائه الرضاع: أنه بكى على عهد الرضاع وزمانه.

(٥) السربال: القميص، أو الدرع، أو كل ما لبس. وبلى الثوب يبلى بلياً: خَلُقَ، ورثّ، وذهبت جدّته.

(٦) لا غرو: لا عجب. واللمة: الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن.

(٧) وادي النقا: موضع فيه حبيبة الشاعر. وتستهلّ: تظهر وتتلألأ. والسعود: الكواكب التي يقال لكل واحد منها سعد، وهي عشرة أنجم.

(٨) النقا: الكثيب من الرمل، أي ما اجتمع منه. وهو (هنا): اسم موضع يعنيه الشاعر.

(٩) معان: مباءة ومنزل. والوهاد: جمع وهدة، وهي المكان المطمئنّ، أي الأرض المنخفضة. والنجود: جمع نجد، وهو ما ارتفع من الأرض.

(١٠) تضنّ: تبخل بخلاً شديداً. والظباء: جمع ظبي، وهو الغزال، والمراد بالظباء: الحسان من النساء. والمثوى: اسم مكان، أو مصدر ميمي من ثوى بالمكان، أي أقام به أو نزل. والطارقين: جمع طارق، اسم فاعل من طرق، إذا جاء ليلاً. والمراد بالأسود: الرجال الشجعان.

(١١) تساهما: تقارعا، أي ضربا في ما بينهما القرعة، والمراد أنهما تغالبا على الفوز. والضراغم:

تَـلاقَتْ بِـهِ أَسْيَـافُـهُ ولِـحَـاظُـهُ ومـالَـتْ بِـهِ أَرْمَـاحُـهُ وقُـدُودُهُ
فَكَمْ مِنْ صَرِيعٍ لا تُـدَاوَى جِرَاحُـهُ وكَـمْ مِنْ أَسِـيـرٍ لا تُـحَـلُّ قُـيُـودُهُ
وفي الْحَيِّ ظَبْيٌ إِنْ تَـرَنَّمْتُ بِـاسْمِـهِ تَـنَـمَّـرَ وَاشِيـهِ وهَـاجَ حَسُـودُهُ[١٢]
تَـهِـيـمُ بِـهِ أَسْتَـارُهُ وخُـدُورُهُ وتَـعْـشَـقُـهُ أَقْـرَاطُـهُ وعُـقُـودُهُ[١٣]
تَـأَنَّقَ فِيـهِ الْـحُسْـنُ فـامْتَـدَّ فَـرْعُـهُ إِلَى قَـدَمَيْـهِ واسْتَـدَارَتْ نُهُـودُهُ[١٤]
فَـلِلْمِـسْـكِ رَيَّـاهُ ولِـلْبَـانِ قَـدُّهُ ولِـلْوَرْدِ خَـدَّاهُ ولِـلظَّبْـيِ جِيـدُهُ[١٥]
فَـإِيَّـاكَ أَنْ تَغْتَـرَّ يَـا صَـاحِ بِـالْهَـوَى فَـإِنَّ الـرَّدَى حِلْفُ الْهَـوَى وعَقِيـدُهُ[١٦]
ومَـا أَنَـا مِمَّنْ يَـرْهَبُ المَـوْتَ إِنْ سَـطَا إِذَا لَمْ تَكُنْ نُجْـلَ الْعُيُـونِ شُهُـودُهُ[١٧]
أَفُـلُّ أَنَـابِـيـبَ الْـقَـنَـا ويَـفُـلُّنِـي قَـوَامٌ تَـنَـدَّتْ بِـالْعَـبِـيـرِ بُـرُودُهُ[١٨]
فَـإِنْ أَنَـا سَـالَمْتُ الْهَـوَى فَلَطَالَـمَـا شَهِدْتُ الْوَغَى والـطَّعْنُ يَذْكُـو وَقُودُهُ[١٩]

جمع ضِرْغام، وهو الأسد. والغيد: جمع غيداء، وهي المرأة الناعمة المتثنية ليناً.

(١٢) الحيّ: القبيلة من قبائل العرب، وقيل: البطن من بطونهم، وهو دون القبيلة. والظبي: الغزال. وترنَّمت: رجَّعت صوتي، وتغنيت. وتنمَّر: غضب، وساء خلقه. والواشي: الساعي بالفساد بين الناس.

(١٣) الخدور: جمع خدر، وهو الستر. وقد يطلق الخدر على البيت إن كان فيه امرأة. والأقراط: جمع قرط، وهو من الحلى ما يعلَّق في شحمة الأذن.

(١٤) الفرع: الشعر التامّ.

(١٥) المسك: ضرب من الطِّيب يتّخذ من ضرب من الغزلان، وهو أفضل الطيب عند العرب. والريّا: الريح الطيّبة. والبان: شجر تشبّه بغصونه قدود الحسان، أي قاماتهن في الاعتدال ولين الأعطاف. والقدّ: القامة، وحسن الطول والاعتدال. والظبي: الغزال. والجيد: العنق.

(١٦) الردى: الهلاك. والحلف: الصديق. والعقيد: المعاقد، وهو المعاهد.

(١٧) سطا: صال، ووثب، وهجم. ونجل: جمع نجلاء، صفة من النجل، وهو سعة العين وحسنها.

(١٨) الأنابيب: جمع أنبوب، وهو ما بين العقدتين في القصب ونحوه. والقنا: جمع قناة، وهي الرمح. وتندَّت: نديت أي ابتلّت بما يشبه الندى، وهو المطر القليل. والعبير: أخلاط من الطيب. والبرود: جمع برد، وهو ثوب مخطط.

(١٩) الوغى: الحرب. ويذكو: يشتعل ويشتد لهبه.

وَتَحْتَ جَنَاحِ الدِّرْعِ مِنِّي ابْنُ فَتْكَةٍ مُعَوَّدَةٌ أَلَّا تُحَطَّ لُبُودُهُ(٢٠)
إِذَا حَرَّكَتْهُ هِمَّةٌ نَحْوَ غَايَةٍ تَسَامَى إِلَيْهَا فِي رَعِيلٍ يَقُودُهُ(٢١)
ومُعْتَرَكٍ لِلْخَيْلِ فِي جَنَبَاتِهِ صَهِيلٌ يَهُدُّ الرَّاسِيَاتِ وَئِيدُهُ(٢٢)
بَعِيدِ سَمَاءِ النَّقْعِ يَنْقَضُّ نَسْرُهُ عَلَى جُثَثِ الْقَتْلَى وَيَنْغَلُّ سِيدُهُ(٢٣)
تَرِفُّ عَلَى هَامِ الكُمَاةِ سُيُوفُهُ وَتَخْفُقُ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ بُنُودُهُ(٢٤)
إِذَا اشْتَجَرَتْ فِيهِ الرِّمَاحُ تَرَاجَعَتْ سَوَافِرَ عَنْ نَصْرٍ يُضِيءُ عَمُودُهُ(٢٥)
تَقَحَّمْتُهُ والرُّمْحُ صَدْيَانُ يَنْتَحِي نِطَافَ الْكُلَى وَالْمَوْتُ يَمْضِي وَعِيدُهُ(٢٦)
فَمَا كُنْتُ إِلَّا الْغَيْثَ طَارَتْ بُرُوقُهُ وما كُنْتُ إِلَّا الرَّعْدَ دَوَّى هَدِيدُهُ(٢٧)

---

(٢٠) الدرع: لبوس يسرد، أي ينسج من حلقات من حديد متشابكة، ويلبسه المحارب ليقيه من سلاح عدوّه. والفتكة: اسم مرة من الفتك، وهو ركوب ما همَّ من الأمور، ودعت إليه النفس، أو هو القتل على غرَّة، ويريد بابن الفتكة نفسه. واللبود: جمع لبد، وهو ما يكون تحت سراج الفرس من شعر أو صوف متلبد.

(٢١) الهمّة: أول العزم. وقد تطلق على العزم القويّ. وتسامى: ركب. والرعيل: الجماعة المتقدمة من الخيل، والمراد الكتيبة من الفرسان.

(٢٢) المعترك: موضع الاعتراك، أي القتال والحرب. وجنباته: نواحيه، واحدتها جنبة. والوئيد: الصوت العالي الشديد.

(٢٣) النقع: الغبار، وما يرتفع في جور الحرب من دخان ونحوه. وبعيد سماء النقع: كناية عن شدَّة القتال. وينقض: يهوي ويسقط. وينغلّ: يدخل. والسيد: الأسد، أو الذئب.

(٢٤) ترفّ: تبرق وتتلألأ. والهام: جمع هامة، وهي الرأس. والجحفل: الجيش الكثير. والبنود: جمع بند، وهو العلم الكبير.

(٢٥) اشتجرت: اشتبكت. وسوافر: كواشف، جمع سافرة. ونصر يضيء عموده: نصر مبين واضح.

(٢٦) تقحّمته: دخلت فيه، أي المعترك. وصديان: صفة من الصدى، وهو العطش الشديد. وينتحي: يقصد. والنطاف: جمع نطفة، وهي القليل من الماء يبقى في دلو أو قربة، أو هي الماء الصافي. والكلى: جمع كلية (بضم فسكون)، والمراد بنطاف الكلى: دماؤها. ويمضي: ينفذ.

(٢٧) الغيث: المطر. وهديده: دويه.



أَنا الرَّجُلُ الْمَشْفُوعُ بِالْفِعْلِ قَوْلُهُ ... إِذَا مَا عَقِيدُ الْقَوْمِ رَثَّتْ عُقُودُهُ[٢٨]

تَعَوَّدْتُ صِدْقَ الْقَوْلِ حَتَّى لَوَ انَّنِي ... تَكَلَّفْتُ قَوْلاً غَيْرَهُ لا أُجِيدُهُ

أُضَاحِكُ وَجْهَ الْمَرْءِ يَغْشَاهُ بِشْرُهُ ... وأَعْلَمُ أَنَّ الْقَلْبَ تَغْلِي حُقُودُهُ[٢٩]

وَمَنْ لَمْ يُدارِ النَّاسَ عَادَاهُ صَحْبُهُ ... وأَنْكَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ مَنْ يَسُودُهُ

فَمَنْ لِي بِخِلٍّ أَسْتَعِينُ بِقُرْبِهِ ... عَلَى أَمَلٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا شَرِيدُهُ[٣٠]

أُحَاوِلُ وُدّاً لا يُشَانُ بِغَدْرَةٍ ... وَدُونَ الَّذِي أَرْجُوهُ مَا لَا أُرِيدُهُ[٣١]

سَمِعْتُ قَدِيماً بِالْوَفَاءِ فَلَيْتَنِي ... عَلِمْتُ عَلَى الْأَيَّامِ أَيْنَ وُجُودُهُ

فَإِنْ أَنَا لَمْ أَمْلِكْ صَدِيقاً فَإِنَّنِي ... لِنَفْسِي صَدِيقٌ لا تَخِيسُ عُهُودُهُ[٣٢]

وَحَسْبُ الفَتَى مِنْ رَأْيِهِ خَيْرُ صَاحِبٍ ... يُوازِرُهُ فِي كُلِّ خَطْبٍ يَؤُودُهُ[٣٣]

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرءِ مِنْ بَدَهَاتِهِ ... نَصِيرٌ فَأَخْلِقْ أَنْ تَخِيبَ جُدُودُهُ[٣٤]

وَإِنِّي وَإِنْ أَصْبَحْتُ فَرْداً فَإِنَّنِي ... بِنَفْسِي عَشِيرٌ لَيْسَ يَنْجُو طَرِيدُهُ[٣٥]

وَلِي مِنْ بَدِيعِ الشِّعْرِ ما لَوْ تَلَوْتُهُ ... عَلَى جَبَلٍ لَانْهَالَ فِي الدَّوِّ رَيْدُهُ[٣٦]

---

(٢٨) المشفوع: المقرون والموصول. وعقيد القوم: معاقدهم ومعاهدهم. ورثّت: بليت وخَلُقَتْ. والعقود: جمع عقد، وهو العهد والضمان.

(٢٩) يغشاه: يظهر عليه ويعمه.

(٣٠) الخلّ: الصديق. وأمل شريد: نافر طريد.

(٣١) لا يشان: لا يعاب. والغدرة: اسم مرة من الغدر، وهو نقض العهد، وترك الوفاء.

(٣٢) خاس بالعهد: غدر، ونكث، وأخلف. وخاس اللحم ونحوه: تغيّر.

(٣٣) يوازره: يظاهره، ويعاونه. والخطب: النازلة الشديدة من نوازل الدهر. ويؤوده: مضارع آده الأمر، أي أثقله، وبلغ منه المجهود.

(٣٤) البدهات: جمع بدهة، وهي اسم مرة من بدهه بأمر، إذا استقبله به، أو بدأه به، أو فاجأه. والمراد بالبدهات: الآراء السديدة السريعة التي تستقبل بها الأمور المفاجئة. وأخلق: صيغة تعجب من خلق لكذا، فهو خليق له، أي جدير به، مستحقّ له، كأنما خلق له، وطبع عليه. والجدود: جمع جدّ، وهو الحظ، والحظوة، والرزق، والعظمة.

(٣٥) العشير: القبيلة، والجماعة من الناس. والطريد: ما تطرده من صيد ونحوه.

(٣٦) الدوّ: الفلاة أي الصحراء. وريد الجبل: الحرف الناتىء منه.

إِذَا اشْتَـدَّ أَوْرَى زَنْـدَةَ الْحَـرْبِ لَفْـظُهُ   وَإِنْ رَقَّ أَزْرَى بِـالْعُقُـودِ فَـرِيـدُهُ[٣٧]

يُـقَـطِّعُ أَنْفَـاسَ الـرِّيَـاحِ إِذا سَـرَى   وَيَـسْبِـقُ شَـأْوَ النَّيِّـرَيْنِ قَـصِيـدُهُ[٣٨]

إِذَا مَـا تَـلاهُ مُنْشِـدٌ فـي مَـقَـامَـةٍ   كَفَى الْقَـوْمَ تَـرْجِيـعَ الْغِنَـاءِ نَشِيـدُهُ[٣٩]

سَيَبْقَى بِـهِ ذِكْـرِي عَلَى الـدَّهْـرِ خَـالِـداً   وذِكْـرُ الْـفَتَى بَعْـدَ الْـمَمَـاتِ خُـلُودُهُ

وقالَ يَذُمُّ رِجَالَ الْحُكُومَةِ الاسْتِبْدَادِيَّةِ في عَهْدِ إِسْمَاعِيلَ خديوي مصر(★) :

كَـرَمُ الـطَّبْـعِ شِـيـمَـةُ الأَمْـجَـادِ   وَجَفَـاءُ الأَخْـلاَقِ شَـأْنُ الْجَـمَـادِ[١]

لَـنْ يَسُـودَ الْـفَتَـى ولَـوْ مَـلَكَ الْـحِكْـ   ـمَـةَ مـا لَـمْ يَـكُـنْ مِـنَ الأَجْـوَادِ

وَلَـعَـمْـرِي لَـرِقَّـةُ الـطَّبْـعِ أَوْلَـى   مِـنْ عِـنَـادٍ يَـجُـرُّ حَـرْبَ الْـفَسَـادِ

قَـدْ يَـنَـالُ الْحَـلِيمُ بِـالـرِّفْـقِ مَـا لَيْـ   ـسَ يَـنَـالُ الْكَـمِـيُّ يَـوْمَ الْـجِـلادِ[٢]

فَـاقْـرُنِ الْـحِلْـمَ بِـالـسَّمَـاحَـةِ تَـبْلُغْ   كُـلَّ مَـا رُمْـتَ نَـيْـلَهُ مِـنْ مُـرَادِ

---

(٣٧) أورى الرجل الزند: أخرج ناره. والزند: العود الذي تقدح به النار، وهو الأعلى، والسفلى زندة. وأزرى به: تهاون به، وقصّر به، وحقره. والفريد: الدرّ إذا نظم، وفصل بغيره، وقد شبّه به الشاعر شعره.

(٣٨) يقطّع: أي الشعر. وأنفاس الرياح: نسماتها، واحدها نفس، وتقطيع أنفاس الرياح: كناية عن أنه يسبقها. والشأو: الغاية والأمد. والنّيران: الشمس والقمر.

(٣٩) المقامة: المجلس، والجماعة من الناس. وترجيع الغناء: ترديده. والنشيد: الشعر المتناشد بين القوم ينشده بعضهم بعضاً.

(★) جاءت هذه الأُهْجُوَّة في ثلاثين بيتاً، نشر منها في الطبعات السابقة أربعة وعشرون بيتاً، أما ستة الأبيات (٢٠ ـ ٢٥) فإنها لم تنشر من قبل لأنها مطموسة في أصل الديوان المخطوط الذي بين أيدينا. وبجهد ومعاناة قرأناها، ونشرناها في هذه الطبعة، مع كل ما استطعنا قراءته من المطموسات إتماماً للفائدة، وحرصاً على منفعة القارىء والدارس.

(١) الشيمة: الغريزة والطبيعة والجبلّة التي خلق الإنسان عليها. والأمجاد: جمع المجيد، الرفيع العالي، والكريم الشريف الفعال. والجفاء: الغلظة والفظاظة.

(٢) الكميّ: الشجاع المتكمّي في سلاحه، أي المتغطّي المتستّر بالدرع والبيضة. والجلاد: القتال.



وَضَعِ الْبِرَّ حَيْثُ يَزْكُو لِتَجْنِي ... ثَمَرَ الشُّكْرِ مِنْ غِرَاسِ الأَيَادِي(٣)

وَاحْذَرِ النَاسَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّ النَّـ ... ـاسَ أَحْلاَسُ خُدْعَةٍ وتَعَادِي(٤)

رُبَّ خِلٍّ تَرَاهُ طَلْقَ الْمُحَيَّا ... وَهْوَ جَهْمُ الضَمِيرِ بِالأَحْقَادِ(٥)

فَتَأَمَّلْ مَوَاقِعَ اللَّحْظِ تَعْلَمْ ... مَا طَوَتْهُ صَحَائِفُ الأَكْبَادِ(٦)

إنَّ في الْعَيْنِ وَهْوَ عُضْوٌ صَغِيرٌ ... لَدَلِيلاً عَلَى خَبَايَا الْفُؤَادِ

وأُناسٍ صَحِبْتُ مِنْهُمْ ذِئَاباً ... تَحْتَ أَثْوَابِ أُلْفَةٍ وَوِدَادِ

يَتَمَنَّوْنَ لِي الْعِثَارَ ويَلْقَوْ ... نِي بِوَجْهٍ إلى الْمَوَدَّةِ صَادِي(٧)

سَابَقُونِي فَقَصَّرُوا عَنْ لَحَاقِي ... إنَّمَا السَّبْقُ مِنْ خِصَالِ الْجَوَادِ(٨)

أَنَا مَا بَيْنَ نِعْمَةٍ وحَسُودٍ ... والْمَعَالِي كَثِيرَةُ الْحُسَّادِ(٩)

فَلْيَمُوتُوا بِغَيْظِهِمْ فَاحْتِمَالُ الْـ ... ـغَيْظِ مَوْتٌ لَهُمْ بِلاَ مِيعَادِ

كَيْفَ تَبْيَضُّ مِنْ أُنَاسٍ وُجُوهٌ ... صَبَغَ اللُّؤْمُ عِرْضَهُمْ بِسَوَادِ ؟

أَظْهَرُوا زُخْرُفَ الْخِدَاعِ وأَخْفَوْا ... ذَاتَ نَفْسٍ كَالْجَمْرِ تَحْتَ الرَّمَادِ

فَتَرَى الْمَرءَ مِنْهُمُ ضَاحِكَ السِّـ ... ـنِّ وَفِي ثَوْبِهِ دِمَاءُ الْعِبَادِ

مَعْشَرٌ لا وَلِيدُهُمْ طَاهِرُ الْمَـ ... ـهْدِ وَلاَ كَهْلُهُمْ عَفِيفُ الْوِسَادِ(١٠)

---

(٣) البر: الخير، والفضل، والصلة، والاتّساع في الإحسان. ويزكو: ينمى ويزيد. وغراس الأيادي: النعم المغروسة.

(٤) أحلاس: جمع حلس، وهو كساء يوضع على ظهر البعير والحمار والفرس ونحوها تحت البرذعة أو السرج أو نحوهما. وأحلاس خدعة: ملازمون للخداع.

(٥) الخل: الصديق. وجهم: كالح كدر.

(٦) المواقع: المساقط. واللّحظ: النظر. وطوى الحديث: كتمه وأخفاه. ويريد بالأكباد: القلوب.

(٧) العثار: النعس، والزلل، والكبوة والسقوط. وصاد: صديان عطشان.

(٨) اللحاق: مصدر لحقه، ولحق به أي أدركه. والجواد من الخيل: الكريم الجيّد الرائع.

(٩) المعالي: جمع معلاة، وهي الرفعة والشرف.

(١٠) المعشر: الجماعة من الناس. والوساد: المتّكأ والمخدّة. وعدم طهر المهد، وعدم عفّة



حَكَمُوا مِصْرَ وَهْيَ حَاضِرَةُ الدُّنْـ	ـيَا (فَأَمْسَتْ) وَقَدْ خَلَتْ فِي الْبَوَادِي[١١]
أَصْبَحَتْ مَنْزِلَ الشَّقَاءِ وَكَانَتْ	جَنَّةً لَيْسَ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ
وَقَعُوا بَيْنَ (رِيفِهَا وَقُرَاهَا)	بِضُرُوبِ الْفَسَادِ وَقْعَ الْجَرَادِ[١٢]
فِي زَمَانٍ قَدْ كَانَ لِلظُّلْمِ فِيهِ	أَثَرُ النَّارِ فِي هَشِيمِ الْقَتَادِ[١٣]
حِينَ لَمْ يُرْحَمِ الْكَبِيرُ وَلَمْ يُعْـ	ـطَفْ عَلَى الْأُمَّهَاتِ وَالْأَوْلَادِ
تَحْتَ (رِجْزٍ) مِنَ الْعَذَابِ مُهِينٍ	وَمُبِيرٍ مِنَ الْأَذَى رَعَّادِ[١٤]
تِلْكَ آثَارُهُمْ تَدُلُّ عَلَى مَا	كَانَ مِنْهُمْ مِنْ جَفْوَةٍ وَتَبَادِي[١٥]
لَيْسَ مَنْ يَطْلُبُ الْمَعَالِيَ لِلْفَخْـ	ـرِ كَمَنْ يَطْلُبُ الْعُلَا لِلزَّادِ
وَقَلِيلاً مَا يَصْلُحُ الْمَرْءُ لِلْجَـ	ـدِّ إِذَا كَانَ سَاقِطَ الْأَجْدَادِ
فَاعْتَصِمْ بِالنُّهَى تَفُزْ بِنَعِيمِ الدَّ	هْرِ غَضّاً فَالْعَقْلُ خَيْرُ عَتَادِ[١٦]

الوساد: كناية عن اختلاط الأنساب، وارتكاب الفواحش والمنكرات.

(١١) حاضرة البلاد: المدينة الكبيرة التي يقيم فيها رجال الحكومة. ويراد بحاضرة الدنيا: أن مصر كانت ـ قبل أن يحكمها هؤلاء المهجوّون ـ نابهة الشأن، عظيمة القدر بين ممالك العالم وأقطار الأرض. والكلمة التي بين قوسين في أول الشطر الثاني «فأمست» تكملة اجتهاديّة من عندنا لنقص في هذا البيت المطموس، وبها استقام وزنه، وتمّ معناه.

(١٢) وقع وقعاً: أي سقط، والمراد: نزل، وتنقّل، أو هو من قولهم: وقع إلى كذا وقعاً: أي ذهب إليه، وانطلق مسرعاً. وما بين القوسين في هذا البيت تكملة اجتهادية ظنّيّة من عندنا، جعلناها مكان الكلمات التي بولغ في طمسها، فلم نستطع قراءتها. والريف: أرض فيها زرع وخصب. ويراد بالقرى: ما عدا الريف، أي المدن والأمصار، والأبنية المتصلة الآهلة العامرة.

(١٣) الهشيم: المهشوم، المتحطِّم، المتكسِّر. والقتاد: شجر صلب له شوك كالإبر.

(١٤) ما بين القوسين في الشطر الأول «رجز» تكملة من عندنا اجتهادية ظنّية، جعلناها مكان ما بولغ في طمسه، فلم نستطع قراءته. والرجز: العذاب أو أشدّه. ومبير: مهلك مرد. ورعّاد: كثير الرعد ،وهو صوت السحاب. والمراد أنه أذى شديد مبيد.

(١٥) الجفوة: الجفاء والإعراض. والتبادي: المجاهرة بالعداوة.

(١٦) اعتصم بالشيء: استمسك به وتقوى وامتنع. والنهى: العقل، أو هو جمع نهية، وهي العقل، لأنها تنهى عن القبيح. وغضّاً: ناضراً حسناً. والعتاد: العدّة.

إنّ في الْحِكْمَةِ الْبَلِيغَةِ لِلرُّو ح غِذَاءً كَالطِّبِّ لِلأَجْسَادِ

وقالَ يَرْثِي زَوْجَهُ(★) وَقَدْ وَرَدَ إِلَيْهِ نَعْيُهَا وَهُوَ بِسَرَنْدِيبَ :

أَيَدَ الْمَنُونِ ! قَدَحْتِ أَيَّ زِنَادِ وأَطَرْتِ أَيَّةَ شُعْلَةٍ بِفُؤَادِي(١)

أَوْهَنْتِ عَزْمِي وَهْوَ حَمْلَةُ فَيْلَقٍ وَحَطَمْتِ عُودِي وَهْوَ رُمْحُ طِرَادِ(٢)

لَمْ أَدْرِ هَلْ خَطْبٌ أَلَمَّ بِسَاحَتِي فَأَنَاخَ أَمْ سَهْمٌ أَصابَ سَوَادِي(٣) ؟

أَقْذَى الْعُيُونَ فَأَسْبَلَتْ بِمَدَامِعٍ تَجْرِي عَلَى الْخَدَّيْنِ كَالْفِرْصَادِ(٤)

مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي أُرَاعُ لِحَادِثٍ حَتَّى مُنِيتُ بِهِ فَأَوْهَنَ آدِي(٥)

أَبْلَتْنِيَ الْحَسَرَاتُ حَتَّى لَمْ يَكَدْ جِسْمِي يَلُوحُ لِأَعْيُنِ الْعُوَّادِ(٦)

(★) المرثيّة بهذه القصيدة: «عديلة يكن» بنت المشير «أحمد يكن باشا»: الزوجة الثانية للبارودي. تزوجها سنة ١٨٦٧، وأنجب منها ابناً واحداً، وأربع بنات. وتوفيت بالقاهرة سنة ١٨٨٣ وهي في السابعة والثلاثين. ونعيت إليه بسرنديب، فرثاها بهذه الدالية المطوّلة (٦٧ بيتاً). ورثاء الزوجات غير مألوف في البيئة العربية، وقليل جداً في الشعر العربي، فهي من المراثي الباكيات الباقيات، ومن الروائع والبدائع الطارئة على فنون الشعر العربي.

(١) قدح الزند: أوراه، أي أخرج ناره. والزناد: جمع زند، وهو الحديدة، أو العود الذي تقدح به النار، وهو الأعلى، والسفلى زندة. والقدح: ضرب أحد الزندين بالآخر لإخراج النار منهما.

(٢) العزم: الإرادة القاطعة القويّة. والحملة: الكرّة في الحرب. والفيلق: الجيش، أو الكتيبة العظيمة منه. وحطمت: كسرت. والعود من الخشب معروف، ويريد به (هنا) جسمه. والطراد: مصدر طارده يطارده مطاردة وطراداً، ومطاردة الأقران: حمل بعضهم على بعض في الحرب ونحوها.

(٣) الخطب: النازلة الشديدة من نوازل الدهر. والساحة: الموضع المتّسع أمام الدار. وأناخ: استقرّ وأقام. وسواد الإنسان وغيره: شخصه. وسواد القلب: حبّته، كسويدائه.

(٤) أقذى العيون: جعل فيها القذى، وهو ما يسقط في العين فيهيجها، ويسيل دموعها. وأسبلت العيون الدمع: أرسلته. وأسبل الدمع: هطل، وتتابع، وانصبّ. والمدامع: المآقي، وهي أطراف العيون، ومجاري الدموع، والمراد بها هنا: الدموع. والفرصاد: صبغ أحمر.

(٥) أراع: أفزع وأخاف. وحادث الدهر: واحد حوادثه، وهي نوبه ونوازله. والآد: القوة.

(٦) أبلتني: أنحلتني وهزلتني، وأصلها من أبلى الإنسان ثوبه: أي صيّره بالياً خلقاً. والعوّاد: زائرو المريض.

أَسْتَنْجِدُ الزَّفَراتِ وَهْيَ لَوَافِحٌ وَأُسَفِّهُ الْعَبَرَاتِ وَهْيَ بَوَادِي[٧]

لا لَوْعَتِي تَدَعُ الْفُؤَادَ ولاَ يَدِي تَقْوَى عَلَى رَدِّ الحَبِيبِ الْغَادِي[٨]

يا دَهْرُ فِيمَ فَجَعْتَنِي بِحَلِيلَةٍ كَانَتْ خُلاَصَةَ عُدَّتِي وَعَتَادِي[٩]

إنْ كُنْتَ لَمْ تَرْحَمْ ضَنَايَ لِبُعْدِهَا أَفَلا رَحِمْتَ مِنَ الأَسى أَوْلادِي[١٠] ؟

أَفْرَدْتَهُنَّ فَلَمْ يَنَمْنَ تَوَجُّعاً قَرْحَى الْعُيُونِ رَوَاجِفَ الأَكْبَادِ

أَلْقَيْنَ دُرَّ عُقُودِهِنَّ وَصُغْنَ مِنْ دُرِّ الدُّمُوعِ قَلاَئِدَ الأَجْيَادِ[١١]

يَبْكِينَ مِنْ وَلَهٍ فِرَاقَ حَفِيَّةٍ كَانَتْ لَهُنَّ كَثِيرَةَ الإِسْعَادِ[١٢]

فَخُدُودُهُنَّ مِنَ الدُّمُوعِ نَدِيَّةٌ وَقُلُوبُهُنَّ مِنَ الْهُمُومِ صَوَادِي[١٣]

أَسَلِيلَةَ الْقَمَرَيْنِ ! أَيُّ فَجِيعَةٍ حَلَّتْ لِفَقْدِكِ بَيْنَ هَذَا النَّادِي[١٤]

أَعْزِزْ عَلَيَّ بِأَنْ أَرَاكِ رَهِينَةً في جَوْفِ أَغْبَرَ قَاتِمِ الأَسْدَادِ[١٥]

---

(٧) أستنجد الزفرات: أستعين بها على تخفيف الحزن. ولوافح: جمع لافحة أي محرقة. وأسفِّه العبرات. أنسبها إلى السفه، وهو الجهل، والطيش، وخفّة النفس لنقصان العقل. والعبرات: جمع عبرة، وهي الدمعة قبل أن تفيض، أو تردّد البكاء في الصدر.

(٨) اللوعة: حرقة الحزن وألمه. والغادي: الذاهب.

(٩) فجعه: أوجعه. والحليلة: الزوجة. والعدّة والعتاد: ما يعدّه المرء لاتّقاء حوادث الدهر، كالمال والسلاح وآلات الحرب وغير ذلك.

(١٠) الضنى: مصدر ضنى يضني، أي مرض مرضاً مخامراً، كلما ظنّ برأه نكس.

(١١) الدرّ: جمع درّة، وهي اللؤلؤة العظيمة. والعقود: جمع عقد، وهو القلادة. والأجياد: جمع جيد، وهو العنق.

(١٢) الوله: الحزن، أو ذهاب العقل حزناً. والحفيّة: صفة على وزن فعيلة بمعنى فاعلة من حفى به حفاوة: إذا بالغ في إكرامه، وأظهر السرور والفرح به، وأكثر السؤال عن حاله.

(١٣) صواد: جمع صاد، أي عطشان.

(١٤) السليل: الولد، والأنثى سليلة. والقمران: الشمس والقمر، وأراد بالقمرين: أبويها العظيمين الماجدين. والفجيعة: الرزيئة والمصيبة. ويراد بنادي الشاعر: أهله، وعشيرته، ومن يحزنون لحزنه.

(١٥) عزّ عليه أن يكون كذا يعزّ: صعب واشتدّ. ورهينة: محبوسة. وفي جوف أغبر: في جوف قبر أغبر. والأسداد: جمع سدّ، وهو الحاجز بين الشيئين، والمراد الجدران.

أَوْ أَنْ تَـبِـينِـي عَـنْ قَـرَارَةِ مَـنْـزِلٍ ... كُـنْتِ الـضِيَـاءَ لَـهُ بِكُـلِّ سَـوَادِ[١٦]

لَـوْ كَـانَ هَـذَا الـدَّهْـرُ يَقْبَلُ فِـدْيَـةً ... بِـالنَّفْسِ عَنْـكِ لَكُنْتُ أَوَّلَ فَـادِي

أَوْ كَـانَ يَـرْهَبُ صَـوْلَـةً مِنْ فَـاتِـكٍ ... لَفَعَلْتُ فِعْـلَ الْحَـارِثِ بْنِ عُبَـادِ[١٧]

لَـكِنَّـهَـا الأَقْـدَارُ لَـيْسَ بِـنَـاجِـعٍ ... فِيهَـا سِـوَى الـتَّسْلِيمِ وَالإِخْـلاَدِ[١٨]

فَـبِـأَيِّ مَـقْـدِرَةٍ أَرُدُّ يَـدَ الأَسَـى ... عَنِّي وَقَـدْ مَلَكَتْ عِنَـانَ رَشَـادِي[١٩]

أَفَـأَسْتَعِينُ الـصَّبْـرَ وَهْـوَ قَسَـاوَةٌ ؟ ... أَمْ أَصْحَبُ السُّلْوَانَ وَهْـوَ تَـعَـادِي[٢٠]

جَـزَعُ الْفَتَى سِمَـةُ الْـوَفَـاءِ وَصَبْـرُهُ ... غَـدْرٌ يَـدُلُّ بِـهِ عَـلَى الأَحْـقَـادِ[٢١]

وَمِنَ الْبَلِيَّـةِ أَنْ يُسَـامَ أَخُـو الأَسَى ... رَعْـيَ الـتَّجَلُّدِ وَهْـوَ غَـيْـرُ جَمَـادِ[٢٢]

هَـيْـهَـاتَ بَـعْـدَكِ أَنْ تَقَـرَّ جَـوَانِـحِي ... أَسَـفـاً لِبُـعْـدِكِ أَوْ يَلِيـنَ مِـهَـادِي[٢٣]

وَلَهِي عَلَيْـكِ مُصَـاحِبٌ لِمَسِيـرَتِي ... والـدَّمْـعُ فِيـكِ مُـلازِمٌ لِـوِسَـادِي[٢٤]

فَـإِذَا انْـتَـبَـهْـتُ فَـأَنْـتِ أَوَّلُ ذُكْـرَتِـي ... وَإِذَا أَوَيْـتُ فَـأَنْـتِ آخِـرُ زَادِي

---

(١٦) البين: الفراق والبعد. والقرار والقرارة: ما قرّ فيه الإنسان، أي ثبت وسكن واستقر.

(١٧) الصولة: السطوة، والاستطالة، والوثوب، والهجوم. وفاتك: جريء شجاع. والحارث بن عباد البكريّ: كان من سادات العرب وشعرائهم وأبطالهم في الجاهليّة، ومن أيامه المشهورة يوم قضّة. وهي موضع كانت فيه وقعة كبيرة بين قبيلتي بكر وتغلب، ويوم تحلاق اللمم الذي انتصر فيه لقومه بني بكر من بني عمّهم تغلب قوم كليب في حرب البسوس المشهورة.

(١٨) ليس بناجع: ليس بنافع. والإخلاد: مصدر أخلد إليه، إذا ركن، وسكن إليه واطمأنّ.

(١٩) العنان: سير اللجام الذي تمسك به الدابّة.

(٢٠) السلوان: مصدر سلاه، وسلا عنه، أي صبر عنه، ونسيه. والتعادي: التباعد.

(٢١) جزع: إذا ضعفت قوّته عن حمل ما نزل به، ولم يجد صبراً. والسمة: العلامة.

(٢٢) البليّة: المصيبة. وسامه الأمر: كلّفه إيّاه، وألزمه به، وحمله عليه. ورعي التجلّد: المحافظة على الصبر.

(٢٣) هيهات: كلمة معناها البعد. والجوانح: أضلاع الصدر، الواحدة جانحة. والمهاد: الفراش، وهو يكني بخشونة مهاده وعدم استقرار جوانحه عن اضطراب أمره، وشدّة همّه وبلباله.

(٢٤) يريد بالمسيرة: يقظة النهار. والوساد: المتكأ والمخدّة، كالوسادة.

أَمْسَيْتُ بَعْدَكِ عِبْرَةً لِذَوِي الأَسَى … فِي يَوْمِ كُلِّ مُصِيبَةٍ وَحِدَادِ[25]

مُتَخَشِّعاً أَمْشِي الضَّرَّاءَ كَأَنَّنِي … أَخْشَى الْفُجَاءَةَ مِنْ صِيَالِ أَعَادِي[26]

مَا بَيْنَ حُزْنٍ بَاطِنٍ أَكَلَ الْحَشَا … بِلَهِيبِ سَوْرَتِهِ وسُقْمٍ بَادِي[27]

وَرَدَ الْبَرِيدُ بِغَيْرِ ما أَمَّلْتُهُ … تَعِسَ الْبَرِيدُ وشَاهَ وَجْهُ الْحَادِي[28]

فَسَقَطْتُ مَغْشِيّاً عَلَيَّ كَأَنَّمَا … نَهَشَتْ صَمِيمَ الْقَلْبِ حَيَّةُ وَادِي[29]

وَيْلُمِّهِ رُزءاً أَطَارَ نَعِيُّهُ … بِالْقَلْبِ شُعْلَةَ مَارِجٍ وَقَّادِ[30]

قَدْ أَظْلَمَتْ مِنْهُ الْعُيُونُ كَأَنَّما … كَحَلَ الْبُكَاءُ جُفُونَهَا بِقَتَادِ[31]

عَظُمَتْ مُصِيبَتُهُ عَلَيَّ بِقَدْرِ مَا … عَظُمَتْ لَدَيَّ شَمَاتَةُ الْحُسَّادِ

لَامُوا عَلَى جَزَعِي ولَمَّا يَعْلَمُوا … أَنَّ الْمَلَامَةَ لا تَرُدُّ قِيَادِي

فَلَئِنْ «لَبِيدُ» قَضَى بِحَوْلٍ كَامِلٍ … في الْحُزْنِ فَهْوَ قَضَاءُ غَيْرِ جَوَادِ[32]

---

(٢٥) العبرة: اسم من الاعتبار، وهو الاتّعاظ، والعبرة (أيضاً): العجب، واعتبر منه: تعجّب. وذوو الأسى: المحزونون.

(٢٦) متخشّعاً: متضرّعاً متذلّلاً. وأمشي الضرّاء: أمشي مستخفياً. والصيال (بكسر الصاد): مصدر صال على قرنه، إذا سطا عليه، واستطال، ووثب في القتال.

(٢٧) الحشا: ما اشتملت عليه الضلوع أو هو ما حواه الجوف. وسورة الحزن: حدّته وشدّته. والسقم: المرض.

(٢٨) تعس: هلك أو سقط. وشاه: قبح. والحادي: اسم فاعل من حدا الرجل بالإبل، وحدا الإبل: إذا حثّها على السير بالحداء، وهو الغناء لها. يتخيّل أن الرسالة التي وردت عليه نقلتها الإبل، على عادة العرب في ذلك.

(٢٩) غشي عليه: أغمي عليه. ونهشته الحيّة: لسعته. وحيّة الوادي: أخبث الحيّات، وأشدّها فتكاً.

(٣٠) ويلمه: أصلها ويل لأمه، فركبوه وجعلوه كالشيء الواحد. والرزء: المصيبة. ونعيّه: نعي الرزء، أي نبؤه والإخبار به، أو ناعيه والمخبر به. والمارج: النار لا دخان لها.

(٣١) القتاد: شجر صلب له شوك كالإبر.

(٣٢) هو لبيد بن ربيعة من بني عامر بن صعصعة أحد بطون هوازن من مضر، وأمّه من بني عبس، كان في الجاهلية شريفاً جواداً شجاعاً شاعراً حكيماً، وقد أدرك الإسلام وأسلم، وعمّر طويلاً

لَبِسَ الزَّمَانَ عَلى اخْتِلافِ صُرُوفِهِ	دُوَلاً وَفَلَّ عَرَائِكَ الآبَادِ[٣٣]
كَمْ بَيْنَ عَادِيٍّ تَمَلَّى عُمْرَهُ	حِقَباً وَبَيْنَ حَدِيثَةِ الْمِيلَادِ[٣٤]
هَذَا قَضى وَطَرَ الْحَيَاةِ وتِلْكَ لَمْ	تَبْلُغْ شَبِيبَةَ عُمْرِهَا الْمُعْتَادِ[٣٥]
فَعَلَامَ أَتْبَعُ مَا يَقُولُ ؟ وَحُكْمُهُ	لا يَسْتَوِي لِتَبَايُنِ الأَضْدَادِ[٣٦]
سِرْ يَا نَسِيمُ فَبَلِّغِ الْقَبْرَ الَّذِي	بِحِمَى الإِمَامِ تَحِيَّتِي وودَادِي[٣٧]
أَخْبِرْهُ أَنِّي بَعْدَهُ في مَعْشَرٍ	يَسْتَجْلِبُونَ صَلاحَهُمْ بِفَسَادِي
طُبِعُوا على حَسَدٍ فَأَنْتَ تَرَاهُمُ	مَرْضَى الْقُلُوبِ أَصِحَّةَ الأَجْسَادِ
وَلَوَ انَّهُمْ عَلِمُوا خَبِيئَةَ مَا طَوَى	لَهُمُ الرَّدَى لَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ[٣٨]

حتى مات في أوائل خلافة معاوية سنة إحدى وأربعين من الهجرة، وقيل إنه عاش ثلاثين ومائة سنة. والبارودي في هذا البيت يشير إلى أبيات لبيد المشهورة التي قالها لابنتيه عندما حضرته الوفاة وهي:

تمنّى ابنتاي أن يعيش أبوهما	وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر؟
فقوما فقولا بالذي قد علمتما	ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا الشعر
وقولا هو المرء الذي لا خليله	أضاع ولا خان الصديق ولا غدر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما	ومن يبك حولا كاملاً فقد اعتذر

فكانتا ترثيانه ولا تندبانه، وأقامتا على ذلك حولاً، ثم انصرفتا. والحول: السنة.

(٣٣) لبس الزمان: تملّى به. وصروف الزمان: أحداثه. والدول: جمع دولة، وهي انقلاب الزمان. وفلّ: كسر. والعرائك: جمع عريكة، وهي الطبيعة، أو النفس. والآباد: جمع أبد، وهو الدهر.

(٣٤) عاديّ: قديم معمّر، كأنّه منسوب إلى عاد قبيلة هود عليه السلام، وهي من قبائل العرب القديمة البائدة. وتملى عمره: استمتع به. وحقباً: سنين كثيرة.

(٣٥) قضى وطره: بلغه وناله. والوطر: الحاجة. وقضى وطر الحياة: نال بغيته وحاجته منها.

(٣٦) التباين: التباعد والاختلاف والافتراق.

(٣٧) الحمى: المكان المحميّ الذي لا يقرب، ولا يجترأ عليه، والمراد بحمى الإمام: مقبرة الإمام الشافعيّ بالقاهرة في جنوبيّها الشرقيّ.

(٣٨) الخبيئة: ما خبيء وستر وغاب. وطوى: أخفى وكتم. والردى: الهلاك. وقدح بالزند: أخرج

كُـلُّ امْـرِئٍ يَـوْمـاً مُـلاقٍ رَبَّـهُ والـنَّـاسُ في الـدُّنْـيَـا عَلى مِـيعَـادِ

وَكَـفَى بِـعَـادِيَـةِ الْـحَـوَادِثِ مُـنْـذِراً لِـلْغَـافِلِيـنَ لَـوِ اكْتَـفُـوا بِعَـوَادِي[٣٩]

فَلْيَنْـظُرِ الإِنْـسَـانُ نَـظْرَةَ عـاقِـلٍ لِـمَـصَـارِعِ الآبـاءِ وَالأَجْـدَادِ

عَصَفَ الـزَّمَـانُ بِـهِمْ فَبَـدَّدَ شَمْـلَهُمْ فِي الأَرْضِ بَيْـنَ تَهَـائِـمٍ وَنِجَـادِ[٤٠]

دَهْـرٌ كَـأَنَّـا مِـنْ جَـرائِـرِ سِـلْمِـهِ فِـي حَـرِّ يَـوْمِ كَـرِيهَـةٍ وجِـلادِ[٤١]

أَفْنَى الْجَبَـابِـرَ مِنْ مَقَـاوِلِ « حِمْيَـرٍ » وأُولِي الزَّعَامَةِ مِنْ « ثَمُودَ » وَ« عَادِ »[٤٢]

وَرَمَى « قُضَاعَـةَ » فَـاسْتَبَـاحَ دِيَـارَهَـا بِالسُّخْطِ مِنْ « سابُورَ » ذِي الأَجْنَادِ[٤٣]

وَأَصَـابَ عَنْ عُرْضٍ « إِيـادَ » فَأَصْبَحَتْ مَنْكُـوسَـةَ الأَعْـلَامِ فِي « سِنْدَادِ »[٤٤]

به النار. والزناد: جمع زند، وهو الحديدة أو العود الذي تقدح به النار. ومعنى لم يقدحوا بزناد: لم يحمّلوا أنفسهم عناء السعي المشوب بالطمع والحسد.

(٣٩) عادية الحوادث: شرّها وشدّتها، وجمعها عواد.

(٤٠) بدّد شملهم: فرّقهم. وتهامة: مكان بعينه بجزيرة العرب، ولعل الشاعر أطلقه على كل منخفض من الأرض، ولذلك ساغ جمعه على تهائم. والنجاد: جمع نجد، وهو ما ارتفع من الأرض.

(٤١) الجرائر: جمع جريرة، وهي الجناية والذنب. والكريهة: الحرب. والجلاد: القتال، وأصله القتال بالسيوف.

(٤٢) الجبابر: جمع جبّار، وهو العظيم القويّ، والعاتي، والمتكبّر. والمقاول: جمع مقول، وهو الملك، أو الملك من ملوك حمير، أو هو دون الملك الأعلى. وحمير: قبيلة أو قبائل تنسب إلى حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، جدّ كثير من القبائل اليمنيّة. وثمود: قوم صالح. وعاد: قوم هود. وهما قبيلتان من قبائل العرب البائدة، جاء ذكرهما في القرآن كثيراً.

(٤٣) قضاعة: قبيلة يمنيّة، تنسب إلى عمرو بن مالك بن حمير، وقضاعة لقبه. وسابور: معرّب «شاه بور»، ولقبه «خواست»، وهو ابن أردشير، وأحد الأكاسرة، ملوك الفرس. وقد بنى مدينة على بعد خمسة وعشرين فرسخاً من شيراز. والأجناد: جمع جند، وهم العسكر والأعوان والأنصار.

(٤٤) أصاب عن عرض: أي من غير مبالاة، ولا اكتراث. وإياد: إحدى القبائل العدنانيّة، وتنسب إلى إياد بن نزار بن معدّ بن عدنان. ومنكوسة: اسم مفعول من نكسه، أي قلبه على رأسه، كنكّسه تنكيساً. وسنداد: منازل لإياد، نزلتها لما قاربت الريف، وهو أسفل سواد الكوفة، سمّيت باسم سنداد من ملوك الفرس.



فَسَلِ «الْمَدَائِنَ» فَهْيَ مَنْجَمُ عِبْرَةٍ عَمَّا رَأَتْ مِنْ حَاضِرٍ أَوْ بَادِي(٤٥)

كَرَّتْ عَلَيْهَا الْحَادِثَاتُ فَلَمْ تَدَعْ إِلَّا بَقَايَا أَرْسُمٍ وعِمَادِ(٤٦)

واعْكُفْ عَلَى الْهَرَمَيْنِ واسْأَلْ عَنْهُمَا «بَلْهِيبَ» فَهْوَ خَطِيبُ ذَاكَ الْوَادِي(٤٧)

تُنْبِئْكَ أَلْسِنَةُ الصُّمُوتِ بِمَا جَرَى فِي الدَّهْرِ مِنْ عَدَمٍ ومِنْ إِيْجَادِ

أُمَمٌ خلَتْ فَاسْتَعْجَمَتْ أَخْبَارُهَا حَتَّى غَدَتْ مَجْهُولَةَ الإِسْنَادِ(٤٨)

فَعَلَامَ يَخْشَى الْمَرْءُ صَرْعَةَ يَوْمِهِ أَوَ لَيْسَ أَنَّ حَيَاتَهُ لِنَفَادِ(٤٩)

تَعَسَ امْرُؤٌ نَسِيَ الْمَعَادَ وَمَا دَرَى أَنَّ الْمَنُونَ إِلَيْهِ بِالْمِرْصَادِ(٥٠)

فَاسْتَهْدِ «يا مَحْمُودُ» رَبَّكَ وَالْتَمِسْ مِنْهُ الْمَعُونَةَ فَهْوَ نِعْمَ الْهَادِي

واسْأَلْهُ مَغْفِرَةً لِمَنْ حَلَّ الثَّرَى بِالأَمْسِ فَهْوَ مُجِيبُ كُلِّ مُنَادِي

---

(٤٥) المدائن: مدينة على نهر دجلة، جنوبيّ بغداد، تبعد عنها بنحو ستة فراسخ، سمّيت بذلك لعظمها، وتنسب إلى كسرى أنو شروان بن قباذ، وبها إيوانه المشهور، وكانت حاضرة مملكة الفرس قبل الاسلام. ومنجم عبرة: مطلع اعتبار، ومظهر عظة.

(٤٦) الأرسم: جمع رسم، وهو الأثر أو بقيّته، أو ما لا شخص له من الآثار. والعماد: الأبنية الرفيعة، واحدتها عمادة.

(٤٧) عكف على الشيء: أقبل عليه، ولزمه، ولم ينصرف عنه. ويريد بالهرمين: هرم الملك «خوفو»، وهرم خليفته الملك «خفرع»، وهما من ملوك الأسرة الرابعة التي حكمت مصر قبل ميلاد المسيح عيسى عليه السلام بنحو ثلاثة آلاف عام.

و «بلهيب»: «أبو الهول»، نصب فرعوني ضخم هائل، نحت من صخرة واحدة، جسمه جسم أسد، ووجهه وجه إنسان. وكانوا يرمزون بهما إلى عظمة فرعون، وشدة بأسه، ورجاحة عقله.

(٤٨) خلت: مضت وذهبت. واستعجمت أخبارها: استبهمت وخفيت، وأصله من قولهم: استعجم الرجل، إذا سكت، ولم يقدر على الكلام أصلاً. والإسناد: مصدر أسند القول إلى قائله، أي نسبه إليه.

(٤٩) الصرعة: من صرعه أي أهلكه.

(٥٠) تعس: عثر، وسقط، وأكبّ على وجهه، وشقي، وهلك. والمعاد: الآخرة، والمرجع والمصير. والمرصاد: الطريق، والمكان يرصد فيه العدوّ، وقعد له بالمرصاد: أي بطريق الارتقاب والانتظار.



هِيَ مُهْجَةٌ وَدَّعْتُ يَوْمَ زِيَالِهَا نَفْسِي وَعِشْتُ بِحَسْرَةٍ وبِعَادِ
تَاللهِ ما جَفَّتْ دُمُوعي بَعْدَمَا ذَهَبَ الرَّدَى بِكِ يا بْنَةَ الأَمْجَادِ(٥١)
لا تَحْسَبِينِي مِلْتُ عَنْكِ مَعَ الْهَوَى هَيْهَاتَ ما تَرْكُ الْوَفَاءِ بِعَادِي(٥٢)
قَدْ كِدْتُ أَقْضِي حَسْرَةً لَوْ لَمْ أَكُنْ مُتَوَقِّعاً لُقْيَاكِ يَوْمَ مَعَادِي
فَعَلَيْكِ مِنْ قَلْبِي التَّحِيَّةُ كُلَّمَا نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ عَلَى الأَعْوَادِ(٥٣)

وَقَالَ يَرْثِي وَلَدَهُ(★) :

كَيْفَ طَوَتْكَ الْمَنُونُ يا وَلَدِي ؟ وَكَيْفَ أَوْدَعْتُكَ الثَّرَى بِيَدِي ؟
وَاكَبِدِي يا « عَلِيُّ » بَعْدَكَ ! لَوْ كَانَتْ تَبُلُّ الْغَلِيلَ (واكَبِدِي)(١)
فَقْدُكَ سَلَّ الْعِظَامَ مِنِّي وَرَدَّ الصَّبْرَ عَنِّي وَفَتَّ في عَضُدِي(٢)
كَمْ لَيْلَةٍ فِيكَ لا صَبَاحَ لَهَا سِهِرْتُهَا بَاكِياً بِلاَ مَدَدِ
دَمْعٌ وَسُهْدٌ وَأَيُّ نَاظِرَةٍ تَبْقَى عَلَى الْمَدْمَعَيْنِ والسَّهَدِ(٣)

---

(٥١) الردى: الهلاك.
(٥٢) الهوى: ميل النفس وانحرافها نحو شهواتها، ويطلق على الميل المذموم. والعاد: جمع عادة.
(٥٣) ناحت الحمامة: سجعت، أي ردّدت صوتها. والمطوّقة: الحمامة ذات الطوق، وهي التي في عنقها ريش يخالف لونه لون باقي جسمها، ويشبه الطوق. والأعواد: الأغصان، واحدها عود.
(★) توفيت بالقاهرة سنة ١٨٨٣ «عديلة يكن» زوجة البارودي، وبعد وفاتها تزوّج في المنفى «أمينة يعقوب سامي» في أواخر سنة ١٨٨٥ وهو في نحو السادسة والأربعين، وهي ابنة زميله في المنفى والجهاد اللواء «يعقوب سامي»: أحد قادة الثورة العرابية. ومن أولادهما في المنفى «عليّ» المرثيّ بهذه القصيدة. وفي بعض أبياتها دلالة على أنه مات في طفولته.
(١) الغليل: شدّة العطش وحرارته، والمراد به (هنا): حرقة الوجد، وشدة الحزن.
(٢) السّلّ: انتزاعك الشيء، وإخراجه في رفق، والمراد بسلّ العظام: إضعاف الجسم، واستلاب قوّته. وفتّ في عضده: كسر قوّته، وأضعفه.
(٣) السهد: الأرق، والسهر، كالسهاد. والناظرة: العين.

لَهْفِي عَلَى لمحةِ النَّجابَةِ لَوْ ... دَامَتْ إِلَى أَنْ تَفُوزَ بِالسَّدَدِ(٤)

مَا كُنْتُ أَدْرِي إِذْ كُنْتُ أَخْشَى عَلَيْـ ... ـكَ الْعَيْنَ أَنَّ الْحِمَامَ بِالرَّصَدِ(٥)

فَاجَأَنِي الدَّهْرُ فِيكَ مِنْ حَيْثُ لا ... أَعْلَمُ خَتْلاً والدَّهْرُ كَالأَسَدِ(٦)

لَوْلَا اتِّقَاءُ الْحَياءِ لاعْتَضْتُ بِالْـ ... ـحِلْمِ هُياماً يَحِيقُ بِالْجَلَدِ

لَكِنْ أَبَتْ نَفْسِي الْكَرِيمَةُ أَنْ ... أَثْلِمَ حَدَّ الْعَزاءِ بِالْكَمَدِ(٧)

فَلْيَبْكِ قَلْبِي عَلَيْكَ فَالْعَيْنُ لَا ... تَبْلُغُ بِالدَّمْعِ رُتْبَةَ الْخَلَدِ(٨)

إِنْ يَكُ أَخْنَى الرَّدَى عَلَيْكَ فَقَدْ ... أَخْنَى أَلِيمُ الضَّنَى عَلَى جَسَدِي(٩)

عَلَيْكَ مِنِّي السَّلامُ تَوْدِيعَ لا ... قَالٍ ولَكِنْ تَوْدِيعَ مُضْطَهَدِ(١٠)

وقَالَ في صِباهُ يَرْثِي وَالِدَهُ★ :

لا فَارِسَ الْيَوْمَ يَحْمِي السَّرْحَ بِالْوَادِي ... طَاحَ الرَّدَى بِشِهَابِ الْحَرْبِ والنَّادِي(١)

---

(٤) لهف: حزن وتحسّر. ويا لهفي: كلمة للتحسّر. واللمحة: واحدة الملامح، وهي المشابه، وما بدا من محاسن الوجه. والنجابة: الكرم. والسدد: الاستقامة والصواب، والمراد الكمال وبلوغ الغاية.

(٥) يريد بالعين (هنا): الإصابة بالعين. والحمام: قضاء الموت وقدره.

(٦) الختل: مصدر ختله، أي خدعه.

(٧) ثلمه: كسره. والعزاء: الصبر. والكمد: الحزن المكتوم.

(٨) الخلد: القلب. يريد أن حزن العين الذي ظهر في إرسالها دمعها لا يصل إلى منزلة حزن القلب.

(٩) أخنى عليه: أهلكه. والردى: الهلاك. والضنى: المرض، وهو يريد المرض الذي جلبه إليه الحزن.

(١٠) قال: مبغض كاره. ومضطهد: مقهور، مغلوب على أمره.

(★) نظم البارودي هذه القصيدة وهو في الآستانة في نحو سنة ١٨٦٠ في عنفوان شبابه، وفوران شاعريّته، وهي من أوائل ما أعلنه من شعره الناضج الرصين.

(١) السرح: الأنعام والدوابّ والماشية التي تسرح. وطاح: ذهب. والردى: الهلاك. والشهاب: الماضي في الأمر، وأصله الشعلة الساطعة من النار.

مَـاتَ الَّـذِي تَـرْهَبُ الأَقْـرَانُ صَـوْلَتَـهُ وَيَتَّقِي بَـأْسَـهُ الضِّـرْغَـامَـةُ الْعَـادِي[٢]

هَـانَـتْ لِمَيْتَتِـهِ الـدُّنْيَـا وَزَهَّـدَنَـا فَـرْطُ الأَسَى بَعْـدَهُ في الْمَـاءِ والـزَّادِ

هَـلْ لِلْمَكَـارِمِ مَنْ يُحْيِي مَنَـاسِكَهَـا ؟ أَمْ لِلضَّـلالَـةِ بَعْـدَ الْيَـوْمِ مِنْ هَـادِي[٣]

جَفَّ النَّدَى وانْقَضَى عُمْرُ الْجَـدَا وسَرَى حُكْمُ الـرَّدَى بَـيْنَ أَرْواحٍ وَأَجْـسَـادِ[٤]

فَلْتَمْـرَحِ الْخَيْـلُ لَهْـواً في مَقَـاوِدِهَـا وَلْتَصْـدَإِ الْبِيضُ مُلْقَـاةً بِـأَغْمَـادِ[٥]

مَضَى وَخَـلَّفَنِـي فـي سِـنِّ سَـابِعَـةٍ لا يَـرْهَبُ الْخَصْمُ إِبْـرَاقِي وإِرْعَـادِي[٦]

إِذَا تَـلَفَّـتُّ لَـمْ أَلْـمَـحْ أَخَـا ثِـقَـةٍ يَـأْوِي إِلَـيَّ ولا يَـسْـعَـى لإِنْـجَـادِي

فَـالْعَيْـنُ لَيْسَ لَـهَـا مِنْ دَمْعِـهَـا وَزَرٌ والْقَلْبُ لَيْسَ لَـهُ مِنْ حُـزْنِـهِ فَـادِي[٧]

فَـإِنْ أَكُنْ عِشْـتُ فَـرْداً بَيْـنَ آصِـرَتِي فَـهَـأَنَـا الْيَـوْمَ فَـرْدٌ بَـيْنَ أَنْـدَادِي[٨]

بَلَغْتُ مِنْ فَضْـلِ رَبِّـي مـا غَنِيتُ بِـهِ عَنْ كُـلِّ قَـارٍ مِنَ الأَمْـلاَكِ أَوْ بَـادِي[٩]

فَـمَـا مَـدَدْتُ يَـدِي إِلَّا لِمَنْـحِ يَـدٍ ولاَ سَـعَـتْ قَـدَمِـي إِلَّا لإِسْـعَـادِ

تَـبِعْـتُ نَهْـجَ أَبِـي فَضْـلاً وَمَـحْمِـيَـةً حَتَّى بَـرَعْتُ وَكَـانَ الْفَضْـلُ لِلْبَـادِي[١٠]

أَبِـي وَمَنْ كَـأَبِـي في الْـحَيِّ نَـعْـلَمُـهُ أَوْفَـى وَأَكْـرَمُ فَـي وَعْـدٍ وَإِيـعَـادِ

---

(٢) الأقران: جمع قرن، وهو كفؤك في الشجاعة، ومن يقاومك في قتال أو غيره. والصولة: السطوة، والاستطالة. والضرغامة: الأسد. والعادي: الجائر الجبّار.

(٣) المناسك: العبادات، أو مواضعها. والمراد بها (هنا): أعمال الكرم ومظاهره وفعل الخير.

(٤) الندى: الفضل، والكرم، والسخاء. والجدا: العطاء والفضل.

(٥) المقاود: جمع مقود، وهو الحبل يشدّ في الزمام، وتقاد به الدابة. والبيض: السيوف، واحدها أبيض.

(٦) الإبراق والإرعاد: المراد بهما التهديد والوعيد.

(٧) الوزر: المعقل والملجأ والمعتصم.

(٨) الآصرة: الرحم والقرابة. والأنداد: جمع ندّ، وهو المثل والنظير.

(٩) القاري من الأملاك: الذي يكون في القرية. والبادي: الذي يكون في البادية.

(١٠) المحمية: مصدر حمى الرجل الشيء يحميه حمياً ومحمية: إذا منعه وصانه.

مُهَذَّبُ النَّفْسِ غَرَّاءٌ شَمائِلُهُ ... بَعِيدُ شَأْوِ الْعُلا طَلاَّعُ أَنْجَادِ[11]
قَدْ كَانَ لِي وَزَراً آوِي إِلَيْهِ إِذَا ... غَاضَ الْمَعِينُ وَجَفَّ الزَّرْعُ بِالْوَادِي[12]
لا يَسْتَبِدُّ بِرَأْيٍ قَبْلَ تَبْصِرَةٍ ... وَلاَ يَهُمُّ بِأَمْرٍ قَبْلَ إِعْدَادِ
تَرَاهُ ذَا أُهْبَةٍ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ ... كَاللَّيْثِ مُرْتَقِباً صَيْداً بِمِرْصَادِ[13]

وَقَالَ وَهُوَ بِسَرَنْدِيبَ(★) يَتَشَوَّقُ إِلَى مِصْرَ :

تَرَحَّلَ مِنْ وَادِي الأَرَاكَةِ بِالْوَجْدِ ... فَبَاتَ سَقِيماً لا يُعِيدُ وَلاَ يُبْدِي[1]
سَقِيماً تَظَلُّ الْعَائِدَاتُ حَوَانِياً ... عَلَيْهِ بِإِشْفَاقٍ وَإِنْ كَانَ لا يُجْدِي[2]
يَخَلْنَ بِهِ مَسّاً أَصَابَ فُؤَادَهُ ... وَلَيْسَ بِهِ مَسٌّ سِوَى حُرَقِ الْوَجْدِ
بِهِ عِلَّةٌ إِنْ لَمْ تُصِبْهَا سَلاَمَةٌ ... مِنَ اللهِ كَادَتْ نَفْسُ حَامِلِهَا تُرْدِي

وَمِنْ عَجَبِ الأَيَّامِ أَنِّي مُولَعٌ ... بِمَنْ لَيْسَ يَعْنِيهِ بُكَائِي وَلاَ سُهْدِي
أَبِيتُ عَلِيلاً فِي « سَرَنْدِيبَ » سَاهِراً ... أُعَالِجُ مَا أَلْقَاهُ مِنْ لَوْعَتِي وَحْدِي

---

(١١) غراء: شريفة كريمة. والشمائل: الأخلاق والسجايا والطبائع. والشأو: الأمد والغاية. والأنجاد: جمع نجد، وهو ما ارتفع من الأرض. وطلاع أنجاد: ضابط للأمور، ركّاب لصعابها، شجاع غالب.

(١٢) الوزر: المعقل والملجأ والمعتصم. والمعين: الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض.

(١٣) الأهبة: العدّة. والمرصاد: طريق الارتقاب والانتظار.

(★) سرنديب «سيلان» جزيرة كبيرة بالمحيط الهندي، في الجنوب الشرقي للهند. نفي إليها البارودي عقب الثورة العرابية في صفر سنة ١٣٠٠ هـ (ديسمبر سنة ١٨٨٢م).

(١) الأراكة: شجرة يستاك بقضبانها، وهي طويلة ناعمة، كثيرة الورق والأغصان، خوّارة العود، ولها ثمر في عناقيد يسمى البرير، يملأ العنقود الكفّ. وقد كنى الشاعر بوادي الأراكة عن مصر.

(٢) العائدات: جمع عائدة، اسم فاعل من عدت المريض أعوده عيادة. وحوان: جمع حانية، اسم فاعل من حنا عليه، أي عطف.

أُدُورُ بِعَيْنِي لا أَرَى وَجْهَ صَاحِبٍ ... يَرِيعُ لِصَوْتِي أَوْ يَرِقُّ لِمَا أُبْدِي[٣]

وَمِمَّا شَجَانِي بَارِقٌ طَارَ مَوْهِناً ... كَمَا طَارَ مُنْبَثُّ الشَّرَارِ مِنَ الزَّنْدِ[٤]

يُمَزِّقُ أَسْتَارَ الدُّجُنَّةِ ضَوْؤُهُ ... فَيَنْسِلُهَا مَا بَيْنَ غَوْرٍ إِلَى نَجْدِ[٥]

أَرِقْتُ لَهُ والشُّهْبُ حَيْرَى كَلِيلَةٌ ... مِنَ السَّيْرِ والآفَاقُ حَالِكَةُ الْبُرْدِ[٦]

فَبِتُّ كَأَنِّي بَيْنَ أَنْيَابِ حَيَّةٍ ... مِنَ الرُّقْطِ أَوْ فِي بُرْثُنَيْ أَسَدٍ وَرْدِ[٧]

أُقَلِّبُ طَرْفِي وَالنُّجُومُ كَأَنَّهَا ... قَتِيرٌ مِنَ الْيَاقُوتِ يَلْمَعُ فِي سَرْدِ[٨]

وَلَا صَاحِبٌ غَيْرُ الْحُسَامِ مَنُوطَةٌ ... حَمَائِلُهُ مِنِّي عَلَى عَاتِقٍ صَلْدِ[٩]

إِذَا حَرَّكَتْهُ رَاحَتِي لِمُلِمَّةٍ ... تَطَلَّعَ نَحْوِي يَشْرَئِبُّ مِنَ الْغِمْدِ[١٠]

أَشَدُّ مَضَاءً مِنْ فُؤَادِي عَلَى الْعِدا ... وَأَبْطَأُ نَصْرِي عَلَى الشَّوْقِ مِنْ «فِنْدِ»[١١]

---

(٣) يريع لصوتي: يرجع إليه، ويهتمّ به.

(٤) شجاني: حزنني. ويريد بالبارق: البرق. وموهناً: في نصف الليل، أو بعد ساعة منه. ومنبثّ: منتشر متفرِّق. والزند: العود الذي تقدح به النار، أي توري، وتشعل.

(٥) الدجنّة: الظلمة. وينسلها: يمزّقها، ويسقطها شيئاً فشيئاً. والغور: ما اطمأنّ من الأرض. والنجد: ما ارتفع من الأرض.

(٦) كليلة: صفة من كلّ يكل كلالة، أي تعب، وأعيا. والآفاق: النواحي، واحدها أفق (بضمتين). وحالكة: شديدة السواد. والبرد: الثوب.

(٧) الرقط: جمع رقطاء، وهي الحية التي يشوب سوادها نقط بياض، أو العكس. والبرثن (بوزن القنفذ) من السباع: كالإصبع من الإنسان، أو هو الكفّ مع الأصابع، أو هو مخلب الأسد. وأسد ورد: جريء، أو ورديّ اللون، وهو الذي بين الكميت والأشقر.

(٨) القتير: رؤوس مسامير الدروع. والسرد: اسم جامع للدروع وسائر الحلق.

(٩) الحمائل: جمع حمالة، وهي علاقة السيف. والعاتق: ما بين المنكب والعنق. وصلد: قويّ صلب.

(١٠) الملمّة: النازلة من نوازل الدهر وحوادثه. ويشرئبّ: يرتفع، كمن يمد عنقه إلى شيء لينظره. والغمد: غلاف السيف وجرابه وقرابه.

(١١) فند: اسم أبي زيد، مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقّاص، أرسلته سيدته ليأتيها بنار، فوجد قوماً يخرجون إلى مصر، فتبعهم وأقام بها سنة، ثم قدم فأخذ ناراً، وجاء يعدو، فعثر، وتبدّد الجمر، فقال: تعست العجلة، فقيل: «أبطأ من فند»، وضرب به المثل في البطء.

أَقُولُ لَـهُ وَالْـجَفْـنُ يَكْسُـو نِـجَـادَهُ ۞ دُمُـوعاً كَمُـرْفَضِّ الْجُمَانِ مِنَ الْعِقْـدِ[١٢]

لَقَدْ كُنْتَ لِي عَـوْنـاً عَلَى الـدَّهْـرِ مَرَّةً ۞ فَمَـا لِي أَرَاكَ الْيَـوْمَ مُنْثَلِمَ الْـحَـدِّ[١٣]

فَقَـالَ إِذَا لَمْ تَسْتَـطِعْ سَـوْرَةَ الْـهَـوَى ۞ وَأَنْتَ جَلِيـدُ الْقَـوْمِ مَـا أَنَـا بِـالْجَلْدِ

وَهَـلْ أَنَـا إِلَّا شِـقَّـةٌ مِـنْ حَـدِيـدَةٍ ۞ أَلَـحَّ عَلَيْهَا الْقَيْنُ بِـالطَّرْقِ وَالْحَـدِّ ؟[١٤]

فَمَـا كُنْتُ لَـوْلَا إِنَّنِي وَاهِنُ الْقُـوَى ۞ أُعَـلَّقُ فـي خَـيْطٍ وَأُحْبَسُ فـي جِلْدِ

فَـدُونَكَ غَيْـرِي فَـاسْتَعِنْهُ عَلَى الْجَـوَى ۞ ودَعْنِي مِنَ الشَّكْوَى فَدَاءُ الْهَوَى يُعْدِي[١٥]

خَلِيلَيَّ هَـذَا الشَّـوْقُ لا شَـكَّ قَـاتِلِي ۞ فَمِيلا إِلَى « الْمِقْيَاسِ » إِنْ خِفْتُمَا فَقْدِي[١٦]

فَفِي ذَلِـكَ الْـوَادِي الَّـذِي أَنْبَتَ الْهَـوَى ۞ شِفَائِي مِنْ سُقْمِي وَبُرْئِيَ مِنْ وَجْدِي[١٧]

مَـلَاعِبُ لَهْـوٍ طَـالَمَـا سِـرْتُ بَيْنَهَـا ۞ عَـلَى أَثَـرِ اللَّذَّاتِ فـي عِـيشَـةٍ رَغْـدِ

إِذَا ذَكَـرَتْهَـا النَّفْسُ سَـالَتْ مِنَ الأَسَى ۞ مَـعَ الـدَّمْـعِ حَتَّى لا تُنَهْنَـهُ بِـالـرَّدِّ[١٨]

فَـيَـا مَنْـزِلاً رَقْـرَقْـتُ مَـاءَ شَبِيـبَـتِـي ۞ بِـأَفْنَـائِـهِ بَيْنَ الأَرَاكَـةِ والـرَّنْـدِ[١٩]

سَـرَتْ سَحَـراً فَـاسْتَقْبَلَتْكَ يَـدُ الصَّبَـا ۞ بِـأَنْفَـاسِهَـا وَانْشَقَّ فَجْـرُكَ بِـالْحَمْـدِ[٢٠]

---

(١٢) النجاد: حمائل السيف وعلاقاته. والمرفضّ: المنثور المتفرّق. والجمان: اللؤلؤ.

(١٣) منثلم: منكسر.

(١٤) القين: الحدّاد، وصانع السيوف. والحد: مصدر حد، الصانع السيف ونحوه إذا شحذه، أي مسحه بحجر أو مبرد ليصير حادّاً.

(١٥) الجوى: هوى باطن، والحزن، والحرقة، وشدّة الوجد.

(١٦) يريد بالمقياس: روضة المقياس، وهي جزيرة في النيل شرقيّ الجيزة، وغربيّ مصر القديمة.

(١٧) السقم: المرض. والوجد: الحزن.

(١٨) الأسى: الحزن. وتنهنه: تكفّ.

(١٩) رقرق الماء وغيره: صبّه رقيقاً، والمراد أنه قضى في هذا المنزل زمن شبابه. والأفناء: جمع فناء، وهو ما امتدّ من جوانب الدار، أو هو سعة أمامها، ويسمى الوصيد. والأراكة: شجرة طويلة ناعمة، كثيرة الورق والأغصان، ولها ثمر في عناقيد يسمى البرير، يملأ العنقود الكفّ، وشجر الأراك يستاك بقضبانه. والرند: شجر طيّب الرائحة، وأصله من شجر البادية.

(٢٠) سحراً: قبيل الصبح. والصبا: ريح تهبّ من مطلع الشمس، وهي أحبّ الرياح إلى أهل الجزيرة العربية، ولهذا تغنّى بها الشعراء كثيراً.

وَزَرَّ عَلَيْكَ الْأُفْقُ طَوْقَ غَمَامَةٍ ... خَضِيبَةِ كَفِّ الْبَرْقِ حَنَّانَةِ الرَّعْدِ[٢١]

فَلَسْتُ بِنَاسٍ لَيْلَةً سَلَفَتْ لَنَا ... بِوَادِيهِ والدُّنْيَا تَغُرُّ بِمَا تُسْدِي[٢٢]

إذِ الْعَيْشُ رَيَّانُ الْأَمَالِيدِ والْهَوَى ... جَدِيدٌ وَإذْ « لَمْيَاءُ » صَافِيَةُ الْوُدِّ[٢٣]

مُنَعَّمَةٌ لِلْبَدْرِ مَا فِي قِنَاعِهَا ... وَلِلْغُصْنِ مَا دَارَتْ بِهِ عُقْدَةُ الْبَنْدِ[٢٤]

سَبَتْنِي بِعَيْنَيْهَا وَقَالَتْ لِتِرْبِهَا ... أَلَا مَا لِهَذا الْغِرِّ يَتْبَعُنِي قَصْدِي ؟[٢٥]

وَلَمْ تَدْرِ ذَاتُ الخَالِ وَالْحُبُّ فَاضِحٌ ... بِأَنَّ الَّذِي أُخْفِيهِ غَيْرُ الَّذِي أُبْدِي[٢٦]

حَنَانَيْكِ إنَّ الرَّأْيَ حَارَ دَلِيلُهُ ... فَضَلَّ وعادَ الْهَزْلُ فِيكِ إلَى الْجِدِّ[٢٧]

فَلَا تَسْأَلِي مِنِّي الزِّيَادَةَ في الْهَوَى ... رُوَيْداً فَهَذَا الْوَجْدُ آخِرُ ما عِنْدِي

وَهَأَنَا مُنْقَادٌ كَمَا حَكَمَ الْهَوَى ... لِأَمْرِكِ فَاخْشَيْ حُرْمَةَ اللهِ وَالْمَجْدِ

فَلَوْ قُلْتِ قُمْ فَاصْعَدْ إلَى رَأْسِ شَاهِقٍ ... وَأَلْقِ إذَا أَشْرَفْتَ نَفْسَكَ لِلْوَهْدِ[٢٨]

لأَلْقَيْتُهَا طَوْعاً لَعَلَّكِ بَعْدَهَا ... تَقُولِينَ حَيَّا اللهُ عَهْدَكَ مِنْ عَهْدِ

سَجِيَّةُ نَفْسٍ لا تَخُونُ خَلِيلَهَا ... ولا تَرْكَبُ الْأَهْوَالَ إلَّا عَلَى عَمْدِ[٢٩]

---

(٢١) زرّ الرجل القميص زرّاً: أدخل الأزرار في العرى. وطوق غمامة: غمامة كالطوق. وخضيبة: من خضبت اليد وغيرها خضباً بالخضاب، وهو الحنّاء ونحوه. وحنّانة: صيغة مبالغة من الحنين، وهو صوت الطرب عن حزن أو فرح، والحنّانة (أيضاً): القوس المصوّتة.

(٢٢) تغرّ: تخدع. وتسدي: تمنح وتعطي.

(٢٣) الأماليد: جمع أملود أو إمليد: وهو الغصن الناعم الليّن. ولمياء: علم مؤنث، كنى به الشاعر عن محبوبته.

(٢٤) للبدر ما في قناعها: أي وجهها كالبدر. والبند: الحزام. كنى بما في قناعها عن وجهها، وبما دارت به عقدة البند عن خصرها.

(٢٥) سبتني: أسرتني. وتربها: من تماثلها في سنّها. والغرّ: الشابّ لا تجربة له كالغرير.

(٢٦) الخال: الاختيال، والكبر، والإعجاب. وهو أيضاً شامة مستحسنة تزين خدّ المرأة.

(٢٧) حنانيك: تحنّني وترحّمي عليّ مرّة بعد مرّة، وحناناً بعد حنان. وحار دليله: أي ضلّ وتحيّر.

(٢٨) الشاهق: الجبل المرتفع. وأشرف الجبل ونحوه: علاه. والوهد: الأرض المنخفضة.

(٢٩) السجيّة: الغريزة والخلق والطبيعة.



وَإِنِّي لَمِقْدَامٌ عَلَى الْهَوْلِ وَالرَّدَى ... بِنَفْسِي وفِي الإِقْدَامِ بِالنَّفْسِ ما يُرْدِي(٣٠)

وَإِنِّي لَقَوَّالٌ إِذَا الْتَبَسَ الْهُدَى ... وَجَارَتْ حُلُومُ الْقَوْمِ عَنْ سَنَنِ الْقَصْدِ(٣١)

فَإِنْ صُلْتُ فَدَّانِي الْكَمِيُّ بِنَفْسِهِ ... وَإِنْ قُلْتُ لَبَّانِي الْوَلِيدُ مِنَ الْمَهْدِ(٣٢)

وَلِي كُلُّ مَلْسَاءِ الْمُتُونِ غَرِيبَةٍ ... إِذَا أُنْشِدَتْ أَفْضَتْ لِذِكْرِ بَنِي سَعْدِ(٣٣)

أَخَفُّ عَلَى الأَسْمَاعِ مِنْ نَغَمِ الْحُدَا ... وَأَلْطَفُ عِنْدَ النَّفْسِ مِنْ زَمَنِ الْوَرْدِ(٣٤)

مُخَدَّرَةٌ تَمْحُو بِأَذْيَالِ حُسْنِهَا ... أَسَاطِيرَ مَنْ قَبْلِي وَتُعْجِزُ مَنْ بَعْدِي(٣٥)

كَذَلِكَ إِنِّي قَائِلٌ ثُمَّ فَاعِلٌ ... فِعَالِي وَغَيرِي قَدْ يُنِيرُ وَلاَ يُسْدِي(٣٦)

وقَالَ وَهُوَ بِهَا أَيْضاً(★) :

هَلْ لِسَلامِ الْعَلِيلِ رَدُّ؟ ... أَمْ لِصَبَاحِ اللِّقَاءِ وَعْدُ؟

أَبِيتُ أَرْعَى الدُّجَى بِعَيْنٍ ... غِذَاؤُهَا مَدْمَعٌ وسُهْدُ(١)

---

(٣٠) الردى: الهلاك.

(٣١) قوّال: فصيح ينطق بالسديد الصائب من القول. والتبس: اختلط واشتبه. والحلوم: جمع حلم، وهو الأناة، والعقل. والمراد بسنن القصد: طريق الصواب.

(٣٢) صال: سطا، واستطال، وهجم على قرنه في القتال. والكميّ: الشجاع، أو لابس السلاح.

(٣٣) يريد بملساء المتون: القصيدة السلسة العذبة السهلة السائغة. وبنو سعد: بطن من هوازن، وهوازن من قيس عيلان، وقيس عيلان من مضر، كبرى القبائل العدنانيَّة، ومن هؤلاء حليمة بنت أبي ذؤيب مرضعة النبيّ صلى الله عليه وسلّم، وكان بنو سعد من أفصح العرب. وسعد أيضاً: حيّ من قبيلة قريش أفصح القبائل العربيّة.

(٣٤) الحداء: الغناء للإبل، لحثها على السير، وقصر لضرورة وزن الشعر.

(٣٥) جارية مخدّرة: لزمت خدرها، وهو الستر، أو البيت. شبّه كلّ قصيدة من قصائده بالفتاة المخدّرة. والأساطير: الأباطيل.

(٣٦) ينير: مضارع أنار الحائك الثوب: إذا جعل له نيراً. والنير: لحمة الثوب، وهي ما ينسج منه عرضاً. والنير أيضاً: علم الثوب وهدبه. ويسدي: مضارع أسدى الثوب، إذا أقام سداه، وهو خلاف لحمته، أي ما يمدّ طولاً في النسيج.

(★) وهو بها: أي وهو في منفاه بجزيرة «سرنديب».

(١) أرعى: أنظر. والدجى: جمع دجية، وهي الظلمة.

لا صَاحِبٌ إنْ شَكَوْتُ حَالِي — يَرْثِي ولا سَامِعٌ يَرُدُّ

بَيْنَ قِنَانٍ عَلَى ثَرَاهَا — مِنْ سُتُرَاتِ الْغَمَامِ بُرْدُ[2]

أَظَلُّ فيها أُنُوحُ فَرْداً — وكُلُّ نَائِي الدِّيَارِ فَرْدُ

فَمَنْ لِقَلْبِي بِظَبْيِ وَادٍ — بَيْنَ وَشِيجِ الرِّمَاحِ يَعْدُو ؟[3]

صَارَ بِحُكْمِ الْهَوَى مَلِيكِي — وَمَا لِحُكْمِ الْهَوَى مَرَدُّ

يَا سَعْدُ قُلْ لِي فَأَنْتَ أَدْرَى — مَتَى رِعَانُ الْعَقِيقِ تَبْدُو ؟[4]

أَشْتَاقُ نَجْداً وَسَاكِنِيهِ — وَأَيْنَ مِنِّي الْغَدَاةَ نَجْدُ ؟[5]

ذَابَ فُؤَادِي بِحُبِّ لَيْلَى — يَا لِفُؤَادٍ بَرَاهُ وَجْدُ !

فَكَيْفَ أُمْسِي بِغَيْرِ قَلْبٍ ؟ — يَا نُورَ عَيْنِي وَكَيْفَ أَغْدُو ؟[6]

لِكُلِّ شَيءٍ وَإِنْ تَمَادَى — حَدٌّ وَمَا لِلْغَرَامِ حَدُّ

فَلَيْسَ قَبْلَ الْغَرَامِ قَبْلٌ — وَلَيْس بَعْدَ الْغَرَامِ بَعْدُ

فَهَلْ لِنَيْلِ الْوِصَالِ يَوْماً — بَعْدَ مَدِيدِ الصُّدُودِ عَهْدُ ؟[7]

وَهَلْ أَرَانِي رَفِيقَ حَادٍ — بِمَدْحِ خَيْرِ الأَنَامِ يَحْدُو ؟[8]

---

(٢) القنان: جمع قنة، وهي قمة الجبل أي أعلاه.

(٣) الظبي: الغزال، وتشبّه به الحسناء في الرشاقة، وحسن طول العنق، وجمال العيون، واتساعها. ووشيج الرماح: الرماح المشتبكة، يكني بهذا عن أن محبوبته في منعة من قومها.

(٤) الرعان: جمع رعن، وهو أنف يتقدّم الجبل، أو هو الجبل الطويل. والعقيق: الوادي، وكلّ مسيل شقّه ماء السيل، ومواضع بالمدينة واليمامة والطائف وتهامة ونجد. والمقصود (هنا): عقيق نجد، والشاعر يكني به عن وطنه وديار أهله.

(٥) نجد: اسم للأراضي العالية في وسط جزيرة العرب.

(٦) أغدو (هنا): أذهب، وأنطلق.

(٧) الصدود: الإعراض، والهجران.

(٨) الحادي: اسم فاعل من حدا الإبل يحدوها: إذا ساقها، وحثّها على السير بالغناء لها. والأنام: الخلق، والناس. وخير الأنام: سيّدنا ومولانا محمد صلّى الله عليه وسلّم.

عَسَى إِلَهِي يِفُكُّ أَسْرِي ... فَهْوَ فَعُولٌ لِمَا يَوَدُّ

وَقَالَ وَهُوَ بها أَيْضاً(★) :

أَنَسِيمٌ سَرَى بِنَفْحَةِ رَنْدِ ؟ ... أَمْ رَسُولٌ أَدَّى تَحِيَّةَ هِنْدِ[١] ؟

أَطْرَبَتْنِي أَنْفَاسُهُ فَكَأَنِّي ... مِلْتُ سُكْراً مِنْ جُرْعَةٍ مِنْ (بِرَنْدِي)

وَأَخُو الْوَجْدِ لا يَزَالُ طَرُوباً ... يَتْبَعُ الشَّوْقَ بَيْنَ سَهْلٍ وَفِنْدِ[٢]

طَالَ شَوْقِي إِلَى الدِّيَارِ ولَكِنْ ... أَيْنَ مِنْ (مِصْرَ) مَنْ أَقَامَ (بِكَنْدِي) ؟[٣]

حَبَّذَا النِّيلُ حِينَ يَجْرِي فَيُبْدِي ... رَوْنَقَ السَّيْفِ وَاهْتِزَازَ الْفِرِنْدِ[٤]

تَتَثَنَّى الْغُصُونُ في حَافَتَيْهِ ... كَالْعَذَارَى يَسْحَبْنَ وَشْيَ الْفِرِنْدِ[٥]

قَلَّدَتْهَا يَدُ الْغَمَامِ عُقُوداً ... هِيَ أَبْهَى مِنْ كُلِّ عِقْدٍ وَبَنْدِ[٦]

كَيْفَ لا تَهْتِفُ الْحَمَامُ عَلَيْهِ ؟ ... وَهْيَ تُسْقَى بِهِ سُلافَةَ قَنْدِ[٧]

هُوَ مَرْمَى نَبْلِي وَمَلْعَبُ خَيْلِي ... وَحِمَى أُسْرَتِي وَمَرْكَزُ بَنْدِي[٨]

كُلَّمَا صَوَّرَتْهُ نَفْسِي لِعَيْنِي ... قَدَحَ الشَّوْقُ في الْفُؤَادِ بِزَنْدِ[٩]

(★) وهو بها : أي في منفاه بجزيرة «سرنديب».

(١) النفحة : الرائحة. والرند : شجر طيّب الرائحة، أو هو العود، أو الآس.

(٢) الفند : الجبل العظيم.

(٣) كندي : اسم مدينة صغيرة في وسط جزيرة سيلان «سرنديب» التي كان الشاعر منفيّاً بها.

(٤) الفرند : السيف وجوهره ووشيه.

(٥) الوشي : نقش الثوب، ويكون من كل لون. والفرند : نوع من الثياب، معرَّب.

(٦) قلّدت المرأة تقليداً : جعلت القلادة في عنقها. وأبهى : أحسن. والبند : الحزام.

(٧) السلافة : أفضل الخمر، وأخلصها. وسلافة كلّ شيء عصرته أي أوّله. والقند : عسل قصب السكر إذا جمد.

(٨) النبل : انسهام العربية. والحمى : المكان المحميّ الذي لا يقرب، ولا يجترأ عليه. والبند : العلم الكبير، فارسيّ معرّب.

(٩) قدح بالزند : رام الإيراء به ، أي ضرب به الزندة لإخراج النار منها. والزند : العود الذي تقدح به النار.

لِـي بِــهِ صَـاحِــبٌ عَـلَـيَّ عَـزِيـزٌ مِثْلُ ما عِنْدَهُ مِنَ الشَّوْقِ عِنْـدِي[10]

أَتَـمَـنَّـاهُ غَـيْـرَ أَنَّ فُـؤَادِي مِنْ إِسَـارِ النَّـوَى مُحَـاطٌ بِجُنْـدِ[11]

فَـاهْـدِ مِـنِّـي لَـهُ تَـحِـيَّـةَ صِـدْقٍ وَتَـلَطَّفْ بِحَـالَـتِي يَـا (أَفَنْـدِي) !

أَنَـا وَاللهِ مُـغْـرَمٌ بِـهَـواهُ حَـيْـثُـمَـا دُرْتُ بَـيْـنَ هِـنْـدٍ وَسِـنْـدِ

إِنَّ شَـوْقِـي إِلَـيْـهِ أَسْـرَعُ شَـأْواً مِنْ (سُلَيكٍ) وَالْوَصْلُ في بُطءِ (فِنْدِ)[12]

أَسْـأَلُ الـدَّهْـرَ نِعْمَـةَ الْـقُـرْبِ مِنْـهُ وَهْـوَ كَـزٌّ بِـنِعْـمَـةٍ لَيْسَ يُـنْـدِي[13]

لَـوْ سِـوَى الـدَّهْـرِ رَامَ غَبْنِي لَأَصْحَـرْ تُ مُشِيحاً بِـالنَّصْـلِ فَـوْقَ سَمَنْـدِ[14]

لَـسْتُ أَقْـوَى عَـلَى الـزَّمَـانِ وَإِنْ كُـنْـ ـتُ أَفُـلُّ الْـعِـدا بِقُـوَّةِ زَنْـدِي[15]

وَقَالَ وَهُوَ بِهَا أَيْضاً(★) :

---

(١٠) قيل إنه يعني بصاحبه العزيز عليه صديقه الشيخ «محمد عبده»، ولم يصرح باسمه خوفاً عليه من نقمة الحاكمين في مصر.

(١١) الإسار: وهو سير من جلد يشدّ به الأسير، أو هو مصدر أسره يأسره أسراً وإساراً. والنوى: البعد.

(١٢) الشأو: السبق. وسليك بن يثربيّ بن سنان، واشتهر بابن سلكة، وهي أمّه: شاعر لصّ فتّاك عدّاء، وهو أحد السعاة الأربعة المضروب بهم المثل في العَدْوِ، والجري، والسبْق. والثلاثة هم: تأبّط شرّاً، والشنفري، وعمرو بن أميّة الضمريّ. وفند: اسم أبي زيد مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقّاص، وكانت أرسلته ليأتيها بنار، فوجد قوماً يخرجون إلى مصر فتبعهم، وأقام بها سنة، ثم قدم فأخذ ناراً، وجاء يعدو، فعثر، وتبدّد الجمر، فقال: «تعست العجلة»، فقيل: «أبطأ من فند».

(١٣) كزّ: منقبض يابس بخيل. وليس يندي: ليس يعطي.

(١٤) الغبن: العدوان والظلم، وأصله الخديعة. وأصحر: برز إلى الصحراء، وهو يكني بالإصحار عن الشجاعة والبروز للقتال. والمشيح: المقبل عليك، والمانع لما وراء ظهره. والنصل: حديدة الرمح، والسيف ما لم يكن له مقبض، والمراد به (هنا): الرمح أو السيف. والسمند: الفرس، وهي كلمة فارسية.

(١٥) أفلّ: أكسر، وفلّ الجيش: هزمه. والزند: موصل طرف الذراع في الكف، وهو من مواطن القوّة في الإنسان.

(★) وهو بها: أي وهو بجزيرة «سرنديب» واسمها أيضاً «سيلان».



خَلِيلَيَّ هَــلْ طَـالَ الــدُّجَى أَمْ تَقَيَّـدَتْ كَــوَاكِبُـهُ أَمْ ضَـلَّ عَنْ نَهْجِـهِ الْغَــدُ(١)

أَبِيتُ حَـزِيناً في « سـرَنْـدِيبَ » سَـاهِـراً طِـوَال اللَّيَـالِي وَالْخَلِيُّـونَ هُـجَّـدُ(٢)

أُحَـاوِلُ مَـا لاَ أَسْـتَـطِيـعُ طِـلاَبَـهُ كَـذَا النَّفْسُ تَهْـوَى غَيْـرَ مـا تَمْلِكُ الْيَـدُ

إِذَا خَــطَرَتْ مِنْ نَحْـوِ حُـلْوَانَ نَسْـمَـةٌ نَــزَتْ بَـيْنَ قَـلْبِي شُـعْـلَةٌ تَـتَــوَقَّـدُ(٣)

وَهَيْهَــاتَ مَــا بَعْـدَ الشَّبِيبَـةِ مَــوْسِمٌ يَــطِيبُ ولا بَعْـدَ الْجَـزِيـرَةِ مَعْهَـدُ(٤)

شَـبَــابٌ وَإِخْــوَانٌ رُزِئْـتُ وِدَادهُـم وَكُلُّ امْرِىءٍ في الدَّهْرِ يَشْقَى وَيَسْعَـدُ(٥)

وَمَــا كُـنْتُ أَخْشَى أَنْ أَعِيشَ بِغُــرْبَـةٍ يُـعَـلِّلُنِي فِـيـهَـا خُــوَيْـدِمٌ أَسْــوَدُ(٦)

وَقَالَ فِي هَوىً لَهُ :

أَرَى نَفْحَــةً دَلَّتْ عَلَى كَبِـدِي الْــوَجْـدَا فَمَنْ كَانَ « بِالْمِقْيَاسِ » أَقْرَبكُمْ عَهْدَاً ؟(١)

مَــلاَعِــبُ آرامٍ وَمَــجْـرَى جَـدَاوِلٍ وَمُلْتَفُّ أَفْنَــانٍ تَقِـي الْحَــرَّ والْبَــرْدَا(٢)

---

(١) الدجى: جمع دجية، وهي الظلمة، والمراد الليل. والنهج: الطريق الواضح.

(٢) الخليّون: جمع خليّ، وهو الخالي من الهمّ. وهجّد: جمع هاجد، اسم فاعل من هجد، أي نام ليلاً.

(٣) خطرت: أتت. وحلوان: من مدن مصر، على بعد خمسة وعشرين ألف متر جنوبيّ القاهرة. ونزت: وثبت، وتقلّبت.

(٤) يريد بالموسم: الزمن، وأصله المعلم، يجتمع إليه الناس، ومنه موسم الحجّ. ويريد بالجزيرة: روضة المقياس في نهر النيل شرقيّ الجيزة وغربيّ مصر القديمة. والمعهد: المنزل المعهود به الشيء.

(٥) معنى رزئت ودادهم: أنني أصبت بفقدان مودتهم، لبعدي عنهم.

(٦) علله بطعام وغيره تعليلاً: شغله به. والمراد يخدمني، ويقوم بأمري.

(١) النفحة من الريح: الدفعة، أو النسمة. وروضة المقياس، وقد تسمّى روضة المنيل: جزيرة في النيل شرقيّ الجيزة، وغربيّ مصر القديمة، تغيّرت الآن معالمها، وقلّت بها القصور والحدائق، وظواهر البهجة التي فتنت البارودي. فتغنّى بها، ومال إليها، وكثر تنويهه بمحاسنها.

(٢) الآرام: الظباء البيض الخالصة البياض، واحدها رئم، وتشبّه به المرأة في جمال العيون واتساعها، وحسن طول العنق، والرشاقة، والبياض. والأفنان: الأغصان، واحدها فنن.



إِذَا انْبَعَثَتْ فِيهِ النَّسَائِمُ خِلْتَهَا ... تُنِيرُ عَلَى مَتْنِ الْغَدِيرِ بِهِ بُرْدَا[٣]

كَأَنَّ الصَّبَا تُلْقَى عَلَيْهِ إِذَا جرتْ ... مَسَائِلَ فِي الأَرْقَامِ أَوْ تَلْعَبُ النَّرْدَا[٤]

أَقَامَ الرَّبِيعُ الطَّلْقُ فِي حَجَرَاتِهَا ... وَأَسْدَى لَهَا مِنْ نِعْمَةِ النِّيلِ مَا أَسْدَى[٥]

فَلِلَّهِ كَمْ مِنْ صَبْوَةٍ كَانَ لِي بِهَا ... رَوَاحٌ إِلَى حُسَّانَةِ الْجِيدِ أَوْ مَغْدَى[٦]

إِذِ الدَّهْرُ لَمْ يُخْفِرْ ذِمَاماً وَلَمْ يَخُنْ ... نِظَاماً وَلَمْ يَحْمِلْ عَلَى ذِي هَوىً حِقْدَا[٧]

تَدُورُ عَلَيْنَا بِالأَحَاظِي شُمُوسُهُ ... وَتُمْسِي عَلَيْنَا طَيْرُ أَنْجُمِهِ سَعْدَا[٨]

وَيَا رُبَّ لَيْلٍ لَفَّنَا بِرِدَائِهِ ... عِنَاقاً كَمَا لَفَّ الصَّبَا الْبَانَ وَالرَّنْدَا[٩]

وَلَثْمٍ تَوَالَى إِثْرَ لَثْمٍ بِثَغْرِهَا ... كَمَا شَافَهَ الْبَازِي عَلَى ظَمَأٍ وِرْدَا[١٠]

فَتَاةٌ كَأَنَّ اللهَ صَوَّرَ لَحْظَهَا ... لِيَهْتِكَ أَسْرَارَ الْقُلُوبِ بِهِ عَمْدَا

لَهَا عَبَثَاتٌ عِنْدَ كُلِّ تَحِيَّةٍ ... تَسُوقُ إِلَيْهَا عَنْ فَرَائِسِهَا الأُسْدَا[١١]

إِذَا انْفَتَلَتْ بِالْكَأْسِ خِلْتَ بَنَانَهَا ... تُدِيرُ عَلَيْنَا مِنْ جَنَى خَدِّهَا وَرْدَا[١٢]

---

(٣) تنير: تنسج. والمتن: الظهر. ويريد بالغدير: الجدول. والبرد: ثوب مخطط.

(٤) الصبا: ريح تهبّ من مطلع الشمس. والنرد: لعبة فارسية الأصل، تعرف عند العامّة بـ «الطاولة».

(٥) الطلق: المشرق الضاحك. والحجرات: النواحي. وأسدى: أعطى.

(٦) الصبوة: جهلة الفتوّة، وصبا إلى حبيبته صبوة وصبوّاً، حنَّ إليها، واشتاق. والرواح: الذهاب والانطلاق. والحسانة: الجميلة، الشديدة الحسن. والمغدى: من الغدوّ، وأصله الذهاب والانطلاق في أول النهار.

(٧) لم يخفر ذماماً: لم ينقض عهداً.

(٨) الأحاظي: جمع حظّ، وهو النصيب والجدّ، أو هو خاصّ بالنصيب من الخير والفضل.

(٩) البان: نوع من الشجر، الواحدة بانة. والرند: شجر طيب الرائحة من أشجار البادية، والرند أيضاً: الآس لطيبه، وربما سمّوا العود رنداً.

(١٠) اللثم: التقبيل. وشافه: قارب. والبازي: نوع من الصقور. والورد: النصيب من الماء.

(١١) العبثات: جمع عبثة، من العبث: وهو اللعب.

(١٢) انفتلت: دارت. والبنان: الأصابع، أو أطرافها، واحدتها بنانة.

وَمَـا أَنْسَـهُ لا أَنْسَ يَـوْمـاً تَسَـابَقَتْ ... بِـهِ عَبْرَتَـاهَا وَالنَّـوَى تَصْدَعُ الصَّلْدَا[13]

فَـلَمْ أَرَ لَـحْـظاً كَـانَ أَقْـتَـلَ بَـاكِـيـاً ... وَأَمْضَى الظُّبَا في الْفَتْكِ ما سَالَ إِفْرِنْدَا[14]

حَـرَامٌ عَلَى الْعَيْنَيْنِ إِنْ لـم تَسِـلْ دَمَـاً ... عَلَى بَيْنِهَا وَالْقَلْبِ إِنْ لَمْ يَذُبْ وَقْدَا[15]

فَيَـا قَلْبُ مَا أَشْجَى إِذَا الـدَّارُ بَاعَـدَتْ ! ... وَيَا دَمْعُ مَا أَجْرَى وَيَا بَيْنُ مَا أَرْدَى ![16]

ويَـا صَاحِبِي الْمَـذْخُـورَ لِلسِّـرِّ ! إِنَّنِي ... ضَلَلْتُ فَهَلْ مِنْ وَثْبَةٍ تُكْسِبُ الْحَمْدَا ؟[17]

حَلَفْتُ بِمَـا اسْتَـوْلَى عَلَيْـهِ نِقَـابُهَـا ... وَيَـا لَـكَ حَلْفـاً ! مَـا أَرَقَّ وَمَـا أَنْـدَى !

بِـأَلَّا تَفِيـءَ الْعَيْنُ عَـنْ سُنَّـةِ الْبُكَـى ... وَأَلَّا تَرِيعَ النَّفْسُ إِنْ لَمْ تَمُتْ وَجْدَا[18]

وَكَيْفَ يُفِيقُ الْقَلْبُ مِنْ سَـوْرَةِ الْـهَـوَى ... وَقَـدْ مَـدَّهُ سِحْـرُ الْعُيُـونِ بِمَـا مَـدَّا ؟

وَمَـا كُنْتُ لَـوْلاَ الْعَـذْلُ أُبْـدِي خَفِيَّـةً ... وَلَكِنْ تَوَالِي الْقَدْحِ يَسْتَرعِفُ الزَّنْدَا[19]

وَمَـنْ لِي بِـأَنَّ الْـقَلْبَ يَـكْتُـمُ وَجْـدَهُ ؟ ... وَكَيْفَ تُسَامُ النَّـارُ أَنْ تَكْتُمَ النَّـدَّا ؟[20]

فَـلاَ وَصْـلَ إِلاَّ ذُكْـرَةٌ تَـبْعَـثُ الأَسَـى ... عَـلَى النَّفْسِ حَتَّـى لا تُـطِيـق لَـهُ رَدَّاً

---

(١٣) العبرة: الدمعة قبل أن تفيض. والنوى: البعد. والصلد: الحجر الصلب.

(١٤) الظبا: جمع ظبة، وهي حد السيف والسنان ونحوهما. والمراد بالظبا هنا: السيوف. وإفرند السيف: ماؤه وجوهره.

(١٥) البين: الفراق. والوقد: اتّقاد النار.

(١٦) شجى: حزن، واهتمّ، واغتمّ. وما أردى: صيغة تعجّب من ردت الخيل: أي عدت، وأسرعت في سيرها.

(١٧) صاحبه المذخور للسر: قلبه الذي يدخره لصيانة سره، وكتمان ما يحرص على ستره وإخفائه من أموره. وقد يراد بالصاحب المذخور للسر: خليل، وصفي يأتمنه على سره ونجواه.

(١٨) تفيء: ترجع. والسنّة: السيرة والطبيعة والطريقة. وتريع: ترجع. والوجد: الحزن.

(١٩) العذل: الملامة. والقدح: ضرب أحد الزندين بالآخر لإخراج النار منهما. ويسترعف الزند: المراد يخرج نار الزند، وهو العود الذي تقدح به النار. استرعف الشيء: استقطره. واسترعف فلاناً: استنزل الرعاف من أنفه.

(٢٠) وتسام: تكلّف. والندّ: عود يتبخر به، أو هو نوع من الطيب، أو هو العنبر.

أَبِيتُ قَرِيحَ الْجَفْنِ لا أَعْرِفُ الْكَرَى طَوالَ اللَّيَالِي والْجَوانِحُ لا تَهْدَا(٢١)

فَيَاأَيُّهَا النُّوَّامُ ! والشَّوْقُ عَازِرٌ أَلَا أَحَدٌ يَشْرِي بِغَفْوَتِهِ السُّهْدَا ؟(٢٢)

لَقَدْ ذَلَّ مَنْ يَبْغِي مِنَ النَّاسِ نَاصِراً وَقَد خَابَ مَنْ يَجْنِي مِنَ الأَرْقَمِ الشَّهْدَا(٢٣)

فَإِيَّاكَ أَنْ تُخْدَعْ بِشِيمَةِ صَاحِبٍ فَمَنْ ظَنَّ خَيْراً بِالزَّمَانِ فَقَدْ أَكْدَى(٢٤)

فَقَدْ طَالَمَا جَرَّبْتُ خِلاًّ فَمَا رَعَى وَحِلْفاً فَمَا أَوْفَى وَعَوْناً فَمَا أَجْدَى

وَمَا النَّاسُ إِلَّا طَالِبٌ غَيْرُ وَاجِدٍ لِمَا يَبْتَغِي أَوْ وَاجِدٌ أَخْطَأَ الْقَصْدَا

فَلَا تَحْسَبَنَّ النَّاسَ أَبْنَاءَ شِيمَةٍ فَمَا كُلُّ مَمْدُودِ الْخُطَا بَطَلاً جَعْدَا(٢٥)

وَقَالَ فِي غَرَضٍ لَهُ :

وَصَاحِبٍ رَعَيْتَ دَهْراً وُدَّهُ وَلَمْ أُبَايِنْ نَهْجَهُ وَقَصْدَهُ(١)

وَكُنْتُ أَرْعَى بِالْمَغِيبِ عَهْدَهُ بَلْ كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَعِيشَ بَعْدَهُ(٢)

وَطَالَمَا أَرْغَمْتُ فِيهِ ضِدَّهُ وَذُدْتُ عَنْهُ مَا يَعُوقُ وَكْدَهُ(٣)

حَتَّى إِذَا مَا الدَّهْرُ أَوْرَى زَنْدَهُ صَعَّرَ لِي بَعْدَ الصَّفَاءِ خَدَّهُ(٤)

---

(٢١) تقرّح الأجفان: كناية عن كثرة البكاء. والكرى: النعاس. والجوانح: أضلاع الصدر، ويراد بها القلب.

(٢٢) عازر: اسم فاعل من عزره، أي منعه، والمراد: منعه من النوم، وحرمه إيّاه. ويشري: يشتري. والسهد: السهر.

(٢٣) الأرقم: أخبث الحيّات، وأطلبها للناس ، أو ما فيه سواد وبياض، أو ذكر الحيّات.

(٢٤) الشيمة: الطبيعة والخلق. وأكدى: أخفق، ولم يظفر بحاجته.

(٢٥) الجعد: الكريم.

(١) رعيت: حفظت وصنت. وأباين: أفارق. والنهج: الطريق الواضح.

(٢) بالمغيب: بالغيب، أي في غيبته. والعهد: الموثق، والحفاظ، ورعاية الحرمة والذمّة والوفاء.

(٣) أرغمته: أهنته وأذللته. والضدّ: المخالف والعدوّ. وذدت: منعت، وأبعدت. والوكد: المراد، والهمّ، والقصد.

(٤) الزند، أورى الزند: ضرب به الزندة لإخراج النار، وأورى الدهر زند فلان: كناية عن أنه أنجده وأعانه وأسعده. وصعَّر خدّه للناس: أماله عن النظر إلى الناس تهاوناً وكبراً.

وَجَازَ فِي بَعْضِ الأُمُورِ حَدَّهُ فَلَمْ أُحَاوِلْ رَدْعَهُ وَرَدَّهُ[٥]
وَلَمْ أُكَدِّرْ بِالْعِتَابِ وِرْدَهُ وَلَوْ أَرَدْتُ أَنْ أَفُلَّ حَدَّهُ[٦]
لَقُلْتُ فِيهِ مَا يَحُزُّ جِلْدَهُ لَكِنَّنِي تَرَكْتُهُ وَحِقْدَهُ
شَأْنُ امْرِئٍ فِي الْمَجْدِ يَرْعَى مَجْدَهُ كُلُّ امْرِئٍ يُنْفِقُ مِمَّا عِنْدَهُ
والْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَعَدَّهُ

وَقَالَ ، وَفِيهَا وَصْفُ اللِّسَانِ :

مَنْ قَلَّدَ الزَّهْرَ جُمَانَ النَّدَى وَأَلْهَمَ الْقُمْرِيَّ حَتَّى شَدَا ؟[١]
وَزَيَّنَ الأَرْضَ بِأَلْوَانِهَا وَصَوَّرَ الأَبْيَضَ والأَسْوَدَا ؟
سُبْحَانَ مَنْ أَبْدَعَ فِي مُلْكِهِ حَتَّى بَدَا مِنْ صُنْعِهِ مَا بَدَا
تَنَزَّهَتْ عَنْ صِفَةٍ ذَاتُهُ وَقَامَ فِي لاهُوتِهِ أَوْحَدَا
فَاسْجُدْ لَهُ وَاقْصِدْ حِمَاهُ تَجِدْ رَبّاً كَرِيماً وَمَلِيكاً هَدَى[٢]
فَقُمْ بِنَا يا صَاحِ نَرْعَ النَّدَى وَنَسْأَلِ اللهَ عَمِيمَ النَّدَى
أَمَا تَرَى كَيْفَ اسْتَحَارَ الدُّجَى ؟ وَكَيْفَ ضَلَّ النَّجْمُ حَتَّى اهْتَدَى[٣]
وَلَاحَ خَيْطُ الْفَجْرِ فِي سُحْرَةٍ كَصَارِمٍ فِي قَسْطَلٍ جُرِّدَا[٤]

---

(٥) ردعه عن الشيء: كفَّه، ومنعه، وزجره.
(٦) الورد: النصيب من الماء. وتكدير ورده: كناية عن إيلامه. وأفلّ: أكسر.
(١) قلّده: جعل في عنقه القلادة. والجمان: اللؤلؤ. وجمان الندى: الندى الشبيه بالجمان. والقمريّ: نوع من الحمام، والأنثى قمريّة .
(٢) المراد بقصد حمى الله تبارك وتعالى: الاتّجاه إليه، وطلب حمايته. والمليك: الملك، أي صاحب الملك كله.
(٣) الدجى: جمع دجية، وهي الظلمة. ويريد باستحارة الدجى: تردّده قبيل الفجر.
(٤) السحرة: السحر الأعلى، أي الوقت قبيل الفجر، وهما سحران: سحر مع الصبح، وسحر قبله. والصارم: السيف القاطع. والقسطل: الغبار.

فَـالْجَـوُّ قَـدْ بـاحَ بِـمَكْـنُـونِـهِ وَالأَرْضُ قَـدْ أَنْجَـزَتِ الْمَـوْعِـدَا
غَـمَـامَـةٌ أَلْـقَـتْ بِـأَفْـلاذِهَـا وَجَـدْوَلٌ مَـدَّ إِلَـيْـنَـا يَـدَا(٥)
فَـانْهَضْ وَسِـرْ وانْـظُرْ ومِـلْ وَابْتَهِـجْ وَامْرَحْ وَطِبْ وَاشْرَبْ لِتُرْوِي الصَّدَى(٦)
وَلاَ تَسـلْ عَـنْ خَـبَـرٍ لَـمْ يَـحِـنْ مِـيقَـاتُـهُ وَانْـظُرْ إِلَى الْـمُـبْـتَـدَا
وَلاَ تَـلُـمْ خِـلاًّ عَـلَـى هَـفْـوَةٍ فَـقَـلَّمَـا تَـلْقَـى فَتـىً أَمْـجَـدَا(٧)
لَـوْ عَـلِمَ الإِنْسَـانُ مـا أَضْـمَـرَتْ أَحْـبَـابُـهُ هَـانَـتْ عَـلَيْـهِ الْعِـدَا
فَـدَعْ بَنِـي الـدُّنْيَـا لأَهْـوَائِـهِـمْ وَلاَ تُـطِـعْ مَـنْ لاَمَ أَوْ فَـنَّـدَا(٨)
مـا لِـي ولِلنَّـاسِ وَأَعْمَـالِـهِـمْ ؟ كُـلُّ امْـرِىءٍ رَهْـنُ حِسَـابٍ غَـدَا
هَـلْ هِـيَ إِلاَّ مُـدَّةٌ تَـنْـقَـضِـي ؟ وكُـلُّ نَـفْسٍ خُـلِقَـتْ لِـلرَّدَى(٩)
فَـاسْتَعْمِـلِ الـرِّفْقَ تَعِشْ رَاشِـداً واعْـطِفْ عَلَى الأَدْنَى تَـكُنْ سَـيِّـدَا
وَاسْـعَ لِـمَـا أَنْتَ لَـهُ فَـالْـفَـتَى إِنْ هَجَـرَ الـرَّاحَـةَ حَـازَ الْمَـدَى
مَـا خَـلَقَ اللهُ الْـوَرَى بَـاطِـلاً لِيَـرْتَعُـوا بَيْنَ الْبَـوَادِي سُـدَى(١٠)
فَـاقْبَـلْ وَصَـاتِـي واسْتَمِـعْ حِكْمَتِي فَلَيْسَ مَـنْ أَغْـوَى كَـمَـنْ أَرْشَـدَا
إِنِّـي وإِنْ كُـنْـتُ أَخَـا صَـبْـوَةٍ وَمِسْمَـعٍ يُـطْرِبُـنِي مَـنْ شَـدَا(١١)

---

(٥) الأفلاذ: جمع فلذة، وهي القطعة من الكبد، ومن الذهب والفضّة واللحم وغيره، وكثر إطلاقها على الأولاد. والمراد بأفلاذ الغمامة: قطراتها.
(٦) الصدى: العطش.
(٧) الهفوة: الزلّة.
(٨) التفنيد: مصدر فنّده، إذا لامه، وخطّأ رأيه.
(٩) الردى: الهلاك.
(١٠) الورى: الخلق، والناس. ورتع: أكل وشرب ما شاء في خصب وسعة. وتركهم سدى: مهملين.
(١١) الصبوة: جهلة الفتوّة، أو الميل إلى جهل الفتاء وحريته.

فَـقَـدْ أَزُورُ الـلَّيْـثَ فـي غَـابِـهِ	وَأَهْـبِطُ الأَرْضَ عَـلَيْـهَـا الـنَّـدَى
وأَصْـدَعُ الْـخَـصْـمَ وَمَـا خِلْتُنِي	أَصْـدَعُ إلاّ الْـبَـطَلَ الأَصْيَـدَا[12]
بِـلَهْـذَمٍ لَـيْـسَـتْ لَـهُ صَـعْـدَةٌ	لَـكِـنَّـهُ يَـمْـضِـي إذا سُـدِّدَا[13]
أَوْ صَـارِمٍ يَـفْـرِي نِـيَـاطَ الْـكُـلَى	وَلَمْ يَـزَلْ في جَفْنِـهِ مُـغْمَـدَا[14]
مَـاضِـي الْـغِـرَارَيْـنِ ولَـكِـنَّـهُ	لا يَعْـرِفُ الصَّيْقَـلَ وَالْـمِبْـرَدَا[15]
أَوْ مِـشْـقَصٍ إنْ فَـوِّقَـتْ نَـصْـلَهُ	إلَى امْـرِئٍ غَيْـرُ يَـدٍ أَقْصَـدا[16]
أَوْ طَـائِـرٍ فـي وَكْـرِهِ جـاثِـمٍ	يَـشْـوقُ إنْ هَـيْـنَـمَ أَوْ غَـرَّدَا[17]
لَـمْ يَعْـدُ كِـنَّـاً لَمْ يَـزَلْ سَـاكِـنـاً	فِـيـهِ وَبَـابـاً دُونَـهُ مُـؤْصَـدَا[18]
قَـدْ لاَنَ إلاَّ أَنَّـهُ إنْ قَـسَـا	يَـوْمَ نِضَـالٍ صَـدَعَ الْجَلْمَـدَا[19]
مُـعْـتَـقَـلٌ لَـكِـنَّـهُ مُـطْلَقٌ	يَجُـولُ في مَسْكَنِـهِ سَـرْمَـدَا[20]

(١٢) الصدع: الشقّ في شيء صلب، والمراد بصدع الخصم، إفحامه، وقهره، والتغلّب عليه بالمنطق القوي والقول البليغ. والأصيد: رافع رأسه كبراً.

(١٣) اللهذم: السنان الحادّ القاطع. والسنان: حديدة الرمح. والصعدة: القناة المستوية، نبتت كذلك لا تحتاج إلى تثقيف.

(١٤) الصارم: السيف القاطع. ويفري: يقطع. والنياط: ما يعلّق به الشيء. والكلى جمع كلية. ونياط الكلى: عصبها وعرقها الذي يربطها بمتنى الظهر. وجفن السيف: غمده.

(١٥) الغراران: الحدان، واحدهما غرار، وهو حدّ السيف والرمح والسهم ونحوها. وصقلت السيف ونحوه صقلاً: جلوته، والصيقل: شحّاذ السيوف وجلاّؤها.

(١٦) المشقص: سهم ذو نصل عريض. والنصل: حديدة السهم. وتفويق النصل: جعل الوتر في فوقه، أي في أعلاه عند الرمي. وأقصد إقصاداً: أصاب، فقتل.

(١٧) هينم: صوّت صوتاً خفيّاً. وغرّد: طرّب في صوته وغنّى.

(١٨) عدا المكان يعدوه عدواً: جاوزه، وغادره، وتركه. والكنّ: البيت. ومؤصد: مغلق، من آصد الباب.

(١٩) صدع: شقّ. والجلمد: الصخر.

(٢٠) سرمداً: دائماً.



يَـحْكُـمُ بِـالـذَّوْقِ عَلَى مـا يَـرَى وَيَـعْـرِفُ الأَصْـلَحَ والأَفْـسَـدَا

لَـهُ صِحَـابٌ قَـدْ أَحَـاطَـتْ بِـهِ تَنْقُـلُ عَنْـهُ نَبَـرَاتِ الصَّـدَى(٢١)

فَهْـوَ بِهَـا مُـجْـتَـمِـعٌ شَـمْـلُهُ إنْ أَصْـدَرَ الْـقَـوْلَ بِـهَـا أَوْرَدَا(٢٢)

مُشْتَبِهَـاتُ الـرَّصْـفِ فِي جَـوْدَةٍ تَـبَـارَكَ اللهُ الَّـذِي جَـوَّدَا

يَـبِـيـتُ مِـنْـهَـا وَهْـوَ ذُو مِـرَّةٍ فِي رَصَـفٍ مِـنْ لُـؤْلُـؤٍ نُـضِّـدَا(٢٣)

ذَاكَ لِسَـانِي وَهْـوَ حَـسْـبِـي إِذَا مَـا أَبْـرَقَ الْحَـاسِـدُ أَوْ أَرْعَـدَا(٢٤)

وقَالَ في النَّسِيبِ:

مَـا لِقَلْبِي مِنْ لَـوْعَـةٍ لَيْسَ يَهْـدَا؟ أَوَ لَـمْ يَـكْـفِ أَنَّـهُ ذَابَ وَجْـدَا؟

وَسَـمَـتْـنِـي بِـنَـارِهَـا الْـغِـيـدُ حَـتَّـى تَـرَكَـتْـنِـي فِي عَـالَـمِ الْـحُـبِّ فَـرْدَا(١)

فَضُلُوعِي مِنْ قَـدْحَـةِ الـزَّنْـدِ أَوْرَى وَدُمُـوعِي مِنْ صَفْحَةِ الْغَيْمِ أَنْـدَى(٢)

مَـا عَـلَى الْبَـرْقِ لَـوْ تَـحَـمَّـلَ عَـنِّي بَـعْـضَ مَـا خَـفَّ مِـنْ سَـلَامٍ فَـأَدَّى

أَيُّـهَـا الـسَّـاهِـرُونَ حَـوْلَ وِسَـادِي لَسْتُ مِنْكُمْ أَوْ تَـذْكُـرُوا لِيَ نَجْـدَا(٣)

---

(٢١) يريد بالصحاب: الأسنان.

(٢٢) رجل مصدر: أي متمّ للأمور.

(٢٣) ذو مرّة: قويّ. والمرّة: القوّة. والرصف: حجارة مرصوف بعضها إلى بعض في مسيل، الواحدة رصفة، مثل قصبة وقصب، والمراد بالرصف (هنا): الأسنان المرصوفة. ونضّد: نظّم.

(٢٤) هو حسبي: هو يكفيني. والإبراق والإرعاد: كناية عن التهديد والوعيد.

(١) الوسم: أثر الكيّ. وسمه: جعل فيه بالكيّ أثراً وعلامة. والغيد: جمع غيداء، وهي الحسناء الناعمة المتثنّية ليناً.

(٢) القدحة: اسم مرّة من قدح الزند، أي أخرج منه ناره. والزند: العود الذي تقدح به النار، وهو الأعلى، والزندة السفلى، وهما زندان. وأورى: اسم تفضيل من ورى الزند يرى ورياً، إذا خرجت ناره. والصفحة: الوجه. وصفحة كلّ شيء: جانبه.

(٣) الوساد والوسادة: المخدّة والمتّكأ. ونجد: اسم للأراضي العالية في وسط الجزيرة العربية، وخصّه الشاعر بالذكر، لأنه كان موطن الحبّ العنيف العفيف.

وَعُهُوداً لَمْ يَتْرُكِ الدَّهْرُ مِنْهَا لِأَخِي صَبْوَةٍ ذِمَاماً وَعَهْدَا(٤)

وَنَسِيماً إِذَا سَرَى ضَوَّعَ الْآ فَاقَ مِسْكاً وَعَطَّرَ الْجَوَّ نَدَّا(٥)

لا تَخُوضُوا في غَيْرِهِ مِنْ حَدِيثٍ فَهْوَ حَسْبِي وأَيُّ مَاءٍ كَصَدَّا ؟(٦)

هِيَ أُحْدُوثَةٌ تُسَاقُ ولَكِنْ رُبَّمَا اسْتَوْجَبَتْ ثَنَاءً وَحَمْدَا

آهِ مِنْ لَوْعَةٍ أَطَارَتْ بِقَلْبِي شُعْلَةً شَفَّتِ الْجَوانِحَ وَقْدَا(٧)

كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ تَنَاهَى غَرَامِي عَادَ مِنْهُ مَا كَانَ أَصْمَى وَأَرْدَى(٨)

يَا رَفِيقِي إِذَا عَرَانِيَ خَطْبٌ وَنَصِيرِي إِذَا خَصِيمٌ تَصَدَّى(٩)

أَصْبَحَتْ حَاجَتِي إِلَيْكَ فَخُذْلِي بِحُقُوقِي مِنْ ظَالِمٍ قَدْ تَعَدَّى

وَجَدَ الْقَلْبَ خَالِياً فَاحْتَوَاهُ وَرَأَى النَّفْسَ طَوْعَهُ فَاسْتَبَدَّا

وَكَذاكَ السُّلْطَانُ إِنْ ظَنَّ بِالْأُمَّـ ـةِ عَجْزاً سَطَا عَلَيْهَا وَشَدَّا

فَأَقِلْنِي مِنْ عَثْرَةِ الْحُبِّ إِنْ أُو تِيتَ حُكْماً أَوْ قُلْ لِقَلْبِيَ يَهْدَا(١٠)

فَمِنَ الْعَارِ غَضُّ طَرْفِكَ عَنِّي إِنَّ خَيْرَ الصِّحَابِ أَنْفَعُ وُدَّا(١١)

---

(٤) الصبوة: جهلة الفتوّة، أو الميل إلى جهل الفتاء وحرّيته ولهوه ومرحه، والمراد بأخي الصبوة: العاشق المرح. والذمام: الحقّ، والحرمة.

(٥) ضوع العطر: نشره. والآفاق: جمع أفق، وهو الناحية. والمسك: طيب معروف، وهو أفضل الطيب عند العرب، وكانت تسميه المشموم، وهو فارسيّ معرّب. والندّ: نوع من الطيب، أو هو العنبر.

(٦) صَدًّا: أصله صدّاء، اسم ركيَّة، أو عين لم يكن عند العرب أعذب منها. ومن أمثالهم: «ماء ولا كَصَدَّاء».

(٧) شفّه الهمّ ونحوه: هزله وأنحله. والجوانح: أضلاع الصدر، واحدتها جانحة. والوقد: اتّقاد النار.

(٨) تناهى: انتهى وذهب. وأصمى: أشد وأمضى. وأردى: أسرع وأكثر إصابة.

(٩) الخطب: النازلة، والشديدة من نوازل الدهر وشدائده. والخصيم: الخصم. وتصدى له: تعرّض.

(١٠) أقال الله عثرته: رفعه من سقوطه. (١١) غضّ طرفه: خفضه.

وَبِنَفْسِي حُلْوُ الشَمَائِلِ مُرُّ الْـ ـهَجْرِ يُحْيِي وَصْلاً وَيَقْتُلُ صَدَّا[١٢]
ذُو قَوَامٍ أَعْدَى مِنَ الرُّمْحِ لِيناً وَلِحَاظٍ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ حَدَّا
كَانَ قَلْبِي وَدِيعَةً عِنْدَ عَيْنَيْـ ـهِ فَآلَى بِالسِّحْرِ أَلاَّ يُرَدَّا[١٣]
مَا عَلَى قَوْمِهِ وَإِنْ كُنْتُ حُرّاً أَنْ دَعَتْنِي لَهُ الْمَحَبَّةُ عَبْدَا ؟
غُصْنُ بَانٍ قَدْ أَطْلَعَ الْحُسْنُ فِيهِ بِيَدِ السِّحْرِ جُلَّناراً وَوَرْدَا[١٤]
مَا هِلاَلُ السَّماءِ ؟ مَا الظَّبْيُ ؟ ما الْوَرْ دُ جَنِيّاً ؟ ما الْغُصْنُ إِذْ يَتَهَدَّى ؟[١٥]
هُوَ أَبْهَى وَجْهاً وَأَقْتَلُ أَلْحَا ظاً وَأَنْدَى خَدّاً وَأَلْيَنُ قَدَّا
فَدَعِ اللَّوْمَ يَا عَذُولُ فَإِنِّي لَسْتُ أَبْغِي مِنَ الْعَوَاذِلِ رُشْدَا[١٦]
لاَ تَخَلْنِي عَلَى غَرَاتِكَ سَهْلاً أَنَا أَدْرَى بِلَوْعَتِي مِنْكَ جِدَّا[١٧]
لَسْتُ أَقْوَى عَلَى الصُّدُودِ وَإِنْ كُنْـ ـتُ عَلَى سَوْرَةِ الْحَوَادِثِ جَلْدَا[١٨]
إِنْ تَكُنْ رَحْمَةٌ فَنَفْسِيَ أَوْلَى أَوْ تَكُنْ ضَلَّةٌ فَرَبِّيَ أَهْدَى[١٩]

وقَالَ :

لَقَدْ طَالَ عَهْدِي بِالشَّبَابِ وَإِنَّهُ لأَدْعَى لِشَوْقِي أَنْ يَطُولَ بِهِ عَهْدِي
تَبِيتُ عُيُونٌ بِالْكَرَى مُطْمَئِنَّةً وَعَيْنَايَ فِي بَرْحٍ مِنَ الدَّمْعِ والسُّهْدِ[١]

---

(١٢) الشمائل: جمع شمال بمعنى الخُلُق والطبع. والصدّ: الإعراض والهجران.
(١٣) آلى: حلف.
(١٤) البان: شجر يشبّه بغصنه قدّ الحسناء في الاعتدال واللين والتثنّي. والجلنار: زهر الرمّان.
(١٥) الظبي: الغزال. وجنياً: غضّاً نضيراً، قد جنى من ساعته. ويتهدّى: يريد يتهادى ويتمايل.
(١٦) العذول: صفة من عذله، أي لامه.
(١٧) الغراة: اسم من أغرى فلان بين القوم، أي أفسد، وألقى بينهم العداوة.
(١٨) الصدود: الإعراض والهجر.
(١٩) الضلّة: الحيرة.
(١) الكرى: النعاس. والبرح: الشدّة. والسهد: الأرق والسهر.

فَلَيْتَ الَّذِي حَازَ الشَّبِيبَةَ رَدَّهَا وَلَيْتَ الَّذِي أَهْدَى لَنَا الشَّيْبَ لَمْ يُهْدِ
كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ سِتِّينَ حِجَّةً مَسَحْتُ بِهَا عَنْ نَاظِرِي سِنَةَ الْفَهْدِ[٢]
فَسُحْقاً لِدَارٍ لا يَدُومُ نَعِيمُهَا وَتَبّاً لِخِلٍّ لا يَدُومُ على الْعَهْدِ[٣]
وَكَيْفَ يَلَذُّ الْمَرْءُ بِالْعَيْشِ بَعْدَمَا رَأى أَنَّ سُمَّ الْمَوْتِ في ذَلِكَ الشَّهْدِ ؟
إذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَضِدِّهَا سِوَى مُهْلَةٍ فَاللَّحْدُ أَشْبَهُ بِالْمَهْدِ
وَلِلْمَوْتِ أَسْبَابٌ يَنَالُ بِهَا الْفَتَى فَمَنْ بَاتَ في نَجْدٍ كَمَنْ بَاتَ فِي وَهْدِ[٤]
وَكُلُّ امْرِىءٍ في النَّاسِ لاقٍ حِمَامَهُ فَسِيَّانِ رَبُّ الْعَيْرِ والْفَرَسِ النَّهْدِ[٥]
وَلَوْلاَ ارْتِيَاعُ النَّفْسِ مِنْ صَوْلَةِ الرَّدَى لَمَا عَفَّ عَنْ طِيبِ النَّعِيمِ أَخُو زُهْدِ[٦]
فَدَعْ ما مَضَى واصْبِرْ عَلَى حِكْمَةِ الْقَضَا فَلَيْسَ يَنَالُ الْمَرْءُ مَا فَاتَ بِالْجَهْدِ
وَلاَ تَلْتَمِسْ مِنْ غَيْرِ مَوْلاَكَ هَادِياً إِذَا اللهُ لَمْ يَهْدِ الْعِبَادَ فَمَنْ يَهْدِي ؟

وَقَالَ وَأَرْسَلَ بِهَا إلى الأَمِيرِ « شَكِيب أَرْسَلاَن »[★] يَعْتَذِرُ عَنْ تَأَخُّرِهِ في الإِجَابَةِ لِرَمَد لَحِقَ بِهِ :

---

(٢) الحجّة: السنة. والسِنة: النعاس. والفهد: سبع بين القطّ والنمر جسماً، وأشبه بالأول منه بالثاني، وهو كثير النوم.
(٣) السحق: البعد. والتبّ: النقص والخسار والهلاك. والخلّ: الصديق، ويريد به (هنا): الشباب.
(٤) النجد: ما ارتفع من الأرض. والوهد: الأرض المنخفضة.
(٥) الحِمام: قدر الموت. والعِيْر: الحمار. والفرس النهد: الحسن الجميل.
(٦) الارتياع: الفزع والخوف. والصولة: الوثوب، والاستطالة، والسطوة. والردى: الهلاك والموت. وعف: كفّ، وامتنع عما لا يحلّ، ولا يجمل. وأخو الزهد: الزاهد..
(★) شكيب أرسلان، الملقب بأمير البيان: (١٨٦٩ - ١٩٤٦) أديب، ناقد، خطيب، كاتب، شاعر، مؤرخ، سياسي، رحّالة، تحمّس للعرب والإسلام، وعالج القضايا العربية بكتاباته ومقالاته الصحفية، وكان من أعضاء المجمع العلمي بدمشق. مؤلفاته كثيرة قيمة، منها «الحلل السندسية في الرحلة الأندلسية» في عشرة مجلدات، وتعليقات على كتاب «حاضر الإسلام». ولد ودفن بالشويفات من قرى لبنان.

أَدِّي الـرِّسَالَـةَ يَـا عُصْفُـورَةَ الْـوَادِي وَبَـاكِـرِي الْحَيَّ مِنْ قَـوْلِي بِـإِنْشَـادِ

تَـرَقَّبِي سِنَـةَ الْحُـرَّاسِ وانْـطَلِقِي بَيْنَ الْخَمَـائِلِ مِنْ « لُبْنَـانَ » وَارْتَادِي(١)

لَـعَـلَّ نَـغْـمَـةَ وُدٍّ مِـنْـكِ شَـائِـقَـةً تَهُزُّ عِطْفَ « شَكِيبٍ » كَـوْكَبِ النَّادِي(٢)

هُـوَ الْهُمَـامُ الَّـذِي أَحْيَـا بِمَنْـطِقِـهِ آثَارَ قَـوْمٍ أَجَـادُوا النُّطْقَ بِـالضَّـادِ(٣)

تَلْقَي بِـهِ أَحْنَفَ الأَخْـلاَقِ مُنْتَـدِيـاً وفي الْكَـرِيهَـةِ عَمْـراً وَابْنَ شَـدَّادِ(٤)

أَخِـي وِدَاداً وَحَسْـبِي أَنَّـهُ نَـسَـبٌ خَـالِي الصَّحِيفَـةِ مِنْ غِـلٍّ وَأَحْقَـادِ(٥)

أَفَـادَنِي أَدَبـاً مِـنْ مَـنْـطِقٍ شَـهِـدَتْ بِفَضْلِهِ النَّـاسُ مِنْ قَـارٍ وَمِنْ بَـادِي(٦)

عَـذْبِ الشَّـرِيعَـةِ لَـوْ أَنَّ السَّحَـابَ هَمَى بِمِثْلِهِ لَمْ يَدَعْ في الأَرْضِ مِنْ صَادِي(٧)

سَـرَتْ بِـقَلْبِي مِـنْـهُ نَـشْـوَةٌ مَـلَكَـتْ بِحُسْنِهَـا مِسْمَعِي عَنْ نَغْمَـةِ الشَّـادِي

---

(١) السنة: النعاس، أو أول النوم. والخمائل: جمع خميلة، وهي الشجر الكثير الملتف. ولبنان: وطن الأمير «شكيب». والارتياد: الطلب.

(٢) هزّ العطف: كناية عن إثارة عاطفة الإعجاب. والنادي: مجلس القوم ومتحدّثهم.

(٣) الهمام: السيد، الشجاع، السخيّ، العظيم الهمّة من الرجال.

(٤) أحنف الأخلاق: أخلاقه تشبه أخلاق الأحنف، وهو أبو بحر الضحّاك بن قيس بن معاوية التميميّ، الملقّب بالأحنف، يضرب المثل به في الحلم، وكان سيد تميم، وأحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين.

وعمرو بن معد يكرب الزبيدي: فارس زبيد في الجاهليّة، وأحد أبطال المسلمين في وقعتي اليرموك والقادسيّة، وهو من الشعراء المخضرمين. عمّر طويلاً، ومات سنة ٢١ هـ. وكان يضرب به المثل في الشجاعة.

وعنترة بن عمرو بن شدّاد العبسيّ: أحد فرسان العرب وشعرائها المشهورين بالفخر والحماسة، وكانت أمّه حبشيَّة، وأبوه من سادات بني عبس. خاض مع عبس أكثر وقائعها، حتى ضرب به المثل في الشجاعة والإقدام.

(٥) الغلّ: الغشّ والحقد.

(٦) القاري: ساكن القرية. والبادي: اسم فاعل من بدا القوم أي خرجوا إلى البادية.

(٧) الشريعة: مورد الشاربة، أي الموضع الذي يردون منه الماء للاستقاء. وهمى: سال. والصادي: العطشان.



يَابْنَ الْكِرَامِ ! عَدَتْنِي عَنْكَ عَادِيَةٌ كَادَتْ تَسُدُّ عَلَى عَيْنِي بِأَسْدَادِ[8]

فَاعْذِرْ أَخَاكَ فَلَوْلا مَا بِهِ لَجَرَى في حَلْبَةِ الشُّكْرِ جَرْيَ السَّابِقِ الْعَادِي

وَهَاكَهَا تُحْفَةً مِنِّي وَإِنْ صَغُرَتْ فَالدُّرُّ وهْوَ صَغِيرٌ حَلْيُ أَجْيَادِ

وَكَتَبَ إِلى صَاحِبِ جَرِيدَةِ النَّحْلَةِ(★) :

أَلَا يَا « نَحْلَةً » سَرَحتْ فَحَازَتْ سُلَالَةَ مَا تَوَلَّتْهُ الْعِهَادُ[1]

تَلَقَّتْهَا النِّجَادُ بِمَا أَسَرَّتْ ضَمَائِرُهَا وَحَيَّتْهَا الْوِهَادُ[2]

سَعَتْ جَهْداً فَنَالَتْ مَا تَمَنَّتْ كَذَاكَ الدَّهْرُ سَعْيٌ وَاجْتِهَادُ

فَلَا عَجَبٌ إِذَا جَاءَتْ بِخَيْرٍ فَلَوْلا النَّحْلُ مَا كَانَ الشِّهَادُ

وَكَيْفَ وَرَبُّهَا شَهْمٌ ذَكِيٌّ لَهُ في كُلِّ مُعْضِلَةٍ جِهَادُ[3]

تَجَافَى النَّوْمَ في طَلَبِ الْمَعَالِي وَطَابَ لِعَيْنِهِ فِيهَا السُّهَادُ[4]

فَأَصْبَحَ وُدُّهُ في كُلِّ قَلْبٍ نَزِيلاً وَالْقُلُوبُ لَهُ مِهَادُ

وَقَالَ مُفْتَخِراً :

---

(٨) عدتني : صرفتني وشغلتني . والأسداد: جمع سد، وهو الحاجز.

(★) جريدة النحلة: صحيفة سياسيَّة انتقاديّة، نصفها بالعربية، ونصفها الآخر بالإنجليزية، وبها بعض قصائد شعريّة، ومقالات ورسائل في الأدب والأخلاق لبعض كتّاب الهند وإيران والبلدان العربيّة. وكان صاحبها «جون لويس صابونجي» يصدرها مرة كلّ أسبوعين من مطبعة النحلة بلندن سنة ١٨٧٨ م.

(١) السلالة: ما انسلّ وخرج من الشيء، وهي أيضاً الولد، والمراد بها (هنا): ما تمتصّه النحلة من رحيق الأزهار ونحوها. وتولّته: تعهّدته وأصلحته وأنبتته. والعهاد: أمطار أول السنة.

(٢) النجاد: جمع نجد، وهو ما ارتفع من الأرض. والوهاد: جمع وهد، وهو الأرض المنخفضة.

(٣) ربّها: صاحبها ومالكها. وشهم: جلد، ذكيّ الفؤاد، متوقّد نشيط. والمعضلة: المشكلة العسيرة.

(٤) السهاد: الأرق والسهر.

أَنَــا مَـصْــدَرُ الْكَلِمِ الـنَّـوَادِي ... بَـيْنَ الْـحَــواضِــرِ وَالْـبَــوادِي[1]

أَنَــا فَــارِسٌ أَنَــا شَـاعِــرٌ ... فِــي كُــلِّ مَـلْـحَــمَــةٍ وَنَــادِي[2]

فَــإِذَا رَكِـبْــتُ فَــإِنَّــنِــي ... زَيْــدُ الْفَــوارِسِ فِي الْجِــلادِ[3]

وإِذَا نَــطَقْــتُ فَــإِنَّــنِــي ... قُسُّ بْــنُ سَــاعِــدَةَ الإِيَــادِي[4]

هَــذَا وذَلِــكَ دَيْــدَنِــي ... فِــي كُــلِّ مُـعْـضِــلَةٍ نَــآدِ[5]★

وَقَالَ :

وَمُنَــادِمٍ غَــرِدِ الْحَــدِيثِ كَــأَنَّمَــا ... أَلْفَــاظُهُ فِي السَّمْــعِ نَغْمَةُ عُــودِ[1]

تُغْنِي الإِشَــارَةُ مِنْهُ عَنْ تَصْــرِيحِــهِ ... وَتَــدُلُّ لَـفْـظَتُــهُ عَلَى الْـمَقْـصُــودِ

سَحَــرَ الْعُـقُــولَ بَيَــانُــهُ فَكَــأَنَّــهُ ... يَسْقِي الْجَلِيسَ سُلافَـةَ الْعُنْقُــودِ[2]

---

(١) النوادي: جمع نادية، اسم فاعلٍ من الندى، وهو بعد ذهاب الصوت، يقال: فلان أندى صوتاً من فلان، إذا كان أبعد منه صوتاً.

(٢) الملحمة: الوقعة العظيمة القتل. والنادي: مجلس القوم نهاراً، أو المجلس ما داموا مجتمعين فيه.

(٣) زيد الفوارس: هو ابن حصين بن ضرار الضبّيّ، فارس شاعر جاهلي مشهور، يضرب به المثل في الشجاعة وشدّة البأس. والجلاد: القتال.

(٤) قسّ بن ساعدة الإيادي: من خطباء العرب في الجاهليّة، وهو أوسعهم شهرة، وأبعدهم صيتاً، وكان يدين بالتوحيد، ويؤمن بالبعث، وكان الناس يتحاكمون إليه، فيقضي بينهم بسديد رأيه، وصائب حكمه، وقد سمعه النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وهو يخطب، فأعجب به، وأثنى عليه.

(٥) ديدني: عادتي. والمعضلة: المشكلة العسيرة، والأمر الصعب. والنآد: الداهية.

(★) توفي البارودي أصيل يوم الاثنين السادس من شوال سنة ١٣٢٢ هـ الموافق ١٢ من ديسمبر سنة ١٩٠٤ م عن نحو خمس وستين سنة ميلادية. ويقال إن هذه الأبيات الفخرية هي آخر ما نظمه وهو في مرض موته (في رمضان سنة ١٣٢٢ هـ ـ نوفمبر سنة ١٩٠٤ م).

(١) المنادم: من يجالسك على الشراب.

(٢) البيان: الفصاحة، واللسن، والمنطق العذب البليغ. وسلافة كلّ شيء عصرته: أوّله. وسلافة العنقود: أجود الخمر المستخرجة من العنب.



وَقَالَ :

هَلْ فِي التَّصَابِي عَلَى امْرِئٍ فَنَدُ ؟ أَمْ هَلْ يَعِيبُ الْفَتَى الْكَرِيمَ دَدُ[1] ؟

كُلٌّ مَسُوقٌ لِمَا أُرِيدَ بِهِ فَفِيمَ هَذَا الْخِصَامُ واللَّدَدُ[2] ؟

لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الطِّبَاعِ مُخْتَلَفٌ مَا شَذَّ عَنْ طَبْعِ وَالِدٍ وَلَدُ

وَلَوْ تَسَاوَى الرِّجَالُ في خُلُقٍ لَزَالَ هَذَا الْخِلافُ والْحَرَدُ[3]

وَالنَّاسُ شَتَّى وَإِنْ هُمُ اجْتَمَعُوا في وَاحِدٍ لَيْسَ قَبْلَهُ أَحَدُ

فَزَائِغٌ في الضَّلالِ مُنْهَمِكٌ وَنَاسِكٌ في الصَّلَاحِ مُجْتَهِدُ[4]

وَأَيُّ لَوْمٍ عَلَى امْرِئٍ طَلَبَ الْـ ـلَهْوَ وَأَثْوَابُ عُمْرِهِ جُدُدُ

لِكُلِّ عَصْرٍ مِنْ كَبْرَةٍ وصِباً شَوْطٌ لَهُ بَعْدَ مُهْلَةٍ أَمَدُ[5]

فَاسْعَ لِمَا شِئْتَ غَيْرَ مُتَّئِدٍ فَلَنْ يَحُوزَ الْكَمَالَ مُتَّئِدُ[6]

لَوْلَا سُرَى الْبَدْرِ مَا اسْتَنَارَ وَلَا أَدْرَكَ شَأْوَ الْخِطَارِ مُنْجَرِدُ[7]

وَلَا يَهُمَّنْكَ لَوْمُ ذِي حَسَدٍ فَشَأْنُ أَهْلِ الْعَدَاوَةِ الْحَسَدُ

لَوْ حَذِرَ الْمَرْءُ كُلَّ لَائِمَةٍ لَضَاعَ مِنْهُ الصَّوَابُ وَالرَّشَدُ

---

(١) يريد بالتصابي: مرح الشباب، ولهوه، ومغازلة النساء، والحنين إليهن. والفند: الخطأ، وضعف الرأي. والدد: اللهو واللعب.

(٢) اللدد: شدة الخصومة.

(٣) الحرد: الغضب.

(٤) زائغ: مائل منحرف. ومنهمك: منغمس لجوج. وناسك: عابد.

(٥) الكبرة: علوّ السنّ. والشوط: الجري مرة إلى غاية. والأمد: الغاية.

(٦) غير متّئد: غير وان، ولا متمهّل.

(٧) الشأو: الغاية والأمد. والخطار: جمع خطر، وهو السبق، أي ما يوضع بين المتسابقين، ويتراهن عليه. ومنجرد: فرس قصير الشعر رقيقه، وهذا من صفات الحسن في الخيل، والمراد منطلق سبّاق.

وَلَـوْ أَصَـخْنَـا لِـكُـلِّ مُـنْـتَـقِـدٍ فَـكُـلُّ شَـيْءٍ فِي الـدَّهْـرِ مُـنْـتَـقَـدُ
وَالْـهُ بِـمَـا شِئْتُ قَـبْـلَ مَـنْـدَمَـةٍ يَـكْـثُـرُ فِـيهَـا الْـعَـنَـاءُ وَالْـكَـمَـدُ
فَـلَيْسَ بَـعْـدَ الـشَّـبَـابِ مُـقْـتَـرَحٌ وَلاَ وَرَاءَ الْـمَـشِـيـبِ مُـفْـتَـقَـدُ[8]

وَقَالَ :

جَـاوَزْتَ فِي اللَّوْمِ حَـدَّ الْقَصْـدِ فَـاتَّئِـدِ فَلَسْتَ أَشْفَقَ مِنْ نَفْسِي عَلَى كَبِـدِي[1]
دَعْنِي مِنَ اللَّوْمِ إِنْ كُنْتَ امْـرَأً فَـطِـنـاً فَـاللَّوْمُ فِي الْحُبِّ مَعْـدُودٌ مِنَ الْحَسَـدِ
إِنِّي لأَرْضَى بِـمَـا فِي الْـحُـبِّ مِـنْ أَلَـمٍ وَلَسْتُ أَرْضَى بِمَا فِي الْقَوْلِ مِنْ فَنَـدِ[2]
لَـوْ كَـانَ لِلْمَـرْءِ عَقْـلٌ يَـسْـتَـدِلُّ بِـهِ عَلى الْحَقِيقَـةِ لَمْ يَـعْـتُـبْ عَلَى أَحَـدِ
إِنْ كُنْتَ ذَا إِمْـرَةٍ فَـانْـهَ الصَّبَابَـةَ عَنْ قَلْبِي لِتَغْنَمَ شُـكْـرِي آخِـرَ الأَبَـدِ[3]
أَوْ لاَ فَـدَعْـنِي وَلاَ تَـعْـنُـفْ عَـلَيَّ فَـمَـا أَمْـرِي إِلَيَّ وَلاَ حُكْـمُ الْهَـوَى بِـيَـدِي
إِنَّ الْـفَـتَـاةَ الَّـتِي هَـامَ الْـفُـؤَادُ بِـهَـا أَخْفَتْ عَلَيَّ سَبِيـلَ الْحَـزْمِ والسَّـدَدِ
أَغْضَبْتُ فِي حُبِّهَـا أَهْلِي فَمَا بَـرِحُـوا إِلْبـاً عَلَيَّ وَكَـانُـوا لِي مِنَ الْـعُـدَدِ[4]
قَـالُـوا تَعَلَّقْ بِـأُخْـرَى كَيْ تَـذُودَ بِهَـا بَـرْحَ الأَسَى عَنْ فُؤَادٍ دَائِمِ الْكَمَـدِ[5]
فَـقُلْتُ هَـيْـهَـاتَ أَنْ أَبْـغِي بِـهَـا بَـدَلاً لَمْ يَخْلُقِ اللهُ مِنْ قَـلْبَيْـنِ فِي جَسَـدِ[6]

---

(٨) مقترح: اسم مفعول من الاقتراح، وهو الاجتباء والاختيار أو ابتداع الشيء. ومفتقد: طلب الشيء عند غيبته.
(١) اتَّئد: تمهّل وتأنّ.
(٢) الفند: الخطأ في القول والرأي، والكذب.
(٣) الإمرة: الإمارة، والولاية. والصبابة: رقّة الشوق وحرارته، أو رقّة الهوى، وتبريح الحب. والأبد: الدهر.
(٤) إلباً: مجتمعين على العداوة، يقال: هم عليه ألب وإلب، إذا كانوا مجتمعين عليه بالظلم والعداوة. ومعنى «وكانوا لي من العدد»: وكانوا لي أعواناً وأنصاراً.
(٥) تذود: تمنع وتدفع. والبرح: الشدّة والشرّ. والكمد: الحزن المكتوم.
(٦) هيهات: كلمة معناها البعد.

وَقَالَ :

قَلِيلٌ مَنْ يَدُومُ عَلَى الْوِدَادِ ... فَلَا تَحْفِلْ بِقُرْبٍ أَوْ بِعَادِ
إِذَا كَانَ التَّغَيُّرُ فِي اللَّيَالِي ... فَكَيْفَ يَدُومُ وُدٌّ فِي فُؤَادِ ؟
وَمَنْ لَكَ أَنْ تَرَى قَلْباً نَقِيّاً ... وَلَمَّا يَخْلُ قَلْبٌ مِنْ سَوَادِ ؟[1]
فَلَا تَبْذُلْ هَوَاكَ إِلَى خَلِيلٍ ... تَظُنُّ بِهِ الْوَفَاءَ وَلَا تُعَادِ
وَكُنْ مُتَوَسِّطاً فِي كُلِّ حَالٍ ... لِتَأْمَنَ مَا تَخَافُ مِنَ الْعِنَادِ
مُدَارَاةُ الرِّجَالِ أَخَفُّ وَطْئاً ... عَلَى الإِنْسَانِ مِنْ حَرْبِ الْفَسَادِ
يَعِيشُ الْمَرْءُ مَحْبُوباً إِذَا مَا ... نَحَا فِي سَيْرِهِ قَصْدَ السَّدَادِ
وَمَا الدُّنْيَا سِوَى عَجْزٍ وَحِرْصٍ ... هُمَا أَصْلُ الْخَلِيقَةِ فِي الْعِبَادِ
فَلَوْلَا الْعَجْزُ مَا كَانَ التَّصَافِي ... وَلَوْلَا الْحِرْصُ مَا كَانَ التَّعَادِي
وَمَا عَقَدَ الرِّجَالُ الْوُدَّ إِلَّا ... لِنَفْعٍ أَوْ لِمَنْعٍ مِنْ تَعَادِي
وَمَا كَانَ الْعِدَاءُ يَخِفُّ لَوْلَا ... أَذَى السُّلْطَانِ أَوْ خَوْفُ الْمَعَادِ
فَيَابْنَ أَبِي وَلَسْتَ بِهِ وَلَكِنْ ... كِلَانَا زَرْعُ أَرْضٍ لِلْحَصَادِ
تَأَمَّلْ هَلْ تَرَى أَثَراً فَإِنِّي ... أَرَى الآثَارَ تَذْهَبُ كَالرَّمَادِ
حَيَاةُ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا خَيَالٌ ... وَعَاقِبَةُ الأُمُورِ إِلَى نَفَادِ[2]
فَطُوبَى لامْرِيءٍ غَلَبَتْ هَوَاهُ ... بَصِيرَتُهُ فَبَاتَ عَلَى رَشَادِ[3]

وَقَالَ :

إِذَا افْتَقَرَ الْمَرْءُ اسْتَهَانَ بِفَضْلِهِ ... ذَوُو قُرْبِهِ وَاسْتَهْجَنَتْهُ الأَبَاعِدُ

---

(١) سواد القلب : حبته.

(٢) عاقبة كل شيء : آخره.

(٣) الطوبى : الحسنى، والخير، والجنّة.

فَـإِنْ قَـالَ حَـقّـاً كَـذَّبُـوهُ وإِنْ أَبـى مُجَارَاتَهُمْ في الْغَيِّ قَالُـوا مُعَانِـدُ[1]

فَـحُـجَّـتُـهُ مَـطْلُولَـةٌ وَهْـيَ حَـقَّـةٌ وَمَنْـطِقُـهُ مُسْتَكْـرَهٌ وَهْـوَ قَـاصِـدُ[2]

فَحَافِظ عَلَى ما نِلْتَ بِـالسَّعْيِ مِنْ غِنىً فَبِالْمَالِ لا بِـالْفَضْلِ تَعْنُـو الْمَقَاصِـدُ[3]

وَقَالَ في الْحَضِّ عَلَى حِفْظِ السِّرِّ :

عَـوِّدْ فُـؤَادَكَ أَنْ يَـكُـونَ مَـجَـنَّـةً لِلسِّـرِّ فَهْوَ لَـدَى الْمَحَافِـلِ حَمْدُهُ[1]

السِّـرُّ عَبْـدُكَ مـا اسْـتَطَعْتَ حِفَـاظَـهُ فَـإِذَا أَفَـضْتَ بِـهِ فَـإِنَّـكَ عَـبْـدُهُ

وَقَالَ يَذُمُّ رَجُلاً :

وَصَـاحِـبٍ لاَ كَـانَ مِـنْ صَـاحِـبٍ أَخْـلاَقُـهُ كَـالْمِعْـدَةِ الْـفَـاسِـدَهْ

أَقْبَـحُ مَـا فِي الـنَّـاسِ مِنْ خَـصْلَةٍ أَحْسَنُ مَـا فِـي نَفْسِـهِ الْجَـامِـدَه

لَـوْ أَنَّـهُ صُـوِّرَ مِـنْ طَـبْـعِـهِ كَـانَ - لَعَمْـرِي - عَقْـرَبـاً رَاصِـدَهْ

يَـصْـلُحُ لِـلصَّـفْـعِ لِكَـيْـلاَ يُـرَى في عَـدَدِ النـاسِ بِـلا فَـائِـدَهْ[1]

يَـغْـلِبُـهُ الـضَّـعْـفُ وَلَـكِـنَّـهُ يَـهْـدِمُ فِـي قَـعْـدَتِـهِ الْـمَـائِـدَهْ

يُـرَاقِـبُ الـصَّـحْـنَ عَـلَى غَـفْـلَةٍ مِـنْ أَهْـلِهِ كَـالْـهِـرَّةِ الـصَّـائِـدَهْ

كَـأَنَّـمَـا أُظْـفُـورُهُ مِـنْـجَـلٌ وَبَـيْـنَ فَـكَّـيْـهِ رَحـىً راعِـدَهْ[2]

كَـأَنَّـمَـا الْـبَـطَّةُ فـي حَـلْقِـهِ نَـعَـامَـةٌ فـي سَبْـسَـبٍ شَـارِدَهْ[3]

---

(١) الغيّ: الضلال، والانهماك في الجهل. (٢) مطلولة: ضائعة، مهدرة، باطلة.

(٣) تعنو: تذلّ وتخضع، والمراد تسهل وتتيسّر.

(١) مجنة: اسم مكان بزيادة التاء، من جنّه الليل، أي ستره، وواراه. والمحافل: جمع محفل، وهو المجتمع.

(١) الصفع: مصدر صفعه، أي بسط كفّه وضرب بها قفاه، أو بدنه.

(٢) الأظفور: الظفر. والمنجل: حديدة يقضب بها الزرع، أي يقطع ويحصد.

(٣) السبسب: المفازة، أو الأرض المستوية البعيدة.

تَسْمَعُ لِلْبَلْعِ نَقِيقاً كَمَا نَقَّتْ ضَفَادِي لَيْلَةٍ رَاكِدَهْ[٤]

كَأَنَّمَا أَنْفَاسُهُ حَرْجَفٌ وَبَيْنَ جَنْبَيْهِ لَظىً وَاقِدَهْ[٥]

وَيْلُمِّهِ إذْ مَخَضَتْ هَلْ دَرَتْ أَنَّ الرَّدَى في بَطْنِهَا الْعَاقِدَهْ ؟[٦]

تَبّاً لَهَا شَنْعَاءَ جَاءَتْ بِهِ مِنْ لَقْحَةٍ في فَقْحَةٍ كَاسِدَهْ[٧]

لا رَحْمَةُ اللهِ عَلَى وَالِدٍ غَمَّ بِهِ الدُّنْيَا ولا وَالِدَهْ[٨]

وَقَالَ :

وَشَامِخٍ في ذُرَى شَمَّاءَ بَاذِخَةٍ لا يَعْرِفُ الصِّدْقَ إنْ وَالَى وَإنْ عَادَى[١]

يَعُودُهُ النَّاسُ إنْ مَرَّ النَّسِيمُ بِهِ وَلَا يَعُودُ مِنَ الإشْفَاقِ مَنْ عَادَا

لا يَهْدَأُ الدَّهْرُ مِنْ ظُلْمٍ يُحَاوِلُهُ فَإنْ قَضى وَطَراً مِنْ غَدْرَةٍ عَادَا[٢]

يَسْطُو بِهَذا وَيَرْمِي ذَاكَ عَنْ عُرُضٍ كَطَارِدٍ يَقْتَفِي صَيْدَيْنِ إذْ عَادَى[٣]

---

(٤) النقيق: صياح الضفدع. والضفادي: الضفادع.

(٥) الحرجف: الريح الباردة الشديدة الهبوب. واللظى: النار.

(٦) ويلمه: ويل لأمه. ومخضت الحامل: جاءها المخاض، وهو وجع الولادة. والردى: الهلاك. وعاقدة: غليظة، وهي صفة للبطن قبلها، وذلك على القول بجواز تأنيثه.

(٧) تبّاً: هلاكاً، والتبّ أيضاً: النقص والخسار. وشنعاء: قبيحة، فظيعة، مفرطة في القبح، كريهة. واللقحة: اسم مرة من لقحت الناقة ونحوها، أي قبلت اللقاح، ولقحت المرأة: حبلت، على تشبيهها بالناقة. والفقحة: حلقة الدبر. وكاسدة: غير نافقة، لقلة من يرغب فيها.

(٨) غمّ به الدنيا: حزنها بولادته، وساءها.

(١) شامخ: متكبّر. والذرى: جمع ذروة، وهي أعلى كل شيء. وشمّاء: مرتفعة. وباذخة: عالية. والموالاة: ضدّ المعاداة، والى يوالي موالاة، وعادى يعادي معاداة.

(٢) الوطر: الحاجة. وقضى وطره: نال بغيته وحاجته. والغدرة: اسم مرة من الغدر.

(٣) يسطو: يبطش. وعرض الشيء: ناحيته، من أيّ وجه جئته، ونظر إليه عن عرض: أي من جانب وناحية، ورماه عن عرض: أي كيفما اتّفق، من غير مبالاة، ولا اكتراث. والطارد: الصائد. وعادى بين الصيدين معاداة وعداء: والى وتابع بينهما، وصرع أحدهما على أثر الآخر في طلق واحد.



أَبَادَهُ الدَّهْرُ رَغْمَاً بَيْنَ أُسْرَتِهِ كَمَا أَبَادَ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَادَا[٤]
فَاعْرِفْ إلٰهَكَ وَاحْذَرْ أَنْ تَبِيتَ عَلَى وِزْرٍ وَلَا تَتَّخِذْ ظُلْمَ الْوَرَى عَادَا[٥]

وَقَالَ :

يَأَيُّهَا الظَّالِمُ فِي مُلْكِهِ أَغَرَّكَ الْمُلْكُ الَّذِي يَنْفَدُ ؟[١]
اصْنَعْ بِنَا مَا شِئْتَ مِنْ قَسْوَةٍ فَاللهُ عَدْلٌ وَالتَّلَاقِي غَدُ

وَقَالَ في الاسْتِغَاثَةِ :

يَا مَنْ إلَيْهِ الْوُجُوهُ خَاشِعَةٌ وَمَنْ عَلَيْهِ فِي الْكَوْنِ مُعْتَمَدِي
مَدَدْتُ كَفِّي إلَيْكَ مُبْتَهِلاً وَأَنْتَ حَسْبِي فَلَا تَرُدَّ يَدِي

وَقَالَ في الزُّهْدِ :

لَا عَيْشَ إلَّا لِلنَّفَادِ فَاحْبِبْ حَيَاتَكَ أَوْ فَعَادِ
وَابْخَلْ بِنَفْسِكَ أَوْ فَجُدْ كُلُّ الْأُمُورِ إِلَى فَسَادِ
أَيْنَ الْأُلَى شَقُّوا الْبُحُو رَ وَشَيَّدُوا ذَاتَ الْعِمَادِ ؟[١]
مَلَكُوا التَّهَائِمَ وَالنَّجَا ئِدَ وَالْحَوَاضِرَ وَالْبَوَادِي[٢]

---

(٤) رغماً: قسراً وقهراً وذلاً. وريح صرصر: شديدة الصوت أو البرد. وعاد: قبيلة هود عليه السلام، وهي من قبائل العرب البائدة، وكانت تسكن الأحقاف جنوبيّ الجزيرة العربية، وقصّتها مشهورة في القرآن الكريم.

(٥) الوزر: الإثم والذنب. والورى: الخلق والناس. وعاد: جمع عادة.

(١) ينفد: يفنى ويزول وينقطع ويذهب.

(١) ذات العماد: المدن والأمكنة ذات الأبنية العالية الرفيعة، أو أراد: إرم ذات العماد: وهي مدينة عظيمة، رفيعة البنيان، تامة العمران، كانت لقبيلة عاد قوم هود عليه السلام، من قبائل العرب البائدة، في جنوبيّ الجزيرة العربيّة.

(٢) التهامة: الأرض المنخفضة. وجمعها تهائم، وضدها النجد، وهو الأرض المرتفعة الصلبة.

بَـلْ أَيْـنَ أَصْـحَـابُ الْـوُفُـو دِ وَأَيْـنَ أَرْبَـابُ الْجِـلَادِ ؟[٣]

الـطَّاعِـمُـونَ الـطَّاعِـنُـو نَ الْقَـائِلُونَ بِكُـلِّ نَـادِي[٤]

الْكَـاشِـفُـونَ الـضُّـرَّ وَالْـ ـعَـافُـونَ عَنْ ذَنْبِ الْـعِبَـادِ

بَـلْ أَيْـنَ صُـنَّـاعُ الْـقَـرِيـ ـضِ الْجَزْلِ وَالْكَلِمِ الْفِرَادِ ؟[٥]

كَـالـشَّـاعِـرِ الـضِّـلِّـيـلِ أَوْ قُسِّ بْـنِ سَـاعِـدَةَ الإِيَـادِي[٦]

لَـعِبَ الـزَّمَـانُ بِـجَـمْـعِـهِـمْ وَرَمَـى بِـهِـمْ فـي كُـلِّ وَادِي

فَـكَـأَنَّـهُـمْ لَـمْ يَـلْـبَـثُـوا إِلَّا بَـيَـاضـاً فـي سَـوَادِ

وَقَالَ :

بَلِينَـا وَسِـرْبَـالُ الـزَّمَـانِ جَـدِيـدُ وَهَـلْ لِامْـرِىءٍ في الْعَـالَمِينَ خُلُود ؟[١]

قَضَى آدمُ في الـدَّهْـرِ وَهْـوَ أَبُـو الْـوَرَى وَكُـلُّ الَّـذِي مِـنْ صُلْبِـهِ سَيَبِيـدُ[٢]

---

(٣) يريد بأصحاب الوفود: من كانت تقصدهم وفود الناس، كالملوك ونحوهم. وأرباب الجلاد: أصحاب القتال، ذوو البأس والشجاعة.

(٤) النادي: مجلس القوم ومتحدّثهم، وأراد بالقائلين بكل ناد: ذوي اللسن والفصاحة، وأهل البيان والبلاغة.

(٥) القريض: الشعر. والجزل: الكثير الجيّد، أو ما كان فخم اللفظ، قويّ الأسلوب. والفراد: جمع فردة، بمعنى منفردة، أي منقطعة النظير في حسن النظم والبلاغة.

(٦) يريد بالشاعر الضليل: امرؤ القيس بن حجر الكنديّ، رأس شعراء الجاهلية وأسبقهم إلى التفنّن في أبواب الشعر وضروبه، كان من أصل يمنيّ، ولكنه نشأ بأرض نجد وسط قوم عدنانيين، هم رعيَّة أبيه من بني أسد، وقد مات وهو راجع من بلاد الروم، ودفن بأنقرة قبل الهجرة بنحو قرن، وكان يلقب بالملك الضّلّيل.

وقسّ بن ساعدة الإياديّ: هو خطيب العرب، والمضروب به المثل في البلاغة والحكمة والموعظة الحسنة، كان يدين بالتوحيد، ويؤمن بالبعث، ويخطب العرب في المحافل العامّة والمواسم والأسواق، وكان الناس يتحاكمون إليه، فيقضي بينهم بسديد رأيه، وصائب حكمه.

(١) بلي الثوب: رث، وذهبت جدّته. والسربال: الثوب، أو القميص، أو الدرع، أو كلّ ما لبس. والعالمون: جمع عالم، وهو الخلق.

(٢) قضى: مات. والورى: الخلق. وصلبه: ظهره، والمراد: نسله، وسلالته.



فَــلاَ تَـبْـكِ مَيْـتـاً حَـانَ يَـوْمُ رَحِيلِهِ ... فَلِلْمَـوْتِ مَـا يَمْضِي الْفَتى وَيَـرُودُ[3]

وَلاَ تَـلْتَـمِسْ أَمْـراً يَـزِيـدُكَ يَـقْـظَةً ... فَـلَيْسَ لإِدْرَاكِ الْيَـقِـيـنِ مَـزِيـدُ[4]

دَعِ الْفَلَكَ الـدَّوَّارَ يَـجْـرِي وَلاَ تَسَـلْ ... أَفَـوَّزَ كَـهْـلٌ أَمْ أَهَـلَّ وَلِـيـدُ ؟[5]

فَمَـا هَـذِهِ الـدُّنْيَـا وَإِنْ جـلَّ قَـدْرُهَـا ... سِـوَى مُـهْـلَةٍ نَـأْتِـي لَـهَـا وَنَـعُـودُ

تَبُـوخُ بِهَـا الأَنْـفَـاسُ وَهْيَ نَـسَـائِمٌ ... وَتَـعْفُـو بِـهَـا الأَبْـدَانُ وَهْيَ صَـعِـيـدُ

فَيَـا ضَـارِبـاً في الأَرْضِ يَـرْتَـادُ غَـايَـةً ... رُوَيْـدَكَ إِنَّ الْفَـوْزَ مِنْـكَ بَـعِيـدُ[6]★

---

(٣) يرود: يطلب، والرود أيضاً: الذهاب والمجيىء

(٤) تلتمس: تطلب.

(٥) المراد بالفلك الدوّار: أمور الدنيا، وأحوال الكون. وفوّز: مات وهلك. والكهل: من وخطه الشيب. وأهلَّ الطفل: رفع صوته بالبكاء عند ولادته، أو ظهر، من قولهم: أهلّ الهلال: إذا ظهر. والوليد: الطفل المولود.

(٦) الضرب في الأرض: السير فيها، والسعي لابتغاء الرزق. ويرتاد: ارتاد الرائد الكلأ: إذا طلبه في موضعه. ورويدك: تمهّل واتّئد.

(★) وفي الأصل المخطوط الذي بين أيدينا أمثلة وصور لتنقيح الشعر وتهذيبه بالتعديل والتبديل في بعض المفردات، وبعض الأبيات، وأنصاف الأبيات، بأن تطمس الكلمة، أو الشطر، أو البيت، أو يضرب عليه، ليعدل عنه، أو يستبدل به غيره. وكلمة «رويدك» في هذا البيت كتبت في هامش الأصل بإزاء كلمة «وراءك» المضروب عليها، أو المعدول عنها.

والبيت الذي يلي هذا البيت (وهو البيت التاسع، أي الأخير من هذه القصيدة الداليَّة الزهديّة) مطموس فى هذا الأصل ونصّه:

مَتَى تَحْسُنُ الـدُّنْيَـا وفِي كُـلِّ لَحْظَةٍ ... (يُفَـاجِئُنَـا) فِـيـهَـا الـرَّدَى فَـتَبِـيـدُ

والكلمة التي بين قوسين في أول الشطر الثاني تكملة ظنية اجتهادية، لأن الكلمة الأصلية بولغ في طمسها فلم نستطع قراءتها.



قافية الذال

قَالَ :

دَعِ الذُّلَّ في الدُّنْيا لِمَنْ خافَ حَتْفَهُ ... فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ عَلَى أَذى

ولا تَصْطَحِبْ إلَّا امْرأً إنْ دَعَوْتَهُ ... لَدى جَمَرَاتِ الْحَرْبِ لَبَّاكَ وَاحْتَذَى[1]

يَسُرُّكَ عِنْدَ الأَمْنِ فَضْلاً وحِكْمَةً ... ويُرْضِيكَ يَوْمَ الرَّوْعِ نَبْلاً مُقَذَّذا[2]

فَيَا حَبَّذَا الْخِلُّ الصَّفِيُّ وهَلْ أرى ... نَصِيباً مِنَ الدُّنْيَا إذَا قُلْتُ حَبَّذَا[3]

لَعمْرِي لَقَدْ نَادَيْتُ لَوْ أَنَّ سَامِعاً ... ونَوَّهْتُ بِالأَحْرَارِ لَوْ أَنَّ مُنْقِذَا

وَطَوَّفْتُ بِالآفاقِ حَتَّى كَأَنَّنِي ... أُحَاوِلُ مِنْ هذي الْبَسِيطَةِ مَنْفَذا

فَمَا وَقَعَتْ عَيْنِي عَلَى غَيْرِ أَحْمَقٍ ... غَوِيٍّ يَظُنُّ الْمَجْدَ في الرِّيِّ والْغِذَا[4]

إذَا مَا رَأَيْتُ الشَّيْءَ في غَيْرِ أَهْلِهِ ... وَلَمْ أَسْتَطِعْ رَدَّاً طَرَفْتُ عَلَى قَذَى[5]

فَحَتَّى مَتَى يَا دَهْرُ أَكْتُمُ لَوْعَةً ... تُكَلِّفُ قَلْبِي كُلْفَةَ الرِّيحِ بِالشَّذَا ؟

---

(١) لدى جمرات الحرب: عند اتّقاد نارها. ولبّاك: أجابك، وأقام على طاعتك.

(٢) يوم الروع: يوم الفزع والخوف في الشدّة والحرب ونحوهما. ومقذّذ: مسوّى.

(٣) الخل: الصديق.

(٤) أحمق: قليل العقل. وغويّ: ضالّ، منهمك في الجهل. والغذا: الغذاء، الشراب.

(٥) طرف بصره: أطبق أحد جفنيه على الآخر. والقذى: ما يسقط في العين فيهيجها، ويسيل دمعها.

أَلَمْ يَـأْنِ لِـلأَيَّـامِ أَنْ تُبْصِـرَ الْهُـدَى ... فَتَخْفِضَ مَـأْفُونـاً وَتَـرْفَـعَ جِهْبِـذَا ؟[٦]
إِذَا لَمْ يَكُنْ بِـالـدَّهْـرِ خَبْلٌ لَمَـا غَـدَا ... يَسِيرُ بِنَا في ظُلْمَـةِ الْجُـورِ هَكَـذَا[٧]

وَقَالَ :

تَـغَنَّـى الْـحَـمَـامُ وَنَـمَّ الـشَّـذَا ... وَلَاحَ الـصَّـبَـاحُ فَـيَـا حَـبَّـذَا !
وَمَـا زَالَ يَـرْضَـعُ طِفْـلُ النَّبَـاتِ ... ثُـدِيَّ الْـغَـمَـامَـةِ حَتَّـى اغْـتَـذَى
فَقُـمْ نَـغْـتَـنِـمْ صَـفْـوَ أَيَّـامِـنَـا ... وَنَـدْفَـعُ بِـالـرَّاحِ عَنَّـا الأَذَى[١]
فَمَـا بَعْـدَ عَـصْـرِ الصِّـبَـا لَـذَّةٌ ... وَلَا مِثْـلُ صَفْـوِ الْحُمَيَّـا غِـذَا[٢]
تَـذُودُ عَـنِ الْـقَـلْـبِ أَحْـزَانَـهُ ... وَتَنْفِي عَنِ الْعَيْنِ شَـوْبَ الْقَـذَى[٣]
وَتَـجْـلُـو الـظَّـلَامَ بِـلأْلَائِـهَـا ... كَـأَنَّ بِـأَيْـدِي السُّقَـاةِ الْجُـذَا[٤]
إِذَا مَـا احْتَسَـاهَـا كَـرِيـمٌ هَـذَى ... وَإِنْ عَـبَّ فِـيـهَـا لَئِـيـمٌ هَـذَى
فَـدَعْ مَـا تَـوَلَّـى وَخُـذْ مَـا أَتَـى ... فَـلَـنْ يَـصْـلُـحَ الْـعَـيْـشُ إِلَّا كَـذَا

---

(٦) المأفون: الضعيف الرأي والعقل. والجهبذ: النقّاد الخبير ببواطن الأمور.
(٧) الخبل: فساد الأعضاء حتى لا يدري المختبل كيف يمشي، والخبل: الجنون وشبهه، كالهوج والبله. والجور: الظلم والميل عن القصد.
(١) الراح: الخمر.
(٢) حميّا الكأس: سورتها وشدّتها، أو إسكارها، أو أخذها بالرأس، والمراد بصفو الحميّا: خلاصة الخمر وصفوتها.
(٣) تذود: تدفع وتطرد. والشوب: الخلط، والمراد ما يشوب العين ويخالطها. والقذى: ما يسقط في العين فيهيجها.
(٤) اللألاء: البريق واللمعان. والجذا: جمع جذوة، وهي القبسة من النار.

قافية الراء

قَالَ يَصِفُ أيَّام الرَّبيعِ ويَذْكُرُ مَوَاسِمَ اللَّهْوِ في عَصْرِ الشَّبابِ :

رَمَتْ بِخُيُوطِ النُّورِ كَهْرَبَةُ الْفَجْرِ ... ونَمَّتْ بِأَسْرَارِ النَّدَى شَفَةُ الزَّهْرِ[1]

وَسَارَتْ بِأَنْفَاسِ الخَمَائِلِ نَسْمَةٌ ... بَلِيْلَةُ مَهْوَى الذَّيْلِ عَاطِرَةُ النَّشْرِ[2]

فَقُمْ نَغْتَنِمْ صَفْوَ الْبُكُورِ فَإِنَّهَا ... غَدَاةُ رَبِيعٍ زَهْرُهَا بَاسِمُ الثَّغْرِ[3]

تَرَى بَيْنَ سَطْحِ الأَرْضِ وَالْجَوِّ نِسْبَةً ... تُشَاكِلُ ما بَيْنَ السَّحَائِبِ وَالْغُدْرِ[4]

فَفِي الْجَوِّ هَتَّانٌ يَسِيلُ وَفِي الثَّرَى ... سُيُولٌ تَرَامَى بَيْنَ أَوْدِيَةٍ غُزْرِ[5]

غَمَامَانِ فَيَّاضَانِ هَذَا بِأُفْقِهِ ... يَسِيرُ وَهَذا فِي طِبَاقِ الثَّرَى يَسْري[6]

---

(١) نمّ السرّ وبالسرّ: أشاعه وأفشاه.

(٢) الخمائل: جمع خميلة، وهي الشجر المجتمع الكثيف، والموضع الكثير الشجر. ومهوى الذيل: طرفه، اسم مكان من هوى يهوي أي سقط. والنشر: الرائحة.

(٣) اغتنم الشيء: أصابه غنيمة، وهي ما يفوز به الإنسان بلا تعب ولا مشقّة. الغداة: أول النهار، أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس.

(٤) النسبة: النسب والقرابة، والمراد الصلة. وتشاكل: تشابه وتضارع وتوافق. والغدر: جمع غدير، وهو القطعة من الماء يغادرها السيل، أي يتركها.

(٥) سحاب هتّان: كثير الهتون، وهو الهطل والانصباب والتتابع. والثرى: الأرض. وغزر: كثيرة الماء.

(٦) غمامان: مثنى غمام، وهو السحاب، واحدته غمامة. وطباق الثرى: طبقاته التي يعلو بعضها بعضاً.

وَقَدْ مَاجَتِ الأَغْصَانُ بَيْنَ يَدِ الصَّبَا | كَمَا رَفْرَفَتْ طَيْرٌ بِأَجْنِحَةٍ خُضْرِ(٧)
كَأَنَّ النَّدَى فَوْقَ الشَّقِيقِ مَدَامِعٌ | تَجُولُ بِخَدٍّ أَوْ جُمَانٌ عَلَى تِبْرِ(٨)
إِذَا غَازَلَتْهَا لَمْعَةٌ ذَهَبِيَّةٌ | مِنَ الشَّمْسِ رَفَّتْ كَالشَّرَارِ عَلَى الْجَمْرِ(٩)
فَفِي كُلِّ مَرْعَى لَحْظَةٍ وَشْيُ دِيمَةٍ | وَفِي كُلِّ مَرْمَى خَطْوَةٍ أَجْرَعُ مُثْرِي(١٠)
مُرُوجٌ جَلاَهَا الزَّهْرُ حَتَّى كَأَنَّهَا | سَمَاءٌ تَرُوقُ الْعَيْنَ بِالأَنْجُمِ الزُّهْرِ(١١)
كَأَنَّ صِحَافَ النُّورِ والطَّلُّ جَامِدٌ | مَبَاسِمُ أَصْدَافٍ تَبَسَّمْنَ عَنْ دُرِّ(١٢)
وَقَدْ شَاقَنِي والصُّبْحُ فِي خِدْرِ أُمِّهِ | حَنِينُ حَمَامَاتٍ تَجَاوَبْنَ فِي وَكْرِ(١٣)
هَتَفْنَ فَأَطْرَبْنَ الْقُلُوبَ كَأَنَّمَا | تَعَلَّمْنَ أَلْحَانَ الصَّبَابَةِ مِنْ شِعْرِي(١٤)
وَقَامَ عَلَى الْجُدْرَانِ أَعْرَفُ لَمْ يَزَلْ | يُبَدِّدُ أَحْلاَمَ النِّيَامِ وَلاَ يَدْرِي(١٥)

---

(٧) الصبا: ريح تهبّ في بلاد العرب من جهة المشرق.

(٨) يريد بالشقيق: شقائق النعمان. ويريد بالمدامع: الدموع، وهي في الأصل المآقي، أي أطراف العين حيث تسيل الدموع. والجمان: حبّ من فضّة يعمل على شكل اللؤلؤ، وقد يسمّى به اللؤلؤ، الواحدة جمانة. والتبر: ما كان من الذهب غير مضروب ولا مصوغ.

(٩) رفّت: برقت وتلألأت.

(١٠) اللحظة (هنا): النظرة، والمراد بمرعى اللحظة: مجال النظر. والوشي: نقش الثوب، ويكون من كل لون. والديمة: مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق. والأجرع: الرملة السهلة المستوية، الطيّبة المنبت. والمثري: الكثير الخير.

(١١) جلاها الزهر: زيّنها وجمّلها، أو علاها، أو أوضح محاسنها. والزهر: النيّرة المشرقة، البيض الحسان، واحدها أزهر.

(١٢) الصحاف: جمع صحفة، وهي إناء يؤكل فيه. والنور: الزهر، واحدته نورة. والطل: المطر الخفيف، أو أضعف المطر، والمراد به قطرات الندى فوق ورق الزهر. والمباسم: جمع مبسم، وهو الثغر. والدرّ: اللآلىء، واحدته درّة.

(١٣) شاقني: هيّج شوقي. والخدر: الستر. والوكر: عشّ الطائر حيث كان في شجر أو جبل.

(١٤) هتفت الحمامة تهتف: صاتت وسجعت. والألحان: الأصوات المصوغة الموضوعة، يرسلها المغني بعد ضبطها ووزنها، أو هي الأغاني. والصبابة: الشوق، أو رقّته وحرارته، أو رقّة الهوى.

(١٥) المراد بالأعرف (هنا): الديك.

تَخَايَلَ فِي مَوْشِيَّةٍ عَبْقَرِيَّةٍ مُهَدَّلَةِ الأَرْدَانِ سَابِغَةِ الأُزْرِ(١٦)

لَهُ كِبْرَةٌ تَبْدُو عَلَيْهِ كَأَنَّهُ مَلِيكٌ عَلَيْهِ التَّاجُ يَنْظُرُ عَنْ شَزْرِ(١٧)

فَسَارِعْ إِلى دَاعِي الصَّبُوحِ مَعَ النَّدَى لِتَجْنِي بِأَيْدِي اللَّهْوِ بَاكُورَةَ الْعُمْرِ(١٨)

فَقَدْ نَسَمَتْ رِيحُ الشَّمَالِ فَنَبَّهَتْ عُيُونَ الْقَمَارِي وَهْيَ فِي سِنَةِ الْفَجْرِ(١٩)

وَنَادَى الْمُنَادِي لِلصَّلاةِ بِسُحْرَةٍ فأحْيَا الْوَرَى مِنْ بَعْدِ طَيٍّ إِلى نَشْرِ(٢٠)

فَبَادِرْ لِمِيقَاتِ الصَّلاةِ وَمِلْ بِنَا إِلى الْقَصْفِ مَا بَيْنَ الْجَزِيرَةِ والنَّهْرِ(٢١)

إِذَا مَا قَضَيْنَا وَاجِبَ الدِّينِ حَقَّهُ فَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْخَلاعَةِ مِنْ وِزْرِ(٢٢)

أَلا رُبَّ يَوْمٍ كَانَ تَارِيخَ صَبْوَةٍ مَضَى غَيْرَ إِثْرٍ في الْمَخِيلَةِ أَوْ ذِكْرِ(٢٣)

عَصَيْتُ بِهِ سُلْطَانَ حِلْمِي وَقَادَنِي إلى اللَّهْوِ شَيْطَانُ الْخَلاَعَةِ والسُّكْرِ

لَدَى رَوْضَةٍ رَيَّا الْغُصُونِ تَرَنَّحَتْ مَعَاطِفُهَا رَقْصاً عَلَى نَغْمَةِ الْقُمْرِي(٢٤)

---

(١٦) تخايل: تكبّر. وموشيّة: منقوشة، اسم مفعول من الوشي، وهو نقش الثوب. وعبقريّة: تامّة الحسن، نسبة إلى عبقر. ومهدّلة: مسترسلة مرخاة طويلة. والأردان: جمع ردن وهو الكمّ. وسابغة: واسعة طويلة تامّة. والأزر: جمع إزار، وهو الثوب، والملحفة، وكلّ ما ستر الجسم.

(١٧) الكبرة: العظمة والتجبّر والكبرياء. ونظر إليه شزراً: إذا كان بمؤخر عينه، وهو نظر فيه إعراض وتكبّر، كنظر المباغض والغضبان.

(١٨) الصبوح: شراب الصباح. وباكورة الفاكهة: أول ما يدرك منها.

(١٩) القماري: جمع قمريّة، وهي نوع من الحمام، والقمرة في الأصل البياض، أو هي لون مائل إلى الخضرة، أو بياض فيه كدرة. والسنة: النعاس أو أول النوم.

(٢٠) السحرة: السحر، وهو آخر الليل قبيل الصبح، والمراد وقت الفجر. والورى: الخلق والناس. والمراد بالطي: النوم. والمراد بالنشر: اليقظة والانتشار في الأرض.

(٢١) ميقات الصلاة: وقتها المضروب لأدائها. والقصف: اللهو واللعب. ويريد بالجزيرة: روضة المقياس في نهر النيل، شرقي الجيزة، وغربيّ مصر القديمة.

(٢٢) الخلاعة: المجون وعدم المبالاة. والوزر: الإثم والذنب.

(٢٣) الصبوة: الميل إلى الجهل والفتوّة. والإثر: الأثر، والمراد الصورة. والمخيلة: الوهم والخيال. والذكر: التذكّر، والشيء يجري على اللسان.

(٢٤) الروضة: أرض ذات شجر وعشب وزهر. وترنّحت: تمايلت. ومعاطفها: جوانبها حيث تنعطف وتنثني. والقمريّ: نوع من الحمام.



تَـدُورُ عَـلَيْنَـا بِـالْـمُـدَامَـةِ بَيْـنَـهَـا تَمَـاثِيـلُ إلَّا أَنَّهَـا بَيْنَنَـا تَـجْـرِي[٢٥]

تَـرَى كُـلَّ مَيْـلاءِ الْخِمَـارِ مِنَ الصِّبَـا هَضِيمَةِ مَجْرَى الْبَنْـدِ نَاهِـدَةِ الصَّدْرِ[٢٦]

إذَا انْـفَتَـلَتْ فِي حَـاجَـةٍ خِلْتَ جُؤْذُراً أَحسَّ بِـصَـيَّـادٍ فَـأَتْـلَعَ مِـنْ ذُعْـرِ[٢٧]

لَـوَى قَـدَّهَـا سُكْـرُ الْخَـلَاعَـةِ وَالصِّبَـا فَمَالَتْ بِشَطْرٍ واسْتَقَـامَتْ عَلَى شَطْرِ[٢٨]

وَعَـلَّمَـهَـا وَحْـيُ الـدَّلالِ كَـهَـانَـةً فَإنْ نَطَقَتْ جَاءَتْ بِشَيْءٍ مِنَ السِّحْرِ[٢٩]

أَحَسَّتْ بِمَـا فِي نَفْسِهَـا مِنْ مَـلاحَـةٍ فَتَـاهَتْ عَلَيْنَا وَالْمَـلاحَةُ قَـدْ تُغْـرِي[٣٠]

وَأَعْـجَبَـهَـا وَجْـدِي بِهَـا فَـتَـكَـبَّـرَتْ عَلَيَّ دَلالاً وَهْيَ تَصْـدُرُ عَنْ أَمْـرِي[٣١]

فَتَـاةٌ يَجُـولُ السِّحْـرُ فِي لَحَـظَاتِـهَـا مَجَـالَ الْمَنَـايَـا فِي الْمُهَنَّـدَةِ الْبُتْـرِ[٣٢]

إذَا نَـظَرَتْ أَوْ أَقْـبَـلَتْ أَوْ تَـهَـلَّلَتْ فَـوَيْلُ مَهَـاةِ الرَّمْـلِ وَالْغُصْنِ وَالْبَدْرِ[٣٣]

---

(٢٥) المدامة: الخمر. والتماثيل: الفتيات الحسان اللائي يسقينهم.

(٢٦) ميلاء: مائلة. والخمار: ثوب تغطّي به المرأة رأسها. وهضيمة: ضامرة خميصة نحيفة لطيفة. والبند: النطاق. ومجرى البند: الخاصرة والوسط. وناهدة: صفة من نهد الثدي نهوداً إذا ظهر وارتفع.

(٢٧) الجؤذر: ولد البقرة الوحشية تشبّه به المرأة الحسناء في الرشاقة وجمال العيون واتساعها. وأتلع الظبي ونحوه: سما بجيده، ومدّ عنقه متطاولاً.

(٢٨) القدّ: القوام والاعتدال.

(٢٩) الوحي: الإيماء والإشارة والإلهام، وكل ما ألقيته إلى غيرك ليعلمه. والكهانة: مصدر كهن له إذا قضى له بالغيب، والمراد بالكهانة هنا: السحر، أو عذوبة القول، ولطف الحديث، لأن الكاهن يستميل من يكهن له بكلام ساحر شديد التأثير.

(٣٠) الملاحة: الحسن. وتاهت: تكبّرت.

(٣١) تصدر عن أمره: تطيعه ولا تخالفه.

(٣٢) اللحظات: جمع لحظة، وهي النظرة بمؤخر العين. ومجال: مصدر ميمي بمعنى الجولان وهو الطواف والدوران. والمهنّدة: السيوف المطبوعة من حديد الهند، وهي أجود السيوف، يقال سيف هندواني ومهنّد. والبتر: جمع أبتر، أي نافذ قاطع.

(٣٣) تهلّلت: تلألأ وجهها وأشرق. والمهاة: البقرة الوحشية، تشبّه بها الحسناء في جمال العيون واتساعها.

فَمَا زِلْنَ يُغْرِينَ الطلاَ بِعُقُولِنَا	إلَى أنْ سَقَطْنَا لِلْيَدَيْنِ ولِلنَّحْرِ(٣٤)
فَمِنْ واقِعٍ يَهْذِي وآخَرَ ذاهِلٍ	لَهُ جَسَدٌ ما فِيهِ رُوحٌ سِوَى الْخَمْرِ(٣٥)
صَرِيعٌ يَظُنُّ الشُّهْبَ مِنْهُ قَرِيبَةً	فَيَسْدُو بِكَفَّيهِ إلى مَطْلَعِ النَّسْرِ(٣٦)
إذَا مَا دَعَوْتَ الْمَرءَ دَارَ بِلَحْظِهِ	إلَيْكَ وَغَشَّاهُ الذُّهُولُ عَنِ الْجَهْرِ(٣٧)
بَعِيدٌ عَنِ الدَّاعِي وَإنْ كَانَ حَاضِراً	كَأَنَّ بِهِ بَعْضَ الْهَنَاتِ مِنَ الْوَقْرِ(٣٨)
تَحَكَّمَتِ الصَّهْبَاءُ فيهِمْ فَغَيَّرَتْ	شَمَائِلَ مَا يَأْتِي بِهِ الْجِدُّ بِالْهَذْرِ(٣٩)
فَيَا سَامَحَ اللَّهُ الشَّبَابَ وَإنْ جَنَى	عَلَيَّ وَحَيَّا عَهْدَهُ سَبَلُ الْقَطْرِ(٤٠)
مَلَكْتُ بِهِ أَمْرِي وَجَارَيْتُ صَبْوَتِي	وَأَصْبَحْتُ مَرْهُوبَ الْحَمِيَّةِ وَالْكِبْرِ(٤١)
إذَا أَبْصَرُونِي في النَّدِيِّ تَحَاجَزُوا	عَنِ الْقَوْلِ وَاسْتَغْنَوا عَنِ الْعُرْفِ بِالنُّكْرِ(٤٢)

---

(٣٤) الطلاء: الخمر، وقصرت هنا لضرورة وزن الشعر. والنحر: موضع القلادة من الصدر.

(٣٥) يهذي: يتكلّم بغير معقول. وذاهل: اسم فاعل من ذهل عن الشيء ذهلاً وذهولاً إذا نسيه وغفل عنه.

(٣٦) صريع: مطروح على الأرض. والشهب: النجوم السبعة المعروفة بالدراري، والمراد بها هنا: النجوم مطلقاً. وسدا بيده يسدو: مدّها. والنسر: كوكب معروف، وهما اثنان، يقال لأحدهما النسر الطائر، وللآخر النسر الواقع.

(٣٧) معنى دار بلحظه إليك: نظر إليك نظرات حائرة. وغشّاه: غطّاه وغلبه. والذهول: الغفلة. والجهر: رفع الصوت بالكلام.

(٣٨) الهنات: جمع هنة، وهي الشيء اليسير. والوقر: ثقل في الأذن، أو ذهاب السمع كلّه.

(٣٩) الصهباء: الخمر، أو المعصورة من عنب أبيض. والشمائل: جمع شمال بمعنى الخُلق والطبع. والهذر: مصدر هذر في منطقه إذا خلط وتكلم بما لا ينبغي.

(٤٠) السبل: المطر الغزير المسبل، أي الذي أرسل دفعه وتكاثف، كأنما أسبل ستراً، أي أرسله وأرخاه، أو هي سبل: جمع سبلة، والسبلة: المطرة الواسعة. والقطر: المطر.

(٤١) مرهوب: مهيب مخوف. والحميّة: الأنفة والاستكبار.
يبين في هذا البيت سبب دعائه للشباب، فيقول: إنّه كان مصدر قوّة ولذّة وهيبة.

(٤٢) النديّ: مجلس القوم، أو المجلس ما داموا مجتمعين فيه كالنادي والمنتدى. وتحاجزوا عن القول: منع بعضهم بعضاً. والعرف (هنا): ما يستحسن من كريم الآداب. والنكر: المنكر.



وَقَـالُـوا فَتىً مَـالَتْ بـهِ نَشْـوَةُ الصِّبَـا ... وَلَيْسَ عَلَى الْفِتْيَـانِ فِي اللَّهْـوِ مِنْ حَجْرِ[٤٣]

يَـخَـافُـونَ مِنِّي أَنْ تَـثُـورَ حَـمِـيَّـتِي ... فَيَبْغُـونَ عَطْفِي بِـالْخَـدِيعَـةِ والْمَكْـرِ[٤٤]

أَلا لَيْتَ هَـاتِيكَ اللَّيَـالِي وَقَـدْ مَضَتْ ... تَعُـودُ وَذَاكَ الْعَيْشُ يَـأْتِي عَلى قَـدْرِ[٤٥]

مَـواسِمُ لَـذَّاتٍ تَـقَـضَّـتْ وَلَمْ يَـزَلْ ... لَهَـا أَثَـرٌ يَـطْوِي الْفُؤَادَ عَلَى أُثْـرِ[٤٦]

إِذَا اعْتَـوَرَتْهَـا ذُكْـرَةُ النَّفْسِ أَبْصَـرَتْ ... لَهَا صُورَةٌ تَخْتَـالُ فِي صَفْحَةِ الْفِكْـرِ[٤٧]

فَـذَلِـكَ عَـصْـرٌ قَـدْ مَضَـى لِسَبِيلِهِ ... وَخَلَّفَنِي أَرْعَى الْكَـواكِبَ في عَصْـرِ[٤٨]

لَعَمْـرُكَ مَـا في الـدَّهْـرِ أَطْيَبُ لَـذَّةً ... مِنَ اللَّهْـوِ فِي ظِـلِّ الشَّبِيبَـةِ والْيُسْـرِ

وَقَالَ★ :

بِنَـاظِـرِكَ الْفَتَّـانِ آمَنْتُ بِـالسِّحْـرِ ... وَهَـلْ بَعْدَ إِيمَـانِ الصَّبَابَـةِ مِنْ كُفْـرِ ؟[١]

فَـلاَ تَعْتَمِـدْ بِـالْهَـجْـرِ قَتْلَ مُتَيَّمٍ ... فَـإِنَّ الْمَنَـايَـا لا تَـزِيـدُ عَنِ الْهَجْـرِ[٢]

فَلَوْلاَكَ مَـا حَـلَّ الْهَـوَى قَيْدَ مَـدْمَعِي ... وَلاَ شَبَّ نِيرَانَ اللَّوَاعِجِ فِي صَـدْرِي[٣]

---

(٤٣) النشوة: السكر، والمراد المرح والطرب. والحجر: المنع والكفّ.

(٤٤) الحميَّة: الأنفة والغضب.

(٤٥) القدر: الغنى واليسار، والقوّة والقدرة، أو القدر: التقدير، ومعنى «يأتي على قدر»: على تقدير مني، أو على موعد، أو على حسب ما أهوى وأحبّ.

(٤٦) الأثر: بقيّة الشيء، وما بقي من رسمه. والأُثْر: أثر الجراح يبقى بعد البرء.

(٤٧) اعتورتها: تداولتها. وتختال: تزهى وتفخر وتتكبّر.

(٤٨) أرعى الكواكب: أراقبها وأنتظر مغيبها، وهذا كناية عن الحيرة والحسرة.

(★) هذه القصيدة من السرنديبيات اللامعة الممتعة، نظمها البارودي وهو أشيب، في السابعة والخمسين، أي في نحو سنة ١٨٩٦.

(١) الصبابة: رقّة الهوى، وحرارة الشوق.

(٢) متيّم: اسم مفعول من تيّمه العشق، أي عبّده وذلّله.

(٣) حلّ قيد مدمعه: كناية عن صبّه وإسالته. واللواعج: جمع لاعج، صفة من لعجه الهمّ والحبّ ونحوهما، أي أحرقه وآلمه، وبه لاعج الشوق ولواعجه، أي حرقه وتباريحه

وَإِنِّي عَلى مَـا كَـانَ مِـنْـكَ لَصَـابِـرٌ لَعِلْمِيَ أَنَّ الْفَـوْزَ مِنْ ثَمَـرِ الـصَّبْـرِ[٤]

فَلَيْتَ الَّـذي أَهْدَى الْمَـلامَةَ فِي الْهَـوى تَـوَسَّـمَ خَيْـراً أَوْ تَـكَلَّمَ عَـنْ خُـبْـرِ[٥]

رَأَى كَـلَفِـي لا يَـسْـتَـفِـيـقُ فَـظَنَّ بِـي هَنَـاتٍ وَسُـوءُ الـظَّنِّ داعِيَـةُ الْـوِزْرِ[٦]

وَمَـاذَا عَلَيْـهِ وَهْـوَ خَـالٍ مِنَ الْجَـوَى إِذَا هِمْتُ شَـوْقَاً أَوْ تَـرَنَّمْتُ بِالشِّعْرِ؟[٧]

فَـإِنْ أَكُ مَشْـغُـوفَـاً فَـذُوا الْحِلْمِ رُبَّمَـا أَطَاعَ الْهَوَى وَالْحُبُّ مِنْ عُقَـدِ السِّحْرِ[٨]

وَأَيُّ امْـرِىءٍ يَـقْـوَى عَـلى رَدِّ لَـوْعَـةٍ إِذَا الْتَهَبَتْ أَرْبَتْ عَلَى وَهَجِ الْجَمْرِ؟[٩]

عَـلى أَنَّـنِـي لَـمْ آتِ فـي الْـحُـبِّ زَلَّـةً تَغُضّ بِذِكْرِي في الْمَحَافِلِ أَوْ تُزْرِي[١٠]

وَلَكِنَّـنِي طَـوَّفْـتُ فِي عَـالَـمِ الصِّـبَـا وَعُـذْتُ وَلَمْ تَعْلَقْ بِفَـاضِحَـةٍ أُزْرِي[١١]

سَـجِيَّـةُ نَـفْـسٍ آثَـرَتْ مـا يَـسُـرُّهَـا وَلِلنَّـاسِ أَخْلاقٌ عَلى وَفْقِهـا تَجْرِي[١٢]

مَلَكْتُ يَـدِي عَنْ كُـلِّ سُـوءٍ ومَنْـطِقِي فَعِشْتُ بَرِيءَ النَّفْسِ مِنْ دَنَسِ الْعُذْرِ[١٣]

---

(٤) الفوز: الظفر.

(٥) توسّم الشيء: تخيّله وتفرّسه. والخبر: العلم والمعرفة.

(٦) الكلف: العشق والولوع والغرام. ولا يستفيق: لا يهدأ ولا يغادر. وهنات: خصال سوء. والوزر: الإثم والذنب.

(٧) الجوى: هوى باطن، والحرقة، وشدّة الوجد، وتبريح الغرام. وهام يهيم هيماً وهيماناً: أحبّ، أو صار كالمجنون من العشق. وترنّم: تغنّى وطرّب.

(٨) مشغوفاً: مستهاماً عاشقاً. والحلم: الأناة والعقل. والعقد: جمع عقدة وهي موضع العقد، وأصله أن السحرة يعقدون عقداً يزعمون أن فيها السحر، ومن أجل هذا سمي الساحر معقّداً.

(٩) أربت: زادت. والوهج: اسم من وهجت النار تهج وهجاً ووهجاناً أي اتّقدت.

(١٠) زلّة: خطأ. وغضّ منه: نقصه وعابه ووضع من قدره. والمحافل: جمع محفل، وهو المجتمع. وتزري: مضارع زرى عليه فعله إذا عابه وعنّفه.

(١١) طوّف: أكثر التطواف. والصبا: الميل إلى الجهل والفتوّة. والفاضحة: الفضيحة. والأزر: جمع إزار، وهو الثوب، وكلّ ما سترك.

(١٢) السجيّة: الخُلق والطبيعة. وآثرت: فضّلت وقدّمت.

(١٣) الدنس: القذر، وأراد بدنس العذر: الاعتذار من العيب والقبائح التي تضع من قدر المرء، وتدنّس عرضه.



وأَحْسَنْتُ ظَنِّي بِالصَّدِيقِ وَرُبَّمَا لَقِيتُ عَدُوِّي بِالطَّلَاقَةِ والْبِشْرِ
فَأَصْبَحْتُ مَأْثُورَ الْخِلالِ مُحَبَّباً إلى النَّاسِ مَرْضِيَّ السَّرِيرَةِ والْجَهْرِ[١٤]

فَمَا أَنَا مَطْلُوبٌ بِوَتْرٍ لِمَعْشَرٍ وَلا أَنَا مَلْهُوفُ الْجَنَانِ عَلى وَتْرِ[١٥]
رَضِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وإِنْ كُنْتُ مُثْرِياً بِعِفَّةِ نَفْسٍ لا تَمِيلُ إِلى الْوَفْرِ
وَأَخْلَصْتُ لِلرَّحْمَنِ فِي مَا نَوَيْتُهُ فَعَامَلَنِي بِاللُّطْفِ مِنْ حَيْثُ لا أَدْرِي
إِذَا مَا أَرادَ اللهُ خَيْراً بِعَبْدِهِ هَدَاهُ بِنُورِ الْيُسْرِ في ظُلْمَةِ الْعُسْرِ
فَيَابْنَ أَبِي (والنَّاسُ أَبْنَاءُ واحِدٍ) تَقَلَّدْ وَصَاتِي فَهْيَ لُؤْلُؤَةُ الْفِكْرِ[١٦]
إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيداً فَلا تَكُنْ لَدُوداً وَلَا تَدْفَعْ يَدَ اللِّينِ بِالْقَسْرِ[١٧]
وَلَا تَحْتَقِرْ ذَا فَاقَةٍ فَلَرُبَّمَا لَقِيتَ بِهِ شَهْمَاً يُبِرُّ عَلى الْمُثْرِي[١٧]
فَرُبَّ فَقِيرٍ يَمْلأُ القَلْبَ حِكْمَةً وَرُبَّ غَنِيٍّ لا يَرِيشُ وَلا يَبْرِي[١٩]
وَكُنْ وَسَطاً لا مُشْرَئِبّاً إلى السُّهَا ولَا قَانِعاً يَبْغِي التَّزَلُّفَ بِالصُّغْرِ[٢٠]

---

(١٤) مأثور الخلال: خصاله محمودة، وفضائله مشهورة، يأثرها الناس، أي ينقلونها، ويتحدّثون بها. والسريرة: السرّ.

(١٥) الوتر: الذحل، وهو الثأر. والمعشر: جماعة الناس. والملهوف: المتحيّر المضطرب.

(١٦) يابن أبي: نداء لكلّ إنسان. وتقلّد وصاتي: احرص على وصيتي، وانتفع بها.

(١٧) لدوداً: شديد الخصومة. والقسر: القهر والشدّة. ومعنى «لا تدفع يد اللين بالقسر»: لا تخاشن من يلاينك.

(١٨) الفاقة: الفقر والحاجة. والشهم: السيد الذكيّ الفؤاد، ذو المروءة. ومعنى «يبرّ على المثري»: يغلبه في الفضل والبرّ، ويفوقه في المروءة والخير.

(١٩) لا يريش ولا يبري: لا ينفع ولا يضرّ، وأصله من راش النابل السهم يريشه، إذا ألزق عليه الريش. وبرى السهم يبريه برياً: نحته.

(٢٠) اشرأبّ إليه: مدّ عنقه لينظر، أو رفع رأسه كهيئة الشارب. والسها: كوكب خفيّ، من بنات نعش الصغرى، يمتحن الناس به أبصارهم. والتزلّف: التقرّب. والصغر: الذلّ والضيم والمهانة كالصغار.

فَـأَحْمَدُ أَخْـلاَقِ الْفَتى مَـا تَكَـافَـأَتْ ... بِمَنْـزِلَـةٍ بَيْنَ التَّـوَاضُـعِ وَالْكِبْـرِ

ولا تَعْتَـرِفْ بِـالـذُّلِّ فِي طَلَبِ الْغِنَى ... فَـإِنَّ الْغِنَى فِي الـذُّلِّ شَـرٌّ مِنَ الْفَقْـرِ

وَإِيَّـاكَ وَالتَّسْلِيمَ بِـالْغَيبِ قَبْـلَ أَنْ ... تَـرَى حُجَّةً تَجْلُو بِهَـا غَـامِضَ الأَمْـرِ

ودارِ الَّـذي تَـرْجُـو وَتَخْشَـى وِدَادَهُ ... وَكُنْ مِنْ مَـوَدَّاتِ الْقُلُوبِ عَـلَى حِـذْرِ

فَـقَـدْ يَغْـدرُ الْخِـلُّ الْـوَفِيُّ لِهَفْـوَةٍ ... وَيَحْلُو الـرِّضَـا بَعْـدَ الْعَـدَاوَةِ والشَّـرِّ

وَفِي النَّـاسِ مَنْ تَلْقَاهُ فِي زِيِّ عَـابِدٍ ... وَلِلْغَـدْرِ فِي أَحْشَائِهِ عَقْرَبٌ تَسْـرِي(٢١)

إِذَا أَمْكَنَـتْـهُ فُـرْصَـةٌ نَـزَعَـتْ بِـهِ ... إِلى الشَّـرِّ أَخْـلاقٌ نَبَتْنَ عَلى غِمْـرِ(٢٢)

وَلاَ تَحْسَبَنَّ الْحِـلْمَ يَـمْـنَـعُ أَهْـلَهُ ... وُقُـوعَ الأَذَى فَـالْمَـاءُ وَالنَّـارُ مِنْ صَخْـرِ

فَهَـذِي وَصَـاتِي فَـاحْتَفِـظْهَـا تَفُـزْ بِمـا ... تَمَنَّيْتَ مِنْ نَيْـلِ السَّعَـادَةِ في الـدَّهْـرِ

فَـإِنِّي امْـرُؤٌ جَـرَّبْتُ دَهْـرِي وَزَادَنِـي ... بِـهِ خِبْـرَةً صَبْـرِي عَلى الْحُلْوِ والْمُـرِّ

بَلَغْتُ مَـدَى خَمْسِينَ وازْدَدْتُ سَبْعَـةً ... جَعَلْتُ بِهَا أَمْشِي عَلى قَدَمِ الْخِضْرِ(٢٣)

فَكَيْفَ تَـرَانِي الْيَـوْمَ أَخْشَى ضَـلالَـةً ... وَشَيْبِيَ مِصْبَـاحٌ عَلى نُـورِهِ أَسْـرِي ؟

أَقُـولُ بِـطَبْـعٍ لَسْتُ أَحْتَـاجُ بَعْـدَهُ ... إِلى الْمَنْهَلِ الْمَطْرُوقِ وَالْمَنْهَجِ الْوَعْرِ(٢٤)

وَلِي مِنْ جَنَـانِي ـ إِنْ عَـزَمْتُ ـ وَمِقْـوَلِي ... سِـرَاجٌ وَعَضْبٌ ذَا يُضِيءُ وَذَا يَفْرِي(٢٥)

إِذَا جَـاشَ طَبْعِي فَـاضَ بِـالـدُّرِّ مَنْطِقِي ... وَلا عَجَبٌ فَـالـدُّرُّ يَنْشَـأُ فـي الْبَحْـرِ

---

(٢١) الأحشاء: جمع حشا، وهو ما اجتمعت عليه الضلوع، أو ما حواه البطن، والمراد الضمير والقلب، حيث يكون الضغن والعداوة.

(٢٢) نزعتْ به: مالتْ وذهبتْ. والغمر: الحقد.

(٢٣) الخضر: صاحب موسى عليهما السلام، وقصّتهما في القرآن مشهورة.

(٢٤) المنهل: المورد. والمطروق: الذي تطرقه الدوابّ والناس. والمنهج: الطريق. والوعر: الصعب.

(٢٥) الجنان: القلب. والمقول: اللسان. والعضب: السيف القاطع. ويفري: يقطع.

تَـدَبَّـرْ مَقَـالِي إِنْ جَهِلْتَ خَلِيقَتِـي لِتَعْرِفَنِي فَالسَّيْفُ يُعْرَفُ بِالأَثْـرِ[26]
وَلَا تَعْجَبَنْ مِنْ مَنْطِقِي إِنْ تَأَرَّجَتْ بِـهِ كُلُّ أَرْضٍ فَهْوَ رَيْحَانَـةُ الْعَصْرِ
سَيَـذْكُرُنِي بِالشِّعْرِ مَنْ لَمْ يُلاقِنِي وَذِكْـرُ الفَتَى بَعْدَ الْمَمَاتِ مِنَ الْعُمْرِ

وَقَالَ(★) :

أَبَى الشَّوْقُ إِلَّا أَنْ يَحِنَّ ضَمِيرُ وَكُلُّ مَشُوقٍ بِالْحَنِينِ جَدِيرُ[1]
وَهَلْ يَسْتَطِيعُ الْمَرءُ كِتْمَانَ لَوْعَةٍ يَنِمُّ عَلَيْهَا مَدْمَعٌ وَزَفِيرُ ؟[2]
خَضَعْتُ لأَحْكَامِ الْهَوَى وَلَطَالَمَا أَبَيْتُ فَلَمْ يَحْكُمْ عَلَيَّ أَمِيرُ
أَفُلُّ شَبَاةَ اللَّيْثِ وَهْوَ مُنَاجِزٌ وَأَرْهَبُ لَحْظَ الرِّئْمِ وَهْوَ غَرِيرُ[3]
وَيَجْزَعُ قَلْبِي لِلصُّدودِ وَإِنَّنِي لَدَى الْبَأْسِ إِنْ طَاشَ الْكَمِيُّ صَبُورُ[4]

---

(٢٦) الخليقة: الطبيعة. والأثر: فرند السيف ورونقه وديباجته.

(★) قصد أبو نواس من بغداد الخصيب بن عبد الحميد العجميّ، أمير مصر في عصر هارون الرشيد، فمدحه برائية مشهورة مطلعها:

أجارة بيتينا أبوك غيور وميسور ما يرجى لديك عسير

فعارضها البارودي بهذه القصيدة، أي أتى بمثلها، ونسج على منوالها في وزنها ورويّها.

(١) يحنّ: ينزع ويميل ويهيم ويشتاق، من الحنين، وهو الشوق وتوقان النفس إلى لقاء من تحبّه وتهفو إليه. والضمير: السرّ، والشيء الذي تضمره في قلبك، أي تخفيه، والمراد بالضمير (هنا): القلب.

(٢) اللوعة: حرقة في القلب، وألم من حبّ أو همّ أو مرض أو نحو ذلك. وينمّ عليها: يدلّ عليها ويظهرها، والمراد بالمدمع هنا: الدمع. والزفير: إخراج النفس طويلاً ممدوداً.

(٣) فلّ الشيء: كسره. وشباة كلّ شيء: حدّه، وفلّ شباته: قهره وغلبه. والليث: الأسد. ومناجز: اسم فاعل من المناجزة، وهي المقاتلة. واللحظ: النظر. والرئم: الظبي الخالص البياض، تشبّه به النساء الملاح في الرشاقة وجمال الجيد والعينين. والمراد بالغرير (هنا): الهادىء الوديع.

(٤) الجزع: نقيض الصبر، جزع إذا ضعفت منّته، أي قوّته عن حمل ما نزل به، ولم يجد صبراً. والصدود: الهجران والإعراض. والبأس: الشدّة في الحرب. وطاش: ضعف وجبن وفرّ. والكميّ: الشجاع المتكمّي في سلاحه، أي المتغطّي المتستّر به.

وَمَـا كُـلُّ مَنْ خَـافَ الْعُيُونَ يَـرَاعَـةٌ | وَلاَ كُـلُّ مَنْ خَـاضَ الْحُتُـوفَ جَسُـورُ[٥]
وَلَـكِنْ لِأَحْـكَـامِ الْـهَـوَى جَـبَـرِيَّـةٌ | تَبُـوخُ لَهَـا الأَنْـفَـاسُ وَهْيَ تَـفُـورُ[٦]
وَإِنِّي عَلَى مَـا كَـانَ مِنْ سَـرَفِ الْهَـوَى | لَـذُو تُـدْرَإٍ في النَّـائِبَـاتِ مُغِيـرُ[٧]
يُـرَافِقُنِي عِنْـدَ الْـخُـطُوبِ إِذَا عَـرَتْ | جَـوَادٌ وَسَـيفٌ صـارِمٌ وَجَـفِـيـرُ[٨]
وَيَصْحَبُنِي يَـوْمَ الْخَـلاَعَـةِ وَالـصِّبَـا | نَـدِيـمٌ وَكَـأْسٌ رَيَّـةٌ وَمُـدِيـرُ[٩]
فَـطَوْراً لِفُـرْسَـانِ الصَّبَـاحِ مُـطَارِدٌ | وَطَـوْراً لإِخْـوَانِ الصَّفَـاءِ سَمِيـرُ[١٠]
وَيَـا رُبَّ حَيٍّ قَـدْ صَبَـحْتُ بِـغَـارَةٍ | تَكَـادُ لَهَـا شُـمُّ الْجِبَـالِ تَمُـورُ[١١]
وَلَـيْـلٍ جَمَـعْتُ الـلَّهْـوَ فِيـهِ بِـغَـادَةٍ | لَهَـا نَـظْرَةٌ تُسْـدِي الْهَـوَى وَتُنِيـرُ[١٢]
عَقَلْنَـا بِـهِ مَـا نَـدَّ مِنْ كُـلِّ صَبْـوَةٍ | وَطِـرْنَـا مَـعَ اللَّذَّاتِ حَيْثُ تَـطِيـرُ[١٣]

---

(٥) يريد بالعيون: عيون الحسان، وما فيها من سحر وفتنة وجمال. ويراعة: جبان. والحتوف: جمع حتف، وهو الموت والهلاك. والجسور: الشجاع المقدام.
(٦) جبريّة: شدّة وقوة وعظمة وجبروت. وتبوخ: تسكن. وهي تفور: أي وهي في شدّتها.
(٧) سرف الهوى: شدّة الحبّ وضراوته. ورجل ذو تدرأ وذو تدرأة: مدافع، ذو عزّ ومنعة وقوّة. ومغير: اسم فاعل من أغار الرجل على عدوّه إغارة، أي دفع عليهم الخيل، وأغار الفرس: اشتدّ عدوه، والمراد بالإغارة هنا النجدة، والهجوم على العدوّ.
(٨) عرت: نزلت وغشيت. وصارم: قاطع. والجفير: الجعبة، وهي كنانة النشّاب، أي النبل والسهام، وتكون عادة من الجلد، وقد تصنع من خشب لا جلود فيها.
(٩) الخلاعة: المجانة وعدم المبالاة والانغمار في اللهو والمرح. والصبا: الميل إلى الجهل والفتوّة، والجري في أساليب الهوى والخلاعة. وكأس ريّة: مملوءة، أو كثيرة الشراب. ويريد بالمدير: الساقي.
(١٠) مطاردة الأقران: أن يحمل بعضهم على بعض في القتال.
(١١) الحيّ: القبيلة من قبائل العرب، أو هو البطن من بطونهم. وصبحهم: أتاهم صباحاً. والغارة: الهجوم. وشمّ الجبال: الجبال المرتفعة العالية. وتمور: تتحرّك وتهتزّ.
(١٢) الغادة: المرأة الناعمة المتثنية اللينة الأعطاف. وتسدي الهوى وتنير: توجده، وتحكم أسبابه.
(١٣) عقلنا: قيّدنا، وأصله من عقلت البعير: أي ثنيت وظيفه مع ذراعه، وشدتهما جميعاً في وسط الذراع بحبل، ويسمى هذا الحبل عقالاً. وند: نفر وشرد، وذهب على وجهه.

وَقُلْنَا لِسَاقِينَا أدِرْهَا فَإِنَّمَا　　بَقَاءُ الْفَتَى بَعْدَ الشَّبابِ يَسِيرُ
فَطَافَ بِهَا شَمْسِيَّةً ذَهَبِيَّةً　　لَهَا عِنْدَ أَلْبَابِ الرِّجَالِ ثُؤُورُ[١٤]
إِذَا مَا شَرِبْنَاهَا أَقَمْنَا مَكَانَنَا　　وَظَلَّتْ بِنَا الأَرْضُ الْفَضَاءُ تَدُورُ
إِلَى أَنْ أَمَاطَ اللَّيْلُ ثِنْيَ لِثَامِهِ　　وَكَادَتْ أَسَارِيرُ الصَّبَاحِ تُنِيرُ[١٥]
وَنَبَّهَنَا وَقْعُ النَّدَى فِي خَمِيلَةٍ　　لَهَا مِنْ نُجُومِ الأُقْحُوانِ ثُغُورُ[١٦]
تَنَاغَتْ بِهَا الأَطْيَارُ حِينَ بَدَا لَهَا　　مِنَ الْفَجْرِ خَيْطٌ كَالْحُسَامِ طَرِيرُ[١٧]
فَهُنَّ إِلى ضَوْءِ الصَّبَاحِ نَوَاظِرٌ　　وَعَنْ سُدْفَةِ اللَّيْلِ الْمُجَنَّحِ زُورُ[١٨]
خَوَارِجُ مِنْ أَيْكٍ دَوَاخِلُ غَيْرِهِ　　زَهَاهُنَّ ظِلٌّ سَابِغٌ وَغَدِيرُ[١٩]
تَوَسَّدُ هَامَاتٌ لَهُنَّ وَسَائِداً　　مِنْ الرِّيشِ فِيهِ طَائِلٌ وَشَكِيرُ[٢٠]
كَأَنَّ عَلى أَعْطَافِهَا مِنْ حَبِيكِهَا　　تَمَائِمَ لَمْ تُعْقَدْ لَهُنَّ سُيُورُ[٢١]

---

(١٤) شمسية ذهبية: كالشمس والذهب في اللون والصفاء والإشراق. والألباب: جمع لبّ، وهو العقل. وثؤور: جمع ثأر.

(١٥) أماط: كشف ونحّى. والثني: واحد أثناء الثوب ونحوه، وهي تضاعيفه وأطواقه. واللثام: ما يكون على الفم من النقاب. والأسارير: محاسن الوجه.

(١٦) الخميلة: الشجر الكثير الملتفّ، والموضع الكثير الشجر. والأقحوان: البابونج، وهو نبت طيب الرائحة. والثغور: جمع ثغر، وهو الفم، أو مقدّم الأسنان.

(١٧) تناغت: المراد صدحت وتجاوبت وتبارت. والحسام: السيف القاطع. وطرير: جميل ذو منظر ورواء.

(١٨) سدفة الليل: ظلمته. والمجنّح: ذو الجناح، على تشبيه الليل بالطائر الأسود. وزور: مائلات عن ظلمة الليل. وفي رواية أخرى «صور»، جمع أصور، أو صوراء، وهما صفتان من صَوَرَ أي مال.

(١٩) الأيك: الشجر الكثير الملتفّ، الواحدة أيكة. وزهاهنّ: دعاهنّ إلى الزهو وهو الإعجاب والتيه والفخر. وسابغ: ممدود متّسع طويل ظليل.

(٢٠) هامات: جمع هامة، وهي الرأس. والمراد بالطائل: الطويل، أو الكبير. والشكير من الريش: صغاره بين كباره.

(٢١) الأعطاف: الجوانب. والحبيك: المحبوك، وهو ما أحكم نسجه، ويراد به هنا: ريش

إذَا ضَـاحَكَتْهَـا الشَّمْسُ رَفَّتْ كَـأَنَّمَـا ... عَلَى صَفْحَتَيْهَـا سُنْدُسٌ وَحَـرِيـرُ[٢٢]

فَـلَمَّـا رَأَيْـتُ الـلَّيْـلَ وَلَّـى وَأَقْـبَـلَتْ ... طَـلَائِـعُ مِنْ خَيْـلِ الصَّبَـاحِ تُغِيـرُ[٢٣]

ذَهَـبْتُ أُجُـرُّ الـذَّيْـلَ تِـيهـاً وإنَّمَـا ... يَتِيـهُ الْفَتَـى إنْ عَفَّ وَهْـوَ قَـدِيـرُ[٢٤]

وَلِي شِيمَـةٌ تَـأْبَى الـدَّنَـايَـا وَعَـزْمَـةٌ ... تَفُـلُّ شَباةَ الْخَـطْبِ وَهْـوَ عَسِيـرُ[٢٥]

مُـعَـوَّدَةٌ أَلَّا تَـكُـفَّ عِـنَـانَـهَـا ... عَـنِ الْجِـدِّ إلَّا أَنْ تَـتِـمَّ أُمُـورُ[٢٦]

لَـهَـا مِنْ وَرَاءِ الْغَيْـبِ أُذْنٌ سَـمِـيعَـةٌ ... وَعَـيْـنٌ تَـرَى مَـا لا يَـرَاهُ بَـصِـيـرُ

وإنِّي امْـرُؤٌ صَعْبُ الشَّكِيـمَـةِ بَـالِـغٌ ... بِنَفْسِي شَـأْواً لَـيْسَ فِيـهِ نَـكِـيـرُ[٢٧]

وَفَـيْـتُ بِـمَـا ظَـنَّ الْكِـرَامُ فِـرَاسَـةً ... بِـأَمْـرِي وَمِثْلِي بِـالْـوَفَـاءِ جَـدِيـرُ[٢٨]

فَـمَـا أَنَـا عَمَّـا يُكْسِبُ الْعِـزَّ نَـاكِـبٌ ... وَلَا عِنْـدَ وَقْـعِ الْمُحْفِـظَاتِ حَسِيـرُ[٢٩]

الأعطاف والجناحين، على تشبيهه بالثوب. والتمائم: جمع تميمة، وهي عوذة تعلّق على الصبيّ، يعوّذ بها من العين والفزع ونحوهما. والسيور: جمع سير، وهو ما يقدّ من الجلد ونحوه، وتربط به التمائم ونحوها.

(٢٢) ضاحكتها الشمس: طلعت عليها وقت الصباح بنورها وبريقها. وصفحتاها: جانباها. والسندس: ما رقّ من الديباج، وهو الحرير الخالص.

(٢٣) الطلائع: جمع طليعة، وهو من يبعث في مقدّمة الجيش ليطّلع طلْع العدوّ للواحد والجميع. وأغارت الخيل: اشتدّ عدوها في الغارة، وهي الهجوم على العدوّ.

(٢٤) التيه: الكبر والزهو والفخر، تاه يتيه تيهاً.

(٢٥) الشيمة: الغريزة والطبيعة والجبلّة والخلُق. وتفلّ: تكسر. وشباة الخطب: شدّته، وشباة كلّ شيء: حدّه. والخطب: النازلة الشديدة من نوازل الدهر.

(٢٦) العنان: سير اللجام الذي تمسك به الدابة.

(٢٧) الشكيمة: الطبع، وصعب الشكيمة: شديد النفس أنف أبيّ لا ينقاد. والشأو: الغاية والأمد. والنكير: الإنكار والجهل. ومعنى «ليس فيه نكير»: أنه شأو رفيع عظيم، لا ينكر ولا يجهل.

(٢٨) الفراسة: اسم من قولك تفرّست فيه الخير، إذا تعرّفته بالظنّ الصائب.

(٢٩) ناكب: منحرف ومائل. والمحفظات: جمع محفظة، اسم فاعل من أحفظه، إذا أغضبه، والمراد العدوان، والأمور التي تثير الغضب. وحسير: عاجز ضعيف.

إذَا صُلْتُ كَفَّ الدَّهْرُ مِنْ غُلَوائِهِ وَإنْ قُلْتُ غَصَّتْ بِالْقُلُوبِ صُدُورُ(٣٠)
مَلَكْتُ مَقَالِيدَ الْكَلامِ وَحِكْمَةً لَهَا كَوْكَبٌ فَخْمُ الضِّيَاءِ مُنِيرُ(٣١)
فَلَوْ كُنْتُ فِي عَصْرِ الْكَلامِ الَّذِي انْقَضَى لَبَاءَ بِفَضْلِي « جَرْوَلٌ » و« جَرِيرُ »(٣٢)
وَلَوْ كُنْتُ أَدْرَكْتُ النُّوَاسِيَّ لَمْ يَقُلْ (أَجَارَةَ بَيْتَيْنَا أَبُوكِ غَيُورُ)(٣٣)
وَمَا ضَرَّنِي أَنِّي تَأَخَّرْتُ عَنْهُمُ وَفَضْلِي بَيْنَ الْعَالَمِينَ شَهِيرُ
فَيَا رُبَّمَا أَخْلَى مِنَ السَّبْقِ أَوَّلٌ وَبَزَّ الْجِيَادَ السَّابِقَاتِ أَخِيرُ(٣٤)

ورواية الوسيلة الأدبية لهذه القصيدة★ :

---

(٣٠) صال: سطا ووثب للقتال، واستطال وقهر وبطش. والغلواء: الغلوّ، أي الشدّة ومجاوزة الحدّ.
(٣١) مقاليد الكلام: مفاتيحه.
(٣٢) باء بفضلي: أقرّ به واعترف. وجرول: لقب الحطيئة، وهو شاعر مشهور مخضرم، أجاد في كلّ ضرب من ضروب الشعر، ومات سنة ٥٩ هـ. وجرير بن عطيَّة بن الخطفي: شاعر واسع الشهرة، عظيم الصيت، من بني يربوع، أحد أحياء قبيلة تميم، ولد باليمامة، ونشأ بالبادية. ومات جرير باليمامة سنة ١١٠ هـ.
(٣٣) يريد بالنواسي: أبا نواس الحسن بن هانىء، الشاعر المتفنّن، الجادّ الماجن، مات ببغداد سنة ١٩٩ هـ، والشطر الثاني من هذا البيت مطلع قصيدة أبي نواس في مدح الخصيب أمير مصر في عهد الرشيد.
(٣٤) بزّ: غلب وسبق. والجياد: جمع جواد، وهو الفرس الرائع السبّاق.
(★) انظر الوسيلة الأدبية للشيخ حسين المرصفي: ج ٢، ص ٤٧٧ ـ ٤٧٩ طبعة سنة ١٢٩٢ هـ، (١٨٧٥م) ـ تجد بين روايتها وما جاء في أصل الديوان اختلافاً كبيراً في أكثر الأبيات.
وفي الوسيلة الأدبية أربعة أبيات زائدة لم ترد في أصل الديوان. وقد شرحنا كلّ ما انفردت الوسيلة بروايته، وخالفت فيه الأصل.
ويلاحظ أن ما جاء في الوسيلة الأدبية من شعر البارودي نَظَمه بين عامي ١٨٦٣ و ١٨٧٥ وهو بين الرابعة والعشرين والسادسة والثلاثين، في ريعان شبابه، وعنفوان قوّته، بعد عودته من الآستانة في حاشية الخديوي إسماعيل في رمضان سنة ١٢٧٩ هـ (فبراير سنة ١٨٦٣م).

تَـلاَهَـيْتُ إلاَّ مـا يُـجِنُّ ضَـمِيـرُ ٭ وَدَارَيْـتُ إلاَّ مَـا يَـنِـمُّ زَفِـيـرُ[1]

وَهَـلْ يَسْتَطِيـعُ الْمَـرْءُ كِتْمَـانَ أَمْـرِهِ ... وَفِي الصَّـدْرِ مِنْـهُ بَـارِحٌ وَسَعِيـرُ ؟[2]

فَـيَـا قَـاتَـلَ اللهُ الْـهَـوَى مَـا أَشَـدَّهُ ... عَلى المَـرْءِ إذْ يَخْلُو بِـهِ فَـيُغِيـرُ ![3]

تَـلِينُ إلَـيـهِ الـنَّـفْسُ وَهْـيَ أَبِـيَّـةٌ ... وَيَجْـزَعُ مِنْـهُ الْقَلْبُ وَهْـوَ صَبُـورُ[4]

نَبَـذْتُ لَـهُ رُمْحِي وَأَغْمَـدْتُ صَارِمِي ... وَنَهْنَهْتُ مُـهْـرِي والْمُـرَادُ غَـزِيـرُ[5]

وَأَصْبَحْتُ مَفْلُولَ الْمَخَـالِبِ بَـعْـدَمَـا ... سَـطَوْتُ وَلِي فِي الْخَـافِقَيْنِ زَئِيـرُ[6]

فَـيَـا لَـسَـرَاةِ الْـقَـومِ دَعْـوَةُ عَـائِـذٍ ... أَمَـا مِنْ سَمِيـعٍ فِيكُمُ فَـيُجِيـرُ ؟[7]

لَـطَالَ عَـلَيَّ الـلَّـيْـلُ حَـتـى مَـلِلْتُـهُ ... وَعَهْـدِي بِـهِ فِي مَـا عَـلِمْتُ قَـصِيـرُ

أَلاَ فَـرَعَـى اللهُ الـصِّـبَـا مَـا أَبَـرَّهُ ... وَحَـيَّـا شَـبَـابـاً مَـرَّ وَهْـوَ نَـضِيـرُ

إِذِ الْـعَـيْشُ أَفْـوَافٌ تَـرِفُّ ظِـلالُـهُ ... عَـلَيْنَـا وَسَلْسَـالُ الْـوَفَـاءِ نَمِيـرُ[8]

---

(١) يجنّ: يخفي ويستر. والمراد بالضمير: القلب. وينم: يظهر. والزفير: إخراج النفس طويلاً ممدوداً، كما يفعل المهموم ونحوه.

(٢) البارح: الريح الشديدة الحارّة في الصيف. والسعير: النار. والمراد بالبارح والسعير: ما يجده العاشق من تباريح الشوق، ولواعج الحبّ.

(٣) فيا قاتل الله الهوى: أسلوب تعجّب.

(٤) أبيّة: ممتنعة قويّة عزيزة. ويجزع: لا يجد صبراً.

(٥) نبذت: طرحت ورميت وألقيت. والصارم: السيف القاطع. ونهنهت: كففت وزجرت ومنعت. والمهر: ولد الفرس، أو أول ما ينتج منه، يريد أنه كفّه عن العدو، ومنعه من الجري.

(٦) مفلول: مكسور مقلّم. والمخالب: جمع مخلب، وهو للسباع والطير كالظفر للإنسان. وسطوت: استطلت وبطشت وقهرت. والخافقان: أفقا المشرق والمغرب.

(٧) السراة: جمع سريّ، وهو الشريف ذو المروءة. وعائذ: مستجير لاجىء. ويجير: ينقذ.

(٨) الأفواف: ثياب رقاق موشّاة من برود اليمن، واحدها فوف، وواحدة الفوف فوفة وقد تطلق الأفواف، ويراد بها الأزهار. والسلسال: الماء العذب البارد النقيّ الصافي. ونمير: عذب ناجع، أو زاك كثير.

وَإذْ نَحْنُ فيمـا بَيْـنَ إخْـوَانِ لَـذَّةٍ — عَلَى شِيَـمٍ مَـا إنْ بِهِـنَّ نَكِيـرُ[٩]

تَـدُورُ عَلَيْنَـا الْكَـأْسُ بَيْـنَ مَـلاعِبٍ — بِهَـا اللَّهْـوُ خِدْنٌ وَالشَّبَـابُ سَمِيـرُ[١٠]

فَـأَلْحَـاظُنَـا بَيْنَ النُّفُـوسِ رَسَـائِـلٌ — وَرَيْحَـانُنَـا بَيْنَ الْكُؤُوسِ سَفِيـرُ[١١]

عَقَـدْنَـا جَنَـاحَيْ لَيْلِنـا بِنَهَـارِنَـا — وَطِـرْنَـا مَـعَ اللَّذَّاتِ حَيْثُ تَـطِيـرُ

وَقُلْنَـا لِسـاقِينَـا أَدِرْهَـا فَـإنَّـمَـا — بَـقَـاءُ الْفَتَى بَعْـدَ الشَّبَـابِ يَسِيـرُ

فَـطَافَ بِـهَـا شَمْـسِيَّـةً لَـهَـبِيَّـةً — لَهَـا عِنْـدَ أَلْبَـابِ الـرِّجَـالِ ثُؤُورُ[١٢]

إذَا مَـا شَـرِبْنَـاهَـا أَقَمْنَـا مَكَـانَـنَـا — وَظَـلَّتْ بِنَـا الأَرْضُ الْـفَـضَـاءُ تَـدُورُ

وَكَـمْ لَيْـلَةٍ أَفْـنَـيْتُ عُـمْـرَ ظَـلاَمِـهَـا — إلى أَنْ بَـدَا لِلصُّبْـحِ فيـهِ قَتِيـرُ[١٣]

شَغَلْتُ بِـهَـا قَلْبِي وَمَتَّـعْتُ نَـاظِـرِي — وَنَعَّمْـتُ سَمْعِي وَالْبَنَـانُ طَـهُـورُ[١٤]

صَنَعْتُ بِهَـا صُنْـعَ الْكَـرِيـمِ بِـأَهْلِهِ — وَجِـيـرَتِـهِ والْـغَـادِرُونَ كَـثِـيـرُ

فَـمَـا رَاعَـنَـا إلاَّ حَـفِـيفُ حَـمَـائِـمٍ — لَهَـا بَيْنَ أَطْـرَافِ الْغُصُـونِ هَـدِيـرُ[١٥]

تُجَـاوِبُ أَتْـرَابـاً لَهَـا فِي خَمَـائِـلٍ — لَـهُنَّ بِـهَـا بَعْـدَ الْـحَنِينِ صَفِيـرُ[١٦]

---

(٩) شيم: طبائع وغرائز وأخلاق، الواحدة شيمة. ونكير: مصدر نكرت الأمر، أي جهلته، والمراد ليس في طبائع هؤلاء الإخوان ما يستنكر، أي ما يقبح أو يكره.

(١٠) الخدن: الصديق.

(١١) ألحاظنا: نظراتنا. والريحان: كل نبات طيب الرائحة.

(١٢) شمسية لهبية: تشبه الشمس ولهب النار في اللون والصفاء والإشراق.

(١٣) القتير في الأصل: رؤوس المسامير في الدرع، ويطلق على الشيب في أول ظهوره، والمراد به هنا: ضوء الصبح في أول طلوعه.

(١٤) نعّمت سمعي: المراد أنه سمع ما أعجبه وأطربه من حلو الأغاني وجميل النغمات. والبنان: أطراف الأصابع، الواحدة بنانة، وطهر بنانه: كناية عن عفّته، وامتناعه عما يشين ويقبح.

(١٥) راعنا: أفزعنا، والمراد نبّهنا على إقبال النهار. وحفيف الحمائم: صوت طيرانها. وهدير الحمامة: صوتها وسجعها، كالهديل.

(١٦) الأتراب: جمع ترب، وهو اللدة أي من ولد معك، وكانت سّنه مثل سنّك، والترب يستوي فيه

نَـوَاعِـمُ لا يَـعْـرِفْـنَ بُـؤْسَ مَـعِـيشَـةٍ ... وَلَا دائِـراتِ الـدَّهْـرِ كَيْفَ تَـدُورُ[١٧]

تَـوَسَّـدُ هَـامَـاتُ لَـهُـنَّ وَسَـائِـداً ... مِنَ الـرِّيش فِيـهِ طَـائِـلٌ وَشَـكِـيـرُ

كَـأَنَّ عَلى أَعْـطَافِهـا مِنْ حَبِيكِـهـا ... تَـمـائِـمَ لَـمْ تُـعْـقَـدْ لَـهُـنَّ سُيُـورُ

خَـوَارِجُ مِـنْ أَيْـك دَوَاخِـلُ غَـيْـرِهِ ... زَهَـاهُـنَّ ظِـلٌ سَـابِـغٌ وَغَـدِيـرُ

إِذَا غَـازَلَتْهَـا الـشَّمْسُ رَفَّتْ كَـأَنَّمـا ... عَلَى صَفْحَتَيْهَـا سُنْدُسٌ وَحَـرِيـرُ[١٨]

فَلَمَّـا رَأَيْتُ الصُّبْـحَ قَـدْ رَفَّ جِيـدُهُ ... وَلَمْ يَبْقَ مِنْ نَسْجِ الظَّلامِ سُتُـورُ[١٩]

خَـرَجْتُ أَجُـرُّ الـذَّيْـلَ تِيهـاً وَإِنَّمَـا ... يَـتِيـهُ الْـفَـتَـى إِنْ عَـفَّ وَهْـوَ قَـدِيـرُ

ولِي شِيمَـةٌ تَـأْبَى الـدَّنَـايَـا وَعَـزْمَـةٌ ... تَـرُدُّ لُـهَـامَ الْجَيْشِ وَهْـوَ يَمُـورُ[٢٠]

إِذَا سِـرْتُ فَـالأَرْضُ الَّتِي نَحْنُ فَـوْقَهَـا ... مَـرَادٌ لِمُهْـرِي وَالْـمَعَـاقِـلُ دُورُ[٢١]

فَـلاَ عَـجَبٌ إِنْ لَـمْ يَصُـرْنِـي مَـنْـزِلٌ ... فَـلَيْسَ لِـعِـقْـبَـانِ الْـهَـوَاءِ وُكُـورُ[٢٢]

هَمَـامَـةُ نَفْسٍ لَـيْسَ يَنْـقِي رِكَـابَـهَـا ... رَوَاحٌ عَلَى طُـولِ الْـمَـدَى وَبُكُـورُ[٢٣]

المذكر والمؤنث، فيقال: هو تربي، وهي تربي. والخمائل: جمع خميلة، وهي الشجر الكثير الملتفّ، أو الموضع الكثير الشجر.

(١٧) دائرات الدهر: نوازله وخطوبه وصروفه.

(١٨) غازلتها الشمس: اتصلت بها، أو خالطتها أشعّتها، وسطعت فوقها. وصفحتاها: جانباها. والسندس: ما رقّ من الديباج، وهو الحرير الخالص.

(١٩) الجيد: العنق، ورفّ جيده: ظهرت أنواره.

(٢٠) الشيمة: الغريزة والطبيعة والخُلق والجبلة. والعزمة: الجدّ والهمّة والإرادة القويّة القاطعة. وجيش لهام: كثير يغتمر من يدخله، ويغيّبه في وسطه.

(٢١) المراد: موضع اختلاف الإبل ونحوها في المرعى مقبلة ومدبرة، والمراد هنا: المجال. والمعاقل: الملاجىء والحصون ونحوها.

(٢٢) لم يصرني منزل: لم يملني إليه، ولم يجمعني، صاره يصوره ويصيره: أماله. والعقبان: جمع العقاب، اسم طائر من عتاق الطير وجوارحها، كالصقر والبازي والنسر ونحوها. والوكور: جمع وكر، وهو عش الطائر.

(٢٣) يريد بالهمامة: الهمّة العالية، وقوّة العزم. وينقي: يهزل ويضعف. والركاب: الإبل التي يسار عليها. والرواح: مصدر راحت الماشية وغيرها، أي رجعت بالعشي.

مُـعَـوَّدَةٌ أَلَّا تَـكُـفَّ عِـنَـانَـهَـا ... عَـنِ الْـجِـدِّ إِلَّا أَنْ تَـتِـمَّ أُمُـورُ

لَـهَـا مِنْ وَرَاءِ الْـغَـيْـبِ أُذْنٌ سَـمِـيـعَـةٌ ... وَعَـيْـنٌ تَـرَى مَـا لا يَـرَاهُ بَـصِـيـرُ

وَفَـيْـتُ بِـمَـا ظَـنَّ الْـكِـرَامُ فِـرَاسَـةً ... بِـأَمْـرِي وَمِـثْـلِي بِـالْـوَفَـاءِ جَـدِيـرُ

وَأَصْبَحْتُ مَحْسُـودَ الْجَـلالِ كَـأَنَّـنِي ... عَـلى كُـلِّ نَفْسٍ فِـي الـزَّمَـانِ أَمِـيـرُ

إِذَا صُـلْتُ كَفَّ الـدَّهْـرُ مِـنْ غُـلَوَائِـهِ ... وَإِن قُـلْتُ غَصَّتْ بِـالْـقُـلُوبِ صُـدُورُ

مَلَكْتُ مَـقَـالِيـدَ الْـكَـلَامِ وَحِكْـمَـةً ... لَـهَـا كَـوْكَـبٌ فَـخْمُ الـضِّـيَـاءِ مُـنِـيـرُ

فَلَوْ كُنْتُ فِي عَصْرِ الْكَلامِ الَّذِي انْقَضَى ... لَبَـاءَ بِفَضْلِي « جَـرْوَلٌ » و «جَـرِيـرُ »

وَلَـوْ كُنْتُ أَدْرَكْتُ « النُّـوَاسِيَّ » لَمْ يَقُـلْ ... (أَجَـارَةَ بَـيْـتَـيْـنَـا أَبُـوكِ غَـيُـورُ)

وَمَـا ضَـرَّنِـي أَنِّي تَـأَخَّـرْتُ عَـنْـهُـمُ ... وَفَـضْـلِي بَـيْـنَ الْـعَـالَـمِـينَ شَـهِـيـرُ

فَـيَـا رُبَّـمَـا أَخْـلَى مِـنَ الـسَّـبْـقِ أَوَّلٌ ... وَبَـزَّ الْـجِـيَـادَ الـسَّـابِـقَـاتِ أَخِـيـرُ

وَقَالَ مَادِحاً وَمُهَنِّئاً بِعيدِ الْجُلُوسِ (★) :

أَضَـوْءُ شَمْسٍ فَـرَى سِـرْبَـالَ دَيْـجُـورِ ... أَمْ نُـورُ عِيـدٍ بِعَقْـدِ التَّـاجِ مَشْهُـورِ ؟[1]

وَأَنْـجُـمٌ تِـلْكَ أَمْ فُـرْسَـانُ عَـادِيَـةٍ ... تَخْتَـالُ فِي مَوْكِبٍ كَـالْبَحْـرِ مَسْجُـورِ[2]

مِـنْ كُـلِّ أَرْوَعَ يَـجْـلُو ظِـلَّ عِـثْـيَـرِهِ ... بِصَـارِمٍ كَلِسَـانِ النَّـارِ مَسْعُـورِ[3]

(★) في الثامن عشر من المحرم سنة ١٣١٨ هـ (السابع عشر من مايو سنة ١٩٠٠م) أعاد الخديوي «عباس حلمي الثاني» إلى البارودي حقوقه المدنية، وألقابه وأملاكه، فشكر له، وهنَّأه بعيد جلوسه. وقد اعتلى عرش مصر في السابع من يناير سنة ١٨٩٢ بعد وفاة والده الخديوي «توفيق».

(١) فرى: شقّ ومزّق. والسربال: القميص. والديجور: الظلام. وعقد التاج: كناية عن تولية الملك.

(٢) العادية: الخيل تعدو. وتختـال: تزهى وتعجب بنفسها مرحاً، من الاختيال، وهو الكبر. ومسجور: مملوء عظيم.

(٣) الأروع: الشجاع الوسيم. والعثير: الغبار الذي تثيره الخيل المقاتلة في أثناء القتال. والصارم: السيف القاطع. ومسعور: متّقد متلألىء

لا يَـرْهَـبُـونَ عَـدُوّاً فـي مُـغَـاوَرَةٍ   وَكَيْفَ يَـرْهَبُ لَيْثٌ كَـرَّ يَعْفُـورِ ؟[٤]

مُسْتَـوْفِـزُونَ لِـوَحْيٍ مِنْ لَـدُنْ مَـلِكٍ   بَـادِي الْـوَقَـارِ عَلَى الأَعْـدَاءِ مَنْصُـورِ[٥]

فِي دَوْلَـةٍ بَلَغَتْ بِـالعَـدْلِ مَـنْـزِلَـةً   عَلْيَـاءَ كَـالشَّمْسِ فِي بُعْدٍ وَفِي نُـورِ[٦]

طَلَعْتَ فِيهَـا طُلُوعَ الْبَـدْرِ فَـازْدَهَـرَتْ   أَقْـطَارُهَـا بِضِيَـاءٍ مِنْـكَ مَنْشُـورِ[٧]

فَلْيَفْخَـرِ التَّـاجُ إِذْ دَارَتْ مَـعَـاقِـدُهُ   عَلَى جَبِينٍ بِنُـورِ السَّعْـدِ مَغْمُـورِ[٨]

كَـأَنَّـمَـا صَـاغَ كَفُّ الأُفْـقِ أَنْـجُـمَـهُ   لِـلْبَـدْرِ مَـا بَـيْـنَ مَـنْـظُومٍ وَمَـنْـثُـورِ

فَـيَـا لَهَـا حَـفْلَةً لِـلْمَلِكِ مَـا بَـرِحَـتْ   تَـارِيخَ مَجْـدٍ بِكَفِّ الـدَّهْـرِ مَسْطُورِ

ظَلَّتْ بِـهَـا حَـدَقُ الأَمْـلَاكِ شَـاخِصَـةً   إِلى مَهِيبٍ بَفَضْـلِ الْحِلْمِ مَشْكُـورِ[٩]

فَـكَمْ أَمِـيـرٍ بِحُسْنِ الْحَظِّ مُبْتَـهِـجٍ   وَكَمْ وَزِيـرٍ بِكَـأْسِ الْبِشْـرِ مَـخْمُـورِ

فَـالأَرْضُ فِي فَـرَحٍ والـدَّهْـرُ فِي مَـرَحٍ   والـنَّـاسُ مَـا بَيْـنَ تَهْلِيـلٍ وَتَكْـبِـيـرِ

فِـي كُـلِّ مَـمْـلَكَـةٍ تَـيَّـارُ كَـهْـرَبَـةٍ   يَسْـرِي وَفِي كُـلِّ نَـادٍ صَـوْتُ تَبْشِيـرِ

يَـوْمٌ بِـهِ طَنَّتِ الأَسْـمَـاعُ مِنْ طَـرَبٍ   كَـأَنَّ فِـي كُـلِّ أُذْنٍ سِلْكَ طُـنْـبُـورِ

وَكَـيْـفَ لا تَـبْـلُغُ الأَفْـلَاكَ دَوْلَـةُ مَـنْ   أَضْحَى بِـهِ الْعَدْلُ حِلًّا غَيْـرَ مَحْظُورِ ؟

هُـوَ الْـمَـلِيـكُ الَّـذِي لَـوْلَا مَـآثِـرُهُ   مَـا كَـانَ فِي الـدَّهْـرِ يُسْـرٌ بَعْـدَ مَعْسُـورِ

---

(٤) المغاورة: الإغارة، وهي الهجوم على الأعداء. والكرّ: مصدر كرّ الفارس ونحوه إذا استجمع للوثوب، ثم وثب. واليعفور: ظبي بلون التراب، أو هو الظبي مطلقاً.

(٥) مستوفزون: جمع مستوفز، وهو اسم فاعل من قولهم: استوفز الرجل في قعدته، إذا قعد وهو متهيىء للقيام أو الوثوب.

(٧) ازدهرت: تلألأت وأشرقت وأضاءت.

(٨) المراد بمعاقد التاج: أجزاؤه حيث تنعقد الجواهر واللآلىء المرصعة.

(٩) الحدق: جمع حدقة وهي سواد العين، والمراد بالحدق: العيون. وشاخصة: ناظرة.

فَـلَّ النَّـوَائِبَ فَـانْصَـاحَتْ دَيَـاجِـرُهَـا | بِمُـرْهَفٍ مِنْ سُيُوفِ الـرَّأْيِ مَـأْثُـورِ[١٠]
وَأَصْلَحَتْ عَنَـتَ الأَيَّـامِ حِـكْـمَـتُـهُ | مِنْ بَعْدِ مَا كَـانَ صَدْعَـاً غَيْرَ مَجْبُـورِ[١١]
مُسَدَّدُ الـرَّأْيِ مَـوْقُـوفُ الـظُّنُـونِ عَلَى | رَعْيِ السِّيَـاسَـةِ فِي ثَبْتٍ وَتَـبْـحُـويـرِ
لا يُـغْمِـدُ الـسَّيْـفَ إِلَّا بَعْـدَ مَـلْحَمَـةٍ | وَلا يُـعَـاقِـبُ إِلَّا بَـعْـدَ تَـحْـذِيـرِ[١٢]
يَـأَيُّهَـا الْمَـالِـكُ الْمَيْمُـونُ طَـائِـرُهُ | أَبْشِـرْ بِفَتْـحٍ عَـظِيمِ الْقَـدْرِ مَنْظُورِ[١٣]
إِنَّ الْـخُـطُوبَ الَّتِي ذَلَّلْتَ جَـانِـبَـهَـا | بِحُسْنِ رَأْيِـكَ لَمْ تُقْـدَرْ لِمَـقْـدُورِ[١٤]
بَلَغْتَ بِـالشَّـرْقِ مَـا أَمَّلْتَ مِـنْ وَطَـرٍ | وَنِلْتَ بِـالْغَـرْبِ حَقَّـاً غَيْـرَ مَنْكُـورِ[١٥]
فَمَنْ يُبَـارِيـكَ فِي فَضْـلٍ وَمَكْـرُمَـةٍ ؟ | وَمَنْ يُـدَانِيـكَ فِي حَـزْمٍ وَتَـدْبِيـرِ ؟[١٦]
لَـوْلاكَ مَـا دَامَ ظِـلُّ السِّلْمِ وَانْحَسَـرَتْ | ضَبَـابَـةُ الْحَـرْبِ إِلَّا بَعْـدَ تَغْـرِيـرِ[١٧]
وَلَا سَرَى الأَمْنُ بَعْدَ الْخَوْفِ وَاعْتَصَمَتْ | بِجَـانِبِ الصَّبْـرِ هِمَّـاتُ الْمَـغَـاوِيـرِ
فَـاسْلَمْ لِمُلْكٍ مَنِيـعِ الـسَّـرْحِ تَـكْلَؤُهُ | بِعَيْنِ ذِي لِبَـدٍ فِي الْغَـابِ مَحْـذُورِ[١٨]

---

(١٠) فلّ النوائب: جلا لها وكشفها وتغلّب عليها. وانصاحت: تشقّقت وانصدعت. والدياجر: جمع ديجور، وهو الظلمة. والمرهف: السيف المرقّق الحادّ القاطع. وسيف مأثور: قديم، توارثه كابر عن كابر. والأثر: فرند السيف ووشيه، ورونقه وديباجته.
(١١) العنت: الخطأ، والعنت أيضاً: المشقّة والشدّة. والصدع: الشق.
(١٢) غمد المحارب ونحوه السيف وأغمده: جعله في غمده. والملحمة: القتال، أو الوقعة العظيمة القتل.
(١٣) الطائر الميمون: المبارك، وهو ما أتاك عن يمينك، وكانت العرب تتيمّن بذلك، والمراد بالطائر الميمون: الحظّ السعيد.
(١٤) الخطوب: جمع خطب، وهو النازلة الشديدة من نوازل الدهر.
(١٥) الوطر: الحاجة أو حاجة لك فيها همّ وعناية.
(١٦) يباريك: يعارضك.
(١٧) التغرير: ركوب الخطر، وتعريض النفس للهلكة.
(١٨) معنى «ملك منيع السرح»: أنه منيع الجانب، قويّ، عزيز، لا يجترأ عليه. وتكلؤه: تحفظه وترعاه. وذو اللبد: الأسد.

وَاقْبَـلْ هَـدِيَّـةَ فِكْـرٍ قَـدْ تَـكَنَّفَهَـا رَوْعُ الْخَجَالَـةِ مِنْ عَجْـزٍ وَتَقْصِيرِ[١٩]

وَسَمْتُهَـا بِـاَسْمِـكَ الْعَالِي فَـأَلْبَسَهَـا جِلْبَابَ فَخْرٍ طَوِيلِ الـذَّيْلِ مَجْـرُورِ[٢٠]

لَـوْلَا صِفَاتُـكَ ـ وَهْيَ الـدُّرُّ ـ مَا بَهَرَتْ أَبْيَـاتُهَـا الْغُـرُّ مِنْ حُسْنٍ وَتَحْبِيـرِ[٢١]

شَمَـائِـلٌ زَيَّنَتْ قَـوْلِي بِـرَوْنَـقِـهَـا كَـالسِّحْرِ يَفْتِنُ بَيْنَ الأَعْيُنِ الْحُـورِ[٢٢]

شَفَّتْ زُجَاجَـةُ فِكْـرِي فَـارْتَسَمْتُ بِهَـا عُلْيَـاكَ مِنْ مَنْطِقِي فِي لَـوْحِ تَصْوِيـرِ

فَـاسْعَـدْ بِيَـومٍ تَجَلَّى السَّعْـدُ فِيـهِ عَلى نَـادِي عُـلاكَ بِتَـعْـظِيـمٍ وَتَـوْقِيـرِ

وَدُمْ عَلَى الـدَّهْـرِ فِي مُلْكٍ تَعِيشُ بِـهِ مُـرفَّـهَ النَّفْسِ حَتَّى نَفْخَـةِ الصُّـورِ[٢٣]

وَقَالَ فِي الفَخْرِ★ :

طَـرِبْتُ وَعَـادَتْنِي الْمَخِيلَةُ والسُّكْـرُ وَأَصْبَحْتُ لَا يُلْوِي بِشِيمَتِي الـزَّجْـرُ[١]

---

(١٩) يريد بهديّة الفكر: هذه القصيدة. وتكنّفها: أحاط بها. والروع: الخوف والفزع. والخجالة: التحيّر والدهش والاضطراب من الاستحياء.

(٢٠) وسمتها: أعلمتها وميّزتها.

(٢١) الدرّ: اللؤلؤ الكبير، واحدته درّة. والغرّ: جمع الأغرّ، وهو الواضح الصبيح الجميل المشهور. والتحبير: التزيين والتجميل والتحسين.

(٢٢) شمائل: أخلاق وطبائع، ومفردها شمال. والرونق: البهاء والحسن. والحور: جمع حوراء، صفة من الحور وهو شدّة بياض العين في شدّة سوادها، مع استدارة حدقتها، ورقّة جفونها، وبياض ما حواليها.

(٢٣) نفخة الصور: كناية عن قيام الساعة.

(★) يعارض الباروديّ بهذه القصيدة قصيدة لأبي فراس الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي، ابن عمّ سيف الدولة بن حمدان، وأحد قوّاده وولاته. مات مقتولاً في ثورة قومية بإحدى قرى الشام سنة ٣٥٧ هـ عن ٣٧ سنة. هذه القصيدة هي تلك المشهورة التي مطلعها:

أراكَ عصِي الدمع شيمتكَ الصّبرُ أما للهوى نهي عليكَ ولا أمرُ

(١) طربت: اهتززت شوقاً إلى من أحبّ. وعادني الشيء عوداً، واعتادني: انتابني ورجع إليّ مرّة

كَـأنِّيَ مَخْـمُـورٌ سَـرَتْ بِلِسَـانِـهِ ... مُعَتَّقَـةٌ مِمَّـا يَضِنُّ بِـهَـا التَّـجْـرُ[٢]

صَـرِيـعُ هَـوىً يُلْوِي بِيَ الشَّـوْقُ كُلَّمَـا ... تَـلألأ بَـرْقٌ أَوْ سَـرَتْ دِيَـمٌ غُـزْرُ[٣]

إِذَا مَـال مِـيـزَانُ الـنَّـهـارِ رَأَيْـتُـنِـي ... عَلى حَسَـراتٍ لاَ يُقَـاوِمُهـا صَبْـرُ[٤]

يَـقُـولُ أُنَـاسٌ إِنَّـهُ الـسِّـحْـرُ ضَـلَّـةً ... وَمَـا هِيَ إِلَّا نَـظْرَةٌ دُونَهَـا السِّحْـرُ[٥]

فَكَيْفَ يَعِيبُ النَّـاسُ أمْـرِي وَلَيْسَ لِـي ... وَلاَ لاِمْـرِىءٍ فِي الْحُبِّ نَهْيٌ وَلاَ أَمْـرُ ؟

وَلَـوْ كَـانَ مِـمَّـا يُسْـتـطَاعُ دِفَـاعُـهُ ... لأَلْـوَتْ بِـهِ الْبِيضُ الْمَبـاتِيـرُ والسُّمْـرُ[٦]

وَلَـكِنَّـهُ الْـحُـبُّ الَّـذِي لَـوْ تَـعَـلَّـقَـتْ ... شَـرَارَتُـهُ بِـالْجَمْـرِ لاَحْتَـرَقَ الْجَمْـرُ

عَلَى أَنَّنِي كَـاتَمْـتُ صَـدْرِيَ حُـرْقَـةً ... مِنَ الْـوَجْـدِ لا يَقْـوَى عَلَى حَمْلِهَا صَـدْرُ

وَكَـفْكَـفْتُ دَمْـعَـاً لَـوْ أَسَلْتُ شُـؤُونَـهُ ... عَلَى الأَرْضِ مَا شَكَّ امْرُؤٌ أَنَّهُ الْبَحْـرُ[٧]

حَـيَـاءً وَكِبْـراً أَنْ يُـقَـالَ تَـرَجَّـحَـتْ ... بِـهِ صَبْـوَةٌ أَوْ فَـلَّ مِنْ غَـرْبِـهِ الْهَجْـرُ[٨]

بعد أخرى. والمخيلة: الظن، والمراد ذكريات الماضي. وألوى به: ذهب به. والزجر: المنع والنهي.

(٢) معتّقة: خمر قديمة. والتجر: جمع تاجر، وهو بائع الخمر.

(٣) صريع هوى: طريح حبّ وغرام. والديم: جمع ديمة، وهي السحابة الممطرة. وغزر: جمع غزيرة، بمعنى كثيرة الماء.

(٤) ميزان النهار: الشمس، وميل الميزان: قرب الشمس من المغيب.

(٥) ضلّة: على غير هدى وصواب.

(٦) ألوت به: ذهبت به. والبيض: السيوف. والمباتير: القواطع. والسمر: القنا والرماح، جمع أسمر، أو جمع سمراء، وهما صفتان من السمرة، وهي لون بين البياض والسواد، يقال رمح أسمر، وقناة سمراء.

(٧) الشؤون: جمع شأن، وهو مجرى الدمع إلى العين. ومعنى «لو أسلت شؤونه»: لو صببته.

(٨) ترجّحت: مالت. والصبوة: الحنين والشوق، والميل إلى الهوى، وجهلة الفتوّة. وفلّ: ثلم وكسر. وغرب كلّ شيء: حدّه. ومعنى «فلّ من غربه الهجر»: أنه فقد الصبر والاحتمال والقوّة بسبب هجر الحبيب وصدوده وإعراضه.

وَإِنِّي امْـرُؤٌ لَـوْلَا الْعَـوائِقُ أَذْعَنَـتْ ... لِسُلْطَانِـهِ الْبَدْوُ الْمُغِيـرَةُ والْحَضْـرُ(٩)

مِنَ النَّفَـرِ الْغُـرِّ الَّـذِيـنَ سُيُـوفُـهُـمْ ... لَهَـا فِي حَـوَاشِي كُـلِّ دَاجِيَـةٍ فَجْـرُ(١٠)

إِذَا اسْتَـلَّ مِنْهُمْ سَيِّـدٌ غَـرْبَ سَيْفِـهِ ... تَفَـزَّعَتِ الأَفْـلَاكُ وَالْتَفَتَ الـدَّهْـرُ(١١)

لَـهُـمْ عُـمُـدٌ مَـرْفُـوعَـةٌ وَمَعَـاقِـلٌ ... وَأَلْـوِيَـةٌ حُـمْـرٌ وَأَفْنِيَـةٌ خُـضْـرُ(١٢)

وَنَـارٌ لَهَـا فِي كُـلِّ شَـرْقٍ وَمَـغْـرِبٍ ... لِمُـدَّرِعِ الظَّلْمَـاءِ أَلْسِنَـةٌ حُمْـرُ(١٣)

تَمُـدُّ يَـداً نَحْـوَ السَّمَـاءِ خَضِيبَـةً ... تُصَافِحُهَا الشِّعْرَى وَيَلْثِمُهَـا الْغَفْـرُ(١٤)

وَخَيْـلٌ يَعُـمّ الخَـافِقَيْـنِ صَهِيلُهَـا ... نَـزَائِـعُ مَعْقُـودٌ بِأَعْـرَافِهـا النَّصْـرُ(١٥)

مُـعَـوَّدَةٌ قَـطْعَ الْفَـيَـافِي كَـأَنَّـهَـا ... خُـدَارِيَّـةٌ فَتْخَـاءُ لَيْسَ لَهَـا وَكْـرُ(١٦)

---

(٩) أذعنت: خضعت وذلّت وانقادت. والمغيرة: اسم فاعل من أغار الإنسان على عدوّه إغارة، أي هجم، أو دفع عليهم الخيل.

(١٠) النفر: الجماعة من الرجال. والغرّ: جمع الأغرّ، وهو الشريف، أو الكريم الأفعال. والحواشي: الجوانب والنواحي، الواحدة حاشية. وداجية: مظلمة.

(١١) استلّ سيفه: أخرجه من غمده. وغرب السيف: حدّه. وتفزّعت: فزعت وخافت.

(١٢) المعاقل: جمع معقل وهو الملجأ والحصن ونحوهما. والألوية: جمع لواء، وهو العلم. والأفنية: جمع فناء وهو الفضاء والسعة أمام البيت، أو هو ما امتدّ من جوانب الدار. واخضرار الأفنية: كناية عن الكرم والغنى والرفاهة.

(١٣) مدرّع الظلماء: لابسها، والمراد بمدرّع الظلماء: الساري في ظلام الليل.

(١٤) خضيبة: محمرّة اللون، كأنها مخضوبة بالحناء ونحوه، والشعرى: كوكب نيّر يطلع بعد الجوزاء، وتزعم العرب أن الشعرى أخت سهيل. واللثم: التقبيل. والغفر: منزل من منازل القمر، ثلاثة أنجم صغار، وهي من الميزان.

(١٥) الخافقان: المشرق والمغرب أو أفقاهما. ونزائع: غرائب، أو نجائب تنزع إلى أصل كريم. ونَزَع الفرس سَنَناً أي جرى طَلَقاً، أي شَوْطاً. والأعراف: جمع عرف، وهو الشعر النابت في رقبة الفرس.

(١٦) الفيافي: جمع فيفاء، وهي الصحراء أو المفازة لا ماء فيها. والخداريّة: العقاب، وهي طائر من عتاق الطير وسباعها وجوارحها، ويضرب بها المثل في القوّة، وسرعة الطيران، والإبعاد فيه. وفتخاء: من صفات العقاب، يقال: عقاب فتخاء، أي ليّنة الجناح، لأنها إذا انحطّت كسرت جناحيها وغمزتهما. والوكر: عشّ الطائر.



أَقَـامُـوا زَمَـانـاً ثُـمَّ بَـدَّدَ شَـمْـلَهُـمْ ... مَلُولٌ مِنَ الأَيَّـامِ شِيمَتُـهُ الْغَـدْرُ[١٧]

فَـلَمْ يَبْـقَ مِنْهُـمْ غَيْـرُ آثَـارِ نِـعْمَـةٍ ... تَضُـوعُ بِرَيَّـاهَا الأَحَـادِيثُ وَالـذِّكْـرُ[١٨]

وَقَـدْ تَـنْـطِقُ الآثَـارُ وَهْـيَ صَـوَامِـتٌ ... وَيُثْنِي بِـرَيَّـاهُ عَلَى الْـوابِـلِ الـزَّهْـرُ[١٩]

لَـعَمْـرُكَ مَـا حَيٌّ وَإِنْ طَـالَ سَيْـرُهُ ... يُـعَـدُّ طَـلِيقَـاً وَالْـمَـنُـونُ لَـهُ أَسْـرُ

وَمَـا هَـذِهِ الأَيَّـامُ إِلَّا مَـنَـازِلٌ ... يَحُـلُّ بِهَـا سَفْـرٌ وَيَتْـرُكُهـا سَفْـرُ[٢٠]

فَـلاَ تَحْسَبَنَّ الْـمَـرْءَ فِيـهـا بِخَـالِـدٍ ... وَلَـكِـنَّـهُ يَـسْـعَـى وَغَـايَـتُـهُ الْـعُـمْـرُ

وَقَالَ(★) يُهَنِّىءُ الْخِديوي عَبَّاسَ حِلْمِي الثَّانِي(★★) بِعِيدِ جُلُوسِهِ :

لِمِثْـلِ ذَا الْيَـوْمِ كَـانَ الْمُلْكُ يَنْتَـظِرُ ... فَـاسْعَـدْ بِهَـا دَوْلَـةً عُنْـوانُهـا الـظَّفَـرُ[١]

---

(١٧) الشيمة: الخليقة والطبيعة.

(١٨) تضوع: تفوح وتنتشر. والريّا: الريح الطيّبة. والذكر: الصيت والشرف والثناء.

(١٩) الوابل: المطر الغزير.

(٢٠) السفر: جماعة المسافرين، يقال رجل سافر، وقوم سفر.

(★) هذه المدحة لم تنشر في الطبعات السابقة، لأنها مطموسة في أصل الديوان، وقد رأينا نشرها في هذه الطبعة مع المطموسات التي استطعنا قراءتها، لتتمّ الفائدة بإذن الله.

(★★) عباس حلمي الثاني (١٨٧٤ ـ ١٩٤٤): الابن الأكبر للخديوي توفيق. تقلّد منصبه سنة ١٨٩٢ وهو في الثامنة عشرة. وبطموحه وبعد همته حاول مقاومة الاحتلال البريطاني، ولكنه في النهاية غلب على أمره، وسلبه المعتمد البريطاني اللورد كتشنر (١٩١١ ـ ١٩١٤) سلطانه الفعليّ. ولما نشبت الحرب العالمية الأولى انتهز البريطانيون الفرصة، ففرضوا حمايتهم على مصر، وخلعوا عباساً وهو في الآستانة في ديسمبر سنة ١٩١٤. وفي سويسرا أقام معظم سنوات نفيه. وبعد وفاته نقل جثمانه إلى مصر.

(١) الدَّولة: الاستيلاء والغلبة. والـدولة: جمع من الناس مستقرّون في إقليم معيّن الحدود، مستقلّون وفق نظام خاصّ. وقد تطلق الدولة على الهيئة الحاكمة في البلاد. ومن المعاني التي تحتملها «الدولة» وتناسب المقام هنا: الحكم، والملك، والـولاية، والإمـارة، والسلطان، ومنصب الخديوية.



تَهَلَّلَتْ مِصْرُ بَعْدَ الْيَأْسِ وَابتَهَجتْ بِكَ الرَّعِيَّةُ حَتَّى عَمَّهَا الْحَبَرُ[٢]

نَالَتْ بِنَصْرِكَ مَا كَانَتْ تُؤَمِّلُهُ لاَ زِلْتَ لِلْمُلْكِ وَالإِسْلاَمِ تَنْتَصِرُ

فَالْعَدْلُ مُنْبَسِطٌ وَالْجَوْرُ مُنْقَبِضٌ وَالأَمْنُ مُنْسَدِلٌ وَالْخَوْفُ مُنْشَمِرُ[٣]

نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَافَى بَعْدَ دَاجِيَةٍ كَمَا تَبَلَّجَ عَنْ مَكْنُونِهِ السَّحَرُ[٤]

فَالنَّاسُ مِنْ طَرَبٍ فِي نَشْوَةٍ أَخَذَتْ بِهِمْ فَمَالُوا كَأَنَّ الْقَومَ قَدْ سَكِرُوا

مُسْتَوفِضُونَ إِلَى الدَّاعِي تَسِيلُ بِهِمْ أَرْضٌ وَتَجْمَعُهُم أُخْرَى فَهُمْ زُمَرُ[٥]

فِي كُلِّ نَادٍ خَطِيبٌ حَوْلَ مِنْبَرِهِ جَمْعٌ وَفِي كُلِّ وادٍ تَرْكُضُ الْبَشَرُ[٦]

يَسْتَعْذِبُ السَّمْعُ مَا يُمْلِي اللِّسَانُ لَهُ وَيَعْلَقُ الْقَلْبُ مَا يُوحِي بِهِ الْبَصَرُ

فَلاَ شَقَاءٌ وَلاَ بَأْسٌ وَلاَ فَزَعٌ وَلاَ عَدَاءٌ وَلاَ غَدْرٌ وَلاَ حَذَرُ

عِيدٌ تَهَلَّلَتِ الدُّنْيَا بِهِ فَرَحاً وَنِعْمَةٌ لَيْسَ يَقْضِي حَقَّهَا الْبَشَرُ[٧]

وَكَيْفَ لاَ تَفْخَرُ الدُّنْيَا بِطَلْعَةِ مَنْ لَوْلاَهُ لَمْ يَبْقَ فِيهَا لاِمْرِىءٍ وَطَرُ؟[٨]

---

(٢) تهلّلت: تلألأت، وأشرقت، وفرحت. ورعيّة الملك ونحوه: قومه، وأهل البلاد التي يحكمها، ويدبّر أمورها، ويرعى مصالحها. والحبر: الابتهاج والسرور، والنضرة، والنعمة.

(٣) المراد بالانسدال: الاستتباب، والاطّراد، والاستقرار. وشمر الشيء: قلّصه، وضمّ بعضه إلى بعض، وانشمار الخوف: زواله وذهابه.

(٤) داجية: مظلمة. وتبلّج الصبح: أسفر فأنار، وأشرق وأضاء. والسحر: آخر الليل قبيل الفجر. ومكنونه: ما يكنّه ويستره ويخفيه. وتبلّج السحر عن مكنونه: أي انكشف السحر عما كان يكنه قبل انكشافه من محاسن الطبيعة ونضرة الحياة.

(٥) مستوفضون: مسرعون. وتسيل بهم أرض: يجرون فيها من كل وجه، ويموجون، ويتدفّقون. وزمر: أفواج وجماعات، جمع زمرة.

(٦) النادي: مجلس القوم ومتحدّثهم ما داموا مجتمعين فيه. والوادي: كلّ منفرج بين جبال، أو تلال، أو آكام، يكون مسلكاً للسيل ومنفذاً، وجمعه أودية، ويراد بها هنا: الطرق والشوارع والمسالك.

(٧) قضى الحقّ: أدّاه وافياً تامّاً. وحقّ النعمة: أن تشكر.

(٨) الوطر: الحاجة والبغية، أو الحاجة فيها مأرب وهمّة.

فَـاسْتَبْشِـرُوا يَـا بَنِي الأَوطَـانِ إِنَّ لَكُمْ مِنْ عَـدْلِـهِ جَنَّـةً يَجْـرِي بِهَـا نَـهَـرُ

هُـوَ الْمَلِيكُ الَّـذِي لَـوْلاَ سِيَـاسَتُـهُ مَـا كَـانَ لِـلْعَـدْلِ لاَ عَـيْـنٌ وَلاَ أَثَـرُ

أَفْضَى إِلَى مِصْـرَ والـدُّنْيَـا عَلَى خَـطَرٍ فَمَـا تَمَثَّـلَ حَتَّـى أَجْفَـلَ الْـخَـطَرُ(٩)

مُـوَفَّـقٌ لِصَنِيـعِ الْخَيْـرِ مُبْتَـدِعٌ لِمَـا تُقَـصِّـرُ عَنْ إِدْرَاكِـهِ الْفِكَـرُ(١٠)

يَـهْمِـي نَـدىً وَرَدىً جُـوداً وَمَحْمِيَـةً كَـذَلِكَ الـدَّهْـرُ فِيـهِ النَّفْـعُ وَالضَّـرَرُ(١١)

يَسْـطُو بِـرِفْقٍ إِذَا مَـا الْحَـزْمُ أَعْـوَزَهُ إِلَـى الْعِقَـابِ وَيَعْفُـو حِينَ يَقْـتَـدِرُ

فَـالْبَطْشُ مَـا لَمْ يَكُنْ عَنْ حِكْمَـةٍ سَـرَفٌ وَالْحِلْمُ مَـا لَمْ يَكُنْ عَنْ قُـدْرَةٍ خَـوَرُ(١٢)

إِذَا ارْتَـأَى بَـدَرَتْ أَنْـوَارُ حِـكْـمَـتِـهِ كَمَـا تَـطَايَـرَ بَعْـدَ الْقَـدْحَـةِ الشَّـرَرُ(١٣)

دَلَّـتْ عَـلَى فَـضْـلِهِ آثـارُ حِـكْـمَـتِـهِ وَكُـلُّ شَـيْءٍ لَـهُ مِـنْ نَـفْـسِـهِ أَثَـرُ

إِذَا تَـبَـسَّـمَ فَـاضَـتْ رَاحَـتَـاهُ لَـنَـا جُـوداً وَمَـا كُـلُّ بَـرْقٍ خَلْفَـهُ مَـطَرُ

تَمـلَّ بِـالْمُلكِ يَـا عَبَّـاسُ وَابْـقَ لَنَـا فِي نِعْمَـةٍ لَمْ يُخَـالِطْ صَفْـوَهَـا كَـدَرُ(١٤)

---

(٩) أفضى إلى مصر: وصل إليها، والمراد تقلّد أمرها، وتولّى ملكها. وتمثّل بين يديه: أي قام منتصباً.

(١٠) مبتدع: أي استنبطه واستحدثه وأنشأه على غير مثال سابق. والفكر: جمع فكرة، وهي النظر والرويّة والتأمّل والتدبّر، والصورة الذهنيّة لأمر ما.

(١١) همى الماء ونحوه: سال، وانصبّ، وجرى. والندى: الجود، والسخاء، والخير. والردى: الهلاك والموت. وحمى الشيء حماية ومحمية: منعه، ودفع عنه.

(١٢) السرف: مجاوزة الحدّ، والسرف أيضاً: مصدر سرف، أي جهل، أو غفل. وخور: ضعف، وانكسار.

(١٣) ارتأى الأمر وفي الأمر: نظر فيه، وتدبّره. وبدرت: ظهرت في سرعة، وبلا توان. والقدحة: اسم مرة من قدح النار من الزند، وقدح بالزنـد: أي أوراه، وأخرج نـاره، ومنه القـدّاحة، والمقدحة.

(١٤) تملّ: أمر من تملى عمره، أو عيشه، أو شبابه، أو حبيبه، أو نحو ذلك، أي أمهل له فيه، وطال استمتاعه به.

فَـأَنْتَ مِنْ دَوْحَـةٍ فِي الْمَجْـدِ بَـاسِقَـةٍ طَـابَتْ وَدَلَّ عَلَيْهَـا الـنَّـوْرُ وَالثَّمَـرُ[١٥]

بَلَغْتُ مَجْهُـودَ نَفْسِـي في الـثَّنَـاءِ وَلَـمْ أَبْلُغْ عُـلَاكَ وَأَنَّى يُـدْرَكُ الْقَمَـرُ ؟[١٦]

فَـامْـنُـنْ عَـلَيَّ بِـإِصْـغَـاءٍ إِلَى كَـلِمٍ تُـعَـدُّ فِي الـنُّـطْقِ إِلَّا أَنَّـهَـا دُرَرُ[١٧]

وَسَمْتُهَـا بِـاسْمِـكَ الْعَـالِي فَـأَلْبَسَهَـا حُسْنَـاً تَتِيهُ بِـهِ الـدُّنْيَـا وَتَفْتَخِـرُ[١٨]

إِذَا تَـلَاهَـا لِسَـانُ الشُّكْـرِ قَـامَ لَهَـا حُبَّـاً بِـذِكْـرِ عُـلَاكَ الْبَـدْوُ وَالْحَضَـرُ

لَا زِلْـتَ مَـوْرِدَ آمَـالٍ تَـحُـومُ بِـهِ طَيْـرُ الْقُلُوبِ إِلَى أَنْ تُنْشَرَ الصُّـوَرُ[١٩]

وَقَالَ يَصِفُ الْهَرَمَيْنِ :

سَـلِ الْجِيزَةَ الْفَيْحَـاءَ عَنْ هَـرَمَيْ مِصْـرِ لَعَلَّكَ تَـدْرِي غَيْبَ مَا لَمْ تَكُنْ تَـدْرِي[١]

بِنَـاءَانِ رَدَّا صَـوْلَـةَ الـدَّهْـرِ عَنْهُمَـا وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ يَغْلِبَا صَـوْلَـةَ الـدَّهْـرِ[٢]

أَقَـامَـا عَلَى رَغْمِ الْخُـطُوبِ لِيَشْهَـدَا لِبَـانِيهِمَـا بَيْنَ الْبَـرِيَّـةِ بِـالْفَـخْـرِ[٣]

فَكَمْ أُمَمٍ فِي الْـدَّهْـرِ بَـادَتْ وَأَعْصُـرٍ خَلَتْ وَهُـمَـا أُعْجُـوبَـةُ الْعَينِ والْفِكْـرِ[٤]

---

(١٥) الدوحة: الشجرة العظيمة. وباسقة: طويلة، مرتفعة الأغصان. وطابت: زكت، ونمت، وجادت. والنور: الزهر، أو الأبيض منه، واحدته نورة، وجمعه أنوار.

(١٦) المجهود: الجهد، والطاقة، والاستطاعة.

(١٧) الكلم: جمع كلمة، والمراد كلمات هذه المدحة. والدرر: جمع درّة، وهي اللؤلؤة العظيمة.

(١٨) وسمتها: وسمت الكلم، أي هذه المدحة: أي أعلمتها وميّزتها. والسمة: العلامة المميّزة. وتتيه: تزهو، وتتعظّم، وتتكبّر.

(١٩) المورد: المنهل، والمشرب. وطير القلوب: القلوب الشبيهة بالطير. ونشر الله الموتى، وأنشرهم: بعثهم وأحياهم. ويراد بالصور: أرواح الموتى وأجسامهم. وإلى أن تنشر الصور: أي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ويبعث الله من في القبور.

(١) الفيحاء: الواسعة. وهرما مصر العظيمان على مقربة من مدينة الجيزة في جنوبيها الغربيّ.

(٢) الصولة: الاستطالة والسطوة والبطش والشدّة.

(٣) الخطوب: نوازل الدهر وشدائده، واحدها خطب. والبريّة: الخلق.

(٤) بادت: هلكت وزالت.



تَـلُوحُ لِآثَـارِ الـعُـقُـولِ عَـلَيْـهِـمَـا أَسَـاطِيـرُ لا تَنْفَـكُّ تُتْلَى إِلَى الْحَشْـرِ[٥]

رُمُـوزٌ لَـوْ اسْتَـطْلَعْتَ مَكْنُـونَ سِـرِّهَـا لأَبْصَرْتَ مَجْمُوعَ الْخَـلائِقِ فِي سَطْرِ[٦]

فَـمَـا مِنْ بِـنَـاءٍ كَـانَ أَوْ هُـوَ كَـائِـنٌ يُـدَانِيهِمَـا عِنْـدَ التَـأَمُّـلِ وَالْخُبْـرِ[٧]

يُقَصِّـرُ حُسْنـاً عَنْهُمـا « صَـرْحُ بَـابِـلٍ » وَيَعْتَـرِفُ « الإِيوَانُ » بِـالْعَجْـزِ وَالْبَهْـرِ[٨]

فَلَوْ أَنَّ « هَـارُوتَ » انْتَحَى مَـرْصَـدَيْهِمـا لأَلْقَى مَقَـالِيـدَ الْكَهَـانَـةِ وَالسِّحْـرِ[٩]

كَـأَنَّـهُـمَـا ثَـدْيَـانِ فَـاضَـا بِـدِرَّةٍ مِنَ النِّيلِ تُرْوِي غُلَّةَ الأَرْضِ إِذْ تَجْرِي[١٠]

وَبَيْنَـهُـمَـا « بَـلْهِيبُ » فِي زِيٍّ رَابِضٍ أَكَبَّ عَلَى الْكَفَّيْنِ مِنْـهُ إِلَى الصَّـدْرِ[١١]

يُـقَـلِّبُ نَـحْـوَ الـشَّـرْقِ نَـظْرَةَ وَامِـقٍ كَـأَنَّ لَـهُ شَـوْقـاً إِلَى مَـطْلَعِ الْفَجْـرِ[١٢]

مَـصَـانِـعُ فِيـهَـا لِـلْعُلُومِ غَـوَامِضٌ تَـدُلُّ عَـلَى أَنَّ ابْـنَ آدَمَ ذُو قَـدْرِ[١٣]

---

(٥) يريد بظهور آثار العقول على الهرمين: ما يتجلّى للناظر إليهما من عبقريّة الذين أشرفوا عليهما، ورفعوا قواعدهما . والأساطير : جمع اسطار ، والأسطار : جمع سطر ، وهو الصفّ من الكتابة .

(٦) رموز: جمع رمز، وهو الإشارة. والمكنون: المستور الخفيّ.

(٧) الخبر: اسم من خبرت الشيء أي علمته وعرفته وأحطت به.

(٨) الصرح: القصر العظيم المنفرد العالي. وبابل: مدينة من أعظم مدن العالم القديم على الجانب الأيسر من نهر الفرات، ولا تزال بعض أطلالها ماثلة بالقرب من الحلّة. وصرحها الذي يشير إليه الشاعر: قصر لبختنصّر، وكان يعدّ من عجائب الدنيا في العظمة والضخامة والإتقان. ويريد بالإيوان: إيوان كسرى أنو شروان وقصره الأبيض بالمدائن.

(٩) «هاروت»: اسم ساحر، أو ملك كان يعلّم الناس السحر بمدينة بابل، وقد وردت قصته في القرآن الكريم. وانتحى: قصد. والمرصدان: مثنى مرصد، اسم مكان من رصدت الشيء (من باب نصر) أي ترقّبته وانتظرته. والمراد بمرصدي الهرمين: قمتاهما. والمقاليد: جمع مقلاد أو مقلد، وهو المفتاح.

(١٠) الدرّة: اللبن أو كثرته. والغلّة: شدّة العطش وحرارته.

(١١) «بلهيب»: أبو الهول. والزيّ: الهيئة.

(١٢) وامق: صفة من ومقه ومقاً وومقة: أي أحبه.

(١٣) المصانع: المباني من القصور والحصون ونحوها. وقدر الشيء: مبلغه، والمراد: ذو قدر رفيع، ومنزلة عالية.



رَسَا أَصْلُهَا وَامْتَدَّ فِي الْجَوِّ فَرْعُها — فَأَصْبَحَ وَكْراً لِلسِّماكَيْنِ والنَّسْرِ(١٤)

فَقُمْ نَغْتَرِفْ خَمْرَ النُّهَى مِنْ دِنَانِها — وَنَجْنِي بِأَيْدِي الْجِدِّ رَيْحَانَةَ الْعُمْرِ(١٥)

فَثَمَّ عُلُومٌ لَمْ تُفَتَّقْ كِمَامُهَا — وَثَمَّ رُمُوزٌ وَحْيُهَا غَامِضُ السِّرِّ(١٦)

أَقَمْتُ بِهَا شَهْراً فَأَدْرَكْتُ كُلَّ مَا — تَمَنَّيْتُهُ مِنْ نِعْمَةِ الدَّهْرِ فِي شَهْرِ

نَرُوحُ وَنَغْدُو كُلَّ يَوْمٍ لِنَجْتَنِي — أَزَاهِيرَ عِلْمٍ لاَ تَجِفُّ مَعَ الزَّهْرِ(١٧)

إِذَا مَا فَتَحْنَا قُفْلَ رَمْزٍ بَدَتْ لَنَا — مَعَارِيضُ لَمْ تُفْتَحْ بِزِيجٍ وَلاَ جَبْرِ(١٨)

فَكَمْ نُكَتٍ كَالسِّحْرِ فِي حَرَكَاتِهِ — تُرِيكَ مَدَبَّ الرُّوحِ فِي مُهْجَةِ الذَّرِّ(١٩)

سَكِرْنَا بِمَا أَهْدَتْ لَنَا مِنْ لُبَابِها — فَيَا لَكَ مِنْ سُكْرٍ أُتِيحَ بِلاَ خَمْرِ!(٢٠)

---

(١٤) السماكان: الأعزل والرامح، وهما نجمان نيّران، يضرب المثل بهما في الرفعة والعلاء. والنسر: علم على كوكبين، يقال لأحدهما: النسر الطائر، وللآخر النسر الواقع.

(١٥) النهى: العقل، أو هي جمع نهية بمعنى العقل. والدنان: جمع دنّ وهو الراقود العظيم، يكون كهيئة الحبّ، إلاّ أنه أطول منه، وأوسع رأساً. والريحانة: واحدة الريحان، وهو كلّ نبات طيّب الرائحة من أنواع المشموم، والريحانة أيضاً: الطاقة من الريحان.

(١٦) الكمام: جمع كمّ، وهو في الأصل وعاء الطلع، وغطاء النُور، والكلام على التشبيه. المراد بالرموز هنا: ما تشير إليه الآثار، وما تدلّ عليه بصورها وهيئاتها وأجزائها وكتاباتها. . الخ.

(١٧) نروح ونغدو: نتردّد إليها، ونرجع مرّة بعد أخرى، وأصل الغدوّ: الذهاب في أول النهار والرواح: العودة في آخره.

(١٨) المعاريض: جمع معراض، وهو الستر، والمراد بالمعاريض هنا: خفايا التاريخ، ودقائق العلوم والفنون. والزيج في اصطلاح علماء الهيئة: جدول يستدلّ به على حركة النجوم والكواكب السيّارة لمعرفة مواقعها. والجبر: العلم الرياضيّ المعروف، وكلاهما يعين على معرفة كثير من دقائق الكون وخفاياه.

(١٩) النكت: جمع نكتة، وهي الأثر القليل يشبه النقطة، والمراد بالنكت هنا: النقش الدقيق المحكم، كالذي يرى في الفصوص الصغيرة ونحوها. وفي حركاته: في حركات السحر، والمراد في أعاجيبه. ومدبّ الروح: دبيبها وحركتها. والمهجة: الدم، أو دم القلب خاصّة، والمراد بها هنا الجسم. والذرّ: صغار النمل، الواحدة ذرّة.

(٢٠) لباب الشيء: خالصه، مثل لبّه، والمراد بلباب المصانع والآثار: أسرار صنعها، ودلالتها على أحوال أهلها. ويريد بالسكر: الدهش والعجب وشدّة انفعال النفس وتأثّرها بما رأت.



وَمَا سَاءَنِي إلاَّ صَنِيعُ مَعَاشِرٍ ... أَلَحُّوا عَلَيْهَا بِالْخِيَانَةِ وَالْغَدْرِ[21]
أَبَادُوا بِها شَمْلَ الْعُلُومِ وَشَوَّهُوا ... مَحَاسِنَ كَانَتْ زِينَةَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ[22]
فَكَمْ سَمَلُوا عَيْناً بِهَا تُبْصَرُ الْعُلا ... وَشَلُّوا يَداً كَانَتْ بِهَا رَايَةُ النَّصْرِ[23]
تَمَنَّوْا لِقَاطَ الدُّرِّ جَهْلاً وَمَا دَرَوْا ... بِأَنَّ حَصَاهَا لاَ يُقَوَّمُ بِالدُّرِّ[24]
وَفَلُّوا لِجَمْعِ التِّبْرِ صُمَّ صُخُورِهَا ... وَأَيْسَرُ مَا فَلُّوهُ أَغْلَى مِنَ التِّبْرِ[25]
وَلَكِنَّهُمْ خَابُوا فَلَمْ يَصِلُوا إِلى ... مُنَاهُم وَلا أَبْقَوْا عَلَيْهَا مِنَ الْخَتْرِ[26]
فَتَبَّاً لَهُمْ مِنْ مَعْشَرٍ نَزَعَتْ بِهِمْ ... إِلَى الْغَيِّ أَخْلاقٌ نَبَتْنَ عَلَى غِمْرِ[27]
أَلا قَبَّحَ اللهُ الْجَهَالَةَ إِنَّهَا ... عَدُوَّةُ مَا شَادَتْهُ فِينَا يَدُ الْفِكْرِ
فَلَوْ رَدَّتِ الأَيَّامُ مُهْجَةَ «هُرْمُسٍ» ... لأَعْوَلَ مِنْ حُزْنٍ على نُوَبِ الدَّهْرِ[28]

---

(٢١) يشير إلى لصوص المقابر والآثار الذين سطوا عليها في مختلف الأزمان. الصنيع: العمل. ومعاشر: جمع معشر، وهم الجماعة من الناس.

(٢٢) أباد: أهلك. وشمل العلوم: ما اجتمع منها.

(٢٣) سمل عينه: فقأها بحديدة محماة أو بغيرها.

(٢٤) يريد بالدرّ: ما اعتاد القدامى دفنه مع جثث عظمائهم من التحف والنفائس والحليّ والهدايا والأموال. ويقوّم: مضارع قوّمت السلعة والمتاع، أي جعلت له قيمة وثمناً معلوماً.

(٢٥) فلّوا: كسروا. والتبر: الذهب قبل أن يصاغ ويضرب، والمراد الذهب مطلقاً، أو المراد ما تحويه هذه المصانع والآثار من نفائس وجواهر وحليّ وأموال. وصخرة صمّاء، وحجر أصمّ: صلب مصمت، والجمع صمّ. وأيسر: أقلّ وأهون.

(٢٦) الختر: الغدر والخديعة أو هو أقبح الغدر.

(٢٧) تبًّا: خساراً وهلاكاً، منصوب على المصدر بإضمار فعل، أي ألزمهم الله هلاكاً وخسراناً. والغيّ: الضلال والخيبة. والغمر: الحقد، وفساد الطويّة.

(٢٨) المهجة: النفس والروح. وهرمس ـ في ما يزعم الرواة الأقدمون ـ: أول من بنى الهياكل، وتكلّم في الأشياء العلويّة، ونظر في الطبّ والحكمة، عاش قبل الطوفان، وكان مسكنه صعيد مصر، ويقال إنه خاف على العلم أن يضيع، فبنى البرابي، وصوّر فيها ما عرف لعهده من الصناعات وآلاتها وصنّاعها، وأشار بالرسوم إلى مسائل العلوم حرصاً منه على تخليدها لمن بعده. ونوب الدهر: نوازله وخطوبه وشدائده.

فَيَـا نَسَمَـاتِ الْفَجْـرِ أَدِّي تَحِيَّتِي إلى ذَلِـكَ الْبُرْجِ الْمُطِلِّ عَلَى النَّهْرِ[٢٩]

وَيَـا لَمعَـاتِ الْبَـرْقِ إِنْ جُـزْتِ بِـالْحِمَى فَصُـوبِي عَلَيهَـا بِـالنِّثَارِ مِنَ الْقَـطْرِ[٣٠]

عَـلَيْهَـا سَـلامٌ مِـنْ فُـؤَادٍ مُـتَيَّـمٍ بِهَـا لاَ بِـرَبَّـاتِ الْقَلائِـدِ والشَّـذْرِ[٣١]

وَلاَ بَـرِحَتْ فِي الـدَّهْـرِ وَهْيَ خَـوَالِـدٌ خُلُودَ الـدَّرَارِي وَالأَوَابِدِ مِنْ شِعْـرِي[٣٢]

وَكَتَبَ إِلَى صَدِيقِهِ «عبد اللَّه باشا فكري[★]» :

أَدِيـرَا كُؤُوسَ الـرَّاحِ قَـدْ لَمَعَ الْفَجْـرُ وَصَـاحَتْ بِنَـا الأَطْيَـارُ أَنْ وَجَبَ السُّكْـرُ

أَمَـا تَـرَيَـانِ الـلَّيْـلَ كَـيْـفَ تَـسَلَّلَتْ كَـوَاكِبُـهُ لِلْغَـرْبِ وَانْحَـدَرَ النَّسْـرُ[١]

فَقُـومَا انْظُرَا ما يَصْنَـعُ الصُّبْحُ بِـالدُّجَى فَـإِنِّي أَرَى مَـا لَيْسَ يَبْلُغُـهُ الـذِّكْـرُ[٢]

أَرَى أَدْهَـمـاً يَـتْـلُوهُ أَشْـهَـبُ طَـارِدٌ كِلا الْفَرَسَيْنِ اغْتَـالَ شَأْوَهُمَـا الْحُضْرُ[٣]

---

(٢٩) البرج: الحصن، ويريد بالبرج: الهرم، ويريد بالنهر: نهر النيل.

(٣٠) جاز السائر الموضع والطريق، وجاز به: سلكه وسار فيه. والحمى: المكان المحميّ المصون. والمراد بالحمى هنا: مواضع الآثار. وصوبي: أمر من الصوب، وهو نزول المطر وانصبابه. والنثار: المنثور المتفرّق. والقطر: المطر.

(٣١) متيّم: اسم مفعول من تيّمه الحبّ، أي عبّده وذلّله. وربّات: صاحبات. والقلائد: جمع قلادة، وهي العقد تحلّي به المرأة جيدها. والشذر: فرائد وقطع من الذهب يفصل بها اللؤلؤ والجوهر في العقد، والشذر أيضاً: صغار اللؤلؤ، الواحدة شذرة.

(٣٢) الدراري: الكواكب العظيمة الثاقبة المتلألئة المتوقّدة، واحدها درّي. والأوابد من الكلام: غرائبه، وأوابد الشعر: ما كان منه رائعاً جيداً، لا يشاكله في روعته مشاكل، ولا يشابهه في جودته مشابه.

(★) عبد الله باشا فكري (١٢٥٠ - ١٣٠٧ هـ / ١٨٣٤ - ١٨٩٠م) كاتب شاعر أديب، تعلّم بالأزهر، وأجاد اللغتين العربية والتركية، فاستخدم مترجماً، ثم نقل إلى حاشية سعيد باشا، ثم إسماعيل باشا، ثم تقلّب في جملة مناصب آخرها نظارة المعارف في وزارة «محمود سامي البارودي»

(١) النسر: كوكب.

(٢) الدجى: جمع دجية، وهي الظلمة. ويريد بالذكر: الوصف بالقول.

(٣) الأدهم هنا: الفرس الأسود، وقد شبه به الشاعر ظلام الليل. والأشهب: صفة من الشهبة وهي



وَقَـدْ حَـنَّتِ الأَطْيَـارُ فِي وُكُنَـاتِـهَـا وَقَـامَ يُحَيِّينَـا عَلَى سَـاقِهِ الـزَّهْـرُ[٤]

وَأَصْبَحَتِ الْغُـدْرَانُ تَصْقُـلُهَـا الصَّبَـا وَيَـرْقُـمُ مَتْنَيْـهَـا بِـلُؤْلُئِـهِ الْـقَـطْرُ[٥]

تَـرِفُّ كَـمَـا رَفَّتْ صَـحَـائِفُ فِـضَّـةٍ عَلَيْهِنَّ مِنْ لأْلاءِ شَمْسِ الضُّحَى تِبْرُ[٦]

عَصَـائِبُ حَـوْلَ الْمَـاءِ يَـدْرِمْنَ هُتَّفَـاً بِلَحْنٍ لَـهُ فِـي كُـلِّ سَـامِعَـةٍ أَثْـرُ[٧]

إِذَا صَـرْصَـرَ الْبَـازِي تَلَبَّـدْنَ بِـالثَّرى مِنَ الـرُّعْبِ حَتَّى لاَ يَبِينُ لَهَـا صَـرُّ[٨]

يُـسَـارِقْـنَـهُ حَـتَّـى إِذَا غَـابَ ظِـلُّـهُ عَنِ الْمَـاءِ عَادَ اللَّحْنُ وَانْتَشَـرَ الْهَـدْرُ[٩]

في الألوان البياض الغالب على السواد، والمراد الفرس الأشهب، وقد شبّه به الشاعر ضوء الصبح وبياضه. والشأو: الشوط، والغاية والأمد. والحضر: اسم من أحضر الفرس إحضاراً، أي ارتفع في عدوه، ومعنى اغتال شأوهما الحضر: أن كلاً منهما قد وصل إلى غايته محضراً مسرعاً.

(٤) الوكنات: جمع وكنة، وهي عشّ الطائر، أو مأواه في غير عشّ.

(٥) المراد بالغدران هنا: مجاري المياه مطلقاً. وتصقلها: تجلوها. والصبا: الريح تهبّ من مطلع الشمس، وهي معروفة عند العرب بطيبها واعتدالها، وتقابلها الدبور. ويرقم: يزيّن ويجمّل. ومتنا الظهر: مكتنفا الصلب عن يمين وشمال من عصب ولحم، والمراد بمتنيها: سطح مياهها. والقطر: المطر.

(٦) رفّ اللون يرفّ رفّاً ورفيفاً: برق وتلألأ. ولألاء الشمس: ضوؤها ولمعانها. والتبر: ما كان من الذهب غير مصوغ ولا مضروب.

(٧) عصائب: جماعات، أي الطيور. ويدرمن: يقاربن الخطو في عجلة وقفز، كما يمشي الفأر والقنفذ والأرنب وما أشبهها، واللحن: من الأصوات المصوغة الموضوعة، وجمعه ألحان ولحون، والمراد التغريد.

(٨) صرصر: صوّت، من الصرصرة، وهي صوت كالصرير، غير أن فيه تكراراً. والبازي: ضرب من الصقور، وهو من جوارح الطير التي تصيد غيرها. وتلبّدن: جثمن وأقمن ولصقن، أي بنات الماء. والثرى: الأرض، أو التراب الندي. وفي رواية «حتى لا يبين لها سرّ»، والسرّ: الأمر الخفيّ.

(٩) الهدر: مصدر هدر الحمام ونحوه يهدر هدراً وهديراً، أي صوّت.

تَـرَاهُنَّ أَسْـرَابَـاً عَلَى المَـاءِ حُـوَّمـاً ... يُقَـرِّبُهَـا ظِـمْءٌ وَيُبْـعِـدُهَـا ذُعْـرُ[١٠]

تَـرُوحُ وَتَـغْـدُو بَـيْـنَ أَفْـنَـانِ دَوْحَـةٍ ... سَقَـاهَا مِنَ الْـوَسْمِيِّ مُسْتَوْكَفٌ غَـزْرُ[١١]

لَهَـا فِي نَـوَاحِي الأُفْقِ لَـفْتَـةُ أَصْـيَـدٍ ... يَلُوحُ عَلَى أَطْـرَافِ عِـرْنِينِـهِ الْكِبْـرُ[١٢]

مَـلاَعِبُ لَهْـوٍ يَقْصُـرُ الـطَّرْفُ دُونَهَـا ... وَدُنْيَـا نَعِيمٍ لا يُحِيطُ بِهَـا الْفِكْـرُ[١٣]

فَيَـا صَاحِبَي نَجْـوَايَ قُـومَـا لِشُـرْبِهَـا ... فَفِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ طَابَتْ لَنَا الْخَمْرُ[١٤]

وَشَـأْنُكُمَـا فِي الـرَّاحِ فَـالْعَيْشُ وَالصِّبَـا ... إِذَا الـرَّاحُ لَمْ تَخْفِرْهُمَـا فَسَدَ الْعُمْـرُ[١٥]

خَبِيئَـةُ قَـوْمٍ خَـلَّفُـوهَـا لِغَـيْـرِهِـمْ ... خَلَتْ دُونَهَـا الأَيَّامُ واخْتَلَفَ الْعَصْـرُ[١٦]

فَجَـاءَتْ كَمِصْبَـاحِ الـسَّمَـاءِ مُنِيـرَةً ... إِذَا اتَّقَدَتْ فِي الْكَأْسِ سَارَ بِهَا السَّفْرُ[١٧]

وَإِنْ أَنْـتُـمَـا غَـنَّـيْـتُـمَـانِـيَ فَـلْتَـكُـنْ ... أَنَـاشِيدَ يَهْفُـو دُونَ تَسْمَاعِهَـا الصَّبْـرُ[١٨]

أَنَـاشِيـدَ فِيـهَـا لِلْمَـلِيحَـةِ وَالْـهَـوَى ... مَعَـاذِيـرُ أَحْـوَالٍ يَلِينُ لَهَـا الصَّخْـرُ

لَـعَـلَّ هَـواهَـا أَنْ يَعُـودَ كَـمَـا بَـدَا ... رَخِيَّ الْحَواشِي قَبْلَ أَنْ يَنْشَبَ الْهَجْرُ[١٩]

---

(١٠) أسراباً: جماعات، واحدها سرب. والظمء: اسم بمعنى الظمأ، وهو العطش.

(١١) تـروح وتغدو: تتـردّد جيئة وذهـاباً. والأفنـان: الأغصان. والـدوحة: الشجـرة العـظيمـة. والوسميّ: مطر الربيع الأول، لأنه يسم الأرض بالنبات، أي يترك فيها أثراً. ومستوكف: غزير هطل. وغزر: مصدر غزر الشيء، أي كثر، وقد استعمل الغزر هنا بمعنى الغزير.

(١٢) الأصيد: الذي يرفع رأسه كبراً، صفة من الصيد. وعرنين الأنف: تحت مجتمع الحاجبين، وهو أول الأنف حيث يكون فيه الشمم.

(١٣) الملاعب: أماكن اللعب، ويقصد بملاعب اللهو(هنا)مجال أنسه وصبوته. والطرف: العين.

(١٤) النجوى: السرّ.

(١٥) الراح: الخمر. وخفره يخفره: منعه وأجاره وحفظه.

(١٦) خبيئة: مخبوءة، من خبأه، أي ستره وأخفاه. وخلت: مضت.

(١٧) مصباح السماء: الشمس. والسفر: جمع سافر، بمعنى مسافر.

(١٨) يهفو: يضطرب ويخفّ ويذهب.

(١٩) كما بدا: كما كان في مبتدأ الأمر. ورخيّ: صفة من الرخاء، وهو اللين والسعة. والحواشي: الجوانب والنواحي، والمراد برخيّ الحواشي: أنه طيّب هنيء، يجمع أسباب الصفاء والنعيم.

مِنَ الْبِيضِ مَيْسَـانُ الْعَشِيَّـاتِ غَـادَةٌ سَلِيمَـةُ مَا تَحْوِي الْمَعَـاقِـدُ وَالْأُزْرُ[٢٠]

إِذَا سَـفَـرَتْ وَالْبَـدْرُ لَـيـلَةَ تَـمِّـهِ وَلَاحَـا سَـوَاءً قِيـلَ أَيُّهُما الْبَـدْرُ ؟[٢١]

لَـهَـا لَفْتَـةُ الْخَشْـفِ الْأَغَـنِّ وَنَـظْرَةٌ تُقَصِّـرُ عَنْ أَمْثَالِهَـا الْفَتْكَـةُ الْبِكْـرُ[٢٢]

تَـرُدُّ النُّفُـوسَ السَّـالِمـاتِ سَقِيمَـةً وَتَفْعَـلُ مَا لَا تَفْعَـلُ الْبِيضُ وَالسُّمْـرُ[٢٣]

خَـفَضْتُ لَهَـا مِنِّي جَنَـاحَيْ مَـوَدَّةٍ وَدِنْتُ لِعَيْنَيْهَـا كَـمَـا حَكَمَ الـدَّهْـرُ

عَـلَى أَنَّ مَـا بَيْنِي وَبَيْنَ عَشِيـرِهَـا قَـوَارِعُ سُـوءٍ لَا يَـنَـامُ لَهَـا وِتْـرُ[٢٤]

فَيَـا رَبَّـةَ الْخَلْخَـالِ رِفْقـاً بِمُهْـجَتِي فَبِـالْغَادَةِ الْحَسْنَـاءِ لَا يَحْسُنُ الْغَـدْرُ[٢٥]

وَبُـقْيَـا عَـلَى قَلْبِي فَلَوْ لَـمْ يَـكُـنْ بِـهِ سِـوَى حُبِّ « عَبْـدِ اللهِ » كَـانَ لَـهُ عُـذْرُ

أَخِي وَصَـدِيقِي وَابْنُ وُدِّي وَصَـاحِـبِي وَمَـوْضِعُ سِـرِّي حِينَ يَعْتَلِجُ الصَّـدْرُ[٢٦]

هُـوَ الصَّاحِبُ الْمَشْكُـورُ فِي الْـوُدِّ سَعْيُـهُ وَمَـا خَيْـرُ وُدٍّ لَيْسَ يَـلْحَقُـهُ شُـكْـرُ ؟

أَمِـينٌ عَـلَى غَيْـبِ الصَّـدِيـقِ إِذَا وَنَـتْ عُهُـودُ أُنَـاسٍ أَوْ تَـطَرَّقَهَـا فَـتْـرُ[٢٧]

---

(٢٠) ميسان: صفة من ماست المرأة تميس، أي تبخترت واختالت. والغادة: الفتاة الناعمة اللّيّنة المتثنّية، صفة من الغيد. والمعاقد: جمع معقد، اسم مكان من عقدت الإزار ونحوه أي شدته وربطته. والأزر: جمع إزار، وهو الملحفة وما يستر الإنسان من الثياب.

(٢١) سفرت : كشفت عن وجهها.

(٢٢) الخشف: الظبي، أي الغزال إذا قوي واشتد واستطاع المشي. وظبيٌ أغن: يخرج صوته من خياشيمه مرخّماً. والفتكة: اسم مرة من الفتك، وهو القتل على غفلة، أو هو البطش الشديد. والفتكة البكر: التي لا تثنى .

(٢٣) سقيمة: مريضة، والمراد سقم الهوى والغرام. والبيض: السيوف. والسمر: الرماح.

(٢٤) عشيرها: أهلها. والقوارع: الشدائد، واحدتها قارعة، وهي الداهية والشديدة من شدائد الدهر، والمراد بقوارع السوء هنا: العداوة والخصومات التي بينه وبين أهلها وعشيرتها. والوتر: الذحل والثأر.

(٢٥) ربّة الخلخال: صاحبة الحجل، وهو حلي معروف موضعه مِن الساق، كالسوار في المعصم. والمهجة: الروح والنفس والقلب. والغادة: الفتاة الناعمة المتثنية ليناً.

(٢٦) يعتلج الصدر: تضطرب فيه الهموم والشدائد.

(٢٧) ونت: فترت وضعفت. وتطرّقها: دخلها.

فَلَا جَهْرُهُ سِرٌّ وَلَا سِرُّ صَدْرِهِ إِذَا امْتَحَنَ الْوَاشِي ضَمَائِرَهُ جَهْرُ

يَدِبُّ عَلَى الْمَعْنَى الْخَفِيِّ بِفِكْرَةٍ سَوَاءٌ لَدَيْهَا السَّهْلُ فِي ذَاكَ وَالْوَعْرُ

لَهُ الْبُلْجَةُ الْغَرَّاءُ يَسْرِي شُعَاعُهَا إِذَا غَامَ أُفْقُ الْفَهْمِ وَالْتَبَسَ الأَمْرُ

تَزَاحَمُ أَفْوَاجُ الْكَلامِ بِصَدْرِهِ فَلَوْ غَضَّ مِنْ صَوْتٍ لَكَانَ لَهَا هَدْرُ

لَهُ قَلَمٌ لَوْلَا غَزَارَةُ فِكْرِهِ لَجَفَّتْ لَدَيْهِ السُّحْبُ أَوْ نَفِدَ الْبَحْرُ

إِذَا اخْتَمَرَتْ بِاللَّيْلِ قِمَّةُ رَأْسِهِ تَفَجَّرَ مِنْ أَطْرَافِ لِمَّتِهَا الْفَجْرُ[٢٨]

إِلَيْكَ ابْنَ بَطْحَاءِ الْكَلامِ تَشَذَّرَتْ بِرَكْبِ الْمَعَانِي لا يُكَفْكِفُهَا الزَّجْرُ[٢٩]

قَلائِصُ لَا يَرْعَيْنَ عَازِبَةَ الْكَلَا وَلَا يَسْتَبِقْنَ الْمَاءَ إِنْ فَاتَهَا الْعِشْرُ[٣٠]

وَمَا هُوَ إِلَّا الشِّعْرُ سَارَتْ عِيَابُهُ وفِي طَيِّهَا مِنْ طِيبِ مَا ضُمِّنَتْ نَشْرُ[٣١]

فَأَلْقِ إِلَيْهِ السَّمْعَ يُنْبِئْكَ أَنَّهُ هُوَ الشِّعْرُ لَا مَا يَدَّعِي الْمَلأُ الْغُمْرُ[٣٢]

يَزِيدُ عَلَى الإِنْشَادِ حُسْناً كَأَنَّنِي نَفَثْتُ بِهِ سِحْراً وَلَيْسَ بِهِ سِحْرُ[٣٣]

---

(٢٨) اختمرت المرأة: لبست الخمار، وهو ثوب تغطّي به رأسها. ويريد بالليل: المداد. وقمّة رأس القلم: طرفه الذي يكتب به. واللّمة: الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن.

(٢٩) البطحاء: مسيل واسع فيه دقاق الحصى. وابن بطحاء الكلام: كناية عن فصاحة الممدوح، وتمكّنه من أساليب الكلام وفنون القول. وتشذّرت الناقة: حرّكت رأسها، واشتدّ نشاطها وفرحها، وذلك إذا رأت رعياً يسرّها. والركب: جمع راكب، كصاحب وصحب. ولا يكفكفها: لا يمنعها ولا يصرفها. والزجر: مصدر زجرته، أي منعته ونهيته.

(٣٠) قلائص: جمع قلوص، وهي الفتيّة الشابّة من الإبل، أو الباقية على السير، أو أول ما يركب من إناثها. وعازبة الكلأ: الكلأ البعيد. والعشر: أن تظمأ الإبل، وترد الماء في اليوم العاشر.

(٣١) العياب: جمع عيبة، وهي وعاء الثياب، أو زبيل من جلد يكون فيه المتاع. والنشر: الرائحة الطيّبة.

(٣٢) الملأ: الجماعة من الناس. والغمر: الذي لم يجرّب الأمور.

(٣٣) نفثت: ألقيت، من النفث، وهو شبه النفخ، أو البزق اليسير، ونفث الساحر أو الراقي في العقدة، أي نفخ فيها بشيء يقوله.



فَـدُمْ لِلْعُـلاَ وَالْعِلْمِ وَالْحِـلْمِ والتُّـقَى ... وَنَيْـلِ الْمُنَى مَـا أَوْرَقَ الْغُصْنُ النَّضـرُ

وَقَالَ :

لِهَـوَى الْكَـوَاعِـبِ ذِمَّـةٌ لاَ تُـخْـفَـرُ ... وَأَخُـو الْـوَفَـاءِ بِـعَهْـدِهِ لا يَـغْـدِرُ[1]

فَعَـلاَمَ يَنْهَـانِي الْعَـذُولُ عَنِ الصِّبَـا ؟ ... أَوَلَيْسَ أَنَّ هَـوَى النُّفُـوسِ مُقَـدَّرُ ؟[2]

قَـدْ كَانَ لِي فِي بَعْضِ مَـا صَنَعَ الْهَـوَى ... عُـذْرٌ وَلَـكِـنْ أَيْـنَ مَـنْ يَـتَـبَـصَّـرُ ؟

وَمِنَ الْبَـلِيَّـةِ غَـافِـلٌ عَـمَّـا جَنَـتْ ... يَـدُهُ عَـلَيَّ وَلاَئِـمٌ لاَ يَـعْـذِرُ[3]

لَمْ يَـدْرِ مَنْ كَحَـلَ الْكَـرَى أَجْفَـانَـهُ ... مَـاذَا يُكَـابِـدُ فِي الْهَـوَى مَنْ يَسْهَـرُ[4]

يَـا غَـافِـلاً عَـنِّي وَبَيْـنَ جَـوانِـحِي ... لَـهَبٌ يَـكَـادُ لَـهُ الْحَشَـا يَتَـفَـطَّرُ[5]

دَعْـنِي أَبُـثّـكَ بَـعْضَ مَـا أَنَـا وَاجِـدٌ ... وَاحْـكُمْ بِـمَـا تَهْـوَى فَـأَنْتَ مُخَـيَّـرُ

فَلَو اطَّلَعْـتَ عَلَى تَـبَـارِيـحِ الْجَـوَى ... لَـعَـلِمْـتَ أَيُّ دَمٍ بِـحُـبِّـكَ يُـهْـدَرُ[6]

مَـا كُنْتُ أَعْـلَـمُ قَـبْـلَ حُـبِّـكَ أَنَّـنِـي ... أُغْضِي عَلَى مَضَضِ الْهَـوانِ وَأَصْبِـرُ[7]

---

(١) الكواعب: جمع كاعب، وهي الفتاة التي نهد ثديها، أي نتأ وظهر. والذمّة: الحرمة والعهد. ولا تخفر: لا تنقض، ولا تنتهك، من الإخفار، وهو الغدر ونقض العهد.

(٢) العذول: صفة من العذل، وهو اللوم. والمراد بالصبا هنا: الهوى والعشق.

(٣) المراد بالبليّة هنا: الكارثة والتجربة الشاقّة، ويشير بقوله: «غافل عما جنت يده عليّ» إلى الحبيب، وبقوله «لائم لا يعذر»: إلى العذول.

(٤) الكرى: النعاس.

(٥) الجوانح: أضلاع الصدر، أو هي الأضلاع التي تحت الترائب مما يلي الصدر، الواحدة جانحة. والحشا: ما حواه الجوف، أو هو ما اشتملت عليه الضلوع. ويتفطّر: يتشقّق.

(٦) تباريح الهوى والشوق: توهّجه، كأنّه جمع تبريح، مصدر برّح به الأمر تبريحاً، أي جهده واشتدّ عليه وقعه. والجوى: الهوى، والحزن، والحرقة، وشدّة الوجد. وهدر دمه: بطل وأهدره السلطان، أي أبطله وأباحه.

(٧) الإغضاء: إدناء الجفون، يقال: أغضى الرجل عينه، أي قارب بين جفنيها، ثم استعمل في الحلم والصبر، فقيل: أغضى على القذى، إذا صبر على الإساءة. والمضض: مصدر مضضت من الشيء، أي تألّمت.

أَوْرَدْتَنِي بِلِحَاظِ عَيْنِكَ مَوْرِداً لِلْحُبِّ مَا لِلْقَلْبِ عَنْهُ مَصْدَرُ(٨)

هِيَ نَظْرَةٌ كَانَتْ ذَرِيعَةَ صَبْوَةٍ وَاللَّحْظُ أَضْعَفُ مَا يَكُونُ وَأَقْدَرُ(٩)

مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ وَحْيِ جُفُونِهَا أَنَّ الْعُيُونَ الْجُؤْذُرِيَّةَ تَسْحَرُ(١٠)

ظَلَمُوا الأَسِنَّةَ خَاطِئِينَ وَلَيْتَهُمْ عَلِمُوا بِمَا صَنَعَ السِّنَانُ الأَحْوَرُ(١١)

أَمُطَاعِنَ الْفُرْسَانِ فِي حَمَسِ الْوَغَى أَقْصِرْ فَرُمْحُكَ عَنْ غَرِيمِكَ أَقْصَرُ(١٢)

أَيْنَ الرِّمَاحُ مِنَ الْقُدُودِ وَأَيْنَ مِنْ لَحْظٍ تَهِيمُ بِهِ السِّنَانُ الأَخْزَرُ(١٣)

هَيْهَاتَ يَثْبُتُ فِي الْوَقِيعَةِ دَارِعٌ يَسْطُو عَلَيْهِ مُخَلْخَلٌ وَمُسَوَّرُ(١٤)

لِلْحُسْنِ أَسْلِحَةٌ إِذَا مَا اسْتَجْمَعَتْ فِي حَوْمَةٍ لا يَتَّقِيهَا مِغْفَرُ(١٥)

فَاللَّحْظُ عَضْبٌ صَارِمٌ وَالْهُدْبُ نَبْـ ـلٌ صَائِبٌ وَالْقَدُّ رُمْحٌ أَسْمَرُ(١٦)

---

(٨) اللحاظ: مصدر لاحظته، أي نظرت إليه بمؤخر العين، والمراد بلحاظ العين: نظراتها الساحرة الفاتنة.

(٩) ذريعة: وسيلة وسبب. والمراد بالصبوة هنا: الهوى والغرام.

(١٠) الوحي: الإشارة. والجؤذريَّة: نسبة إلى الجؤذر، وهو ولد البقرة الوحشيَّة، وتشبَّه عيون الحسان بعيون بقر الوحش في الاتّساع والجمال.

(١١) الأسنّة: جمع سنان وهو حديدة الرمح، ويريد بالسنان الأحور: عين الحبيب على التشبيه. والأحور: صفة من الحور، وهو شدّة بياض العين، في شدّة سوادها، مع استدارة حدقتها، ورقّة جفونها، وبياض ما حواليها.

(١٢) حمس الوغى: شدة الحر. والغريم: الدائن أو المدين، والمراد الحبيب.

(١٣) القدود: جمع قدّ، وهو القامة والتقطيع والاعتدال. والأخزر: صفة من الخزر، وهو ضيق العين وصغرها، أو هو حول إحدى العينين، أو أقبح الحول، أو إقبال الحدقتين نحو الأنف.

(١٤) الوقيعة: الحرب والقتال. ودارع: عليه الدرع، وهي لبوس من حديد يتّقي به المحارب طعنات العدوّ. والمخلخل في أصل اللغة: موضع الخلخال من الساق، والمراد به هنا: لابس الخلخال، والمسوّر: لابس السوار.

(١٥) حومة القتال: معظمه، أو أشدّ موضع فيه. والمغفر: زرد ينسج على قدر الرأس، ويلبس تحت القلنسوة، أو حلق يتقنّع به المتسلّح.

(١٦) عضب: سيف قاطع، ومثلها صارم.



أَنَّى يَطِيشُ عَنِ الْقُلُوبِ لِغَمْزَةٍ سَهْمٌ وَقَوْسُ الْحَاجِبَيْنِ مُوَتَّرُ ؟[17]

يَا لَلْحَمِيَّةِ مِنْ غَزَالٍ صَادَنِي وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ يَصِيدَ الْجُؤْذَرُ[18]

بَدْرٌ لَهُ بَيْنَ الْقُلُوبِ مَنَازِلٌ يَسْرِي بِهَا وَلِكُلِّ بَدْرٍ مَظْهَرُ

ٱنْظُر لِطُرَّتِهِ وغُرَّةِ وَجْهِهِ تَلْقَ الْهِدَايَةَ فَهُوَ لَيْلٌ أَقْمَرُ[19]

نَادَيْتُ لَمَّا لاَحَ تحْتَ قِنَاعِهِ هَذَا « الْمُقَنَّعُ » فَاحْذَرُوا أَنْ تُسْحَرُوا[20]

طَبَعَتْهُ فِي لَوْحِ الْفُؤَادِ مَخِيلَتِي بِزُجَاجَةِ الْعَينَينِ فَهُوَ مُصَوَّرُ

وَسَرَتْ بِجِسْمِي كَهْرَبَاءَةُ حُسْنِهِ فَمِنَ الْعُرُوقِ بِهِ سُلُوكٌ تُخْبِرُ

أَنَا مِنْهُ بَيْنَ صَبَابَةٍ لاَ يَنْقَضِي مِيقَاتُهَا وَمَوَاعِدٍ لاَ تُثْمِرُ[21]

جِسْمٌ بَرَتْهُ يَدُ الضَّنَى حَتَّى غَدَا قَفَصاً بِهِ لِلْقَلْبِ طَيْرٌ يَصْفِرُ[22]

لَوْلاَ التَّنَفُّسُ لاَعْتَلَتْ بِيَ زَفْرَةٌ فَيَخَالُنِي طَيَّارَةً مَنْ يُبْصِرُ[23]

لاَ غَرْوَ أَنْ أَصْبَحْتُ تَحْتَ قِيَادِهِ فَالْحُبُّ أَغْلَبُ لِلنُّفُوسِ وَأَقْهَرُ[24]

---

(١٧) الغمزة: الإشارة بالعين. وموتّر: اسم مفعول من وتّرت القوس توتيراً، أي شددت وترها.

(١٨) الحميّة: الأنفة والاستنكاف والاستكبار وعدم احتمال الضيم. ويريد بالغزال: المرأة الجميلة الفاتنة. والجؤذر: ولد البقرة الوحشية، تشبّه به الحسناء في جمال العيون واتّساعها.

(١٩) الطرّة: الشعر الذي تصفّفه الجارية على جبهتها. وغرّة الوجه: بياضه وإشراقه وجماله.

(٢٠) القناع: ما تقنّع به المرأة رأسها، أي تغطّيه. والمقنّع الخراسانيّ: مشعوذ مشهور، كان قصّاراً من أهل مرو، وتعلّق بالشعوذة والسحر، وكان مشوّه الخلق، فاتّخذ وجهاً من ذهب تقنّع به، ثم ادّعى الربوبيّة، وتبعه قوم، وقاتلوا في سبيله، واشتهر أمره سنة ١٦١ هـ. فثار الناس، وأرادوا قتله، فاعتصم بقلعة له، فحصروه، فلمّا أيقن بالهلاك شرب سمّاً فمات سنة ١٦٣ هـ.

(٢١) الصبابة: رقّة الهوى، وحرارة الشوق.

(٢٢) الضنى: مصدر ضني أي مرض مرضاً مخامراً كلما ظنّ برؤه نُكِسَ.

(٢٣) الزفرة: شدّة الحرقة والوجد.

(٢٤) لا غرو: لا عجب.



يَعْنُو لِقُدْرَتِهِ الْمَلِيكُ الْمُتَّقَى وَيَهَابُ صَوْلَتَهُ الْكَمِيُّ الْقَسْوَرُ[٢٥]

وَالْعِشْقُ مَكْرُمَةٌ إِذَا عَفَّ الْفَتَى عَمَّا يَهِيمُ بِهِ الْغَوِيُّ الأَصْوَرُ[٢٦]

يَقْوَى بِهِ قَلْبُ الْجَبَانِ وَيَرْعَوِي طَمَعُ الْحَرِيصِ وَيَخْضَعُ الْمُتَكَبِّرُ[٢٧]

فَتَحَلَّ بِالأَدَبِ النَّفِيسِ فَإِنَّهُ حَلْيٌ يَعِزُّ بِهِ اللَّبِيبُ وَيَفْخَرُ

وَإِذَا عَزَمْتَ فَكُنْ بِنَفْسِكَ وَاثِقاً فَالْمُسْتَعِزُّ بِغَيْرِهِ لاَ يَظْفَرُ[٢٨]

إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ مِنْ بَدَهَاتِهِ فِي الْخَطْبِ هَادٍ خَانَهُ مَنْ يَنْصُرُ[٢٩]

وَاحْذَرْ مُقَارَنَةَ اللَّئِيمِ وَإِنْ عَلاَ فَالْمَرءُ يُفْسِدُهُ الْقَرِينُ الأَحْقَرُ[٣٠]

وَمِنَ الرِّجَالِ مَنَاسِبٌ مَعْرُوفَةٌ تَزْكُو مَوَدَّتُهَا وَمِنْهُمْ مُنْكَرُ[٣١]

فَانْظُرْ إلى عَقْلِ الْفَتَى لا جِسْمِهِ فَالْمَرْءُ يَكْبُرُ بِالْفِعَالِ وَيَصْغُرُ

فَلَرُبَّمَا هَزَمَ الْكَتِيبَةَ وَاحِدٌ وَلَرُبَّمَا جَلَبَ الدَّنِيئَةَ مَعْشَرُ[٣٢]

إِنَّ الْجَمَالَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا خَفِيَ الصَّوَابُ لأَنَّهُ لا يَظْهَرُ

فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ مَا تَعِيشُ بِذِكْرِهِ فَالْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا حَدِيثٌ يُذْكَرُ

---

(٢٥) يعنو: ينقاد ويذعن ويخضع ويذلّ. والصولة: الاستطالة والسطوة والبطش. والكميّ: البطل الشجاع المدجّج بالسلاح. والقسور: العزيز القويّ الغالب.

(٢٦) الغويّ: الضالّ المنهمك في الجهل والفساد. والأصور: صفة من الصور وهو الميل، والمراد بالأصور: المنحرف عن الهدى والرشاد.

(٢٧) يرعوي عن القبيح: يكفّ عنه ويمتنع.

(٢٨) المستعزّ بغيره: المعتمد عليه، المتقوّي به.

(٢٩) البدهات: جمع بدهة، اسم مرّة من بدهه بالأمر بدهاً أي فاجأه وباغته. والمراد بالبدهات هنا: الآراء السديدة، والأحكام الصائبة السريعة. والخطبُ: النازلة الشديدة من نوازل الدهر.

(٣٠) مقارنة اللئيم: مصاحبته. والقرين: الصاحب.

(٣١) يريد بالمناسب المعروفة: الأنساب الواضحة المشهورة. وتزكو: تنمو وتزيد.

(٣٢) الكتيبة: الطائفة من الجيش مجتمعة. والدنيئة: النقيصة والعار. والمعشر: جماعة الناس.



وَقَالَ يَصِفُ أَيَّامَ الرَّبِيعِ :

رفَّ النَّدَى وَتَنَفَّسَ النُّوَّارُ ... وَتَكَلَّمَتْ بِلُغَاتِهَا الأَطْيَارُ[(1)]

وَتَأَرَّجَتْ سُرَرُ الْبِطَاحِ كَأَنَّمَا ... فِي بَطْنِ كُلِّ قَرَارَةٍ عَطَّارُ[(2)]

زَهْرٌ يَرِفُّ عَلى الْغُصُونِ وَطَائِرٌ ... غَرِدُ الْهَدِيرِ وَجَدْوَلٌ زَخَّارُ[(3)]

وَنَوَاسِمٌ أَنْفَاسُهُنَّ طَوِيلَةٌ ... وَهَوَاجِرٌ أَعْمَارُهُنَّ قِصَارُ[(4)]

وَالْبَاسِقَاتُ الْحَامِلاتُ كَأَنَّهَا ... عُمُدٌ مُشَعَّبَةُ الذُّرَا وَمَنَارُ[(5)]

عَقَدَتْ ذَلاذِلَ سُوقِهَا فِي جِيدِهَا ... وسَمَتْ فَلَيْسَ تَنَالُهَا الأَبْصَارُ[(6)]

فَأُصُولُهَا لِلسَّابِحَاتِ مَلاعِبٌ ... وَفُرُوعُهَا لِلنَّيِّرَاتِ مَطَارُ[(7)]

يَبْدُو بِهَا زَهْوٌ تَخَالُ إِهَانَهُ ... فُتُلاً تَمَشَّتْ فِي ذُرَاهَا النَّارُ[(8)]

---

(١) رفّ: برق وتلألأ. وتنفّس: تبلّج وأشرق، والمراد تفتّح. والنوّار: الزهر، واحدته نوّارة.

(٢) تأرّجت: فاحت منها رائحة طيّبة زكيّة. والسرر: جمع سرّة، وهي وسط الوادي، وأطيب موضع فيه، أو هي السرر، جمع سرّ بمعنى السرّة المتقدّم. والبطاح: جمع الأبطح، وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى، وكلّ مكان متّسع، والمراد الأودية. والقرارة: الأرض المطمئنّة.

(٣) غرد: صفة من الغرد، وهو التطريب في الصوت. والهدير: سجع الحمام ونحوه. وزخّار: طام ممتلىء.

(٤) النواسم: الرياح الطيّبة المعتدلة، جمع ناسمة. والهواجر: جمع هاجرة، وهي اشتداد الحرّ في منتصف النهار.

(٥) الباسقات: طوال النخل. والحاملات: المثمرات، جمع حاملة. والذرى: جمع ذروة، وهي من كل شيء أعلاه. والمنار: جمع منارة، وهي الموضع المرتفع به نور.

(٦) ذلاذل القميص: ما يلي الأرض من أسافله. والسوق: جمع ساق، وهي جذع الشجرة، والمراد بذلاذل سوق النخيل: سعفها وأغصانها.

(٧) السابحات: جمع سابح أو سابحة، وهو ما يعوم في الماء. والنيّرات: الكواكب والنجوم.

(٨) الزهو: البسر الملوّن، يقال زها النخل، إذا ظهرت الحمرة والصفرة في ثمره. والإهان: العرجون الذي يجمع الشماريخ، وهو أصل العذق والكباسة. والفتل: جمع فتيلة، وهي ذبالة السراج التي تشعل فتضيء. وذراها: أعاليها الواحدة ذروة.



طَـوْراً تَمِيلُ مَـعَ الـرِّيَـاحِ وَتَـارَةً ... تَـرْتَـدُّ فَـهْـيَ تَـحَـرُّكٌ وَقَـرَارُ
فَكَـأَنَّمَـا لَعِبَتْ بِهَـا سِنَـةُ الْكَـرَى ... فَـتَمَـايَلَتْ أَوْ بَيْنَـهَـا أَسْـرَارُ[٩]
فَـإِذَا رَأَيْـتَ رَأَيْـتَ أَحْسَـنَ جَـنَّـةٍ ... خَضْـرَاءَ تَجْـرِي بَيْنَـهَـا الأَنْهَـارُ
يَتَـرَنَّمُ الْعُصْفُـورُ فِي عَـذَبَـاتِـهَـا ... وَيَصِيـحُ فِيهَـا الْعَنْـدَلُ الصَّفَّـارُ[١٠]
فَـالتُّرْبُ مِسْـكٌ وَالْجَـدَاوِلُ فِضَّـةٌ ... وَالْقَـطْرُ دُرٌّ وَالْبَـهَـارُ نُـضَـارُ[١١]
فَـاشْـرَبْ عَلَى وَجْـهِ الـرَّبِيـعِ فَـإِنَّـهُ ... زَمَـنٌ دَمُ الآثَـامِ فِيـهِ جُـبَـارُ[١٢]
وَاعْـلَمْ بِـأَنَّ الْـمَـرءَ غَـيْـرُ مُخَـلَّدٍ ... وَالـنَّـاسُ بَعْـدُ لِغَيْـرِهِـمْ أَخْبَـارُ
إِنِّي وَإِن لَعِبَ الـزَّمَـانُ بِصَعْـدَتِي ... وَابْـيَضَّ مِـنِّـي مَـفْـرِقٌ وَعِـذَارُ[١٣]
فَـلَنِعْـمَ مَـا بَقِـيَتْ لَـدَيَّ مَـهَـابَـةٌ ... تَقْـذَى بِهَـا عينُ الْعِـدَا وَوَقَـارُ[١٤]
وَسَـعَـى إِلَـيَّ الْـحِـلْمُ فِـي أَثْـوَابِـهِ ... طَـرِبَـاً وَآنَ لِـجَـهْـلِيَ الإِقْـصَـارُ
أَنَـا لِلصَّـدِيقِ كَمَـا يُحِبُّ وَلِلْعِـدَا ... عِـنْـدَ الْكَـرِيـهَـةِ ضَيْـغَـمٌ زَأَّرُ[١٥]
خَـيْـلِي مُـسَـوَّمَـةٌ وَرُمْـحِي ذَابِـلٌ ... يَـوْمَ الـطِّعَـانِ وَصَـارِمِي بَتَّـارُ[١٦]

---

(٩) سنة الكرى: أوائل النعاس.

(١٠) عذباتها: أغصانها وسعفها. والعندل: المعروف في اللغة العندليل، وهو طائر يصوّت ألواناً، وقد يسمى العندليب أو البلبل، ويجمع العندليل على عنادل، ولعلّ هذا الجمع هو الذي سوّغ للشاعر أن يجعل المفرد عندلاً. والصفّار: صيغة مبالغة من الصفير.

(١١) المسك: نوع من الطيب. والقطر: المطر. والدرّ: اللؤلؤ، الواحدة درّة. والبهار: من أزهار البادية، واسمه العرار الذي يقال له عين البقر، وهو نبت طيب الرائحة، جعد، له زهرة صفراء تتفتّح أيام الربيع، ويقال لها العرارة. والنضار: الذهب.

(١٢) جُبَار: هدر، يقال: ذهب دم القتيل جباراً، أي هدراً، فلم يقتصّ من القاتل.

(١٣) الصعدة: القناة المستوية تنبت كذلك، وكني بلعب الزمان بصعدته عن تقدّم سنّه. والعذار: ما نبت من الشعر على جانبي اللحية.

(١٤) تقذى: تصاب بالقذى، وهو ما يسقط في العين فيؤذيها.

(١٥) الكريهة: الشدّة في الحرب. والضيغم: الأسد. وزَأَّر: صيغة مبالغة من الزئير، وهو صياح الأسد وغضبه.

(١٦) مسوّمة: مرسلة وعليها ركبانها، أو معلمة، أو مرعيّة، والمراد معدّة للحرب. ورمح ذابل:

وَبِـرَاحَـتِـي قَـلَـمٌ إذَا حَـرَّكْـتُـهُ رَوِيَتْ بِـهِ الْأَفْهَامُ وَهْيَ حِـرَارُ[17]
تَـرْتَـدُّ عَنْـهُ قَنَـابِـلٌ وَجَحَـافِـلٌ وَتَـكِـلُّ عَنْـهُ أَسِـنَّـةٌ وَشِـفَـارُ[18]

غَـرِدٌ إذَا مَـا جَـالَ فَـوْقَ صَحِيفَـةٍ سَجَـدَتْ لِحُسْنِ صَرِيرِهِ الْأَوْتَارُ[19]
وَإِذَا امْتَـطَى ظَهْـرَ الْبَنَـانِ لِغَـايَـةٍ خَضَعتْ إلَيْـهِ قَـوَارِحٌ وَمِـهَـارُ[20]

فَـإِذَا رَكِبْـتُ فَـكُـلُّ قِـرْنٍ أَمْيَـلٌ وَإِذَا نَـطَقْـتُ فَـكُـلُّ نُـطْقٍ رَارُ[21]
أَلْـقَى الْـكَـلَامُ إلَيَّ ثِـنْـيَ عِـنَـانِـهِ وَتَفَـاخَـرَتْ بِكَـلَامِيَ الْأَشْعَـارُ[22]

وَقَالَ بَعْدَ وُصُولِهِ إِلَى جَزِيرَةِ «سَرَنْدِيبَ»(★) وَقَدْ رَأَى ابْنَتَهُ الْوُسْطَى فِي الْمَنَامِ :

تَـأَوَّبَ طَـيْفٌ مِـنْ «سَـمِـيـرَةَ» زَائِـرُ وَمَـا الـطَّيْفُ إلَّا مَـا تُـرِيـهِ الْخَـوَاطِـرُ[1]

رقيق متين. والطعان: الحرب والقتال، مصدر طاعنته بالرمح. والصارم: السيف القاطع. وبتّار: سريع القطع.

(١٧) حرار: عطاش، جمع حرّان.

(١٨) القنابل: جمع قنبل أو قنبلة، وهي الطائفة من الناس، ومن الخيل. والجحافل: جمع جحفل، وهو الجيش الكثير. والأسنّة: جمع سنان، وهو حديدة الرمح. والشفار: جمع شفرة، وهي حدّ السيف.

(١٩) الصرير: صوت القلم في أثناء الكتابة.

(٢٠) البنان: أطراف الأصابع، الواحدة بنانة. والقوارح: الخيل إذا تمّت أسنانها، أو طلعت أنيابها، واحدها قارح. والمهار: جمع مهر، وهو ولد الفرس.

(٢١) القرن: كفؤك في الشجاعة، ومن يقاومك في القتال ونحوه. وأميل: جبان، أو ليس معه سلاح. ورار: فاسد، سخيف، ركيك.

(٢٢) الثني: الطرف، يقال قبض بثني الحبل، وهو ما فضل في كفّه إذا قبض عليه. والعنان: سير اللجام الذي تمسك به الدابة.

(★) يرجح أنّ هذه القصيدة الرائية الخالدة هي أولى السرنديبيات، أو من أوائل ما نظمه الشاعر في منفاه.

(١) تأوّبه: جاءه ليلاً. والطّيف: الخيال الطائف في المنام. و«سميرة»: ابنة الشاعر، وإحدى ولائده اللائي تركهن مع والدتهن «عديلة يكن».



طَوَى سُدْفَةَ الظَّلْمَاءِ وَاللَّيْلُ ضَارِبٌ ... بِأَرْوَاقِهِ وَالنَّجْمُ بِالأُفْقِ حَائِرُ(٢)

فَيَا لَكَ مِنْ طَيْفٍ أَلَمَّ وَدُونَهُ ... مُحِيطٌ مِنَ الْبَحْرِ الْجَنُوبِيِّ زَاخِرُ(٣)

تَخَطَّى إِلَيَّ الأَرْضَ وَجْداً وَمَا لَهُ ... سِوَى نَزَوَاتِ الشَّوقِ حَادٍ وَزَاجِرُ(٤)

أَلَمَّ وَلَمْ يَلْبَثْ وَسَارَ وَلَيْتَهُ ... أَقَامَ وَلَوْ طَالَتْ عَلَيَّ الدَّيَاجِرُ(٥)

تَحَمَّلَ أَهْوَالَ الظَّلامِ مُخَاطِراً ... وَعَهْدِي بِمَنْ جَادَتْ بِهِ لا تُخَاطِرُ(٦)

خُمَاسِيَّةٌ لَمْ تَدْرِ مَا اللَّيْلُ والسُّرَى ... وَلَمْ تَنْحَسِرْ عَنْ صَفْحَتَيْهَا السَّتَائِرُ(٧)

عَقِيلَةُ أَتْرَابٍ تَوَالَيْنَ حَوْلَهَا ... كَمَا دَارَ بِالْبَدْرِ النُّجُومُ الزَّوَاهِرُ(٨)

غَوَافِلُ لا يَعْرِفْنَ بُؤْسَ مَعِيشَةٍ ... وَلاَ هُنَّ بِالْخَطْبِ الْمُلِمِّ شَوَاعِرُ(٩)

---

(٢) السُّدْفَة: السُّتْرَةُ، والحجاب. وسُدْفَة الظلماء: أي الظلماء الشبيهة بالسُّدفة. والسدفة: الظلمة. وإضافتها إلى الظلماء من إضافة الكلمة إلى مرادفها. وضرب الليل بظلامه، وضرب أرواقه: أي أقبل، وخيّم، وأقام، واشتدّت ظلمته. وكنى بحيرة النجم في الأفق: عن شدّة الحكمة، وتراكم الظلمات.

(٣) يريد بالبحر الجنوبيّ: المحيط الهندي. وزاخر: طام، ممتلىء، واسع.

(٤) نزوات الشوق: نوازعه، ودوافعه. وحادٍ: اسم فاعل من حدا الإبل، أي ساقها، وحثّها على السير بالحداء، وهو الغناء لها. وزاجر: اسم فاعل من زجر الرجل البعير ونحوه، أي ساقه، وحمله على الإسراع في مسيره.

(٥) الدياجر: الظُّلُمات. واحدها دَيْجُور.

(٦) تَحَمَّلَ الأمر: حَمَلَهُ في عَنَتٍ ومَشَقَّةٍ.

(٧) خماسيّة: طولها خمسة أشبار، أو سنّها نحو سبع سنوات، والمراد أنها طفلة صغيرة السنّ. والسُّرى: السَّيْر ليلاً. وصفحتاها: جانبا وَجْهِها.

(٨) عقيلة كلّ شيء: أكرمه، وأنْفَسُهُ، وأعظمه قيمةً. وأترابُها: لِدَاتها، أي مَنْ كُنَّ في مثل سنّها. وتوالَيْنَ حولها: أي أَحَطْنَ بها، ودُرْنَ حولها في توالٍ وتتابع. والنجوم الزواهر: الكواكب المشرقة المتلألئة الجميلة، واحدها زاهر.

(٩) الخطب: النازلة الشديدة من نوازل الدهر وأحداثه. والملمّ: اسم فاعل من ألَمّ بنا فلان إلماماً، أي حلّ بنا، ونَزَل.

تَعَوَّدْنَ خَفْضَ الْعَيْشِ فِي ظِلِّ وَالِدٍ ... رَحِيمٍ وَبَيْتٍ شَيَّدَتْهُ الْعَنَاصِرُ(١٠)

فَهُنَّ كَعُنْقُودِ الثُّرَيَّا تَأَلَّقَتْ ... كَوَاكِبُهُ فِي الْأُفْقِ فَهْيَ سَوَافِرُ(١١)

تُمَثِّلُهَا الذِّكْرَى لِعَيْنِي كَأَنَّنِي ... إِلَيْهَا عَلَى بُعْدٍ مِنَ الْأَرْضِ نَاظِرُ(١٢)

فَطَوْراً أَخَالُ الظَّنَّ حَقّاً وَتَارَةً ... أَهِيمُ فَتَغْشَى مُقْلَتَيَّ السَّمَادِرُ(١٣)

فَيَا بُعْدَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحِبَّتِي ! ... ويَا قُرْبَ ما الْتَفَّتْ عَلَيهِ الضَّمائِرُ !(١٤)

وَلَولاَ أَمَانِي النَّفْسِ وَهْيَ حَيَاتُهَا ... لَمَا طَارَ لِي فَوْقَ الْبَسِيطَةِ طَائِرُ

فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فَرَّقْنَ بَيْنَنَا ... فَكُلُّ امْرِئٍ يَوْماً إِلَى اللَّهِ صَائِرُ

هِيَ الدَّارُ مَا الْأَنْفَاسُ إِلَّا نَهَائِبٌ ... لَدَيْهَا ومَا الْأَجْسَامُ إِلَّا عَقَائِرُ(١٥)

إِذَا أَحْسَنَتْ يَوْماً أَسَاءَتْ ضُحَى غَدٍ ... فَإِحْسَانُهَا سَيْفٌ عَلَى النَّاسِ جَائِرُ

تَرُبُّ الْفَتَى حَتَّى إِذَا تَمَّ أَمْرُهُ ... دَهَتْهُ كَمَا رَبُّ الْبَهِيمَةِ جَازِرُ(١٦)

---

(١٠) خَفْضُ العَيش: اتّساع المعيشة، وهناءة الحياة، ويُسْرها، ورفاهتها. والعناصر: المناقب، والمفاخر، والأحْسَابُ، والأصولُ الكريمة.

(١١) العنقود من العنب ونحوه: ما تعقّد وتراكم من ثمره في أصلٍ واحد. والثريّا: مجموعة نجوم، كثيرة العدد، صغيرة المنظر، والعرب تشبّه الثريّا بعنقود العنب ونحوه.

(١٢) تمثّلها الذكرى: أي تمثّل الذكرى لي «سميرة»، أي تُصَوِّرُهَا لي، أي تَعْرض عليَّ مثالها وصورتها واضحة مجلوة. والذِّكرَى: كثرة الذِّكْر، اسم من ذكر الشيء، أي حفظه في ذهنه. ومثلها التذكُّر والتِّذكار.

(١٣) الطَّور، والتارة: المرة والحين والمدة. وتغشى مقلتي: أي تُغَطي عينيّ، أو تخالطهما. والسَّمادِر: جمع سمدور، وهو غشاوة العين، وضعف البصر.

(١٤) يراد بالضمائر: القلوب. ويراد بما الْتَفَّتْ عليه الضمائر: ما تضمره قلوب المتحابّين من الودّ والشوق ونحوهما.

(١٥) يريد بالدار: الحياة الدنيا. ونهائب: مغانم، واحدتها نهيبة. وعقائر: مذبوحة. ونهب أنفاس المتنفّسين، وعقر أجسامهم: إهلاكهم وإبادتهم.

(١٦) تَرُبُّ الفتى: تُرَبِّي الإنسان، أي تُمدُّه بالغذاء، وأسباب النموّ والحياة. وتمّ أمره: أي تَمَّتْ قصَّتُه، ودَوْرُهُ في الحياة الدنيا. ودهته: أصابته بداهية، وهي النازلة والكارثة والمصيبة. ورَبُّ الجازر البهيمة: رَبَّاها، وغَذَّاهَا، وسَمَّنها، وأعدّها للذبح. وَجزَرَها: نَحرَهَا، أي ذَبحها.

لَهَـا تِـرَةٌ فـي كُـلِّ حَـيٍّ ومـا لَـهَـا   عَلَى طُولِ مَا تَجْنِي عَلَى الْخَلْقِ وَاتِرُ(١٧)

كَـثِـيـرَةُ أَلْوَانِ الْـوِدَادِ مَـلِيَّـةٌ   بِـأَنْ يَتَـوَقَّـاهَـا الْقَـرِينُ الْمُعَـاشِـرُ(١٨)

فَمَنْ نَـظَرَ الـدُّنْيَـا بِحِكْمَـةِ نَـاقِـدٍ   دَرَى أَنَّـهَـا بَيْـنَ الأَنَـامِ تُـقَـامِـرُ(١٩)

صَبَـرْتُ عَلَى كُـرْهٍ لِمَـا قَـدْ أَصَـابَنِي   وَمَنْ لَمْ يَجِـدْ مَنْدُوحَـةً فَهْـوَ صَابِـرُ(٢٠)

ومـا الْحِلْمُ عِنْدَ الْخَطْبِ وَالْمَرْءُ عـاجِزٌ   بِمُسْتَحْسَنٍ كَـالْـحِلْمِ والْـمَـرْءُ قَـادِرُ

وَلَـكِـنْ إِذَا قَـلَّ الـنَّـصِـيـرُ وأَعْـوَزَتْ   دَوَاعِي الْمُنى فَـالصَّبْرُ فِيـهِ الْمَعَـاذِرُ(٢١)

فَـلاَ يَـشْـمَـتِ الأَعْـدَاءُ بِـي فَلَرُبَّـمَـا   وَصلْتُ لِمَـا أَرْجُـوهُ مِمَّـا أُحَـاذِرُ(٢٢)

فَقَـدْ يَسْتَقِيمُ الأَمْـرُ بَعْـدَ اعْـوِجَـاجِهِ   وَتَنْهَضُ بِـالْمَـرْءِ الْجُدُودُ الْعَـوَاثِـرُ(٢٣)

وَلِي أَمَـلٌ فِي الـلَّهِ تَحْيَـا بِـهِ الْمُنَى   وَيُشْرِقُ وَجْهُ الـظَّنِّ والْخَطْبُ كَـاشِرُ(٢٤)

وَطِيـدٌ يَـزِلُّ الْكَـيْـدُ عَنْـهُ وَتَـنْقَضِي   مُجَـاهَـدَةُ الأَيَّـامِ وَهْـوَ مُثَـابِـرُ(٢٥)

---

(١٧) التِّرَة: الذَّحل، والثَّار، وهي أيضاً: مصدر وَتَرَه، أي أفزعه، وأصابه بمكروه.

(١٨) أَلوانه: ضُروبه، وأنواعه، وصوره ووسائله. وملِيّة: جديرة، وخليقة. والقرين: الصاحب، ومثله المعاشر: وهو المخالطُ، والصاحبُ.

(١٩) الأنام: الخَلْقُ، والناس. وتُقامر: تخادع وتخاتل.

(٢٠) الكُرْه: المشقّة، والكراهية. والمندوحة: الفُسْحَة، والسَّعة. ولك عن هذا الأمر مندوحة: أي سعة، وفسحة، أي يمكنك تركه، والميل عنه.

(٢١) المعاذر: جمع المعذرة، وهي العذر، مصدر عذره، أي رفع عنه اللوم وبَرَّأه من الذنب، أو قبل عذره. وفي صبره عذره: أي في صبره الاضطراريّ ما يمهّد له العذر، ويرفع عنه اللوم ويبرّئه من التبعات.

(٢٢) شَمَت المرء بعدوّه: فرحَ ببليَّته، وسرَّه ما أصابه من المكاره.

(٢٣) نهض به جدّه العاثر: أي كان سبب اجتماع قوّته، ونهوضه من عثرته.

(٢٤) كاشر: اسم فاعل من كَشَرَ الأسَدُ ونحوه عن أنيابه، إذا غضِب، وتأهّب للفَتْكِ بفريسته. وكشر العدوّ عن أنيابه: تنمَّر، وأوْعَدَ، كأنه سبع. ويراد بالخطْب الكاشر: الشديد الفادح.

(٢٥) مجاهدة الأيام هنا: عداوتها للشاعر، وما تحمله له، وتعلنه وتخفيه من الخصومة.

إذَا الْمَـرْءُ لَمْ يَرْكَنْ إلَى اللَّهِ فِي الَّـذِي ... يحَـاذِرُهُ مِنْ دَهْرِهِ فَهْـوَ خَـاسِـرُ(٢٦)

وَإنْ هُـوَ لَمْ يَصْبِـرْ عَلَى مـا أَصَـابَـهُ ... فَلَيْسَ لَـهُ فِي مَعْرِضِ الْحَقِّ نَـاصِرُ(٢٧)

وَمَنْ لَـمْ يَـذُقْ حُلْوَ الـزَّمَـانِ وَمُـرَّهُ ... فَمَـا هُـوَ إلاَّ طَـائِشُ اللُّبِّ نَـافِـرُ(٢٨)

وَلَـوْلا تَـكَـالِيـفُ السِّيَـادَةِ لَمْ يَـخِبْ ... جَبَـانٌ وَلَمْ يَـحْـوِ الْـفَضِيلَةَ ثَـائِـرُ

تِـقِـلُّ دَوَاعِي الـنَّفْسِ وَهْـيَ ضَعِيفَـةٌ ... وَتَقْـوَى هُمُـومُ الْقَلْبِ وَهْـوَ مُغَـامِـرُ(٢٩)

وَكَيْفَ يَبِينُ الْفَضْـلُ وَالنَّقْصُ فِي الْـوَرَى ... إذَا لَمْ تَكُنْ سَـوْمَ الرِّجَـالِ الْمَآثِـرُ ؟(٣٠)

وَمَـا حَمَـلَ السَّيْفَ الْكَمِيُّ لِـزِينَـةٍ ... وَلَكِنْ لأمْـرٍ أَوْجَبَتْـهُ الْمَفَـاخِـرُ(٣١)

إذَا لَـمْ يَكُـنْ إلاَّ الْـمَعِيشَـةَ مَـطْلَبٌ ... فَكُـلُّ زَهِيـدٍ يُمْسِـكُ النَّفْسَ جَـابِـرُ

فَلَوْلاَ الْعُـلاَ مـا أَرْسَـلَ السَّهْمَ نَـازِعٌ ... وَلاَ شَهَـرَ السَّيْفَ الْيَمَـانِيَّ شَـاهِـرُ(٣٢)

مِنَ الْعَـارِ أَنْ يَـرْضَى الـدَّنِيَّـةَ مَـاجِـدٌ ... وَيَقْبَـلَ مَكْذُوبَ الْمُنَى وَهْـوَ صَـاغِـرُ(٣٣)

إذَا كُنْتَ تَخْشَى كُـلَّ شَيْءٍ مِنَ الـرَّدَى ... فَكُـلُّ الَّـذِي فِي الْكَوْنِ لِلنَّفْسِ ضَـائِـرُ

فَمِنْ صِحَّـةِ الإنْسَانِ مـا فِيـهِ سُقْمُـهُ ... وَمِنْ أَمْنِـهِ مـا فَـاجَـأَتْـهُ الْمَخَـاطِـرُ

---

(٢٦) رَكَنَ إليه رُكُوناً: مال إليه، واعتمد عليه، ووثق به، واطْمَأنَّ.

(٢٧) معرض الحقّ: مقدمه، ومجاله.

(٢٨) اللُّبُّ: العقل. وطاش عقله: خفّ، وتشتّت، واضطرب. ونافر: جزع، شارد، معرضٌ، متباعد.

(٢٩) دواعي النَّفس: مطالبها، وحاجاتها ومطامحها. والهموم: العزائم.

(٣٠) الورى: الخَلْقُ، والناس. وسَوْم: مصدر سام المشتري السلعة، أي طلب شراءها. والمآثر: المكرمات، والمفاخر، واحدتها مأثرة.

(٣١) الكمّي: المدجّج، أي لابس السلاح، أو الشجاع المقدام.

(٣٢) نازع: رام بالسهم، اسم فاعل من قولهم: نزع الرامي، أو الصائد، أو المحارب، أو نحوه في قوسه، أي مدّها، ليطلق منها السهم. واليمانيّ: نسبة ـ على غير قياس ـ إلى اليمن. وقد اشتهرت بلاد اليمن قديماً بصناعة السيوف وتجارتها.

(٣٣) الدنيّة: النقيصة والعار. وصاغر: ذليل، راض بالهوان، مقيم على الضيم.

عَـلَيَّ طِـلَابُ الْـعِـزِّ مِـنْ مُـسْـتَـقَـرِّهِ ... وَلاَ ذَنْبَ لِي إِنْ عَـارَضَتْنِي الْمَقَـادِرُ[٣٤]
فَمَـا كُـلُّ مَحْلُولِ الْعَـرِيكَـةِ خَـائِبٌ ... وَلاَ كُـلُّ مَحْبُـوكِ التَّـرِيكَـةِ ظَـافِـرُ[٣٥]

فَـمَـاذَا عَسَـى الأَعْـدَاءُ أَنْ يَتَـقَـوَّلُـوا ... عَليَّ وعِـرْضِي نـاصِـحُ الْجَيْبِ وَافِـرُ؟
فَلِي فِي مَـرَادِ الْفَضْـلِ خَـيْـرُ مَغَبَّـةٍ ... إِذَا شَـانَ حَيًّا بِـالْخِيَـانَـةِ ذَاكِـرُ[٣٦]

مَـلَكْتُ عُـقَـابَ الْمُـلْكِ وَهْيَ كَـسِيـرَةٌ ... وَغَـادَرْتُهَـا فِي وَكْـرِهَـا وَهْيَ طَـائِـرُ[٣٧]
وَلَـوْ رُمْـتُ مَـا رَام امْـرُؤٌ بِـخِـيَـانَـةٍ ... لَـصبَّـحنِـي قِسْطٌ مِـنَ الْمَـالِ غَـامِـرُ

وَلَكِنْ أَبَـتْ نَفْسِي الْـكَـرِيمَـةُ سَـوْأَةً ... تُعَـابُ بِهـا والـدَّهْـرُ فِيهِ الْمُعـايِـرُ[٣٨]
فَـلاَ تَـحْسَبَـنَّ الْـمَـالَ يَـنْـفَـعُ رَبَّـهُ ... إِذَا هُـوَ لَمْ تَحْمَـدْ قِـرَاهُ العَشَـائِـرُ[٣٩]

فَقَـدْ يَسْتَجِمُّ الْمَـالُ وَالْمَجْـدُ غَـائِبٌ ... وَقَدْ لاَ يَكُونُ الْمَـالُ والْمَجْدُ حـاضِرُ[٤٠]

---

(٣٤) الطِّلاب: الطَّلب. ومن مستقرّه: أي من مكان وجوده، وموطنه، ومحلّ استقراره. والمقادر: جمع مِقْدَار، وهو قدر الله تعالى، وقضاؤه وحكمه. ويراد بالمقادر هنا: الموانع القهريَّة.

(٣٥) العريكة: الطبيعة والنفس، ورجل محلول العريكة: أي ضعيف خائر. والتريكة: بيضة الحديد للرأس، ومثلها الخُوذة، والمِغْفَر، وحبك التريكة: كناية عن القوّة والشجاعة وشدّة البأس وكمال الأهبة وتمام الاستعداد.

(٣٦) مراد الفضل: مجاله. ومغبّة الشيء: عاقبته، وآخره. ويريد بالحيّ: من يعرّض بهم ممن نقضوا العهد، وخانوا الأمانة، وذكرهم الذاكرون بما يشينهم من المثالب والعيوب، وخيانة ثورتهم العرابيّة الوطنية.

(٣٧) العقاب: طائر من كواسر الطير وجوارحه، ويريد بعقاب الملك: ما تولّاه في حياته بمصر من مناصب الحكم، ومراتب القيادة، ووزارة الأوقاف، وغيرها، ثم رياسة الوزارة إبّان الثورة العرابيّة. وكسيرة: مكسورة، والمراد معتلّة، مختلّة، فاسدة.

(٣٨) السوأة: المثلبة، والعيب، والنقيصة. والمعاير: المعايب، والمثالب.

(٣٩) الربّ: الصاحب والمالك. والقِرَى: ما يقدّم إلى الضيف من طعام وشراب، ويراد به هنا: وجوه الإنفاق في الخير والمحامد والمبرّات والمكرمات. والعشائر: جمع العشيرة، وهي القبيلة، ويراد بالعشائر هنا: الناس.

(٤٠) يستجمّ: يجتمع، ويكثر.



وَلَـوْ أَنَّ أَسْبَـابَ السِّيَـادَةِ بِـالْغِنَـى | لَكَـاثَرَ رَبَّ الْفَضْـلِ بِالْمَـالِ تَـاجِـرُ(٤١)
فَـلاَ غَـرْوَ أَنْ حُـزْتُ الْمَكَـارِمَ عَـارِيـاً | فَقَدْ يَشْهَدُ السَّيْفُ الْوَغَى وَهْوَ حَاسِرُ(٤٢)
أَنَـا الْمَـرءُ لاَ يَثْنِيـهِ عَـنْ دَرْكِ الْعُـلاَ | نَعِيمٌ وَلاَ تَعْـدُو عَـلَيْـهِ الْمَفَـاقِـرُ(٤٣)
قَـؤُولٌ وَأَحْـلاَمُ الـرِّجَـالِ عَـوَازِبٌ | صَؤُولٌ وأَفْـوَاهُ الْمَنَـايَـا فَـوَاغِـرُ(٤٤)
فَـلاَ أَنَـا إِنْ أَدْنَـانِيَ الْـوَجْـدُ بَـاسِمٌ | وَلاَ أَنَا إِنْ أَقْصَانِيَ الْعُـدْمُ بَـاسِـرُ(٤٥)
فَمَا الْفَقْرُ إِنْ لَمْ يَـدْنَسِ الْعِرْضُ فَـاضِحٌ | وَلاَ الْمَالُ إِنْ لَمْ يَشْرُفِ الْمَـرْءُ ساتِـرُ(٤٦)
إِذَا مـا ذُبَـابُ السَّيفِ لَمْ يَـكُ مَـاضِيـاً | فَحِلْيَتُـهُ وَصْمٌ لَدَى الْحَـرْبِ ظَـاهِـرُ(٤٧)
فَـإِنْ كُنْتُ قَـدْ أَصْبَحْـتُ فَـلَّ رَزِيَّـةٍ | تَقَـاسَمَهَا في الأَهْـلِ بَـادٍ وحَـاضِـرُ(٤٨)

---

(٤١) كاثره بماله: فاخره بكثرة ماله.
(٤٢) لا غرو: أي لا عجب. وعارياً: المراد بلا مال. والوغى: الحرب، لما فيها من الأصوات العالية المختلطة. وحاسر: مكشوف، مصلت مجرّد من غمده.
(٤٣) الدرك: اسم مصدر بمعنى الإدراك واللحاق. أدرك الشيء إدراكاً: لحقه، وبلغه، ونـاله، وحازه. وتعدو عليه: تظلمه، وتنال منه، والمراد تضعف همّته، وتوهن عزيمته. والمفاقر: وجوه الفقْر، وأنواعه، وأحواله.
(٤٤) قؤول: لسن فصيح. وعوازب: غـائبة، ذاهبـة. وكنى بعزوب الأحـلام عن اشتداد الخـطب، واستبهام الأمور وتعقدها. وصؤول: فاتك، شجاع، مقدام.
(٤٥) الوجد: الغنى، واليسر، والثروة، وكثرة المال. العدم: الفقر، والبؤس، والإقلال، والعسر. وباسر: كالح الوجه، عابس، مُبْتَئس.
(٤٦) دنس الثوب ونحوه: توسّخ. والعرض: النفس، أو جانب الرجل الذي يصونه من نفسه وحسبه أن ينتقص ويثلب، أو هو موضع المدح والذمّ من الإنسان، أو هو ما يفتخر به المرء من حسب وشرف وخلائق محمودة.
(٤٧) ذباب السيف: حدّه. وماض: حادّ، قاطع. وحلية السيف: زينته. ووصم: عيب وعار.
(٤٨) الفَلّ: المنهزم، وأصله الكسر في حدّ السيف ونحوه. والرزيّة: المصيبة، ومثلها الرزيئة. ويشار بالرزيئة هنا إلى إخفاق الثورة العرابية، وكان الشاعر من قادتها والضاربين في غمرتها، فلمّا أخفقت صار من فلولها، أي المنهزمين فيها.

فَكَمْ بَطَلٍ فَلَّ الزَّمَانُ شَبَاتَهُ ... وَكَمْ سَيِّدٍ دارتْ علَيْهِ الدَّوائِرُ[49]

وأيُّ حُسَامٍ لَمْ تُصِبْهُ كَلالَةٌ ؟ ... وأيُّ جَوَادٍ لَمْ تَخُنْهُ الْحَوافِرُ ؟[50]

فَسَوْفَ يَبِينُ الحَقُّ يَوْماً لِنَاظِرٍ ... وَتَنْزُو بِعَوْرَاءِ الْحُقُودِ السَّرائِرُ[51]

وَمَا هِيَ إلاَّ غَمْرَةٌ ثُمَّ تَنْجَلِي ... غَيَابَتُهَا واللهُ مَنْ شَاءَ نَاصِرُ[52]

فَقَدْ حَاطَنِي في ظُلْمَةِ الْحَبْسِ بَعْدَما ... تَرَامَتْ بِأَفْلاذِ الْقُلُوبِ الْحَنَاجِرُ[53]

فَمَهْلاً بَنِي الدُّنْيا عَلَيْنَا فَإِنَّنا ... إلى غَايَةٍ تَنْفَتُّ فِيهَا الْمَرائِرُ[54]

تَطُولُ بِهَا الأَنْفَاسُ بُهْراً وَتَلْتَوِي ... عَلَى فَلْكَةِ السَّاقَيْنِ فِيهَا الْمآزِرُ[55]

هُنَالِكَ يَعْلُو الْحَقُّ وَالْحَقُّ واضِحٌ ... وَيَسْفُلُ كَعْبُ الزُّورِ والزُّورُ عَاثِرُ[56]

وَعَمَّا قَلِيلٍ يَنْتَهِي الأَمْرُ كُلُّهُ ... فَما أَوَّلٌ إلاَّ وَيَتْلُوهُ آخِرُ[57]

---

(٤٩) فَلَّه: ثلَمه وكسره. وشباة كلّ شيء: حدّه القاطع. والدوائر: النوازل، والخطوب، والنوائب.

(٥٠) الحُسام: السيف القاطع. والكلالة: التثلُّم، والتكسُّر. وخيانة الحوافر: كناية عن الكبوة والسقوط.

(٥١) تنزو من: تثب، ونزا به الشرّ: ثار، وتحرّك. وتنزو السرائر بعوراء الحقود: أي ترمي بها، وتقذف. والعوراء: مؤنث الأعور، وهو الرديء من كلّ شيء. وعوراء الحقود: أي الحقود القبيحة السيئّة الممقوتة.

(٥٢) الغمرة: الشدّة والمكرهة. وغيابة كلّ شيء: قعره، وما سترك منه. ويراد بغيابة الغمرة: ظلمتها وقسوتها وعمقها، وما فدحه، وثقل عليه من ويلاتها.

(٥٣) حاطني: حفظني، ورعاني. والشاعر يشير بظلمة الحبس إلى ما كان من القبض عليه، وعلى أمثاله، والزجّ بهم في ظلمات السجون، تمهيداً لمحاكمتهم بعد إخفاق الثورة العرابية.

(٥٤) يريد ببني الدنيا: الظالمين الذين غرّتهم الحياة الدنيا، وغرّهم بالله الغرور. ويريد بالغاية: يوم القيامة، أو يوم الدين. والمرائر: جمع المرارة، وهي هنة لازقة بالكبد. وانفتات المرائر: كناية عن أهوال ذلك اليوم وشدائده.

(٥٥) البهر: تتابع النَّفَس من الإعياء. وبهره: أجهده حتى أعيا، وتتابع نَفَسُهُ. وفلكة كلّ شيء: مستداره، ومعظمه.

(٥٦) الزُّور الباطل، وسفول كعب الزُّور: كناية عن حبوطه وبطلانه.

(٥٧) الأمر: الشأن والحال والقصة. ويريد به أمر هؤلاء الظالمين المبطلين المفسدين في مصر، أي: وعمّا قليل ينتهي حكمهم، واستبدادهم، وتسلّطهم بانتهاء حياتهم، أو بسقوط دولتهم.



وَقَالَ فِي الْغَزَلِ :

أَرَبَّةُ الْعُودِ أَمْ قُمْرِيَّةُ السَّحَرِ ... غَنَّتْ فَحَرَّكَتِ الْأَشْجَانَ بِالْوَتَرِ ؟(١)

حَوْرَاءُ لِلسِّحْرِ فِي أَلْحَاظِهَا أَثَرٌ ... يُرِيكَ أَنَّ الرُّقَى ضَرْبٌ مِنَ الْهَذَرِ(٢)

لَوْ لَمْ تَكُنْ قَمَراً فِي الْحُسْنِ مَا ظَهَرَتْ ... لِأَعْيُنِ النَّاسِ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّعَرِ

أَمْلَتْ عَلَيَّ بِلَحْظَيْهَا حَدِيثَ هَوىً ... عَرَفْتُ مِنْهُ ضَمِيرَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ

كَأَنَّمَا بَيْنَ جَفْنَيْهَا إِذَا نَظَرَتْ ... « هَارُوتُ » يَعْبَثُ بِالْأَلْبَابِ وَالْفِكَرِ(٣)

لَا غَرْوَ أَنْ هِمْتُ مِنْ وَجْدٍ بِصُورَتِهَا ... فَالْحُسْنُ مَشْغَلَةٌ لِلْعَقْلِ وَالْبَصَرِ(٤)

لَا تَقْنَعُ الْعَيْنُ مِنْهَا كُلَّمَا نَظَرَتْ ... وَكَيْفَ يَقْتَنِعُ الْمُشْتَاقُ بِالنَّظَرِ ؟

نَاغَيْتُهَا بِلِسَانِ الشَّوْقِ فَازْدَهَرَتْ ... لِلْحُسْنِ فِي وَجْنَتَيْهَا وَرْدَتَا خَفَرِ(٥)

وَازْوَرَّ حَاجِبُهَا عَنْ نَظْرَةٍ رَشَقَتْ ... سَوَادَ قَلْبِي بِسَهْمٍ صِيغَ مِنْ حَوَرِ(٦)

فَلَمْ أَزَلْ بِرُقَى الْأَشْعَارِ أَعْطِفُهَا ... وَرُقْيَةُ الشِّعْرِ تُجْرِي الْمَاءَ فِي الْحَجَرِ

حَتَّى إِذَا عَلِمَتْ أَنِّي بِهَا كَلِفٌ ... وَأَنَّنِي مِنْ تَجَنِّيهَا عَلَى خَطَرِ(٧)

---

(١) العود: من آلات الغناء والطرب. والقمريّة: ضرب من الحمام. والسحر: الوقت قبيل الصبح. والأشجان: جمع شجن، وهو الحزن والهم وهوى النفس.

(٢) حوراء: صفة من الحور وهو شدّة بياض العين، في شدة سوادها، مع استدارة الحدقة ورقّة الجفون وبياض ما حواليها.

(٣) «هاروت»: اسم ساحر أو ملك كان يعلّم الناس السحر بمدينة «بابل» وقد وردت قصّته في القرآن الكريم.

(٤) لا غرو: لا عجب.

(٥) ناغيتها: حادثتها وغازلتها. وازدهرت: تلألأت وأشرقت. والخفر: شدّة الحياء.

(٦) ازورّ: مال وتحرّك.

(٧) كلف: محبّ لهج مغرم مولع. وتجنّى فلان على غيره تجنّياً: ادّعى عليه ذنباً لم يفعله. والخطر: الإشراف على الهلاك.

تَبَسَّمَتْ فَجَلَتْ لِلْعَيْنِ مِنْ فَمِهَا ... يَاقُوتَةً أُودِعَتْ سَطْرَيْنِ مِنْ دُرَرِ[٨]
فَبِتُّ مِنْ وَصْلِهَا فِي جَنَّةٍ يَنَعَتْ ... أَفْنَانُهَا بِثِمَارِ الأُنْسِ وَالْحَبَرِ[٩]

أَبَحْتُ لِلْعَيْنِ فِيهَا مَا تَقَرُّ بِهِ ... وَذُدْتُ كَفَّ الصِّبَا عَنْ مَعْقِدِ الأُزُرِ[١٠]
حتَّى اشْرَأَبَّتْ عُقَابُ الْفَجْرِ وانْطَلَقَتْ ... حَمَائِمُ الشُّهْبِ مِنْ أُحْبُولَةِ السَّحَرِ[١١]

فَيَا لَهَا لَيْلَةً كَانَتْ بِرَوْنَقِهَا ... تَارِيخَ لَهْوٍ لِمَا أَحْرَزْتُ مِنْ وَطَرِ[١٢]
وَسَمْتُهَا بِضِيَاءِ الْكَأْسِ فَالْتَمَعتْ ... وَزِينَةُ الدُّهْمِ فِي الأَوْضَاحِ وَالْغُرَرِ[١٣]

لَوْ كَانَ يَسْمَحُ لِي دَهْرِي بِعَوْدَتِهَا ... لَبِعْتُ فِيهَا لَذِيذَ النَّوْمِ بِالسَّهَرِ
وَلَّتْ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا غَيْرُ فَذْلَكَةٍ ... تَلُوحُ فِي دَفْتَرِ الأَوْهَامِ وَالذُّكَرِ[١٤]

وَأَيُّ بَاقٍ عَلَى الأَيَّامِ نَطْلُبُهُ ... وَكُلُّ وَارِدَةٍ يَوْماً إِلَى صَدَرِ[١٥]
فَلاَ تَثِقْ بِوَفَاءِ الدَّهْرِ إِنَّ لَهُ ... غَدْراً يُفَرِّقُ بَيْنَ الْعُودِ والثَّمَرِ

---

(٨) الياقوتة: واحدة الياقوت، وهو جوهر معروف، وأجوده الأحمر الرمّاني، وقد شبّه الشاعر بها شفتي محبوبته. والدرر: اللآلىء، تشبّه بها الأسنان في الصفاء والنقاء والبياض.

(٩) ينع الثمر: أدرك ونضج وحان قطافه. والأفنان: الأغصان. والحبر: السرور.

(١٠) ذدت: كففت ومنعت ودفعت. والصبا: جهلة الفتوّة واللهو من الغزل، كالصبوة والتصابي. ومعقد: اسم مكان من عقد الإنسان الإزار وغيره أي شدّه وربطه. والأزر: جمع إزار، وهو ما يشدّه الإنسان على وسطه ليستر به أسفل جسمه.

(١١) اشرأبّت: مدّت عنقها ورفعت رأسها. والعقاب: طائر من جوارح الطير. والشهب: النجوم. والأحبولة: المصيدة. والسحر: الوقت قبيل الصبح.

(١٢) الوَطَر: البغية والحاجة.

(١٣) وسمتها: أعلمتها وزيّنتها، أي الليلة. ويريد بضياء الكأس: صفاء الخمر في كؤوسها. والدهم: الخيل السود، واحدها أدهم أو دهماء. والأوضاح: جمع وضح وهو التحجيل، أي البياض في قوائم الفرس. والغرر: جمع غرّة، وهي بياض مستحسن في جبهة الفرس.

(١٤) يريد بالفذلكة: البقيّة والنهاية.

(١٥) واردة: اسم فاعل من ورد البعير وغيره الماء، أي بلغه ووافاه. والصدر: الرجوع.

وَلَا تَغُرَّنْكَ مِنْ وَجْهٍ بَشَاشَتُهُ … فَالسُّمُّ يُوجَدُ في نَضْرٍ مِنَ الشَّجَرِ[١٦]

قَدْ كِدْتُ أُتْهِمُ ظَنِّي فِي فِرَاسَتِهِ … مِنْ طُولِ مَا اشْتَبَهَتْ عَيْنَايَ فِي الصُّوَرِ[١٧]

فَخُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا سَمَحَتْ … بِهِ إِلَيْكَ وَكُنْ مِنْهَا عَلَى حَذَرِ

وَسَالِمِ الدَّهْرَ تَسْلَمْ مِنْ غَوَائِلِهِ … فَصَاحِبُ الشَّرِّ لَا يَنْجُو مِنَ الْكَدَرِ[١٨]

لَا يَبْلُغُ الْمَرْءُ مَا يَهْوَاهُ مِنْ أَرَبٍ … إِلَّا بِتَرْكِ الَّذِي يَخْشَاهُ مِنْ ضَرَرِ[١٩]

فَانْعَمْ وَطِبْ وَالْهُ واطْرَبْ وَاسْعَ وَاعْلُ وَسُدْ … وَاشْرَبْ وَغَنِّ وَتِهْ وَالْعَبْ وَهِمْ وَطِرِ

لَا يَقْنَطُ الْمَرْءُ مِنْ غُفْرَانِ خَالِقِهِ … مَا لَمْ يَكُنْ كَافِراً بِالْبَعْثِ وَالْقَدَرِ[٢٠]

وَقَالَ :

لَا شَيْءَ فِي الدَّهْرِ يُغْنِي عَنْ أَخِي ثِقَةٍ … يَكُونُ فِيهِ بَلَاغُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ[١]

قَضَيْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ رُمْتُهُ وَطَراً … إِلَّا مُحَادَثَةَ الإِخْوَانِ فِي السَّمَرِ[٢]

وَقَالَ★ :

---

(١٦) نضر: نضير غضّ حسن أخضر.
(١٧) الفراسة: اسم من التفرّس، وهو التثبّت، وصدق النظر.
(١٨) الغوائل: الدواهي والمصائب، واحدتها غائلة.
(١٩) الأرب: الحاجة.
(٢٠) يقنط: ييئس وينقطع رجاؤه.

(١) البلاغ: الكفاية.
(٢) الوطر: الحاجة. والسمر: مجلس السمّار، وهم القوم يسمرون، أي يتحادثون ليلاً.
(★) في التاسع من رجب سنة ١٢٩٩ هـ (السادس والعشرين من مايو سنة ١٨٨٢ م) استقال البارودي من رياسة الوزارة في ظروف سياسية سيئة تنذر بالخطر، ويكيد فيها الكائدون للوطن ورجاله، وقصد إلى مزرعته بقرقيرة من قرى الدقهلية، ينشد في أحضان الطبيعة شيئاً من الطمأنينة ورخاء البال، ويؤثر اجتناب السياسة وأخطارها، ويعرّض بالحاقدين ذوي القلوب الوغرة، ويشير إلى غدر الدنيا بأهلها ونهاية اللاهين بها، ويسأل الله الكرامة والسلامة. ويبدو أنه نظم هذه القصيدة وهو في ضيعته بقرقيرة على أثر استقالته.

صُبْحٌ مَطِيرٌ وَنَسْمَةٌ عَطِرَهْ ... وَأَنْفُسٌ لِلصَّبُوحِ مُنْتَظِرَهْ[1]

فَدُرْ بِعَيْنَيْكَ حَيْثُ شِئْتَ تَجِدْ ... مُلْكاً كَبِيراً وَجَنَّةً خَضِرَهْ

سَمَاؤُهَا بِالْغُصُونِ وَاشِجَةٌ ... وَأَرْضُهَا بِالنَّبَاتِ مُؤْتَزِرَهْ[2]

مَنْظَرُ لَهْوٍ تُعِيدُ بَهْجَتُهُ ... أَكِنَّةَ الْعَيْشِ وَهْيَ مُنْحَسِرَهْ[3]

فَالْعُفْرُ تَحْتَ الظِّلَالِ رَاتِعَةٌ ... وَالطَّيْرُ فَوْقَ الْغُصُونِ مُنْتَشِرَهْ[4]

وَالطَّلُّ يَنْهَلُّ مِنْ مَسَاقِطِهِ ... مِثْلَ عُقُودِ الْجُمَانِ مُنْتَثِرَهْ[5]

جَدَاوِلٌ فِي الْفَضَاءِ جَارِيَةٌ ... وَمُزْنَةٌ فِي السَّمَاءِ مُنْهَمِرَهْ[6]

دُنْيَا نَعِيمٍ تَكَادُ زَهْرَتُهَا ... تَزْرِي عَلَى الشَّمْسِ وَهْيَ مُزْدَهِرَهْ[7]

لَا ظِلُّهَا راكِدُ النَّسِيمِ وَلَا ... غُدْرَانُهَا بِالْغُثَاءِ مُخْتَمِرَهْ[8]

فَيَابْنَ وُدِّي هَلُمَّ نَقْتَسِمِ الْـ ... ـلَهْوَ فَنَفْسِي إِلَى الصِّبَا حَسِرَهْ

وَخَلِّنَا مِنْ سِيَاسَةٍ دَرَجَتْ ... بَيْنَ أُنَاسٍ قُلُوبُهُمْ وَغِرَهْ[9]

---

(١) الصبوح: الخمر تشرب في الصباح.

(٢) واشجة: مشتبكة ملتفّة. ومؤتزرة: مكتسية.

(٣) الأكنّة: جمع كنان، وهو الستر والوقاء.

(٤) العفر: الظباء والغزلان، جمع أعفر وعفراء، وهو الذي يعلو بياضه حمرة. وراتعة: اسم فاعل من رتعت الماشية، أي رعت وأكلت وشربت كيف شاءت في سعة ورغد.

(٥) الطلّ: أخفّ المطر وأضعفه، أو هو الندى. والعقود: جمع عقد، وهو القلادة. والجمان: هنوات من الفضة على شكل اللؤلؤ، الواحدة جمانة.

(٦) المزنة: السحابة.

(٧) زهرة الدنيا: بهجتها ونضارتها وحسنها. وزرى عليه: عابه واستهزأ به وحقّره.

(٨) راكد النسيم: ساكن الريح. والمراد بالغدران هنا: الأنهار، والترع، والقنوات، والمساقي، ومجاري المياه. والغثاء: ما يحمله السيل من رغوة وزبد وقذر، ومن فتات الأشياء التي على وجه الأرض.

(٩) وغرة: ممتلئة غيظاً، صفة من الوغر وهو الحقد والضغن والعداوة والتوقّد من الغيظ.

يَـقْـضُـونَ أَيَّـامَـهُـمْ عَـلَى خَـطَرٍ فَبِئْسَ عُقْبَى السِّـيـاسَـةِ الْخَـطِرَهْ

خَـدِيـعَـةٌ لا يَـزَالُ صَـاحِـبُـهَـا بَـيْـنَ هُـمُـومٍ وَعِـيـشَـةٍ كَـدِرَهْ

مَـا لِـي وَلِـلنَّـاسِ لَا لَـدَيَّ لَـهُـمْ حَـقٌّ يُـؤَدَّى وَلَا عَـلَـيَّ تِـرَهْ[١٠]

قَـدِ الْـتَقَيْـنَـا مِنْ غَـيْـرِ سَـابِـقَـةٍ فِي دَارِ دُنْيَـا بِـأَهْـلِهَـا غَـدِرَهْ[١١]

نَـلْهُـو بِـهَـا حِـقْبَـةً وَنَـتْـرُكُـهَـا إلى مَهَـاوٍ فِي الأَرْضِ مُنْحَـدِرَهْ[١٢]

كُـلُّ امْـرِىءٍ ذَاهِـبٌ لِـغَـايَـتِـهِ وكُـلُّ نَـفْسٍ بِـالْـغَـيْـبِ مُـؤْتَـمِـرَهْ

يَـا رَبِّ هَـبْ لِي مِنَ الْـكَـرَامَـةِ مَـا يَـسُـرُّ نَـفْـسِـي فَـإِنَّـهَـا وَجِـرَهْ[١٣]

وَلَا تَـكِـلْنِـي لِـمَـنْ يُـعَـذِّبُـنِـي فَـإِنَّ نَـفْـسِـي إِلَـيْـكَ مُـفْـتَـقِـرَهْ

وقَالَ يَرْثِي حَاضِنَتَهُ :

أَمَـرْيَـمُ ! لَا والـلَّهِ أَنْـسَـاكِ بَـعْـدَمَـا صَحِبْتُكِ فِي خَفْضٍ مِنَ الْعَيْشِ أَنْضَرِ[١]

فَقَـدْ كُنْتِ فِينَـا بَـرَّةَ الْقَـوْلِ سَـرَّةً سَلِيمَـةَ قَلْبٍ في مَـغِيـبٍ وَمَحْضَـرِ[٢]

فَلُقِّيتِ مِنْ ذِي الْعَـرْشِ خَيْـرَ تَـحِيَّـةٍ تُوافِيكِ فِي رَوْضٍ مِنَ الْقُدْسِ أَخْضَرِ[٣]

وَقَالَ يَرْثِي وَلَدَهُ :

بَـكَـيْـتُ « عَلِيَّـاً » إِذْ مَـضَـى لِـسَـبِـيـلِهِ بِعَيْنٍ تَكَـادُ الرُّوحُ فِي دَمْعِهَـا تَجْـرِي[١]

---

(١٠) الترة: الذحل والثأر.

(١١) من غير سابقة: أي أوّل مرّة، من غير التقاء سابق. وغدرة: صفة من الغدر، وهو ترك الوفاء، ونقض العهد.

(١٢) حقبة: زماناً. والمهاوي: جمع مهواة، وهي الحفرة، والمراد القبور.

(١٣) وجرة: خائفة مشفقة. ويريد بالكرامة: التكريم والرضا والعافية.

(١) خفض العيش: دعة المعيشة، ولين الحياة، وسعتها، ورفاهيتها.

(٢) برّة: صفة من البرّ، وهو الصلة والخير، وسرّة: سارّة، تسرّ غيرها وتبرّه.

(٣) الروض: جمع روضة، وهي الجنّة. والقدس: الطهر.

(١) «عليّ» أحد أولاد الشاعر من «أمينة يعقوب سامي» التي تزوّجها في منفاه في أواخر سنة

وإنِّـي لأدري أنَّ حُـزْنـي لاَ يَـفِـي ... بِـرُزْئِي ولَكِنْ لاَ سَبِيلَ إلى الصَّبْـرِ[2]

وَكَيْـفَ أذودُ الْقَلْبَ عَنْ حَسَـرَاتِـهِ ... وَأهْـوَنُ مَا ألْقَـاهُ يَصْدَعُ فِي الصَّخْرِ[3]

يَلُومُـونَنِي إنِّي تَجَـاوَزْتُ فِي الْبُكَـا ... وَهَلْ لاِمْرِىءٍ لَمْ يَبْكِ فِي الْحُزْنِ مِنْ عُذْرِ ؟

إِذَا الْمَـرْءُ لَمْ يَفْـرَحْ وَيَحْـزَنْ لِنِعْمَـةٍ ... وَبُؤْسٍ فَـلاَ يُـرْجَى لِنَفْـعٍ وَلاَ ضَـرِّ

وَمَـا كُنتُ لَـوْلاَ قِسْمَـةُ اللهِ فِي الْـوَرَى ... لأِصْبِـرَ لَكِنَّـا إلَى غَـايَـةٍ نَسْـري[4]

لَقَـدْ خَفَّفَ الْبَلْوَى وَإنْ هِيَ أشْـرَفَـتْ ... عَلَى النَّفْسِ ما أرْجُوهُ مِنْ مَوْعِدِ الْحَشْرِ[5]

وَقَالَ يَرْثِي وَلَدَهُ أيضاً :

لَـمْ أصْـطَبِـرْ بَعْـدَكَ مِـنْ سَلْوَةٍ ... لَـكِنْ تَـصَبَّـرْتُ عَـلَى جَمْـرِ[1]

وَشِيمَـةُ الْـعَـاقِـلِ فِي رُزْئِـهِ ... أنْ يَـسْبِـقَ السَّـلْوَةَ بِـالصَّـبْـرِ[2]

وَقَالَ في الصَّبْرِ :

صَبَـرْتُ وَمَـا بِـالصَّبْـرِ عَـارٌ عَلَى الْفَتَى ... إذَا لَمْ يَكُـنْ فِيـهِ مَـعَـابٌ وَلاَ نُكْـرُ[1]

وَلَـوْ لَمْ يَكُنْ في الصَّبْـرِ أعْـدَلُ شَـاهِـدٍ ... عَلَى كَـرَمِ الأخْـلاَقِ مَـا حُمِـدَ الصَّـبْـرُ

١٨٨٥ م وهو في نحو السادسة والأربعين من عمره. وهي بنت اللواء يعقوب سامي، أحد قادة الثورة العرابيّة، وزميل البارودي في الجهاد والمنفى. ويبدو أن هذا المرثيّ توفيّ في طفولته.

(٢) الرزء: المصيبة.

(٣) أذود: أكفّ وأمنع وأدفع. ويصدع: يشقّ ويفتّت.

(٤) الورى: الخلق والناس.

(٥) البلوى: اسم من بلاه الله تعالى، أي اختبره وامتحنه. وموعد الحشر: يوم القيامة. والـذي يرجوه من موعد الحشر: هو لقاء ولده.

(١) السلوة: اسم من سلا الشيء، وسلا عنه سلوّاً وسلواناً وسليّاً، أي نسيه، وطابت نفسه بعد فراقه.

(٢) الشيمة: الخلق والطبيعة. والرزء: المصيبة.

(١) المعاب: العيب والوصمة. والنكر: المنكر والأمر القبيح.

وَقَالَ :

لَـوْ كَانَ يَـدْرِي الْفَتَى مَكْنُونَ مَـا خَبَّـأَتْ ... لَـهُ الْمَقَـادِيـرُ لَمْ يَـرْكَنْ إِلَى الْحَـذَرِ[1]

وَلَـوْ دَرَى أَنَّ مَـا يَـلْقَـاهُ مِـنْ عَـنَـتٍ ... مِنْ خَيْبَةِ الرَّأْيِ لَمْ يَعْتُبْ عَلَى الْقَـدَرِ[2]

وَقَالَ :

بَلَوْتُ إِخَـاءَ النَّـاسِ دَهْـراً فَلَمْ أَجِـدْ ... أَخَـا ثِقَـةٍ يَـرْعَى مَغِيبِي كَمَحْضَـرِي[1]

فَـإِنْ أَتَـغَـيَّـرْ عَـنْ وِدَادٍ فَـإِنَّـنِـي ... أَرَى كُـلَّ شَـيْءٍ عُـرْضَـةً لِـلتَّـغَيُّـرِ

وَقَالَ لِأَحَدِ الْوُلَاةِ فِي يَوْمِ قَطْعِ سَدِّ النِّيلِ :

أَيَـا مَلِكَـاً هَمَـتْ كَفَّـاهُ جُـودَاً ... عَلَى الثَّقَلَيْنِ مِنْ بَـادٍ وَقَـارِي[1]

عَـرَاكَ الـنِّيـلُ مِـنْ بَلَدٍ بَـعِيـدٍ ... فَـأَلْبِسْهُ الْكَـرَامَـةَ فَهْـوَ عَـارِي[2]

وَقَالَ :

يُسَـائِلُنِـي عَمَّـا كَـتَمْـتُ مِنَ الْـهَـوَى ... صَدِيقِي وَفِي بَعْضِ الإِجَابَةِ مَا يُزْرِي[1]

فَـإِنْ لَمْ أَقُـلْ حَقَّـاً كَـذَبْتُ عَلَى الْهَـوَى ... وَإِنْ قُلْتُ إِنِّي عَـاشِـقٌ بُحْـتُ بِـالسِّـرِّ

وَقَالَ :

---

(١) المكنون: المستور الخفيّ.

(٢) العنت: المشقّة والشدّة. وخيبة الرأي: سوء النظر، وفساد التدبير.

(١) بلوت: جرّبت وخبرت.

(١) همت: سالت. والثقلان: الإنس والجنّ. والبادي: الذي يعيش في البادية، وهي الصحراء. والقاري: ساكن القرية.

(٢) عراك: قصدك طالباً رفدك، وعطاءك ومعروفك. وعار: عريان، صفة من عري الإنسان من ثيابه.

(١) يزري: يحقّر ويعيب، تقول: أزريت به إزراء، أي حقّرته وهوّنته.

يَـا رُبَّ بَيْضَـاءَ مِنَ الْجَـوَارِي جَاءَتْ بِطِفْلٍ أَسْـوَدٍ كَـالْقَـارِ[1]
أَخْـرَجَـهُ مِـنْ لُـجَّـةِ الأَنْـوَارِ مَنْ أَخْـرَجَ اللَّيْـلَ مِنَ النهَـارِ[2]
سُبْـحَـانَهُ مِـنْ فَـاعِـلٍ مُخْتَـارِ

وَقَالَ فِي غَرَضٍ :

لَعَمْـرِي لَقَـدْ أَيْقَـظْتُ مَنْ كَـانَ رَاقِـدَاً وَأَنْـذَرْتُ لَكِنْ لَمْ تَكُـنْ تَنْفَـعُ النُّـذْرُ
نَصَحْـتُ فَكَـذَّبْتُمْ فَـلَمَّـا أَتَى الـرَّدَى عَمَـدْتُمْ لِتَصْـدِيقِي وَقَـدْ قُضِيَ الأَمْـرُ[1]
فَـلَمْ يَبْـقَ فِي أَيْـدِيكُمْ غَـيْـرُ حَسْـرَةٍ وَلَمْ يَبْقَ عِنْـدِي غَيْرُ مَـا عَافَـهُ الصَّدْرُ[2]
فَجَـاءَ الَّـذِي كُنْتُمْ تَـخَـافُـونَ شَـرَّهُ وَزَالَ الَّـذِي لَمْ يَبْقَ مِنْ بَعْـدِهِ شِعْـرُ*

---

(١) الجواري : جمع جارية ، وهي الفتيّة من النساء . والقار : شيء أسود تطلى به الإبل والسفن يمنع الماء أن يدخل ، أو هو الزفت .
(٢) اللّجّة : معظم الماء ، على تشبيه الأنوار بالبحار .
(١) الردى : الهلاك .
(٢) عافه : كرهه . ويشير بما عانه الصدر إلى ما يشعر به من الكمد والغيظ .
(*) يفهم من هذه الأبيات أن زملاء الشاعر في قيادة الثورة العرابية تغافلوا عن نـذره ، وآرائه ، ونصائحه في السياسة والحرب ، وخطط التحصين والدفاع ، فلم يبق لديهم - بعد الانهزام - غير الندامة والحسرة ، ولم يبق لديه غير الكمد والغيظ . ومعنى هذا أنه على أثر النكبة الكبرى التي أصابت مصر بخسران السياسة والحرب ، وسيطرة الاحتلال العسكريّ الإنجليزيّ في سبتمبر سنة ١٨٨٢ م نظم الشاعر هذه الأبيات . ويمكن ربطها بخمسة أبيات نونيّة لم ترد في ديوانه ، ولكنّ صديقيه الشيخين «ياقوت المرسي» و «عطية حسنين» نسباها إليه في مقدمة مراثي الشعراء التي جمعها صديقه «خليل مطران» صاحب الجوائب المصرية ، ونشرها سنة ١٩٠٥ . وفي هذه المقدّمة ، أو الترجمة التي كتبها هذان الشيخان أنه لما شبّت نار الحرب بين إنجلترا ومصر في الثورة العرابية ، دعاه رجالها ، فأجابهم على كره منه ، بعد أن نصح لهم . وفي ذلك يقول:

نَصَحْـتُ قَـوْمِي وَقُلْتُ الْحَـرْبُ مَـفْجَعَـةٌ وَرُبَّـمَـا تَـاحَ أَمْـرٌ غَـيْـرُ مَـظْنُـونِ
فَـخَـالَـفُـونِـي وَشَـبُّـوهَـا مُـكَـابَـرَةً وَكَـانَ أَوْلَـى بِـقَـومِـي لَـو أَطَـاعُـونِـي
تَـأْتِي الأُمُـورُ عَلَى مَـا لَيْسَ فِي خَـلَدٍ وَيُـخْـطِـئُ الـظَّنُّ فِي بَعْضِ الأَحَـايِـينِ

وَقَالَ :

صَبَرْتُ عَلَى رَيْبِ هَذَا الزَّمَانِ ... وَلَوْلَا الْمَعَاذِرُ لَمْ أَصْبِرِ[١]
فَلَا تَحْسَبَنِّي جَهِلْتُ الصَّوَابَ ... وَلَكِنْ هَمَمْتُ فَلَمْ أَقْدِرِ
ثَنَتْ عَزْمَتِي ثَوْرَةُ الْمُفْسِدِينَ ... وَغَلَّتْ يَدِي فَتْرَةُ الْعَسْكَرِ[٢]
وَكُنَّا جَمِيعاً فَلَمَّا وَقَعْتُ ... صَبَرْتُ وَغَادَرَنِي مَعْشَرِيَ[٣]
وَلَوْ أَنَّنِي رُمْتُ إِعْنَاتَهُمْ ... لَقُلْتُ مَقَالَةَ مُسْتَبْصِرِ[٤]
وَلَكِنَّنِي حِينَ جَدَّ الْخِصَامُ ... رَجَعْتُ إِلَى كَرَمِ الْعُنْصُرِ[٥]

وَقَالَ وَهُوَ فِي السِّجْنِ :

شَفَّنِي وَجْدِي وَأَبْلَانِي السَّهَرْ ... وَتَغَشَّتْنِي سَمَادِيرُ الْكَدَرْ[١]
فَسَوَادُ اللَّيْلِ مَا إِنْ يَنْقَضِي ... وَبَيَاضُ الصُّبْحِ مَا إِنْ يُنْتَظَرْ

حَتَّى إِذَا لَمْ يَعُدْ فِي الْأَمْرِ مَنْزَعَةٌ ... وَأَصْبَحَ الشَّرُّ أَمْراً غَيْرَ مَكْنُونِ
أَجَبْتُ إِذْ هَتَفُوا بِاسْمِي وَمِنْ شِيَمِي ... صِدْقُ الْوَلَاءِ وَتَحْقِيقُ الْأَظَانِينِ

فالأبيات النونيّة سابقة قبيل اتّقاد الثورة العرابيّة. والأبيات الرائيّة لاحقة بُعَيْدَ خمودها. وفي هذه وهذه نُصْحٌ، وإنذارٌ، ومخالفة ومكابرة.

(١) ريب الزمان: صروفه وحوادثه. والمعاذر: جمع معذرة، وهي اسم بمعنى العذر، وهو رفع اللوم.

(٢) العزمة: الاجتهاد والجدّ في الأمر، كالعزيمة. وغللت يده: ربطتها إلى عنقه بالغلّ، وهو طوق من حديد يجعل في العنق. والفترة: الانكسار والضعف.

(٣) معشري: قومي ورهطي، والمعشر: كل جماعة أمرهم واحد.

(٤) إعناتهم: إدخال العنت والمشقّة والشدّة عليهم. والعنت أيضاً: الفساد والإثم والهلاك.

(٥) جدّ الخصام: اشتدّ. والعنصر: الأصل والحسب.

(١) شفّني: لذع قلبي، أو هزلني وأنحلني. والوجد: الحزن والهم. وأبلاني: أخلقني وهزلني وأضعفني. وتغشتني: جاءتني وأصابتني. والسمادير: جمع سمدور، وهو غشاوة العين. والمراد بسمادير الكدر: ظلماته وهمومه.

لَا أَنِيسٌ يَسْمَعُ الشَّكْوَى وَلَا   خَبَرٌ يَأْتِي وَلَا طَيْفٌ يَمُرْ[٢]

بَيْنَ حِيطَانٍ وَبَابٍ مُوصَدٍ   كُلَّمَا حَرَّكَهُ السَّجَّانُ صَرْ[٣]

يَتَمَشَّى دُونَهُ حَتَّى إِذَا   لَحِقَتْهُ نَبْأَةٌ مِنِّي اسْتَقَرْ[٤]

كُلَّمَا دُرْتُ لِأَقْضِي حَاجَةً   قَالَتِ الظُّلْمَةُ مَهْلًا لَا تَدُرْ

أَتَقَرَّى الشَّيْءَ أَبْغِيهِ فَلَا   أَجِدُ الشَّيْءَ وَلَا نَفْسِي تَقَرْ[٥]

ظُلْمَةٌ مَا إِنْ بِهَا مِنْ كَوْكَبٍ   غَيْرُ أَنْفَاسٍ تَرَامَى بِالشَّرَرْ[٦]

فَاصْبِرِي يَا نَفْسُ حَتَّى تَظْفَرِي   إِنَّ حُسْنَ الصَّبْرِ مِفْتَاحُ الظَّفَرْ

هِيَ أَنْفَاسٌ تَقَضَّى وَالفَتَى   حَيْثُمَا كَانَ أَسِيرٌ لِلْقَدَرْ

وَكَتَبَ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ فِي صَدْرِ رِسَالَةٍ :

لَئِنْ فَرَّقَتْ مَا بَيْنَنَا شُقَّةُ النَّوَى   لَعَمْرِي وَحَالَتْ دُونَنَا نُوَبُ الدَّهْرِ[١]

فَشَخْصُكَ فِي عَيْنِي وَذِكْرُكَ فِي فَمِي   وَحُبُّكَ فِي قَلْبِي وَسِرُّكَ فِي صَدْرِي

وَقَالَ فِي النَّصِيحَة :

مَنْ طَلَبَ العِزَّ بِلَا آلَة   أَدْرَكَهُ الذُّلُّ مَكَانَ الظَّفَرْ

فَاصْبِرْ عَلَى الْمَكْرُوهِ تَظْفَرْ بِمَا   شِئْتَ فَقَدْ حَازَ الْمُنَى مَنْ صَبَرْ

وَقِفْ إِذَا مَا عَرَضَتْ شُبْهَةٌ   فَاللُّبْثُ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الْغَرَرْ[١]

---

(٢) الطيف: الخيال الطائف في المنام.

(٣) موصد: مغلق. وصرّ: صوّت، واسم ذلك الصوت الصرير.

(٤) دونه: على مقربة منه. والنبأة: الصوت الخفيّ. واستقرّ: ثبت ووقف.

(٥) أتقرّى الشيء: أتتبعه. والمراد أتلمّسه بيدي في هذه الظلمة الحالكة.

(٦) يريد بالظلمة: ظلمة السجن.

(١) شقّة النوى: بعد الدار. ونوب الدهر: نوازله وحوادثه وصروفه.

(١) الشبهة: الالتباس. والغرر: الخطر والتهلكة.

وَلاَ تَـقُـولَنَّ لِـشَـيءٍ مَـضَـى ... يَـا لَيْتَـهُ دَامَ وَخُـذْ مَـا حَضَـرْ

وَلاَ تُعَـامِـلْ صَـاحِبَـاً بِـالَّـتِي ... تَـرْجِـعُ عَنْهَـا تَـائِبَـاً تَعْتَـذِرْ

وَغُضَّ مِـنْ طَـرْفِـكَ إن خِفْتَـهُ ... فَحَـاجِبُ الشَّهْوَةِ غَضُّ الْبَصَـرْ[٢]

وَقَالَ :

وَنَبْـأَة أَطْـلَقَـتْ عَـيْـنَـيَّ مِـنْ سِنَـةٍ ... كَـانَتْ حِبَالَـةَ طَيْفٍ زَارَنِي سَحَـرَا[١]

فَقُمْتُ أَسْـأَلُ عَيْنِي رَجْـعَ مَـا سَمِعَتْ ... أُذْنِي فَقَـالَـتْ لَعَـلِّي أَبْلُغُ الْـخَبَـرَا[٢]

ثُمَّ اشْـرَأَبَّتْ فَـأَلْـفَتْ طَـائِـرَاً حَـذِراً ... عَلَى قَضِيبٍ يُـدِيـرُ السَّمْـعَ وَالْبَصَـرَا[٣]

مُـسْتَـوْفِـزاً يَـتَـنَـزَّى فَـوْقَ أَيْكَـتِـهِ ... تَنَـزِّي الْقَلْبِ طَـالَ الْعَهْـدُ فَـادَّكَـرَا[٤]

لاَ تَسْتَـقِـرُّ لَـهُ سَـاقٌ عَـلَى قَـدَمٍ ... فَـكُلَّمَـا هَـدَأَتْ أَنْـفَـاسُـهُ نَـفَـرَا[٥]

يَهْفُـو بِـهِ الْغُصْنُ أَحْيَـانـاً وَيَـرْفَعُـهُ ... دَحْوَ الصَّوَالِجِ فِي الدَّيْمُـومَةِ الأُكَـرَا[٦]

مَـا بَـالُـهُ وَهْـوَ فِي أَمْنٍ وَعَـافِيَـةٍ ... لاَ يَبْعَثُ الـطَّرْفَ إِلَّا خَـائِفَـاً حَـذِرَاً ؟

إِذَا عَـلاَ بَـاتَ فِي خَضْـرَاءَ نَـاعِمَـةٍ ... وَإِنْ هَـوَى وَرَدَ الْـغُـدْرَانَ أَوْ نَـقَـرَا

---

(٢) غضَّ من طرفك: المراد اصرف نظرك عما لا يليق ولا يحلّ. والطرف: النظر والبصر.

(١) النبأة: الصوت الخفيّ. والسنة: النعاس. والحبالة: المصيدة. والطيف: الخيال الطائف في المنام. والسحر: الوقت قبيل الفجر.

(٢) رجع: مصدر رجعت إليه الشيء، أي رددته.

(٣) اشرأبّت: ارتفعت. وألفت: وجدت.

(٤) مستوفزاً: غير مطمئن، قد تهيَّأ للوثوب والطيران. ويتنزّى: يثب. والأيكة: الشجرة ذات الأغصان الكثيرة الملتفّة.

(٥) نفر: أنف وكره.

(٦) يهفو: يميل ويهتزّ. والدحو: مصدر دحا اللاعب الكرة ونحوها، أي دفعها ورماها بيده. والصولجان: عصا معوجّة يعطف طرفها، وتضرب بها الكرة، وجمعه صوالجة. والديمومة: الأرض المستوية. والأكر: جمع أكرة، وهي الكرة التي يلعب بها.

يَـا طَيْـرُ نفَّـرْتَ عَنِّي طَـيْفَ غَـانِيَـةٍ قَدْ كَانَ أَهْدَى لِيَ السَّرَّاءَ حِينَ سَـرَى[7]

حَـوْرَاءُ كَـالـرِّئمِ أَلْحَـاظَـاً إِذَا نَظَـرَتْ وَصُـورَةِ الْبَـدْرِ إِشْـرَاقَـاً إِذَا سَفَـرَا[8]

زَالَـتْ خَـيَـالَـتُـهَـا عَـنِّي وَأَعْـقَـبَـهَـا شَـوْقٌ أَحَـالَ عَلَيَّ الْهَمَّ وَالسَّـهَـرَا[9]

فَـهَـلْ إِلَـى سِـنَـةٍ إِنْ أَعْـوَزَتْ صِـلَةٌ عَـوْدٌ نَنَـالُ بِـهِ مِنْ طَيْفِهَـا الْـوَطَـرَا ؟[10]

وَقَالَ :

مَـا أَطْـوَلَ اللَّيْـلَ عَلَى السَّـاهِـرِ أَمَـا لِهَـذَا اللَّيْـلِ مِـنْ آخِـرِ ؟

يَـا مُـخْلِفَ الْـوَعْـدِ ! أَلاَ زَوْرَةٌ أَقْضِي بِهَـا الْحَقَّ مِنَ الـزَّائِـرِ[1]

تَـرَكْتَنِـي مِنْ غَـمَـرَاتِ الْهَـوَى فِي لُجِّ بَحْـرٍ بِـالـرَّدَى زَاخِـرِ[2]

أَسْمَـعُ فِي قَـلْبِي دَبِـيبَ الْـمُنَـى وَأَلْمَـحُ الشُّبْـهَـةَ فِي خَـاطِـرِي[3]

فَـتَـارَةً أَهْـدَأُ مِـنْ رَوْعَـتِـي وَتَـارَةً أَفْـزَعُ كَـالـطَّـائِـرِ[4]

---

(٧) الغانية: الجارية الحسناء الغنيَّة بحسنها عن الزينة. وسرى: سار ليلاً.

(٨) حوراء: بيضاء، أو في عينيها حور، وهو أن يشتدّ بياض العين وسوادها، وتستدير حدقتها، وترقّ جفونها، ويبيضّ ما حواليها. والرئم: الظبي الخالص البياض تشبّه به الحسناء في جمال العينين. وسفر: أضاء.

(٩) خيالتها: خيالها وطيفها. وأعقبها: خلفها، وجاء بعدها.

(١٠) السنة: النعاس. وأعوزه الشيء: إذا احتاج إليه فلم يقدر عليه. والوطر: الحاجة والأرب.

(١) الزورة: اسم مرة من الزيارة.

(٢) غمرات الهوى: شدائد الحبّ، وهمومه، وأوصابه. ولجّ البحر: عرضه، أو معظمه، أو الماء الكثير الذي لا يرى طرفاه. والردى: الهلاك. وزاخر: طام ممتلىء.

(٣) الدبيب: السير اللطيف اللين. والشبهة: الالتباس والشكّ.

(٤) الروعة: الفزعة، وهي اسم مرة من الروع، بمعنى الفزع والخوف.



وَبَيْنَ هَاتَيْنِ شَبَا لَوْعَةٍ ... لَهَا بِقَلْبِي فَتْكَةُ الثَّائِرِ[٥]

فَهَلْ إِلَى الْوُصْلَةِ مِنْ شَافِعٍ ؟ ... أَمْ هَلْ عَلَى الصَّبْوَةِ مِنْ نَاصِرِ ؟[٦]

يَا قَلْبُ لَا تَجْزَعْ فَإِنَّ الْمُنَى ... فِي الصَّبْرِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِ

وَقَالَ يُؤَرِّخُ عَوْدَةَ « إسماعيل بَاشَا » خديوي مِصْرَ مِنْ دَارِ الْخِلافَةِ الْعَلِيَّةِ(★) :

رَجَعَ الْخِدِيو لِمِصْرِهِ ... وَأَتَتْ طَلائِعُ نَصْرِهِ[١]

وَتَهَلَّلَتْ بِقُدُومِهِ ... فَرَحاً أَسِرَّةُ عَصْرِهِ[٢]

فَلْتَبْتَهِجْ أَوْطَانُهُ ... بِحُلُولِهِ فِي قَصْرِهِ

وَلْيَشْتَهِرْ تَارِيخُهُ ... رَجَعَ الْخِدِيو لِمِصْرِهِ

وَقَالَ في « محمد تَوْفِيق باشا » حِينَ عُيِّنَ نَاظِرَ النُّظَّارِ(★★) :

---

(٥) الشبا: جمع شباة، وهي حدّ كل شيء. والفتكة: اسم مرة من الفتك، وهو البطش والقتل على غرَّة.

(٦) الوصلة: الاتّصال. والمراد بالصبوة: الهوى والغرام.

(★) يريد بدار الخلافة: مدينة القسطنطينيّة حاضرة الدولة العثمانية، ومقرّ الخليفة حينئذ.
وفي سنة ١٢٨٩هـ (١٨٧٢م) سافر الخديوي إسماعيل إلى الآستانة (القسطنطينية)، وبمساعيه لدى السلطان العثمانيّ والصدر الأعظم صدر فرمان سنة ١٨٧٢ الذي ألغى فرمان سنة ١٨٦٩، وأيّد الفرمانات السابقة له، وأعطى مصر والخديوية المصرية حقوقاً تؤسّس استقلال مصر الداخليّ، وتخوّل الخديوي حقّ عقد القروض الماليّة.

(١) طلائع النصر: أسبابه ومقدّماته.

(٢) تهلّلت: تلألأت وأشرقت. وأسرّة الوجه: خطوطه ومحاسنه.

(★★) في ١٨ من فبراير سنة ١٨٧٨ قامت في القاهرة مظاهرة عسكرية بزعامة أحد مدرسي



بِـكَ اسْتَقَـامَتْ مِصْـرُ حَتَّى غَـدَتْ   يَـحْـمَـدُهَـا الْـوَارِدُ وَالـصَّـادِرُ[1]

وَكَيْفَ لاَ تُبْصِـرُ قَـصْـدَ الْـهُـدَى   حُـكُـومَـةٌ أَنْتَ لَـهَـا نَـاظِـرُ ؟[2]

وَقَالَ :

أَغُـرَّةٌ تَـحْـتَ طُـرَّهْ   أَمْ نُـورُ فَجْـرٍ بِسُحْـرَهْ ؟[1]

وَذَاكَ فَـرْعٌ وَنَـهْـدٌ   أَمْ صَـوْلَجَـانٌ وَأُكْـرَهْ ؟[2]

سَـمْـرَاءُ تَـهْـفُـو بِـقَـدٍّ   كَـالـرُّمْـحِ لِيناً وَسُمْـرَهْ[3]

مَـرَّتْ عَـلَـيَّ تَـهَـادَى   مِثْـلَ الْمَـهَـاةِ بِشَـبْـرَهْ[4]

فَـقُلْتُ يَـا نُـورَ عَـيْـنِـي !   مَـالِي عَلَى الصَّبْـرِ قُـدْرَهْ

فَـنَـقَّـبَـتْ وَجْـنَـتَـيْـهَـا   يَـدُ الْـحَيَـاءِ بِحُمْـرَهْ[5]

المدرسة الحربية تعلن السخط على وزارة «نوبار» التي أحالت إلى الاستيداع ألفين وخمسمائة من ضباط الجيش. وتعدُّ هذه المظاهرة نذيراً، أو مقدمة للثورة العرابية. وبقيت الحالة قلقة حتى انتهت بسقوط وزارة «نوبار»، وتأليف وزارة جديدة برياسة الأمير «محمد توفيق» ابن الخديوي «إسماعيل» ولكنها ما لبثت أن سقطت بعد نحو شهر من تأليفها، بسبب السخط الذي عمّ البلاد. وفي السابع من أبريل سنة ١٨٧٩ تألّفت وزار وطنية برياسة «محمد شريف».

(١) الوارد والصادر: الغادي والرائح، والمراد الناس جميعاً.

(٢) المراد بقصد الهدى: طريق السداد والرشاد. وناظر الحكومة: رئيسها، وفي هذه الكلمة تورية، لأن الناظر: سواد العين الأصغر وإنسانها.

(١) الغرّة في الأصل: بياض مستحسن في جبهة الفرس، والمراد بها هنا: بياض الوجه وإشراقه. والطرّة: الشعر الذي تطرّه الجارية وتصفّفه فوق جبهتها. والسحرة: السحر الأعلى، وهو الوقت قبيل الصبح.

(٢) الفرع: الشعر التامّ. والنهد: الثدي. والصولجان: عصاً معوجّة، يعطف طرفها، وتضرب بها الكرة. والأكرة: الكرة.

(٣) تهفو: تميل وتهتزّ. والقدّ: اعتدال القامة، وجمال الطول، وحسن التقطيع.

(٤) شبرى: من ضواحي القاهرة.

(٥) نقّبت: غطّت. والوجنتان: ما ارتفع من لحم الخدّين.



وَقَـالَـتِ اسْـكُـتْ وَإلَّا　　تَصِيرُ فِي النَّاسِ شُهْرَهْ[٦]

فَـقُلْتُ هَـلْ مِـنْ وِصَـالٍ　　يَـكُـونُ لِـلْحُـبِّ أُجْـرَهْ ؟

فَـاسْتَضْحَكَتْ ثُمَّ قَـالَـتْ　　عَلَى الْخَدِيعَـةِ بُكْـرَهْ ![٧]

وَقَالَ :

غَـادَةٌ كَـالْـمَـهَـاةِ تَـهْـفُـو بِـخَـصْـرٍ　　تَـحْتَ بَـنْـدٍ كَمِعْصَمٍ فِـي سِـوارِ[١]

تِـلْكَ عَمْـرِي هِـيَ الْحَـيَـاةُ فَـلاَ تُـؤْ　　ثِـرْ عَـلَيْـهَـا جَـلاَئِـلَ الأَوْطَـارِ[٢]

فَـاقْسِمِ الْـعُـمْـرَ بَـيْـنَ جِـدٍّ وَهَـزْلٍ　　وَوَقَـارٍ طَـوْراً وَخَـلْعِ عِـذَارِ[٣]

وَاسْـعَ تَـبْـلُغْ مَـا رُمْـتَـهُ مِـنْ نَـفِيسٍ　　فَـالْـمَـسَـاعِـي مَـدَارِجُ الأَحْـرَارِ[٤]

قَـدْ يَـنَـالُ الْفَـتَـى إذَا كَـانَ شَـهْـمَـاً　　مُـبْـتَـغَـاهُ فِـي ضَـحْـوَةٍ مِـنْ نَـهَـارِ[٥]

وَقَالَ :

أُصَافِي خَلِيلِي مَا صَفَـا لِي فَـإِنْ جَفَـا　　عَتَبْتُ عَلَيْـهِ غَيْـرَ جَـافٍ وَلاَ وَعْـرِ[١]

---

(٦) الشهرة: ظهور الشيء في شنعة.

(٧) البكرة: الغداة، وهي أول النهار، وقد فشا استعمالها في مصر بمعنى الغد.

(١) الغادة: الفتاة الناعمة اللينة. والمهاة: الشمس، والبقرة الوحشيّة تشبّه بها المرأة في جمال العيون واتّساعها. والمهاة أيضاً: البلّورة. وتهفو: تميل. والبند: الحزام والمنطقة ونحوهما. والمعصم: موضع السوار من اليد. والسوار: حلي تزيّن به المرأة معصمها.

(٢) لا تؤثر: لا تفضّل. والأوطار: الحاجات.

(٣) الوقار: الحلم والرزانة والحشمة. والعذار من اللجام: ما سال على خدّ الفرس، وخلع العذار: كناية عن ترك الحشمة والوقار، والانهماك في الغيّ والمجون.

(٤) نفيس: كريم عظيم القدر. والمدارج: المسالك والمذاهب.

(٥) الشهم: الجلد الذكيّ الفؤاد المتوقّد. وضحوة النهار: بعد طلوع الشمس، والمراد: في وقت قصير.

(١) جفا: أعرض وترك البرّ والصلة، من الجفاء. والوعر: الصعب.

فَــإِنْ عَــادَ لِي بــالْــوُدِّ عُــدْتُ وَإِنْ أَبَى صَبَـرْتُ لأَرْعَى ذِمَّـةَ الْــوُدِّ بِـالصَّبْــرِ[٢]

فَــإِنْ زَادَنِي هَجْـراً ضَـــرَبْتُ عَنِ اسْمِـهِ وَأَمْسَكْتُ عَنْ سُخْطِي عَلَيْهِ وَعَنْ شُكْرِي[٣]

وَمَـا تِلْكَ مِـنِّي نَبْـوَةٌ غَيْـرَ أَنَّنِـي أُنَــزِّهُ نَفْسِي عَنْ مُــلاَبَسَــةِ الْغَــدْرِ[٤]

وَقَالَ :

لِكُـلِّ حَيٍّ نَـذِيـرٌ مِنْ طَبِيعَـتِـهِ يُــوحِي إِلَيْــهِ بِمَــا تَعْيَــا بِــهِ النُّــذُرُ

يَــرْجُـو وَيَخْشَى أُمُــوراً لَـوْ تَـدَبَّـرَهَــا لَــزَالَ مِنْ قَلْبِــهِ التَّــأْمِيـلُ وَالْحَــذَرُ

تَــرَاهُ يَسْعَى لِجَمْـعِ الْمَــالِ مُعْتَقِـداً أَنَّ الْفَتَى مَنْ لَــدَيْـهِ السَّــامُ وَالشَّــذَرُ[١]

وَكَيْفَ تَـنْقَـى ثِيَــابُ الْـمَــرْءِ مِنْ دَنَسٍ وَقَـلْبُ لاَبِسِـهَــا مِنْ غَــدْرِهِ قَــذِرُ ؟[٢]

يَــا فَـارِسَ الْخَيْــلِ كَفْكِفْ عَنْ أَعِنَّتِهَـا فَقَـدْ شَكَتْ فِعْلَكَ الأَحْلاَسُ وَالْعُــذُرُ[٣]

إِنْ كُنْتَ تَبْغِي بِهَــا مَــا لَـسْتَ تَـبْلُغُــهُ مِـنَ الْبَـقَــاءِ فَـبِئْسَ الْـبُـطْلُ وَالْـهَــذَرُ

إِنَّ الْــحَـيَــاةَ وَإِنْ طَــالَــتْ إِلَـى أَمَـدٍ وَالــدَّهْــرُ قُــرْحَــانُ لا يُبْقِي وَلاَ يَــذَرُ[٤]

---

(٢) ذمّة الودّ: حقّه وحرمته وعهده. ورعي الذمّة: صيانتها وملاحظتها والمحافظة عليها.
(٣) ضربت عن اسمه: سكتّ عنه، فلم أذكره بخير ولا شرّ.
(٤) النّبوة: اسم من نبا السيف عن الضريبة إذا لم يقطع، والمراد هنا الضعف. وملابسة الغدر: مخالطته وارتكابه.

(١) السام: الذهب والفضّة. والشذر: قطع من الذهب تلقط من معدنه من غير إذابة الحجارة، أو هو اللؤلؤ الصغار، أو فرائد تصاغ من الذهب، يفصّل بها اللؤلؤ والجوهر.
(٢) الدنس: القذر.
(٣) كفكف: احبس واجذب. والأعنّة: جمع عنان، وهو سير اللجام الذي تمسك به الدابّة، والأحلاس: جمع حلس، وهو كساء على ظهر البعير والدابّة تحت الرحل والقتب والسرج والبرذعة. والعذر: جمع عذار، وهو ما وقع من اللجام على خدّي الفرس ونحوه. والغرض الحضّ على الرفق والاعتدال والقصد.
(٤) الأمد: الغاية. وقرحان: سالم من الداء، قويّ، شديد البأس. ويذر: يدع ويترك.

لَا يَأْمَنُ الصَّامِتُ الْمَعْصُومُ صَوْلَتَهُ ... وَلَا يَدُومُ عَلَيْهِ النَّاطِقُ الْبَذِرُ[٥]
فَاضْرَعْ إِلَى اللَّهِ وَاسْتَوْهِبْهُ مَغْفِرَةً ... تَمْحُو الذُّنُوبَ فَجَانِي الذَّنْب يَعْتَذِرُ
وَاعْجَلْ وَلَا تَنْتَظِرْ تَوْبَاً غَدَاةَ غَدٍ ... فَلَيْسَ فِي كُلِّ حِينٍ تُقْبَلُ الْعِذَرُ[٦]
هَيْهَاتَ لَا يَسْتَوِي الشَّخْصَانِ فِي عَمَلٍ ... هَذَا صَحِيحٌ وَهَذَا فَاسِدٌ مَذِرُ[٧]

وَقَال :

أَلَا هَتَفَتْ بِالأَيْكِ سَاجِعَةُ الْقُمْرِ ... فَطُفْ بِالْحُمَيَّا فَهْيَ رَيْحَانَةُ الْعُمْرِ[١]
وَإِنْ أَنْتَ أَتْرَعْتَ الأَبَارِيقَ فَلْتَكُنْ ... سُلَافاً وَإِيَّاكَ الْفَضِيخَ مِنَ التَّمْرِ[٢]
فَقَاتِلَةُ الْعُرْجُونِ لِلْفَاقِدِ النَّدَى ... وَصَافِيَةُ الْعُنْقُودِ لِلْمَاجِدِ الْغَمْرِ[٣]
مُوَرَّدَةٌ تَمْتَدُّ مِنْهَا أَشِعَّةٌ ... تَدُورُ بِهَا في ظِلِّ أَلْوِيَةٍ حُمْرِ[٤]

---

(٥) المعصوم: المصون الممنوع. وصولته: سطوته وبطشه واستطالته. والبذر: الكثير الكلام.
(٦) التوب: التوبة، وهي الإنابة، والرجوع عن المعصية إلى الطاعة.
(٧) مذر: فاسد خبيث.

(١) هتفت الحمامة: سجعت وصوّتت. والأيك: الشجر الكثير الملتف، الواحدة أيكة. وساجعة: صفة من السجع، وهو هديل الحمام وتطريبه. والقمر: نوع من الحمام، الواحد أقمر، أو قمريّ. والمراد بالحميّا هنا: الخمر. والريحانة: واحدة الريحان، وهو كلّ نبات طيّب الرائحة، والريحانة أيضاً: الطاقة من الريحان.
(٢) أترعت: ملأت. والسلاف: أفضل الخمر وأخلصها، وذلك إذا تحلّب من العنب بلا عصر. والفضيخ: شراب يتّخذ من بسر مفضوخ، أي مشدوخ مشقوق.
(٣) قاتلة العرجون: يريد الخمر القاتلة المأخوذة من التمر أو البسر. وصفها بهذا الوصف لأنها شديدة التأثير، قويّة الإسكار. والعرجون: أصل العذق الذي يعوجّ، ويقطع منه الشماريخ، فيبقى على النخلة يابساً، وهو عود الكباسة وأصلها، سمّي بذلك لانعراجه وانعطافه. والماجد: العزيز الشريف الكريم. والغمر: الكريم، الواسع الخلق السخيّ، الكثير المعروف.
(٤) يريد بالألوية الحمر: فروع الأزهار ذات اللون الأحمر، وللشاربين إغرام بتزيين مجلسهم بالأزهار.



إِذَا شَجَّهَا السَّاقُونَ دَارَ حَبَابُهَا | عَلَيْهَا كَمَا دَارَ الشَّرَارُ عَلَى الْجَمْرِ(٥)
ثَوَتْ فِي ضَمِيرِ الدَّهْرِ وَالْجَوُّ ظُلْمَةٌ | بِلَا كَوْكَبٍ وَالْأَرْضُ تَسْبَحُ فِي غَمْرِ(٦)

فَجَاءَتْ وَلَوْلَا عَرْفُهَا وَبَرِيقُهَا | لَكَانَتْ خَفاً بَيْنَ الدَّسَاكِرِ كَالضُّمْرِ(٧)
تُزَفُّ بِأَلْحَانِ الْمَثَانِي كُؤُوسُهَا | كَمَا زُفَّتِ الْحَسْنَاءُ بِالطَّبْلِ وَالزَّمْرِ(٨)

كُمَيْتٌ جَرَتْ فِي حَلْبَةِ الدَّهْرِ فَانْطَوَتْ | ثَمِيلَتُهَا وَالْخَيْلُ تُحْمَدُ بِالضُّمْرِ(٩)
فَكَمْ بَيْنَ آصَالٍ أَدَرْنَا كُؤُوسَهَا | وَبَيْنَ لَيَالٍ مِنْ كَوَاكِبِهَا نُمْرِ(١٠)

إِذَا أَنْتَ قَامَرْتَ الزَّمَانَ عَلَى الْمُنَى | بِمَا دَارَ مِنْ أَقْدَاحِهَا فُزْتَ بِالْقَمْرِ(١١)
فَخُذْ فِي أَفَانِينِ الْخَلَاعَةِ وَالصِّبَا | وَدَعْنِي مِنْ زَيْدِ النُّحَاةِ وَمِنْ عَمْرِو(١٢)

---

(٥) شجّ الساقي الخمر بالماء: مزجها به. والحباب: النفّاخات التي تعلو الماء ونحوه، وتسمّى أيضاً اليعاليل.
(٦) ثوت: أقامت. والغمر: الماء الكثير، ومعظم البحر. يبالغ في قدم هذه الخمر، وأنها وجدت في أول الزمان.
(٧) عرفها: رائحتها الطيّبة. وبريقها: لمعانها وتلألؤها. والخفا: الشيء الخفي المستور. والدساكر: جمع دسكرة، وهي بيوت للأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي. والضمر: الضمير والسرّ.
(٨) المثاني من أوتار العود: ما بعد الأول، واحدها مثنى.
(٩) كميت: صفة من الكمت، وهي لون بين السواد والحمرة، وتوصف الخيل بالكمتة، فيقال: فرس كميت، وتطلق أيضاً على الخمر، إذا كان في لونها كمتة. والثميلة: ما يكون فيه الطعام والشراب في الجوف. وانطواء ثميلة الخيل: كناية عن ضمرها وهزالها وخفّة لحمها، وهذا من صفات حسنها، وهو يدلّ غالباً على نشاطها، وسرعة عدوها. وانطواء ثميلة الخمر: كناية عن رقّتها وصفائها.
(١٠) الآصال: جمع الأصيل، وهو الوقت بعد العصر إلى المغرب. ونمر: جمع نمراء، وهي ما فيها نمرة، أي نكتة بيضاء وأخرى سوداء.
(١١) قامرت الزمان: راهنته. القمر: مصدر قمرت الرجل، أي غلبته في القمار.
(١٢) الأفانين: الأنواع، جمع أفنان، والأفنان: جمع فنّ. والخلاعة: المجون والاستهتار، واطّراح الحشمة والوقار.

أُولَئِـكَ قَـوْمٌ فـي حُـروبٍ تَفَـاقَـمَتْ وَلَكِنْ خَلَتْ مِنْ فَتْكَةِ الْبِيضِ والسُّمْرِ(١٣)

فَـمَـا تَـصْـلُحُ الأَيَّـامُ إلاَّ إذَا خَـلَتْ قُلُوبُ الْوَرَى فِيها مِنَ الْحِقْدِ وَالْغِمْرِ(١٤)

وَلاَ تَـتَـعَـرَّضْ لاِمْـرِىءٍ بِـمَـسَـاءَةٍ وَلاَ تَحْتَلِبْ ضَرْعَ الشِّقَاقِ وَلاَ تَمْرِ(١٥)

وَلاَ تَـحْـتَـقِـرْ ذَا فَـاقَـةٍ بَـيْـنَ طِـمْـرِهِ فَيَا رُبَّ فَضْلٍ يَبْهَرُ الْعَقْلَ في طِمْرِ(١٦)

وَكَيْفَ يَعِيشُ الْمَـرءُ في الـدَّهْـرِ آمِنـاً وَلِلْمَـوتِ فِينا وَثْبَـةُ اللَّيْثِ والنِّمْـرِ ؟(١٧)

وَمَـا أَحْسَبُ الأَيَّـامَ تَصْفُـو لِعَـاقِـلٍ وَلَكِنْ صَفَاءُ الْعَيْشِ لِلْجَاهِلِ الْغُمْرِ(١٨)

سَعَيْتُ فَـأَدْرَكْتُ الْمُنَى في طِـلاَبِـهَـا وَكُـلُّ امْرِىءٍ في الـدَّهْـرِ يَسْعَى إلَى أَمْـرِ

وَقَالَ :

نَـمَّ الـصَّـبَـا وَانْـتَـبَـهَ الـطَّـائِـرُ وَاسْتَحَـرَ الصَّـاهِـلُ وَالْهَـادِرُ(١)

---

(١٣) تفاقمت: عظمت واشتدّت. والفتكة: اسم مرة من فتك المرء بعدوّه، إذا انتهز منه غرّة فقتله أو جرحه، وقيل الفتك: القتل أو الجرح مجاهر. والبيض: السيوف. والسمر: القنا والرماح.

(١٤) الورى: الخلق، والناس. والحقد: الضغن، وإضمار العداوة والبغضاء. والغمر: الحقد والضغن.

(١٥) الضرع للبقرة والشاة والناقة وذات الظلف أو الخفّ: كالثدي للمرأة. ومرى الحالب الناقة ونحوها يمريها: مسح ضرعها ليدرّ باللبن. واحتلاب ضرع الشقاق ومريه: مقارفة أسبابه ودواعيه.

(١٦) الفاقة: الفقر والحاجة. والطمر: الثوب الخلق، والكساء البالي. ويبهره: يغلبه ويعلوه ويقهره، والمراد: يعجبه ويروقه ويسرّه.

(١٧) الليث: الأسد. والنمر: سبع أخبث وأجرأ من الأسد، ومن طبيعته الفتك بكلّ ما يصادفه من حيوان وإنسان.

(١٨) الغمر: الذي لم يجرّب الأمور.

(١) نمّ المسك ونحوه: سطع وانتشرت رائحته. والصبًا: ريح تهبّ من مطلع الشمس. واستحر الديك وغيره: صاح في السحر، وهو الوقت قبيل الفجر، أو خرج سحراً. والصاهل: اسم فاعل من الصهيل، وهو صوت الفرس. والهادر: صفة من الهدير، وهو صوت الفحل. وهدر الحمام: كرّر صوته في حنجرته.

وَأَضْحَتِ الأَرْضُ لِفَيْضِ الْحَيَا ... مَصْقُولَةً يَلْهُو بِهَا النَّاظِرُ[٢]

تَبْدُو بِهَا أَنْجُمُ زَهْرٍ لَهَا ... مَنَازِلٌ يَجْهَلُهَا الْخَابِرُ[٣]

كَأَنَّمَا أُلْبِسَهَا نَثْرَةً ... مِنَ النُّجُومِ الْفَلَكُ الدَّائِرُ[٤]

فَقُمْ بِنَا نَلْهُ بِلَذَّاتِنَا ... فَإِنَّمَا الْعَيْشُ لَهُ آخِرُ

وَلاَ تَقُلْ نَنْظُرُ مَا فِي غَدٍ ... رُبَّ غَدٍ آمِلُهُ خَاسِرُ

فَإِنَّمَا الْعَيْشُ وَلَذَّاتُهُ ... فِي سَاعَةٍ أَنْتَ بِهَا سَادِرُ[٥]

لاَ يَغْنَمُ اللَّذَّةَ غَيْرُ امْرِئٍ ... لَيْسَ لَهُ عَنْ لَهْوِهِ زَاجِرُ[٦]

قَدْ خَبَرَ الدَّهْرَ فَمَا غَائِبٌ ... يَجْهَلُهُ مِنْهُ وَلاَ حَاضِرُ

يَا سَاقِيَيَّ اعْتَوِرَا كَأْسَهَا ... فَلِي بِهَا عَنْ غَيْرِهَا عَاذِرُ[٧]

حَمْرَاءُ تُلْقِي بِلَحَاظِ الْفَتَى ... صِبْغاً بِهِ يَعْتَرِفُ النَّاكِرُ[٨]

تَفْعَلُ بِالشَّارِبِ أَضْعَافَ مَا ... جَرَّ عَلَى عُنْقُودِهَا الْعَاصِرُ

عَتَّقَهَا الدُّهْقَانُ فِي دَيْرِهِ ... حِيناً وَلَمْ يَشْعُرْ بِهَا شَاعِرُ[٩]

---

(٢) فيض الحيا: كثرة المطر. ومصقولة: مجلوّة ذات بهجة ورواء.

(٣) أنجم زهر: أزهار تشبه النجوم والكواكب في البهاء والإشراق والتلألؤ. ومنازل النجوم: أفلاكها.

(٤) النثرة: الدرع الواسعة السلسة الملبس. والفلك: مدار النجوم. والدائر: صفة للفلك، لتواتر حركاته بعضها في إثر بعض، من غير ثبوت ولا استقرار.

(٥) سادر: لاه، لا يهتمّ، ولا يبالي ما صنع.

(٦) زاجر: مانع ناه.

(٧) اعتورا كأسها: تداولاها بينكما، أي لتكن في يد أحدكما مرة، وفي يد الآخر مرة أخرى.

(٨) اللحاظ: مؤخر العين مما يلي الصدغ. والناكر: اسم فاعل من نكر فلان الأمر، أي أنكره وجحده.

(٩) تعتيق الخمر: حبسها في أوعيتها زماناً حتى تطيب وتحسن وتصفو ويذهب عنها الزبد.

شَجٍ بِهَا يَكْتُمُهَا نَفْسَهُ — وَهْوَ لِيَرْضَاهَا غَداً صَابِرُ[١٠]

حَتَّى إذَا تَمَّتْ مَوَاقِيتُهَا — وَزَالَ عَنْهَا الزَّبَدُ الْمَائِرُ[١١]

جاءَتْ وَقَدْ شَاكَلَهَا كَأْسُهَا — فَاشْتَبَهَ الْبَاطِنُ وَالظَّاهِرُ[١٢]

بِمِثْلِهَا تُعْجِبُنِي صَبْوَتِي — وَيَزْدَهِينِي اللَّيْلُ وَالسَّامِرُ[١٣]

فَمَا لِهَذِي النَّاسِ فِي غَفْلَةٍ — عَمَّا إِلَيْهِ يَنْتَهِي السَّائِرُ؟

أَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ مَضَتْ قَبْلَهُمْ — مِنْ أُمَمٍ لَيْسَ لَهَا ذَاكِرُ؟

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الأَمْرِ مِنْ حِكْمَةٍ — فَفِيمَ هَذَا الشَّغَبُ الثَّائِرُ؟[١٤]

كُلُّ امْرِئٍ أَسْلَمَهُ عَقْلُهُ — فَمَا لَهُ مِنْ بَعْدِهِ نَاصِرُ[١٥]

وقَالَ:

وَلَمَّا اسْتَقَلَّ الْحَيُّ في رَوْنَقِ الضُّحَى — وَقَطَّعَ أَنْفَاسَ الْمُقِيمِ الْمُسَافِرُ[١]

والدهقان: التاجر، وزعيم فلاحي العجم، ورئيس الإقليم، والظاهر أن الشاعر يريد به هنا: مطلق الرئيس. والدير: خان النصارى، وصومعة الراهب، وتشتهر الأديرة بخمرها المعتّقة الجيّدة.

(١٠) شج بها: مشغول مهتمّ مشوق. ويكتمها نفسه: يخفيها عن نفسه.

(١١) تمت مواقيتها: مضى الوقت الكافي لتعتيقها وتصفيتها. والزبد: الرغوة والطفاوة والقذى. والمائر: المضطرب المتحرّك المتردّد.

(١٢) شاكلها: شابهها. والكأس مؤنثة. والمراد بالباطن: الخمر. والمراد بالظاهر: جسم الكأس.

(١٣) الصبوة: جهلة الفتوة واللهو. ويزدهيني: يستخفّني ويطربني. والسامر: مجلس السمّار، وهم القوم يسمرون، أي يتحدّثون بالليل.

(١٤) يريد بالأمر: أمر الحياة، وحال الناس في معيشتهم ومماتهم. والشغب: تهييج الشرّ. والثائر: المنتشر الظاهر.

(١٥) أسلمه عقله: خذله، ولم يحمه.

(١) استقلّ: ذهب وارتحل. ويريد بالحيّ: أهل الحبيب وعشيرته. والضحى: الوقت حين تشرق

تَحَوَّلَ رَاعِي الصَّبْرِ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ وَبَاحَتْ بِأَسْرَارِ الْقُلُوبِ النَّوَاظِرُ[٢]

وَقَالَ في الْهِجَاءِ:

يَابْنَ الَّذِي رَهَنَ الْخَمَّارَ سُبْحَتَهُ يَوْمَ الْعَرُوبَةِ في عَدِّ الْقَوَارِيرِ[١]

مَا زَالَ يَشْرَبُ خَمْراً غَيْرَ مُدَّكِرٍ إِثْمَاً وَيَأْكُلُ سُحْتاً غَيْرَ مَنْحُورِ[٢]

حَتَّى إِذَا نَالَ مِنْهُ السُّكْرُ قَامَ إِلَى فَيَّاضَةِ الْقَرْءِ لَمْ تُعْهَدْ بِتَطْهِيرِ[٣]

فَكُنْتَ نُطْفَةَ سُوءٍ قَدْ تَعَجَّلَهَا دَاعِي الْغَوَايَةِ مِنْ خَمْرٍ وَخَنْزِيرِ[٤]

وَقَالَ:

يَأَيُّهَا السَّرِفُ الْمُدِلُّ بِنَفْسِهِ كَسَفِينَةٍ في لُجِّ بَحْرٍ مَاخِرَهْ[١]

أَتَظُنُّ أَنَّ الْفَخْرَ ثَوْبٌ مُعْلَمٌ تَزْهُو بِلِبْسَتِهِ وَقِدْرٌ بَاخِرَهْ؟[٢]

هَيْهَاتَ ظَنُّكَ فَالْعُلَا أُمْنِيَةٌ مِنْ دُونِ مَبْلَغِهَا بِحَارٌ زَاخِرَهْ[٣]

الشمس ويمتدّ النهار ويرتفع. ورونقها: أوّلها، أو ماؤها وحسنها. وتقطيع أنفاس المقيم: كناية عما أصابه من اللوعة والأسى، بسبب سفر الحبيب وارتحاله.

(٢) راعي الصبر: حافظه، وهو القلب. وتحوّله عن مستقرّه: كناية عن الجزع والاضطراب. والنواظر: العيون.

(١) يوم العروبة: يوم الجمعة. القوارير: قنّينات الشراب وآنيته تكون من الزجاج، واحدتها قارورة.

(٢) إثماً: خطيئة وذنباً. والسحت: الحرام الخبيث الذي لا يحلّ كسبه ولا أكله. والمراد به هنا: لحم الخنزير. وغير منحور: غير مذبوح.

(٣) فيّاضة: غزيرة كثيرة سائلة. والقرء: الحيض.

(٤) النطفة: ما يخلق منه الإنسان. والغواية: الفساد والضلال.

(١) السرف: الجاهل الغافل المخطىء، صفة من السرف. والمدلّ بنفسه: المعجب المغرور. ولجّ البحر: معظمه. وماخرة: جارية تشقّ الماء، وتدفعه بصدرها.

(٢) ثوب معلم: مرقوم مرسوم موشّى. وتزهو: تفخر وتتكبّر. وباخرة: يرتفع بخارها، اسم فاعل من بخرت القدر.

(٣) زاخرة: واسعة طامية ممتلئة.

أَتْلَفْتَ دُنْيَاكَ الَّتِي أُوتِيتَهَا ... وَلَسَوْفَ تَهْلِكُ حَسْرَةً فِي الآخِرَهْ
تَاللَّهِ لَوْ رَاجَعْتَ نَفْسَكَ مَرَّةً ... لَوَجَدْتَهَا مِنْ سُوءِ فِعْلِكَ سَاخِرَهْ
حَتَّامَ تَفْخَرُ بِالْجُدُودِ وَلَمْ تَنَلْ ... مَا أَحْرَزَتْ تِلْكَ الْجُدُودُ الْفَاخِرَهْ ؟
فَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ مِنْ فِعَالِكَ شَاهِدَاً ... يُغْنِيكَ عَنْ ذِكْرِ الْعِظَامِ النَّاخِرَهْ[٤]

وَقَالَ يَذُمُّ :

فَعَلْتُ خَيْرَاً بِقَوْمٍ ... فَعَامَلُونِي بِضَيْرِ[١]
فَلَا تَلُمْنِي إِذَا مَا ... أَصْبَحْتُ أَلْعَنُ خَيْرِي

وَقَالَ فِي الزُّهْدِ :

أَلْهَتْكُمُ الدُّنْيَا عَنِ الآخِرَهْ ... وَهِيَ مِنَ الْجَهْلِ بِكُمْ سَاخِرَهْ
وَغَرَّكُمْ مِنْهَا وَأَنْتُمْ بِكُمْ ... جُوعٌ إِلَيْهَا قِدْرُهَا الْبَاخِرَهْ[١]
يَمْشِي الْفَتَى تِيهَاً وَفِي ثَوْبِهِ ... مِنْ مَعْطِفَيْهِ جِيفَةٌ جَاخِرَهْ[٢]
كَأَنَّهُ فِي كِبْرِهِ سَادِرٌ ... سَفِينَةٌ فِي لُجَّةٍ مَاخِرَهْ[٣]
كَمْ أَنْفُسٍ عَزَّتْ بِسُلْطَانِهَا ... فِي مَا مَضَى وَهْيَ إِذَنْ دَاخِرَهْ[٤]
وَعُصْبَةٍ كَانَتْ لأَمْوَالِهَا ... مَظِنَّةَ الْفَقْرِ بِهَا ذَاخِرَهْ[٥]

---

(٤) الناخرة: البالية المتفتتة.

(١) الضير: الضرر.

(١) الباخرة: الصاعد بخارها، والمراد بقدرها الباخرة: أسباب فتنتها ومظاهرها الخلابة.

(٢) التيه: الصلف والكبر. ومعطفاه: جانباه. والجيفة: جثّة الميّت إذا أنتنت. وجاخرة: كريهة الرائحة.

(٣) السادر: الذي لا يهتمّ ولا يبالي ما صنع.

(٤) داخرة: ذليلة صاغرة.

(٥) العصبة: الجماعة من الرجال. ومظنّة الشيء: موضع يظنّ فيه وجوده، والمراد بالمظنّة هنا: الظنّ. وذاخرة: مدّخرة، أي أنها تجمع المال وتختاره، وتتّخذه ذخيرة تدفع عنها غائلة الفقر.

فَـأَصْبَحَتْ يَـرْحَمُـهَـا مَنْ يَـرَى　　وَقَـدْ غَنَتْ فِي نِعْـمَـةٍ فَـاخِـرَهْ[٦]

فَـلا جَـوَادٌ صَـاهِـلٌ عَـزُّهُـمْ　　يَـوْمَـاً وَلَا خَيْفَـانَـةٌ شَـاخِـرَهْ[٧]

بَـلْ عَـمَّ دُنْيَـاهُـمْ صُـرُوفٌ لَـهَـا　　مِـنَ الـرَّدَى أَوْدِيَـةٌ زَاخِـرَهْ[٨]

يَـأَيُّـهَـا الـنَّـاسُ اتَّـقُـوا رَبَّـكُـمْ　　وَاخْشَـوْا عَـذَابَ اللَّهِ وَالآخِـرَهْ

أَنْـتُـمْ قُـعُـودٌ والـرَّدَى قَـائِـمٌ　　يُسْقِيكُمْ بِـالْكُوبِ وَالصَّـاخِـرَهْ[٩]

فَـانْـتَبِـهُـوا مِنْ غَـفَـلاتِ الْهَـوَى　　وَاعْتَبِـرُوا بِـالأَعْـظُمِ النَّـاخِـرَهْ[١٠]

وَقَالَ :

لَـكَ الْحَمْـدُ إِنَّ الْخَيْـرَ مِنْـكَ وَإِنَّنِـي　　لِصُنْعِـكَ يَـا رَبَّ السَّمَـوَاتِ شَـاكِـرُ

فَـأَنْـتَ الَّـذِي أَوْلَيْتَنِـي كُـلَّ نِعْـمَـةٍ　　وَهَـذَّبْتَنِي حَتَّى اصْطَفَتْنِي الْعَشَـائِرُ[١]

فَقَـرِّبْ لِيَ الْخَيْـرَ الَّـذِي أَنَـا رَاغِـبٌ　　وَبَـاعِـدْنِيَ الشَّـرَّ الَّـذِي أَنَـا حَـاذِرُ[٢]

---

(٦) غنت: أقامت، من قولهم غني القوم في ديارهم، إذا طال فيها مقامهم، واللغة الفصيحة: غنيت.

(٧) الجواد: الفرس الكريم الجيّد. وصاهل: صفة من الصهيل، وهو صوت الخيل. وعزّهم: قوّاهم، أو كان مظهر عزّهم. وخيفانة: فرس سريعة خفيفة، والخيفانة: الجرادة إذا صارت فيها خطوط مختلفة الألوان، وهي حينئذ أطير ما تكون، ثم شبّهت بها الناقة والفرس في السرعة والضمور والخفّة. وشاخرة: صفة من الشخير، وهو صهيل الفرس، أو صوته من فمه.

(٨) صيروف الدهر: أحداثه ونوائبه ونوازله. والردى: الهلاك. وزاخرة: ممتدة واسعة ممتلئة.

(٩) الصاخرة: إناء من خزف، يشرب به.

(١٠) الناخرة: البالية المتفتّتة.

(١) أوليتني: أعطيتني ووهبت لي. واصطفتني: اختارتني. والعشائر: قبائل الناس وجماعاتهم، الواحدة عشيرة.

(٢) باعدني الشرّ: باعد الشرّ منّي، أي أبعده.

فَلَيْسَ لِمَنْ تُقْصِيهِ فِي النَّاسِ نَافِعٌ وَلَيْسَ لِمَنْ تُدْنِيهِ فِي النَّاسِ ضَائِرُ[٣]
وَلَا لِامْرِئٍ أَلْهَمْتَهُ الرُّشْدَ خَاذِلٌ وَلَا لِامْرِئٍ أَوْرَدْتَهُ الْغَيَّ نَاصِرُ[٤]
فَإِنْ أَدْرَكَتْ نَفْسِي الْمَرَامَ وَلَمْ أَقُمْ مَقَامَ ضَلِيعٍ بِالَّذِي أَنْتَ آمِرُ
فَلَا لَاحَ لِي فِي ذُرْوَةِ الْمَجْدِ كَوْكَبٌ وَلَا طَارَ لِي فِي قُنَّةِ الْعِزِّ طَائِرُ[٥]

وَقَالَ:

مَنْ خَالَفَ الْحَزْمَ خَانَتْهُ مَعَاذِرُهُ وَمَنْ أَطَاعَ هَوَاهُ قَلَّ نَاصِرُهُ[١]
وَمَنْ تَرَبَّصَ بِالإِخْوَانِ بَادِرَةً مِنَ الزَّمَانِ فَإِنَّ اللَّه قَاهِرُهُ[٢]
لَا يَجْمُلُ الْمَرْءُ فِي ظَرْفٍ وَفِي أَدَبٍ مَا لَمْ تَكُنْ فَوْقَ مَرْآهُ سَرَائِرُهُ[٣]
وَمَا الصَّدِيقُ الَّذِي يُرْضِيكَ بَاطِنُهُ مِثْلُ الصَّدِيقِ الَّذِي يُرْضِيكَ ظَاهِرُهُ
قَدْ لَا يَفُوهُ الْفَتَى بِالأَمْرِ يُضْمِرُهُ وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ مَا تُخْفِي ضَمَائِرُهُ
أَسْتَوْدِعُ اللهَ عَصْراً قَدْ خَلَعْتُ بِهِ عُذْرَ الْهَوَى وَهْوَ غَضَّاتٌ مَكَاسِرُهُ[٤]

---

(٣) تقصيه: تبعده، والمراد تبعده من رحمتك. وضائر: ضار.
(٤) خاذل: اسم فاعل من خذله، أي ترك نصرته وإعانته.
(٥) ذروة الشيء: أعلاه. والمجد: العزّ والعلاء والشرف. وقنّة كل شيء: أعلاه.
(١) الحزم: ضبط الانسان أمره، والأخذ فيه بالثقة. ومعنى خانته معاذره: لم يجد عذراً، وكان ملوماً. والهوى: ميل النفس إلى شهواتها، والمراد الميل المذموم.
(٢) تربّص: انتظر. وبادرة الزمان: شرّه.
(٣) الظرف: الكياسة، أو حسن العبارة. والسرائر: جمع سريرة، وهي السرّ.
(٤) خلع عذار الهوى: كناية عن ترك الحياء، والتمادي في أسباب الحب ودواعي الصبا. وغضّات: جمع غضّة، أي ناعمة طريّة ناضرة. والمكاسر: جمع مكسر (كمنزل) وهو موضع الكسر، ومن كلامهم: عود طيّب المكسر، أي محمود. وغضاضة مكاسر الهوى: كناية عن نضارته وجدّة عهده.

لَمْ يَمْضِ مِنْ حُسْنِـهِ مَـا كُنْتُ أَعْهَـدُهُ ... حَتَّى أَصَـابَ سَـوَادَ الْقَلْبِ نَـاقِـرُهُ[٥]

كَيْفَ الْـوُصُـولُ إِلَى حَـالٍ نَعِيشُ بِهَـا ... وَالـدَّهْـرُ مَـأْمُـونَـةٌ فِينَـا بَـوَادِرُهُ[٦]

إِذْ لَا صَـدِيقَ يَسُـرُّ السَّمْـعَ غَـائِبُـهُ ... وَلَا رَفِيـقَ يَـرُوقُ الْعَيْـنَ حَـاضِـرُهُ

كُنَّـا نَـوَدُّ انْقِـلَابـاً نَسْتَـرِيـحُ بِـهِ ... حَـتَّى إِذَا تَـمَّ سَـاءَتْـنَـا مَصَـايِـرُهُ[٧]

فَـالْقَلْبُ مُضْطَرِبٌ فِي مَـا يُحَـاوِلُـهُ ... وَالْعَقْـلُ مُخْتَبَـلٌ مِمَّـا يُحَـاذِرُهُ[٨]

قَـدْ كَـانَ فِي السَّلَفِ الْمَاضِينَ نَـافِعُـهُ ... فَصَـارَ فِي الْخَلَفِ الْبَاقِينَ ضَـائِـرُهُ[٩]

مَـا أَبْعَـدَ الْخَيْـرَ فِي الـدُّنْيَـا لِطَالِبِـهِ ... وَأَقْـرَبَ الـشَّـرَّ مِنْ نَـفْسٍ تُـحَـاذِرُهُ !

أَكُـلَّمَـا مَـرَّ مِـنْ دَهْـرٍ أَوَائِـلُهُ ... كَـرَّتْ بِـمِـثْـلِ أَوَالِـيـهِ أَوَاخِـرُهُ ؟

إِنْ دَامَ هَـذَا أَضَـاعَ الـرُّشْـدَ كَـافِلُهُ ... فِي مَـا أَرَى وَأَطَـاعَ الْغَيَّ زَاجِـرُهُ[١٠]

تَنَكَّـرَتْ مِصْرُ بَعْـدَ الْعُـرْفِ وَاضْـطَرَبَتْ ... قَـوَاعِـدُ الْمُلْكِ حَتَّى رِيـعَ طَـائِـرُهُ[١١]

فَـأَهْمَـلَ الْأَرْضَ جَـرَّا الظُّلْمِ حَـارِثُهَـا ... وَاسْتَرْجَعَ الْمَالَ خَوْفَ الْعُدْمِ تَاجِرُهُ[١٢]

وَاسْتَحْكَمَ الْهَـوْلُ حَتَّى مَـا يَبِيتُ فَـتًى ... فِي جَوْشَنِ اللَّيْلِ إِلَّا وَهْـوَ سَـاهِـرُهُ[١٣]

---

(٥) سواد القلب: سويداؤه وحبّته. والناقر: السهم أصاب الهدف.

(٦) بوادره: صروفه ونوائبه وحوادثه، واحدتها بادرة.

(٧) مصايره: عواقبه ونهاياته وما صار إليه. ولعله يشير بهذا البيت إلى بعض الأحداث والانقلابات السياسية أيام الثورة العرابية.

(٨) اختبله الحزن ونحوه: أفسد عقله، فالعقل مختبل.

(٩) السلف: جمع سالف، وهو الماضي المنقضي. والخلف: الذين جاؤوا من بعد السلف، وقاموا مقامهم. وضائره: ضارّه.

يقول: إن هذا العقل أفاد السلف ونفعهم، ولكنه أضرّ بالخلف وآذاهم لما أصابه من الاختبال.

(١٠) كافله: راعيه، والقائم به، والداعي إليه. وزاجره: المانع منه، والناهي عنه.

(١١) تنكّرت: تغيّرت عن حال تسرّها إلى حال تكرهها. والعرف ضدّ النكر، وهو كلّ ما تعرفه النفس من الخير، وتطمئنّ إليه. وارتياع طائر الملك: كناية عن تزعزعه واضطرابه، واختلال الأمن، وشيوع الفوضى والفساد.

(١٢) جرًّا الظلم: بسببه ومن أجله. والعدم: الفقر وفقدان المال وذهابه.

(١٣) استحكم: وثق واشتد. والهول: الفزع والخوف. وجوشن الليل: وسطه أو صدره.

وَيْلُمِّهِ سَكَناً لَوْلاَ الدَّفِينُ بِهِ ... مِنَ الْمَآثِرِ مَا كُنَّا نُجَاوِرُهُ[١٤]
أَرْضَى بِهِ غَيْرَ مَغْبُوطٍ بِنِعْمَتِهِ ... وَفِي سِوَاهُ الْمُنَى لَوْلاَ عَشَائِرُهُ[١٥]
يَا نَفْسُ لاَ تَجْزَعِي فَالْخَيْرُ مُنْتَظَرٌ ... وَصَاحِبُ الصَّبْرِ لاَ تَبْلَى مَرَائِرُهُ[١٦]
لَعَلَّ بُلْجَةَ نُورٍ يُسْتَضَاءُ بِهَا ... بَعْدَ الظَّلامِ الَّذِي عَمَّتْ دَيَاجِرُهُ[١٧]
إِنِّي أَرَى أَنْفُساً ضَاقَتْ بِمَا حَمَلَتْ ... وَسَوْفَ يَشْهَرُ حَدَّ السَّيْفِ شَاهِرُهُ[١٨]
شَهْرَانِ أَوْ بَعْضُ شَهْرٍ إِنْ هِيَ احْتَدَمَتْ ... وَفِي الْجَدِيدَيْنِ مَا تُغْنِي فَوَاقِرُهُ[١٩]
فَإِنْ أَصَبْتُ فَعَنْ رَأْيٍ مَلَكْتُ بِهِ ... عِلْمَ الْغُيُوبِ وَرَأْيُ الْمَرْءِ نَاظِرُهُ[٢٠]

وَقَالَ★ :

أَبَابِلُ رَأْيَ الْعَيْنِ أَمْ هَذِهِ مِصْرُ ؟ ... فَإِنِّي أَرَى فيها عُيُوناً هِيَ السِّحْرُ[١]

---

(١٤) الدفين: المدفون. والمآثر: جمع مأثرة، وهي المكرمة، لأنها تؤثر أي ينقلها قرن عن قرن. ويريد بالدفين من المآثر: مكرمات آبائه وأجداده وآثارهم الصالحة. ويريد بالسكن: مصر.

(١٥) مغبوط: اسم مفعول من الغبطة، وهي أن تتمنّى مثل حال المغبوط من غير أن تريد زوالها عنه. وعشائره: قبائله وأهله، جمع عشيرة، وعشيرة الرجل: قبيلته، أو بنو أبيه الأدنون.

(١٦) المرائر: جمع مريرة، وهي عزّة النفس، والعزيمة.

(١٧) البلجة: الضوء، أو ضوء الصبح. والدياجر: جمع ديجور، وهو الظلمة.

(١٨) شهر الرجل سيفه: انتضاه، وأخرجه من غمده، فرفعه على عدوّه.

(١٩) احتدمت: اشتدّت، وتفاقمت، يريد الأمور، أو الأزمة السياسية التي عرّض بها في الأبيات السابقة. والجديدان: الليل والنهار، والمراد الدهر. والفواقر: جمعَ فاقرة، وهي الداهية.

(٢٠) الرأي: العقل والتدبير والحذق بالأمور.

(★) استجاب الخديوي «عباس حلمي الثاني» لرجاء الراجين، وإلحاف الملحفين، فعفا عن البارودي، ثم عمن بقي على قيد الحياة من رفاقه في المنفى سنة ١٨٩٩. وحينما أطلّ البارودي على ربوع وطنه نظم هذه الرائية الخالدة، فكانت أنشودة العودة التي تغنّى بها الناس، وبخاصة أهل العلم والفكر والأدب في مصر وسائر البلاد العربية، وطرب لها الجيل الجديد الذي روى شعر البارودي، وتأدّب بأدبه، ولم يسعد برؤيته إلا بعد عودته.

(١) بابل: مدينة من أعظم مدن العالم القديم، على الجانب الأيسر من نهر الفرات، كانت واسعة



نَـوَاعِس أَيْـقَـظْنَ الْـهَـوَى بِـلَوَاحِظٍ	تـدِينُ لَهَـا بِـالْفَتْكَـةِ الْبِيضُ وَالسُّمْـرُ[٢]
فَـلَيْسَ لِعَـقْـلٍ دُونَ سُلْطَانِـهَـا حِمـىً	وَلاَ لِـفُؤَادٍ دُونَ غِـشْـيَـانِـهَـا سِـتْـرُ[٣]
فَـإِنْ يَـكُ مُـوسَى أَبْطَلَ السِّحْـرَ مَـرَّةً	فَـذَلِـكَ عَصْـرُ الْمُعْجِـزَاتِ وَذَا عَصْـرُ
فَـأَيُّ فُـؤَادٍ لاَ يَـذُوبُ صَـبَـابَـةً	وَمُـزْنَـةِ عَيْنٍ لا يَصُوبُ لَهَـا قَـطْرُ ؟[٤]
بِـنَـفْـسِـي وَإِنْ عَـزَّتْ عَـلَيَّ رَبِـيـبَـةٌ	مِنَ الْعِينِ فِي أَجْفَـانِ مُقْلَتِـهَـا فَتْـرُ[٥]
فَـتَـاةٌ يَـرِفُّ الْبَـدْرُ تَـحْتَ قِـنَـاعِـهَـا	وَيَخْـطِرُ فِي أَبْـرَادِهَـا الْغُصْنُ النَّضْـرُ[٦]
تُـرِيـكَ جُمَـانَ الْقَطْرِ فِي أُقْحُـوانَـةٍ	مُفَلَّجَـةِ الأَطْـرَافِ قِيـلَ لَهَـا ثَغْـرُ[٧]

الشهرة، بعيدة الصيت، ولا تزال بعض أطلالها ماثلة بالقرب من الحلّة، وقد اشتهرت في الأزمان القديمة بالسحر.

(٢) نواعس: جمع ناعسة، صفة من النعاس وهو الوسن، أي أول النوم، والمراد أنها فاترة، والفتور من محاسن عيون النساء، ودليل الخفر والحياء. والمراد باللواحظ: النظرات الساحرة الفاتنة. وتدين: تخضع وتنقاد. والفتكة: اسم مرة من فتك الإنسان بعدوّه أي انتهز منه فرصة فقتله، أو جرحه مجاهرة. والبيض: السيوف. والسمر: الرماح.

(٣) السلطان: القدرة والسطوة والسيطرة. والحمى: المكان المحميّ المصون، الذي لا يقترب منه، ولا يجرأ عليه. وغشيه غشياناً: جاءه، أو لابسه وباشره.

(٤) الصبابة: رقّة الشوق وحرارته، أو رقة الهوى. والمزنة: السحابة، وقد شبّه بها العين. ويصوب: ينزل وينصبّ. والقطر: المطر، والمراد الدموع الغزيرة.

(٥) ربيبة: فعيلة بمعنى مفعولة، من ربّه أي ربّاه، والمراد ناضجة تامّة النموّ. والعين: الحسان العيون، جمع عيناء وهي صفة من عين، أي عظم سواد عينه في سعة مستحسنة. والأجفان: جمع جفن، وهو غطاء العين من أعلاها وأسفلها. والمقلة: العين. والفتر: الضعف والسكون.

(٦) يرفّ: يتلألأ ويضيء. والقناع: ما تغطّي به المرأة رأسها ومحاسنها. ويخطر: يهتزّ. والأبراد: جمع برد وهو ثوب مخطّط، أو ثوب موشّى. والنضر: الحسن الجميل.

(٧) الجمان: حبّ يتّخذ من الفضّة على أشكال اللؤلؤ أو هو اللؤلؤ الصغار. والقطر: جمع القطرة من الماء. وجمان القطر: القطر الشبيه بالجمان. والمراد الأسنان. والأقحوان: نبت طيّب الريح، حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر. ومفلّجة الأطراف: أي أطرافها مفترقة، غير متّصلة، وهو وصف للأقحوانة. والمراد أسنان المتغزّل بها، وقذ شبّهها بالأقحوانة. والمراد الفلج، وهو افتراق الأسنان خلقة. والثغر: الأسنان، أو ما تقدّم منها.



تَـدِينُ لِعَيْنَيْهَـا سَـوَاحِـرُ «بَـابِـلٍ» وَتَسْكَـرُ مِنْ صَهْبَـاءِ رِيقَتِهَـا الْخَمْرُ[٨]

فَيَـا رَبَّـةَ الْخِـدْرِ الَّـذِي حَـالَ دُونَـهُ ضَـرَاغِمُ حَرْبٍ غَـابُهَا الأَسَـلُ السُّمْرُ[٩]

أَمَـا مِـنْ وِصَـالٍ أَسْتَعِيـذُ بِـأُنْسِـهِ نَضَـارَةَ عَيْشٍ كَـانَ أَفْسَـدَهُ الْهَجْـرُ[١٠]

رَضِيتُ مِنَ الـدُّنْيَـا بِحُبِّـكِ عَـالِـمَـاً بِـأَنَّ جُنُـونِي في هَـوَاكِ هُـوَ الْفَخْـرُ

فَـلَا تَحْسَبِي شَـوْقِي فُكَـاهَـةَ مَـازِحٍ فَمَـا هُـوَ إِلَّا الْجَمْـرُ أَوْ دُونَـهُ الْجَمْـرُ

هَـوىً كَضَمِيرِ الـزَّنْـدِ لَـوْ أَنَّ مَـدْمَعِي تَـأَخَّـرَ عَنْ سُقْيَـاهُ لاحْتَـرَقَ الصَّـدْرُ[١١]

إذا مَـا أَتَيْتُ الْـحَيَّ فَـارَتْ بِـغَيْـظِهَـا قُلُوبُ رِجَـالٍ حَشْـوُ آماقِهَـا الْغَـدْرُ[١٢]

يَـظُنُّـونَ بِـي شَـرَّاً وَلَـسْـتُ بِـأَهْـلِهِ وَظَـنُّ الْفَتَى مِـنْ غَيْـرِ بَـيِّـنَـةٍ وِزْرُ[١٣]

وَمَـاذَا عَـلَيْـهِـمْ إِنْ تَـرَنَّـمَ شَـاعِـرٌ بِقَـافِيَـةٍ لَا عَيْبَ فِيهَـا وَلَا نُكْـرُ؟[١٤]

---

(٨) تدين: تخضع وتذلّ وتنقاد. والصهباء: الخمر، أو المعصورة من عنب أبيض، إذا كان لونها يضرب إلى البياض. والريقة: الريق والرضاب، وهو ماء الفم ولعابه. وصهباء ريقتها: ريقتها الشبيهة بالصهباء.

(٩) ربّة: صاحبة. والخدر في الأصل: ستر يمدّ للجارية في ناحية البيت. وضراغم: جمع ضرغم، وهو الأسد. والغاب: جمع غابة، وهي الأجمة، ذات الشجر الكثير المتكاثف. والأسل: الرماح، وهو في الأصل عيدان تنبت طوالاً دقاقاً مستوية لا ورق لها، واحدته أسلة، وتشبّه الرماح بالأسل في اعتدالها وطولها واستوائها ودقّة أطرافها. والسمر: جمع أسمر، صفة من السمرة، وهي من صفات الرمح

(١٠) الأنس: الطمأنينة، وهو ضدّ الوحشة. ونضارة العيش: بهجة الحياة وحسنها وبهاؤها ورونقها.

(١١) الزند: العود الذي تقدح به النار، ويريد بضمير الزند: ما فيه من نار كامنة. والسقيا: اسم من سقاه الله الغيث، وأسقاه.

(١٢) فارت القدر ونحوها: جاشت وغلت. والآماق: جمع مؤق وهو طرف العين مما يلي الأنف، أو هو مقدمها، أو مؤخرها.

(١٣) البيّنة: الحجّة والبيان والبرهان. والوزر: الإثم والذنب.

(١٤) ترنّم: رجّع صوته وغنّى. والقافية: من آخر البيت إلى أول متحرك قبل ساكن بينهما، والمراد بالقافية هنا: القصيدة. والنكر: المنكر، وهو العيب والأمر القبيح.

أَفِي الْحَقِّ أَنْ تَبْكِي الْحَمَائِمُ شَجْوَهـا ... وَيُبْلَى فَـلاَ يَبْكِي عَلَى نَفْسِـهِ حُـرُّ ؟[١٥]

وَأَيُّ نَـكِيـرٍ فـي هَـوىً شَـبَّ وَقْـدُهُ ... بِقَلْبِ أَخِي شَـوْقٍ فَبَاحَ بِـهِ الشِّعْـرُ ؟[١٦]

فَـلاَ يَبْتَـدِرْنِي بِـالْمَـلاَمَـةِ عَـاذِلٌ ... فَـإِنَّ الْهَـوَى فِيـهِ لِمُعْتَـذِرٍ عُـذْرُ[١٧]

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْحُبِّ فَضْـلٌ عَـلَى النُّهَى ... لَـمَـا ذَلَّ حَيٌّ لِـلْهَـوَى وَلَـهُ قَـدْرُ[١٨]

وَكَيْفَ أَسُومُ الْقَلْبَ صَبْراً عَلَى الْهَوى ... وَلَمْ يَبْقَ لِي فِي الحُبِّ قَلْبٌ وَلا صَبْرُ ؟[١٩]

لِيَهْنَ الْهَـوَى إِنِّي خَضَعْتُ لِـحُكْمِـهِ ... وَإِنْ كَـانَ لِي فِي غَيْـرِهِ النَّهْيُ والأَمْـرُ

وَإِنِّي امْـرُؤٌ تَـأْبَى لِيَ الضَّيْمَ صَـوْلَـةٌ ... مَـوَاقِعُهَـا فِي كُـلِّ مُعْتَـرَكٍ حُمْـرُ[٢٠]

أَبِيٌّ عَلَى الْـحِـدْثَـانِ لاَ يَسْـتَـفِـزُّنِـي ... عَـظِيمٌ وَلاَ يَـأْوِي إِلَى سَـاحَتِي ذُعْـرُ[٢١]

إِذَا صُلْتُ صَـالَ الْمَـوْتُ مِنْ وَكَـرَاتِـهِ ... وَإِنْ قُلْتُ أَرْخَى مِنْ أَعِنَّتِـهِ الشِّعْـرُ[٢٢]

وَقَالَ :

---

(١٥) الشجو: الهمّ والحزن. ويبلى: يمتحن ويختبر، والمراد يبلى بالشرّ، ويصاب بالأذى والمكروه.

(١٦) شبّ وقده: اتّقدت ناره. وباح به: أظهره.

(١٧) يبتدرني بالملامة: يعاجلني باللوم. وعاذل: لائم.

(١٨) الفضل: الزيادة. والنهى: العقول. وله قدر: له شأن ومنزلة وحرمة ووقار.

(١٩) أسومه: أكلّفه وأجشّمه.

(٢٠) أبى الشيء يأباه: كرهه، وعافه، ولم يرضه. وتأبى صولته الضيم: أي صولته تكره له أن يضام، أي تدفع عنه الضيم، وتردّه، وتسبغ عليه العزّة والمنعة. والضيم: الظلم. والصولة: السطوة والبأس. والمعترك: موضع الاعتراك، وهو القتال.

(٢١) أبيّ: ذو إباء، أي شديد، جلد، ممتنع. والحدثان: صروف الدهر ونوائبه وخطوبه. ولا يستفزّني: لا يستخفّني، ولا يزعجني. والساحة: الناحية، وفضاء بين دور الحيّ، والموضع المتّسع أمام الدار. والذعر: الخوف والفزع.

(٢٢) صال الرجل في الحرب: هجم ووثب على عدوّه. وصال: سطا وبطش واستطال. والوكرات: جمع وكرة، وهي عش الطائر، كالوكر، والمراد بوكرات الموت: مكامنه ومواضعه. والأعنة: جمع عنان، وهو سير اللجام الذي تمسك به الدابّة. وإرخاء الشعر أعنّته: كناية عن يسره وانقياده للشاعر.

لِلْشِّعْــرِ فِي الــدَّهْــرِ حُكْمٌ لَا يُغَيِّــرُهُ ... مَــا بِــالْحَــوادِثِ مِنْ نَقْصٍ وَتَغْيِيــرِ
يَسْمُــو بِقَــوْمٍ وَيَهْــوِي آخَــرُونَ بِــهِ ... كَــالدَّهْــرِ يَجْرِي بِمَيْسُــورٍ وَمَعْسُورِ(١)
لَــهُ أَوَابِــدُ لَا تَــنْــفَــكُّ سَــائِــرَةً ... فِي الأَرْضِ مَا بَيْنَ إِدْلَاجٍ وَتَهْجِيرِ(٢)
مِنْ كُــلِّ عَــائِــرَةٍ تَسْتَنُّ فِــي طَلَقٍ ... يَغْتَــالُ بِالْبُهْــرِ أَنْفَاسَ الْمَحَــاضِيــرِ(٣)
تَجْــرِي مَعَ الشَّمْسِ فِي تَيَّــارِ كَهْرَبَــةٍ ... عَلَى إِطَــارٍ مِنَ الأَضْــوَاءِ مَسْعُــورِ(٤)
تُــطَارِدُ الْبَــرْقَ إِنْ مَــرَّتْ وَتَتْــرُكُــهُ ... فِي جَوْشَنٍ مِنْ حَبِيكِ الْمُزْنِ مَزْرُورِ(٥)
صَحَــائِفٌ لَمْ تَــزَلْ تُتْلَى بِــأَلْسِنَــةٍ ... لِلدَّهْــرِ فِي كُــلِّ نَــادٍ مِنْــهُ مَعْمُــورِ(٦)
يَــزْهَى بِهَــا كُــلُّ سَــامٍ فِي أُرُومَتِــهِ ... وَيَتَّقِي الْبَــأْسَ مِنْهَــا كُــلُّ مَغْمُــورِ(٧)
فَكَمْ بِهَــا رَسَخَتْ أَرْكَــانُ مَمْلَكَــةٍ ... وَكَمْ بِهَــا خَمَــدَتْ أَنْفَــاسُ مَغْــرُورِ(٨)

---

(١) يسمو: يعلو ويرتفع.
(٢) الأوابد: القوافي الشُّرَّد. والمراد القصائد الذائعة السائرة في البلاد، واحدتها آبدة. والإدلاج: سير الليل، أو هو السير من أول الليل. والتهجير: السير في الهاجرة، وهي نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر.
(٣) عائرة: قصيدة سائرة، على التشبيه بالفرس العائرة التي تنطلق مسرعة في مرح ونشاط كأنها منفلتة. وتستنّ: تجري في قوّة ونشاط. والطلق: الشوط، والغاية التي يجري إليها الفرس. ويغتال: يهلك. والبهر: النهج، وتتابع النفس وانقطاعه من الإعياء والتعب الشديد. والمحاضير: جمع محضير، وهو الفرس الشديد الحضر الذي يرتفع في عدوه.
(٤) مسعور: متوقّد مشتعل، اسم مفعول من سعرت النار، أي ألهبتها وأوقدتها.
(٥) الجوشن: الدرع. وحبيك المزن: السحاب المجتمع المتراكم الشبيه بالثوب المحبوك. ومزرور: اسم مفعول من زرّ الإنسان القميص إذا شدّ أزراره.
(٦) تتلى: تقرأ. والنادي: المجلس يندو إليه القوم، أي يجتمعون فيه، قيل: ولا يسمى نادياً حتى يكون فيه أهله.
(٧) يزهى: يعجب ويفتخر. وسام: مرتفع نابه عظيم القدر. والأرومة: الأصل. والبأس: العذاب والشرّ. ومغمور: خامل خفيّ ساقط لا نباهة له.
(٨) رسوخ أركان المملكة: استقرار الملك وعزّته وقوّته. وخمدت الأنفاس: سكنت، من خمدت النار إذا سكن لهبها، ومغرور: مخدوع، والمراد الجريء المزهوّ المعجب بنفسه.



وَالشِّعْـرُ دِيـوانُ أَخْـلَاقٍ يَلُوحُ بِـهِ ... مَـا خَـطَّهُ الْفِكْـرُ مِنْ بَحْثٍ وَتَنْقِيـرِ
كَمْ شَـادَ مَجْـداً وَكَمْ أَوْدَى بِمَنْقَبَـةٍ ... رَفْعـاً وَخَفْضـاً بِمَـرْجُـوٍّ وَمَحْـذُورِ[٩]
أَبْقَى زُهَـيْـرٌ بِـهِ مَـا شَـادَهُ هَـرِمٌ ... مِنَ الْفَخَـارِ حَـدِيثـاً جِدَّ مَـأْثُـورِ[١٠]
وَفَـلَّ جَـرْوَلُ غَـرْبَ الزِّبْـرِقَـانِ بِـهِ ... فَبَـاءَ مِنْـهُ بِصَـدْعٍ غَيْـرِ مَجْبُـورِ[١١]
أَخْـزَى جَـرِيـرٌ بِـهِ حَيَّ النُّمَيْـرِ فَمَـا ... عَـادُوا بِغَيْرِ حَـدِيثٍ مِنْـهُ مَشْهُـورِ[١٢]
لَـوْلَا أَبُـو الـطَّيِّبِ الْمَـأْثُـورُ مَنْطِقُـهُ ... ما سَارَ في الدَّهْرِ يَوْماً ذِكْرُ كَافُـورِ[١٣]

وَقَالَ :

فُـؤَادِي وَالْـهَـوَى قَـدَحٌ وَخَـمْـرُ ... أَمَـا فـي ذَاكَ لِـي طَـرَبٌ وسُـكْـرُ ؟
يَـلُومُـونِـي عَـلَى كَـلَفِـي بِـلَـيْـلَى ... وَلَـيْلَى فـي سَـمَـاءِ الْـحُسْـنِ بَـدْرُ[١]
لَـهَـا خَـدٌّ بِـهِ لِـلْـحُسْـنِ وَرْدٌ ... وَلَـحْظٌ فِيـهِ لِـلْمَلَكَـيْـنِ سِـحْـرُ[٢]

---

(٩) المنقبة: المفخرة. ومحذور: اسم مفعول من حذرت الشيء، إذا خفته واحترزت منه.
(١٠) زهير بن أبي سلمى المزني: شاعر جاهلي جليل القدر. وهرم بن سنان بن أبي حارثة المريّ: كان هرم من سادات العرب وأجوادهم في الجاهليـة. والفخار: الفخـر والتمدّح بـالخصال الحميدة.
(١١) فلّ غربه: ثلم حدّه، وكسر شوكته. وجرول: اسم الحطيئة العبسي الشاعر المشهور الهجّاء المدّاح، هجا الزبرقان بن بدر التميميّ السعديّ.
(١٢) جرير بن عطيّة بن الخطفي: شاعر إسلاميّ، مات باليمامة سنة ١١٠ هـ. وحيّ النمير: قبيلة من بني عامر بن صعصعة من هوزن، وهوازن من قيس عيلان أحد شعوب مضر، وسبب هجاء جرير لنمير أن الراعي النميري شاعر هذه القبيلة كان قد استفزّ جريراً، وأهانه، واستخفّ به، فهجاه جرير، وهجا قومه بقصيدة طويلة.
(١٣) أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي المتوفى سنة ٣٥٤ هـ. وأبو المسك كافور بن عبد الله الإخشيديّ من أمراء مصر المشهورين.
(١) الكلف: الولوع والغرام.
(٢) اللحظ: النظر بمؤخر العين، والمـراد: عيناهـا الجميلتان السـاحرتـان، أو نظراتهـا الفاتنـة الساحرة. ويريد بالملكين: هاروت وماروت اللذين أشار الله إلى قصّتهما في القرآن الكريم.

تَضِنُّ عَلَيَّ بِالتَّسْلِيمِ تِيهاً	وَهَلْ في سُنَّةِ التَّسْلِيمِ وِزْرُ؟[٣]
يَلُوحُ جَبِينُهَا في طُرَّتَيْهَا	كَما أَوْفَى عَلَى الظَّلْمَاءِ فَجْرُ[٤]
وَتَبْسِمُ عَنْ جُمَانٍ في عَقِيقٍ	يُقَالُ لَهُ بِحُكْمِ الذَّوْقِ ثَغْرُ[٥]

وَقَالَ :

أَبَى الضَّيْمَ فَاسْتَلَّ الْحُسَامَ وَأَصْحَرَا	وَذُو الْحِلْمِ إِنْ سِيمَ الْهَوَانَ تَنَمَّرَا[١]
وَطَارَتْ بِهِ في مُلْتَقَى الْخَيْلِ عَزْمَةٌ	أَعَادَتْ جَبِينَ الصُّبْحِ بِالنَّقْعِ أَكْدَرَا[٢]
فَرَدَّ ذُبَابَ الْمَشْرَفِيِّ مُثَلَّماً	وَغَادَرَ صَدْرَ السَّمْهَرِيِّ مُكَسَّرَا[٣]
جِلَادُ امْرِئٍ آلَى بِقَائِمِ سَيْفِهِ	عَلَى الْمَجْدِ أَنْ يُولِيهِ نَصْراً مُؤَزَّرَا[٤]

(٣) تيهاً: عجباً وكبراً. والوزر: الإثم والذنب.

(٤) الجبين: الجبهة، أو هو ناحيتها فوق الصدغ. وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها. وطرّتاها: مثنى طرّة، وهي الشعر الذي تصفّفه المرأة على جبهتها. وأوفى على الشيء: أشرف عليه.

(٥) الجمان: اللؤلؤ، أو هنوات كاللآلىء من الفضّة، الواحدة جمانة، وتشبّه الأسنان بالجمان في الصفاء والنقاء والبياض واللمعان. والعقيق: حجر كريم أحمر اللون غالباً. والثغر: مقدّم الأسنان، وما يبدو منها عند الابتسام، ويطلق على الفم.

(١) أبى: امتنع، ولم يقبل. والضيم: الظلم. واستلّ: انتزع وأخرج. والحسام: السيف القاطع. وأصحر: خرج إلى الصحراء، والمراد برز وظهر لعدوّه لا يواريه شيء، وهذا كناية عن الشجاعة والجرأة وشدّة البأس. وسيم الهوان: كلّف الذلّ، وحمل عليه. وتنمّر: تنكّر وتغيّر، وأوعد وغضب، لأن النمر لا يرى إلا متنكّراً غضبان فاتكاً.

(٢) يريد بملتقى الخيل: ساحة الحرب حيث يلتقي الفرسان والأبطال للقتال والنزال. والعزمة: الإرادة القاطعة القويّة. والنقع: الغبار الساطع الذي تثيره حركات المتحاربين وسنابك خيلهم. وأكدر: صفة من الكدر، وهو نقيض الصفاء.

(٣) ذباب السيف: حدّه، أو طرفه. والمشرفيّ: السيف، نسبة إلى المشارف، وهي قرى من أرض اليمن تشتهر بصنع السيوف. ومثلّماً: مفاولاً مكسّراً. والسمهريّ: الرمح الصلب، نسبة إلى رجل اسمه «سمهر» كان يثقّف الرماح ويقوّمها ويبيعها. وصدر السمهريّ: سنانه وأعلاه.

(٤) الجلاد: القتال بالسيوف. وآلى: أقسم وحلف. وقائم السيف: مقبضه. ومؤزّراً: قويّاً بالغاً شديداً.

جَـدِيـرٌ إِذَا مَـا هَمَّ أَنْ يَكْسُـوَ الْقَنَـا وَبِيضَ الظُّبَا ثَـوْبـاً مِنَ الدَّمِ أَحْمَـرَا[٥]

وَمَـا كُـلُّ مَنْ سَـاسَ الأَعِنَّـةَ فَـارِسَـاً وَلاَ كُـلُّ مَنْ نَـاشَ الأَسِنَّـةَ قَسْـوَرَا[٦]

وَقَالَ :

حَبَّـذَا الـرَّاحُ فِي أَوَانِ الْبَهَـارِ وَاقْتِـرانُ الْكُـؤُوسِ بِـالنُّـوَّارِ[١]

وَرَنِـينُ الأَوْتَـارِ فِـي فَلَقِ الصُّبْـ ـحِ وَسَجْعُ الطُّيُـورِ فِي الأَوْكَارِ[٢]

بَيْنَ جَـوٍّ مَـعَ الْغَمَـائِمِ سَـارٍ وَفَضَـاءٍ مَعَ الْجَـدَاوِلِ جَـارِي[٣]

مَـنْـظَرٌ يَفْتِنُ الْعُقُـولَ وَيَجْلُو صَفَحَـاتِ الْقُلُوبِ وَالأَبْصَـارِ[٤]

إِنَّ عَصْـرَ الشَّبَـابِ فِينَـا مُعَـارٌ وَاللَّيَـالِـي تَـرُدُّ كُـلَّ مُـعَـارِ[٥]

فَـاسْـرَحَـا وَامْـرَحَـا فَقَدْ آذَنَتْنَـا نَسَمَـاتُ الصَّبَـا بِخَلْعِ الْعِذَارِ[٦]

---

(٥) القنا: الرماح، الواحدة قناة. والبيض: جمع الأبيض، وهو من صفات السيف. والظبا: جمع ظبة، وهي حدّ السيف ونحوه.

(٦) الأعنّة: جمع عنان وهو سير اللجام الذي تمسك به الدابّة. وناشه بيده: أخذه وتناوله. والأسنّة: جمع سنان، وهو حديدة الرمح التي يكون بها الطعن، والمراد بالأسنّة: الرماح. وقسور: قويّ شجاع.

(١) الراح: الخمر. والبهار: نبت طيب الريح، أو هو أزهار البادية، أو هو العرار الذي يقال له عين البقر، وهو نبت جعد، له زهرة صفراء تنبت أيام الربيع، يقال لها العرارة، والشاعر يريد بأوان البهار: زمن تفتّح الأزهار في فصل الربيع. والنوّار: الزهر، واحدته نوّارة.

(٢) الأوتار: أسلاك العود ونحوه من آلات الطرب والموسيقى والغناء. وفلق الصبح: ضوؤه. وسجع الطيور: هديلها وتغريدها. والأوكار: جمع وكر، وهو عش الطائر.

(٣) الغمائم: السحاب، الواحدة غمامة.

(٤) يفتن: يعجب ويروق ويستميل. ويجلو: يصقل.

(٥) معار: اسم مفعول من قولهم: استعاره ثوباً، فأعاره إيّاه.

(٦) آذنتنا: أعلمتنا. والصبا: ريح تهبّ من مطلع الشمس، وهي أحبّ الرياح إلى العرب، ومقابلتها الدبور. والعذار: السير الذي على خدّ الدابّة من اللجام. وخلع العذار: كناية عن الاستهتار والخلاعة.

وَاغْنَمـا صَفْوَةَ الـرَّبِيعِ بِـدَاراً   فَـالأَمَـانِي مَعْقُـودَةٌ بِـالْبِـدارِ(٧)

هُـوَ فَصْلٌ تَخْتَـالُ فِيـهِ غُصُـونُ الـ   ـرَّوْضِ فِي حِلْيَـةٍ مِنَ الأَزْهَـارِ(٨)

مَـائِسـاتٍ مِثْـلَ الْعَـذَارَى عَلَيْهِـ   ـنَّ ثِـيَـابٌ دُرِّيَّـةُ الأَزْرَارِ(٩)

غَمَـزَتْهَـا يَـدُ الـصَّبَـا فَتَلَوَّتْ   رَاقِصَاتٍ عَلَى غِنَاءِ الْقَمَـارِي(١٠)

رَشَفَتْ خَمْرَةَ النَّدَى مِنْ كُؤُوسِ الـ   ـزَّهْـرِ حَتَّى تَمَايَلَتْ مِنْ خُمَـارِ(١١)

فَـانْتَبِهْ يـا نَـدِيمُ واسْتَصْبِحِ السَّـا   قِي بِكَـأْسٍ تَفِيضُ بِـالأَنْـوَارِ(١٢)

وَاسْـقِيَـانِـي وَغَنِّيَـانِـي بِـلَحْـنٍ   يَبْعَثُ النَّفْسَ مِنْ إِسَـارِ المُوَقَـارِ(١٣)

فَـلَقَـدْ آذَنَ الـشِّـتَـاءُ بِسَـيْـرٍ   واسْتَهَلَّتْ طَلائِـعُ النُّـوبَهـارِ(١٤)

وَاسْتَـدَارَ النَّهَـارُ حَتَّـى تَسـاوَتْ   كَفَّتَـاهُ بَيْنَ الـدُّجَى وَالنَّهَـارِ(١٥)

وقَالَ يَفْتَخِرُ :

---

(٧) بدارًا: مصدر بادرت إلى الأمر مبادرة وبداراً، أي عاجلته، وسارعت إليه.

(٨) تختال: المراد تهتزّ وتتمايل، كالمتبختر المزهوّ المعجب بنفسه. والرّوض: جمع روضة، وهي أرض ذات مياه وعشب وكلأ وشجر وزهر. والحلية: ما تتزين به المرأة من المصوغات والجواهر ونحوها.

(٩) مائسات: متبخترات، والمراد أنها تهتزّ وتتمايل كما تميس العذارى وتتهادى وتختال. والعذارى: جمع عذراء، وهي الفتاة البكر. ودرّيّة: نسبة إلى الدر، وهو اللؤلؤ.

(١٠) غمزتها: مسّتها. وتلوّت: تثنت. والقماريّ: ضرب من الحمام، الواحدة قمرية.

(١١) خمرة الندى: أي الندى الشبيه بالخمر. وكؤوس الزهر: الزهر الشبيه بالكؤوس. والخمار: السكر وتأثير الخمر في شاربها.

(١٢) انتبه: استيقظ. والنديم: من ينادمك، أي يجالسك على الشراب. واستصبح الساقي: اطلب إليه الصبح، مصدر صبحه، أي سقاه الصبوح، وهي الخمر تشرب في الصباح.

(١٣) الإسار: القدّ، وهو سير يشدّ به الأسير ويقيّد، والإسار أيضاً: اسم من أسره أسراً وإساراً. والوقار: الرزانة والحشمة والتصوّن.

(١٤) طلائع النوبهار: مقدّمات الربيع وأوائله.

(١٥) المراد بكفّتي النهار: طرفاه. والدجى: جمع دجية وهي الظلمة، والمراد بالدجى: الليل.

يَلُومُـونَنِي في الْجُـودِ وَالْجُـودُ مُـزْنَـةٌ	إذَا هَمَلَتْ في مَـوْضِـعٍ نَبتَ الشُّكْـرُ[1]
إذَا الْمَـرْءُ لَمْ يُنْفِقْ مِنَ الْمَـالِ وُسْـعَ مَـا	دَعَتْـهُ الْمَعَـالِي فَـالثَّـراءُ هُـوَ الْفَقْـرُ

وَقَالَ :

أَرَى كُـلَّ شَـيْءٍ عُـرْضَـةً لِلتَّـغَيُّـرِ	فَمَـا بَـالُنَـا بَعْـدَ الْحَقِيقَـةِ نَمْتَـرِي[1]
تَـرَسَّمْ فَضَاءَ الأَرْضِ شَـرْقاً وَمَغْـرِبـاً	عَسَـاكَ تَرَى آثَـارَ كِسْـرَى وَقَيْصَـرِ[2]

وَقَالَ :

أَلَائِـمَتِي كُـفِّي الْـمَـلَامَ عَـنِ الَّـذِي	أُحَـاوِلُـهُ مِـنْ رِحْـلَةٍ وَسِـفَـارِ[1]
فَلَوْلَا سُـرَى الْبَـدْرِ الْـمُنِيـرِ لَعَـاقَـهُ	عَـنِ التِّـمِّ لُبْـثٌ في مَـغِيـبِ سِـرَارِ[2]

---

(١) المزنة: السحابة.

(١) البال: الحال والشأن. ونمتري: نشكّ ونرتاب.

(٢) ترسّم: تأمّل وانظر. وكسرى: لقب ملك الفرس، معرّب خسرو أي واسع الملك. وقيصر: لقب ملك الروم.

(١) أحاوله: أريده وأعالجه، من المحاولة، وهي طلب الشيء بالحيلة.

(٢) عاقه: منعه وحبسه وصرفه، والتِّمّ: مصدر تمّ الشيء يتمّ تمّاً وتماماً، وتمام القمر: أن يمتلىء ويتمّ ويصير بدراً. والسرار: آخر ليلة من الشهر القمري حين يستسرّ القمر، أي يستتر ويختفي.

قافية الزاي

قَالَ يُقَرِّظُ(★) دِيوانَ « حافظ بك إبراهيم »(★★) :

هَيْهَــاتَ لَيْسَ لِحَـافِظٍ مِنْ مُشْبِـهٍ في الْقَـوْلِ غَيْرُ سَمِيِّـهِ الشِّيـرَازِي(١)

جَـارَاهُ في حُسْـنِ الْبَيَـانِ وَفَـاتَـهُ في الْمَنْـطِقِ الْعَـرَبِيِّ بِـالإِعْجَـازِ(٢)

لَبِقٌ بِتَصْـرِيفِ الْكَـلامِ يَسُـوقُـهُ مَـا شَـاءَ بَيْنَ سُهُـولَـةٍ وعَـزَازِ(٣)

فَـإِذَا تَـغَـزَّلَ فَـالنُّـفُـوسُ نَـوَازِعٌ وَإِذَا تَـحَمَّسَ فَـالْقُلُوبُ نَـوَازِي(٤)

(★) يقرّظه : يمدحه، ويثني عليه .

(★★) حافظ بك ابراهيم الشاعر المصري المشهور، كان مستخدماً بوزارة الحربية، ثم وزارة الداخلية، ثم رئيساً للقسم الأدبي بدار الكتب المصرية، توفي في يوليه سنة ١٩٣٢ م وتولّت وزارة المعارف طبع ديوانه سنة ١٩٣٧ بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة.

وقـد جمع «حـافظ» في حيـاتـه بعض شعـره، ونشـره في ثـلاثـة أجـزاء: الأول سنـة ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) والـثـاني فـي سـنـة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) والـثـالـث سـنـة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م).

(١) سميّه: نظيره، ومن اسمه كاسمه. والشيـرازيّ: هو شمس الـدين محمد، الشهيـر بحافظ الشيرازيّ، المتوفى سنة ٧٩٢ هـ، وله ديوان شعر باللغة الفارسية، يعـرف بديـوان حافظ، متداول مشهور ببلاد الفرس.

(٢) جاراه: جرى معه، وشاكله وشابهه.

(٣) لبق: رفيق حاذق. وتصريف الكلام: تنويعه وتقليبه وتوجيهه. والعزاز: ما صلب من الأرض واشتدّ.

(٤) نوازع: مشتاقة متصابية. وتحمّس: اشتدّ وصلب في قوله، وحضّ على الحماسة والشجاعة. ونواز: متوثبة متحمسة طامحة.

كَـالـصَّـارِمِ الْبَـتَّـارِ فِي إفْـرِنْـدِهِ وِصِقَـالِـهِ وَالْمَـارِنِ الْهَـزْهَـازِ(٥)

حَـاكَ الْقَـرِيضَ بِلَهْجَـةٍ عَـرَبِيَّـةٍ أَغْنَتْ عَنِ الإِسْهَـابِ بِـالإِيْجَـازِ(٦)

أَلْفَـاظُهَـا نَمَّتْ عَـلَى مَـا تَحْتَهَـا وَصُـدُورُهَـا دَلَّتْ عَلَى الأَعْجَـازِ(٧)

فَـإِذَا تَـلاَهَـا قَـارِئٌ لَـمْ يَشْـتَبِـهْ فِي الْقَـوْلِ بَـيْنَ حَـقِيقَـةٍ وَمَجَـازِ

عَبِقَتْ كَـأَنْفَـاسِ النَّسِيمِ تَـعَلَّقَتْ بِالرَّوْضِ غِبَّ الْعَـارِضِ الْمُجْتَازِ(٨)

قَـدْ كَـانَ جِيـدُ الْقَـوْلِ عُـطْلاً قَبْلَهُ فَـحَبَـاهُ أَحْـسَنَ حِـلْيَـةٍ وَطِـرَازِ(٩)

مَلَكَتْ مَـوَدَّتُـهُ الْقُلُوبَ فَـأَصْبَحَتْ تَلْقَـاهُ بِـالتَّـوْقِيـرِ وَالإِعْـزَازِ(١٠)

لاَ زَالَ يَـبْـلُغُ شَـأْوَ كُـلِّ فَـضِيـلَةٍ بِمَضَـاءِ صَمْصَـامٍ وَصَوْلَـةِ بَـازِ(١١)

---

(٥) الصارم والبتّار: السيف القاطع. وإفرند السيف: جوهره ووشيه وماؤه ورونقه. وصقاله: جلاؤه. والمارن: من صفات الرمح، يقال: رمح مارن، إذا كان مع صلابته لدناً أي ليّناً. والهزهاز: المهتز.

(٦) حاك القريض: نسج الشعر، ولاءم بين أجزائه، وأجاد صياغته وتأليفه، والإسهاب: مصدر أسهب المتكلّم، أي أكثر الكلام وأطاله. والإيجاز: إقلال الكلام في بلاغة ووفاء بالغرض.

(٧) صدورها: أوائلها، جمع صدر. وأعجازها: أواخرها، جمع عجز.

(٨) عبقت: لصقت وبقيت، من قولهم: عبق به الطيب أي لزق، والمراد: بقيت في نفس القارىء آثارها الطيّبة. والروض: الحدائق والغياض وما شابهها، ومنابت الشجر والزهر، الواحدة روضة. وغبّ: بعد. والمراد بالعارض المجتاز: السحاب الذي مرّ بسماء هذه الرياض فأمطرها وجادها، وكساها ثياب الغضارة والنضارة.

(٩) الجيد: العنق. وعطل: خال من الحلى والزينة. وحباه: أعطاه ومنحه. والحلية: ما تتزيّن به المرأة من مصوغ المعدنيّات والحجارة الكريمة، والحلية أيضاً: الزينة. والطراز: علم الثوب، وما يكون فيه من وشي وزينة، وطرّزت الثوب تطريزاً: جعلت له طرازاً.

(١٠) التوقير: الإجلال والإكبار والتعظيم. والإعزاز: الإكرام.

(١١) الشأو: الأمد والغاية. وسيف صمصام: صارم قاطع لا ينثني ولا ينبو. والصولة: الوثوب والسطوة. والبازي والباز: ضرب من الصقور، يضرب المثل بقوّته وإبعاده في الطيران.

قافية السين

قَالَ يَصِفُ رَوْضَةَ الْمِقْيَاسِ ★ :

هَـلْ فِي الْخَلَاعَـةِ وَالصِّبَا مِنْ بَـاسِ ... بَيْنَ الْخَلِيجِ وَرَوضَةِ الْمِقْيَـاسِ ؟(١)

أَرْضٌ كَسَـاهَـا النِّيـلُ مِنْ إِبْـدَاعِـهِ ... وَلِبَـاسِـهِ الْمَـوْشِيِّ أَيَّ لِبَـاسِ (٢)

فَكَـأَنَّمَـا هَـوَتِ الْمَجَـرَّةُ بَيْنَهَـا ... فَتَشَكَّلَتْ فِـي جُمْـلَةِ الأَغْـرَاسِ (٣)

يَـتَـلَهَّـبُ الـنُّـوَّارُ فِـي أَطْـرَافِـهَـا ... فَتَخَـالُـهُ قَبَسـاً مِـنَ الأَقْبَـاسِ (٤)

لَـوْلَا مِسَـاسُ الـطَّلِّ أَحْـرَقَ ضَـوْؤُهُ ... ذَيْـلَ الْخَمَـائِـلِ رَطْبِهَـا وَالْعَـاسِي (٥)

(★) روضة المقياس: جزيرة جميلة طيّبة الهواء في نهر النيل، شرقيّ الجيزة وغربيّ مصر القديمة، وفي جنوبيّ هذه الجزيرة مقياس تقاس به مياه النيل إبّان فيضانه وانخفاضه.

(١) الخلاعة: الانهماك في أسباب اللهو ودواعيه، كأنّ صاحبها خلع عذاره، وأعطى نفسه هواها. وبأس: خوف وحرج. والخليج: جدول كان يتفرّع من النيل بالقرب من مصر القديمة وروضة المقياس.

(٢) الإبـداع: مصدر أبـدع المبدع، أي أتى بـأمر لم يسبقـه أحد إليـه. والموشّى: المنقـوش المزخرف، المختلف الألوان، البهيج المنظر.

(٣) المجرّة: نجوم كثيرة تبدو في السماء دقيقة متقاربة مختلطة الضـوء كالبيـاض المعترض في السماء. وتشكّلت: تصوّرت، أي المجرّة. والأغراس: جمع غرس، وهو الشجر المغروس.

(٤) يتلهّب: يتّقد. والنوّار: الزهر، واحدته نوارة. وتخالـه: تظنّـه. والقبس: الشعلة من النار، والجمع أقباس.

(٥) الطلّ: المطر الضعيف القليل، والمراد قطرات الندى التي تكون على أوراق الزهر في الصباح. والخمائل: جمع خميلة، وهي الشجر الكثير المجتمع الملتف. والعاسي: اليابس الجافّ.

تَصْبُـو الْعُيُونُ إِلَى سَنَـاهُ فَتَـرْتَمِي مَهْوَى الْفَرَاشَةِ لاَمِعُ النِّبْرَاسِ !؟(٦)

لَـوْ شَـامَ بَهْجَتَهَـا وحُسْنَ رُوَائِهَـا فِيمَـا أَظُنُّ لَحَـارَ عَقْـلُ إِيَـاسِ(٧)

مَلْهَى أخِي طَـرَبٍ وَمَلْعَبُ صَبْـوَةٍ وَثَـرَى بُـلَهْنِيَـةٍ وَدَارُ أُنَـاسِ(٨)

مَـا كُنْتُ فِي عُمْـرِي لأَغْـدُوَ نَحْـوَهَـا حَتَّى أَبِيتَ بِهَـا صَرِيـعَ الْكَـاسِ(٩)

يَـا سَـاقِيَيَّ تَـنَـبَّـهَـا فَـلَقَـدْ بَـدَا فَلَقُ الصَّبَاحِ وَلاَتَ حِينَ نُعَاسِ(١٠)

طُـوفَـا عَلَيَّ بِهَـا فَقَـدْ نَمَّ الصَّبَـا أَثْنَـاءَ رَوْحَتِـهِ بِسِـرِّ الآسِ(١١)

مِنْ خَمْـرَةٍ أَفْنَى الـزَّمَـانُ شَبَابَهَـا فِي مُخْدَعٍ بِقَـرَارَةِ الـدِّيمَاسِ(١٢)

حُبِسَـتْ عَنِ الأَبْصَـارِ حَتَّـى أَنَّهَـا لَمْ تَـدْرِ غَيْـرَ الـدَّيْرِ وَالشَّمَّـاسِ(١٣)

---

(٦) تصبو: تميل. وسناه: ضوؤه، أي ضوء النوّار. ومهوى: اسم مكان بمعنى مسقط، من هوى يهوي. والنبراس: المصباح والسراج.

(٧) شامها: نظر إليها، وتطلّع نحوها ببصره. والبهجة: الحسن والنضارة وجمال اللون. والرواء: المنظر الحسن. وإياس بن معاوية بن قرّة المزنيّ، المضروب به المثل في الألمعيّة والفطنة والذكاء وصدق الفراسة، ولي قضاء البصرة لعمر بن عبد العزيز، وتوفي سنة ١٢٢ هـ.

(٨) ملهى: مكان لهو ولعب. والثرى: الأرض. والبلهنية: الرخاء وسعة العيش.

(٩) أغدو: أسير وأذهب، من الغدوّ، وهو سير أول النهار. وصريع: مصروع، من صرعه، أي طرحه على الأرض.

(١٠) تنبها: استيقظا. وفلق الصباح: ضوؤه. ولات حين نعاس: أي ليس الوقت وقت نوم.

(١١) نمّ بسرّه: أظهره وأفشاه. والصبا: ريح تهبّ من مطلع الشمس، وهي مؤنثة. وأثناء روحتها: في أثناء حركتها وهبوبها. والروحة: اسم مرة من الرواح، وهو الرجوع آخر النهار، وضدّه الغدوّ. والآس: ضرب من الرياحين، أو هو شجر ورقه عطر، وخضرته دائمة أبداً، ويسمو حتى يكون شجراً عظاماً. والمراد بسرّ الآس: طيبه ورائحته الذكية.

(١٢) معنى أفنى الزمان شبابها: أنها قديمة معتّقة جيدة. والمخدع: الخزانة، وبيت صغير يحرز فيه الشيء. والقرارة: ما قرّ فيه الشيء، أي ثبت وسكن، والمطمئنّ من الأرض. والديماس: السرب، والكنّ، والسجن.

(١٣) الدير: خان النصارى، وصومعة الراهب. والشمّاس: من رؤوس النصارى، وهو الذي يحلق وسط رأسه، ويلزم البيعة، وهي متعبّدهم، وجمعه شمامسة.

يَنْـزُو لِـوَقْـعِ الْمَـاءِ دُرُّ حَبَـابِهَـا نَزْوَ الْمَعَابِلِ طِرْنَ عَنْ أَقْـواسِ (١٤)

فَـإِذَا تَعَـاوَرَهَـا الْمِـزَاجُ تَـوَجَّسَتْ حَـذَرَ الْمَهَـانَـةِ أَيَّمَـا إِيجَـاسِ (١٥)

تُشْتَفُّ مِنْ تَحْتِ الْحَبَـابِ كَـأَنَّـهَـا يَـاقُـوتَـةٌ قَـدْ رُصِّعَتْ بِـالْمَـاسِ (١٦)

مَـا حُـلَّ بَيْنَ الْقَـوْمِ عَقْـدُ وِكَـائِهَـا لِـلشُّـرْبِ إِلَّا آذَنَتْ بِـعُـطَـاسِ (١٧)

لَا يَخْـدَعَنَّـكَ فِي الْمُـدَامَـةِ جَـاهِـلٌ إِنَّ الْمُـدَامَـةَ نُهْـزَةُ الْأَكْيَـاسِ (١٨)

إِنَّ الْمُـدَامَ أَسَـاسُ كُـلِّ طَـرِيفَـةٍ فَـاجْعَلْ بِنَـاءَ اللَّهْوِ فَـوْقَ أَسَاسِ (١٩)

لَا تَجْمَـعُ الْأَيَّـامُ كَـيْفَ تَـصَـرَّفَتْ فِي الْقَلْبِ بَيْنَ الْخَمْرِ وَالْوَسْوَاسِ (٢٠)

فَـاسْتَـوْثِقَـا أَخَـوَيَّ مِنْ شَـأْنَيْكُمَـا وَذَرَا الْمَطِيَّ تَمُورُ بِـالْأَحْـلَاسِ (٢١)

---

(١٤) ينزو: يثب، والمراد يطفو. والحباب: النفّاخات والفقاقيع التي تطفو على سطح الماء والشراب كأنها القوارير، وتسمى اليعاليل. ودرّ حبابها: أي حبابها الشبيه بالدرّ، وهو اللآلىء. والمعابل: جمع معبلة، وهي نصل السهم يكون عريضاً طويلاً. والمراد بالمعابل: السهام.

(١٥) تعاورها: تداولها. ومزاج الشراب: ما يمزج به. والتوجّس والإيجاس: الإحساس بالفزع والخوف، والتسمّع إلى الصوت الخفيّ من الفزع. والمهانة: الحقارة والذلّة.

(١٦) تشتفّ: تشرب. والياقوتة: واحدة الياقوت، وهو جوهر كريم معروف، وأجوده الأحمر الرمّاني. ورصّعت: زيّنت وحلّيت.

(١٧) العقد: مصدر عقدت الحبل ونحوه أي شددته وربطته. والوكاء: رباط القربة ونحوها، وكلّ سير أو خيط يشدّ به فم السقاء والوعاء، وكلّ ما شُدّ رأسه من وعاء ونحوه وكاء. وآذنت: أعلمت. والعطاس: الصبح.

(١٨) المدامة: الخمر. والنهزة: الفرصة. والأكياس: جمع كيس، وهو الظريف العاقل كالكيّس.

(١٩) طريفة: صفة من طرف الشيء، طرافة، إذا كان مستحدثاً معجباً مستملحاً، تميل إليه النفس.

(٢٠) كيف تصرّفت: كيف تقلّبت وتغيّرت. والوسواس: حديث النفس بما لا نفع فيه، والمراد الهمّ والبلبال.

(٢١) الشأن: الأمر والحال. واستوثق من شأنك. خذ فيه بالثقة، والمراد: فكّرا في حاليكما، وخذا بما ينفعكما. وذرا: اتركا. والمطيّ: جمع مطيّة، وهي الركوبة من الإبل وغيرها، وأصلها الناقة التي يركب مطاها، أي ظهرها. وتمور: تتحرّك وتضطرب. والأحلاس: جمع حلس وهو كساء يوضع على ظهر الدابّة تحت الرحل والسرج والبرذعة ونحوها.

إِنَّ الْفَـلَاةَ لَـهَـا رِجَـالٌ غَـيْـرُنَـا	يَبْغُـونَ نَيْـلَ الْيُسْـرِ بِـالإِفْـلَاسِ (٢٢)
إِنَّ الْغِنى وَالْفَقْـرَ فِي هَـذَا الْـوَرَى	لَـمُـقَـدَّرٌ وَاللهُ ذُو قِـسْـطَاسِ (٢٣)
فَعَـلَامَ يُبْلِي الْمَـرْءُ جِـدَّةَ عُـمْـرِهِ	مُتَقَلِّبـاً بَيْنَ الـرَّجَـا وَالْيَـاسِ ؟(٢٤)
أَوَ لَـيْسَ أَنَّ الْـعَيْشَ لُبْسُ عَـبَـاءَةٍ	وَسِـدَادُ مَسْغَبَةٍ وَنَغْبَـةُ حَـاسِي ؟(٢٥)
تَـاللهِ لَـوْ عَلِمَ الـرِّجَـالُ بِمَكْـرِهَـا	عِلْمِي لَبَـاعُـوهَـا بِغَيْـرِ مِكَـاسِ (٢٦)
هِيَ سَـاعَـةٌ تَمْضِي وَتَـأْتِي سَـاعَـةٌ	والـدَّهْـرُ ذُو غِيَـرٍ بِهَـذَا النَّـاسِ (٢٧)
فَخُـذَا مِنَ الأَيَّـامِ مَـا سَمَحَتْ بِـهِ	لِلنَّفْسِ قَبْـلَ تَعَـذُّرٍ وَشِمَـاسِ (٢٨)
وَإِذَا أَرَابَكُمَـا الـزَّمَـانُ بِـوَحْشَـةٍ	فَـاسْتَمْخِضَاهُ الْيُسْـرَ بِـالإِينَـاسِ (٢٩)
إِنَّ الـرَّوَائِـمَ لَا تَـدُرُّ لَـبُـونُـهَـا	إِلَّا بِلِينِ الْمَسْـحِ وَالإِبْسَـاسِ (٣٠)

---

(٢٢) الفلاة: الصحراء. واليسر: الغنى والسعة. وبالإفلاس: بسبب إفلاسهم وذهاب أموالهم.

(٢٣) الورى: الخلق. وذو قسطاس: عادل حكيم.

(٢٤) يبلي: يُخْلِق. والجدّة: مصدر جدّ الشيء يجدّ جدّة فهو جديد، وهو خلاف القديم البالي.

(٢٥) السداد: ما تسدّ به الخلّة والحاجة، من قولهم: سداد من عوز. والمسغبة: الجوع، أو الجوع مع التعب. والنغبة: الجرعة، من قولهم: نغب الطائر، أي حسا من الماء، ونغب الانسان في الشرب، إذا جرع الشراب وابتلعه. والحاسي: اسم فاعل من حسوت المرق ونحوه أي شربته شيئاً بعد شيء.

(٢٦) بمكرها: أي بمكر الدنيا وخداعها وسوء منقلبها. والمكاس: مصدر ماكسه في البيع مماكسة ومكاساً، أي شاحّه وجادله بنقص الثمن.

(٢٧) غير الدهر: أحداثه ونوازله وأحواله المتغيّرة.

(٢٨) شماس: صعوبة، وأصله مصدر شمست الدابة، أي شردت وجمحت، ومنعت ظهرها.

(٢٩) أرابكما: ساءكما، وأزعجكما، وأراكما ما تكرهان. والوحشة: الهمّ، وهي خلاف الأنس والطمأنينة. واستمخضاه اليسر: اطلبا إليه اليسر، واستخرجاه منه. والإيناس: مصدر آنسه، أي أدخل عليه الأنس والطمأنينة.

(٣٠) الروائم: النوق والدوابّ التي ترأم أولادها وتحبّها وتألفها وتعطف عليها، الواحدة رائم أو رائمة. وتدرّ: مضارع أدرّت الناقة ونحوها، أي درّ لبنها وكثر. واللّبون من الشاء والإبل: ذات اللبن. والإبساس: التلطّف والرفق في حلبها.



فَلَرُبَّ صَعْبٍ عَـادَ سَهْـلاً بَعْـدَمَـا ... قُـطِعَتْ عَلَيـهِ مَـرَائِـرُ الأَنْفَـاسِ (٣١)

مَـا كُـلُّ مَـا طَلَبَ الْفَتَى هُـوَ مُـدْرَكٌ ... إِنَّ الأُمُـورَ بِحِكْـمَـةٍ وَقِيَـاسِ (٣٢)

وَقَالَ :

وَذِي نَخْـوَةٍ نَـازَعْتُـهُ الْكَـأْسَ مَـوْهِناً ... عَلَى غِـرَّةِ الأَحْـرَاسِ والَّلَيْـلُ دَامِسُ (١)

فَـمَـا زِلْـتُ أَسْـقِيـهِ وَأَشْـرَبُ مِـثْـلَهُ ... إِلَى أَنْ هَفَـا سُكْـراً وَإِنِّي لَجَـالِسُ (٢)

فَبِتُّ أَقِيـهِ السُّـوءَ إِذْ كَـانَ صَاحِبي ... وَأَحْـرُسُـهُ إِنِّي لَـدَى الْخَوْفِ حَـارِسُ

لَـدَى مَـوْطِنٍ لاَ يَصْحَبُ الْمَـرْءَ قَلْبُـهُ ... حِـذَاراً وَلاَ تَسْـرِي إِلَيْـهِ الْهَـوَاجِسُ (٣)

عَـدُوٌّ وَلَـيْـلٌ مُـظْلِمٌ وَصَـوَاهِـلٌ ... تَجَـاذَبُ فِي أَرْسَـانِـهَـا وَتَمَـارَسُ (٤)

فَلَمَّـا اسْتَهَـلَّ النُّـورُ وَانْحَسَـرَ الـدُّجَى ... قَلِيـلاً وَحَنَّـتْ لِلصَّبَـاحِ النَّـوَاقِسُ (٥)

دَنَـوْتُ أُفَـدِّيـهِ وَأَغْـمِـزُ كَـفَّـهُ ... بِـرِفْقٍ وَأَدْعُـو بِـاسْمِـهِ وَهْـوَ نَـاعِسُ (٦)

---

(٣١) المرائر: جمع مرارة، وهي كيس لازق بالكبد يتأثر بالتعب والإجهاد.

(٣٢) الحكمة: العدل والعلم والحلم. والقياس: مصدر قاس الإنسان الشيء بغيره أو عليه، إذا قدّره على مثاله.

(١) النخوة: الكبر والفخر والعظمة. ونازعته: عاطيته وناولته. والموهن: نحو من نصف الليل، أو هو بعد ساعة منه، أو هو حين يدبر الليل. وعلى غرّة: على غفلة. والأحراس: جمع حارس. ودامس: شديد الظلمة.

(٢) هفا سكراً: تمايل واهتزّ من السكر.

(٣) الموطن: المشهد من مشاهد الحرب والقتال. والهواجس: الخواطر، وما يدور في النفس من الأحاديث والأفكار.

(٤) صواهل: أي خيل صواهل. وأرسانها: أعنّتها وأزمّتها، جمع رسن وهو الحبل، وما كان من الزمام على أنف الدابّة. وتمارس: أصلها تتمارس، وهي بمعنى تتجاذب وتتضارب.

(٥) استهلّ: ظهر، أو أبصر. وانحسر: انكشف. والدجى: جمع دجية، وهي الظلمة وسواد الليل. وحنّت: صوّتت وصلصلت. والنواقس: جمع ناقوس، وهو الذي يضرب به النصارى لأوقات الصلوات.

(٦) فدّاه يفدّيه تفدية: قال له: جعلت فداك.

فَجَاوَبَنِي والسُّكْرُ فِي لَحَظَاتِهِ ... يُسَائِلُ مَاذَا تَبْتَغِي وَهْوَ عَابِسُ[٧]
فَقُلْتُ أَفِقْ هَذَا هُوَ الصُّبْحُ مُقْبِلٌ ... عَلَيْنَا وَهَذِي فِي الذَّهَابِ الْحَنَادِسُ[٨]
وَنَاوَلْتُهُ كَأْساً فَمَدَّ بَنَانَهُ ... إِلَيْهَا عَلَى كُرْهٍ بِهِ وَهْوَ آيِسُ[٩]
فَمَا ذَاقَهَا حَتَّى تَهَلَّلَ ضَاحِكاً ... وَأَقْبَلَ مَسْرُوراً بِمَا هُوَ آنِسُ[١٠]
وَمِنْ شِيَمِي بَذْلُ الْوِدَادِ لأَهْلِهِ ... كَذَلِكَ إِنِّي فِي الْوِدَادِ أُنَافِسُ[١١]

وَقَالَ:

خَلِّ الْمِرَاءَ لِفِتْيَةِ الدَّرْسِ ... وَاعْكُفْ عَلَى صَفْرَاءَ كَالْوَرْسِ[١]
نُورٌ تَوَقَّدَ بَيْنَ آنِيَةٍ ... كَبَيَاضِ صُبْحٍ شَفَّ عَنْ شَمْسِ[٢]
هِيَ جَوْهَرٌ كَالنَّفْسِ مَا بَرِحَتْ ... تُهْدِي السُّرُورَ لِكُلِّ ذِي نَفْسِ
قَدْ شَاكَلَتْهَا فَهْيَ تَأْلَفُهَا ... والْجِنْسُ يَأْلَفُ صُحْبَةَ الْجِنْسِ[٣]
رَقَّت وَدَقَّتْ فِي قَرَارَتِهَا ... فَسَمَتْ عَنِ الإِدْرَاكِ بِالْحِسِّ[٤]
يَسْقِيكَهَا خَنِثُ شَمَائِلُهُ ... تَدْعُو إِلَى التَّقْبِيلِ واللَّمْسِ[٥]

---

(٧) لحظاته: نظراته. وعابس: جهم كالح، قد قطب وجهه من الغضب ونحوه.
(٨) الحنادس: جمع حندس وهو الظلمة.
(٩) بنانه: أصابعه، الواحدة بنانة. وآيس: يائس قانط.
(١٠) تهلّل: تلألأ، والمراد انبسطت أسارير وجهه واستبشر. وآنس: مطمئن.
(١١) الشيم: جمع شيمة، وهي الخلق والغريزة والطبيعة.
(١) المراء: المجادلة. وأعكف: أقبل وواظب. والورس: نبت أصفر يزرع باليمن ويصبغ به، وهو يشبه الكركم، وقيل: هو صنف منه. والمراد بالصفراء الشبيهة بالورس: الخمر.
(٢) شفّ عن الشيء: أبداه وأظهره.
(٣) شاكلتها: شابهتها، أي النفس.
(٤) دقّت: خفيت. وقرارتها: مستقرّها، والمراد آنيتها وأوعيتها.
(٥) خنث: ساق فيه انخناث، أي تكسّر وتثنّ. وشمائله: طبائعه وأخلاقه، جمع شِمال.

فَـاهْنَـأْ بِعَيْشٍ لَيْسَ يُـوْجَـدُ فِي ... غَيْـرِ الكَرى أَوْ عَـالَمِ الْحَـدْسِ (٦)

وَقَالَ :

يَـا رُبَّ لَيْـلٍ بِتُّ أُسْقَى بِـهِ ... مَشْمُـولَـةً صَفْـرَاءَ كَـالْـوَرْسِ (١)

كَـأَنَّهَـا في كَـأْسِهَـا شُـعْـلَةٌ ... مَقْبُـوسَـةٌ مِنْ كَـوْكَبِ الشَّمْسِ (٢)

وَقَالَ :

أَحِمَى الْجَزِيـرَةِ مَـطْلَعُ الشَّمْسِ ... أَمْ لَاحَ ضَـوْءُ غَـزَالَـةِ الإِنْسِ ؟(١)

خَـرَجَتْ إِلَى الْبُسْتَـانِ لَاهِيَـةً ... تَخْتَـالُ بَيْنَ كَـوَاعِـبٍ خَمْسِ (٢)

فَتَبِعْتُ مَسْـرَاهَـا عَلَى عَـجَـلٍ ... حَتَّى ظَفِـرْتُ بِنَـظْرَةٍ خَـلْسِ (٣)

فَسَتَـرْنَـهَـا عَنِّي وَسِـرْنَ بِهَـا ... في رَوْضَـةٍ فَيْنَـانَـةِ الْغَـرْسِ (٤)

فَـوَقَـفْتُ مَـطْوِيّـاً عَـلَى كَـمَـدٍ ... وَمَضَتْ عَلَى آثَـارِهَـا نَفْسِي (٥)

تِـلْكَ الَّـتِي لَـوْلَا هَـوَايَ بِـهَـا ... مَـا بِتُّ مِنْ أَمَـلٍ عَـلَى يَـأْسِ

هَيْهَـاتَ أَنْسَى حُسْنَ صُـورَتِهَـا ... وَحَـوَادِثُ الأَيَّـامِ قَـدْ تُـنْسِـي

---

(٦) الكرى: النعاس والنوم. والحدس: الظنّ والتخمين.

(١) مشمولة: خمر باردة، وذلك إذا عرّضت لريح الشمال فبردت. والورس: نبت أصفر.

(٢) مقبوسة: مأخوذة.

(١) الحمى: المكان المحميّ الذي لا يقرب، ولا يجترأ عليه، وحمى الجزيرة: أرضها، ولعلّه يريد جزيرة روضة المقياس بنهر النيل، غربيّ مصر القديمة. والغزالة: الظبية تشبّه بها الحسناء في جمال العينين والجيد، ولطف الحركة والتثني. وغزالة الإنس: أي التي تشبه الغزالة وهي من الإنس.

(٢) تختال: تزهى وتعجب. وكواعب: جمع كاعب، وهي الجارية التي كعب ثديها أي نهد وظهر.

(٣) خلس: مصدر خلست الشيء، إذا اختطفته بسرعة على غفلة.

(٤) الروضة: أرض ذات خضرة، أو البستان، أو الموضع يجتمع إليه الماء، ويكثر فيه النبت. وفينانة: طويلة حسنة كثيرة الأفنان والغصون. والغرس: الشجر الذي يغرس.

(٥) كمد: حزن شديد. ومضت على آثارها: ذهبت في إثرها، وتبعتها.

وقَالَ★ :

نَـزَعْتُ عَنِ الصِّبَـا وَعَصَيْتُ نَفْسِي وَدَافَعْتُ الْـغَـوَايَـةَ بِـالـتَّـأَسِّـي(١)

وَقُلْتُ لِصَبْـوَتِي وَالْـعَيْـنُ غَـرْقَى بِـأَدْمُعِهَـا رُوَيْـدَكِ لاَ تَـمَسِّـي(٢)

فَـقَـدْ وَلَّـى الـصِّـبَـا إِلاَّ قَـلِيـلاً أُنَـازِعُ سُؤْرَهُ بِفُضُـولِ كَـأْسِي(٣)

وَمَنْ يَـكُ جَـاوَزَ الْعِشْـرِينَ تَتْـرَى وأَرْدَفَـهَـا بِـأَرْبَـعَـةٍ وَخَـمْسِ(٤)

فَـقَـدْ سَفَـرَتْ لِـعَيْـنَيْـهِ الـلَّيَـالِي وَبَـانَ لَـهُ الْهُـدَى مِنْ بَعْدِ لَبْسِ(٥)

نَـظَرْتُ إِلَى الْمِـرَاةِ فَكَشَّفَتْ لِـي قِنَـاعَـاً لاَحَ فِيـهِ قَـتِيـرُ رَأْسِي(٦)

وَكُـنْـتُ وَكَـانَ فَـيْـنَـانـاً أَثِـيـثـاً أُنَـازِعُ شِـرَّتِـي وأَذُودُ بَـأْسِـي(٧)

فَـعُـدْتُ وَقَـدْ ذَوَى مِنْ بَـعْـدِ لِيـنٍ أُدَارِي صَبْـوَتِي وَأُسِـرُّ يَـأْسِـي(٨)

(★) نظم البارودي هذه السينية سنة ١٨٦٨ وهو في التاسعة والعشرين، بعد أن تزوج «عديلة يكن» بنحو سنة. وفي هذه القصيدة أن يومه وأمسه، أي حاضره وماضيه متباينان مختلفان، وأن سنة ١٨٦٨ فصلت بين طورين مختلفين متناقضين من أطوار حياته: طور اللهو والغواية، وطور الجدّ والهداية.

(١) نزعت عن الشيء: أقلعت عنه وتركته. والغواية: الجهل والضلال. والتأسّي: التعزّي والتسلّي والتصبّر، أو هو مصدر تأسّيت بفلان، أي اقتديت به، واتّبعت فعله.

(٢) رويدك: أمهلي وتأنّي وارفقي. ولا تمسّي: لا تقربي.

(٣) ولّى: أدبر وذهب. والصبا: الصغر، والمراد الفتاء والشباب. وأنازع: أجاذب. وسؤر الصبا: بقيّته.

(٤) تترى: متواترة. وأردفها: أتبعها.

(٥) سفرت: اتضحت وظهرت. ولبس: غموض وإبهام واختلاط.

(٦) القناع: ما يقنّع به الرأس، أي يغطّى، والمراد الشعر. والقتير: أول ما يظهر من الشيب.

(٧) شعر فينان: كثير، له أفنان كأفنان الشجر، أي أغصانه. وأثيث: كثير طويل. والشرّة: النشاط وقوة الشباب. وأذود: أدفع. والبأس: الشدّة والقوّة والإقدام.

(٨) ذوى: ذبل وضعف. ويريد باللين: النضارة والغضاضة. ويريد بالصبوة: الولوع بالشباب، والحسرة على فواته، والحنين إلى مرحه ودواعيه.



فَمَــا أُمْسِي كَيَــومِي حِيـنَ أَغْـدُو　　عَـلَى كِبَـرٍ وَمَـا يَـوْمِي كَـأَمْسِي
وَمَــا الأَيَّــامُ إِلاَّ صــائِبَــاتٌ　　تَـمُـرُّ بِكُـلِّ سَـابِغَــةٍ وَتُـرْسِ (٩)
أَبَــادَتْ قَـبْـلَنَــا إِرَمــاً وَعَــاداً　　وَطَــارَتْ بَـيْنَ ذُبْيَــانٍ وَعَـبْسِ (١٠)
وَأَلْــوَتْ بِــالْـمُضَـلَّلِ وَاسْتَـمَــالَتْ　　عِمَــادَ الشَّنْفَـرَى وَهَــوَتْ بِقُسٍّ (١١)
فَـلاَ « جَـمشِيــدُ » دَافَــعَ إِذْ أَتَتْــهُ　　بِـحَــادِثِهــا وَلاَ رَبُّ الــدِّرَفْسِ (١٢)
عَـلَى هَــذَا يَـسِيــرُ الـنَّــاسُ طُــرّاً　　وَيَبْقَـى اللهُ خَــالِقُ كُـلِّ نَـفْسِ (١٣)

وَقَالَ في تَهْنِئَةِ الخديوي « عباس باشا حلمي الثاني »(★) بِعِيد الفِطْرِ :

أَمَــوْلاَيَ دُمْ لِلْمُلْكِ رَبّــاً تَسُــوسُــهُ　　بِحِكْمَةِ مَطْبُوعٍ عَلَى الْحِلْمِ وَالْبَاسِ (١)

---

(٩) السابغة: الدرع الواسعة. والترس: المجنّ ونحوه، مما يتستّر به المقاتل، لاتّقاء النبال وغيرها.

(١٠) أبادت: أهلكت، أي الأيام. وإرم: قبيلة عاد الأولى، وهي من القبائل العربية البائدة. وعاد: من سلالة إرم السابقة، وتسمّى عاداً الآخرة تسمية لها باسم جدّها عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وقصّتها مذكورة في القرآن الكريم. وطارت بينهم: فرّقتهم وأهلكتهم. وعبس وذبيان: قبيلتان عظيمتان من العرب المستعربة، وهما أختان من سلالة قبيلة غطفان، وكانت بينهما في الجاهلية حروب طويلة مشهورة

(١١) ألوت به الأيام: أهلكته. والمضلّل: امرؤ القيس الكنديّ، أشهر شعراء الجاهلية. واستمالت عماده: كناية عن إبادته وإهلاكه. والشنفرى: شاعر جاهليّ قحطانيّ من الأزد، وكان فاتكاً شجاعاً عدّاء. وقسّ بن ساعدة الإياديّ: خطيب العرب وحكيمها في الجاهلية.

(١٢) جمشيد: لقب ملك عظيم من ملوك الفرس الأقدمين، قيل إنه أول من علّم الناس اتّخاذ الأسلحة، وكانوا يحاربون قبلها بالحجارة والعصيّ، وأوّل من كشف صناعة النسج، واستخرج اللآلىء من البحر، والمعادن من بطن الأرض. والدرفس: العلم الفارسيّ الكبير. ولعلّ الشاعر يعني بربّ الدرفس: كسرى أنوشروان.

(١٣) طرّاً: جميعاً.

(★) عباس باشا حلمي الثاني ابن الخديوي توفيق باشا ابن الخديوي إسماعيل باشا، ولي مصر بعد وفاة أبيه في ٨ من جمادى الآخرة سنة ١٣٠٩ هـ (٨ من يناير سنة ١٨٩٢ م)، ثم خلع سنة ١٩١٤ عقب نشوب الحرب العظمى.

(١) الربّ: المالك. وتسوسه: تقوم بما يصلحه، وترعاه وتدبّر أموره. ومطبوع: مفطور مخلوق. والحلم: الأناة والعقل. والبأس: الشدّة والشجاعة.



وَلَا زَالَتِ الأَعْيَادُ تَجْرِي سُعُودُهَا عَلَيْكَ وَتَحْظَى مِنْ عُلَاكَ بِإِينَاسِ [٢]

فَلَوْلَاكَ مَا فَازَتْ يَدُ الْقُطْرِ بِالْمُنَى وَلَا نَشَأَتْ رُوحُ الْعَدَالَةِ فِي النَّاسِ

وَهَذَا لِسَانُ الشُّكْرِ يَدْعُو مُؤَرِّخاً حَوَى الْعِيدُ أَنْوَاعَ الْفَخَارِ بِعَبَّاسِ [٣]

وَقَالَ يَهْجُو :

يَقُولُ أُنَاسٌ وَالْعَجَائِبُ جَمَّةٌ مَتَى أَصْبَحَ الْوَزَّانُ رَبَّ مَجَالِسِ [١] ؟

نَرَى كُلَّ يَوْمٍ عُصْبَةً فِي فِنَائِهِ تُجَاذِبُهُ أَطْرَافَ تِلْكَ الْوَسَاوِسِ [٢]

فَقُلْتُ لَهُمْ لا تَعْجَبُوا لاجْتِمَاعِهِمْ لَدَيْهِ فَإِنَّ الْحُشَّ مَأْوَى الْخَنَافِسِ [٣]

وَقَال :

أَمَلْتُ رَجَائِي فِي غَدٍ فَانْتَظَرْتُهُ فَمَا جَاءَ حَتَّى طَالَ حُزْنِي عَلَى أَمْسِي [١]

وَقَلَّبْتُ أَمْرِي فِيكَ حَتَّى إِذَا انْقَضَتْ وَسَائِلُ مَا آتِي بَكَيْتُ عَلَى نَفْسِي [٢]

---

(٢) السعود: جمع السعد، وهو اليمن والبركة والخير. وتحظى: تنال وتظفر، من قولهم: حظي فلان بالخير والمال.

(٣) الفخار: مصدر فخر، أي ابتهى، وتمدّح بما فيه، وما في أهله وقومه من المناقب، والمحامد، والمكارم.

(١) جمة: كثيرة. وربّ مجالس: صاحب أندية ومحافل، يجلس إليه الناس فيها ويتحدثون.

(٢) عصبة: جماعة. والفناء: سعة أمام الدار كالساحة. وأطراف الأحاديث: نواحيها، وما اختير منها، جمع طرف. ويريد بالوساوس: الأحاديث، وهي في الأصل: حديث النفس والشيطان بما لا نفع فيه ولا خير، وفي التعبير بها إشارة إلى أن أحاديثهم تافهة فارغة ساقطة.

(٣) الحشّ: المرحاض، وأصله البستان، لأنهم كانوا يقضون حوائجهم في البساتين.

(١) أملته: رجوته وترقّبته.

(٢) يريد بتقليب أمره في المرجوّ: أنه بذل جميع الحيل، وطرق كل باب. ومعنى «انقضت وسائل ما آتي»: أن حيله نفدت، وأنه أخفق.

قافية الشين

قَالَ وهو بِسَرَنْدِيبَ :

مَتَى تَـرِدُ الْـهِيـمُ الْخَـوَامِسُ مَنْهَـلاً تَبُـلُّ بِـهِ الْأَكْبَـادَ وَهْـيَ عِـطَاشُ ؟[1]

أَرَى الْغَيْثَ عَمَّ الْأَرْضَ مِنْ كُـلِّ جانِبٍ وَمَـوْضِـعُ رَحْلِي لَمْ يُصِبْـهُ رَشَـاشُ[2]

فَهَلْ نَهْلَةٌ مِنْ جَـدْوَلِ النِّيلِ تَـرْتَـوِي بِـهَـا كَبِـدٌ ظَـمْـآنَـةٌ ومُـشَـاشُ ؟[3]

وهَـلْ منْ مَقِيـلٍ تَحْتَ أَفْنَـانِ سِـدْرَةٍ لَهَـا مِنْ زَرَابِـيِّ النَّبَـاتِ فِـراشُ ؟[4]

لَـدَى أَيْكَـةٍ رَيَّـا الْغُصُـونِ كَـأَنَّمـا عَلَيْهَـا مِنَ الـزَّهْـرِ الْجَنِيِّ رِيـاشُ[5]

تَـرَى الـزَّهَـرَ أَلْـوَاناً يَـطِيرُ مَـعَ الصَّبَـا كَمَـا هَـاجَ إِبَّـانَ الـرَّبِيـعِ فَـرَاشُ[6]

---

(١) ورد البعير وغيره الماء يرده وروداً: أشرف عليه، وبلغه، ووافاه. والهيم: الإبل العطاش. والخوامس: الشديدة الظمأ. والمنهل: المشرب.

(٢) الغيث: المطر. والرحل: المسكن، وما يستصحبه المرء من الأثاث. والرشاش: ما ترشّش من الماء، جمع الرشّ، وهو المطر القليل.

(٣) نهلة: اسم مرة من النهل، وهو أول الشرب. والمشاش: رؤوس العظام الليّنة. الواحدة مشاشة. والمشاش أيضاً: النفس.

(٤) مقيل: اسم مكان من قال، أو هو مصدر بمعنى القيلولة. والأفنان: الأغصان. والسدرة: شجرة النبق. وزرابيّ النبات: النبات الشبيه بالزرابيّ، وهي البسط والنمارق، والزرابي من النبات: ما اصفرّ واحمرّ وفيه خضرة.

(٥) الأيكة: الشجر الكثير الملتفّ. وريّا: مؤنث ريّان، صفة من الريّ، والمراد غضّة ناضرة. والرياش: اللباس الحسن الفاخر، والزينة.

(٦) الصبا: ريح تهبّ من مطلع الشمس في بلاد العرب، وهي أحبّ الرياح إليهم. وهاج: اهتاج وثار. وإبّان الربيع: زمانه.

دِيَـارٌ يَـعِيشُ الْـمَـرءُ فِيـهَـا مُـنَـعَّـمَـاً وَأَطْـيَـبُ أَرْضِ الـلَّهِ حَـيْـثُ يُـعَـاشُ

فَـيَـا رَبِّ رِشْنِـي كَـيْ أَعِـيشَ مُـسَـدَّداً فَقَـدْ يَسْتَقِيمُ الـسَّهْـمُ حِيـنَ يُـرَاشُ[7]

وَقَالَ في الغَزَلِ :

رَمَيْتُ فَلَمْ أُصِبْ وَرَمَتْ فَـأَصْمَـتْ فَيَـا عَجَبَـاً لِسَـهْمٍ لاَ يَـطِيشُ ![1]

حَـواجِبُهَـا الْقِسِـيُّ وَلَحْـظَتَـاهَـا بِهَـا سَهْمَـانِ والأَهْـدَابُ رِيشُ[2]

---

(٧) رشني: أمر للدعاء، من راشه الله تعالى، إذا أنعشه وأعانه وقوّاه، وأصلح حاله، ويسّر أمره. وأصله من راش النابل السهم، إذا ألزق عليه الريش. ومسدّد: موفّق للسداد والقصد والصواب.

(١) أصميت الصيد: إذا رميته فقتلته وأنت تراه. وطاش السهم عن الهدف يطيش: إذا عدل عنه وانحرف ولم يصبه.

(٢) القسيّ: جمع القوس التي يرمى عنها بالنبل والسهام ونحوها. ولحظتاها: المراد عيناها، مثنى لحظة، وهي النظرة بمؤخر العين. والأهداب: جمع هدب، وهو ما نبت من الشعر على أشفار العين.

قافية الصاد

قال يصِفُ غَيْضَةً(*) احْتَلَّهَا في « قَندِيَةَ(**) » أيَّامَ الحَرْبِ :

وَمُـرْتَبَعٍ لُـذْنَـا بِـهِ غِبَّ سُحْـرَةٍ ... وَلِلصُّبْحِ أَنْفَاسٌ تَـزِيـدُ وَتَنْقُصُ (١)

وَقَـدْ مَـالَ لِلْغَـرْبِ الْهِـلَالُ كَـأَنَّـهُ ... بِمِنْقَارِهِ عَنْ حَبَّـةِ النَّجْمِ يَفْحَصُ (٢)

رَقِيقِ حَـوَاشِي النَّبْتِ أَمَّا غُصُـونُـهُ ... فَـرَيَّـا وَأَمَّـا زَهْـرُهُ فَـمُنَصَّصُ (٣)

إذا لَاعَبَتْ أَفْنَـانَـهُ الـرِّيحُ خِلْتَهَـا ... سَلَاسِلَ تُلْوَى أَوْ غَـدَائِـرَ تُعْقَصُ (٤)

كَـأَنَّ صِحَـافَ الـزَّهْـرِ والـطَّلُّ ذائِبٌ ... عُيُونٌ يَسِيلُ الدَّمْعُ مِنْهَـا وَتَشْخَصُ (٥)

(*) الغيضة: الأجمة، ومجتمع الشجر في مغيض ماء.

(**) قندية مدينة في شماليّ «أقريطش» (بفتح أوله وكسر الراء والطاء)، وهي جزيرة كريد المشهورة ببحر الروم (البحر الأبيض المتوسّط) إلى الجنوبيّ الشرقيّ من بلاد اليونان، وكان أهلها قد خرجوا على الدولة العثمانيّة، وأعلنوا العصيان والثورة سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م)، فأرسلت الدولة جيشاً لإخماد هذه الفتنة، وساعدتها مصر بحملة حربيّة كان الباروديّ من ضبّاطها.

(١) المرتبع: المكان الذي يرتبع فيه القوم، أي يقيمون به زمن الربيع. ولذنا بـه: لجأنا إليه. وغبّ: بعد. والسحرة: آخر الليل قبيل الصبح.

(٢) حبّة النجم: النجم الشبيه بالحبّة، لما شبّه الهلال بالطائر، ورمز إليه بالمنقار حسن تشبيه النجم بالحبّة. ويفحص: يبحث.

(٣) حواشي النبت: جوانبه وأطرافه. وريّا: مؤنث ريّان، صفة من الريّ، والمراد أنها غضّة ناضرة. ومنصّص: ظاهر مرفوع، بعضه فوق بعض.

(٤) الغدائر: جمع غديرة، وهي الذؤابة من الشعر إذا كانت مرسلة، غير ملويّة ولا معقوصة. وتعقص: تضفر وتلوى.

(٥) الصحاف: آنية الطعام التي يؤكل فيها. والطلّ: الندى، وقطرات الماء التي تسقط على أوراق الشجر والزهر في الصباح. وتشخص: تنفتح، ولا تطرف.



يَكَــادُ نَسِيمُ الْفَجْرِ إِنْ مَــرَّ سُحْــرَةً | بِسَــاحَتِــهِ الشَّجْــراءِ لَا يَتَخَلَّصُ[٦]
كَــأَنَّ شُعَاعَ الشَّمْسِ وَالــرِّيحُ رَهْــوَةٌ | إِذا رُدَّ فِــيــهِ ســارِقٌ يَــتَــرَبَّصُ[٧]
يَــمُــدُّ يَــداً دُونَ الثِّمَــارِ كَــأَنَّمَــا | يُحَــاوِلُ مِنْهَــا غَــايَــةً ثُمَّ يَنْكُصُ[٨]
عَــطَفْنَــا إِلَيْــهِ الْخَيْـلَ فَــلَّ مَسِيــرَةٍ | وَلِلْقَوْمِ طَرْفٌ مِنْ أَذَى السُّهْدِ أَخْوَصُ[٩]
فَمَــا أَبْصَــرَتْــهُ الْخَيْــلُ حَتَّى تَمَطَّرَتْ | بِفُرْسَانِهَا واسْتَتْلَعَتْ كَيْفَ تَخْلُصُ[١٠]
مَــدَى لَــحْــظَةٍ حَتَّــى أَتَتْــهُ وَمَــاؤُهُ | عَلَى زَهْــرِهِ والــظِّلُّ لَا يَتَــقَلَّصُ[١١]
فَمَدَّتْ بِــهِ الأَعْنَــاقَ تَعْــطُو وَتَخْتَلِي | نِهاباً وَتُغْلِي فِي النَّبَــاتِ وتُرْخِصُ[١٢]
أَقَــمْنَــا بِــهِ شَــمْسَ النَّــهَــارِ وَكُلُّنَــا | عَلَى مَا بِهِ مِنْ شِدَّةِ الْعُجْبِ يَحْرِصُ[١٣]
فَلَمَّا اسْتَرَدَّ الشَّمْسَ جُنْحٌ مِنَ الدُّجَى | وَأَعْرَضَ تَيْهُورٌ مِنَ اللَّيْلِ أَعْوَصُ[١٤]

---

(٦) ساحته: ناحيته أي المرتبع.

(٧) الرهو: الرقيق، والسير السهل الخفيف. ويتربّص: ينتظر.

(٨) ينكص: يحجم ويرجع ويتأخر.

(٩) عطفنا إليه الخيل: أملنا إليه، أي إلى المرتبع. وفلّ مسيرة: أي منفلّة منثلمة متعبة من السير. والسهد: السهر، وعدم النوم. وأخوص: ضيّق، صغير، غائر، ضعيف.

(١٠) تمطّرت: أسرعت وجرت. واستتلعتْ: أي مدّتْ أعناقها متطاولة، ورفعتْ أبصارها، وفتحت أعينها شاخصة لا تَطْرف. وخلص إلى الشيء: وصل إليه.

(١١) المدى: الغاية. وماؤه على زهره: يريد أنها أتته وقت الصباح، قبل إشراق الشمس، وذهاب الندى. وظلّه لا يتقلّص: أي ظليل وارف دائم.

(١٢) تعطو: تتناول. وتختلي: تقطع الخلى وتأكله، وهو النبات الرطب الرقيق. والنهاب: جمع نهب، وهو الغنيمة. وإغلاؤها وإرخاصها في النبات: كناية عن تصرّفها فيه، وتقلّبها في نواحيه، فهي ترتع، وتأكل، وترعى كيف شاءت.

(١٣) يقول: إننا أقمنا بذلك المرتبع طول النهار، وكل منا يحرص على ما في نفسه من لذة الإعجاب بهذا المرتبع.

(١٤) استردّ الشمس: طلب ردّها، والمراد أخفاها وغيّبها. والجنح: الطائفة، والجانب. والدجى:

دَعَـوْنَـا بِـأَسْمَـاءِ الْجِيَـادِ فَـأَقْبَلَتْ لَـوَاعِبَ فِي أَرْسَانِهَـا تَـتَـرَقَّصُ[15]

وَقُمْنَـا وَكُـلٌّ بَعْـدَ مَا كَـانَ لَاهِيـاً بِـأَطْلَالِـهِ كُـرْهَ الـرَّحِيـلِ مُنَغَّصُ[16]

يَـوَدُّ الْـفَـتَـى أَلَّا يَـزَالَ بِـنِـعْـمَـةٍ وَلَيْسَ لَـهُ مِنْ صَوْلَـةِ الدَّهْـرِ مَخْلَصُ[17]

فَلِلَّهِ عَيْـنَـا مَنْ رَأَى مِـثْـلَ حُسْـنِـهِ وَمَـا أَنَـا فِي مَـا قُلْتُـهُ أَتَخَـرَّصُ[18]

ظَفِـرْتُ بِـهِ فِي حِـقْبَـةٍ فَقَنَصْتُـهُ عَلَى غِـرَّةِ الأَيَّـامِ واللَّهْـوُ يُقْنَصُ[19]

وَقالَ في الحِكْمَة :

بَـادِرِ الْـفُـرْصَـةَ وَاحْـذَرْ فَـوْتَهَـا فَبُلُوغُ الْعِـزِّ فِي نَـيْـلِ الْـفُـرَصْ[1]

واغْـتَـنِـمْ عُـمْـرَكَ إِبَّـانَ الـصِّبَـا فَـهْـوَ إِنْ زَادَ مَـعَ الـشَّـيْـبِ نَـقَصْ[2]

إِنَّـمَـا الـدُّنْـيَـا خَـيَـالٌ عَـارِضٌ قَـلَّـمَـا يَـبْـقَـى وَأَخْـبَـارٌ تُـقَصْ[3]

تَـارَةً تَـدْجُـو وَطَـوْراً تَـنْـجَـلِي عَـادَةُ الـظِّلِّ سَـجَـا ثُـمَّ قَـلَصْ[4]

جمع دجية، وهي الظلمة. وأعرض: ظهر. والتيهور: موج البحر المرتفع، والمراد ظلمات الليل على التشبيه. وأعوص: صعب شديد.

(١٥) أرسانها: أزمّتها وأعنّتها، الواحد رسن، وهو الحبل. وتترقّص: ترقص وترتفع وتنخفض في لعب ومرح.

(١٦) الأظلال: الظلال، جمع الظلّ. ومنغّص: مكدّر.

(١٧) صولة الدهر: سطوته وبطشه واستطالته.

(١٨) أتخرّص: أكذب.

(١٩) ظفرت: فزت. وقنصته: صدته. وعلى غرّة: على غفلة.

(١) بادر الفرصة: عاجلها، وسارع إليها. وفوتها: ذهابها.

(٢) اغتنم عمرك: المراد انتفع به، ولا تضيّعه. وإبّان الصبا: وقت الصغر.

(٣) عارض: باد، ظاهر.

(٤) تدجو: تظلم، والمراد تسوء وتنجلي، تنكشف وتتّضح. وسجا: امتدّ وسكن ودام. وقلص: انقبض وانزوى وانضمّ.

فَـابْـتَـدِرْ مَسْـعَـاكَ وَاعْـلَمْ أَنَّ مَـنْ بَـادَرَ الـصَّيْـدَ مَـعَ الْـفَجْـرِ قَـنَصْ[٥]
لَنْ يَنَـالَ الْمَـرْءُ بِـالْعَجْـزِ الْمُنَى إِنَّـمَـا الْـفَـوْزُ لِـمَـنْ هَـمَّ فَنَصْ[٦]
يَكْـدَحُ الْـعَـاقِـلُ فـي مَـأْمَنِـهِ فَـإِذا ضَـاقَ بِـهِ الأَمْـرُ شَـخَصْ[٧]
إِنَّ ذَا الْـحَـاجَـةِ مَـا لَمْ يَـغْـتَـرِبْ عَـنْ حِمـاهُ مِـثْـلُ طَيْـرٍ فـي قَفَصْ[٨]
وَلْـيَـكُـنْ سَـعْـيُـكَ مَجْـداً كُـلُّهُ إِنَّ مَـرْعى الـشَّـرِّ مَـكْـرُوهٌ أَحَصْ[٩]
وَاتْـرُكِ الْحِـرْصَ تَعِشْ في رَاحَـةٍ قَـلَّمَـا نَـالَ مُـنَـاهُ مَـنْ حَـرَصْ[١٠]
قَـدْ يَضُـرُّ الشَّـيءُ تَـرْجُـو نَفْـعَـهُ رُبَّ ظَـمْـآنَ بِصَـفْـوِ الْمَـاءِ غَصّ[١١]
مَـيِّـزِ الأَشْـيَـاءَ تَـعْـرِفْ قَـدْرَهَـا لَيْستِ الْغُـرَّةُ مِنْ جِنْسِ الْـبَـرَصْ[١٢]
وَاجْـتَـنِـبْ كُـلَّ غَـبِـيٍّ مَـائِـقٍ فَـهْـوَ كَـالْـعَـيْـرِ إذا جَـدَّ قَـمَصْ[١٣]
إِنَّمَـا الْجَـاهِـلُ في الْعَيْنِ قَـذًى حَيْثُمَـا كَـانَ وَفِي الصَّـدْرِ غَصَصْ[١٤]

---

(٥) مسعاك: سعيك في الخير وصالح الأعمال.
(٦) يريد بالعجز: التواني وضعف الهمّة. وهمّ بالشيء: أراده. ونصّ: المراد أنفذ ما همّ به، من قولهم: نصّ الرجل ناقته: إذا استخرج أقصى ما عندها من السير، ونصّ الشيء: حرّكه.
(٧) يكدح: يكدّ ويجتهد. ومأمنه: مكان أمنه، والمراد بلده ووطنه. والمراد بضيق الأمر: الفقر والضنك وسوء الحال. وشخص: انتقل وارتحل وهاجر.
(٨) الحمى: المكان المحظور الذي لا يقرب، والمراد به هنا: الوطن.
(٩) الأحصّ: النكد المشؤوم الوبيل الذي لا خير فيه، والأصل: حصّ الشعر، أي تساقط، وتناثر.
(١٠) الحرص: الجشع والشره.
(١١) ظمآن: صفة من الظمأ، وهو العطش، أو أشده.
(١٢) قدر الشيء: مقداره ومبلغه ودرجته. والغرّة: بياض مستحسن في جبهة الفرس. والبرص: بياض يظهر في ظاهر البدن لفساد مزاج، وهو من الأدواء البشعة الفظيعة
(١٣) مائق: أحمق، غبيّ، سيّء الخُلق. والعير: الحمار. وقمص الحمار ونحوه: اضطرب في سيره واستنّ، وهو أن يرفع يديه، ويطرحهما معاً، ويعجن برجليه.
(١٤) القذى: ما يقع في العين فيهيجها ويؤذيها. والغصص: مصدر غصصت بالطعام والشراب، والغصّة: ما غصّ به الإنسان من طعام.

واحْـذَرِ الـنَّـمَّـامَ تَـأْمَـنْ كَـيْـدَهُ فَهْـوَ كَـالْبُـرْغُـوثِ إنْ دَبَّ قَـرَصْ[١٥]

يَـرْقُـبُ الـشَّـرَّ فَـإنْ لاحَـتْ لَـهُ فُـرْصَـةٌ تَصْلُحُ لِـلْخَتْـلِ فَـرَصْ[١٦]

سَـاكِـنُ الأَطْـرَافِ إلَّا أَنَّـهُ إنْ رَأَى مَـنْـشَـبَ أُظْـفُـورٍ رَقَصْ[١٧]

وَاخْـتَبِـرْ مَـنْ شِئْتَ تَـعْـرِفْـهُ فَمَـا يَـعْـرِفُ الأَخْـلَاقَ إلَّا مَـنْ فَـحَصْ[١٨]

هـذِهِ حِـكْـمَـةُ كَـهْـلٍ خَـابِـرٍ فَـاقْتَنِصْهَـا فَـهِيَ نِـعْـمَ الْـمُقْـتَنَصْ[١٩]

وَقال فِي مَا يَجِبُ عَلَى الحَاكِمِ :

إذَا سُـدْتَ فـي مَـعْـشَـرٍ فَـاتَّـبِـعْ سَـبِـيـلَ الـرَّشَـادِ وَكُـنْ مُـخْـلِـصَـا[١]

وَوَالِ الْـكَـرِيـمَ وَدَارِ الـسَّـفِـيـهَ وَصِـلْ مَنْ أَطَـاعَ وَخُـذْ مَنْ عَصَى[٢]

وَنَـقِّـبْ لِـتَـعْـلَمَ غَـيْـبَ الأُمُـورِ فَـإنَّ مِـنَ الْـحَـزْمِ أَنْ تَـفْـحَـصَـا[٣]

---

(١٥) النمّام: صفة من النمّ والنميمة، وهي رفع الحديث على وجه الإشاعة والإفساد، أو تزيين الكلام بالكذب. والكيد: الختل والخديعة والروغان. ودبّ: سار على هينته سيراً ليّناً. وقرص: لسع

(١٦) يرقب الشرّ: ينتظره ويرصده ويتوقّعه. والختل: مصدر ختله، أي خدعه وأراد به المكروه من حيث لا يعلم. وفرص الفرصة: انتهزها وأصابها واغتنمها.

(١٧) منشب: اسم مكان من نشب الشيء في الشيء، أي علق فيه، وأمسك به. والأظفور: الظفر، والمراد بمنشب الأظفور: مجال الشرّ، وموضع السعاية والنميمة مهما صغر.

(١٨) فحص: بحث.

(١٩) الكهل: الرجل إذا وخطه الشيب، أي خالطه، والمراد المجرّب العاقل. واقتنصها: أمر من الاقتناص، وهو الصيد.

(١) معشر: جماعة. والرشاد: الصلاح والقصد والهدى والصواب.

(٢) وال الكريم: تودّد إليه، من الموالاة، وهي ضدّ العداوة. والسفيه: الجاهل الطائش، صفة من السفه، وهو الطيش والحمق وخفّة العقل. وصل: أمر من الوصل، وهو ضدّ الهجران. وخذ من عصى: المراد عاقبه بذنبه، وهو العصيان.

(٣) نقّب: ابحث وفتّش. وتفحص: تبحث.

وَلَا تُبْقِيَنَّ عَلَى فَاجِرٍ ... فَإِنَّ اللِّئَامَ عَبِيدُ الْعَصَا[٤]

وَإِنْ خَفِيَ الْحَقُّ فَاصْبِرْ لَهُ ... وَبَادِرْ إِلَيْهِ إِذَا حَصْحَصَا[٥]

وَأَخْلِصْ لِرَبِّكَ فِي كُلِّ مَا ... نَوَيْتَ تَجِدْ عِنْدَهُ مَخْلَصَا[٦]

فَمَا الدَّهْرُ إِلَّا خَيَالٌ سَرَى ... وَظِلٌّ إِذَا مَا سَجَا قَلَّصَا[٧]

وَقَالَ مُفْتَخِراً:

لَعَمْرُ أَبِيكَ مَا خَفَّتْ حَصَاتِي ... لِنَازِلَةٍ ولا ارْتَعَدَ الْفَرِيصُ[١]

وَمَا قَصَّرْتُ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي ... وَلَكِنْ رُبَّمَا خَابَ الْحَرِيصُ[٢]

---

(٤) الفاجر: الفاسق الكاذب الشرير. ومعنى عبيد العصا: أنهم أذلّاء، يضربون بالعصا.

(٥) حصحص الحقّ: ظهر وبان، بعد خفاء وكتمان.

(٦) مخلص: اسم مكان من خلص الشيء من التلف أي نجا وسلم، أو هو مصدر بمعنى الخلوص والسلامة والنجاة.

(٧) سجا الظلّ: سكن وامتدّ. وقلّص: انقبض وانزوى وذهب.

(١) الحصاة: العقل والرزانة والرأي. وخفّة الحصاة: ضعف الرأي والعقل، وهذا كلّه كناية عن الجزع والاضطراب وعدم الصبر. والنازلة: الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس. والفريص: جمع فريصة، وهي لحمة بين الجنب والكتف، ترتعد عند الفزع.

(٢) الحريص: المجتهد.



قافية الضاد

قال في الغَزَل :

أَيْنَ لَيَالِينَا بِوَادي الْغَضَى ؟ ذَلِكَ عَهْدٌ لَيْتَهُ مَا انْقَضَى[1]

كُنْتُ بِهِ مِنْ عِيشَتِي رَاضِياً حَتَّى إِذَا وَلَّى عَدِمْتُ الرِّضَا

أَيَّامُ لَهْوٍ وَصِباً كُلَّمَا ذَكَرْتُهَا ضَاقَ عَلَيَّ الْفَضَا

فَآهِ مِنْ دَهْرٍ بِأَحْكَامِهِ جَارَ عَلَيْنَا وَقَضَى مَا قَضَى !

أَيَّ قِنَاعٍ مِنْ شَبَابٍ سَرَا ؟ وَأَيَّ ثَوْبٍ مِنْ نَعِيمٍ نَضَا ؟[2]

قَدْ بَيَّضَ الأَسْوَدَ مِنْ لِمَّتِي يَا لَيْتَهُ سَوَّدَ مَا بَيَّضَا[3]

عَهْدٌ كَطَيْفٍ زَارَ حَتَّى إِذَا أَشْرَقَ صُبْحٌ مِنْ مَشِيبِي مَضَى[4]

مَا كَانَ إِلَّا كَنَسِيمٍ سَرَى وَعَارِضٍ غَامَ وَبَرْقٍ أَضَا[5]

---

(١) الغضى: شجر، وخشبه من أصلب الخشب، الواحدة غضاة. ووادي الغضى: مكان بنجد، ويريد به الشاعر: منزل الحبّ، ومجال اللهو والصبا والهوى.

(٢) القناع: ما تتقنّع به المرأة، أي تغطّي به رأسها ومحاسنها، وقد شبّه الشاعر به سواد شعر الرأس في عهد الشباب. وسرا الثوب عنه يسروه: كشفه وألقاه وخلعه، وكذلك نضاه ينضوه.

(٣) اللمّة: الشعر المجاوز شحمة الأذن.

(٤) الطيف: الخيال الطائف في المنام.

(٥) العارض: السحاب يعترض في الأفق. وغام: المراد تراكم وأطبق واجتمع.

وَلَّى وَلَمْ يُعْقِبْ سِوَى حَسْرَةٍ ... بَيْنَ الْحَشَا كَالصَّارِمِ الْمُنْتَضَى(٦)

لَوْلاَ الْغَضَى وَهْوَ مَطَافُ الْهَوَى ... مَا شَبَّ في قَلْبِيَ جَمْرُ الْغَضَى(٧)

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ بِهِ شَادِنَاً ... عَذَّبَنِي بِالصَّدِّ بَلْ أَرْمَضَا(٨)

مُعْتَدِلُ الْقَامَةِ ذُو لَحْظَةٍ ... تَعَلَّمَ الْخَطِّيُّ مِنْهُ الْمَضَا(٩)

ظَبْيُ حِمىً مُذْ غَرَبَتْ شَمْسُهُ ... عَنْ نَاظِرِي بِالْبَيْنِ مَا غَمَّضَا(١٠)

قَدْ سَرَّنِي حِينَ أَتَى مُقْبِلاً ... وَسَاءَنِي حِينَ مَضَى مُعْرِضَا(١١)

حَمَّلَنِي مِنْ وَجْدِهِ لَوْعَةً ... لَوْ نَهَضَ الدَّهْرُ بِهَا خَفَّضَا(١٢)

قَدْ أَخَذَ النَّوْمَ وَمَا رَدَّهُ ... وَاسْتَلَبَ الْقَلْبَ وَمَا عَوَّضَا

مَا بَالُهُ مَاطَلَ فِي وَعْدِهِ؟ ... أَلَمْ يَحِنْ لِلدَّيْنِ أَنْ يُقْتَضَى؟(١٣)

---

(٦) لم يعقب: لم ينتج. والحشا: ما اجتمعت عليه الضلوع، وما حواه الجوف. والصارم: السيف القاطع. والمنتضى: المسلول المجرّد من غمده.

(٧) لولا الغضى: أي وادي الغضى، والغضى: شجر خشبه من أصلب الخشب، ولهذا يكون في فحمه صلابة، وهو من أجود الوقود عند العرب. والشاعر يشير إلى ما ذكره في مطلع هذه القصيدة من أن وادي الغضى كان مجال لهوه، ومرتع صباه ومرحه.

(٨) الشادن: الظبي إذا قوي واشتدّ واستغنى عن أمّه، وتشبّه به الفتاة الحسناء في جمال الجيد والعينين، والرشاقة، ولطف الحركة. والصدّ: الإعراض والهجران. وأرمض: يريد أرمضني، أي أوجعني وأحرقني.

(٩) اللحظة: النظرة بمؤخر العين، والمراد النظرة الفاتنة الساحرة. والخطيّ: الرمح، نسبة إلى الخطّ من بلاد البحرين، وكانت تشتهر بتجارة الرماح. والمضاء: مصدر مضى الرمح والسيف ونحوهما، أي نفذ.

(١٠) الظبي: الغزال. والحمى: المكان المحميّ المحظور الذي لا يقرب، ولا يجترأ عليه، وتشبيه الحبيب بظبي الحمى يفيد أنه مصون محجّب مخدّر عزيز الجانب. والناظر: العين. والبين: الفراق والبعد.

(١١) معرضاً: صاداً هاجراً.

(١٢) خفّض: المراد خفّضها، أي طرحها وألقاها من العجز والإعياء.

(١٣) ماطله بدينه وحقّه مماطلة ومطالاً: سوّفه بوعد الوفاء مرّة بعد أخرى.

قَـاضَيْتُـهُ عِنْـدَ مَلِيـكِ الْهَـوَى فَغَـلَّ حَقِّي وَأَسَـاءَ الْقَضَـا[١٤]

فَمَنْ لَـهُ أَشْكُـو وَقَـدْ سَـامَنِـي جَوْراً وَحَقُّ الْجَوْرِ أَنْ يُـرْفَضَـا[١٥]

تَـاللهِ لَـوْلاَ خَـوْفُ هِجْـرَانِـهِ مَـا بَـاتَ قَلْبِي عَـانِيـاً مُحْـرَضَـا[١٦]

فَـإِنَّ لِـي مِنْ عَـزْمَتِـي صَـاحِبَـاً يَمْنَعُنِي فِي الـرَّوْعِ أَنْ أَدْحَضَـا[١٧]

وَلَـسْـتُ مِـمَّـنْ إِنْ دَجَـا حَـادِثٌ أَلْقَى زِمَـامَ الأَمْـرِ أَوْ فَـوَّضَـا[١٨]

لَـكِـنَّـنِي أَلْـقَى الـرَّدَى حَـاسِـراً وَأَصْـدَعُ الْخَصْـمَ إِذَا عَـرَّضَـا[١٩]

أَسْتَحْقِـبُ الشَّـهْـدَ لِمَـنْ وَدَّنِي وَأَنْـفُثُ الـسُّـمَّ لِـمَـنْ أَبْـغَـضَـا[٢٠]

جَـرَّدْتُ نَـفْـسِي لِـطِلابِ الْـعُـلاَ والسَّيْـفُ لاَ يُـرْهَبُ أَوْ يُنْتَـضَى[٢١]

وَلِـي مِنَ الْـقَـوْلِ نَـصِـيـرٌ إِذَا دَعَـوْتُـهُ فِي حَـاجَـةٍ أَوْفَضَـا[٢٢]

سَـلْ عَنِّيَ الْـمَجْـدَ وَلاَ تَـحْتَـشِـمْ فَـالْمَجْـدُ يَـدْرِي أَيَّ سَيْفٍ نَضَـا[٢٣]

---

(١٤) قاضيته: حاكمته. ومليك الهوى: ملك الحبّ. وغلّ: خان.

(١٥) سامه الأمر: حمله عليه، وأولاه إياه، أو كلّفه إيّاه، وأكثر ما يستعمل السوم في العذاب والشرّ.

(١٦) العاني: الأسير، والخاضع المستكين. ومحرض: مدنف، قد أذابه العشق.

(١٧) العزمة: الجدّ والاجتهاد في الأمر. والروع: الفزع والخوف. وأدحض: أزلّ وأسقط.

(١٨) دجا: أظلم، ودجا حادث: اشتد وصعب واستبهمت معه الأمور، وصعب المخلص منه. والزمام: المقود والحبل أو الخيط يزمّ به الشيء، أي يشدّ ويربط، وإلقاء زمام الأمر: كناية عن التخلّي عنه، وعدم الاهتمام به.

(١٩) الردى: الهلاك. والحاسر: المنكشف الذي لا درع له ولا بيضة ولا مغفر، وهو خلاف الدارع. وأصدع الخصم: أرديه وأهلكه. وعرّض له وبه: إذا قال قولاً وهو يعنيه، من التعريض، وهو ضدّ التصريح.

(٢٠) أستحقب: أحمل، وأصله من قولهم: استحقب المسافر الشيء إذا احتمله خلفه. والشهد: العسل في شمعها. وأنفث السمّ: أتفله.

(٢١) ينتضي: يسلّ، أي يخرج من غمده.

(٢٢) أوفض: أسرع.

(٢٣) تحتشم: تنقبض، من الاحتشام، وهو الخجل والانقباض والاستحياء.

وَقَالَ يَصِفُ نَاقَةً مِنَ النُّعْمَانِيَّاتِ(★) :

وَرَوْعَــاءِ الْمَسَــامِـعِ مَـا تَمَـطَّتْ — بِحَمْـلٍ بَيْنَ سَـائِمَـةٍ مَخَـاضِ (١)

خَــرَجْتُ بِهَــا عَلَى الْبَيْــدَاءِ وَهْنَــاً — خُرُوجَ اللَّيْثِ مِنْ سَدَفِ الْغِيَاضِ (٢)

تُــقَلِّبُ أَيْــدِيــاً مُـتَسَـابِـقَـاتٍ — إِلَى الْغَـايَاتِ كَـالنُّبْـلِ الْمَـوَاضِي (٣)

مَــدَدْتُ زِمَــامَـهَــا والصُّبْـحُ بَـادٍ — فَمَــا كَفْكَفْتُهَـا وَاللَّيْـلُ غَـاضِي (٤)

فَمَــا بَلَغَـتْ مَغِيبَ الـشَّمْسِ حَتَّى — أَضَــافَـتْ آتِـيــاً مِـنْــهُ بِـمَــاضِـي

أَحَــالَ الـسَّيْـرُ جِـرَّتَـهــا رَمَــاداً — فَـراحَتْ وَهْيَ خَـاوِيَـةُ الْـوِفَـاضِ (٥)

وَمَــا كَــانَـتْ لِـتَسْــأَمَ غَـيْـرَ أَنِّـي — رَمَيْتُ بِهَـا اعْتِـزَامِي واعْتِـرَاضِي (٦)

(★) النوق النعمانيّات: نسبة إلى النعمان بن المنذر، من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية، كان له نجائب، أي إبل كريمة، يقال لها عصافير النعمان، ويروى أنه أمر للنابغة الذبيانيّ بمائة ناقة منها. ولعلّ الشاعر يريد بالنعمانيّات هنا: فتايا النوق ونجائبها.

(١) روعاء: حديدة قويّة، يرتاع لحدتها. والتمطّي: التبختر، ومدّ اليدين في المشي، وهو أيضاً التمدّد. وما تمطّت بحمل: ما تمدّد بطنها بحمل، أوما سارت به تمدّ يديها وتتثاقل كالمتبخترة. والمعنى أنها لم تحمل، فهي فتيّة قويّة. والسائمة: الماشية الراعية، والمراد الإبل والنوق. والمخاض: الحوامل من النوق.

(٢) البيداء: الفلاة والمفازة والصحراء. ووهناً: حين أدبر الليل. والسدف: الظلمة. والغياض: جمع غيضة، وهي الشجر الكثير الملتفّ.

(٣) المواضي: جمع ماض أو ماضية، بمعنى نافذة، يصفها بسرعة السير، والدأب والجد.

(٤) الزمام: المقود، أي الحبل الذي تقاد به الدابّة. وكفكفتها: منعتها. وغاض: مظلم قد ألبس كلّ شيء.

(٥) أحال: صيّر. والجرَّة: ما يجترّه البعير ونحوه. وتكنّي العرب عن ذهاب الشيء وفنائه بصيرورته رماداً، ومن هذا القبيل قول الشاعر هنا: «أحال السير جرّتها رماداً». وخاوية: خالية. والوفاض: جمع وفضة، وهي الخريطة يضع فيها الراعي زاده، والجعبة من أدم، والوفاض أيضاً: الجلدة توضع تحت الرحى، والمكان يمسك الماء.

(٦) الاعتراض: مصدر اعترض لعدوّه بسهم: إذا أقبل به قبله فرماه فقتله، واعترض الرجل البعير: إذا ركبه وهو صعب.

هَتَكْتُ بِهَـا سُتُـورَ اللَّيْـلِ حَتَّى خَـرَجْتُ مِنَ السَّوَادِ إِلَى البَيَـاضِ (٧)

وَقَالَ يَعْتَذِرُ :

رَبَّ الْـفُـتُـوَّةِ لاَ تَـسْـبِـقْ إِلَـى عَـذَلٍ يَبِيتُ مِنْ مَسِّـهِ قَلْبِي عَلَى مَـضَضٍ (١)

فَـإِنْ تَـكُـنْ هَـفْـوَةٌ أَوْ زَلَّـةٌ عَـرَضَـتْ فَالسَّهْمُ يَصْدِفُ أَحْيَـاناً عَنِ الْغَـرَضِ (٢)

وقَالَ :

إذا أَنْتَ أَبْغَـضْتَ امْـرَأً فَـاخْشَ ضَـرَّهُ فَـأَنْـتَ لَـدَيْـهِ مِـثْـلُ ذَاكَ بَـغِـيضُ

فَـإِنَّ قُـلُوبَ الـنَّـاسِ تَـمْـتَـازُ فِـطْرَةً فَـمِـنْـهَـا لِـبَـعْضٍ آلِـفٌ وَنَـقِـيضُ (١)

وَعَـاشِـرْ مِنَ الْخُـلاَّنِ مَنْ كَـانَ سَـالِمَـاً فَلَيْـسَ سَـوَاءً سَـالِـمٌ وَمَـرِيضُ (٢)

فَقَـدْ لاَ يُفِيـدُ الْقَـوْلُ نُصْحَـاً وَحِكْمَـةً إِذَا حَـالَ مِنْ دُونِ الْقَـرِيضِ جَـرِيضُ (٣)

وَقَالَ :

تَحَبَّبْ إِلَى الإِخْـوَانِ بِـالْحِلْمِ تَـغْتَـنِمْ مَـوَدَّتَهُمْ فَـالْحِلْمُ لِـلشَّـرِّ يَـرْحَضُ (١)

---

(٧) هتكت: خرقت ومزّقت. وستور الليل: ظلماته. ويريد بالسواد: ظلمة الليل، وبالبياض: ضوء النهار.

(١) ربّ الفتوّة: صاحب الكرم. والعذل: اللوم. والمضض: الألم والوجع.

(٢) الهفوة: السقطة، ومثلها الزلّة. ويصدف: يميل عن القصد، وينحرف عن الهدف.

(١) فطرة: خلقة. وآلف: اسم فاعل من ألفته إلفاً، إذا أنست به وأحببته.

(٢) الخلاّن: الأصدقاء، جمع خليل. وسالماً: المراد السلامة من الأمراض الخُلقية، كالرياء والحقد.

(٣) القريض ما يجترّه البعير ونحوه. والجريض: الغصّة، وهي ما يغصّ به الإنسان وغيره، أي ما يعترض وينشب في حلقه من طعام وغيره، من قولهم: «جرضت بريقي»، أي غصصت به، و«حال الجريض دون القريض»: مثل عربيّ يضرب لكلّ أمر يعوق دونه عائق، أو لكلّ أمر كان مقدوراً عليه، فحال دونه حائل.

(١) تغتنم: تنتهز وتكسب. يرحضه: يغسله.

فَـإِنَّ قَـرِيـنَ السُّـوءِ مَـا لَـمْ تُـجَـازِهِ   بِـأَفْعَـالِـهِ وَافَـاكَ بِـالْعُـذْرِ يَـرْكُضُ[٢]

وقال :

أَبَـيْـتُ الـرَّدَّ لِـلسُّـؤالِ عِـلْـمَـاً   بِـمَـا فِي ذَاكَ مِـنْ بَسْطٍ وقَـبْضِ[١]

فَـإِمَّـا عَـائِـلٌ فَـأُصُـونُ مِـنْـهُ   وإِمَّـا فَـاجِـرٌ فَـأُصُـونُ عِـرْضِي[٢]

وقال :

رَضِيتُ بِـالْبَيْنِ إِيثَـاراً عَـلَى سَكَـنٍ   في مَعْشَرٍ وُدُّهُمْ إِنْ أَخْلَصُوا مَرَضُ[١]

فَـمَـا أَسِيتُ لِشَـيءٍ كُنْـتُ أَمْـلِكُـهُ   في فَقْدِ أَوْجُهِهِمْ عَنْ ثَرْوَتِي عِوَضُ[٢]

---

(٢) القرين : المصاحب. وجازاه بأفعاله : عاقبه. ووافاك : أتاك.

(١) أبيت : امتنعت. والسؤال : جمع سائل وهو المجتدي. والبسط : مصدر بسطت الثوب والفراش، أي نشرته، وضدّه القبض.

(٢) عائل : فقير محتاج. وأصون منه : أقيه وأحفظه، والمراد أقضي بعطائي بعض حوائجه. وفاجر : فاسق كاذب غير محتاج.

(١) البين : الفراق والبعد. وإيثاراً : مصدر آثرت الشيء على غيره، أي قدّمته وفضّلته. وسكن : إقامة واستقرار. ويريد بالمرض : الرياء والنفاق والملق والمداهنة ونحوها.

(٢) أسيت : حزنت.

قافية الطاء

قَالَ يَرُوضُ الْقَوْلَ :

هَلْ في الزَّمَانِ لَنَا حُكْمٌ فَنَشْتَرِطُ ؟ أَمْ تِلْكَ أُمْنِيَةٌ في طَيِّهَا قَنَطُ(١)

نَبْكِي عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ ثُمَّ يُضْحِكُنَا مَا لَيْسَ فِيهِ لَنَا بُقْيَا فَنَخْتَلِطُ(٢)

وَكَيْفَ نَرْجُو مِنَ الأَيَّامِ عَافِيَةً وَصِحَّةُ الْمَرْءِ مَقْرُونٌ بِهَا السَّقَطُ ؟(٣)

نَرْعَى مِنَ الدَّهْرِ غَيْثاً نَبْتُهُ أَسَفٌ لِلرَّائِدِينَ وَرَوْضاً زَهْرُهُ شَطَطُ(٤)

فَلاَ يَغُرَّنْكَ مِنْ دَهْرٍ بَشَاشَتُهُ فَإِنَّمَا هُوَ بِشْرٌ تَحْتَهُ سخطُ(٥)

لاَ يُدْرِكُ الْغَايَةَ الْقُصْوَى سِوَى رَجُلٍ ثَبْتِ الْعَزِيمَةِ مَاضٍ حَيْثُ يَنْخَرِطُ(٦)

إِنْ مَسَّهُ الضَّيْمُ نَاجَى السَّيْفَ مُنْتَصِراً أَوْ هَمَّهُ الأَمْرُ لَمْ يَعْلَقْ بِهِ الثَّبَطُ(٧)

---

(١) في طيّها: في ما انطوت عليه. وقنط: قنوط، ويأس.

(٢) نختلط: من الاختلاط، وهو فساد العقل.

(٣) السقط: العثرات والزلات.

(٤) الغيث: الكلأ، وأصله المطر. والمراد بنبته: ثمره. والرائد: الذي يرسل في طلب الكلأ. والروض: جمع روضة، وهي أرض ذات بقل وعشب وزهر وماء. والشطط: الجور والظلم ومجاوزة القدر في كلّ شيء.

(٥) لا يغرنك: لا يخدعنك. والبشاشة: البشر والفرح وطلاقة الوجه. والسخط: الغضب.

(٦) ماض: نافذ مقدام. وينخرط: يتّجه ويسرع، من قولهم: انخرط في العدو إذا أسرع.

(٧) مسّه الضيم: أصابه الظلم. وناجاه: سارّه، والمراد بمناجاة السيف: الاعتماد عليه في دفع الظلم. وهمّه الأمر: حزنه وأقلقه. ويعلق: ينشب. والثبط: الضعف والتواني والكسل.

فَـاقْـذِفْ بِنَفْسِـكَ فِي أَقْصَى مَـطَالِبِهَـا ... إِنَّ الـنَّجَـاحَ بِسَعْـيِ الْـمَـرْءِ مُـرْتَـبِطُ

قَـدْ يَـظْفَـرُ الْفَـاتِكُ الأَلْـوَى بِحَـاجَتِـهِ ... وَلَيْسَ يُـدْرِكُهَـا الْـهَيَّـابَـةُ الْـخَلِطُ(٨)

وَإِنْ شَـأَتْـكَ الْمُنَى فَـاقْنَـعْ بِـأَقْـرَبِهَـا ... فَلَيْسَ فِي كُـلِّ حِينٍ يُـدْرَكُ الْـوَسَطُ(٩)

لا تَـغْـفُـلَنَّ إِذَا أُمْـنِـيَّـةٌ عَـرَضَـتْ ... فَـإِنَّمَـا الْعَيْشُ فِي هَـذَا الْـوَرَى لَقَطُ(١٠)

إِنِّـي وإِنْ كَـانَتِ الأَيَّـامُ قَـدْ أَخَـذَتْ ... مِنِّي وأَخْنَى عَلَيَّ الضَّعْفُ والـشَّمَطُ(١١)

فَـقَـدْ أَذُودُ السَّـبَنْتَى عَـنْ فَـرِيسَتِـهِ ... وَأَفْجَـأُ الْبَـطَلَ الْحَـامِي فَـأَخْتَبِطُ(١٢)

وَأَصْـدَعُ الْجَيْشَ وَالْفُـرْسَـانُ مِنْ مَرَحٍ ... تَحْتَ الْعَجَـاجِ بِأَطْـرَافِ الْقَنَا نُخُطُ(١٣)

فَمَـا بِـنَصْـلِي إِنْ لاَقَـى ضَـرِيـبَـتَـهُ ... نَكْلٌ وَلاَ فِي جَفِيـرِي أَسْهُمٌ مُـرُطُ(١٤)

وَرُبَّ يَـوْمٍ طَـوِيـلِ الْعُمْـرِ قَـصَّـرَهُ ... جَـرْيُ السَّـوَابِقِ والْـوَخَّـادَةُ النُّشُطُ(١٥)

كَـأَنَّمَـا الْـوَحْشُ مِنْ تَلْهَـابِ جَمْـرَتِـهِ ... مُبَـدَّداً تَحْتَ أَشْجَـارِ الْغَضَى خَبَطُ(١٦)

---

(٨) يظفر: يفوز. والفاتك: الجريء. والألوى: الجدل الشديد الخصومة، والمراد الجريء الشجاع المقدام. والهيّابة: الخائف الجبان. والخلط: الأحمق الضعيف.

(٩) شأتك: سبقتك، والمراد بعدت عنك، ولم تواتك.

(١٠) عرضت: ظهرت وسنحت. والورى: الخلق. واللقط: ما التقط.

(١١) أخذت الأيام منه: أضعفته. وأخنى عليه: بلغ منه، وثقل عليه وطال. والشمط: بياض شعر الرأس يخالط سواده، والمراد الشيب.

(١٢) أذود: أدفع وأطرد. والسبنتى: النمر، أو الأسد لجرأته وشدّة بأسه. وأختبطه: أضربه ضرباً شديداً.

(١٣) أصدع: أشقّ وأفرّق. والعجاج: الغبار تثيره سنابك الخيل، وحركات المتحاربين. والقنا: الرماح، الواحدة قناة. ونخط: لاعبون بالرماح شجاعة وبطولة.

(١٤) النصل: حديدة الرمح والسهم والسيف ونحوها. والضريبة: ما ضربته بالسيف ونحوه، ونكل: نبوّ وتباعد، مصدر نكل عن عدوّه إذا جبن ونكص وتأخّر. والجفير: الجعبة، وهي كنانة السهام. وأسهم مرط: لا ريش عليها.

(١٥) السوابق: العاديات من الخيل. والوخّادة: المسرعة، صفة من الوخد، وهو سعة الخطو في المشي مع الإسراع، أو هو أن يرمي البعير ونحوه بقوائمه كمشي النعام.

(١٦) المراد بتلهاب جمرته: اشتداد حرّه. ومبدّداً: مفرّقاً. والغضى: شجر من نبات الأراضي



تَرى بِهِ الْقَوْمَ صَرْعَى لاَ حَرَاكَ بِهِمْ ... كَأَنَّهُمْ مِنْ عَتِيقِ الْخَمْرِ قَدْ سَقَطُوا

وَلَيْلَةٍ ذَاتِ تَهْتَانٍ وَأَنْدِيَةٍ ... كَأَنَّمَا الْبَرْقُ فيها صَارِمٌ سَلِطُ[١٧]

لَفَّ الْغَمَامُ أَقَاصِيهَا بِبُرْدَتِهِ ... وَانْهَلَّ في حَجْرَتَيْهَا وَابِلٌ سَبِطُ[١٨]

بَهْمَاءَ لاَ يَهْتَدِي السَّارِي بِكَوْكَبِهَا ... مِنَ الْغَمَامِ وَلاَ يَبْدُو بِهَا نَمَطُ[١٩]

يَكَادُ يَجْهَلُ فِيهَا الْقَوْمُ أَمْرَهُمُ ... لَوْلاَ صَهِيلُ جِيَادِ الْخَيْلِ وَاللَّغَطُ[٢٠]

يَطْغَى بِهَا الْبَرْقُ أَحْيَاناً فَيَزْجُرُهُ ... مُخْرَنْطِمٌ زَجِلٌ مِنْ رَعْدِهَا خَمِطُ[٢١]

كَأَنَّمَا الْبَرْقُ سَوْطٌ والْحَيا نُجُبٌ ... يَلُوحُ في جِسْمِهَا مِنْ مَسِّهِ حَبَطُ[٢٢]

كَأَنَّهُ صَارِمٌ يَرْفَضُّ مِنْ عَلَقٍ ... بَالأُفْقِ يُغْمَدُ أَحْيَاناً وَيُخْتَرَطُ[٢٣]

مَزَّقْتُ جِلْبَابَهَا بِالْخَيْلِ طَالِعَةً ... مِثْلَ الْحَمَائِمِ في أَجْيَادِهَا الْعُلُطُ[٢٤]

الرملية، وخشبه من أصلب الخشب، الواحدة غضاة. والخبط: ما يسقط تحت الشجر من ورق ونحوه.

(١٧) التهتان: مطر ضعيف دائم، أو هو مطر ساعة، ثم يفتر، ثم يعود. وأندية: جمع ندى، وهو البلل. والصارم: السيف القاطع. والسلط: الذي لا نتوء في نصله.

(١٨) الغمام: السحاب، الواحدة غمامة. والمراد بالأقاصي: الأطراف والنواحي وآفاق السماء. والبردة: كساء يلتحف به. وانهلّ: انصبّ وسال بشدّة. وحجرتاها: ناحيتاها. ووابل: مطر غزير شديد. وسبط: شديد متدارك.

(١٩) بهماء: سوداء مظلمة، وهي صفة لليلة. والنمط: الطريق.

(٢٠) الصهيل: صوت الفرس. واللغط: الأصوات المبهمة المختلطة والجلبة.

(٢١) يزجره: يمنعه وينهاه وينتهره. ومخرنطم: غضبان، وهو اسم فاعل من اخرنطم الرجل، أي رفع أنفه واستكبر وغضب. وزجل: عالي الصوت. وخمط: غضوب ثائر

(٢٢) الحيا: المطر، والمراد السحب. والنجب: كرام الخيل والإبل وعتاقها وجيادها، المفرد نجيب. والحبط: آثار السياط بالبدن، أو الآثار الوارمة التي لم تشقّق.

(٢٣) صارم: سيف قاطع. ويرفضّ: يسيل وينهلّ ويقطر ويترشّش ويتفرّق. والعلق: الدم. ويغمد: يدخل في غمده. ويخترط: يسلّ ويجرد من غمده.

(٢٤) الجلباب: القميص، أو هو ثوب واسع دون الملحفة، أو هو الملاءة. ويريد بتمزيقه جلباب هذه الليلة: أنه سار في ظلماتها في سرعة ومضاء. وأجيادها: أعناقها، جمع جيد. والعلط:



وَقَدْ تَخَلَّلَ خَيْطُ النُّورِ ظُلْمَتَهَا ... كَمَا تَخَلَّلَ شَعْرَ اللِّمَّةِ الْوَخَطُ(٢٥)

كَأَنَّهَا وَصَدِيعُ الْفَجْرِ يَصْدَعُهَا ... مِنْ جَانِبٍ أَدْهَمٌ قَدْ مَسَّهُ نَبَطُ(٢٦)

وَمَرْبَعٍ لِنَسِيمِ الْفَجْرِ هَيْنَمَةٌ ... فِيهِ وَلِلطَّيْرِ فِي أَرْجَائِهِ لَغَطُ(٢٧)

كَأَنَّمَا الْقَطْرُ دُرٌّ فِي جَوَانِبِهِ ... يَكَادُ مِنْ صَدَفِ الأَزْهَارِ يُلْتَقَطُ(٢٨)

وَلِلنَّسِيمِ خِلاَلَ النَّبْتِ غَلْغَلَةٌ ... كَمَا تَغَلْغَلَ وَسْطَ اللِّمَّةِ الْمُشُطُ(٢٩)

وَالرِّيحُ تَمْحُو سُطُوراً ثُمَّ تُثْبِتُهَا ... فِي النَّهْرِ لاَ صِحَّةٌ فِيهَا وَلاَ غَلَطُ

وَلِلسَّمَاءِ خُيُوطٌ غَيْرُ وَاهِيَةٍ ... تَكَادُ تُجْمَعُ بِالأَيْدِي فَتَرْتَبِطُ(٣٠)

كَأَنَّهَا وَأَكُفُّ الرِّيحِ تَضْرِبُهَا ... سُلُوكُ عِقْدٍ تَوَاهَتْ فَهْيَ تَنْخَرِطُ(٣١)

فَالضَّوْءُ مُحْتَبِسٌ وَالْمَاءُ مُنْطَلِقٌ ... وَالْجَوُّ مُنْقَبِضٌ وَالظِّلُّ مُنْبَسِطُ

لُذْنَا بِأَطْرَافِهِ وَالطَّيْرُ عَاكِفَةٌ ... عَلَيْهِ وَالنُّورُ بِالظَّلْمَاءِ مُخْتَلِطُ(٣٢)

جمع علاط، وهو من الحمامة طوقها في صفحتي عنقها بسواد، والعلاط أيضاً: حبل يجعل في عنق البعير ونحوه.

(٢٥) يريد بخيط النور: بياض الصبح. واللمّة: ما جاوز شحمة الأذن من شعر الرأس. والوخط: الشيب القليل.

(٢٦) الصديع: الفجر، لأن الليل ينصدع، أي ينشقّ عنه، والصديع أيضاً: انصداع الصبح، أي انفطاره وانفلاقه. ويصدعها: يشقّها. وأدهم: فرس أسود. والنبط: بياض في بطن الفرس.

(٢٧) المربع: الموضع يرتبع القوم فيه، أي يقيمون به زمن الربيع. والهينمة: صوت كأنه كلام خفيّ لا يفهم، أو قراءة غير بيّنة. واللغط: الجلبة والأصوات المختلطة.

(٢٨) يريد بالقطر: الندى وقطرات الماء التي على أوراق الشجر والزهر. والدرّ: اللآلىء، الواحدة درّة. والصدف: المحار، وصدف الدرّة: غشاؤها الذي يشتمل عليها ويغطّيها، الواحدة صدفة.

(٢٩) اللمّة: الشعر المجاوز شحمة الأذن، والمراد شعر الرأس مطلقاً.

(٣٠) يريد بخيوط السماء: ما تساقط وتتابع من مطرها كالسلوك. وواهية: ضعيفة.

(٣١) السلوك: الخيوط. والعقد: القلادة. وتواهت: بليت وضعفت. وتنخرط: تنتثر وتتفرّق.

(٣٢) لاذ به: لجأ إليه وعاذ به. وأطرافه: نواحيه، أي المربع، الواحد طرف. وعاكفة عليه: مقبلة مقيمة به لنضرته وغضارته.

في فِتْيَـةٍ رَضِعُوا ثَـدْيَ الْـوِفَـاقِ فَمَا فِيهِمْ إِذَا مـا انْتَشَوْا جَـوْرٌ وَلاَ شَـطَطُ(٣٣)
تَحَـالَفُوا في صَفَـاءِ الْـوُدِّ وَاجْتَمَعُـوا عَلَى الْـوَفَـاءِ طَـوَالَ الـدَّهْـرِ وَاشْتَـرَطُـوا

كَـالْغَيْثِ إِنْ وَهَبُـوا وَاللَّيْثِ إِنْ وَثَـبُـوا وَالْمَـاءِ إِنْ عَدَلُـوا وَالنَّـارِ إِنْ قَسَـطُوا(٣٤)
تَكَشَّفَ الـدَّهْـرُ عَنْهُـمْ بَـعْـدَ غُمَّـتِـهِ كَمَـا تَكَشَّفَ عَنْ مَكْنُـونِـهِ السَّفَطُ(٣٥)

مِيـلٌ بِـأَبْصَـارِهِمْ نَحْـوِي لِيَسْتَمِعُـوا قَـوْلِي وَكُـلٌّ لِأَمْـرِي طَـائِـعٌ نَـشِطُ
إِنْ سِـرْتُ سَـارُوا وإِنْ أَصْعَـدْ إِلَى نَشَـزٍ كَـانُوا صُعُـوداً وَإِنْ أَهْبِطْ بِهِمْ هَبَطُوا(٣٦)

يَمْشُـونَ حَوْلِي كَمَـا يَمْشِي الْقَـطَا بَـدَداً فَـإِنْ مَـضَى بَـقَطٌ مِنْـهُمْ أَتَـى بَـقَطُ(٣٧)
إِنْ يَكْنُفُـونِي مِنْ حَـوْلِي فَـلاَ عَـجَبٌ لاَ يَسْقُطُ الـطَّيْـرُ إِلاَّ حَـيْثُ يَـلْتَقِطُ(٣٨)

نَـمْشِي بِـهِ بَيْـنَ أَشْجَـارٍ كَـأَنَّ عَـلَى أَفْنَـانِهَـا مِنْ بُـرُودِ الْيَمْنَـةِ الـرِّيَطُ(٣٩)
مِثْـلِ الـطَّوَاوِيسِ فِي أَذْنَـابِهَـا عَجَبٌ لِلنَّـاظِـرِينَ وَفِي أَجْيَـادِهَـا عَـنَطُ(٤٠)

---

(٣٣) الجور: الظلم، وهو ضدّ القصد. والشطط: مجاوزة القدر، والميل عن القصد.
(٣٤) الغيث: المطر. والليث: الأسد. وقسطوا: جاروا وظلموا، والمراد: انتقموا من أعدائهم.
(٣٥) الغمّة: الكرب والشدّة. ومكنونه: مستوره وما خفي فيه. والسفط: الذي يعبأ فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء.
(٣٦) النشز: ما ارتفع من الأرض.
(٣٧) القطا: ضرب من الحمام، الواحدة قطاة. وبدداً: متفرّقاً. والبقط: الفرقة، والقطعة من الشيء، والجماعة المتفرّقة.
(٣٨) يكنفونني: يحيطون بي.
(٣٩) أفنانها: أغصانها. والبرود: الثياب المرقومة المطرّزة الموشّية. واليمنة: اليمن، وكان مشهوراً بصنع البرود الجيّدة. والريطة: الملاءة إذا كانت قطعة واحدة، وهي كل ثوب ليّن رقيق، وجمعها في المعجمات ريط ورياط.
(٤٠) الطواويس: جمع الطاووس، وهو طائر يمتاز بمنظر بهيّ، وريش جميل، وذيل عجيب يشبه المروحة إذا بسطه. والأجياد: جمع جيد، وهو العنق. وعنط: طول وحسن وملاحة. شبه الأشجار المزهرة بالطواويس في بهائها وجمال ألوانها.

كَـأنَّـهُـنَّ جِـمَـالاَتٌ مُـوَقَّـرَةٌ تَمُـورُ مَـوْراً عَلَى أَثْبَـاجِهَـا الْغُبُطُ[٤١]

وَلِلْفَـوَاخِتِ فـي أَفْنَـانِـهَـا هَـزَجٌ قَدْ مَاجَ مِنْ لَحْنِهِنَّ السَّهْلُ والْفُرُطُ[٤٢]

خُضْـرُ الْجَنَاحَيْنِ وَالأَطْـوَاقِ تَحْسَبُهَـا أَطْفَالَ مَلْكٍ لَهَا مِنْ سُنْدُسٍ قُمُطُ[٤٣]

حَتَّى إِذَا حَلَّ ضَاحِي الْيَـوْمِ حَبْوَتَـهُ وَكَادَتِ الشَّمْسُ بَيْنَ الْغَرْبِ تَنْهَبِطُ[٤٤]

رُحْنَـا نَجُـرُّ ذُيُـولَ الْعِـزِّ ضَـافِيَـةً وَكُلُّنَـا بِنَعِيـمِ الْعَيْشِ مُغْتَبِطُ[٤٥]

يَـوْمٌ مِنَ الـدَّهْـرِ أَهْـوَى لَـو بَـذَلْتُ لَـهُ مَـا شَـاءَ فِي مِثْلِهِ لَـوْ كَـانَ يَشْتَـرِطُ

وَقَالَ :

تَمَهَّـلْ وَلاَ تَعْجَـلْ إِذَا رُمْتَ حَـاجَـةً فَقَـدْ يَلْحَقُ الْخُسْـرَانُ مَنْ يَتَـوَرَّطُ[١]

فَذُو الْحَزْمِ يَرْعَى الْقَصْدَ فِي كُلِّ حَالَةٍ وَذُو الْجَهْـلِ إِمَّـا مُفْـرِطٌ أَوْ مُفَـرِّطُ[٢]

---

(٤١) جمالات: جمع جمال، وهذه جمع جمل. وموقّرة: مثقلة بأحمالها. وتمور: تتحرّك وتهتزّ وتضطرب. وأثباجها: ظهورها، جمع ثبج، وهو ما بين الكاهل إلى الظهر. والغبط: جمع غبيط، وهو الرحل يوضع على ظهر البعير ويشدّ عليه الهودج.

(٤٢) الفواخت: ضرب من الحمام المطوّق، الواحدة فاختة. وهزج: صوت مطرب. والهزج: من الأغاني وفيه ترنّم. واللحن: من الأصوات المصوغة الموضوعة، وجمعه ألحان ولحون، والمراد غردها. والفرط: الأكمة تكون دون الجبل.

(٤٣) الأطواق: جمع طوق وهو حلي يجعل في العنق، والمطوق من الحمام: ما كان في عنقه شبه الطوق من الريش. والسندس: رقيق الديباج ورفيعه. والقمط: جمع قماط وهو ما يلفّ فيه الطفل من الثياب.

(٤٤) الضاحي: المشرق المضيء، وأصله البارز للشمس في غير ما يظلّه ويكنّه. والاحتباء بالثوب: الاشتمال به، واحتبى الرجل: إذا جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها، وحلّ اليوم حبوته: كناية عن ذهابه وإدباره. وتنهبط: تنزل وتنحطّ.

(٤٥) رحنا: عدنا آخر النهار. وضافية: سابغة واسعة. ومغتبط: مسرور حسن الحال.

(١) يتورط: يرتبك ويقع في الورطة، وهي الشدة، والأمر الشاقّ الذي يصعب التخلّص منه.

(٢) القصد: الاعتدال والاستقامة، والوسط بين الإفراط والتفريط. ومفرط: مصدر أفرط فلان في الأمر، إذا جاوز فيه الحدّ. ومفرّط: اسم فاعل من التفريط، وهو التقصير.

قافية الظاء

قالَ في الْغَزَل :

سَكِرَتْ بِخَمْرِ حَدِيثِكِ الأَلْفَاظُ ... وَتَكَلَّمَتْ بِضَمِيرِكِ الأَلْحَاظُ

يَا دُمْيَةً لَوْلا التَّقِيَّةُ لاَسْتَوَتْ ... في حُبِّهَا الْفُتَّاكُ والْوُعَّاظُ(١)

مَا لِي مَنَحْتُكِ خُلَّتِي وَجَزَيْتِنِي ... نَاراً لَهَا بَيْنَ الضُّلُوعِ شُوَاظُ ؟(٢)

هَلاَّ مَنَنْتِ إذِ امْتَلَكْتِ فَطَالَمَا ... مَنَّ الْكَرِيمُ وَقَلْبُهُ مُغْتَاظُ(٣)

فَلَقَدْ هَجَرْتُ إلَيْكِ جُلَّ عَشِيرَتِي ... فَقُلُوبُهُمْ أَبَداً عَلَيَّ غِلاَظُ(٤)

وَنَفَيْتِ عَنْ عَيْنِي الْمَنَامَ فَمَا لَهَا ... غَيْرَ الْمَدَامِعِ وَالسُّهَادِ لَمَاظُ(٥)

هَذَا وَمَا اخْتَضَبَتْ لِغَيْرِكِ أَسْهُمٌ ... بِدَمِي وَلاَ احْتَكَمَتْ عَلَيَّ لِحَاظُ(٦)

---

(١) الدمية: الصورة المنقّشة من العاج وغيره، ويكنى بها عن المرأة الحسناء. والفتّاك: جمع فاتك، وهو القاتل الجريء.

(٢) خلّتي: صداقتي المختصّة. وجزيتني: كافأتني. والشواظ: لهب لا دخان فيه.

(٣) مننت: أنعمت، يريد مننت عليّ بالوصال. وامتلكت: يريد أنها امتلكت أمره.

(٤) غلاظ: جمع غليظ، صفة من الغلظة، وهي ضد الرفق والرحمة والحنان.

(٥) السهاد: الأرق والسهر، وهو نقيض الرقاد. ولماظ: شيء تذوقه، من قولهم: ليس له لماظ، أي شيء يذوقه ويتلمّظ به.

(٦) الخضاب: ما يختضب به كالحنّاء ونحوه. واختضبت الأسهم بالدم: صبغت به، كأنه الخضاب فوقها. وتشبه نظرات الحسان بالسهام في شدّة تأثيرها في قلوب العشاق. واحتكمت عليّ: سيطرت. والمراد باللحاظ: النظرات الفاتنة الساحرة.

فَعَلامَ تَسْتَمِعِينَ مَا يَأْتِي بِهِ ... عَنِّي إِلَيْكِ الْحَاسِدُ الْجَوَّاظُ ؟[٧]

فَصِلِي مُحِبّاً مَا أَصَابَ خَطِيئَةً ... فِي دِينِ حُبِّكِ وَالْغَرَامُ حِفَاظُ

يَهْوَاكِ حَتَّى لَا يَمِيلُ بِطَبْعِهِ ... فِي حُبِّكِ الإِيذَاءُ وَالإِحْفَاظُ[٨]

نَابِي الْمَضَاجِعِ لَا تَزُورُ جُفُونَهُ ... سِنَةُ الْكَرَى وَأُولُو الْهَوَى أَيْقَاظُ[٩]

مُتَحَمِّلٌ مَا لَوْ تَحَمَّلَ بَعْضَهُ ... أَهْلُ الْمَحَبَّةِ وَالْغَرَامِ لَفَاظُوا[١٠]

فَإِذَا اسْتَهَلَّ تَرَبَّعُوا فِي مَا جَرَى ... مِنْ دَمْعِهِ وَإِذَا تَنَفَّسَ قَاظُوا[١١]

هَذَا هُوَ الْحُبُّ الَّذِي ضَاقَتْ بِهِ ... تِلْكَ الصُّدُورُ وَقَلَّتِ الْحُفَّاظُ

وقال :

مَتَى يَجِدُ الإِنْسَانُ خِلّاً مُوافِقاً ... يُخَفِّفُ عَنْهُ كُلْفَةَ الْمُتَحَفِّظِ ؟[١]

فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ بَيْنَ مُخَادِعٍ ... لإِخْوَانِهِ أَو حَاسِدٍ مُتَغَيِّظِ[٢]

وقال :

مَنْ لِقَلْبِي بِشَادِنٍ ... لَمْ يُمَتَّعْ بِحَظِّهِ ؟[١]

---

(٧) الجوّاظ : الكثير الكلام في الشرّ.

(٨) الإحفاظ : مصدر أحفظه، أي أغضبه.

(٩) نابي المضاجع : قلق أرق مسهّد لا ينام. وسنة الكرى: أوائل النوم. وأولو الهوى : العاشقون المحبّون.

(١٠) فاظوا : هلكوا وماتوا.

(١١) استهلّ : انصبّ وجرى، أي دمعه. وتربّع البعير: أكل الربيع، أي الكلأ، وتربّع القوم بمكان كذا: أقاموا فيه زمن الربيع، والضمير في «تربّعوا» يعود على أهل المحبّة في البيت السابق، وتربّعهم في ما جرى من دمعه. وقاظ القوم بالمكان: أقاموا به زمن القيظ، وهو صميم الصيف حين يشتدّ الحرّ.

(١) الخل : الصديق المختصّ. والكلفة : المشقّة. والمتحفّظ : المتوقي المحترس المتيقّظ.

(٢) متغيّظ : مغتاظ، وهو غضب كامن للعاجز.

(١) الشادن : الغزال إذا قوي وترعرع، واستغنى عن أمّه.

قَـدْ سَـبَـانِـي بِـطَرْفِـهِ   وَشَـجَـانِـي بِـلَفْـظِهِ[٢]
كُـلُّ شَـيءٍ سَيَـرْعَـوِي   غَـيْـرَ قَـلْبِي وَلَـحْـظِهِ[٣]

وَقَال :

أَنْـتَ مِـنِّـي مَـا بَيْـنَ فِـكْـرٍ ولَـفْظِ   فَـمَتَى يَشْتَفِي بِقُـرْبِـكَ لَـحْـظِي ؟
غِـبْتَ عَـنِّي مَـدَى ثَـلَاثٍ فَـزَادَتْ   حَـسَـرَاتِي وَغَـابَ أُنْـسِي وَحَـظِّي
فَـأَجِـبْ دَعْـوَتِـي وَلَا تَـنْسَ وَعْـدَاً   لَـكَ بِـالْـوَصْـلِ لَا يَـزَالُ بِحِفْـظِي

---

(٢) سباني : أسرني . والطرف : العين . وشجاني : طرّبني وهيّجني .
(٣) يرعوي : يحسن رجوعه عما هو فيه .

قافية العين

قَالَ يَرُوضُ الْقَوْلَ★ :

مَتَى أَنْتَ عَنْ أُحْمُـوقَـةِ الْغَيِّ نَـازِعُ ... وَفِي الشَّيْبِ لِلنَّفْسِ الأَبِيَّـةِ وَازِعُ ؟(١)

أَلَا إِنَّ فِي تِسْـعٍ وَعِشْـرِيـنَ حِجَّـةً ... لِكُـلِّ أَخِي لَـهْـوٍ عَنِ الـلَّهْـوِ رَادِعُ(٢)

فَحَتَّـامَ تُصِبْيُـكَ الْغَـوَانِي بِـدَلِّهَـا ... وَتَهْفُـو بِلِيتَيْـكَ الْحَمَـامُ السَّـوَاجِـعُ ؟(٣)

أَمَـا لَـكَ فِي الْمَـاضِينَ قَبْلَكَ زَاجِـرٌ ... يَكُفُّـكَ عَنْ هَـذَا بَلَى أَنْتَ طَـامِـعُ(٤)

وَهَـلْ يَسْتَفِيقُ الْمَـرْءُ مِنْ سَكْـرَةِ الصِّبَـا ... إِذَا لَمْ تُهَـذِّبْ جَـانِبَيْـهِ الْـوَقَـائِـعُ ؟

يَـرَى الْمَـرْءُ عُنْـوَانَ الْمَنُـونِ بِـرَأْسِـهِ ... وَيَـذْهَـبُ يُلْهِـي نَـفْسَـهُ وَيُصَـانِـعُ

(★) نظم الشاعر هذه العينية الطويلة الرائعة الخالدة سنة ١٨٦٨ م، وهو في التاسعة والعشرين، بعد عودته من حرب «كريد»، وبعد أن تزوج «عديلة يكن» بنحو سنة.

(١) الأحموقة: اسم من الحماقة، وهي قلّة العقل، ووضع الشيء في غير موضعه، مع العلم بقبحه. والغيّ: الجهل والضلال. والأبيّة: صفة من الإباء، وهو كراهية الشيء والامتناع منه. ووازع: اسم فاعل من وزعه، أي كفّه وزجره ومنعه.

(٢) حجّة: سنة. ورادع: اسم فاعل من ردعه عن الشيء، أي كفّه وزجره.

(٣) تصبيك: تشوقك وتفتنك، وتدعوك إلى الصبا والحنين والغرام. والغواني: جمع غانية، وهي المرأة التي غنيت بحسنها عن الزينة. ودل المرأة: حسن حديثها، وحسن مزحها، وجمال هيئتها. والليتان: صفحتا العنق، مثنى الليت، وهو صفحة العنق وجانبه. والسواجع: جمع ساجعة، من سجعت الحمامة، إذا هدلت وطرّبت في صوتها، ووالته على طريق واحد.

(٤) زاجر: كافّ رادع.

أَلَا إِنَّمَا هَذِي اللَّيَالِي عَقَارِبٌ تَدِبُّ وَهَذَا الدَّهْرُ ذِئْبٌ مُخَادِعُ(٥)

فَلَا تَحْسَبَنَّ الدَّهْرَ لُعْبَةَ هَازِلٍ فَمَا هُوَ إِلا صَرْفُهُ وَالْفَجَائِعُ(٦)

فَيَا رُبَّمَا بَاتَ الْفَتَى وَهْوَ آمِنٌ وَأَصْبَحَ قَدْ سُدَّتْ عَلَيْهِ الْمَطَالِعُ(٧)

فَفِيمَ اقْتِنَاءُ الدِّرْعِ والسَّهْمُ نَافِذٌ ؟ وَفِيمَ ادِّخَارُ الْمَالِ والْعُمْرُ ضَائِعُ ؟(٨)

يَوَدُّ الْفَتَى أَنْ يَجْمَعَ الأَرْضَ كُلَّهَا إِلَيْهِ وَلَمَّا يَدْرِ مَا اللهُ صَانِعُ

فَقَدْ يَسْتَحِيلُ الْمَالُ حَتْفاً لِرَبِّهِ وتَأْتِي عَلَى أَعْقَابِهِنَّ الْمَطَامِعُ(٩)

أَلَا إِنَّمَا الأَيَّامُ تَجْرِي بِحُكْمِهَا فَيُحْرَمُ ذُو كَدٍّ وَيُرْزَقُ وَادِعُ(١٠)

فَلَا تَقْعُدَنْ لِلدَّهْرِ تَنْظُرُ غِبَّهُ عَلَى حَسْرَةٍ فَاللهُ مُعْطٍ وَمَانِعُ(١١)

فَلَوْ أَنَّ مَا يُعْطَى الْفَتَى قَدْرُ نَفْسِهِ لَمَا بَاتَ رِئْبَالُ الشَّرَى وَهْوَ جَائِعُ(١٢)

وَدَعْ كُلَّ ذِي عَقْلٍ يَسِيرُ بِعَقْلِهِ يُنَازِعُ مِنْ أَهْوَائِهِ مَا يُنَازِعُ

فَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالَّذِي أَنَا عَالِمٌ قَدِيماً وَعِلْمُ الْمَرْءِ بِالشَّيْءِ نَافِعُ

وَلَسْتُ بِعَلَّامِ الْغُيُوبِ وَإِنَّمَا أَرَى بِلِحَاظِ الرَّأْيِ مَا هُوَ وَاقِعُ

---

(٥) تدبّ: تسير سيراً ليّناً.

(٦) صرف الدهر: حدثانه ونوائبه. والفجائع: المصائب الشديدة الفادحة، الواحدة فجيعة.

(٧) المطالع: المسالك والطرق ومواضع الطلوع.

(٨) الدرع: لبوس الحديد، يلبسها المحارب، ليتّقي بها السهام والسيوف والرماح ونحوها، والمراد باقتناء الدرع: الاحتراس والحذر والتوقّي. والمراد بالسهم: قدر الله وقضاؤه الذي لا يردّه شيء.

(٩) حتفاً: هلاكاً. وربّه: صاحبه ومالكه. وتأتي على أعقابهنّ المطامع: المراد أنها ترتدّ فلا يدركها مؤمّلها.

(١٠) الكدّ: الشدّة في العمل، وطلب الكسب، والإلحاح في محاولة الشيء. والوادع: الساكن الهادىء.

(١١) غبّه: عاقبته وآخره.

(١٢) الرئبال: الأسد. والشرى: موضع تكثر فيه الأسد، وتنسب إليه.

وَذَرْهُـمْ يَخُـوضُـوا إِنَّـمَـا هِيَ فِتْـنَـةٌ ... لَهُمْ بَيْنَهَـا عَمَّـا قَـلِيـلٍ مَصَـارِعُ(١٣)

فَـلَوْ عَـلِمَ الإِنْـسَـانُ مَـا هُـوَ كَـائِـنٌ ... لَمَـا نَـامَ سُمَّـارٌ وَلاَ هَبَّ هَـاجِـعُ(١٤)

وَمَـا هَـذِهِ الأَجْـسَـامُ إِلاَّ هَـيَـاكِـلٌ ... مُـصَـوَّرَةٌ فِـيـهَـا الـنُّـفُـوسُ وَدَائِـعُ

فَـأَيْـنَ الْمُـلُوكُ الأَقْـدَمُـونَ تَسَنَّمُـوا ... قِـلاَلَ الْعُـلاَ فَـالأَرْضُ مِنْهُمْ بَـلاَقِـعُ(١٥)

مَضَـوْا وَأَقَـامَ الـدَّهْـرُ وَانْتَـابَ بَعْدَهُمْ ... مُلُوكٌ وَبَـادُوا وَاسْتَـهَلَّتْ طَـلاَئِـعُ(١٦)

أَرَى كُـلَّ حَـيٍّ ذَاهِـبَـاً بِـيَـدِ الـرَّدَى ... فَهَـلْ أَحَـدٌ مِمَّنْ تَـرَحَّـلَ رَاجِـعُ ؟(١٧)

أُنَـادِي بِـأَعْلَى الصَّـوْتِ أَسْـأَلُ عَنْهُمُ ... فَهَـلْ أَنْتَ يَا دَهْـرَ الأَعَـاجِيبِ سَـامِعُ ؟

فَـإِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْمَـعْ نِـدَاءً وَلَمْ تُحِـرْ ... جَـوَابـاً فَـأَيُّ الشَّيْءِ أَنْتَ أُنَـازِعُ(١٨)

خَيَـالٌ لَعمْـرِي لَيْسَ يُجْـدِي طِـلاَبُـهُ ... وَمَـأْسَفَـةٌ تُـدْمَى عَلَيْهَـا الأَصَـابِـعُ

فَمَنْ لِي وَرَوْعَـاتُ الْمُنَى طَيْفُ حَـالِمٍ ... بِـذِي خُلَّةٍ تَزْكُـو لَـدَيْـهِ الصَّنَائِـعُ ؟(١٩)

أُشَـاطِـرُهُ وُدِّي وَأُفْـضِـي لِـسَـمْـعِـهِ ... بِسِـرِّي وَأُمْلِيـهِ الْمُنَى وَهْـوَ رَابِـعُ(٢٠)

لَعَلِّي إِذَا صَـادَفْتُ فِي الْـقَـوْلِ رَاحَـةً ... نَضَحْتُ غَلِيـلاً مَـا رَوَتْـهُ الْمَشَـارِعُ(٢١)

---

(١٣) ذرهم: اتركهم. والفتنة: الابتلاء والاختبار والامتحان، وهي أيضاً المحنة واختلاف الناس بالآراء. ومصارع: مهالك.

(١٤) السمّار: جمع سامر، من السمر، وهو حديث الليل. وهبّ: انتبه واستيقظ. وهاجع: نائم.

(١٥) تسنّموا: ركبوا وعلوا. وقلال العلا: ذراها وأعاليها. وبلاقع: خالية مقفرة.

(١٦) انتاب بعدهم ملوك: أي توالى بعدهم ملوك، وبادوا: هلكوا. والمراد بالطلائع هنا: جماعات الناس.

(١٧) الردى: الهلاك والموت. وترحّل: انتقل وذهب، والمراد مات.

(١٨) أنازع: أجاذب وأخاصم، والمراد أحاور.

(١٩) روعات المنى: الأمانيّ الرائعة. والطيف: الخيال الطائف في المنام. والخلّة: الصداقة المختصّة الخالصة. وتزكو: تنمو وتزيد. والصنائع: جمع صنيعة، وهي العطيّة والكرامة والإحسان واليد والمعروف تسديه إلى إنسان لتصطنعه به.

(٢٠) رابع: اسم فاعل من ربع بمعنى وقف وتحبّس وانتظر، أو بمعنى أقام واطمأن.

(٢١) الغليل: شدّة العطش وحرارته، وربما سمّيت حرارة الحبّ والحزن غليلاً. والمشارع: موارد



لَعَمْـرُ أَبِي وَهْـوَ الَّـذِي لَـوْ ذَكَـرْتُـهُ ... لَمـا اخْتَالَ فَخَّارٌ وَلاَ احْتَـالَ خَـادِعُ[٢٢]

لَمَـا نَـازَعَتْنِي النَّفْسُ فِي غَيْـرِ حَقِّهَـا ... وَلاَ ذَلَّـلَتْنِي لِلرِّجَـالِ الـمَـطَامِـعُ[٢٣]

وَمَـا أَنَـا وَالـدُّنْـيَـا نَـعِـيـمٌ وَلَـذَّةٌ ... بِـذِي تَـرَفٍ تَحْنُـو عَلَيْهِ الْمَضَـاجِـعُ

فَـلاَ السَّيْفُ مَفْلُولٌ وَلاَ الـرَّأْيُ عَـازِبٌ ... وَلاَ الـزَّنْدُ مَغْلُولٌ وَلاَ السَّاقُ ظَالِـعُ[٢٤]

وَلَـكِنَّنِي فِـي مَعْشَـرٍ لَـمْ يَـقُـمْ بِـهِـمْ ... كَرِيمٌ وَلَمْ يَرْكَبْ شَبَا السَّيْفِ خَالِـعُ[٢٥]

لَـوَاعِبُ بِـالأَسْـمَـاءِ يَبْتَـدِرُونَـهَـا ... سَفَـاهـاً وَبِـالأَلْقَابِ فَهْيَ بَضَـائِـعُ[٢٦]

وَهَـلْ فِي التَّحَلِّي بِـالْكُنَى مِنْ فَضِيلَةٍ ... إِذَا لَمْ تُـزَيِّنْ بِـالْفَعَـالِ الـطَّبَـائِـعُ[٢٧]

أُعَـاشِـرُهُـم رَغْمَـاً وَوُدِّي لَـوْ انَّ لِـي ... بِـهِمْ نَـعَمـاً أَدْعُـو بِـهِ فَـيُسَـارِعُ[٢٨]

فَيَـا قَـوْمُ هُبُّـوا إِنَّمَـا الْعُمْـرُ فُـرْصَـةٌ ... وَفِي الـدَّهْـرِ طُـرْقٌ جَمَّـةٌ وَمَنَـافِـعُ[٢٩]

الشاربة، والمواضع التي ينحدر المستقي منها إلى الماء، والمراد بالمشارع: مياهها الغزيرة، الواحدة مشرعة.

(٢٢) اختال: زهى وتكبّر. وفخّار: صيغة مبالغة من الفخر، وهو التمدّح بالخصال، وعدّ القديم، والمباهاة بالمكارم والمناقب من حسب ونسب وغيرهما. المراد بالاحتيال هنا: المخادعة.

(٢٣) نازعتني: جاذبتني وخاصمتني. وذلّله: أخضعه وحمله على الذلّ والهوان.

(٢٤) مفلول: منثلم متكسّر. والرأي: العقل والتدبير ونفاذ البصيرة والحذق بالأمور. وعازب: غائب بعيد. ومغلول: مقبوض مقيّد ممنوع من العمل. وظالع: صفة من الظلع وهو غمز في المشي يشبه العرج.

(٢٥) المعشر: الجماعة من الناس، والمراد جماعة من قومه وبني وطنه. وشباة كل شيء: حدّه. وخالع: المراد شابّ قويّ قادر على حمل السلاح والمجالدة والقتال. وركوب شبا السيف: كناية عن ركوب الأخطار، واقتحام المخاوف.

(٢٦) يبتدرونها: يعالجونها ويسارعون إليها. والسفاه: الجهل وخفّة العقل والحمق، وهو نقيض الحلم.

(٢٧) التحلّي: التزيّن. والكنى: جمع كنية، والمراد بها ما يطلق على الرجل للتعظيم والتوقير. والطبائع: جمع طبيعة، وهي الخليقة والسجيّة التي جُبِل الإنسان عليها.

(٢٨) أعاشرهم رغماً: أي أخالطهم وأعيش معهم على كره مني. والنعم: الإبل ونحوها.

(٢٩) جمّة: كثيرة، والمراد بالطرق الجمّة: الوسائل الكثيرة المختلفة التي يكسب بها العامل المجدّ الشرف والنباهة والعزّة في الحياة.

أَصَبْراً عَلَى مَسِّ الْهَوَانِ وَأَنْتُمُ ... عَدِيدُ الْحَصَى إِنِّي إِلَى اللهِ رَاجِعُ(٣٠)

وَكَيْفَ تَرَوْنَ الذُّلَّ دَارَ إِقَامَةٍ ... وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ فِي الْأَرْضِ وَاسِعُ

أَرَى أَرْؤُساً قَدْ أَيْنَعَتْ لِحَصَادِهَا ... فَأَيْنَ وَلَا أَيْنَ السُّيُوفُ الْقَوَاطِعُ ؟(٣١)

فَكُونُوا حَصِيداً خَامِدِينَ أَوِ افْزَعُوا ... إِلَى الْحَرْبِ حَتَّى يَدْفَعَ الضَّيْمَ دَافِعُ(٣٢)

أَهَبْتُ فَعَادَ الصَّوْتُ لَمْ يَقْضِ حَاجَةً ... إِلَيَّ وَلَبَّانِي الصَّدَى وَهْوَ طَائِعُ(٣٣)

فَلَمْ أَدْرِ أَنَّ اللهَ صَوَّرَ قَبْلَكُمْ ... تَمَاثِيلَ لَمْ يُخْلَقْ لَهُنَّ مَسَامِعُ

فَلَا تَدَعُوا هَذِي الْقُلُوبَ فَإِنَّهَا ... قَوَارِيرُ مَحْنِيٌّ عَلَيْهَا الْأَضَالِعُ

وَدُونَكُمُوهَا صَعْدَةً مَنْطِقِيَّةً ... تَفُلُّ شَبَا الْأَرْمَاحِ وَهْيَ شَوَارِعُ(٣٤)

تَسِيرُ بِهَا الرُّكْبَانُ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ ... وَتَلْتَفُّ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهَا الْمَجَامِعُ(٣٥)

فَمِنْهَا لِقَوْمٍ أَوْشُحٌ وَقَلَائِدٌ ... وَمِنْهَا لِقَوْمٍ آخَرِينَ جَوَامِعُ(٣٦)

---

(٣٠) الهوان: الذلّ والخزي. وعديد الحصى: مثله في العدد والكثرة، يقال: هم عديد الحصى، إذا كانوا لا يحصون كثرة، كما يعزّ الحصى على الإحصاء.

(٣١) أينعت: أدركت ونضجت وحان قطافها، أي الرؤوس على تشبيهها بالثمار. والحصاد: مصدر حصدت الزرع والنبات أي قطعته بالمنجل ونحوه.

(٣٢) الحصيد: الزرع المحصود. وخامدين: موتى ساكتين هامدين. والضيم: الظلم.

(٣٣) أهاب بصاحبه: دعاه وناداه وصاح به. ولبّاني: أجابني.

(٣٤) دونكموها: خذوها، أي خذوا هذه القصيدة المشتملة على المشورة والنصيحة. والصعدة: القناة التي تنبت مستوية، فلا تحتاج إلى تثقيف. ومنطقيّة: نسبة إلى المنطق أي الكلام. وتفلّ: تثلم وتكسر. وشباة الرمح ونحوه: حدّه وسنانه، والجمع شبا. وشوارع: مسدّدة موجّهة إلى الأعداء.

(٣٥) الركبان: جماعة الراكبين في السفر. والمجامع: جمع مجمع، وهو اسم للمجتمعين من الناس.

(٣٦) الأوشح: جمع وشاح، وهو كرسان، أي نظمان أو فرعان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما، معطوف أحدهما على الآخر تتوشّح المرأة به، والوشاح أيضاً: شبه قلادة ينسج من أديم عريضاً ويرصّع بالجوهر وتشدّه المرأة بين عاتقها وكشحها. والقلائد: جمع قلادة، وهي



أَلاَ إِنَّهـا تِلْكَ الَّـتِي لَـوْ تَـنَـزَّلَـتْ عَلَى جَبَـلٍ أَهْوَتْ بِـهِ فَهْـوَ خَـاشِـعُ[٣٧]

وَقَالَ :

أَتُـرَى الْحَمَـامَ يَنُـوحُ مِنْ طَـرَبٍ مَعِي وَنَـدَى الْغَمَـامَـةِ يَسْتَهِـلُّ لِمَـدْمَعِي ؟[١]

مَـا لِـلنَّسِـيـمِ بَلِيـلَـةً أَذْيَـالُـهُ ؟ أَتُـرَاهُ مَـرَّ عَـلَى جَـدَاوِلِ أَدْمُـعِـي ؟

بَـلْ مَـا لِهَـذا الْبَـرْقِ مُلْتَهِبَ الحَشَا ؟ أَسَمَتْ إِلَيْـهِ شَـرَارَةٌ مِنْ أَضْـلُعِي ؟[٢]

لَمْ أَدْرِ هَـلْ شَعَـرَ الـزَّمَـانُ بِـلَوْعَتِـي فَـرَثَى لَهَا أَمْ هَـاجَتِ الـدُّنْيَـا مَعِي ؟

فَـالْغَيْثُ يَهْمِـي رِقَّـةً لِـصَبَـابَـتِي وَالـطَّيْـرُ تَبْكِي رَحْمَـةً لِـتَـوَجُّعِي[٣]

خَـطَرَاتُ شَـوْقٍ أَلْـهَبَـتْ بِجَـوَانِـحِي نَـاراً يَـدِبُّ أَزِيـزُهَـا فِي مِسْمَعِـي[٤]

وَجَـوىً كَـأَطْـرَافِ الأَسِنَّـةِ لَمْ يَـدَعْ لِـلصَّبْـرِ بَـيْنَ مَـقِيـلِهِ مِـنْ مَـفْـزَعِ[٥]

يَـأَهْـلَ ذَا الـنَّـادِي أَلَيْسَ بِـكُمْ فَـتـىً يَـرْثِي لِوَيـلاَتِ الْمَشُـوقِ الْمُـولَـعِ ؟[٦]

ما يجعل في العنق للزينة كالعقد ونحوه. والجوامع: الأغلال، وهي الأطواق الحديدية التي تجعل في الأعناق، الواحدة جامعة.

(٣٧) خاشع: ساكن خاضع، والمراد أنه تصدّع وتداعى واستوى بالأرض.

(١) نوح الحمام: سجعه وهديله إذا أشبه نوح المرأة. والطرب (هنا): الشوق، وخفّة تعتري من يشتدّ به الحزن والهم. والندى (هنا): الغيث والمطر. والغمامة: السحابة. ويستهلّ: يشتدّ انصبابه.

(٢) الحشا: ما اشتملت عليه الضلوع، وما حواه الجوف. وسمت. علت وارتفعت.

(٣) الغيث: المطر. ويهمي: يسقط وينصبّ ويسيل. والصبابة: رقّة الهوى، وحرارة الشوق.

(٤) خطرات الشوق: خواطره وهواجسه ونزعاته. وألهبت: أشعلت وأوقدت. والجوانح أضلاع الصدر، الواحدة جانحة. ويدبّ: يمشي ويسير. وأزيز النار: صوت التهابها في الحطب ونحوه.

(٥) الجوى: حرقة الهوى، وشدّة الوجد. والأسنّة: جمع سنان، وهو نصل الرمح، وحديدته التي يطعن بها. والمراد بمقيل الجوى: مستقرّه وموضعه من القلب أو النفس. والمفزع: الملجأ.

(٦) النادي: مجلس القوم ومجتمعهم. ويرثي: يرق ويتوجّع.

أَبْكِي فَيَـرْحَمُنِي الْجَمَـادُ وَلاَ أَرَى ... خِـلاًّ يَـرِقُّ إِلَى شَكَـاتِي أَوْ يَعِي[٧]
فَـإِذَا دَعَـوْتُ بِصَـاحِبٍ لَـمْ يَلْتَفِتْ ... وَإِذَا لَـجَـأْتُ إِلَى أَخٍ لَـمْ يَـنْـفَـعِ
وَمِنَ الْعَجَـائِبِ أَنَّنِي أَشْكُـو الْهَـوَى ... وَالـذَّنْبُ لِي فِي كُـلِّ مَـا أَنَـا مُـدَّعِي
قَدْ طَـالَمَـا يَا قَلْبُ قُلْتُ لَـكَ احْتَرِسْ ... أَرَأَيْتَ كَيْفَ يَخِيبُ مَـنْ لَمْ يَسْمَـعِ ؟
أَوْقَعْتَ نَفْسَـكَ فِي حَبَائِـلِ خُدْعَـةٍ ... لاَ تُسْتَقَـالُ فَخُـذْ لِنَفْسِـكَ أَوْ دَعِ[٨]
يَـا ظَبْيَـةَ الْمِقْيَـاسِ هَـذَا مَـدْمَعِي ... فَـرِدِي وَهَـذَا رَوْضُ قَلْبِي فَـارْتَعِي[٩]
إِنْ كَـانَ لاَ يُـرْضِيـكِ إِلاَّ شِقْـوَتِي ... فَلَقَـدْ بَلَغْتِ مُنَـاكِ مِنْهَـا فَـاقْنَعِي
أَنَـا مِنْـكِ بَيْـنَ صَبَـابَـةٍ لاَ تَـنْقَضِي ... أَيَّـامُـهَـا وَغَـوَايَـةٍ لَمْ تُـقْـلِعِ[١٠]
فَثِقِي بِمَـا تُـمْلِيـهِ أَلْسِنَـةُ الْـهَـوَى ... وَهْيَ الـدُّمُـوعُ فَحَقُّهَـا لَـمْ يُـدْفَـعِ
لاَ تَحْسَبِي قَـوْلِي خَـدِيعَـةَ مَـاكِـرٍ ... إِنَّ الْـوَفِـيَّ بِعَـهْـدِهِ لَـمْ يَـخْـدَعِ
إِنِّـي لأَقْنَـعُ مِـنْ هَـوَاكِ بِـنَـظْـرَةٍ ... وَأَعُـدُّهَـا صِـلَةً إِذَا لَـمْ تَـمْـنَـعِي
هَـذِي مُـنَـايَ وَحَبَّـذَا لَـوْ نِـلْتُـهَـا ... عَـنْ طِيبِ نَفْسٍ فَـهْيَ أَكْبَـرُ مُقْنِـعِ

وَقَالَ :

هَـلْ مِنْ فَتَـى يَنْشُـدُ قَلْبِي مَعِي ... بَيْنَ خُـدُورِ الْعَيْـنِ بِـالأَجْـرَعِ ؟[١]

---

(٧) الخلّ: الصديق. ورقّ لشكاته: استمع لشكواه في رحمة وعطف.

(٨) الحبائل: جمع حبالة، وهي الشرك ونحوه مما يصاد به. ويراد بالخدعة هنا: فتنة الحبّ، وبلوى الغرام. ولا تستقال: المراد لا تردّ، ولا يرجى التخلّص منها.

(٩) الظبية: الفتيّة من الغزلان، تشبّه بها الفتاة في جمال الجيد والعينين والرشاقة، ولطف الحركة، وحسن التثنّي. وروضة المقياس: جزيرة في النيل شرقيّ الجيزة وغربيّ مصر القديمة وفي جنوبيها مقياس النيل المشهور.

(١٠) الصبابة: رقّة الهوى، وحرارة الشوق. والغواية: الضلال والانهماك في الجهل، والمراد بها هنا فتنة الحبّ، وبلوى الغرام. وتقلع: تنجلي وتنكشف وتزول.

(١) ينشد قلبي: يطلبه، ويبحث عنه. والخدور: جمع خدر، وهو ستر يمدّ للجارية في ناحية

كَانَ مَعِي ثُمَّ دَعَاهُ الْهَوَى … فَمَرَّ بِالْحَيِّ ولم يَرْجِعِ

فَهَلْ إِذَا نَادَيْتُهُ بِاسْمِهِ … يُفِيقُ مِنْ سَكْرَتِهِ أَوْ يَعِي ؟

هَيْهَاتَ يَلْقَى رَشَداً بَعْدَمَا … أَغْوَاهُ لَحْظُ الرَّشَإِ الأَتْلَعِ (٢)

فَيَا دُمُوعَ الْقَطْرِ سِيلِي دَماً … وَيَا بَنَاتِ الأَيْكِ نُوحِي مَعِي (٣)

وَأَنْتِ يَا نَسْمَةَ وَادِي الْغَضَى … مُرِّي بِرَيَّاكِ عَلَى مَرْبَعِي (٤)

وَأَنْتِ يَا عُصْفُورَةَ الْمُنْحَنَى … بِاللهِ غَنِّي طَرَباً وَاسْجَعِي (٥)

وَأَنْتِ يَا عَيْنُ إِذَا لَمْ تَفِي … بِذِمَّةِ الدَّمْعِ فَلاَ تَهْجَعِي (٦)

صَبَابَةٌ أَغْرَتْ عَلَيَّ الأَسَى ! … وَدَلَّتِ السُّهْدَ عَلَى مَضْجَعِي !(٧)

وَيْلاَهُ مِنْ نَارِ الْهَوَى إِنَّهَا … لَوْلاَ دُمُوعِي أَحْرَقَتْ أَضْلُعِي

أَبِيتُ أَرْعَى النَّجْمَ فِي سُدْفَةٍ … ضَلَّ بِهَا الصُّبْحُ فَلَمْ يَطْلُعِ (٨)

البيت، وقد يطلق على كل ما واراك من بيت ونحوه. والعين: جمع عيناء، وهو عظم سواد العين وسعتها. والأجرع: أرض رمليّة طيّبة المنبت والهواء، لا وعوثة فيها، ولا وخامة.

(٢) أغواه: أضلّه وفتنه. واللحظ: النظر بمؤخر العين، والمراد باللحظ هنا: النظر الفاتن الساحر، أو العيون الجميلة الساحرة. والرشأ: الظبي إذا قوي واشتدّ، ومشى مع أمّه، وقد جرى الشعراء على تشبيه الحسان من النساء بالظباء والغزلان. والأتلع: صفة من التلع، وهو حسن طول العنق.

(٣) القطر: المطر. والأيك: جمع أيكة، وهي الشجر الكثير الملتفّ. وبنات الأيك: الطيور.

(٤) الغضى: نوع من الشجر يكثر بنجد، وقد اشتهر خشبه بالقوّة والصلابة، كما اشتهر جمره وناره بشدّة الاشتعال، وطول التوقّد. والشاعر يشير بوادي الغضى إلى منزل الحبّ وديار الحبيبة. والريا: الريح الطيبة، أو طيب الرائحة. ومربعي: منزلي ومكان إقامتي.

(٥) اسجعي: أمر من سجعت الحمامة أي هدرت وردّدت صوتها على وجه واحد.

(٦) لا تهجعي: لا تنامي، والمراد الدعاء عليها بعدم الهجوع.

(٧) الصبابة: رقّة الهوى، وحرارة الشوق. وأغرت عليّ الأسى: جعلتني محزوناً كثير الهمّ والكآبة. والسهد: الأرق والسهر. والمضجع: مكان الضجوع، وهو النوم على الجنب.

(٨) أرعى النجم: أراقبه وأنتظر مغيبه. والسدفة: الظلمة. وضلّ بها الصبح: ضلّ بسبب السدفة عن طريقه، ولم يهتد إلى مطلعه.

لَا أَهْـتَـدِي فِـيـهَـا إِلَـى حِـيـلَـةٍ　　تَـقِي حَيَـاتِي مِنْ يَـدَيْ مَـصْـرَعِـي

طَـوْرَاً أُدَارِي لَـوْعَـتِي بِـالْـمُـنَـى　　وَتَـارَةً يَـغْـلِـبُـنِـي مَـدْمَـعِـي(٩)

فَـهَـلْ إِلَـى الأَشْـوَاقِ مِـنْ غَـايَـةٍ ؟　　أَمْ هَـلْ إِلَى الأَوْطَـانِ مِنْ مَـرْجَـعِ ؟

لَا تَـأْسَ يَـا قَـلْبُ عَـلَى مَـا مَـضَـى　　لَا بُـدَّ لِـلْمِـحْـنَـةِ مِنْ مَـقْـطَعِ(١٠)

وَقَالَ :

فُـؤَادٌ بِـأَقْـمَـارِ الأَكِـلَّةِ مُـولَـعُ　　وَعَيْنٌ عَـلَى إِثْـرِ التَّـفَـرُّقِ تَـدْمَـعُ(١)

وَشَـوْقٌ كَنَصْـلِ السَّيْفِ لَـوْ شِمْتُ حَـدَّهُ　　عَلَى بَـطَلٍ لَانْقَـدَّ مِـنْـهُ الْمُـقَنَّـعُ(٢)

أُحَـاوِلُ كِـتْمَـانَ الْـهَـوَى فَتَشِي بِـهِ　　غُـرُوبٌ مِنَ الْعَيْنِ الْقَـرِيحَـةِ تَهْمَـعُ(٣)

وَمَـا الْـحُـبُّ إِلَّا نَـفْـثَـةٌ بَـابِـلِيَّـةٌ　　يَكَـادُ الصَّفَـا مِنْ مَسِّهَـا يَـتَصَـدَّعُ(٤)

خَلِيلَيَّ هَـلْ بَعْـدَ الصَّـبَـابَـةِ سَلْوَةٌ ؟　　وَهَلْ لِشَبَابٍ فَـاتَ بِالأَمْسِ مَـرْجِعُ ؟(٥)

---

(٩) طوراً: تارة.

(١٠) لا تأس: لا تحزن. والمحنة: البلوى.

(١) الأكلّة: جمع للإكليل، وهو منزل من منازل القمر. ومولع: مغرى مغرم.

(٢) نصل السيف: حديدته القاطعة. وشمت السيف: سللته، أي انتزعته وأخرجته من غمده. وانقدّ: انشقّ وانقطع. والمقنّع: المتغطّي، والمراد الرأس المغطّى بالمغفر والخوذة ونحوهما.

(٣) وشى به: نمّ عليه وأظهره. والغروب: الدموع حين تخرج من العين. وقريحة: مجروحة. وتهمع: تسيل.

(٤) النفثة: من النفث، وهو شبه نفخ لطيف بلا ريق، يكون من الراقي والساحر. وبابلية: منسوبة إلى «بابل»، وهي مدينة من أعظم مدن العالم القديم، على الجانب الأيسر من نهر الفرات. وإليها ينسب السحر والخمر. والصفا: جمع صفات، وهي صخرة عريضة ملساء، أو هي الحجر الصلد الضخم الذي لا ينبت شيئاً.

(٥) خليلي: مثنى خليل، وهو الصديق، ونداء الصديقين، ومخاطبة الرفيقين من مزايا لغة الشعر. والصبابة: رقّة الهوى، وحرارة الشوق. والسلوة: اسم مرّة من سلاه وسلا عنه، أي نسيه، وصبر على غيابه وفراقه.

أَبِيتُ أُمَنِّي النَّفْسَ طَوْراً فَتَرْعَوِي ... وَأَتْلُو عَلَيْهَا الْيَأْسَ طَوْراً فَتَجْزَعُ[٦]

وَمَا ذِكْرُ رَيْعَانِ الصِّبَا غَيْرُ حَسْرَةٍ ... تَذِلُّ لَهَا نَفْسُ الْعَزِيزِ وَتَخْضَعُ[٧]

فَلَا رَحِمَ اللهُ الْمَشِيبَ وَعَصْرَهُ ... وَإِنْ كَانَ فِي أَثْنَائِهِ الْحِلْمُ أَجْمَعُ[٨]

نَهَارُ مَشِيبٍ سَاءَنِي وَهْوَ أَبْيَضٌ ... وَلَيْلُ شَبَابٍ سَرَّنِي وَهْوَ أَسْفَعُ[٩]

إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ شَابَ فُؤَادُهُ ... وَلَمْ يَبْقَ فِيهِ لِلْبَشَاشَةِ مَوْضِعُ

وَأَيُّ نَعِيمٍ فِي مَشِيبٍ وَرَاءَهُ ... هُمُومٌ إِذَا مَرَّتْ عَلَى الْقَلْبِ يَفْزَعُ ؟

لِيَبْكِ الصِّبَا قَلْبِي وَطَرْفِي كِلَاهُمَا ... وَقَلَّ لَهُ مِنِّي نَجِيعٌ وَأَدْمُعُ[١٠]

زَمَانٌ تَوَلَّى غَيْرَ أَعْقَابِ ذُكْرَةٍ ... إِذَا خَطَرَتْ كَادَتْ لَهَا النَّفْسُ تُنْزَعُ[١١]

وَقَالَ فِي الْغَزَلِ :

كَتَمْتُ الْهَوَى خَوْفَ إِفْشَائِهِ ... فَأَلْهَبَ نَارَ الْغَضَى فِي ضُلُوعِي[١]

فَلَمَّا خَشِيتُ عَلَى مُهْجَتِي ... أَذَعْتُ الْهَوَى بِلِسَانِ الدُّمُوعِ[٢]

---

(٦) طوراً: تارة. وترعوي: تكفّ وتنصرف عمّا هي فيه من همّ وضجر.

(٧) ريعان كلّ شيء: أوّله وأفضله. والصبا: الصغر، والمراد بريعان الصبا: زمن الشباب. والعزيز: القويّ المنيع.

(٨) أثناء الشيء: تضاعيفه، واحدها ثني.

(٩) أسفع: أسود، صفة من السفعة، وهي سواد أشرب حمرة.

(١٠) الطرف: العين. والنجيع: الدم، أو دم الجوف خاصّة، أو الدم المصبوب، أو ما كان منه إلى السواد.

(١١) تولّى: أدبر وأعرض وذهب. وأعقاب الشيء: أواخره ونهاياته وعواقبه. وتنزع: تنتزع وتقتلع وتزهق.

(١) الإفشاء: مصدر أفشيت السرّ ونحوه. أي أظهرته. وألهبت النار: أوقدتها وأضرمتها وأشعلتها. والغضى: نوع من الشجر خشبه من أصلب الخشب، ولهذا يكون في فحمه صلابة، وفي ناره شدّة وقوّة.

(٢) المهجة: الروح والنفس، ولا بقاء للنفس بعد ما تراق مهجتها.

وقال:

أَلا بِــأَبِي مَنْ حُــسْنُــهُ وَحَــدِيــثُــهُ ... إِذَا مَــا الْتَقَيْنَــا لَــذَّةُ الْعَيْنِ وَالسَّــمْــعِ
رَأَى مُقْلَتِي تَــرْعَى رِيَــاضَ جَــمَــالِــهِ ... فَعَــاقَبَهَا حَــدَّيْنِ بِالسُّهْــدِ وَالــدَّمْــعِ

وَقَالَ فِي العِتَابِ:

أَلَيْسَ مِنَ الْعَــدْلِ أَنْ تَسْمَعَــا؟ ... فَــأَشْكُــو إِلَيْــكَ نَمُــومــاً سَعَى[1]
أَطَــاعَ لَــهُ الْمَــاءُ حَتَّــى اسْتَقَى ... وَأَمْكَنَــهُ الــرِّعْيُ حَتَّــى رَعَى[2]
أَتَــاكَ فَــأَغْــشَــيْــتَــهُ مَــنْــزِلاً ... رَحِيبــاً وَأَرْعَيْتَــهُ مِسْمَعَــاً[3]
فَــأَبْــدَعَ مَــا شَــاءَ فِي فِــرْيَــةٍ ... تَــأَنَّقَ فِي صُنْعِهَــا وَادَّعَــى[4]
صَنَــاعُ اللِّسَــانِ خَــلُوبُ الْبَيَــا ... نِ يَخْلُقُ مِنْ ضِحْكِــهِ أَدْمُعَــا[5]
حَــرِيصٌ عَــلَى الشَّــرِّ لا يَنْثَنِي ... عَنِ الْقَصْــدِ مَا لَمْ يَجِدْ مَنْزَعــا[6]
يَــسِيــرُ مَــعَ الــرِّفْقِ حَتَّــى إِذَا ... تَمَكَّــنَ مِنْ فُــرْصَــةٍ أَوْضَعَــا[7]
وَمَــا كَــانَ لَــوْلا خِلاجُ الــظُّنُــونِ ... لِيَــرْغَبَ فِي الْقَــوْلِ أَوْ يَــطْمَعَــا[8]

---

(١) النموم: النمّام، صيغة مبالغة من النميمة، وهي تزيين الكلام بالكذب، والسعي بين الناس بالفتنة والتفرقة والفساد.
(٢) استقى من النهر والبئر ونحوهما: أخذ من مائهما. وأمكنه الأمر: سهل عليه وتيسّر.
(٣) أغشيته منزلاً: أنزلته به، وجعلت المنزل يغشاه ويحويه.
(٤) أبدعت الشيء: اخترعته لأعلى مثال. والفرية: اسم من افترى عليه كذباً، أي اختلقه. وتأنّق في الأمر: أجاده، وأتقنه وأحكمه. وادّعى كذا: زعم.
(٥) صناع اللسان: لبق ماهر فصيح بليغ حاذق في صناعة الكلام. وخلوب: خدّاع. والبيان: الفصاحة واللسن والمنطق الفصيح.
(٦) لا ينثني: لا يكفّ، ولا ينصرف. والمراد بالقصد هنا: ما يقصده من الشرّ والسعاية والنميمة. ومنزع: من نزع فلان عن الأمر، أي كفّ عنه وانتهى.
(٧) أوضع: أسرع.
(٨) خلاج الظنون: اضطرابها وتحرّكها في نفس الإنسان، من قولهم: خالج قلبي أمر، أي نازعني

وَلاَ وَحِفَاظِكَ وَهْوَ الْيَمِيـ ـنُ مَا حُلْتُ عَنْ عَهْدِكُمْ إِصْبَعًا(٩)
وَلَكِنَّهَا نَزَغَاتُ الْوُشَاةِ أَصَابَتْ هَوىً فَلَوَتْ أَخْدَعَا(١٠)
وَلَيْسَ مَلاَمِي عَلَى مَنْ وَشَى وَلَكِنْ مَلاَمِي على مَنْ وَعَى(١١)
أَيَجْمُلُ بِالْعَهْدِ أَنْ يُسْتَبَاحَ لِوَاشٍ وَلِلْوُدِّ أَنْ يُقْطَعَا ؟(١٢)
فَشَتَّانَ مَا بَيْنَنَا فِي الْوِدَا دِ خِلٌّ أَضَاعَ وَخِلٌّ رَعَى(١٣)
وَمَنْ أَشْرَكَ النَّاسَ فِي أَمْرِهِ دَعَتْهُ الضَّرُورَةُ أَنْ يُخْدَعَا(١٤)
فَخُذْهَا إِلَيْكَ عِتَابِيَّةً تَرُدُّ عَصِيَّ الْمُنَى طَيِّعَا(١٥)
وَلَوْلاَ مَكَانُكَ مِنْ مُهْجَتِي لَمَا قُلْتُ لاِبْنِ عِثَارٍ لَعَا(١٦)

وَقَالَ فِي الوَدَاعِ :

إِنَّ قَلْبِي وَهْوَ الأَبِيُّ دَهَتْهُ فُرْقَةٌ صَيَّرَتْهُ نَهْباً مُشَاعَا(١)

منه فكر، وخالجني همّ، وتخالجتني الهموم: تجاذبتني. ورغبت في الشيء: أردته، وهو ضد رغبت عنه.
(٩) الحفاظ: الدفاع عن الحرم والمحافظة عليها.
(١٠) النزغات: جمع نزغة، اسم مرة من النزغ وهو الإفساد بين الناس، وإلقاء العداوة والبغضاء بينهم، وهو أشبه بالسعاية والنميمة. والوشاة: جمع الواشي، من وشى به، أي نمّ عليه، وسعى به. والأخدع: عرق في جانب العنق قد خفي وبطن، وهما أخدعان في جانبي الرقبة.
(١١) الملام: اللوم. ورعى: حفظ وفهم.
(١٢) يُستباح: يستحلّ ويسلب وينتهب.
(١٣) الخل: الصديق.
(١٤) أشرك الناس في أمره: جعلهم شركاءه فيه.
(١٥) عتابيّة: منسوبة إلى العتاب، ويريد بالعتابيّة هذه القصيدة التي عاتبه بها.
(١٦) مهجتي: نفسي. وعثار: اسم من عثر الماشي في سيره، إذا زلّ وكبا وسقط، وابن العثار: العاثر. ولعا: كلمة يدعى بها للعاثر، يقولون له: «لعاً لك» إذا أرادوا الدعاء له بالانتعاش والارتفاع. والمراد بابن العثار هنا: المعاتب.
(١) دهته: أصابته. والنهب: الغنيمة والشيء الذي ينهب.

لَا تَـرَى غَيْـرَ وَاقِفٍ يَسْفَـحُ الـدَّمْـ ـعَ وَسَاهٍ لَا يَسْتَطِيعُ زَمَاعَا[٢]

وُصْـلَةٌ قَـرَّبَتْ بِـعَـادَاً وَبَـيْـنٌ مِنْ حَبِيبٍ أَجَدَّ فِيـهِ اجْتِمَاعَا[٣]

كُنْتُ أَخْشَى الْـوَدَاعَ حَتَّى إذَا مَـا فَـارَقُـونِي أَمْسَيْتُ أَرْجُـو الْـوَدَاعَـا

وَقَالَ :

إِذَا كَـانَ أَمْـرُ اللهِ حَـتْـمَـاً مُـقَـدَّرَاً فَمَاذَا يُفِيدُ الْحِـرْصُ وَالْأَمْـرُ وَاقِـعُ ؟

وَقَالَ :

إنَّ الـنَّـصِـيـحَـةَ لَا تَـحُـضْـ ـضُ عَـلَى الْأَذَى إِنْ لَـمْ تَـزَعْ[١]

فَـاسْـمَـعْ فَـإِنْ خَـيْـرَاً أَصَـبْـ ـتَ فَـخُـذْ وإِنْ شَـرَّاً فَـدَعْ

وَقَالَ :

لِكُـلِّ قَـوْلٍ مَـنَـارٌ يَسْتَقِيـمُ بِـهِ عِنْـدَ الْخِطَابِ فَمَلْفُـوظٌ وَمَسْمُـوعُ[١]

فَـالْعَتْبُ إِنْ جَـازَ حَـدَّ الْعَـدْلِ مَقْـطَعَـةٌ وَالنُّصْحُ مَا لَمْ يَكُنْ فِي السِّرِّ تَقْرِيعُ[٢]

---

(٢) يسفح الدمع: يذرفه ويرسله ويصبّه. وساه: ذاهل غافل. والزماع: المضاء في الأمر، والعزم عليه.

(٣) البين: الفراق. وأجدّ فلان الأمر: أحدثه، أو صيّره جديداً.

(١) لا تحضّ على الأذى: لا تحثّ على الضرّ، ولا تدعو إلى الشرّ، ولا تحرّض عليه. وتزع: تكفّ وتنهى وتمنع.

(١) المنار: علم الطريق، والحدّ يوضع بين الشيئين ليتميّز أحدهما من الآخر، ويراد بالمنار هنا: الأوصاف والعلامات التي تدل على إخلاص القائل، أو خبثه وسوء نيّته. وملفوظ: المراد مطروح مرمى ساقط غير مقبول، ففي الكلمة تورية. ومسموع: المراد مقبول نافع.

(٢) العتب: لومك غيرك على إساءة وقعت منه. وجاز حدّ العدل: تعدّاه. ومقطعة: يحمل على القطيعة والهجران. والتقريع: التأنيب والتعنيف، والإيجاع باللوم، والتوبيخ، والعذل الشديد.



وَقَالَ(★) يَرْثِي صَدِيقَهُ «أَحْمَد فَارِس»(★★) وَيُعَزِّي ابْنَهُ:

مَتَى يَشْتَفِي هَـذَا الْفُؤَادُ الْمُفَجَّـعُ ... وَفِي كُلِّ يَوْمٍ رَاحِلٌ لَيْسَ يَرْجِعُ؟(١)

نَمِيلُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى ظِلِّ مُزْنَـةٍ ... لَهَا بَارِقٌ فِيهِ الْمَنِيَّةُ تَلْمَـعُ(٢)

وَكَيْفَ يَطِيبُ الْعَيْشُ وَالْمَـرْءُ قَـائِمٌ ... عَلَى حَذَرٍ مِنْ هَوْلِ مَا يَتَوَقَّـعُ؟(٣)

بِنَا كُلَّ يَوْمٍ لِلْحَـوَادِثِ وَقْعَـةٌ ... تَسِيلُ لَهَا مِنَّا نُفُوسٌ وَأَدْمُـعُ(٤)

فَأَجْسَادُنَا فِي مَطْرَحِ الأَرْضِ هُمَّـدٌ ... وَأَرْوَاحُنَا فِي مَسْرَحِ الْجَوِّ رُتَّـعُ(٥)

وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّا نُسَاءُ وَنَرْتَضِي ... وَنُدْرِكُ أَسْبَابَ الْفَنَاءِ وَنَطْمَـعُ(٦)

وَلَوْ عَلِمَ الإِنْسَانُ عُقْبَانَ أَمْرِهِ ... لَهَانَ عَلَيْهِ مَا يَسُرُّ وَيَفْجَـعُ(٧)

(★) نظم البارودي هذه المرثاة في منفاه سنة ١٨٨٧م، فهي من سرنديبيّاته.

(★★) أحمد فارس بن يوسف بن منصور الشهير بالشدياق (١٢١٩ - ١٣٠٤ هـ / ١٨٠٤ - ١٨٨٧م) عالم لغويّ أديب كاتب شاعر، ولد في إحدى قرى لبنان، وتأدّب في مصر، وتنقّل بين مالطة وأوربا، ثم سافر إلى تونس، واعتنق فيها الدين الإسلاميّ، ثم دعي إلى القسطنطينية، فأقام بها حتى مات، وأصدر بها «جريدة الجوائب» المشهورة، وله مؤلفات كثيرة منها «كنز الرغائب في منتخبات الجوائب» و «الجاسوس على القاموس» و «الساق على الساق فيما هو الفارياق»، و «الواسطة في أحوال مالطة».

(١) المفجّع: من فجّعته المصيبة تفجيعاً، أي أوجعته. والمراد بالراحل الذي ليس يرجع: الميّت.

(٢) المزنة: السحابة، أو السحابة البيضاء. وبارق: اسم فاعل من برق البرق، أي بدا وظهر وتلألأ ولمع، والمراد: لها برق بارق.

(٣) الحذر: الخوف والتحرّز والاحتراس. والهول: الأمر الشديد المخوف.

(٤) حوادث الدهر: نوبه ونوازله وأحداثه. والوقعة: صدمة الحرب. وتسيل النفوس: تزهق.

(٥) المراد بمطرح الأرض: القبور التي تطرح فيها أجساد الموتى. وهمّد: جمع هامد، صفة من الهمود، وهو السكوت والسكون والموت. ورتع: جمع راتع وراتعة، صفة من رتعت الماشية أي رعت كيف شاءت وأكلت ما شاءت، وذهبت وجاءت وتنقّلت في المرعى، ولا يكون الرتوع إلا في الخصب والسعة، والمراد برتوع الأرواح: انطلاقها وتنقّلها.

(٦) ساءه: فعل به ما يكره. والفناء: الهلاك، وهو نقيض البقاء.

(٧) عقبان كلّ شيء: آخره ونهايته. ويفجع: يوجع ويسوء ويحزن، من الفجع وهو أن يوجع الإنسان بشيء يكرم عليه، فيعدمه.

تَسِيرُ بِنَا الأَيَّامُ وَالْمَوْتُ مَوْعِدٌ وَتَدْفَعُنَا الأَرْحَامُ وَالأَرْضُ تَبْلَعُ

عَفَاءٌ عَلَى الدُّنْيَا فَمَا لِعِدَاتِهَا وَفَاءٌ وَلَا فِي عَيْشِهَا مُتَمَتَّعُ[8]

أَبَعْدَ سَمِيرِ الْفَضْلِ «أَحْمَدَ فَارِسٍ» تَقَرُّ جُنُوبٌ أَوْ يُلَائِمُ مَضْجَعُ؟[9]

كَفَى حَزَناً أَنَّ النَّوَى صَدَعَتْ بِهِ فُؤَاداً مِنَ الْحِدْثَانِ لَا يَتَصَدَّعُ[10]

وَمَا كُنْتُ مِجْزَاعاً وَلَكِنَّ ذَا الأَسَى إِذَا لَمْ يُسَاعِدْهُ التَّصَبُّرُ يَجْزَعُ[11]

فَقَدْنَاهُ فِقْدَانَ الشَّرَابِ عَلَى الظَّمَا فَفِي كُلِّ قَلْبٍ غُلَّةٌ لَيْسَ تُنْقَعُ[12]

وَأَيُّ فُؤَادٍ لَمْ يَبِتْ لِمُصَابِهِ عَلَى لَوْعَةٍ أَوْ مُقْلَةٍ لَيْسَ تَدْمَعُ؟[13]

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلدَّمْعِ فِي الْخَدِّ مَسْرَبٌ رَوِيٌّ فَمَا لِلْحُزْنِ فِي الْقَلْبِ مَوْضِعُ

مَضَى وَوَرِثْنَاهُ عُلُوماً غَزِيرَةً تَظَلُّ بِهَا هِيمُ الْخَوَاطِرِ تَشْرَعُ[14]

إِذَا تُلِيَتْ آيَاتُهَا فِي مَقَامَةٍ تَنَافَسَ قَلْبٌ فِي هَوَاهَا وَمِسْمَعُ[15]

---

(٨) العفاء: الدروس والإمحاء والهلاك والفناء، والعفاء أيضاً: التراب. والعدات: جمع عدة وهي الوعد.

(٩) السمير: المسامر، صفة من المسامرة وهي الحديث بالليل. وسمير الفضل: قرينه وجليسه ومحدّثه، والمراد أن المرثي كان فاضلاً خيّراً كريماً. ويلائم: يوافق. والمضجع: مكان الضجوع، وهو النوم على الجنب.

(١٠) النّوى: البعد، أو هي الوجه الذي ينويه المسافر من قرب أو بعد. وصدعت: شقّت وفرقت. وحدثان الدهر: نوبه ونوازله وأحداثه وخطوبه. ولا يتصدّع: لا ينشقّ ولا يتفرّق.

(١١) مجزاع: صيغة مبالغة من الجزع، يقال جزع الرجل إذا ضعفت قوّته عن حمل ما نزل به، ولم يجد صبراً. والأسى: الأسف والحزن. والتصبّر: تكلّف الصبر.

(١٢) الغلّة: شدة العطش وحرارته. وتنقع: تذهب، يقال نقع الماءُ العطش: أي سكّنه وأذهبه.

(١٣) المصاب: الإصابة، والمصيبة. واللوعة: حرقة الحزن. والمقلة: العين.

(١٤) هيم: عطاش، جمع أهيم، صفة من الهيام وهو أشدّ العطش. والخواطر: جمع خاطر، وهو الهاجس، وكلّ ما يخطر في القلب من تدبير أو أمر، والمراد بالخواطر هنا: العقول والأفكار. وشرعت الدوابّ في الماء: خاضت ودخلت، وشرع الوارد، أي تناول الماء بفيه.

(١٥) تليت: قرئت. وآياتها: عباراتها. والمقامة: الجماعة من الناس يجتمعون في مجلس، ومقامات الناس: مجالسهم ومجتمعاتهم.

سَقَى جَدثاً فِي أَرْضِ « لُبْنَانَ » عَارِضٌ ... مِنَ الْمُـزْنِ فَيَّاضُ الْجَـدَاوِلِ مُتْـرَعُ[16]

فَـإِنَّ بِـهِ لِـلْمَكْـرُمَـاتِ حُشَـاشَـةً ... طَوَاهَا الـرَّدَى فَالْقَلْبُ حَـرَّانُ مُوجَـعُ[17]

فَإِنْ يَكُنِ « الشِّـدْيَـاقُ » خَلَّى مَكَانَـهُ ... فَـإِنَّ ابْنَهُ عَنْ حَـوْزَةِ الْمَجْـدِ يَـدْفَـعُ[18]

وَمَـا مَاتَ مَنْ أَبْقَى عَلَى الـدَّهْرِ فَـاضِـلاً ... يُؤَلِّفُ أَشْتَـاتَ الْمَعَـالِي وَيَجْمَـعُ[19]

رَزِيـنُ حَصَـاةِ الْـحِلْمِ لاَ يَسْتَـخِفُّـهُ ... إِلَى اللَّهْـوِ طَبْعٌ فَهْـوَ بِـالْجِدِّ مُـولَـعُ[20]

تَـلُوحُ عَـلَيْـهِ مِـنْ أَبِيـهِ شَـمَـائِـلٌ ... تَـدُلُّ عَلَى طِيبِ الْخِـلاَلِ وَتَنْـزِعُ[21]

فَصَبْـراً جَمِيـلاً « يَـا سَلِيمُ » فَـإِنَّمَـا ... يُسِيـغُ الْفَتَى بِـالصَّبْـرِ مَا يَتَجَـرَّعُ[22]

إِذَا الْمَـرْءُ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى مَـا أَصَابَـهُ ... فَمَـاذَا تُـراهُ فِي الْمُقَـدَّرِ يَصْنَـعُ ؟[23]

وَمِـثْلُكَ مَـنْ رَازَ الأُمُـورَ بِـعَـقْـلِهِ ... وَأَدْرَكَ مِـنْهَـا مَـا يَـضُـرُّ وَيَـنْـفَـعُ[24]

فَـلاَ تُعْـطِيَنَّ الحُـزْنَ قَلْبَـكَ وَاسْتَعِنْ ... عَلَيْـهِ بِصَبْرٍ فَهْـوَ فِي الْحُزْنِ أَنْجَـعُ[25]

---

(١٦) الجدث: القبر. والعارض: السحاب الذي يعترض في أفق السماء. والمزن: السحاب، أو أبيضه، أو الممطر منه، الواحدة مزنة.

(١٧) الحشاشة: بقيّة الروح في المريض المحتضر، وقد تطلق على كلّ بقية. وطواها: أخفاها وذهب بها، على التشبيه بطيّ الثوب. والردى: الهلاك والموت. وحرّان: شديد العطش، والمراد أصابته حرقة الأسى، وحرارة الحزن.

(١٨) الحوزة: الناحية. ويدفع: يدافع ويحمي.

(١٩) أشتات المعالي: ما تفرّق منها. والمعالي: جمع معلاة وهي الرفعة والشرف، كالعلاء.

(٢٠) الحصاة: العقل والرزانة والوقار، ورزين حصاة الحلم: ثابت الرأي، راجح العقل، جيّد التدبير، صبور وقور. واستخفّه طبعه إلى اللهو: حمله على أن يخفّ له ويستطير.

(٢١) شمائل: جمع شمال، بمعنى الطبع والخلق. والخلال: الخصال، الواحدة خلّة. وتنزع: تحنّ وتميل.

(٢٢) الصبر الجميل: حبس النفس عند الجزع. وساغ الشراب والطعام: سهل مدخله في الحلق. وتجرّعت الشراب: ابتلعته.

(٢٣) يراد بالمقدّر: ما يقدّره الله تعالى على الإنسان من البلايا والنوازل والخطوب.

(٢٤) راز الأمور: جرّبها وخبرها، وامتحنها وقدّرها.

(٢٥) أنجع: اسم تفضيل من نجع الدواء والطعام ونحوهما في الإنسان، أي نفع وأفاد.



وَهَـاكَ عَلَى بُعْـدِ الْـمَـزَارِ قَـرِيبَـةً إِلَى النَّفْسِ يَـدْعُوهَـا الْـوَفَـاءُ فَتَتْبَعُ (٢٦)

رَعَيْتُ بِـهَـا حَقَّ الْـوِدَادِ عَـلى النَّـوَى وللْحَقِّ فِي حُكْمِ الْبَصِيـرَةِ مَقْـطَعُ (٢٧)

وَقَالَ يُجِيبُ الأَمِيرَ « شكِيب أرسلان » عَنْ قَصِيدَةٍ لَهُ :

رُدِّي التَّحِيَّـةَ يَـا مَهَـاةَ الأَجْـرَعِ وَصِلِي بِحَبْلِكِ حَبْلَ مَنْ لَمْ يَقْطَعِ (١)

وَتَـرَفَّـقِي بِمُـتَـيَّـمٍ عَـلِقَـتْ بِـهِ نَـارُ الصَّبَـابَـةِ فَهْـوَ ذَاكِي الأَضْلُعِ (٢)

طَـرِبِ الْفُؤَادِ يَكَـادُ يَحْمِلُهُ الْهَـوَى شَـوْقـاً إِلَيْـكِ مَـعَ الْبُـرُوقِ اللُّمَّـعِ

لاَ يَـسْتَـنِيـمُ إِلَى الْـعَـزاءِ وَلاَ يَـرَى حَقّـاً لِصَبْـوَتِـهِ إِذَا لَمْ يَجْـزَعِ (٣)

ضَمَّتْ جَـوَانِحُـهُ إِلَيْـكِ رِسَـالَـةً عُنْـوَانُهَا فِي الْخَـدِّ حُمْـرُ الأَدْمُـعِ (٤)

فَـمَتَـى يَبُـوحُ بِـمَـا أَجَنَّ ضَمِيـرُهُ إِنْ كُنْتِ عَنْـهُ بِنَجْوَةٍ لَمْ تَسْمَعِي ؟ (٥)

---

(٢٦) هاك: خذ. والمزار: الزيارة، أو موضعها القبر. وقريبة: أي قصيدة قريبة إلى النفس. وتتبع الوفاء: تسير في إثره.

(٢٧) رعيت: حفظت. والنوى: البعد. والبصيرة: الاستبصار في الشيء والعقل، والعلم والخبرة. ومقطع الحق: ما يقطع به الباطل.

(١) المهاة: البقرة الوحشيّة، تشبّه بها الحسناء من النساء في جمال العيون واتساعها. والأجرع: المكان الواسع الذي فيه حزونة وخشونة، أو الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل، أو الرملة السهلة المستوية.

(٢) متيّم: اسم مفعول من تيّمه الحبّ، أي عبّده وذلّله أو استولى عليه، وذهب بعقله. والصبابة: رقّة الهوى، وحرقة الحبّ، وحرارة الشوق. وذاكٍ: اسم فاعل من ذكت النار إذا اشتدّ لهبها واشتعلت.

(٣) لا يستنيم: لا يسكن ولا يستقرّ. والعزاء: الصبر والسلوان. والصبوة: الهوى والغرام. والجزع: نقيض الصبر، جزع جزعاً: إذا ضعفت قوّته عن حمل ما نزل به، ولم يجد صبراً.

(٤) الجوانح: ضلوع الصدر، سمّيت بذلك لما فيها من جنوح وميل وتقوّس وانحناء. ويريد بالرسالة: الصبوة والحب والهوى والصبابة.

(٥) أجنّ الشيء: ستره وأخفاه. والضمير: ما تضمره وتخفيه في قلبك، والمراد به هنا: القلب على التجوّز. والنجوة: ما ارتفع من الأرض، فلم يعله السيل، ولم يصل إليه.

أَصْبَحْتُ بَعْدَكِ فِي دَيَاجِرِ غُرْبَـةٍ ... مَـا لِلصَّبَاحِ بِلَيْلِهَـا مِنْ مَطْلَعِ (٦)

لاَ يَهْتَـدِي فِيهَـا لِـرَحْلِيَ طَـارِقٌ ... إلَّا بِـأَنَّـةِ قَلْبِيَ الْمُتَـوَجِّـعِ (٧)

أَرْعَى الْكَوَاكِبَ فِي السَّمَاءِ كَأَنَّ لِي ... عِنْدَ النُّجُومِ رَهِينَـةً لَمْ تُـدْفَـعِ (٨)

زُهْـرٌ تَـأَلَّـقُ بِـالْفَضَـاءِ كَـأَنَّـهَـا ... حَبَبٌ تَـرَدَّدَ فِي غَـدِيـرٍ مُتْـرَعِ (٩)

وَكَـأَنَّهَـا حَـوْلَ الْمَجَـرِّ حَمَـائِمٌ ... بِيضٌ عَكَفْنَ عَلَى جَوَانِبِ مَشْرَعِ (١٠)

وَتَـرَى الثُّرَيَّـا فِي السَّمَاءِ كَـأَنَّهَا ... حَلَقَاتُ قُرْطٍ بِـالْجُمَانِ مُـرَصَّعِ (١١)

بَيْضَـاءُ نَـاصِعَـةٌ كَبَيْضِ نَعَـامَـةٍ ... فِي جَوْفِ أُدْحِيٍّ بِأَرْضٍ بَلْقَـعِ (١٢)

وَكَـأَنَّـهَـا أُكَـرٌ تَـوَقَّـدَ نُـورُهَـا ... (بِالكَهْرَبَاءَةِ) في سَمَاوَةِ مَصْنَعِ (١٣)

وَاللَّيْـلُ مَـرْهُـوبُ الْحَمِيَّـةِ قَـائِمٌ ... فِي مِسْحِهِ كَـالـرَّاهِبِ الْمُتَلَفِّعِ (١٤)

---

(٦) الدياجر: الظلمات، الواحد ديجور.

(٧) الرحل: منزل الإنسان ومسكنه وبيته. وطارق: اسم فاعل من طرقت القوم إذا أتيتهم ليلاً. والأنَّة: اسم مرّة من الأنين، وهو التأوّه.

(٨) أرعى الكواكب: أراقبها، وأنتظر مغيبها، ورعي الكواكب من أمارات السهاد والهمّ. والرهينة: الرهن بمعنى المرهون، وهو اسم لما يضعه الراهن عند غيره، لينوب مناب ما أخذه منه.

(٩) زهر: بيضاء مضيئة لامعة، جمع أزهر وزهراء. وحبب الماء: نفّاخاته وفقاقيعه التي تطفو على سطحه كأنها القوارير، واسمها اليعاليل. وتردّد: اضطرب وتحرّك. ومترع: مملوء.

(١٠) المجرّ: المجرّة، وهي البياض المعترض في السماء الناشىء عن أشعّة نجوم كثيرة متقاربة خفيّة. وعكف على الشيء: أقبل عليه وأقام وواظب. والمشرع: الموضع الذي ينحدر منه المستقي إلى الماء، والمراد به هنا: الغدير أو النهر.

(١١) الثريّا: علم على سبعة كواكب معروفة في السماء، أو على أربعة وعشرين نجماً، سمّيت بذلك لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها، فكأنها كثيرة العدد بالإضافة إلى ضيق المحلّ، وفي خلال أنجم الثريا الظاهرة كواكب خفيَّة كثيرة العدد.

(١٢) الأدحيّ: الموضع الذي تبيض فيه النعامة وتفرخ، وتتّخذه عادة في رمال الصحراء. وأرض بلقع: خالية ملساء قفر لا شيء فيها.

(١٣) أكر: جمع أكرة، لغة في الكرة. والسماوة: السقف. والمصنع: القصر العظيم.

(١٤) مرهوب: مخوف. والحميّة: الأنفة والاستنكاف والاستكبار. والمسح: ثوب غليظ من

مُتَـوَشِّـحٌ بِـالنَّيِّـرَاتِ كَبَـاسِـلٍ ... مِنْ نَسْلِ حَامٍ بِـاللُّجَيْنِ مُدَرَّعِ (١٥)

حَسِبَ النُّجُـومَ تَـخَلَّفَـتْ عَنْ أَمْـرِهِ ... فَـوَحَى لَهُنَّ مِنَ الْهِلالِ بِـإِصْبَعِ (١٦)

مَـا زِلْتُ أَرْقُبُ فَجْـرَهُ حَتَّى انْجَلَى ... عَنْ مِثْلِ شَادِخَةِ الْكُمَيْتِ الأَتْلَعِ (١٧)

وَتَـرَنَّـمَتْ فَـوْقَ الأَرَاكِ حَـمَـامَـةٌ ... تَصِفُ الْهَوَى بِلِسعانِ صَبٌّ مُولَعِ (١٨)

تَـدْعُـو الْهَـدِيـلَ وَمَـا رَأَتْـهُ وَتِلْكَ مِنْ ... شِيَمِ الْحَمَائِمِ بِدْعَـةٌ لَمْ تُسْمَعِ (١٩)

رَيَّـا الْمَسَـالِـكِ حَيْثُ أَمَّتْ صَـادَفَتْ ... مَـا تَشْتَهِي مِنْ مَجْثَمٍ أَوْ مَـرْتَـعِ (٢٠)

فَـإِذَا عَـلَتْ سَكَـنَتْ مَـظَلَّةَ أَيْـكَـةٍ ... وَإِذَا هَـوَتْ وَرَدَتْ قَـرَارَةَ مَنْبَـعِ (٢١)

الشعر، يلبسه الرهبان عادة. والراهب: المتعبّد في صومعته. والمتلفّع: اسم فاعل من تلفّعت بالثوب، أي اشتملت به والتحفت وتغطّيت.

(١٥) متوشّح: مشتمل متلفّف متغطّ. والنيّرات: النجوم المنيرة المشرقة. وباسل: شجاع. وحام: أحد أولاد نبيّ الله نوح عليه السلام، وهو أبو السودان. واللجين: الفضّة. ومدرّع: عليه الدرع، وهي لبوس الحديد.

(١٦) وحى: أومأ وأشار.

(١٧) الشادخة: غرّة الفرس إذا سالت واتّسعت وطالت وانتشرت، وغشّت الوجه من الناصية إلى الأنف، أو ملأت الجبهة. والكميت من الخيل: ما كان لونه بين السواد والحمرة. والأتلع: الطويل العنق.

(١٨) ترنّمت: هدرت ورجّعت صوتها وصدحت. والأراك: شجر طويل، أخضر ناعم، كثير الورق والأغصان، خوّار العود، يستاك بفروعه، وله حمل كعناقيد العنب، واحدته أراكة. وصبّ: عاشق مشوق.

(١٩) الهديل: فرخ للحمام كان على عهد نوح عليه السلام، فمات ضيعة وعطشاً أو صاده جارح من جوارح الطير، فما من حمامة إلا وهي تبكي عليه. وتلك: إشارة إلى دعاء الحمامة للهديل، والبكاء عليه. وشيم: جمع شيمة وهي الجبلة والغريزة والطبيعة. والبدعة: الأمر المستحدث أو العجيب.

(٢٠) ريّا المسالك: عامرة بالماء والغذاء. وأمّت: قصدت. والمراد بالمجثم: الوكر، والعشّ. والمرتع: موضع الرتوع، وهو الأكل والشرب رغداً في الريف.

(٢١) علت: سمت وارتفعت، أي الحمامة. والمظلّة: بيت كبير للأعراب، يكون من الشعر أو الثياب، وهي أوسع من الخباء، وقد تطلق المظلّة على الخيمة والعريش المتّخذ من جريد

أَمْلَتْ عَلَيَّ قَصِيدَةً فَجَعَلْتُهَا ‏ «لِشَكِيبَ» تُحْفَةَ صَادِقٍ لَمْ يَدَّعِ [٢٢]

هِيَ مِنْ أَهَازِيجِ الْحَمَامِ وَإِنَّمَا ‏ ضَمَّنْتُهَا مَدْحَ الْهُمَامِ الأَرْوَعِ [٢٣]

هُوَ ذَلِكَ الشَّهْمُ الَّذِي بَلَغَتْ بِهِ ‏ مَسْعَاتُهُ أَمَدَ السِّمَاكِ الأَرْفَعِ [٢٤]

نِبْرَاسُ دَاجِيَةٍ وَعُقْلَةُ شَارِدٍ ‏ وَخَطِيبُ أَنْدِيَةٍ وَفَارِسُ مَجْمَعِ [٢٥]

صَدْقُ الْبَيَانِ أَعَضَّ «جَرْوَلَ» بِاسْمِهِ ‏ وَثَنَى «جَرِيراً» بِالْجَرِيرِ الأَطْوَعِ [٢٦]

لَمْ يَتَّخِذْ بَدْرَ «الْمُقَنَّعِ» آيَةً ‏ بَلْ جَاءَ خَاطِرُهُ بِآيَةِ «يُوشَعِ» [٢٧]

النخل المستور بالثمام. والأيكة: واحدة الأيك وهو الشجر الكثير الملتفّ، وقد شبّه الشاعر الأيكة بالمظلّة. وورد الإنسان وغيره الماء: أشرف عليه، أو بلغه ووافاه.

(٢٢) أملت: ألقت، من الإملاء. والتحفة: ما أتحفت به صاحبك من البرّ واللطف.

(٢٣) الأهازيج: الأغاني، وأهازيج الحمام: هديرها وسجعاتها المتوالية المتقاربة. وضمّنتها: أودعتها. والهمام: السيد العظيم الهمّة، أو الشجاع السخيّ. والأروع: الذكيّ.

(٢٤) الشهم: الذكيّ الفؤاد، المتوقّد، الجلد. والمسعاة: واحدة المساعي، وهي مآثر أهل الشرف والفضل، لسعيهم فيها، كأنها مكاسبهم وأعمالهم. والأمد: الغاية. والسماك: كوكب نيّر لامع، يضرب به المثل في الارتفاع.

(٢٥) النبراس: السراج والمصباح. والداجية: الظلمة. وعقلة شارد: المراد أنه يعتقله ويقيّده، عقل الرجل البعير. والأندية: جمع النديّ وهو مجلس القوم ومتحدّثهم، كالنادي والمنتدى.

(٢٦) جرول: لقب الحطيئة الشاعر المخضرم المشهور المتوفى سنة ٥٩ هـ. والجرول: الأرض ذات الحجارة، أو هو الحجارة. وأعضّه باسمه: جعله يعضّ الحجر، وهذا كناية عن إخماله والتفوّق عليه. وجرير: هو أبو حزرة جرير بن عطيّة بن الخطفي التميميّ اليربوعيّ، أحد فحول الشعراء الإسلاميين، ولد باليمامة، ومات سنة ١١٠ هـ. والجرير: الحبل يقاد به البعير ونحوه، أو هو حبل يجعل للبعير بمنزلة العذار للفرس.

(٢٧) المقنّع: لقب دجّال من بني الشيطان، اسمه ثور بن عميرة، ادّعى الألوهيّة أو النبوّة بخراسان في منتصف القرن الثاني الهجري، وكان يوهم الناس أنه يطلع البدر كلّ ليلة، ويريهم في الجوّ شيئاً يشبهه، ويظهره لهم احتيالاً، ولمّا اشتهر أمره، واتّضح كذبه قصده الناس، وحاصروه في قلعته، فلمّا استيقن الهلاك قتل نساءه وأهله بالسمّ، ثم قتل نفسه به. وآية: علامة. ويوشع بن نون بن عازر، صاحب موسى ووصيّه، وابن أخته. وآية يوشع التي يشير إليها الشاعر هي الشمس، وكان يوشع قد سأل الله أن يؤخّر غروبها ساعة حتى ينتهي من قتال أعداء الله الجبّارين، فأجاب الله دعاءه.

أَحْيَـا رَمِيمَ الشِّعْـرِ بَعْـدَ هُـمُـودِهِ وَأَعَادَ لِلأَيَّامِ عَصْرَ «الأَصْمَعِي»(٢٨)

كَلِمٌ لَهَـا فِي السَّمْـعِ أَطْـرَبُ نَغْمَـةٍ وَبِحُجْـرَةِ الأَسْرَارِ أَحْسَنُ مَـوْقِعِ(٢٩)

كَـالـزَّهْـرِ خَـامَـرَهُ النَّـدَى فَتَـأَرَّجَتْ أَنْفَـاسُـهُ بِـالْعَنْبَـرِ الْمُتَضَـوِّعِ(٣٠)

يَعْنُـو لَهَـا الْخَصْمُ الأَلَـدُّ ويَغْتَـذِي بِلِبَـانِهَا ذِهْنُ الْخَـطِيبِ الْمِصْقَعِ(٣١)

هِيَ نُجْعَـةُ الأَدَبِ الَّتِي مَنْ أَمَّـهَـا أَلْقَى مَـرَاسِيَـهُ بِـوَادٍ مُمْـرِعِ(٣٢)

مَلَكَتْ هَوَى نَفْسِي وَأَحْيَتْ خَاطِـرِي وَرَوَتْ صَدَى قَلْبِي وَلَذَّتْ مِسْمَعِي(٣٣)

فَـاسْلَمْ «شَكِيبُ» وَلاَ بَرِحْتَ بِنِعْمَـةٍ تَحْنُـو عَلَيْـكَ بِـأَيْكِهَـا الْمُتَفَـرِّعِ(٣٤)

فَـلأَنْـتَ أَجْـدَرُ بِـالثَّـنَـاءِ لِـمِـنَّـةٍ أَوْلَيْتَهَـا وَالْبِـرُّ أَفْضَـلُ مَـا رُعِي(٣٥)

أَرْهَـفْـتَ حَـدِّي فَـهْـوَ غَيْـرُ مُـفَلَّلٍ وَرَعَيْتَ عَهْـدِي فَهْوَ غَيْـرُ مُضَيَّعِ(٣٦)

---

(٢٨) الرميم: البالي. والأصمعي (١٢٢ - ٢١٦ هـ): هو أبو سعد عبد الملك بن قريب، ونسبته إلى جدٍّ له اسمه «أصمع»، وكان الأصمعي إماماً في الأخبار والنوادر والملح والغرائب واللغة ورواية الشعر.

(٢٩) النغمة: جرس الكلمة، وحسن وقعها في النفس، والمراد أن لبيانه وشعره نغمات حلوة شديدة التأثير في النفس، وأن سامعه يطرب له أشدّ الطرب. والمراد بحجرة الأسرار: القلب.

(٣٠) خامره: خالطه. وتأرّجت أنفاسه: فاحت رائحته الطيّبة وانتشرت. والعنبر: نوع من الطيب. والمتضوّع: اسم فاعل من تضوّع المسك والطيب ونحوه، أي تحرّك فانتشرت رائحته.

(٣١) يعنو: يخضع. والألدّ: الشديد الخصومة. وخطيب مصقع: بليغ تنقاد له المعاني والألفاظ، أو رفيع الصوت.

(٣٢) النجعة: اسم من الانتجاع، وهو طلب الكلأ في موضعه. وأمّها: قصدها. وألقى مراسيه: كناية عن الاستقرار والاطمئنان والثبات. ووادٍ ممرع: خصيب كثير المرعى والكلأ.

(٣٣) الصدى: شدّة العطش.

(٣٤) تحنو: تعطف وتميل. والأيك: جمع أيكة، وهي الشجر الكثير الملتفّ. والمتفرّع: الكثير الفروع والأغصان.

(٣٥) أجدر: أحقّ وأولى. والمنّة: النعمة والإحسان والصنيعة والمعروف، والمراد بالمنّة هنا: القصيدة التي بعث بها الممدوح إليه مثنياً فيها عليه. والبر: الخير.

(٣٦) إرهاف السيف: سنّه وترقيق حدّه. أرهفت حدّي: قوّيت عزمي، وضاعفت همّتي. ومفلّل: مثلّم مكسّر.

وَبَثَقْتَ لِي مِنْ فَيْضِ بَحْرِكَ جَدْوَلاً ... غَمَرَ الْبِحَارَ بِسَيْلِهِ الْمُتَدَفِّعِ (٣٧)

عَذُبَتْ مَوَارِدُهُ فَلَوْ أُلْقَتْ بِهِ ... هِيمُ السَّحَابِ دِلاءَهَا لَمْ تُقْلِعِ (٣٨)

وَزَهَتْ فَرَائِدُهُ فَصَارَتْ غُرَّةً ... لِجَبِينِ كُلِّ مُتَوَّجٍ وَمُقَنَّعِ (٣٩)

هُوَ ذَلِكَ النَّظْمُ الَّذِي شَهِدَتْ لَهُ ... أَهْلُ الْبَرَاعَةِ بِالْمَقَالِ الْمُبْدَعِ

أَبْصَرْتُ مِنْهُ أَخَا « إِيَادٍ » خَاطِباً ... وَسَمِعْتُ « عَنْتَرَةَ الْفَوَارِسِ » يَدَّعِي (٤٠)

وَحَلَمْتُ أَنِّي فِي خَمَائِلِ جَنَّةٍ ... وَمِنَ الْعَجَائِبِ حَالِمٌ لَمْ يَهْجَعِ (٤١)

فَضْلٌ رَفَعْتَ بِهِ مَنَارَ كَرَامَةٍ ... صَرَفَ الْعُيُونَ عَنِ الْمَنَارِ « لِتُبَّعِ » (٤٢)

فَمَتَى أَقُومُ بِشُكْرِ مَا أَوْلَيْتَنِي ... وَالنَّجْمُ أَقْرَبُ غَايَةً مِنْ مَنْزِعِي

---

(٣٧) بثقت: أجريت. وفيض بحرك: بحرك الفيّاض الطامي الكثير الماء. والمتدفّع: المنصبّ الغزير السريع الذي يدفع بعضه بعضاً.

(٣٨) الهيم: الإبل العطاش، المفرد أهيم وهيماء. ولم تقلع: لم تكفّ، ولم تترك، والمراد لم تكفّ عن الشرب.

(٣٩) زهت: لمعت وأشرقت وأضاءت. والفرائد: اللآلىء والدرر التي تفصل بين الذهب في القلادة المفصّلة، الواحدة فريدة. والغرّة: بياض مستحسن مستدير في وسط جبهة الفرس. والجبين: ناحية الجبهة فوق الصدغ، وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها، وقد يطلق الجبين ويراد به الجبهة.

(٤٠) أخو إياد: قس بن ساعدة بن عمرو بن عديّ بن مالك، من بني إياد، أحد حكماء العرب في الجاهليّة، وخطيبهم، وواعظهم المضروب به المثل في اللّسن والفصاحة والبلاغة. مات نحو سنة ٢٣ ق. هـ. وعنترة الفوارس: عنترة بن عمرو بن شدّاد العبسيّ، من أهل نجد، كان من فرسان العرب المعدودين، وشعرائهم المشهورين، مات مقتولاً حوالى سنة ٢٢ ق. هـ.

(٤١) الخمائل: جمع خميلة، وهي الشجر الكثير المجتمع الملتف. والجنّة: الحديقة ذات الشجر والنخيل والأعناب. ولم يهجع: لم ينم.

(٤٢) المنار: أعلام الطريق التي يهتدي بها المسافرون في الصحارى ونحوها. ورفع منار الكرامة: كناية عن إظهارها إظهاراً تاماً. ومنار «تبّع» أعلامه التي كان يقيمها على طريقه في مغازيه وحروبه ليهتدي بها، ولقّب بذي المنار واسمه أبرهة بن الحارث.



فَـاعْـذِرْ إِذَا قَصـرَ الثَّـنَـاءُ فَـإِنَّنِي رُزْتُ الْمَقَالَ فَلَمْ أَجِدْ مِنْ مَقْنَـعِ[٤٣]

لا زِلْتَ تَـرْفُـلُ فِي وِشَـاءِ سَعَـادَةٍ وَحَبِيـرِ عَـافِيَـةٍ وَعَيْشٍ أَمْـرَعِ[٤٤]

وَقَالَ :

هَلْ بِالْحِمَى عَنْ سَرِيرِ الْمُلْكِ مَنْ يَزَعُ ؟ هَيهَـاتَ قَـدْ ذَهَبَ الْمَتْبُـوعُ والتَبَـعُ[١]

هَذِي « الْجَزِيرَةُ » فَانْـظُرْ هَلْ تَـرَى أَحَداً يَنْأَى بِهِ الْخَوْفُ أَوْ يَدْنُـو بِهِ الـطَّمَعُ ؟[٢]

أَضْحَتْ خَـلاَءً وكَـانَتْ قَبْـلُ مَنْـزِلَـةً لِلْمُلْكِ مِنْهَـا لِـوَفْـدِ الْعِزِّ مُـرْتَبَـعُ[٣]

فَـلاَ مُـجِيبَ يَـرُدُّ الْـقَـوْلَ عَـنْ نَـبَـإٍ وَلاَ سَـمِيـعَ إِذَا نَـادَيْـتَ يَسْـتَـمِـعُ

كَـانَـتْ مَنَـازِلَ أَمْـلاَكٍ إِذَا صَـدَعُـوا بِـالأَمْرِ كَـادَتْ قُلُوبُ النَاسِ تَنْصَـدِعُ[٤]

عَـاثُـوا بِهَـا حِقْبَـةً حَتَّـى إِذَا نَهَضَتْ طَيْـرُ الْحَـوادِثِ مِنْ أَوْكَـارِهَـا وَقَعُـوا[٥]

لَـوْ أَنَّهُمْ عَلِمُـوا مِقْـدَارَ مَـا فَغَـرَتْ بِـهِ الْحَـوَادِثُ مَـا شَـادُوا وَلاَ رَفَعُـوا[٦]

دَارَتْ عَلَيْهِمْ رَحَى الأَيَّـامِ فَـانْشَعَبُـوا أَيْـدِي سَبَـا وَتَخَلَّتْ عَنْهُمُ الـشِّيَـعُ[٧]

---

(٤٣) رزت المقال: اختبرت القول، وقدّرته، وامتحنته.

(٤٤) رفل في ثيابه: جرّ ذيله، وركضه برجله متبختراً، وهو كناية عن الغبطة والنعيم والرفاهة. والوشاء: الثياب الموشّاة المختلفة الأصباغ والألوان. والحبير من البرود والثياب: الجديد الناعم. وأمرع: من قولهم مرع المكان وأمرع، أي أخصب فيه العشب والكلأ والنبات.

(١) الحمى: المكان المحميّ الذي لا يقرب ولا يجترأ عليه. ويزع: يكفّ، ويمنع، ويدافع. وهيهات: كلمة تبعيد.

(٢) ينأى: يبعد. ويدنو: يقرب.

(٣) الوفد: جمع وافد، اسم فاعل من وفد فلان على الملك والأمير، أي قدم وورد رسولاً. والمرتبع: المكان الذي ينزل فيه الناس أيام الربيع، والمراد بالمرتبع: المكان الخصيب.

(٤) أملاك: ملوك. وصدعوا بالأمر: جهروا به، وأعلنوه. وتنصدع: تنفطر وتنشق.

(٥) عاثوا: أفسدوا، وقد تكون محرّفة عن «عاشوا». والحقبة من الدهر: مدة غير محدودة. وحوادث الدهر: نوبه ونوازله. والأوكار: جمع وكر، وهو عشّ الطائر.

(٦) فغر فاه: فتحه.

(٧) دارت عليهم رحى الأيام: المراد اشتدّت عليهم الخطوب والنوازل. وانشعبوا: تشتّتوا وتفرّقوا

كَـانَتْ لَهُمْ عُصَبٌ يَسْتَـدْفِعُـونَ بِـهَـا ... كَيْـدَ الْعَـدُوِّ فَمَـا ضَرُّوا وَلاَ نَفَعُـوا[٨]

أَيْنَ الْمَعَـاقِـلُ بَـلْ أَيْنَ الْجَحَـافِـلُ بَـلْ ... أَيْنَ الْمَنَـاصِـلُ وَالْخِـطِّيَّةُ الشُّـرَّعُ[٩]

لاَ شيءَ يَـدْفَعُ كَيْـدَ الـدَّهْـرِ إنْ عَصَفَتْ ... أَحْـدَاثُـهُ أَوْ يَـقِي مِـنْ شَـرِّ مَـا يَقَـعُ

زَالُـوا فَمَـا بَكَتِ الـدُّنْيَـا لِفُـرْقَتِـهِمْ ... وَلاَ تَـعَـطَّلَتِ الأَعْـيَـادُ وَالْـجُـمَـعُ

وَالـدَّهْـرُ كَـالْبَحْـرِ لاَ يَنْفَـكُّ ذَا كَـدَرٍ ... وَإِنَّمَـا صَفْـوُهُ بَيْنَ الْـوَرَى لُـمَـعُ[١٠]

لَـوْ كَـانَ لِلْمَـرْءِ فِكْـرٌ فِي عَـوَاقِبِـهِ ... مَـا شَانَ أَخْلاَقَـهُ حِرصٌ وَلاَ طَبَعُ[١١]

وَكَيْفَ يُـدْرِكُ مَـا فِي الْغَيْبِ مِنْ حَـدَثٍ ... مَنْ لَمْ يَـزَلْ بِغُـرُورِ الْعَيشِ يَنْخَـدِعُ

دَهْـرٌ يَـغُـرُّ وَآمَـالٌ تَـسُـرُّ وَأَعْـ ... ـمَارٌ تَـمُـرُّ وَأَيَّـامٌ لَـهَـا خُـدَعُ

يَسْعَـى الْفَتَـى لِأُمُـورٍ قَـدْ تَضُـرُّ بِـهِ ... وَلَـيْسَ يَـعْـلَمُ مَـا يَـأْتِي وَمَـا يَـدَعُ

يَـأَيُّـهَـا السَّـادِرُ الْـمُـزْوَرُّ مِنْ صَلَفٍ ... مَهْـلاً فَـإِنَّـكَ بِـالأَيَّـامِ مُنْخَـدِعُ[١٢]

وتبدّدوا. وسبأ: لقب عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان أبي القبائل اليمنيّة، أو بلدة بلقيس، أو مدينة مأرب، وكانت على مسيرة ثلاث ليال من صنعاء، والمراد بسبأ: القبائل اليمنيّة القديمة، والعرب تضرب بهم المثل في الفرقة، لأنهم لمّا غرقت بلادهم في الجاهلية بسيل العرم، وذهبت جنّاتهم تبدّدوا في البلاد. والأيدي: جمع اليد، بمعنى الطريق، أي فرّقتهم طرقهم التي سلكوها.

(٨) عصب: أشياع وأنصار. ويستدفعون: يدفعون ويصدّون. وكيد العدوّ: خداعه ومكره وشرّه.

(٩) المعاقل: الحصون. والجحافل جمع جحفل، وهو الجيش الكثير يتألّف من الفرسان والمشاة. والمناصل: السيوف. والخطّيّة: الرماح، نسبة إلى الخطّ، وهو مرفأ السفن بالبحرين على خليج فارس، وكانت الرماح تباع فيه. والشرع: جمع شارع، اسم فاعل من شرع الرمح، أي تسدّد.

(١٠) الورى: الخلق.

(١١) شان: عاب. والطبع: الشين والدنس والعيب.

(١٢) السادر: الذي لا يهتمّ لشيء، ولا يبالي ما صنع. والمزورّ: المنحرف المائل. والصلف: التكبّر، أو أن يتمدّح الإنسان بما ليس عنده، أو مجاوزة قدر الظرف، والادّعاء فوق ذلك تكبّراً.



دَعْ مَا يَرِيبُ وَخُذْ فِي مَا خُلِقْتَ لَهُ ... لَعَلَّ قَلْبَكَ بِالإِيمَانِ يَنْتَفِعُ
إِنَّ الْحَيَاةَ لَثَوبٌ سَوْفَ تَخْلَعُهُ ... وَكُلُّ ثَوْبٍ إِذَا مَا رَثَّ يَنْخَلِعُ[١٣]

وَقَالَ وَهُوَ بِسَرَنْدِيبَ★ :

لَبَّيْكَ يَا دَاعِيَ الأَشْوَاقِ مِنْ دَاعِي ... أَسْمَعْتَ قَلْبِي وَإِنْ أَخْطَأْتَ أَسْمَاعِي[١]
مُرْنِي بِمَا شِئْتَ أَبْلُغْ كُلَّ مَا وَصَلَتْ ... يَدِي إِلَيْهِ فَإِنِّي سَامِعٌ وَاعِي
فَلَا وَرَبِّكَ مَا أُصْغِي إِلَى عَذَلٍ ... وَلَا أُبِيحُ حِمَى قَلْبِي لِخَدَّاعِ[٢]
إِنِّي امْرُؤٌ لَا يَرُدُّ الْعَذْلُ بَادِرَتِي ... وَلَا تَفُلُّ شَبَاةُ الْخَطْبِ إِزْمَاعِي[٣]
أَجْرِي عَلَى شِيمَةٍ فِي الْحُبِّ صَادِقَةٍ ... لَيْسَتْ تَهُمُّ إِذَا رِيعَتْ بِإِقْلَاعِ[٤]
لِلْحُبِّ مِنْ مُهْجَتِي كَهْفٌ يَلُوذُ بِهِ ... مِنْ غَدْرِ كُلِّ امْرِئٍ بِالشَّرِّ وَقَّاعِ[٥]
بَذَلْتُ فِي الْحُبِّ نَفْسِي وَهْيَ غَالِيَةٌ ... لِبَاخِلٍ بِصَفَاءِ الْوُدِّ مَنَّاعِ
أَشْكُو إِلَيْهِ وَلَا يُصْغِي لِمَعْذِرَتِي ... مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ جَنَتْهُ النَّفْسُ أَوْ دَاعِي

---

(١٣) رثّ: بلى وخَلُقَ وذَهَبَتْ جِدَّته.
(★) قبيل وفاة البارودي سنة ١٩٠٤ مرّ بقصر الجزيرة الذي قضى فيه ردحاً من حياته المترفة الناعمة اللاهية وهو ياور «للخديوي اسماعيل» فهاجته ذكريات ذلك العهد السعيد، وهو في ريعان شبابه، وعنفوان فتوّته، فنظم هذه العينيّة الخالدة.
(١) لبّيك: لزوماً لطاعتك، أو أنا مقيم على طاعتك.
(٢) العذل: اللوم. وأبحتك الشيء: أحللته لك. وحمى قلبي: قلبي الشبيه بالحمى، وهو المكان المحميّ الذي لا يقرب، ولا يجترأ عليه.
(٣) البادرة: ما يبدر من الإنسان عند حدّته وغضبه من قول أو فعل، والمراد بالبادرة هنا: شدّة العزم، وقوّة الإرادة. وتفلّ: تكسر وتضعف. وشباة السنان أو السيف: حدّه وشفرته. والخطب: النازلة الشديدة من نوازل الدهر. والإزماع: العزم.
(٤) شيمة: خلق وطبيعة. وريعت: أخيفت. والإقلاع عن الأمر: تركه والكفّ عنه.
(٥) المهجة: دم القلب والنفس والروح، والمراد بها هنا: القلب. والكهف: كالمغارة والبيت المنقور في الجبل. ويلوذ به: يلجأ إليه، ويعوذ به. ووقّاع: يغتاب الناس، من الوقيعة، وهي الغيبة.

وَيْلاهُ مِنْ حَاجَةٍ فِي النَّفْسِ هَامَ بِهَا ... قَلْبِي وَقَصَّرَ عَنْ إِدْرَاكِهَا بَاعِي(٦)

أَسْعَى لَهَا وَهْيَ مِنِّي غَيْرُ دَانِيَةٍ ... وَكَيْفَ يَبْلُغُ شَأْوَ الْكَوْكَبِ السَّاعِي؟(٧)

يَا حَبَّذَا جُرْعَةٌ مِنْ مَاءِ مَحْنِيَةٍ ... وَضَجْعَةٌ فَوْقَ بَرْدِ الرَّمْلِ بِالْقَاعِ!(٨)

وَنَسْمَةٌ كَشَمِيمِ الْخُلْدِ قَدْ حَمَلَتْ ... رَيَّا الأَزَاهِيرِ مِنْ مِيثٍ وَأَجْرَاعِ(٩)

يَا هَلْ أَرَانِي بِذَاكَ الْحَيِّ مُجْتَمِعاً ... بِأَهْلِ وُدِّي مِنْ قَوْمِي وَأَشْيَاعِي؟(١٠)

وَهَلْ أَسُوقُ جَوَادِي لِلطِّرَادِ إِلَى ... صَيْدِ الْجَآذِرِ فِي خَضْرَاءَ مِمْرَاعِ؟(١١)

مَنَازِلٌ كُنْتُ مِنْهَا فِي بُلَهْنِيَةٍ ... مُمَتَّعاً بَيْنَ غِلْمَانِي وَأَتْبَاعِي(١٢)

إِذَا أَشَرْتُ لَهُمْ فِي حَاجَةٍ بَدَرُوا ... قَضَاءَهَا قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلْمَاعِي(١٣)

يَخْشَى الْبَلِيغُ لِسَانِي قَبْلَ بَادِرَتِي ... وَيُرْعَدُ الْجَيْشُ بِاسْمِي قَبْلَ إِيقَاعِي(١٤)

---

(٦) المراد بالحاجة: قربه من ديار الحبيب، وهي مصر. وقصّر: عجز، ولم يقدر. والباع: مسافة ما بين الكفين إذا بسطتهما يميناً وشمالاً، أو قدر مدّ اليدين، والمراد به: الجهد والقدرة.

(٧) الشأو: الغاية والأمد.

(٨) المحنية من الوادي: منعرجه ومنعطفه، أي الموضع الذي ينحني فيه وينعطف. والضجعة: اسم مرّة من الضجوع، وهو النوم. والقاع: أرض واسعة سهلة مستوية مطمئنّة.

(٩) ريّا الأزاهير: ريحها الطيّبة. والميث: جمع ميثاء، وهي الأرض السهلة الدمثة اللينة من غير رمل، وتميّثت الأرض: مطرت فلانت وبَرَدَتْ، أو هي الرملة السهلة، أو الرابية الطيّبة. والأجراع: جمع جرع، وهو الأرض الرمليّة السهلة الطيّبة المنبت.

(١٠) الحيّ من أحياء العرب: جماعة ينسبون إلى أب واحد كالقبيلة، وكثيراً ما يطلق ويراد به المنازل والديار، والمراد به هنا: الديار المصرية. وأشياعي: أتباعي وأنصاري.

(١١) الطرّاد: مطاردة الوحش وصيده. والجآذر: جمع جؤذر، وهو ولد البقرة الوحشية.

(١٢) البلهنية: الرخاء والرفاهية وسعة العيش وطيب الحياة.

(١٣) بدر إلى الشيء: أسرع. والإلماع: مصدر ألمع بيده إلى الشيء، أي أشار.

(١٤) البادرة: ما يبدر من الإنسان عند حدّته وغضبه، والمراد بها هنا ما يبده به الشاعر غيره في حال الخصومة والجدل ونحوهما. ويرعد: يرتعد ويضطرب من الفزع والخوف. والإيقاع: مصدر أوقعت بالعدوّ، أي قتلت وأثخنت.

فَالْيَوْمَ أَصْبَحْتُ لاَ سَهْمِي بِذِي صَرَدٍ ... إِذَا رَمَيْتُ وَلاَ سَيْفِي بِقَطَّاعِ (١٥)

أَبِيتُ فِي قُنَّةٍ قَنْوَاءَ قَدْ بَلَغَتْ ... هَامَ السِّمَاكِ وَفَاتَتْهُ بِأَبْوَاعِ (١٦)

يَسْتَقْبِلُ الْمُزْنُ لِيتَيْهَا بِوَابِلِهِ ... وَتَصْدِمُ الرِّيحُ جَنْبَيْهَا بِزَعْزَاعِ (١٧)

يَظَلُّ شِمْرَاخُهَا يَبْساً وَأَسْفَلُهَا ... مُكَلَّلاً بِالنَّدَى يَرْعَى بِهِ الرَّاعِي (١٨)

إِذَا الْبُرُوقُ ازْمَهَرَّتْ خِلْتَ ذِرْوَتَهَا ... شَهْماً تَدَرَّعَ مِنْ تِبْرٍ بِأَدْرَاعِ (١٩)

تَكَادُ تَلْمِسُ مِنْهَا الشَّمْسَ دَانِيَةً ... وَتَحْبِسُ الْبَدْرَ عَنْ سَيْرٍ وَإِقْلاَعِ (٢٠)

أَظَلُّ فِيهَا غَرِيبَ الدَّارِ مُبْتَئِساً ... نَابِي الْمَضَاجِعِ مِنْ هَمٍّ وَأَوْجَاعِ (٢١)

لاَ فِي «سَرَنْدِيب» خِلٌّ أَسْتَعِينُ بِهِ ... عَلَى الْهُمُومِ إِذَا هَاجَتْ وَلاَ رَاعِي (٢٢)

يَظُنُّنِي مَنْ يَرَانِي ضَاحِكاً جَذِلاً ... أَنِّي خَلِيٌّ وَهَمِّي بَيْنَ أَضْلاَعِي (٢٣)

---

(١٥) صرد: مصدر صرد السهم، أي أصاب ونفذ، يقال سهم صارد، أي خرجت شباة حدّه من الرميّة، وسهم نافذ، أي خرج بعضه، وسهم مارق، أي خرج كلّه.

(١٦) القنّة: أعلى الجبل، أو هي الجبل المنفرد المستطيل في السماء. وقنواء: عالية مرتفعة. وهام: جمع هامة، وهي رأس كل شيء وأعلاه. والسماك: نجم نيّر، يضرب به المثل في الارتفاع. والأبواع: جمع الباع أو البوع، وهو مسافة ما بين الكفّين إذا بسطتهما، أو قدر مدّ اليدين وما بينهما من البدن.

(١٧) المزن: السحاب، أو أبيضه، أو ذو الماء منه، الواحدة مزنة. والليتان: صفحتا العنق عليهما ينحدر القرطان، مثنّى ليت. والوابل: المطر الغزير. وريح زعزع وزعزاع: شديدة تزعزع الأشياء وتحرّكها.

(١٨) شمراخها: رأسها وأعلاها، أي القنة.

(١٩) ازمهرّت: لمعت. والشهم: الجلد الشجاع، الذكيّ الفؤاد. والتبر: الذهب. يشبّه ذروة القنّة إذا لمع فيها البرق بشهم محارب تدرّع بدرع من الذهب.

(٢٠) إقلاع: تحوّل وانتقال.

(٢١) نبوّ المضاجع: كناية عن القلق وعدم النوم.

(٢٢) الخلّ: الصديق المختصّ.

(٢٣) جذلاً: فرحاً. وخليّ: خال فارغ من الهمّ والحزن، وهو خلاف الشجي.

وَلَا وَرَبِّـكَ مَـا وَجْـدِي بِـمُـنْـدَرِسٍ عَلَى البِعَـادِ وَلَا صَبْـرِي بِمِـطْوَاعِ (٢٤)

لَـكِنَّنِـي مَـالِـكٌ حَـزْمِي وَمُـنْـتَـظِرٌ أَمْـرَاً مِنَ اللهِ يَشْفِي بَـرْحَ أَوْجَـاعِي (٢٥)

أَكُـفُّ غَـرْبَ دُمُـوعِي وَهْـيَ جَـارِيَـةٌ خَـوْفَ الـرَّقِيبِ وَقَلْبِي جِـدُّ مُلْتَـاعِ (٢٦)

فَـإِنْ يَكُنْ سَـاءَنِي دَهْـرِي وَغَـادَرَنِي رَهْنَ الأَسَى بَيْنَ جَـدْبٍ بَعْدَ إِمْـرَاعِ (٢٧)

فَـإِنَّ فِـي مِـصْـرَ إِخْـوَانـاً يَـسُـرُّهُـمُ قُـرْبِي وَيُعْـجِـبُـهُمْ نَـظْمِـي وَإِبْـدَاعِي

---

(٢٤) مندرس: ذاهب، زائل. ومطواع: مطيع، منقاد.

(٢٥) البرح: الشدّة.

(٢٦) أكفّ: أمنع. وغرب دموعي: انهمالها وفيضانها. والتاع فؤاده: احترق من الشوق والهمّ.

(٢٧) الجدب: المحل، وهو انقطاع المطر، ويبس الأرض، وخلوّها من الكلأ والنبات، ونقيضه الخصب والإمراع، يقال: أمرع القوم، إذا أخصبوا. «بين جدب بعد إمراع»: أصبح في شقاء بعد سعادة.

قافية الفاء

وَقَالَ يُجِيبُ بَعْضَ السَّادَةِ عَنْ قَصِيدَةٍ أَرْسَلَهَا إِلَيْهِ مِنَ الْهِنْدِ يَخْطُبُ بِهَا موَدَّتَهُ★ :

قَـلِيـلٌ بِـآدَابِ الْـمَـوَدَّةِ مَـنْ يَـفِـي ... فَمَنْ لِي بِخِـلٍّ أَصْطَفِيـهِ وَأَكْتَفِي ؟(١)

بَلَوْتُ بَنِي الـدُّنْيَـا فَـلَمْ أَرَ صَـاحِبَـاً ... يَـدُومُ عَـلَى وُدٍّ بِغَـيْـرِ تَـكَـلُّفِ(٢)

فَهَـلْ مِنْ فَتىً يَسْـرُو عَنِ الْقَلْبِ هَمَّـهُ ... بِشِيمَةِ مَطْبُوعٍ عَلَى الْمَجْدِ مُسْعِفِ ؟(٣)

رَضِيتُ بِمَنْ لاَ تَشْتَهِي الـنَّفْسُ قُـرْبَـهُ ... وَمَنْ لَمْ يَـجِـدْ مَنْـدُوحَـةً يَـتَكَـلَّفِ(٤)

وَلَـوْ أَنَّنِي صَـادَفْـتُ خِـلاًّ يَـسُـرُّنِـي ... عَـلَى عُـدَوَاءِ الـدَّارِ لَـمْ أَتَـلَهَّـفِ(٥)

(★) كان البارودي بطبعه الشاعر، وإحساسه المرهف حفيّاً بالأدباء، ورواة شعره، والمتودّدين إليه. ولما نفي إلى «سرنديب» اشتدّت حفاوته بهم لشدّة احتياجه إلى من يواسيه، ويصفيه الودّ والإخاء في غربته ومنفاه، وكثر التراسل بينه وبين أهله وصحبه بمصر، والمعجبين بأدبه في شتى بقاع الأرض وأقطارها. ومن هؤلاء أديب شاعر هنديّ، اسمه «عليّ» أرسل إليه من الهند قصيدة من شعره يخطب بها مودّته، فأجاب الباروديّ عنها بهذه القصيدة الطويلة الرائعة، شاكراً له، مثنياً عليه، منوّهاً بأدبه وفضله وسحر بيانه، وتوقد ذكائه، متوسّماً فيه الخير قبل لقائه.

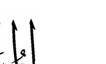
(١) آداب المودّة: محامدها ومحاسنها ومقتضياتها. والخلّ: الصديق المختصّ. وأصطفيه: أختاره.

(٢) بلوت: اختبرت، وامتحنت وجرّبت. والتكلّف: مصدر تكلّفت الشيء، أي تجشّمته، وحملته على مشقّة.

(٣) يسرو: يكشف ويزيل. ومطبوع: مفطور مخلوق.

(٤) مندوحة: سعة وفسحة.

(٥) عدواء الدار: بعدها.



وَلَـكِنَّنِـي أَصْبَـحْـتُ فِـي دَارِ غُـرْبَـةٍ	مُقِيمـاً لَـدَى قَـوْمٍ عَلَى الْبُدِّ عُكَّفِ[٦]
زَعَـانِفُ هَـدَّاجُـونَ فِي عَـرَصَـاتِهِمْ	كَخَيْطِ نَعَـامٍ بَيْنَ جَـرْدَاءَ صَفْصَفِ[٧]
حُـفَـاةٌ عُـرَاةٌ غَيْـرَ أَخْـلاَقِ صُـدْرَةٍ	تَـطِيـرُ كَنَسْـجِ الْعَنْكَبُـوتِ الْمُسَـدَّفِ[٨]
يمُجُّـونَ مِنْ أَفْـوَاهِهِمْ رَشْـحَ مُضْغَـةٍ	كَنَضْـحِ دَمٍ يَنْهَـلُّ مِنْ أَنْفِ مُـرْعَفِ[٩]
إِذَا رَاطَنُـوا بَعْضَـاً سَمِعْتَ لِصَـوْتِهِـمْ	عَـزِيفـاً كَجِنٍّ فِي الْمَفَـاوِزِ هُـتَّفِ[١٠]
فَـهَـا أَنَـا مِنْـهُمْ بَـيْنَ شَـمْـلٍ مُـبَـدَّدٍ	وَمِنْ حَسَـرَاتِي بَيْنَ شَمْـلٍ مُـؤَلَّفِ[١١]
أَحِـنُّ إِلَـى أَهْـلِي وَأَذْكُـرُ جِيـرَتِـي	وَأَشْتَـاقُ خُـلاَّنِي وَأَصْبُـو لِمَـأْلَفِي[١٢]
فَـلاَ أَنَـا أَسْلُو عَنْ هَـوَايَ فَـأَنْتَهِي	وَلاَ أَنَـا أَلْقَى مَـنْ أُحِبُّ فَـأَشْتَفِي[١٣]

---

(٦) البدّ: الصنم. وعكّف: جمع عاكف اسم فاعل من عكف المرء على الشيء أي أقبل عليه مواظباً.

(٧) زعانف: أرذال، أو أدعياء، أو ليسوا من أصل واحد، أو قصار القامات. وهدّاجون: يمشون في ارتعاش واضطراب كمشية الشيخ الهرم، جمع هدّاج. والعرصات: جمع عرصة، وهي كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء، أو هي ساحة الدار ووسطها. والخيط: الجماعة من النعام. وأرض جرداء: واسعة لا نبات فيها. وصفصف: ملساء مستوية لا نبات فيها.

(٨) أخلاق: جمع خلق، وهو الثوب القديم البالي. والصدرة: القميص الصغير، أو هي ثوب يغطّي الصدر والظهر.

(٩) يمجّون: يخرجون ويرمون، مجّ الشراب والشيء من فيه: رمي به. والرشح: العرق، والمراد به هنا: اللعاب الذي يسيل من أفواههم. ونضح الدم: ما ترشّش منه وتفرّق. وينهلّ: ينصبّ ويسيل. ومرعف: شخص أصيب بالرعاف، وهو خروج الدم من الأنف.

(١٠) راطنه: كلّمه بلسان أعجمي لا تفهمه العرب. والعزيف: جرس يسمع بالمفاوز في الليل، تزعم العرب أنه صوت الجنّ. والمفاوز: جمع مفازة، وهي الفلاة والصحراء.

(١١) الشمل: الاجتماع. ومبدّد: مفرّق مشتّت. ومؤلّف: مجتمع.

(١٢) أصبو: أحنّ وأنزع وأشتاق وأميل. والمألف: اسم مكان من ألفت الشيء، أي أنست به وأحببته واطمأننت إليه، ويراد بالمألف هنا: الوطن.

(١٣) سلاه، وسلا عنه: نسيه.

وَإِنِّي عَلَى مَـا كَـانَ مِنْ سَـرَفِ النَّوَى ... لَبَـاقٍ عَلَى وُدِّي لِمَنْ كُنْتُ أَصْـطَفِي[١٤]

سَجِيَّـةُ نَفْسٍ لا تَمِيـلُ مَـعَ الْهَـوَى ... وذِمَّـةُ عَهْـدٍ بَيْنَ سَيْـفٍ وَمُصْـحَفِ[١٥]

وَمَـا كُـلُّ مُـوْشِيِّ الْحَـدِيثِ بِصَـادِقٍ ... وَلاَ كُـلُّ مَنْسُوبٍ إِلَى الْـوُدِّ بِـالْـوَفِي[١٦]

تَـشَـابَـهَـتِ الأَخْـلاَقُ إِلاَّ بَـقِـيَّـةً ... بِهَـا يُعْـرَفُ الْمَـاضِي مِنَ الْمُتَخَلِّفِ[١٧]

وَمَـا شَـرَفُ الإِنْـسَـانِ إِلاَّ بِـنَـفْـسِـهِ ... وَإِنْ كَـانَ ذَا مَـالٍ تَلِيـدٍ وَمُـطْرِفِ[١٨]

وَلَـوْ كَانَ نَيْـلُ الْفَضْـلِ سَهْـلاً لَـزَاحَمتْ ... رِجَـالُ الْخَنَا أَهْـلَ الْعُـلا وَالتَّعَـطُّفِ[١٩]

فَـإِنْ أَخْـلَفَتْ نَـفْسٌ طَـوِيَّـةَ مَـا وَأَتْ ... فَلِي مِنْ « عَلِيٍّ » صَاحِبٌ غَيْرُ مُخْلِفِ[٢٠]

هُـمَـامٌ دَعَـا بِـاسْمِي فَلَبَّيْتُ صَـوْتَـهُ ... بِـيَـا مَـرْحَبـاهُ مِـنْ فُـؤَادٍ مُـكَـلَّفِ[٢١]

وَلَـوْ صَـاحَ بِي فِي غَـارَةٍ لَـوَزَعْـتُهَـا ... عَلَى مَتْنِ مَحْبُـوكِ السَّـرَاةِ بِمُـرْهَفِ[٢٢]

وَلَـكِـنَّـنِـي لَـبَّـيْـتُ دَعْـوَةَ نَـظْـمِـهِ ... بِـأَسْمَـرَ مَشْقُـوقِ اللِّسَـانِ مُحَـرَّفِ[٢٣]

---

(١٤) السرف: مجاوزة الحدّ، وهو ضدّ القصد والاعتدال. والنوى: البعد. وأصطفي: أختار.

(١٥) السجيّة: الغريزة والطبيعة والخلق. والذمّة: الحقّ والحرمة.

(١٦) موشّى الحديث: كلامه مزخرف مزيّن.

(١٧) المراد بالماضي: الهمام الصاعد في مراتب الفضل والشرف والعلا.

(١٨) المال التليد: القديم الموروث، وهو نقيض الطريف المستحدث.

(١٩) المراد بالفضل هنا: الشرف والسيادة والرفعة. والخنا: الفحش، والمراد برجال الخنا: ذوو الأخلاق الوضيعة الدنيئة.

(٢٠) الطويّة: النيّة والضمير. ووأت: وعدت.

(٢١) همام: سيد شجاع سخيّ، عظيم الهمّة. فؤاد مكلّف: قلب محبّ لك، مغرم بك.

(٢٢) صاح بي: ناداني. والغارة: الخيل المغيرة. ووزعتها: كففتها ودفعتها ورددتها. ومحبوك: شديد قويّ محكم الخلق، وفرس محبوك المتن: مدمج الظهر، فيه استواء مع ارتفاع. والسراة: الظهر، وسراة كلّ شيء: أعلاه، أو ظهره، أو وسطه. والمرهف: السيف المرقّق الحادّ القاطع المسنون.

(٢٣) دعوة نظمه: دعوة الودّ التي وجّهها إليَّ في قصيدته. وأسمر: صفة من السمرة، وهي منزلة بين البياض والسواد، وكنى بالأسمر المشقوق اللسان عن القلم، والمراد باللسان: الموضع

إِذَا حَـرَّكَـتْـهُ رَاحَتِـي فَـوْقَ مُـهْـرَقٍ   بِـذِكْـرِ عُـلَاهُ بَـزَّ كُـلَّ مُـثَـقَّـفِ[٢٤]

هُـوَ الْبَـطَلُ السَّبَّـاقُ فِي كُـلِّ غَـايَـةٍ   يَهَـابُ رَدَاهَـا الْمَـرْءُ قَبْـلَ التَّعَسُّفِ[٢٥]

إِذَا قَـالَ لَـمْ يَتْـرُكْ بَيَـانـاً لِقَـائِـلٍ   وَإِنْ سَـارَ لَمْ يَتْـرُكْ مَجَـالاً لِمُقْتَفِي[٢٦]

لَـهُ قَـلَمٌ لَـوْ كَـانَ لِـلسَّـيْـفِ حَـدُّهُ   لَفَـلَّ حَبِيكَ السَّـرْدِ في كُـلِّ مَـوْقِفِ[٢٧]

وَشُعْلَةُ فِكْـرٍ لَـوْ بِمِثْـلِ ضِيَـائِـهَـا   أَنَـارَ سِـرَاجُ الْأُفْقِ مَـا كَـانَ يَنْـطَفِي[٢٨]

فَسِيـحُ مَجَـالِ الْفِكْـرِ ثَبْتٌ يَقِينُـهُ   بَعِيـدُ مَنَـاطِ الْهَمِّ حُـرُّ التَّصَـرُّفِ[٢٩]

أَدِيـبٌ لَـهُ فِي جَنَّـةِ الـشِّـعْـرِ دَوْحَـةٌ   أَفَاءَتْ عَلَى الدُّنْيَـا بِأَجْمَـلِ زُخْرُفِ[٣٠]

المبريّ من القلم، على التشبيه باللسان جارحة الكلام. ومحرّف: اسم مفعول من حرّفت القلم تحريفاً، أي قطعته محرّفاً مائلاً غير مستو.

(٢٤) المهرق: الصحيفة البيضاء، وورق الكتابة، وهي من الكلمات الفارسيّة المعرّبة. وبزَّ: غلب وسبق وفاق. ومثقّف: اسم مفعول من ثقّفت الرمح ونحوه، أي سوّيته وقوّمته وعدّلته.

(٢٥) يهاب: يخاف. والردى: الهلاك. والتعسّف: ركوب الأمر بلا تدبير، ولا رويّة، والمراد بالتعسّف هنا: اقتحام الأمر، والإقدام عليه.

(٢٦) المجال: موضع الجولان والتطواف. والمقتفي: اسم فاعل من اقتفى أثره، أي تبعه ولحقه وسار في طريقه.

(٢٧) فلّه: ثلمه وكسره. وحبيك: أي محبوك موثق مشدود محكم متين قويّ، وقد يطلق الحبيك على المغافر والخوذات وبيضات الحديد، الواحدة حبيكة. والسرد: اسم جامع للدروع الحديدية وسائر الحلق، سمّي سرداً لأنه يسرد، أي يثقب طرفا كلّ حلقة منه بالمسمار.

(٢٨) المراد بسراج الأفق: الشمس. وانطفاؤها: أفولها وغيابها.

(٢٩) فسيح مجال الفكر: فكره حرّ طليق. واليقين: العلم وزوال الشكّ. والمناط: موضع النوط، وهو التعليق. والهمّ: أول العزيمة، وما هممت به، أي أردته، والمراد به هنا: الهمّة والعزم القويّ.

(٣٠) الدوحة: الشجرة العظيمة. وأفاءت: رجعت، وفي القاموس: الفيء: الرجوع كالإفاءة، وفي اللسان: فاء إلى الأمر رجع إليه، وأكبر الظنّ أن الشاعر استعمل «أفاء» في موضع «فاء»، يقال: فاء عليه الظلّ، أي امتدّ وانتشر، ويقوّي هذا الظنّ استعماله كلمة «دوحة»، والدوحة مصدر الفيء والظلّ. والزخرف: الزينة، وكمال حسن الشيء.

إذَا نَـوَّرَتْ أَفْـنَـانُـهَـا غِـبَّ دِيـمَـةٍ ... مِنَ الْفِكْرِ جَاءَتْ بِـالْبَدِيـعِ الْمُفَوَّفِ[٣١]

تَـرَنَّـمَ فِـيـهَـا مِـنْ ثَـنَـائِـي بُـلْبُـلٌ ... بِلَحْنٍ لَـهُ فِي السَّمْـعِ نَبْـرَةُ مِعْـزَفِ[٣٢]

حَـفِيتُ لَـهُ بِـالْـوُدِّ مِـنِّـي وَكَـيْـفَ لَا ... أُسَـابِقُـهُ فِي وُدِّهِ وَهْـوَ بِي حَفِي ؟[٣٣]

تَـأَلَّفَ نَفْسِي بَـعْـدَ مَـا زَالَ أُنْسُـهَـا ... وَنَـوَّهَ بِـاسْـمِي بَعْـدَ مَـا كَـادَ يَخْتَفِي[٣٤]

وَحَـرَّكَ أَسْـلَاكَ الـتَّـرَاسُـلِ بَـيْـنَـنَـا ... بِـسَـيَّـالِ وُدٍّ لَـفْـظُهُ لَـمْ يُـحَـرَّفِ[٣٥]

وفِي النَّـاسِ مَـعْـطُوفٌ عَلَى الْـوُدِّ قَلْبُـهُ ... وَمِنْهُمْ سَقِيمُ الْعَهْـدِ بَادِي التَّحَـرُّفِ[٣٦]

تَـوَسَّمْتُ فِـيـهِ الْخَيْـرَ قَبْـلَ لِـقَـائِـهِ ... وَأَحْمَـدْتُ مِنْهُ الْخُبْـرَ بَعْـدَ التَّعَـرُّفِ[٣٧]

وَمَـا حَـرَكَـاتُ الـنَّـفْـسِ إِلَّا دَلَالَـةٌ ... عَلَى صِـدْقِ مَا قَـالُوا بِـهِ فِي التَّعَيُّفِ[٣٨]

فَـقَـدْ تَكْـذِبُ الْعَيْنُ الْفَتَى وَهْـوَ غَـافِـلٌ ... وَيَصْـدُقُ ظَنُّ الْعَـاقِـلِ الْمُتَشَـوِّفِ[٣٩]

وَفَيْتُ بِـوَعْـدِي فِي الثَّـنَـاءِ وَإِنْ يَكُـنْ ... مَقَـالِي بِهَـاتِيكَ الْفَضَـائِـلِ لَا يَفِي

---

(٣١) نوّرت: أزهرت، وهي الدوحة. وأفنانها: أغصانها، والواحد فنن. وغبّ ديمة: بعدها، والديمة: المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق. والمفوّف: الموشّى المزيّن.

(٣٢) ترنّم: غرّد. واللحن: واحد الألحان واللحون، وهي الأصوات الموسيقية المصوغة الموضوعة للأغاني. والنبرة: الصوت. والمعزف: من آلات اللهو والطرب التي يضرب بها، كالعود والطنبور والدفّ.

(٣٣) حفى به حفاوة: تلطّف به، وبالغ في إكرامه.

(٣٤) تألّف نفسي: آنسها. ونوّه باسمي: أشاد به، ورفع ذكري، وأظهره وشهره.

(٣٥) الأسلاك: جمع سلك، وهو الخيط الذي يخاط به الثوب، والمراد به هنا: أسلاك البرق. وسيّال: صيغة مبالغة من سال الماء ونحوه، أي جرى. ولم يحرّف: لم يغيّر ولم يبدّل.

(٣٦) معطوف: مائل منحن مطويّ. وسقيم: مريض معتلّ.

(٣٧) توسّمت فيه الخير: تفرّست، وتبيّنت فيه أثره. والخبر: الخبرة والعلم والمعرفة والاختبار.

(٣٨) يريد بحركات النفس: الإحساس الخفيّ، وصدق الحدس، وصواب الظنّ، وسداد التخمين. والتعيّف: التكهن، ومحاولة تعرّف الغيب بزجر الطير، وهو أن تعتبر بأسمائها ومساقطها وأصواتها فتتيمّن أو تتشاءم، وقد تكون العيافة بالحدس والتخمين.

(٣٩) غافل: اسم فاعل من الغفلة، وهي غيبة الشيء عن بال الإنسان، وعدم تذكّره له. والمتشوّف: اسم فاعل من تشوّفت للشيء، إذا طمح بصرك إليه، وتطلّع وتطاول.

وَكَيْفَ وَإِنْ أُوتِيتُ فِي النَّظْمِ قُدْرَةً أَضُمُّ شَتَاتَ الْكَوْنِ فِي بَعْضِ أَحْرُفِ ؟[٤٠]

وَقَالَ فِي الْغَزَلِ :

لَوَى جِيدَهُ وَانْصَرَفْ فَمَا ضَرَّهُ لَوْ عَطَفْ ؟[١]
غَزَالٌ لَهُ نَظْرَةٌ أَعَانَتْ عَلَيَّ الْكَلَفْ[٢]
تَبَسَّمَ عَنْ لُؤْلُؤٍ لَهُ مِنْ عَقِيقٍ صَدَفْ[٣]
وَتَاهَ فَلَمْ يَلْتَفِتْ وَشَأْنُ الْجَمَالِ الصَّلَفْ[٤]
جَرَى الْبَنْدُ فِي خَصْرِهِ عَلَى حَرَكَاتِ الْهَيَفْ[٥]
وَمَا ذَاكَ خَالٌ بَدَا وَلَكِنْ وِسَامُ التَّرَفْ[٦]
رآنِي بِهِ مُولَعاً فَعَاتَبَنِي وَانْحَرَفْ[٧]

---

(٤٠) أضمّ: أجمع. وشتات: اسم من شتّ الشيء، أي تفرّق.

(١) الجيد: العنق، وليّ الجيد: كناية عن الصدّ والإعراض. وعطف عليه: حنا عليه، ومال إليه.

(٢) الغزال: من ولد الظباء، والشادن إذا تحرّك ومشى وقوي واستغنى عن أمّه. ويشبّه الشاعر حبيبته بالغزال في جمال الجيد واتساع العينين وحسنهما، والرشاقة ولطف الحركة وحسن التثنّي. والكلف: الغرام والهوى والحبّ الشديد.

(٣) اللؤلؤ: الدرّ، وتشبّه به الأسنان في البياض والنقاء والصفاء، الواحدة لؤلؤة. والعقيق: حجر كريم تتّخذ منه فصوص الخواتم، ويكثر باليمن، وأجود أنواعه الأحمر. والصدف: غشاء الدرّ وغلافه، الواحدة صدفة.

(٤) تاه: تكبّر. والشأن: الأمر والحال. والصلف: التمدّح بما ليس عندك، ويراد به هنا: التيه والكبر.

(٥) البند: كلمة فارسية معرّبة، ويراد بها هنا: المنطقة والحزام وشبههما. والهيف: رقّة الخصر، وضمور البطن، وهو من محاسن النساء.

(٦) الخال: شامة أو نكتة سوداء تكون في خدّ الإنسان. والوسام: العلامة. والترف: النعيم والرفاهية.

(٧) انحرف: مال وانصرف. وإنما عاتبه لأنه يشهره، ويهتف باسمه.

وَلَـمْ يَـدْرِ أَنِّـي بِـهِ عَـلَى جَمَـراتِ الـتَّـلَفْ[٨]

فَـقُـلْتُ لَـهُ سَـيِّـدِي ! تَـرَفَّـقْ بِـصَـبٍّ دَنِـفْ[٩]

فَـقَـال أَخَـافُ الْـعِـدَا فَـقُـلْتُ لَـهُ لاَ تَـخَـفْ

فَـإِنِّـنـي عَـفِـيـفُ الْـهَـوَى وَمَـا كُـلُّ صَبٍّ يَعِـفْ[١٠]

وَأَنْـشَـدْتُـهُ قِـطْعَـةً وَشِعْرِيَ إِحْدَى الطُّرَفْ[١١]

فَـأَصْـغَى لَـهَـا بَـاسِـماً وَبَـانَ عَـلَيْـهِ الأَسَـفْ

وَنَـمَّـتْ بِـهِ خَـجْـلَةٌ تَـدُلُّ عَلَى مَـا اقْـتَـرَفْ[١٢]

وَقَـال أَهَـذَا الـضَّـنَـى جَنَـاهُ عَلَيْـكَ الشَّغَفْ ؟[١٣]

فَـقُـلْتُ نَـعَـمْ سَـيِّـدِي ! وأَبْـرَحُ مِـمَّـا أَصِـفْ[١٤]

فَـصَـدَّقَ لَـكِـنَّـهُ تَـجَـاهَـلَ لَـمَّـا عَـرَفْ

وَقَـالَ أَطَـعْـتَ الْـمُـنَـى وَبَـعْضُ الأَمَـانِي سَـرَفْ[١٥]

وَمَـا كُـلُّ ذِي حَـاجَـةٍ يَـفُـوزُ بِـهَـا إِنْ عَـكَـفْ[١٦]

---

(٨) التلف: الهلاك والعطب.

(٩) صبّ: عاشق مشتاق. ودنف: براه المرض حتى أشفى على الموت، صفة من الدنف، وهو المرض الملازم المخامر، وأكثر ما يستعمل فيمن برّح به الهوى والحبّ، وأضنته الصبابة والغرام.

(١٠) عفيف: صفة من العفّة، وهي الكفّ عما لا يحلّ ولا يجمل.

(١١) الطرف: جمع طرفة، وهي الشيء المستحدث الطريف الممتع المعجب.

(١٢) نمّت: ظهرت. واقترف الإنسان الذنب وغيره: اكتسبه وأتاه وفعله.

(١٣) الضنى: مرض مخامر كلّما ظنّ برؤه نكس. والشغف: مصدر شغفه الحبّ، أي أحرق قلبه، أو أمرضه، أو اخترق شغاف قلبه.

(١٤) أبرح: أشدّ برحاً وشدّة وعذاباً.

(١٥) السرف: مجاوزة القصد.

(١٦) عكف على الشيء: أقبل عليه مثابراً مواظباً.

فَـأَشْـفَـقْـتُ مِـنْ قَـوْلِـهِ	وَلَـكِـنَّ رَبِّـي لَـطَفْ[١٧]
فَـلَمَّـا رَأَى أَدْمُـعِـي	تَـوَالَـتْ وَقَـلْبِـي رَجَـفْ
تَـبَـسَّـمَ لِـي ضَـاحِـكَـاً	وَمَـانَـعَ ثُـمَّ انْـعَـطَفْ[١٨]
فَـأَغْـرَمْـتُـهُ قُـبْلَةً	(عَـفَـا اللهُ عَـمَّـا سَـلَفْ)

وَقَالَ :

مَنْ لِي بِـظَبْيَـةِ خِـدْرٍ كُلَّمَـا وَعَـدَتْ	بِـزَوْرَةٍ أَعْقَبَتْ لِـلْوَعْـدِ إِخْـلاَفَـا[١]
تَحْكِي الْغَـزَالَـةَ أَلْحَـاظَـاً إِذَا نَـظَرَتْ	وَالْـوَرْدَ خَـدَّاً وَغُصْنَ الْبَـانِ أَعْـطَافَـا[٢]
تَـاهَتْ بِنُقْـطَةِ خَـالٍ فَـوْقَ وَجْنَتِهَـا	زِيـدَتْ بِهَا عَشَـرَاتُ الْحُسْنِ أَضْعَافَـا[٣]

وَقَالَ :

بَـكَـرَ الـنَّـدَى وَتَـرَفَّـعَ الـسَّـدَفُ	وَأَتَـتْ وُفُـودُ الـلَّهْـوِ تَـخْـتَـلِفُ[١]

---

(١٧) أشفقت: خفت وجزعت.
(١٨) انعطف: مال.
(١) الظبية: الغزالة، وتشبّه بها الحسناء في ملاحة الجيد، وجمال العينين واتساعهما، وفي الرشاقة، ولطف الحركة، وحسن التثنّي. والخدر: ستر، كان يمدّ للجارية في ناحية البيت، ثم أطلق على كلّ ما وارى وستر من بيت ونحوه.
(٢) تحكي: تشبه. والألحاظ: جمع اللحظ، مصدر لحظه ولحظ إليه، أي نظر إليه بمؤخر عينه، والمراد بالألحاظ: النظرات الوادعة الفاتنة. والبان: شجر يسمو ويطول في استواء، مثل نبات الأثل، وله هدب طوال شديدة الخضرة، وثمرته تشبه قرون اللوبياء، إلا أن خضرتها شديدة، ولها حبّ يستخرج منه دهن البان، والشعراء يشبّهون الحسناء الناعمة المعتدلة القامة بالبان. والأعطاف: جمع عطف، وهو الجانب، وعطفا الإنسان: جانباه.
(٣) تاهت: زهيت وتكبّرت. والخال: شامة أو نكتة سوداء تكون في خدّ الإنسان. والأضعاف: جمع ضعف، وضعف الشيء: مثله أو مثلاه أو أمثاله، وهو زيادة غير محصورة.
(١) السدف: ظلمة الليل. وتختلف: مختلفة، كثيرة الأنواع، أو هو من الاختلاف بمعنى التردّد. المراد بوفود اللهو: دواعي اللعب، وأسباب الهوى والطرب.

وَدَعَتْ إِلَى شُـرْبِ الصَّبُـوحِ وَقَـدْ	رَقَّ الـظَّلَامُ حَـمَـائِمٌ هُـتُفُ[٢]
فَـانْهَضْ عَلَى قَـدَمِ الـرَّبِيعِ فَمَـا	فِي نَيْـلِ أَيَّـامِ الصِّبَـا سَـرَفُ[٣]
وَانْـظُرْ فَـثَـمَّ غَـمَـامَـةٌ أُنُـفٌ	تُـولِي الْجَمِيـلَ وَرَوْضَـةٌ أُنُـفُ[٤]
زَهْـرٌ يَـرِفُّ عَـلَى كَـمَـائِـمِـهِ	وَنَـدًى يَـشِفُّ وَمُـزْنَـةٌ تَكِـفُ[٥]
فَـالـطَّلُّ مُـنْتَـشِـرٌ وَمُـنْـتَـظِمٌ	وَالْـغُـصْـنُ مُـفْـتَـرِقٌ وَمُؤْتَـلِفُ[٦]
وَالـرَّوْضُ يَـرْفُـلُ فِي مُعَـصْفَـرَةٍ	بِـالـزَّهْـرِ لِـلْأَبْصَـارِ تَخْتَـطِفُ[٧]
عُـنِيَ الـرَّبِـيـعُ بِنَسْـجِ بُـرْدَتِهَـا	إِنَّ الـرَّبِـيـعَ لَـصَـانِـعٌ ثَـقِفُ[٨]
لَا شَـيْءَ أَحْسَـنُ مِنْ بُـلَهْنِـيَـةٍ	فِي الْعَيْشِ قَلَّدَ جِيـدَهَـا الشَّغَفُ[٩]
وَعِـصَـابَـةٍ غَلَبَ الْـكَـمَـالُ عَـلَى	أَخْـلَاقِـهِمْ وَغَـذَاهُـمُ الـتَّـرَفُ[١٠]

(٢) الصبوح: الخمر تشرب في الصباح. ورقّ الظلام: ضعف فلم يبق منه إلا القليل، وذلك إذا أخذ في الانقشاع وقت الفجر.

(٣) على قدم الربيع: على أثره، أو في إبّانه. والسرف: الإسراف ومجاوزة القصد، وهو ضدّ الاعتدال.

(٤) الغمامة: السحابة. وأنف: ملأى، والمراد ماطرة. وتولي: تهب وتعطي وتسدي. والروضة: أرض ذات كلأ ونبات وشجر وزهر وماء. وأنف: جديدة النبت، لم يرعها أحد.

(٥) يرفّ: يهتزّ نضارة وحسناً، ويتلألأ ويشرق ماؤه. والكمائم: جمع كمامة، وهي وعاء الزهرة وغطاؤها. ويشفّ: يرقّ ويصفو، حتى يرى ما خلفه. والمزنة: السحابة، أو السحابة البيضاء، أو ذات الماء. وتكف: تسيل وتنصبّ شيئاً فشيئاً.

(٦) الطلّ: أخفّ المطر وأضعفه، وقد يسقط من السماء وهي صحو.

(٧) يرفل: يزهى ويتبختر، رفل في ثيابه، أي أطالها وجرّها متبختراً مرحاً معجباً بنفسه. وفي معصفرة: في ثياب معصفرة، أي مصبوغة بالعصفر، وهو نبات تصبغ به الثياب وغيرها، والمراد بمعصفرة هنا: موشّاة مزيّنة.

(٨) البردة: كساء يلتحف به، أو الشملة المخطّطة. وثقف: حاذق وماهر.

(٩) البلهنية: سعة العيش ورفاهيته ونعومته. والجيد: العنق. والشغف: الهوى والحبّ، وقلّد جيدها الشغف: زيّنها الحبّ والعشق، كما تزين القلادة جيد لابسها.

(١٠) العصابة: الجماعة من الناس وغيرهم، وهي من العشرة إلى الأربعين. والترف: التنعّم والرفاهية وطيب العيش وسعته ولينه.



نَـازَعْتُهُمْ طَـرَفَ الْحَـدِيـثِ وَقَـدْ جَـرَتِ الْكُؤُوسُ بِنَا فَمَـا اخْتَلَفُوا(١١)

قَـلْبِـي بِـهِـمْ كَـلِفٌ وَنَـاظِـرَتِـي عَـنْ حُسْنِهِـمْ تَـاللهِ تَـنْـحَـرِفُ(١٢)

فَـمَـحَـبَّـتِـي لَـهُـمُ كَـمَـا عَـرَفُـوا صِـدْقٌ وَوَجْدِي فَـوْقَ مَـا أَصِفُ(١٣)

للهِ أَيَّـامٌ بِـهِـمْ سَـلَـفَـتْ لَـوْ أَنَّهَـا بِـالْـوَصْـلِ تُؤْتَـنَفُ(١٤)

إِذْ لِـمَّـتِـي فَـيْـنَـانَـةٌ وَيَـدِي فَـوْقَ الأَكُفِّ وَقَـامَـتِـي أَلِـفُ(١٥)

أَجْـرِي عَـلَى إِثْـرِ الـشَّـبَـابِ وَلاَ يَمْشِي إِلَى سَـاحَـاتِيَ الْجَـنَفُ(١٦)

ضَـافِـي الْغَـدِيـرَةِ عَـارِمٌ شَـرِسٌ صَعْبُ الْـمَـرِيـرَةِ سَـادِرٌ أَنِفُ(١٧)

إِنْ سِـرْتُ سَـارَ الـنَّـاسُ لِي تَـبَعـاً وَإِذَا وَقَـفْـتُ لِـحَـاجَـةٍ وَقَـفُـوا

فَـالآنَ أُصْـبِـحُ طَـائِـرِي وَقِـعٌ بَعْـدَ السُّمُـوِّ وَصَبْـوَتِـي أَسَفُ(١٨)

---

(١١) نازعتهم: جاذبتهم. وطرف كلّ شيء: منتهاه، أو جانبه وناحيته، أو الطائفة منه، والمختار من الشيء.

(١٢) كلف: مولع مغرم، شديد الحبّ والتعلّق. والناظرة: العين. وتنحرف: تميل، والمراد: لا تنحرف.

(١٤) سلفت: ذهبت ومضت. وتؤتنف: تستأنف وتستعاد.

(١٥) اللمّة: الشعر يلمّ بالمنكب، أي يقرب منه، أو هي الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن، وشعر فينان: طويل حسن، كأفنان الشجر. والألف: حرف الهجاء المعروف، يشبّه به الشيء في الاستقامة والاعتدال.

(١٦) الجنف: الميل والجور والحيف، والمراد أنه ينقاد لدواعي الفتاء، وصبوة الحداثة والشباب، في غير ميل ولا جور، ولا انحراف عن الجادّة.

(١٧) ضاف: اسم فاعل من ضفا الشعر ونحوه، أي كثر وطال. والغديرة: الذؤابة، وهي الضفيرة من الشعر، إذا كانت مرسلة، غير ملويّة ولا معقوصة. وعارم: شديد قويّ. وشرس: عسر شديد صعب. وصعب المريرة: قويّ الشكيمة، مستحكم الأمر، لا يلين، ولا ينقاد. وسادر: لا يهتمّ لشيء، ولا يبالي ما صنع. وأنف: صفة من قولهم: أنف فلان من الشيء، أي تنزّه عنه واستنكف منه وكرهه.

(١٨) وقع: وقع الطائر يقع وقوعاً، نزل عن طيرانه. والسموّ: مصدر سما، أي علا وارتفع. والصبوة: جهلة الفتوّة واللهو من الغزل. والأسف: أشد الحزن.

وَغَـدَوْتُ بَعْـدَ الْكِبْـرِيـاءِ عَلَى كُلِّ الْوَرَى بِـالْعَجْزِ أَعْتَـرِفُ[١٩]
وَكَـذَلِـكَ الأَيَّـامُ آخِـرُهَـا بَعْـدَ الشَّبَـابِ الضَّعْفُ وَالْخَـرَفُ
وَالْـمَـرْءُ مَـهْـمَـا طَـالَ طَـائِـلُهُ يَـوْماً لِصَـائِبَـةِ الـرَّدَى هَـدَفُ[٢٠]
فَـلَبِئْسَ مَـا قَـدِمَ الْـمَشِيـبُ بِـهِ وَلَـنِعْـمَ مَـا وَلَّـى بِـهِ الـسَّلَفُ[٢١]

وَقَالَ يَصِفُ غَيْثاً :

وَذِي نَعَـرَاتٍ يَقْـطَعُ الأَرْضَ سَـارِيـاً عَلَى غَيْرِ سَاقٍ وَهْوَ بِالأَرْضِ أَعْـرَفُ[١]
لَـهُ فَـوْقَ أَعْنَـاقِ الـرِّيَـاحِ سَبَـائِبٌ مُـحَبَّـرَةٌ مِـنْهَـا قَـصِيـرٌ وَمُـسْـدَفُ[٢]
كَـأَنَّ « سُـلَيْمَـانَ بْـنَ دَاوُدَ » فَـوْقَـهُ عَلَى عَـرْشِـهِ وَالْجِنُّ بِـالْجِنِّ تَعْـزِفُ[٣]
يَـجِـدُّ بِـنَـا فِـي أَمْـرِهِ وَهْـوَ لاَعِـبٌ وَيَضْحَـكُ أَحْيَـانـاً وَعَيْنَـاهُ تَـذْرِفُ[٤]
تَـلَهَّبُ فِـيـهِ النَّـارُ وَالْـمَـاءُ سَـافِـحٌ فَـلاَ الْمَـاءُ يُـطْفِيهَـا وَلاَ النَّـارُ تَضْعُفُ[٥]

---

(١٩) الورى: الخلق.
(٢٠) الطائل: الفضل والقدرة والغنى والسعة والعلوّ. والردى: الموت والهلاك، والمراد بصائبة الردى: سهام الموت الصائبة التي لا تخطىء، ولا تنحرف.
(٢١) ولّى: أدبر وذهب وانصرف. والسلف: جمع سالف، اسم فاعل من سلف الشيء، أي مضى وانقضى، والمراد به هنا: الشباب.
(١) سارياً: سائراً. والساق من الإنسان: ما بين الركبة والقدم.
(٢) فوق أعناق الرياح: يشير إلى أن الرياح تحمل السحاب وتسوقه وتثيره. وسبائب: جمع سبيبة، وهي الذؤابة والخصلة من الشعر. ومحبّرة: محسّنة. ومسدف: مرسل مرخى.
(٣) سليمان بن داود: من سلالة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وكلّهم من أنبياء الله، صلوات الله عليهم أجمعين. تعزف: تصوّت، من العزيف، وهو ـ فيما تزعم العرب ـ جرس أصوات الجنّ.
(٤) يضحك: المراد يلمع فيه البرق، والعرب تسمّي السحاب إذا برق ضاحكاً على سبيل المجاز. وذرفت العين: جرى دمعها وسال وانصبّ.
(٥) تلهّب: تتّقد وتشتعل. والمراد بالنار: البرق اللامع. وسافح: منصبّ سائل مهراق.

إِذَا سَـارَ عَنْ أَرْضٍ غَـدَتْ وَهْيَ جَنَّـةٌ ... وَإِنْ حَـلَّ عَـمَّـهَـا مِـنْـهُ زُخْـرُفُ(٦)

يَـكُـونُ حَـيَـاةً لِـلْـنُّـفُـوسِ وَرُبَّـمَـا ... ضَبَتْ مِنْهُ نَـارٌ أَوْ سَـطَا مِنْـهُ مُـرْهَفُ(٧)

لَـهُ زَفْـرَةٌ تَـتْـرَى وَعَـيْـنٌ سَـخِـيَّـةٌ ... وَقَلْبٌ كَـزَهْـرَاءِ الْمَصَـابِيحِ يَـرْجُفُ(٨)

يَـسِـيـرُ عَـلَى مَـتْـنِ الْـهَـوَاءِ وَتَـارَةً ... يُخَضْخِضُ سَجْلاً فِي الْبِحَارِ فَيَغْرِفُ(٩)

أَضَـرَّ بِـأَعْـنَـاقِ الـنَّـعَـائِـمِ حَـمْـلُهُ ... فَـأَلْقَتْ بِهِ عَنْ ظَهْرِهَا فَهْوَ يَـرْسُفُ(١٠)

لَـهُ هَـيْـدَبٌ مِـلْءُ الْفَضَـاءِ كَـأَنَّـهُ ... مَنَاكِبُ أَطْوَادٍ عَلَى الأَرْضِ تَـزْحَفُ(١١)

فَـزِعْنَـا إِلَيْـهِ نَحْسَبُ الْجَـوْنَ عَسْكَـراً ... يَسِيرُ فَشِمْنَـا بَـرْقَـهُ وَهْـوَ يَخْـطَفُ(١٢)

فَقُلْنَـا سَحَـابٌ يَـا سَقَـى اللهُ أَرْضَنَـا ... بِـهِ وَرَوَانَـا فَهْـوَ بِـالنَّـاسِ أَرْأَفُ(١٣)

فَمَـا تَمَّ أَنْ سَـارَتْ بِـهِ الـرِّيـحُ سَيْرَةً ... إِلَيْنَـا وَوَافَى رَائِـدُ الْحَـيِّ يَحْـلِفُ(١٤)

---

(٦) عمّها: شملها. وزخرف: زينة ونضرة وبهاء.

(٧) ضبتـه النار تضبوه: أحرقته وشوته. ومرهف: سيف بتّار حادّ قاطع.

(٨) الزفرة: اسم من زفر الإنسان، أي أخرج نَفَسه بعد مدّه إيّاه، كما يفعل المغموم ونحوه. وتترى: متواترة متوالية، واحدة بعد واحـدة. وعين سخيّة: كـريمة تجـود بالـدمع الغـزير. وزهـراء المصابيح: المصابيح المنيرة المضيئة.

(٩) تارة: مرّة. ويخضخض: يحرّك. والسجل: الدلو العظيمة إذا كان فيها ماء.

(١٠) النعائم: جمع النعامى، وهي ريح الجنوب، لأنها أبلّ الرياح وأرطبها أو هي ريح تهبّ بين الصبا والجنوب. ورسف المقيّد في قيده: مشى فيه رويداً كالمتحامل.

(١١) هيدب السحاب: ذيوله وأطرافه، أو ما يتدلّى منه ويدنو، كأنه هدب القطيفة. ومناكب: جمع منكب، وهو مجتمع عظم العضد والكتف من الإنسان وغيره. والأطواد: الجبال العـظيمة، الواحد طود.

(١٢) فزعنا إليه: استغثنا بهذا السحاب، ولجأنا إليه عند الفزع. والجون: الأبيض، والأسود، وهو هنا وصف للسحاب. وشمنا برقه: نظرنا إليه لنعرف أين يقصد، وأين يمطر. والخطف: الأخذ في سرعة واستلاب، أو سرعة الاجتذاب.

(١٣) روانا: سقانا. وأرأف: اسم تفضيل من الرأفة، وهي أشدّ الرحمة.

(١٤) وافى: أتى. والرائد: الذي يرسل في طلب النجعة، والتماس الكلأ، والمراد به هنا: الخبير

فَـقُـمْـنَـا إِلَيْـهِ وَاثِـقِيـنَ بِـجَـوْدِهِ   نَسِيـرُ وَيَعْـرُونَـا السُّـرُورُ فَنَهْتِفُ[15]

دَنَـا فَتَنَـاوَلْنَـا خَيَـاشِيـمَ مُـزْنِـهِ   قُعُـوداً فَـظَلَّتْ وَهْيَ بِـالْمَـاءِ تَـرْعُفُ[16]

وَطَـافَتْ بِـهِ الْـوِلْـدَانُ يَخْلِجْنَ مَـاءَهُ   بِـأَكْـوَابِهَـا وَالْهِمُّ يَـدْنُـو فَيَغْـرِفُ[17]

فَـلأْيـاً بِـلأْيٍ مـا تَـوَلَّـتْ حُـدَاءَهُ   مُـزَمْجِـرَةٌ هَـوْجَـاءُ بِـالْقَـاعِ تَعْصِفُ[18]

فَـأَبْـقَى لَـنَـا أَثْـراً حَمِيـداً وَنِعْـمَـةً   لَهَـا مَسْحَبٌ نَضْـرٌ وَجَيْبٌ مُفَـوَّفُ[19]

كَـذَلِـكَ مَـا كُـنَّـا لِنَـكْفُـرَ صُـنْـعَـهُ   عَلَى أَنَّ بَعْضَ النَّـاسِ بِالشَّـرِّ أَكْلَفُ[20]

وَقَالَ وَهُوَ مُتَرْجَمٌ مِنَ الْفَارِسِيَّةِ :

هَتَفَ الـدِّيـكُ سُحْـرَةً   فَـاصْـطَبَحْنَـا لِهَتْفِـهِ[1]

بِـشَـرَابٍ كَـعَـيْـنِـهِ   وَكَـبَـابٍ كَـعُـرْفِـهِ[2]

بأحوال السحب وأنواعها. والحيّ: البطن من بطون العرب، والجماعة ينسبون إلى أب واحد، ومحلّة القوم.

(١٥) واثقين بجوده: واثقين بغزارته، مطمئنين إلى اتساعه وكثرته. ويعرونا: يغشانا.

(١٦) الخياشيم: جمع الخيشوم وهو أقصى الأنف، وقد يطلق على الأنف. والمزن: السحاب، أو أبيضه، الواحدة مزنة. وترعف بالماء: المراد يسيل منها وينصبّ.

(١٧) الولدان: الأطفال والصبيان. ويخلجن: يجذبن وينتزعن. والهِمّ: الشيخ الكبير البالي.

(١٨) تقول العرب: فعلت ذلك بعد لأي، أي بعد احتباس ولبث وإبطاء وشدّة وجهد ومشقّة. والحداء: حثّ الإبل على السير وسوقها والغناء لها، ومن المجاز: الريح تحدو السحاب. ومزمجرة: لها صوت شديد مسموع. وهوجاء: شديدة عاصف تثير الغبار وتقلع البيوت.

(١٩) مسحب: اسم مكان من سحبه، أي جرّه، يقال سحبت الثوب والذيل، والمراد بالمسحب هنا: الذيل. ونضر: حسن. ومفوّف: موشّى مزيّن فيه خطوط بيض.

(٢٠) أكلف: اسم تفضيل، والمراد كلف، صفة من كلفت بالشيء: أي لهجت به، وأُغرمت، وأولعت، وأحببته، وتعلّقت به.

(١) السحرة: وقت السحر، وهو آخر الليل قبيل الصبح. واصطبحنا: شربنا الصبوح وهو كلّ ما شرب في الصباح، وكثر إطلاقه على الخمر التي تشرب في الصباح.

(٢) كعينه: كعين الديك في النقاء والصفاء. عرف الديك: لحمة مستطيلة في أعلى رأسه، ووجه الشبه بين الكباب وعرف الديك الحمرة مع الدكنة.

وَقَالَ :

حَيَاتِي فِي الْهَوَى تَلَفُ ... وَأَمْرِي فِيهِ مُخْتَلِفُ[1]
أَبِيتُ اللَّيْلَ مُكْتَئِباً ... وَقَلْبِي فِي الْحَشَا يَجِفُ[2]
فَنَوْمِي كُلُّهُ سَهَرُ ... وَعَيْشِي كُلُّهُ أَسَفُ
وَمَا أُخْفِيهِ مِنْ وَجْدِي ... وَحُزْنِي فَوْقَ مَا أَصِفُ
فَهَلْ مِنْ صَاحِبٍ يَرْثِي ... لِمَا أَلْقَى فَيَنْعَطِفُ[3]
أَيَقْتُلُنِي الْهَوَى ظُلْماً ... وَمَا فِي النَّاسِ لِي خَلَفُ ؟[4]
وَهَبْنِي فَارِسَ الْهَيْجَا ... ءِ أَغْشَاهَا فَتَنْكَشِفُ[5]
أَلَيْسَ الْعِشْقُ سُلْطَاناً ... لَهُ الأَكْوَانُ تَرْتَجِفُ ؟
إِذَا كَانَ الْهَوَى خَصْمِي ... فَقُلْ لِي كَيْفَ أَنْتَصِفُ ؟

وَقَال :

قَلْبِي عَلَيْكَ يَرُفُّ ... وَعِبْرَتِي لاَ تَجِفُّ[1]
وَأَنْتَ يَا نُورَ عَيْنِي ... بِلَوْعَتِي تَسْتَخِفُّ[2]

---

(١) التلف : الهلاك والعطب . ومختلف : غير متّفق ، والمراد مضطرب .
(٢) الحشا : ما حواه الجوف ، وما اشتملت عليه الضلوع . ويجف : يضطرب ، ويخفق خفقاناً شديداً .
(٣) ينعطف : يحنو ويشفق ويرحم .
(٤) خلف : عوض وبدل .
(٥) الهيجاء : الحرب . وأغشاها : أجيئها ، والمراد أخوض غمارها .
(١) يرفّ عليك : المراد يهواك ، ويتعلّق بك ويحبّك ، أو يحوطك ويصونك . والعبرة : الدمعة ، أو الدمعة قبل أن تفيض ، أو هي أن ينهمل الدمع ، ولا يسمع البكاء .
(٢) اللوعة : رقّة الحبّ وشدّته ، ووجع القلب من الهوى والوجد والحزن .

قَــدْ شَـفَّـنِـي طُــولُ وَجْــدِي وَالْــحُــبُّ دَاءٌ يَـشُــفُّ[٣]
فَــارْحَــمْ فَـدَيْـتُـكَ صَـبّـاً إِلَــى لُــقَــاكَ يَـخِـفُّ[٤]

وقَالَ:

عَـيْنِـي لِـبُـعْـدِكَ أَصْـبَـحَـتْ لَا تَسْتَقِــلُّ الْجَفْنَ ضُـعْـفَــا[١]
إِنْــسَــانُــهَــا فِــي غَــمْــرَةٍ مِنْ أَدْمُعِي يَبْــدُو وَيَـخْـفَـى[٢]

وَقَالَ يَحُثُّ عَلَى السَّعْيِ:

تَـغَــرَّبْ إِذَا أَتْــرَبْتَ وَالْـتَمِسِ الْـغِنَـى فَـمَــا الْعِــزُّ إِلَّا مِــنْ وَرَاءِ التَّـعَـسُّــفِ[١]
فَقَــدْ يَعْـدَمُ الإِنْسَــانُ فِي عُـقْـرِ دَارِهِ مُـنَــاهُ وَيَلْقَـى حَــظَّهُ فِي التَّــطَوُّفِ[٢]
فَكُــلُّ مَكَــانٍ يَـضْـمَـنُ الــرِّزْقَ لِلفَتَى إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيــهِ عَــدِيمَ التَّـصَــرُّفِ[٣]

---

(٣) شفّه الحزن والحبّ: لذع قلبه وأحرقه، أو هزله وأنحله وأضمره.
(٤) صبّاً: عاشقاً مستهاماً مشتاقاً. ويخفّ إلى لقاك: يبادر ويسارع.
(١) لا تستقلّ الجفن: لا تستطيع حمله، ولا تقوى على رفعه.
(٢) إنسان العين: ناظرها. والغمرة: الماء الكثير.
(١) أتربت: قلّ مالك وافتقرت. والتمس: أمر من الالتماس، وهو الطلب. والتعسّف في اللغة: الأخذ على غير الطريق، والسير بغير هداية، والمراد به هنا: الجرأة والإقدام.
(٢) عدمت الشيء: فقدته. وعقر الدار: وسطها. والتطوّف: مصدر تطوّف حول الشيء، أي طاف به وأحاط به واستدار.
(٣) يضمن الرزق: يتكفّل به ويلتزمه.

قافية القاف

قَالَ يَرُوضُ القَوْلَ ويَنْعَتُ الْبَازِيَ وَالأَسَدَ والْحَيَّةَ :

سَكَنَ الْفُؤَادُ وَجَفَّتِ الآمَاقُ ... وَمَضَتْ عَلَى أَعْقَابِهَا الأَشْوَاقُ(١)

وَنَزَعْتُ عَنْ نَزَقِ الشَّبِيبَةِ والصِّبَا ... بَعْدَ الْمَشِيبِ ولِلشَّبَابِ نِزَاقُ(٢)

لَا الدَّارُ دَارٌ بَعْدَ مَا رَحَلَ الصِّبَا ... عَنِّي وَلَا تِلْكَ الرِّفَاقُ رِفَاقُ

وَلَقَدْ جَرَيْتُ مَعَ الْغَوَايَةِ والصِّبَا ... جَرْيَ الْكُمَيْتِ ولِلْغَرَامِ سِبَاقُ(٣)

وَلَبِسْتُ هَذَا الدَّهْرَ مِنْ أَطْرَافِهِ ... وَنَزَعْتُهُ وَقَمِيصُهُ أَخْلَاقُ(٤)

فَإِذَا الشَّبَابُ وَدِيعَةٌ وَإِذَا الْفَتَى ... هَدْيٌ لِفَاغِرَةِ الْمَنُونِ يُسَاقُ(٥)

لِلَّهِ أَيَّامٌ لَنَا مَعْرُوفَةٌ ... سَبَقَتْ وَلَيْسَ لِسَبْقِهِنَّ لَحَاقُ(٦)

---

(١) الآماق: جمع مؤق، وهو طرف العين مما يلي الأنف. ومضت على أعقابها: ولّت وانصرفت وذهبت.

(٢) نزعت: كففت وأقلعت وانتهيت. ونزق الشبيبة: طيش الشباب، وخفّة الحداثة.

(٣) الغواية: الضلال والانهماك في الجهل. والكميت من الخيل: ما كان لونه بين الحمرة والسواد.

(٤) لبست هذا الدهر: من قولهم: فلان قد لبس الناس، أي عاش معهم، يقولون: لكلّ زمان لبسة أي حالة يلبس عليها، من شدّة ورخاء. ونزعته: خلعته وقلعته. وشيء خلق: بال، قد فنى، وذهبت جدّته

(٥) الهدي: ما يهديه الحاجّ ونحوه إلى بيت الله الحرام بمكة من النعم والمال والمتاع، وأكثر ما يطلق على النعم، أي المال الراعية، كالإبل والغنم. وفاغرة: اسم فاعل من فغر الحيوان فاه، أي فتحه.

(٦) سبقت: ذهبت ومضت مسرعة.

حَيْثُ الصِّبَا نَهْبٌ وَسَلْسَالُ الْهَوَى عَذْبٌ وَآنِيَةُ السُّرُورِ دِهَاقُ[7]

فِي جَنَّةٍ خَضْرَاءَ وَرْدُ خُدُودِهَا زَاهٍ وَغَيْثُ مُدَامِهَا غَيْدَاقُ[8]

سَفَرَتْ بِهَا الأَقْمَارُ مِنْ أَطْوَاقِهَا وَتَجَمَّعَتْ بِفِنَائِهَا الْعُشَّاقُ[9]

فَالنُّطْقُ جَهْرٌ وَالتَّحِيَّةُ قُبْلَةٌ بَيْنَ الأَحِبَّةِ وَالسَّلَامُ عِنَاقُ

لَا يَسْأَمُونَ اللَّهْوَ بَيْنَ مَلَاعِبٍ قَدْ قَامَ فِيهَا لِلْخَلَاعَةِ سَاقُ[10]

يَفْتَنُّ عَقْلُ الْمَرْءِ فِي تَصْوِيرِهَا وَتَحَارُ فِي تَمْثِيلِهَا الأَحْدَاقُ[11]

فَعَلَى الْمُرُوجِ مِنَ الْخَمَائِلِ رَفْرَفٌ وَعَلَى الْخَمَائِلِ لِلْغُيُومِ رُوَاقُ[12]

بَعَثَ الرَّبِيعُ لَهُنَّ مِنْ أَنْفَاسِهِ فَسَمَتْ طِبَاقٌ فَوْقَهُنَّ طِبَاقُ[13]

دُنْيَا نَعِيمٍ لَا بَقَاءَ لِحُسْنِهَا وَنَعِيمُ دُنْيَا مَا لَهَا مِيثَاقُ

فَلَقَدْ مَضَى ذَاكَ الزَّمَانُ بِحُسْنِهِ وَسَمَا إِلَيَّ الْهَمُّ وَالإِيرَاقُ[14]

---

(٧) نهب: غنيمة. والسلسال: الماء السلس العذب السائغ البارد الصافي النقيّ. وكأس دهاق: مترعة ملأى.

(٨) زاهٍ: نضير حسن. والغيث: المطر. والمدام: الخمر. وغيداق: غزير كثير.

(٩) سفرت: أشرقت وأضاءت. ويراد بالأقمار: الحسان من النساء. والأطواق: جمع طوق، وهو ما أحاط بالعنق من حلى وزينة. وفناء الحديقة: ما اتّسع من أرجائها ونواحيها.

(١٠) سئم الإنسان الشيء، وسئم منه: ملّ منه وضجر. والخلاعة: الاستهتار والاستخفاف والتهتّك والمجون. والساق: ما بين الكعب والركبة.

(١١) افتنّ فلان في حديثه افتناناً: أخذ في فنون وضروب من القول، وجاء بالأفانين، أي الأنواع المختلفة. والأحداق: العيون، جمع حدقة.

(١٢) الخمائل: جمع خميلة، وهي الروضة ذات الشجر. والرفرف: الرفّ، أو ما تدلّى من جوانب الخباء، واحدته رفرفة، ورفرف القميص ونحوه: أسفله وذيله. والرواق: سقف في مقدّم البيت.

(١٣) المراد بأنفاس الربيع: النسيم المعطّر بأريج أزهاره. وسمت: علت وارتفعت.

(١٤) الإيراق: مصدر آرقه، أي أسهره، أو هو مصدر أورق الصائد، إذا أخطأ وخاب.

وَغَـدَوْتُ حَـرَّانَ الْـفُـؤَادِ كَـأَنَّـمَـا	ضَـاقَتْ عَلَيَّ بِـرُحْبِهَـا الآفَـاقُ[15]
نَفِسَتْ عَلَيَّ بَنُـو الـزَّمَـانِ شَمَائِلِي	فَـلَهُمْ بِـذَلِـكَ خِـفَّـةٌ وَنَـزَاقُ[16]
حَسِبُـوا التَّحَوُّلَ في الـطِّبَاعِ خَلِيقَـةً	وَتَحَـوُّلُ الأَخْـلاَقِ لَيْسَ يُـطَاقُ[17]
تَـاللهِ أَهْـدَأُ أَوْ تَـقُـومُ قِـيَـامَـةٌ	فِيهَـا الدِّمَـاءُ عَلَى الـدِّمَـاءِ تُـرَاقُ[18]
تَـرْتَـدُّ عَيْنُ الشَّمْسِ فِي سَتَـرَاتِهَـا	وَيَضِـلُّ فِي هَبَـوَاتِهَـا الإِشْـرَاقُ[19]
شَعْـوَاءُ تَلْتَـهِمُ الْـفَضَـاءَ وَيَـرْتَـقِي	مِنْهَـا عَلَى حُبُـكِ السَّمَـاءِ نِـطَاقُ[20]
أَنَـا لاَ أَقَـرُّ عَلَى الْقَبِيـحِ مَهَـابَـةً	إِنَّ الْقَـرَارَ عَلَى الْقَبِيحِ نِفَـاقُ[21]
قَلْبِـي عَـلَى ثِـقَـةٍ وَنَـفْـسِي حُـرَّةٌ	تَـأْبَى الـدَّنِيَّ وَصَـارِمِـي ذَلاَّقُ[22]
فَعَـلاَمَ يَخْشَى الْمَـرْءُ فُـرْقَـةَ رُوحِـهِ	أَوَ لَـيْسَ عَـاقِبَـةُ الْـحَيَـاةِ فِـرَاقُ ؟
فَـارْغَبْ بِنَفْسِـكَ وَهْيَ فِي أَثْـوَابِهَـا	إِنْ لَمْ تَكُنْ شَـامٌ فَتِـلْكَ عِـرَاقُ[23]

---

(١٥) حرارة الفؤاد كناية عن الضجر والقلق، وغلبة الهمّ، وذهاب السكينة والطمأنينة. والرحب: السعة.

(١٦) نفس فلان عليَّ الشيء: حسدني عليه، ولم يرني أهلاً له. والشمائل: جمع شمال بمعنى الخلق والطبيعة والسجيَّة. والخفَّة: الطيش. والنزاق: النزق، وهو الخفّة والطيش والجهل والحمق.

(١٧) الخليقة: الطبيعة والسجيَّة.

(١٨) تالله أهدأ: تالله لا أهدأ. والمراد بالقيامة: الحرب والقتال. وتراق: تصب.

(١٩) يراد بارتداد عين الشمس: احتباسها واختفاء نورها. والسترات: جمع سترة وهي ما يستتر به. والهبوات: جمع هبوة، وهي الغبرة، ومثلها الهباء، وهو دقاق التراب الثائر في الجوّ كالدخان.

(٢٠) غارة شعواء: متفرقة فاشية منتشرة. وتلتهم: تبتلع. وحبك السماء: طرائقها، أو طرائق نجومها. والنطاق: كلّ ما شددت به وسطك.

(٢١) لا أقرّ على القبيح: لا أستقرّ عليه، ولا أطمئنّ إليه، ولا أسكت عنه. والمهابة: الحذر والخوف. والنفاق: أن يظهر الإنسان خلاف ما يضمر.

(٢٢) الدنيّ: الخسيس الدون. والصارم: السيف القاطع الذي لا ينثني. وذلّاق: حادّ ماض نافذ بتّار، من ذلق السنان والسكّين ونحوهما أي ذرب وصار حديداً ماضياً.

(٢٣) رغبت بنفسي عن الشيء: اجتويته وزهدت فيه وكرهته، فالشاعر يريد بالنفس: الروح، ويريد بالأثواب: الجسم والبدن.

لَا خَيْـرَ فِي عَيْشِ الْجَبَـانِ يَحُـوطُـهُ ... مِنْ جَـانِبَيْـهِ الـذُّلُّ وَالإِمْـلَاقُ[٢٤]

عَـابُـوا عَـلَيَّ حَمِيَّتِي وَنِكَـايَتِي ... وَالنَّـارُ لَيْسَ يَعِيبُهَـا الإِحْـرَاقُ[٢٥]

فَـاضْـرَحْهُمُ ضَرْحَ الْعُيُونِ قَـذَاتَهَـا ... وَحَـذَارِ لَا تَعْلَقْ بِـكَ الْعُـلَّاقُ[٢٦]

فَـالنَّـاسُ أَشْبَـاهٌ وَشَتَّى بَيْنَـهُـمْ ... تَـدْنُو الْجُسُـومُ وَتَبْعُـدُ الأَخْـلَاقُ[٢٧]

فَـاعْـرِفْهُمُ وَاحْـذَرْ تَشَابُـهَ أَمْرِهِمْ ... لَا تَسْتَـوِي الأَغْـلَالُ وَالأَطْـوَاقُ[٢٨]

لَا تَـحْسَبَنَّ الـرِّفْـقَ يَنْـزِعُ غِلَّهُـمْ ... الـشَّـرُّ دَاءٌ مَـا لَـهُ إِفْـرَاقُ[٢٩]

شَـرُوا الضَّـلَالَـةَ بِـالْهُـدَى وَاغْتَـرَّهُمْ ... لِينُ الْحَيَـاةِ وَمَـاؤُهَـا الـرَّقْـرَاقُ[٣٠]

فَتَـرَى الْفَتَى مِنْهُـمْ كَـأَنَّ بِـرَأْسِـهِ ... نَـزْغَ الْجُنُـونِ فَلَيْسَ فِيـهِ لَيَـاقُ[٣١]

مُـتَـلَوِّنَ الأَخْـلَاقِ بَيْـنَ عَـشِيـرِهِ ... جَهْـلًا كَمَـا يَـتَلَوَّنُ الـشِّقْـرَاقُ[٣٢]

لَهِـجٌ بِعَـارِيَـةِ الْحَيَـاةِ وَمَـا دَرَى ... أَنَّ الْحَيَـاةَ إِلَى الْمَنُـونِ مَسَـاقُ[٣٣]

---

(٢٤) الإملاق: الفقر.

(٢٥) الحميّة: الغضب والأنفة والاستنكاف وإباء الضيم. والنكاية: اسم من قولك نكيت في العدوّ: إذا قتلت وجرحت وأثخنت.

(٢٦) الضرح: التنحية والرمي. والقذاة: واحدة القذى، وهو كلّ ما سقط في العين فآذاها وهاجها.

(٢٧) قوم شتّى: متفرّقون مختلفون.

(٢٨) الأغلال: جمع غلّ، وهو طوق من حديد يجعل في العنق. والأطواق: جمع طوق، وهو حلي يجعل في العنق.

(٢٩) الغلّ: الحقد والضغن. وإفراق: برء وشفاء.

(٣٠) شروا: ابتاعوا واشتروا، والمراد، استبدلوا، وهم حسّاده وأعداؤه الذين وصمهم بالجبن والمهانة، والانطواء على الحقد والبغضاء. والرقراق: المتلألىء اللامع.

(٣١) النزغ: مصدر نزغه، أي نخسه وطعنه. والمراد بنزغ الجنون: اللوثة والهوس والحماقة. والليّاق: الاستقرار والرزانة والثبات في الأمر.

(٣٢) الشقراق: طائر يسمى الأخيل، في حجم الهدهد، مرقّط بحمرة وخضرة وبياض وسواد.

(٣٣) لهج: مولع مغري، شديد التعلّق. والعارية: ما تستعيره من غيرك، كأنها منسوبة إلى العار، لأن طلبها عار وعيب، أو هي من قولهم: تعاوروا الشيء واعتوروه، إذا تداولوه.

لَـوْ كَانَ يَسْلَمُ فِي الـزَّمَانِ مِنَ الـرَّدَى حَيٌّ لَعَـاشَ بِجَـوِّهِ السَّـيْـذَاقُ(٣٤)

أَرْبَى عَلَى شِـمْـرَاخِ أَرْعَنَ بَـاذِخٍ سَـامٍ لَـهُ فَـوْقَ السَّحَـائِبِ طَـاقُ(٣٥)

نَهِـمَـانُ يَعْتَـلِقُ الْقَـطَا بِـمَخَـالِبٍ حُجْنٍ لَهُنَّ بِـوَقْعِهَـا تَـصْعَـاقُ(٣٦)

لاَ يَسْتَقِـرُّ بِـهِ الْجَـنَـاحُ وَطَـرْفُـهُ مُتَقَلِّبٌ يَسْـمُـو بِـهِ الإِرْشَـاقُ(٣٧)

بَيْنَـا كَـذَلِـكَ إِذْ أَصَابَ عِصَـابَـةً لِلطَّيْـرِ أَرْسَلَهَـا صَـدًى مِحْـرَاقُ(٣٨)

فَسَمَـا فَحَلَّقَ فَـاسْتَـدَارَ فَصَكَّهَـا بِمُـذَرَّبٍ تَمْكُـو لَـهُ الأَعْنَـاقُ(٣٩)

تَسْمُـو فَيَتْبَعُهَـا فَتَـهْـوِي وَهْـوَ فِي آثَـارِهَـا مَـرُّ الشِّهَـابِ حِـرَاقُ(٤٠)

مَـذْعُـورَةٌ تَبْغِي الْفِـرَارَ مِنَ الـرَّدَى إِنَّ الْفِـرَارَ مِنَ الْـمَنُـونِ وَثَـاقُ(٤١)

حَتَّى إِذَا فَتَـرَتْ وَحَطَّ بِهَـا الْـوَنَى سَقَـطَتْ فَلَيْسَ لِنَفْسِهَـا أَرْمَـاقُ(٤٢)

---

(٣٤) الردى: الهلاك والموت. والسيذاق: الصقر، أو الشاهين، أو البازي، أو كلّ صائد من جوارح الطير، كالبزاة والشواهين.

(٣٥) أربى: سما وعلا وارتفع. والشمراخ: رأس الجبل وقمّته. وجبل أرعن: ذو رعان طوال، واحدها رعن، وهو أنف عظيم يتقدّم الجبل. وباذخ: شامخ عال. وسام: شاهق مرتفع. والطاق: جزء عظيم مرتفع، يبدو بارزاً خارجاً من الجبل.

(٣٦) النهم: الشهوة في الطعام. والقطا: نوع من الحمام، الواحدة قطاة. والمخالب: جمع مخلب، وهو لجوارح الطير والسباع كالظفر للإنسان. وحُجْن: معوجّة. والوقع: الوقوع والسقوط. والتصعاق: مصدر صعق أي غشي عليه، ومات.

(٣٧) لا يستقرّ به الجناح: لا يثبت، ولا يهدأ. ويسمو به: يرفعه ويعليه. والإرشاق: إحداد النظر.

(٣٨) أصاب: وجد. وعصابة للطير: جماعة من الطير. والصدى: العطش الشديد.

(٣٩) صكّها: ضربها ضرباً شديداً. ومذرّب: حادّ قاطع. ومكا الجرح يمكو: فهق ونفح بالدم أي سال منه الدم وتصبّب، وتمكو له الأعناق: تتمزّق الأعناق بمخلبه المذرّب، ويتفجّر منها الدم.

(٤٠) الشهاب: ما ينقضّ من أجرام الكواكب، يضرب به المثل في سرعة الانقضاض. وحراق: شديد.

(٤١) مذعورة: مفزّعة خائفة. والردى: الهلاك والموت. والوثاق: ما يشدّ به الأسير ونحوه من قيد وحبل ونحوه.

(٤٢) فترت: انكسرت وضعفت. والونى: الضعف والفتور والكلال والإعياء والتعب. والأرماق: جمع رمق، وهو بقيّة الحياة في الجريح والمذبوح والمحتضر.

فَــأَتى فَمَـزَّقَهَــا كَمَـا حَكَمَ الــرَّدَى	وَلِــكُــلِّ نَــفْسٍ مَــرَّةً إِزْهَــاقُ[٤٣]
أَفَـذَاكَ أَمْ ضِـرْغَــامُ خِيسٍ مُـدْهِسٌ	تَنْجَابُ عَنْ أَنْيَابِـهِ الأَشْـدَاقُ ؟[٤٤]
مَنَـعَ الـطَّرِيقَ فَمَا تَجُوسُ خِـلاَلَـهُ	فِي سَيْـرِهَا الـطُّرَّاقُ وَالْمُـرَّاقُ[٤٥]
غَـضْبَـانُ يَـضْـرِبُ ذَيْلَهُ وَيَـلُفُّـهُ	مِنْ جَـانِبَيْـهِ كَـأَنَّـهُ مِخْـرَاقُ[٤٦]
عَصَفَتْ عَلَيْـهِ النَّائِجَاتُ وَخَـابَ مِنْ	هَامِ الْوُحُوشِ لَهُ حَشاً وَصِفَاقُ[٤٧]
فَسَمَــا فَــأَبْـصَــرَ رَاعِيَيْنِ تَـخَلَّفَـا	بِـالْعِيـرِ تَصْـدَحُ بَيْنَهُـنَّ نِيَـاقُ[٤٨]
فَـأَجَـمَّ قُــوَّتَــهُ وَشَــدَّ بِــوَثْـبَــةٍ	صُمُّ الصُّخُـورِ لِـوَقْعِهَــا أَفْـلاَقُ[٤٩]

---

(٤٣) الإزهاق: مصدر أزهق الله تعالى نفس الحيّ، أي أخرج روحه وأماته.

(٤٤) الضرغام: الأسد، أو الضاري الشديد المقدام من الأسود. والخيس: الأجمة، والشجر الكثير المجتمع الملتفّ، والخيس أيضاً: عرين الأسد ومأواه. ومدهس: اسم فاعل من أدهس الإنسان وغيره إدهاساً، أي سار في الدهس، وهو الأرض يثقل فيها المشي، أو هو المكان السهل الليِّن لا يبلغ أن يكون رملاً. والأشداق: جمع شدق، وهو جانب الفم، وانجياب أشداق الأسد عن أنيابه: كناية عن ضراوته.

(٤٥) جاس المرء خلال المكان: سار فيه، وتردّد بين أجزائه جيئة وذهاباً. والطرّاق: جمع طارق، اسم فاعل من طرق فلان القوم، أي جاءهم ليلاً. والمرّاق: جمع مارق، اسم فاعل من المروق، وهو سرعة الخروج من الشيء.

(٤٦) يضرب ذيله: المراد يحرّكه ويبسطه ويطويه ويلفّه ويضمّه ويجمعه. والمخراق: المنديل ونحوه يلفّ ليضرب به، وجمعه مخاريق، وهي ما يتلاعب به الصبيان من الخرق المفتولة.

(٤٧) عصفت: اشتدّت. والنائجات: الرياح تمرّ مرّاً سريعاً، ولها صوت، صفة من النئيج. والهام: جمع هامة، وهي الرأس. والحشا: المعي والكرش. والصفاق: الجلد الأسفل تحت الجلد الذي عليه الشعر، أو ما بين الجلد والمصران.

(٤٨) العير: الإبل التي تحمل الميرة، أو الإبل مطلقاً. وتصدح: المراد ترغو وتصوّت، من الصدح، وهو شدة الصوت وحدّته.

(٤٩) أجمّ: جمع. وشدّ: حمل وهجم على عدوّه في القتال، أي حمل عليه وهجم. وصمّ: جمع أصمّ وصمّاء، يقال صخرة صمّاء، وحجر أصمّ، إذا كان صلباً مصمتاً شديداً قويّاً. وأفلاق: متفلّق متشقّق.

حَتَّى إِذَا اعْتَـرَضَ الـرِّحَـالَ إِذَا بِهَـا	يَـقِظٌ تَـلِيـنُ لِكَـفِّـهِ الْأَرْزَاقُ(٥٠)
مُـتَـقَـلِّـدٌ سَـيْـفَـاً تَـرِفُّ مُـتُـونُـهُ	رَفَّ الْمَصَـابِـحِ شَفَّهُـنَّ لِيَـاقُ(٥١)
فَتَصَـاوَلَا حَـتَّى إِذَا مَـا اسْـتَنْـفَـدَا	مَـا كَانَ عِنْـدَهُمَـا وَضَـاقَ خِنَـاقُ(٥٢)
هَمَّـا بِبَـعْـضِهِـمَـا فَـمَـاتَـا مِيتَـةً	لَهُـمَـا بِهَـا حَتَّى الْمَعَـادِ وِفَـاقُ(٥٣)
أَمْ أَرْقَشٌ مَـرِسٌ يَـسِـيـلُ كَـأَنَّـهُ	بَيْنَ الْخَمَـائِلِ جَـدْوَلٌ دَفَّـاقُ(٥٤)
يَـتَـنَـاذَرُ الـرَّاقُـونَ سُـمَّ لُـعَـابِـهِ	رُعْـبـاً فَـلَيْسَ لِـمَسِّـهِ دِرْيَـاقُ(٥٥)
تَـسِمُ الـظَّلَامَ ذُبَـالَـتَـانِ بِـرَأْسِـهِ	تَقِـدَانِ لَيْسَ عَلَيْهِـمَـا أَطْبَـاقُ(٥٦)
يَسْـرِي فَيَقْتَحِمُ السِّـرَارَ وَيَـرْتَمِي	بِسَنَـاهُمَـا الْمُتَنَبِّـلُ الْمِـرْشَـاقُ(٥٧)

(٥٠) الرحال: جمع رحل، وهو مركب للبعير يشدّ على ظهره، كالسرج للفرس، والمراد باعتراض الأسد للرحال: أنه وقف في طريق العير، وتصدّى لها، وأراد افتراسها. ولين الأرزاق لكفّه: كناية عن قوّته وقدرته على الكسب والارتزاق.

(٥١) ترفّ: تبرق وتتلألأ وتلمع. والمتون: جمع متن، وسط الرمح والسهم، والمراد بمتون السيف: ما صلب واشتدّ من صفحته. وشفّهن: أضعفهن. واللياق: شعلة النار، والمراد اشتعالها.

(٥٢) تصاولا: صال كلّ منهما على الآخر، وسطا عليه، ووثب. وضيق الخناق: كناية عن الجهد والشدّة والمشقّة، ونفاد الحيلة.

(٥٣) همّا ببعضهما: همّ كلّ منهما بقتل صاحبه والقضاء عليه. ولهما: للراعي والأسد. والمعاد: العودة والمرجع والمصير إلى الله تعالى يوم القيامة.

(٥٤) أرقش: فيه نقط سواد وبياض. ومرس: قويّ شديد البأس. والخمائل: جمع خميلة وهي الروضة الطيّبة المشرقة، أو الشجر الكثير الملتفّ.

(٥٥) يتناذر الراقون: ينذر بعضهم بعضاً، أي يحذّر ويخوّف. والراقون: جمع الراقي، اسم فاعل من الرقية، وهي العوذة وكانت العرب تفزع بالملدوغ إلى الراقي، فيرقيه ويعوّذه. والدرياق: الترياق، وهو دواء السموم.

(٥٦) تسم الظلام: تعلمه، وتترك فيه أثراً، والمراد تثقبه وتضيئه وسماً وسمة. والذبالتان: مثنى ذبالة، وهي فتيلة المصباح التي توقد فتضيء، والمراد بالذبالتين هنا: عينا الأرقش. والأطباق: جمع طبق، وهو غطاء كلّ شيء، والمراد بالأطباق هنا: الأجفان.

(٥٧) السرار: آخر ليلة من الشهر حين يستسرّ القمر، أي يختفي ويستتر. والسنا: الضوء. والمرشاق: صيغة مبالغة من رشقه بالنبل وغيره أي رماه به.



تَـرَكَ الْـوُحُـوشُ لَـهُ الْفَـلاَةَ وَأَوْغَلَتْ طَلَبَ النَّجَاةِ فَجَمْعُهَا أَحْـذَاقُ[٥٨]

حَتَّى إِذَا ظَـنَّ الـظُّنُـونَ بِـنَـفْـسِـهِ تِيهـاً بِهَا وَخَلَتْ لَـهُ الأَعْمَـاقُ[٥٩]

أَنْحَى فَـأَقْصَـدَهُ الـزَّمَـانُ بِسَهْمِـهِ إِنَّ الـزَّمَـانَ لَنَـابِـلٌ مِيفَـاقُ[٦٠]

حِكَمٌ تَـحَيَّـرَتِ الْـبَـرِيَّـةُ دُونَـهَـا وَتَنَـازَعَتْ أَسْبَـابَهَـا الْحُـذَّاقُ[٦١]

فَـاسْمَـعْ فَمَـا كُـلُّ الْكَـلاَمِ بِـطَيِّبٍ وَلِكُـلِّ قَـوْلٍ فِي السَّمَـاعِ مَـذَاقُ

نَـزَلَ الْكَـلاَمُ إِلَيَّ مِـنْ شُـرُفَـاتِـهِ وَتَـمَـثَّـلَتْ بِـحَـدِيـثِـيَ الآفَـاقُ

وَقَالَ فِي الْغَزَلِ :

عُـودِي بِـوَصْـلٍ أَوْ خُـذِي مَـا بَقِي فَـقَـدْ تَـدَاعَى الْـقَلْبُ مِـمَّـا لَـقِـي[١]

أَيُّ فُـؤَادٍ بِـكِ لَـمْ يَـعْـلَقِ وَأَنْـتِ صِنْـوُ الْـقَمَـرِ الْـمُـشْـرِقِ ؟[٢]

عَـلَّـمْـتِـنِـي الـذُّلَّ وَكُـنْـتُ امْـرأً أَفْـعَـلُ مَـا شِئْـتُ وَلاَ أَتَّـقِـي[٣]

فَـارْحَـمْ فُـؤَاداً أَنْـتَ أَبْـلَيْـتَـهُ وَمُـقْـلَةً لَـوْلاَكَ لَـمْ تَـأْرَقِ[٤]

---

(٥٨) الفلاة: المفازة والقفر من الأرض، أو هي الصحراء الواسعة، أو الأرض لا ماء فيها، ولا أنيس. وأحذاق: مقطّع.

(٥٩) ظنّ الظنون بنفسه: المراد اغترّ بقوّته وانخدع. والتيه: الصلف والكبرياء والعجب. وأعماق الأرض: نواحيها.

(٦٠) أنحى عليه: أقبل عليه، واتّجه إليه، وقصده. وأقصده: رماه فلم يخطئه، أو أصابه فقتله. وميفاق: يحسن الرمي بالنبال، أو موفّق في أمره.

(٦١) الشاعر يريد بالحكم هنا: ما اشتمل عليه الكون من عجائب وغرائب وعظات بالغة، وسنن مطّردة، لا تبديل فيها ولا تغيير. وتحيّرت: حارت ودهشت ولم تهتد لسبيلها. والبريّة: الخلق والناس. وتنازعوا الشيء: تناولوه وتجاذبوه. والحذّاق: جمع حاذق، اسم فاعل من الحذق وهو المهارة.

(١) تداعى: ضعف وأشرف على الهلاك.

(٢) علقه وعلق به: هويه وتعلّق به وأحبّه. وصنو: شبه ومثل.

(٣) لا أتّقي: لا أتوقّى، ولا أحترس، ولا أخاف.

(٤) أبليت الثوب ونحوه: أخلقته، وأذهبت جدّته. والمقلة: العين. وتأرق: تسهر.

لَـمْ أَدْرِ حَـتَّـامَ أُقَـاسِـي الْـجَـوَى يَـا وَيْـحَ قَلْبِي مِنْـكَ مَـاذَا لَقِيَ ؟[٥]

إِذَا تَـذَكَّـرْتُـكَ فِـي خَـلْوَةٍ هَـوَتْ بِـدَمْعِـي زَفْـرَةٌ تَـرْتَـقِـي[٦]

تَـاللهِ مَـا أَنْـصَـفَ مَـنْ لاَمَـنِـي فِـيـكَ وَهَـلْ لَـوْمٌ عَـلَى مُـشْـفِـقِ ؟

وَكَـيْـفَ لاَ أَعْـشَـقُ مَـنْ حُـسْـنُـهُ يَـدْعُـو إِلَى الصَّبْـوَةِ قَلْبَ التَّقِي ؟[٧]

لَـكَ الْـجَـمَـالُ الـتِّـمُّ دُونَ الْـوَرَى وَلَـيْسَ لِـلْبَـدْرِ سِـوَى رَوْنَـقِ[٨]

فَـاعْـطِفْ عَـلَى قَـلْبٍ بِـهِ لَـوْعَـةٌ يَنْـزُو لَهَـا فِي الصَّـدْرِ كَـالـزِّئْبَقِ[٩]

يَـكَـادُ يَـرْفَضُّ هَـوىً كُـلَّمَـا لاَحَ لَـهُ الْـبَـرْقُ مِـنَ الأَبْـرَقِ[١٠]

حِـمىً بِـهِ مَـا شِئْـتَ مِنْ صَـبْـوَةٍ لَـوْ كَـانَ فِـيـهِ مَنْ يَـفِـي أَوْ يَـقِـي[١١]

حَـاطَتْ بِـهِ الْفُـرْسَـانُ حُـورَ الْمَهَـا يَـا مَنْ رَأَى الـرَّبْـرَبَ فِي الفَيْـلَقِ[١٢]

مِنْ كُـلِّ هَـيْـفَـاءَ كَـخُـوطِ الْـقَـنَـا بِـلَحْـظَةٍ كَـالـلَّهْـذَمِ الأَزْرَقِ[١٣]

---

(٥) الجوى: الهوى الباطن، والحرقة، وشدّة الوجد. وويح: كلمة رحمة، أو هي بمعنى ويل، وويل كلمة عذاب.

(٦) تذكّره في خلوة: تذكّره في حال الوحدة والانفراد. والزفرة: تنفّس طويل ممدود من شدّة الغمّ والحزن والهمّ. وترتقي: تعلو وتصعد.

(٧) الصبوة: الميل إلى الجهل والفتوّة، واشتغال قلب العاشق بالمعشوق. والتقيّ: صفة من التقوى، وهي الاحتراز بطاعة الله من عقوبته.

(٨) الورى: الخلق. والرونق: الطلاوة والحسن والإشراق.

(٩) اللوعة: وجع القلب من الحبّ وغيره. وينزو: يثب ويضطرب.

(١٠) يرفضّ: يسيل ويتفرّق. والأبرق: أرض غليظة، فيها حجارة ورمل وطين مختلطة، وعَلَمَ على مواضع كثيرة في شبه جزيرة العرب، تغنّى ببعضها الشعراء الغزلون، وأكثروا من الحنين إليها.

(١١) الحمى: المكان المحميّ الذي لا يقرب، ولا يجترأ عليه، والمراد به منزل الحبيب.

(١٢) حور: جمع أحور وحوراء، صفة من الحور، أن يشتدّ بياض العين وسوادها. ويبيضّ ما حواليها، في شدّة بياض الجسد. والمها: جمع مهاة، وهي البقرة الوحشيّة تشبّه بها الحسناء من النساء في حور العيون. والربرب: القطيع من بقر الوحش أو الظباء. والفيلق: الجيش، أو الكتيبة العظيمة منه.

(١٣) هيفاء: صفة من الهيف، وهو رقّة الخصر، وضمور البطن. والخوط: الغصن الناعم، والعرب

تَـخْـطِرُ فِي الْـفَـيْـنَـانِ مِنْ فَـرْعِـهَـا فَهْيَ عَـلَى التَّـمثِيـلِ كَـالْبَـيْـرَقِ(١٤)

أَرْنُـو إِلَـيْـهَـا وَهْـيَ فِـي شَـأْنِـهَـا كَـنَـظْرةِ الْعَـانِي إِلَى الْـمُـطْلَقِ(١٥)

فَـمَـا تَـرَانِـي صَـانِـعـاً وَهْـيَ لَا تَسْمَـعُ مَـا أَسْـرُدُ مِنْ مَنْطِقِي ؟(١٦)

يَـا رَبَّـةَ الْـقُـرْطَـقِ هَـلْ نَـظْرَةٌ أُحْيَـا بِهَـا يَـا رَبَّـةَ الْـقُـرْطَقِ !(١٧)

إِنْ كَـانَ يُـرْضِـيـكِ ذَهَـابُ الَّـذِي أَبْقَـيْـتِ مِـنِّـي فَـخُـذِي مَـا بَـقِـي

لَـمْ تُـبْـقِ مِـنِّـي صَـدَمَـاتُ الْـهَـوَى غَيْـرَ صَـدىً بَيْـنَ حَشـاً مُـحْـرَقِ(١٨)

قَـدْ كُـنْـتُ قَـبْـلَ الْـحُـبِّ ذَا تُـدْرَإٍ أَقْـتَـحِـمُ الْـهَـوْلَ وَلَـمْ أَفْـرَقِ(١٩)

فَـالْـيَـوْمَ أَصْبَـحْـتُ عَـدِيـمَ الْـقُـوَى يَـسْـبِـقُـنِـي الـذَّرُّ وَلَـمْ أَلْـحَـقِ

وَالْـحُـبُّ مَـلْـكٌ نَـافِـذٌ حُـكْـمُـهُ مِـنْ مَـغْـرِبِ الأَرْضِ إِلَـى الْـمَـشْـرِقِ

فَـلْـيَـقُـلِ الْـعَـاذِلُ مَـا شَـاءَهُ فَـالْعِشْقُ دَأْبُ الشَّـاعِـرِ الْـمُـفْلِقِ(٢٠)

تشبّه به قدّ الحسناء في اللين والمرونة، والنعومة، والنضرة، والاعتدال. والقنا: جمع قناة، وهي الرمح، وكلّ عصاً مستوية. واللحظة: النظرة الفاتنة الساحرة. واللهذم: القاطع من الأسنّة. والزرقة من الصفات المستحسنة في الأسنّة والنصال، الدالّة على جودتها.

(١٤) تخطر في مشيتها: تتمايل وتتبختر. وشعر فينان: له خصل وأفنان كأفنان الشجر. وفرع المرأة: شعرها التامّ. والتمثيل: التشبيه. والبيرق: كلمة فارسيّة، معناها العلم والراية.

(١٥) أرنو إليها: أديم النظر إليها مع سكون الطرف. والعاني: الأسير المحبوس. والمطلق: ضدّ العاني، اسم مفعول من أطلقه إطلاقاً.

(١٦) أسرد المنطق: أقصّ الحديث، وأتابع الكلام.

(١٧) القرطق: ملبوس يشبه القباء، وهو من ملابس العجم، فارسيّ معرّب.

(١٨) الصدى: العطش الشديد، والمراد بالصدى هنا: ما يضمره العاشق من الحنين والوجد والشوق المبرّح. والحشا: ما اجتمعت عليه الضلوع، وما حواه الجوف، كالقلب والكبد وغيرهما. ومحرق: اسم مفعول من الإحراق، والمراد أن حرق الوجد قد اشتدّت عليه، وبرّحت به.

(١٩) ذو تدرإٍ: ذو عدّة وقوّة على دفع أعدائه، لا يتوقّى، ولا يهاب. والهول: الخوف والفزع، والمراد مواطن الهول. والفرق: الخوف.

(٢٠) العاذل: اللائم. والدأب: العادة الملازمة. والمفلق: المجيد المبدع.

لَـوْ لَـمْ أَكُـنْ ذَا شِـيـمَـةٍ حُـرَّةٍ لَـمْ أَقْـرِضِ الشِّـعْـرَ وَلَمْ أَعْشَـقِ[٢١]

وَقَالَ :

أَيُّ قَـلْـبٍ عَـلَى صُـدُودِكَ يَـبْقَـى ؟ أَوَ لَـمْ يَكْـفِ أَنَّنِـي ذُبْتُ عِـشْقَـا ؟[١]

لَـمْ تَـدَعْ مِـنِّـيَ الـصَّـبَـابَـةُ إِلَّا شَبَحـاً شَـفَّـهُ السَّقَـامُ فَـدَقَّـا[٢]

وَدُمُـوعـاً أَسَـالَـهَـا الْـوَجْـدُ حَتَّى غَـلَبَتْ أَدْمُـعَ الْـغَـمَـامَـةِ سَبْقَـا[٣]

فَـتَـصـدَّقْ بِـنَـظْرَةٍ مِنْـكَ تَـشْفِـي داءَ قَـلْـبٍ مِـنَ الْـغَـرَامِ مُـلَقَّـى

كَـانَ أَبْـقَـى مِـنْـهُ الْـغَـرَامُ قَـلِيـلاً فَـأَذَابَ الـصُّـدُودُ مَـا قَـدْ تَـبَـقَّـى

لَا تَـسَلْنِـي عَـنْ بَـعْضِ مَـا أَنَـا فِـيـهِ مِـنْ غَـرَامٍ فَـلَسْـتُ أَمْـلِكُ نُـطقَـا

سَـلْ إِذَا شِئْـتَ أَنْـجُـمَ الـلَّـيْـلِ عَـنِّـي فَـهْـيَ أَدْرَى بِـكُـلِّ مَـا بِـتُّ أَلْـقَـى

نَـفَسٌ لَا يَـبِـيـنُ ضَـعْـفَـاً وَجِـسْـمٌ سَـارَ فِيـهِ الضَّنَى فَـأَصْبَـحَ مُلْقَى[٤]

فَـتَـرَفَّـقْ بِـمُـهْـجَـةٍ شَـفَّـهَـا الْـوَجْـدُ فَـذَابَـتْ وَأَدْمُـعٍ لَـيْسَ تَـرْقَـا[٥]

إِنْ يَـكُـنْ دأْبُـكَ الـصُّـدُودَ فَـقَـلْـبِي عَـنْـكَ رَاضٍ وَإِنْ غَـدَا بِـكَ يَشْـقَـى

فَـعَـلَـيْـكَ الـسَّـلامُ مِـنِّـي فَـإِنِّـي مُـتُّ شَـوْقـاً وَاللهُ خَـيْـرٌ وَأَبْـقَـى

وَقَالَ :

أَلَـيْـلَى ! مَـا لِـقَـلْـبِـكِ لَـيْسَ يَـرْثِـي لِـمَـا أَلْـقَـاهُ مِـنْ أَلَـمِ الْـفِـرَاقِ ؟

---

(٢١) الشيمة : الطبيعة والخلق. والقرض: قول الشعر.

(١) الصدود: الإعراض والصدوف والهجران.

(٢) الصبابة: رقّة الهوى، وحرارة الشوق. وشفّه: أنحله وهزله، وأوهنه وأضعفه. والسقام: المرض. ودقّ: هزل وضعف.

(٣) الغمامة: السحابة، وأدمعها: المطر، على التجوّز.

(٤) يبين: يظهر ويتّضح. والضنى: المرض والهزال والضعف. وملقى: مطروح مرميّ.

(٥) المهجة: الروح والنفس. وليس ترقا: ليست ترقأ، بمعنى تجفّ وتنقطع.

كَتَمْتُ هَـوَاكِ حَتَّـى نَمَّ دَمْـعِي ... وَذَابَـتْ مُـهْـجَـتِـي مِـمَّـا أُلاقِـي[1]

وَرَقَّـتْ لِي قُـلُوبُ الـنَّـاسِ حَـتَّـى ... بَـكَى لِـي كُـلُّ سَـاقٍ فَـوْقَ سَـاقِ[2]

تَلُومِيني عَلَى عَبَـراتِ عَيْنِـي ؟ ... وَلَـوْلَا الْـحُبُّ لَـمْ تَجْـرِ الْـمَـآقِي[3]

وَمِنْ عَـجَـبِ الْـهَـوَى يَـا لَـيْـلُ أَنِّي ... فَـنِيتُ صَـبَـابَـةً وَهَـوَاكِ بَـاقِـي[4]

وَمَـا إِنْ عِـشْـتُ بَـعْـدَ الْـبَـيْـنِ إِلَّا ... لِـمَـا أَرْجُـوهُ مِنْ وَشْـكِ الـتَّـلَاقِي[5]

وَلَـوْلا أَنَّـنِـي فِـي قَـيْـدِ سُـقْـمٍ ... لَـطِرتُ إِلَيْـكِ مِنْ فَـرْطِ اشْتِيَـاقِي[6]

وَقَالَ :

رَبِّ خُـذْ لِي مِـن الْـعُـيُـونِ بِـحَـقِّي ... وَأَجِـرْنِـي مِنْ ظَـالِـمٍ لَيْسَ يُـبْـقِي[1]

قَـدْ تَـوَقَّيْتُ مَـا اسْـتَـطَعْتُ مِنَ الْحُبْـ ... ـبِ وَلَـكِـنْ مـاذَا يَـرُدُّ الـتَّـوَقِّـي ؟

وَتَـرَفَّـقْـتُ بِـالْـفُـؤَادِ وَلَـكِـنْ ... غَـلَبَتْ لَـوْعَـةُ الـصَّـبَـابَـةِ رِفْـقِي[2]

لَا تَلُمْنِـي عَلَى الْـهَـوَى فَغُـمُـوضُ الـ ... ـحَـقِّ عُـذْرٌ يَـرُدُّ كُـلَّ مُـحِـقِّ

سَـلْ دُمُـوعِي فَـهُـنَّ يُـنْـبِئْـنَ عَـمَّـا ... فِـي ضَمِيـرِي وَيَعْـتَـرِفْنَ بِصِـدْقِي

---

(١) نمّ الإنسان الحديث: أظهره وأفشاه، والمهجة: الروح والنفس، والمهجة أيضاً: دم القلب، وقد يراد بها القلب نفسه.

(٢) الساق: الحمام الذكر، أو الذكر من القماريّ، واسمه ساق حرّ، واسمه أيضاً الورشان. والساق: جذع الشجرة.

(٣) العبرات: جمع عبرة، وهي الدمعة، أو الدمعة قبل أن تفيض. والمآقي: جمع المأقى، أو المؤقى، وهو مجرى الدمع من العين. والمراد بالمآقي هنا: الدموع، على التجوّز.

(٤) يا ليل: يا ليلى. والصبابة: رقّة الهوى، وحرارة الشوق.

(٥) البين: الفراق. ووشك التلاقي: قرب اللقاء وسرعته.

(٦) السقم: المرض. والفرط: اسم من الإفراط، وهو مجاوزة الحدّ في الأمر.

(١) أجرني: أنقذني.

(٢) لوعة الصبابة: حرقة الحبّ، وتبريح الشوق.

كَيْفَ لِي بِالنَّجَاةِ مِنْ شَرَكِ الْحُبْـ ـبِ سَلِيماً وَالْحُبُّ مَالِكُ رِقِّي ؟[٣]
قَدْ تَلَقَّيْتُ لَوْعَتِي مِنْ عُيُونٍ عَلَّمَتْنِي دَرْسَ الْهَوَى بِالتَّلَقِّي
وَرَشَوْتُ الْهَوَى بِلُؤْلُؤِ دَمْعِي وَالرُّشَا وُصْلَةٌ لِنَيْلِ التَّرَقِّي[٤]
فَلَعَلِّي أَفُوزُ يَوْماً بِوَصْلٍ أَتَوَلَّى بِهِ إِمَارَةَ عِشْقِ

وَقَالَ وَهُوَ بِسَرَنْدِيبَ يَتَشَوَّقُ إِلَى وَطَنِهِ :

هَلْ مِنْ طَبِيبٍ لِدَاءِ الْحُبِّ أَوْ رَاقِي ؟ يَشْفِي عَلِيلاً أَخَا حُزْنٍ وَإِيرَاقِ[١]
قَدْ كَانَ أَبْقَى الْهَوَى مِنْ مُهْجَتِي رَمَقاً حَتَّى جَرَى الْبَيْنُ فَاسْتَوْلَى عَلَى الْبَاقِي[٢]
حُزْنٌ بَرَانِي وَأَشْوَاقٌ رَعَتْ كَبِدِي يَا وَيْحَ نَفْسِيَ مِنْ حُزْنٍ وَأَشْوَاقِ[٣]
أُكَلِّفُ النَّفْسَ صَبْراً وَهْيَ جَازِعَةٌ وَالصَّبْرُ فِي الْحُبِّ أَعْيَا كُلَّ مُشْتَاقِ[٤]
لاَ فِي «سَرَنْدِيبَ» لِي خِلٌّ أَلُوذُ بِهِ وَلاَ أَنِيسٌ سِوَى هَمِّي وَإِطْرَاقِي[٥]
أَبِيتُ أَرْعَى نُجُومَ اللَّيْلِ مُرْتَفِقاً فِي قُنَّةٍ عَزَّ مَرْقَاهَا عَلَى الرَّاقِي[٦]

---

(٣) الشرك: حبائل الصيد، وما ينصب للطير، وما يصاد به. والرقّ: العبوديّة، اسم من استرقّ السيد مملوكه، أي استعبده.

(٤) رشاه: أعطاه الرشوة، وهي ما يعطى لإبطال حقّ، أو إحقاق باطل، وما تعطيه الحاكم وغيره ليحكم لك.

(١) راق: اسم فاعل من رقاه يرقيه، أي عوّذه، أو قرأ عليه بعض الأدعية. والعليل: المريض. والإيراق: السهاد والسهر.

(٢) المهجة: الروح والنفس. والرمق: بقيّة الحياة، أو بقيّة الروح في المذبوح والمحتضر ونحوهما. والبين: الفراق.

(٣) براني: هزلني وأضعفني. ورعت: أضعفت وأضمرت.

(٤) جازعة: اسم فاعل من الجزع، وهو أن يضعف الإنسان، ولا يقوى على احتمال ما نزل به من المكروه. وأعياه: أتعبه، أو أعجزه.

(٥) الخلّ: الصديق المختصّ. وألوذ به: أعوذ به وألجأ إليه.

(٦) أرعى نجوم الليل: أراقبها وأنتظر مغيبها، وهذا كناية عن الأرق والهمّ.

تَقَلَّدَتْ مِنْ جُمَانِ الشُّهْبِ مِنْطَقَةً مَعْقُودَةً بِوِشَاحٍ غَيْرِ مِقْلَاقِ[7]

كَأَنَّ نَجْمَ الثُّرَيَّا وَهْوَ مُضْطَرِبٌ دُونَ الْهِلَالِ سِرَاجٌ لَاحَ فِي طَاقِ[8]

يَا «رَوْضَةَ النِّيلِ» لَا مَسَّتْكِ بَائِقَةٌ وَلَا عَدَتْكِ سَمَاءٌ ذَاتُ أَغْدَاقِ[9]

وَلَا بَرِحْتِ مِنَ الْأَوْرَاقِ فِي حُلَلٍ مِنْ سُنْدُسٍ عَبْقَرِيِّ الْوَشْيِ بَرَّاقِ[10]

يَا حَبَّذَا نَسَمٌ مِنْ جَوِّهَا عَبِقٌ يَسْرِي عَلَى جَدْوَلٍ بِالْمَاءِ دَفَّاقِ[11]

بَلْ حَبَّذَا دَوْحَةٌ تَدْعُو الْهَدِيلَ بِهَا عِنْدَ الصَّبَاحِ قَمَارِيٌّ بِأَطْوَاقِ[12]

مَرْعى جِيَادِي ومَأْوَى جِيرَتِي وَحِمَى قَوْمِي وَمَنْبِتُ آدَابِي وَأَعْرَاقِي

---

(٧) تقلّد الرجل السيف: احتمله، ووضع نجاده على منكبه. ويظهر لنا أن الشاعر استعمل هنا «تقلّد» بمعنى انتطق، أي شدّ وسطه بالنطاق. وجمان الشهب: الشهب الشبيهة بالجمان، وهو اللؤلؤ، والشهب: النجوم. والمنطقة: ما يشدّ به الإنسان وسطه شبيهاً بالإزار أو الحزام. والوشاح: أديم عريض يرصّع بالجواهر تشدّه المرأة بين عاتقها وكشحها. وغير مقلاق: ثابت محكم الوضع.

(٨) الثريّا: علَم على سبعة كواكب، أو أربعة وعشرين نجماً، سمّيت بذلك لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها. والسراج: المصباح الزاهر. والطاق: تجويف في الحائط يشبه الكوّة والمشكاة.

(٩) الروضة: البستان الناضر، والمراد بروضة النيل، روضة المقياس التي طالما حنّ الشاعر إليها، وتغنّى بها. والبائقة: الداهية والبليّة والشرّ. والأغداق: جمع غدق، وهو الماء الكثير، أو المطر الكثير العامّ.

(١٠) الحلل: جمع حلّة، وهي إزار ورداء، ولا تكون حلّة إلا من ثوبين، أو من ثوب له بطانة، أو هي الثوب الساتر لجميع البدن. والسندس: رقيق الديباج ورفيعه. والوشي: النقش والنمنمة والزخرفة والتحسين.

(١١) عبق: طيّب عطر. ودفّاق: ممتلىء كثير الدفق، يفيض منه الماء.

(١٢) الدوحة: الشجرة العظيمة المتّسعة. وتدعو الهديل: تصيح به، وتناديه، والهديل: ذكر الحمام، أو فرخها، أو هو - فيما تزعم العرب - فرخ للحمام كان على عهد نوح عليه السلام، فمات ضيعة، أو عطشاً، أو صاده جارح من جوارح الطير، فما من حمامة إلا وهي تبكي عليه. والقماريّ: جمع قمريّة، اسم لنوع جميل من الحمام، حسن التغريد والتطريب. وأطواق: جمع طوق، وهو حلي للعنق يحيط به، والمراد به هنا: ما يحيط بعنق القمريّة من ريش متميّز بلون خاصّ.

أَصْبُـو إِلَيْـهَـا عَلَى بُـعْـدٍ وَيُعْـجِبُـنِي   أَنِّي أَعِيشُ بِهَـا فِي ثَـوْبِ إِمْـلَاقِ[١٣]

وَكَيْفَ أَنْسَى دِيَـاراً قَـدْ تَـرَكْـتُ بِهَـا   أَهْـلاً كِـرامـاً لَهُمْ وُدِّي وَإِشْـفَـاقِي ؟

إِذَا تَـذَكَّـرْتُ أَيَّـامـاً بِـهِـمْ سَـلَفَـتْ   تَحَـدَّرَتْ بِغُـرُوبِ الـدَّمْـعِ آمَاقِي[١٤]

فَيَـا بَـرِيـدَ الصَّبَـا بَلِّغْ ذَوِي رَحِـمِي   أَنِّي مُقِيمٌ عَلَى عَهْـدِي وَمِـيثَـاقِـي[١٥]

وَإِنْ مَرَرْتَ عَلى « الْمِقْيَاسِ » فَـاهْدِ لَـهُ   مِـنِّي تَـحِـيَّـةَ نَـفْسٍ ذَاتِ أَعْـلَاقِ[١٦]

وَأَنْـتَ يَـا طَـائِـراً يَبْـكِـي عَـلَى فَـنَـنٍ   نَفْسِي فِـدَاؤُكَ مِنْ سَاقٍ عَلَى سَـاقِ[١٧]

أَذْكَـرْتَنِي مَـا مَضَى وَالشَّمْـلُ مُجْتَمِـعٌ   « بِمِصْرَ » وَالْحَرْبُ لَمْ تَنْهَضْ عَلَى سَاقِ[١٨]

أَيَّـامَ أَسْحَبُ أَذْيَـالَ الـصِّبَـا مَـرِحـاً   فِـي فِتْـيَـةٍ لِـطَرِيـقِ الْـخَيْـرِ سُبَّـاقِ

فَـيَـا لَهَـا ذُكْـرَةً شَبَّ الْـغَـرَامُ بِـهَـا   نَـاراً سَـرَتْ بَيْنَ أَرْدَانِي وَأَطْـوَاقِي[١٩]

عَصْـرٌ تَـوَلَّى وَأَبْقَى فِي الْفُـؤَادِ هَـوىً   يَكَـادُ يَشْـمَـلُ أَحْشَـائِي بِـإِحْـرَاقِ

وَالْمَـرْءُ طَـوْعُ اللَّيَـالِي فِي تَصَـرُّفِهَـا   لَا يَمْلِكُ الْأَمْـرَ مِنْ نُجْـحٍ وَإِخْفَاقِ[٢٠]

---

(١٣) أصبو: أحنّ وأشتاق وأميل. والإملاق: مصدر أملق المرء، أي افتقر واحتاج.

(١٤) سلفت: ذهبت ومضت. وتحدّرت: انحدرت ونزلت. والغروب: الدموع حين تخرج وتنهلّ وتسيل من العين، أو هي الدلاء العظيمة، مفردها غرب، والمراد بغروب الدمع: الدمع الغزير الكثير. والآماق: جمع مؤق، أو مأق، وهو طرف العين مما يلي الأنف، وهو مجرى الدمع من العين.

(١٥) الصبا: ريح تهبّ في شبه جزيرة العرب من ناحية المشرق، وكانت أحبّ الرياح إليهم. وذو الرحم: الأقارب.

(١٦) ذات أعلاق: ذات هوى وحبّ.

(١٧) الفنن: الغصن. والساق: الحمام الذكر، أو الذكر من القمريّ، والساق: جذع الشجرة.

(١٨) شمل القوم: أمرهم وعددهم. ونهوض الحرب على ساقها: كناية عن اشتدادها، وفظاعة أمرها.

(١٩) الأردان: جمع ردن، وهو الكمّ، أو أصله، أو مقدّمه، أو أسفله. والأطواق: جمع طوق، وهو حلي للعنق، وكلّ ما استدار بشيء، ولعلّ المراد بالطوق هنا: جيب القميص، ليناسب الردن، ولعلّه يريد بما بين أردانه وأطواقه: قلبه المعذب بنار الصبابة، وحرق الشوق.

(٢٠) في تصرّفها: في تقلّبها واختلاف أحوالها.

عَلَيَّ شَيْمُ الْغَوَادِي كُلَّمَا بَرَقَتْ وَمَا عَلَيَّ إِذَا ضَنَّتْ بِرَقْرَاقِ[٢١]

فَلَا يَعِبْنِي حَسُودٌ أَنْ جَرَى قَدَرٌ فَلَيْسَ لِي غَيْرُ مَا يَقْضِيهِ خَلَّاقِي

أَسْلَمْتُ نَفْسِي لِمَوْلَىً لَا يَخِيبُ لَهُ رَاجٍ عَلَى الدَّهْرِ وَالْمَوْلَى هُوَ الْوَاقِي

وَهَوَّنَ الْخَطْبَ عِنْدِي أَنَّنِي رَجُلٌ لَاقٍ مِنَ الدَّهْرِ مَا كُلُّ امْرِئٍ لَاقِي[٢٢]

يَا قَلْبُ صَبْراً جَمِيلاً إِنَّهُ قَدَرٌ يَجْرِي عَلَى الْمَرْءِ مِنْ أَسْرٍ وَإِطْلَاقِ

لَا بُدَّ لِلضِّيقِ بَعْدَ الْيَأْسِ مِنْ فَرَجٍ وَكُلُّ دَاجِيَةٍ يَوماً لِإِشْرَاقِ[٢٣]

وَقَالَ يَصِفُ رَوْضَةً كَثِيرَةَ الأَشْجَارِ غَزِيرَةَ المِيَاهِ فِي « كَنْدِي[★] » مِنْ جَزِيرَةِ « سَرَنْدِيبَ » :

دَعَانِي إِلَى غَيِّ الصِّبَا بَعْدَ مَا مَضَى مَكَانٌ كَفِرْدَوْسِ الْجِنَانِ أَنِيقُ[١]

فَسِيحُ مَجَالِ الْعَيْنِ أَمَّا غَدِيرُهُ فَطَامٍ وَأَمَّا غُصْنُهُ فَرَشِيقُ[٢]

كَسَا أَرْضَهُ ثَوْباً مِنَ الظِّلِّ بَاسِقٌ مِنَ الأَيْكِ فَيْنَانُ السَّرَاةِ وَرِيقُ[٣]

---

(٢١) شيم: مصدر شام الإنسان البرق، إذا نظر إلى سحابته أين تقصد، وأين تمطر. والغوادي: جمع غادية، وهي السحابة تنشأ غدوة أي في أول النهار، وشيم البرق والسحاب من العادات العربية القديمة. وضنّت: بخلت.

(٢٢) الخطب: الأمر المكروه، والنازلة الشديدة من نوازل الدهر.

(٢٣) داجية: مظلمة.

(★) كندي: من بلاد جزيرة سرنديب، وتقع في بقعة تعدّ من محاسن الدنيا، وأجمل بقاع الأرض وأخصبها.

(١) غيّ الصبا: جهل الفتاء، ولهو الشباب. والفردوس: البستان الواسع الحسن الذي يجمع كلّ ما يكون في البساتين، والمراد بفردوس الجنان: خير الجنّات، وأجمل البساتين.

(٢) طام: ممتلىء زاخر.

(٣) باسق: طويل مرتفع عال. والأيك: الشجر الكثير الملتفّ، الواحدة أيكة. وفينان: كثير الأفنان والأغصان. والسراة: أعلى كلّ شيء. ووريق: كثير الأوراق.

سَمَتْ صُعُداً أَفْنَانُهُ فَكَأَنَّمَا ... لَهَا عِنْدَ إِحْدَى النَّيِّرَاتِ عَشِيقُ[٤]

يَمُدُّ شُعَاعُ الشَّمْسِ فِي حَجَرَاتِهَا ... سَلَاسِلَ مِنْ نُورٍ لَهُنَّ بَرِيقُ[٥]

وَيَشْدُو بِهَا الْقُمْرِيُّ حَتَّى كَأَنَّهُ ... أَخُو صَبْوَةٍ أَوْ دَبَّ فِيهِ رَحِيقُ[٦]

تَمُرُّ طُيُورُ المَاءِ فِيهَا عَصَائِباً ... كَرَكْبٍ عِجَالٍ ضَمَّهُنَّ طَرِيقُ[٧]

إِذَا أَبْصَرَتْ زُرْقَ الْمَوَارِدِ رَفْرَفَتْ ... عَلَيْهَا فَطَافٍ فَوْقَهَا وَغَرِيقُ[٨]

غَدَوْنَا لَهُ وَالْفَجْرُ يَنْصَاحُ ضَوْؤُهُ ... فَيَنْمُو وَأَقْطَارُ الظَّلَامِ تَضِيقُ[٩]

وَلِلطَّيْرِ فِي مَهْدِ الأَرَاكَةِ رَنَّةٌ ... وَلِلطَّلِّ فِي ثَغْرِ الأَقَاحَةِ رِيقُ[١٠]

مَلَاعِبُ زَانَتْهَا الرِّفَاقُ وَلَمْ يَكُنْ ... لِيَحْسُنَ لَهْوٌ لَمْ يَزِنْهُ رَفِيقُ

وَمَنْزِلُ أُنْسٍ قَدْ عَقَدْنَا بِجَوِّهِ ... رَتَائِمَ لَهْوٍ عَقْدُهُنَّ وَثِيقُ[١١]

جَمَعْنَا بِهِ الأَشْتَاتَ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ ... وَمَا كُلُّ يَوْمٍ بِالسُّرُورِ حَقِيقُ[١٢]

---

(٤) سمت صعداً: عظم ارتفاعها، وزاد علوّها. والنيّرات: النجوم والكواكب.

(٥) يمدّ: يبسط وينشر. وفي حجراتها: في حجرات الأفنان، أي نواحيها، الواحدة حجرة.

(٦) يشدو: يطرّب ويغرّد. والقمريّ: نوع من الحمام المطوّق، حسن التغريد، جميل التطريب. وأخو صبوة: عاشق مستهام. والرحيق: الخمر، أو أطيبها وأفضلها وأعتقها.

(٧) عصائب: جماعات، الواحدة عصابة. والركب: جماعة الراكبين، وأكثر ما يطلق الركب على ركبان الإبل.

(٨) الموارد: جمع مورد، وهو موضع ورود الماء. والعرب تريد بزرقة الماء: صفاءه ونقاءه.

(٩) ينصاح: ينشقّ وينتشر ويفيض. والأقطار: النواحي والجوانب، المفرد قطر.

(١٠) الأراكة: شجرة طويلة ناعمة، كثيرة الورق والأغصان، خوّارة العود، يستاك بقضبانها، ولها ثمر كعناقيد العنب، يسمّى البرير، ومهد الأراكة: الأراكة الشبيهة بالمهد، وقد جعل الأراكة مهداً للطير، لأنها تستمهدها وتسكن فيها. والرنّة: الصوت. والطلّ: أخفّ المطر وأضعفه، أو الندى. والثغر: مقدّم الأسنان، وما يبدو منها عند الابتسام.

(١١) جوّ المنزل ونحوه: حيّزه. والرتائم: جمع رتيمة، وهي خيط يعقد على الأصبع أو الخاتم لتستذكر به الحاجة.

(١٢) أشتات اللذّة: أنواعها وما تفرّق منها. وحقيق: خليق جدير.

وَغَـنَّى لَـنَـا شَـادٍ أَغَـنُّ مُـقَـرْطَـقٌ رَفِـيقٌ بِـجَسِّ الْـمِـلْـهَـيَـاتِ لَـبِـيقُ[١٣]

إِذَا مَـدَّ مِـنْ صَـوْتٍ وَرَجَّـعَ أَقْـبَـلَتْ عَلَيْنَـا وُجُـوهُ الْعَيْشِ وَهْـوَ رَقِيقُ[١٤]

فَيَـا حُسْنَـهُ مِنْ مَنْـزِلٍ لَمْ يَـطُفْ بِـهِ غَـوِيٌّ وَلَـمْ يَحْـلُلْ حِمَـاهُ لَـصِيقُ[١٥]

جَـعَـلْـنَـاهُ تَـارِيـخَـاً لأَيَّـامِ صَـبْـوَةٍ إِذَا ذُكِـرَتْ مَسَّ الْـقُـلُوبَ حَـرِيـقُ[١٦]

أَقَـمْـنَـا بِـهِ يَـوْمـاً طَـلِـيقـاً وَلَـيْلَةً دُجَـاهَـا بِـلأْلاءِ الْمُـدَامِ طَلِيقُ[١٧]

فَـلَـمَّـا اتَّـعَـدْنَـا لِـلرَّوَاحِ تَـرَوَّعَـتْ قُلُوبُ النَّـدَامَـى وَالْمُحِبُّ شَـفِيقُ[١٨]

فَـلِلَّهِ قَـلْبٌ بِـالْـفِـرَاقِ مُـرَوَّعٌ حَـزِينٌ وَجَفْنٌ بِـالـدُّمُـوعِ شَـرِيقُ[١٩]

وَقَـالَ لِيَ الْخُـلاَّنُ صِفْ حُسْنَ يَـوْمِنَـا فَـأَنْـتَ بِنَجْـدِيِّ الْكَـلاَمِ خَـلِيقُ[٢٠]

---

(١٣) أغنّ: صفة من الغنّة، وهي صوت في الخيشوم، أو صوت فيه ترخيم من نحو الخياشيم بعون من نفس الأنف، أو أن يجري الكلام في اللهاة. ومقرطق: عليه قرطق، وهو ملبوس من ملابس العجم يشبه القباء، يقال: قرطقته فتقرطق، أي ألبسته القرطق فلبسه. والملهيات: آلات اللهو، وأدوات الغناء والطرب. ولبيق: رفيق حاذق ماهر.

(١٤) رجّع المغنّي صوته: ردّده.

(١٥) غويّ: صفة من الغواية أو الغيّ، وهو الضلال والخيبة والانهماك في الجهل والفساد. والحمى: المكان المحميّ المصون الذي لا يقرب ولا يجترأ عليه. ولصيق: دعيّ دخيل.

(١٦) جعلناه تاريخاً: أي جعلنا حلولنا بذلك المنزل تاريخاً. والصبوة: جهلة الفتوّة، ولهو الشباب ومرحه.

(١٧) يوم طليق: المراد ضاحك مشرق. والدجى: الظلمة. والمدام: الخمر. ولألاؤها: صفاؤها ونقاؤها وإشراقها ولمعانها.

(١٨) اتّعدنا: تواعدنا، والمراد هنا: العزم والتأهّب والاستعداد. والرواح: العودة آخر النهار. وتروّعت: ارتاعت وفزعت وخافت. والندامى: جمع ندمان، وهو من يشاربك، وقد يطلق على الرفيق والمصاحب والمسامر.

(١٩) شريق: المراد مغرورق.

(٢٠) نجديّ الكلام: نسبة إلى نجد، وهو من جزيرة العرب كلّ ما ارتفع عن تهامة إلى أرض العراق، وكانت تسكنه، وتتنقّل في نواحيه قبائل كثيرة من أفصح القبائل العربية، فالمراد بنجديّ الكلام: الكلام الفصيح البليغ، والوصف الممتع الرائع. وخليق: حقيق وجدير.



فَـرَوَّيْتُ شَيْئَـاً ثُـمَّ جِئْتُ بِـمَـنْـطِقٍ ذَكِيٍّ يَفُـوقُ الْمِسْـكَ وَهْـوَ فَـتِيـقُ[21]

وكَـيْفَ يَـغُبُّ الْـقَـوْلُ عَنِّي وَفِي فَـمِي لِسَـانٌ كَغَـرْبِ الْمَشْـرِفِيِّ ذَلِيقُ ؟[22]

وَقَالَ يُعَرِّضُ بِرُؤَسَاءِ الْجُنْدِ الَّذِينَ تَخَاذَلُوا فِي الثَّوْرَةِ الْعُرَابِيَّةِ★ :

لِأَيِّ خَـلِيـلٍ فِـي الـزَّمَـانِ أُرَافِـقُ وَأَكْـثَـرُ مَنْ لَاقَيْتُ خِبٌّ مُنَـافِـقُ ؟[1]

بَـلَوْتُ بَنِي الـدُّنْيَـا فَـلَمْ أَرَ صَـادِقَـاً فَـأَيْنَ لَعَمْرِي الْأَكْـرَمُونَ الْأَصَـادِقُ ؟[2]

أُحَـاوِلُ أَمْـرَاً قَـصَّـرَتْ دُونَـهُ النُّـهَى وَشَـابَتْ وَلَمْ تَبْلُغْ مَـدَاهُ الْـمَفَـارِقُ[3]

وَأَعْـظَمُ مَـا تَـرْجُـوهُ مَـا لَا تَـنَـالُـهُ وَأَكْـثَـرُ مَـنْ تَـلْقَـاهُ مَـنْ لَا يُـوَافِـقُ

---

(٢١) روّيت في الأمر: نظرت وفكّرت. والمراد بالمنطق الذكيّ: الكلام البليغ، المعجب الرائع. والمسك: نوع معروف من الطيب، وهو أطيب الطيب عند العرب، وكانت تسميه المشموم. وفتيق: مخلوط بغيره من أنواع الطيب.

(٢٢) يغبّ: يغيب، أو يبعد. والمشرفيّ: السيف، نسبة إلى المشارف، وهي قرى من أرض اليمن، أو هو منسوب إلى مشارف الشام، أي قراه، وغرب المشرفيّ: حدّه القاطع. وذليق: فصيح، صفة من الذلاقة.

(★) في تاريخ الثورة العرابية أن العرابيين اتجهوا إلى إقامة بعض الاستحكامات وخطوط الدفاع في الميدان الشرقيّ، في التلّ الكبير والصالحيّة، ونقط أخرى، بعد أن سقطت الإسكندرية في قبضة جيش الاحتلال الإنجليزيّ، وسيطرت السفن الحربية البريطانية على قناة السويس. وكان البارودي يقود قوّات غير نظاميّة في مواقع الصالحيّة، ثم استدعي للمشاركة في موقعة القصّاصين بتاريخ ٢٨ من أغسطس سنة ١٨٨٢ فضلّ الطريق، فتأخّر عن موعده، وفاجأه العدوّ بنيران مدافعه، فتخاذل جنده، وجدّوا في الفرار، ولقي الأمرّين من الخيانة، والجهل والجبن. وكانت له في السياسة والحرب خطط وآراء لم يؤخذ بها. وفي هذا الجوّ النفسيّ، وفي ذلك التاريخ أو في ما يقرب منه نظم هذه القصيدة.

(١) الخليل: الصديق. والخبّ: الخدّاع.

(٢) بلوت: خبرت وجرّبت وامتحنت.

(٣) حاولت الشيء: عالجته، وطلبته بالحيلة. والنهى: العقول. ومداه: حدّه وغايته ومنتهاه. والمفارق: جمع مفرق، وهو وسط الرأس حيث يفرق الشعر.



وَمَـا كُـلُّ مَـنْ حَـدَّ الـرَّوِيَّـةَ حَـازِمٌ ... وَلاَ كُـلُّ مَـنْ رَامَ الـسَّـوِيَّـةَ فَـارِقُ(٤)

أَضَعْتُ زَمَـانِـي بَيْـنَ قَـوْمٍ لَـوَ انَّ لِي ... بِهِمْ غَيْـرَهُـمْ مَـا أَرْهَقَتْنِي الْـبَـوائِقُ(٥)

فَـإِنْ أَكُ مُلْقَى الـرَّحْـلِ فِيهِمْ فَـإِنَّنِي ... لَهُمْ بِـالْخِـلالِ الصَّـالِحَـاتِ مُفَـارِقُ(٦)

مَعَـاشِـرُ سَـادُوا بِـالنِّفَـاقِ وَمَـا لَهُمْ ... أُصُـولٌ أَظَـلَّتْـهَـا فُـرُوعٌ بَـوَاسِـقُ(٧)

فَـأَعْلَمُهُمْ عِنْدَ الْخُصُـومَـةِ جَـاهِـلٌ ... وَأَتْقَـاهُـمُ عِـنْـدَ الْـعَـفَـافَـةِ فَـاسِقُ(٨)

طَـلاَقَـةُ وَجْـهٍ تَحْتَهَـا الْغَيْظُ كَـاشِـرٌ ... وَنَـغْـمَـةُ وُدٍّ بَـيْـنَـهَـا الْغَـدْرُ نَـاعِـقُ(٩)

وَأَخْـلاَقُ صِـبْـيَـانٍ إِذَا مَـا بَـلَـوْتُـهُـمْ ... عَلِمْتُ بِأَنَّ الْجَهْلَ فِي النَّـاسِ نَافِقُ(١٠)

تَـعَلَّمْتُ كَـظْمَ الْـغَـيْـظِ فِـيهِـمْ وَإِنَّـهُ ... لَـحِلْمٌ وَلَـكِنْ لِـلْحَفِـيـظَةِ مَـاحِـقُ(١١)

دَعَـوْنِـي إِلَى الْـجُلَّى فَـقُمْـتُ مُبَـادِراً ... وإِنِّـي إِلَى أَمْـثَـالِ تِـلْكَ لَـسَـابِـقُ(١٢)

فَلَمَّـا اسْتَمَـرَّ الْجِـدُّ سَـاقُـوا حُمُـولَهُمْ ... إِلَى حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْـهُ حَـادٍ وَسَـائِقُ(١٣)

---

(٤) حدّ الرويّة: أجال الفكر، وأطال التدبّر. والسويّة: العدل والنصفة. ويريد بالفارق: الفاصل بين الحقّ والباطل.

(٥) البوائق: جمع البائقة، وهي الداهية والنازلة والشرّ الشديد.

(٦) إلقاء الرحل: كناية عن الإقامة. والخلال: الخصال والسجايا والأخلاق.

(٧) المعاشر: جماعات الناس، الواحد معشر. وبواسق: جمع باسق، اي طويل عال ممتدّ.

(٨) الخصومة: الجدل. وأتقى: اسم تفضيل من التقوى، وهي أن يطيع المرء ربّه، ويحفظ نفسه ممّا يغضبه. وفاسق: اسم فاعل من الفسوق، وهو عصيان الله تعالى، والخروج عن طاعته.

(٩) طلاقة الوجه: البشاشة. وكاشر: كاشف عن أنيابه للاغتيال. وناعق: اسم فاعل من النعاق أو النعيق، وهو صوت الغراب، والمراد أنّ غدرهم ظاهر محسوس.

(١٠) بلوتهم: خبرتهم وجرّبتهم. ونافق: رائج شائع منتشر.

(١١) كظم الغيظ: ردّه وحبسه. والحفيظة: الحميّة والغضب عند حفظ الحرمة. وماحق: اسم فاعل من محقه، أي أبطله ومحاه.

(١٢) الْجُلّى: الأمر الشديد، والخطب العظيم.

(١٣) الحمول: الإبل التي عليها الهوادج، وسوق الحمول هنا: كناية عن التخاذل والفرار. وحادٍ: اسم فاعل من الحدو، وهو سوق الإبل والغناء لها.



فَـلاَ رَحِـمَ اللهُ امْـرَأً بَـاعَ دِيـنَـهُ ... بِـدُنْـيَـا سِـوَاهُ وَهْـوَ لِلْحَـقِّ رَامِـقُ

عَـلَى أَنَّنِي حَـذَّرْتُـهُـمْ غِـبَّ أَمْـرِهِـمْ ... وَأَنْـذَرْتُهُمْ لَـوْ كَـانَ يَفْقَـهُ مَـائِقُ(١٤)

وَقُلْتُ لَهُمْ كُفُّـوا عَـنِ الشَّـرِّ تَـغْنَـمُـوا ... فَلِلشَّـرِّ يَـوْمٌ لاَ مَحَـالَـةَ مَـاحِـقُ(١٥)

فَـظَنُّـوا بِقَـوْلِي غَيْـرَ مَـا فِي يَقِينِـهِ ... عَلَى أَنَّنِي فِي كُـلِّ مَـا قُلْتُ صَادِقُ

فَهَـلْ عَلِمُـوا أَنِّي صَـدَعْتُ بِـحُجَّتِي ... وَقَـدْ ظَهَرَتْ بَعْـدَ الْخَفَـاءِ الْحَقَـائِقُ(١٦)

فَـتَبًّـا لَـهُمْ مِـنْ مَعْشَـرٍ لَـيْسَ فِـيهِمُ ... رَشِيـدٌ وَلاَ مِنْهُمْ خَـلِيـلٌ مُصَـادِقُ(١٧)

ظَـنَنْتُ بِهِـمْ خَيْـرَاً فَـأُبْتُ بِحَسْـرَةٍ ... لَهَـا شَجَنٌ بَيْنَ الْجَـوَانِـحِ لاَصِقُ(١٨)

فَيَـا لَيْتَنِي رَاجَعْـتُ حِلْمِي وَلَمْ أَكُـنْ ... زَعِيمَـاً وَعَـاقَتْنِي لِـذَاكَ الْعَـوَائِـقُ

وَيَـا لَيْتَنِي أَصْبَحْتُ فِي رَأْسِ شَـاهِـقٍ ... وَلَـمْ أَرَ مَـا آلَتْ إِلَيـهِ الْـوَثَـائِقُ(١٩)

هُمْ عَـرَّضُـونِي لِلْقَنَـا ثُمَّ أَعْـرَضُـوا ... سِـرَاعاً وَلَمْ يَـطْرُقْ مِنَ الشَّـرِّ طَـارِقُ(٢٠)

وَقَـدْ أَقْسَمُـوا أَلاَّ يَـزُولُـوا فَمَـا بَـدَا ... سَنَـا الْفَجْـرِ إِلاَّ وَالنِّسَـاءُ طَـوَالِقُ(٢١)

مَضَـوا غَيْرَ مَعْـذُورِينَ لاَ النَّقْـعُ سَـاطِعٌ ... وَلاَ الْبِيضُ فِي أَيْـدِي الْكُمَـاةِ دَوَالِقُ(٢٢)

---

(١٤) غبّ أمرهم: مغبّته وعاقبته ونهايته. ومائق: أحمق.

(١٥) لا محالة: لا بدّ منه. وماحق: مهلك.

(١٦) الحجّة: الدليل والبرهان. وصدعت بها: بيّنتها وأظهرتها.

(١٧) تبّاً لهم: هلاكاً لهم وخسراناً.

(١٨) أبت: رجعت. والشجن: الحزن. والجوانح: أضلاع الصدر، أو الأضلاع التي تحت الترائب، وهي ممّا يلي الصدر كالضلوع ممّا يلي الظهر، الواحدة جانحة.

(١٩) في رأس شاهق: في قمّة جبل عال، ممتنع طولاً. وآلت: رجعت وصارت.

(٢٠) القنا: الرماح، الواحدة قناة. وطرق، فهو طارق: إذا جاء ليلاً.

(٢١) سنا الفجر: ضوؤه.

(٢٢) النقع: الغبار. وساطع: مرتفع ثائر. والبيض: السيوف. والكماة: جمع الكميّ، وهو الشجاع الذي كمى نفسه بالسلاح، أي سترها. ودوالق: جمع دالق، اسم فاعل من دلق السيف دلوقاً، أي خرج من غمده.

وَلَكِنْ دَعَتْهُمْ نَبْأَةٌ فَتَفَرَّقُوا كَمَا انْقَضَّ فِي سِرْبٍ مِنَ الطَّيْرِ بَاشِقُ[٢٣]

فَكَمْ آبِقٍ تَلْقَاهُ مِنْ غَيْرِ طَارِدٍ وَكَمْ وَاقِفٍ تَلْقَاهُ وَالْعَقْلُ آبِقُ[٢٤]

إِذَا أَبْصَرُوا شَخْصاً يَقُولُونَ جَحْفَلُ وَجُبْنُ الْفَتَى سَيْفٌ لِعَيْنَيْهِ بَارِقُ[٢٥]

أُسُودٌ لَدَى الأَبْيَاتِ بَيْنَ نِسَائِهِمْ وَلَكِنَّهُمْ عِنْدَ الْهِيَاجِ نَقَانِقُ[٢٦]

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْهَضْ بِقَائِمِ سَيْفِهِ فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ تُحْمَى الْحَقَائِقُ[٢٧]

وَقَالَ :

إِنَّ ابْنَ آدَمَ ذُو طَبَائِعَ أَرْبَعٍ مَجْمُوعَةِ الأَجْزَاءِ فِي أَخْلاَقِهِ[١]

تَبْدُو فَوَاعِلُهَا عَلَى حَرَكَاتِهِ فِي بَطْشِهِ وَسُكُونِهِ وَنِزَاقِهِ[٢]

فَإِذَا تَغَلَّبَ وَاحِدٌ مِنْهَا عَلَى أَقْرَانِهِ أَدَّى إِلَى إِقْلاَقِهِ[٣]

---

(٢٣) نبأة: صوت. والسرب: الجماعة من الطير والظباء والوحش والخيل والحمر والنساء وغيرها. والباشق: طائر من الجوارح.

(٢٤) آبق: هارب. وطارد: اسم فاعل من طرده، أي أبعده ونحّاه، والمراد من غير أن يحمل عليه قرنه ويقاتله.

(٢٥) الجحفل: الجيش الكثير.

(٢٦) الهياج: اسم من هاج الشيء، أي ثار، والمراد عند استحرار القتال، وتوقّد نار الحرب. والنقانق: جمع نقنق، وهو الظليم، أي الذكر من النعام، ويضرب به المثل في الجبن وسرعة الفرار.

(٢٧) قائم السيف: مقبضه، كقائمته. وليت شعري: ليتني أشعر وأعلم.

(١) الطبائع: الخلائق والسجايا التي جبل الإنسان عليها، أي فطر وخلق، الواحدة طبيعة، والشاعر يريد بالطبائع هنا: الأمزجة التي كان الأقدمون ينسبونها إلى النار، والهواء، والماء.

(٢) فواعلها: المراد تأثيراتها. وحركاته: المراد أعماله وتصرّفاته التي تشمل الحركة والسكون. والبطش: مصدر بطش به، أي أخذه بالعنف والسطوة والشدّة. والنزاق: النزق وهو الطيش والخفّة.

(٣) واحد منها: أحد هذه الأشياء، وهي الطبائع. والأقران: جمع قرن، وهو الكفء والنظير والمثيل.

بَـيْـنَـا تَـرَاهُ كَـالـزُّلالِ لَـطَافَـةً ... أَلْـفَـيْـتَـهُ كَـالـنَّـارِ فِي إِحْـرَاقِـهِ[٤]

أَوْ كَـالـتُّـرَابِ يَهِيـلُ مِنْ عَـقَـدَاتِـهِ ... أَوْ كَـالْـهَـوَاءِ يَجُـولُ فِـي آفَـاقِـهِ[٥]

فَـإِذَا تَـعَـادَلَ جَـمْـعُـهَـا وَتَـوَازَنَـتْ ... حَـرَكَـاتُـهَـا كَـانَتْ دَلِيـلَ وِفَـاقِـهِ[٦]

وَالْـمَـرْءُ مَهْـمَـا كَـانَ فِـي أَفْـعَـالِـهِ ... لاَ يَـنْـتَـهِـي إِلاَّ إِلَـى أَعْـرَاقِـهِ[٧]

وَقَالَ :

أَضِـنُّ بِـصَـاحِـبِـي وَأَذُودُ عَـنْـهُ ... وَأَمْنَحُـهُ السَّـوِيَّـةَ فِي الْحُقُـوقِ[١]

وَإِنْ غَـدَرَ الـزَّمَـانُ بِـهِ فَـإِنِّـي ... أَقُـومُ بِـنَصْـرِهِ فِـعْـلَ الـصَّـدِيـقِ

إِذَا مَـا الْـمَـرْءُ لَـمْ يَـنْـفَـعْ أَخَـاهُ ... عَـلَى الْحَـالَـيْنِ فِي سَعَـةٍ وَضِيقِ

فَـدَعْـهُ غَـيْـرَ مَـأْسُـوفٍ عَـلَيْـهِ ... فَـخَيْـرٌ مِـنْـهُ إِخْـوَانُ الـطَّرِيـقِ[٢]

وَقَالَ :

إِذَا الْمَـرْءُ لَمْ يَـرْمِ الْـهَنَـاةَ بِـمِثْلِهَـا ... لِيَـدْفَـعَ ضَيْمَـاً فَهْـوَ بِـالـذُّلِّ أَخْلَقُ[١]

وَمَنْ شَهِـدَ الْـهَيْـجَـاءَ مِنْ غَـيْـرِ آلَـةٍ ... يَـذُودُ بِهَـا عَنْ نَفْسِـهِ فَهْـوَ أَحْمَـقُ[٢]

---

(٤) الزلال: الماء العذب الصافي البارد السائغ السهل السلس. وألفيته: وجدته وصادفته ولقيته.

(٥) هال عليه التراب يهيله: أرسله وصبّه ودفعه. وعقدات الرمل والتراب: ما تعقّد منه واجتمع وتراكم، والواحدة عقدة.

(٦) تعادل جمعها: اعتدلت هذه الطبائع جميعها، وتساوت وتناسبت واتّزنت، ومثلها توازنت.

(٧) أعراقه: أصوله، الواحد عرق.

(١) ضننت بالشيء: بخلت به، وحرصت عليه. وأذود: أدفع وأصدّ.

(٢) المراد بإخوان الطريق: من يعرفهم المرء في طريقه معرفة عارضة لا يرجى منها خير كثير.

(١) الهناة: الداهية، ويرمي الهناة بمثلها: يقابل العدوان بالعدوان، ويدفع الشرّ بمثله. والضيم: الظلم. وأخلق: أحقّ وأولى وأجدر.

(٢) شهد: حضر. والهيجاء: الحرب. ويذود: يدفع. وأحمق: قليل العقل، سيّىء التصرّف.



وَقَالَ :

أُكْتُمْ ضَمِيرَكَ مِنْ عَدُوِّكَ جَاهِداً ... وَحَذَارِ لاَ تُطْلِعْ عَلَيْهِ رَفِيقَا[1]
فَلَرُبَّمَا انْقَلَبَ الصَّدِيقُ مُعَادِياً ... وَلَرُبَّمَا رَجَعَ الْعَدُوُّ صَدِيقَا

وَقَالَ يَفْتَخِرُ بِشِعْرِهِ :

تَرَنَّمْ بِأَشْعَارِي وَدَعْ كُلَّ مَنْطِقٍ ... فَمَا بَعْدَ قَوْلِي مِنْ بَلاَغٍ لِمُفْلِقِ[1]
هُوَ الْعَسَلُ الْمَاذِيُّ طَوْراً وَتَارَةً ... يَثُورُ الشَّجَا مِنْهُ مَكَانَ الْمُخَنَّقِ[2]
يُغَنِّي بِهِ شَادٍ وَيَحْدُو رِكَابَهُ ... بِهِ كُلُّ حَادٍ بَيْنَ بَيْدَاءَ سَمْلَقِ[3]
فَطَوْراً تَرَاهُ زَهْرَةً بَيْنَ مَجْلِسٍ ... وَطَوْراً تَرَاهُ لَهْذَماً بَيْنَ فَيْلَقِ[4]
وَمَا كَلَفِي بِالشِّعْرِ إِلاَّ لأَنَّهُ ... مَنَارٌ لِسَارٍ أَوْ نَكَالٌ لأَحْمَقِ[5]
عَلِقْتُ بِهِ طِفْلاً وَشِبْتُ وَلَمْ يَزَلْ ... شَدِيداً بِأَهْدَابِ الْكَلاَمِ تَعَلُّقِي[6]

---

(١) الضمير: السرّ.

(١) ترنّم: أمر من الترنّم، وهو التطريب، وتحسين الصوت والغناء. وبلاغ: كفاية وغناء. ومفلق: اسم فاعل من أفلق الشاعر، إذا أتى بالفلق، أي الأمر العجيب، والقول الرائع البديع.

(٢) الماذيّ: الأبيض الليّن الرقيق. والطور والتارة: الحين والمرّة. والشجا: ما اعترض في الحلق من عظم وغيره، فمنع من البلع.

(٣) يحدو: يسوق ويغنّي، من الحداء، وهو سوق الإبل، والغناء لها. والركاب: الإبل التي يسار عليها، الواحدة راحلة، ولا واحد لها من لفظها. والبيداء: الفلاة والصحراء. والسملق: القاع الصفصف المستوي الأملس، والقفر الأجرد الذي لا شجر فيه، ولا نبات.

(٤) اللهذم: الحادّ القاطع من الأسنّة. والفيلق: الجيش العظيم.

(٥) كلفي: ولوعي وإغرامي وتعلّقي. والنكال: شبه العقوبة والانتقام والعبرة. وأحمق: ناقص العقل، سيىء التصرّف.

(٦) علقت به: أحببته وأغرمت به. وأهداب الكلام: حواشيه وأطرافه. ويراد بالكلام هنا: الشعر، أو المراد البيان، والقول الفصيح البليغ، والأدب شعره ونثره.

إذا قُلْتُ بَيْتاً سَارَ فِي الدَّهْرِ ذِكْرُهُ ... مَسِيرَ الْحَيَا مَا بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِقِ(٧)

يَهِيمُ بِهِ رَبُّ الْحُسَامِ حَمَاسَةً ... وَتَلْهُو بِهِ ذَاتُ الْوُشَاحِ الْمُنَمَّقِ(٨)

بَلَغْتُ بِشِعْرِي مَا أَرَدْتُ فَلَمْ أَدَعْ ... بَدَائِعَ فِي أَكْمَامِهَا لَمْ تُفَتَّقِ(٩)

فَهَذَا نَمِيرُ الشِّعْرِ فَاقْصِدْ حِيَاضَهُ ... لِتَرْوَى وَهَذَا مُرْتَقَى الْفَضْلِ فَارْتَقِ(١٠)

وَقَالَ :

سَلِ الْفَلَكَ الدَّوَّارَ إِنْ كَانَ يَنْطِقُ ... وَكَيْفَ يُحِيرُ الْقَوْلَ أَخْرَسُ مُطْرِقُ ؟

نُسَائِلُهُ عَنْ شَأْنِهِ وَهْوَ صَامِتٌ ... وَنَخْبُرُ مَا فِي نَفْسِهِ وَهْوَ مُطْبَقُ(١)

فَلَا سِرُّهُ يَبْدُو وَلَا نَحْنُ نَرْعَوِي ... وَلَا شَأْوُهُ يَدْنُو وَلَا نَحْنُ نَلْحَقُ(٢)

وَكَيْفَ تَنَالُ النَّفْسُ مِنْهُ لُبَانَةً ... وَأَقْرَبُ مَا فِيهِ عَنِ الظَّنِّ أَسْحَقُ ؟(٣)

فَضَاءٌ يَرُدُّ الْعَيْنَ حَسْرَى وَمَسْرَحٌ ... يَقُصُّ جَنَاحَ الْفِكْرِ وَهْوَ مُحَلِّقُ(٤)

---

(٧) الحيا: المطر، ويراد به هنا: السحاب.

(٨) ربّ الشيء: صاحبه ومالكه. والحسام: السيف القاطع. والوشاح: كرسان، أي نظمان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما، معطوف أحدهما على الآخر، تتوشّح المرأة به، وهو من حلى النساء، والوشاح أيضاً: أديم عريض يرصّع بالجواهر تشدّه المرأة بين عاتقها وكشحها. والمنمّق: اسم مفعول من التنميق، وهو النقش والتزيين والتحسين.

(٩) بدائع: جمع بديعة، مؤنث بديع، وهو المبتدع المخترع. والأكمام: جمع كمّ، وهو غطاء النور، والغلاف الذي ينشقّ عن الثمر، ويحيط به.

(١٠) النمير: الماء الزاكي الكثير الناجع المروي. والحياض: جمع حوض، وهو مجتمع الماء. والفضل: الخير والنفع.

(١) الشأن: الأمر والحال. ونخبر: نبلو ونختبر ونمتحن. ومطبق: اسم مفعول من الإطباق، بمعنى التغطية.

(٢) نرعوي: نكفّ ونرجع. والشأو: الغاية والأمد.

(٣) اللبانة: الحاجة.

(٤) عين حاسر، وحاسرة وحسير: أصابها الحسور، وهو الإعياء والكلال والتعب وانقطاع النظر من

أَقَامَ عَلَى رَغْمِ الْفَنَاءِ وَكُلُّ مَا ... تَرَاهُ عَلَى وَجْهِ الْبَسِيطَةِ يَنْفُقُ[٥]

فَكَمْ ثَلَّ عَرْشاً وَاسْتَبَاحَ قَبِيلَةً ... وَفَرَّقَ جَمْعاً وَهْوَ لاَ يَتَفَرَّقُ[٦]

تَحَسَّى مَرَارَاتِ الْكُبُودِ فَلَمْ تَزَلْ ... بِهِ صِبْغَةٌ مِنْ لَوْنِهَا فَهْوَ أَزْرَقُ[٧]

نَهَارٌ وَلَيْلٌ يَدْأَبَانِ وَأَنْجُمٌ ... تَغِيبُ إِلَى مِيقَاتِهَا ثُمَّ تَشْرُقُ[٨]

تَرِفُّ كَزَهْرٍ طَوَّحَتْهُ عَوَاصِفٌ ... بِلُجَّةِ مَاءٍ فَهْوَ يَطْفُو وَيَغْرَقُ[٩]

سَوَابِحُ لاَ تَنْفَكُّ تَجْرِي لِغَايَةٍ ... يُقَصِّرُ عَنْهَا الْكَاهِنُ الْمُتَعَمِّقُ[١٠]

فَيَأَيُّهَا السَّارِي عَلَى غَيْرِ هُدْيَةٍ ... رُوَيْداً فَإِنَّ الْبَابَ دُونَكَ مُغْلَقُ[١١]

أَتَحْسَبُ أَنَّ الظَّنَّ يُدْرِكُ بَعْضَ مَا ... تُحَاوِلُهُ وَالظَّنُّ لِلْمَرْءِ مُوبِقُ ؟[١٢]

وَكَيْفَ يَنَالُ الْحِسُّ وَهْوَ مُحَدَّدٌ ... سَرِيرَةَ غَيْبٍ دُونَهَا الْحِسُّ يَصْعَقُ ؟[١٣]

فَلاَ تَتَّبِعْ رَيْبَ الظُّنُونِ فَكُلُّ مَا ... تَصَوَّرَهُ الإِنْسَانُ وَهْمٌ مُلَفَّقُ[١٤]

طول مدى، وما أشبه ذلك. والمسرح: المرعى، والمراد به الموضع والمجال الذي يسرح فيه الفكر، أي يجول وينطلق.

(٥) أقام: استقرّ وثبت ودام. وينفق: يفنى ويزول ويهلك ويموت.

(٦) استباحهم: استأصلهم.

(٧) تحسّيت الشراب: شربته في مهلة وتؤدة. والمراد بمرارات الكبود: دماؤها الوريديّة المائلة إلى الزرقة.

(٨) يدأبان: المراد يتعاقبان باستمرار. وإلى ميقاتها: في وقتها وميعادها.

(٩) ترفّ: تهتزّ وتضطرب في ضياء وتلألؤ. وطوّحه تطويحاً: رماه وطرحه، وذهب به هنا وهناك. ولجّة الماء: معظمه.

(١٠) سوابح: تسير وتجري جرياً سهلاً لطيفاً. والكاهن: من يخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدّعي معرفة الأسرار، ومطالعة علم الغيب.

(١١) هدية الأمر: جهته، والهدية أيضاً: القصد.

(١٢) موبق: مهلك.

(١٣) محدّد: محدود، أي له حدّ ونهاية. والسريرة: السرّ الذي يكتم. ويصعق: يغشى عليه ويهلك ويموت، والمراد أن الحسّ ينقطع قبل الوصول إلى سريرة الغيب.

(١٤) الريب: الشكّ. وملفّق: مزخرف مموّه بالباطل.

وَلَا تَحْسَبَنَّ الْحَـدْسَ يُـدْرِكُ مَـا نَـأَى ... فَمَا كُلَّ حِينٍ قَائِفُ الْحَدْسِ يَصْدُقُ[١٥]

وَأَيْـنَ مِـنَ الْـمَـخْـلُوقِ إِدْرَاكُ حِـكْـمَـةٍ ... بِهَـا يُنْشِىءُ اللهُ الْقُـرُونَ وَيَمْحَقُ ؟[١٦]

فَلَوْ عَـلِمَ الإِنْـسَـانُ حَـالَـةَ نَـفْـسِـهِ ... كَـفَـاهُ وَلَـكِـنَّ ابْـنَ آدَمَ أَخْـرَقُ[١٧]

إِذَا الْـمَـرْءُ لَمْ يَـمْـلِكْ بَـوَادِرَ وَهْـمِـهِ ... عَنِ الْقَـوْلِ فِي مَـا لَمْ يُفِـدْ فَهْـوَ أَحْمَقُ

فَـإِيَّـاكَ وَالـدُّنْـيَـا فَـإِنَّ نَـعِـيـمَـهَـا ... يَـزُولُ وَمَلْبُـوسُ الْجَـدِيـدَيْنِ يَخْلُقُ[١٨]

فَـإِنْ هِيَ أَعْـطَـتْـكَ اللَّيَـانَ فَـإِنَّـهَـا ... سَتَخْشُنُ مِنْ بَعْـدِ اللَّيَـانِ وَتَخْـرُقُ[١٩]

فَـلَا وُدُّهَـا يَبْقَـى وَلَا صَفْـوُ عَيْشِـهَـا ... يَـدُومُ وَلَا مَـوْعُـودُهـا يَـتَـحَـقَّـقُ

فَكَمْ أَخْـلَفَتْ وَعْـداً وَمَـلَّتْ صَحَـابَـةً ... وَخَـانَتْ وَفِيًّـاً فَهْيَ بَلْهَـاءُ تَنْـزَقُ[٢٠]

وَكَيْفَ يَعِيشُ الـدَّهْـرَ خِلْواً مِنَ الأَسَـى ... سَقِيمٌ يُغَـادَى بِـالْهُـمُـومِ وَيُـطْرَقُ ؟[٢١]

لَـعَمْـرُ أَبِـي إِنَّ الْـحَـيَـاةَ وَإِنْ صَـفَـتْ ... مَسَـافَـةَ يَـوْمٍ فَهْـوَ صَفْـوٌ مُـرَنَّقُ[٢٢]

---

(١٥) الحدس: الظنّ والتخمين والتوهّم. ونأى: بعد. والقائف: الذي يتتبّع الآثار ويعرفها، وقائف الحدس: من يتعرّف الآثار بطريق الحدس والتخمين.

(١٦) ينشىء: يخلق ويوجد. والقرون: الأمم والشعوب والأجيال، المفرد قرن، وهم أهل زمن مخصوص. ويمحق: يهلك ويعدم.

(١٧) أخرق: جاهل أحمق.

(١٨) الجديدان: الليل والنهار، وملبوس الجديدين: ما يلبسه الجديدان، ويتعاقبان عليه من الإنسان والحيوان والنبات والجماد، وكلّ ما في الحياة الدنيا من عتاد ومتاع. ويخلق: يبلى وتذهب جدّته، وأخلق إخلاقاً مثله.

(١٩) هي: أي الدنيا. وتخرق: تكذب، أو هو من الخرق: ضدّ الرفق، والمراد أنها تتنكّر لك، وتعنف بك وتشتدّ.

(٢٠) تنزق: تطيش وتسيء التصرّف.

(٢١) الدهر: الزمان الطويل. والأسى: الحزن. وسقيم: مريض. ويغادي: يباكر، أي تغاديه الهموم وتباكره وتنتابه وتصيبه غدوة، أي صباحاً. ويطرق: ينزل به ليلاً.

(٢٢) مرنّق: مكدّر.

فَفِيمَ يَوَدُّ الْمَرْءُ طُولَ حَيَاتِهِ	وَفِي طُولِهَا شَمْلُ الْهَنَاءِ مُفَرَّقُ ؟(٢٣)
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مُسْتَعِدٌّ لِوَثْبَةٍ	فَحِذْرَكَ مِنْهُ فَهُوَ غَضْبَانُ مُطْرِقُ
كَأَنَّ هِلَالَ الأُفْقِ سَيْفٌ مُجَرَّدٌ	عَلَيْنَا بِهِ وَالنَّجْمَ سَهْمٌ مُفَوَّقُ(٢٤)
أَبَادَ بَنِيهِ ظَالِماً غَيْرَ رَاحِمٍ	فَيَا عَجَباً مِنْ وَالِدٍ لَيْسَ يُشْفِقُ(٢٥)
فَلَا تَبْتَئِسْ بِالأَمْرِ تَخْشَى وُقُوعَهُ	فَقَدْ يَأْمَنُ الإِنْسَانُ مِنْ حَيثُ يَفْرَقُ(٢٦)
فَمَا كُلُّ مَا تَهْوَاهُ يَأْتِيكَ بِالْمُنَى	وَلَا كُلُّ مَا تَخْشَاهُ فِي الدَّهْرِ يَطْرُقُ
وَكُنْ وَاثِقاً بِاللهِ فِي كُلِّ مِحْنَةٍ	فَلَلَّهُ أَوْلَى بِالْعِبَادِ وَأَرْفَقُ(٢٧)

وَقَالَ وَهُوَ «بِسَرَنْدِيبَ» :

أَسَلَّةُ سَيْفٍ أَمْ عَقِيقَةُ بَارِقِ	أَضَاءَتْ لَنَا وَهْناً سَمَاوَةَ بَارِقِ(١)
لَوَى الرَّكْبُ أَعْنَاقاً إِلَيْهَا خَوَاضِعاً	بِزَفْرَةِ مَحْزُونٍ وَنَظْرَةِ وَامِقِ(٢)
وفي حَرَكَاتِ الْبَرقِ لِلشَّوْقِ آيَةٌ	تَدُلُّ عَلَى مَا جَنَّهُ كُلُّ عَاشِقِ(٣)

---

(٢٣) شمل الهناء: ما اجتمع من دواعيه وأسبابه

(٢٤) مجرّد: مسلول مخرج من غمده، وذلك عند الكفاح والقتال. وتفويق السهم: كتجريد السيف، أي إعداده للرّمي بوضعه في وتر القوس.

(٢٥) أباد: أهلك وقتل.

(٢٦) لا تبتئس: لا تحزن، ولا تهتمّ. ويفرق: يفزع ويخاف.

(٢٧) المحنة: اسم من محنه أي امتحنه وابتلاه واختبره. وأولى: أحقّ وأجدر.

(١) سلّة: اسم مرّة من سلّ الرجل سيفه أي انتزعه وأخرجه من غمده. والعقيقة: ما يبقى في السحاب من شعاع البرق، أو هي البرقة التي تستطيل وتمتد في عرض السحاب. ووهناً: في نصف الليل، أو بعد ساعة منه، أو الوهن: حين يدبر الليل. وبارق: موضع قريب من الكوفة، وقد أراد به الشاعر هنا: وطنه وديار أهله.

(٢) الركب: ركّاب الإبل في السفر، وهم العشرة فما فوقها، وقد يطلق على ركبان الخيل وغيرها، مفرده راكب. ولَيّ جماعة الراكبين أعناقهم إليها: كناية عن هيامهم، وشدّة تعلّقهم، وفرط اشتياقهم. ووامق: اسم فاعل من ومقه، أي أحبّه وأغرم به وتعلّق.

(٣) آية: علامة. وجنّه: ستره وأخفاه.



تَفُضُّ جُفُـونـاً عَنْ دُمُـوعٍ سَـوَائِـلٍ | وَتَفْـرِي صُـدُوراً عَنْ قُلُوبٍ خَـوَافِقِ(٤)
وَكَـيْفَ يَـعِي سِـرَّ الْـهَـوَى غَيْـرُ أَهْـلِهِ | وَيَعْـرِفُ مَعْنَى الشَّـوْقِ مَنْ لَمْ يُفَـارِقِ(٥)
لَعَمْـرُ الْهَـوَى إِنِّي لَـدُنْ شَفَّنِي النَّـوَى | لَفِي وَلَـهٍ مِنْ سَـوْرَةِ الْـوَجْـدِ مَـاحِقِ(٦)
كَفَى بِمُقَـامِي فِي «سَـرَنْـدِيبَ» غُـرْبَـةً | نَـزَعْتُ بِهَـا عَنِّي ثِيَـابَ الْعَـلَائِـقِ(٧)
وَمَنْ رَامَ نَيْـلَ الْعِـزِّ فَلْيَـصْـطَبِـرْ عَلَى | لِقَـاءِ الْمَنَـايَـا وَاقْتِحَـامِ الْمَضَـايِقِ(٨)
فَـإِنْ تَـكُـنِ الأَيَّـامُ رَنَّـقْـنَ مَـشْـرَبِـي | وَثَلَّمْنَ حَـدِّي بِـالْخُـطُوبِ الـطَّوَارِقِ(٩)
فَمَـا غَيَّـرَتْـنِي مِـحْنَـةٌ عَـنْ خَلِيـقَـتِي | وَلَا حَـوَّلَتْنِي خُـدْعَـةٌ عَنْ طَـرَائِقِي(١٠)
وَلَـكِـنَّـنِي بَـاقٍ عَـلَى مَـا يَـسُـرُّنِـي | وَيُغْضِبُ أَعْـدَائِي وَيُرْضِي أَصَـادِقِي(١١)
فَحَسْـرَةُ بُعْـدِي عَنْ حَـبِيـبٍ مُصَـادِقٍ | كَفَـرْحَـةِ بُعْـدِي عَنْ عَـدُوٍّ مُمَـاذِقِ(١٢)
فَـتِـلْكَ بِـهَـذِي وَالـنَّـجَـاةُ غَـنِـيـمَـةٌ | مِنَ النَّـاسِ وَالـدُّنْيَـا مَكِيـدَةُ حَـاذِقِ(١٣)

---

(٤) تفضّ: تزيل وتكشف. وتفري: تشق وتقطع.

(٥) يعي: يحفظ ويعرف.

(٦) لعمر الهوى: قسم بحياة الهوى. ولدن: ظرف زماني بمعنى منذ. وشفّني: هزلني وأضناني وأضعفني. والنوى: البعد. والوله: شدّة الحزن، أو ذهاب العقل من الحزن. وسورة الوجد: حدّته وشدّته. وماحق: مهلك.

(٧) العلائق: الصلات والروابط، الواحدة علاقة.

(٨) الاقتحام: مصدر اقتحم فلان عقبة أو وهدة أو نهراً، أي رمى بنفسه فيها على شدّة ومشقّة. والمضايق: الصعاب والشدائد.

(٩) رنّقن: كدّرن وعكّرن. وثلّمن: فللن وكسرن. وحدّي: بأسي وقوّتي. والخطوب: النوازل والشدائد، الواحد خطب. والطوارق: جمع طارق، اسم فاعل من طرق الطارق الباب، أي قرعه، أو من طرقنا فلان طروقاً، أي جاءنا ليلاً.

(١٠) المحنة: البلوى. والخليقة: الطبيعة. والطرائق: جمع طريقة، وهي المذهب.

(١١) أصادقي: أصدقائي وأحبائي.

(١٢) مماذق: غير مخلص، اسم فاعل من ماذقه في الوداد مذاقاً، أي كذب ونافق ولم يخلص.

(١٣) هذي: إشارة إلى الفرحة. والمكيدة: اسم من كاده كيداً، أي خدعه ومكر به. وحاذق: صفة من الحذق، وهو المهارة.

أَلَا أَيُّهَا الزَّارِي عَلَيَّ بِجَهْلِهِ ... وَلَمْ يَدْرِ أَنِّي دُرَّةٌ فِي الْمَفَارِقِ[١٤]

تَعَزَّ عَنِ الْعَلْيَاءِ بِاللُّؤْمِ وَاعْتَزِلْ ... فَإِنَّ الْعُلَا لَيْسَتْ بِلَغْوِ الْمَنَاطِقِ[١٥]

فَمَا أَنَا مِمَّنْ تَقْبَلُ الضَّيْمَ نَفْسُهُ ... وَيَرْضَى بِمَا يَرْضَى بِهِ كُلُّ مَائِقِ[١٦]

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْهَضْ لِمَا فِيهِ مَجْدُهُ ... قَضَى وَهْوَ كَلٌّ فِي خُدُورِ الْعَوَاتِقِ[١٧]

وَأَيُّ حَيَاةٍ لِامْرِيءٍ إِنْ تَنَكَّرَتْ ... لَهُ الْحَالُ لَمْ يَعْقِدْ سُيُورَ الْمَنَاطِقِ ؟[١٨]

فَمَا قُذُفَاتُ الْعِزِّ إِلَّا لِمَاجِدٍ ... إِذَا هَمَّ جَلَّى عَزْمُهُ كُلَّ غَاسِقِ[١٩]

يَقُولُ أُنَاسٌ إِنَّنِي ثُرْتُ خَالِعاً ... وَتِلْكَ هَنَاتٌ لَمْ تَكُنْ مِنْ خَلَائِقِي[٢٠]

وَلَكِنَّنِي نَادَيْتُ بِالْعَدْلِ طَالِباً ... رِضَا اللهِ وَاسْتَنْهَضْتُ أَهْلَ الْحَقَائِقِ[٢١]

أَمَرْتُ بِمَعْرُوفٍ وَأَنْكَرْتُ مُنْكَراً ... وَذَلِكَ حُكْمٌ فِي رِقَابِ الْخَلَائِقِ

فَإِنْ كَانَ عِصْيَاناً قِيَامِي فَإِنَّنِي ... أَرَدْتُ بِعِصْيَانِي إِطَاعَةَ خَالِقِي

---

(١٤) الزاري: اسم فاعل من زرى عليه، أي عابه، أو استهزأ به، أو أنكر عليه فعله. والدرّة: اللؤلؤة العظيمة. والمفارق: جمع مفرق، وهو وسط الرأس حيث يفرق الشعر.

(١٥) اللغو: أخلاط الكلام وباطله. والمناطق: جمع منطق، وهو القول.

(١٦) الضيم: الظلم. ومائق: أحمق غبيّ.

(١٧) قضى: هلك، ومات. وكلٌّ: ثقيل، لا خير فيه. وخدور: جمع خدر، وهو الستر، ويطلق الخدر على البيت إن كان فيه امرأة. والعواتق: جمع عاتق، وهي الشابّة أول ما أدركت، أو الجارية إن لم تتزوّج.

(١٨) تنكّرت: تغيّرت. والسيور: جمع سير، وهو ما يقدّ من الجلد. والمناطق: جمع منطق أو منطقة، وهو كلّ ما شددت به وسطك، ومثلهما النطاق، وقريب منه الحزام، وإنما يكون الانتطاق عند معاناة الأشغال، وعقد سيور المناطق: كناية عن الاستعداد للأمر.

(١٩) قذفات العز: أعاليه، ومراتبه الرفيعة، ودرجاته السامية، وهو مستعار من قذفات الجبل. وهمّ بالشيء: أراده. وجلّى: كشف. وغاسق: مظلم.

(٢٠) خالعاً: خارجاً عن الطاعة. وهنات: خصال سوء. وخلائقي: طبائعي، الواحدة خليقة، وهي الطبيعة والخُلُق والسجيَّة.

(٢١) في الأصل المخطوط نقص. ولفظ الجلالة (الله) تكملة أقمنا بها وزن البيت. واستنهضته

وَهَلْ دَعْوَةُ الشُّورَى عَلَيَّ غَضَاضَةٌ ... وَفِيهَا لِمَنْ يَبْغِي الْهُدَى كُلُّ فَارِقِ ؟[٢٢]

بَلَى إِنَّهَا فَرْضٌ مِنَ اللهِ وَاجِبٌ ... عَلَى كُلِّ حَيٍّ مِنْ مَسُوقٍ وَسَائِقِ[٢٣]

وَكَيْفَ يَكُونُ الْمَرْءُ حُرّاً مُهَذَّباً ... وَيَرْضَى بِمَا يَأْتِي بِهِ كُلُّ فَاسِقِ ؟[٢٤]

فَإِنْ نَافَقَ الْأَقْوَامُ فِي الدِّينِ غَدْرَةً ... فَإِنِّي بِحَمْدِ اللهِ غَيْرُ مُنَافِقِ

عَلَى أَنَّنِي لَمْ آلُ نُصْحاً لِمَعْشَرٍ ... أَبَى غَدْرُهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا قَوْلَ صَادِقِ[٢٥]

رَأَوْا أَنْ يَسُوسُوا النَّاسَ قَهْراً فَأَسْرَعُوا ... إِلَى نَقْضِ مَا شَادَتْهُ أَيْدِي الْوَثَائِقِ[٢٦]

فَلَمَّا اسْتَمَرَّ الظُّلْمُ قَامَتْ عِصَابَةٌ ... مِنَ الْجُنْدِ تَسْعَى تَحْتَ ظِلِّ الْخَوَافِقِ[٢٧]

وَشَايَعَهُمْ أَهْلُ الْبِلَادِ فَأَقْبَلُوا ... إِلَيْهِمْ سِرَاعاً بَيْنَ آتٍ وَلَاحِقِ[٢٨]

يَرُومُونَ مِنْ مَوْلَى الْبِلَادِ نَفَاذَ مَا ... تَأَلَّاهُ مِنْ وَعْدٍ إِلَى النَّاسِ صَادِقِ[٢٩]

فَلَمَّا أَبَى الْحُكَّامُ إِلَّا تَمَادِياً ... وَحَالَ طِلَابُ الْحَقِّ دُونَ التَّوَافُقِ[٣٠]

للأمر: دعوته إليه، وحضضته عليه. والمراد بأهل الحقائق: حماة البلاد، والذائدون عن الوطن والحافظون لحقوقه، أو هو يريد: أهل الحقّ الذين يعرفونه، ويستجيبون له.

(٢٢) الشورى: اسم من تشاور القوم، واشتوروا، وشاورته في كذا، واستشرته، أي راجعته، لأرى رأيه فيه، فأشار عليّ بكذا، أي أراني ما عنده فيه من المصلحة. وغضاضة: نقص وعيب. وكلّ فارق: المراد كل فارق بين الحق والباطل، والهدى والضلال.

(٢٣) يريد بالمسوق: المحكوم، وبالسائق: الحاكم.

(٢٤) فاسق: اسم فاعل من الفسوق، وهو مخالفة أمر الله تعالى، والخروج عن طاعته.

(٢٥) لم آل نصحاً: لم أقصّر في إسداء النصح. والمعشر: الجماعة من الناس.

(٢٦) يسوسون الناس: يحكمونهم، ويقومون بأمورهم، ويدبّرون شؤونهم.

(٢٧) عصابة: جماعة. ويراد بالخوافق: الرايات والأعلام، والسعي تحت ظلّ الخوافق: كناية عن الالتجاء إلى القوّة.

(٢٨) شايعهم: تابعهم.

(٢٩) مولى البلاد: سيّدها وحاكمها، والمراد به الخديوي «توفيق باشا». وتألّاه: أقسم عليه وحلف.

(٣٠) يريد بالحكّام: بطانة الخديوي توفيق ووزراءه الذين أعانوه على خلف الوعد، وزيّنوا له



أُنَاسٌ شَرَوْا خِزْيَ الضَّلاَلَةِ بِالْهُدَى نِفَاقاً وَبَاعُوا الدِّينَ مِنْهُم بِدَانِقِ[٣١]

فَجَاؤُوا إِلَيْهِمْ يَنْصُرُونَ ضَلاَلَهُمْ بِخُدْعَةِ مُغْتَالٍ وَحِيلَةِ سَارِقِ[٣٢]

فَلَمَّا اطْمَأَنُّوا فِي الْبِلاَدِ وَأَيْقَنُوا بِعَجْزِ الْمُحَامِي دُونَهَا وَالْمُوَاثِقِ[٣٣]

أَقَامُوا وَقَالُوا تِلْكَ يَا قَوْمُ أَرْضُنَا وَمَا أَحَدٌ مِنَّا لَهَا بِمُفَارِقِ

وَعَاثُوا بِهَا يَنْفُونَ مَنْ خِيفَ بَأْسُهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَتْ تِلْكَ إِحْدَى الْبَوائِقِ[٣٤]

وَأَصْبَحَ وَادِي النِّيلِ نَهْبَاً وَأَصْبَحَتْ إِمَارَتُهُ الْقَعْسَاءُ نُهْزَةَ مَارِقِ[٣٥]

فَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ فَلاَ تَسَلْ سِوَايَ فَإِنِّي عَالِمٌ بِالْحَقَائِقِ[٣٦]

فَيَا «مِصْرُ» مَدَّ اللهُ ظِلَّكِ وَارْتَوَى ثَرَاكِ بِسَلْسَالٍ مِنَ النِّيلِ دَافِقِ[٣٧]

الاستبداد بالحكم، والتنكّر لدعاة الشورى. وتمادى في غيّه تمادياً: لجّ فيه، ودام عليه، وبلغ مداه، أي غايته.

(٣١) خزي الضلالة: الضلالة المخزية المردية. ونافق نفاقاً: أظهر خلاف ما يبطن. والدانق: سدس الدرهم، وباعوا الدين منهم بدانق: أي باعوا دينهم بثمن بخس.

(٣٢) الخدعة: الحيلة الممقوتة، والمكر السيّىء. ومغتال: اسم فاعل من اغتاله اغتيالاً، أي أخذه من حيث لا يدري، وقتله غيلة، أي بالخديعة، أو أهلكه على غرّة، أي على غفلة.

(٣٣) المحامي: المدافع. والمواثق: المعاهد، ويراد بالمحامين والمواثقين: الوطنيون المخلصون الصادقون من رجالْ الثورة العرابية الذين تواثقوا على الدفاع عن وطنهم، ونصرته وحمايته، والجهاد في سبيل عزّته.

(٣٤) عاثوا: أفسدوا. والبأس: الشجاعة والقوّة والشدّة. والبوائق: الشرور، والغوائل والدواهي، جمع بائقة. و«تلك»: إشارة إلى نفيهم من خافوا بأسه وشجاعته وانقضاضه عليهم.

(٣٥) وادي النيل: مصر والسودان، وملحقاته، وما كان تحت سيطرة مصر من البلاد الافريقية. والنهب: الغنيمة. والإمارة: الولاية والحكم والسلطان، أو منصب الأمير، وهو الوالي والحاكم والملك. والقعساء: العزيزة المنيعة الثابتة. والنهزة: الفرصة. ومارق: اسم فاعل من مرق من دينه: أي خرج منه بضلالة أو بدعة.

(٣٦) المبين: الواضح الظاهر.

(٣٧) مدّ الله ظلك: دعاء لها بزيادة الخضرة والنضرة، واتساع الرقعة. والثرى: الأرض. وسلسال: ماء عذب.

وَلاَ بَـرِحَتْ تَمْتَـارُ مِنْـكِ يَـدُ الصَّبَـا	أَرِيجاً يُـدَاوِي عَـرْفُـهُ كُـلَّ نَـاشِقِ(٣٨)
فَـأَنْتِ حِمَى قَـوْمِي وَمَشْعَبُ أُسْـرَتِي	وَمَلْعَبُ أَتْـرَابِي وَمَجْـرَى سَـوَابِقِي(٣٩)
بِـلاَدٌ بِهَـا حَـلَّ الشَّبَـابُ تَمَـائِـمِي	وَنَـاطَ نِجَـادَ الْمَشْـرَفِيِّ بِعَـاتِقِي(٤٠)
إِذَا صَـاغَهَـا بَهْـزَارُ فِكْـرِي تَصَـوَّرَتْ	لِـعَيْـنِي فِـي زِيٍّ مِنَ الْـحُسْـنِ رَائِقِ(٤١)
تَـرَكْـتُ بِهَـا أَهْـلاً كِـرامـاً وَجِيـرَةً	لَهُمْ جِيـرَةٌ تَعْتَـادُنِي كُـلَّ شَـارِقِ(٤٢)
هَجَـرْتُ لَـذِيـذَ الْعَيْشِ بَعْـدَ فِـرَاقِهِمْ	وَوَدَّعْتُ رَيْعَـانَ الشَّبَـابِ الْغُـرَانِقِ(٤٣)
فَـهَـلْ تَسْـمَـحُ الأَيَّـامُ لِي بِـلِقَـائِهِـمْ	وَيَسْعَـدُ فِي الـدُّنْيَـا مَشُـوقٌ بِشَـائِقِ ؟
لَعَمْـرِي لَقَـدْ طَـالَ النَّـوَى وَتَقَـطَّعَتْ	وَسَـائِلُ كَـانَتْ قَبْـلُ شَتَّى الْمَـوَاثِقِ(٤٤)

---

(٣٨) تمتار: تستفيد. والصبا: ريح تهبّ في بلاد العرب من مطلع الشمس، وهي أحبّ الرياح إليهم. والأريج: توهّج ريح الطيب. والعرف: الرائحة الطيّبة. يدعو لمصر بأن تبقى على الدوام ناضرة مخصبة، كثيرة النبات، طيّبة الزّهر.

(٣٩) الحمى: المكان المحميّ المصون، الذي لا يقرب ولا يجترأ عليه. ومشعب: مجمع، اسم مكان من شعبت الشيء، أي جمعته. والمراد أن أسرته نمت في مصر وانشعبت وتفرّعت. والأتراب: جمع ترب، وهو اللدة، أي من ولد معك، وكانت سنّه مثل سنّك. ويريد بالسوابق: خيله الجياد.

(٤٠) التمائم: جمع تميمة، وهي عوذة تعلّق على الإنسان في طفولته، لتدفع عنه العين، أو هي خرزة رقطاء تنظم في السير، ثم يعقد في العنق، وحلّ التمائم: كناية عن مجاوزة الإنسان طور الطفولة. وناط فلان الشيء بالشيء: علّقه به. ونجاد السيف: حمالته وعلاقته. والمشرفيّ: السيف المنسوب إلى مشارف الشام، أي قراها وبلادها. والعاتق: ما بين المنكب والعنق، وهو موضع الرداء.

(٤١) صاغها: استحضر صورتها. وبهزار: من البهزر وهو الحصيف العاقل، والشريف، أو هو «بهزاد»: أي فكري الشبيه ببهزاد (١٤٥٠ ـ ١٥٣٧) (كمال الدين أستاذ): مُصَوِّر رسّام فنّان خطّاط، ولد في «هراة» وهو أشهر مُصَوِّري الفُرْسِ. والزيّ: الهيئة. ورائق: معجب رائع، اسم فاعل من راقني الشيء: أي أعجبني.

(٤٢) الشارق: الشمس حين تشرق، والمراد وقت الشروق.

(٤٣) ريعان الشباب: أفضله وأوّله ومقتبله. والغرانق: التامّ الجميل الناعم.

(٤٤) النوى: الفرقة والبعد. والوسائل: الذرائع والأسباب والروابط، الواحدة وسيلة، وهي ما



فَــإِنْ تَكُنِ الأَيَّــامُ سَــاءَتْ صُــرُوفُهَــا فَــإِنِّــي بِـفَــضْــلِ اللهِ أَوَّلُ وَاثِــقِ[٤٥]

فَقَــدْ يَسْتَقِيمُ الأَمْــرُ بَعْــدَ اعْــوِجَــاجِــهِ وَيَــرْجِــعُ لِــلأَوْطَــانِ كُــلُّ مُــفَــارِقِ

يتقرّب به إلى الشيء. وشتّى: متفرّقة مختلفة، والمراد كثيرة منوّعة. والمواثق: جمع موثق، وهو الميثاق والعهد.

(٤٥) صروف الأيام: أحداثها ونوائبها. وفضل الله: خيره ورحمته وبرّه وإحسانه.

قافية الكاف

قَالَ فِي الْغَزَلِ :

غَلَبَ الْوَجْدُ عَلَيْهِ فَبَكَى وَتَوَلَّى الصَّبْرُ عَنْهُ فَشَكَا[1]
وَتَمَنَّى نَظْرَةً يَشْفِي بِهَا عِلَّةَ الشَّوْقِ فَكَانَتْ مَهْلَكَا
يَا لَهَا مِنْ نَظْرَةٍ مَا قَارَبَتْ مَهْبِطَ الْحِكْمَةِ حَتَّى انْهَتَكَا[2]
نَظْرَةٌ ضَمَّ عَلَيْهَا هُدْبَهُ ثُمَّ أَغْرَاهَا فَكَانَتْ شَرَكَا[3]
غَرَسَتْ فِي الْقَلْبِ مِنِّي حُبَّهُ وَسَقَتْهُ أَدْمُعِي حَتَّى زَكَا[4]
آهِ مِنْ بَرْحِ الْهَوَى إِنَّ لَهُ بَيْنَ جَنْبَيَّ مِنَ النَّارِ ذَكَا[5]
كَانَ أَبْقَى الْوَجْدُ مِنِّي رَمَقاً فَاحْتَوَى الْبَيْنُ عَلَى مَا تَرَكَا[6]
إِنَّ طَرْفِي غَرَّ قَلْبِي فَمَضَى فِي سَبِيلِ الشَّوْقِ حَتَّى هَلَكَا
قَدْ تَوَلَّى إِثْرَ غِزْلَانِ النَّقَا لَيْتَ شِعْرِي أَيَّ وَادٍ سَلَكَا ؟[7]

---

(١) تولّى : أدبر وذهب .
(٢) المهبط : كنى بمهبط الحكمة عن القلب . وانهتك : انشقّ وتقطّع وتمزّق .
(٣) أغراها : المراد سلّطها على المحبّ، ووجّهها إليه . والشرك : حبائل الصيد، وما ينصب للطير .
(٤) زكا : نما وترعرع .
(٥) برح الهوى : شدّة الوجد، وتبريح الغرام . وذكا : مصدر ذكت النار، أي اشتدّ لهبها، وعظم اتقادها .
(٦) الرمق : بقيّة الحياة في المحتضر والمذبوح ونحوهما .
(٧) النقا : الكثيب من الرمل، أو القطعة منه تنقاد محدودبة . وليت شعري : ليتني أشعر وأعلم .

لَمْ يَعُدْ بَعْدُ وَظَنِّي أَنَّهُ ... لَجَّ فِي نَيْلِ الْمُنَى فَارْتَبَكَا[٨]

وَيْحَ قَلْبِي مِنْ غَرِيمٍ مَاطِلٍ ... كُلَّمَا جَدَّدَ وَعْداً أَفَكَا[٩]

ظَنَّ بِي سُوءاً وَقَدْ سَاوَمْتُهُ ... قُبْلَةً فَازْوَرَّ حَتَّى فَرِكَا[١٠]

فَاغْتَفِرْهَا زَلَّةً مِنْ خَاطِئٍ ... لَمْ يَكُنْ بِاللهِ يَوْماً أَشْرَكَا

يَا غَزَالاً نَصَبَتْ أَهْدَابُهُ ... بِيَدِ السِّحْرِ لِضَمِّي شَبَكَا

قَدْ مَلَكْتَ الْقَلْبَ فَاسْتَوْصِ بِهِ ... إِنَّهُ حَقٌّ عَلَى مَنْ مَلَكَا

لَا تُعَذِّبْهُ عَلَى طَاعَتِهِ ... بَعْدَ مَا تَيَّمْتَهُ فَهْوَ لَكَا[١١]

غَلَبَ الْيَأْسُ عَلَى حُسْنِ الْمُنَى ... فِيكَ وَاسْتَوْلَى عَلَى الضِّحْكِ الْبُكَا

فَإِلَى مَنْ أَشْتَكِي مَا شَفَّنِي ... مِنْ غَرَامٍ وَإِلَيْكَ الْمُشْتَكَى ؟[١٢]

سَلَكَتْ نَفْسِي سَبِيلاً فِي الْهَوَى ... لَمْ تَدَعْ فِيهِ لِغَيْرِي مَسْلَكَا

وَقَالَ فِي الْغَزَلِ أَيْضاً :

يَا وَيْحَ نَفْسِي مِنْ هَوَى شَادِنٍ ... غَازَلَ قَلْبِي لَحْظُهُ فَانْهَتَكْ[١]

ذِي نَظْرَةٍ كَالسِّحْرِ لَوْ صَادَفَتْ ... غَمْزَتُهَا لَيْثَ وَغىً مَا فَتَكْ[٢]

---

(٨) لجّ في الأمر: لازمه، وواظب عليه، وأمعن فيه، وألحّ.

(٩) الغريم: الذي عليه الدّين، وقد يستعمل الغريم بمعنى الدائن.

(١٠) ازورّ: انحرف وأعرض. وفرك: أبغض وكره، يقال: فلانة فارك من الفوارك، وهي خلاف العروب، وقد فركت زوجها فركاً، نقيض عشقته عشقاً.

(١١) تيّمته: عبّدته وذلّلته.

(١٢) شفّه الهمّ والمرض: هزله وأوهنه وأضناه وأضعفه.

(١) الشادن: ولد الظبية إذا قوي وترعرع واستغنى عن أمّه، ومثله أو قريب منه الغزال، وبه تشبّه الحسناء من النساء في الرشاقة، ولطف الحركة، وحسن التثنّي، وجمال الجيد والعينين، وفي التشبيه إشارة إلى حداثة سنّ الحسناء، وهو أتمّ في الجمال. وانهتك: انشقّ أو تقطّع وتمزّق.

(٢) ذي: صاحب، وهو نعت لشادن في البيت السابق. وغمزتها: إشارتها وحركتها. والليث:

فَكَيْفَ أَحْمِي مُهْجَتِي بَعْدَمَا ... خَامَرَهَا الْوَجْدُ فَطَارَتْ بِتَكْ ؟[٣]

فَلاَ يَلُمْنِي غَافِلٌ فَالْهَوَى ... سَيْفٌ إِذَا مَرَّ بِشَيءٍ بَتَكْ[٤]

مَاذَا عَلَى مَنْ بَخِلَتْ نَفْسُهُ ... بِالْوَصْلِ لَوْ قَبَّلْتُ طَرْفَ الأَتَكْ ؟[٥]

وَقَالَ :

تَاللهِ لَسْتَ بِهَالِكٍ جُوعاً وَلاَ ... لاَقٍ وَإِنْ طَوَّفْتَ إِلاَّ رِزْقَكَا[١]

إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بِالَّذِي خَلَقَ الْوَرَى ... وَأَقَاتَهُ فَعَلاَمَ تَقْتُلُ نَفْسَكَا ؟[٢]

وَقَالَ فِي الزُّهْدِ :

يَا قَلْبُ مَا لَكَ لاَ تُفِيـ ... ـقُ مِنَ الْهَوَى يَا قَلْبُ مَا لَكْ ؟

أَوَ مَا بَدَا لَكَ أَنْ تَعُو ... دَ عَنِ الصِّبَا ؟ أَوَ مَا بَدَا لَكْ ؟

أَمْ خِلْتَ أَنَّ يَدَ الزَّمَا ... نِ قَصِيرَةٌ عَنْ أَنْ تَنَالَكْ

هَيْهَاتَ صَدَّ بِكَ الْهَوَى ... عَنْ أَنْ تَرِيعَ وَلَنْ أَخَالَكْ[١]

سَلِّمْ أُمُورَكَ لِلَّذِي ... أَنْشَاكَ مِنْ عَدَمٍ وَعَالَكْ[٢]

الأسد، وهو مستعار هنا للرجل الشجاع. والوغى: الحرب. وفتك: جرؤ وأقدم وحارب وقتل وجرح.

(٣) مهجتي: نفسي. وخامرها: خالطها وداخلها. وبتك: جمع بتكة، وهي القطعة من الشيء المبتوك، أي المقطوع، من ريش أو شعر أو غيرهما.

(٤) بتك: قطع.

(٥) الأتك: الذيل، وهي كلمة غير عربيّة.

(١) طوّفت: أكثرت الطواف والتجوال، والمراد الاجتهاد، وكثرة السعي في طلب الرزق.

(٢) الورى: الخلق. وأقاته: حفظه ورزقه.

(١) صدّ بك الهوى: أي أمعنت فيه، فابتعد بك. وراع يريع: عاد، ورجع. و«لن أخالك»: أي ولن أظنك مقلعاً عن الهوى، عائداً إلى الهدى.

(٢) أنشاك: أصله الهمز، من الإنشاء، وهو الخلق والإيجاد. وعالك: كفلك، ورزقك، ويسّر لك أسباب المعيشة والحياة.

وَدَعِ التَّعَلُّقَ بِالْمُحَا ... لِ فَإِنَّهُ يَبْرِي مِحَالَكْ[3]
فَعَسَاكَ تَنْزِعُ مِنْ يَدِ الْـ ... أَهْوَاءِ يَا قَلْبِي حِبَالَكْ

وَقَالَ:

يَا بَانَةً مَنْ لِي بِضَمِّكْ؟ ... يَا زَهْرَةً مَنْ لِي بِشَمِّكْ؟[1]
يَا بِنْتَ سَيِّدَةِ النِّسَا ... ءِ تَرَفَّقِي بِحَيَاةِ أُمِّكْ
مَا فِيَّ مَنْبِتُ شَعْرَةٍ ... إِلَّا بِهِ أَثَرٌ لِسَهْمِكْ
كَلَّا وَلَا فِي مُهْجَتِي ... مِنْ طُولِ صَدِّكِ غَيْرُ هَمِّكْ[2]
أَصْبَحْتُ مُمْتَنِعَ الْكَرَى ... لَمَّا جَفَانِي بَدْرُ تِمِّكْ[3]
إِنْ لَمْ تَجُودِي بِاللِّقَا ... ءِ عَلَى الْمُحِبِّ وَلَا بِلَثْمِكْ[4]
فَتَسَامَحِي لِيَ مَرَّةً ... حَتَّى أَفُوزَ بِلَثْمِ كُمِّكْ

---

(٣) المُحال: ما اقتضى الفساد من كلِّ وجه، ومن معانيه الباطل والمعوّج، وغير الممكن. والمِحال: القوّة والقدرة.

(١) البانة: واحدة البان، وهو ضرب من الشجر، سَبْط القوام، وفيه مع السبُوطة والاعتدال لين ومرونة، وورقه كورق الصُّفصاف. وبالبان تشبّه حسان النساء في حسن الطول، وجمال القدّ، واعتدال القوام، والمرونة.

(٢) المهجة: النفس، والروح، ودم القلب، وقد تطلق ويراد بها القلب. والصدّ، والصدود: الإعراض، والقطيعة، والصدوف، والهجران. والهمّ: الحزن والقلق.

(٣) الكرى: النوم، والنعاس. وجفاني: أعرض عني، وهجرني. والبدر: القمر ليلة كماله، وتمام ضيائه في منتصف الشهر العربيّ.

(٤) اللثم: التقبيل.

قافيـة اللام

ذم الحكام وحض النـاس على طلب العدل في الأحكام

وقال يذمّ سيرة الحكّام ، ويحضّ الناس على طلب العدل في الأحكام ، وذلك في عهد « إسماعيل(*) باشا » خديوي مصر :

قَلَّدْتُ جِيدَ الْمَعَـالِي حِلْيَـةَ الْغَـزَلِ ... وَقُلْتُ فِي الْجِدِّ مَا أَغْنَى عَنِ الْهَـزَلِ (١)

يَـأْبَى لِيَ الْغَيَّ قَـلْبٌ لاَ يَـمِيـلُ بِـهِ ... عَنْ شَرْعَةِ الْمَجْدِ سِحْرُ الأَعْيُنِ النُّجُلِ (٢)

(*) إسماعيل باشا : الخديوي إسماعيل بن إبراهيم باشا بن محمد علي باشا ، ولد بالقاهرة سنة ١٨٣٠م ، وتربّى بمصر في طفولته ، ومستهلّ شبابه ، ثم أرسله جدّه إلى فرنسا ، فأتمّ تعلّمه بكليّة « سنت سير » الحربية . ولما توفي الخديوي « سعيد » في ١٨ من يناير سنة ١٨٦٣ تولّى بعده حكم مصر ، فنهض بها في شتى النواحي الاقتصاديّة ، والتعليميّة ، والعمرانيّة ، والسياسيّة ، وعني بالحربيّة والبحريّة . ومنح لقب « خديوي » ، وهي كلمة فارسيّة الأصل ، معناها « سيّد » . وفي عهده تمّ حفر قناة السويس .

وقد جاءت هذه القصيدة في سبعين بيتاً ، افتتحتْ بها قافية اللام في الديوان المخطوط . ولا ريب أن الشاعر نظمها في أواخر حكم الخديوي إسماعيل لمّا ساءت الأحوال ، وارتبكت ماليّة مصر ، وأرهقتْها الديون المتراكمة ، وتدخّل الأجانب في شؤونها ، وتبرّم الأهالي بهذا الحكم السفيه الفاسد ، وأجمع الناس على وجوب خلع ذلك الحاكم .

(١) قلّدْته القلادة : جعلتها في عنقه . والقلادة : ما يزين العنق من الحلي ونحوه . والجيد : العنق . وحلية الغزل : الغزل الشبيه بالحلية ، جعل غزله بالمعالي حلية . ومعنى الشطر الثاني : أنه نظم هذه القصيدة في الجدّ ومعالي الأمور مستغنياً بها عن الهزل والدعابة والمزاح .

(٢) يأبى : يمتنع ، ويأبى له قلبه الغيّ : ينزّهه عن الغيّ ، وهو الجهل ، والضلال . ولا يميل

أَهِيمُ بِـالْبِيضِ فِي الأَغْمَـادِ بَـاسِمَـةً ... عَنْ غُرَّةِ النَّصْرِ لاَ بِالْبِيضِ فِي الْكِلَلِ (٣)

لَمْ تُلْهِنِي عَنْ طِـلاَبِ الْمَجْـدِ غَـانِيَـةٌ ... فِي لَـذَّةِ الصَّحْوِ مَـا يُغْنِي عَنِ الثَّمَـلِ (٤)

كَمْ بَيْنَ مُنْتَـدِبٍ يَـدْعُـو لِمَكْـرُمَـةٍ ... وَبَـيْنَ مُـعْتَكِفٍ يَـبْكِي عَـلَى طَـلَلِ (٥)

به : لا يميله ، ولا يصرفه . وشرعة المجد : طريقه ومنهاجه . وسَحَره : استماله ، وفتَنه . وعين نجلاء : واسعة في حسن وجمال .

وهذا البيت تفصيل وتأكيد لمعنى البيت السابق ؛ فقلبه متعلّق بمنهج المجد ومعالي الأمور ، مترفّع عن الهزل واللهو ، بعيد عن الغواية والضلالة ، لا يصرفه عن غاياته المجيدة ما يفتن الرجال من ربّات الحجال ولا يعرقل مساعيه الحميدة ما يخلب الألباب ، ويستهوي الأفئدة من محاسنهن وسحر عيونهن .

(٣) هام العاشق بمعشوقته : شغفتْه حبّاً . وهيامه بالبيض : شدّة تعلّقه بها ، وحبّه لها . والبيض في الشطر الأول : السيوف ، واحدها أبيض . وفي الشطر الثاني : الحسان الجميلات من النساء ، الواحدة بيضاء . والأغماد : جمع غمد ، وهو جفن السيف ، وغلافه . وباسمة : لامعة ، مصقولة . وغرّة النصر : طلعته ، مستعار من غرّة الفرس ، وهي بياض مستحسن في جبهته . والكلل : جمع كلّة (بوزن علّة وعلل) ، وهي الستر الرقيق . وفي الكلل تصان الحسان المحجّبات من النساء . والعربيّ يهيم بالفتاة المحجّبة ، لا السافرة . والبارودي يجنح لمحاكاة قدامى الشعراء ، ويولع بالبيئة العربيّة البدويّة ، فهو لا يفتأ يعرض في شعره الكثير من صورها وخصائصها .

وصلة هذا البيت بالبيتين السابقين واضحة وثيقة ؛ فإن الجدّ ، ومعالي الأمور كثيراً ما تتطلّب الكفاية الحربيّة ، والقوّة العسكريّة ، وكثيراً ما تستدعي الجهاد والجلاد ، والكفاح بالسلاح . أمّا الهيام بالبيض الحسان المحجّبات فإنه أشبه بالهزل والغيّ ، واللهو والمجانة .

(٤) لم تلهني : لم تشغلني ، ولم تصرفني . وطلاب المجد : طلبه ، والسعي في تحصيله . والغانية : المرأة المستغنية عن الزينة بجمالها الخِلْقيّ ، وحسنها الطبيعيّ . والثمل : السكر .

والشطر الثاني تذييل في معنى الشطر الأول ؛ كأن التلهّي بالغواني سكر يخدّر العقل ويخمره ، والسعي في طلب المجد صحو ينبهه ويذكيه .

(٥) « كم » : هنا خبرية ، بمعنى كثير ، أي كم فارق بين الداعي إلى المكرمات والمعتكف على الأطلال يبكي ويتحسّر . ومنتدب : داع ، موجّه .

والمعنى : أن الفرق شاسع ، بين الداعي إلى المكرمات ، والباكي على ارتحال المعشوقات ، والوقوف على الأطلال ، وبكاء الديار (شأن شعراء النسيب أو التشبيب في العصور القديمة) .



لَـوْلَا التَّفَـاوُتُ بَيْنَ الْخَلْقِ مَـا ظَهَـرَتْ   مَـزِيَّـةُ الْفَـرْقِ بَيْنَ الْحَلْيِ وَالْعَـطَلِ (٦)
فَـانْهَضْ إِلَى صَهَـوَاتِ الْمَجْـدِ مُعْتَلِيـاً   فَـالْبَـازُ لَمْ يَـأْوِ إِلاَّ عَـالِـيَ الْقُـلَلِ (٧)
وَدَعْ مِـنَ الأَمْـرِ أَدْنَـاهُ لأَبْـعَـدِهِ   فِي لُجَّـةِ الْبَحْرِ مَـا يُغْنِي عَنِ الْوَشَـلِ (٨)
قَـدْ يَـظْفَـرُ الْفَـاتِـكُ الأَلْـوَى بِحَـاجَتِـهِ   وَيَقْعُـدُ الْعَجْـزُ بِـالْهَيَّـابَـةِ الْـوَكَـلِ (٩)

---

(٦) التفاوت : التباين ، والاختلاف . والخلق (بفتح فسكون) : الناس ، أو هو الخلق (بضم فسكون) ، كالخلق (بضمتين) ومعناه السجيّة ، والطبيعة ، وجمعه أخلاق . ومزيّة الفرق : تمام الفرق . أي الفرق التامّ الواضح . والحلي : هو ما تزدان به المرأة من مصوغ المعدنيات ، كالأساور ، والقلائد الذهبيّة ونحوها . والعطل : ضدّ الحلي .

والمعنى : أن الناس يتفاوتون ويتفاضلون في أخلاقهم وهمّاتهم وكفاياتهم ومساعيهم ، وأن هذا التفاوت يظهر ما بينهم من فوارق واضحة ، وصفات متباينة ، وأعمال مختلفة .

وصلة هذا البيت بالذي قبله : أن الداعي للمكرمات حال فاضل ، والباكي على الأطلال ناقص عاطل .

(٧) الصهوات : جمع صهوة وهي مقعد الفارس من ظهر الفرس . واعتلى الشيء : ارتفع . واعتلاه : علاه . والباز : من جوارح الطير التي تصيد ، وتطير في الطبقات العليا من الجوّ . والقلل : جمع قلّة ، وهي من كلّ شيء قمّته ، وأعلاه . وقلل الجبال قممها وأعاليها .

في البيت الخامس أظهر الفارق العظيم الواسع بين الداعي للمكرمات ، والباكي على الدمن والأطلال . ووصل السادس بهذا المعنى ، فقرّر أن الناس متفاوتون في أخلاقهم وأعمالهم ومساعيهم ، وأن فيهم الحالي والعاطل ، والفاضل والناقص .

وفي هذا البيت حضّ على النهوض ، وبعد الهمّة ، وقوّة العزم ، واعتلاء صهوات العزّ والشرف .

(٨) دع : اترك . والأمر : الشأن والحال . وأدناه : أقربه . واللجة : معظم الماء وكثرته ، ومنه بحر لجّي . والوشل (بفتحتين) : الماء القليل ، وهو هنا ضدّ اللجّة .

والمعنى : اطلب الجليل الرفيع من الأمور يجزئك عن التافه الحقير القريب ، كالمستغني بالماء الكثير عن القليل .

(٩) الألوى : الشديد العسر ، الذي يلتوي على خصمه ، أي يستعصي عليه . والهيّابة : الجبان الشديد الخوف . والوكل (بفتحتين ، أو بفتح فكسر) : الجبان ، والضعيف العاجز ، يتّكل على غيره .

ينوّه بالقوّة والجرأة ، ويزدري الضعف والعجز ؛ فحاجات القوّي الجريء ميسّرة له ، رهينة بطلبه . أمّا العاجز الجبان فإن عجزه يقعده ويشلّه ، فلا يكاد يصل إلى شيء من مطالبه ورغائبه .



وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ تَسْلَمْ فَرُبَّ فَتًى	أَلْقَى بِهِ الْأَمْنُ بَيْنَ الْيَأْسِ وَالْوَجَلِ (١٠)
وَلَا يَغُرَّنْكَ بِشْرٌ مِنْ أَخِي مَلَقٍ	فَرَوْنَقُ الآلِ لَا يَشْفِي مِنَ الْغَلَلِ (١١)
لَوْ يَعْلَمُ الْمَرْءُ مَا فِي النَّاسِ مِنْ دَخَنٍ	لَبَاتَ مِنْ وُدِّ ذِي الْقُرْبَى عَلَى دَخَلِ (١٢)
فَلَا تَثِقْ بِوِدَادٍ قَبْلَ مَعْرِفَةٍ	فَالْكُحْلُ أَشْبَهُ فِي الْعَيْنَيْنِ بِالْكَحَلِ (١٣)
وَاخْشَ النَّمِيمَةَ وَاعْلَمْ أَنَّ قَائِلَهَا	يُصْلِيكَ مِنْ حَرِّهَا نَاراً بِلَا شُعَلِ (١٤)

---

(١٠) اليأس : مصدر يئس منه ، أي انقطع أمله فيه ، وفقد رجاءه . والوجل (بفتحتين) : الخوف .

يحضّ على الحذر والتيقّظ والاحتراس ؛ فإن الحذر المحترس جدير بالسلامة من الأخطار والآفات ، والآمن الغافل يلقي به أمنه وغفلته بين المخاوف وخيبة الرجاء .

لمّا حضّ على الجرأة والإقدام في البيت السابق رأى أن يدعو في هذا البيت إلى الحذر والاحتراس ، كأنه ينهى الجريء المقدام عمّا يرديه من الغفلة والإهمال ، والتهوّر والاندفاع .

(١١) لا يغرّنك : لا تنخدع . والبشر : البشاشة وطلاقة الوجه . والملق : الودّ الكاذب ، واللطف المتكلّف . ورونق الشيء : حسنه وبهاؤه . والآل : السراب . والغلل (بفتح الغين وفتح اللام) : العطش ، أو شدّته وحرارته .

في البيت السابق قال : إن السلامة مرجوّة بالحذر والاحتراس ، لا بالغفل والاندفاع .

وفي هذا البيت عرض صورة من صور الغفلة ، وهي الانخداع بملق المتملّق ، ونهى عن الاغترار به ، والركون إليه ؛ فإن ما يظهره هذا المخادع من الودّ والبشاشة ، والملق والنفاق يشبه السراب ، له حسن ورواء ، ولكنّه لا يروي غلّة ، ولا يطفىء ظمأ .

(١٢) الدخن (بفتح الدال وفتح الخاء) الحقد ، وفساد الباطن ، وسوء الخلق . ومن كلامهم : « هدنة على دخن » . والدخل هنا : الشكّ والريبة .

(١٣) الزداد : المودّة والمحبّة . والكحل (بضم فسكون) : كلّ ما وضع في العين ، يستشفى به ، وليس بسائل ، كالإثمد ونحوه . والكحل (بفتحتين) سواد يعلو جفون العيون ، خلقة من غير اكتحال ، وهو مصدر كحلت العين : أي اسودّت أجفانها خلقة .

يقول : لا تثق بمودّة امرىء ، ولا تطمئنّ لإقباله عليك ، وتقرّبه إليك قبل أن تجرّبه وتتعرّف صدقه ، وتستبين إخلاصه ؛ فإن الودّ يتشابه صادقه وكاذبه ، كما يتشابه المصنوع والمطبوع من الكُحْل والكَحَل .

(١٤) النميمة : الوشاية والسعي بالوقيعة والفتنة . ويصليك ناراً : يلقيك فيها ، ويحرقك بها . والشُعَل : جمع شُعْلَة ، وهي لهب النار وتوقّدها .

يحذّرك النميمة ، والتأثر بها ، والإنصات لقائلها ، ويشبّهها بالنار ، يصلاها ويحترق



كَمْ فِـرْيَـةٍ صَـدَعَتْ أَرْكَـانَ مَمْلَكَـةٍ وَمَـزَّقَتْ شَمْـلَ وُدٍّ غَيْـرِ مُنْفَصِـلِ (١٥)

فَـاقْبَـلْ وَصَـاتِي وَلَا تَصْرِفْـكَ لَاغِيَـةٌ عَنِّي فَمَـا كُـلُّ رَامٍ مِنْ بَنِي ثُعَـلِ (١٦)

إِنِّـي امْـرُؤٌ كَـفَّنِي حِلْمِـي وأَدَّبَـنِي كَـرُّ الْجَدِيـدَيْنِ مِنْ مَـاضٍ وَمُقْتَبَـلِ (١٧)

بحرّها من يستمعها ، وإن لم يبصر لها توقّداً ولهيباً . ولا ريب أن المستمع للنميمة مخدوع ؛ فإن ضررها يصيبه قبل أن يصيب المنموم عليه .

(١٥) الفرية : الكذب . وصدعتْ : حطمتْ وكسرتْ . وشمل الودّ : ما اجتمع واتّصل من الوداد والمحبّة بين الناس ، يقال : جمع الله شملهم : أي ما تشتت من أمرهم ، وفرّق الله شملهم : أي ما اجتمع من أمرهم . ومزقت الفرية شمل الودّ : أي مزّقتْ حال المتحابّين ، وما اجتمعوا عليه من الوداد والمحبّة .

يشير بهذا البيت إلى بعض آثار النميمة والكذب ، كإيقاد نيران الفتنة ، وتمزيق شمل الودّ ، والتفرقة بين الأخلاّء .

(١٦) الوصاة : الوصيّة ، ويراد بالوصيّة هنا : ما قدّمه الشاعر في الأبيات السابقة من النصح والإرشاد . ولا تصرفْك : لا تبعدك . ولاغية : كلمة ذات لغو ، وهو الباطل ، والخطأ ، والسقط . وثُعَل (بوزن عُمَر) : ابن عمرو بن الغوث ، من طيّـىء ، وهو جدّ جاهليّ ، اشتهر بنوه بإجادة الرمي ، وإصابة المرمى .

والشطر الثاني من هذا البيت ينطوي على التمدّح بإتقان ما أسداه إلى الناس في الأبيات السابقة من الوصايا ، والنصائح والإرشادات ، والحكم والأمثال .

يقول : تقبّل وصيّتي ، وانتفع بها ، ولا يصرفك عن الناصح الأمين لغو اللاغين ، وهذر الهاذرين ؛ فما كلّ متكلّم يزن الكلام ، ويحبك القول ، ويتحرّى الرشد ، ويخلص لك النصح ، ويصيب شاكلة الصواب .

وفي الأبيات الستة الأولى من هذه القصيدة افتخر الشاعر بعدّة مزايا ، تدور كلّها حول إيثار الجدّ ، وطلب المجد ، والتشبّث بمعالي الأمور ، والاعتماد على الكفاح وقوّة السلاح ، والدعوة إلى الفضائل والمكرمات .

وفي الأبيات التسعة التي تليها انتقل إلى النصح والإرشاد ، فدعا إلى اعتلاء صهوات المجد ، والسعي إلى الجليل العظيم من الأمور . ونوّه بالقوة والجرأة وآثارهما ، وأوصى بالحذر والحيطة ، ونهى عن الاغترار بملق المتملّقين ، وأوجب اختبار المتودّدين قبل الثقة بودادهم ، وفظّع النميمة والكذب ، وأشار إلى بعض آثارهما .

وفي الأبيات ١٦ ـ ٢٠ عاد إلى التمدح والفخر بنفسه ، وعرض بعض مزاياه التي تؤهّله للقيادة ، وترشّحه لما كان يرغب فيه ويطمح إليه من المناصب الرفيعة ، والآمال الوسيعة .

(١٧) كفّني حلمي : منعني عما لا يليق ، وحال بيني وبين ما لا ينبغي . والحلم : الأناة .



فَمَـا سَـرَيْتُ قِنَـاعَ الْحِلْمِ عَنْ سَفَـهٍ وَلَا مَسَحْتُ جَبِينَ الْعِـزِّ مِنْ خَجَـلِ (١٨)

حَلَبْتُ أَشْـطُرَ هَـذَا الـدَّهْـرِ تَجْـرِبَـةً وَذُقْتُ مَا فِيهِ مِنْ صَـابٍ وَمِنْ عَسَلِ (١٩)

فَـمَـا وَجَـدْتُ عَلَى الأَيَّـامِ بَـاقِيَـةً أَشْهَى إِلَى النَّفْسِ مِنْ حُرِّيَّةِ الْعَمَلِ (٢٠)

وأدّبني : راضني على محاسن الأخلاق . والجديدان : الليل والنهار . وكرّهما : أي توالي الأزمنة ، وتتابع الليل والنهار . ومقتبل : مستقبل ، مستأنف .

يريد بالشطر الثاني : أن تتابع الليل والنهار في ماضيه وحاضره قد راضه على محاسن الأخلاق ، وأدب الحياة ، وأنه من الماضي والحاضر اكتسب ذخيرة من الآداب أعدّها لمستقبل الزمان .

يفخر بحلمه وعقله ، ورزانته واستقامته ، ومكارم أخلاقه ، وحميد خلاله ، وترفّعه عن كلّ ما لا يليق بمثله ، وانتفاعه في ماضيه وحاضره ومستقبله بتجارب الحياة ، وتتابع الأيام والليالي .

(١٨) سريت الثوب عني أسريه : نزعته ، وأزلته ، وكشفت ما كان يغطيه من جسمي . والسفه : الخفّة ، والطيش ، والجهل .

ومعنى الشطر الأول : أنه إذا خرج من حلمه ، وغضب ، فإنما يغضب عن رَوِيَّة وحكمة ، وحقّ وعقل ، لا عن سفه وطيش ، وجهل ونزق .

ومعنى الشطر الثاني : أنه عزيز أبيّ ، يأنف من الدنايا ، ويستنكف من القبائح ، ويترفّع عمّا يشينه ، ولا يرتكب ما يخجله .

افتخر بأصالة حلمه ، ورزانته ، واستقامته ، ورجاحة عقله ، وتمسّكه بالحكمة والرويّة في رضاه وغضبه ، كما افتخر بعزّة نفسه ، وبعده عن السفه ، وعن كلّ ما يَنْدَى منه الجبين حياء وخجلاً .

(١٩) معنى « حلب الدهر أشطره » أو « حلب أشطر الدهر » : خبر ضروب الزمان ، ومرّ به خيره وشرّه ، وتمرّس برخائه وشدّته ، وجرّبه تجربة تامّة . وجرّبتُ الشيء تجريباً وتجربة : اختبرته مرة بعد أخرى . والصاب : شجر مرّ ، أو هو عصارة ذلك الشجر ، أي ما يسيل منه إذا عصر ، وواحدة الصاب : صابة .

ومعنى الشطر الثاني من هذا البيت : توضيح ، وتفصيل ، وتأكيد لمعنى الشطر الأول ؛ فإن الذي يحلب أشطر الدهر مجرّب خبير ، متمرّس ، يذوق بالتجربة الصادقة مرارته وحلاوته .

يفخر الشاعر بسعة خبرته ، وكثرة تجاربه ، فقد مارس أمور الزمان ، وخبر ضروبه ، ومرّ به خيره وشرّه ، وذاق الحلو والمرّ من أحواله .

(٢٠) باقية على الأيام : أي تبقى بقاء الأيام ، وتدوم دوام الدهر . وأشهى : ألذّ ، وأطيب . ويريد

لَـكِنَّـنَـا غَـرَضٌ لِلشَّـرِّ فِـي زَمَـنٍ أَهْلُ الْعُقُولِ بِـهِ فِي طَاعَـةِ الْخَمَلِ (٢١)

قَـامَتْ بِـهِ مِنْ رِجَـالِ السُّـوءِ طَـائِفَـةٌ أَدْهَى عَلَى النَّفسِ مِنْ بؤْسٍ عَلَى ثَكَلِ (٢٢)

مِنْ كُـلِّ وَغْـدٍ يَكَـادُ الـدَّسْتُ يَـدْفَعُـهُ بُغْضًـا وَيَلْفِظُهُ الـدِّيـوانُ مِنْ مَلَلِ (٢٣)

بحريّة العمل : العمل الحرّ الطليق ، البعيد عن نطاق الحكومة ؛ فإن العمل الحكوميّ مقيّد بشتّى القيود ، والعمل الحرّ منطلق فسيح ممتع ، وهو أطيب الأعمال وأكرمها ، وأشهى ما تشتهيه نفس الحرّ ؛ إذ يجد فيه الحريّة الباقية الدائمة .

في هذا البيت يشير الشاعر إلى إحدى تجاربه الصادقة في مجال الأعمال ، فيمتدح العمل الحرّ ، وينوّه به ، ويعرّض بالمناصب الحكوميّة التي لا تَبْقَى لأصحابها ، وهي مع هذا تقيد حريّتهم ، وتضعف شخصيّتهم .

(٢١) الغرض : الهدف الذي يرمى . والخمل (بفتح الخاء والميم) : جمع خامل ، وهو الساقط الذي لا نباهة له ، ولا يعتدّ به . يقول الشاعر : إن العقلاء النابهين مكرهون في زمانه على إطاعة الحكّام الخاملين الساقطين .

والشاعر ينتقل في هذا البيت والأبيـات التاليـة إلى هجاء خصـومه السيـاسيّين من ولاة الحكم ، الذين ساء ظنّه بهم ، ورآهم فاسدين مفسدين .

(٢٢) الهاء في « به » تعود على « زمن » في البيت السابق ، والمراد قامت بالحكم في زمن البارودي طائفة من رجال السوء ؛ أو تعود على « الشرّ » في البيت السابق أيضاً ، والمراد اقترفتْ الشرّ طائفة من رجال السوء . والطائفة : الجماعة من الناس . وأدهى : أثقل ، وأمرّ ، وأوجع ، وآلم . والبؤس : شدّة الحاجة . والثكل (بوزن التعب) : فقدان الحبيب والولد ، وثكلت الأمّ ولدها أي : فقدته .

يهجو الحكّام في زمانه بأنهم رجال شرّ وفساد ، وأن قيامهم بالحكم أشدّ إيلاماً لنفس الحرّ من البؤس والثكل مجتمعين .

(٢٣) الوغد (بفتح فسكون) : الدنيء الرذل ، أو الأحمق الخفيف العقل . والدست : (بفتح فسكون) كلمة فارسيّة معرّبة ، ومن معانيها : صدر البيت ، وصدر المجلس . ويراد بها هنا مجلس الحكم ، أو كرسيّ الرياسة ، أو مقعد الإمارة والسلطان . ودست الوزارة : منصبها . ودفع الشيء يدفعه : نحّاه ، وأزاله بقوّة . والبغض : المقت والكراهية . ويلفظه : يخرجه . والديوان : مكان الكتبة والمستخدمين ، ويراد بـه وبالـدست هنا : المنـاصب الكبيرة التي يشغلها هؤلاء الحكّام المهجوون من رجال الخديوي إسماعيل وأعوانه . والملل : السـآمة والضجر .

وصمهم بـالدنـاءة والرذالـة والحماقـة وقال : إن الـديوان ، أو المجـالس ، أو كراسيّ



ذَلَّتْ بِهِمْ مِصْـرُ بَعْدَ الْعِـزِّ وَاضْـطَرَبَتْ قَـوَاعِـدُ الْمُلْكِ حَتَّى ظَـلَّ فِي خَلَلِ [٢٤]

وَأَصْبَحَتْ دَوْلَـةُ « الْفُسْطَاطِ » خَـاضِعَـةً بَعْـدَ الإِبَـاءِ وَكَـانَتْ زَهْـرَةَ الـدُّوَلِ [٢٥]

قَـوْمٌ إِذَا أَبْـصَـرُونِي مُـقْبِـلاً وَجَـمُـوا غَيْـظًا وَأَكْبَادُهُمْ تَنْقَـدُّ مِنْ دَغَـلِ [٢٦]

فَـإِنْ يَكُنْ سَـاءَهُمْ فَضْلِي فَـلاَ عَجَبٌ فَـالشَّمْسُ وَهِيَ ضِيَـاءٌ آفَـةُ الْمُقَـلِ [٢٧]

نَـزَّهْتُ نَفْسِيَ عَـمَّـا يَـدْنَسُـونَ بِـهِ وَنَحْلَةُ الرَّوْضِ تَأْبَى شِيمَـةَ الْجُعَلِ [٢٨]

الحكم ، أو المناصب التي يتولّونها متبرّمة بهم ، ضجرة منهم ، ساخطة عليهم . وهي لشدّة كراهيتها لهم ، ومقتها لانحرافهم وفسادهم تكاد تقذف بهم ، وتزيلهم بالقوّة من مناصبهم .

(٢٤) بهم : بالحكّام المهجوّين ، أي بسبب انحرافهم وفسادهم . وقواعد الملك : أسسه وأصوله .

يقول : كانت مصر في عزّة وقوّة ومنعة ، فلمّا ولي أمرها هؤلاء الأوغاد المفسدون أساءوا إليها ، وأفسدوا أمورها ؛ فهوتْ إلى حضيض الذلّ والضعف والهوان ، واختلّ الملك من قواعده ، ولم يبق له ضابط أو نظام .

(٢٥) دولة الفسطاط : الدولة المصريّة ، والفسطاط (في الأصل) : السرادق . والفسطاط : مدينة مصر العتيقة التي بناها عمرو بن العاص في موضع فسطاطه . وخاضعة : ذليلة . والإباء : العزّ والمنعة . وزهرة الدول : زينتها ، وبهجتها .

يقول : كانت الدولة المصريّة بهجة الدول ، وزينة الممالك ، ففسد أمرها بفساد هؤلاء الحكّام ، وذلّتْ بعد عزّ ، وخضعت بعد إباء .

(٢٦) يريد بالقوم من يهجوهم . ووجموا : عبسوا . وتنقدّ : تنشقّ ، وتتقطّع . والدغل (بفتحتين) : الحقد المكتوم ، وفساد الباطن .

(٢٧) الآفة : كلّ ما يصيب شيئاً فيفسده . والمقل : العيون ، واحدتها مقلة (بوزن مُهْجَةٍ ومُهَجٍ) .

في هذا البيت والذي قبله قال : إن المهجوّين من خصومه السياسيّين حاقدون عليه أشدّ الحقد ؛ لما يعرفونه من كفاياته ومحامده ، فإذا رأوه مقبلاً عليهم ثار الغضب الكامن في قلوبهم ، ومزّق الحنق أكبادهم ؛ فتجهّموه ، وكرهوا لقاءه ، وبدا عليهم الكمد والوجوم .

ولا غرو أن يسوءهم فضله ، وضياء الشمس يؤذي العيون ، ويفسد الأبصار .

والشطر الثاني من هذا البيت تذييل يوضّح معنى الشطر الأول ، ويقوم مقام الحجّة والدليل والبرهان ، فالشاعر بفضائله ومزاياه يسوء حاسديه ، ويحزن الحاقدين عليه . والشمس بنورها الوهّاج تؤذي العيون ، وتعاسر الأبصار .

(٢٨) نزّه نفسه عمّا يشينها : ترفع بها عنه ، وأبعدها ، ودنس الثوب ونحوه : توسّخ ، وتلطّخ .

بِئْسَ الْعَشِيــرُ وَبِئْسَــتْ مِصْــرُ مِـنْ بَلَدٍ أَضْحَتْ مُنَاخًا لأَهْلِ الزُّورِ وَالْخَطَلِ (٢٩)

أَرْضٌ تَــأَثَّـلَ فِيهَــا الــظُّلْمُ وَانْقَــذَفَتْ صَوَاعِقُ الْغَدْرِ بَيْنَ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ (٣٠)

وَأَصْبَـحَ النَّــاسُ فِي عَمْيَــاءَ مُـظْلِمَــةٍ لَمْ يَخْطُ فِيهَـا امْـرُؤٌ إِلاَّ عَلَى زَلَــلِ (٣١)

لَمْ أَدْرِ مَــا حَـلَّ بِـالأَبْـطَالِ مِنْ خَـوَرٍ بَعْـدَ الْمِرَاسِ وَبِـالأَسْيَافِ مِنْ فَلَلِ (٣٢)

ومن المجاز : دنس عرضه . والشيمة : الخلق ، والغريزة . والجعل : حشرة كالخنفساء ، تألف الأقذار .

يفتخر بأنه ترفّع بنفسه وعرضه عمّا انحطّتْ إليه نفوس المهجوين وأعراضهم من النقائص والمثالب . مثله ومثلهم كنحلة الرياض والخنفساء ؛ فإن النحلة لا تفتأ تخالط الزهر والثمر ، وتحرص أشدّ الحرص على الطهر والنقاء ، وتترفّع بطبيعتها عن طبع الخنافس والجعلان التي تهوى الأقذار .

(٢٩) العشير : المعاشر ، والمخالط ، والمراد أهل مصر الذين رضوا بالضيم ، وأقاموا على الهوان . والمناخ : المقام والمنزل ، وهو في الأصل : مبرك الإبل . اسم مكان من أناخ الرجل الجمل إناخة : أي أبركه . والزور : الكذب ، والباطل . والخطل (بفتحتين) : الخطأ والفحش ، والمنطق الفاسد . ومن معاني الخطل : الحماقة ، والطيش ، والخفّة ، والنزق . ويريد بأهل الزور والخطل : من يهجوهم من حكّام مصر الفاسدين الذين استتبّ لهم الأمر ، وطال ما يقاسيه الوطن من خطلهم وفسادهم .

(٣٠) يريد بالأرض : أرض مصر . وتأثّل : تأصّل ، وتجمّع . والقذف : الرمي القوّي البعيد . والصواعق : جمع صاعقة ، وهي النازلة لا تصيب شيئاً إلا دكّته وأحرقته ، أو هي كلّ عذاب مهلك . وصواعق الغدر : الغدر الشبيه بالصواعق .

يصف مصر ، في أواخر عهد الخديوي إسماعيل ؛ إذ تجمّعت المظالم ورسختْ ، وكثرتْ المفاسد ، وعمّتْ الخيانات ، ونزلتْ ضروب الغدر بالناس نزول الصواعق .

(٣١) في عمياء : في ضلالة وجهالة وكرب وبلاء ، وعمى عليه الأمر : التبس وخفي . وزلَل : مصدر زلّتْ قدمه ، أي زلقت في طين ونحوه ، فسقط .

يصوّر سوء الأحوال في عهد أولئك المهجوّين ؛ إذ أصبح الناس في جهالة وضلالة وكرب وبلاء . ظلمات بعضها فوق بعض ، إذا خطا فيها المرء لم يسلم من العثار والسقوط .

(٣٢) الخور (بفتحتين) : الضعف والانكسار . والمراس (بكسر الميم) : البأس ، والشدّة ، وممارسة الأمور ، أي معالجتها بصبر وكفاية عالية . وفلل السيف : انثلام حدّه ، وتكسّر مضاربه . وقد يراد بتفلّل السيوف هنا : أنها تعطّلتْ ، وتوقّفتْ عن العمل مع شدّة الحاجة إليها ؛ لأنها لا تكاد تجد الأيدي القويّة ، والقلوب الجريئة . ونفي الدراية عن نفسه في أول

أَصَوَّحَتْ شَجَرَاتُ الْمَجْدِ أَمْ نَضَبَتْ غُدْرُ الْحَمِيَّةِ حَتَّى لَيْسَ مِنْ رَجُلِ ؟(٣٣)

لاَ يَدْفَعُونَ يَدًا عَنْهُمْ وَلَوْ بَلَغَتْ مَسَّ الْعَفَافَةِ مِنْ جُبْنٍ وَمِنْ خَزَلِ (٣٤)

خَافُوا الْمَنِيَّةَ فَاحْتَالُوا وَمَا عَلِمُوا أَنَّ الْمَنِيَّةَ لاَ تَرْتَدُّ بِالْحِيَلِ (٣٥)

البيت يُشْعِر بما تملكه من العجب والدهش والأسى والأسف .

يعجب ويأسى لما نزل بأبطال مصر وحماتها من ضعف وخذلان ، وصبر ممقوت على الذلّ والهوان ، وعهده بهم أنهم أولو قوّة ، وأولو بأس شديد . ويدخل في دائرة العجب والأسى ما صارت إليه السيوف وأدوات الحرب والقتال من تثلّم وتكسّر ، أو توقّف وتعطّل .

في الأبيات ٢١ ـ ٣١ هجا وذمّ ، وفخر وتمدّح ، وندّد بمثالب الحكّام ، ورثى لسوء أحوال البلاد والناس في عهدهم . وفي هذا البيت والأبيات الآتية حضّ على الثورة العارمة في وجوههم ، وإزاحتهم عن كراسيّهم ، ودفع الظلم بقوّة السلاح .

(٣٣) صوّح الشجر : يبس وجفّ . ونضب الماء : غاض ، وغار ، وانقطع . والغدر والغدران (بضم فسكون فيهما) : الأنهار والجداول ومجاري المياه ، واحدها غدير ، وهو في الأصل : القطعة من الماء يغادرها السيل ، أي يتركها وراءه . والحميّة : الأنفة ، والاستنكاف ، والترفّع عن الدنايا والنقائص . والاستفهام في أول هذا البيت للتعجّب ، أو الاستنكار . والغرض استنهاض الهمم ، وشحذ العزائم .

استفهم في تعجّب وأسى واستنكار لإقامة الرجال على الضيم ، وضياع الأنفة والحميّة . والغرض استنهاض قومه ، وشحذ عزائمهم لمكافحة الظلم والطغيان ، واسترداد العزّة والمجد .

(٣٤) مسّ العفافة : لمسها ، أي لجبنهم وضعفهم لا يدفعون عن أنفسهم يد العدوان ، حتى ولو أصابت صميم أعراضهم ، ومسّت منهم موضع العفّة . والخزل (بفتحتين) : الاسترخاء والضعف ، والتثاقل والانكسار .

يستنكر استكانة المحكومين لهؤلاء الحكّام ، وإحجامهم عن حماية ما يحميه الأبيّ بنفسه ودمه من عرضه وشرفه ، ويرميهم بالجبن والخور . وهو في الحقيقة يريد تحميسهم ، وإثارة حميّتهم لمكافحة الظالمين المفسدين ، وإسقاط دولة الاستبداد والاستعباد .

(٣٥) المنيّة : الموت . واحتال : طلب الشيء بالحيلة ، وهي جودة النظر ، والقدرة على دقّة التصرّف ، والحذق في تدبير الأمور ، وتقليب الفكر حتى يُهْتدى إلى المقصود ، جمعها حيل (بكسر ففتح) .

والمعنى : أن الجبناء يخافون الموت ، ويحتالون لدرئه ، ويطلبون لأنفسهم السلامة بالجبن والإحجام ، وكأنهم يجهلون أن الموت لا تردّه الحيل ولا مناص منه . ولو استيقنوا هذه الحقيقة الواضحة لكانوا شجعاناً ، ودفعوا بشجاعتهم الضيم والطغيان .



فَفِيمَ يَتَّهِمُ الإِنْسَانُ خَالِقَهُ وَكُلُّ نَفْسٍ لَهَا قَيْدٌ مِنَ الأَجَلِ ؟[٣٦]

هَيْهَاتَ يَلْقَى الْفَتَى أَمْنًا يَلَذُّ بِهِ مَا لَمْ يَخُضْ نَحْوَهُ بَحْراً مِنَ الْوَهَلِ [٣٧]

فَمَا لَكُمْ لَا تَعَافُ الضَّيْمَ أَنْفُسُكُمْ وَلَا تَزُولُ غَوَاشِيكُمْ مِنَ الْكَسَلِ ؟[٣٨]

وَتِلْكَ مِصْرُ الَّتِي أَفْنَى الْجِلَادُ بِهَا لَفِيفَ أَسْلَافِكُمْ فِي الأَعْصُرِ الأُوَلِ [٣٩]

---

(٣٦) « فيم ؟ » : « لماذا ؟ » ، والاستفهام هنا : للاستنكار والاستهجان . والقيد : حبل ونحوه يجعل في رجل الدابة وغيرها ، فيمسكها . والأجل : مدّة الشيء ، والوقت الذي يحدّد لانتهائه . يقال : ضربت له أجلًا ، أي وقتاً محدّداً . وجاء أجله : إذا حان موته . وأجل الإنسان : المدة المضروبة لحياته في الدنيا . وجمعه آجال . ومعنى الشطر الثاني : أن كلّ نفس مقيّدة بأجلها ، لا تحيد عنه ، وأن خوف الجبناء من الموت ، واحتيالهم لدرئه اتهام لله تعالىٰ ، وسوء ظنّ به ، وشكّ فيما ورد عنه من تحديد الآجال ؛ ولهذا أنكر عليهم هذا الاتّهام ، ورآه مغرقاً في البطلان ؛ فكلّ نفس ذائقة الموت ، وهي مقيّدة بالمدّة المضروبة لحياتها ﴿ ولن يؤخّر الله نفساً إذا جاء أجلها ﴾ . الآية رقم ١١ من سورة المنافقون .

(٣٧) هيهات : كلمة تبعيد ، اسم فعل ماض ، معناه بعد . وخاض الخائض الماء : مشى فيه . والوهل : الخوف ، والفزع .

يستبعد أن يصل المرء إلى ما يلذّه ويشتهيه من الأمن والطمأنينة إلا إذا ركب إليهما المخاوف والأهوال ، واقتحم الصعاب والعقبات .

(٣٨) تعاف : تأبى ، وتكره . والضيم : الظلم . والغواشي : جمع الغاشية ، اسم من غشيه الأمر ، أي غطّاه . والغاشية : الداهية ؛ لأنها تصيب الإنسان وتدهاه ، وتغشاه . والغاشية : النازلة من الشرّ أو المكروه .

غشيهم الكسل والخمول والتراخي ؛ فاستكانوا ، ورضوا بالذلّ ، واحتملوا الظلم ، وأقاموا على الضيم والهوان . وفي البيت لوم ، وتعيير ، وتعنيف ، وتقريع يقصد به التحميس والتحريض ، وإحياء الهمم ، وشحذ العزائم .

(٣٩) الجلاد : الحرب والقتال . واللفيف : جماعات الناس وأخلاطهم . والأسلاف : جمع سلف ، وهم الماضون من الآباء والأجداد الذين اجتمعوا على العزّة والحريّة ، والمنعة والقوّة ، والإباء والكرامة ، والجرأة والشجاعة ، ثم طواهم الموت ، ونشرهم التاريخ . والأعصر : جمع العصر ، وهو الدهر والزمان . ويلاحظ أن الشاعر ذمّ مصر في البيت التاسع والعشرين حينما أضحت مناخاً لأهل الزور والخطل ، وعظّمها في هذا البيت إذ كانت موطناً للأعزّة الأحرار المجالدين الذين أفناهم الجهاد في سبيل العزّة والمجد .

في الأبيات ٣٢ ـ ٣٨ ضروب من القول ، قصد بها الشاعر تحميس قومه ، وتحريضهم



قَـوْمٌ أَقَـرُّوا عِـمَـادَ الْحَـقِّ وَامْتَـلَكُـوا ... أَزِمَّـةَ الْخَلْقِ مِنْ حَـافٍ وَمُنْتَعِـلِ (٤٠)

جَنَوْا ثِمَـارَ الْعُـلاَ بِـالْبِيضِ وَاقْتَـطَفُـوا ... مِنْ بَيْنِ شَـوْكِ الْعَوَالِي زَهْـرَةَ الأَمَلِ (٤١)

فَـأَصْبَحَتْ مِصْـرُ تَـزْهُـو بَعْـدَ كُـدْرَتِـهَـا ... فِي يَانِعٍ مِنْ أَسَاكِيبِ النَّدَى خَضِلِ (٤٢)

لَمْ تَنْبُتِ الأَرْضُ إِلاَّ بَعْـدَمَـا اخْتَمَـرَتْ ... أَقْـطَارُهَـا بِـدَمِ الأَعْنَـاقِ وَالْقُلَلِ (٤٣)

على دفع الظلم بقوّة السلاح .

وفي هذا البيت والأبيات الثمانية التالية فنّ آخر من فنون هذا التحريض ، وهو التنويه بالآباء ، ونشر شيء من سيرهم ، والإشادة بأعمالهم وآثارهم ؛ ليتشبّه بهم الأبناء في الكفاح والجلاد ، والاستهانة بالموت ، وبذل النفس ؛ لدفع الضيم ، وإحقاق الحقّ ، وكسب النصر ، وبسط السلطان ، وارتداء المجد ، وبلوغ الأمل .

(٤٠) يريد بالقوم : السلف القويّ العزيز الكريم الذي نوّه به في البيت السابق ، وقال : إن الجلاد أرداه وأفناه . وأقروا : أرسوا ، وأرسخوا ، وثبّتوا . وعماد الحق : ما يعتمد عليه ، ويستند إليه من المبادىء والمثل العليا . والأزمّة : جمع زمام ، وهو المقود الذي تقاد به الدابّة من حبل ونحوه . والخلق : الناس . وامتلاك أزمّة الناس : كناية عن السيطرة عليهم . والحافي : غير المنتعل . والمنتعل : لابس النعل وشبهها . ويراد بالحافي والمنتعل من الخَلْق : الناس أجمعون على اختلاف مراتبهم وأحوالهم وأجناسهم .

(٤١) البيض : السيوف ، واحدها أبيض . والعوالي : أسنّة القنا ، وأطراف الرماح ، الواحدة عالية ، وهي أعلى الرمح ، أي رأسه الحادّ القاطع ، ومثلها السنان والنصل . وشوك العوالي : العوالي الشبيهة بالشوك . وزهرة الأمل : الأمل المشرق الباسم ، الشبيه بالزهرة .

يقول لمن يحاول تحميسهم وتحريضهم من مواطنيه : إن أسلافكم بلغوا المعالي ، وحقّقوا الآمال بالجلاد والكفاح ، وقوّة السلاح .

(٤٢) تزهو : تشرق وتضيء . والكدرة : لون يميل إلى السواد والغبرة . ويانع : أحمر قانىء ، أي شديد الحمرة ، يميل إلى السواد . والأساكيب : جمع أسكوب (بوزن أسلوب وأساليب) وهو المطر الدائم السكوب ، أي الانصباب . والندى : المطر . وخضل : مبتلّ .

و« في يانع من أساكيب الندى خضل » : أي في دم قانىء ، ينصبّ بغزارة ، ويترشّش ، كأنه دفعات المطر . يشير بهذا إلى دماء القتلى والجرحى من أبطال مصر وأعدائهم في الحروب الكثيرة التي خاضها المصريون في الأزمنة السابقة لإقرار الحق ، وكسب النصر ، وبناء المجد ، وتوسيع السلطان ، وتحقيق الآمال . ويشير بالزهو إلى صفاء الحال بالعزّة والغلبة ، واستتباب الأمن والنظام . ويشير بالكدرة إلى ما كانت تعانيه مصر قبل هذه الحروب من الضيم والغدر ، واضطراب الأمر ، وفساد الحكم .

(٤٣) اختمرت : تغطّت ، واستترت . والأقطار : النواحي والجوانب ، واحدها قطر (بوزن



شَنُّوا بِهَا غَارَةً أَلْقَتْ بِرَوْعَتِهَا	أَمْنًا يُؤَلِّفُ بَيْنَ الذِّئْبِ وَالْحَمَلِ (٤٤)
حَتَّى إِذَا أَصْبَحَتْ فِي مَعْقِلٍ أَشِبٍ	يَرُدُّ عَنْهَا يَدَ الْعَادِي مِنَ الْمِلَلِ (٤٥)
أَخْنَى الزَّمَانُ عَلَى فُرْسَانِهَا فَغَدَتْ	مِنْ بَعْدِ مَنْعَتِهَا مَطْرُوقَةَ السُّبُلِ (٤٦)
فَأَيُّ عَارٍ جَلَبْتُمْ بِالْخُمُولِ عَلَى	مَا شَادَهُ السَّيْفُ مِنْ فَخْرٍ عَلَى زُحَلٍ (٤٧)

قفل) . ويراد بالقلل هنا : رؤوس القتلى ، الواحدة قلّة ، وهي من كلّ شيء أعلاه .

والمعنى أن أرض مصر لم تنبت لأهلها العزّة والقوّة ، والغلبة والكرامة إلا بعد أن غطّتها دماء أعناق المحاربين ورؤوسهم .

(٤٤) بها : بالأرض (في البيت السابق) . والغارة : الإغارة ، والهجوم الخاطف المفاجىء . وشننّا على أعدائنا الغارة : وسّعنا مداها ، وفرّقناها عليهم من كلّ وجه . والروعة : الرهبة . ويضرب المثل بالذئب في ولوعه بالحملان ، والتربّص لها ، وشدّة الفتك بها .

والمعنى : أن أسلافنا بحروبهم العنيفة الطاحنة ، وغاراتهم الشديدة الواسعة مدّوا ظلال الأمن في أرجاء البلاد . وبلغ من انتشاره واستتبابه واستقراره أن ألف الحمل الذئب ، وأمن سطوته ، وغيلته .

(٤٥) المعقل (بوزن المجلس) : الحصن . وأشب (بفتح فكسر) : منيع حصين . والعادي : العدوّ المعتدي . والملل : جمع ملة وهي في الأصل الدين ، والمراد أصحاب الملل والمذاهب والأجناس المختلفة .

(٤٦) أخنى عليهم الدهر : أهلكهم . والمنعة (بفتح النون وسكونها) : العزّة والقوّة والامتناع . ومطروقة : مسلوكة ، يطرقها الناس ، ويسيرون فيها . والسبل : الطرق . و « مطروقة السبل » : كناية عن ضعفها ، وهوانها ، واستكانتها ، وزوال منعتها .

ومعنى هذا البيت والذي قبله : أن مصر كانت منيعة محصّنة عزيزة الجانب ، قويّة البأس ، ترتدّ عنها أيدي العادين على اختلاف طوائفهم وأجناسهم ومللهم ، ولا يجرؤ عليها عدوّ أو طامع ، وذلك بفضل رجالها الأعزّة المحاربين الأشدّاء الشجعان ، فلمّا أخنى عليهم الدهر فقدت بعدهم عزّتها ومنعتها ، وصارت مركباً ذلولاً للطامعين المستغلين من الغزاة والمستعمرين ، والحكّام المستبدّين .

(٤٧) أي لقد جلبتم بخمولكم عاراً شنيعاً هائلاً قبيحاً . والخطاب في « جلبتم » للمصريين الذين فرّطوا في حقّ وطنهم ، وقصروا عن مساعي أسلافهم ، وضيّعوا مجد آبائهم ، واستكانوا لظلم حكّامهم ، وتركوا بلادهم نهبة للطامعين من الغزاة والمستعمرين والمستغلين . والخمول : ضد النباهة . ورجل خامل : ساقط ، لا نباهة له . وزحل (بوزن عمر) : أعظم الكواكب السيّارة ، وأرفعها ، وأبعدها في النظام الشمسيّ . وهو ممنوع من الصرف ، أي التنوين ،



إنْ لَمْ يَكُنْ لِلْفَتى عَقْلٌ يَعِيشُ بِهِ ... فَإِنَّمَا هُوَ مَعْدُودٌ مِنَ الْهَمَلِ [48]

فَبادِرُوا الأَمْرَ قَبْلَ الْفَوْتِ وَانْتَزِعُوا ... شِكَالَةَ الرَّيْثِ فَالدُّنْيَا مَعَ الْعَجَلِ [49]

ويجرّ بالفتحة ، وإنما جرّ بالكسرة هنا لضرورة الشعر .

يقول : إن هؤلاء المصريين جلبوا بخمولهم وتوانيهم عاراً فظيعاً على مفاخر آبائهم التي كسبوها بالكفاح ، وشيّدوها بقوّة السلاح ، فانبهت شأنهم ورفعتهم فوق منازل الكواكب والنجوم .

(٤٨) الهمل (بفتحتين) : الماشية ، أي الأبل ، والبقر ، والغنم ، تسرح من غير راع ، وتترك سدى بلا عناية ، والمفرد هامل .

والمعنى : أن المرء إنما يعتبر آدمياً بعقله الذي يحيا به حياة طيّبة عزيزة ، فإذا أهمله خرج من عداد بني الإنسان ، ولم يكن إلّا من البهائم والأنعام المهملة الضالّة التي تهيم في الأرض على وجوهها بلا ضابط أو رعاية .

والشاعر يشير بهذا إلى أن المصريين يهملون عقولهم ، ويحيون حياة الأنعام إذا أقاموا على الضيم ، ورضوا بما هم فيه من ذلّ وهوان ، وتركوا بلادهم نُهْبَة يتحكّم فيها ويستبدّ بها الغاصبون والمستغلون والمستعمرون والحكّام المستبدّون .

أجرى الشاعر هذا البيت مجرى الحكم والأمثال ، ونوّه بالعقل وعظّمه ؛ ليحضّ قومه على الاعتزاز بعقولهم ، واستخدامها في الوسائل والأعمال التي تحيي مجدهم ، وتنتشلهم من حياة الهمل ، أي حياة الذلّ والهوان ، وتعطيل العقل والإدراك .

(٤٩) بادروا الأمر : عاجلوه ، وسارعوا إليه . والأمر : يراد به أمر التبصّر ، والتيقّظ للحوادث ، وسرعة التخلّص من الذّلّة والمهانة . والفوت : الفوات . والمراد فوات الوقت ، وضياع الفرصة . وانتزعوا : اقتلعوا . والشكال (بوزن كتاب) : العقال ، أي القيد . والريث : البطء . وشكالة الريث : أي البطء المعوّق . والمراد بالدنيا : دنيا النصر والغلبة ، وحياة العزة والسعادة .

في البيت السابق نوّه بالعقل ، وعظّم شأنه . ومن حسن استخدام العقل المسارعة إلى التخلّص من سوء الحال ، وحياة الهمل قبل ضياع الفرصة ، وفوات الوقت . كأنه يرى أن الوقت الذي نظم فيه هذه اللاميّة في أواخر عهد إسماعيل هو الوقت الملائم ، والفرصة المؤاتية . ولهذا حرّضهم على المبادرة والمسارعة ، ونهاهم عن التريّث الممقوت ، والتواني الذي يعقل الهمم ، ويشلّ العزائم ، ويحبط الأعمال ، ويضيع الآمال . ولا ريب أن الدنيا في مثل هذه الحالة تتطلّب العجلة ، وتعتمد عليها ، وتقبل معها ، ولا ريب أن الأمر قبل هذا وبعده يتطلّب القيادة الحكيمة ، والقائد الكفء .

وَقَلِّدُوا أَمْرَكُمْ شَهْمًا أَخَا ثِقَةٍ ... يَكُونُ رِدْءًا لَكُمْ فِي الْحَادِثِ الْجَلَلِ (٥٠)

مَاضِي الْبَصِيرَةِ غَلَّابٌ إِذَا اشْتَبَهَتْ ... مَسَالِكُ الرَّأْيِ صَادَ الْبَازَ بِالْحَجَلِ (٥١)

إِنْ قَالَ بَرَّ وَإِنْ نَادَاهُ مُنْتَصِرٌ ... لَبَّى وَإِنْ هَمَّ لَمْ يَرْجِعْ بِلاَ نَفَلِ (٥٢)

---

(٥٠) قلّدناه الأمر أو العمل : فوّضناه إليه ، وألزمناه إيّاه . وأمركم : أمر قيادتكم ، أو أمر حكومتكم . والشهم : القويّ الصبور ، النشيط المتوقد ، الذكيّ الفؤاد . والردء : المعين ، والنصير . والجلل : العظيم الكبير الخطير .

ومما يدخل في حسن استخدام العقل ، ومبادرة الأمر ، أي في معنى البيتين السابقين ، أن يختاروا من بينهم رجلاً شهماً ، عالي الكفاية ، متوقّد الذهن ، يثقون به ؛ فيلقون إليه مقاليد أمورهم ، ويستدفعون به الأسواء ، ويستعينون بهمّته وشهامته في الجلل المهمّ الخطير من الحوادث والنوازل والملمّات .

(٥١) ماضي البصيرة : ذكيّ الفؤاد ، متوقّد الذهن ، حادّ الفكر ، ينفذ بعلمه وضياء قلبه في مجاهل الأمور ، فلا يلتبس عليه شيء . ويقال لقوّة القلب المدركة : بصيرة . وهي للقلب بمنزلة البصر للعين ؛ فالبصيرة : نور القلب الذي به تستبصر . والبصر : نور العين الذي به تبصر . وغلّاب : صيغة مبالغة من الغلب ، أي كثير الغلبة . واشتبهتْ : التبستْ ، وخفيتْ . ومسالك : طرق . والباز : لغة في البازي ، وهو كالصقر ، والشاهين ؛ من جوارح الطير التي تصيد وتفترس . والحجل : من بغاث الطير وصافرها ، أي الجبان الضعيف الذي يصاد ، ولا يصيد ، واحدته حجلة (بوزن قصبة وقصب) ، وهي طائر في حجم الحمامة ، أحمر المنقار والرجلين ، طيّب اللحم . و « صاد الباز بالحجل » : صاد جوارح الطير ببغاثها ، وصقورها بصافرها ، وقويّها بضعيفها . والمراد أن الذي يختار للقيادة والحكم والزعامة ، وتلقى إليه مقاليد الأمور ينبغي أن يكون حاذقاً ماهراً ، واسع الحيلة ، شديد الدهاء ؛ فصيد البازي بالحجل : كناية عن الكياسة ، وحسن السياسة ، فهو ينال بالحيلة ما تعجز عنه القوّة ، أو ينال أصعب الأمور بأيسر السبل ، أو يحلّ الأمور المعقّدة بقليل من الحيلة .

(٥٢) برّ : صَدَقَ . من البرّ ، وهو التوسّع في فعل الخير . واستعمل البِرّ في الصدق : لكونه بعض الخير المتوسّع فيه . ومنتصر : مستنصر ، أي طالب للنُّصرة ، أو النصر . ولبّى : أجاب ، أي أجاب المنتصر ، وأقبل عليه ، ونصره . وهمّ بالشيء : أراده ، وطلبه . والنفل : الغنيمة ، وجمعه أنفال .

وصفه بالصدق في القول ، وأنه ينصر المستنصر ، ويعين من استعان به ، ويجيب من ناداه . وإذا همّ بالحرب أقدم عليها ، وخاض غمارها ، ولم يعد منها إلا بالنصر والغنيمة .



يَجْلُو الْبَـدِيهَـةَ بِـاللَّفْظِ الْـوَجِيـزِ إِذَا عَزَّ الْخِطَابُ وَطَاشَتْ أَسْهُمُ الْجَدَلِ (٥٣)

وَلاَ تَـلَجُّـوا إِذَا مَـا الـرَّأْيُ لاَحَ لَـكُـمْ إِنَّ اللَّجَاجَةَ مَـدْعَـاةٌ إِلَى الْفَشَـلِ (٥٤)

قَـدْ يُدْرِكُ الْمَـرْءُ بِـالتَّـدْبِيرِ مَـا عَجَـزَتْ عَنْـهُ الْكُمَاةُ وَلَمْ يَحْمِـلْ عَلَى بَـطَلِ (٥٥)

هَيْهَـاتَ مَـا النَّصْـرُ فِي حَـدِّ الأَسِنَّـةِ بَـلْ بِقُـوَّةِ الرَّأْيِ تَمْضِي شَـوْكَةُ الأَسَـلِ (٥٦)

---

(٥٣) يجلو : يوضح ، ويظهر . والبديهة : أول كلّ شيء ، وما تبده به غيرك من الكلام وغيره ، وما يبدهك بـه ، أي يبدؤك بـه ، ويفجؤك ، ويباغتـك . وعزّ الخـطاب : شقّ ، وصعب ، أو ضعف . وطاش السهم : انحرف عن الهدف ، ولم يصب الرميّة . والجدل : مفاوضة فيها منازعة ، ومخاصمة ، ومغالبة بالحجج والأدلة والبراهين .

من صفات الشهم الذي تقلّدونه أمركم أن يكشف باللفظ الوجيز البليغ ما يفاجأ به من بدائه الكلام ، وعوارض الأفهام ، إذا عجز غيره عن الخطاب ، وانحرف المجادلون عن الصواب .

(٥٤) لجّ : تمادى في الخصومة والجدل . ولاح : بدا ، وظهر .

ينهى قومه عن التمادي في الجدل ، والمماحكة ، والخصومة إذا بدا لهم وجه الـرأي والتدبير ، وظهر مذهب الحق والصواب ؛ فإن التمادي في المماحلة والمنـازعة يـدعو إلى الضعف ، ويفسـد الرأي ، ويمـزّق شملهم ، ويذهب ريحهم ، وينتهي بهم إلى الهـزيمـة والخسران .

(٥٥) التدبير : التفكير في الأمر ، وتقليب وجوهه ، والنظر في عاقبته ، أي آخره ونهايته . ودبّر الأمر ، ودبّر في الأمر : ساسه ، وفعله عن فكر ، وفهم ، وتقدير ، ورويّة . والكماة : جمع كميّ ، وهو الشجاع ، الجريء ، المقدام ، ولو لم يتسلّح . وحمل المحارب : كرّ وهجم . والواو في الشطر الثاني : واو الحال . والجملة الفعليّة التي بعدها حاليّة .

وفي هذا البيت نوّه بجودة الرأي ، وإتقان التدبير ، وعظّم شأنهما ؛ فبهما وبالمسـالمة والمهادنة ينال المسالم ما يعجز عن نيله المحاربون الشجعان بعنف القتال ، وشدّة النزال ، وكثيراً ما تحقّق السياسة المآرب ، وتغني عن الحروب .

(٥٦) « هيهات » : كلمة تبعيد ، اسم فعل ماض ، بمعنى بعد ، ومعناها هنا مؤكّد لمعنى النفي الذي بعدها ، أي هيهات أن يكون النصر في حدّ الأسنّة وحدها . والأسنّـة : جمع سنـان (بوزن كتاب) ، وهو نصل الرمح ، أي حديدتـه التي يطعن بهـا . وحدّ السنـان : طرفـه المحدّد ، القاطع . وتمضي : تنفذ ، وتقطع . والأسل : الرماح ، وقد يطلق على السيوف والسكاكين ونحوها ، الواحدة أسلة (بوزن قصبة وقصب) .

والمعنى : أن الأسنّة والأسلحة وأدوات القتال لا تكفي وحدها لإحراز النصر ، وكسب المعارك . وإنما ينتصر المحاربون ، وتكتسب أسلحتهم المضاء والحدّة بقوّة الرأي ، وإحكام التدبير .



وَطَـالِبُـوا بِحُقُـوقٍ أَصْبَحَتْ غَـرَضًـا	لِكُـلِّ مُنْتَـزِعٍ سَهْمًـا وَمُخْتَتِـلِ (٥٧)
وَلاَ تَـخَـافُـوا نَكَـالاً فِيـهِ مَنْشَؤُكُـمْ	فَالْحُوتُ فِي الْيَمِّ لاَ يَخْشَى مِنَ الْبَلَلِ (٥٨)
عَيْشُ الْفَتَى فِي فَنَـاءِ الـذُّلِّ مَنْقَصَـةٌ	وَالْمَوْتُ فِي الْعِزِّ فَخْرُ السَّادَةِ النُّبَلِ (٥٩)
لاَ تَتْـرُكُـوا الْجِـدَّ أَوْ يَبْـدُو الْيَقِينُ لَكُمْ	فَالْجِدُّ مِفْتَاحُ بَابِ الْمَطْلَبِ الْعَضِلِ (٦٠)

وهو بهذا يفضّل قوّة الرأي على قوّة السلاح ، أو يقدّم الأولى على الثانية ، أو يجعل قوّة السلاح من قوة الرأي ؛ فالسلاح لا يكون قويّاً نافذاً إلا إذا استخدم عن رأي قويّ ، وتدبير محكم ، ومعنى هذا البيت تأكيد وتعزيز لمعنى البيت السابق .

(٥٧) الغرض : الهدف . ومختتل : مخادع .

رأى الشاعر حقوق المصريين في زمانه هدفاً للمعتدين عليها بقوّة السلاح ، ونُهْبة لمستلبيها بالمخاتلة والخداع ؛ فنبّه وحمّس ، وأيقظ الشعور الوطني ، وحضّ على المطالبة بها في جرأة وإقدام ، وعزم وتصميم .

(٥٨) نكّل به تنكيلاً : عاقبه أو عذّبه ليردعه ، ويروع غيره ويحذّره . ومنشؤكم : نشأتكم أو نشوؤكم . والحوت : العظيم من السمك . والشطر الثاني تذييل جار مجرى المثل .

والمعنى : لا تخشوا النكال يصبّه عليكم من تخرجون عليهم من الطغاة الظالمين ، والغاصبين المستبدّين ؛ فقد نشأتم في النكال والعذاب ، وتمرّستم بالبلايا والنوائب . مَثَلُكم في هذا مَثَلُ الحوت ، لا يرهب البحر ، ولا يباليه ؛ لأنه ابن البحر ، والناشىء فيه .

(٥٩) فناء الذلّ : ساحة المذلّة والمهانة . ومنقصة : عيب ونقيصة . والنبل (بفتحتين) : النبلاء ، جمع نبيل .

ما زال الشاعر ينصح ، ويحمّس ، ويحرّض على إباء الضيم ، وإسقاط حكم الإذلال والاستعباد ؛ فمن النقيصة والعار أن يرضى المرء بالذلّة والهوان ، ويحيا حياة الضعف والاستخذاء . ومن النبل والفضل ، ودواعي الابتهاء والافتخار أن يموت في سبيل العزّة والمنعة ، والقوّة والأنفة ، والسيادة والكرامة .

(٦٠) الجدّ (بفتح الجيم) : الاجتهاد في الأمر ، وضدّه الهزل ، والاسم منه الجدّ (بكسر الجيم) : أي التزموا الجد إلى أن يبدو لكم اليقين . والعضل (بفتح فكسر ، أو بفتح فضم) : العسير ، الصعب .

يحضّهم على التزام الجدّ ، والاجتهاد ، ومواصلة الكفاح والنضال ، حتى ينجلي لهم وجه الحقّ ، ويستيقنوا إصابة أهدافهم ، وتحقيق مقاصدهم ، وبلوغ آمالهم ؛ فإن الجدّ يذلّل الصعاب ، ويفتح الأبواب ، وييسّر المعضل العسير من المطالب ، ويقرّب النائي البعيد من المآرب .



طَـوْرًا عِـرَاكًـا وَأَحْيَـانًـا مُيَـاسَـرَةً	رِيَاضَةُ الْمُهْـرِ بَيْنَ الْعُنْفِ وَالْمَهَـلِ (٦١)
حَتَّى تَـعُـودَ سَمَـاءُ الأَمْـنِ ضَـاحِيَـةً	وَيَرْفُلَ الْعَـدْلُ فِي ضَافٍ مِنَ الْحُلَلِ (٦٢)
هَـٰذِي نَـصِيحَـةُ مَنْ لاَ يَبْتَغِي بَـدَلاً	بِكُمْ وَهَلْ بَعْدَ قَوْمِ الْمَرْءِ مِنْ بَدَلِ ؟(٦٣)
أَسْهَـرْتُ جَفْنِي لَكُمْ فِي نَـظْمِ قَـافِيَـةٍ	مَا إِنْ لَهَا فِي قَدِيمِ الشِّعْرِ مِنْ مَثَـلِ (٦٤)
كَـالْبَرْقِ فِي عَجَـلٍ وَالـرَّعْـدِ فِي زَجَـلٍ	وَالْغَيْثِ فِي هَلَلٍ وَالسَّيْلِ فِي هَمَلِ (٦٥)

---

(٦١) العراك : الخصام ، والقتال . ومياسرة : مساهلة ، وملاينة ، وضدّها المعاسرة . والمهر : ولد الفرس . ورياضته : تمرينه ، وتدريبه. والمهل (بفتحتين) : التؤدة ، والرفق ، واللين .

في هذا البيت وسّع الشاعر مجال الجد ، ونوّع وسائله ، ونصح أن يسلكوا إلى غاياتهم شتّى السبل ، ويتذرّعوا بمختلف الأساليب من ملاينة ومخاشنة ، ومهادنة وقتال ، فإن التنويع والتوسيع من العقل والرأي والتدبير ، وهو كفيل بتحقيق المطالب ، وبلوغ المآرب ، كالمهر يستعان على رياضته وتذليله بالمراوحة بين اللين والعنف ، والرفق والشدّة .

(٦٢) ضاحية : ظاهرة ، صافية ، نقيّة . ورفل في ثيابه : أطالها وجرّها في سيره فاخراً متبختراً . والضافي من الثياب ونحوها : الواسع ، الفضفاض . والحلل : الثياب ، الواحدة حُلّة (بوزن قُلّة) ، وهي إزار ورداء . ولا تسمّى حُلّة حتى تكون من ثوبين من جنس واحد .

والشاعر في هذا البيت والبيتين قبله ينصح لقومه ، ويدعوهم إلى التزام الجدّ ، ومواصلة الجهاد مع تنويع أساليبه حتى يظهر الأمن ويستتبّ ، ويتمّ العدل ويستقرّ .

(٦٣) أراد بالنصحية : ما قدّمه إلى قومه في هذه القصيدة من لوم وعتاب ، وتوجيه وإرشاد ، وحضّ وإغراء وتبشير وتحذير . . . والنصيحة : قول فيه دعوة إلى صلاحٍ ، ونهي عن فسادٍ .

يقول : هذه نصيحة يسديها إليكم أخ لكم ، مستهام بكم ، حريص عليكم ، لا يريد منكم بدلاً ، ولا يبغي عنكم حولاً ؛ لأنكم قومه وأهله ، وعترته وعشيرته . وهيهات أن يستبدل المرء بقومه غيرهم .

(٦٤) يقول : إنه بدافع من إخلاصه ، ووطنيته ، وحبّه لقومه ، وحرصه عليهم ، وتعلّقه بهم ، بذل جهداً ، وعانى مشقّة ، وتجافى جنبه عن مضجعه ، واحتمل الأرق والسهر ، حتى نظم لهم هذه القصيدة البديعة الفريدة ، الرائقة ، الفائقة ، التي لا نظير لها في شعر الأوائل والأواخر .

وفي البيت السابق لخّص في كلمة « نصيحة » ما دعا إليه قومه في الأبيات التي قبله من رشد وصلاح ، وما نهاهم عنه من ضعف واستكانة . وفي هذا البيت والأبيات الستة بعده فخر بهذه اللاميّة المطوّلة الخالدة ، وتنويه بمحاسنها ومزاياها . والغرض : زيادة التنبيه عليها ، والترغيب فيها ، وتأكيد ما قدّمه من نصح وإرشاد ، وتوجيه وتحميس .

(٦٥) الزجل : الجلبة ، والصوت المرتفع العالي . والغيث : المطر . والهلل (بفتحتين) : أول

غَـرَّاءُ تَعْلَقُـهَـا الأَسْمَـاعُ مِـنْ طَـرَبٍ   وَتَسْتَـطِيرُ بِهَـا الأَلْبَابُ مِنْ جَـذَلِ (٦٦)

حَـوْلِيَّـةٌ صَـاغَـهَـا فِـكْـرٌ أَقَـرَّ لَـهُ   بِـالْمُعْجِزَاتِ قَبِيـلُ الإِنْسِ وَالْخَبَلِ (٦٧)

المطر . ويراد به هنا انصبابه ، واندفاعه . والسيل : الماء الكثير الغزير السائل . وهمل السيل (بفتح الهاء والميم) : فيضانه ، وجريانه ، واندفاعه . والهمل : الماء السائل ، لا مانع يحجزه .

والمعنى : أن هذه القصيدة تسرع إلى الأفهام إسراع البرق ، وتضيء إضاءته ، وتترك في الأسماع مثل دويّ الرعد ، وتنصبّ في الأذهان انصباب المطر ، وتجري جريان السيل . وصفها بالوضوح ، والبلاغة ، والسلاسة ، والانسجام ، وروعة التعبير ، وقوّة التأثير .

وفي البيت ترابط وثيق ، وتناسق تامّ بين المتعاطفات . وفيه من المحسنات البديعية جناس بين « عجل » و « زجل » ، ثم بين « هلل » و « همل » . وفيه تشطير ، وهو في الشعر كالسجع في النثر .

(٦٦) غرّاء : واضحة ، مشهورة ، مميّزة . وتعلقها : تحفظها ، وتعيها . والطرب : مصدر طرب منه ، أو طرب له ، أي خفّ ، واهتزّ من فرط فرح وسرور ، أو فرط حزن وغمّ . وتستطير : تطير وترتفع . ويراد بالاستطارة هنا : شدّة التأثّر . والألباب : العقول ، واحدها لبّ . والجذل : الفرح .

يقول : إن لاميّته هذه اتّضحتْ ، واشتهرتْ ، وامتازتْ من غيرها بما انفردتْ به من الخصائص ، والمزايا ، والمحاسن . ثم نوّه بقوّة تأثيرها ، وقوّة تأثّر الناس بها ، فقال : إنهم يسمعونها ، فيطربون لها ، ويعجبون بها ، وتعيها أسماعهم ، وتستظهرها عقولهم ، وتهتزّ لها مشاعرهم .

(٦٧) حوليّة : نسبة إلى الحول (بفتح فسكون) ، أي السنة ، أو العام . والمراد أنه أمضى وقتاً طويلاً في نظم هذه القصيدة ، وتنقيحها ، وتحريرها ، وتهذيبها ؛ حتى أخرجها محبوكة النسج ، مختارة اللفظ ، غزيرة الحكمة ، ساحرة البيان ، تامّة المحاسن ، رائعة التعبير ، قويّة التأثير ، باقية بقاء الدهر ، كحوليات زهير بن أبي سلمى ، وهو شاعر جاهليّ من أصحاب المعلّقات . وصاغها : أنشأها ، ونظمها . وأقرّ له بكذا : اعترف له به ، وأثبته . والمعجزات : جمع معجزة ، وهي في الأصل أمر خارق للعادة ، يظهره الله على يد نبيّه تأييداً لرسالته ، وإثباتاً لنبوّته . والمعجزة مما يعجز البشر أن يأتوا بمثله . ويراد بالمعجزات هنا : ما يستعصي على غير البارودي من جيّد الشعر وفائقه . والقبيل : الجماعة من أقوام شتّى . والخبل (بفتحتين) : الجنّ .

يفتخر بأن هذه القصيدة حوليّة من صياغة فكره العبقريّ الألمعيّ الذي اعترفتْ جماعات الإنس والجنّ بتفوّقه وسبقه ، وامتيازه وإعجازه .



تَلُوحُ أَبْيَاتُهَا شَطْرَيْنِ فِي نَسَقٍ | كَالْمَشْرَفِيَّةِ قَدْ سُلَّتْ مِنَ الْخِلَلِ (٦٨)
إنْ أَخْلَقَتْ جِدَّةُ الأَشْعَارِ أَثَّلَهَا | لَفْظُ أَصِيلٌ وَمَعْنًى غَيْرُ مُنْتَحَلِ (٦٩)
تَفْنَى النُّفُوسُ وَتَبْقَى وَهْيَ نَاضِرَةٌ | على الدُّهُورِ بَقَاءَ السَّبْعَةِ الطُّوَلِ (٧٠)

---

(٦٨) تلوح : تظهر مشرقة متلألئة . وأبياتها : أبيات هذه القصيدة . وشطر كلّ شيء : نصفه ، ومنه شطر البيت من الشعر . وكلّ بيت من الشعر شطران . وفي نسق : في اتّساق ، على نظام واحد . والمشرفيّة : السيوف المنسوبة إلى مشارف الشام ، أو مشارف اليمن ، أو مشارف العراق ، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف . أو المراد بها مشارف الشام ؛ إذ كانت مشهورة بصناعة السيوف وتجارتها . ومشارف الأرض : أعاليها . وتوضيح التشبيه هنا : أن السيف المشرفيّ إذا سلّ من غمده بدا له صفحتان متلألئتان لامعتان مشرقتان . وكذلك أبيات هذه القصيدة ؛ فلكلّ بيت منها شطران كصفحتي المشرفيّ . وسلّت من الخلل : أُخرجتْ من أغمادها . سللت السيف : انتضيته ، أي جرّدته ، وأخرجته من غمده . والخلل : جمع خلّة (بوزن علّة وعلل) وهي جفن السيف ، أي غمده .

يقول : تظهر أبيات هذه القصيدة متوافقة متناسقة ، كلّ بيت منها شطران متّسقان على نظام واحد ، كأنّها السيوف جرّدت من أغمادها ، فبهرتك بلألئها ، وتساويها ، وبديع نظامها ، وحسن تنسيقها .

(٦٩) أخلق الثوب ونحوه : ذهبتْ جِدّته ، وأخلقت جدّة الأشعار : أي كانت جديدة ، ثم أخلقت ، أي بليت بمرور الزمن ، وذهبتْ بهجتها ونضارتها ، وضعف تأثيرها . وأثّلها : أثّل هذه اللاميّة ، أي أصّلها وجعلها ذات أصل ثابت راسخ ، لا يصيبه البلى ، ولا ينال منه القدم . ولفظ أصيل : جيّد ، قويّ ، متميّز . وأصالة اللفظ والأسلوب : جودته ، واستحكامه ، وحبك تأليفه . وغير منتحل : مبتدع ، مبتكر ، غير مسبوق ، أو غير مسروق . انتحل فلان الشيء : أي ادّعاه لنفسه ، وهو في الحقيقة لغيره .

يفتخر بأن قصيدته هذه جيّدة اللفظ ، محبوكة النسج ، متينة التركيب ، متميّزة الأساليب . ومعانيها إلى هذا مبتدعة مبتكرة غير مسبوقة ، فإذا بليت أشعار غيره من الشعراء ، وذهب الزمان بجدّتها ونضارتها ، بقيتْ هذه القصيدة جديدة فريدة ، ناضرة زاهرة ، بليغة التعبير ، شديدة التأثير بأصالة ألفاظها ، وبديع معانيها .

(٧٠) « هي ناضرة » : أي حسناء ، رائقة . والسبع الطول من القرآن الكريم : سُورَة البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والسابعة سورة يونس ، أو سورة الأنفال ، أو الأنفال ومعها التوبة (براءة) ؛ لأنهما سورة واحدة عند بعض المفسّرين ، ومجموعهما السورة السابعة من السبع الطول . والسبع الطول من الشعر : معلّقات امرىء القيس ، وزهير ، وعمرو بن كلثوم ، ولبيد ، وطرفة ، وعنترة ، والحارث بن حلزة . والطول

وَقَالَ وَهُوَ بِحُلْوَانَ(*) ، وَقَدْ أَقَامَ بِهَا مُدَّةً ، لِمُلَازَمَةِ الْحَمَّامَاتِ :

طَـرِبْتُ وَلَـوْلَا الْحِلْمُ أَدْرَكَنِي الْجَهْـلُ ... وَعَـاوَدَنِي مَـا كَـانَ مِنْ شِـرَّتِي قَبْـلُ(١)

فَـرُحْـتُ كَـأَنِّي خَـامَـرَتْنِي سَبِيئَـةٌ ... مِنَ الرَّاحِ مَنْ يَعْلَقْ بِهَا الدَّهْرَ لَا يَسْلُو(٢)

(بوزن الكُبَر) : جمع الطُولى (بوزن الكُبْرى) : مؤنث الأطول .

في الأبيات السابقة افتخر البارودي بهذه القصيدة ، وأطراها ، ونوّه بمحاسنها ومزاياها .

وفي هذا البيت بلغ باعتداده وفخره بها القمّة ، فقال : إن الناس يفنون ، وتبقى بعد فنائهم خالدة خلود الدهر ، محتفظة برونقها ونضرتها ، وبهائها وجدّتها .

ومن مبالغاته المقبولة أن يقرن بقاءها ببقاء المعلّقات السبع ، وهي أبلغ ما أثِر وحُفِظَ من الشعر العربي القديم .

(*) « حلوان » : بلدة مصرية ، على الضفّة الشرقيّة لنهر النيل ، وعلى بعد خمسة وعشرين كيلومتراً جنوبي القاهرة . وقد اشتهرت من قديم الزمان بعيون معدنيّة ، بنيت عليها حمّامات ، يستشفى بمياهها الكبريتيّة الساخنة من الأمراض الجلديّة ، ومن أمراض أخرى غيرها . وبعد عودة البارودي من منفاه في ١٢ من سبتمبر سنة ١٨٩٩ استجاب لنصيحة أطبائه ، فقصد إلى هذه المدينة ، وأقام بها فترة للاستشفاء بجوّها وهوائها ، وبيئتها الطبيعية ، ومياهها المعدنيّة .

(١) طربت : اهتززت فرحاً من الطرب . والحلم : الأناة ، والعقل ، والرزانة ، والوقار . وضدّه الجهل : وهو الخفّة ، والسفه ، والحماقة ، والطيش . وأدركني : لحقني ، وأصابني ، وتمكّن مني . وعاودني : رجع إليّ بعد الانصراف عني . وشرّة الشباب : مرحه ، وخفّته .

استقرّ بحلوان مقام الشاعر ، وانتفع بجوّها وحمّاماتها ؛ فعادت إليه صحّته ونشاطه ؛ فاهتزّ فرحاً وسروراً . ولولا حلمه وعقله لاستخفّه الطرب ، وأصابه جهل الفتوّة ، وعاد إليه ما كان له من صبوة الصبا ومرح الشباب .

ومن هذا البيت انتقل الشاعر في الأبيات الثمانية الآتية إلى وصف الخمر ، وبيان آثارها ، وهيام نفوس شاربيها بها .

(٢) خامرتني : خالطتني ، ومازجت دمي وجسمي ، وظهر أثرها في حواسّي وعقلي . وسبيئة : فعيلة ، من سبأت الخمر ، أي اشتريتها لأشربها لا لأتّجر فيها . والراح : الخمر . ويعلق بها : يتعلق . وسلوت الحبيب ، وسلوت عنه : نسيته ، وصبرت على فراقه .

والمعنى : أني طربت لرؤية « حلوان » واستقراري بها ، وانتفاعي بحمّاماتها ، فرحت لهذا كله ، أي هششت له ، وتملّكتني خفّة ، وهزّة ، ونشاط ، كأني مخمور بخمر جيّدة ، من شربها اعتادها ، وتعلق بها ، وواظب عليها ، أبد الدهر ، لا يستطيع على فراقها صبراً ، ولا يطيق عنها سلواناً .

سَلِيلَةُ كَـرْمٍ شَـابَ فِي الْمَهْـدِ رَأْسُهَـا   وَدَبَّ لَهَـا نَسْـلٌ وَمَـا مَسَّهَـا بَعْـلُ[٣]

إِذَا وَلَـجَتْ بَـيْتَ الـضَّمِـيـرِ رَأَيْـتَـهَـا   وَرَاءَ بَنَـاتِ الصَّـدْرِ تَسْفُـلُ أَوْ تَعْلُو[٤]

كَـأَنَّ لَهَـا ضِغْنًـا عَلَى الْعَقْـلِ كَـامِنًـا   فَـإِنْ هِيَ حَلَّتْ مَنْـزِلاً رَحَـلَ الْعَقْـلُ[٥]

---

(٣) سليلة : ابنة ، مؤنث السليل ، وهو الولد حين يخرج من بطن أمه . والكرم (بفتح فسكون) : العنب ، أو شجر العنب . وشيبة رأس الخمر في المهد : كناية عن الحباب ، أو الزبد ، أي الرغوة البيضاء التي تعلو الخمر ، وتطفو فوقها ، وهي في دنّها ، في الطور الأول من أطوار اختمارها وتعتيقها . ودبّ : مشى مشياً رويداً ، أي ليّناً ، هادئاً ، رفيقاً ، ومنه دبيب الطفل الصغير . ولها : للخمر . والنسل : الولد ، والذرّية . ونسل الخمر : ما ينفصل منها ، متحركاً في خلالها ، في أثناء تفاعلها ، واتّحاد عناصرها وهي تختمر . ودبيبه : حركته الهيّنة ، الليّنة . وبعل المرأة : زوجها . وما مسّها : أي لم يخالطها ، ولم يتّصل بها . مسّ الرجل زوجته : أي تغشّاها ، وخالطها .

وفي البيت الأول أعلن الشاعر طربه ، لاستقراره بحلوان ، واستمتاعه بمزاياها ، مع احتفاظه بحلمه ، ورزانته ، وهيبته ، ووقاره .

وفي البيت الثاني شبّه طربه بطرب المخمور ، واستطرد لوصف الخمر ، وبيان بعض آثارها ، وتعلّق شاربيها بها .

وفي هذا البيت أشار إلى الطور الأول من أطوار تخميرها وتعتيقها ؛ فالرغوة ، أو الزبد ، أو الحباب يطفو فوقها وهي تختمر ، كأنه الشيب يعمّ شعر الرأس . وفي جوفها حركات التفاعل الكيميائي . ومن هذا التفاعل انفصال كثير من جزئياتها ، وتحرّكها في خلالها ، كأنها نسلها يدبّ دبيباً .

(٤) ولجت : دخلت ، أي الخمر . والضمير : المضمر ، أي ما تضمره في نفسك ، وتكتمه ، ويراد بالضمير هنا : قلب شارب الخمر . ورأيتها : أحسست بها . وبنات الصدر : الهموم والأحزان . ومن كلامهم : « غلبتني بنات الصدر » : أي أرهقتني همومي وأحزاني . والخمر تسفل وتعلو وراء بنات الصدر : أي تجيش وتضطرب في جوف شاربها طاردة بنات الصدر . والخمر - في زعم شاربيها وتخيّلهم - تذهب همومهم ومتاعبهم ، وتنسيهم أحزانهم وأشجانهم .

(٥) لها : للراح ، أي الخمر . والضغن ، والضغينة : الحقد الشديد ، والانطواء على العداوة والبغضاء . وكامن : مستتر . مضمر ، خفيّ ، مكتوم . وحلّ المكان ، وحلّ به : نزل به .

يقول : إن الخمر والعقل لا يكادان يلتقيان ، كأنهما عدوّان متضاغنان ؛ فالخمر تضمر للعقل أشدّ الحقد ، وتظهر له كلّ الكراهية والبغضاء ، فإن هي نزلت في جوف شاربها لم يسع العقل إلا أن يشدّ رحاله ، ويعجّل ترحاله .



تُعَبِّرُ عَنْ سِرِّ الضَّمِيرِ بِأَلْسُنٍ … مِنَ السُّكْرِ مَقْرُونٍ بِصِحَّتِهَا النَّقْلُ(٦)

مُحَبَّبَةٌ لِلنَّفْسِ وَهْيَ بَلاَؤُهَا … كَمَا حُبِّبَتْ فِي فَتْكِهَا الأَعْيُنُ النُّجْلُ(٧)

يَكَادُ يَذُودُ اللَّيْثَ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ … إِذَا مَا تَحَسَّى كَأْسَهَا العَاجِزُ الْوَغْلُ(٨)

تَرَى لِخَوَابِيهَا أَزِيزاً كَأَنَّهَا … خَلاَيَا تَغَنَّتْ فِي جَوَانِبِهَا النَّحْلُ(٩)

---

(٦) عبّر عما في نفسه : أعرب ، وأظهر ، وأفصح . وسرّ الضمير : ما يبالغ المرء في إخفائه وكتمانه ، والسر والضمير هنا كلمتان مترادفتان . أي أن الخمر تسكر المخمور ، فيحمله السكر على إفشاء أسراره ، وفضح نفسه ، وكشف ما انطوى عليه ضميره بعبارات وكلمات مقرون بصحّتها النقل . ومقرون : اسم مفعول من قُرِن الشيءُ بالشيء ، أي وُصل به ، ورُبط ، وجمع . و« بصحّتها » : بصحّة الألسن ، أي بصدق ما ترويه ، وتخبر به . والنقل : مصدر نقلت الخبر أو الكلام عن صاحبه ، أي رويته عنه ، وأبلغته غيره . ومعنى « مقرون بصحّتها النقل » أن ما تنقله الألسنة ، وتخبر به صحيح صريح ، لا شكّ فيه . أو أن العبارات والأنباء التي يخبر بها السكران غير منقولة من سرّه وضميره نقلاً صحيحاً صريحاً لا ريب فيه .

والمعنى : أن الخمر تظهر أسرار المخمور ، وتحمله على إفشائها ؛ فهو يطلع عليها مجالسيه ، أيّاً كانوا في غير مواربة ، وبلا تحرّج ، أو احتراس . إن السكران ـ بسبب سكره ـ ينقل إلى غيره نقلاً صريحاً صحيحاً ما كان يحرص كلّ الحرص على كتمانه وإضماره من الأسرار والأخبار قبل أن تمزّق الخمر إزاره ، وتهتك أستاره .

(٧) محبَّبة : أي الراح محبّبة للنفس . وبلاؤها : بلاء النفس . والبلاء : المحنة ، والفتنة ، والشر ، والعذاب . و« في » : للظرفية أي كما حبّبت الأعين النجل إلى العاشقين في حال فتكها بهم . أو هي بمعنى « مع » . والنجل : جمع نجلاء ، أي واسعة حسناء .

والمعنى : أن الخمر محبّبة إلى نفوس مدمنيها ، وهي ـ مع ولوعهم بها ، وحبّهم لها ـ شرّ لهم ، ووبال عليهم ، كعيون الحسان تفتك بالعشّاق ، وتحمل إليهم بلايا العشق ، وهمومه ، وهم على الرغم من هذا كلّه يستعذبونه ، ويهيمون بالمعشوقات وعيونهن ، كأنما يطلبون المزيد من العذاب والأوصاب .

(٨) يذود : يدفع ، ويطرد . وفاعله : ضمير « العاجز » . والليث : الأسد . ومستقرّه : عرينه . وتحسّى الماء وغيره : شربه شيئاً فشيئاً ، أو جُرْعَة بعد جرعة . والوغل (بفتح فسكون) : الضعيف الجبان ، والنذل الساقط .

والمعنى : أن الخمر تجعل الضعيف الجبان شجاعاً مقداماً .

(٩) يلاحظ أن الشاعر وضع « ترى » موضع « تسمع » ؛ فالأزيز ونحوه من الأصوات يسمع ، ولا يرى . ولخوابيها : لخوابي الخمر ، جمع خابية ، وهي الحُبّ أو الدّن ، أو شبههما من

سَــوَاكِنُ آطَــامٍ زَفَتْهَــا مَــعَ الضُّحَى يَــدَا عَــاسِــلٍ يَشْتَــارُ أَوْ خَــابِطٍ يَفْلُو(١٠)

دَنَــا ثُــمَّ أَلْقَــى النَّــارَ بَيْــنَ بُيُــوتِهَــا فَــطَارَتْ شَعَــاعــاً لاَ يَقِــرُّ لَهَــا رَحْــلُ(١١)

مُــرَوَّعَــةٌ هِــيجَــتْ فَضَــلَّتْ سَبِــيلَهَــا فَسَارَتْ عَلَى الدُّنْيَا كَمَا انْتَشَرَ الرِّجْلُ(١٢)

فَــبِتُّ أُدَارِي الْــقَلْبَ بَــعْضَ شُــجُــونِــهِ وَأَزْجُــرُ نَفْسِي أَنْ يُلِمَّ بِهَــا الْهَــزْلُ(١٣)

الأوعية والآنية التي تحفظ فيها الخمر وتعتّق . والأزيز : صوت غليانها . أزّت القـدر ، أو الخابية ، أو نحوهما : تحرّك ما فيها ، واضطرب وصوّت من شدّة الغليان . والخلايا : جمع الخليّة ، وهي بيت النحل الذي تسكنه ، وتأوي إليه ، وتُعَسِّل فيه . وتغنّى المغنّي : غنّى ، وطرّب ، وترنّم .

شبّه ما يسمع من نشيش الخمر وأزيزها في دنانها إبّان غليانها بغناء النحل في جوانب خلاياها .

(١٠) سواكن : جمع ساكنة . ويـراد بالآطـام هنا : خـلايا النحـل وبيوتهـا ، جمع أطم (بضم فسكـون ، أو بضمتين) وهو في الأصـل الحصن والبيت المـرتفـع . وزفتْهـا : طـردتْهـا . والعاسل : من يأخذ عسل النحل من خلاياها ، ومثله المشتار . واشتار : استخرج العسل من الخليّة ، واجتناه ، وجمعه . وخابط : من خبطتُ الشجرة بالمخبط ، أي ضربتها ، ليسقط ورقها . وفلاه : خبطه ، وضربه .

في هذا البيت قال : إن هذه النحل المغنية الهانئة كانت ساكنة مـطمئنّة في بيـوتها ، فضاحاها عاسل مشتار ، أو خابط فال ؛ فأزعجها وأثارها ، وهاجها وطردها ، وفرّق جمعها ، وشتّت شملها .

(١١) طارت شَعاعاً : طارت متفرّقة منتشرة . وقرّ يقرّ : ثبت ، وسكن ، واستقرّ . والرحل : مسكن الإنسان . وعدم قرار رحل النحل : كناية عن تفرّقها ، وانزعاجها ، وانتشارها ، فهو تكرار وتأكيد لمعنى « طارت شَعاعاً » .

يقول : إن العاسل المشتار ، أو الخابط الفالي اقترب من خلايا النحل ، ثم طرح بينها شعل النار ؛ فأقلقها ، وأزعجها ، وشتّت شملها ، فذهبتْ متفرّقة ، وهامت على وجوهها ، لا تَلْوِي على شيء .

(١٢) مروّعة : مفزّعة ، مخـوّفة ، مـذعورة . وهيجت : أثيـرت . وهاجهم : أثـارهم . وضلّت سبيلها : لم تهتد إلى طريقها . وسارت على الدنيا : هامتْ على وجوهها ، متحيّرة ، مضطربة لا تدري أين تتوجه . والرجل (بكسر فسكون) : الطائفة العظيمة من الجراد .

(١٣) الشجون : الهموم ، والأحزان . ويراد بالشجون هنا : أشجان العشق وهموم الغرام . ومن معاني الشجن : الحاجة الشاغلة ، وهوى النفس . وقد يكون هذا المعنى هو المراد هنا .



وَمَـا كُـنْتُ أَدْرِي وَالـشَّـبَـابُ مَـطِيَّـةٌ إِلَى الْجَهْلِ أَنَّ الْعِشْقَ يَعْقُبُهُ الْخَبْـلُ(١٤)

رَمَى اللَّهُ هَـاتِيـكَ الْعُيُـونَ بِمَـا رَمَتْ وَحَاسَبَهَا حُسْبَانَ مَنْ حُكْمُهُ الْعَـدْلُ(١٥)

فَقَـدْ تَـرَكَتْنِي سَـاهِيَ الْعَقْـلِ سَـادِراً إِلَى الْغَيِّ لاَ عَقْـدُ لَـدَيَّ وَلاَ حَـلُّ(١٦)

أَسِيـرُ وَمَـا أَدْرِي إِلَـى أَيْـنَ يَـنْـتَـهِي بِيَ السَّيْـرُ لَكِنِّي تَـلَقَّفُنِي الـسُّبْـلُ(١٧)

فَـلاَ تَسْـأَلَنِّي عَـنْ هَـوَايَ فَـإِنَّـنِي وَرَبِّكَ أَدْرِي كَيْفَ زَلَّتْ بِيَ النَّعْلُ ؟(١٨)

وزجـره : منعه ، وكفّـه ، ونهاه . وألمّ بـه يلمّ : حـلّ بـه ، ونـزل . والهـزل : الهـزال ، والضعف .

(١٤) المطيّة من الدوابّ : ما يُمْتَطى ، ويُرْكَب . والخبل : الجنون ، وفسـاد العقل ، والبَلَه ، والهَوَج ، ومثله الخبال .

والمعنى : أن الفتيان يمتطون نشاط فتوّتهم إلى الجهل ، والخفّة ، والطيش ، والسفاهة ، وما لا خير فيه من اللهو والعبث ، والهزل والمجون . ومن الجهل وقوع الفتى في مهـاوي الهوى والغرام .

(١٥) رمى الله ظالمي بالبلايا : دعاء على العيون التي تيمته ، ويريد بها : عيون الحسان اللائي أوقعنه في شرك الهوى والغرام . و« بما رمت » : بمثل مـا رمت به عشّـاقها من السهـر ، والوصب ، والمتاعب ، والآلام .

(١٦) تركتني : أي عيون الحسان. وساهي العقل: ذاهب العقل. والسادر: المتحيّر التائه. والغيّ والغواية: الخيبة، والانهماك في الجهل، والإمعان في الضلال، وضدّه الرشد. و«لا عقـد لديّ ولا حلّ»: كناية عن عجزه وقصوره.

يقول : تركتني عيون الحسان مشتركاً ، مخبولاً ، شارد الذهن ، تائهاً في الضلال ، لا تواتيني حيلة ، ولا أجد وسيلة .

(١٧) تلقّفني : أصلها « تتلقّفني » ، ثم حذفتْ إحدى التاءين تخفيفاً : مضارع تلقفتُ الشيء ، أي تناولته بسرعة . والسبـل (بوزن كتب) : جمـع سبيل ، وهـو الطريق . وسكنت البـاء هنا للتخفيف ، وضرورة وزن الشعر .

يصف بعض آثـار الهيام ، وسهـو العقل ، والخبـال ؛ فالشـوارع تتلقّفه ، والـطرقـات تتداوله ، فيسير فيها هائماً في غير وعي ، وعلى غير هدى ، لا يدري أين يتوجّه ، ولا يكاد يعرف لسيره هدفاً أو مقصداً .

(١٨) أدري : لا أدري ولا أعرف ولا أعلم ، بتقدير « لا » النافية ؛ فإن الكلام يشير إليها ، ويدلّ عليهـا . وزلّت قدمـه في طين ونحوه : زلجت ، وزلقت ، وسقـطت . والنعـل : الحـذاء ونحوه .

فَـمَـا هِـيَ إِلاَّ أَنْ نَـظَرْتُ فُـجَـاءَةً — بِحُلْوَانَ حَيْثُ انْهَارَ وَانْعَقَدَ الـرَّمْـلُ(١٩)

إِلَى نِسْـوَةٍ مِثْـلِ الْجُمَـانِ تَنَـاسَقَتْ — فَـرَائِـدُهُ حُسْنَـاً وَأَلَّفَـهُ الشَّـمْـلُ(٢٠)

مِنَ الْمَـاطِلاَتِ الْمَرْءَ مَـا قَـدْ وَعَـدْنَـهُ — كِـذَابَـاً فَـلاَ عَـهْـدٌ لَـهُـنَّ وَلاَ إِلُّ(٢١)

تَـكَنَّفْنَ تِـمْثَـالاً مِـنَ الْحُسْـنِ رَائِـعـاً — يُجَنُّ جُنُـونَـاً عِنْـدَ رُؤْيَتِـهِ الْعَقْـلُ(٢٢)

فَكَـانَ الَّـذِي لَـوْلاَهُ مَـا دُرْتُ هَـائِمَـاً — أَرُودُ الْفَيَـافِي لاَ صَـدِيقٌ وَلاَ خِـلُّ(٢٣)

والمعنى : لا تسألني عن عشقي وغرامي سؤال العاذل اللائم ؛ فقد وقعتُ فيه على غرّة ، ولم أدر كيف أوثقتني حباله ، وطوقتْني أغلاله .

(١٩) يقول : فلم تكن حالي ، أو قصة ذلك العشق إلاّ نظرة فجائيّة غير مقصودة ، وقعتْ مني بمدينة حلوان على نسوة مثل الجمان ... فكان الذي لولاه ما درتُ هائماً ...

(٢٠) الجمان : الدرّ أو اللؤلؤ ، الواحدة جُمانة ، وتشبّه بها المرأة في البياض والنقاء والصفاء . وفرائده : فرائد الجمان ، أي وحداته ، وجواهره ، جمع فريدة ، وهي الجوهرة النفيسة . وألّفه : ألّف الجمان ، أي جمعه ، ونظمه ، ورتّبه ، ونسّقه . والشمل : اجتماع الأمر ، أي اجتماع أمر هذا الجمان ، وائتلاف حبّاته .

وقع نظره فجأة ، وبلا قصد ، على هؤلاء النسوة الجميلات الساحرات العيون ، فشبّههن في جمالهن ، واجتماع شملهن ، وانتظامهن ... بعِقْد من لؤلؤ تناسقتْ وحداته ، وائتلفت فرائده ، وتألّقت ، وتشابهت في الحسن والبهاء ، والرونق والرواء .

(٢١) المَاطلات : جمع ماطلة ، اسم فاعل من مطل المدين الدائن دينه ، أو بدينه ، ومطله حقّه ، أو بحقّه ، إذا سوّفه بوعد الوفاء ، وأجلّه مرّة بعد أخرى . ويراد بالمرء هنا : المحبّ العاشق المستهام . والعهد : الموثق ، والوفاء ، ومثله « الإلّ » .

والمعنى : أن هؤلاء الحسان قد يَعِدْن العشّاق باللقاء والوصال ، وهنّ يضمرن الكذب والمطال ؛ فلا وفاء لهنّ ، ولا سبيل إليهنّ .

(٢٢) تكنّفنا فلاناً : أحطنا به من كل جانب .

يقول : إن هؤلاء النسوة الجميلات اللائي وقع نظره عليهنّ فجأة قد أحطن من كلّ جانب بفتاة منهنّ باهرة الرواء ، غاية في البهاء ، كأنها تمثال للحسن ، أجاد المثّال صناعته ، وأحكم صياغته ؛ فإذا رآها المرء فُتِن فُتوناً وجُنّ جنوناً .

(٢٣) « كان » : تامّة ، ومعناها : وُجِد ، أو حصلَ ، أو وقع . وفاعله « الذي » ، أي فكان الحب أو العشق ، أو الغرام الذي لولاه ما دار هائماً ، أي متحيّراً في أمره ، يسير على غير هدى . وهائماً: اسم فاعل من « هام » ، أي خرج على وجهه في الأرض ، لا يدري أين يتوجّه . وهام



فَــوَيْـلُـمِّــهَــا مِـنْ نَــظْرَةٍ مَـضْــرَحِـيَّــةٍ | رُمِيتُ بِهَـا مِنْ حَيْثُ وَاجَهَنِي الأَثْـلُ(٢٤)
رُمِيتُ بِـهَــا وَالْقَـلْبُ خِلْوٌ مِـنَ الْهَــوَى | فَمَـا بَرِحَتْ حَتَّى اسْتَقَـلَّ بِـهِ شُغْـلُ(٢٥)
لَقَــدْ عَلِقَتْ مَــا لَيْسَ لِـلنَّفْسِ دُونَـهَــا | غَنَـاءٌ وَلاَ مِنْهَـا لِـذِي صَبْـوَةٍ وَصْــلُ(٢٦)

في الأمر : تحيّر فيه ، واضطرب ، وذهب كل مذهب . وراد الشيء يروده : طلبه ، وابتغاه . والفيافي : الفلوات ، والقفار ، والصحاري ، والمفاوز لا ماء فيها ، ولا حياة . الواحدة فيفاء (بوزن صحراء) . والخِلّ (بكسر الخاء وتشديد اللام) : الصديق المختصّ الودود ، ومثله الخليل .

عشق الشاعر الفتاة التي أشار إليها في البيت السابق ، ويلغ به العشق مداه ؛ فتدلّه ، وتولّه ، وهام على وجهه في الفيافي والفلوات ، فريداً وحيداً ، لا يكـاد يجد خليـلاً يزيـل وحشته ، أو صديقاً يخفّف لوعته .

(٢٤) « ويلمّها » : أصلها ويل لأمّها . والويل : الشرّ ، والعذاب . واستعملوها في التعجّب ، أو التفجُّع . فكأنه قال : عجباً لها من نظرة . . . أو أتفجّع منها ، وأتوجّع ، وأتألّم ؛ لأنها جنتْ عليّ ، وأساءتْ إليّ . ومضرحيّة : صفة لـ« نظرة »، ومعناهـا صائـدة صائبـة ، نسبة إلى المضـرح ، وهو الصقـر ، أو النسر الـطويل الجنـاح ، ومثله المضـرحيّ . والأثـل (بفتـح فسكون) : شجر طويل مستقيم يُعَمِّر ، جيّد الخشب ، كثيـر الأغصان ، متعقّـدها ، دقيق الورق ، طويله ، لا ثمر له ، وواحدته أثلة (بوزن تمرة وتمر) .

تعجَّبَتْه نظرة الحسناء إليه واستهوته ، وأوقعتْه في شَرَكِ الحبّ ، وحبائل العشق . ويبدو أنه لمّا نظر إلى النسوة نظرته الفجائية التي أشار إليها في البيتين التاسع عشر والعشرين صادفت نظرته إليهن نظرتها إليه ؛ فكانت الفاتنة المولّهة ، وكان ما كابده وضاناه من الوجد والهيام ، والهوى والغرام .

(٢٥) استقل بالأمر : تفرد به واستبد .

أحبّ الشاعر هذه الحسناء ، وهام بها على أثر نظرتها إليه ، وكان قلبه قبلها فارغاً من الهوى ، ولم تكد تفـارقه حتى استبـدّ الحبّ بفؤاده ، وذهبتْ به شـواغل العشق ، وهمـوم الغرام .

(٢٦) علقتْ : هويتْ ، وأحبّتْ . وليس لنفس العاشق غناء بغير هذه المعشوقة ، أي أن نفسه لا تستغني عنها ، ولا تسلوها ، ولا تجد صبراً على فراقها . وغنـاء (بوزن سنـاء) : استغناء واكتفـاء . والصبـوة : الميـل ، والحنين ، والشـوق . وذو الصبـوة : العـاشق ، المحبّ ، المشتاق . والوصل : ضدّ القطيعة . « ولا منها لذي صبوة وصل » : أي لا يرجى منها وصل للصبّ العاشق المستهام .

لاقت نظرته إليها نظرتها إليه ،فعلقها عرضاً من غير قصد ، ولكنه ما لبث أن هام بها ولم يجد ما



فَتَـاةٌ يَحَـارُ الـطَّرْفُ فِي قَسَـمَـاتِهَـا لَهَـا مَنْـظَرٌ مِنْ رَائِـدِ الْعَيْنِ لاَ يَخْلُو[٢٧]

لَـطِيفَـةُ مَجْـرَى الـرُّوحِ لَـوْ أَنَّهَـا مَشَتْ عَلَى سَـارِبَاتِ الـذَّرِّ مَـا آدَهُ الْحِمْـلُ[٢٨]

لَـهَـا نَـظْرَةٌ سَكْـرَى إِذَا أَرْسَلَتْ بِهَـا إِلَى كَبِـدٍ فَـالْـوَيْـلُ مِنْ ذَاكَ وَالثُّكْـلُ[٢٩]

تُـرِيـقُ دِمَـاءً حَـرَّمَ الـلَّهُ سَـفْـكَـهَـا وَتَـخْـرُجُ مِنْهَـا لاَ قِصَـاصٌ وَلاَ عَقْـلُ[٣٠]

يسليه، أو يغنيه عنها. ثم رآها متمنعة مترفعة، فزادت بالهجران عذابه، وضاعفت بالصدود أوصابه.

(٢٧) الطرف : البصر ، والنظر . حار بصره يحار : نظر إلى شيء ، فغشيه منه ضوء ، فلم يقو على النظر إليه ، وارتدّ عنه . وقسماتها : محاسنها ، واحدتها قسمة . ومنظرها : مفاتنها ، وما يعجبك منها ، ويستهويك إذا نظرتَ إليه . ولا يخلو من رائد العين : أي لا يخلو من عين ترود وتعوده ، وتبتغيه ، وتسرح فيه .

يقول : إن منظر هذه الفتاة بهيج جميل ، فاتن ساحر ، لا يكاد يخلو من عين تتّجه إليه ، وتُقبل عليه ، مفتونة ببهجته وجماله ، مسحورة بحسنه وروائه ، فمحاسنها على الدوام تحيّر الأبصار ، وجمالها مَراد الأنظار .

(٢٨) مجرى الروح : كناية عن الجسم ، أي الجسد ، أو البدن . والسارب : اسم فاعل من سرب ، أي مضى ، وذهب . والذرّ : صغار النمل ، الواحدة ذرّة . وآده الحمل : أثقله ، وأجهده .

وصف جسمها بالخفّة واللطافة ، قائلاً : لو مشت هذه الحسناء على الساربات في الأرض من صغار النمل لم تستثقل حملها . وهذه مبالغة غير سائغة .

(٢٩) نظرة سكرى : نظرة فاترة ساكنة ، كأنها ناعسة . والعرب تستحسن الفتور في عيون النساء ، وتتغزل به . وأرسلتْ بها إلى كبد العاشق : وجّهتْها إلى قلبه . والثكل (بضم فسكون) : الموت والهلاك . ويراد بالويل والثكل : ما يضانيه الصبّ المستهام من تباريح الوجد ، ولوعة الغرام .

(٣٠) تريق : تصب ، وتسيل . وسفك الدم : إراقته ، وإسالته . وتخرج منها : تخرج من الدماء ، أي من وزر سفكها ، وتبعات إراقتها . والعقل : الدية ، وهي المال الذي يدفعه القاتل ، أو أهله إلى وليّ المقتول أو ورثته تعويضاً من دمه ، ومثلها العدل .

والمعنى : أن غرام العشّاق بهذه الحسناء يلوعهم ويضنيهم ، وأنها تضاعف لوعتهم وأوصابهم ، وتوردهم موارد الردى والهلاك بالصدّ والقطيعة ، والإعراض والهجران . ومن عجيب أمرها أنها تخرج من هذه التبعات والأوزار كلّها آمنة مطمئنّة ، لا يؤخذ منها عدل ، ولا يقع عليها قصاص .



لَنَـا كُلَّ يَـوْمٍ فِي هَـوَاهَـا مَصَـارِعٌ	يَهِيـجُ الـرَّدَى فِيهَـا وَيَلْتَهِبُ الْقَتْـلُ(٣١)
مَصَـارِعُ شَـوْقٍ لَيْسَ يَجْـرِي بِهَـا دَمٌ	وَمَـرْمَى نُفُـوسٍ لاَ يَـطِيـرُ بِـهِ نَبْـلُ(٣٢)
هَـنِيئـاً لَـهَـا نَفْسِـي عَـلَى أَنَّ دُونَـهَـا	فَوَارِسَ لاَ خُرْسُ الصِّفَـاحِ وَلاَ عُزْلُ(٣٣)
مِنَ الْقَـوْمِ ضَـرَّابِي الْعَـرَاقِيبِ وَالـطُّلَى	إِذَا اسْتَنَّتِ الْغَـارَاتُ أَوْ فَغَرَ الْمَحْـلُ(٣٤)

---

(٣١) مصارع : جمع مصرع ، ويراد بـالصرع : القتـل . ويهيج : يثـور ، ويشتدّ . والـردى : الهلاك . ويلتهب : يشتدّ ، ويكثر . مستعار من التهاب النار ، أي توقّدها واشتعالها .

(٣٢) النبل : السهام العربية .

والمعنى : أن المصارع التي ذكرها في البيت السابق ليست معارك تجري فيهـا دماء الجـرحى والقتلى ، وترمى فيها النفوس بالسهام والنبال. وإنما هي مصارع شوق وغرام ، ووجـد وهيام ، وكثيراً ما يصرع الشوق الواجد المستهام .

(٣٣) هنؤ الشيء هناءة فهو هنيء : تيسّر من غير مشقّة ، ولا عناء . ودونها فوارس : دون نفسي فرسان ، أي يحميها ويحيط بها فرسان . وسيف أخرس : أي لا صوت له . ويراد بالصفاح هنا : السيوف ، وسائر أسلحة الحرب والقتال . وعزل (بضم فسكون) : جمع أعزل ، وهو من لا سلاح معه .

والمعنى : أن هذه المعشوقة قد تيّمته ، وسيطرت عليه ، وتملّكت نفسه بسلطان الحبّ ، وسطوة الغرام على الرغم من أنه عزيز أبيّ ، منيع قويّ ، محصّن محميّ بمحاربين أشداء أقوياء ، شجعان بسلاء ، وكماة مدجّجين بأسلحة لها قعقعة وصليل ، وفرسان من قومه أولي قوة ، وأولي بأس شديد .

وفي الأبيات التاليـة إلى آخر القصيـدة ينتقل من الغـزل إلى الفخر بقـومه ، والإشـادة بمزاياهم .

(٣٤) « من القوم » : بيان للفوارس في البيت السابق . وضرّاب : صيغة مبالغة ، تدلّ على كثرة الضرب ، وشدّته ، وعنفه . والعراقيب : جمع عرقوب (بوزن عصفور وعصافير) ، وهو من الإنسان وتـر أو عصب غليظ خلف كعبي القدم ، وفوق العقب ؛ ومن الـدابّة ما يكون في رجلها بمنزلة الركبة في يدها . ومن عادة العرب أن يضربوا عراقيب الإبـل ونحوهـا تمهيداً لذبحها . وقد يكون المعنى : أنهم يضربون عراقيب أعدائهم المنهزمين أمامهم . والطلى : الأعناق ، الواحدة طُلْيَة (بوزن كُلْية وكُلىً) . واستَنّتْ : نشطتْ ، واشتدّتْ . والغارات : جمع الغارة ، وهي الخيل المغيرة المسـرعة والهجـوم على العدوّ . والقـوم يهجمون على غيرهم . وفغر فاه : فتحه . وفغر الفم : انفتح . والمحل : الجدب والشدّة وانقطاع المطر ، ويبس الأرض من الكلأ والنبات . وانفغار المحل : كناية عن اشتداد الجدب واتساعه .



إِذَا نَـامَـتِ الْأَضْغَـانُ عَـنْ وَتَـرَاتِـهَـا فَقَـوْمِي قَـوْمٌ لَا يَنَـامُ لَهُمْ ذَحْـلُ[٣٥]

رِجَـالٌ أُولُـو بَـأْسٍ شَـدِيـدٍ وَنَجْـدَةٍ فَـقَـوْلُهُـمُ قَـوْلٌ وَفِعْـلُهُـمُ فِـعْـلُ[٣٦]

إِذَا غَـضِبُـوا رَدُّوا إِلَـى الْأُفْقِ شَـمْـسَـهُ وَسَالَ بِدُفَّـاعِ الْقَنَا الْحَزْنُ وَالسَّهْلُ[٣٧]

مَسَـاعِيـرُ حَـرْبٍ لَا يَخَـافُـونَ ذِلَّـةً أَلَا إِنَّ تَهْيَـابَ الْحُـرُوبِ هُـوَ الـذُّلُّ[٣٨]

---

(٣٥) الأضغان : جمع ضغن (بكسر فسكون) ، وهو الحقد الشديد . والـوترات : جمـع وترة (بوزن سجدة) : اسم مرة من وترت الرجل ، أدركته بمكروه ، أو قتلت حميمه ، فأفردته منه . ومثلها الترة ، والوتر ، والثأر . والذحل : الضغن ، والحقد ، والعداوة ، والبغضاء . وهو أيضاً الثأر . ولا ينام لهم ذحل : لا تنام عداوتهم لمن عاداهم ، ولا يسكن غضبهم حتى ينتقموا لأنفسهم منه . أو لا ينام ثأرهم ، ولا تهدأ ثورتهم إلا إذا أخذوا بثأرهم .

يقول : إذا همدت عداوات الناس ، وأهملوا الأخذ بثاراتهم ، فإن قومي لا يهـدأ لهم بال ، ولا يستقرّ لهم قرار حتى يدركوا الترات ، ويقتصّـوا ممن جنى عليهم . وإدراك الثار قصاص ، وعدل ، وقوّة .

(٣٦) أولو بأس : أي أصحاب بأس . والبأس : القوة ، والشجاعة ، والإقدام في القتال ، والشدّة في الحرب . والنجدة : الشجاعة في القتال ، والإقدام ، وسرعة الإغاثة .

(٣٧) ردّوا إلى الأفق شمسه : أي جعلوا الشمس تعود غاربة إلى مطلعها في السماء . والمراد أنهم حجبوا ضياءها بكثرة أسلحتهم ، وكثرة ما ينعقد في جوّ المعارك من غُبار تثيره سنابك خيلهم ، وحركات كرّهم وفرّهم . والدُّفّاع : السيل العظيم الهائل ، يندفع بقوّة وشدّة وعنف ، ويدفع ما يصادفه في طريقه ويكسحه . والقنا : الرماح ، الواحد قناة ، وهي عصا يركّب في طرفها سنان من الحديد الصلب ، يطعن به المحارب عدوّه ، والطرف الذي فيه السنان هو رأس القناة أو الرمح . ودفّاع القنا : القنا الشبيهة بالسيل الجارف ، في قوّته ، وشدّة انـدفاعـه . والحزن (بفتح فسكون) : ما غلظ من الأرض وخشن ، وهو خلاف السهل .

يقول : إذا غضب قومه لشرفهم ، وثاروا لحميّتهم ، أجّجوا نيـران الحرب ؛ فحجبـوا بغبارها ودخانها ضياء الشمس ، وملأتْ رماحهم وأسلحتهم حزون الأرض وسهولها ، كأنها السيل العظيم الجارف ، المندفع المتموّج .

(٣٨) مساعير : جمع مسعار (بوزن مفتاح) : اسم آلة من سعرت النار ، أي أوقدتها ، وألهبتها . وقومه مساعير حرب : أي يقدمـون على الحرب فيؤجّجـون نارهـا . وتهياب : اهتيـاب ، وخشية ، وحذر ، وخوف .

والمعنى : أن قومه لا يتهيّبون الحرب في سبيل الدفاع عن الحقّ والشرف ، والمحافظة على العزّة والكرامة ، بل يقدمون عليها ، ويوقدون نارها في حماسة وشجاعة ، وقوّة وإقدام ،



إِذَا أَطْـرَقُـوا أَبْصَـرْتَ بِـالْقَـوْمِ خِيفَـةً ... لِإِطْـرَاقِهِمْ أَوْ بَيَّنُـوا رَكَـدَ الْحَفْـلُ (٣٩)

وَإِنْ زَلَّـتِ الأَقْـدَامُ فِـي دَرْكِ غَـايَـةٍ ... تَحَـارُ بِهَا الأَلْبَـابُ كَانَ لَهَـا الْخَصْلُ (٤٠)

أُولَئِـكَ قَـوْمِـي أَيُّ قَـوْمٍ وَعُـدَّةٍ ... فَـلاَ رَبْعُهُمْ مَحْلٌ وَلاَ مَـاؤُهُمْ ضَحْلُ (٤١)

يَفِيضُـونَ بِـالْمَعْـرُوفِ فَيْضـاً فَلَيْسَ فِي ... عَـطَائِهِمْ وَعْـدٌ وَلاَ بَـعْـدَهُ مَـطْلُ (٤٢)

وبأس شديد ؛ فإن النصر والظفر والغلبة لمن ركب الأهوال والأخطار ، وخاض المعامع والوقائع ، واثقاً بالنصر ، مطمئناً إليه . والهزيمة والذلّ والهوان لمن تهيّب الحروب ، وأحجم عنها ، وخشي مغبّتها .

(٣٩) أطرق إطراقاً : أمال رأسه إلى صدره ، وسكت ، فلم يتكلم . وبيّنوا : تكلموا ، من التبيين : وهو الكلام ، والإفصاح ، والبيان ، والإيضاح . وركد : هدأ ، وسكن . والحفل : الحشد ، وجماعة الناس .

يصف قومه بالمهابة والجلال ، ساكتين ، ومتكلمين ؛ فإذا أطرقوا خشي الناس عاقبة هذا الإطراق ، وأوجسوا منه خيفة ، وأقلقهم ما قد ينطوي عليه من كوارث . وإذا تكلموا سكن الناس ، واستمعوا لقولهم ، وسكت كل متكلم سواهم اهتياباً لهم وإجلالاً .

(٤٠) درك : من أدركت الشيء إدراكاً ، أي لحقته ، وبلغته ، ووصلت إليه ، وظفرت به . والخصل : قصب السبق ، أو الغاية ، أو الهدف الذي يخاطر عليه المتخاصلون ، أي يتراهن عليه المتسابقون ، وهم المتراهنون في النضال والمراماة .

يقول : إذا زلّت أقدام الناس ، أي تعثروا وكَبَوْا في إدراك غاية من الغايات البعيدة التي تحيّر الألباب ، كان لقومي الفوز بها ، والسبق إليها ، والاستيلاء عليها .

(٤١) « أيّ » في مثل هذا المقام : تدلّ على معنى الكمال ، وتقع صفة للنكرة ، وحالاً للمعرفة .
والمعنى : أنّ قوميّة قومه تامّة كاملة ، مبرّأة من الخلل ، أو الضعف ، أو النقص ، أو العيب . والعـدّة : ما أعددته لحوادث الدهر من المال ، والسلاح ، وغيرهما . والربع : المنزل . ومحل : جديب ، لا خير فيه . والمحل : الشدّة ، والجدب ، واحتباس المطر ، وقحول الأرض ، ويبسها . وماء ضحل : قليل على الأرض ، لا عمق له .

يشير إلى قومه ، معتزاً بصلته بهم ، مفتخراً بانتسابه إليهم ؛ فقوميّتهم كاملة تامة ، وعتادهم كثير موفور ، ووطنهم عزيز منيع ، وواديهم خصيب مَرِيع .

(٤٢) فاض الماء : أي كثر حتى سال على ضفة الوادي . ومن المجاز : « رجل فيّاض » : أي سخيّ ، كريم ، جواد ، معطاء . ويفيضون بالمعروف : أي معروفهم كثير فيّاض عامّ . وليس في عطائهم وعد : أي عطاؤهم كلّه ناجز ، غير موعود . وإذا كان كلّه ناجزاً ، مقضيّاً ،



فَــزُرْهُمْ تَجِــدْ مَعْــرُوفَهُمْ دَانِيَ الْجَنَى ... عَلَيْـكَ وَبَـابَ الْخَيْـرِ لَيْسَ لَـهُ قُفْـلُ[٤٣]

تَــرَى كُـلَّ مَشْبُــوبِ الْحَمِيَّـةِ لَمْ يَسِــرْ ... إِلَــى فِئَـةٍ إِلَّا وَطَـائِـرُهُ يَــعْـلُو[٤٤]

بَعِيــدُ الْـهَــوَى لَا يَغْـلِبُ الــظَّنُّ رَأْيَــهُ ... وَلَا يَتَهَــادَى بَيْنَ تَسْرَاعِــهِ الْمَهْــلُ[٤٥]

تَصِيــحُ الْقَنَـا مِمَّــا يَــدُقُّ صُــدُورَهَــا ... طِعَانَاً وَيَشْكُـو فِعْلَ سَـاعِدِهِ النَّصْـلُ[٤٦]

معجّلاً ، فلا يتصوّر أن يكون بعده مطل : أي تأخير ، أو تسويف . مصدر مطلته حقّه وبحقّه : أي أجّلت موعد الوفاء به مرة بعد أخرى ، ومثله ماطله مطالاً ، ومماطلة .

(٤٣) دانٍ : قريب . والجنى : كل مـا يجنى من ثمار الأشجـار . ومعروفهم داني الجنى : أي خيرهم ميسّر ، سهل ، قريب لمن أراد اجتناءه .

يقول : إذا زرت قومي وجدت معروفهم دانياً ، وبرّهم قريباً ، تجتنيه في يسر وسهولة . كما تجد لديهم أبواب الخير والإحسان مفتّحة لكل إنسان . وهو تكرار وتأكيد لمعنى البيت السابق .

(٤٤) مشبوب : متوقّد . شببت النار : أي أوقدتها . والحميّـة : الأنفة ، والنخـوة ، والمروءة ، والحماسة . وطائر الإنسان : عمله ، وحظّه من الخير والشرّ . وفي القرآن الكريم : « وكلّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه » : أي عمله الذي طار عنه ، من خير ، أو شرّ .

يمدح كلّ رجل من قومه بالحماسة ، والمروءة ، والنخوة ، والحميّة العالية القويّة ، وأنه كلّما سار إلى طائفة من أعدائه محارباً ، ظهر في القتال عمله ، وعظم من النصر حظّه ، وطار في الناس صيته ، وارتفعتْ بينهم مكانته .

(٤٥) بعيد الهوى : بعيد الهمّة ، تتعلّق نفسه بمعالي الأمور ، وترتاد المقاصد الرفيعـة النبيلة . ومعنى « لا يغلب الظنّ رأيه » : أنه يرى الرأي واضحاً ، قاطعاً ، صريحاً ، لا لبس فيـه . ويتهادى : يتمايل في مشيته ، ويتباطأ . والتسراع : مصدر بمعنى السرعة ، أو الإسـراع ، ويفيد مع هذا المبالغة والتكثير . والمهل : التؤدة ، والتباطؤ .

في البيت السابق مدح رجال قومه بالحميّة المشبوبة ، واقتران مسيـراتهم كلّها بـالنصر والغلبة ، وتحقيق الآمال .

وفي هذا البيت أشاد بطموحهم ، وبعد هممهم ، وتعلّقهم بالرفيع العالي من المقاصد والمطامح ، يسارعون إليها في غير تردّد ، أو تباطؤ ، أو إحجام . وهم يمتازون إلى هذا كلّه بإجادة التدبير ، والحذق في التفكير ؛ فالواحد منهم يرى الرأي ـ بقوة بصيرته ـ واضحـاً ، قاطعاً ، صريحاً ؛ فيستيقنه ، ولا يساوره فيه ظنّ أو شك ، أو ارتياب .

(٤٦) دقّ الشيء : كسره ، أو ضربه بشيء فهشمه . وصدور القنا : عواليها ، وهي الجزء الذي يلي السنان من القناة . والنصل : حديدة الرمح والسكّين ونحوهما ، وهي التي تجرح وتقتل .



إِذَا صَـالَ رَوَّى الـسَّـيْـفُ حَـرَّ غَـلِـيـلِهِ   وَإِنْ قَالَ أَوْرَى زَنْدَهُ الْمَنْطِقُ الْفَصْلُ(٤٧)

لَـهُ بَيْنَ مَجْـرَى الْقَـوْلِ آيَـاتُ حِكْمَـةٍ   يَـدُورُ عَلَى آدَابِهَـا الْجِـدُّ وَالْهَـزْلُ(٤٨)

تَـلُوحُ عَـلَيْـهِ مِـنْ أَبِـيـهِ وَجَـدِّهِ   مَخَايِلُ سَـاوَى بَيْنَهَا الْفَـرْعُ وَالْأَصْلُ(٤٩)

فَـأَشْيَبُنَـا فِي مُلْتَقَـى الْخَيْـلِ أَمْـرَدُ   وَأَمْـرَدُنَـا فِي كُـلِّ مُعْضِلَةٍ كَـهْـلُ(٥٠)

يمدح الرجل من قومه بأنه محارب طعّان ضرّاب ، شديد البأس ، قويّ المراس . ويصوّر هذه القوّة بأن القنا والرماح في يده تصيح بأعلى صوتها وهو يطاعن بها ، ويدقّ عواليها في صدور أعدائه ، وأن النصال والأسنّة تشكو قوّة ساعده ، وشدّة بطشه ، ولا تكاد تستريح من حركات يديه . وقد أسلفنا أنه من السادة النابهين في قومه ، وأن مزاياهم مزاياه ، وفضائلهم فضائله ؛ فهو يمدحهم ، ومديحه لهم فخر بنفسه .

(٤٧) صال : وثب للقتال . وصال المحارب على عدوّه : سطا عليه ، وهجم ليقهره ، ويفتك به . وروّاه تروية : أزال عطشه بالماء ، أو الشراب . والغليل : العطش الشديد . والغليل أيضاً : الغيظ . وأوريت الزند : ضربت به الزندة ، فأخرجت الشرار والنار . والمنطق الفصل : القول السديد ، الصائب البليغ . وأورى المنطق الفصل زنده : أي أظهر قوله السديد مزيّته وفضله .

يقول : إذا هجم الرجل منا على المحاربين من أعدائه ، سفك بسيفه دماءهم ، وأروى بهذه الدماء حرارة تعطّشه إليها ، أو شفى بسفكها عداوته وغيظه . وإذا تكلّم في محفل أظهر منطقه الحقّ الواضح ، وقوله السديد الفاصل . . . فحسم الخلافَ ، وأزال الخصومات ، وحلّ المشكلات .

(٤٨) معنى البيت : أن جدّه وهزله يجريان في نطاق الحكمة ، ويلتزمان آدابها . وليس بمستغرب أن يمدح المرء بالتزام الحكمة في جدّه وهزله ؛ فقد كان النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ يمزح ولا يقول إلّا حقاً .

يقول : يتكلّم الرجل منا ، فينطلق لسانه بالحكمة وفصل الخطاب . ولا يكاد يفارق الحكمة جادّاً ، أو هازلاً ؛ فجدّه وهزله يجريان في نطاقها ، ويلتزمان أدبها .

(٤٩) تلوح : تبدو ، وتظهر . ومخايل : دلائل وعلامات . والمراد : مخايل مجد ونجابة . ويراد بالفرع : الأولاد ، والحفدة . ويراد بالأصل : الآباء ، والأجداد .

والمعنى : أنك ترى في الرجل منا مخايل فضل ونجابة ، وأمارات نبل ومجادة ، ورثها عن أبيه وجدّه ، وأورثها أولاده وحفدته ، وهي متساوية ومتماثلة في أصولنا وفروعنا .

(٥٠) أشيبنا : الشائب منا ، وهو الشيخ إذا طعن في السنّ ، وابيضّ شعره . وملتقى الخيل : ساحات القتال ، وميادين الحرب والنزال . والأمرد : الشابّ الذي نبت شاربه ولم تنبت لحيته . والمعضلة : المشكلة الصعبة . والكهل : من جاوز الثلاثين إلى نحو الخمسين .



لَنَا الْفَضْلُ فِيمَا قَدْ مَضَى وَهْوَ قَائِمٌ لَدَيْنَا وَفِيمَا بَعْدَ ذَاكَ لَنَا الْفَضْلُ(٥١)

وَقَالَ ، وَكَتَبَ بِهَا إِلَى الأُسْتَاذِ الْعَلَّامَةِ الشَّيْخِ « حُسَيْنٍ الْمَرْصَفِيِّ »(*) :

مَضَى اللَّهْوُ إِلَّا أَنْ يُخَبِّرَ سَائِلُ وَوَلَّى الصِّبَا إِلَّا بَوَاقٍ قَلَائِلُ(١)

بَوَاقٍ تُمَارِيهَا أَفَانِينُ لَوْعَةٍ يُؤَرِّثُهَا فِكْرٌ عَلَى النَّأْيِ شَاغِلُ(٢)

والمعنى : أنك ترى الأشيب منا في معامع القتال ، وساحات النزال كالشابّ في نشاطه ، وفتوّته ، وحماسته ، وشجاعته ، وشدّة بأسه ، وقوّة مراسه .

وترى الشابّ منا حلّالاً للمعضلات ، هادياً لأوجه المشكلات ، كأنه الشيخ حنّكته التجارب ، وحلب الدهر أشطره .

(٥١) الفضل ، والفضيلة : الخير ، والبرّ . وافتخاره بالفضل هنا افتخار بالسبق ، والتفوّق ، والمحامد ، والمناقب ، والفضائل ، والمكرمات التي ترفع أصحابها إلى مراتب التحميد والتمجيد .

يقول : كان الفضل من شيم الماضين من آبائنا وأجدادنا ، وهو قائم مستقرّ في الحاضرين منا ، وسيبقى ملازماً للآتين من أولادنا وحفدتنا .

والخلاصة أنهم أصحاب فضل تالد وطريف ، وأن الفضل باق لهم على مدى الزمان .

(*) الشيخ حسين بن أحمد حسين المرصفيّ ، نسبة إلى « مرصفا » إحدى قرى مركز « بنها » بمحافظة القليوبيّة من البلاد المصرية : عالم ، لغويّ ، أديب ، تعلّم في الأزهر ، ونبغ في علوم اللغة العربية وآدابها ، ثم تولّى تدريسها في الأزهر ، ودار العلوم . وكان من أوائل أولئك الأفذاذ الذين ردّوا على اللغة العربية في العصر الحديث ما كان لها من القوّة والبهاء في العصر القديم . ومن تلاميذه وأصحابه الذين انتفعوا بفضله وأدبه : حفني ناصف ، والبارودي ، وعبد الله فكري . ومن مؤلفاته « الوسيلة الأدبية للعلوم العربية » جزءان في مجلّدين . وكان ضريراً ، توفي سنة ١٣٠٧ هـ/١٨٨٩م .

(١) ولّى : أدبر ، وذهب ، وانقضى . والصبا (بكسر الصاد) : الحداثة ، وصغر السنّ ، ومنه الصبيّ ، وهو الصغير . وبواق : جمع باقية .

يقول متحسّراً : انقضى عهد اللهو ، وانتهت لذّاته ، وذهبتْ بذهابه مسرّاته . ولم يبق منه إلا ذكريات أُجيب بها السائل وأُخبر المستخبر . ومضى الشباب وملاهيه وملابساته ، ولم يبق منه إلا بقيّة قليلة من آثاره وأخباره .

(٢) تماريها : تثيرها وتذكيها . والمماراة (في الأصل) : المجادلة ، والمناظرة . والأفانين : جمع أفنون (بوزن عصفور) ، وهو النوع من الفن . وأفانين الكلام : أساليبه ، وطرقه . وأفانين اللّوعة : ضروبها ، وأنواعها . ويؤرثها : يوقد نارها ويؤجّجها ، ويُذْكيها . والفكر :

فَلِلشَّوْقِ مِنِّي عَبْرَةٌ مُهرَاقَةٌ وَخَبْلٌ إِذَا نَامَ الْخَلِيُّونَ خَابِلُ(٣)

أَلِفْتُ الضَّنَى إِلْفَ السُّهَادِ فَلَوْ سَرَى بِيَ الْبُرْءُ غَالَتْنِي لِذَاكَ الْغَوَائِلُ(٤)

فَلِلَّهِ هَذَا الشَّوْقُ أَيَّ جِرَاحَةٍ أَسَالَ بِنَا حَتَّى كَأَنَّا نُقَاتِلُ(٥)

رَضِينَا بِحُكْمِ الْحُبِّ فِينَا وَإِنَّنَا لَلُدٌّ إِذَا الْتَفَّتْ عَلَيْنَا الْجَحَافِلُ(٦)

النظر في الأمر ، وتأمّله ، وتدبّره ، وإعمال الخاطر فيه . والنأي : البعد .

فارق الشاعر أهله وأحبّاءه ؛ فجدّد الفراق حسراته ، وضاعف لوعاته ، وشغلته في نأيه الأفكار والوساوس .

(٣) العبرة : الدمعة قبل أن تفيض وتسيل . ومهراقة : منصبّة جارية غزيرة . والخبل : المرض الذي يؤثّر في العقل والفكر فيورثه اضطراباً عقلياً كالجنون ، ومثله الخبال والخبول . والخليّون : جمع الخلي (بوزن الغنيّ) ، وهو الخالي من الوجد والهمّ ونحوهما ، وضدّه الشجي . وفي المثل : « ويل للشجيّ من الخليّ » .

والمعنى : أن الشوق برّح به حتى أبكاه وحرمه أمنة النعاس . وما زال به الأرق والوجد حتى اختبل عقله وذهب فؤاده . على حين أنّ الخليّين ينامون ملء جفونهم ، وينعمون بالعافية ، واجتماع الشمل ، ورخاء البال .

(٤) ألفت الشيء إلفاً : أنست به ، وتعوّدته . والضنى : المرض ، والهزال ، والضعف . والسهاد : الأرق . والبرء : الشفاء ، والسلامة من المرض . والغائلة : المهلكة ، جمعها الغوائل .

والمعنى : أنه تعوّد الضنى ، وأنس به ، وسكن إليه ، كما تعوّد الأرق ، وأحبّه ، وارتاح له ؛ ولذا يحرص عليهما حرصه على سببهما ؛ وهو الشوق والصبابة ، والوجد والغرام . ويرى أن سِراية البرء في جسمه ، وإبلاله من الضنى والسهاد معناه أن يسلو أحبّاءه ، وينسى أخلاّءه ، وتطيب نفسه بفراقهم . ومثل هذا السلوان يغتاله ، ويهلكه ، ويرديه ؛ كأنما يرى حياته وسلامته ، وهناءته وسعادته في بقاء الحبّ وآثاره ، ودوام الشوق وأضراره .

(٥) لله هذا الشوق : تعجّب من شدّته ، وحرارته . وأسال بنا : المراد جرحنا ، وعمّق جرحنا ، وأسال بالجراحة دماءنا .

يعجب ، ويعجّب غيره من هذا الشوق الذي برّح به ، واشتدّ ، وجرحه جرحاً عظيماً عميقاً ، تصبّب منه الدم غزيراً ، حتى كأنها جراحات جلاد وقتال ، وهذا كلّه تصوير حسّيّ لتبريح الشوق ، وشدّة أثره .

(٦) لُدٌّ : جمع ألدّ ، صفة من اللدد (بوزن التعب) ، وهو شدّة الخصومة . ويراد بالألدّ هنا : القويّ ، العنيد ، الشديد البأس في الحرب والقتال . واللام المفتوحة الداخلة على « لدّ » :



وَإِنَّـا رِجَـالٌ تَـعْـلَمُ الْـحَـرْبُ أَنَّـنَـا بَنُـوهَا وَيَـدْرِي الْمَجْـدُ مَـاذَا نُحَـاوِلُ[٧]

إِذَا مَـا ابْتَنَى النَّـاسُ الْحُصُـونَ فَمَـا لَنَـا سِـوَى الْبِيضِ وَالسُّمْرِ اللِّدَانِ مَعَـاقِلُ[٨]

فَمَـا لِلْهَـوَى يَقْـوَى عَلَيَّ بِحُكْـمِـهِ ؟ أَلَمْ يَـدْرِ أَنِّي الشَّمَّـرِيُّ الْحُـلَاحِـلُ ؟[٩]

وَإِنِّي لَثَبْتُ الْجَـأْشِ مُسْتَحْصِـدُ الْقُـوَى إِذَا أَخَـذَتْ أَيْدِي الْكُمَـاةِ الْأَفَـاكِـلُ[١٠]

لام الابتداء . وهي هنا تفيد التوكيد . والجحافل : الجيوش الكثيرة ، واحدها جحفل (بوزن جعفر) ، وهو الجيش الكبير .

والمعنى : نحن في الحبّ نـرضى بحكم الحبيب ، ونخضـع لسلطان الهـوى . وفي الحرب نشتدّ على أعدائنا ، ونصمد لجحافلهم إذا أحاطت بنا ، وتجمّعت حولنا . وبصمودنا وقوة مِراسنا نمزّق هذه الجحافل ، ونغلبها .

يريد أن انقيادنا لسيطرة الحبّ لا ينتقص قوّتنا وشجاعتنا وشدّة بأسنا في القتال .

(٧) ابن الحرب : البطل الشجاع المرموق في القتال .

والمعنى : أننا تمرّسنا بالحروب ، وألفناها ، وتعوّدنا أن نخوض غمارها بشجاعة وبأس شديد . وأن المجد يعرفنا ، ويعلم أننا على الدوام نحاول مكاسب الشرف ، ونروم معالي الأمور ، ونتعلق بها ، ونتّجه إليها .

(٨) البيض: السيوف، ومفردها أبيض. والسمر : الرماح ، جمع الأسمر ، وهو الرمح يسمرّ لونه إذا صلب . واللدان : اللينة ، المرنـة في صلابـة وقوة ، واحـدها لـدن (بوزن سهـل) . واللدانة ، أو اللدونة من الصفات المستحسنة في الرماح ، ومن أمارات جودتها . والمعاقل : الحصون والقلاع ، والملاجىء ، جمع معقل .

يقول : إذا شيّد الناس الحصون والقلاع والمعاقل ؛ ليلجأوا إليها ، ويتمنّعوا بها ، فإننا لا نلجأ إلاّ إلى سيوفنا ورماحنا .

يفتخر بالشجاعة ، والبسالة ، والإقدام ، والهجوم في الحروب ؛ فإن المعتمـدين على أسلحتهم اليدويّة ، الظاهرين لأعدائهم، أشجع وأقوى، وأشدّ بأساً ، وأجـدر بالإعجـاب والتقدير والفخر من المعتصمين بحصونهم ، اللائذين بمعاقلهم .

(٩) الشمّريّ : الرجـل المجدّ ، البصيـر ، الماضي في الأمـور بإرادة قـوية ، وعـزم شديـد . والحلاحل : السيد في عشيرته ، والشجاع ، والرزين الوقور .

يستنكر ، أو يتعجّب من سيطرة الهوى عليه ، مع علمه وإقراره بعزّته وسيادته ، ووقاره ورزانته ، ومضاء عزمه ، وشدّة بأسه .

(١٠) ثبت : ثابت ، لا يلين ، ولا يتزعزع . والجأش : النفس ، والقلب . ورجل ثبت الجأش : شجـاع ، جريء ، مقـدام ، ثابت القلب ، لا تهـوله الأهـوال . ومستحصد : مستحكم ،



إِذَا مَـا اعْتَقَلْتُ الرُّمْـحَ وَالرُّمْـحُ صَاحِبِي | عَلَى الشَّـرِّ قَـالَ الْقِـرْنُ إِنِّيَ هَـازِلُ(١١)

لَـطَاعَنْتُ حَتَّى لَمْ أَجِـدْ مِنْ مُـطَاعِـنٍ | وَنَـازَلْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مَنْ يُنَـازِلُ(١٢)

وَشَـاغَبْتُ هَـذَا الـدَّهْـرَ مِنِّي بِعَـزْمَـةٍ | أَرَتْنِي سَبِيـلَ الـرُّشْـدِ وَالْغَيُّ حَـائِـلُ(١٣)

إِذَا أَنْتَ أَعْـطَتْـكَ الْمَقَـادِيـرُ حُكْمَهَـا | فَـأَضْيَـعُ شَيْءٍ مَـا تَقُـولُ الْعَـوَاذِلُ(١٤)

مجتمع ، شديد ، متين . والكماة : الشجعان ، البواسل ، جمع كام (بوزن رام ورماة) ، ومثله الكميّ (بوزن الغنيّ) : وهو لابس السلاح ، والشجاع المقدام الجريء ، ولو لم يكن عليه سلاح . والأفاكل : جمع أفكل (بوزن أحسد) ، وهو الرعدة ، أي اضطراب الجسم ، وارتعاشه ، وارتجافه ، وارتعـاده من فزع . وأخـذتْ الأفاكـل أيدي الكمـاة : أي ارتجفتْ أيديهم ، وارتعدت أجسامهم ، واضطربت .

يفتخر برباطة جأشه ، وثبات جنانه ، واستحصاد قواه ، وشدّة بأسه في ميـادين الحرب والقتال ، وساحات الوغى والنزال إذا ارتعد الكماة ، وفزعوا من ضراوة الحرب وأهوالها .

(١١) اعتقل الرامح رمحه : أي وضعه بين الركاب والسرج . وقد يكون المراد باعتقال الرمح هنا : مطلق حمله للطعان والقتال . و« الرمح صاحبي على الشرّ » : أي أن رمحه يصاحبه ويرافقه على الدوام في الحرب والقتال . أو المعنى : أن رمحه هو الذي يعينه على مكافحة الشرّ ، وكسر شوكته ، وإخماد جذوته في الحرب وغيرها . وقرنك : نظيرك . وهازل : من الهزل ، وهو المزاح .

(١٢) نازله في الحرب منازلة ونزالاً : قابله وجهاً لوجه ليقاتله .

يفتخر بأنه طاعن ونازل ، وجالد وقاتل ، حتى فرّ أمامه مطاعنوه ، وانهزم منازلوه ، ولم يجد بعد هذا من يصمد له ، أو يقف في وجهه ، أو يجرؤ على منازلته .

(١٣) الشغب : الخصام ، والجلبة ، وتهييج الشرّ ، وإثارة الفتن والاضطراب . وشاغبه : أكثر الشغب معه . وشاغب الدهر : قاومه ، وكافحه ، وغالبه . والعزمة : الإرادة القاطعة القوية ، والثبات والصبر فيما تعزم عليه . وسبيل الرشد : طريقه الواضح المستقيم . وحائل : حاجز ، حاجب .

يفتخر بصلابة عزيمته ، وقوة إرادته ، وصبره وثباته في الشدائد والملمّات ؛ وبهذا استطاع أن يكافح شرور زمانه ، ويقاوم حوادثه ، كمـا استطاع أن يستبين طـريق الهدى والـرشاد ، ويسلك مسالك الاستقامة والاعتدال ، على الرغم من حيلولة الغيّ والفساد ، وظلمات الجهل والضلال .

(١٤) المقادير : جمع مقدور ، وهو الأمر المحتوم . ومعنى « أعطتك المقادير حكمها » : جرت أمور الحياة على ما تحب وتهوى ، وترغب . والعواذل : جمع عاذلة : اسم فاعل من عذله ، أي لامه .



وَمَـا الْـمَـرْءُ إلَّا أَنْ يَعِيشَ مُـحَسَّـداً ... تَنَـازَعُ فِيهِ النَّاجِـذَيْنِ الْأَنَـامِـلُ(١٥)

لَـعَـمْـرُكَ مَـا الْأَخْـلَاقُ إلَّا مَـوَاهِـبٌ ... مُقَسَّمَـةٌ بَيْـنَ الْـوَرَى وَفَـوَاضِـلُ(١٦)

وَمَـا الـنَّـاسُ إلَّا كَـادِحَـانِ فَـعَـالِـمٌ ... يَسِيـرُ عَلَى قَصْـدٍ وَآخَـرُ جَـاهِـلُ(١٧)

فَـذُو الْعِلْمِ مَـأْخُـوذٌ بِـأَسْبَـابِ عِلْمِـهِ ... وَذُو الْجَهْـلِ مَقْطُوعُ الْقَـرِيْنَةِ جَافِلُ(١٨)

والمعنى : إذا انقادتْ لك المقادير ، وجرتْ أمور الحياة على ما تحبّ وتهـوى ، فلوم اللائمات ضائع مهمل ، لا قيمة له ، ولا ينبغي أن يطاع .

ينهاه عن الاستماع لعذل العواذل إذا واتته المقادير ، وجرت الأمور على ما يشتهي ؛ لأن التأثّر باللوم يقعده عن الإقدام والمضيّ ، وانتهاز الفرص السانحة المواتية لإصابة الأهداف العالية ، وتحقيق الآمال الواسعة .

(١٥) محسّد : اسم مفعول من التحسيـد ، أي الحسد . والنـواجذ : أقصى الأضـراس ، وهي أربعة . وقد تسمى أضراس الحلم ، أو أضراس العقل ، ومفردها ناجذ . والأنامل : رؤوس الأصابع ، واحدتها أنملة . وعضّ الأنامل بالناجذين أو بالنواجذ : كناية عن الغيظ والحسرة ، والحقد والندم .

والمعنى : لا قيمة للرجل إلا بأن يحيا حياة العظمة ونباهة الشأن ، ويقتعد غارب العلياء ، ويتسنّم ذورة المجد ، ويحوز النعم الكثيـرة ؛ وبهذا يكثـر حسّاده ، ويشتـدّ حسدهم لـه ، ويستشعرون الحسرة والكمد ، ويعضّون عليه الأنامل من الغيظ .

(١٦) « لعمـرك » : أحلف ، أو أقسم بحياتـك . والـورى : الخلق ، والنـاس . والفـواضـل : الدرجات الرفيعة في الفضل ، والهبات ، والنعم ، والعطايا ، وأعمال البرّ والخير والإحسان ، الواحدة فاضلة .

والمعنى : أن الأخلاق الكريمة ليست إلا هبات يهبها الله لمن يشاء من عباده ، ويقسمها بينهم بحسب إرادته وحكمته .

(١٧) كادحان : مثنّى كادح ، اسم فاعل من كدح : أي كدّ ، وعمل ، وسعى ، ودأب . والقصد : الرشد ، والهدى ، والصلاح ، واستقامة الطريق .

والمعنى : إنما الناس عـاملان جـاهدان ، أحـدهما عـالم يهتدي بعلمـه ، ويستضيء بعرفانه ، ويتحرّى الرشد ، ويتوخّى الصلاح والقصد . والآخر جاهل يعسف الظلماء ، ويخبط خبط عشواء ، وتتفرّق به السبل ، وتلتوي عليه الأمور ، ويتردّى في المهالك .

(١٨) القرينة : النفس . والقرينة : مؤنث القرين ، وهو المقارن والمصاحب والعشير . وجافل : اسم فاعل من جفل البعير ونحوه ، أي نفر ، وشرد ، وحاد عن الطريق .

عرض صورتي العـالم والجاهـل ؛ ليظهـر ما بينهمـا من مضادة ، وتنـاقض ، وتباين ،

فَـلاَ تَـطْلُبَنْ فِي النَّـاسِ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ مِنَ الْـوُدِّ أُمُّ الْوُدِّ فِي النَّـاسِ هَـابِلُ(١٩)
مِنَ الْعَـارِ أَنْ يَـرْضَى الْفَتَى غَيْـرَ طَبْعِـهِ وَأَنْ يَصْحَبَ الإِنْسَانُ مَنْ لاَ يُشَاكِلُ(٢٠)
بَلَوْتُ ضُـرُوبَ النَّـاسِ طُـرّاً فَلَمْ يَكُنْ سِوَى الْمَرْصِفِيِّ الْحَبْرِ فِي النَّاسِ كَامِلُ(٢١)

واختلاف شديد . فالعالم متصل بـالناس ، ينتفعـون بعلمه ، ويهتـدون بهديـه ، ويسلكون طريقه ، ويتوددون إليه ، ويعقدون بينهم وبينه أوثق الصلات ، وأشرف العلاقات .

والجاهل شقي بجهله ، منقطع عن الناس ، كالبعير يند ، ويشرد ، فلا يلبث أن يضل ، وينفرد ، وتتقطع به الأسباب ، وتلتوي عليه الأمور ، وتستبهم أمامه السبل .

(١٩) هابل : اسم فاعل من هبلته أمه ، أي ثكلته ، وفقدته . و « أمّ الودّ في الناس هابل » : أمّ الودّ ثكلى ، والودّ مهبول ، أي مثكول ، مفقود ، لا وجود له بين الناس .

يئس الشاعر ، وأيأس غيره من مودّات الناس وتراحمهم ، قائلاً : إن محاولاتك في هذا الشأن غير مجدية ، ولو كان ما تحاوله قليلاً ضئيلاً غاية في القلّة والضآلة ؛ لأنك إنما تحاول شيئاً مفقوداً لا وجود له .

والبيت ينمّ على جوّ نفسيّ قاتم قد يحيط بالمرء إذا جفاه أخلاّؤه ، وتنكّر له أودّاؤه . ولعلّ صلته بالذي قبله شيوع الجهل في الناس ، وأن الجاهل الجافل لا يرتجى ودّه ، ولا يطمع في خيره .

وفي هذا البيت وغيره من الأبيات السابقة شبه تمهيد للغرض الأساسيّ من هذه القصيدة ، وهو المديح في الأبيات الثمانية الأخيرة .

(٢٠) المعنـى : أن الذي يصاحب من لا يشاكله راض غير طبعه ، متكلف ما ليس في خليقته ، منقاد لغيره ، مفرّط في عزته وكرامته . وهذا كلّه مما يعاب عليه ، ويعيّر به .

لذلك : اظهر للناس على حقيقتك ، وحافظ على شخصيتك ، وتحلّ بالشجاعة الأدبية ، وكن جريئاً ، واضحاً ، صريحاً ، ولا تصاحب إلا من يماثلك وتماثله .

وفي البيت نهي ضمني عن الملق والـرياء والنفـاق ، والتذلـل المتصنّـع ، والخضـوع الممقوت ، والتفريط في العزة والكرامة .

(٢١) بلاه : اختبره ، وجربه ، وامتحنه . وضروب الناس : أجناسهم ، وأنواعهم ، وأجيالهم . وطراً : جميعاً . أي فلم يوجد في النـاس كلهم رجل كـامل سـوى « المرصفي » الحبـر . والحبر : العالم أو الصالح .

يقول : إنه اختبر الناس ، وجرّبهم على اختلاف أجناسهم وأجيالهم ، فلم يجـد فيهم رجلاً جمع المناقب ، وحميد الأعمال ، وشرف الخلال والخصال سوى « المرصفيّ » العالم الصالح .

هُـمَـامٌ أَرَانِي الـدَّهْـرَ فِي طَيِّ بُـرْدِهِ ... وَفَقَّهَـنِي حَـتَّى اتَّـقَتْنِي الأَمَـاثِـلُ(٢٢)

أَخٌ حِيـنَ لاَ يَـبْـقَـى أَخٌ وَمُـجَـامِـلٌ ... إِذَا قَـلَّ عِنْـدَ النَّائِبَـاتِ الْمُجَـامِـلُ(٢٣)

بَعِيـدُ مَجَـالِ الْفِكْـرِ لَـوْ خَـالَ خِيْلَةً ... أَرَاكَ بِـظَهْرِ الْغَيْبِ مَـا الدَّهْـرُ فَاعِـلُ(٢٤)

طَـرَحْتُ بَنِي الأَيَّـامِ لَمَّـا عَـرَفْتُـهُ ... وَمَـا النَّاسُ عِنْـدَ الْبَحْثِ إِلاَّ مَخَايِـلُ(٢٥)

---

(٢٢) همام : عظيم الهمّة ، قوّي العزم ، سيّد ، شجاع ، سخيّ . والبرد : ثوب مخطّط ، أو هو كساء مخطّط يلتحف به ، الواحدة بردة . وفي طيّ برده : فيما انطوت عليه ثيابه ، كناية عن شخصه . وأراني الدهر في طيّ برده : أراني حُنْكة الدهر ، وتجاربه ، وخبراته . أو أراني في شخصه الهمّة العالية ، والإرادة القويّة ، وغاية الفضل ، أو غاية ما كنت آمله وأرتجيه . واتّقاه : توقّاه ، وحذره ، وخشيه ، وخافه . وأماثل القوم : خيارهم ، وأفاضلهم ، وشرفاؤهم . واتّقتْه الأماثل : تهيّبوه ، وأجلّوه ، وأكبروه ، وعظّموه لفقهه ، وعلمه ، وفطنته ، وعظيم مزاياه .

مدح صديقه وأستاذه الشيخ حسيناً المرصفيّ بعظم الهمّة ، وقوّة الإرادة ، وواسع الخبرة ، والكرم والسيادة . وأحسن الثناء على ما استفاده من فقه الممدوح وعلمه ، وفهمه ، ومعارفه وتجاربه . وقد بلغ الشاعر من هذا كلّه درجة رفيعة ، ومرتبة عالية ، حتى تهيّبه وعظّمه خيار الناس وأفاضلهم .

(٢٣) جامله مجاملة : أحسن عشرته ، وعامله بالجميل والمعروف . ومجامل : اسم فاعل من المجاملة . والنائبات : النوازل ، والشدائد والخطوب ، والمصائب ، الواحدة نائبة .

(٢٤) مجال : مصدر ميميّ من جال في المكان ، أي طاف ، ودار . والظهر : ما غاب عنك ، وهو معنى « الغيب » . وإضافة « ظهر » إلى « الغيب » من إضافة الشيء إلى مرادفه للتأكيد ، كنسيم الصبا ، وحقّ اليقين ، وجنّة الفردوس .

والمعنى : يفكّر الممدوح تفكيراً عميقاً ، واسع الأُفق ، بعيد الغاية . وإذا ظنّ ظنّاً ، أراك بهذا الظنّ ما يكون في مستقبل الزمان ، وأطلعك على الغيب الذي لا يستطيع إدراكه إلا ذو الفكر الثاقب .

(٢٥) طرحه : رماه ، وألقاه . وبنو الأيام : الناس . والمخايل : جمع مخيلة وهي الظنّ ، أو المظنّة : أي المكان الذي يظنّ وجود الشيء فيه .

ومعنى الشطر الثاني أنك ـ مع طول البحث والتفتيش ، والاجتهاد ، والتدقيق في تَعَرُّف طبائع الناس ، وأخلاقهم ، وسرائرهم ، وما انطوت عليه نفوسهم ـ لا تستطيع عرفانهم إلاّ في نطاق الظنّ والحدس والتخمين ؛ فإنهم مظانّ لأمور وأحوال كثيرة خفيّة متباينة متناقضة .

عرف الشاعر ممدوحه معرفة صحيحة صادقة ؛ فآثره بودّه ، وأفرده بصحبته ، واستغنى بفضله عن غيره من الناس .



فَلَوْ سَامَنِي مَا يُورِدُ النَّفْسَ حَتْفَهَا لأَوْرَدْتُهَا وَالْحُبُّ لِلنَّفْسِ قَاتِلُ(٢٦)

فَلاَ بَرِحَتْ مِنِّي إِلَيْهِ تَحِيَّةٌ تَنَاقَلُهَا عَنِّي الضُّحَى وَالأَصَائِلُ(٢٧)

وَلاَ زَالَ غَضَّ الْعُمْرِ مُمْتَنِعَ الذُّرَا مَرِيعَ الْفِنَا تُطْوَى إِلَيْهِ الْمَرَاحِلُ(٢٨)

وَقَالَ فِي الْفَخْرِ :

عَصَيْتُ نَذِيرَ الْحِلْمِ فِي طَاعَةِ الْجَهْلِ وَأَغْضَبْتُ فِي مَرْضَاةِ حُبِّ الْمَهَا عَقْلِي(١)

---

(٢٦) سامه كذا : جشّمه إيّاه ، وطلبه منه . والحتف : الردى ، والهلاك ، والموت . ويورد النفس حتفها : يسوقها إلى الهلاك . والأصل : « أوردتُ الإبل وغيرها الماء » : أي أوصلتُها إليه ، وبلّغْتُهَا مورده . ومن المجاز : « أورده المهالك » : أي دفعه إليها ، وأوقعه فيها .
أخلص الشاعر لممدوحه المحبّة والمودّة ، واشتدّ إقباله عليه ، وتعلّقه به ، وانطياعه له ، حتى بلغ الغاية في هذا كلّه ؛ فلو كلّفه الممدوح أمراً يورده موارد التهلكة لأقدم عليه بلا تردّد أو توان ، ولو كان فيه حتفه وهلاكه .

(٢٧) التناقل : التنازع ، والتجاذب ، والتنافس في نقل تحية الشاعر إلى ممدوحه . والأصائل : جمع الأصيل ، وهو الوقت حين تصفرّ الشمس قبيل غروبها . أو هو الوقت بين العصر والمغرب . أو هو العشي . ويراد بالضحى والأصائل هنا : كلّ أوقات النهار والليل .

(٢٨) غضّ : ناضر ، ناعم . والعمر : الحياة ، والمعيشة . وغضاضة العمر : نضارة الحياة ، ورقّتها ، ونعومتها ، وصفاؤها ، وإشراقها . وممتنع : منيع حصين . والذرا (بضم الذال) : جمع ذُرْوَة ، وهي من كلّ شيء أعلاه . أو هو الذرا (بفتح الذال) : لكلّ ما استترتَ به ، وأويتَ إليه ، تقول : أنا في ذرا فلان : أي في كنفه ، وسِتْره ، وحِماه . ومريع : مُمْرِع ، خصيب ، كثير الكلأ والمرعى . والفناء ممدود (وقصر هنا لضرورة وزن الشعر) : كناية عن العزّة والمنعة . ومَرَع الفناء : كناية عن رفاهة العيش ، وبسطة الرزق . والمراحل : جمع مرحلة (بوزن مرتبة ومراتب) وهي المسافة التي يقطعها المسافر على الإبل في نحو يوم . والطيّ (في الأصل) : ضدّ النشر . ومن المجاز : « طوينا إليه المراحل » : أي سلكناها ، وقطعناها مرحلة بعد مرحلة . وتُطْوى إلى الممدوح المراحل : أي يُسافر إليه من الجهات النائية ، والأقطار البعيدة . وهذا إنما يكون للعظيم الكريم ، النابه الشأن ، الرفيع القدر ، الذاهب صيته في الناس ؛ فهم يقصدونه من أقاصي البلاد معتفين ، طالبين علمه ، وأدبه ، وفضله ، ومعروفه .

(١) النذير : الإنذار ، وهو الإعلام مع التخويف ، والتحذير والتنبيه على سوء العاقبة . والحلم : العقل ، والوقار ، والأناة . والمها : البقر الوحشيّ ، وتشبّه به حسان النساء في جمال

وَنَـازَعْتُ أَرْسَـانَ الْبَـطَالَـةِ وَالـصِّبَـا	إلَى غَـايَـةٍ لَمْ يَـأْتِهَـا أَحَـدٌ قَبْلِي (٢)
فَخُـذْ فِي حَـدِيثٍ غَيْـرَ لَـوْمِي فـإنَّنِي	بِحُبِّ الْغَوَانِي عَنْ مَلَامِكَ فِي شُغْلِ (٣)
إذَا كَـانَ سَمْـعُ الْمَـرْءِ عُـرْضَـةَ أَلْسُنٍ	فَمَـا هُـوَ إلَّا لِلْخَـدِيعَـةِ وَالْخَتْـلِ (٤)

العيون ، وحسن اتّساعها . الواحدة مهاة .

والمعنى : أنه خلع عذاره ؛ فانقاد لجهل الصبا ، وأطاع لهو الشباب ، ولم يَأْبَهْ بحلمه حينما أنذره ، وحذّره ، وبصّره بوخامة العُقْبَى ، وسوء المصير . ومن الانهماك في الغيّ أنه أحبَّ الحسان ، وأرضى هواه بمغازلتهنّ ، والصبوة إليهنّ مغضباً عقله حينما دعاه إلى الرشد ، وحضّه على السلوان ، فخالفه وعصاه .

(٢) نازعت البطالة والصبا أرسانهما : المراد أنه انقاد لدواعيهما ، وانطلق في مجالهما انطلاقاً بعيد المدى ، لا يحدّه وازع ، أو مانع . والأرسان : جمع رسن (بوزن سبب وأسباب) وهو حبل يشدّ على أنف البعير ونحوه ، ليقاد به . والصبا (بكسر الصاد) : جهلة الفتوّة ، أي لهو الفتيان ، وعبثهم .

جعل الشاعر البطالة والصبا أفراساً أو نحوها ، امتطاها ، وجاذبها مقاودها ، أي حملها على الجري والإسراع إلى غاية بعيدة ، لم يصل إليها أحد قبله .

والمراد : أنه ركب الهوى ، وانقاد لدواعيه انقياداً بعيد المدى ، حتى بزّ الخلعاء المتبطّلين ، وسبق اللاهين المتهتكين .

(٣) أخذ في كذا ، وأخذ يفعل كذا : شرع فيه ، وبدأ . والغواني : جمع غانية ، وهي المرأة الغنيّة بحسنها وجمالها عن الحلي والزينة .

والمعنى : في استطاعتك أن تخوض معي فيما شئت من الأخبار والأقوال والأحاديث إلّا حديث لومي وعذلي ، ومحاولة صرفي عن الهوى والغرام ؛ فإنها محاولة مخفقة غير منتجة ، وحديث لا جدوى فيه ، ولا فائدة منه ، ولن يجد مني سمعاً صاغياً ، ولا قلباً واعياً ؛ فقد شُغِل عن سماع الملامة بحبّ الحسان الغانيات .

(٤) جعل سمعه عرضة للألسن : استمع لعذل العاذلين ، وتأثّر بلوم اللائمين . والألسن : جمع لسان ؛ ويراد به هنا : الكلام والقول ، أي قول العاذلين وكلامهم . و « هو » : أي المرء ، أو سمعه .

أي أن الإنسان يقع بسهولة في حبائل المخادعين إذا هو استمع لكلّ قول يلقى إليه .

يريد : إذا استمع العاشق لعذل العاذلين ، فإنما يستمع للخديعة والختل ، والمكر والدهاء ، والتضليل والإفساد .



رُوَيْــدَكَ لَا تَعْجَــلْ بِلَوْمٍ عَلَى امْــرِىءٍ أَصَابَ هَوَى نَفْسٍ فَفِي الدَّهْرِ مَا يُسْلِي (٥)

فَلَيْسَتْ بِعَـارٍ صَبْـوَةُ الْمَـرْءِ ذِي الْحِجَـا إِذَا سَلِمَتْ أَخْـلَاقُـهُ مِنْ أَذَى الْخَبْـلِ (٦)

وَإِنِّــي وَإِنْ كُنْــتُ ابْـنَ كَــأْسٍ وَلَــذَّةٍ لَــذُو تُـدْرَأٍ يَــوْمَ الْكَـرِيهَــةِ وَالأَزْلِ (٧)

وَقُــورٌ وَأَحْــلَامُ الــرِّجَــالِ خَـفِـيـفَــةٌ صَبُـورٌ وَنَـارُ الْحَـرْبِ مِـرْجَلُهَـا يَغْلِي (٨)

---

(٥) رويدك : تمهل . و « لا تعجل » : تأكيد لمعنى « رويدك » . وأسلاه يسليه : حمله على السلوان . يقال : سلا العاشق معشوقته ، وسلا عنها : إذا نسيها ، وطابت نفسه بعد فراقها .

يقول لعاذله : لقد وجدت من تهواها نفسي ، فعشقتها ، وتعلّقت بها ، فلا تعجل بعذلي ؛ فإن في صروف الدهر ، ما قد يصرف العاشق عن معشوقته ، ويحمله على السلوان والنسيان ؛ فيلتقي مع عاذليه على ما يشتهون ويحبّون .

(٦) الصبوة : الحنين إلى المحبوب . والحجا : العقل ، والفطنة . والخبل : الفساد ، خبله الحب وغيره .

والمعنى : إنما يعاب المرء ويعيَّر بفساد أخلاقه ، وانحراف سلوكه ، ونقصان عقله ، فإذا سلمت أخلاقه وسلوكه وعقله من العيب والضرر والفساد ، كان جديراً بالتقدير والاحترام ، ولو وقع في شرك الهوى والغرام .

(٧) « وإن كنت ابن كأس ولذة » : الشاعر هنا يفخر بأنه ذو تدرأٍ وإن كان ابن كأس ولذة : أي مع كونه ابن كأس ولذة ؛ فإن المرء إذا لازم الكأس واللذة فقد يتهم بالركون إلى الدعة ، والإحجام في مواطن الإقدام ، والتفريط في مقتضيات العزة والكرامة ؛ والشاعر ينفي هذا الاتهام ، ويقرر نقيضه . وابن الكأس : مدمن الخمر . والتدرأ : الحفاظ ، والمنعة ، والقوة . وذو تدرأٍ: مدافع ، ذو عزّة ومَنَعَة . والكريهة : الشدة في الحرب ، وجمعها كرائه . والأزل : الضيق ، والشدة ، والأزمة ، أو شدة الزمان .

افتتح الشاعر هذه القصيدة بسبعة أبيات في حديث الحب والهوى ، والإغراق في الكأس واللذة . وفي هذا البيت والأبيات التالية ينتقل من حديث اللهو والمجانة إلى حديث الجد والصرامة ، مفتخراً بكثير من محامده ومناقبه ، وقد يجنح في أثناء فخره للنصح والإرشاد ، أو للحكمة والمثل .

(٨) الأحلام : جمع حلم ، وهو العقل ، والوقار ، والأناة ، والصبر . وخفّة أحلام الرجال : كناية عن الذعر ، والفزع ، والخوف الشديد . والمرجل : القدر . وغليان مرجل الحرب : كناية عن شدتها ، وتأجّج نيرانها .

يفتخر بأنه إذا خفت أحلام الرجال ، وتملكهم الذعر والفزع في النوازل والأهوال بقي له وقاره وثباته ، ورزانته ، وحلمه ، وعقله .

إِذَا رَاعَتِ الظَّلْمَاءُ غَيْرِي فَإِنَّمَا ... هِلَالُ الدُّجَى قَوْسِي وَأَنْجُمُهُ نَبْلِي (٩)

أَنَا ابْنُ الْوَغَى وَالْخَيْلِ وَاللَّيْلِ وَالظُّبَا ... وَسُمْرِ الْقَنَا وَالرَّأْيِ وَالْعَقْدِ وَالْحَلِّ (١٠)

فَقُلْ لِلَّذِي ظَنَّ الْمَعَالِي قَرِيبَةً ... رُوَيْدَاً فَلَيْسَ الْجِدُّ يُدْرَكُ بِالْهَزْلِ (١١)

فَمَا تَصْدُقُ الآمَالُ إِلَّا لِفَاتِكٍ ... إِذَا هَمَّ لَمْ تَعْطِفْهُ قَارِعَةُ الْعَذْلِ (١٢)

---

(٩) راعه : أفزعه ، وأخافه ، فارتاع . وفي الشطر الثاني تشبيهان مقلوبان : « هلال الدجى قوسي ، وأنجمه نَبْلي » : فقوسه كهلال الدجى ، ونبله كنجوم الليل ، أو كالنجوم التي تبدو في السماء كأنها قريبة من الهلال ؛ وكلاهما يبدّد الدجى ، ويمزّق الظلمات .

يعتز بعدته وسلاحه ، ويفخر بشجاعته وإقدامه على الأهوال والأخطار إذا أحجم غيره ، وتملّكه الفزع .

(١٠) ابن الوغى : الشجاع المقدام ، المتمرس بالقتال . وابن الخيل : الفارس الماهر . وابن الليل : راكب الأهوال والمخاوف ، الذي لا يتهيّب الأخطار ، ولا يباليها . والظُّبَا : جمع ظبة ، وهي حد السيف ، أو حد السنان . وابن الظبا والقنا : كناية عن خبرته بالأسلحة وأدوات الحرب والقتال ، وتمرسه بها . وابن الرأي : الفائق في صحة التفكير ، وإحكام التدبير ، وقوة الإدراك .

جمع الشاعر في هذا البيت ثمانياً من مناقبه ومفاخره في الحرب والسلم ، فهو فارس محارب ، شديد البأس ، صلب المراس ، يقتحم الظلماء ، ويصول في الهيجاء معتمداً على عدته وسلاحه ، لا يبالي المخاطر والمخاوف ، ولا يكترث للأهوال والشدائد .

وهو إلى هذا كلّه سيّد مطاع في قومه ، راجح العقل ، سديد الرأي ، صائب التدبير ، قوي الإرادة ، واسع الحيلة ، يتصرف في الأمور العامة بحذق وبصيرة ، ويسوس الناس بلباقة وكياسة ؛ ولهذا يرجعون في مشكلاتهم إليه ، ويعتمدون في المهمّات عليه .

(١١) المعالي : جمع المعلاة ، وهي الرفعة والشرف . ورويداً : مهلاً . والمعنى : أن المعالي من الجد الذي لا يعقل أن ينال بالهزل ؛ فالضدان لا يلتقيان .

في هذا البيت نصح وأرشد ؛ فقال للذي ظن المعالي دانية قريبة ، هينة يسيرة ؛ فتمناها بأيسر الوسائل ، وأهون الأسباب : تمهَّلْ ، واتَّئِدْ ، فلن تدرك العلياء إلا بالجد والصرامة ، والدأب والاجتهاد .

(١٢) همّ بالشيء : أراده ، وقصده ، وعزم على القيام به . ولم تعطفه : لم تثنه ، ولم تصرفه . وقارعة العذل : ما يقرع سمعه من اللوم . والقارعة أيضاً : القارصة . وقوارع اللسان : قوارص الكلم . والعذل : مصدر عذله ، أي لامه .

يقول : إن الأماني لا تتحقّق إلا للرجل الماضي الجريء الشجاع ، الذي يهم بالأمر ، فيُقْدم عليه ، ويمضي فيه ؛ لا يصرفه عنه لوم اللائمين ، وعذل العاذلين .



لَـهُ بِـالْفَـلاَ شُغْـلٌ عَنِ الْمُـدْنِ وَالْقُـرَى وَفِي رَائِدَاتِ الْخَيْلِ شُغْلٌ عَنِ الأَهْلِ (١٣)

إِذَا ارْتَـابَ أَمْـراً أَلْـهَبَتْـهُ حَـفِيـظَةٌ تُمِيتُ الرِّضَا بِالسُّخْطِ وَالحِلْمَ بِالْجَهْلِ (١٤)

فَـلاَ تَعْتَـرِفْ بِـالـذُّلِّ خَـوْفَ مَنِيَّـةٍ فَـإِنَّ احْتِمَـالَ الـذُّلِّ شَـرٌّ مِنَ الْقَتْـلِ (١٥)

وَلاَ تَـلْتَمِسْ نَـيْـلَ الْمُنَى مِنْ خَلِيقَـةٍ فَتَجْنِي ثِمَارَ الْيَأْسِ مِنْ شَجَرِ الْبُخْلِ (١٦)

---

(١٣) الفلا : الفلوات ، الواحدة فلاة (بوزن قناة) ، وهي القفر ، والمفازة لا ماء فيها ، والصحراء الواسعة . ورائدات : جمع رائدة ، من راد الشيء ، أي ذهب ، وجاء . ويريد بالفلوات ، ورائدات الخيل : حياة المخاطرة والمغامرة ، والتنقل في طلب المعالي . ويريد بالمدائن والقرى ، والأهل والعشيرة : حياة الإقامة والدعة ، وعيش النعيم والرفاهية .

والمعنى : إنما تتحقّق الأماني ، وتصدق الآمال لفاتك همام ، وفارس مقدام ، مشغول عن أهله وعشيرته ، ونضارة العيش وراحته بجوب الفلوات ، وقطع المفازات ، وركوب الأخطار ، لبلوغ الأوطار .

(١٤) ارتاب فيه ، وارتاب منه ارتياباً : وجد فيه ما يريبه ، أي ما يوقعه في الريبة ، وهي الظِّنَّة ، وقلق النفس ، وانزعاجها ، واضطرابها . وارتاب به : اتَّهَمَه . وألهبته : هيَّجته ، وحمَّسته ، مستعار من ألهبت النار إلهاباً : أي أوقدتها . والحفيظة : الحمية ، والغضب في الشيء الذي ينبغي أن يحفظ ويصان ، وهي حماية المحارم ، وصيانتها ، والدفاع عنها . والحلم : الصبر والأناة . ومعنى الشطر الثاني : أن الحفيظة تثير في نفس الفاتك السخط والجهل فيتغلّبان على الرضا والحلم ؛ فلا يبقى لهما أثر أو حياة .

يقول : إذا راب ذلك الفاتك أمر ، ورأى فيه ما يكرهه ، اشتدّت لدفعه حماسته ، وقويت لمنعه حميته ، وعاجله بالسخط والغضب ، والجهل والبطش ؛ وهو في هذه الحالة لا يرضى ، ولا يهدأ ، ولا يعرف سبيل الحلم أو الهوادة أو الأناة .

(١٥) اعترفت بالشيء : أقررت به على نفسي ؛ ومنه الاعتراف بالذنب . واعترفت للشيء : انقدت له ، وصبرتُ عليه . وتأويل العبارة مع « الباء » : لا تصبر متلبساً بالذل مخافة الموت ؛ أو لا تعترف بأنك ذليل ، بل أنكر الذل ، وكافحه ، ولا تقم عليه . والمنية : الموت .

والمعنى : أن الحياة الطيبة العزيزة الكريمة لا تكون إلا مع الحرية ، والعزة ، والكرامة ؛ فادفع عن نفسك المذلة والهوان ، ولو قتلت في سبيل ذلك ؛ فإن الموت في هذا السبيل شرف وخلود .

(١٦) لا تلتمس : لا تطلب . والمنى : الأمانيّ ، والآمال ، واحدتها منية . وثمار اليأس : اليأس الشبيه بالثمار ، جمع ثمرة . وشجر البخل : البخل الشبيه بالشجر .

والمعنى : أن البخل غالب في الناس ، مسيطر عليهم ؛ فإذا أملتهم ، ورجوت خيرهم انقطع أملك ، وخاب فيهم رجاؤك .



فَمَـا النَّـاسُ إِلَّا حَـاسِـدٌ ذُو مَكِيـدَةٍ وَآخَـرُ مَحْنِيُّ الضُّلُوعِ عَلَى دَخْـلِ (١٧)

تِبَـاعُ هَـوًى يَمْشُـونَ فِيـهِ كَمَـا مَشَى وَسُمَّـاعُ لَغْـوٍ يَكْتُبُـونَ كَمَـا يُمْلِي (١٨)

وَمَـا أَنَـا وَالأَيَّـامُ شَتَّـى صُـرُوفُهَـا بِمُهْتَضِمٍ جَـارِي وَلَا خَـاذِلٍ خِلِّي (١٩)

أَسِيـرُ عَلَى نَـهْجِ الْـوَفَـاءِ سَجِيَّـةً وَكُلُّ امْرِىءٍ فِي النَّاسِ يَجْرِي عَلَى الأَصْلِ (٢٠)

تَـرَكْتُ ضَغِينَـاتِ النُّفُوسِ لِأَهْلِهَـا وَأَكْبَـرْتُ نَفْسِي أَنْ أَبِيتَ عَلَى ذَحْلِ (٢١)

---

(١٧) الدخل : فساد الطويّة ، والعيب ، والمكر ، والخديعة .
حصر الناس ، وقصرهم على فريقين : حاسد كائد ، وفاسد الطويّة معيب ، وبهذا وصمهم بالتحاسد ، والتباغض ، والتخادع ، والخبث ، والمكر السيِّىء وكلّ ما تحتويه كلمات الحسد ، والكيد ، والدخل من النقائص ، والمساوىء ، والمعايب ؛ فغالى في السخط عليهم ، والتنديد بهم .

(١٨) تباع : أي الناس تباع هوى ، جمع تبيع (بوزن سريع) ، وهو التابع الذي يتبع غيره ، وينقاد له . والهوى : مصدر هوى الشيء ، أي مال إليه ، وأكثر ما يستعمل في الميل المذموم ، وهو المراد هنا ، أي ميل النفس إلى الشهوات التي يستنكرها العقل والدين . ويمشون فيه : يمشون في الهوى ، أي في مسالكه وطرقه . وسمّاع : جمع سامع . واللغو : الباطل ، والسقط ، وما لا خير فيه من الكلام . وأملى عليه الكتاب إملاء : قال له ، فكتبه عنه ؛ فهم لا يكتفون بسماعه ، بل يحرصون على كتابته ، وتقييده ، وحفظه ، وتدوينه .

(١٩) شتى : جمع شتيت (بوزن مريض ومرضى) ، وهو الشيء المشتّت ، المفرّق . وصرف الدهر : حَدَثانه ، ونوائبه ، وجمعه صروف . ومهتضم : اسم فاعل من « اهتضمه » ، أي ظلمه ، وغصبه . وخاذل : اسم فاعل من خذله ، أي أسلمه ، وخيّبه ، وتخلّى عنه . والخِل : الصديق ، الودود ، ومثله الخليل .
يتمدّح بوفائه لجيرانه ، وبرّه بهم ، ونُصرته لخلانه ، ومواساته لهم ، إذا ساءت الأيام ، واختلفتْ صروف الزمان ، وتوالت نوائب الحدثان .

(٢٠) النهج : الطريق المستقيم الواضح . والسجية : الطبيعة ، والخلق ، وجمعها سجايا . وأصل الشيء : أساسه الذي يقوم عليه .
يفتخر في الشطر الأول بأن الوفاء من أخلاقه وسجاياه ، يجري فيه على طبيعته وفطرته ، بلا تكلّف أو تصنّع . والشطر الثاني معناه : أن المرء يجري في سيرته ، وأعماله ، وسلوكه ، وتصرفاته على ما ورثه ، واعتاده ، وفُطر عليه ، وتأصّل فيه من الأخلاق ، والطبائع ، والسجايا .

(٢١) الضغينات ، والضغائن : جمع الضغينة ، وهي الحقد . ولأهلها : لأهل الضغينات ، أي

كَــذٰلِــكَ دَأْبِي مُنْــذُ أَبْصَــرْتُ حُجَّتِي وَلِيـداً وَحُبُّ الْخَيْرِ مِنْ سِمَـةِ النُّبْـلِ (٢٢)

وَرُبَّ صَــدِيقٍ كَشَّـفَ الْخُبْــرُ نَفْسَــهُ فَعَايَنْتُ مِنْهُ الْجَوْرَ فِي صُورَةِ الْعَدْلِ (٢٣)

وَهَبْتُ لَــهُ مَــا قَــدْ جَنَى مِنْ إِسَــاءَةٍ وَلَوْشِئْتُ كَانَ السَّيْفُ أَدْنى إِلَى الْفَصْلِ (٢٤)

وَمُسْتَخْبِــرٍ عَــنِّي وَمَــا كَــانَ جَــاهِــلاً بِشَأْنِي وَلٰكِنْ عَادَةُ الْبُغْضِ لِلْفَضْـلِ (٢٥)

أَتَـى سَــادِراً حَتَّـى إِذَا قَــرَّ أَوْجَسَــتْ سُــوَيْـدَاؤُهُ شَـرّاً فَــأَغْضَى عَلَى ذُلِّ (٢٦)

للحاقدين . وأكبرت نفسي عن كذا : ترفّعتُ بها عنه . والذَّحْل : العداوة ، والحقد . وبات على الذحل ، أضمره .

والمعنى : أنه ترك الحاقدين عليه يشقون بحقدهم ، وعظّم نفسه ، وتعالى بها عن هذا الخلق الوضيع ، فلم يجارهم فيه ، ولم يؤاخذهم به .

(٢٢) دأبي : عـادتي ، وشأني . والحجـة : الدليـل ، والبرهـان . وأبصرت حجّتي : رأيتهـا ، وعرفتها ، وهذا كناية عن الرشد ، والتمييز ، والإدراك ، ونضـج العقل والفكـر . ووليداً : صبياً ، أو غلاماً . والسمة : الأمارة ، والعلامة . والنبل : الفضل ، والشرف .

يقول : إنه اعتاد منذ صغره الفضائل . وفي البيت فخر بأنه بلغ الرشد وهو وليد ، وامتاز بنضج العقل ، وصحة التفكير ، وإقامة الحجّة مذ كان غلاماً ناشئاً . « وحبّ الخير من سمة النبل » : تذييل جار مجرى المثل .

(٢٣) كشّف الشيء تكشيفاً : مبالغة في كشفه ، أي أظهره . والخبر (بتثليث الخاء) : الاختبار ، والتجربة . وعاينت : رأيت وأبصرت . والجور : الظلم .

يقول : وكم صديق كَشَفْتُ بالاختبار والتجربة حقيقته ، وما انطوتْ عليه نفسه ، فرأيته يجور عليَّ ، ويظلمني كاسياً ظلمه ثوب العدل .

(٢٤) وهبتُ له الشيء : أعطيته إياه بلا عوض . ووهبتُ له إساءته : عفوتُ عنه ، ولم أعاقبه بها . وجنى جناية : ارتكب ذنباً . و « كان السيف أدنى إلى الفصل » : يشعر أن إساءة صاحبه إليه كانت مثيرة جداً ، وأنه حينما كظم غيظه ، إنما تجاوز عن ذنب فظيع ، يكاد يحمـل على الانتقام بالإعدام .

(٢٥) ومستخبر : وربّ مستخبر ، اسم فاعل من استخبرته ، أي سألته عن الخبر .

والمعنى : وربّ حاسد حاقد مغيظ ، يستخبر عني وهو يعرفني ، ويؤمن بفضائلي ؛ وإنما كان استخباره من تجاهل العارف ، الذي لم يقصد به غير محاولة الحطّ من قدري ، والتغافل عنّي ، ولا غرو ؛ فإن هذه عادة ذوي النقص الذين يمقتون من يفوقهم بفضله ، ولا يعترفون بشيء من مزاياه ؛ وإنما يعرف الفضل من الناس ذووه .

(٢٦) سادراً : غير مهتمّ ، ولا مبال ما صنع . ورجل سادر في الغي : تائه في الضلال . وقرّ :

وَمَنْ حَـدَّثَتْـهُ النَّفْسُ بِـالْغَيِّ بَعْـدَ مَـا ... تَنَـاهَى إِلَيْهِ الـرُّشْدُ سَـارَ عَلَى بُـطْلِ (٢٧)

وَإِنِّي لأَسْتَحْيِي مِـنَ الْمَجْـدِ أَنْ أُرَى ... صَـرِيعَ مَـرَامٍ لاَ يَفُـوزُ بِهَـا خَصْلِي (٢٨)

أَقُـولُ وَأَتْلُو الْقَـوْلَ بِـالْفِعْـلِ كُـلَّمَـا ... أَرَدْتُ وَبِئْسَ الْقَـوْلُ كَـانَ بِـلا فِعْـلِ (٢٩)

استقرّ ، وسكن . وأوجست : أحسّت ؛ وقد يحمل الإيجاس معنى التخوّف . وسويداء القلب : حبته ؛ ويراد بالسويداء هنا : القلب . وأغضى على الأمر : سكت عليه ، وصبر . والذل : الضعف والهوان .

والمعنى : أن هذا الذي استخبر عني ، حاسداً لي ، حاقداً عليَّ ، مغيظاً مني ، متجاهلاً فضلي ، جاء متكبراً ، سادراً في غيه ، تائهاً في ضلاله ، لا يهتم ، ولا يبالي ما صنع ، حتى إذا سكن ، واستقرّ ، وعاد إليه شيء من رشده ، وانتباهه ، وصوابه أحسّ أنه ارتكب ذنباً ، واقترف جرماً ؛ فاستشعر قلبه الفزع والخوف ، وتوجّس الشر ، وسوء الجزاء ؛ فسكت سكوت الذليل المهين ، وأغضى إغضاء الضعيف الحقير .

(٢٧) حدثتْه نفسه بالغي : زيَّنتْه له ، ودعتْه إليه ، وأوقعتْه فيه . والغيّ : مصدر غوى (كرمى) ، أي أمعن في الجهل والضلال ، ومثله الغواية ، وضده الرشد . وتناهى إليه : بلغه ، ووصل إليه . والبُطْل : الباطل ، والضياع ، ومثله البطلان ، ونقيضه الحق .

والمعنى : أن الذي يجنح للغيّ ، ويؤثر الضلال ، بعد أن يرى الرشد ، ويذوق حلاوته ، ويستبين مسالك الاستقامة والصلاح ، إنما يستبدل الشر بالخير ، ويشتري الضلالة بالهدى ، ويخبط في ظلمات الفساد والبطلان ، ويختار لنفسه الضياع والخسران .

(٢٨) الاستحياء : الاحتشام ، والخجل . وصريع : مصروع طريح ، من صرعه ، أي طرحه ، وألقاه على الأرض . والمرامي : الأهداف ، والغايات ، جمع المرمى ، وهو الهدف . والخَصْل : السعي . وهو في الأصل مصدر خصل الهدف : أي أصابه . ومن كلامهم : أحرز فلان خصله ، أو أصاب خصله : إذا فاز وغلب .

يفخر بأنه عزيز ، شريف ، طموح ، ولهذا يخجل من أن يراه الناس مخفقاً في شيء من هذا ، أو صريعاً دون أغراض لم تظفر بها همته ؛ فكلها مقرونة بالفوز ، ومجده يحفزه ـ على الدوام ـ إلى الظفر بما يتناضل فيه أمثاله من المقاصد البعيدة النبيلة .

(٢٩) تلاه يتلوه : تبعه يتبعه . وأتلو القول بالفعل : أجعل فعلي تالياً لقولي ؛ فهو يتبعه ، ويصدّقه . « وبئس القول كان بلا فعل » معناه : أن القول الذي لا يصدّقه الفعل ، ولا يقترن بالعمل ، كاذب ، فاسد ، لا قيمة له .

يفخر بأن إرادته قوية صارمة ، وأنه إذا قال قولاً قرنه بالفعل الذي يصدّقه ؛ فأقواله على الدوام صادقة ، متبوعة بالأعمال التي تشرّفه .



أَرَى السَّهْـلَ مَقْرُونـاً بِصَعْبٍ وَلاَ أَرَى ... بِغَيْرِ اقْتِحَامِ الصَّعْبِ مُـدَّرَكَ السَّهْلِ (٣٠)

وَيَـوْمٍ كَـأَنَّ الـنَّقْـعَ فِيـهِ غَـمَـامَـةٌ ... لَهَـا أَثَرٌ مِنْ سَائِلِ الـطَّعْنِ كَالْـوَبْلِ (٣١)

تَقَحَّمْتُـهُ فَـرْداً سِـوَى النَّصْـلِ وَحْـدَهُ ... وَحَسْبُ الْفَتَى أَنْ يَطْلُبَ النَّصْرَ بِالنَّصْلِ (٣٢)

لَـوَيْتُ بِـهِ كَفِّي وَأَطْلَقْتُ سَـاعِـدِي ... وَقُلْتُ لِدَهْرِي وَيْكَ فَامْضِ عَلَى رِسْلِ (٣٣)

فَـمَـا يَبْـعَثُ الْـغَـارَاتِ إِلاَّ مُـهَـنَّـدِي ... وَلا يَـرْكَبُ الأَخْـطَارَ إِلاَّ فَتىً مِثْلِي (٣٤)

وَقَالَ يَذْكُرُ مُقَامَهُ فِي « سِيلانَ »(*) وَيَتَشَوَّقُ إِلَى الأَهْلِ وَالأَوْطَانِ :

---

(٣٠) أرى (هنا) : بمعنى أعلم ، وأعتقد . ومقرون : مقترن ، متصل . واقتحام الصعب : تخطّيه ، وتجاوزه ، والمراد معاناته . ومدَّرَك : إدراك ، وبلوغ ، مصدر ميمي لأدركت الشيء إدراكاً ، أي لحقته ، وبلغتُه ، ووصلت إليه .

يقول : إن أيسار الأمور مقرونة بصعابها ، وإن الهين السهل منها لا ندركه إلا إذا تخطّينا إليه العسير الصعب .

(٣١) النقع : الغبار . وفيه : في ذلك اليوم الذي يصف شدّة القتال فيه . وغمامة : سحابَة . وأثر الغمام : المطر . ويراد بسائل الطعن هنا : الدماء الغزيرة الجارية ، التي تسيلها طعنات الرماح ، وضربات السيوف . والوبل : المطر الغزير ، الشديد .

(٣٢) تقحّمته : أي دخلت فيه ، وخضت غماره بجرأة وإقدام وشجاعة . وفرداً : وحيداً . والنصل : حديدة محددة قاطعة جارحة ، تكون للرمح ، والسهم ، والسيف .

(٣٣) لويت به كفي : لويت بالنصل كفي . وبه : عليه . ودهر المرء : مدة حياته . و«وي»: كلمة تعجب ؛ وقد تأتي للزجر والسيطرة والتهديد ، وهو المراد هنا ؛ وقد يكنى بها عن الويل ، وهو العذاب ، والشر . والكاف المتصلة بها هنا : كاف الخطاب . وامض على رِسْل : متئداً ، وامش متأنياً ، وتمهل .

(٣٤) يبعث الغارات : يثيرها ، ويهيجها ، جمع الغارة ، اسم من أغار المحاربون على أعدائهم إغارة ، أي هجموا عليهم ، وأوقعوا بهم . ويراد بالغارات هنا : الهجمات الشديدة ، الظافرة المنتصرة . والمهنّد : السيف المطبوع من حديد الهند ، وكان خير السيوف .

ختم الشاعر هذه القصيدة مفتخراً بفتوّته وشجاعته ، وإقدامه على اقتحام المخاوف ، وركوب الأهوال ، واعتماده في هذا ونحوه على سلاحه ، وحسن استخدامه لعتاد الحرب ، وأدوات القتال ؛ وبهذه المزايا يوقع بأعدائه ، ويبالغ في قتالهم ، ويفجؤهم بهجماته الخاطفة المظفّرة .

(*) « سيلان » : جزيرة بالمحيط الهندي ، مجاورة للهند ، وقد استعمرها البريطانيون ، وسيطروا



رُدُّوا عَلَيَّ الصِّبَـا مِنْ عَصْـرِيَ الْخَـالِي ... وَهَـلْ يَعُـودُ سَـوَادُ اللِّمَّـةِ الْبَـالِي ؟(١)

مَـاضٍ مِنَ الْعَيْشِ مَـا لاَحَتْ مَخَـايِلُهُ ... فِي صَفْحَـةِ الْفِكْرِ إِلاَّ هَـاجَ بَلْبَـالِي ؟(٢)

سَلَتْ قُلُوبٌ فَقَـرَّتْ في مَـضَـاجِعِهَـا ... بَعْـدَ الْحَنِينِ وَقَلْبِي لَيْسَ بِـالسَّـالِي(٣)

لَـمْ يَـدْرِ مَنْ بَـاتَ مَسْـرُوراً بِـلَذَّتِـهِ ... أَنِّي بِنَـارِ الأَسَى مِنْ هَجْـرِهِ صَـالِي(٤)

عليها من سنة ١٨٠٢م إلى أن استقلت في نطاق « الكومنولث » سنة ١٩٤٨م ؛ وهي معروفة لتجار العرب وملاحيهم من قديم الزمان ، وهم الذين سموها « سرنديب » ، وإليها نفي الشاعر عقب إخفاق الثورة العرابية ، وفي ذلك المنفى نظم أجود شعره .

(١) الصبا : الحداثة ، والصغر . واللمّة : ما جاوز شحمة الأذن من شعر الرأس ؛ والمراد شعر الرأس مطلقاً . والبالي : اسم فاعل من بلي الثوب ، أي رثّ ، وذهبتْ جدّته . وكنى بسواد اللمة البالي عن الصبا في عصره الخالي ؛ لأن سواد الشعر من مظاهر الحداثة والصبا ، فإذا ذهب ذهب معه الشباب ومرحه ولهوه ، وحل محله بياض الشيب، وهموم الهرم ، ومتاعب الشيخوخة .

(٢) العيش : المعيشة ، والحياة . ولاحت : بدت ، وظهرت . والمخايل : جمع المخيلة ، وهي في الأصل الظن أو المظنة ؛ ويراد بالمخايل هنا : صور ذلك الماضي السعيد ، وذكرياته العزيزة المحبوبة . وهاج : ثار ، وتحرك . والبلبال : شدّة الهم ، والوساوس .
يقول : كلما مرتْ بخاطري صور ذلك الماضي السعيد ، عَظُم تَلَهُّفي ، واشتدتْ حسرتي ، وثارت همومي وأشجاني .

(٣) سلاه ، وسلا عنه : نسيه ، وهجره . ولعله يريد بالقلوب : قلوب أحبائه الذين كانوا يعطفون عليه ، ويحنّون إليه ، فلما فرّق النفي بينه وبينهم سلَوْا عنه ، وطابت نفوسهم بعد فراقه . وقَرّت : استقرتْ ، وسكنت . والمضاجع : جمع المضجع ، وهو موضع الضجوع .

(٤) « بلذته » : بلذة السلوان ، أي برخاء البال المكنى عنه في البيت السابق باستقرار القلوب في مضاجعها . والأسى : الحزن ، أو شدته ؛ فهو يصلى نار الأسى بسبب هِجران أحبائه له ، وسلوهم عنه . وصال : اسم فاعل من صلى النار ، وبالنار : أي قاسى حرها ، أو احترق بها .
يقول ـ في التياعٍ وأسىً شديد ـ هجرَني أحبائي ، ونَسوا ما كان بيننا من حب ووداد ، وطابت نفوسهم بعد فراقي ، وباتوا ناعمين مسرورين بلذة حياتهم بعدي ، أو بلذة السلوان ، ورخاء البال . وهم لا يكادون يعرفون ما أكابده ، فقد اشتد أسفي لهذا الهجران ، وبت أحترق بلوعة الوَجْد والشوق .



يَــا غَــاضِبِيــنَ عَلَيْنَــا هَــلْ إلى عِــدَةٍ   بِـالْـوَصْـلِ يَـوْمُ أُنَـاغِي فِيـهِ إِقْبَـالِي (٥)
غِبْتُمْ فَــأَظْلَمَ يَــوْمِي بَعْــدَ فُــرْقَـتِكُـمْ   وَسَــاءَ صُنْــعُ اللَّيَــالِي بَعْــدَ إِجْمَــالِ (٦)
قَــدْ كُنْتُ أَحْسَبُنِي مِنْكُـمْ عَلَى ثِقَــةٍ   حَتَّى مُنِيتُ بِمَــا لَمْ يَجْــرِ فِي بَــالِي (٧)
لَمْ أَجْنِ فِي الْحُبِّ ذَنْبَــاً أَسْتَحِقُّ بِــهِ   عَتْبَــاً وَلٰكِنَّــهَــا تَحْــرِيـفُ أَقْــوَالِ (٨)
وَمَــنْ أَطَــاعَ رُوَاةَ الــسُّــوءِ نَــفَّــرَهُ   عَنِ الصَّدِيقِ سَمَاعُ الْقِيلِ وَالْقَالِ (٩)

---

(٥) العدة : الوعد ، مصدر وعده الأمر ، وبالأمر : أي منّاه به ؛ فهو يتمنّى أن يظفر بوعد الوصال من أحبائه الذين غضبوا عليه ، وأعرضوا عنه بعد الحب والحنين ؛ وبذلك الوعد المأمول يسترد ماضيه السعيد ، وعيشه الرغيد ، وتعود إليه راحته وهناءته . وناغاه : قاربه . وناغيتُ الصبيَّ : لاطفته بالمحادثة والملاعبة .

تمنى على أحبائه الغاضبين عليه ، المعرضين عنه أن يعودوا إلى الرضا والإقبال ، ويعدوه بالوصال ؛ لينعم ، ويهنأ ، وتقبل عليه الدنيا بخيرها .

(٦) أظلم يومي : اسودّ ، من الظلام ، أو الظلمة . وإظلام يومه : كناية عن تكدّر معيشته ، ونكد الدنيا عليه . وصنع الليالي : عملها ، وتصرفها . و« ساء صنع الليالي » : تكرار ، وتأكيد لمعنى « أظلم يومي » . والإجمال : الإحسان . مصدر أجملت الشيء : أي حسّنته ، وصيّرته جميلا .

شكا الشاعر ما يقاسيه من فراق أحبابه ، وغيبتهم ؛ فأوقاته بعدهم مظلمة قاتمة ، وعيشته كَدِرَة نكدة ، والزمن يعاسره ، ويخاشنه ، ويسيء إليه ، بعد مياسرة ، وملاينة ، وإحسان .

(٧) مُنِيتُ : ابتُلِيتُ وأصِبتُ . والبال : الخـاطر ، والنفس . وجرى الشيء في بـاله : خـطر ، ووقع . ومُنِيَ بما لم يجر في باله : فوجىء بما لم يكن يتوقعه .

كان يظن أن الصلة بينه وبين المعاتبين وثيقة ، والوداد خالص ، والبر والوفاء مـوفوران دائمان في العسر واليسر ، والشدة والرخاء ؛ فلما أصابته محنة النفي والإبعاد ، ومسّه الضر ، مُنِيَ بمـا لم يكن يتوقّعـه من القطيعـة والهجران ، والإعـراض والسلوان ؛ فخاب الأمـل ، وتزعزعت الثقة ، واشتد به الكرب والبلاء .

(٨) لم أجن : لم أقترف . والعتب : الموجدة ، واللوم . ولكنها : ولكن القصة ، أو الحالة . وتحريف الكلام : إمالته عن وجهه ، وتغييره عن مواضعه .

يقرر أن حبه قائم على الصدق والإخلاص ، والبر والوفاء ، وأنه لم يقترف فيه ما يعيبه ، أو يؤاخذ به ؛ ولكن الوشاة لا يفتأون يحرفـون كلام المتحـابين عن مواضعـه ، ويُخَرِّجـونه تخريجاً سيئاً للوقيعة والإفساد .

(٩) رواة السوء : الوُشاة المولعون بالنميمة والسعاية ، وتزيين الكذب ، والإفساد بين المتحابين .



أَدْهَى الْمَصَائِبِ غَدْرٌ قَبْلَهُ ثِقَةٌ وَأَقْبَحُ الظُّلْمِ صَدٌّ بَعْدَ إِقْبَالِ (١٠)
لاَ عَيْبَ فِيَّ سِوَى حُرِّيَّةٍ مَلَكَتْ أَعِنَّتِي عَنْ قَبُولِ الذُّلِّ بِالْمَالِ (١١)
تَبِعْتُ خُطَّةَ آبَائِي فَسِرْتُ بِهَا عَلَى وَتِيرَةِ آدَابٍ وَآسَالِ (١٢)
فَمَا يَمُرُّ خَيَالُ الْغَدْرِ فِي خَلَدِي وَلاَ تَلُوحُ سِمَاتُ الشَّرِّ فِي خَالِي (١٣)

ونفّره تنفيراً : حمله على النفور ، أي الانقباض ، والسخط ، والإعراض والهجران .

يحذّر الاستماع للواشين ورواة السوء ؛ فإن دأبهم تحريف الكلام ، والإفساد بين المتحابين ؛ فمن أقبل عليهم ، وانقاد لهم نفّروه بسِعايتهم من أصدقائه وأحبائه ؛ فخسر صداقتهم وودهم ؛ وتقطّعت بينه وبينهم الأسباب .

(١٠) الصد : الإعراض والهجران ، وضده الإقبال والوصال .

جعل غدر أحبابه به ، ونقضهم لعهده ، بعد ثقته بهم ، وثقتهم به مصيبة دونها كل المصائب ؛ ومما أثقلها عليه ، وفظّعها لديه أنها أتته من مأمنه ، ودهتْه ممن وثق بهم ، واطمأن إليهم . كما عدّ إعراضهم عنه بعد إقبالهم عليه ظلماً قبيحاً ؛ بل عدّه أقبح الظلم ، وأشنعه ، وأفظعه ، وأدهاه ؛ فإذا أضيف إلى هذا كلّه أن الصدّ والغدر أصاباه وهو في منفاه علمنا أن أزمته النفسية بلغتْ أقصى غايات القسوة والشدّة .

(١١) الأعنة : جمع عنان ، وهو سير اللجام الذي تمسك به الدابة . وملكت الحرية أعنّتي : سيطرتْ عليّ ؛ فجريت على سننها ، ولم أحد عن طريقها ؛ وهذا كناية عن استمساكه بها ، وحرصه عليها ، ودفاعه عنها .

استنكف الشاعر أن يقبل المذلة والهوان ، وأبى أن يبيع عزته ، وكرامته ، وحرية بلاده بما قدّمه إليه المعتدي الغاصب من الأموال والوعود المغرية .

(١٢) سرت بها : سرت بالخطة ، أي سرت على نورها ، والتزمت ما تهدي إليه . وسرت بها : سيّرتها ، أي أحييتها بالانقياد لها . والوتيرة : الطريقة المطّردة ، والمداومة على الشيء . وآسال : شبه ، وعلامات ، وأخلاق ، وشمائل . ومن كلامهم : « فلان على آسال من أبيه » : أي على شَبَه منه . وتأسّل أباه : أشبهه ، واقتدى به ، وتخلّق بأخلاقه .

يفخر بأنه يسير على ما ورثه عن آبائه من آداب رفيعة ، وأخلاق كريمة ، وشمائل عالية .

(١٣) الخلد: البال، والقلب ، والنفس . وتلوح : تظهر . وسمات : علامات ، وأمارات ، واحدتها سمة .

نفى عن نفسه الغدر وضروب الشرّ كلها بأسلوب قويّ بليغ؛ فهو لا يكاد يتصوّر الغدر، أو يتخيّله، أو يفكّر فيه.

وعلامات الشرّ وضروبه كلها بعيدة كل البعد عن ظنه ، وتوهّمه ، وتفكيره ، وتدبيره ؛ وإنما هو رجل خير وبرّ ، واستقامة وأمانة ، وصدق ووفاء .



قَلْبِي سَلِيمٌ وَنَفْسِي حُرَّةٌ وَيَدِي مَأْمُونَةٌ وَلِسَانِي غَيْرُ خَتَّالِ (١٤)

لٰكِنَّنِي فِي زَمَانٍ عِشْتُ مُغْتَرِباً فِي أَهْلِهِ حِينَ قَلَّتْ فِيهِ أَمْثَالِي (١٥)

بَلَوْتُ دَهْرِي فَمَا أَحْمَدْتُ سِيرَتَهُ فِي سَابِقٍ مِنْ لَيَالِيهِ وَلَا تَالِي (١٦)

حَلَبْتُ شَطْرَيْهِ مِنْ يُسْرٍ وَمَعْسُرَةٍ وَذُقْتُ طَعْمَيْهِ مِنْ خِصْبٍ وَإِمْحَالِ (١٧)

فَمَا أَسِفْتُ لِبُؤْسٍ بَعْدَ مَقْدُرَةٍ وَلَا فَرِحْتُ بِوَفْرٍ بَعْدَ إِقْلَالِ (١٨)

عَفَافَةٌ نَزَّهَتْ نَفْسِي فَمَا عَلِقَتْ بِلَوْثَةٍ مِنْ غُبَارِ الذَّمِّ أَذْيَالِي (١٩)

---

(١٤) قلبي سليم : يريد سلامته من الآفات والنقائص ، والعيوب النفسية والخلقية ، كإضمار الشرّ ، والحقد ، والحسد ، والضغينة ونحوها . ونفسي حرّة : عزيزة ، كريمة ، قوية . ويدي مأمونة : أمينة ، يوثق بها ، ويطمأن إليها . وغير ختّال : غير خدّاع ، صيغة مبالغة من ختله ، أي غرّه ؛ فهو ينفي عن نفسه الختل في جميع ضروبه وصوره ، ومراتبه وألوانه . ولساني غير ختال : صادق ، صريح ، واضح ، لا يخاتل ، ولا يخادع ، ولا يظهر غير ما يضمره قلبي السليم .

(١٥) المغترب : الغريب ، النازح ، البعيد عن وطنه وأهله .

يفخر بقلة أشباهه ونظرائه في زمانه ؛ ولهذا يحيا بين الكثرة الغالبة من أهل هذا الزمان حياة الاغتراب والعزلة ، والوحشة ، والجفوة ؛ إذ لا يشبههم ، ولا يشبهونه ، ولا يألفهم ، ولا يألفونه .

(١٦) بلوت : اختبرت ، وامتحنت . وما أحمدت سيرته : لم أجدها محمودة . ويراد بالسابق والتالي من لياليه : أوقاته كلّها . وقد جرى الناس قديماً وحديثاً على شكوى الدهر والزمان ؛ وهم ينسبون إليه ما يتقلّبون فيه من الخير والشرّ ، والرخاء والشدّة ؛ فإن أصابتهم فتنة ، تبرّموا بالدهر ، وأعلنوا ضجرهم منه ، وسخطهم عليه .

يقول : إنه اختبر الزمان الذي يعيش فيه ، وجرّب السابق واللاحق من أيامه ولياليه ، فلم يجد في سيره وسيرته وأعماله وتصرفاته معه شيئاً يستحق الحمد وحسن الثناء .

(١٧) حلبت شطريه : حلبت شطري دهري ، أي جربت أموره ، واختبرت أحواله كلها ، وقالوا : « حلبت الدهر أشطره » و « حلبت الدهر شطريه » : أي خبرته ، وتمرست بخيره وشره . والخصب : كثرة العشب والنبات والخير ، ورغد العيش . وضده الإمحال : وهو الإجداب .

(١٨) يقول : إنه لطول تمرّسه بتقلبات دهره ، لا يكاد يبالي هذه التقلّبات ، أو يهتمّ بها ، أو يكترث لها ؛ فالفقر بعد الغنى لا يسوؤه ، ولا يحزنه ؛ والغنى بعد الفقر لا يفرحه ، ولا يبطره .

(١٩) عفّ عفّة وعفافة : كفّ عن الحرام ، وامتنع عما لا يحلّ ولا يجْمل من قول أو فعل . ونزّه

فَـالْيَـوْمَ لَا رَسَنِي طَـوْعُ الْقِيَـادِ وَلَا ... قَلْبِي إِلَى زَهْـرَةِ الـدُّنْيَـا بِـمَيَّـالِ [٢٠]

لَـمْ يَبْـقَ لِي أَرَبٌ فِي الـدَّهْـرِ أَطْلُبُـهُ ... إِلَّا صَحَـابَـةُ حُـرٍّ صَادِقِ الْخَـالِ [٢١]

وَأَيْـنَ أُدْرِكُ مَـا أَبْـغِـيـهِ مِـنْ وَطَـرٍ ... وَالصِّدْقُ فِي الدَّهْرِ أَعْيَا كُلَّ مُحْتَالِ ؟[٢٢]

لَا فِي « سَـرَنْـدِيبَ » لِي إِلْفٌ أُجَـاذِبُـهُ ... فَضْـلَ الْحَدِيثِ وَلَا خِـلٌّ فَيَرْعَى لِي [٢٣]

نفسه عن القبيح تنزيهاً : أبعدها عنه ، وصانها منه . واللوثة : اسم مرّة من لاث الثوب ونحوه في التراب ، أو الطين ، أو نحوهما ، أي لطخه به . والذمّ : العيب . والأذيال : جمع الذيل ، وهو أسفل الثوب ، وآخر كلّ شيء . وما علقت أذيالي بلوثة من غبار الذم : ما دنّس شيئاً من ثيابي شيء من العيب ، أو المنكر ، أو القبيح المستهجن ؛ وهذا كناية عن عفّته ، وطهارة نفسه ، ونقاء عرضه .

(٢٠) الرَّسَن : الحبل ، أو المقْود ، أو الزمام يجعل في رأس الدابّة ، أو يشدّ في أنفها لتقاد به . والطوع : الانطياع ، والانقياد . ومعنى « لا رسني طوع القياد » : لا أستكين ، ولا أنقاد ؛ فالتعبير كناية عن عزته ، وأنفته ، وحميّته . وزهرة الدنيا : حسنها ، وبهجتها .

والمعنى : أنه اليوم لا ينقاد لنزوات النفس ، ولا ينخدع بمتاع الحياة الدنيا ، ولا يكاد يتعلق بها أو يباليها ؛ وهذا هو الزهد الذي يفزع إليه المرء إذا أصيب بمثل ما أصيب به الشاعر من الاضطهاد ، والتجريد ، والنفي ، والتشريد .

(٢١) الأرب : الحاجة ، أو البغية ، أو الأمنية . والخال : الظن ؛ وما توسّمت من خير . وصادق الخال : يصدق ظنه بي ، ويصدق ظني به ، أو أتوسّم فيه الخير ، فتصْدُق فراستي ، وأراه عند ظني .

كان للشاعر حاجات أو أماني في دهره ، أو في أهل دهره ، انقطعتْ كلها وخابتْ ، ولم يبق منها غير أمنية واحدة ، هي أن يعثر على صاحب وصديق حرّ كريم ، طيّب شريف ، يحقّق الظن ، ويقيم على الودّ ، ويصْدُق الإخاء ، ويدين بالوفاء .

(٢٢) ما أبغيه : الذي أطلبه ، وأريده . والصدق في الدهر : صدق الزمان ، ووفاؤه ، أو صدق أهل الزمان .

(٢٣) « سرنديب » : « سيلان » وقد عَرَّفْنَا بها في عنوان هذه القصيدة . وإلف : أليف ، مؤانس . وأجاذبه فضل الحديث : أتحدّث إليه ، ويتحدّث إليَّ بما يكون بين الإلفين المتحابين . والخلّ (بكسر الخاء وضمها) : الصديق المختص الودود ، ومثله الخليل .

يشكو خلوته ، ووحْدته ، ووحْشته في منفاه ، فهو غريب فيه ، متبرّم به ، بعيد عن وطنه ، منقطع عن أهله ، لا يكاد يجد من يحادثه ، ويؤانسه ، ويخفّف عنه وحْشته ، ويرعى له خلّته من الألّاف والأخلاء .



أَبِيتُ مُنْفَرِداً فِي رَأْسِ شَاهِقَةٍ ... مِثْلَ الْقَطَامِيِّ فَوْقَ الْمَرْبَإِ الْعَالِي (٢٤)

إِذَا تَلَفَّتُّ لَمْ أُبْصِرْ سِوَى صُوَرٍ ... فِي الذِّهْنِ يَرْسُمُهَا نَقَّاشُ آمَالِي (٢٥)

تَهْفُو بِيَ الرِّيحُ أَحْيَاناً وَيَلْحَفُنِي ... بَرْدُ الطِّلَالِ بِبُرْدٍ مِنْهُ أَسْمَالِ (٢٦)

فَفِي السَّمَاءِ غُيُومٌ ذَاتُ أَرْوِقَةٍ ... وَفِي الْفَضَاءِ سُيُولٌ ذَاتُ أَوْشَالِ (٢٧)

كَأَنَّ قَوْسَ الْغَمَامِ الْغُرِّ قَنْطَرَةٌ ... مَعْقُودَةٌ فَوْقَ طَامِي الْمَاءِ سَيَّالِ (٢٨)

---

(٢٤) بات يبيت : أدركه الليل ، وبات في مكان كذا ، والمراد هنا : الإقامة المطلقة الدائمة ، ليلاً ونهاراً . والقطاميّ (بفتح القاف وضمها) : الصقر الحديد البصر ، يرفع رأسه وينظر إلى الصيد ، ويرقبه . والمَرْبأ (بوزني المذهب والمنبر) : المكان العالي المرتفع ، يقف فوقه من يشرف على شيء ، ويرقبه .

(٢٥) نَقّاش : صيغة مبالغة من نقش الشيء ، أي لوّنه ، وزيّنه بلونين ، أو بألوان .
والشاعر في هذا البيت ، يُكثر من التلفّت بوجهه يمنة ويسرة ، ويدور ببصره فيما حواليه فوق ذلك المرتبإ العالي ، فلا يرى غير صور في ذهنه لما كان يرتقبه ويرجوه ، ويأمله ويتمنّاه من انفراج أزمته ، وزوال شدّته ؛ أو هي صور ما كان يتوق إليه من آمال كبيرة واسعة لم يتحقّق له منها شيء .

(٢٦) تهفو بي الريح : تُحركني ، وتهزّني . والطلال : جمع الطلّ ، وهو الندى ، أو المطر الضعيف . وبرد الطلال : المطر البارد . والبرد : ثوب مخطط ، أو هو كساء من الصوف الأسود يلتحف به . وبرد أسمال ، وثوب أسمال : خلق ، بال . ويراد بالبرد الأسمال ، أو البرد المهلهل : ما تساقط فوق الشاعر ، وكساه ، وغطّاه من ذلك المطر الضعيف ؛ فقد شبّهه ـ لضعفه وخفّته ورقّته ـ بالثوب الخَلَق البالي الأسمال الْهَلْهَالَ .
وصف بعض ما كان يعانيه في ذلك المرتبإ العالي من الظواهر الطبيعية ؛ فقد تشتد الرياح ، فتحركه ، وتهزّه هزاً عنيفاً ؛ وقد يبرد الجو ، وتمطر السماء مطراً خفيفاً ، فتتساقط عليه قطراته الباردة ، وتكسوه برداً سَمِلاً خَلَقاً ، بالياً هَلْهالاً .

(٢٧) أروقة : جمع رواق ، وهو سقف في مقدّم البيت . ورواق الليل : مقدمه . والأوشال : مياه تسيل من أعراض الجبال ؛ فتجتمع ، ثم تساق إلى المزارع ، والأوشال أيضاً : جمع وشل ، وهو الماء الكثير الغزير .

(٢٨) الغمام : السحاب ، واحدته غمامة . وقوس الغمام : قوس قُزَح . وغمامة غرّاء ، وغمام غُرّ : أبيض حسن . وطام : كثير ، غزير .



إِذَا الشُّعَاعُ تَرَاءَى خَلْفَهَا نَشَرَتْ بَدَائِعاً ذَاتَ أَلْوَانٍ وَأَشْكَالِ (٢٩)

فَلَوْ تَرَانِي وَبُرْدِي بِالنَّدَى لَثِقٌ لَخِلْتَنِي فَرْخَ طَيْرٍ بَيْنَ أَدْغَالِ (٣٠)

غَالَ الرَّدَى أَبَوَيْهِ فَهْوَ مُنْقَطِعٌ فِي جَوْفِ غَيْنَاءَ لَا رَاعٍ وَلَا وَالِي (٣١)

أُزَيْغِبَ الرَّأْسِ لَمْ يَبْدُ الشَّكِيرُ بِهِ وَلَمْ يَصُنْ نَفْسَهُ مِنْ كَيْدِ مُغْتَالِ (٣٢)

كَأَنَّهُ كُرَةٌ مَلْسَاءُ مِنْ أَدَمٍ خَفِيَّةُ الدَّرْزِ قَدْ عُلَّتْ بِجِرْيَالِ (٣٣)

---

(٢٩) نشرتْ : بسطتْ، وأظهرتْ. من النشر ، وهو خلاف الطي . أي أن قوس الغمام تريك ما يروعك ، ويعجبك من منظرها الفريد ، وشكلها البديع العجيب .

يقول : إذا بدتْ أشعة الشمس المنعكسة وراء قوس الغمام ، نشرتْ ما يروقك من بدائع الألوان والأشكال .

(٣٠) البرْد : الثوب . والندى : المطر ، والبلل . ولَثِقٌ : نديّ ، مبتلّ . وخِلْتني : ظننتني . والأدغال : جمع دغل (بوزن سبب وأسباب) : وهو الشجر الكثيف ، الملتفّ .

(٣١) غاله (من باب قال) : اغتاله . والردى : الهلاك ، والموت . ومنقطع : مقطوع عن أهله ، ووطنه ، عاجز عن العودة ؛ وفي الانقطاع معنى الانفراد ، والوحشة ، والقلق ، والضجر . . . وسائر ما يعانيه السجين في سجنه ، ويضانيه المنفيّ في منفاه . وفي جوف غيناء : في جوف أرضٍ ، أو بقعة غيناء ، مؤنث الأغين : وهو الأخضر ، الطويل ، الناعم ، الكثير الورق ، الملتفُّ الأغصان من الشجر والنبات .

والمشابه كثيرة واضحة بين الشاعر وهذا الفرخ الفريد الوحيد ، اليتيم اللطيم الذي فَقَدَ راعيه وواليه ، وانقطع عن أهله ووطنه ، في جوف تلك الغيناء الموحشة المظلمة المخيفة .

ويلاحظ أن معنى « الأدغال » في البيت السابق قريب جداً من معنى « الغيناء » في هذا البيت ؛ وفي كل منهما الظلمة ، والوحشة ، والخوف ، والقلق ، وتوقّع الشر ، والعدوان ، والأذى ، والمكروه .

(٣٢) « أزيغب » (بالنصب) : صفة لـ « فرخ طير » ، تصغير « الأزْغَب » ، وهو ما له زَغب من الطير . والزغب : صغار الشعر والريش ، وأول ما يبدو منهما . أو هو الشعيرات الصفر على ريش الفرخ الصغير. والشكير: صغار الريش النابتة بين كباره، وكذلك صغار الشعر. والكيد : المكر السيّىء ، والخبث ، والخديعة .

يقول : إنه فرخ صغير ضعيف ، لا حول له ، ولا قوّة ، ولا يستطيع أن يردّ عن نفسه كيد الكائد ، واغتيال المغتال .

(٣٣) الأدم (بفتحتين ، أو بضمتين) : جمع الأديم ، وهو الجلد المدبوغ . والدرز : موضع

يَـظَلُّ فِـي نَـصَـبٍ حَـرَّانَ مُـرْتَـقِـبـاً	نَقْـعَ الصَّدَى بَيْنَ أَسْحَـارٍ وَآصالِ (٣٤)
يَكَـادُ صَوْتُ الْبُـزَاةِ الْقُمْـرِ يَقْـذِفُـهُ	مِنْ وَكْـرِهِ بَيْنَ هَابِي التُّـرْبِ جَـوَّالِ (٣٥)
لاَ يَسْتَـطِـيـعُ انْـطِلاَقـاً مِنْ غَيَـابَـتِـهِ	كَـأَنَّـمَـا هُـوَ مَعْـقُـولٌ بِعُقَّـالِ (٣٦)
فَـذَاكَ مِـثْـلِي وَلَـمْ أَظْـلِمْ وَرُبَّـتَـمَـا	فَضَلْتُـهُ بِـجَـوَى حُـزْنٍ وَإِعْـوَالِ (٣٧)
شَـوْقٌ وَنَـأْيٌ وَتَـبْـرِيـحٌ وَمَـعْـتَـبَـةٌ	يَـا لَلْحَمِيَّةِ مِنْ غَـدْرِي وَإِهْمَـالِي (٣٨)

الخياطة . وعلَّتْ : سقيتْ مرة بعد أخرى . والجريال : صبغ أحمر ، أو خمري اللون . وفي بعض المعجمات أنه صبغ أصفر اللون .

(٣٤) النَصَب : الإعياء ، والتعب . وحران : شديد العطش . ومرتقب : منتظر . والنقع : مصدر نقع الماء العطش ، أي أذهبه ، وأطفأه ، وسكّنه . والصدى : شدة العطش . والأسحار : جمع السحر وهو آخر الليل ، قبيل الفجر . والآصال : جمع الأصيل ، وهو الوقت حين تصفرّ الشمس لمغربها ، أو هو الوقت بين العصر والمغرب ؛ ويراد بالأسحار والآصال : أوقات الليل والنهار كلّها .

والبيت تصوير لما يقاسيه هذا الفرخ في جوف تلك الغيناء طوال النهار والليل من شدة العطش ، والإعياء وطول ارتقابه ما ينقع صداه ، ويطفىء ظمأه ؛ ولا ريب أن خوفه وانقباضه ، وضعفه وانقطاعه . . . أقعده عن السعي وراء طعامه وشرابه .

(٣٥) البزاة : جمع البازي ، وهو طير من الجوارح ، أو ضرب من الصقور يصاد به . والقمر : جمع الأقمر ، صفة من القمرة ، وهي لون بين البياض والخضرة . وهابي الترب : ما دَقَّ من التراب، وثار، وانتشر. والهباء: الغبار. وجوال: ثائر، متحرك، منتشر، مرتفع. ويراد بهابي الترب الجوال : الوهاد ، والأودية ، والأراضي المنخفضة التي يرقّ ترابها ، ويثور غبارها .

(٣٦) الغيابة : كل ما غيب شيئاً ، وستره ، وأخفاه عن العيون . ويراد بغيابة الفرخ هنا : وكره . ومعقول : مربوط ، مقيد . والعقال (بوزن الرمان) : داء يأخذ الدواب في أرجلها ؛ ويراد به هنا : ما يقيّد هذا الفرخ ، ويمنعه المشي والحركة ، ويحبسه عن الانطلاق والطيران .

(٣٧) ذاك : إشارة إلى فرخ الطير . وفضلته : أي فُقْته ، وزدتُ عليه ، وعانيتُ أكثر مما يعاني . وجوى الحزن : حرقته وشدته . والإعوال : مصدر أعول ، أي رفع صوته بالبكاء .

يقول : إنه حينما شبَّه حالته في منفاه بحالة ذلك الفرخ ، لم يتجاوز الحدّ ، ولم يَعْدُ الصواب ؛ بل رُبما فاقه بالجوى ، والحرقة ، وشدة الوجد ، وفرط الحزن .

(٣٨) النأي : البعد ، والفراق . وبرّح به الشوق : ثقل عليه ، وعذّبه . والمعتبة (بفتح التاء

أَصْبَحْتُ لَا أَسْتَطِيعُ الثَّوْبَ أَسْحَبُهُ وَقَدْ أَكُونُ وَضَافِي الدِّرْعِ سِرْبَالِي(٣٩)

وَلَا تَكَادُ يَدِي تُجْرِي شَبَا قَلَمِي وَكَانَ طَوْعَ بَنَانِي كُلُّ عَسَّالِ(٤٠)

فَإِنْ يَكُنْ جَفَّ عُودِي بَعْدَ نَضْرَتِهِ فَالدَّهْرُ مَصْدَرُ إِدْبَارٍ وَإِقْبَالِ(٤١)

عَلَامَ أَجْزَعُ وَالأَيَّامُ تَشْهَدُ لِي بِصِدْقِ مَا كَانَ مِنْ وَسْمِي وَإِغْفَالِي(٤٢)

رَاجَعْتُ فِهْرِسَ آثَارِي فَمَا لَمَحَتْ بَصِيرَتِي فِيهِ مَا يُزْرِي بِأَعْمَالِي(٤٣)

وكسرها) : الاسم من عتب عليه ، أي أنكر عليه شيئاً من فعله ، أو لامه في موجدة وتسخط وغضب . والعتب ، أو المعتبة المشار إليها هنا : قد تكون على الشاعر من بعض بني وطنه ، وقد تكون منه عليهم ، وقد تكون من رفقائه في منفاه ؛ فقد نزغ الشيطان بينهم بعد إخفاق الثورة العرابيّة ، وزعزعت الدعايات الكاذبة المسمومة ثقة بعضهم ببعض ؛ فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون . و « يا للحمية » : أسلوب استغاثة ، وهي نداء من يخلّص من شدّة ، أو يعين على دفع بلية . والحمية : بمعنى الأنفة ، والإباء ، والمروءة ، والنخوة ، والغيرة . ويا للحمية : يا لذوي الحميّة .

(٣٩) الضافي : السابغ ، التام، اسم فاعل من ضفا الثوب ، أي سبغ ، وطال إلى الأرض . والدرع : قميص من زرد الحديد ، يلبسه المحارب وقاية لنفسه من سلاح العدوّ . والسربال : القميص ، أو كل ما يلبس .

(٤٠) شباة القلم : إبرته، وسنه. والبنان : أطراف الأصابع . ومن كلامهم : هو طوع بنانك ، وطوع يدك : أي منقاد لك . والعسّال : الرمح اللدن ، المهتز .

(٤١) كنى بجفاف عوده عن ضعفه ، وعجزه . والنضرة : الرونق ، والحسن . وكنى بنضرة عوده عن قوته ، وشبابه ، وصحته . والإدبار : مصدر أدبر ، بمعنى ذهب ، ومضى . وضده الإقبال : مصدر أقبل . ومن كلامهم : « أقبلتْ عليه الدنيا » : إذا جاءته بخيرها . وضده « أدبرتْ عنه » .

(٤٢) « علام » : « ما » الاستفهامية المجرورة بـ « على » ؛ وإذا جُرَّت حذفتْ ألفها ، وبقيتْ الفتحة دليلاً عليها ؛ والمعنى : على أيّ شيء ؟ أو لأيّ شيء أجزع ؟ ، من الجزع ، وهو أبلغ من الحزن ، وأشد ، وأعمق . ووسمه : جعل له علامة يعرف بها . وضده الإغفال : مصدر أغفله ، أي تركه بلا وسم ؛ ويريد بالوسم ؛ ما عمله ، وبالإغفال ؛ ما تركه .

(٤٣) الآثار : جمع أثر ، وهو ما بقي من رسم الشيء ، أو ما خلّفه السابق للّاحق . ويريد بفهرس آثاره : صحيفة أقواله وأعماله وتصرفاته ، بترتيب أزمنتها وأمكنتها . ولمحتْ : أبصرتْ . والبصيرة : الفهم ، والفطنة ، والعقل ؛ وقوة الإدراك . وأزرى به يزري إزراء : عابه ، وشانه ، وحطّ من قدره .



فَكَيْفَ يُنْكِرُ قَوْمِي فَضْلَ بَادِرَتِي وَقَدْ سَرَتْ حِكَمِي فِيهِمْ وَأَمْثَالِي ؟[٤٤]

أَنَا ابْنُ قَوْلِي وَحَسْبِي فِي الْفَخَارِ بِهِ وَإِنْ غَدَوْتُ كَرِيمَ الْعَمِّ وَالْخَالِ [٤٥]

وَلِي مِنَ الشِّعْرِ آيَاتٌ مُفَصَّلَةٌ تَلُوحُ فِي وَجْنَةِ الأَيَّامِ كَالْخَالِ [٤٦]

يَنْسَى لَهَا الْفَاقِدُ الْمَحْزُونُ لَوْعَتَهُ وَيَهْتَدِي بِسَنَاهَا كُلُّ قَوَّالِ [٤٧]

فَانْظُرْ لِقَوْلِي تَجِدْ نَفْسِي مُصَوَّرَةً فِي صَفْحَتَيْهِ فَقَوْلِي خَطُّ تِمْثَالِي [٤٨]

وَلَا تَغُرَّنْكَ فِي الدُّنْيَا مُشَاكَلَةٌ بَيْنَ الأَنَامِ فَلَيْسَ النَّبْعُ كَالضَّالِ [٤٩]

---

(٤٤) وجّه الشاعر في هذه القصيدة كثيراً من العتب المرّ إلى من جفوه ، أو أساؤوا به الظن ، أو سلوا عنه من أحبائه وأهله وبني وطنه . وهو في هذا البيت يفخر بما شاع وذاع في قومه من أدبه الرفيع ، وفضله الوسيع ؛ ويعتب عليهم ؛ فيعتبر اتهامهم إياه ، أو إهمالهم شأنه ، أو قعودهم عن نصرته ، أو غدرهم به جهلاً بفضله وأدبه ، وإنكاراً لمزاياه ومفاخره ؛ ولهذا سأل في تعجب ودَهَش ، أو تقريع وتعنيف : كيف يتأتى منهم هذا الإنكار ، أو الجحود ، أو الجهل ، أو التجاهل ، مع ما يدور بينهم ، ويطرق أسماعهم من حكمه وأمثاله ، وفواضله ومحامده ؟! .

(٤٥) أنا ابن قولي : أنا ابن أدبي وشعري ، يريد أنه منتسب إليه ، معتز به اعتزاز الولد بأبيه ؛ ويكني بهذا عن فصاحته وبلاغته ؛ ومقدرته على نظم الشعر . وغدوت : صرت ، أي وإن كنت مع فخري بقولي كريم العمّ والخال .

افتخر في هذا البيت بفصاحة لسانه ، وسحر بيانه وروائع أدبه وشعره ، واعتزازه بقوله ، وتمكّنه من أساليب الكلام ، وكرم أعمامه وأخواله ، ومجادة حسبه ، وشرف أصوله .

(٤٦) آيات : جمع آية ، وهي العِبرة ، والموعظة . ومفصّلة : مبيّنة ، موضّحة . وتلوح : تبدو ، وتظهر . والوجنة : ما نتأ ، أي ظهر ، وبرز ، وارتفع من لحم الخدّ . والخال : شامة ، أو نكتة سوداء في البدن .

(٤٧) ينسى لها : ينسى بسببها ، ومن أجلها . والسنا : الضوء الساطع . وقوال : صيغة مبالغة من القول ، ويراد به ، الأديب اللسن الفصيح .

(٤٨) يريد بقوله : أدبه وشعره . وصفحة الشيء : وجهه . ويريد بصفحتي قوله : أدبه كله . وقولي خط تمثالي : أي أدبي وشعري يمثّلني ، ويصوّرني ، ويبرز خصائصي ، وما تنطوي عليه نفسي .

(٤٩) لا تغرنّك : لا تخدعنك . والمشاكلة : المشابهة ، والمماثلة . والأنام : الخلق ، والناس . والنبع : شجر ينبت في قلة الجبل ، تتخذ منه القسي والسهام ، وهو أصفر العود ، رزين



إنَّ ابْـنَ آدَمَ لَـوْلاَ عَـقْـلُهُ شَبَـحٌ مُـرَكَّبٌ مِنْ عِـظَامٍ ذَاتِ أَوْصَـالِ[٥٠]

وَقَـالَ بَعْـدَ عَـوْدَتِـهِ مِنْ « سَرَنْـدِيبَ »(*) يَمْـدَحُ الْخِـدِيـوِي « عَبَّـاس حِلْمِي الثَّانِي »(**) وَيَشْكُرُهُ عَلَى اسْتِدْعَائِهِ إِلَيْهِ ، وَحُسْنِ إِقْبَالِهِ عَلَيْهِ فِي أَثْنَاءِ مُحَادَثَتِهِ مَعَهُ :

سَمَـا الْمُلْكُ مُخْتَـالاً بِمَـا أَنْتَ فَـاعِـلُ وَعَـادَتْ بِـكَ الأَيَّـامُ وَهْيَ أَصَـائِـلُ[١]
رَبَـأْتَ مِـنَ الْـعَـلْيَـاءِ قُـنَّـةَ سُـودَدٍ يُقَصِّـرُ عَنْهَـا صَـاغِـراً مَنْ يُـطَاوِلُ[٢]

ثقيل ، وإذا تقادم احمر لونه ، وفيه صلابة وشدة ، مع مرونة ولين ، واحدته نَبْعة . والضال : السِّدْر البرِّي ، وهو شجر النَّبْق ، واحدته ضالة (بوزن عادة وعاد) ، والنبع أقوى من الضال ، وأصلب عوداً .

يقـول : لا تنخدع بمـا تراه بين النـاس من مشابـه ومشاكـلات ؛ فإنهم يتشـابهون في خِلْقتهم ، ومظاهر حياتهم ؛ ولكنهم يختلفون اختلافاً كبيراً في أخلاقهم ، وطبـاعهم ، وما انطوت عليه نفوسهم ؛ مَثُلهم في هذا مَثَـلُ شجرتي النبـع والضال ؛ فـإنهما تتشـابهان في مظهريهما ، وتختلفان في القوة والصلابة .

(٥٠) يراد بشبح ابن آدم : جسمه ، وهيكله العظميّ . والأوصال : جمع وصل ، وهو المفصل (بوزن المجلس) ، أو مجتمع العظام ، أو كلّ ملتقى عظمين من الجسد .

(*) « سرنديب » أو « سيلان » : سبق التعريف بها .

(**) عباس حلمي باشا الثاني (١٨٧٤ - ١٩٤٤م)، تولى منصبه وهو في الثامنة عشرة عقب وفاة والده في ٨ من يناير سنة ١٨٩٢ . وكان عباس طموحاً ؛ فحاول مقاومـة سياسـة الاحتلال البريطاني التي سيطرتْ على مصر من سنة ١٨٨٢م .

وفي عهـده استردّ السـودان ، وانتشـر التعليم ، وأنشىء البنـك الأهلي ، وردم خليـج القاهرة ، واتسع العمران ، وكثرت الأندية ، وانتشرت الصحف والمجلات .

(١) سما : علا ، وارتفع . ومختالاً : مزداناً ، مزهواً . وعادتْ : صارتْ . وبك : بسببك ، أي بأعمالك المجيدة ، وسيادتك الرشيدة . والأصائل : جمع الأصيل ، وهو الوقت بين العصر والمغرب ، أو وقت اصفرار الشمس قبيل مغربها ، والعرب تتغنى بالأصائل ، وتستشعر فيها الدعة ، والراحة .

(٢) ربأ : ارتفع ، وعلا . والعلياء : الرفعة ، والشرف . وقنّة كـلّ شيء : أعلاه . والسـودد : السيادة ، والعظمة . ويقصر : يعجز . وصاغراً : ذليلاً ، مهيناً .

اعتلى الممدوح أسمى مراتب المجد والسودد ، وانفـرد بما ارتبـأه من كرم المنصب ،

وَأَدْرَكْتَ فِي عَصْرِ الشَّبِيبَةِ غَايَةً مِنَ الْفَضْلِ لَمْ يَبْلُغْ مَدَاهَا الأَفَاضِلُ (٣)

فَخَيْرُكَ مَأْمُولٌ وَفَضْلُكَ وَاسِعٌ وَظِلُّكَ مَمْدُودٌ وَعَدْلُكَ شَامِلُ (٤)

مَسَاعٍ جَلاَهَا الرَّأْيُ فَهِيَ كَوَاكِبُ لَهَا بَيْنَ أَفْلاَكِ الْقُلُوبِ مَنَازِلُ (٥)

يُقَصِّرُ قَابُ الْفِكْرِ عَنْهَا وَيَنْتَهِي أَخُو الْجِدِّ عَنْ إِدْرَاكِهَا وَهْوَ ذَاهِلُ (٦)

وَكَيْفَ يَنَالُ الْفَهْمُ مِنْهَا نَصِيبَهُ وَأَقْرَبُهَا لِلنَّيِّرَاتِ حَبَائِلُ ؟ (٧)

إِلَيْكَ تَنَاهَى الْمَجْدُ حَتَّى لَوَ انَّهُ أَرَادَ مَزِيداً لَمْ يَجِدْ مَا يُحَاوِلُ (٨)

ورفعة القدر ؛ فلا سبيل إلى مطاولته ، أو مباراته ؛ ومن حاول شيئاً من هذا عجز ، وعاد بالذلّة والصغار .

(٣) عصر الشبيبة : زمن الشباب . وفي التعريف بالممدوح أنه تولّى منصبه وهو في الثامنة عشرة من عمره ، أي في عنفوان شبابه .

(٤) مأمول : مرجو ، مرتقب ، يأمله الناس ، ويرجونه . والظل : ضوء شعاع الشمس اذا استترت عنك بحاجز ، أو هو كل موضع لم تصل اليه الشمس ، وجمعه ظلال ، والعرب تكني بالظل عن العزّ والمنعة .

(٥) المساعي : المكرمات ، أي الخيرات . وجلاها : كشفها ، وأوضحها . ومنازل : جمع منزل ، وهو مكان النزول ، أو جمع منزلة ، وهي المكانة، والمرتبة.

والمعنى : للممدوح مساعٍ ، ومكرمات ، وتصرّفات ، وأعمال مجيدة ، يصدر فيها دائماً عن رأي وبصيرة ، وسداد تفكير ، وحسن تدبير ؛ ولهذا ظهرتْ ، واشتهرتْ ، وسمتْ في عيون الناس كالنجوم المنيرة المضيئة اللامعة ، واحتلّتْ من قلوبهم أرفع المراتب ، وأعلى المكانات .

(٦) القاب : المقدار ، ومن كلامهم : « هو مني قاب قوس » ، أي مقدار قوس ، كناية عن قربه ، ويراد بقاب الفكر هنا: جهده وطاقته، ومقدرته. وذاهل: اسم فاعل من ذهل، أي تَحَيّر، وغاب عن رشده.

(٧) النيّرات : الكواكب والنجوم المنيرة . والحبائل : جمع حبالة ، وهي الشَرَك ، والمصيدة ، وما يُنْصَب للطير .

(٨) المجد: العز والشرف.

يقول : لو حاول المجد أن يعظم ويزداد لدى الممدوح لم يجد ما يحاوله ؛ لأنه بلغ أعلى درجاته ، ومنتهى غاياته .



فَمُـرْ بِـالَّـذِي تَهْـوَاهُ فَـالسَّعْـدُ قَـائِمٌ   بِمَـا تَشْتَهِي وَاللَّهُ بِـالنَّصْـرِ كَـافِـلُ[٩]

فَقَـدْ تَصْـدُقُ الآمَـالُ وَالْحَـزْمُ رائِـدٌ   وَتَقْتَـرِبُ الْغَـايَـاتُ وَالْجِـدُّ عَـامِـلُ[١٠]

وَأَيُّ صَنِيـعٍ بَـعْـدَ فَضْلِكَ يُـرْتَجَـى   وَأَنْتَ مَلِيـكٌ فِي الْبَـرِيَّـةِ عَـادِلُ ؟[١١]

يَعُمُّ الـرِّضَـا مَـا قَـامَ بِـالْحَقِّ صَـادِعٌ   وَتَبْقَى الْعُـلاَ مَا دَامَ لِلسَّيْفِ حَـامِـلُ[١٢]

فَـيَـا طَـالِبـاً مَـسْعَـاتَـهُ لِيَـنَـالَـهَـا   رُوَيْـدَكَ إِنَّ الْحِرْصَ لِلنَّفْسِ خَـاذِلُ[١٣]

فَمَـا كُـلُّ مَنْ رَاضَ الْبَـدِيهَـةَ عَـاقِـلٌ   وَلاَ كُـلُّ مَنْ خَاضَ الْكَـرِيهَةَ بَـاسِـلُ[١٤]

وَلَـوْلاَ اخْتِـلاَفُ النَّـاسِ فِي دَرَجَـاتِهِمْ   لَعَادَلَ « قُسّاً » فِي ٱلْفَصَاحَةِ « بَاقِلُ »[١٥]

---

(٩) كافل بالنصر : متكفل به ، ضامن له .
والمعنى : أن الممدوح يستطيع أن يأمر رعيته بما يريد ؛ ويسلك بها ما يشاء من المسالك والمساعي ؛ وهو مطمئن إلى عون الله تعالىٰ ونصره ، وتسديده وتأييده .

(١٠) يقول : تَصْدُق الآمال ، وتتحقق الأمانيّ إذا رادها المرء بالحزم ؛ وتقترب الغايات البعيدة إذا عمل لها طالبها ، وجد واجتهد في تحصيلها .

(١١) « أي » : اسم استفهام ، معناه النفي ، أي لا صنيع يُرتجَى بعد فضلك . والصنيع : البِر ، والخير ، والمعروف ، والإحسان ؛ ومثله الفضل ؛ كأنه قال : لا صنيع يُرتجى بعد صنيعك ؛ أو فلا فضل يُرتجى بعد فضلك .

(١٢) يعم : يشمل ، أي يعمّ الرضا مدة قيام الصادع بالحق ، ومدّة دوام الحامل للسيف . وصادع : اسم فاعل من صدع بالأمر ، أي جهر به ؛ يكني بهذا عن قوة الكفاح ، وموفور السلاح ؛ ويريد أن العلا تبقى للأمة ، وتبقى لها العزة والمَنعة ما بقيتْ لها الأُهْبة والاستعداد الحربي التام .

(١٣) المسعاة : المَكْرُمة . ورويدك : تمهّلْ . والحرص : الجشع . وخاذل : اسم فاعل من خذله ، أي قعد عن نُصرته .

(١٤) راض المهر ونحوه : ذلّله ، وطوّعه . ورياضة البديهة : تمرين الذهن على سرعة الفهم ، وقوة الإدراك . ويراد بالعاقل هنا : الذكي ، السريع الفهم ، المتوقد الذهن . وخاض الماء : دخله ومشى فيه، ومن المجاز: خاض الكريهة، أي الشدة في الحرب. وباسل: بطل، شجاع ، مقدام .

(١٥) يراد باختلاف الناس : تفاوتهم ، وتباينهم . ودرجاتهم : طبقاتهم ومنازلهم في العقل والتدبير ، والفضل والخير ، والشجاعة والبسالة .

هُـوَ الْمَلِكُ الْمَكْفُـولُ بِـالنَّصْرِ جُنْـدُهُ ... إِذَا احْمَـرَّ بَـأْسٌ أَوْ تَنَمَّـرَ بَـاطِـلُ(١٦)

لَـهُ بَـدَهَـاتٌ لاَ تَـغِـبُّ وَعَـزْمَـةٌ ... مُؤَيَّـدَةٌ تَعْنُـو إِلَيْهَـا الْجَحَـافِـلُ(١٧)

فَـآرَاؤُهُ فِـي الْـمُـشْـكِـلاَتِ كَـوَاكِـبٌ ... وَهِمَّـاتُـهُ فِي الْمُعْضِـلاَتِ مَنَاصِلُ(١٨)

و « قُسّ » بن ساعدة ، من بني إياد ، بن نزار ، بن مَعَدّ ، بن عدنان : خطيب العرب قاطبة ، وأحد حكمائهم في الجاهلية ، وأسْقُفُ « نَجْران » ، والمضروب به المثل في البلاغة والحكمة والفصاحة واللَّسَن ، وقوة الحجة ، وسحر البيان ؛ قيل : وهو أول من خطب متوكئاً على سيف أو غصاً ، وأول من كتب « من فلان إلى فلان » وأول من قال في كلامه : « أما بعد » ؛ وكان يفِدُ على قيصر الروم زائراً ؛ ويعظّمه ؛ وهو من المعمَّرين .

و « باقل الربعي » : ابن عمرو بن ربيعة الإيادي ، رجلٌ جاهلي ، ضرب به المثل في العي والبلاهة . وقالوا : « أعْيا من باقل » ، وقابلوا به « قسّاً » ليظهروا الفارق الواضح بين الضدين ، أو المتناقضين .

(١٦) الكفالة : الضمان . والشاعر يريد هنا : أن الله تعالىٰ تكفّل لجند الممدوح بالنصر ، وضمن له الغلبة . والبأس : الشدة في الحرب . واحمرار البأس : كناية عن استحرار القتال . وتنمّر : تشبّه بالنمر في طبعه القائم على الشراسة ، والشر ، والإضرار ، والعدوان . وتنمر بالباطل : كناية عن تفاقمه ، واشتداده ، واستفحاله .

والمعنى : أن الله تبارك وتعالىٰ يرعى على الدوام الممدوح وجيشه ؛ ويؤيده بنصره فيما يخوضه من معامع الحروب والقتال ؛ وفيما يعالجه من إبطال الباطل ، وإخماد الفتن ، والقضاء على المفاسد .

(١٧) له : للممدوح . ويراد بالبدهات هنا : الآراء ، أو الأفكار ، واحدتها بدهة . ولا تغبّ : أي لا تنقطع ، ولا تغيب ، ولا تتخلف . والعزمة : ثبات المرء فيما يعزم عليه . ومؤيدة : مقواة ثابتة . وتعنو : تخضع ، وتذل . والجحافل : جمع جحفل ، وهو الجيش القوي العرمرم ، الشديد .

مدحه بأنه إذا فوجىء بأمر لقيه بسداد الرأي ، وسرعة البديهة ، وحسن التدبير ؛ وقال : إن هذه المزايا ملازمة له ، لا تكاد تفارقه ؛ وهو إلى هذا قويّ العزم ، قاطع الإرادة ، شديد البأس ، يقهر الجيوش الجرّارة ؛ فتستسلم له في عناء وذلّة وهوان .

(١٨) الهمات : جمع همة ، وهي العزم القوي ، والإرادة القاطعة . ومن كلامهم : « له همة عالية . وهو بعيد الهمة » . والمعضلات : المشكلات ، والأمور المستغلقة الشديدة . والمناصل : السيوف ، مفردها مُنْصُل (بوزن مُنخُل ومناخل) .

مدحه بالاقتدار على حل المشكلات ، وإزالة لبسها ، وإضاءة جوانبها بآرائه السديدة



تَـدُلُّ مَسَـاعِيـهِ عَلَى فَضْـلِ نَـفْسِـهِ وَلِلشَّمْسِ مِنْ نُـورٍ عَلَيْهَـا دَلاَئِـلُ[19]

فَيَـا مَلِكـاً عَـمَّتْ أَيَـادِيـهِ وَالْـتَـقَتْ بِـهِ فِـرَقُ الآمَـالِ وَهْيَ جَـوَافِـلُ[20]

بِـكَ اخْضَرَّتِ الآمَـالُ بَعْـدَ ذُبُـولِهَـا وَحَقَّتْ وُعُـودُ الـظَّنِّ وَهْيَ مَخَـايِـلُ[21]

بَسَـطْتَ يَـداً بِـالْخَيْرِ فِينَـا كَـرِيمَـةً هِيَ الْغَيْثُ أَوْ فِي الْغَيْثِ مِنْهَا شَمَائِلُ[22]

وَأَيْقَـظْتَ أَلْبَـابَ الـرِّجَـالِ فَسَـارَعُـوا إِلَى الْجِدِّ حَتَّى لَيْسَ فِي النَّاسِ خَامِلُ[23]

وَمَـا «مِصْـرُ» إِلاَّ جَنَّـةٌ بِـكَ أَصْبَحَتْ مُـنَـوَّرَةً أَفْنَـانُـهَـا وَالْـخَـمَـائِـلُ[24]

النيرة ، وتدبيراته المحكمة الصائبة ؛ ونوّه بهممه البعيدة العالية ، وعزماته القوية الماضية التي يحسم بها المعضلات ، ويفتح المستغلقات .

(١٩) يراد بفضل نفسه : أن نفسه فاضلة كريمة خيّرة . وللشمس من نور عليها دلائل : أي للشمس أدلة عليها من نورها .

يقول : إن مساعي الممدوح ، ومكرماته ، ومبراته ، وأعماله العظيمة المجيدة ، تدل على فضله ، وسمو نفسه ، كما يستدل على الشمس بضيائها . وفي هذا التشبيه معنى علو قدر الممدوح ، ورفعة مكانته ، وعظم شأنه .

(٢٠) عمّتْ : شَمِلتْ . والأيادي : جمع اليد ، بمعنى النعمة ، والصنيعة ، والإحسان . والتقتْ : تلاقت ، واجتمعت . وجوافل : مسرعة ، جمع جافل ، أو جافلة .

(٢١) مخايل : جمع مخيلة (بوزن معيشة ومعايش) ، وهي الظن . يقال : « أخطأت فيه مخيلتي » : أي ظني . ومخايل هنا تكرار لمعنى الظن، أي تحققتْ بفضل الممدوح وعودُ كانت قبله مخايل وأوهاماً وظنوناً .

يقول : أحيا الممدوح بنعمه وأياديه آمال الناس ؛ وكانت الوعود قبله أوهاماً وظنوناً ، فأنجزها وحققها .

(٢٢) بسط يده بالخير : فتحها ، وهو كناية عن جود الممدوح ، وكرمه . والغيث : المطر الكثير النافع . وشمائل : طباع ، وسجايا .

(٢٣) الألباب : جمع لب، وهو العقل. والجد: مصدر جد في أمره، أو في سيره، أي اجتهد. وخامل: ساقط، مغمور، لا نباهة له.

أيقظ الممدوح عقول الرجال من سُباتها ، ونبههم على ما يحييهم حياة طيبة كريمة فخلعوا أردية التواني ، وسارعوا إلى الجد والاجتهاد ؛ فلم يبق فيهم ضعيف ، أو مغمور .

(٢٤) منوّرة : ذات نُوّار ، وورد ، وأزهار . والأفنان : الأغصان . والخمائل : جمع خميلة ، وهي الشجر المجتمع الملتف ، وكل موضع كثُر فيه الشجر خميلة .



طَلَعْتَ عَلَيْهَا طَلْعَةَ الْبَدْرِ أَشْرَقَتْ	بِلألَائِهِ الآفَاقُ وَاللَّيْلُ لائِلُ(٢٥)
وَأَجْرَيْتَ مَاءَ الْعَدْلِ فِيهَا فَأَصْبَحَتْ	وَسَاحَاتُهَا لِلْوَارِدِينَ مَنَاهِلُ(٢٦)
وَلَمْ يَأْتِ مِنْ أَوْطَانِهِ « النِّيلُ » سَائِحاً	إِلَى « مِصْرَ » إِلَّا وَهْوَ حَرَّانُ سَائِلُ(٢٧)
فَيَأَيُّهَا الصَّادِي إِلَى الْعَدْلِ وَالنَّدَى	هَلُمَّ فَذَا بَحْرٌ لَهُ الْبَحْرُ سَاحِلُ(٢٨)
مَلِيكٌ أَقَرَّ الأَمْنَ وَالْخَوْفُ شَامِلٌ	وَأَحْيَا رَمِيمَ الْعَدْلِ وَالْجَوْرُ قَاتِلُ(٢٩)
فَسَلْهُ الرِّضَا وَانْزِلْ بِسَاحَةِ مُلْكِهِ	فَثَمَّ الأَمَانِي وَالْعُلَا وَالْفَوَاضِلُ(٣٠)

جعل مصر في عهد الممدوح جنة ناضرة ذات خمائل وأفنان ؛ وبأفضاله ومساعيه نَوَّرتْ وأزهرت .

(٢٥) طلع عليه : أقبل عليه . واللألاء : الضوء . والآفاق : النواحي ، والجهات ، واحدها أفق . وليل لائل : شديد الظلمة ، ومثله ليل أليل .

(٢٦) ماء العدل : العدل الشبيه بالماء في عموم نفعه ، وقيام نظام الحياة عليه ، وشدة احتياج الناس إليه . وفيها : في مصر. والواردين: جمع وارد، من ورد الإنسان وغيره الماء : صار إليه ، وبلغه ؛ والمناهل : موارد الماء ، ومواضع الشرب على الطريق .

(٢٧) سائحاً : من ساح الماء ونحوه يسيح ، أي سال ، وجرى على وجه الأرض . وحران : شديد العطش . والمراد بالحران هنا : المشتاق الذي بَرَّح به الشوق . وسائل : اسم فاعل من سأل سؤالاً ، أي استعطى ، وطلب ، فالنيل يسأل الممدوح فضله وعدله ، ويرجو بِرَّه وخيره .

والمعنى : إنما انتقل نهر النيل إلى مصر من منابعه القاصية البعيدة ؛ لأنه واجد مشتاق إلى لقاء الممدوح ، طامع في فضله وبره ، ونواله وإحسانه .

(٢٨) الصادي : الشديد العطش . والندى : السخاء ، والكرم . وهلم : تعال ، وأَقْبِل . و« بحر له البحر ساحل » : أي الممدوح بحر عظيم جداً ، إذا قرن به البحر الحقيقي تضاءل ، وصغُر ، وكان كالساحل للبحر المجازي ، وهو الممدوح .

(٢٩) الرميم : البالي ، الهشيم ، المتفتت . والجور : الظلم .

والمعنى : كان الخوف شاملاً عامّاً ، فأذهبه ذلك الملك العظيم ، وأقرّ الأمن والطمأنينة والسلام ؛ وكان الظلم مخيفاً قاتلاً ؛ فقضى عليه الممدوح، ومحا آثاره ، وأحيا العدل ، وبسط سلطانه ، ومدّ ظلاله .

(٣٠) المعنى : إذا أخلصت لهذا الملك العظيم وواليته رضي عنك ، وأقبل عليك ؛ وإذا نزلتَ في رحابه نعمتَ بعطاياه العظيمة ، وهباته الجزيلة ، فصحَّتْ أحلامك ، وتحقَّقت أمانيّك ، وظفرت بكل ما تأمله وترجوه .



رَعَى اللَّهُ يَـوْمـاً قَـرَّبَـتْنِي سُـعُـودُهُ	إِلَى سُـدَّةٍ تَـأْوِي إِلَيْهَـا الأَمَـاثِـلُ(٣١)
لَثَمْتُ بِهَـا كَفّاً هِيَ الْبَحْـرُ فِي النَّـدَى	تَفِيضُ سَمَـاحـاً وَالْبَنَـانُ جَـدَاوِلُ(٣٢)
نَطَقْتُ بِفَضْـلٍ مِنْـكَ لَـوْلاَهُ لَمْ يَـدُرْ	لِسَـانِي وَلَمْ يَحْفِـلْ بِقَـوْلِيَ فَـاضِـلُ(٣٣)
وَلاَ أَدَّعِي أَنِّـي بَـلَغْـتُ بِـمِـدْحَـتِـي	عُـلاَكَ وَلَكِنْ جُهْـدُ مَـا أَنَـا قَـائِـلُ(٣٤)
وَكَـيْفَ أُوَفِّـي مَنْـطِقَ الـشُّـكْـرِ حَقَّـهُ	وَدُونَ ثَنَـائِي مِنْ عُـلاَكَ مَـرَاحِـلُ ؟(٣٥)

---

(٣١) رعى الله ذلك اليوم : باركه ، وحفظ ذكـراه وجددها . وسعوده : سعود ذلك اليوم ، أي بركاته ، جمع السعد ، وهـو اليُمْن ، والبركة . والسُدَّة : باب الدار ، وفناؤها ، أو ما يُجْلَس عليه كالمنبر والسرير ؛ ويراد بسُدَّة الممدوح هنا : حضرتـه ، ومجلسه ، ومقـامه . وتـأوي إليها : تلجأ إليها ، وتلوذ بها . والأماثل : أفاضل الناس ، وخيارهم .

(٣٢) لثم يده ، أو وجهه : قَبَّله . والنـدى : الفضل ، والخيـر ، والبِرّ . والبنـان : الأصابـع ، واحدتها بنانة . والجداول : جمع جدول ، وهو النهر الصغير .

يعتزّ بأنه قبَّل يد الممدوح ، ولا غرْوَ ؛ فإنها جديرة باللثم والتقبيل ؛ وقد شبَّهها بالبحر في الندى والسخاء ، وقال إنها تفيض كرماً وسماحاً ، وتنبسط بالخير الكثير ، والعطاء الجزيل ؛ وجعل أصابعها روافد ، وجداول ، وأنهاراً .

(٣٣) لم يَدُرْ لساني : لم يتحرك ؛ والمراد : لم يستطع النطق ، ولم يتحرك بالكلام . ولم يحفل : لم يبال ، ولم يهتم .

والمعنى : أن فضل الممدوح ، وما أفاضه على الشاعر من البِر ، والخير ، والمعروف ، والإحسان ، أنطقه بمدحه وإطرائه ، وحرَّك لسانه بحسن الثناء عليه ؛ ولولا هذا الفضل ما أجاد الشاعر هذا المديح ، ولا احتفل بقوله فُضلاء الأدباء .

(٣٤)المدحة : ما يُمْدَح به المرء من الشعـر . والجهد (بفتـح فسكون ، أو بضم فسكـون) : الطاقة ، والاستطاعة .

والمعنى : لم أصل بمدحتي هذه إلى المستوى الرفيع العالي الذي يناسب الممدوح ، ويداني سموّه وعلاه ؛ ولكنها غاية ما أطيقه وأستطيعه من القول . والبيتان الآتيان متصلان بهذا المعنى ، مؤكدان له .

(٣٥) وفاه حقه توفية : أعطاه إياه وافياً ، تاماً ، كامـلًا ؛ ومثله أوفاه . ومنـطق الشكـر : الشكر المنطوق به ، أي الجاري على اللسان . والمراحل : جمع مرحلة (بوزن مرتبـة) ، وهي المسافة ، يقطعها السائر على قدميه ، أو المسافر على الإبل في نحو يوم .

والمعنى : أن مـا ينـطق بـه من الشكـر ، والإطـراء ، وحسن الثنـاء دون مـا يستحقـه



وَحَسْبِيَ عُـذْراً أَنَّـكَ الشَّمْسُ رِفْعَـةً ... وَكَيْفَ يَنَـالُ الْكَـوْكَبَ الْمُتَنَـاوِلُ ؟[٣٦]

لِتَهْنَ بِـكَ الـدُّنْيَـا فَـأَنْتَ جَمَـالُهَـا ... فَلَوْلَاكَ أَمْسَى جِيدُهَا وَهْـوَ عَـاطِـلُ[٣٧]

وَدُمْ لِـلْعُـلَا مَـا ذَرَّ بِـالْأُفْـقِ شَـارِقٌ ... وَمَا حَنَّ مِنْ شَوْقٍ عَلَى الْأَيْـكِ هَادِلُ[٣٨]

وَلَا زَالَـتِ الْأَيَّـامُ تَـتْـلُو مَـدَائِـحِـي ... عَلَيْكَ وَيُمْلِيهَا الضُّحَى وَالْأَصَائِـلُ[٣٩]

وَقَالَ عَلَى طَرِيقَةِ الْعَرَبِ :

أَلَا حيِّ مِنْ « أَسْمَـاءَ » رَسْمَ الْمَنَـازِلِ ... وَإِنْ هِيَ لَمْ تَـرْجِعْ بَيَـانـاً لِسَـائِـلِ[١]

الممدوح ؛ فبين ثناء الشاعر ومنزلة الممدوح في العلاء والرفعة مراحل كثيرة واسعة ، ومسافات بعيدة قاصية ، لا يستطيع اجتيازها .

(٣٦) حسبي : يكفيني ، ويغنيني .

يعتذر عن تقصيره في الشكر والثناء بأن الممدوح ارتفع ارتفاع الشمس والقمر ، وعلا عِلو النجوم والكواكب ؛ وهيهات أن ينالها من يحاولها ، فالشاعر لا يستطيع أن يسمو بشكره ومديحه وحسن ثنائه إلى المكانة العالية الرفيعة التي يحتلها الممدوح .

(٣٧) لِتَهْنَ : لتفرحْ ، ولتغتبطْ . يدعو للدنيا أن تدوم لها بدوام الممدوح هناءتها وسعادتها ، كما يدعو للممدوح أن يبقى هانئاً للدنيا ، مسعداً إياها . والجيد : العنق ، أو مقدمه ، أو موضع القلادة منه .

يهنىء الحياة الدنيا بالممدوح ؛ فهو زينتها ، وجمالها ، وبهجتها ؛ وبه صارت طيبة ، عزيزة ، كريمة ، يرغب الناس فيها ، ولولا الممدوح لكانت ثقيلة عليهم ، قلقة بهم ، عَطْلَاء من الحلي والزينة والبهاء ، مجردة من أسباب المتعة والهناءة والسعادة .

(٣٨) دم للعلا : أمر مقصود به الدعاء ؛ فالشاعر يدعو أن يدوم الممدوح للمعالي . وذرَّ : طلع ، وظهر . والشارق : الشمس حين تَشْرُق . وحنَّ : طرَّب : أي رجَّع صوته . والأيك : الشجر الكثير الملتفّ ، الواحدة أيكة . وهادل : اسم فاعل من هديل الحمام ، وهو هديره ، وصوته الذي يردّده في حنجرته .

يدعو بأن يبقى الممدوح عالي القدر ، سامي المنزلة ، رفيع المكانة ، ما دام يشرقُ على الكون نجم ، ويغني على الأشجار حمام .

(٣٩) الأصائل : جمع الأصيل ، وهو الوقت حين تصفر الشمس لمغربها ، أو هو الوقت من العصر إلى المغرب . ويراد بالضحى والأصائل : جميع أوقات النهار والليل .

(١) الرسم : ما كان لاصقاً بالأرض من آثار الديار التي ارتحل عنها أهلها ، وجمعه رسوم . ويريد

خَـلاءٌ تَـعفَّتْهَـا الـرَّوامِسُ وَالْـتَقَـتْ عَلَيْهَـا أَهَـاضِيبُ الْغُيُـومِ الْحَـوَافِـلِ (٢)

فَـلأْياً عَـرَفْتُ الـدَّارَ بَعْـدَ تَـرَسُّمٍ أَرَانِي بِهَـا مَا كَـانَ بِـالأَمْسِ شَـاغِلِي (٣)

غَـدَتْ وَهْيَ مَـرْعَىً لِلظِّبَـاءِ وَطَـالَمَـا غَنَتْ وَهْيَ مَـأْوَىً لِلْحِسَانِ الْعَقَـائِـلِ (٤)

فَلِلْعَيْنِ مِنْـهَـا بَعْـدَ تَـزْيَـالِ أَهْـلِهَـا مَعَـارِفُ أَطْلاَلٍ كَـوَحْيِ الـرَّسَـائِـلِ (٥)

فَـأَسْبَلَتِ الْعَيْنَـانِ فِيـهَـا بِـوَاكِـفٍ مِنَ الـدَّمْعِ يَجْـرِي بَعْدَ سَـحٍّ بِوَابِـلِ (٦)

دِيَـارُ الَّـتِي هَـاجَـتْ عَلَيَّ صَبَـابَـتِـي وَأَغْـرَتْ بِقَلْبِي لاَعِجَـاتِ الْبَـلاَبِـلِ (٧)

بالمنازل : منازل « أسماء » وقومها . ولم ترجع بياناً لسائل : لم تجب عن سؤال السائل ، ولم تردّ تحيّته .

(٢) خلاء : أي خالية قد هجرها أهلها . وتعفتها : أبلتهـا ، ومحتها ، وأزالتهـا . والروامس : الرياح التي تثير التراب ، فتغـطّي به آثـار الديـار ، الواحـدة رامسة . والتقت : تـلاقت ، واجتمعت . والأهاضيب : دفعات الأمطار المتتابعة ، واحدتها أهضوبة (بوزن أعجوبة) . والحوافل : صفة للغيوم ، أي المجتمعة ، المحتشدة ، أو الممتلئة الكثيرة المـطر ، جمع حافل ، أو حافلة .

(٣) لأيـا عرفت الشيء : أي عرفته بعد معاناة . وبعد ترسم : بعد تفرّس ، وتأمل . ومـا كـان بالأمس شاغلي : أي ما كان في ماضي الزمان شغلي الشاغل .

(٤) غدتْ : صارت . وغنتْ : كانت ، أو لبِثتْ ، أو أقامت . والعقائل : جمـع عقيلة (بوزن كريمة) ، وهي المرأة ، أو الزوجة ، أو الفتاة الكريمة المصونة المخدّرة .

(٥) منها : من الدار . وتزيال : زوال ، وذهاب . ومعارف الأطلال : ما يعرف منها ، ويتّضح . والوحي : الخطّ ، والكتابة .

والمعنى : أن العين لا تبصر من هذه الديار بعـد ارتحال أهلهـا إلا أطلالاً بقيت على الأرض رسومها ، كأنها رسائل مخطوطة تخبرك بكثير من أحوال ماضيها .

(٦) أسبلت العينان : بكتا . وواكف : سائل . وسح الماء ونحوه سحاً : أي سكبه ، وصبه صباً متتابعاً كثيراً . والوابل : المطر الشديد ، والغزير . وبعد سحّ بوابل : أي بعـد بكاء بـدمع غزير ، منسكب منهمر .

(٧) هـاجت : هيَّجَتْ ، وأثارتْ . والصبـابة : رقـة الهـوى ، وحـرارة الشـوق . ولاعجـات : محرقات ، جمع لاعجة ، أو لاعج ، وهو المحرق المؤلم من الهوى ، أو الشوق ، أو الهمّ ، أو الحزن ، أو نحوه . والبلابل : الوساوس ، والهموم الشديدة ، جمع بلبال ، أو بلبالة .



مِنَ الْهِيفِ مِقْلَاقُ الْوِشَاحَيْنِ غَادَةٌ سَلِيمَةُ مَجْرَى الدَّمْعِ رَيَّا الْخَلَاخِلِ (٨)
إِذَا مَا دَنَتْ فَوْقَ الْفِرَاشِ لِوَسْنَةٍ جَفَا خَصْرُهَا عَنْ رِدْفِهَا الْمُتَخَاذِلِ (٩)
تَعَلَّقْتُهَا فِي الْحَيِّ إِذْ هِيَ طِفْلَةٌ وَإِذْ أَنَا مَجْلُوبٌ إِلَيَّ وَسَائِلِي (١٠)
فَلَمَّا اسْتَقَرَّ الْحُبُّ فِي الْقَلْبِ وَانْجَلَتْ غَيَابَتُهُ هَاجَتْ عَلَيَّ عَوَاذِلِي (١١)
فَيَا لَيْتَ أَنَّ الْعَهْدَ بَاقٍ وَأَنَّنَا دَوَارِجُ فِي غُفْلٍ مِنَ الْعَيْشِ خَامِلِ (١٢)
تَمُرُّ بِنَا رُعْيَانُ كُلِّ قَبِيلَةٍ فَمَا يَمْنَحُونَا غَيْرَ نَظْرَةِ غَافِلِ (١٣)

---

(٨) الهيف : جمع هيفاء (بوزن بيضاء) ، صفة الهيف (بفتحتين) ، وهو ضمور البطن ، ورقة الخاصرتين . ومقلاق : شديد القلق ، ويراد به هنا كثرة التحرك . والوشاح : أديم ، أو نسيج عريض ، تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها ، ومقلاق الوشاحين ، كناية عن ضمورْ بطنها ، ودقة كشحيها . وغادة : ناعمة ، ليّنة الأعطاف . وسليمة مجرى الدمع : عيناها جميلتان سليمتان ، مبرّأتان من العيوب والآفات . وقد يراد بمجرى الدمع : الخدّان . وريّا : مؤنث ريان، ضد عطشان . وساق ريا : ممتلئة ، نضيرة ، ناعمة . والخلاخل : جمع خلخل (بوزني جعفر وبرقع) : حلية الساق ، كالسِوار للمِعْصم ، ومثله الخلْخال ، وجمعه خلاخيل . وريّا الخلاخل : كناية عن امتلاء ساقيها ، وجمالهما ونضارتهما.

(٩) دنتْ : قربت . والوسنة : النعاس . وجفا : نبا . ومتخاذل : ضعيف ؛ والمراد أنه ثقيل ، لين . وجفا خصرها عن ردفها : أي لم يكن معه في مستوى واحد ؛ فخصرها ناب عن الفراش، غير مطمئنّ عليه؛ لضموره، ونحافته. وردفها ثابت على الفراش، مطمئن، مستقرّ، لامتلائه، وضخامته.

(١٠) تعلّقتها : هويتها ، وأحببتها . ومجلوب : اسم مفعول من الجلب ، وهو سوق الشيء ، أو المجيء به . وأراد بكونها مجلوبة إليه أن غيره يعينه عليها. ، ويمكنه منها ؛ وهذا كله كناية عن صغره وطفولته ؛ فالطفل يتولاه وليه ، ويجلب له وسائل الحياة .

(١١) انجلتْ : انكشفت . وغيابة كل شيء : ما سترك منه . وانجلت غيابة الحب : انكشف ما كان يسترنا منه ، ويخْفي أمرنا. والمعنى: أن الحب لما استقر في قلبينا ظهرت للناس دلائله ، فانجلى للعواذل .

(١٢) يريد بالعهد : عهد الطفولة . ودوارج : جمع دارجة ، اسم فاعل من درج الصبي ونحوه ، مشى مشياً رويداً . وشيء غفل : ليست فيه علامة تميزه . وخامل : ساقط ، لا نباهة له ، ولا شهرة. ويراد بالعيش الغفْل الخامل: الحياة الفطرية التي تلفت أنظار الناس.

(١٣) في عهد الطفولة كان رعاة الماشية من شتى القبائل يمرّون به وبحبيبته ، فلا يكاد يفطن



صَغِيرَيْنِ لَمْ يَذْهَبْ بِنَا الظَّنُّ مَذْهَباً ... بَعِيداً وَلَمْ يُسْمَعْ لَنَا بِطَوَائِلِ (١٤)

نَسِيرُ إِذَا مَا الْقَوْمُ سَارُوا غَدِيَّةً ... إِلَى كُلِّ بَهْمٍ رَاتِعَاتٍ وَجَامِلِ (١٥)

وَإِنْ نَحْنُ عُدْنَا بِالْعَشِيِّ أَضَافَنَا ... إِلَيْهِ سَدِيلٌ مِنْ نَقاً مُتَقَابِلِ (١٦)

فَوَيْلٌ لِهَذَا الدَّهْرِ مَاذَا أَرَادَهُ ... إِلَيْنَا وَقَدْ كُنَّا كِرَامَ الْمَحَاصِلِ ؟ (١٧)

عَلَى عِفَّةٍ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهَا ... مُبَرَّأَةٌ مِنْ كُلِّ غَيٍّ وَبَاطِلِ (١٨)

لأمرهما منهم أحد ؛ وإذا نظروا إليهما فإنما هي نظرات عابرة غافلة ، وهذا هو الخطّ الأوّل من خطوط الصورة التي رسمها الشاعر لعهد الطفولة .

(١٤) مذهب : بمعنى الذهاب . ومعنى لم يذهب ظن الناس بهما مذهباً بعيداً : لم يرتابوا في أمرهما ، لأنهما صغيران ، يمرحان مرح الطفولة . وطوائل : عداوات وخصومات ، واحدتها طائلة . ومعنى « لم يسمع لنا بطوائل » : لم يسمع الناس بعداوات وخصومات قامت بيننا وبين غيرنا . ومن معاني الطوائل : الذنوب والآثام ؛ بمعنى أننا في حبنا لم نقترف إثماً أو خطيئة ، ولم نكن محلّ تهمة أو ريبة .

(١٥) غدية (بوزن قضية) : صباحاً ، أول النهار ، ما بين الفجر وطلوع الشمس . والبَهْم : أولاد الضأن ، والمَعْز ، والبقر ، الواحدة بهمة (بوزن روضة وروض) . وراتعات : جمع راتعة ، أي رعتْ ، وأكلتْ ، وشربت ما شاءت . والجامل : القطيع من الإبل مع رعاته .

(١٦) عدنا : رجعنا . والعشي : آخر النهار ، أو أول الظلام . وأضافنا : ضمنا ، وجمعنا . والسديل (بوزن أمير) : الستر ونحوه ، من سَدَل الإنسان الثوب ونحوه ، أرسله ، وأرخاه . والنقا : الكثيب من الرمل .

ختم الشاعر بهذا البيت الصورة التي رسمها لعهد الطفولة الذي تمنى بقاءه له ولحبيبته ؛ إذ كانا يرجعان من المرعى آخر النهار ، فيخلوان منفردين مستترين بكثبان متواجهة من الرمال ، كأنها السدائل والأستار ، تخفيهما عن الأنظار .

(١٧) « ويل » : كلمة شرّ ، وعذاب ، وهلاك . ولهذا الدهر : إشارة إلى زمانهما الذي عاسرهما ، وتنكر لهما ، وبدّل حالهما . وكرام : جمع كريم وكريمة ، بمعنى طيّب ، محمود . ويراد بالمحاصل: الغايات، والمقاصد، جمع محصل، من حصل على الشيء، أي أحرزه، وأدركه. فمعنى «كرام المحاصل»: أن ما قصدا إليه، وحصلا عليه، وجمعهما من الحب والغرام، كان كريماً، طاهراً عفيفاً، نزيهاً.

(١٨) « على عفة » : أي كنا كرام المحاصل على عفّة . ومبرأة : بريئة ، خالية . والغي : الإمعان



وَلٰكِنَّهَا الأَيَّامُ لَمْ تَأْتِ صَالِحاً مِنَ الأَمْرِ إِلَّا أَعْقَبَتْ بِالتَّنَازُلِ (١٩)

إِذَا مَا تَذَكَّرْتُ الزَّمَانَ الَّذِي مَضَى تَسَاقَطُ نَفْسِي إِثْرَ تِلْكَ الْقَبَائِلِ (٢٠)

قَبَائِلُ أَفْنَتْهَا الْحُرُوبُ وَلَمْ تَكُنْ لِتَفْنَى كِرَامُ النَّاسِ مَا لَمْ تُقَاتِلِ (٢١)

قَضَتْ بَعْدَهُمْ نَفْسِي عَزَاءً وأصحَبَتْ عَشَوْزَنَتِي وَانْقَادَ لِلذُّلِّ كَاهِلِي (٢٢)

وَأَصْبَحْتُ مَغْلُولَ الْيَدَيْنِ عَنِ الَّتِي أُحَاوِلُهَا وَالدَّهْرُ جَمُّ الْغَوَائِلِ (٢٣)

صَرِيعَ لُبَانَاتٍ تَقَسَّمْنَ نَفْسَهُ وَغَادَرْنَهُ نَهْبَ الأَكُفِّ الْخَوَاتِلِ (٢٤)

في الضلال ، والانهماك في الجهل . والباطل : ما لا ثبات له عند الفحص عنه ، وضده الحق ، ويراد بالباطل هنا : الغواية ، والفساد .

(١٩) أتى الأمر : فعله . ولم تأت صالحاً : لم تفعل صالحاً . والأمر : الشأن ، والحال . وأعقبه : خلَفَه ، وجاء بعده . وتنازل القوم : أي تركوا . يريد أن الأيام قد تسرّ الناس بتحقيق شيء من أمانيهم ، أو صالحات أمورهم ؛ ولكنها لا تلبث أن تحزنهم بإفساد ما حققته ، أو هدمه ونقضه وتبديده .

(٢٠) تساقط: أصلها «تتساقط» ثم حذفتْ إحدى التاءين تخفيفاً، مضارع تساقط الشيء، أي تتابع سقوطه. وسقط إثره، وفي أثره: سقط في عقبه، أي بعده على التعقيب، بلا تراخ.

يقول : كلما تذكّرت الزمان الماضي ذهَبَت نفسي حسرات على من فَنى من القبائل .

(٢١) أفنتها : أبادتها ، وأهلكتها . وكرام الناس : خيارهم .

يأسى على انقراض تلك القبائل العظيمة الكريمة التي أهلكتها الحروب ، وعفَّتْ آثارها ؛ ويشير إلى ما كان من شجاعتهم وشدة بأسهم ، وامتيازهم بالمحامد والمكرمات ، ويقول : إنه لولا القتال ما فني هؤلاء الكرام .

(٢٢) قضتْ : هلكتْ ، وفنيَتْ . وبعدهم : بعد هؤلاء الأعزة الكرام ، أي قضتْ نفسي بعد هلاكهم وفنائهم ، والمراد كادت نفسي تقضي . وعزاء : بسبب العزاء ، وهو الصبر . وأصحبت : انقادت ، وخضعت . وعشوزنتي : يريد نفسه القوية الأبية ، مؤنث العشوْزن ، وهو الصُلب ، القويّ ، الشديد . وانقاد : خضع ، واستكان . وكاهل الإنسان : ما بين كتفيه ، أو أعلى الظهر مما يلي العنق .

(٢٣) مغلول اليدين: مقيد اليدين، كناية عن ضعفه وعجزه. وعن التي أحاولها: عن الغايات التي أريدها. وحاول الشيء: طلبه. وجم: كثير. والغوائل: الدواهي، والمصائب، الواحدة غائلة.

(٢٤) صريع : أي أصبحتُ مغلول اليدين ، صريعَ لبانات . ويريد بصريع اللبانات نفسه .

كَـأَنِّيَ لَمْ أَعْـقِـدْ مَـعَ الْفَـجْـرِ رَايَـةً وَلَمْ أُدْعَ بِـاسْمِي لِلْكَمِيِّ الْمُنَازِلِ (٢٥)

وَلَمْ أَبْعَثِ الْخَيْـلَ الْمُغِيـرَةَ فِي الضُّحَـا بِكُـلِّ رَكُـوبٍ لِلْكَـرِيهَـةِ بَـاسِـلِ (٢٦)

نَـزَائِـعَ يَعْلُكْنَ الشَّكِيمَ عَلَى الْـوَجَـى إِذَا عُـرِّيَتْ أَمْثَـالُهَـا فِي الْمَنَـازِلِ (٢٧)

مِنَ الْقَـوْمِ بَـادٍ مَجْـدُهُمْ فِي شِمَـالِهِمْ وَلاَ مَجْـدَ إِلاَّ دَاخِـلٌ فِي الشَّمَـائِـلِ (٢٨)

إِذَا مَـا دَعَـوْتَ الْمَـرْءَ مِنْهُمْ لِـدَعْـوَةٍ عَلَى عَجَـلٍ لَبَّـاكَ غَيْـرَ مُسَائِـلِ (٢٩)

وصريع: من صرعه، أي طرحه على الأرض. ولبانات: جمع لبانة، وهي الحاجة من غير فاقة. وتقسَّمن نفسه: فرقنهـا. ومن كلامهم: «تَقَسَّمته الهموم» أي شَتَّتَتْ خـواطره، ووزَّعت هواجسه. وغادرنه: تركنه. والنهب: الغنيمة؛ وكل ما انتهب.

(٢٥) عقد مع الفجر راية: أي نظم المحاربين تحت راية الحرب، وقادهم، وقت الفجر. ولم أدع باسمي: لم أجهر باسمي، والمعنى أن المحاربين من جنده وأوليائه كانوا ينادونه في الحرب باسمه، لمنازلة الأبطال من أعدائهم، والفتـك بهم. والكمي: لابس السلاح. والمنـازل: المقاتل المحارب.

(٢٦) بَعَث الخيل المغيرة على أعدائه: سلطها عليهم. وأغار على أعدائه: هجم، ودفع عليهم الخيل، وأوقع بهم. والضحـا: حين تشرق الشمس. والضحـوة: ارتفاع النهـار، بعد طلوع الشمس. وركوب: صيغة مبالغة من ركبه ركوباً. والكريهة: الحرب، أو الشدة فيها. وكثرة ركوبه الكرائه: كناية عن تمرسه بالحروب، وكثرة معاناتها. وباسل: بطل شجاع.

(٢٧) نزائع: نجائب، وكرائم، واحـدتها نـزيعة (بـوزن كريمـة)، أي تنزع إلى أصـل كريم. وعلكت الدابة اللجام: لاكتْه، وحركته في فمها. والشكيم: جمع شكيمة (بوزن سفينة)، وهي من اللجام: الحديـدة المعترضـة في فم الفرس. والـوجى: مصدر وجي المـاشي (كتعب): أي حفي، ورقت قدمه، أو حافره، أو خفه، وكَلَّ من كثرة المشي وتتابعه. وعرِّيت: المراد تُركت في إصطبلاتها مُعـراة، أي مجردة من معـدّات الركـوب والسفر، وأدوات الحرب والقتال. وأمثالها: أمثال النزائع، أي أشباهها ونظائرها. ويراد بالمنازل: إصطبلات الخيل، وحظائرها.

يصف الخيل التي كان يغير بها مع صحبه وأتباعه على الأعـداء، بأنهـا أصيلة كريمـة نجيبة، وأنها كانت تلوك الشكائم واللُّجم، مع ما بها من الحفي، والكلال، على حين أن أشباهها، مُخَلاة ناعمة رافهة في حظائرها.

(٢٨) باد: ظاهر. والشمال (بوزن كتاب): الخُلق، والطبع، والسجية التي جُبل الإنسان عليها، والجمع الشمائل.

(٢٩) دعاه إلى كذا يدعوه: صاح به، وناداه؛ وفي الدعاء هنا معنى الاستعانة، والاستنجاد.

يُكَفْكِفُ أُولَى الْخَيْـلِ مِنْـهُ بِـطَعْنَـةٍ ... تَمُجُّ دَمـاً مَـطْعُـونُهَـا غَيْـرُ وَائِـلِ (٣٠)

يَـكُـونُ عَـشَـاءَ الـزَّادِ آخِـرَ آكِـلٍ ... وَيَـوْمَ اخْتِلاَجِ الـطَّعْنِ أَوَّلَ حَـامِـلِ (٣١)

قَضَـوْا مَـا قَضَـوْا مِنْ دَهْـرِهِمْ ثُمَّ فَـوَّزُوا ... إِلَـى دَارِ خُلْدٍ ظِـلُّهَـا غَيْـرُ زَائِـلِ (٣٢)

وَقَالَ يَرُوضُ (*) الْقَوْلَ فِي بَعضِ الأَسَالِيبِ :

رَدَّ الْصِّبَـا بَعْـدَ شَيْبِ اللِّمَّـةِ الْـغَـزَلُ ... وَرَاحَ بِـالْجِدِّ مَـا يَـأْتِي بِـهِ الْهَـزَلُ (١)

والمعنى : إذا استنجدت الواحد من هؤلاء الأماجد لأمر يكربُك ، سارع إلى إنجادك في غير تردد .

(٣٠) يكفكف : يرد ، ويصد ، ويدفع . ويريد بأولى الخيل: فرسان المحاربين في مقدمة جيش أعدائه ، أي في الصفوف الأولى . أي يصد بطعنة منه هجمات المحاربين على ظهور الخيل في مقدمة جيش أعدائه. و «تمج دماً»: تفجر الدم، وتُسيله، وتُجريه من جسم المطعون. وغير وائل: غير ناج.

ما زال الشاعر يبكي هؤلاء الأماجد الكرام الأبطال ، ويرثيهم ، ويذكرهم بعد مماتهم بالخير ، وحسن الثناء ، ويقول : إن كل واحد منهم كان أمَّة ، يحارب في الصفوف الأولى بشجاعة وبسالة وإقدام ، ويدفع عن نفسه وجيشه المنازلين له من طليعة جيش أعدائه ، ويردهم على أعقابهم بطعنات داميات قاتلات .

(٣١) « عشاء » : مفعول به لـ « آكل » ، قدم عليه . والعشاء : طعام العشي . والزاد : طعام يتخذ للسفر ،أي أن كل امرىء من الذين يرثيهم كان آخر الآكلين إذا حضر عَشاء الزاد . واختلاج الطعن : أي اضطراب حركات الطعن ، واشتباكها في الطعان .

يقول : إن كل واحد من هؤلاء الكرام المرثيين كان آخر الآكلين إذا حضر الطعام ، وأول الهاجمين إذا استحر القتال ، واشتد الطعان والنزال .

(٣٢) قضى حاجته : أتمها وفرغ منها . ودهرهم : زمانهم ، ومدة حياتهم . وفوّزوا : رحلوا ، وانتقلوا . ودار الخلد : الجنة . والظل : ضوء شعاع الشمس إذا استترتْ عنك بحاجز . ويعبر بالظل عن الأمن والطمأنينة ، والراحة والدعَة ، والرفاهية والنعيم .

(*) يروض القول : من كلامهم « راض الشاعر القوافي الصعبة ، فارتاضتْ له»، أي انقادت ، وانطاعت له ، وسهلت عليه .

(١) رد الغَزَلُ الصبا : رجعه ، وأعاده إلى الشاعر . واللمة (بوزن القِمة) : الشَعر الذي يجاوز شحمة الأذن ؛ ويراد به هنا : شعر الرأس كله . وراح به : أي راح الهزل وملابساته بالجد

وَعَــادَ مَـا كَــانَ مِنْ صَبْـرٍ إلَى جَـزَعٍ   بَـعْـدَ الإبَــاءِ وَأَيَّــامُ الْـفَـتَـى دُوَلُ(٢)
فَلْيَصْـرِفِ اللَّوْمَ عَنِّي مَنْ بَـرِمْـتُ بِــهِ   فَلَيْسَ لِلْقَلْبِ فِي غَيْـرِ الْهَـوَى شُغُـلُ(٣)
وَكَيْفَ أَمْلِكُ نَفْسِي بَـعْـدَ مَـا ذَهَبَـتْ   يَـوْمَ الْفِرَاقِ شَعَـاعـاً إثْـرَ مَنْ رَحَلُوا ؟(٤)
تَقَسَّمَتْنِي النَّـوَى مِنْ بَعْـدِهِمْ وَعَـدَتْ   عَنْهُـمْ عَـوَادٍ فَــلاَ كُتْبٌ وَلاَ رُسُــلُ(٥)
فَـالصَّبْـرُ مُنْخَـذِلٌ وَالـدَّمْـعُ مُنْهَمِـلٌ   وَالْعَقْـلُ مُخْتَبِـلٌ وَالْقَلْبُ مُشْتَغِـلُ(٦)
أَرْتَـاحُ إنْ مَـرَّ مِـنْ تِـلْقَـائِـهِـمْ نَـسَـمٌ   تَسْـرِي بِهِ فِي أَرِيـجِ الْعَنْبَـرِ الأُصُـلُ(٧)
سَــارُوا فَمَـا اتَّخَـذَتْ عَيْنِي بِهِمْ بَـدَلاً   إلاَّ الْخَيَــالَ وَحَسْبِـي ذَلِـكَ الْبَـدَلُ(٨)

وملابساته . وملابسات الجد : الصرامة ، والرزانة . وملابسات الهزل وما يأتي به ، وينتجه : الخفة ، والطيش ، والمزاح ، وما إليه .

(٢) الجزع : حزن يصرف الإنسان عمّا هو بصدده ، ويقطعه عنه ، ونقيضه الصبر . والإباء : الامتناع ، والاستعصاء . وأيام الفتى دُول : أي تسالمه أحياناً ، وتحاربه أحياناً ، وهكذا تياسره وتعاسره ، وتصالحه وتخاصمه ، وتُقْبل عليه ، وتعرض عنه ، فمرة له ، ومرة عليه .

(٣) برم به : سئمه ، وملّه .
والمعنى : أن الحب شغل قلبه ، واستأثر به ، وصرفه عما عداه ؛ فإذا عذله عاذل تبرّم به ، وضجِر منه .

(٤) الاستفهام في أول هذا البيت معناه النفي ؛ فالشاعر لا يملك نفسه بعد ارتحال أحبائه .
وذهبتْ نفسه شعاعاً : تمزقتْ ، وتبددت من الهم ونحوه .
يقول : لما فارقه أحباؤه ، افترق شمله ، وتمزق من الوجد قلبه ، وذهبتْ نفسه عليهم حسرات .

(٥) النوى : البُعد . وتقسَّمتني النوى : فرّقت شملي ، وشتّتت خواطري . والعوادي : جمع العادية ، وهي الشغل يصرفك عن الشيء .

(٦) منخذل : ضعيف . ومنهمل : منصبّ غزير . ومختبل : مضطرب ، فاسد . ومشتغل : مشغول ، مهموم .

(٧) نسَم الريح : أولها حين تُقبل بلين ، قبل أن تشتد . وتسري به : أي تَسري بالنسَم ، أي تحركه ، وتسيّره . و«الأُصُل» : جمع أصيل ، وهو الوقت بعد العصر إلى المغرب .

(٨) المعنى : ارتحل أحبابه ، واستعصى عليه لقاؤهم ؛ فلم يسعه إلا أن يقنع برؤية أخيلتهم ، ومناجاة أطيافهم ، ويبقى على الدوام حافظاً لعهدهم ، مقيماً على ودهم .

فَخَـلِّ عَنْكَ مَـلاَمِي يَا عَـذُولُ فَقَدْ	سَـرَّتْ فُؤَادِي عَلَى ضَعْفٍ بِـهِ الْعِلَلُ(٩)
لَا تَحْسَبَنَّ الْـهَـوَى سَهْـلاً فَـأَيْسَـرُهُ	خَـطْبٌ لَعَمْـرُكَ لَـوْ مَيَّـزْتَـهُ جَلَلُ(١٠)
يَسْتَنْـزِلُ الْمَـلْكَ مِنْ أَعْـلَى مَنَـابِـرِهِ	وَيَسْتَـوِي عِنْـدَهُ الـرِّعْـدِيـدُ وَالْبَـطَلُ(١١)
فَـكَيْـفَ أَدْرَأُ عَنْ نَـفْسِـي وَقَـدْ عَلِمَـتْ	أَنْ لَيْسَ لِي بِمُنَـاوَاةِ الْهَـوَى قِبَـلُ ؟(١٢)
فَلَوْ قَـدَرْتُ عَلَى شَـيْءٍ هَـمَـمْـتُ بِـهِ	فِي الْحُبِّ لَكِنْ قَضَـاءٌ خَـطَّهُ الأَزَلُ(١٣)
وَلِـلْمَـحَـبَّـةِ قَـبْـلِي سُـنَّـةٌ سَـلَفَتْ	فِي الـذَّاهِبِينَ وَلِي فِيمَنْ مَضَى مَثَـلُ(١٤)
فَـإِنْ تَكُنْ نَـازَعَتْنِي الـنَّـفْسُ بَـاطِلَهَـا	وَأَطْلَعَتْنِي عَـلَى أَسْـرَارِهَـا الْكِـلَلُ(١٥)

(٩) خلّ عنك ملامي : لا تلمني . وعذول : لائم . وسرّه : طعنه في سُرته ، أي في وسط بطنه . والمراد هنا مطلق الطعن والإصابة . وسره سروراً : أفرحه .

(١٠) أيسره : أيسر الهوى ، أي أسهله ، وأهونه . والخطب : الأمر الشديد . وجلل: عظيم . ولو ميزته : لو عرفته ، وفطنت له ، وأدركت حقيقته .

(١١) يستنزله : يُنْزله ، ويُحطه . ومنابر الملك: مرتبته العالية ، ومنزلته الرفيعة. والرعديد: الجبان يشتدّ به الجبن ؛ فيكثر ارتعاده .

والمعنى : أن سلطان الحبّ قاهر غلّاب ، يَتَعبّد الملوك والسُوقة ، ولا تصمد أمامه البطولة والشجاعة ؛ فالبطل الشجاع كالرعديد الجبان ؛ يتساويان تحت سيطرة الحبّ وسطوته .

(١٢) درأه : دفعه ، وصدّه . وناواه مناواة : عاداه ، وقاومه ، وأصله الهمز . وقِبَل (بوزن عنب) : طاقة ، ومقدرة .

(١٣) همّ به : أراده ، وقصده ، وعزم على القيام به ، أي فلو قَويت على شيء مستطاع في أمر الحبّ ، يصرفه أو يَحُدّه ، لهممت به . ولكن قضاء : أي ولكنّ الحبّ قضاء ، أي حكم فاصل ، لا مردّ له . وخَطّه : كتبه ، ورسمه ، وقدّره . والأزل : القِدَم ، ويراد بالقضاء الذي خَطّه الأزل : أنه قضاء أزلي ، لا سبيل إلى نقضه ، أو ردّه ، أو الفرار منه .

(١٤) سنّة : مذهب ، وطريقة ، وسيرة . وسلفتْ : مضت. وفي الذاهبين: أي الماضين من الناس في سالف الزمان .

(١٥) نازعتْني النفس باطلها : عاطتْني نفسي ذلك الباطل ، أي ناولتْني إيّاه ، والمراد أنها مهّدتْ لي سبيله ، وأوقعتْني فيه ، وأني شاركتها في الباطل ، وشاركتْني فيه . ويراد بالباطل هنا : اللهو ، والحبّ ، والغزل . والكِلل : جمع كِلّة (بوزن علّة علل) ، وهي هنا ثوب رقيق ،

فَقَــدْ أَسِيــرُ أَمَــامَ الْقَــوْمِ ضَــاحِيَــةً وَالْجَــوُّ بِالْبَــاتِــرَاتِ الْبِيضِ مُشْتَعِــلُ(١٦)

بِكُــلِّ أَشْقَــرَ قَــدْ زَانَــتْ قَــوَائِــمَــهُ حُجُولُــهُ غَيْــرَ يُمْنَى زَانَهَــا الْعَــطَلُ(١٧)

كَــأَنَّــهُ خَــاضَ نَهْــرَ الصُّبْــحِ فَــانْتَبَــذَتْ يُمْنَــاهُ وَانْبَثَّ فِي أَعْطَافِهِ الطَّفَــلُ(١٨)

زُرْقٌ حَــوَافِــرُهُ سُــودٌ نَــوَاظِــرُهُ خُضْــرٌ جَحَــافِلُهُ فِي خَلْقِــهِ مَيَــلُ(١٩)

كَــأَنَّ فِــي حَــلْقِــهِ نَــاقُــوسَ رَاهِــبَــةٍ بَــاتَــتْ تُحَــرِّكُــهُ أَوْ رَاعِــدٌ زَجِــلُ(٢٠)

تستتر فيه المرأة. واطّلاع الكلل إيّاه على أسرارها: كناية عن إحاطته بشؤون الحسان المحجّبات، ووقوفه على أسرارهن.

جعل الشاعر هذا البيت تمهيداً لانتقاله من اللهو والهزل، والحبّ والغَزَل إلى الفخر بشجاعته وبطولته الحربيّة، والابتهاء بسيره أمام المحاربين يقودهم، ويتقدّم صفوفهم.

(١٦) «فقد أسير . . .»: جواب «إن» الشرطية في البيت السابق. ويريد بالقوم: جماعة المحاربين. وضاحية: علانية، جهاراً. والجوّ: الفضاء، ويراد به هنا: جوّ الحرب، وميدان القتال. والباترات: جمع باتر، وهو السيف القاطع. والبيض: جمع أبيض، وهو السيف. ومشتعل: ملتهب، وهو هنا من مجاز اللغة؛ فبريق السيوف، ولمعانها، واضطراب حركاتها في جوّ القتال يشبه اشتعال النيران وتوقّدها.

(١٧) بكلّ أشقر: بكلّ فرس أو جواد أشقر، وهو متعلّق بالفعل «أسير» في البيت السابق. وأشقر: صفة من الشُّقْرة، وهي في الخيل حمرة صافية، يحمرّ معها العُرْف والذَّنَب. والعرب تقول: «أكرم الخيل وذوات الخير منها شُقرها». وزانت حجوله قوائمه: جمّلتْها، وحسّنتْها. وغير يمنى: غير قائمة يمنى. والعطل هنا: خلاف التحجيل. والمراد أن يمنى هذا الجواد خلت من التحجيل.

يقول: إنه يَقْدُمُ قومه محارباً بكلّ جواد أشقر، ازدانتْ ثلاثة من قوائمه بالتحجيل، وخَلَتْ منه الرابعة، وهي رجله اليمنى؛ فزانها هذا الخلوّ، وحسّنها، وجمّلها.

(١٨) نهر الصبح: الصبح الشبيه بالنهر. وانتبذتْ: اعتزلتْ، وتنحّتْ. وانبثّ: تفرّق، وانتشر. وأعطافه: جوانبه، جمع عطف (بكسر فسكون)؛ ويراد بأعطافه: جسمه. وطَفَل الغداة: الوقت بُعَيْدَ طلوع الشمس. وطَفَل العشيّ: قُبَيْلَ غروبها، حين اختلاط أوّل الليل بآخر النهار.

(١٩) الجحافل: جمع جَحْفَلَة (بوزن كوكبة)، وهي لذوات الحافر من الخيل والبغال والحمير كالشَفَة من الإنسان. وفي خَلْقه: في خِلْقته. والميل هنا: ما يُعْرف في الصافنات الجياد، ونجائب الخيل من التبختر، والتمايل، والتثنّي، وحسن المِشْية.

(٢٠) زَجِل: صائح صاخب، صفة من زجل، أي رفع صوته، وأجْلَبَ.

يَمُرُّ بِالْوَحْشِ صَرْعَى فِي مَكَامِنِهَا ... فَمَا تَبِينُ لَهُ شَدّاً فَتَنْخَذِلُ(٢١)

يَرَى الإِشَارَةَ فِي وَحْيٍ فَيَفْهَمُهَا ... وَيَسْمَعُ الزَّجْرَ مِنْ بُعْدٍ فَيَمْتَثِلُ(٢٢)

لَا يَمْلِكُ النَّظْرَةَ الْعَجْلَاءَ صَاحِبُهَا ... حَتَّى تَمُرَّ بِعِطْفَيْهِ فَتُحْتَبَلُ(٢٣)

إِنْ مَرَّ بِالْقَوْمِ حَلُّوا عَقْدَ حَبْوَتِهِمْ ... وَاسْتَشْرَفَتْ نَحْوَهُ الأَلْبَابُ وَالْمُقَلُ(٢٤)

تَقُودُهُ بِنْتُ خَمْسٍ فَهُوَ يَتْبَعُهَا ... وَيَسْتَشِيطُ إِذَا هَاهَى بِهِ الرَّجُلُ(٢٥)

أَمْضِي بِهِ الْهَوْلَ مِقْدَاماً وَيَصْحَبُنِي ... مَاضِي الْغِرَارِ إِذَا مَا اسْتَفْحَلَ الْوَهَلُ(٢٦)

والبيت في وصف صهيل ذلك الفرس بالقوّة والشدّة ؛ فهو كصوت أجراس الأديرة والكنائس ، أو صوت السحاب الراعد الزاجل .

(٢١) صَرْعَى : ملقاة على الأرض . ومكامنها : مخابئها . وتبين : تستبين ، وتكشف . و« شدّاً » : عَدْواً ، وجرياً . وتنخذل : تضعف ، وتنهار .

والمعنى : أن هذا الفرس يمرّ بالوحوش وهي مختبئة في مكامنها آمنة مطمئنة ، لا تخاف عدوّاً ؛ ولكنّه يفاجئها ويباغتها ، قبل أن تلمح ركضه ، أو تحسّ به ؛ فلا تكاد تجد وسيلة للفرار منه ؛ ولهذا تسقط بين يديه مغلوبة مأخوذة .

(٢٢) يراد بالإشارة : إشارة صاحبه ، أو راكبه ، معبّراً بالإيماء والإشارة عن معنى من المعاني التي يقصدها ، كالدعوة إلى الدخول ، أو الخروج ، أو الوقوف ، أو السير ، أو القفز والتَخَطّي . وفي وَحْيٍ : في خفاء . والزجر : مصدر زجره ، أي منعه ، وكفّه . ويمتثل : يطيع ، وينقاد .

(٢٣) العَجْلَى (بوزن السَكْرَى) : السريعة ، صفة من العجلة ؛ ولعلّ الشاعر مدّ المقصور لضرورة وزن الشعر . وعطفاه : جانباه . وتحتبل (بالبناء للمجهول) : تصاد . احتبل الصائد الصيد : نصب له الحبالة ، وهي المِصْيدة ، فصاده بها .

(٢٤) الحبوة : الاسم من الاحتباء ، مصدر احتبى الإنسان بثوب ، أي أداره على ساقيه وظهره ، فجمع بينها وهو جالس ، ليستند . ويقال : حَلَّ فلان حبوته : أي قام ونهض . وعقد حبوته : أي جلس ، أو قعد . واستشرفتْ : نظرتْ . والألباب : العقول ، أو القلوب . والمقل : العيون ، واحدتها مقلة (بوزن غرفة) .

(٢٥) يستشيط : يشتدّ نشاطه ؛ وتبدو قوّته في أشدّ حالاتها . وهاهى به : دعاه وناداه ، أو زجره ، ونهره .

(٢٦) أمضي : أذهب ، وأزيل . والهول : المخافة ، أو الأمر المخيف المفزع الشديد ؛ ويراد به هنا : الحرب ، وجمعه أهوال ، والأصل : أمضي بجوادي إلى الهول : أذهب بجوادي من



يَمُــرُّ بِـالْهَـامِ مَـرَّ الْبَـرْقِ فِي عَجَـلٍ وَقْتَ الضِّـرَابِ وَلَمْ يَعْلَقْ بِـهِ بَلَلُ(٢٧)

تَـرَى الـرِّجَـالَ وُقُـوفَـاً بَعْـدَ فَتْكَتِـهِ بِهِمْ يُـظَنُّـونَ أَحْيَـاءً وَقَـدْ قُتِلُوا(٢٨)

كَـأَنَّـهُ شُعْلَةٌ فِي الْكَفِّ قَـائِمَـةٌ تَهْفُـو بِهَـا الـرِّيحُ أَحْيانـاً وَتَعْتَـدِلُ(٢٩)

لَـوْلَا الـدِّمَـاءُ الَّتِي يُسْقَى بِهَـا نَهَـلاً لَكَـادَ مِنْ شِـدَّةِ الَّـلأْلَاءِ يَشْتَـعِلُ(٣٠)

يَفُـلُّ مَـا بَقِيَتْ فِـي الْكَفِّ قَبْضَتُـهُ كُـلَّ الْحَـدِيـدِ وَلَمْ يَثْـأَرْ بِـهِ فَلَلُ(٣١)

بَـلْ رُبَّ سَـارِيَـةٍ هَـطْلَاءَ دَانِـيَـةٍ تَنْمُـو السَّـوَامُ بِهَـا وَالنَّبْتُ يَكْتَهِلُ(٣٢)

كَـأَنَّ آثَـارَهَـا فِـي كُـلِّ نَـاحِـيَـةٍ رَيْطٌ مُـنَشَّـرَةٌ فِـي الأَرْضِ أَوْ حُلَلُ(٣٣)

أجل ملاقاة الهول. ومقداماً : شجاعاً ، جريئاً في الحروب . والماضي : الحادّ ، البتّار ، السريع القطع . والغرار : حدّ السيف والرمح ونحوهما . واستفحل الأمر : تفاقم واشتدّ . والوَهَل : الذّعر ، والفزَع .

(٢٧) فاعل « يمرّ » ضمير مستتر ، يعود على « ماضي الغرار » ، أي سيفه البتّار في البيت السابق . والهام هنا : رؤوس المحاربين من الأعداء ، وأجسادهم . والضراب : الجِلاد ، والقتال . ولم يعلق به : لم يعلق بالسيف . والبلل : الندى ، والماء ، ويراد به هنا : دم القتلى ، والجرحى من الأعداء .

(٢٨) يقول: إن سيفه يفتك بأعدائه فتكاً سريعاً خاطفاً؛ ولهذه السرعة الخاطفة المذهلة يظلون برهة واقفين بعد فتكه بهم ؛ فيخيل إلى من يراهم أنهم أحياء ، وهم في الحقيقة قتلى .

(٢٩) كأنه : أي سيفه البتار . والشعلة : لهب النار . وقائمة : ظاهرة . وتهفو بها الريح : تحركها ، وتميلها .

(٣٠) يسقى بها نهلاً : يسقى بها سقياً مروياً تاماً . واللألاء : ضوء فيه لمعان واضطراب وحركة .

(٣١) يفل : يثلم ، ويكسر ، أي يفل ما بقيت قبضته في كفي . ويراد بـ « كل الحديد » : الدروع ، والبيضات ، والخوذات . والفلل : انثلام حد السيف ونحوه ، أي تكسر شفرته .

(٣٢) السارية : السحابة تأتي ليلاً . وهطلاء : هاطلة ، أي ممطرة ، يهطل مطرها متتابعاً . ودانية : قريبة . والسوام ، والسائمة : الماشية والإبل الراعية . واكتهل النبت : تم طوله وظهر نوره .

وصف هذه السحابة الليلية بأنها غزيرة المطر ، عظيمة الفائدة ، وأشار إلى بعض آثارها من كثرة المرعى ، واكتهال النبات ، ونماء الماشية .

(٣٣) الريط : جمع ريطة ، وهي الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ، ونسجاً واحداً ، وكل ثوب يشبه

يَمَّمْتُهَا بِرِفَاقٍ إِنْ دَعَوْتُ بِهِمْ لَبُّوا سِرَاعًا وَإِنْ أَنْزِلْ بِهِمْ نَزَلُوا(٣٤)

قَصْداً إِلَى الصَّيْدِ لاَ نَبْغِي بِهِ بَدَلاً وَكُلُّ نَفْسٍ لَهَا فِي شَأْنِهَا عَمَلُ(٣٥)

حَتَّى إِذَا أَلْمَعَ الرُّوَّادُ مِنْ بَعَدٍ وَجَاءَ فَارِطُهُمْ يَعْلُو وَيَسْتَفِلُ(٣٦)

تَغَاوَتِ الْخَيْلُ حَتَّى كِدْنَ مِنْ مَرَحٍ يَذْهَبْنَ فِي الأَرْضِ لَوْلاَ اللُّجْمُ وَالشُّكُلُ(٣٧)

فَمَا مَضَتْ سَاعَةٌ أَوْ بَعْضُ ثَانِيَةٍ إِلاَّ وَلِلصَّيْدِ فِي سَاحَاتِنَا نُزُلُ(٣٨)

فَكَانَ يَوْماً قَضَيْنَا فِيهِ لَذَّتَنَا كَمَا اشْتَهَيْنَا فَلاَ غِشٌّ وَلاَ دَغَلُ(٣٩)

هَذَا هُوَ الْعَيْشُ لاَ لَغْوُ الْحَدِيثِ وَلاَ مَا يَسْتَغِيرُ بِهِ ذو الإِفْكَةِ النَّمِلُ(٤٠)

الملحفة . ومنشرة : منشورة ، مبسوطة . والحلل : جمع حلة ، وهي الثوب الساتر لجميع البدن .

(٣٤) يممتها : يممت آثار هذه السحابة ، أي قصدتها ، وأردتها ، واتجهت إليها . وبرفاق : مع رفاق . ودعوت بهم : استحضرتهم ، أي إن ناديتهم أجابوني مسرعين ، وإن أنزلتهم في مكان نزلوا معي مطيعين .

(٣٥) « قصداً » : حال ، بمعنى « قاصدين » ، أي قصدنا إلى الصيد قصداً .

(٣٦) ألمع بيده : أشار . والروّاد : جمع الرائد ، وهو من يتقدّم القوم ؛ ليبصر لهم الكلأ ، ويرود المرعى . ومن بَعَد : من بعيد . وفارطهم : فارط الرواد ، أي متقدمهم ، وسابقهم . ويعلو ، ويستفل : يرتفع ، ويهبط ، أي يجتاز في عَدْوه ، أو سيره إليهم النجاد والوهاد .

(٣٧) تغاوت (بالغين المعجمة) : جواب « إذا » الشرطية في البيت السابق ، ومعناه : تَألَّبَتْ ، وتجمعت ، ونَشِطَتْ لمطاردة الصيد . واللجم: جمع لجام (بوزن كتاب وكتب) ، وهو الحديدة في فم الفرس . والشكل : جمع شكال (بوزن كتاب وكتب) ، وهو القيد ، وحبل تشدّ به قوائم الدابّة .

(٣٨) معنى البيت : سارعنا بخيلنا إلى الطَرَد ، وما هي إلاّ برهة يسيرة ، حتّى كانت ساحاتنا مستقرّاً لما ظفرنا به من الصيد .

(٣٩)الدغل : الفساد والريبة .

ينوّه بيوم الطَرَد والصيد ، واجتماعه فيه برفاقه على الإخلاص والصفاء والنقاء ، وصدق الوداد ، وحسن التعاون ؛ وبهذا قَضَوا في ذلك اليوم وطرهم ، وبلغوا غاية ما تمنّوه واشتهته نفوسهم من المتعة واللّذة .

(٤٠) العيش : المعيشة ، والحياة . ولغو الحديث : سقطه ، وما لا خير فيه ، ولا فائدة .

إِنَّ النَّمِيمَةَ وَالأَفْوَاهُ تُضْرِمُهَا	نَارٌ مُحَرِّقَةٌ لَيْسَتْ لَهَا شُعَلُ[٤١]
فَاتْبَعْ هَوَاكَ وَدَعْ مَا يُسْتَرَابُ بِهِ	فَأَكْثَرُ النَّاسِ إِنْ جَرَّبْتَهُمْ هَمَلُ[٤٢]
وَاحْذَرْ عَدُوَّكَ تَسْلَمْ مِنْ خَدِيعَتِهِ	إِنَّ الْعَدَاوَةَ جُرْحٌ لَيْسَ يَنْدَمِلُ[٤٣]
وَعَالِجِ السِّرَّ بِالْكِتْمَانِ تَحْمَدُهُ	فَرُبَّمَا كَانَ فِي إِفْشَائِهِ الزَّلَلُ[٤٤]
وَلَا تَكُنْ مُسْرِفاً غِرّاً وَلَا بَخِلاً	فَبِئْسَتِ الْخَلَّةُ الإِسْرَافُ وَالْبَخَلُ[٤٥]
وَلَا يَهُمَّنْكَ بَعْضُ الأَمْرِ تَسْأَمُهُ	لَا يَنْتَهِي الشُّغْلُ حَتَّى يَنْتَهِي الأَجَلُ[٤٦]

ويستغير : يغير ، ويهجُم . والإفكة : الكذب ، والخداع . وذو الإفكة : الكذاب المخادع . والنمل : النمام . والنميلة : النميمة ، والوشاية .

(٤١) النميمة : اسم من نم الحديث ، أي سعى به ليوقع فتنة ، أو أظهره بالوشاية . والشعل : جمع شعلة ، وهي لهب النار . وليست لها شعل : كناية عن خفاء هذه النار ، واستتارها ، على الرغم من أنها فظيعة التحريق ، شديدة الإتلاف والتمزيق .

(٤٢) استراب به : رأى منه ما يكرهه ويريبه . ودع ما يستراب به : اجتنب الأمور التي يراها الناس ، أو تراها أنت مدعاة للظنة ، والشك ، والتهمَة . والهَمَل : المهمل ، المتروك ، بلا رعاية ، ولا عناية .

(٤٣) يندمل : يلتئم ، ويتماثل ، ويبرأ .

يدعو إلى الاحتراز من العدو ، والإقامة على توقّيه ؛ وبهذا يسلم المحترز من شر أعدائه ومكرهم ، وخَتْلهم ، وخديعتهم .

(٤٤) يراد بعلاج السر بالكتمان : المحافظة عليه ، وصيانته ووقايته . والزلل : السقوط والضرر . والمعنى : أن السر لا قيمة له ، إلا إذا حوفظ عليه ، وبولغ في صيانته ، بإخفائه وكتمانه ؛ أما التفريط فيه ، أو التهاون به ، فإنه يجلب الندم والضرر ، والأذى والزلل ، وسوء العواقب .

(٤٥) الغر : من يجهل الأمور ، ويغفل عنها ، وينخدع إذا خُدع ؛ لقلة تجربته ، وعدم فطنته ؛ وقد جعله الشاعر صفة للمسرف . والخلة : الخصلة ، وهي خلق في الإنسان ، يكون فضيلة ، أو رذيلة .

يدعو إلى فضيلة القصد والاعتدال ، ويذم رذيلتي البخل والإسراف ، وينهى عنهما ، وعما يلابس الإسراف من الغرارة والجهل ، والغفلة والانخداع .

(٤٦) لا يهمنك : لا يحزننك . وهمه الأمر ، وأهمّه : أقلقه ، وأزعجه . وسئمه : ملّه ، وضجر منه ، وتبرم به . والأجَل : المدّة المضروبة لحياة المرء . وجاء أجله : حان موته .

واعْـرِفْ مَـوَاضِـعَ مَـا تَـأْتِيـهِ مِنْ عَمَـلٍ ... فَلَيْسَ فِي كُـلِّ حِينٍ يَحْسُنُ الْعَمَـلُ (٤٧)

فَـالرَّيْثُ يُحْمَـدُ فِي بَعْضِ الْأُمُـورِ كَمَـا ... فِي بَعْضِ حَالَاتِهِ يُسْتَحْسَنُ الْعَجَـلُ (٤٨)

هَــذَا هُـوَ الْأَدَبُ الْمَـأْثُـورُ فَـارْضَ بِـهِ ... عِلْمـاً لِنَفْسِـكَ فَـالْأَخْـلَاقُ تَنْتَقِـلُ (٤٩)

مِنْ كُـلِّ بَـيْـتٍ إِذَا الإِنْـشَـادُ سَـيَّـرَهُ ... فَـلَيْسَ يَمْـنَعُـهُ سَـهْـلٌ وَلَا جَبَـلُ (٥٠)

لَـمْ تُـبْـنَ قَـافِـيَـةٌ فِـيـهِ عَلَى خَـلَلٍ ... كَلَّا وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِي رَصْفِهَا الْجُمَـلُ (٥١)

ومعنى البيت : إذا مارست أمراً من أمور الحياة ، فأهمك بعضه وأضجرك ؛ فلا تبتئس ، واستعن عليه بالصبر والرفق والأناة ، وعالجه بالجدّ والدأب حتى ينطاع لك ، وتتغلب عليه ، فالحياة الدنيا كلها عمل ، والانسان لا ينتهي عمله فيها إلا بانتهاء حياته .

(٤٧) معنى البيت : إذا أحسن المرء تقسيم أعماله وأوقاته ، وعرف كيف يتخير لكل عمل موضعه ، نجحت أعماله ، فالعمل يحسن ، ويسهل إذا عمل في ما يناسبه من الوقت ، ويتعثر إذا وقع في زمن لا يلائمه .

(٤٨) الريث : الإبطاء ، وضده العَجَل ، ومثله العَجَلة .

يدعو الشاعر إلى مراعاة ما يتطلبه كلّ أمر من الريث ، أو العجلة ؛ ففي بعض الأحوال يستحسن التأني ، ويطلب ، فتحمد عواقبه . وقد تتطلب الحال العجلة فتؤدي إلى النجاح والسلامة .

(٤٩) هذا : يشير إلى ما حض عليه من الفضائل والمحامد ، ونهى عنه من الرذائل والمقابح . والمأثور : المنقول ، ينقله الخلف عن السلف . وعلماً لنفسك : علماً يروض نفسك ، ويؤدبها ، ويمهد لها طرق الخير والسعادة . وانتقال الأخلاق يكون بالقدوة ، والتوجيه ، والتعليم ، ورواية المأثور من الحكم والأمثال ، والإفادة من الوصايا والمواعظ .

(٥٠) « كل بيت » : بيان لشعره الذي نوه به في البيت السابق ، ويعني كل بيت من أبيات هذه اللامية المطولة . وأذاعه : أي جعله سائراً منشوراً ذائعاً بين الناس . ويمنعه : يعوّقه . والسهل : ما انبسط من الأرض ، وهو خلاف الحزن والهضبة والجبل .

يفتخر بأن شعره كله ذائع في كلّ مكان ، وعلى كلّ لسان ، تجري به الرواية والإنشاد ، ولا يكاد يعوقه شيء .

(٥١) بنى الشاعر القافية أو القصيدة : أقامها ، وأحكم نظمها . وخلل : وهن ، وضعف ، وفساد . وخلل القافية : عيوبها .

والمعنى : أن قوافيه كلّها سليمة البناء ، مبرأة من العيوب . وجمله كذلك ، لا يعيبها اختلاف ، أو تنافر ؛ بل يزينها الاتّساق ، والانسجام ، وإتقان النسج ، وحسن التأليف .



فَـلاَ سِـنَـادٌ وَلاَ حَـشْـوٌ وَلاَ قَـلَقٌ	وَلاَ سُـقُـوطٌ وَلاَ سَـهْـوٌ وَلاَ عِـلَلُ(٥٢)
تَـغَـايَـرَتْ فِـيـهِ أَسْـمَـاعٌ وَأَفْئِـدَةٌ	فَكُـلُّ نَـادٍ « عُكَـاظٌ » حِينَ يُـرْتَجَـلُ(٥٣)
لاَ تُنْكِـرُ الْكَـاعِبُ الْحَسْنَـاءُ مَنْـطِقَـهُ	وَلاَ يُـعَـادُ عَـلَى قَـوْمٍ فَـيُبْـتَـذَلُ(٥٤)

وَقَالَ يَصِفُ أَيَّامَ الرَّبِيعِ :

عَمَّ الْحَيَـا وَاسْتَنَّتِ الْـجَـدَاوِلُ	وَفَاضَتِ الْغُـدْرَانُ وَالْمَنَـاهِـلُ(١)

---

(٥٢) السناد في القافية : اختلاف ما يراعى قبل الروي من الحروف والحركات ، وهو من عيوب الشعر . والحشو : زيادة في الكلام ، لا قيمة لها ، ولا فائدة منها . والقلق : الاضطراب . وكلام قلق : مضطرب ، فاسد ، غير فصيح ، ولا بليغ ، ولا واضح الدلالة . وقافية قلقة : نابية ، متجافية ، ولا ملائمة . والسقوط : مصدر سقط في الكلام ، أي زلّ ، وأخطأ . والسهو : مصدر سها عن الشيء ، أي غفل عنه ، وذهب قلبه إلى غيره . ويراد بالسهو هنا : العيوب التي تقع في الكلام والشعر بسبب سهو المتكلم والشاعر ، أو غفلته ، أو قلّة فطنته . والعلل : جمع علة ، ويراد بها التغير الذي يلحق بعض أجزاء الشعر ؛ فينقص جمال وزنه ، وروعة موسيقاه .

(٥٣) تغايرت : اختلفت ، بمعنى ترددتْ ، أي تغايرت أسماع وأفئدة إلى هذا الشعر الرائق الفائق . وقد يكون التغاير هنا بمعنى الاختلاف والاختصام .

والمعنى : أن الناس يختلفون في تعرّف هذا الشعر ونقده ، ويختصمون في دراسته وتفهمه ؛ فهو مادة غزيرة فياضة ، ومجال واسع فسيح لاختلاف النظرات والدراسات . وتعاكظوا : تناشدوا الأشعار ، ومنه « عكاظ » (يذكر ، ويؤنث) ، وهو أشهر أسواق العرب في جاهليتهم ، وفيه تجتمع قبائل العرب للتعاكظ . ويرتجل : المراد ، يُلقى ، وينشد . يقال : ارتجل الخطيب خطبته والشاعر قصيدته إذا ابتدرها من غير تهيئة ، أو إعداد .

(٥٤) أنكره إنكاراً : جهله ، ولم يعرفه . وأنكر عليه فعله : عابه ، واستهجنه . والكاعب : الناهد ، وهي الفتاة التي كعب ثديها ، أي نهد ، وبرز ، والجمع كواعب . والمنطق : الكلام . ويعاد : يكرر ، من الإعادة ، وهي التكرار . ويبتذل : يمتهن .

والمعنى : أن الكواعب الحسان يعرفن شعره ، ولا يستهجن منه شيئاً ؛ إذ ليس فيه ما يخجل الغانيات ، وإنه ليعاد ، ويردد ، فتبقى له مع الإعادة ، والترديد ، قيمته ، ونفاسته ، وروعته .

(١) الحيا : المطر . واستنّتْ : انصبتْ ، وجرتْ . والجداول : الترع والأنهار الصغيرة ، مفردها جدول . والغدران : جمع غدير ، وهو القطعة من الماء يغادرها السيل . ويراد بالغدران هنا :



وَازَّيَّنَتْ بِنَـوْرِهَـا الْخَمَـائِـلُ وَغَـرَّدَتْ فِي أَيْكِهَـا الْبَـلَابِـلُ[٢]
وَشَمِـلَ الْبِقَـاعَ خَيْـرٌ شَـامِـلُ فَصَفْحَـةُ الأَرْضِ نَبَاتٌ خَـائِلُ[٣]
وَجَبْهَـةُ الْجَـوِّ غَمَـامٌ حَـافِـلُ وَبَيْنَ هَـذَيْـنِ نَسِيمٌ جَـائِـلُ[٤]
تَنْدَى بِـهِ الأَسْحَـارُ وَالأَصَائِـلُ كَـأَنَّمَا النَّبَـاتُ بَحْرٌ هَـائِـلُ[٥]
وَلَيْسَ إِلَّا الأَكَمَـاتِ سَـاحِـلُ وَشَامِخُ الـدَّوْحِ سَفِينٌ جَـافِـلُ[٦]
مُعْتَـدِلٌ طَـوْراً وَطَـوْراً مَـائِـلُ تَهْفُـو بِـهِ الْجَنُوبُ وَالشَّمَـائِـلُ[٧]
وَالْبَـاسِقَـاتُ الشُّمَّـخُ الْحَـوَامِـلُ مَشْمُـورَةٌ عَنْ سُوقِهَـا الـذَّلَاذِلُ[٨]

القنوات ، ومجاري المياه المتفرعة من النيل وفروعه . والمناهل : الموارد ، أي المشارب ، جمع منهل ، اسم مكان من نهل ، أي شرب .

(٢) ازّينت : تجمّلت . والنَوْر : الزهر ، واحدته نورة ، وجمعه أنوار . والخمائل والأيك : الشجر الكثير المجتمع . والبلابل : جمع بلبل ، وهو طائر صغير ، يضرب به المثل في طلاقة اللسان ، وحسن الصوت .

(٣) صفحة الأرض : وجهها . ونبات خائل : مهتز بحركة النسيم ، كالمختال المتمايل المعجب بنفسه .

(٤) جبهة الجو : الفضاء بين السماء والارض . والغمام : السحاب . وحافل : ممتلىء . وبين هذين : بين النبات والغمام . وجائل : متحرك .

(٥) تندى : تجود ، وتسخو . والأسحار : جمع سحر ، وهو الوقت آخر الليل ، قبيل الفجر . والأصائل : جمع الأصيل ، وهو وقت اصفرار الشمس قبيل غروبها . وهائل : عظيم ، رائع .

(٦) الأكمات : التلال ، الواحدة أكمة ، وهي الموضع يرتفع عما حوله . وشامخ : مرتفع عال . والدوح : جمع دوحة ، وهي الشجرة العظيمة المتشعبة . والسفين : الفلك ومراكب البحر ، الواحدة سفينة . والجافل هنا : المهتز المتحرك .

(٧) تهفو به : تحركه ، وتهزه . والجنوب : الريح التي تهب من جهة الجنوب .

(٨) الباسقات : طوال النخل ، جمع باسقة . والشُمَّخ : جمع شامخ ، اسم فاعل من شمخ ، أي طال ، وعلا ، وارتفع . والحوامل : المثمرات . ومشمورة : مرفوعة . وسوقها : جمع ساق ، وساق النخلة : جذعها . وذلاذل الثوب أو القميص الطويل : أسافله ، وما يلي الأرض منه . ويراد بالذلاذل هنا : سعف النخل ، وأغصانها .



مَلْوِيَّـةٌ فِي جِيـدِهَـا الْعَثَـاكِـلُ مَعْقُـودَةٌ فِي رَأْسِهَـا الْفَـلاَئِـلُ(٩)

لِلْبُسْـرِ فِيهَـا قَـانِيءٌ وَنَـاصِـلُ مُخَضَّبٌ كَـأَنَّـهُ الأَنَـامِـلُ(١٠)

كَـأَنَّـهُ مِـنْ ذَهَـبٍ قَـنَـادِلُ مِنَ الْعَـرَاجِينِ لَهَا سَـلاَسِـلُ(١١)

لِـلْمَنْجَنُـونِ بَيْنَهَـا أَزَامِـلُ تَخَالُهَا مَحْـزُونَـةً تُسَـائِـلُ(١٢)

لَـهَـا دُمُـوعٌ ذُرَّفٌ هَـوَامِـلُ كَـأَنَّـهَـا أُمُّ بَنِيـنَ ثَـاكِـلُ(١٣)

فِي جِيـدِهَـا مِنْ ضَفْـرِهَـا حَبَـائِـلُ مِنَ الْقَـوَادِيسِ لَهَـا جَـلاَجِـلُ(١٤)

---

(٩) ملوية : مثنيّة ، أو معطوفة . والجيد : العنق . والعثاكل : جمع عثكول ، وهو من النخل كالعنقود من العنب . ومعقودة : مربوطة . والفلائل : جمع فليلة ، وهي الشعر المجتمع ، ويراد بها هنا : السعف .

(١٠) البسر : ثمر النخل قبل أن يُرْطِب ، أو هو البلح إذا لوَّن ، ولم ينضج ، الواحدة بُسـرة . وفيها : في العثاكل . وقانىء : أحمر شديد الحمرة . وناصل : يراد به هنا البلح الأخضر إذا أخذ في الاحمرار . ومخضب : ملوّن . والأنامل : رؤوس الأصابع .

(١١) كأنه: كأن البسر؛ وهو هنا يصف البلح الأصفر الفاقع الذهبيّ. وترتيب الكلام: «كأن البسر قنادل من ذهب، لها سلاسل من العراجين». وقنادل: مصابيح، جمع قنديل، وهو مصباح كالكوب وجمعه القياسي قناديل. والعراجين: جمع عرجون، وهو ما يحمل الثمر، أو هـو العذق، وهو من النخل كالعنقود من العنب. ويراد بـالعراجين: الشماريخ ، جمـع شِمراخ وشُمروخ ، وهو الذي يجمع البسر وينتظمه. والسلاسل: جمع سلسلة؛ والقنديل يعلّق عادة فيّ سلسلة تحمله.

شَبَّـه البُسْر الأصفـر الفاقـع الذهبي المشـرق البهيج بقناديـل من ذهب ، سلاسلها الشماريخ .

(١٢) المنجنون : آلة يرفع بهـا الماء من التـرع ، والأنهار ، والآبـار ، لسقي النبات وإروائـه . وأزامل : أصوات مختلطة ، مفردها أزمل (بوزن أفضل) . ومحزونة : حزينة .

(١٣) لها : للمنجنون . وذُرَّف : جمع ذارف ، أي سائل ، منهمر . وهوامل : جمع هامل ، من همل الدمع . وثاكل : فقدت ولدها ، يقال : امرأة ثاكل ، وثَكْلى .

في البيت السابق جعل صوت المنجنون أنيناً ينم على الأسى والحزن . وفي هذا البيت شبّهها بمن فقدت أبناءها ؛ فهي لا تفتأ تبكيهم بدموع غزيرة ، فياضة .

(١٤) في جِيدها : في جيد المنجنون . والجيـد : العُنُق . ومن ضفرهـا : من ضفر بـاسقات النخيل ، يريد ليفها المضفور : أي المفتول . وحبائل : حبال . والقواديس : جمع قادوس ،



تَـدُورُ كَـالشُّهْـبِ لَهَـا مَنَـازِلُ ... فَـصَـاعِـدٌ وَدَافِـقٌ وَنَـازِلُ(١٥)

وَالْمَـاءُ مَـا بَيْنَ الْغِيَـاضِ سَـائِـلُ ... تَحْنُـو عَلَى شُطَانِـهِ الْغَيَـاطِـلُ(١٦)

كَـأَنَّـهَـا حَـوَائِـمٌ نَـوَاهِـلُ ... وَالـطَّيْـرُ فِي أَفْنَـانِهَـا هَـوَادِلُ(١٧)

تَـزْهُـو بِهَـا الأَسْحَـارُ وَالأَصَـائِـلُ ... فَانْهَضْ إِلَى نَيْلِ الْمُنَى يَا غَافِلُ(١٨)

وَانْعَمْ فَـأَيَّـامُ الـصِّبَـا قَـلائِـلُ ... وَالْمَرْءُ فِي الدُّنْيَـا خَيَالٌ زَائِـلُ(١٩)

وَالـدَّهْـرُ لِـلإِنْسَـانِ يَـوْمَـاً آكِـلُ ... وَكُـلُّ شَيْءٍ فِي الزَّمَـانِ بَـاطِـلُ(٢٠)

وَقَالَ يَصِفُ الْبَحْرَ :

وهو وعاء يستعمل لغرف الماء من البئر ، أو النهر ، لإرواء النبات والزرع ؛ وهي تصعد ملأى من الماء ، وتهبط فارغة ؛ وبحركات الصعود والهبوط ، واغتراف الماء وتفريغه وصبه تسمع الجلاجل : جمع جلجلة ، وهي صوت شديد .

(١٥) الشُّهب : الكواكب والنجوم المتلألئة ، واحدها شهـاب . ومنازل : أمـاكن تتنقل بينها . ودافق : من دفق الماء ، أي صبه بشدّة .

(١٦) الغياض : جمع غيضة ، وهي الموضع يكثر فيه الشجر ، ويلتف . وتحنو : تميل . وشطآن الماء : أي شطآن القنوات ومجاري المياه . والغياطل : جمع غيطلة ، وهي الشجر الكثير الملتف .

(١٧) كأنها : كأن الغياطل . وحوائم : طيور حوائم ، جمع حائم ، أو حائمة ، وهو الطائر يحوم على الماء . ونواهل : شاربات مرتويات . وأفنانها : أي أغصانها . وهوادل : جمع هادل ، أو هادلة ، من الهديل : وهو صوت الحمام ، وسجعه .

(١٨) تزهو : تشرق ، وتجمل . وبها : بالغياطل أو بما وصفـه وأشار إليه من محاسن الطبيعة . والأسحار : جمع السحر ، وهو الوقت قبيل الفجر . والأصائل : جمع الأصيل ، وهو الوقت حين تصفر الشمس لمغربها .

(١٩) أنعم : تمتع ، وتنعم . ويراد بأيام الصبا : عصر الشباب .

وفي هذا البيت حض على اغتنام زمن الشباب للاستمتاع بطيبات العيش ، ونعم الحياة قبل فوات هذا الزمن ؛ فإنه قصير ، قليل ، محدود ؛ بل العمر كله كذلك ، والإنسان في الدنيا كالظل ، أو الطيف الذي يظهر برهة ، ولا يلبث أن يذهب ويزول .

(٢٠) معنى هذا البيت أن الدهر يهلك الإنسان لا محالة ، ويقضي عليه يوم يـأتي أجله ؛ وكل مخلوق مصيره في الدنيا إلى البطلان والضياع ، والفناء والهلاك .

وَذِي حَـدَبٍ يَلْتَـجُّ بِـالسُّفْنِ كُـلَّمَـا زَفَتْـهُ نَؤُوجٌ فَـهُـوَ يَعْلُو وَيَسْفُـلُ[1]
كَـأَنَّ اطِّـرَادَ الْمَـوْجِ فَـوْقَ سَـرَاتِـهِ نَعَـائِمُ فِي عَـرْضِ السَّمَـاوَةِ جُفَّـلُ[2]

إذا شَـاغَبَتْـهُ الـرِّيحُ جَـاشَ عُبَـابُـهُ وَظَـلَّ أَعَـالِي مَـوْجِـهِ يَتَجَفَّـلُ[3]
يَـهِيـجُ فَيَـرْغُـو أَوْ يَـعِـجُّ كَـأَنَّمَـا تَـخَبَّـطَهُ مِنْ أَوْلَقِ الضِّغْنِ أَزْفَـلُ[4]

تَـقَسَّـمَـهُ خُـلْقَـانِ لِـيـنٌ وَشِـدَّةٌ بِـعَصْفَـةِ رِيـحٍ فَـهُـوَ دَاهٍ وَأَرْفَـلُ[5]
عَلَوْنَـا مَـطَاهُ وَهْـوَ سَاجٍ فَمَـا انْبَـرَتْ لَـه الـرِّيحُ حَتَّى ظَلَّ يَهْفُـو وَيَـرْفُـلُ[6]

---

(١) ذو حدب : بحر صاحب حدب ، أي مائج . ويلتج بالسفن : يضطرب بها ، ويهزها بعنف . وزفته : حركته ، وهاجته . ونؤوج : ريح شديدة الهبوب ، سريعة ، ذات صوت شديد .

(٢) اطراد الموج : تتابعه ، وتلاحقه . وسراة البحر : سطحه . والنعائم : جمع النعامة ؛ ويضرب بها المثل في الخوف والإجفال . والسماوة : صحراء مشهورة بين الشام والعراق ، وتعرف ببادية السماوة . وجفل : نافرات ، مسرعات ، جمع جافل .

شبه تتابع الموج وتلاحقه في سرعة وقوة فوق سطح البحر ، بنعام انزعجت فأجفلت ، ونفرت متلاحقة متتابعة في عرض البادية .

(٣) شاغبته الريح : هيجته ، وأثارته . وجاش : اهتاج ، وثار . وعبابه : موجه . ويتجفل : يتفرق ، وينتشر بعد تلبد . يقال : تجفل الديك : إذا تنفش ريش عنقه .

يقول : إذا أثارت الرياح البحر ، اهتاجت لججه ، وارتفعت ، واصطخبت ، وانتفشت أعاليها ، ولعله مع هذا يشير بالتجفل إلى الرغوة ، أو الزبد المنفوش في أعالي الموج إذا اهتاج البحر .

(٤) يهيج : يثور ، ويضطرب . ويرغو : يقذف بالزبد والرغوة ، أو يضج ويصوت : من الرغاء : وهو صوت الإبل والنعام ونحوها ؛ فهياج البحر ينتج الضجيج ، وما يشبه الرغاء . ويعج : يرفع صوته ، أو يشتد . وتخبطه : مسه ، وأصابه . والأولق : الجنون ، أو شبهه . والضغن : الحقد . والأزفل : الغضب ، والحدة . وترتيب الكلام : كأنما تخبطه أزفل من أولق الضغن ؛ أي كأنما اشتد به الغضب ، فمسته حدة من جنون الحقد والبغضاء .

(٥) تقسمه : اقتسمه . وداه : اسم فاعل من الدهاء وهو المكر والاحتيال . والأرفل هنا : ضد الداهي ، أي الأخرق الأحمق ، صفة من الرفل ، وهو الخرق ، والحماقة ، وسوء التدبير . والدهاء والرفل هنا متضادان ، يقابلان اللين والشدة ؛ فالبحر في لينه داه ، وفي شدته أرفل .

(٦) علوناه : صعدناه ، وركبناه . ومطاه : ظهره . وساج : ساكن ، هادىء . وانبرت له الريح :

كَــأَنَّــا عَـلَى أُرْجُـوحَـةٍ كُـلَّمَـا وَنَـتْ ... أَحَـالَ عَلَيْهَـا قَـائِـمٌ لَيْسَ يَـغْفُـلُ(٧)

فَـطَوْرَاً لَنَـا فِي غَـمْـرَةِ اللُّجِّ مَـسْبَـحٌ ... وَطَـوْرَاً لَنَا بَيْنَ السِّمَـاكَيْنِ مَحْفِـلُ(٨)

فَـلاَ هُـوَ إِنْ رُعْنَـاهُ بِـالْجِـدِّ يَـرْعَـوِي ... وَلاَ إِنْ سَــأَلْـنَـاهُ الْهَـوَادَةَ يَـحْـفِـلُ(٩)

عَــرَوْنَـا فَــأَبْخَلْنَـاهُ فَـضْـلَ حِبَـائِـهِ ... وَمِنْ عَجَبٍ إِمْسَاكُـهُ وَهُـوَ نَـوْفَـلُ(١٠)

قَـلِيـلٌ عَـلَى عَـهْـدِ الإِخَـاءِ ثَـبَـاتُـهُ ... فَـأَسْفَلُهُ عَـالٍ وَعَـالِيـهِ سَـافِـلُ(١١)

إِذَا حَــرَّكَـتْـهُ غَـضْبَـةٌ مَـاتَ حِـلْمُـهُ ... وَظَـلَّ عَـلَى أَضْـيَـافِـهِ يَـتَـأَفَّـلُ(١٢)

اعترضت له ، وتصدت . ويهفو : يهتز ، ويضطرب . ويرفل : يخرج عن سجوه ، وسكونه .

يقول : ركبنا هذا البحر وهو هادىء ساكن ، فلما تصدت له الريح انقلب حاله ، فجعل يهتز ويضطرب .

(٧) الأرجوحة : ما تترجح براكبها ، وتميل ، وتهتز ، وتعلو ، وتهبط . وونت : توانت ، وفترت ، وهدأت ، وضعفت حركتها . وأحال عليها : دفعها إلى الحركة ، والاهتزاز ، والترجح . ويغفل : يسهو ، أو يهمل .

(٨) اللج : معظم الماء ، وكثرته ، وزحمته . وغمرة اللجّ : ما يغمر السابح ، ويغطّيه . والسماكان : نجمان نيران . والمحْفِل : المجلس .

والبيت توضيح ، أو تفصيل لصورة الارتجاح في البيت السابق ؛ فإن السفينة المشبَّهة بالأرجوحة كانت تهبط بركابها تارة ؛ فيسبحون في غمرات ذلك البحر اللّجيّ الهائج الثائر ، وتارة تعلو بها الأمواج الهائلة علواً كبيراً ، حتى صار الموج يصل بهم إلى السماكين .

(٩) هو : أي البحر . ورعناه : أفزعناه ، وأخفناه . والمراد : لم نعبأ به . والجد : ضد الهزل . ويراد به هنا : الصبر ، والثبات . ويرعوي : يرجع ، ويكف . والهوادة : الرفق ، واللين . ويحفل : أي يبالي ، ويهتمّ .

(١٠) عراه يعروه : قصده طالباً رفده ومعروفه . وأبخلناه : وجدناه بخيلاً غير كريم . وهي جملة معترضة بين « عرونا » ومفعوله ، وهو « فضل حبائه » . والفضل : الزيادة ، أو الإحسان . والحباء : العطية . وبخل البحر هنا : إساءته إلى ركابه ، وإزعاجهم بثورانه وهيجانه . والحباء المقصود هنا : أن يسالم البحر من يعروه ؛ ويحبوه بالأمن والطمأنينة . والإمساك : الشح ، والبخل . والمعنى أن إمساك البحر وشحه من الأمور المنكرة المستغربة التي تثير العجب . والنوفل : من أسماء البحر . ورجل نوفل : كريم .

(١١) يقول : إن البحر لا يحفظ موثق الأخوة ، ولا يراعي صحبة صاحب ، فهو متقلب ، متغير .

(١٢) حرّكته : حركت البحر ، أي هاجته ، وأثارته . والغضبة : اسم مرة من الغضب . والحلم :

شَـدِيـدُ الْحُمَيَّـا يَـرْهَبُ النَّاسُ بَـطْشَــهُ وَلٰكِنَّـهُ مِنْ نَفْخَـةِ الـرِّيـحِ يُجْفِـلُ (١٣)

كَـأَنَّ أَعَـالِي الْمَــوْجِ عِـهْنٌ مُـشَعَّـثٌ بِـهِ وَانْحِدَارَ السَّيْـحِ شَعْـرٌ مُفَلْفَـلُ (١٤)

ذَكَــرْنَـا بِـــهِ مَـا قَــدْ مَضَى مِنْ ذُنُـوبِنَــا وَفِي النَّاسِ إِنْ لَمْ يَرْحَمِ اللّٰهُ غُفَّـلُ (١٥)

وَكَـيْـفَ تُـرَانَــا صَـانِـعِـيــنَ وَكُـلُّنَـا بِقَــارُورَةٍ صَمَّـاءَ وَالْبَــابُ مُقْفَـلُ ؟ (١٦)

فَــلَا تَـبْـتَئِسْ إِنْ فَــاتَ حَظٌّ فَـرُبَّـمَــا أَضَاءَتْ مَصَابِيحُ الدُّجَى وَهْيَ أُفَّـلُ (١٧)

الأناة ، والصبر . وموت حلم البحر : كناية عن ثورته وهياجه . والأضياف : جمع الضيف ، ومثله الضيوف ، والضيفان . ويتأفل : يتكبر .

جعل المبحرين ضيوفاً على البحر ، ووصمه بأنه لا يراعي حقوق الضيافة ، بل سرعان ما يتنكر لهم ، ويتكبر عليهم ، ويفقد حلمه واعتداله إذا أثارته غضبة من الغضبات التي لا تفتأ تنتابه وتهيجه .

(١٣) حُمَيَّا كل شيء : شدته . والمراد هنا : حميا الغضب ، أي شدته وعنفه . وأجفل إجفالاً : خاف ، وفزع .

والمعنى : أن البحر - على شدة بأسه ، وخوف الناس من عنفه وبطشه - يجبن أمام الريح ، ولا يكاد يصمد لها ، أو يقوى عليها ؛ بل إن نفخة واحدة من نفخاتها تزعجه ؛ فيرتعد ، ويضطرب خوفاً وفزعاً .

(١٤) العهن : الصوف . ومشعث : منتشر ، متفرق . وساح الماء : سال . وانحدار السيح : هبوطه ، وانحطاطه من علو إلى سفل . والمراد هنا : مطلق جريانه . وشعر مفلفل : مجعد ، شديد الجعودة .

شبَّه ما علا وارتفع من الزبد والرغوة فوق أمواج البحر إبان هيجانه واضطرابه بالصوف المنفوش . وشبه ما سال وجرى من مياهه وقت هدوئه وسكونه ، بالشعر الجعد .

(١٥) ذكر الشيء : استحضره ، وجرى على لسانه ، ومثله تذكره ، أي تذكرنا ماضي ذنوبنا بسبب ما رأيناه من أهوال البحر . ويراد برحمة الله هنا : المغفرة . وغفل : جمع غافل ، اسم فاعل من غفل عن الشيء : أي سها عنه .

(١٦) « كيف ترانا صانعين ؟ » : أي ماذا نصنع فيما ترى ؟ ، أي فيما تظن . والقارورة : وعاء أو إناء من الزجاج أو غيره ، يحفظ فيه الشراب ، أو السوائل . وصماء : مسدودة ، لا يستطاع فتحها .

(١٧) لا تبتئس : لا تكتئب ، ولا تحزن . والدجى : الظلمات . وأفل : جمع آفل ، اسم فاعل من أفل النجم ، أي غاب . ومعنى أضاءت مصابيح الدجى في حالة أفولها ، أي قد يقبل الحظ في أوقات غير منتظرة . ويراد بمصابيح الدجى : النجوم والكواكب النيرة .

فَقَدْ يَبْرَأُ الدَّاءُ الْعُضَالُ وَيَنْجَلِي ضَبَابُ الرَّزَايَا وَالْمُسَافِرُ يَقْفُلُ[18]

وَكَيْفَ يَخَافُ الْمَرْءُ حَيْفاً وَرَبُّهُ بِأَحْسَنِ مَا يَرْجُو مِنَ الرِّزْقِ يَكْفُلُ ؟[19]

وَقَالَ يَفْتَخِرُ :

أَهِلَالٌ بَيْنَ هَالَهْ ؟ أَمْ غَزَالٌ فِي غِلَالَهْ ؟[1]

صَادَ بِاللَّحْظِ فُؤَادِي أَتُرَى الْهُدْبَ حِبَالَهْ ؟[2]

غَرَّنِي ثُمَّ تَوَلَّى لَيْتَ شِعْرِي مَا بَدا لَهْ ؟[3]

أَنَا مِنْ شَوْقِي إِلَيْهِ وَاقِعٌ بَيْنَ ضَلَالَهْ[4]

أَيُّهَا الظَّالِمُ هَبْ لِي مَرَّةً مِنْكَ الْعَدَالَهْ[5]

وَارْعَ لِي حَقَّ وِدَادٍ فِيكَ لَمْ أَقْطَعْ حِبَالَهْ[6]

---

(١٨) برىء المريض من مرضه : شفي منه ، وتخلص . والعضال : الشديد المعجز ، يعضل الأطباء : أي يعجزهم . وينجلي : ينكشف ، ويذهب . والرزايا : المصائب ، والبلايا . وقفل المسافر : عاد من سفره ، ورجع .

(١٩) الحيف : الجور ، والظلم .
والمعنى : لا ينبغي أن يخشى الإنسان ظلماً ، أو نقصاً في رزقه ؛ فإن الله تبارك وتعالى قد كفل لعباده الأرزاق ، وضمن لك أحسن ما ترجوه منها .

(١) الهلال : غرة القمر ، ويريد به : الفتاة الحسناء التي يتغزل بها ؛ ويشبهها بالقمر في حسن طلعتها ، وإشراق وجهها . وهالة القمر : دارته ؛ ويراد بالهالة هنا : ما ترتديه هذه الحسناء من أثواب رقيقة ، يشرق منها وجهها . والغلالة : ثوب رقيق يلبس تحت الثياب ملاصقاً للجسم .

(٢) اللحظ : النظر . وهدب العين : الشعر النابت على حروف أجفانها . والحبالة : المصيدة .

(٣) غرّني : خدعني . وتولى عنه : أعرض عنه ، وتركه . والشعر : العلم ، مصدر شعر به ، أي علم ، أو أحس به . وليت شعري : ليتني أعلم ، أو أدري .

(٤) واقع بين ضلالة : أي تغمرني الضلالة ، وتحيط بي . ومن معاني الضلالة : التلف ، والهلاك ، ويراد بها هنا : ما يضانيه العاشق المشوق ، من الحيرة ، والقلق .

(٥) جعل إعراضها عنه ظلماً له ، لأنها قطعت ما وصله من حبل الود والوفاء ؛ فظلمته بهذه القطيعة ، وأراد بعدالتها ، إقبالها عليه .

(٦) ارع : أمر من رعى الإنسان الشيء : أي حفظه ، ولم يهمله . والوداد : المودة ، والمحبة .

مَـنْـطِقٌ عَـذْبٌ وَمَـعْـنَـىً يَـبْسِـمُ الـسِّـحْـرُ خِـلاَلَـهْ[7]

كُـلُّ بَـيْـتٍ كَـنَـسِـيـجِ الـرْ رَوْضِ حُـسْـنَـاً وَطَـلاَلَـهْ[8]

أَنَـا فِـي الـشِّـعْـرِ عَـرِيـقٌ لَـمْ أَرِثْـهُ عَـنْ كَـلاَلَـهْ[9]

كَـانَ « إِبْـرَاهِـيـمُ » خَـالِـي فِـيـهِ مَشْـهُـورَ الْـمَـقَـالَـهْ[10]

وَسَـمَـا جَـدِّي « عَـلِـيٌّ » يَـطْلُبُ الـنَّـجْـمَ فَـنَـالَـهْ[11]

فَـهْـوَ لِـي إِرْثٌ كَـرِيـمٌ سَـوْفَ يَبْقَى فِي الـسُّـلاَلَـهْ[12]

وَقَالَ يَذْكُرُ مَا لَحِقَهُ . وَهِيَ مِنْ لُزُومِ مَا لاَ يَلْزَمُ :

يَـا نَـاصِـرَ الْـحَقِّ عَـلَى الْبَـاطِـلِ ! خُـذْ لِي بِحَقِّي مِنْ يَـدَيْ مَـاطِلِي[1]

---

(٧) منطق عذب : أي حلو الوقع ؛ على التشبيه بما عذب من الطعام والشراب . ويبسم السحر خلال كلامه ومعانيه : كناية عن بهاء شعره وجماله ، وحسنه وروعته .

(٨) الطلالة : البهجة ، والحسن ، وجمال الهيئة .
يشبه كل بيت من شعره بالروض النضير البهيج ؛ ووجه الشبه بينهما الحسن والرونق .

(٩) هو عريق في كذا : له فيه عرق ، أي أصل ثابت راسخ . والكلالة هنا : القرابة الضعيفة .
يفتخر بأنه أصيل في الشعر ، وأنه ورث هذه الموهبة الشعرية العالية عن آبائه وأقربائه .

(١٠) إبراهيم بن علي آغا البارودي ، كان أديباً ، شاعراً ، مولعاً بقراءة دواوين النابهين من شعراء العرب والترك ، راوية لأشعارهم ، وكانت داره منتدى لأنداده من الشعراء والأدباء في زمانه .

(١١) سما يسمو سموا : علا ، وارتفع . و« عليّ » المنوه به هنا : هو جد « محمود سامي الباروديّ » لأمه ، واسمه : « عليّ آغا البارودي » ، وكان من فرسان المماليك الجراكسة ، وأبطالهم الذين كافحوا جيش الاحتلال الفرنسي في صعيد مصر .

(١٢) يقول : إن الشعر تراث كريم نفيس ، ورثه عن آبائه وأصوله ، وسوف يبقى في ذريته وأولاده .

(١) يشير البارودي بهذا البيت والأبيات التي تليه إلى بعض النكبات التي حلت به عقب إخفاق الثورة العرابية ، كتجريده من ثروته ، والاستيلاء على أمواله ، ويلاحظ أنه كان من زعماء تلك الثورة وقادتها ، الضاربين في غمرتها .
وقد افتتح هذه المقطوعة بنداء الله تبارك وتعالىٰ ، واستنصاره ؛ أو هو ينادي ، ويستنصر كل من ترجى نصرته . ويريد بحقه : ما كان حقاً ثابتاً له ، فاستولت عليه الحكومة ، وجردته



جَـارَ عَـلَى ضَعْـفِـي بِـسُـلْطَانِـهِ	وَمَـا رَثَى لِلْمَـدْمَـعِ الْـهَـاطِـلِ[٢]
أَخْـرَجَـنِـي عَـمَّـا حَـوَتْـهُ يَـدِي	مِنْ كَسْبِيَ الْحُـرِّ بِـلاَ نَـاطِـلِ[٣]
مِنْ غَيْـرِ مَـا ذَنْـبٍ سِـوَى مَـنْـطِقٍ	ذِي رَوْنَـقٍ كَـالصَّـارِمِ الْـقَـاطِـلِ[٤]
أَتْـلُو بِـهِ الْـحَـقَّ وَأَرْمِـي بِـهِ	نَحْـرَ الْعِـدَا فِي الـرَّهَجِ السَّـاطِـلِ[٥]
فَـإِنْ أَكُـنْ جُـرِّدْتُ مِـنْ ثَـرْوَتِـي	فَـفَضْـلُ رَبِّي حِلْيَـةُ الْـعَـاطِـلِ[٦]

وَقَالَ أَيْضاً ، وَهِيَ مِنْ لُزُومِ مَا لاَ يَلْزَمُ :

لأَمْـرٍ مَـا تَـحَـيَّـرَتِ الْـعُـقُـولُ	فَهَـلْ تَـدْرِي الْخَـلاَئِقُ مَـا تَقُـولُ ؟[١]
تَغِيبُ الـشَّـمْسُ ثُـمَّ تَـعُـودُ فِـيـنَـا	وَتَـذْوَى ثُـمَّ تَـخْـضَـرُّ الْـبُـقُـولُ[٢]

منه ، وحرمته إياه ، كثروته ، وحريته ، ومنصبه ، وجاهه . وماطل : اسم فاعل من مطله حقه ، أي أجل موعد الوفاء به . ويريد بماطله ، ظالمه الذي هضمه حقه ، وجار عليه .

(٢) جار عليه : عدا عليه ، وظلمه . ويريد بضعفه : استسلامه ، وضعف حيلته ، وعجزه عن المقاومة . والسلطان : القوة ، والقهر ، والتسلط . ورثى لـه : رق له ، ورحمـه ، وأشفق عليه . والهاطل : الغزير الكثير .

(٣) كسبه : رزقه ، وثروته ، وماله . ويراد بالحر : الطيب الحلال . والناطل : القليل . والترتيب الأصلي لكلمات هذا البيت : « أخرجني بلا ناطل عما حوته يدي من كسبي الحر » .

(٤) منطق ذو رونق : كلام مشرق ، واضح ، قوي ، بليغ . وكالصارم : كالسيف القاطع ، أي يقطع بالحجة الدامغة الجدل والخصومات ، ويميز الحق من الباطـل . والقاطـل : بمعنى الصارم .

(٥) تلاه يتلوه : اتبعه . وتلا الكتاب وغيـره تلاوة : قـرأه . وتلا الخبـر : أخبر بـه . والنحر : الصدر . والرهج : الغبار الثائر . والساطل من الغبار : المرتفع . ويراد بالرهج الساطـل : الفتنة ، أو الثورة ، أو الحرب ، أو نحوها .

(٦) الفضل : الإحسان . وحلية : زينة . والعاطل : الخالي من المال ، أو الزينة .

(١) لأمر ما : لأمـر مهم خفيّ غيـر معلوم . وتحيـر : تـردد ، واضـطرب ، وضـل الـطريق . والخلائق : المخلوقات ؛ والمراد الناس .

(٢) تعود فينا : تعود إلينا . وتذوى : تذبل . والبقل : النبات ، والعشب ، واحدته بقلة ، وجمعه بقول .

طَبَائِعُ لاَ تُغِبُّ مُرَدَّدَاتٍ كَمَا تَعْرَى وَتَشْتَمِلُ الْحُقُولُ[٣]

فَسِيَّانِ الْجَهُولُ إِذَا تَنَاهَتْ بِهِ الأَيَّامُ وَالْفَطِنُ الْعَقُولُ[٤]

يَزُولُ الْخَلْقُ طَوْراً بَعْدَ طَوْرٍ وَتَخْتَلِفُ الْحَقَائِقُ وَالنُّقُولُ[٥]

فَمَا جَرَتِ الظُّنُونُ عَلَى يَقِينٍ تَفِيءُ بِهِ وَلاَ صَحَّ الْمَقُولُ[٦]

وَقَالَ ، وَهِيَ مِنْ لُزُومِ مَا لاَ يَلْزَمُ :

مَا الدَّهْرُ إِلاَّ ضَوْءُ شَمْسٍ عَلاَ وَكَوْكَبُ غَامَ وَنَبْتُ بَقَلْ[١]

وَرَاحِلُ أَعْقَبَهُ نَازِلٌ مَا قِيلَ قَدْ خيمَ حَتَّى اسْتَقَلْ[٢]

---

(٣) يراد بالطبائع هنا : طبائع الكون ، وخصائصه ، ومميزاته . ولا تغب : لا تتخلف ، ولا تتأخر ، مضارع أغب إغباباً .

(٤) سيان : مثلان . وتناهى الشيء : بلغ نهايته . وتناهت به الأيام : انتهت حياته . والفطن : ذو الفطنة ، وهي الحذق ، وحدة الذهن ، وصحة الفهم . والعقول (بوزن الرسول) : العاقل .
والمعنى : أن الجاهل ، والعاقل يستويان عند الموت ، ولا يكادان يتمايزان .

(٥) النقول : جمع النقل ، مصدر نقلت الكلام أو الخبر ، أي رويته عن قائله . و« زوال الخلق طوراً بعد طور » : فناء المخلوقات والناس جيلاً بعد جيل ، أي هلاكهم على مرات ودفعات . ومعنى « اختلاف الحقائق والنقول » : أن ما عرفه الناس عن طريق النقل والرواية ، قد يخالف الحقائق الثابتة اليقينية التي لا ريب فيها .

(٦) تفيء : تعود ، وترجع . والمقول : القول ، والكلام .
ومعنى هذا البيت والذي قبله : أن الإنسان منذ أقدم العصور إلى اليوم ما زال يقف أمام كثير من طبائع الكون وظواهره ، وحقائق الوجود وخفاياه ، وسر الموت والحياة ، موقف الحيرة والشك والجهل والتردد ؛ على الرغم من شيخوخة الزمان ، وازدهار العمران ، وفناء الأجيال جيلاً بعد جيل ، وعلى الرغم من كثرة المعارف والمعلومات وتتابعها بين معقول ومنقول ، وحقيقي وظني ؛ ومع هذا كله لم تصل الظنون إلى ما يقنع ويسمو إلى مرتبة اليقين .

(١) غام الكوكب : اختفى ضوؤه واحتجب وراء الغيم . وبقل النبات : نبت ، ونشأ .

(٢) « راحل » : معطوف على « ضوء شمس » في البيت الأول : أي ما الدهر إلا كوكب سطع ضياؤه ثم أفل ، ونبت نبت واخضر وزها ، ثم ذوى وذبل وذهبت نضارته . وأعقبه : خلفه ، وجاء بعده . واستقل : سار ، ومضى .

عَـمَـايَـةٌ يَـخْـبِطُ فِـيـهَـا الـنُّـهَـى | عَجْـزاً وَلَا تُبْـصِـرُ فِـيهَـا الْمُـقَـلْ(٣)
فَـبَـادِرِ الـنُّـقْـلَـةَ وَاعْـمَـلْ لَـهَـا | مَـا شِئْتَ فَـالـدَّهْـرُ سَـرِيعُ النُّقَـلْ(٤)

وَاصْـمُـتْ عَـنِ الـشَّـرِّ إِذَا لَـمْ تُـطِقْ | دَفْـعـاً وَإِنْ صَـادَفْتَ خَـيْـراً فَقُـلْ(٥)
وَسِـرْ إِذَا مَـا عَـرَضَـتْ فُـرْصَـةٌ | فَـالْبَـدْرُ قَـدْ يَنْمُـو إِذَا مَـا انْتَقَـلْ(٦)

مَـنْ طَـلَبَ الأَمْـرَ بِـأَسْـبَـابِـهِ | سَـاعَـدَهُ الْـمَـقْـدُورُ إِمَّـا عَـقَـلْ(٧)
قَـدْ يَـجْـبُـنُ الأَعْـزَلُ وَهْـوَ الْـفَـتَـى | وَيَـشْـجُـعُ الـنِّكْسُ إِذَا مَـا اعْـتَقَـلْ(٨)

---

(٣) يراد بالعماية هنا : الحيرة ، والجهل . ويخبط : يسير على غير هدى . والنهى : العقل ، أو العقول . أي يخبط العقل في هذه العماية بسبب عجزه عن إدراك الحقيقة الهادية . والمقل : العيون ، واحدتها مقلة .

(٤) النقلة : اسم بمعنى الانتقال والرحيل . وبادر النقلة : تهيَّأ لها .
والمعنى : أن الدهر يتنقل بالناس والمخلوقات تنقلاً سريعاً ، وتتغير فيه أحوالهم تغيرات كثيرة مفاجئة ، ولهذا ينبغي أن تتدبر هذا الانتقال قبل وقوعه .

(٥) المعنى : اسكت عن الشر ، ونزّه عنه لسانك وقلبك ، وقل الخير كلما وجدته ، واعمل له ما استطعت .

(٦) عرضت : أمكنت ، وسنحت .
يحض على انتهاز الفرصة كلما سنحت بالسير وراءها، والانتفاع بها. ويضرب المثل بالقمر يتنقل في منازله؛ فينمو بهذا التنقل، ويزيد ضياؤه، ويبلغ منزلة التمام والكمال والامتلاء.

(٧) الأمر : الشيء المطلوب . والمقدور : الأمر المحتوم الذي لا محيص عنه ، ويراد به هنا : ما يقدره الله تبارك وتعالىٰ للمرء .
والمعنى : من اتخذ للأمر عدته ، وحاوله بأسبابه وعلله ووسائله ، وقصده من الطرق الموصلة إليه ، أعانه على تحقيقه قدر الله تعالىٰ وحكمه وقضاؤه .

(٨) الأعزل : من لا سلاح معه . والفتى : الشجاع ، المقدام . والنكس : الضعيف . واعتقل : حمل سلاحه .
يقول : قد يكون المرء شجاعاً مقداماً ، ولكن تجرده من السلاح يضطره إلى الجبن والنكوص والإحجام عن القتال . وقد يكون المرء خائراً ضعيفاً ، فإذا ما تسلّح أقدم على الحرب بسلاحه إقدام الجريء الشجاع .



وَقالَ مُلْتَزِماً :

لاَ تَـرْكَـنَـنَّ إِلَـى الـزَّمَـانِ فَـرُبَّـمَـا	خَـدَعَـتْ مَخِيلَتُـهُ الْفُؤَادَ الْـغَـافِـلاَ[١]
وَاصْبِـرْ عَلَى مَـا كَـانَ مِـنْـهُ فَكُـلَّمَـا	ذَهَبَ الْغَـدَاةَ أَتَى الْعَشِيَّـةَ قَـافِـلاَ[٢]
كَـفَـلَ الشَّـقَـاءَ لِمَـنْ أَنَـاخَ بِـرَبْعِـهِ	وَكَفَى ابْنَ آدَمَ بِـالْمَصَائِبِ كَـافِـلاَ[٣]
يَمْشِي الضَّـرَاءَ إِلَى النُّفُـوسِ وَتَـارَةً	يَـسْعَـى لَهَـا بَـيْـنَ الأَسِنَّـةِ رَافِـلاَ[٤]
لاَ يَـرْهَبُ الضِّـرْغَـامَ بَيْنَ عَـرِينِـهِ	بَـأْسـاً وَلاَ يَـدَعُ الـظِّبَـاءَ مَـطَافِـلاَ[٥]
بَيْنَـا تَـرَى نَـجْمَ الـسَّعَـادَةِ طَـالِـعَـاً	فَـوْقَ الأَهِـلَّةِ إِذْ تَـرَاهُ آفِـلاَ[٦]

(١) ركن إليه : وثق به ، واعتمد عليه . والمخيلة : المظنة ، وجمعها مخايل . وظهرت في فلان مخايل النجابة : أي مظناتها ، وأماراتها . ويراد بمخيلة الزمان هنا : مظهره ، وما قد يتخيل فيه من الخير .

(٢) الغداة : أول النهار ، ما بين الفجر وطلوع الشمس ، وجمعها غدوات . والعشية : آخر النهار ، من زوال الشمس إلى المغرب . وقافل : اسم فاعل من قفل ، أي عاد ، ورجع .
يحضّ على التجلّد للزمان ، والصبر على ما يصيبنا من أحداثه وبلاياه ؛ فإنه يغدو ويروح علينا بها كل يوم ؛ فهي متتابعة متوالية ، لا تهادن ، ولا توادع ، ولا علاج لها إلا التجلد والصبر .

(٣) كفل الزمان الشقاء للناس : ضمنه لهم ، والتزمه ، وأوجبه على نفسه . وأناخ بالمكان : نزل به ، وخيم ، وأقام . والربع : المنزل ، أو الدار . و « كافلاً » : ضامناً ، أو ملتزماً . والترتيب الأصلي لكلمات الشطر الثاني : « وكفى بالمصائب كافلاً ابن آدم » : أي أن مصائب الدهر تكفل الإنسان ، وتتولاه . وفي هذه الكفالة الكفاية .

(٤) فاعل « يمشي » : ضمير مستتر يعود على « الزمان » في البيت الأول . والضراء (بفتح الضاد) : الاستخفاء . ويسعى لها : يسعى للنفوس . والأسنة : جمع سنان ، وهو نصل الرمح ، أي حديدته التي تصيب المطعون . ورافلاً : أي يسعى متبختراً .

(٥) لا يرهب : لا يخاف . والضرغام : الأسد الضاري الشديد . وعرين الأسد : مأواه ، ومسكنه . ومطافل : جمع مطفل ، أطفلت الأنثى : أي صارت ذات طفل .

(٦) الأهلة : جمع هلال ، ويراد بالأهلة : النجوم . وطلوع نجم السعادة فوق النجوم : كناية عن تمام سعادة المرء . وآفل : اسم فاعل من أفل النجم ، أي غاب .
والمعنى : أن سعادة الزمان لا بقاء لها ، ولا ثبات ، ولا استقرار ؛ فهي تعلو كل العلو ،

فَــإِذَا سَــأَلْتَ الــدَّهْــرَ مَعْــرِفَــةً بِــهِ فَــاسْــأَلْ لِتَعْــرِفَــهُ النَّعَــامَ الْجَــافِــلاَ(٧)

فَــالــدَّهْــرُ كَــالــدُّولابِ يَخْفِضُ عَــالِيــاً مِنْ غَيْــرِ مَــا قَصْــدٍ وَيَــرْفَــعُ سَــافِــلاَ(٨)

وَقَالَ فِي الْحِكْمَةِ :

إن شِئْتَ أَنْ تَحْــوِيَ الْمَعَــالِيَ فَــادَّرِعْ صَبْــراً فَــإِنَّ الصَّبْــرَ غُنْمٌ عَــاجِــلُ(١)

وَاحْلُمْ كَــأَنَّــكَ جَــاهِــلٌ وَاذْكُــرْ كَــأَنْــنَكَ ذَاهِــلٌ وَافْــطُنْ كَــأَنَّــكَ غَــافِــلُ(٢)

فَــلَقَــلَّمَــا يُــفْــضِــي إِلَــى آرَابِــهِ فِي الــدَّهْــرِ إِلاَّ الْعَــالِمُ الْمُتَجَــاهِــلُ(٣)

وَقَالَ :

لاَ تَحْسَبِ النَّــاسَ فِي الــدُّنْيَــا عَلَى ثِقَــةٍ مِنْ أَمْــرِهِمْ بَــلْ عَلَى ظَنٍّ وَتَخْيِيــلِ(١)

وتظهر أتم الظهور ، ولكنها لا تلبث أن تزول وتختفي ؛ كأنها لم تكن ؛ يشير بهذا إلى سرعة تقلب الدهر بالناس .

(٧) الجافل : من جفل ، أي نفر ، وشرد ، وهرب مسرعاً .

يقول : إذا حاولت أن تسأل الدهر ؛ لتعرف حقيقته ، أو تقف على شيء من أمره وسره ، فاعلم أنه كالظليم الجافل الذي لا يكاد يستقر أمامك ، أو يحفل بالموادعة والمهادنة . يضاف إلى هذا أنه لا سبيل إلى معرفته ، أو تفهم حقيقته وسره ، أو اتقاء شروره وحوادثه .

(٨) الدولاب : كل آلة تدور على محور . شبّه الدهر بالدولاب ؛ فهو يحطّ الرفيع ، ويرفع الوضيع ، بلا قصد ، ولا إرادة ، ولا تفكير .

(١) حوى الشيء يحويه : جمعه ، وحازه ، وأحرزه . والمعالي : جمع المعلاة ، وهي الرفعة والشرف . وادّرع الصبر : تجمّل به ، واتخذه وقاية لنفسك . والغنم : الغنيمة .

(٢) احلم : أمر من الحلم ، وهو الصبر ، والأناة . وذاهل : اسم فاعل من الذهول ، وهو النسيان . وافطن : أمر من الفطنة ، وهي حسن الفهم ، ولطف الإدراك .

(٣) يفضي إلى آرابه : يصل إليها ، ويبلغها . والآراب : الحاجات ، والغايات ، والمقاصد .

والمعنى : أن العالم إذا تكلف إظهار الجهل ، استطاع أن يساير العامة ، ويتحبب إليهم ويندمج فيهم ، ويسخرهم في إدراك حاجاته ؛ لأن الجهل في الناس كثير غالب ، وتجاهل العالم صورة من صور الكياسة والدهاء .

(١) الأمر : الشأن ، والحال . والتخييل : التوهّم ، وهو قريب من الظن .

حُبُّ الْحَيَـاةِ وَبُغْضُ الْـمَـوْتِ أَوْرَثَهُـمْ جُبْنَ الـطِّبَـاعِ وَتَصْدِيقَ الأَبَـاطِيـلِ (٢)

وَقَالَ فِي الْحِكْمَةِ :

أَلاَ إِنَّ أَخْـلاَقَ الـرِّجَـالِ وَإِنْ نَـمَـتْ فَـأَرْبَعَـةٌ مِنْهَـا تَفُوقُ عَلَى الْكُـلِّ : (١)

وَقَـارٌ بِـلاَ كِـبْـرٍ وَصَـفْـحٌ بِـلاَ أَذَىً وَجُـودٌ بِـلاَ مَـنٍّ وَحِـلْمٌ بِـلاَ ذُلِّ (٢)

وَقَالَ فِي الْحِكْمَةِ أَيْضاً ، وَهِيَ مِنْ لُزُومِ مَا لاَ يَلْزَمُ :

تَـسَـابَقْ فِـي الْمَكَـارِمِ تَعْـلُ قَـدْراً فَسَبْقُ النَّـاسِ لِـلْخَيْـرَاتِ نَـضْـلُ (١)

إِذَا ذَهَـبَ الْـكِـرَامُ فَـلاَ رَجَـاءٌ وَإِنْ ذَهَـبَ الـرَّجَـاءُ فَلَيْسَ فَـضْـلُ (٢)

وَقَالَ :

---

(٢) معنى هـذا البيت والذي قبله : أن النـاس بطبعهم يكـرهون المـوت ، ويحبـون الحيـاة ؛ وبمغـالاتهم في هـذا جبنـوا عن مـواجهـة حقـائق الأشيـاء ؛ فعميت عليهم ، والتبست ، وفقدوا اليقين والثقة بأمورهم، وجروا وراء الظنون والأوهام، وصدّقوا ما يرضي غرائزهم من الترهات والأباطيل.

(١) نمت : كثرتْ . وتفوق : تفضل وتزيد .

يقول : إن الفضائل التي ينبغي أن يتصف بها كملة الرجال كثيرة ، ولكن المختار الفائق منها أربع .

(٢) الوقار : الرزانة ، والسكون . والكبر : العظمة الممقوتة ، والتجبر . والصفح : العفـو . والأذى : الضرر اليسير ، والشر الخفيف . والجود : البذل ، والعطاء . والمن : مصدر منّ عليه بما صنع (من باب رد) ، أي فخر بنعمته عليه حتى كدرها بهذا الفخر . والحلم : الأناة ، والصبر . والذل : الهوان ، والضعف . وضده العز ، والمَنعة .

(١) تسابق القوم : أي سابق بعضهم بعضاً . والمكارم : جمع مكرمة ، وهي فعل الكرم . والكرم بمعناه العام : اسم للأفعال الحميدة ، والأخلاق العظيمة ، والمحاسن الكبيرة التي تظهر من الإنسان . والقدر : الشأن ، والمرتبة ، والمنزلة . ونضله ، نضلاً : سبقه ، وغلبه .

(٢) الكرام : جمع الكريم ، وهو الجواد ، السخي ، المعطاء . والرجاء : الأمل .

والمعنى : إنما يرجى للخير الكرماء من الناس ؛ فإذا ذهبوا ذهب الرجاء بذهابهم ، ولم يبق من يأمله الناس لمكرمة ، وإن ذهب هذا الرجاء ذهب معه الفضل ، والبر ، والخير .

إِذَا سَتَـرَ الْـفَـقْـرُ امْـرَأً ذَا نَـبَـاهَـةٍ ... فَـلاَ بُـدَّ يَـوْمـاً أَنْ يُشِيـدَ بِـهِ الْفَضْـلُ[1]

فَـإِنَّ لَـهِيبَ النَّـارِ مَـهْـمَـا كَـفَـأْتَـهُ ... إِلَى أَسْفَـلٍ قَسْراً فَـلاَ بُـدَّ أَنْ يَعْلُو[2]

وَقَالَ :

لَعَمْـرُكَ مَـا الإِنْسَـانُ إِلَّا ابْنُ يَـوْمِـهِ ... وَمَـا الْـعَيْشُ إِلَّا لُـبْـثَـةٌ وَزِيَـالُ[1]

وَمَـا الـدَّهْـرُ إِلَّا دَفْتَـرٌ فِي خِـلَالِـهِ ... تَـصَـاوِيـرُ لَمْ يُـعْهَـدْ لَـهُنَّ مِثَـالُ[2]

فَفِي صَفْحَـةٍ مِنْـهُ زَمَـانٌ قَـدِ انْقَضَى ... وَفِـي وَجْـهِ أُخْـرَى دَوْلَـةٌ وَرِجَـالُ[3]

وَقَالَ :

طَهِّـرْ لِسَـانَـكَ مَـا اسْتَـطَعْتَ وَلَا تَكُنْ ... خِبّـاً يُقَـرِّبُ لِلْنُّفُـوسِ ضَـلَالَهَـا[1]

إِنَّ الْـوَقِـيـعَـةَ لَا تَـعُـودُ بِـخِـزْيَـةٍ ... أَوْ سُـبَّـةٍ إِلَّا عَـلَى مَـنْ قَـالَـهَـا[2]

وَقَالَ :

---

(١) النباهة : الفطنة ، والفضل ، وعظم الشأن . وأشاد به : نوّه به ، وشهره . والفضل : الإحسان ، والخير .

(٢) كفأته : نكسته . والقسر : الإكراه ، والقهر .

(١) ابن يومه : أي عرضة لأن يموت في كل يوم ، فكأن كل يوم نهاية أجله . واللبثة (بضم فسكون) : التوقف اليسير ، والمكث القليل . وزايله مزايلة وزيالاً : بارحه ، وباينه ، وفارقه .

(٢) الدهر : مدة الحياة الدنيا كلها . والدفتر : الكراسة . وفي خلاله : المراد في صفحاته . والتصاوير : الصور . ولم يعهد : لم يعرف . ولهن : للتصاوير . ومثال : شبه ، ومثل ، ونظير .

(٣) الدولة : الغلبة ، والاستيلاء ، والشيء المتداول من مال وغيره ، فيكون مرة لهذا ، ومرة لذاك . ويقال : « لكل زمان دولة ورجال » .

(١) الخب (بكسر الخاء وفتحها) : الخداع الخبيث ، الذي يسعى بالفساد بين الناس .

(٢) الوقيعة : اغتيابك الناس . والخزية : العار ، والفضيحة . والسبة : العار ، وما يجلب لصاحبه السبّ ، والشتم ، واللعن .

لَيْسَ الصَّدِيقُ الَّذِي تَعْلُو مَنَاسِبُهُ ... بَلِ الصَّدِيقُ الَّذِي تَزْكُو شَمَائِلُهُ[1]

إِنْ رَابَكَ الدَّهْرُ لَمْ تَفْشَلْ عَزَائِمُهُ ... أَوْ نَابَكَ الْهَمُّ لَمْ تَفْتُرْ وَسَائِلُهُ[2]

يَرْعَاكَ فِي حَالَتَيْ بُعْدٍ وَمَقْرَبَةٍ ... وَلَا تُغِبُّكَ مِنْ خَيْرٍ فَوَاضِلُهُ[3]

لَا كَالَّذِي يَدَّعِي وُدّاً وَبَاطِنُهُ ... بِجَمْرِ أَحْقَادِهِ تَغْلِي مَرَاجِلُهُ[4]

يَذُمُّ فِعْلَ أَخِيهِ مُظْهِراً أَسَفاً ... لِيُوهِمَ النَّاسَ أَنَّ الْحُزْنَ شَامِلُهُ[5]

وَذَاكَ مِنْهُ عِدَاءٌ فِي مُجَامَلَةٍ ... فَاحْذَرْهُ وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ خَاذِلُهُ[6]

وَقَالَ :

---

(١) النسب : القرابة ، وجمعه أنساب ، ومثله المنسب ، وجمعه مناسب (بوزن مذهب ومذاهب) ؛ ورجل عالي المناسب : نابه الأصول ، معروف حسبه ونسبه . وتزكو : تصلح ، وتطهر ، وتطيب . وشمائله : سجاياه ، وطباعه .

(٢) رابك : ساءك ، وأزعجك . ولم تفشل عزائمه : لم تضعف هماته ، ولم يقعد عن نصرتك ومعونتك . ونابك : أصابك ، ونزل بك . ولم تفتر : لم تضعف ، ولم تقصر . والوسائل : جمع الوسيلة ، ما تتقرب به إلى غيرك . ويراد بالوسائل هنا : الصلات الوثيقة ، والروابط المتينة التي تتطلبها الصداقة الصادقة .

(٣) يرعاك : يحفظك ، ويحفظ لك المودة والمحبة ، في بعدك وقربك ، وغيبتك وحضورك . والمقربة : ضد البعد ، مصدر ميمي من قرب . ولا تغبك : لا تنقطع عنك . والفواضل : جمع فاضلة ، وهي النعمة العظيمة .

(٤) الود : المودة ، والمحبة . وباطن الإنسان : سريرته ، أي ما يكتمه ، ويسره ، ويخفيه . وبجمر أحقاده : أي بسبب أحقاده المتوقدة توقد الجمر . والمراجل : جمع مرجل ، وهو القدر التي يطبخ فيها . وغليان مراجله : كناية عن شدة غيظه .

(٥) الأسف : أشد الحزن .

والمعنى : أن هذا الخب المنافق الذي يدّعي الصداقة، ويلقي إليك بمودته الكاذبة لا يضمر لك غير الكراهية، والحقد. ومن افتنانه في تغطية عداوته المتوقدة أن يغتابك، ويعيبك، ويذم أفعالك، في غيبتك، أو في حضورك، مظهراً الأسف والحزن، ليوهم الناس أنه غير مغتاب، أو مخاصم، وإنما يعيبك إشفاقاً عليك، وإصلاحاً لشأنك، ورغبة في تقويمك، وهدايتك.

(٦) « ذاك » : إشارة إلى الأسف ، والحزن الشامل الذي ذكره في البيت السابق . ومنه : من مدعي الود . وجامله : أحسن معاملته وعشرته . وخاذل : من خذله ، ترك نصرته وإعانته .



الْـحُـبُّ مَـعْـنَـىً لاَ يُـحِـيطُ بِـسِـرِّهِ وَصْـفٌ وَلاَ يَـجْـرِي عَـلَيْـهِ مِـثَـالُ[1]

كَـالْكَـهْـرَبَـاءَةِ دَرْكُـهَـا مُـتَـعَـذِّرٌ وَنَـسِـيـمُـهَـا مُـتَـحَـدِّرٌ سَـيَّـالُ[2]

وَكَـذَلِـكَ الأَرْوَاحُ يَـظْهَـرُ فِـعْلُهَـا وَيَـغِـيـبُ عَـنَّـا سِـرُّهَـا الْـفَـعَّـالُ[3]

حِكَمٌ تَـمَلَّكَـهَـا الْغُـمُـوضُ فَلَمْ يُـحِطْ بِـرُمُـوزِهَـا فِي الْعَـالَمِيـنَ مَقَـالُ[4]

وَقَالَ فِي الْغَزَلِ :

لَيْسَ لِي غَيْـرَ خَـالِـكَ الْحَجَـرِ الأَسْـ وَدِ فِـي كَعْبَـةِ الْـمَحَـاسِنِ قِبْلَهْ[1]

فَـأَثِـبْنِـي عَـلَى الْـجَـمَـالِ زَكَـاةً وَزَكَـاةُ الْـجَمَـالِ فِـي الْخَـدِّ قُـبْلَهْ[2]

---

(١) يراد بمعنى الحب هنا : المعنى الروحي الناشىء من تعلق قلب الإنسان بشيء آخر .
والمعنى : أن الحب الروحي من الأمور الخفية التي لا يكشفها الوصف والبيان ، ولا يظهرها التمثيل والتشبيه ، ولا يجليها التعبير والتصوير .

(٢) دركها متعذر : أي تعذر على العلماء معرفة كنهها ، ولهذا أشبهت الحب الروحي . والنسيم (في الأصل) : الريح الطيبة اللينة اللطيفة . ويراد بنسيم الكهرباء : التيار الكهربائي .
شبّه الحب الروحي بالكهرباء ؛ فكلاهما مجهول الكنه والحقيقة ، ظاهر الآثار والنتائج .

(٣) نظم الحب ، والكهرباء ، والروح في سلك واحد ؛ فكل منها مجهول يظهر بآثاره .

(٤) يراد بالحكم هنا : أمور ثلاثة ، يجمعها الإحكام والإتقان ، وخفاء حقائقها وأسرارها ، وظهور نتائجها وآثارها ، وهي : الحب ، والكهرباء ، والروح . وتملكها : ملكها ، وأحاط بها .
والرموز : جمع رمز ، وهو الإيماء ، والإشارة .
والمعنى : أن الحب ، والكهرباء ، والروح من الأشياء التي أحكم الله خلقها ، وأتقن إيجادها ، وأظهر للناس آثارها ؛ ولكنه ـ جلّ وعلا ـ أخفى عنهم حقائقها ؛ فعجزوا كل العجز عن إدراك شيء من أسرارها وخفاياها .

(١) الخال : شامة ، أو نكتة سوداء في البدن ؛ والكثير الغالب المشهور أن يطلق الخال على شامة الخد ، وقد يكون خلقة ، وقد تضعه الحسناء للتجمل والزينة .
جعل محاسن وجه الحبيب كعبة يستقبلها عشاقه ، كما يستقبل المصلون البيت الحرام ، وفتن فتوناً بشامة سوداء في خده ؛ فولى وجهه شطرها ، وتعلق بها بصره ، كأنها الحجر الأسود في الكعبة المشرفة ، ينظر إليه الطائف بها ، ويحرص على تقبيله .

(٢) « أثبني » : أمر من « أثاب » ، بمعنى منح ، وأعطى ، ووهب .

وَقَالَ :

يَـا هَـاجِـرِي ظُلْمـاً بِغَيْـرِ خَـطِيئَـةٍ هَلْ لِي إِلَى الصَّفْحِ الْجَمِيلِ سَبِيلُ ؟(١)

مَـاذَا يَضُـرُّكَ لَـوْ سَمَحْـتَ بِنَـظْرَةٍ تَحْيَـا بِهَـا نَفْسُ عَلَيْـكَ تَسِيـلُ ؟(٢)

وَقَالَ :

مَنْ ظَنَّنِي مَـوْضِعَاً يَـوْمـاً لِحَـاجَتِـهِ كُنْتُ الْحَرِيَّ بِأَنْ أُعْطِيهِ مَا سَأَلَا(١)

لَـهُ عَـلَيَّ بِحُـسْـنِ الـظَّنِّ مَـأْثُـرَةُ لَا يَسْتَقِلُّ بِهَا شُكْرِي وَإِنْ جَمُلَا(٢)

وَقَالَ فِي الْغَزَلِ :

عَـاتَبْتُـهُ لَا لِأَمْـرٍ فِـيـهِ مَعْـتَبَـةٌ عَلَيْـهِ لَكِنْ لِأَرْعَى وَرْدَةَ الْخَجَـلِ (١)

فَـأَلْبَسَتْ يَـاسَمِينَ الْخَـدِّ خَجْلَتُـهُ وَرْداً جَنِيّـاً جَنَـاهُ رَائِـدُ الْمُقَـلِ (٢)

يقول لمن يتغزل بها : إن الجمال كالمال ، يستحق أن تخرج عنه الزكاة ، وأنا ممن يستحقونها ، وزكاة الجمال أن يسمح للعاشق بتقبيل الجميل في خده .

(١) الخطيئة : الذنب ، والإثم ، والجريرة . والصفح : مصدر صفح عنه (من باب نفع) ، أي أعرض عن ذنبه ، وعفا عنه .

(٢) في هذا البيت أشار الى ما يضانيه ويكاد يرديه من لواعج الهوى ورجا أن يقرن هذا الصفح الجميل بنظرة منه لن تضيره إذا سمح بها ، ولكنها تحيي نفس محبه ، وتنقذه ، أو تخفف عنه ضنى الوجد .

(١) الحريّ : الخليق ، والجدير ، والمستحق . أي من جعلني أهلاً لحاجته ، كنت أهلاً أن أقضيها له ، وأنيله إياها ، وأعطيه ما سألني إياه .

(٢) المأثرة (بفتح الثاء وضمها) : الفعل الحميد ، والمكرمة التي تؤثر ، أي تروى ، وتنقل ، وتذكر ، وجمعها مآثر . ولا يستقل : لا ينهض . وجمل الشكر (بوزن كرم) : حسن ، وكمل ، وتم ، أي لا يستقل بها شكري ولو جمل ، أي ولو في حال جماله وكماله وتمامه .

(١) أرعى : أراقب ، والمراد أستمتع بالنظر ، من قولهم : « رعى النجوم » ، أي راقبها .

لم يكن من حبيبه المتغزل به شيء يستحق العتاب ؛ وإنما عاتبه ليخجله ، فيستمتع بالنظر إلى حمرة الخجل في خديه ؛ أو ليقتطف منهما وردتين كانتا نتيجة العتاب .

(٢) ياسمين الخد : الخد الشبيه بالياسمين ، وهو زهر أبيض ذكي الرائحة . والجنيّ (بوزن

وَقَالَ فِي الْحِكْمَةِ ، وَهِيَ مِنْ لُزُومِ مَا لاَ يَلْزَمُ :

دَعِ الْمَخَافَةَ وَاعْلَمْ أَنَّ صَاحِبَهَا ... وَإِنْ تَحَصَّنَ لاَ يَنْجُو مِنَ الْغِيَلِ (١)

لَوْ كَانَ لِلْمَرْءِ عِلْمٌ يُسْتَدَلُّ بِهِ ... عَلَى الْعَوَاقِبِ لَمْ يَرْكَنْ إِلَى الْحِيَلِ (٢)

وَقَالَ فِي فَقْدِ الشَّبَابِ :

يُعَزَّى الْفَتَى فِي كُلِّ رُزْءٍ وَلَيْتَهُ ... يُعَزَّى عَلَى فَقْدِ الشَّبَابِ الْمُزَايِلِ (١)

فَكَمْ بَيْنَ مَفْقُودٍ يُعَاشُ بِغَيْرِهِ ... وَآخَرَ يُزْرِي بِالْهَوَى وَالْوَسَائِلِ (٢)

الغنيّ) : الغض ، الطري ، الذي جني لساعته . وجناه : قطفه . والرائد : اسم فاعل من راد قومه ، أو راد لهم المياه ، والمراعي ، والمنازل ، أي تلمسّها ، وطلبها ، وسعى في أن يجدها لهم . والمقل : العيون ، واحدتها مقلة . ورائد المقل . الملتمس للعيون والباحث عنها .

(١) دع المخافة : اترك الخوف . وتحصّن : اتخذ لنفسه حصناً يقيه ، ويحميه . والغيل : جمع غيلة ، يقال قتله غيلة : أي قتله على غفلة منه .

(٢) العواقب : جمع عاقبة ، وهي آخر كل شيء ونهايته ، وخاتمته . وركن إليه : مال إليه ، واستند واعتمد عليه . والحيل : جمع الحيلة ، وهي الحذق ، وجودة النظر ، وحسن التدبير ؛ والقدرة على دقة التصرف في الأمور .

(١) يعزى : يدعى له بالعزاء ، ويحمل على الصبر والسلوان . والرزء : المصيبة ، جمعه أرزاء . والمزايل : المفارق .

والمعنى : أن الناس يعزون المرزوء المصاب ، ويحضونه على الصبر الجميل والسلوان؛ فليتهم يتقدمون بمثل هذه التعزية إلى من أصيب بفقد شبابه؛ إذ إن فقدان الشباب من الأرزاء الفادحة.

(٢) المفقود الذي يعيش المرء بغيره : كل شيء عدا الشباب . وآخر : أي ومفقود آخر ، والمراد به الشباب . ويزري بالهوى : أي يزري فقدانه بالهوى ، أي يتهاون به . وأزراه ، وأزرى به : عابه ، واستخف به ، وأهانه . والهوى : الحب ، وميل النفس إلى شهواتها . والوسائل : جمع الوسيلة ، وهي الوصلة ، ويراد بالوسائل هنا : وسائل الهوى ، أي وسائطه ، وصلاته ، وما يقرب المحب من الحبيب .

والمعنى : شتان بين فقدان الشباب وفقدان غيره ؛ فكل شيء يفقده الإنسان غير شبابه

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَبْكِ الشَّبَابَ فَمَا الَّذي ... يَعِزُّ عَلَيْهِ وَهُوَ أَكْرَمُ رَاحِلِ ؟[٣]

وَقَالَ يَهْجُو عثمان رفقي* :

كُلُّ صَعْبٍ سِوَى الْمَذَلَّةِ سَهْلُ ... وَحَيَاةُ الْكَرِيمِ فِي الضَّيْمِ قَتْلُ[١]

لَيْسَ يَقْوَى امْرُؤٌ عَلَى الذُّلِّ مَا لَمْ ... يَكُ فِيهِ مِنْ صِبْغَةِ اللُّؤْمِ دَخْلُ[٢]

إِنَّ مُرَّ الْحِمَامِ أَعْذَبُ وِرْداً ... مِنْ حَيَاةٍ فِيهَا شَقَاءٌ وَذُلُّ[٣]

يمكنه أن يسلوه ، ويتعزى عنه ، ويحيا بدونه ، ويجد عوضاً منه ؛ أما الشباب فلا يستعاض ؛ وذهابه يحرم المرء لذة الهوى ووسائله .

(٣) يعز عليه (بوزن يقل) : يكرم عنده ، ويعظم قدره . وأكرم : أفضل ، وأعز .
يقول : إذا لم يبك المرء شبابه الذاهب ، فلا شيء سواه يكرم عنده ، أويشق عليه ذهابه ؛ فإن الشباب أعظم مفقود ، وأكرم راحل .

(*) «عثمان رفقي » ضابط شركسي الأصل ؛ كان ناظراً للجهادية في وزارة « مصطفى رياض » سنة ١٨٨٠ ، وعرف بتعصبه للضباط الجراكسة في الجيش المصري ؛ فسخط عليه الضباط المصريون بزعامة « أحمد عرابي » وطلبوا إقالته ، فحاولت الحكومة محاكمتهم ، فلم تستطع ؛ فاضطر الخديوي « توفيق » إلى الصفح عنهم ، وإجابة مطالبهم . وفي السادس من فبراير سنة ١٨٨١ صدر الأمر بعزل « عثمان رفقي » وتعيين « محمود سامي البارودي » ناظراً للجهادية بالإضافة إلى وزارة الأوقاف التي كان يشغلها من قبل . وفي اليوم الثاني من أغسطس سنة ١٨٨١ استقال من وزارتي الجهادية والأوقاف لما أحس أن الخديوي « توفيقاً » يسيء به الظن ، ويستمع للذين يتهمونه بممالأة الضباط الثائرين وتشجيعهم . وعلى أثر استقالته هجا بهذه اللامية من سعى به إلى الخديوي « توفيق » ، وزعزع ثقته به ، ونكبه في مطامحه الشخصية ، وآماله الوطنية .

(١) الكريم هنا : الحر ، الأبي ، العزيز . والضيم : مصدر ضامه ، أي ضاره ، وأذله ، وأهانه . وضامه حقه : انتقصه ، وغبنه .

(٢) يقوى امرؤ على الذل : يحتمله ، ويرضى به . ويراد بصبغة اللؤم : اللؤم الذي يصبغ اللئيم ، ويظهره ، ويميزه ، كما تظهر الصبغة الشيء المصبوغ وتميزه . والدخل : الداء الداخل في أعماق البدن ، أي أن المرء لا يرضى بالذل إلا إذا كان فيه عيب ، أو فساد ، أو داء من طبيعة اللؤم ونحيزته .

(٣) الحمام : الموت . والورد : الماء الذي يورد ، أي يقصد إليه العطاش للشرب والارتواء . ويراد بالورد هنا : المذاق .

أَنَـا رَاضٍ بِـتَـرْكِ مَـالِـي وَأَهْـلِي ... فَـالْعَفَـافُ الثَّـرَاءُ وَالنَّـاسُ أَهْـلُ(٤)

لاَ يَـلُمْنِـي عَـلَى الْـحَـفِـيـظَةِ قَـوْمٌ ... غَـرَّهُـمْ مَـنْـظَرُ الْـحَـيَـاةِ فَـضَـلُّوا(٥)

أَلِفُـوا الضَّيْمَ خَشْيَـةَ الْمَـوْتِ وَالضَّيْـ ... ـمُ - لَعَمْـرِي - فَجْعٌ خَسِيسٌ وَثُكْـلُ(٦)

كَـيْفَ لاَ أَنْـصُـرُ الـرَّشَـادَ عَلَى الْغَيْـ ... ـيِ وَعَقْلِي مَعِي وَفِي النَّفْسِ فَضْلُ ؟(٧)

إِنَّـمَـا الْـمَـرْءُ بِـالـلِّسَـانِ وَبِـالْـقَلْـ ... ـبِ فَـإِنْ خَـابَ مِنْهُمَـا فَهْـوَ فَسْـلُ(٨)

قَـدْكِ يَـا نَـفْسُ فَـالـتَّـصَـبُّـرُ إِلاَّ ... فِي لِقَـاءِ الْـحُـرُوبِ غَبْـنٌ وَجَهْـلُ(٩)

---

(٤) في هذا البيت افتخر بأنه من هؤلاء الذين مجدهم ، ونوه بهم ، وعظم شأنهم ؛ وفي سبيل حرصه على العزة والحرية والكرامة أصابه ما يصيب الأعفاء الأحراء أباة الضيم ؛ فجرد من ماله وثرائه ، وأبعد عن أهله ووطنه ؛ فاستقبل هذه البلايا بالرضا والتجلد والطمأنينة ، وعزى نفسه في الشطر الثاني بأن عفته ثروته ، والناس أهله وعشيرته .

وفي هذا البيت دليل على أن الشاعر نظم هذه القصيدة بعد إخفاق الثورة العرابية ، وبعد الحكم عليه ، وعلى أمثاله بالتجريد والنفي .

(٥) الحفيظة : الأنفة ، والحمية ، والغضب المحمود في المحافظة على الحرمات ، وكل ما ينبغي أن يحافظ عليه . وغره : خدعه ، وأطمعه بالباطل .

(٦) ألف الشيء : تعوده ، وأنس به ، واطمأن إليه . وفجع : مصدر فجعته المصيبة (من باب قطع)، أي أوجعته، وآلمته إيلاماً شديداً. وخسيس: رذل، دنيء. والثكل (بضم فسكون): الموت والهلاك. والضيم فجع وثكل: أي الضيم موت وهلاك.

(٧) المعنى : أن عقله ونفسه الفاضلة يدعوانه إلى نصرة الراشدين ، أباة الضيم ، وطلاب العزة والحرية على الغواة الأذلاء الراضين بالمهانة والمذلة والصغار .

(٨) يراد بالقلب : العقل . وخاب منهما : خسرهما ؛ والمراد لم يحسن الانتفاع بهما . وفسل : ضعيف ، عاجز .

من الحكم المأثورة : « المرء بأصغريه : قلبه ، ولسانه » ؛ وهذا البيت في معنى هذه الحكمة .

(٩) « قـد » : اسم بمعنى « حسب » ، أو اسم فعل بمعنى « كفى » أو « يكفي » . « وقـدك يا نفس » : أي حسبك ، أو يكفيك . والتصبر : تكلف الصبر ، أو حمل النفس على الصبر . وغبن : خسران ، أو نقص ، أو ضعف . ومن معاني الجهل : الحماقة ، والسفه ، وقلة العقل ، وسوء التصرف .



فَـابْعَثِيهَـا شَعْـوَاءَ يَحْكُـمُ فِيهَـا ... مُـنْـصُـلٌ صَـارِمٌ وَرُمْـحٌ مِـتَـلٌّ(١٠)

هـو إِمَّـا الْـحِمَـامُ أَوْ عِـيشَـةٌ خَضْـ ... رَاءُ فِـيـهَـا لِـمَـنْ تَـفَـيَّـأَ ظِـلٌّ(١١)

إِنَّ مُـلْكـاً فِـيـهِ « فُـلانٌ » وَزِيـراً ... لَـمُبَاح لِـلْخَـائِـنِـيـنَ وَبِـلٌّ(١٢)

أَهْـوَجٌ أَحْـمَـقٌ شَـتِـيـمٌ لَئِـيـمٌ ... أَغْـتَـمُ أَبْـلَهٌ زَنـيـمٌ عُـتُـلٌّ(١٣)

صَـغُـرَتْ رَأْسُـهُ وَأَفْـرَطَ فِي الـطُّولِ ... شَـوَاهُ وَعُـنْـقُـهُ فَـهْـوَ صَـعْـلُ(١٤)

---

(١٠) الأمر في أول البيت لنفسه ؛ والغرض منه الإرشاد ، أو التحريض ، أو تهديد الطغاة الضائمين . وبعث الحرب أو الغارة : أثارها ، وهيجها ، وأوقد نارها . وشعواء : منتشرة ، متفرقة ، فاشية في ميدان كبير ونطاق واسع . ويحكم : يقضي ، ويفصل . وفيها : في الحرب والقتال من أجل استرداد حياة العزة والحرية والكرامة ؛ ومكافحة طغيان الطغاة المستبدين الظالمين . والمنصل : السيف . وصارم : حاد . ومتلّ : قويّ ، شديد ، يتلّ المطعون ، أي يصرعه ، ويهلكه ، ويرديه .

(١١) « هو » : أي أمرنا ، أو شأننا ؛ أو حالنا ؛ يريد أن أمرنا بين اثنين لا ثالث لهما : إما الحمام ، وإما العيشة الخضراء . والحمام : الموت . ويراد بالعيشة الخضراء : حياة العزة ، والحرية ، والإباء ، والكرامة . وجملة « فيها لمن تفيأ ظل » : أي عيشة خضراء يتفيأ ظلالها . والعرب تكني بالظل عن العز والمنعة .

(١٢) « فلان » : كناية عن علم لمذكر عاقل ، أي عن إسم المهجو بهذه القصيدة . وبل : مباح .
وصم المهجو بالغدر والخيانة ، وقال : إن الدولة ، أو المملكة التي تستوزر مثله فاسدة مفسدة ، ومرعى خصيب لكل خؤون غدار .

(١٣) أهوج : فيه طيش ، وتسرع . وأحمق : من الحماقة ، وهي قلة العقل ، وضعف الرأي ، وسوء التصرف . وشتيم : كريه الوجه ، كالح ، أو هي فعيل بمعنى مفعول ، من شتمه : أي سبه ، وانتقصه . وأغتم : عَيِيٌ ، لا يفصح ، ولا يكاد يبين . وأبله : أحمق ، ضعيف العقل ، عاجز الرأي . والزنيم : الدعيّ ، أي اللاحق بقوم لا ينتسب إليهم ، وليس منهم . والعتل : الجافي ، الغليظ ؛ أو الشديد الخصومة أو الشحيح الممسك ، البخيل ، المناع للخير . ويلاحظ أن في هذا البيت أربع صفات على وزن « أفعل » : هي أهوج ، وأحمق ، وأغتم ، وأبله ؛ وحقها أن تمنع من الصرف ، أي التنوين ؛ وإنما نونت هنا لضرورة وزن الشعر .

(١٤) لعله يكني بصغر رأس المهجو عن صغر مخه ودماغه ، وما يتبع هذا من قلة فطنته ، وضعف إدراكه . وأفرط : زاد ، وجاوز الحد . وشواه : أطرافه ، أي يداه ورجلاه . وصعل : دقيق الرأس والعنق ، أو طويل .



أَبْـرَزَتْ قُـدْرَةُ الـطَّبِـيـعَـةِ مِـنْـهُ ... شَكْـلَ لُؤْمٍ إِنْ كَـانَ لِلُّؤْمِ شَكْـلُ (١٥)

هَـدَفٌ لِـلْعُيُـوبِ فِـي كُـلِّ عُـضْـوٍ ... مِـنْـهُ سَهْـمٌ لِـلطَّاعِـنِيـنَ وَنَـصْـلُ (١٦)

نَـسَـلَتْـهُ مِـنِ استِـهَـا أُمُّ سُـوءٍ ... مَـا لَهَـا غَيْـرَ طَـائِفِ اللَّيْـلِ بَعْـلُ (١٧)

كُـنْ كَمَـا شِئْـتَ يَـا فُـلاَنُ وَمَـا شَـا ... ءَتْ رِجَـالٌ فَـأَنْـتَ لِـلُّؤْمِ أَهْـلُ (١٨)

لَيْسَ تُغْنِي الأَلْقَـابُ عَنْ كَـرَمِ الأَصْـ ... ـلِ فَمَجْـدُ الْفَتَـى عَفَـافٌ وَعَـقْـلُ (١٩)

صورة المهجو في هذا البيت : رجل صغير الرأس ، دقيقه ، طويل العنق ، دقيقه . وفي يديه ورجليه طول مفرط ، ضاعف قبح هذه الصورة المعيبة القبيحة .

(١٥) المعنى : لو كان للؤم صورة ترى لرأيتها بارزة في هذا المهجو .

(١٦) جعل المهجو غرضاً تلاقت فيه العيوب والرذائل ، وهدفاً جمع النقائص والمثالب ؛ كما تتلاقى السهام والنصال في الهدف الذي يقصده الرماة . وقال : إن كل عضو من أعضائه فيه سهم أو نصل من سهام الطاعنين ونصالهم ؛ وهذا كله كناية عن كثرة عيوبه ومثالبه ، وكثرة الطاعنين فيه ، والعائبين له ، وكثرة ما أصابه من طعنات التجريح والتقبيح .

(١٧) نسلته : ولدته . واست المرأة : عجيزتها ، وقد يراد بها : حلقة الدبر . وطائف الليل : الطائف بالليل ، أي الذي يتخذ من الليل ستاراً لطوافه المريب المزري . وطاف الرجل بالنساء : ألمّ بهن . وبعل المرأة : زوجها .

(١٨) المعنى : لتكن كما أردت ، وأراده لك أولو الأمر في مصر من علو المنصب ، وبسطة السلطان ، وعظم الجاه ، وفخامة الألقاب ؛ فإن هذا كله لن يمحو شيئاً من لؤمك ؛ إذ اللؤم متأصل فيك .

(١٩) اللقب : اسم وضع بعد الإسم الأول للتعريف ، أو التشريف ، أو التحقير ، وجمعه ألقاب ، ويراد بالألقاب هنا : ما كان لكبار المستخدمين في الحكومة المصرية من رتب وألقاب مشعرة بالرفعة والمدح ، مثل صاحب المقام الرفيع ، وصاحب الدولة ، وصاحب المعالي ، وصاحب السعادة ، وصاحب العزة . وكرم الأصل : شرف المحتد ، ومجادة الحسب والنسب ، ونباهة الآباء والأجداد . والمجد : العز ، والشرف ، والرفعة ، والعلاء . والفتى (في الأصل) : الشاب الحدث أول شبابه بين المراهقة والرجولة . ويراد به هنا : الرجل في كل طور من أطوار حياته . والعفاف : مصدر عف (بوزن خف) ، أي كف ، وامتنع ، وترفع عما لا يحل ، ولا يجمل من قول أو فعل ؛ فهو عف ، وعفيف .

المعنى : إنما يمجد المرء ، ويشرف ، ويسمو في مراتب الرفعة والعلاء برجحان عقله ، وصحة تفكيره ، وسداد رأيه ، وشرف منبته ، ومجادة آبائه وأصوله ؛ هذا إلى عفته ،



أَنْتَ مِنْ عُنْصُرٍ لَوِ اتَّكَأَ الذَّرْ ... رُ عَلَيْهِ لَآدَهُ مِنْهُ حِمْلُ[٢٠]

نَازَعَتْكَ الْيَهُودُ وَاخْتَلَفَتْ فِيـ ... ـكَ النَّصَارَى فَأَنْتَ لَا شَكَّ بَغْلُ[٢١]

إِنَّ بَيْتَ الْوَزَّانِ لَمْ يَزِنُوا شَيْـ ... ـئاً وَلَكِنَّ فِيهِمْ عَلَى ذَاكَ ثِقْلُ[٢٢]

كَثُرُوا عِدَّةً وَلَوْ أَحْصَنَ الْبَا ... بَ أَبُوهُمْ عَنِ الزُّنَاةِ لَقَلُّوا[٢٣]

لَوْ عَزَوْنَا كُلَّ امْرِىءٍ لِأَبِيهِ ... مِنْ فِرَاخِ الْوَزَّانِ لَمْ يَبْقَ نَسْلُ[٢٤]

كُلُّ وَغْدٍ أَهْدَى إِلَى اللُّؤْمِ مِنْ بَا ... زٍ وَلَكِنْ مِنَ الْحِمَارِ أَضَلُّ[٢٥]

ونزاهته ، واستقامته ؛ أما ما يحمله من ألقاب الفخامة والرفعة ، فلا قيمة له ، ولا خير فيه ، ولن يغني عنه ، أو ينفعه ، أو يرفع من شأنه ، أو يدرأ عنه السبة والعار .

(٢٠) العنصر : الأصل. واتكأ : توكأ ، واعتمد ، واستند . والذر : صغار النمل ، الواحدة ذرة . وآده الحمل : أثقله ، وأجهده .

يقول : إن المهجو من أصل لو استند إليه أصغر النمل لآده ، وأثقله ، وعجز عن حمله ، أو النهوض به . والبيت كناية عن ضعف هذا الأصل وخسته ودناءته وهوانه ؛ فالأصل القوي كريم مجيد ، عزيز شريف ، والأصل الضعيف مهين حقير ، لئيم خسيس .

(٢١) شَبَّه المهجو بالبغل في اختلاط أصله ، وانحطاط محتده ، وضياع نسبه ، بعد أن مهد لهذا التشبيه بأن المهجو تائه حيران بين اليهود والنصارى .

(٢٢) يريد ببيت المهجو : أهله ، وعترته ، وأسرته . ولم يزنوا شيئاً : أي لا قيمة لهم ، ولا قدر ، ولا اعتبار ، ولا احترام . يقال : « فلان لا يزن شيئاً » : إذا كان ساقط القدر ، والاعتبار . وثقل الشيء على النفس (من باب عظم) : أي كرهته ، ومقتته ، وأبغضته .

يهجو بيت المهجو وأهله وعترته وعشيرته بسقوط القدر ، وهوان الأمر ، وحقارة الشأن ، وأنهم مع هذا ثقال الظل على الناس ، مكروهون ، ممقوتون .

(٢٣) كثروا عدّة : أي كثر عددهم . وأحصن الباب : جعله حصيناً منيعاً ، لا يقرب ، ولا يفتح ، ولا يجترأ عليه .

يقول : إن أهل المهجو وعشيرته كثيرون ، وإن كثرتهم الغالبة أولاد زناً ، ولولا هذا لقلّ عددهم .

(٢٤) عزونا لأبيه : نسبناه إليه ، وألحقناه به . والفراخ : جمع فرخ ، وهو (في الأصل) : ولد الطائر . ويراد بفراخ الوزان : ذريته ، ونسله ، وأطفاله . والنسل : الولد ، والذرية .

(٢٥) كل وغد : يريد أن كل فرد من أسرة المهجو وأهله وغد ، أي دنيء ، ضعيف العقل .

قَـدْ تَـغَـذَّى بِـالـلُّؤْمِ إِذْ هُـوَ طِـفْـلٌ وَتَمَـادَى فِي الْغَيِّ إِذْ هُـوَ كَـهْـلُ[٢٦]

لَـيْسَ فِيهِمْ مَـنْ تَحْمَـدُ الْعَيْنُ رُؤْيَـا هُ وَلَا مِـنْـهُـمْ إِلَـى الـنَّـفْسِ خِـلُّ[٢٧]

أَدْرَكُـوا فِي الْعُيُـوبِ أَبْعَـدَ خَـصْـلٍ كُـلُّ حَيٍّ لَـهُ بِمَـا شَـاءَ خَصْـلُ[٢٨]

كَـيْـفَ لَا تَـشْـمَـلُ الـدَّنَـاءَةُ قَـوْمَـاً نَشَـأُوا فِي الصَّغَـارِ حِينَ اسْتَهَلُّوا ؟[٢٩]

هُـمْ لَـعَـمْـرِي أَذَلُّ مِـنْ قَـدَمِ الـنَّـعْـ لِ نُفُـوسـاً وَالنَّعْـلُ مِنْهُمْ أَجَـلُّ[٣٠]

كُـنْـتُ لَا أُحْسِـنُ الْـهِـجَـاءَ وَلٰـكِـنْ عَـلَّمَتْنِي صِفَـاتُـهُـمْ كَـيْفَ أَتْـلُو[٣١]

وأهدى : أكثر اهتداء . والباز ، والبازي : طائر من جوارح الطير ، أي الطير المفترسة الصائدة ، أو هو ضرب من الصقور يصاد به ؛ وقد جعله الشاعر مثلاً في سرعة الاهتداء إلى صيده ؛ وقال : إن كل وغد من هؤلاء الأوغاد يعرف اللؤم ويهتدي إليه ، ويتشبث به ، كما يهتدي البازي إلى صيده ، بل أشد وأسرع ، وهو ـ مع تمام اهتدائه إلى اللؤم ـ أضل عن الكرم من الحمار ؛ أو لعل المراد بالضلال هنا : الغباوة ، وقلة الفطنة .

(٢٦) في هذا البيت يقول الشاعر : إن أطفالهم قد اغتذوا باللؤم ، وربوا عليه ؛ وكهولهم قد تمادوا في الغواية والضلال ، وأمعنوا في الانحراف والفساد ؛ أو أن اللؤم والغواية لازما كل واحد منهم طفلاً وكهلاً ، أي طوال حياته .

(٢٧) ليس فيهم : ليس في بيت المهجو وأهله .

نفى الشاعر أن يكون في بيت المهجو وأهله وعترته من يستأهل الحمد وحسن الثناء ، أو من يرضى عنه الناس ، ويرتاحون له ؛ ونفى أن يكون فيهم كذلك من يصلح للخلالة ، أو للصداقة ، أو الأخوة ؛ بمعنى أنك لن تجد فيهم خليلاً وفياً ، أو أخاً مخلصاً ، أو صديقاً صادق الود .

(٢٨) الخصل : الغرض ، أو الهدف الذي يتراهن المتخاصلون على رميه وإصابته ، أو بلوغه . ومن كلامهم « أحرز فلان خصله ، أو أصاب خصله » : إذا غلب ، وسبق .

(٢٩) المعنى : أن الدناءة ينبغي أن تشمل المهجوين كلهم أجمعين ، فإذا لم تشملهم كان ذلك مثار العجب والدهش . والصغار : الذل والهوان ، والضعة والدناءة . واستهلوا : نشأوا ، وولدوا .

(٣٠) وصم نفوس المهجوين بالذل والضعة ، ونزل بهم في هجائه إلى الدرك الأسفل من الحقارة والمهانة ، وهم دون النعل التي يطأ بها الإنسان الأرض ، والنعل أجل منهم وأعظم . وقد أكد كلامه هذا بالقسم المعترض في الشطر الأول بين المبتدأ وخبره .

(٣١) صفاتهم : صفات المهجو الأصلي وأهله وعشيرته . والمراد صفاتهم الذميمة ، ومعايبهم ، ونقائصهم . وتلاه يتلوه : تبعه ، ولحقه .

كُـلُّ شَـيْءٍ يَـفْـنَـى وَلَـكِـنْ هِـجَـائِـي   فِيـكَ بَاقٍ مَـا عَـاقَبَ السَّيْفَ صَقْـلُ(٣٢)

وَقَالَ يَهْجُو(*) :

وِصَـالُـكَ لِي هَجْـرٌ وَهَجْـرُكَ لِي وَصْـلُ   فَـزِدْنِي صُدُوداً مَـا اسْتَطَعْتَ وَلاَ تَـأْلُ(١)
إِذَا كَـانَ قُـرْبِي مِنْـكَ بُعْـدَاً عَنِ الْمُنَى   فَـلاَ حُمَّتِ اللُّقْيَا وَلاَ اجْتَمَـعَ الشَّمْـلُ(٢)
وَكَـيْـفَ أَوَدُّ الْـقُـرْبَ مِـنْ مُـتَـلَوِّنٍ   كَثِيـرِ خَبَـايَـا الصَّـدْرِ شِيمَتُـهُ الْخَتْـلُ(٣)

يقـول : إنه لم يكن يحسن الهجـاء ؛ فلما عـرف هؤلاء الأوغـاد ، وتـأذى بشـرورهم ومقـابحهم ، علمته منـاقصهم ومثالبهم كيف يتبـع الهجائين ، ويسلك سبيلهم ، ويحتـذي مثالهم .

(٣٢) صقل الصاقـل السيف ونحـوه: أي جـلاه، وملسـه، وكشف صـدأه. وعـاقب الصقـل السيف : المراد توالى عليه وتتابع. ولعل الشاعر ربط بقاء هجائـه ببقاء احتيـاج السيف الى الصقل .

يقول: كل شيء إلى فناء وزوال ما عدا هجاءه في هذا المهجو، فإنه دائم باق ما بقي احتياج السيف ونحوه إلى الصقل والشحذ.

(*) قيل إن هذه القصيدة في هجاء « نوبار » (١٨٢٥ ـ ١٨٩٩) ، وهو رجل أرمني الأصل ، له صلة قرابة بـ « بوغوص » و « إرتين » وزيري « محمد علي » . دعاه الأول إلى مصر ؛ فعمل في الترجمة ، وقرأ لمحمد علي تاريخ الثورة الفرنسية ، وكان كاتب أسرار « إبـراهيم » ثم «عباس الأول» ثم مديراً لسكك الحديد المصرية في عهد «سعيد» ثم وزيراً مقرباً إلى الخديوي «إسماعيل» سنة ١٨٦٧ ثم رئيساً للوزارة في أغسطس سنة ١٨٧٨ ، وبكفايته وتجاربه مارس السياسة الدولية بنجاح، وكانت له فيها شهرة ومكانة.

(١) الوصال ، والوصل : ضد الهجر . وصد عنه (كرد) صداً ، وصدوداً : أي أعرض عنـه ، ومال ، وانصرف . وضده الإقبال والوصال . ولا تأل : لا تقصّر ، ولا تتوان ، ولا تبطىء . مضارع « ألا » : أيّ قصّر .

(٢) المنى : جمع منية ، وهي ما يقدره الإنسان ، ويريده ، ويرغب فيـه . وحمّتْ : قدّرتْ ، وقضيتْ . والشمل : ما اجتمع من الأمر .

يقول : إن قربه من المهجو يبعده عما يرغب فيه ويتمناه ؛ ولهذا دعا الله تعالىٰ ألا يقدّر لقاءهما ، وألا يجمع ما افترق من أمرهما .

(٣) متلون : مختلف الأخلاق ، لا يثبت على خلق واحد ؛ والمراد أنه مخادع ، مراوغ . ويراد بخبايا الصدر : الأحقاد ، والضغائن . وشيمته : خلقه . والختل : الخداع .

فَلَيْتَ الَّـذِي بَيْنِي وَبَيْنَـكَ يَنْتَهِي ... إِلَـى حَيْثُ لاَ طَلْحٌ يَـرِفُّ وَلاَ أَثْـلُ (٤)

خَبُثْتَ فَلَوْ طُهِّـرْتَ بِـالْمَـاءِ لاَكْتَسَـى ... بِكَ الْمَاءُ خُبْثاً لاَ يَحِـلُّ بِـهِ الْغَسْـلُ (٥)

فَـوَجْهُـكَ مَنْحُـوسٌ وَكَعْبُـكَ سَـافِـلٌ ... وَقَلْبُـكَ مَـدْغُـولٌ وَعَقْلُكَ مُخْتَـلُّ (٦)

بِـكَ اسْـوَدَّتِ الأَيَّـامُ بَعْـدَ ضِيَـائِهَـا ... وَأَصْبَحَ نَادِي الْفَضْـلِ لَيْسَ بِهِ أَهْـلُ (٧)

فَلَوْ لَمْ تَكُنْ فِي الـدَّهْرِ مَـا انْقَضَّ حَادِثٌ ... بِقَـوْمٍ وَلاَ زَلَّتْ بِـذِي أَمَـلٍ نَعْـلُ (٨)

فَـمَـا نَـكْـبَـةٌ إِلاَّ وَأَنْـتَ رَسُـولُـهَـا ... وَلاَ خَـيْـبَـةٌ إِلاَّ وَأَنْـتَ لَـهَـا أَصْـلُ (٩)

أَذُمُّ زَمَـانَـاً أَنْـتَ فِـيـهِ وَبَـلْدَةً ... طَـلَعْتَ عَـلَيْهَـا إِنَّـهُ زَمَـنٌ وَغْـلُ (١٠)

---

(٤) الطلح : شجر من العضاه ، ترعاه الإبل ، واحدته طلحة . ورف النبات : اهتز من الري والنضارة . والأثل : شجر طويل مستقيم ، جيد الخشب ، كثير الأغصان ، دقيق الورق طويله ، واحدته أثلة (بوزن نخلة) .

يتمنى أن ينتهي ما بينه وبين المهجو إلى واد غير ذي زرع ، ومكان قفر قاحل مجدب .

(٥) الخبيث : القذر النجس ، وضده النظيف الطاهر . والخبيث : الخب ، والخداع الخسيس الدنيء المهين . واكتسى بك الماء خبثاً : أي خالطه قذرك ونجسك ، ومازجه .

(٦) منحوس : مشؤوم . وأعلى الله كعبه : أي رفع شأنه . ولا يزال كعبك عالياً : دعاء له بدوام العلو والرفعة ، والشرف . ورجل عالي الكعب : شريف ، مظفر . وضده سافل الكعب : أي منحط الشأن ، نذل ، خسيس . وقلبه مدغول : خالطه الدغل (بوزن التعب) ، وهو الريبة ، والفساد . وعقله مختل : واهن ، ضعيف ، مضطرب .

(٧) والمعنى : أن الأيام كانت مشرقة مضيئة ، قبل أن يتولى المهجو أمور الحكم والرياسة ، فلما تولاها ، عمت المفاسد والمظالم ، وتجهمت الدنيا ، وأقفرت أندية الفضل والخير .

(٨) انقض : نزل ، ووقع . والحادث : النائبة ، والكارثة ، والمصيبة . وزلت قدمه : زلقت ، وسقطت ، وعثرت . وزلت النعل بذي الأمل ، أو زلت بالآمل قدمه : أي أخفق ، وخاب أمله ، ولم يتحقق رجاؤه .

(٩) النكبة : المصيبة ، والكارثة . والمهجو رسول النكبات إلى الناس ؛ لأنه يصلها بهم ، ويحمل إليهم شرورها وأوزارها ، بخبثه ، وفساد ولايته . وهو أصل الخيبة والخسار والبوار .

(١٠) الوغل من الناس : الضعيف ، النذل ، الدنيء ، الساقط ، المقصر في كل شيء .

اشتد سخط الشاعر على هذا المهجو ؛ فذم الزمان الذي أنبته ووسعه ؛ ورماه بالضعف والمهانة ، والنذالة والدناءة ، والسقوط والهوان . ثم ذم البلدة التي ظهر فيها ، وسمحتْ له بالإقامة والحياة .



ذِمَـامُـكَ مَخْفُـورٌ وَعَهْـدُكَ ضَـائِـعٌ وَرَأْيُـكَ مَـأْفُـونٌ وَعَقْلُكَ مُخْتَـلُّ(١١)

مَخَـازٍ لَـوَانَّ النَّجْمَ حُـمِّـلَ بَعْـضَهَـا لَعَـاجَلَهُ مِـنْ دُونِ إِشْـرَاقِـهِ أَفْـلُ(١٢)

فَسِـرْ غَيْـرَ مَـأْسُـوفٍ عَلَيْـكَ فَـإِنَّمَـا قُصَارَى ذَمِيمِ الْعَهْدِ أَنْ يُقْطَعَ الْحَبْلُ(١٣)

وَقَالَ :

إِلَـى اللَّهِ أَشْكُـو طُـولَ لَيْلِي وَجَـارَةً تَبِيتُ إِلَى وَقْتِ الصَّبَـاحِ بِـإِعْـوَالِ(١)

لَـهَـا صِبْيَـةٌ لاَ بَـارَكَ الـلَّهُ فِـيهِـمُ قِبَاحُ النَّـوَاصِي لاَ يَنْمْنَ عَلَى حَـالِ(٢)

---

(١١) الذمام : العهد ، والأمان ، وكل حرمة ينبغي أن تصان وتحفظ . ومخفـور : منقوض . والعهد : الميثاق ، والضمان . ومأفون : ضعيف ، ناقص ، مضطرب ، مختلط ، فاسد .

(١٢) المخازي : المعايب ، والفضائح . وأفل : أفول ، ومغيب .

يقول : لو حمل النجم بعض ما يدنس المهجو من المخزيات والفضائح لأفل مسرعاً ، واستحيا من الإشراق ؛ يريد : لو كان في المهجو مثقال ذرة من الخجل والحياء ، لانزوى بمخازيه ، وتوارى عن الناس .

(١٣) القصارى : الجهد ، والغاية ، وآخر الأمر . ويراد بالعهد : المعرفة والصحبة . ويراد بالحبل : صلة التعارف ، والمودة .

ختم الشاعر هذه الأهجوة بإعلان قطيعته للمهجو ؛ وقال : إن مثله لا يؤسف عليه ، إذ كان مخفور الذمام ، سيىء الصحبة ، لا يحفظ عهداً ، ولا يكاد يحفل بشيء من حقوق الإخاء ، وحسبه أن يجتنب ويقاطع .

ويبدو أن المهجو كان يشغل منصباً كبيراً عالياً من مناصب الحكومة ، فلما اعتزله ، أو أقيل منه ، استشعر الناس السرور ، وانفرج الغم الكارب .

أشار الشاعر بهذا البيت إلى سوء عهد المهجوّ ، أي سوء زمانه ، وارتياح بني وطنه لإقالته ، أو اعتزاله ؛ فإن مثله لا يؤسف عليه ، ونهاية أمره أن تقطع صلته بالحكومة ، أو تنقطع صلاته بالناس ، وتطوى سيرته .

(١) اعتادت هذه الجارة أن تبيت الليل كله صاخبة صائحة معولة ؛ فأزعجت الشاعر بإعوالها وجلبتها ، وأرقته ، وأطالت ليله ، ففزع إلى الله تعالىٰ يشكو إليه ما يكابده ويقاسيه .

(٢) لها : للجارة . والنواصي : جمع الناصية ، وهي مقدم الرأس ؛ ويراد بالنواصي هنا : الوجوه . و « لا ينمن على حال » : أي لا ينعسون طوال الليل ، فالسهر يلازمهم ، ولياليهم كلها ساهرة في كل الأحوال .

صَـوَارِخُ لَا يَهْـدَأْنَ إِلَّا مَـعَ الضُّحَـا ... مِنَ الشَّرِّ فِي بَيْتٍ مِنَ الْخَيْرِ مِمْحَـالِ (٣)

تَـرَى بَيْنَهُمْ ـ يَـا فَـرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُـمْ ـ ... لَهِيبَ صِيَـاحٍ يَصْعَـدُ الْفَلَكَ الْعَـالِي (٤)

كَـأَنَّهُـمُ ـ مِمَّـا تَنَـازَعْـنَ ـ أَكْلُبٌ ... طُـرِقْنَ ـ عَلَى حِينِ الْمَسَاءِ ـ بِـرِئْبَالِ (٥)

فَهِجْنَ جَمِيعـاً هَـيْجَـةً فُـزِّعَـتْ لَهَـا ... كِلَابُ الْقُرَى مَا بَيْنَ سَهْلٍ وَأَجْبَالِ (٦)

فَـلَمْ يَبْـقَ مِـنْ كَـلْبٍ عَـقُـورٍ وَكَـلْبَـةٍ ... مِنَ الْحَيِّ إِلَّا جَـاءَ بِـالْعَمِّ وَالْخَـالِ (٧)

---

(٣) صوارخ : جمع صارخة ، اسم فاعل من الصراخ ، أو الصريخ ، وهو الصياح الشديد . ولا يهدأن : أي لا يهدأن من الشر ، أي شرهن متصل ؛ ويراد بالشر : المشاجرة ، والخصام ، في إعوال ، وجلبة ، وصياح ، وضجيج . والممحال : الماحل ، المقفر ، المجدب . و « من الخير » : متعلق به .

(٤) « بينهم » : بين هؤلاء الصبية . و « فرق الله بينهم » : جملة دعائية ، فهو يدعو عليهم بالتفرق لأنه اذا افترق شملهم انتهى صياحهم ، واستراح منه الشاعر ، واستطاع أن يطعم لذة النوم . ولهيب صياح : أي صياحاً كلهيب النار في توقده ، وشدته ، وارتفاعه ، وإيذائه . والفلك : الفضاء في السماء ، يدور فيه النجم . والعالي : صفة مؤكدة له ؛ لأن الفلك لا يكون إلا عالياً . ويلاحظ أن الشاعر عبر في أول البيت بالفعل المضارع « ترى » مراعياً اللهيب ؛ فإنه يدرك بحاسة البصر . أما الصياح فيدرك بحاسة السمع . كما يلاحظ أنه في هذا البيت والبيتين السابقين والبيت الآتي يذكّر الضمير أحياناً باعتبار معنى « الصبية » (جمع صبي) ، ويؤنثه أحياناً باعتبار اللفظ .

شبه صياح هؤلاء الصبية بلهيب النار المتوقدة المتأججة في عنفه وقسوته ، وعلوه وارتفاعه ، وبالغ في هذا المعنى الأخير ؛ فقال إنه يبلغ الأفلاك والكواكب ؛ ودعا على هؤلاء الصبية ، بافتراق الشمل ؛ ليستريح من جلبتهم وضوضائهم ؛ ويجد ما يتمناه ويشتهيه من النوم والراحة .

(٥) تنازعن : اختلفن وتخاصمن . وأكلب : جمع كلب . وطرقت القوم : أتيتهم ليلاً . والرئبال : الأسد أو الذئب .

شبه هؤلاء الصبية الصاخبين الصارخين المتنازعين بكلاب طرقها مفاجئاً ذئب أو أسد ، فثارت ، وعلا نباحها .

(٦) هاج : ثار ، واضطرب . وفزعت : ذعرت ، وخافت .

(٧) عقور : صيغة مبالغة من عقره ، أي عضه . وجاء بالعم والخال : أي استدعى جميع ما اتصل به من الكلاب .

وَفُــزِّعَتِ الْأَنْعَــامُ وَالْخَيْــلُ فَــانْبَــرَتْ تُجَاوِبُ بَعْضَـاً فِي رُغَـاءٍ وَتَصْهَـالِ(٨)

فَقَــامَتْ رِجَــالُ الْـحَيِّ تَـحْسَـبُ أَنَّهَــا أُصِيبَتْ بِجَيْشٍ ذِي غَـوَارِبَ ذَيَّــالِ(٩)

فَمِنْ حَـامِـلٍ رُمْحاً وَمِنْ قَـابِضٍ عَصَـاً وَمِنْ فَـزِعٍ يَتْلُو الْكِتَـابَ بِـإِهْـلَالِ(١٠)

وَمِـنْ صِبْيَــةٍ رِيعَـتْ لِـذَاكَ وَنِـسْـوَةٍ قَـوَائِمَ دُونَ الْبَـابِ يَهْتِفْنَ بِـالْـوَالِي(١١)

فَيَــا رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَــدُنْــكَ تَصَبُّــرَاً عَلَى مَـا أُقَـاسِيهِ وَخُـذْهُمْ بِـزَلْـزَالِ(١٢)

وَقَالَ فِي الزُّهْدِ :

يَــاقَــلْبُ مَــا لَــكَ لَا تُــفِــيــقُ مِنَ الْهَــوَى يَا قَلْبُ مَـا لَكْ ؟(١)

---

(٨) فزعت : روِّعت . والأنعام : جمع النعم ، وهي الإبل ، والبقر ، والغنم ، والخيل . وانبرى له الشيء : اعترض له ، ووقف في سبيله . ومعنى انبراء الأنعام والخيل هنا : أنها لما فزعت نهضت من مباركها ، لمقاومة العدو المفاجىء ، والتصدي له . وجاوبه يجاوبه مجاوبة : حاوره ، ورد كل منهما على الآخر ، أو أجاب سؤاله . والرغاء : صوت الإبل وضجيجها . والتصهال : صوت الخيل ، وهو مصدر على وزن « تفعال » ، للدلالة على الكثرة والمبالغة .

(٩) الحي : البطن من بطون العرب ، وهو أصغر وأقل عدداً من القبيلة ، والحي أيضاً : محلة القوم ، أي ديارهم ومنازلهم التي يحلّون بها . وجيش ذو غوارب : كثير ، جرار . وذيال : نعت ثان لجيش ، والمراد أنه كثير جرار ؛ على التشبيه بالفرس الذيال ، وهو الطويل الذيل .

(١٠) « من » في هذا البيت : بيانية ؛ وقد كررت ثلاث مرات لبيان ثلاث طوائف ، أو ثلاث جماعات . والإهلال : مصدر أهل ، أي رفع صوته .

(١١) ريعت : أفزعت ، وأخيفت . ولذاك : أي بسبب هيجان الكلاب والدواب واستيقاظ الرجال وتأهبهم للدفاع . وقوائم : قائمات ، جمع قائمة . ودون الباب : وراءه ، أو أمامه ، أو على مقربة منه . وهتف به : صاح به ، ودعاه . والوالي : الحاكم .

(١٢) تصبر على الأمر : صبر . وتصبر : حمل نفسه على الصبر ، وتصبر : تكلف الصبر ، أي تجشمه على مشقة . وخذهم : أمر من أخذه بذنبه ، أي جازاه وعاقبه .

افتتح الشاعر هذه القصيدة بالشكوى إلى الله وحده ، واختتمها بدعاءين : أولهما أن يمنحه الله القوة والصبر على احتمال ما يكابده ويضانيه من شرور جارته وصبيانها ، والآخر أن ينتقم له منها ومنهم ، ويعاقبهم عقوبة رادعة زاجرة .

(١) كرر الشاعر النداء والاستفهام « يا قلب ، ما لك » ؟ مرتين ؛ لتأكيد المعنى ، والإلحاح به ،



أَوَ مَــا بَــدَا لَــكَ أَنْ تَــعُــو	دَ عَنِ الصِّبَا أَوَ مَا بَـدَا لَـكْ ؟[٢]
أَمْ خِـلْـتَ أَنَّ يَــدَ الــزَّمَـا	نِ قَـصِيـرَةٌ عَـنْ أَنْ تَـنَـالَـكْ ؟[٣]
هَـيْـهَـاتَ صَـدَّ بِـكَ الْـهَـوَى	عَـنْ أَنْ تَـرِيـعَ وَلَـنْ إِخَـالَـكْ[٤]
سَـلِّمْ أُمُـورَكَ لِـلَّـذِي	أَنْـشَـاكَ مِـنْ عَـدَمٍ وَعَـالَـكْ[٥]
وَدَعِ الـتَّـعَـلُّـقَ بِـالْـمُـحَـا	لِ فَـإِنَّـهُ يَـبْـرِي مِـحَـالَـكْ[٦]
فَـعَـسَـاكَ تَـنْـزِعُ مِـنْ يَدِ الْـ	أَهْـوَاءِ يَـا قَـلْـبِي حِـبَـالَـكْ[٧]

وَقَالَ فِي الزُّهْدِ ، وَهِيَ مِنْ لُزُومِ مَا لاَ يَلْزَمُ :

أَيُّــهَــا الْــمَــغْــرُورُ مَــهْــلاَ	لَــسْــتَ لِــلتَّــكْــرِيــمِ أَهْــلاَ[١]

فهو بالنداء ينبه قلبه ، ويزجره ؛ وبالاستفهام يلومه في تعجب ، ويأمل أن يفيق من الهوى ، ويعود إلى الرشاد .

(٢) تعود عن الصبا : أي تقلع عنه ، وترجع ، وتكف . والصبا : اللهو واللعب ، والجهل والفتوة .

(٣) خال الشيء يخاله : ظنه .
يقول : أم ظننت أن الزمان عاجز عن أن يدركك بآفاته وأسوائه .

(٤) «هيهات» : اسم فعل بمعنى « بَعُدَ » . وصده عن كذا : منعه ، وصرفه عنه . وصد بك الهوى : أي أمعنت فيه ، فابتعد بك . وراع يريع : عاد ، ورجع . ولن إخالك : أي ولن أظنك مقلعاً عن الهوى ، عائداً إلى الهدى .

(٥) أنشاك : أصله الهمز ، من الإنشاء : وهو الخلق والإيجاد . وعالك : كفلك ، ورزقك ، ويسر لك أسباب المعيشة والحياة .

(٦) دع : اترك ، واجتنب . والمحال (بضم الميم) : ما اقتضى الفساد من كل وجه ، ومن معانيه : الباطل ، والمعوج ، وغير الممكن . ويبري : يضعف ، أو يهدم . والمحال (بكسر الميم وفتحها) : القوة ، والقدرة .

(٧) تنزع : تنتزع ، وتقتلع . ونزع الحبال من يد الأهواء : كناية عن الإفاقة منها ، والإقلاع عنها ، واجتناب اللهو والمجانة .

(١) المغرور : المخدوع ، ويراد به هنا : المشغوف بالدنيا ، المقبل عليها في غير قصد أو اعتدال ؛ لأنها تغره بزخرفها وزينتها ، وتخدعه ، وتطمعه بالباطل . ومهلاً : أي تمهل ،



كَـيْـفَ صَـادَفْـتَ الْأَمَـانِـي ؟	هَـلْ رَأَيْتَ الصَّعْبَ سَـهْـلَا ؟[٢]
خِـلْتَـهَـا مَـاءً نَـمِـيـراً	فَـاشْـرَبَـنْ عَـلًّا وَنَـهْـلَا[٣]
أَيْـنَ أَهْـلُ الـدَّارِ فَـانْـظُرْ	هَـلْ تَـرَى بِـالـدَّارِ أَهْـلَا ؟[٤]
رُبَّ حُـسْـنٍ فِـي ثِـيَـابٍ	عَـادَ غِـسْـلِيـنـاً وَمُـهْـلَا ؟[٥]
وَعُـيُـونٍ كُـنَّ سُـوداً	صِـرْنَ عِـنْـدَ الْـمَـوْتِ شُهْـلَا[٦]
سَـوْفَ يَـلْقَـى كُـلُّ بَـاغٍ	فِـي الْـوَرَى خِـزْيـاً وَبَـهْـلَا[٧]

واتئد ، ولا تعجل . والمراد : تفكر ، وتدبر ، ولا تنخدع بالدنيا ، ولا تتهافت عليها . وفلان أهل للكرم : مستحق له ، جدير به .

(٢) صادفت : وجدت ، ولقيت . والأماني : جمع الأمنية ، وهي المنية ، والبغية ، أي ما يتمناه الإنسان ، ويبتغيه .

(٣) خلتها : خلت الأماني ؛ أي ظننتها . والخطاب للمغرور بالدنيا . والماء النمير : الطيب ، الهنيء ، المريء . والنهل (بوزن الطرب) : الشرب الأول ، أو الشرب المروي ؛ وتسكين الهاء هنا لضرورة وزن الشعر . والعل (ومثله العلل ، بوزن الملل) : الشرب الثاني ، أو هو الشرب بعد الشرب تباعاً .

(٤) في سبيل العظة والاعتبار وجه الشاعر الأنظار إلى من طواهم الردى ، وأخنى عليهم الدهر من أهالي الديار الخاوية ، والمنازل الخالية .

(٥) يراد بالحسن : محاسن الحسان الغانيات . ويراد بالثياب : ثيابهن التي كن يتبخترن فيها ، ويزدهين بها قبل أن يدركهن الموت . وعاد : صار ، أي الحسن ، والجمال . والمراد صار بعد الموت . والغسلين (في الأصل) : ما يخرج من الثياب ونحوها بالغسل ، أي الماء الذي يسيل منها مختلطاً بأقذارها بعد غسلها وعصرها . ويراد بالغسلين هنا : ما يسيل من أجساد الموتى إذا انحلت ، وتعفنت ، وتقيحت بعد الموت . والمهل : القيح ، وصديد جسد الميت .

(٦) شهل : جمع شهلاء ، صفة من الشهل ، أو الشهلة ، وهو أن يشوب سواد العين ، حمرة ، أو زرقة ، أو أن يخالط بياضها كدرة .

(٧) الباغي : الظالم ، والمعتدي . والورى : الخلق ، والناس . والباغي في الورى : الظالم للناس ، والمعتدي عليهم . والخزي : الذل ، والهوان . والبهل : اللعن ، مصدر بهله الله (من باب منع) : أي لعنه ، وطرده من رحمته ، وأبعده عن الخير .



إِنَّمَا الدُّنْيَا غُرُورٌ لَمْ تَدَعْ طِفْلاً وَكَهْلاَ[8]

كَمْ حَكِيمٍ ضَلَّ فِيهَا فَاكْتَسَى بِالْعِلْمِ جَهْلاَ[9]

---

(٨) غرور (بضم العين) : خداع ، وباطل ، أو هي « غـرور » (بوزن صبـور) : أي غرارة ، خداعة .

(٩) الحكيم : العالم الفيلسوف ، وذو الحكمة . وضل فيها : ضل في الدنيا . واكتسى : لبس الكسوة ، أي الثياب . والمراد « استبدل » . وبالعلم : بدل العلم ؛ فالباء هنا للبدل.

قافيــة الميــم

وَقَالَ في صِبَاهُ :

بِقُـوَّةِ الْعِـلْمِ تَقْـوَى شَـوْكَـةُ الأُمَـمِ	فَالْحُكْمُ فِي الدَّهْرِ مَنْسُوبٌ إِلَى الْقَلَمِ (١)
كَمْ بَيْـنَ مَـا تَلْفِظُ الأَسْيَـافُ مِنْ عَـلَقٍ	وَبَيْنَ مَـا تَنْفُـثُ الأَقْـلَامُ مِنْ حِكَمِ (٢)
لَـوْ أَنْصَفَ النَّـاسُ كَـانَ الْفَضْـلُ بَيْنَهُمُ	بِـقَـطْرَةٍ مِنْ مِـدَادٍ لَا بِـسَـفْـكِ دَمِ (٣)
فَـاعْكِفْ عَلَى الْعِلْمِ تَبْلُغْ شَأْوَ مَنْـزِلَـةٍ	فِي الْفَضْـلِ مَحْفُوفَـةٍ بِالْعِزِّ وَالْكَرَمِ (٤)

---

(١) يراد بقوة العلم : اتساعه ، وانتشاره ، وشموله . والشوكة : القوة ، والبأس . والحكم : القضاء ، والفصل في المخاصمات والمنازعات . والحكم : الولاية ، والإدارة ، والملك ، والسلطان . والقلم : أداة الكتابة . والكتب : أوعية العلم والحكمة والثقافة والعرفان .

(٢) « كم » هنا : خبرية ، بمعنى كثير ، يشير بها الشاعر إلى كثرة الفوارق بين السيف والقلم . ولفظ الشيء من فمه ، ولفظ به : رمى به ، وطرحه ، وألقاه . والعلق : الدم الغليظ ، أو الجامد . ويراد به هنا : الدم مطلقاً . ونفث الشيء من فيه : رمى به . ونفث الأقلام : تعبير مجازيّ يراد به الكتابة . ونفث القلم : كتب . ونفث الحكمة : سطّرها . و« حكم » : جمع حكمة ، وهي الفلسفة ، أو القول الوجيز الرائع الذي يتضمن حكماً صحيحاً ، أو الكلام الذي يوافق الحق ، ويقلّ لفظه ، ويجلّ معناه ، أو صواب الأمر ، وسداده ، أو ما يطابق الحلم والعدل من الأقوال والأعمال .

(٣) يشير بقطرة المداد ، أي الحبر ، إلى ما ينفثه القلم من الحكم البالغة ، وأخبار الماضين ، والعلوم النافعة في الدنيا والآخرة . وسفك الدم : سفحه ، وإراقته .

والمعنى : لو عدل النـاس ، لاعتبروا حيـازة الفضل بينهم بـالعلم والحكمة والمعـرفة النافعة ، لا بإراقة الدماء والبغي والعدوان .

(٤) عكف على الشيء : أي أقبل عليه مواظباً ، ولازمه . والشأو : الغـاية ، ومنتهى الشيء ،

فَلَيْسَ يَجْنِي ثِمَارَ الْفَوْزِ يَانِعَةً ... مِنْ جَنَّةِ الْعِلْمِ إِلَّا صَادِقُ الْهِمَمِ (٥)

لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْمَسَاعِي مَا يَبِينُ بِهِ ... سَبْقُ الرِّجَالِ تَسَاوَى النَّاسُ فِي الْقِيَمِ (٦)

وَلِلْفَتَى مُهْلَةٌ فِي الدَّهْرِ إِنْ ذَهَبَتْ ... أَوْقَاتُهَا عَبَثاً لَمْ يَخْلُ مِنْ نَدَمِ (٧)

لَوْلَا مُدَاوَلَةُ الأَفْكَارِ مَا ظَهَرَتْ ... خَزَائِنُ الأَرْضِ بَيْنَ السَّهْلِ وَالْعَلَمِ (٨)

كَمْ أُمَّةٍ دَرَسَتْ أَشْبَاحُهَا وَسَرَتْ ... أَرْوَاحُهَا بَيْنَنَا فِي عَالَمِ الْكَلِمِ (٩)

ومداه . والمنزلة : المكانة ، والمرتبة . والفضل (في الأصل) : الزيادة ، وأكثر ما يستعمل في الزيادات المحمودة ، كفضل العلم والمعرفة ، والحلم والوقار ، والبرّ والخير ، والمروءة والإحسان . وقد يأتي مرادفاً للفضيلة ، فالفضل والفضيلة ، ضد النقص والرذيلة . والفضل : كل عطية ، أو هبة ، أو معونة يتبرّع بها المرء من غير إلزام ، وبلا سؤال ، أو قبل السؤال . ومحفوفة بالعزّ : أي يحيط بها من كل وجه .

(٥) يانعة : ناضجة وحان قطافها . والهمم : جمع الهمّة ، وهي العزم القويّ ، والإرادة القاطعة . ما زال الشاعر ينوّه بالعلم ، ويرغّب فيه ، ويحضّ على طلبه . وهو هنا يشبّهه بالحديقة ذات النخيل والأشجار . ويقول إنما يفوز بأثماره اليانعة الناضجة ، مَنْ صدقتْ عزيمته ، وسمتْ همته .

(٦) المساعي : جمع المسعاة ، وهي المكْرُمة ، أو السعي في تحصيل المجد ، وأعمال الكرم . ويبين : يظهر ، ويتّضح . وقيمة الشيء : قدره ، وجمعها قيم .

(٧) المهلة (بضم فسكون) : اسم من أمهلته إمهالاً ، ومهّلته تمهيلاً : أي أنظرته ، وأجّلته ، ولم أعاجله ، ويراد بالمهلة هنا : زمن الفتاء والشباب ، وصحة الجسم ، وقوة الإدراك ؛ وهو زمن السعي ، والنشاط ، والعمل ، والإنتاج . وفي الدهر : أي في دهر الفتى ، أي في عمره وزمن حياته . والعبث : اللعب واللهو ، وما لا فائدة فيه من الأقوال والأعمال . وذهبتْ الأوقات عبثاً ، ضاعت في غير فائدة . ولم يخل : المراد لم يسلم .

(٨) مداولة الأفكار : إدارتها بين المفكرين ، وتبادلها . ويراد بخزائن الأرض : كنوزها ، وذخائرها وخيراتها الخفية . والسهل من الأرض : ما كان ممتداً ، منبسطاً ، وهو خلاف الحزن (بفتح فسكون) . والعلم : الجبل .

(٩) درستْ : فنيتْ ، وزالتْ . والأشباح : جمع شبح ، وشبح الشيء : ظله وخياله . ويراد بالأشباح هنا : أشخاص الناس ، وأجسادهم بعد الموت . يقال : هم أشباح بلا أرواح . وسرتْ : سارتْ ، من السرى ، وهو السير ليلاً ، ويراد به هنا : الحركة والحياة . ويراد بعالم الكلم : ما نقرؤه ، ونتداوله من أخبار الأمم الخالية وسيرها ، وعلومها ، وفنونها ، وآدابها .

فَانْظُرْ إِلَى الْهَرَمَيْنِ الْمَاثِلَيْنِ تَجِدْ غَرَائِباً لَا تَرَاهَا النَّفْسُ فِي الْحُلُمِ (١٠)

صَرْحَانِ مَا دَارَتِ الأَفْلَاكُ مُنْذُ جَرَتْ عَلَى نَظِيرِهِمَا فِي الشَّكْلِ وَالْعِظَمِ (١١)

تَضَمَّنَا حِكَماً بَادَتْ مَصَادِرُهَا لَكِنَّهَا بَقِيَتْ نَقْشاً عَلَى رَضَمِ (١٢)

قَوْمٌ طَوَتْهُمْ يَدُ الأَيَّامِ فَانْقَرَضُوا وَذِكْرُهُمْ لَمْ يَزَلْ حَيّاً عَلَى الْقِدَمِ (١٣)

فَكَمْ بِهَا صُوَر كَادَتْ تُخَاطِبُنَا جَهْراً بِغَيْرِ لِسَانٍ نَاطِقٍ وَفَمِ (١٤)

تَتْلُو لِـ « هِرْمِسَ » آيَاتٍ تَدُلُّ عَلَى فَضْلٍ عَمِيمٍ وَمَجْدٍ بَاذِخِ الْقِدَمِ (١٥)

---

(١٠) يقول: إن الهرمين العظيمين القائمين على الهضبة الغربية تجاه الجيزة لمما يدهش الألباب، ويثير العجب العجاب؛ وإنهما أغرب من غرائب حلم الحالم، ورؤيا النائم.

(١١) صرحان : مثنى صرح ، وهو البناء العالي ، الذاهب في السماء . ودارت الأفلاك : أي تعاقب الزمان . وعلى نظيرهما : أي على نظير الهرمين . ونظير الشيء : مثله ، ومُساويه .
والمعنى : أن الدنيا لم تعرف لهذين الهرمين العظيمين مثيلاً ، أو شبيهاً ، أو نظيراً في الهيئة والصورة ، والعظامة والضخامة .

(١٢) تضمنا : اشتملا . وبادت : هلكتْ ، وفنيتْ . ومصادرها : مصادر الحكم . والنقش : الأثر ، أو هي فَعْل بمعنى مفعول : أي بقيتْ منقوشة ، أي مكتوبة بالحفر . والرضم : الصخور العظيمة .

(١٣) « قوم » : الإشارة إلى قدماء المصريين ، وبناة الأهرام . وطوتهم يد الأيام : أبادهم الدهر ، وأفناهم . وانقرضوا : هلكوا ، وبادوا ، ولم يبق منهم أحد . والذكر: الصيت. ويراد بحياة الذكر : خلوده وبقاؤه .

(١٤) يشير إلى كثرة ما يرى في داخل الهرمين على الرضم والصخور والجدران من صور غاية في الإتقان والوضوح ، تدل على مهارة راسميها ، وتنطق بنبوغهم ، وتشهد بفضل أصحابها ، وتحدثك بما كان لهم من عزّ ومجد ، وبأس وسلطان .

(١٥) « تتلو » : تقرأ . والمراد : تدل دلالة واضحة . و« هرمس » (بالسين أو الزاي) : الإسم اليوناني للمعبود المصري القديم « توت » وكان ـ فيما يزعمون ـ رسول السماء إلى الأرض ، يحمل إلى الناس العلم ، والحكمة ، والمعرفة ؛ ولعل الشاعر يشير به إلى بناة الأهرام ، وعلماء مصر الأقدمين وحكمائها وفنّانيها ، كأنه أطلق هذا المعبود ، وأراد الذين حملوا عنه العلم ، والفن ، والحكمة ، والعرفان . وآيات : علامات ، وأمارات ، ودلائل . والفضل (في الأصل) : الزيادة . وكثر استعماله في الزيادة المحمودة كفضل العلم والعقل . ويمكن الإشارة به هنا الى العبقرية والنبوغ . وعميم : عام ، شامل . والمجد : العز ، والشرف . وباذخ : عال، مرتفع.

آيَـاتِ فَخْـرٍ تَجَـلَّى نُـورُهَـا فَغَـدَتْ ... مَـذْكُـورَةً بِلِسَـانِ الْعُـرْبِ وَالْعَجَمِ (١٦)

وَلَاحَ بَيْنَهُمَـا « بَلْهِيبُ » مُتَّجِهـاً ... لِلشَّرْقِ يَلْحَظُ مَجْرَى النِّيلِ مِنْ أَمَمِ (١٧)

كَـأَنَّـهُ رَابِضٌ لِـلْوَثْـبِ مُـنْـتَـظِرٌ ... فَـرِيسَةً فَهْـوَ يَـرْعَـاهَـا وَلَمْ يَنَمِ (١٨)

رَمْـزٌ يَـدُلُّ عَـلَى أَنَّ الْـعُـلُومَ إِذَا ... عَمَّتْ بِمِصْـرَ نَزَتْ مِنْ وَهْـدَةِ الْعَدَمِ (١٩)

فَـاسْتَيْقِـظُوا يَـا بَنِي الْأَوْطَـانِ وَانْتَصِبُـوا ... لِلْعِلْمِ فَهْـوَ مَدَارُ الْعَـدْلِ فِي الْأُمَمِ (٢٠)

وَلَا تَـظُنُّـوا نَمَـاءَ الْمَـالِ وَانْتَسِبُـوا ... فَـالْعِلْمُ أَفْضَلُ مَـا يَحْـوِيـهِ ذُو نَسَمِ (٢١)

فَـرُبَّ ذِي ثَـرْوَةٍ بِـالْجَهْـلِ مُحْتَـقَـرٍ ... وَرُبَّ ذِي خَلَّةٍ بِـالْعِلْمِ مُحْـتَـرَمِ (٢٢)

---

(١٦) تجلى : ظهر وبان . وغدت : صارت .

(١٧) لاح: بدا وظهر . وبينهما : بين الهرمين . و «بلهيب»: أبو الهول ، ويسميه الإغريق « سفنكس » . وفي أيام الأسرة الثامنة عشرة اشتدّ إقبال الناس عليه ، وقدّسه الكنعانيون الوافدون على مصر في عهد دولة الفراعنة الحديثة ، وأقاموا في جواره ، وسمّوا المكان كله من حول هذا الصنم « بوحول » ، ثم صحّف، فصار « أبو الهول » : وهو تمثال عظيم ضخم هائل ، له رأس إنسان ، وجسم أسد : رمزاً للعقل والقوة معاً . وقد نحت من صخرة واحدة ضخمة ، طوله ثلاثة وسبعون متراً ونصف متر، وارتفاعه عشرون متراً. ويظن أنه أنشىء في عهد الملك « خفرع » من ملوك الأسرة الرابعة في الدولة المصرية القديمة ، قبل ميلاد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بنحو ألفين وثمانمائة عام . ويعدّ « أبو الهول » عجيبة من أروع العجائب .

(١٨) رابض : مقيم ، والمراد إقامة تربّص ، وتأهّب واستعداد . والوثب : مصدر وثب ، أي نهض ، وقفز ، وهجم . ويرعاها : يراقبها ، ويتربّص بها .

(١٩) نزت : وثبتْ ونهضتْ . والوهدة : الأرض المنخفضة ، والحفرة البعيدة القعر .

(٢٠) يراد بالأوطان : مصر . وبنو الأوطان : المصريون ، وغيرهم من بني الأوطان المتخلفة ، وأهلها الغافلين عن العلم . وانتصبوا للعلم : تهيأوا له ، وانهضوا به . والعلم مدار العدل : أي العدل يدور على العلم ، أي يقوم عليه ، ويستند إليه ، ويحيا به .

(٢١) لا تظنوا نماء المال : أي لا تحسبوا نماء المال وحده منهضاً لجامعه ومنميه . وانتسب : ذكر نسبه ، أي عَدّ آباءه وأقرباءه . والمعنى : اذكروا العلماء الأجلاء من آبائكم، أو المعنى : انتسبوا للعلم ، واجتهدوا في طلبه وتحصيله . ويحويه : يجمعه ، ويحصّله . وذو النسم : الإنسان . والله بارىء النسم : أي خالق النفوس .

(٢٢) « ربّ » في شطري هذا البيت تفيد التكثير ، أي الجاهل محتقر بسبب جهله ولو كان ثرياً ،

شِيدُوا الْمَدَارِسَ فَهْيَ الْغَـرْسُ إِنْ بَسَقَتْ	أَفْنَـانُـهُ أَثْمَـرَتْ غَضّـاً مِنَ النِّعَمِ (٢٣)
مَغْنَـى عُلُومٍ تَـرَى الأَبْنَـاءَ عَـاكِفَـةً	عَلَى الدُّرُوسِ بِهِ كَالطَّيْرِ فِي الْحَرَمِ (٢٤)
مِنْ كُـلِّ كَهْـلِ الْحِجَـا فِي سِنِّ عَـاشِرَةٍ	يَكَـادُ مَنْـطِقُـهُ يَنْهَـلُّ بِـالْحِكَـمِ (٢٥)
كَـأَنَّـهَـا فَـلَكٌ لاَحَـتْ بِـهِ شُـهُـبٌ	تُغْنِي بِـرَوْنَقِهَـا عَنْ أَنْجُمِ الـظُّلَمِ (٢٦)

والعالم محترم بسبب علمه ولو كان فقيراً . والخلة (بفتح الخاء) : الحاجة والفقر . وذو الخلة : الفقير المحتاج .

(٢٣) شيدوا : أمر من شاد البناء ، أي رفعه ، وأعلاه . والغرس : المغروس من الشجر . ويراد بالغرس : تلاميذ المدارس وطلّابها . وبسقت : طالت ، وتم ارتفاعها . وأفنانه : أفنان الغرس ، جمع فنن : وهو الغصن المستقيم من الشجرة . والغض : الطريّ ، الناعم من النبات والثمر ونحوه . وثمار المدارس ونعمها الغضة : هم خيار المتعلمين الذين تخرّجوا في مختلف العلوم والفنون والآداب .

(٢٤) المغنى : المنزل الذيْ غني به أهله ، أي أقاموا فيه ، وجمعه المغاني . والتقدير : هي (أي المدارس) مغنى علوم . ويراد بالأبناء : تلاميذ المدارس وطلبتها . وعاكفة : اسم فاعل من عكف على الشيء ، أي أقبل عليه مواظباً ، ولزمه ، ولم ينصرف عنه . والحرم : البيت الحرام .

يقول : إن المدارس مغاني العلوم ، وإن تلاميذها وطلبتها يعكفون فيها على الدرس ، والتحصيل في أمن ودعة ، وطمأنينة ؛ كأنهم طير المسجد الحرام بمكة ، فيه الأمن والطمأنينة ورخاء البال .

(٢٥) كهل الحجا : ناضج العقل ، قويّ التفكير . وفي سنّ عاشرة : مبالغة ، قصد بها تعظيم شأن التلاميذ . وينهلّ : يجري ، مستعار من انهلال السماء بالمطر ، وهو انصبابه بشدة وقوة ، مع صوت . والحكم : جمع حكمة ، وهي العلم ، والفلسفة ، ومعرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ، وكل كلام بليغ ، قلّ لفظه وجلّ معناه ، ودعا إلى الهدى والرشاد .

(٢٦) كأنها : كأن المدارس ومغاني العلوم . والشاعر يريد بها دور العلم في مراحل التعليم كلها . والفلك : الفضاء في السماء . ولاحت : بدت ، وظهرت . وبه : بالفلك ، والشهب ، واحدها شهاب، وهو النجم المضيء النير اللامع . وتغني : تكفي . يريد أن ضياء العلم يبدد ظلمات الجهالة ، وأن الناس يستطيعون الاستغناء بشهب العلم عن النجوم والكواكب . والرونق :الإشراق ، والبهاء . وأنجم الظلم : النجوم التي تبدد ظلمات الليل .

شَبَّه دور العلم بالأفلاك ، وطلابها بالكواكب المضيئة ، وقال : إنهم ـ برونق العلم وإشراقه ونوره وضيائه ـ يسدّون مسدّ النجوم ، ويغنون عنها .



يَجْنُـونَ مِنْ كُـلِّ عِلْمٍ زَهْـرَةً عَـبِقَـتْ	بِنَفْحَـةٍ تَبْعَثُ الأَرْوَاحَ فِـي الـرِّمَمِ (٢٧)
فَكَمْ تَـرَى بَـيْنَـهُمْ مِـنْ شَـاعِـرٍ لَسِـنٍ	أَوْ كَـاتِبٍ فَـطِنٍ أَوْ حَـاسِبٍ فَـهِمِ (٢٨)
وَنَـابِـغٍ نَـالَ مِنْ عِلْمِ الْحُقُـوقِ بِهَـا	مَـزِيَّـةً أَلْبَسَـتْـهُ خِلْعَـةَ الْـحَكَمِ (٢٩)
وَلُـجٍّ هَـنْـدَسَـةٍ تَجْـرِي بِـحِكْـمَتِـهِ	جَـدَاوِلُ الْمَـاءِ فِي هَـالٍ مِنَ الأَكَمِ (٣٠)
بَـلْ كَمْ خَـطِيبٍ شَفَى نَفْسَـاً بِمَـوْعِـظَةٍ	وَكَمْ طَبِيبٍ شَفَى جِسْمَـاً مِنَ السَّقَمِ (٣١)
مُـؤَدَّبُـونَ بِـآدَابِ الْـمُـلُوكِ فَـلاَ	تَلْقَى بِهِمْ غَيْرَ عَالِي الْقَدْرِ مُحْتَشِمِ (٣٢)

---

(٢٧) عبق به الطيب : ظهرت فيه رائحته . وعبق المكان بالطيب : انتشرت رائحة الطيب فيه . ولا يكون العبق إلا الرائحة الطيبة الذكية العطرة . ونفح الطيب : فاح ، وتضوع ، وانتشرت رائحته . والنفحة : اسم مرة منه . وعبقت الزهرة بنفحة : انتشرتْ لها رائحة عطرية ذكية . والرمم : جمع رمة (بوزن قمة وقمم) ، وهي العظام البالية ومثلها الرميم .

(٢٨) لسن : فصيح بليغ ، ساحر البيان . ويراد بالكاتب : الأديب الناثر . وفطن (بكسر الطاء وضمها) : صفة من الفطنة ، أو الفطانة ، وهي الحذق والمهارة . وحاسب : اسم فاعل من حسب المال ونحوه ، أي عدّه وأحصاه ، أو قوّمه وقدّره . وفهم (بفتح فكسر) : سريع الفهم ، قوي الإدراك . صيغة مبالغة من الفهم .

(٢٩) نابغ : اسم فاعل من نبغ في العلم ، أو الفن ، أي برع ، وأجاد . والمزية : الفضيلة التي يمتاز بها المرء عن غيره . وألبسته : ألبست النابغ . والخلعة : ما تمنحه غيرك من الثياب . وألبسته مزيته خلعة الحكم : أي جعلته أهلاً لأن يكون حكماً بين الناس ، يحقق المنازعات ، ويفصل الخصومات .

(٣٠) «ولج» : الواو عاطفة ، ولج الهندسة : العالم المستبحر في العلوم والفنون الهندسية . والأكم : جمع أكمة ، وهي التل أو الموضع يرتفع عما حوله .

وفي هذا البيت تنويه بالمستبحرين في علوم الهندسة .

(٣١) المعنى : أن كثيراً من الخطباء شفوا نفوس كثير من الناس بمواعظهم ؛ وكثيراً من الأطباء شفوا بطبهم كثيراً من الأجسام السقيمة .

(٣٢) مؤدبون : خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير هم مؤدبون ، يريد من نوه بهم في الأبيات السابقة . وآداب الملوك : أرفع الآداب ، وأجلّها ، وأسماها ، وأشملها . و «فلا تلقى بهم» : أي فلا تلقى بلقائهم ، أو فلا تلقى فيهم ؛ أو فلا تلقى منهم ؛ فالباء بمعنى « من » . وعالي القدر : مهيب ، ووقور ، رفيع المقام ، عالي المنزلة والمكانة . ومحتشم : أي متَخلّق بفضيلة الحياء .



قَـوْمٌ بِهِمْ تَصْلُحُ الـدُّنْيَـا إِذَا فَسَـدَتْ وَيَفْـرُقُ الْعَـدْلُ بَيْنَ الـذِّئْبِ وَالْغَنَمِ (٣٣)

وَكَـيْفَ يَـثْبُتُ رُكْنُ الْعَـدْلِ فِـي بَـلَدٍ لَمْ يَنْتَصِبْ بَيْنَهَـا لِلْعِلْمِ مِنْ عَلَمِ ؟ (٣٤)

مَـا صَـوَّرَ الـلَّهُ لِـلأَبْـدَانِ أَفْئِـدَةً إِلَّا لِيَـرْفَـعَ أَهْـلَ الْجِـدِّ وَالْفَهَـمِ (٣٥)

وَأَسْعَـدُ النَّـاسِ مَنْ أَفْضَـى إِلَى أَمَـدٍ فِي الْفَضْلِ وَامْتَازَ بِالْعَالِي مِنَ الشِّيَمِ (٣٦)

لَـوْلَا الْـفَضِيلَةُ لَـمْ يَخْـلُدْ لِـذِي أَدَبٍ ذِكْرٌ عَلَى الدَّهْرِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَدَمِ (٣٧)

فَـلْيَنْـظُرِ الْـمَـرْءُ فِيـمَـا قَـدَّمَتْ يَـدُهُ قَبْـلَ الْمَعَـادِ فَـإِنَّ الْعُمْـرَ لَمْ يَـدُمِ (٣٨)

وَقَالَ يَمْدَحُ إِسْمَاعِيلَ بَاشَا(*) خِدِيوي مِصْرَ(**) :

---

(٣٣) يراد بالدنيا : معايش الناس وأمورهم في الحياة الدنيا . ويراد بالعدل : عدل هؤلاء القوم من المتعلمين المثقفين الـذين جمعوا بين المعـارف الـواسعـة ، والعلوم النـافعـة ، والأخـلاق الكـريمة ؛ فهم في قضـائهم وأحكامهم وإدارتهم يتحـرّون العدل ، ويلتـزمـون الاستقـامـة والرشاد . ويراد بالذئب والغنم : القويّ والضعيف ، أو المعتدي والمعتدى عليه .

(٣٤) يراد بركن العدل : دعائمه وقواعده التي لا يقوم بدونها ، ولا يحيا إلا بها . وينتصب : يقوم ، ويرتفع . والعلم (بفتحتين) : العلامة ، والمنارة ، وما ينصب في الطريق لهداية السائر . وانتصاب علم العلم في بلد : كناية عن حفاوة أهلها به ، وإقبالهم عليه .

(٣٥) صور الله الأفئدة : خلقها ، وأبدعها . والأبدان : الأجساد والأجسام . والأفئدة : القلوب ، ويراد بها هنا : العقول ، والأفهام . والجد (بفتح الجيم) : الاجتهاد .

(٣٦) أفضى إلى كذا : بلغه ، ووصل إليه ، ووافاه . وأمد الشيء : غايته ، وأقصاه ، ومنتهاه . والشيم : جمع شيمة ، وهي الخلّة ، والخصلة ، والخلُق .

(٣٧) يقول : إنما يخلد ذكر الفضلاء ، ويبقى لهم - بعد موتهم - الصيت ، والشرف ، وحسن الثناء ، بما كانوا يتحلّون به في حياتهم من الآداب والمحامد ، والفضائل والمكرمات .

(٣٨) نظر الإنسان في الأمر : تدبّره ، وتأمّله . و« فيما قدمتْ يـده » : في أعمالـه ، وسلوكه ، وتصرفاته ، ومعاملاته . ويراد بالمعاد : يوم القيامة ، وهـو يوم الـدين ، أي يوم الحسـاب والجزاء .

(*) إسماعيل باشا (١٢٤٥ - ١٣١٢هـ/ ١٨٣٠ - ١٨٩٥م) ابن إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا الكبير ، خديوي مصر . ولد في القاهرة . ولي مصر سنة ١٢٧٩هـ (١٨٦٣م) . وله آثار باقية في نواحي المدنيّة ، والعمران ، والثقافة . وفي عهده تمّ حفر قناة السويس ، وافتتحتْ باحتفال رسميّ كبير سنة ١٢٨٦هـ (١٨٦٩م) . وفي سنة ١٢٩٦هـ (١٨٧٩م) خلعتْه حكومة



لِعِـزَّةِ هٰـذِي الـلَّاهِيَـاتِ الـنَّـوَاعِمِ تَـذِلُّ عَـزِيـزَاتُ النُّفُـوسِ الْكَـرَائِمِ (١)
فَمَـا كُنْتُ لَـوْلَاهُنَّ تَهْتَـاجُنِي الـصَّبَـا أُصِيـلًا وَيُشْجِينِي هَـدِيـرُ الْحَمَـائِمِ (٢)
وَلَا شَـاقَـنِي بَـرْقٌ تَـأَلَّـقَ مَـوْهِـنَـاً كَـزَنْـدٍ تُـوَالِي قَـدْحَـهُ كَفُّ ضَـارِمِ (٣)
وَبَيْضَـاءَ رَيَّـا الـرِّدْفِ مَهْضُـومَةِ الْحَشَـا يُقِـلُّ ضُحَـاهَـا جُنْـحَ أَسْـوَدَ فَـاحِمِ (٤)

الآستانة عن ولاية مصر إجابة لرغبة الحكومتين الإنجليزية والفرنسية لما اشتدّ سفهه ، وإسرافه ، وارتباكه ، وتدهورتْ مالية مصر ، وساءت أحوالها ، وتبرَّم بحكمه المصريون والأجانب ؛ فقضى بقية حياته في أوربا وتركيا إلى أن توفي في الآستانة ، ونقلتْ جثته إلى القاهرة ، ودفنتْ بمسجد الرفاعي بالقلعة يوم ١٣ من مارس سنة ١٨٩٥ .

(**) الخديوية : منصب الخديوي . و « خديوي » : لقب حاكم مصر تحت سيادة العثمانيين ، والكلمة فارسية الأصل ، ومعناها : « سيد » . وخديوي مصر : سيد مصر.

(١) العزة : القوة والغلبة . واللاهيات : اللاعبات ، جمع لاهية . والنواعم : الرافهات ، والمترفات المتنعمات ، جمع ناعمة . وتذلّ : تضعف وتهون ، أو تخضع ، وتنقاد . والكرائم : جمع كريمة ، صفة من كرم الشيء (كعظم) ، أي عزّ ، وكان نفيساً . أو هي صفة من الكرم : ضد اللؤم . والكرائم : نعت للنفوس . وعزيزات النفوس الكرائم : العزيزات الكرائم من نفوس العاشقين .

افتتح الشاعر هذه القصيدة الطويلة بالغزل ، وجعله مقدمة للمدح ، وقال : إن النفوس العزيزة الكريمة ، تُفْتن فتوناً ، بهؤلاء الغانيات الجميلات اللائي يلعبن ويمرحن في دعة ورفاهة ونعيم ؛ فلا يسعها إلا أن تذلّ لعزتهن .

(٢) تهتاجني : تهيجني ، وتثيرني . والصبا : ريح ، مهبها من مشرق الشمس . والأصيل : الوقت بين العصر والمغرب . ويشجيني : يحزنني ، ويطربني . والهدير : صوت الحمام ، ومثله الهديل .

والمعنى :أنه عاشق صبّ ، مشوق مستهام ؛ ولهذا تهيجه ريح الصبا وقت الأصيل ، ويطربه سجع الحمام .

(٣) شاقني : هاجني ، وأثار شوقي . وتألّق : أضاء . وموهناً : في منتصف الليل . والزند : العود الأعلى الذي تقدح به النار . وتوالي : تتابع وتكرر . وقَدَحَ الزند : ضربه بحجره ليخرج النار منه . وضارم : اسم فاعل من ضرمتْ النار ، أي اتقدتْ ، واشتعلتْ ، والتهبتْ .

(٤) ردف الإنسان وغيره : عَجُزه . ومن المجاز : امرأة ريّا الردف ، أي ردفها ممتلىء . ومهضومة : خميصة ، ضامرة ، قليلة اللحم ، ضدّ « ريّا » . والحشا : البطن ، وما حواه من الأمعاء والمصارين . ويقلّ : يحمل ، ويرفع . وضحاها : قامتها وجسمها الأبيض النضير



مِنَ الْعِينِ يَحْمِي خِـدْرَهَـا كُـلُّ ضَيْغَمٍ بَعِيـدِ مَشَقِّ الْجَفْنِ عَبْـلِ الْمَعَاصِمِ (٥)

فَلَوْلَا هَـوَاهَـا مَـا تَغَنَّتْ حَـمَـامَـةٌ بِغُصْنٍ وَلَا انْهَلَّتْ شُؤُونُ الْغَمَـائِـمِ (٦)

وَلَا الْتَهَبَ الْبَـرْقُ اللَّمُـوعُ وَلَا غَـدَتْ تَـحِنُّ مَـطَايَـانَـا حَنِينَ الـرَّوَائِمِ (٧)

أَمَـا وَهِـلَالٍ فِـي دُجُـنَّـةِ طُـرَّةٍ يَـلُوحُ وَدُرٍّ فِي عَقِيـقِ مَبَاسِـمِ (٨)

المشرق إشراق الضحا ، وهو ضوء الشمس . وجنح الليل : ظلامه واختلاطه . وفاحم : شديد السواد . وجنح الليل الأسود الفاحم : كناية عن شعر هذه المحبوبة .

يتغزّل بفتاة بيضاء ، ممتلئة الردف ، ريانة الكفل ، خميصة البطن ، لطيفة الكشح ، ضامرة الحشا . يشرق جسمها ووجهها إشراق الشمس ، ويَبْهج بهجتها ، ويزينها فوق هذا كله شعر شديد السواد ، كأنه جنح الليل البهيم .

(٥) عين (من باب فرح) : عظم سواد عينه ، واتسعتْ في حسن وجمال ، فالمرأة عيناء ، والجمع عين (بوزن بيضاء بيض) . ويحمي خدرها : يصونه ، ويحافظ عليه . والخدر : ستر يمدّ للمرأة في ناحية البيت ، وما يفرد لها من السكن . وفتاة مخدّرة : مصونة في خدرها . والضيغم : الأسد ، ويراد بالضيغم هنا : الرجل الشجاع الجريء . وبعيد مشقّ الجفن : كناية عن سعة عينيه ، وقوة بصره ، وتمام يقظته وانتباهه . وعبل : ضخم ، غليظ ، قويّ . والمعاصم : جمع معصم ، وهو موضع السوار من الساعد ، ويراد به هنا : اليد ، أو الساعد .

(٦) شؤون العين : مجاري دموعها . والغمائم : جمع غمامة ، وهي السحابة . وشؤون الغمائم : المطر .

يقول : إن الحمام يتغنّى بحبها ، وأن الغمام لا يهطل إلا هياماً بها ، وشوقاً إليها .

(٧) التهب البرق : اتقد ، واشتعل اشتعال النار . واللموع : اللامع ، المضيء . وغدت : صارت . وحنّ حنيناً : تغنى عن طرب ، أو اشتياق وتوقان نفس . وحنت الناقة : مدت صوتها شوقاً إلى ولدها . والمطايا : جمع مطية ، وهي ما يمتطى ، أي ما يركب من الدواب . والروائم : جمع رائمة ، اسم فاعل من رئمت الناقة ولدها ، أي أحبته ، وعطفت عليه ، وحنّت إليه ، ولم تطق صبراً على فراقه .

(٨) « أما » : حرف استفتاح وتنبيه . والهلال : غرة القمر ؛ ويراد بالهلال هنا : القمر التام الضياء ، ويراد به وجه المحبوبة المشرق . والدجنّة : الظلمة ، والسواد . والطرّة : الناصية ، وهي شعر مقدم الرأس إذا طال ، أو ما تطرّه المرأة (أي تصفّفه) من الشعر الموفى على جبهتها . ويلوح : يبدو ، ويظهر . والدرّ : اللؤلؤ ، الواحدة درّة . ويراد بالدر هنا : أسنان المتغزل بها ، وثناياها البيض الحسان . والعقيق : خرز ، أو حجر نفيس أحمر اللون ،



لَقَدْ أَوْدَعَ الْبَيْنُ الْمُشِتُّ بِمُهْجَتِي نُدُوباً كَأَثْرِ الْوَشْمِ مِنْ كَفِّ وَاشِمِ (٩)
وَكَمْ لَيْلَةٍ سَاوَرْتُهَا نَابِغِيَّةٍ سَقَتْنِي بِمَا مَجَّتْ شِفَاهُ الأَرَاقِمِ (١٠)

كَأَنَّ الثُّرَيَّا كَفُّ عَذْرَاءَ طَفْلَةٍ بِهِ رَعْشَةٌ لِلْبَيْنِ بَادِي الْخَوَاتِمِ (١١)
إِذَا اضْطَرَبَتْ تَحْتَ الظَّلَامِ تَخَالُهَا دُمُوعَ الْعَذَارَى فِي حِدَادِ الْمَآتِمِ (١٢)
وَبَرْقٍ يَمَانِيٍّ أَرِقْتُ لِوَمْضِهِ يَطِيرُ بِهُدَّابٍ كَثِيرِ الزَّمَازِمِ (١٣)
كَأَنَّ اصْطِخَابَ الرَّعْدِ فِي جَنَبَاتِهِ هَدِيرُ فُحُولٍ أَوْ زَئِيرُ ضَرَاغِمِ (١٤)

واحدته عقيقة . ومباسم : جمع مبسم ، وهو الثغر ، وما يبدو من الأسنان عند الابتسام . ويراد بالمباسم هنا : الشفاه . وعقيق مباسم : مباسم كالعقيق .

(٩) أودعت فلاناً الشيء : دفعته إليه ؛ ليكون وديعة عنده . والبين : الفراق . والمشتّ : المفرّق . والمهجة : القلب ، أو النفس ، والروح . والندوب : آثار الجروح الباقية على الجلد .

(١٠) ساورتها : قاسيت طولها وشدائدها . ونابغية : صفة لليلة ، ومعناها طويلة ، قاسية ، مضنية ؛ وهي منسوبة إلى النابغة الذبياني ، شاعر جاهلي من أهل الحجاز . ومج الشراب ونحوه من فمه : رمى به . ويراد بالشفاه هنا : الأفواه . والأراقم : أخبث الحيّات ، جمع الأرقم ، وهو الثعبان فيه سواد وبياض . وما مجته شفاهها : كناية عن سمها القاتل .

(١١) الثريا : مجموعة كواكب في عنق الثور (أحد أبراج السماء) . ورعشة للبين : رعشة سببها البين . وباد : ظاهر . والخواتم : جمع خاتم ، وهو حلقة من الذهب ، أو الفضة ، تلبس في الإصبع ، حلية وزينة .

(١٢) يقول : إذا نظرتَ إلى الثريا في ليلة مظلمة ، ظننتَ نجومها الصغيرة المهتزة المتألقة دموع الأبكار يجللهن سواد الثياب في المآتم .

(١٣) يماني : نسبة إلى اليمن . والبرق اليماني كثير في الشعر العربي ، والبارودي متأثر بالبيئة العربية في غزله وسائر فنون شعره ، مقتد بشعراء العرب ، مقتف أثرهم . وأرقْ : امتنع عليه النوم ليلاً . وومض البرق : لمع لمعاناً خفيفاً ، وظهر . ويراد بالطيران : سرعة الحركة . وهداب الثوب : خيوط تبقى في طرفيه ، دون أن يكمل نسجها . وهداب السحاب : ما يرى منه كهدب الثوب ، أو كأغصان الشجرة إذا طالت ، وتدلتْ . والزمازم : جمع زمزمة . وزمزمة الرعد : ضجيجه .

(١٤) اصطخاب الرعد : اختلاط أصواته ، وارتفاعها . وهدير البعير ونحوه : صوته . وهدر : ردد



تَخَالَفتِ الأَهْوَاءُ فِيهَا فَعَاذِرٌ … هَوَايَ الَّذِي أَشْكُو وَآخَرُ لاَئِمِي[١٥]

وَنَافَسَنِي فِي حُبِّهَا كُلُّ كَاشِحٍ … يَلُفُّ عَلَى الشَّحْنَاءِ عُوجَ الْحَيَازِمِ[١٦]

فَكَمْ صَاحِبٍ أَلْقَاهُ يَحْمِلُ صَدْرُهُ … فُؤَادَ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ مُسَالِمِ[١٧]

أُغَالِطُهُ قَوْلِي وَأَمْحَضُهُ الْوَفَا … كَأَنِّي بِمَا فِي صَدْرِهِ غَيْرُ عَالِمِ[١٨]

وَمَنْ لَمْ يُغَالِطْ فِي الزَّمَانِ عَدُوَّهُ … وَيُبْدِي لَهُ الْحُسْنَى فَلَيْسَ بِحَازِمِ[١٩]

فَيَا رَبَّةَ الْخَالِ الَّتِي هَدَرَتْ دَمِي … وَأَلْقَتْ إِلَى أَيْدِي الْفِرَاقِ شَكَائِمِي[٢٠]

صوته في حنجرته . والفحول : جمع فحل ، وهو الذكر القوي من كل حيوان . والزئير : صوت الأسد من صدره . والضراغم : جمع ضرغم ، وهو الأسد الضاري الشديد .

(١٥) تخالفت : اختلفت . والأهواء : جمع الهوى ، ويراد بالأهواء هنا : أقوال الناس ، واتجاهاتهم المبنية على الأهواء ، أي على الميول والعواطف والمشاعر . وفيها : في أمر هذه المحبوبة ، أي في شأني معها ، وحبي لها . وعاذر هواي : أي يعذرني في هواي ، ويرفع عني اللوم والعذل .

(١٦) نافسه في كذا : سابقه فيه ، وباراه . والكاشح : العدوّ المبغض الذي يطوي كشحه على العداوة ، ويضمر البغضاء . ولفّ الشيء على الشيء : غطاه به ، وأخفاه تحته . والشحناء : الحقد ، والعداوة والبغضاء . وعوج : جمع أعوج وعوجاء ، صفة من عوج العود ونحوه أي انحنى ، والتوى . والحيازم : جمع الحيزوم (بوزن الخيشوم) ، وهو الصدر ، أو وسطه . ويراد بعوج الحيازم هنا : أضلاع الصدر . ويلفّ عوج الحيازم على الشحناء : أي يطوي صدره على عداوة شديدة تملأ قلبه .

(١٧) صاحب : أي من الصحاب المنافقين . ومسالم : اسم فاعل من المسالمة ، وهي المصالحة ، والمصافاة .

(١٨) غالطه مغالطة : أوقعه في الغلط . ويراد بالمغالطة القولية هنا : المحاسنة الكلامية الظاهرة ، والمجاملة اللسانية . وأمحضته إياه : أخلصته ، وصدقته .

(١٩) يبدي له الحسنى : يظهر لعدوه المعاملة الحسنى ، القائمة على الخير ، والبر ، والصدق . وحازم : اسم فاعل من حزم رأيه ، أو أمره ، أي ضبطه ، وأحكمه ، وأتقنه .

(٢٠) ربة : صاحبة . والخال : شامة ، وقد تصنعها المرأة للتجمل والتزين . وهدر السلطان دم فلان وأهدره إهداراً : أباحه . والشكائم : جمع الشكيمة ، وهي الحديدة المعترضة في فم الفرس ونحوه من اللجام . ويراد بالشكائم هنا : اللجُم .

إِلَيْـكِ اسْتَثَرْتُ الْعَيْنَ مَحْلُولَـةَ الْعُـرَا	وَفِيـكِ رَعَيْتُ النَّجْمَ رَعْيَ السَّـوَائِمِ (٢١)
فَـلاَ تَتْـرُكِي نَفْسِي تَـذُوبُ وَمُهْـجَتِـي	تَسِيـلُ دَماً بَيْنَ الـدُّمُـوعِ السَّـوَاجِمِ (٢٢)
أَقُــولُ لِـرَكْـبٍ مُـدْلِجِـينَ هَـفَتْ بِـهِمْ	رِيَاحُ الْكَرَى مِيلِ الطُّلَى وَالْعَمَـائِمِ (٢٣)
تَجِـدُّ بِهِمْ كُـومُ الْمَـهَـارِي لَـوَاغِبـاً	عَلَى مَـا تَـرَاهُ دَامِيَـاتِ الْمَنَـاسِمِ (٢٤)
تُصِيـخُ إِلَى رَجْـعِ الْحُـدَاءِ كَـأَنَّـهَـا	تَـحِنُّ إِلَـى إِلْفٍ قَـدِيـمٍ مُصَـارِمِ (٢٥)

---

(٢١) (إلى) و (في) : معناهما هنـا التعليل ، أي من أجلك أو بسببـك . واستثرت العين : أثرتها ، وهيّجتها بكثرة البكاء ، وغزارة الدموع . والعرا : جمع عروة ، وهي من الثوب ما يدخل فيه الزرّ عند شده . و «محلولة» : حال من العين . وعين محلولة العرا : مفتوحة ، غير مغمضة ، كناية عن السهاد والأرق . ورعيت النجم : راقبته ، ولاحظته . والعرب تكني برعي النجوم عن الأرق مع الغمّ والهمّ .

(٢٢) يراد بذوبـان نفسه : فنـاؤها ، وهـلاكها . والمهجـة : القلب ، أو الروح . والسـواجم : المنهمرة ، المنسكبة ، المنصبة بغزارة ، جمع ساجم ، أو ساجمة .

(٢٣) المدلجون : جمع مدلج ، اسم فاعل من أدلج القوم إدلاجاً أي ساروا الليل كله . وهفتْ بهم : أمالتهم ، وهزتهم . والكرى : النعاس . ورياح الكرى : الكرى الشبيه بالرياح ؛ وإذا كانت الرياح تهفو بالشيء ، أي تحركه وتذهب به ، فإن ركبان الإبل في الصحاري إذا جهدهم السفر الطويل المضني ، واشتد احتياجهم إلى النوم ، ذهب الكرى ، أو النعاس ، أو التهويم بحواسهم ، وحرّك رؤوسهم ، وأمال أعناقهم ؛ فمالت معها عمائمهم . والطلى : الأعناق .

(٢٤) تجد : تجتهد . و « بهم » : بالركب المدلجين . وكوم : جمع أكوم ، أو كوماء ، وهو ما ضخم سنامه من الإبل . والمهاري : نجائب الإبل التي تسبق الخيل ، جمع مهرية ، نسبة إلى قبيلة « مَهْرة بن حيدان » ، من عرب اليمن . ولواغباً : جمع لاغب ، أو لاغبة ، اسم فاعل من اللغوب ، أو اللغب ، وهو الإعياء ، والتعب الشديد . والمناسم : جمع منسم ، وهو طرف خف البعير ونحوه ، وهو من الإبل كالظفر من الإنسان .

يقـول : تسرع بهؤلاء الـركبان في السيـر ركـائبهم من الإبـل الضخمة ، وقـد دميتْ خفافها ، ومسّها اللغوب ، وبرّح بها التعب لبعد الشقة ، وعـظم المشقّة ، وطـول السفر ، وصلابة الأرض ، وصعوبة الطريق .

(٢٥) تصيخ : تصغي . والحداء : الغناء للإبل ، لسوقها وتنشيطها ، وحثها على السير . ورجع الحداء : صداه ، وترديده ، وتكـراره . وتحن : تشتاق . والإلف : الأنيس ، والحبيب . ومصارم : مقاطع ، متباعد .



وَيَلْحَقُهَا مِنْ رَوْعَةِ السَّوْطِ جِنَّةٌ فَتَمْرُقُ شُعْثاً مِنْ فِجَاجِ الْمَخَارِمِ (٢٦)

لَهُنَّ إِلَى الْحَادِي الْتِفَاتَةُ وَامِقٍ فَمِنْ رَازِحٍ مُعْيٍ وَآخَرَ رَازِمِ (٢٧)

أَلَا أَيُّهَا الرَّكْبُ الَّذِي خَامَرَ السُّرَى بِكُلِّ فَتىً لِلْبَيْنِ أَغْبَرَ سَاهِمِ (٢٨)

قِفَا بِي قَلِيلاً وَانْظُرَا بِيَ أَشْتَفِي بِلَثْمِ الْحَصَى بَيْنَ اللِّوَى فَالنَّعَائِمِ (٢٩)

فَكَمْ عَهْدِ صِدْقٍ مَرَّ فِيهِ وَأَعْصُرٍ تَوَلَّتْ عِجَالاً دُونَ تَهْوِيمِ نَائِمِ (٣٠)

---

(٢٦) يلحقها : يصيبها . والروعة : الفزعة . والسوط : ما يضرب به من جلد . والجنة (بكسر الجيم) : الجنون ، ويراد بها هنا : فرط النشاط في السير . وتمرق : تجتاز ، وتخرج في سرعة . وشعثاً : جمع أشعث ، أو شعثاء : صفة من شعث الشعر ، أي تفرق واتسخ ، أو تلبد ، وتغبر ، كشعر المسافر . وفجاج المخارم : الطرق والمسالك الجبلية .

(٢٧) الحادي : من يسوق المطايا ويحثها على السير بالحداء ، وهو الغناء لها . ووامق : محبّ . ويراد بالوامق هنا : المستعطف ، المسترحم . ورازح : ضعيف ، منهوك . ومعي : اسم فاعل من أعيا ، أي تعب تعباً شديداً . ورازم : رازح ، شديد الإعياء ، أو ساقط من الإعياء . ويلاحظ أن « رازح » ، و « معي » و « رازم » بمعنى واحد ، أو بمعان متقاربة .

(٢٨) خامر السرى : مارسه . والسرى : السير ليلاً . والبين : الفراق . وأغبر : مغبر اللون ، أو يعلوه الغبار . وساهم : متغير اللون من همّ ونحوه ، أو ضامر ضعيف ، مهزول . وأغبر وساهم صفتان لـ « فتى » . ولعله يشير إلى نفسه ؛ فإنه الفتى المحب المستهام الذي خامر السرى ، وأضناه طول السفر ، وحرقة الوجد ، ولوعة الفراق .

(٢٩) انظر : أي انتظر ، بمعنى الانتظار . واشتفى بكذا : نال به الشفاء ، وبرىء به من علّته . واللثم : التقبيل . والحصى : صغار الحجارة . واللوى : ما التوى من الرمل وانعطف . والنعائم : أعلام مرفوعة يهتدى بها في المفاوز والصحاري ، واحدتها نعامة . والنعامة أيضاً : المحجّة ، والطريق الواضح ، وكل بناء على جبل يشبه الظلّة . ويريد بـ « ما بين اللوى والنعائم » : وطن الهوى ، والمكان الذي طالما رأى فيه حبيبته ، ووجد في لقائها راحته وسعادته . وهو يجد في لثم حصاه علاجاً وراحة وشفاء لما يعانيه من تباريح الوجد والصبابة .

(٣٠) من معاني « العهد » : الزمان ، والأمان ، والمودة . و « فيه » : أراد به منزل حبه ، وموطن غرامه ، بين اللوى والنعائم . ومر فيه : مر به . والأعصر : جمع العصر ، وهو اليوم . وتولّتْ : ذهبتْ ، ومضت . وعجالاً : سراعاً . وهوم تهويماً : هز رأسه من النعاس ، أو نام نوماً خفيفاً ، كناية عن العجلة والسرعة ، أي أن هذه العصور تولت في برهة ، هي أقرب وأسرع من برهة تهويم النائم .



أَبِيتُ لَهَا دَامِي الْجُفُونِ مُسَهَّداً — طَرِيحَ الثَّرَى مُحْمَرَّ طَرْفِ الأَبَاهِمِ (٣١)

وَمَا هَاجَنِي إِلاَّ عُصَيْفِيرُ رَوْضَةٍ — عَلَى مَلْعَبٍ مِنْ دَوْحَةِ الضَّالِ نَاعِمِ (٣٢)

يَصِيحُ فَمَا أَدْرِي لِفُرْقَةِ صَاحِبٍ — كَرِيمِ السَّجَايَا أَمْ يُغَنِّي لِقَادِمِ ؟ (٣٣)

كَأَنَّ الْعُصَيْفِيرَ اسْتُطِيرَ فُؤَادُهُ — سُرُوراً بِرَبِّ الْمَكْرُمَاتِ الْجَسَائِمِ (٣٤)

أَبُو الْمَجْدِ نَجْلُ الْجَوْدِ خَالُ زَمَانِهِ — أَخُو الْفَخْرِ « إِسْمَاعِيلُ » خِدْنُ الْمَكَارِمِ (٣٥)

قَشِيبُ الصِّبَا كَهْلُ التَّدَابِيرِ جَامِعٌ — صُنُوفَ الْعُلاَ وَالْمَجْدِ فِي صَدْرِ جَازِمِ (٣٦)

---

(٣١) « لها » : لعهود الصدق ، والعصور الذاهبة ؛ أي أقضي الليالي ساهراً من أجل تلك العهود والأعصر ، أي بسبب تلهفي عليها ، وحزني على فواتها . ودامي الجفون : كناية عن كثرة البكاء وتتابعه . ومسهداً : مؤرقاً . وطريح : أي ملقى مطروحاً على الثرى ، وهو الأرض . والأباهم : جمع الإبهام ، كبرى أصابع اليد . واحمرار طرفها : إشارة ، أو كناية عن لهفته وحسرته ؛ إذ كان يعضّ أنامله على فوات تلك العهود والعصور فيجرّحها العضّ ، فتدمى ، وتلتهب ، وتحمر . أو أنه كان يمسح بأصابعه عينيه ، فيعلق بأطرافها شيء من دم جفونه الدامية .

(٣٢) هاجني : أثارني ، والمراد حرك أشجاني . والدوحة : الشجرة العظيمة المتشعّبة . والضال : السدر البريّ ، واحدته ضالة . وناعم : طيب الورق ، لين الملمس .

في هذا البيت رأى الشاعر عصفوراً مليحاً في روضة زاهرة فوق شجرة عظيمة ضخمة من أشجار السدر البري ، هي ملعب كبير نضير من ملاعب الطير ؛ فأثارت رؤيته أشجانه ، وجددتْ ذكرياته ، وأجّجتْ أشواقه إلى من يحب .

(٣٣) كريم السجايا : كريم الأخلاق ، حميد الخصال . وتقدير الكلام : يصيح هذا العصيفير ، فلست أدري ، أيصيح حزناً ، وأسى ؛ لأنه فارق صاحباً كريم السجايا ، أم يغني ابتهاجاً وسروراً بقدوم قادم عزيز عظيم ؟ .

(٣٤) استطير فؤاده : طُيّر قلبه . وهو تعبير عن فرط الفرح . والمكرمات : أفعال الكرم والخير والبرّ ، واحدتها مكرمة . وربها : صاحبها ، والمنعم بها . والجسائم : العظيمات .

(٣٥) المجد : العز ، والشرف ، والرفعة . وأبو المجد : صاحبه . والنجل : الولد ، أو النسل . والجود : البذل ، والعطاء . وخال : سمح ، أي سخي . وخال زمانه : جواد زمانه الذي لا يجارى ، ولا يبارى في كرمه . والخدن : الصديق ، والخليل . والمكارم : المكرمات .

(٣٦) قشيب : جديد . والصبا (بكسر الصاد) : الصغر ، والحداثة . . ويراد بقشابة الصبا ، وجدة الشباب : ما يمتاز به الشبان من الفتوة ، والنشاط ، وبُعد الهمة ، واتساع الآمال . وكهل

تَجَمَّـعُ فِيـهِ الْحِلْمُ وَالْبَـأْسُ وَالنَّـدَى   فَلَيْسَ لَـهُ فِي مَجْـدِهِ مِنْ مُـزَاحِمِ (٣٧)

ذَكَـاءُ « أَرِسْطَالِيسَ » فِي حِلْمِ « أَحْنَفٍ »   وَهِمَّةُ « عَمْرٍو » فِي سَمَاحَةِ « حَاتِمِ » (٣٨)

لَـهُ تَحْتَ أَسْتَـارِ الْغُيُـوبِ وَفَـوْقَهَـا   عُيُـونٌ تَـرَى الأَشْيَـاءَ لاَ وَهْمُ وَاهِمِ (٣٩)

فَـنَـظْرَتُـهُ وَحْـيٌ وَسَـاكِـنُ صَـدْرِهِ   فُـؤَادُ خَبِيـرٍ نَـاطِقٍ بِـالْـعَـظَائِمِ (٤٠)

تَـكَـادُ لِعُـلْيَـاهُ الْمَـلاَئِـكُ تَـرْتَـمِي   عَلَى كَتِفَيْـهِ كَـالـطُّيُـورِ الْحَـوَائِمِ (٤١)

التدابير : أي يدبّر أموره بعقلية الرجل الكبير العقل المدرك . وجازم : صادق العزم ، قوي الإرادة .

(٣٧) الحلم : الأناة ، وضبط النفس . والبأس : القوة ، والشجاعة . والندى : الجود . ومزاحم : مقارب ، مدان ، أي لا يدانيه أحد في مجده ، ولا يقاربه .

(٣٨) أي للممدوح ذكاء أرسطو مع حلم « أحنف » ، وله همة « عمرو » مع سماحة « حاتم » .
و « الأحنف بن قيس » (٣ ق هـ - ٦٧هـ / ٦١٩ - ٦٨٦م) : أبو بحر ، الضحّاك بن قيس ، الملقّب بالأحنف ، سيد تميم ، وأحد العظماء ، الدهاة ، الفصحاء ، الشجعان ، الفاتحين . يضرب به المثل في الحلم ، ورجاحة العقل . وعمرو بن معدي كرب الزبيدي : فارس اليمن المضروب به المثل في شدة البأس والشجاعة والإقدام . ومن أصحاب النجدة والقوة البدنية في الجاهلية والإسلام . شهد معركة القادسية . توفي في حصار نهاوند سنة ٢١هـ (٦٤٢م) .
و « حاتم بن عبد الله الطائي » : أبو عدي ، المتوفى سنة ٤٥ ق هـ (٥٧٨م) : فارس شاعر من أجواد العرب في الجاهلية ، صيته ذائع خالد ، وبجوده وسماحته يضرب المثل .

(٣٩) الأستار : جمع ستر (بوزن شبر وأشبار) ، وهو ما يستر به الشيء . والغيوب : جمع غيب ، وهو كل ما غاب عنك ، واحتجب . والوهم : التوهم ، والتخيل ، وهو أضعف من الظن في مراتب الإدراك .

يمدحه بالفطنة ، وقوة الإدراك ، والبصيرة النافذة التي تهتك ستور الخفايا ، والذكاء الخارق الذي يكشف محجّبات الأمور ، ويرى الأشياء عياناً ويقيناً ، لا توهّماً أو تخيّلاً .

(٤٠) المعنى : أن نظرات الممدوح ثاقبة صائبة ، كأنها إلهام من الله . أما عقله فإنه عقل رجل عظيم ، واسع الخبرة ، وإذا تكلم سمع الناس منه ما يناسب عظمته وجلاله ، وينم على فطنته وخبرته .

(٤١) العليا (بوزن الكبرى) : مؤنث الأعلى ، اسم تفضيل من العلو ؛ ويراد بعليا الممدوح أو عليائه : شرفه ، وسمو مكانته .

نوه الشاعر بشرف ممدوحه ، وعلو منزلته . وغالى في مدحه ؛ فقال : إن الملائكة تكاد تقصد إليه ، وتقع على كتفيه . وشبهها بالطيور الحوائم ، تطلب الماء ، فتقصد إليه .



أَرَاهُ فَيَمْحُونِي الْجَلَالُ وَأَنْتَحِي أُغَالِطُ أَفْكَارِي وَلَسْتُ بِحَالِمِ (٤٢)

وَتُوهِمُنِي نَفْسِي الْكِذَابَ سَفَاهَةً أَلَا إِنَّمَا الْأَوْهَامُ طُرْقُ الْمَآثِمِ (٤٣)

هُوَ السَّيْفُ فِي حَدَّيْهِ لِينٌ وَشِدَّةٌ فَتَلْقَاهُ حُلْوَ الْبِشْرِ مُرَّ الْمَطَاعِمِ (٤٤)

تَرَاهُ لَدَى الْخَطْبِ الْمُلِمِّ مُجَمِّعاً عُرَا الْحِلْمِ ثَبْتَ الْجَأْشِ مَاضِي الْعَزَائِمِ (٤٥)

لَهُ النَّظْرَةُ الشَّزْرَاءُ يَعْقُبُهَا الرِّضَا لإِسْعَافِ مَظْلُومٍ وَإِرْغَامِ ظَالِمِ (٤٦)

فَلَوْلَا نَدَى كَفَّيْهِ أَوْقَدَ بَأْسُهُ لَدَى الرَّوعِ أَطْرَافَ الظُّبَا وَاللَّهَاذِمِ (٤٧)

وَلَوْلَا ذَكَاهُ أَعْشَبَتْ بِيَمِينِهِ قَنَا الْخَطِّ وَاخْضَلَّت طُرُوسُ الْمَظَالِمِ (٤٨)

---

(٤٢) محاه يمحوه : أزاله ، وأذهب أثره . والمراد أن جلال الممدوح وعظمته ومهابته بهرتْه ، وأدهشتْه ؛ حتى تضاءل في حضرته . وأنتحي : أميل إلى ناحية . وغالطه : أوقعه في الغلط .

(٤٣) الوهم : ما يقع في الخلد من الهواجس ، والوساوس ، وجمعه أوهام. والكذاب: الكذب. والسفاهة : الجهل . والمآثم : جمع مأثم ، وهو الإثم والذنب .

يقول : إن نفسه ـ لشدة تأثرها بجلالة الممدوح وعظمته ـ تذهل عن الحقيقة والواقع المذهل ، وتجنح للجهل والسفاهة ؛ فتوهمه أنه حالم ، وهو وهم كاذب ؛ فما الأوهام إلا طرق تنتهي بالواهمين إلى الخديعة والكذب ، والإثم والضلال .

(٤٤) حد السيف : مقطعه وشفرته . والبشر : البشاشة ، وطلاقة الوجه . والمطاعم : الطعام الذي يؤكل ، أو هو مصدر ميمي من طعم الشيء (من باب فهم) : أي ذاقه . ومرارة مطاعم الممدوح ، كناية عن شدة بأسه ، ومرارة عقوبته إذا غضب . وتلقاه : تلقى الممدوح ، أي تلقاه حلو البشر إذا رضي .

(٤٥) الخطب : الأمر العظيم المكروه يكثر فيه التخاطب . والملمّ : النازل . وتجميع عرا الحلم : تعبير مجازيّ ، يراد به ضبط النفس ، والاستمساك بالحلم . وثبت : ثابت ، رابط . والجأش : القلب أو النفس . وماض : قاطع ، نافذ . والعزائم : جمع العزيمة ، وهي الإرادة القوية المؤكّدة .

(٤٦) نظرة شزراء : نظرة غضب . ويعقبها : يخلفها ، ويتلوها . وأسعفه : ساعده ، وأعانه . وأرغمه : أي أذله ، وقهره ، وأهانه .

(٤٧) الندى : البلل والمطر ، ويستعمل الندى مجازاً في الجود والخير . والبأس : الشجاعة ، والقوة ، والشدة في الحرب . والروع : الفزع . والظبا : جمع ظبة ، وهي حد السيف . واللهاذم : جمع لهذم (بوزن جعفر) ، وهو الحاد القاطع من السيوف والأسنة ونحوها .

(٤٨) أعشب المكان : نبت فيه العشب . والقنا : جمع قناة ، وهي الرمح الأجوف . والخط :



لَـهُ بَيْتُ مَجْدٍ رَفْرَفَتْ دُونَ سَقْفِهِ	حَمَامُ الدَّرَارِي مُشْمَخِرُّ الدَّعَائِمِ (٤٩)
فَمَنْ رَامَهُ فَلْيَتَّخِذْ مِنْ قَصَائِدِي	سُطُوراً إِلَى مَرْقَاهُ مِثْلَ السَّلَالِمِ (٥٠)
فَيَابْنَ الأُلَى سَادُوا الْوَرَى وَانْتَهَوْا إِلَى	تَمَامِ الْعُلَا مِنْ قَبْلِ نَزْعِ التَّمَائِمِ (٥١)
أُهَنِّيكَ بِالْمُلْكِ الَّذِي طَالَ جِيدُهُ	بِعِزِّكَ حَتَّى حَلَّ بَيْتَ النَّعَائِمِ (٥٢)
لَسَوَّدْتَهُ بِالْفَخْرِ فَابْيَضَّ وَجْهُهُ	بِأَسْمَرَ خَطِّيٍّ وَأَبْيَضَ صَارِمِ (٥٣)
تَدَارَكْتَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ كَادَ يَنْمَحِي	لِفَرْطِ تَبَارِيحِ الدُّهُورِ الْغَوَاشِمِ (٥٤)

موضع في بلاد البحرين تباع فيه الرماح ، وتنسب إليه . واخضلتْ : نديتْ ، وابتلتْ . والطروس : جمع طرس (بوزن ضرس) ، وهو الصحيفة . والمظالم : جمع مظلمة ، وهي ما تطلبه عند الظالم ، أو ما احتملته من الظلم . وطروس المظالم : صحائف شكوى الظلم .

(٤٩) يراد بالبيت : بيت الولاية ، والملك الذي أسّسه جَدّ الممدوح ، وهو محمد علي باشا الكبير . والدراري : النجوم الثاقبة المضيئة . وحمام الدراري : الدراريّ المشبّهة بالحمام . ومشمخر : عظيم الطول والعلوّ والارتفاع . والدعائم : جمع دِعامة ، وهي عماد البيت الذي يقوم عليه . ورفرفة الدراريّ تحت سقف البيت : كناية عن إغراقه في السموّ والارتفاع ، وكذلك اشمخرار دعائمه .

(٥٠) رامه : رام بيت الممدوح ، أي أراده ، وقصده . والسطور المتخذة من قصائده : كلماته في مدح ذلك البيت وتمجيده . والمرقى : المصعد . والمعنى : من أراد الإلمام بشيء من عظمة ذلك البيت الرفيع الكريم ، فليتخذ من قصائدي في تمجيده سلماً يرقى به إلى تلك المعرفة .

(٥١) الألى : الذين . والورى : الخلق والناس . والتمائم : جمع تميمة ، وهي خرزة ، أو ما يشبهها ، كان الأعراب يعلقونها في عنق الطفل ؛ لتقيه ـ في زعمهم ـ العين والحسد ، وتدفع عنه الأرواح الشريرة . ونزع التمائم ، أو اقتلاعها ، أو إماطتها : كناية عن أن الطفل قد كبر ، وجاوز مرحلة الطفولة .

(٥٢) الجيد : العنق . وطول جيد الملك : كناية عن عظم شأنه ، وسمو مكانته .

(٥٣) سوّد الملك بالفخر : جعله سيداً شريفاً . وكنى ببياض وجه الملك عن صلاح شأنه ، واستقامة أمره . والأسمر : الرمح . والخطّيّ : المنسوب إلى الخطّ ، وهو موضع ببلاد البحرين تباع فيه الرماح ، وتنسب إليه . والأبيض : السيف . والصارم : القاطع .

(٥٤) تدارك الشيء : أدركه ، وأصلح شأنه . أو هو من قولهم : تدارك الخطأ بالصواب ؛ فالممدوح تدارك الملك بالتقويم والإصلاح . وفرط : اسم من الإفراط ، وهو مجاوزة الحد . وتباريح الدهر : صروف الزمان وشدائده . والغواشم : صفة للدهور ، جمع غاشم ، أي ظالم .



بَكى زَمَـنـاً وَاغْبَـرَّ حَـتَّـى أَتَـيْـتَـهُ	فَعَـادَ رَحِيبَ الصَّدْرِ طَلْقَ الْمَبَـاسِمِ (٥٥)
وَسُسْتَ الْـوَرَى بِـالْعَـدْلِ حَتَّى تَشَـوَّقَـا	إِلَيْـكَ الْتَوى جِيـدُ الدُّهُـور الْقَدَائِمِ (٥٦)
وَجِئْتَ مَجِـيءَ الْبَـدْرِ مَـدَّ شُعَـاعَـهُ	عَلَى أُفُقٍ بِـالْجَـوْنِ وَحْفِ الْقَـوَادِمِ (٥٧)
بِـرَأْيٍ كَخَيْطِ الشَّمْسِ نُوراً تَخَـالُـهُ	فِـرِنْداً تَمَشَّى فِي خُـدُودِ الصَّـوَارِمِ (٥٨)
فَلَوْ مِصْـرُ تَـدْرِي أَرْسَلَتْ لَـكَ نِيلَهَـا	لِيَلْقَـاكَ فِي جُنْـحٍ مِنَ اللَّيْـلِ قَـاتِمِ (٥٩)
وَجَـاءَتْ لَـكَ الأَهْـرَامُ تَسْعَى تَشَـوُّقَـاً	إِلَى دَارِ « قُسْطَنْطِينَ » سَعْيَ النَّسَائِمِ (٦٠)

---

(٥٥) فاعل « بكى » : ضمير « الملك » . واغبرّ : علاه الغبار . وبكاء الملك واغبراره : كناية عما أصابه ، وأصاب النهضة المصرية من الركود أو النكسة . وأتيته : توليته . ورحابة الصدر : كناية عن الانشراح والارتياح ، وكذلك طلاقة المباسم . ويراد بالمباسم هنا : الوجوه ؛ فإن الطلاقة للوجوه ، لا للمباسم .

(٥٦) القدائم : جمع سماعيّ لقديم ، وقُدَام . ولعل الشاعر يريد بالدهور القدائم : عهود المشهورين بالعدل من عظماء الخلفاء والملوك . والتواء أجياد الدهور القدائم متشوّقة إلى الممدوح : تصوير حسي بليغ لإعجاب القدامى من عظماء الملوك والحكام العادلين بسياسة الممدوح القائمة على العدل والرشد ، والمساواة والإنصاف .

يمدحه بأنه ساس رعيته سياسة سديدة ، فبسط عليهم ظلال العدالة والإحسان ؛ وأحيا سُنّة المشهورين من عظماء الخلفاء والملوك . فانعطفتْ إليه أعناق عهودهم في شوق وحنين وإقبال .

(٥٧) الجون : السواد والظلمة . والوحف من الأجنحة : الكثير الريش . والقوادم : الريشات التي في مقدّم جناح الطائر ، وهي كبار الريش . وتحتها الخوافي : وهي صغاره . الواحدة قادمة . ويراد بالقوادم هنا : الأجنحة ، أي مد شعاعه على أفق أجنحة واحفة سود . والغرض المبالغة في تصوير ما بدّده ضياء البدر من الظلمات الحالكة التي طَبَّقَتْ آفاق السماء والأرض .

(٥٨) « برأي » : متعلق بـ « جئتَ » في البيت السابق . وخيط الشمس : شعاعها . وتخاله : تخال رأي الممدوح ، أي تحسبه وتظنه . وفرند السيف : جوهره . والصوارم : السيوف القواطع ، مفردها صارم . وخدودها : جوانبها وصفحاتها .

(٥٩) المعنى : لو عرفت مصر نجاح مساعيك في القسطنطينية لأرسلتْ إليك نيلها على عجل ، ليلقاك بالتهنئة والتكريم .

(٦٠) دار قسطنطين : القسطنطينية . وتنسب إلى قسطنطين الأول الكبير (٢٧٤ - ٣٣٧م) أمبراطور



فَبُورِكْتَ فِي مُلْكٍ وَرِثْتَ ذَمَاءَهُ | وَخَلَّدْتَهُ فِي نَسْلِ مَجْدٍ أَكَارِمِ [٦١]
بِهِمْ كُلُّ غِطْرِيفٍ يَمُدُّ إِلَى الْعُلَا | يَداً خُلِقَتْ فِينَا لِبَذْلِ الْمَكَارِمِ [٦٢]
يَجُولُ مَجَالَ الْبَرْقِ وَالْخَيْلُ تَرْتَمِي | بِأَعْطَافِهَا فِي الْمَأْزِقِ الْمُتَلَاحِمِ [٦٣]
فَمَا رَوْضَةٌ غَنَّاءُ بَاكَرَهَا الْحَيَا | بِأَوْطَفَ سَاجٍ أَشْعَلِ الْبَرْقِ سَاجِمِ [٦٤]
يَصُوعُ بِهَا نَشْرُ الْعَبِيرِ فَتَغْتَدِي | تَقَاسَمُهُ فِينَا أَكُفُّ النَّوَاسِمِ [٦٥]
إِذَا الشَّمْسُ لَاحَتْ مِنْ خِلَالِ ظِلَالِهَا | عَلَى الْأَرْضِ لَاحَتْ مِثْلَ دُورِ الدَّرَاهِمِ [٦٦]
يَقِيلُ بِهَا سِرْبُ الْمَهَا وَهْوَ آمِنٌ | فَمِنْ أَرْبَدَ سَاجٍ وَأَحْوَرَ بَاغِمِ [٦٧]

روما الذي تولى الحكم سنة ٣٠٦ ، ونقل عاصمة الأمبراطورية من روما إلى بيزنطية سنة ٣٣٠ ؛ فسميتْ القسطنطينية . والنسائم : جمع النسيم ، وهو الريح الطيبة اللينة اللطيفة .

(٦١) بوركت في ملك : بارك الله لك في ملكك . والذماء : من قولهم : « خُذْ منه ما ذَمى لك » ، أي ما تهيّأ ، وصلح . وورثت ذماء الملك : ورثت ما تهيأ لك منه .

(٦٢) الغطريف : السيد الماجد .

(٦٣) يجول : يطوف ، ويدور . ويجول جولان البرق : أي يجول في سرعة خاطفة كسرعة البرق . وترتمي : تزدحم ، وتتدافع . والأعطاف : جمع عطف ، وهو من كل شيء جانبه . والمأزق : المضيق الحرج ، وجمعه مآزق ، ويراد به هنا : موضع الحرب . والمتلاحم : الضيق . وارتماء خيل الفرسان بأعطافها في المآزق المتلاحمة : كناية عن عنف القتال وشدته واستحراره .

(٦٤) الروضة : البستان الحسن النضير . وغَنّاء : كثيرة الشجر والعشب . وباكرها : جاءها بُكْرة ، أي في أول النهار . والحيا : المطر . وبأوطف : بسحاب أوطف ، أي دان من الأرض ، أو منهمر المطر . وساج : ساكن ، ثابت . والبرق الأشعل : المحمرّ ؛ ولعل حمرته دليل على ثقل السحاب ، وغزارة مائه . وساجم : منصبّ المطر . وسجمتْ السحابة مطرها : أسالته ، وصبته .

(٦٥) يصوع : يفوح . والنشر : الرائحة الطيبة . والعبير : أخلاط من الطيب . وتغتدي : تبكّر . وتقاسمه : أصلها تتقاسمه ، أي اقتسمته . والنواسم : جمع ناسم ، أو ناسمة ، اسم فاعل من نسمتْ الريح ، أي تحركت وهَبَّتْ بلين ، ولطف .

(٦٦) يشير إلى كثرة أشجار هذه الروضة ، والتفاف أغصانها ، واشتباك فروعها ، فإذا طلعت عليها الشمس نفذ ضياؤها من ثغراتها الضيقة ، فبدا على الأرض دارات مدوّرة كالدنانير .

(٦٧) يقيل : ينام في القائلة ، وهي الظهيرة ، أي وسط النهار . والسرب : الجماعة ، أو القطيع

بِـأَلْـطَفَ مِنْ أَخْـلاَقِهِـمْ وَصِفَـاتِـهِمْ إِذَا الْعُـودُ ضَمَّتْهُ أَكُفُّ الْعَـوَاجِمِ (٦٨)

وَمَـا الشِّعْـرُ مِنْ دَأْبِي وَلاَ أَنَـا شَـاعِـرٌ وَلاَ عَـادَتِي نَعْتُ الصُّوَى وَالْمَعَـالِمِ (٦٩)

وَلَـكِنْ حَـدَانِـي جُـودُهُ فَـاسْتَثَـارَنِي لِـوَصْفِ مَعَالِيـهِ الْعِظَامِ الْجَسَـائِمِ (٧٠)

وَكَـيْفَ وَجَـدْوَاهُ ثَـنَتْ ضَبْـعَ هِمَّـتِـي وَهَـزَّتْ إِلَى نَظْمِ الْقَـرِيضِ قَوَادِمِي (٧١)

من الحيوان ، أو من الطير . والمها : البقر الوحشيّ ، واحدته مهاة . وأربد : أغبر ، بلون الرماد . وساج : ساكن ثابت ، والمراد آمن ، مطمئنّ . وحورتْ العين : اسودّت كلّها ، كأعين المها والظباء . وباغم : اسم فاعل من بغمت الظبية ، أي صاحت إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها .

(٦٨) « بألطف » : الباء زائدة ، وألطف : خبر روضة في البيت الرابع والستين : « فما روضة غنّاء . . » وهو اسم تفضيل من اللطف : بمعنى الرقّة واللطافة . وأخلاقهم : أخلاق الممدوحين . والعود : الغصن بعد أن يقطع . والعواجم : جمع عاجمة ، اسم فاعل من عجم الإنسان الشيء أي عضّه ، ليعلم صلابته من رخاوته . وعجمتُ فلاناً ، وعجمتُ عوده : أي امتحنته واختبرته .

والمعنى : إذا اختبرتَ هؤلاء الممدوحين علمتَ أن صفاتهم وأخلاقهم في لطافة الروضة التي وصفها .

(٦٩) الدأب : العادة ، والشأن . والنعت : الوصف . والصوى : جمع الصوة (بوزن القوّة) ، وهي ما غلظ من الأرض ، وارتفع ، وما نصِب من الحجارة ونحوها ، ليكون دليلاً في الطريق . والمعالم : جمع معلم (بوزن مذهب) ، وهو ما يُسْتَدلّ به على الطريق . ولعله يشير بالشطر الثاني من هذا البيت إلى ما اعتاده شعراء المديح من وصف معالم الطريق ، ومشقّات السفر في رحلتهم إلى الممدوح .

(٧٠) حداه على كذا : بعثه عليه ، وحَثّه . وحداني جوده : استمالني إليه بكرمه وسخائه . واستثارني : أثارني ، وهاجني . ومعاليه : جمع مَعْلاة ، وهي الرفعة والشرف .

يقول : إنه لم يتعوّد نظم الشعر ، ولكن مناقب الممدوح ومكرُماته أثارت شاعريّته ، فنظم هذه المدحة في وصف معاليه العظيمة ، والتنويه بمحامده الجسيمة ، وتمجيد مفاخره ومزاياه .

(٧١) « كيف » : أي وكيف لا أصف بشعري معالي الممدوح ومناقبه ومحامده والحال أن جدواه وعطاياه ومكرُماته أثارتْ شاعريتي ، وحفزتْني إلى القول والتغنّي والإشادة والتمجيد . وجدواه : جدوى الممدوح ، وهي العطيّة . والضبع : وسط العضد ، ما بين المرفق والكتف . والهمة : العزم القويّ . والقريض : الشعر . والقوادم : الريشات التي في مقدّم



فَـتِـلْكَ لآلٍ أَمْ رَبِـيـعٌ تَـفَـتَّـحَـتْ   أَزَاهِـرُهُ كَـالزُّهْـرِ أَمْ نَـظْـمُ نَـاظِـمِ ؟(٧٢)
وَمَـا هُـوَ إِلاَّ عِـقْـدُ مَـدْحٍ نَـظَمْتُـهُ   لِجِيدِ عُـلاَهُ فِي صُـدُورِ الْمَـوَاسِـمِ (٧٣)
فَـعِشْ مَـا تَغَنَّتْ بِـالأَرَاكِ حَـمَـامَـةٌ   وَمَـا اتَّجَهَتْ لِلْبَـرْقِ نَـظْرَةُ شَـائِمِ (٧٤)
لَـكَ السَّعْـدُ خِـدْنٌ وَالْمَهَـابَـةُ صَـاحِبٌ   وَشَخْصُ الْعُلاَ وَالنَّصْرِ فِي زِيِّ خَادِمِ (٧٥)

وَقَالَ يَذْكُرُ أَيَّامَ الشَّبَابِ :

أَسَـلُ الـدِّيَـارَ عَنِ الْحَبِيبِ وَفِي الْحَشَـا   دَارٌ لَـهُ مَـأْهُـولَـةٌ وَمَـقَـامُ(١)

جناح الطائر ، وهي كبار الريش ، الواحدة قادمة . ويراد بالقوادم : الأجنحة . يقول الشاعر إن جدوى الممدوح ثنتْ ضبع همته ، وهزتْ قوادمه لنظم القريض . وَثَنْي ضبع الهمة ، وهزّ القوادم ، كنايتان عن إثارة شاعريته .

(٧٢) اللآلىء : الدُرر ، الواحدة لؤلؤة ، وحذفت همزة الجمع للتخفيف . والربيع : الأخضر الناضر من النبات والشجر . وأزاهره : أزهاره . وكالزُهْر : جمع الأزهر ، وهو النيّر الزاهر المتلألىء .

بالغ الشاعر في تعظيم هذه المدحة ، وشبّه شعره باللآلىء والدرر ، وأزهار الربيع المتفتحة العطرة البهيجة ، والنجوم الزاهرة النيّرة ، المتلألئة اللامعة .

(٧٣) العقد : خيط ينظم فيه الخرز ، أو اللؤلؤ ، أو نحوه ، ويحيط بالعنق للزينة . والجيد : العنق . وعُلاه : عُلا الممدوح ، أي رفعته وشرفه . والمواسم : جمع موسم ، وهو مجتمع الناس . ومواسم العرب : أعيادها الكبيرة .

جعل الشاعر مدحته هذه قلادة ، نظم فيها القيم من شعره ؛ ليُنْشَد ، ويتغنّى به في صدور المحافل والمجتمعات الكبيرة الحاشدة ، ويزدان به شرف الممدوح وعلاؤه .

(٧٤) يدعو للممدوح أن يعيش مدة اتجاه كل شائم بنظراته إلى البرق ، ومدة تغنّي الحمام على الأراك . وشائم : ناظر .

(٧٥) الخدن (بكسر الخاء) : الصديق ، والصاحب ، وجمعه أخْدان . والمهابة : مصدر هابه ، أي أجله وخافه، ومنه رجل مهيب : أي يهابه الناس ، ويوقّرونه ، ويعظّمونه .

ختم الشاعر هذه القصيدة الطويلة بهذا البيت الذي جمع فيه لممدوحه السعادة في صورة صديق صادق الودّ ، وخدين كريم المخادنة ، والمهابة في هيئة صاحب يرافقه ، ولا يكاد يفارقه ، والمعالي والنصر في زِيّ خَدَم يقومون بخدمته ، وتوفير عزّته ومنعته ، ورفاهته وهناءته .

(١) « أسل » : بحذف الهمزة للتخفيف ، ونقل فتحتها إلى السين قبلها ، والمعنى : إني أسأل

وَمِنَ الْعَنَاءِ سُؤَالُ خَاشِعَةِ الصُّوَى	بِيَدِ الْفَنَاءِ جَوَابُهَا إِرْمَامُ(٢)
ذَكَرَتْ بِهَا النَّفْسُ اللَّجُوجُ زَمَانَهَا	إِنَّ التَّذَكُّرَ لِلنُّفُوسِ غَرَامُ(٣)
إِذْ لِلْهَوَى ثَمَرٌ يَرِفُّ وَلِلصِّبَا	كَأْسٌ تُشَفُّ وَلِلْمُنَى إِلْمَامُ(٤)
تَسْتَنُّ فِيهَا الْعِينُ بَيْنَ مَخَانِسٍ	فِيهَا السَّلَامُ تَعَانُقٌ وَلِزَامُ(٥)
فِي فِتْيَةٍ فَاضَ النَّعِيمُ عَلَيْهِمُ	وَنَمَاهُمُ التَّبْجِيلُ وَالإِعْظَامُ(٦)
ذَهَبَتْ بِهِمْ شِيَمُ الْمُلُوكِ فَلَيْسَ فِي	تَلْعَابِهِمْ هَذَرٌ وَلَا إِبْرَامُ(٧)
لَا يَنْطِقُونَ بِغَيْرِ آدَابِ الْهَوَى	سُمُحُ النُّفُوسِ عَلَى الْبَلَاءِ كِرَامُ(٨)

الديار عن حبيبي ، والحال أنه مقيم في قلبي . ويريد بالديار : المنازل المهجورة التي ارتحل عنها الحبيب وأهله وعشيرته . والحشا : ما أنطوت عليه الضلوع ، ويراد به هنا : القلب . ومأهولة : عامرة بأهلها . و« مقام » (بفتح الميم) : بمعنى منزلة ومكانة .

(٢) العناء : التعب ، والجَهْد . والصُّوَى : جمع صُوّة (بوزن قُوّة) ، وهي حجارة تجعل أعلاماً في الطريق ، ليهتدي بها المسافرون في الصحاري ونحوها . ويراد بها هنا : آثار الديار التي هجرها أهلها ، ورحلوا عنها . وخاشعة الصُّوَى : الصُّوَى الخاشعة ، بمعنى الساكنة ، أو الخربة المجدبة ، التي لا أثر فيها للحياة أو العمران . وجوابها إرمام : جوابها سكوت ، وصمت .

(٣) لَجَّ في الأمر : لازمه ، وأبى أن ينصرف عنه . وهي لجوج : أي شديدة اللجاجة .

(٤) ثمر الهوى : نتائجه المشتهاة . ويرفّ : يهتزّ . والصبا (بكسر الصاد) : الحداثة وصغر السنّ . وتُشفّ (بالبناء المجهول) : أي تُشْرب كلّها ، والمراد استيعاب متع الصبا ، ومسرّات الشباب . والمنى : الأمانيّ ، والآمال . وإلمام : قُرْب .

(٥) تستنّ : تغدو وتروح في مرح ونشاط . والعين : حسان العيون من النساء . ويراد بالمخانس : ما يواريهن ويحجبهن من الحجال ، والخدور .

(٦) فيضان النعيم عليهم : رتوعهم في رغد العيش . ونماهم : رفعهم ، وأعلى شأنهم . وبجّله تبجيلاً : عظّمه .

(٧) ذهبتْ بهم : صاحبتهم ولازمتْهم . وشيم الملوك : أخلاقهم . والتلعاب : مصدر يفيد الكثرة ، من الفعل « لعب » . والهذر : سَقط الكلام ، والخطأ . والإبرام : مصدر أبرمه : بمعنى أضجره ، وأملّه .

(٨) يراد بآداب الهوى : ما يلازم الهوى العذريّ ، ولا يكاد يفارقه من عفّة القلب واللسان .



مِنْ كُلِّ أَبْلَجَ يُسْتَضَاءُ بِنُورِهِ   كَالْبَدْرِ جَلَّى صَفْحَتَيْهِ غَمَامُ(٩)

سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا يَسُوءُ جَلِيسَهُ   بَيْنَ الْمَقَامَةِ وَاضِحٌ بَسَّامُ(١٠)

مُتَوَاضِعٌ لِلْقَوْمِ تَحْسَبُ أَنَّهُ   مَوْلًى لَهُمْ فِي الدَّارِ وَهْوَ هُمَامُ(١١)

تَتَقَاصَرُ الْأَفْهَامُ دُونَ فِعَالِهِ   وَتَسِيرُ تَحْتَ لِوَائِهِ الْأَقْوَامُ(١٢)

فَإِذَا تَكَلَّمَ فَالرُّؤُوسُ خَوَاضِعٌ   وَإِذَا تَنَاهَضَ فَالصُّفُوفُ قِيَامُ(١٣)

حَتَّى انْتَبَهْنَا بَعْدَ مَا ذَهَبَ الصِّبَا   أَنَّ الْخَلَاعَةَ وَالصِّبَا أَحْلَامُ(١٤)

لَا تَحْسَبَنَّ الْعَيْشَ دَامَ لِمُتْرَفٍ   هَيْهَاتَ لَيْسَ عَلَى الزَّمَانِ دَوَامُ(١٥)

تَأْتِي الشُّهُورُ وَتَنْتَهِي أَيَّامُهَا   لَمْعَ السَّرَابِ وَتَنْقَضِي الْأَعْوَامُ(١٦)

وسمح (بضمتين) : جمع سمح أو سميح ، صفة من السماحة ، وهي الجود . وسمح النفوس : كرامها . والبلاء : الاختبار بالمحنة ، والشدة .

(٩) من كل أبلج : من كل فتى أبلج ، أي طلق الوجه ، مشرق الجبين . ويراد بصفحتي البدر : وجهه . والغمام : السحاب ، والقطعة منه غمامة .

(١٠) المقامة : القوم ، والجماعة . وبسّام : صيغة مبالغة من البسم ، وهو أقل الضحك ، وأحسنه . ويراد به : البشاشة .

(١١) « متواضع » : أي هو سهل الخليقة متواضع . والمولى : العبد . والهُمام : السيد الشجاع . ورجل هُمام : عظيم الهمّة ، وهي العزم القويّ .

(١٢) تتقاصر : تعجز ، أو تتضاءل ، أي أن أفهام الناس تتقاصر قبل أن تصل إلى فعال كل أمرىء من هؤلاء الفتية .

(١٣) خواضع : جمع خاضع ، أي خاشع مُنصت . وتناهض : يريد تكلّف النهوض ، وحاول القيام . ويراد بقيام الصفوف إذا تناهض : أنه إذا همّ بالقيام لمغادرة مكانه بعد الفراغ من كلامه نهضت صفوف الناس تعظيماً له وإجلالاً .

(١٤) الصبا في الشطر الأول : الشباب . والصبا في الشطر الثاني : الصبوة ، أي جهلة الفتوّة ، والميل إلى اللهو . والخلاعة : مصدر خلع ، فهو خليع ، أي انقاد لهواه ، وتهتّك .

(١٥) العيش : الحياة . والمترف : المتنعم ، الذي لان عيشه .

(١٦) لمع البرق : بَرَق ، وأضاء . وفي اللمع معنى السرعة . والسراب : ما يشاهد في نصف النهار ، من اشتداد الحرّ ، كأنه ماء ، ويضرب به المثل في الكذب والخداع والتمويه ، فيقال : « هو أخدع من السراب » .



وَالــنَّــاسُ فِــيــمَــا بَــيْــنَ ذٰلِــكَ وَارِدٌ	أَوْ صَــادِرٌ تَــجْــرِي بِــهِ الأَيَّــامُ(١٧)
لاَ طَــائِــرٌ يَــنْــجُــو وَلاَ ذُو مِــخْــلَــبٍ	يَبْقَى وَعَــاقِبَــةُ النُّفُــوسِ حِــمَــامُ(١٨)
فَــادْرَأْ هُــمُــومَ النَّفْسِ عَنْــكَ إِذَا اعْتَــرَتْ	بِــالْكَأْسِ فَهْيَ عَلَى الْهُمُــومِ حُسَامُ(١٩)
فَــالْعَيْشُ لَــيْسَ يَــدُومُ فِي أَلْــوَانِــهِ	إِلاَّ إِذَا دَارَتْ عَــلَيْــهِ الْــجَــامُ(٢٠)
مِــنْ خَمْــرَةٍ تَــذَرُ الْــكَبِــيــرَ إِذَا انْتَشَى	بَعْــدَ اشْتِعَــالِ الشَّيْبِ وَهْــوَ غُــلاَمُ(٢١)
لَعِبَ الــزَّمَــانُ بِهَــا فَغَــادَرَ جِسْمَــهَــا	شَبَحــاً تَــحَــارُ لِــدَرْكِــهِ الأَفْهَــامُ(٢٢)
حَمْــرَاءُ دَارَ بِهَــا الْحَبَــابُ فَــصَــوَّرَتْ	فَــلَكــاً تَــحُــفُّ سَــمَــاءَهُ الأَجْــرَامُ(٢٣)
لاَ تَــسْــتَــقِــيمُ الْعَــيْــنُ فِي لَــمَــعَــانِــهَــا	وَتَــزِلُّ عِــنْــدَ لِقَــائِــهَــا الأَقْــدَامُ(٢٤)

---

(١٧) وارد : أي مقبل على الحياة . وصادر : خلاف وارد ، أي مدبر عن الحياة الدنيا . وتجري به الأيام : أي تسرع به إلى الموت والهلاك .

(١٨) « ينجو » : المراد ينجو من الموت . والمخلب : ظفر كل سبع . والحمام : الموت .

والمعنى : أن الموت لا بدّ منه . وهو نهاية كل الخلائق ، ولن يسلم منه طير ، ولا سبع ، ولا حيوان ، ولا إنسان .

(١٩) إدرأ : أبعد . واعترتْ : نزلتْ ، وألمتْ . والحسام : السيف القاطع .

(٢٠) يريد بالعيش : المعيشة الهنيئة ، والحياة الممتعة . ويريد بألوان العيش : أنواع النعيم . ودارت عليه : أي خالطته ، وامتزجت به . والجام : الكأس ، ويراد بها الخمر .

(٢١) تذر : تدع ، وتترك . ويريد بالكبير : الأشيب . وانتشى : سكر . واشتعال الشيب : ظهوره وكثرته وانتشاره في شعر الرأس .

(٢٢) لعب الزمان بها : كناية عن تعتيقها . وغادر : ترك . والشبح : يكني بصيرورة جسمها شبَحاً عن فرط رقتها وخفتها ولطافتها بالتعتيق . وحار يحار : لم يهتد لسبيله . ولدركه : من أجل إدراكه .

(٢٣) « حمراء » : أي من خمرة حمراء . والحباب : الفقاقيع التي تعلو على وجه الماء أو الخمر . وتحفّ : تطوف . والأجرام : الكواكب والنجوم .

(٢٤) تزلّ : تزلق ، وتسقط .

يقول : إن الخمر ـ لشدة لمعانها ، وفرط تلألئها ـ يضطرب نظر الناظر إليها ، ولا تثبت العين عند رؤيتها . وإذا تحسّاها شاربها أسكرتْه ، وزلّت قدماه .

تَعْشُو الرِّكَابُ فَإِنْ تَبَلَّجَ كَأْسُهَا سَارُوا وَإِنْ زَالَ الضِّيَاءُ أَقَامُوا[٢٥]

حُبِسَتْ بِأَكْلَفَ لَمْ يَقُمْ بِفِنَائِهِ نُورٌ وَلَمْ يَبْرَحْ عَلَيْهِ ظَلَامُ[٢٦]

حَتَّى إِذَا رَقَدَتْ وَقَرَّ قَرَارُهَا سَلِسَتْ فَلَيْسَ لِذَوْقِهَا إِيلَامُ[٢٧]

تَسِمُ الْعُيُونَ بِنَارِهَا لَكِنَّهَا بَرْدٌ عَلَى شُرَّابِهَا وَسَلَامُ[٢٨]

فَاصْقُلْ بِهَا صَدَأَ الْهُمُومِ وَلَا تَكُنْ غِرّاً تَطِيرُ بِلُبِّهِ الْأَوْهَامُ[٢٩]

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَرْءَ لَيْسَ بِخَالِدٍ وَالدَّهْرُ فِيهِ صِحَّةٌ وَسَقَامُ[٣٠]

يَهْوَى الْفَتَى طُولَ الْحَيَاةِ وَإِنَّهَا دَاءٌ لَهُ دُونَ الشَّغَافِ عُقَامُ[٣١]

فَاطْمَحْ بِطَرْفِكَ هَلْ تَرَى مِنْ أُمَّةٍ خَلَدَتْ وَهَلْ لِابْنِ السَّبِيلِ مُقَامُ ؟[٣٢]

---

(٢٥) عشا يعشو : ساء بصره بالليل . والركاب : الإبل تركب . وتبلّج : أشرق ، وأضاء . وأقاموا : توقّفوا عن السير .

(٢٦) « حبست » : يراد بالحبس هنا : التعتيق . وأكلف : أي حبست في وعاء أكلف . والكَلَف : حمرة تشوبها كدرة وسواد . والفناء : الساحة في الدار . ويراد بالفناء هنا : المكان الذي تكون به أوعية التعتيق . وبرح الشيء : زال من مكانه . ولم يبرح الدنّ الأكلف عليه ظلام : أي لم يزايله الظلام ، ولم يفارقه ؛ فهو ملازم له .

(٢٧) رقد : نام . ويراد بالرقود هنا : الإقامة والاستقرار والسكون . وقَرَّ قرارها : سكنتْ . وسلستْ : سهلتْ ، ولذّتْ . والذوق : المذاق ، أي الطعم . ومذاقها غير مؤلم : أي طيّبة المذاق .

(٢٨) وسمه : جعل له سمة ، أي علامة يعرف بها . وتسم الخمر عيون شاربيها : أي تترك في عيونهم حمرة كحمرة النار ، كأنها سمة يعرفون بها . والشُرّاب : جمع شارب ، إسم فاعل من شرب . أو هي شَرّاب . أي كثير الشرب .

(٢٩) اصقل : أزِل صداه . وتطير بلبّه : تذهب بعقله .

(٣٠) المعنى : أنه لا سبيل إلى خلود الإنسان في هذه الحياة ؛ فالموت مصيره المحتوم . وأحواله في الدنيا متغيرة متقلّبة بين الصحة والمرض ، والقوة والضعف ، والسرور والحزن ، والمتعة والبؤس .

(٣١) يهوى : يحب ، ويشتهي . والشغاف : غلاف القلب . وداء عقام : أي عُضال ، لا طبّ له ، ولا بُرْء منه .

(٣٢) طمح ببصره إليه : حَدَّق به إليه ، وشَدَّد النظر . والطرف : العين ، والنظر .

هٰـذِي الْمَـدَائِنُ قَـدْ خلَتْ مِنْ أَهْلِهَـا بَـعْـدَ الـنَّـعِـيـمِ وَهَـذِهِ الأَهْـرَامُ(٣٣)

لاَ شَيْءَ يَـبْـقَـى غَـيْـرَ أَنْ خَـدِيـعَـةً فِي الـدَّهْـرِ تَنْكُـلُ دُونَهَـا الأَحْـلاَمُ(٣٤)

وَلَـقَـدْ تَـبَـيَّـنْـتُ الأُمُـورَ بِـغَـيْـرِهَـا وَأَتَـى عَـلَـيَّ الـنَّـقْـضُ وَالإِبْـرَامُ(٣٥)

وَإِذَا الـسُّـكُـونُ تَـحَـرُّكٌ وَإِذَا الْخُـمُـو دُ تَـلَـهُّـبٌ وَإِذَا الـسُّـكُـوتُ كَـلاَمُ(٣٦)

وَإِذَا الْـحَـيَـاةُ ـ وَلاَ حَـيَـاةَ ـ مَـنِـيَّـةٌ تَحْيَـا بِهَـا الأَجْسَـادُ وَهْـيَ رِمَـامُ(٣٧)

هَـذَا يَـحُـلُّ وَذَاكَ يَـرْحَـلُ كَـارِهَـاً عَـنْـهُ فَـصُـلْـحٌ تَـارَةً وَخِـصَـامُ(٣٨)

فَـالنُّـورُ ـ لَـوْ بَيَّـنْـتَ أَمْـرَكَ ـ ظُـلْـمَـةٌ وَالْبَـدْءُ ـ لَـوْ فَكَّـرْتَ فِيـهِ ـ خِتَـامُ(٣٩)

---

(٣٣) في هذا البيت أشار الشاعر إلى كثرة من طواهم الردى ، وأكلتْهم الأرض . وتركوا ما شيّدوه وعمروه من الديار والقصور ، والمدن والأمصار تنعاهم ، وتروي أخبارهم .

(٣٤) تنكل : تضعف ، وتعجز ، وتقصر ، وتحجم . ودونها : دون الخديعة . والمعنى أن الأحلام تضعف تحت تأثير الخديعة . والأحلام : العقول .

(٣٥) تبيّنتُ الأمور بغيرها : أي تعرّفتها وكشفتها بأشباهها ونظائرها .

(٣٦) الخمود : مصدر خمدتْ النار ، أي سكن لهبها .

والمعنى : أن ما يبدو من سكون الدهر ومهادنته هو في حقيقته تأهّب للحركة والبطش والفتك . وهو تحت خموده الظاهر يتقّد ويتلهّب . وهو في صمته وسكونه متكلم ينطق بالمواعظ والعبر .

(٣٧) يريد أن الحياة في نظر من تدبّرها موت ، أي تُبْلي الأحياء ، وتُفْنيهم .

(٣٨) « هذا » : إشارة إلى المولود الجديد المقبل على الدنيا . و« ذاك » : إشارة إلى الراحل عنها ، المفارق لها بالموت . وحلّ المكان ، وحلّ به : نزل فيه . أي هذا مولود يحلّ بالدنيا ، وذاك والد مثلاً يرحل عن مولوده كارهاً مُكْرَهاً . والتارة : المرة . جعل الدنيا تصالح الناس بالمواليد ، وتخاصمهم بطيّ حياة الأحياء ؛ فالولادة صلح وسلام . والموت حرب وخصام .

(٣٩) بيَّنْتَ أمرك : أي تَبَيَّنْتَ حقيقة حالك بطول التفكير والتدبّر .

ومعنى الشطر الأول : لو تدبَّرْتَ ما يبهرك من نور الحياة ، لعلمت أنه في حقيقته ظلمة ، لأنه لا يلبث أن ينطفىء على الرغم منك ، ويُعْقب لك الأسى والحسرات . ومعنى الشطر الثاني : أن بدء الحياة يبدو ـ مع التبصّر والتفكّر ـ ختاماً لها ؛ لشدة الاتصال ، وقصر المسافة بينهما ؛ فالمرء لا يكاد يستقبل الحياة حتى يرغم على توديعها ، واختتام حياته فيها .



رواية ثانية للقصيدة

ذَهَبَ الصِّبَا وَتَوَلَّتِ الأَيَّامُ ... فَعَلَى الصِّبَا وَعَلَى الزَّمَانِ سَلَامُ
تَاللَّهِ أَنْسَى مَا حَيِيتُ عُهُودَهُ ... وَلِكُلِّ عَهْدٍ فِي الْكِرَامُ ذِمَامُ
إِذْ نَحْنُ فِي عَيْشٍ تَرِفُّ ظِلَالُهُ ... وَلَنَا بِمُعْتَرِكَ الْهَوَى آثَامُ
تَجْرِي عَلَيْنَا الْكَأْسُ بَيْنَ مَجَالِسٍ ... فِيهَا السَّلَامُ تَعَانُقٌ وَلِزَامُ
فِي فِتْيَةٍ فَاضَ النَّعِيمُ عَلَيْهِمُ ... وَنَمَاهُمُ التَّبْجِيلُ وَالإِعْظَامُ
ذَهَبَتْ بِهِمْ شِيَمُ الْمُلُوكِ فَلَيْسَ فِي ... تَلْعَابِهِمْ هَذْرٌ وَلَا إِبْرَامُ
لَا يَنْطِقُونَ بِغَيْرِ آدَابِ الْهَوَى ... سُمُحُ النُّفُوسِ عَلَى الْبَلَاءِ كِرَامُ
مِنْ كُلِّ أَبْلَجَ يُسْتَضَاءُ بِنُورِهِ ... كَالْبَدْرِ حَلَّى صَفْحَتَيْهِ غَمَامُ
سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا يَسُوءُ جَلِيسَهُ ... بَيْنَ الْمَقَامَةِ وَاضِحٌ بَسَّامُ
مُتَوَاضِعٌ لِلْقَوْمِ تَحْسَبُ أَنَّهُ ... مَوْلىً لَهُمْ فِي الدَّارِ وَهْوَ هُمَامُ
تَرْنُو الْعُيُونُ إِلَيْهِ فِي أَفْعَالِهِ ... وَتَسِيرُ تَحْتَ لِوَائِهِ الأَقْوَامُ
فَإِذَا تَكَلَّمَ فَالرُّؤُوسُ خَوَاضِعٌ ... وَإِذَا تَنَاهَضَ فَالصُّفُوفُ قِيَامُ
نَلْهُو وَنَلْعَبُ بَيْنَ خُضْرِ حَدَائِقٍ ... لَيْسَتْ بِغَيْرِ خُيُولِنَا تُسْتَامُ
حَتَّى انْتَبَهْنَا بَعْدَ مَا ذَهَبَ الصِّبَا ... إِنَّ اللَّذَاذَةَ وَالصِّبَا أَحْلَامُ
لَا تَحْسَبَنَّ الْعَيْشَ دَامَ لِمُتْرَفٍ ... هَيْهَاتَ لَيْسَ عَلَى الزَّمَانِ دَوَامُ
تَأْتِي الشُّهُورُ وَتَنْتَهِي سَاعَاتُهَا ... لَمْعَ السَّرَابِ وَتَنْقَضِي الأَعْوَامُ

والإكة :

(*) نشر الشيخ حسن المرصفي هذه القصيدة برواية ثانية تختلف عن رواية الديوان ، آثرنا ذكرها أيضاً ، مع الإشارة إلى أن تاريخ نسخ الديوان هو سنة ١٩٠٨ ، بينما تاريخ نشر المرصفي للقصيدة في « الوسيلة الأدبية » ص ٤٨١ يعود إلى سنة ١٨٧٥م .

وَالـنَّـاسُ فِـيـمَـا بَـيْـنَ ذَلِـكَ وَارِدٌ ... أَوْ صَـادِرٌ تَـجْـرِي بِـهِ الأَيَّـامُ
لاَ طَـائِـرٌ يَـنْـجُـو وَلاَ ذُو مِـخْـلَـبٍ ... يَـبْـقَـى وَعَـاقِـبَـةُ الْحَـيَـاةِ حِـمَـامُ
فَـادْرَأْ هُـمُـومَ النَّفْسِ عَنْـكَ إِذَا اعْتَـرَتْ ... بِـالْكَـأْسِ فَهْيَ عَلَى الْهُـمُـومِ حُسَامُ
فَـالْعَيْشُ لَـيْسَ يَـدُومُ فِـي أَلْـوَانِـهِ ... إِلَّا إِذَا دَارَتْ عَـلَـيْـهِ الْـجَـامُ
مِـنْ خَـمْـرَةٍ تَـذَرُ الْكَـبِـيـرَ إِذَا انْتَشَى ... بَـعْـدَ اشْتِـعَـالِ الشَّيْبِ وَهْـوَ غُـلاَمُ
لَعِبَ الـزَّمَـانُ بِهَـا فَغَـادَرَ جِسْمَهَـا ... شَـبَـحـاً تَـهَـافَـتُ دُونَـهُ الأَوْهَـامُ
حَمْـرَاءُ دَارَ بِهَـا الْحَبَـابُ فَصَـوَّرَتْ ... فَـلَـكـاً تَـحُـفُّ سَـمَـاءَهُ الأَجْـرَامُ
لاَ تَـسْتَـقِيـمُ الْعَـيْـنُ فِـي لَـمَـعَـانِـهَـا ... وَتَـزِلُّ عِـنْـدَ لِـقَـائِـهَـا الأَقْـدَامُ
تَعْشُـو الـرِّكَـابُ فَـإِنْ تَبَلَّجَ كَـأْسُـهَـا ... سَـارُوا وَإِنْ زَالَ الـضِّـيَـاءُ أَقَـامُـوا
حُـبِسَـتْ بِـأَكْلَفَ لَـمْ يَصِـلْ لِـفِنَـائِـهِ ... نُـورٌ وَلَـمْ يَـسْـرَحْ عَـلَـيْـهِ ظَـلاَمُ
حَتَّى إِذَا اصْـطَفَقَتْ وَطَـارَ فِـدَامُـهَـا ... وَثَـبَـتْ فَـلَـمْ تَـثْـبُـتْ لَـهَـا الأَجْـسَـامُ
وَقَـدَتْ حِـمَـيَّـتُـهَـا فَـلَـوْلاَ مَـزْجُـهَـا ... بِـالْـمَـاءِ بَعْـدَ الْـمَـاءِ شَبَّ ضِـرَامُ
تَـسِـمُ الْـعُـيُـونَ بِـنُـورِهَـا لَـكِـنَّـهَـا ... بَـرْدٌ عَـلَـى شُـرَّابِـهَـا وَسَـلاَمُ
فَـاصْقُـلْ بِهَـا صَدَأَ الْهُـمُـومِ وَلاَ تَكُنْ ... غِـرّاً تَـطِـيشُ بِـلُـبِّـهِ الآلاَمُ
وَاعْـلَـمْ بِـأَنَّ الْـمَـرْءَ لَـيْسَ بِـخَـالِـدٍ ... وَالـدَّهْـرُ فِـيـهِ صِـحَّـةٌ وَسَـقَـامُ
يَهْـوَى الْفَتَى طُـولَ الْـحَيَـاةِ وَإِنَّـهَـا ... دَاءٌ لَـهُ - لَـوْ يَـسْـتَـبِـيـنُ - عُـقَـامُ
فَـاطْمَـحْ بِطَرْفِكَ هَـلْ تَـرَى مِنْ أُمَّـةٍ ... خَـلَـدَتْ وَهَـلْ لاِبْنِ السَّبِيلِ مُقَـامُ ؟
هَـذِي الْمَـدَائِنُ قَـدْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَـا ... بَـعْـدَ الـنِّـظَـامِ وَهَـذِهِ الأَهْـرَامُ
لاَ شَـيْءَ يَـخْـلُـدُ غَـيْـرَ أَنَّ خَـدِيـعَـةً ... فِي الـدَّهْـرِ تَنْكُـلُ دُونَهَـا الأَحْـلاَمُ
وَلَـقَـدْ تَـبَـيَّـنْـتُ الأُمُـورَ بِـغَـيْـرِهَـا ... وَأَتَـى عَـلَـيَّ الـنَّـقْـضُ وَالإِبْـرَامُ
فَـإِذَا السُّكُـونُ تَـحَـرُّكٌ وَإِذَا الْخُـمُـو ... دُ تَـلَـهُّـبٌ وَإِذَا الـسُّـكُـوتُ كَـلاَمُ

وَإذَا الْحَيَاةُ ـ وَلاَ حَيَاةَ ـ مَنِيَّةٌ تَحْيَا بِهَا الأَجْسَادُ وَهْيَ رِمَامُ
هٰذَا يَحُلُّ وَذَاكَ يَرْحَلُ كَارِهَاً عَنْهُ فَصُلْحٌ تَارَةً وَخِصَامُ
فَالنُّورُ ـ لَوْ بَيَّنْتَ أَمْرَكَ ـ ظُلْمَةٌ وَالْبَدْءُ ـ لَوْ فَكَّرْتَ فِيهِ ـ خِتَامُ

وَقَالَ يَصِفُ رَوْضَةَ الْمِقْيَاسِ (*) :

أَلاَ حَيِّ بِالْمِقْيَاسِ رَيَّا الْمَعَالِمِ وَقُلْ لَهَا مِنَّا تَحِيَّةُ قَادِمِ (١)
مَلاَعِبُ آرَامٍ وَمَأْوَى حَمَائِمٍ وَمَسْقَطُ أَنْدَاءٍ وَمَسْرَى نَسَائِمِ (٢)
أَحَاطَتْ بِهِ لِلنِّيلِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ جَدَاوِلُ تُسْقِيهِ سُلاَفَ الْغَمَائِمِ (٣)
تَدُورِ مَدَارَ الطَّوْقِ مِنْ حَيْثُ تَلْتَقِي مَسِيراً وَتَنْسَلُّ انْسِلاَلَ الأَرَاقِمِ (٤)
إِذَا ضَاحَكَتْهَا الشَّمْسُ رَفَّتْ مُتُونُهَا رَفِيفَ الثَّنَايَا خَلْفَ حُمْرِ الْمَبَاسِمِ (٥)

(*) روضة المقياس : جزيرة في نهر النيل ، شرقيّ الجيزة ، وغربيّ الفسطاط (مصر القديمة) . وسميت « روضة المقياس » لأن في نهايتها من الجنوب مقياساً قديماً كان يقاس به المستوى الذي يصل إليه ماء النيل في ارتفاعه انخفاضه .

(١) يراد بالمعالم هنا : منازل هذه الجزيرة ، وما فيها من مظاهر الحياة ، ودلائل النعيم ، وآثار الحضارة والعمران . وريا المعالم: المعالم الريّانة . وصفها بالريّ مشيراً إلى ما يزينها من النضرة والبهجة ، والخصب والنماء . وقلّ لها منّا تحية قادم : أي أن تحيتنا لها نحن القادمون كانت قليلة ، لذا يطلب الشاعر إلقاء التحية على هذه المعالم .

(٢) الآرام : جمع رئم ، وهو الظبي ، أي الغزال الأبيض . وتشبّه به الفتاة الحسناء في جمال الجيد والعينين . والأنداء : جمع الندى ، وهو المطر ، وقطرات صغيرة من الماء تسقط في أثناء الليل على الأرض ، وعلى أوراق الأزهار والأشجار . والمسرى : السير ليلاً .

(٣) به : بالمقياس . ويراد به : روضة المقياس . و « من كل جانب » : تأكيد لمعنى الإحاطة . والجداول : القنوات والترع ، والأنهار الصغيرة . وسلاف الغمائم ، أي مياه الأمطار .

(٤) « مدار » : مصدر ميمي بمعنى الدوران . والمسير : السير . وتلتقي مسيراً : تتلاقى وتتصل في سيرها وجريانها . وتنسلّ : تنطلق في استخفاء وهدوء . والأراقم : جمع الأرقم ، وهو الحيّة فيها سواد وبياض .

(٥) ضاحكتْها الشمس : ضاحكت الشمس الجداول ، أي أشرقتْ بضيائها على مياه هذه الجداول

وَإِنْ سَلْسَلَتْهَا الرِّيحُ أَبْدَتْ سَبَائِكَاً ... مُقَدَّرَةً كَالْوَشْمِ فَوْقَ الْمَعَاصِمِ (٦)

تَجُوسُ خِلَالَ الْبَاسِقَاتِ وَتَنْتَهِي ... إِلَى سَاعِدٍ فِي غَمْرَةِ النِّيلِ سَاجِمِ (٧)

تَرَى حَوْلَهَا الْأَشْجَارَ وَلْهَى مُكِبَّةً ... عَلَى الْمَاءِ فِعْلَ الصَّادِيَاتِ الْحَوَائِمِ (٨)

وَمُنْبَعِثَاتٍ فِي الْهَوَاءِ كَأَنَّهَا ... بَيَارِقُ لَهْوٍ رُكِّزَتْ فِي الْمَوَاسِمِ (٩)

مِنَ اللَّاءِ قَدْ آلَيْنَ يَشْرَبْنَ أَوْ تَلِي ... مَنَابِتُهَا غَوْرَ الْبِحَارِ الْخَضَارِمِ (١٠)

فتلألأت ، كأنما تضحك ضحكاً . ورفت : لمعت ، وبرقت . ومتونها : متون الجداول . ومتن الماء : سطحه . والثنايا : ما يظهر من الأسنان عند الابتسام . والمباسم : الثغور ، واحدها مبسم . ويراد بالمباسم هنا : الشفاه . وخلف حمر المباسم : أي وراء الشفاه الحمر .

(٦) سلسلتها الريح : أي جرت فوق مياهها ؛ فكان لاحتكاكها بسطحها تجعّد وتثنّ يشبه السلاسل . وقدَّره : جعله على مقدار مخصوص ، ووجه مخصوص . والوشم : خطوط ورسوم تكون في يد الموشوم ، أو وجهه . والمعاصم : جمع معصم ، وهو موضع السوار من اليد .

(٧) تجوس خلال الباسقات : تدور فيها ، وتتردّد بينها . والباسقات : طوال النخيل والأشجار . والساعد : مجرى الماء إلى النهر ، أو إلى البحر . وغمرة النيل : زحمته ، وكثرة مائه . و « ساجم » : سائل .
يقول: إن هذه الجداول تدور وتجري بين طوال النخيل، والأشجار المرتفعة العالية. ثم ينتهي بها المطاف إلى مجراها المنصبّ في غمرة النيل؛ فهي من النيل، وإليه.

(٨) ولهى : صفة من وله الصبيّ إلى أمّه ، أي فزع إليها ، ولجأ . ومكبة : مقبلة عليه . والصاديات : جمع صادية ، اسم فاعل من الصدى وهو العطش الشديد . والحوائم : جمع حائمة أو حائم ، من حام الطائر وغيره حول الشيء ، وحام عليه ، أي دار به ، وأطاف عليه .

(٩) منبعثات : أي ذاهبات مرتفعات في الهواء . والبيارق : جمع بيرق ، وهو الراية ، أو العَلَم الكبير . وركّزتْ : غُرزتْ في الأرض . والمواسم : الأعياد الكبيرة ، والمجامع الكثيرة من الناس .

(١٠) اللاء: اللائي، اسم موصول لجمع المؤنث. وآلين: أقسمن. وآلين يشربن: أي آلين ألّا يشربن. وتلي: تدنو وتقرب. ويراد بمنابت النخيل: جذورها وأصولها الذاهبة في أعماق الأرض. وغور البحر: قعره وعمقه، وجمعه أغوار. والخضارم: جمع خضرم، وهو البحر الخضَمّ العظيم.

إِذَا لَاعَبَتْ أَعْـرَافَهَـا الـرِّيـحُ خِلْتَهَـا فَوَارِسَ تَعْصُو بِـالسُّيُوفِ الصَّـوَارِمِ [١١]
يَـلُوحُ بِـهَـا طَـلْعٌ نَـضِيـدٌ كَـأَنَّـهُ فَـرَائِدُ سَـاوَى بَيْنَهَـا كَفُّ نَـاظِمِ [١٢]
إِذَا مَـا أَتَـى مِيقَـاتُـهَـا وَتَـضَـرَّجَـتْ حَسِبْتَ عَقِيقاً فِي صِحَافِ الْكَمَـائِمِ [١٣]
مَسَـارِحُ لَهْوٍ لَـوْ رَأَى « الشِّعْبُ » حُسْنَهَـا لَعَضَّ عَلَى مَـا فَـاتَـهُ بِـالأَبَـاهِمِ [١٤]
ذَكَـرْتُ بِـهَـا عَـصْـراً تَـوَلَّـى وَلَـذَّةً تَقَضَّتْ وَمَا عَهْـدُ الـزَّمَـانِ بِـدَائِمِ [١٥]
وَمَـا تَـحْـسُـنُ الأَيَّـامُ إِلَّا بِـأَهْـلِهَـا وَلَا الـدَّارُ إِلَّا بِـالصَّـدِيقِ الْمُـلَائِمِ [١٦]
فَيَـا نِعْـمَ مَـا وَلَّتْ بِـهِ دَوْلَـةُ الـصِّبَـا وَلَمْ تَـرْعَـهُ مِنْ عَهْـدِنَـا الْمُتَقَـادِمِ [١٧]

---

(١١) أعراف النخيل : أعاليها ، أي فروعها وسعفها . ولاعبت الريح أعرافها : عبثت بها ، وحركتها . وخلتها : ظننتها . وعصاه يعصوه : ضربه بالعصا . والصوارم : القواطع ، جمع صارم ، وهو الحاد القاطع .

(١٢) يلوح : يبدو ، ويظهر . وطلع النخلة : ما يبدو من ثمرها في أول ظهوره . ونضيد : منضود ، منسّق . وفرائد : جمع فريدة ، وهي الجوهرة النفيسة .

(١٣) ميقاتها : ميقات الفرائد ، أي وقت نضجها . ويريد بالفرائد : الطلع المنضود . وتضرّجتْ : احمرّتْ . والعقيق : خرز نفيس أحمر اللون ، أو هو حجر كريم أحمر . والكمائم : أوعية الطلع وغُلُفه . وصحاف الكمائم : الكمائم الشبيهة بالصحاف .

(١٤) المسارح : جمع مسرح . ويراد بمسارح اللهو : ما كان للشاعر ولأمثاله في هذه الرياض والقصور من ملاعب ، وملاه ، يجدون فيها كل ما يشتهون من المرح والسرور ، والمتع واللذات . ويراد بالشعب (بكسر فسكون) : شعب بوّان ، وهو موضع عند شيراز، ببلاد فارس (إيران) ، كثير الشجر والمياه ، يعدّ من جنان الدنيا . والأباهم : جمع الإبهام ، وهي الإصبع الغليظة الخامسة . وعضّ الأباهم ، وعضّ عليها : كناية عن الندم والحسرة ، أي تحسّر وتلهّف على ما لم يصل إليه ، ولم يتهيأ له من محاسن روضة المقياس بالقاهرة .

(١٥) ذكرتُ: تذكّرتُ. وتولى: أدبر، وذهب. «وما عهد الزمان بدائم»: تذييل معناه أن الزمان لا وفاء له، ولا أمان.

(١٦) الملائم : الموافق .

يقول : إنما تحسن الأيام بحسن أهلها ، تصلح بصلاحهم ، وكذلك الديار لا تحسن عند المرء إلا إذا كان له فيها صديق صادق الود ، وإلا كانت جافية موحشة مقلقة لا تطاق .

(١٧) ولّتْ : أدبرتْ ، وذهبتْ . ودولة الصبا : ريعان الشباب وغلبته ، وعنفوانه . ولم ترعه : لم تحفظه ، ولم تصنه . والعهد : الزمان . والمتقادم: القديم.

إِذِ الْعَيْشُ أَفْنَانٌ وَنَحْنُ عِصَابَةٌ أُولُو تَرَفٍ مَا بَيْنَ غَادٍ وَهَائِمِ [١٨]

نَسِيرُ عَلَى دِينِ الْوَفَاءِ وَلَمْ يَكُنْ سِوَى الْحُبِّ مِنْ قَاضٍ عَلَيْنَا وَحَاكِمِ [١٩]

إِذَا قَالَ مِنَّا قَائِلٌ قَامَ دُونَهُ شَهِيدٌ عَلَيْهِ صَادِقٌ غَيْرُ آثِمِ [٢٠]

يَحُومُ عَلَيْهِ وَالْمَنَايَا مُسِفَّةٌ وَيَدْرَأُ عَنْهُ فِي صُدُورِ اللَّهَاذِمِ [٢١]

إِذَا أَلْهَبَتْهُ غَضْبَةٌ وَتَرَجَّحَتْ بِهِ سَوْرَةٌ أَغْرَى الظُّبَا بِالْجَمَاجِمِ [٢٢]

فَقَدْ مَرَّ ذَاكَ الْعَصْرُ إِلَّا لُبَانَةً مُعَلَّقَةً بَيْنَ الْحَشَا وَالْحَيَازِمِ [٢٣]

إِذَا ذَكَرَتْهَا النَّفْسُ يَوْماً تَرَاجَعَتْ عَلَيْهَا عَقَابِيلُ الْهُمُومِ الْقَدَائِمِ [٢٤]

---

(١٨) العيش : المعيشة والحياة. وأفنان : ضروب ، وأنواع . والعصابة : الجماعة من الرجال . وأولو : أصحاب . والترف : النعيم ، ورغد العيش . وغاد : ذاهب منطلق . وهائم : خارج على وجهه في الأرض ، وذاهب لا يدري أين يتوجّه .

(١٩) يراد بالدين هنا : الخلُق ، والسيرة ، والعادة .

(٢٠) قام دونه : قام أمامه ، أو بين يديه . وشهيد على القائل : أي شاهد عليه ، أو نصير له ومعين ، يؤيد بشهادته قول صاحبه وصديقه . وغير آثم : غير خاطىء ، أي غير مذنب .

والمعنى : أنه كان هو وصحبه متناصرين متفقين ، لا يكادون يختلفون ؛ فإذا تكلم أحدهم ، أيده إخوانه بشهادتهم له دون أن يتجاوزوا حدود الصدق والحق ، والاستقامة والصواب .

(٢١) يحوم عليه : يدور به ؛ والمراد يدافع عنه ، وينصره . والمنايا : جمع المنية ، وهي الموت . ومسِفّة : دانية قريبة . ويدرأ : يدفع ، ويحامي عنه . وبصدور اللهاذم : جمع صدر ، وهو مقدّم كل شيء . وصدر الرمح والسيف ونحوهما : أعلاه . واللهاذم : جمع لهذم ، وهو الحادّ القاطع من السيوف والأسنّة ونحوها .

(٢٢) ألهبته : أثارته وهيجته . وغضبة : اسم مرة من الغضب . وترجّحتْ به : مالت . والسورة : الغضب . والظبا : جمع ظبة (بضم ففتح) ، وهي حدّ السيف والسنان ونحوهما . والجماجم : الرؤوس ، واحدتها جمجمة ، وهي عظم الرأس المشتمل على الدماغ .

(٢٣) « ذاك العصر » : إشارة إلى دولة الصبا ، وزمن الشباب . واللبانة : الحاجة . والحشا : ما حواه البطن ، وجمعه أحشاء . والحيازم : جمع حيزوم ، وهو الصدر ، أو وسطه .

(٢٤) ذكرتْها : ذكرتْ اللبانة ، أي تذكرتها . وتراجعتْ : رجعتْ . وعليها : على النفس . والعقابيل : الشدائد . والقدائم : جمع قديم ، وهو خلاف الحديث .

وَمَــنْـزِلَــةٍ لِـلأُنْسِ كُـنَّـا نَـحُـلُّـهَـا وَنَـرْعَى بِهَـا اللَّذَّاتِ رَعْيَ السَّـوَائِمِ[٢٥]

عَفَتْ وَكَـأَنْ لَمْ تَغْنَ بِـالأَمْسِ وَالْتَقَتْ عَلَيْهَـا أَعَاصِيـرُ الـرِّيَـاحِ الْهَـوَاجِمِ[٢٦]

وَمَـا خَيْـرُ دُنْيَـا لَا بَـقَـاءَ لِعَـهْـدِهَـا وَمَـا طِيبُ عَيْشٍ رَبُّـهُ غَيْـرُ سَالِمِ[٢٧]

عَلَى هٰـذِهِ تَمْضِي الـلَّيَـالِي وَيَـنْقَـضِي حَـدِيثُ الْمُنَى فِيهَا كَـأَحْـلَامِ نَـائِمِ[٢٨]

وَقَالَ ، وَكَتَبَ بِهَا مِنْ حَرْبِ الرُّوسِيَا(*) سَنَةَ أَرْبَع وتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْف هِجْرِيَّة إِلَى صَدِيقِهِ الْعَلَّامَةِ الشَّيْخِ « حُسَيْنٍ الْمَرْصَفِيِّ »(**) :

يَـا نَـاعِسَ الـطَّرْفِ إِلَى كَمْ تَـنَـامْ ؟ أَسْـهَـرْتَـنِـي فِـيـكَ وَنَـامَ الأَنَـامْ[١]

---

(٢٥) المنزلة : المنزل ، والدار . والأنس : الفرح والسكون. ونحلّها : نقيم بها . ونرعى اللذات : نباشرها ، ونستمتع بها . والسوائم : جمع سائمة ، وهي الماشية الراعية .

(٢٦) عفتْ : زالتْ ، وامّحت. وكأن لم تغن بالأمس : أي كأن لم تكن عامرة بأهلها . والتقتْ : تلاقتْ ، واجتمعتْ. والأعاصير: جمع إعصار ، وهو ريح تهبّ بشدة . والهواجم : جمع هاجمة ، اسم فاعل من هجم عليه ، أي انتهى اليه بغتة ، على غفلة منه .

(٢٧) الدنيا لا خير فيها، ولا بقاء لعهدها. والعيش لا يطيب إلا بسلامة صاحبه ، وهي متعذّرة ، أو ممتنعة .

(٢٨) « على هذه » : أي الحالة التي عناها ، وهي قلة خير الدنيا ، وانطباعها على الخداع والغدر . وحديث المنى : ما يتحدّث به من الأمانيّ والآمال . يقال : « هذه أحلام نائم » : للأمانيّ الكاذبة التي لا سبيل إليها .

(*) حرب الروسيا : يريد الحرب التي كانت بين روسيا وتركيا . أعلنتْها روسيا ، وبدأتْ بها في إبريل سنة ١٨٧٧م (الموافق شهر ربيع الآخر سنة ١٢٩٤هـ) ، وانتهتْ بهزيمة تركيا ، وعقد معاهدة « سان استفانو » في مارس سنة ١٨٧٨ . وقد استنجدت تركيا مصر ، فأنجدها الخديوي اسماعيل بحملة عسكرية ، وكان محمود سامي البارودي من كبار ضباطها .

(**) الشيخ حسين بن أحمد المرصفي (المتوفى سنة ١٣٠٧هـ ١٨٨٩م) : عالم لغويّ ، أديب . تعلم في الأزهر ، ونبغ في علوم اللغة العربية وآدابها . ثم اشتغل بتدريسها في الأزهر ودار العلوم . ومن مؤلفاته « الوسيلة الأدبية للعلوم العربية » .

(١) الطرف : العين . ويراد بنعاس العينين : فتورهما ، وهو من محاسنهما .

أَوْشَكَ هَذَا اللَّيْلُ أَنْ يَنْقَضِي — وَالعَيْنُ لاَ تَعْرِفُ طِيبَ الْمَنَامْ(٢)
وَيْلاَهُ مِنْ ظَبْيِ الْحِمَى إِنَّهُ — جَرَّعَنِي بِالصَّدِّ مُرَّ الحِمَامْ(٣)
يَغْضَبُ مِنْ قَوْلِيَ « آهٍ » وَهَلْ — قَوْلِيَ « آهٍ » يَا بْنَ وُدِّي حَرَامْ ؟(٤)
لاَ كُتْبُهُ تَتْرَى وَلاَ رُسْلُهُ — تَأْتِي وَلاَ الطَّيْفُ يُوافِي لِمَامْ(٥)
اللَّهَ فِي عَينٍ جَفَاهَا الْكَرَى — فِيكُمْ وَقَلْبٍ قَدْ بَرَاهُ الغَرَامْ(٦)
طَالَ النَّوَى مِنْ بَعْدِكُمْ وَانْقَضَتْ — بَشَاشَةُ الْعَيْشِ وَسَاءَ الْمُقَامْ(٧)
أَرْتَاحُ إِنْ مَرَّ نَسِيمُ الصَّبَا — وَالْبُرْءُ لِي فِيهِ مَعاً وَالسَّقَامْ(٨)
يَا لَيْتَنِي فِي السِّلْكِ حَرْفٌ سَرَى — أَوْ رِيشَةٌ بَيْنَ خَوَافِي الْحَمَامْ(٩)

(٢) أوشك : دنا ، وقرب . وطاب الشيء يطيب طيباً : لذّ ، وحسن ، وجاد .

(٣) ظبي الحمى : أي ظبي محميّ مصان . وجرّعه الدواء : سقاه إياه شيئاً فشيئاً . والصدّ : الصدود ، والإعراض ، والانصراف . والحمام : قضاء الموت ، وقَدَره .

والبيت الرابع في رواية « الوسيلة الأدبية » للمرصفي :

قد رحم العاذل حالي فما — يرضى لذلي في الهوى بالملام

لا وجود له في أصل الديوان.

(٤) ابن ودّه : حبيبه الذي يتغزّل به ، ويشكو صدّه وهجره ، ويتوجّع من إعراضه عنه . والاستفهام في البيت معناه النفي ، أو الإنكار .

(٥) كتبه : رسائله . وتترى : متواترة ، متتابعة . والرسل : جمع رسول ، وقد يأتي بمعنى الرسالة . والطيف : الخيال الطائف الذي يراه النائم في نومه ، أي طيف الحبيب . ويوافي : يأتي . ولَمَّ بفلان : أي أتاه ، فنزل به وزاره ، زيارة قصيرة . واسم المرة منه لَمَّة وجمعها لمام . ويقال : هو يلقانا لماماً ، أي يلقانا لقاءً يسيراً قليلاً .

(٦) لفظ الجلالة في أول هذا البيت منصوب على تقدير : خافوا الله ، أو اتقوا الله . وجفاها : زايلها وفارقها . والكرى : النوم أو النعاس . وفيكم : من أجلكم . وبراه : هزله ، وأضعفه .

(٧) النوى : الفرقة والبعد ، وهي مؤنثة . والعيش : المعيشة والحياة . وبشاشة العيش : طيبه ، ولذته . والمقام (بضم الميم) : الإقامة .

(٨) النسيم : الريح الطيّبة ، اللطيفة . والصبا (بفتح الصاد) : ريح مهبّها من مشرق الشمس ، وهي أحبّ الرياح إلى العرب ، وألطفها في جزيرتهم ؛ ولهذا أولع شعراؤهم بها . والسقام : المرض .

(٩) السلك : الخيط ، وجمعه سلوك ، وأسلاك ؛ ويراد به هنا : أسلاك البرق ، أي التلغراف

حَتَّى أُوَافِي مِصْرَ فِي لَحْظَةٍ ... أَقْضِي بِهَا فِي الْحُبِّ حَقَّ الذِّمَامْ(١٠)

مَوْلَايَ قَدْ طَالَ مَرِيرُ النَّوَى ... فَكُلُّ يَوْمٍ مَرَّ بِي أَلْفُ عَامْ(١١)

أَنْظُرُ حَوْلِيَ لَا أَرَى صَاحِباً ... إِلَّا جَمَاهِيرَ وَخَيْلاً صِيَامْ(١٢)

وَدَيْدَبَاناً صَارِخاً فِي الدُّجَى ... ارْجِعْ وَرَاءً إِنَّهُ لَا أَمَامْ(١٣)

يُقْتَبَلُ الصُّبْحُ وَيَمْضِي الدُّجَى ... وَيَنْقَضِي النُّورُ وَيَأْتِي الظَّلَامْ(١٤)

وَلَا كِتَابٌ مِنْ حَبِيبٍ أَتَى ... وَلَا أَخُو صِدْقٍ يَرُدُّ السَّلَامْ(١٥)

فِي هَضْبَةٍ مِنْ أَرْضِ «دَبْرِيجَةٍ» ... لَيْسَ بِهَا غَيْرُ بُغَاثٍ وَهَامْ(١٦)

والمواصلات السلكية التي تربط البلاد والناس بعضهم ببعض . ويراد بالحرف : الواحد من حروف الهجاء المكونة لكلمات الرسائل البرقية ونحوها . وسرى : سار ليلاً . والخوافي : ريشات من الجناح ، إذا ضم الطائر جناحيه خفيتْ . والقوادم : الريشات الظاهرة في مقدّم الجناح ، وهي كبار الريش . ويراد بالحمام : حمام الزاجل .

(١٠) أوافي مصر : أنزل بها . وأقضي : أؤدّي . والذمام : العهد .

(١١) «مولاي» : المولى ، الوليّ المحب ، والسيد والصاحب . والشاعر يتّجه بالنداء والشكوى إلى مولاه، أي وليّه وصديقه الشيخ «حسين المرصفي». ومرير النوى: مرارتها. والنوى الفُرْقة، والبعد.

(١٢) جماهير : جمع جمهور ؛ ويراد بالجماهير هنا : كتائب الجند ، وفرق الجيش ، وجماعات المتحاربين . وفرس صائم : أي ممسك عن السير ، ساكن .

(١٣) الديدبان : الحارس ، والرقيب . ودجى الليل : ظلماته .

يصف الحراس والرقباء في مشاهد الحرب ، ومواطن القتال ، وما يفاجئون به المارة من الأوامر والنواهي ، والتنبيهات الصارخة الصارمة ، وبخاصة في الليالي الداجية المظلمة .

(١٤) يُقتبل: يُسْتَقْبَل . ويراد بالصبح والنور : النهار . وبالدجى والظلام : الليل . أي يأتي النهار ، ويمضي الليل ، أي تتوالى الأيام والليالي .

(١٥) الكتاب : الرسالة . وأخو الصدق : الصديق الوفيّ . ويردّ السلام : يردّ التحية . والمراد إجابة الشاعر عن كتبه ورسائله التي أرسلها إلى أصدقائه في مصر ، ولم تصل إليه ردودها .

(١٦) الهضبة : الرابية ، وهي ما ارتفع من الأرض . و«دبريجة» أو «دبروجة» : إقليم زراعيّ يطلّ على البحر الأسود جنوبيّ دلتا نهر الدانوب . وتقتسمه بينهما رومانيا وبلغاريا . والبغاث : شرار الطير ، وما لا يصيد منها ، وما لا يرغب في صيده ؛ لأنه لا يؤكل . والهام : جمع هامة ، وهي نوع من البوم الصغير ؛ ويراد بالبغاث والهام هنا أراذل الناس وسفلتهم .

وَرَاءَنَـا الْـبَـحْـرُ وَتِـلْقَـاءَنَـا	سَـوَادُ جَيْشٍ مُـكْـفَـهِـرٌّ لُـهَـامْ(١٧)
فَـتِلْكَ حَـالِـي ـ لاَ رَمتْـكَ الـنَّـوَى ـ	فَكَيْفَ أَنْتُمْ بَعْـدَنَـا يَـا هُـمَـامْ ؟(١٨)

---

(١٧) وراءنا البحر : لعله يريد البحر الأسود ؛ فإن « دبريجة » تطل عليه . وتلقاءنا : أمامنا . وسواد الناس : معظمهم ، وكثرتهم . ومكفهرّ : كثير ، كثيف ، أو عابس ، عنيف . وجيش لهام (بوزن غراب) : أي كثير عظيم ، كأنه يلتهم كل شيء ، أي يزدرده ويبتلعه .

(١٨) « لا رمتْك النوى » : لا تمعن في البعد . والهمام : السيد الشجاع السخيّ من الرجال ، والرجل العظيم الهمة .

ملاحظة : عدد أبيات هذه القصيدة في الديوان ثمانية عشر بيتاً ، وفي كتاب الوسيلة الأدبية تسعة عشر بيتاً ، وقد رأينا أن نتم الفائدة بنشر الميمية كما روتها الوسيلة الأدبية ، بعد أن نشرناها كما جاءت في أصل الديوان المخطوط ، ليطّلع القارىء على الفوارق اليسيرة بين الروايتين في عدد الأبيات ، وترتيبها ، وبعض المفردات :

١	يـا نـاعس الـطرف إلى كم تنام؟	أسـهـرتـنـي فـيـك ونـام الأنـام
٢	أوشـك هـذا الـلـيـل أن يـنـقـضـي	والعين لا تعـرف طيب المنـام
٣	الـلّه في عـيـن جـفـاهـا الـكـرى	فـيـكـم وقـلـب قـد بـراه الـغـرام
٤	قـد رحـم الـعـاذل حـالـي فـمـا	يـرضى لـذلي في الهـوى بـالمـلام
٥	ويـلاه مـن ظـبـي الـحـمى إنـه	جـرَّعني بـالـصـدّ مـرّ الـحِمـام
٦	يـغـضـب مـن قـولـي «آه» وهـل	قـولـي «آه» يـا بـن ودى حـرام ؟
٧	لا كـتـبـه تـتـرى ولا رسـلـه	تـأتي ولا الـطيف يـوافي لـمـام
٨	طـال الـنـوى من بعـدكم وانقضت	بشاشـة الـعيش وسـاء الـمقـام
٩	أرتـاح إن مـرّ نـسـيـم الـصّـبـا	والـبـرء لي فـيـه مـعـاً والـسُّقـام
١٠	يـا ليتني في السلك حرف سـرى	أو ريشـة بين خـوافي الحمـام
١١	حتى أوافـي مـصـر فـي لـحـظة	أقـضي بـهـا في الـلّه حق الـذمـام
١٢	مـولاي قـد طـال مـريـر الـنـوى	فـكـل يـوم مـرّ بـي ألـف عـام
١٣	أنـظر حـولـي لا أرى صـاحـبـاً	إلا جـمـاهـيـر وخـيـلاً صـيـام
١٤	وديـدبـانـاً صـارخـاً في الـدجى	ارجـع وراء إنـه لا أمـام
١٥	يقتبـل الصبـح ويمـضي الـدجى	ويـنـقـضي الـنـور ويـأتي الـظلام
١٦	ولا كـتـاب مـن حـبـيـب أتـى	ولا أخـو صـدق يـردّ الـسـلام
١٧	في هضبـة من أرض « دبـريـجـة »	لـيس بـهـا غـيـر بـغـاث وهـام
١٨	مـن خـلفـنـا الـبـحـر وتلقـاءنـا	سـواد وجيش مـكـفـهـرّ لُـهـام
١٩	فتلك حـالـي لارمتْـك الـنـوى	فكيف أنتم بعـدنـا يـا هـمـام ؟

وَقَالَ(*) :

حَيِّ مَغْنَى الْهَوَى بِوَادِي الشَّآمِ ... وَادْعُ بِاسْمِي تُجِبْكَ وُرْقُ الْحَمَامِ [1]

هُنَّ يَعْرِفْنَنِي بِطُولِ حَنِينِي ... بَيْنَ تِلْكَ السُّهُولِ وَالآكَامِ [2]

فَلَقَدْ طَالَمَا هَتَفْنَ بِشَدْوِي ... وَتَنَاقَلْنَ مَا حَلاَ مِنْ هُيَامِي [3]

وَلَكَمْ سِرْتُ كَالنَّسِيمِ عَلِيلاً ... أَتَقَرَّى مَلاَعِبَ الآرَامِ [4]

فِي شِعَارٍ مِنَ الضَّنَى نَسَجَتْهُ ... بِخُيُوطِ الدُّمُوعِ أَيْدِي الْغَرَامِ [5]

كُلَّمَا شِمْتُ بَارِقاً خِلْتُ ثَغْراً ... بَاسِماً مِنْ خِلاَلِ تِلْكَ الْخِيَامِ [6]

(*) نظم البارودي هذه القصيدة الرائعة (٤٥ بيتاً) في مدح الأمير « شكيب أرسلان » (١٨٦٩ - ١٩٤٦) الملقب بأمير البيان ، وهو أديب ، ناقد ، كاتب ، شاعر ، لغويّ ، خطيب ، مؤلِّف ، صحفي ، مؤرّخ ، سياسي ، رحّالة . جاهد خير جهاد في سبيل وحدة العرب ، وأخوّة الإسلام ، ولد بالشويفات من قرى لبنان . ودفن بها .

(١) مغنى الهوى : منزل الحبّ . ويراد بوادي الشام: البلاد الشامية التي تشمل فلسطين ، وسوريا ،ولبنان . وادع باسمي : اهتف باسمي ، ونادني . وحمامة ورقاء : رمادية اللون ، أو في لونها بياض إلى سواد .

(٢) الحنين : صوت يردّده الواله الحزين.

(٣) هتفت بشدوي : تغنّتْ بمثل غنائي ، أو استحسنتْ شعري ، وطربتْ له . والهيام (في الأصل) : شدة العطش . ومن المجاز : هو هائم بفلانة ، إذا اشتد عشقه لها . ويراد بهيامه : شدوه ، أي ما تغنّى به إذ الشدو أثر من آثار الهيام .

(٤) عليلاً : صفة من العلة ، وهي المرض الشاغل . وهو هنا مرض الحب والغرام . وأتقرى : أقصد ، وأتتبع . والآرام : جمع رئم (بكسر فسكون) ، وهو الظبي الخالص البياض . وتشبه حسان النساء بالآرام في الرشاقة ، ولطف الحركة ، وحسن التثني ، وجمال العيون والأعناق .

(٥) الشعار (بكسر الشين وفتحها) : هو الثوب الذي يلي شعر الجسد ، أي يلاصقه ويمسّه . والضنى : الضعف والهزال . وخيوط الدموع : الدموع المنسجمة الغزيرة التي تتصل قطراتها ببعضها بعض ، فتبدو كالخيوط .

(٦) شام البرق والسحاب : نظر إليه ليتعرّف أين يتجه ، وأين يمطر . والبارق : سحاب ذو برق . وخلت : ظننت . والثغر : مقدم الفم ، وما يبدو من الأسنان عند الابتسام .



وَالْهَوَى يَجْعَلُ الْخِلَاجَ يَقِينَاً ... وَيَغُرُّ الْحَلِيمَ بِالْأَوْهَامِ (٧)
خَطَرَاتٌ لَهَا بِمِرْآةِ قَلْبِي ... صُوَرٌ لَا تَزُولُ كَالْأَحْلَامِ (٨)
مَا تَجَلَّتْ عَلَى الْمَخِيلَةِ إِلَّا ... أَذْكَرَتْنِي مَا كَانَ مِنْ أَيَّامِي (٩)
ذَاكَ عَصْرٌ خَلَا وَأَبْقَى حَدِيثاً ... نَتَعَاطَاهُ بَيْنَنَا كَالْمُدَامِ (١٠)
كُلَّمَا زَحْزَحَتْ بَنَانَةُ فِكْرِيَ ... عَنْهُ سِتْرَ الْخَيَالِ لَاحَ أَمَامِي (١١)
يَا نَسِيمَ الصَّبَا - فَدَيْتُكَ - بَلِّغْ ... أَهْلَ ذَاكَ الْحِمَى عَبِيرَ سَلَامِي (١٢)
وَاقْضِ عَنِّي حَقَّ الزِّيَارَةِ وَاذْكُرْ ... فَرْطَ وَجْدِي بِهِمْ وَطُولَ سَقَامِي (١٣)
أَنَا رَاضٍ مِنْهُمْ بِذُكْرَةِ وُدٍّ ... أَوْ كِتَابٍ إِنْ لَمْ أَفُزْ بِلِمَامِ (١٤)

---

(٧) الخلاج : الشك ، أو الظن . واليقين : العلم الذي لا شك فيه ، وهو خلاف الخلاج . وغره : خدعه . والحليم : صفة من الحلم ، وهو العقل ، والرزانة . والأوهام : الظنون ، والأخيلة .

(٨) خطرات : جمع خطرة ، من خطر له الأمر ، أي لاح في فكره ، أو مرّ بباله ؛ ويراد بالخطرات هنا : ذكريات الحب . ومرآة قلبي : أي قلبي الشبيه بالمرآة ، ويراد بالقلب هنا : الذهن ، أو العقل .

(٩) تجلتْ : بدتْ ، وبانت . والمخيلة : الظن ، ويراد بها قوة التخيل والتذكّر . وأذكرتني : جعلتني أتذكر . ويريد بأيامه : أيام حبه وغرامه .

(١٠) العصر : الزمان ، ويراد به زمن الهوى والحب . وخلا : مضى . وأبقى : خلّد . ويراد بالحديث : أخبار الحب . ونتعاطاه : نتناوله ونأخذه . والمدام : الخمر .

(١١) البنانة : الإصبع ، أو طرفها . والفكر : النظر .

(١٢) النسيم : الريح اللطيفة . والصبا : ريح تهب من مشرق الشمس . والحمى : المكان يحمى ويصان ويدافع عنه . وأهل ذاك الحمى : أحباؤه الذين تعلّق بهم ، وتاقت نفسه إلى لقائهم . والعبير : أخلاط من الطيب .

(١٣) اقض : أمر من قضى عنه الحق ، أي أدّاه ووفّاه . وحقّ الزيارة : الزيارة الواجبة عليَّ المستحقّة لهم . والفرط : مجاوزة الحد . والوجد : الحب .

(١٤) الذكرة (بضم فسكون) : ضد النسيان . والود : المودة والمحبة . وذكرة الود : أن يذكروه بمودتهم ومحبتهم . والكتاب : الرسالة ، والخطاب . واللمام : اللقاء اليسير ، والزيارة القصيرة .

هُمْ أَبَاحُوا الْهَوَى حَرِيمَ فُؤَادِي   وَأَذَلُّوا لِلْعَاذِلِينَ خِطَامِي[15]
أَتَمَنَّاهُمُ وَدُونَ التَّلَاقِي   قُذُفَاتٌ مِنْ لُجٍّ أَخْضَرَ طَامِي[16]

صَائِلُ الْمَوْجِ كَالْفُحُولِ تَرَاغَى   مِنْ هِيَاجٍ وَتَرْتَمِي بِاللُّغَامِ[17]
وَتَرَى السُّفْنَ كَالْجِبَالِ تَهَادَى   خَافِقَاتِ الْبُنُودُ وَالأَعْلامِ[18]

تَعْتَلِي تَارَةً وَتَهْبِطُ أُخْرَى   فِي فَضَاءٍ بَيْنَ السُّهَا وَالرَّغَامِ[19]
هِيَ كَالدُّهْمِ جَامِحَاتٌ وَلَكِنْ   لَيْسَ يُثْنَى جِمَاحُهَا بِلِجَامِ[20]

---

(١٥) أباحوا الهوى حريم فؤادي : أي كان قلبي محرّماً فأهدروا حرمته، وجعلوه حلالاً مباحاً للحب والغرام، يستولي عليه، ويحتلّه، ويستعبده. والعاذلون: اللائمون. والخطام: الزمام، والمقْوَد. ومن المجاز: وضع الخطام على أنف فلان: أي ملكه، وأذلّه، واستبدّ به.

(١٦) أتمناهم : أي أتمنى لقاءهم . والقذفات : جمع قذفة (بوزن غرفة) ، وهي ما برز وأشرف من الجبل. وقذفات البحر: ما علا من أمواجه وارتفع كالجبال . واللجّ : معظم البحر أو عُرْضه ووسطه . وبحر لجيّ : واسع زاخر ، عظيم ، متموّج . والأخضر : البحر ، لأن ماءه يضرب إلى الخضرة من صفائه . وطام : اسم فاعل من طما ، أي امتلأ .

(١٧) صائل : اسم فاعل من صال ، أي وثب . والفحول : جمع الفحل ، وهو الذكر القويّ من كل حيوان . وتراغت الإبل : تصايحت . واللغام (بضم اللام) : زبد أفواه الإبل .

(١٨) تهادى : تتمايل في سيرها . وخافقات : من خفقت الراية ونحوها ، أي تحركت ، واهتزت . والبنود والأعلام : الرايات .

(١٩) السُّها : كوكب . والرغام (بفتح الراء) : التراب ، ويراد به هنا : قعر البحر .

(٢٠) « هي » : أي السفن . والدهم : الخيل السود ، جمع أدهم ودهماء . وجامحات : عاتيات ، عاصيات . ومن المجاز : جمحتْ السفينة ، أي تركتْ قصدها ؛ فلم يضبطها ملاحوها . ويثنى : يُكفّ ، ويُمنع .

شَبَّه تلك السفن في ذلك البحر الصائل الموج بالخيل الجامحة . وقال : إذا استطاع الفارس أن يكبح جماح فرسه باللجام ، فإن الملاحين لا يستطيعون حيلة ، ولا يهتدون سبيلا لكبح جماح السفين إذا جمحتْ ؛ لأنها إنما تضطرب باضطراب البحر ، وتهدأ بهدوئه ، ولا قدرة للرُّبّان وأعوانه على تهدئة البحر إذا هاج .



كُــلُّ أُرْجُــوحَــةٍ تَــرَى الْـقَــوْمَ فِيـهَــا خُـشَّـعَـاً بَـيْـنَ رُكَّـعٍ وَقِـيَـامِ [٢١]
لَا يُـفِـيـقُــونَ مِـنْ دُوَارٍ فَـهَـاوٍ لِـيَـدَيْـهِ وَرَاعِـفُ الأَنْـفِ دَامِي [٢٢]

يَـسْـتَـغِـيـثُـونَ فَـالْـقُـلُوبُ هَـوَافٍ حَـذَرَ الْمَـوْتِ وَالْعُيُـونُ سَـوَامِي [٢٣]
فِـي وِعَـاءٍ يَـحْـدُونَـهُ بِـدُعَـاءٍ لِجَـلَالِ الْمُـهَـيْـمِنِ الْـعَـلَّامِ [٢٤]

ذَاكَ بَـحْـرٌ يَـلِيـهِ بَـرٌّ تَـرَامَـى فِيـهِ خُـوصُ الْمَطِيِّ مِثْـلَ النَّعَامِ [٢٥]
فَـسَـوَادِي بِـمِـصْـرَ ثَـاوٍ وَقَـلْـبِي فِي إِسَـارِ الْهَـوَى بِـأَرْضِ الشَّـآمِ [٢٦]
أَخْـدَعُ الـنَّفْسَ بِـالْـمُنَى وَهْيَ تَـأْبَى وَخِـدَاعُ الْـمُـنَـى غِـذَاءُ الأَنَـامِ [٢٧]

---

(٢١) الأرجوحة : ما تترجّح براكبها ، أي تهتزّ ، وتميل . ويراد بالأرجوحة هنا : السفينة يعبث بها تموّج البحر . وخشّعاً : جمع خاشع ، اسم فاعل من خشع ، ويراد بالخشوع هنا : الخوف .

(٢٢) لا يفيقون : لا ينتبهون . والدوار (بضم الدال وفتحها) : الدوران يأخذ في الرأس ، ومنه دوار البحر ، وهو ما يصيب راكبه من الغشية والذهول . وهاو : ساقط . وراعف : من رعف ، أي خرج الدم من أنفه .

(٢٣) يستغيثون : يطلبون الغوث . وهواف : جمع هاف ، اسم فاعل من هفا الفؤاد ، أي خفق ، واضطرب . وسوام : جمع سامية ، اسم فاعل من سما البصر ، أي شخص ، ولم يطرف . وسموّ البصر أو شخوصه من أمارات غلبة الخوف ، وشدة الفزع .

(٢٤) الوعاء : يراد به هنا : السفينة . وحدا الإبل يحدوها : ساقها ، وحثّها على السير بالحداء ، وهو الغناء لها .
شبّه السفن بالإبل ، وقال : إن ركّابها يحدونها بالدعاء يتجهون به إلى الله تعالىٰ ، وهم بهذا الدعاء يعالجون الخوف والبلاء ويرجون السلامة والنجاة .

(٢٥) يليه : يدنو منه ويقرب . وترامى : تتتابع وتتوالى . وبعير أخوص : أي عيونها صغيرة ، ضيقة . والمطيّ : المطايا ، وهي ما يمتطى ، أي يركب من الدوابّ . والنعام : جمع النعامة .

(٢٦) سوادي : شخصي وجثماني . وثاو : مقيم ، مستقر . والإسار : سير يقدّ من الجلد ، ويقيّد به الأسير ونحوه . يقول : إن جثمانه مقيم بمصر ، ولكن فؤاده أسير الغرام بأرض الشام .

(٢٧) أخدع النفس : أغرّها ، وأمنّيها . والمنى : الأماني والآمال . وتأبى : المراد تأبى الانخداع ، وترفض الخديعة .



فَمَتَى يَسْمَحُ الزَّمَانُ فَأَلْقَى بِـ « شَكِيبٍ » مَا فَاتَنِي مِنْ مَرَامِ (٢٨)

هُوَ خِلٌّ لَبِسْتُ مِنْهُ خِلاَلاً عَبِقَاتٍ كَالنَّوْرِ فِي الأَكْمَامِ (٢٩)

صَادِقُ الْوُدِّ لاَ يَخِيسُ بِعَهْدٍ وَقَلِيلٌ فِي النَّاسِ رَعْيُ الذِّمَامِ (٣٠)

جَمَعَتْنَا الآدَابُ قَبْلَ التَّلاَقِي بِنَسِيمِ الأَرْوَاحِ لاَ الأَجْسَامِ (٣١)

وَبَلَغْنَا بِالْوُدِّ مَا لَمْ يَنَلْهُ بِحَيَاةِ الْقُرْبَى ذَوُو الأَرْحَامِ (٣٢)

فَلَئِنْ لَمْ نَكُنْ بِأَرْضٍ فَإِنَّا لاِتِّصَالِ الْهَوَى بِدَارِ مُقَامِ (٣٣)

وَائْتِلاَفُ النُّفُوسِ أَصْدَقُ عَهْداً مِنْ لِقَاءٍ لَمْ يَقْتَرِنْ بِدَوَامِ (٣٤)

---

(٢٨) هذا هو البيت الأول من الأبيات الصريحة في المديح ، وهو الغرض الأصلي الأساسي من هذه القصيدة . وسمح له بحاجة : يسّرها له ، وقضاها . والمرام : المطلب ، والمراد .

(٢٩) هو : أي ممدوحه الأمير شكيب أرسلان . والخل (بكسر الخاء وضمها) : الصديق المختص . والخلال : الخصال ، واحدتها خلة . ويراد بالخلال هنا : مناقب الممدوح ، وخصائله الحميدة . وعبقات : عطرات ذكيات . والنور : الزهر ، أو الأبيض منه . والأكمام : جمع كمّ ، وهوالغلاف الذي يحيط بالزهرة .

(٣٠) الود : المودة والمحبة . وخاس بالعهد : نقضه ، ونكثه . والعهد : الموثق . ورعي الذمام : حفظه .

(٣١) الآداب : جمع الأدب ، وهو البليغ الجميل من النظم والنثر . والبارودي وشكيب كلاهما شاعر ، ناثر ، نابه . وقد ألَّفتْ بين قلبيهما صناعة الشعر ، ومزاولة الأدب ، وجمعتاهما على الوداد والتحابّ قبل أن يتلاقيا ويتراءيا . ونسيم الأرواح : قوتها .

(٣٢) ذوو الأرحام : أصحاب القرابات ، كالإخوة ، وأولاد الأعمام .

يقول : إن المودة الصادقة ، والمحبة الخالصة جعلتاهما إلفين متآلفين ، تجمعهما صلات وأواصر أقوى وأمتن من صلات ذوي الأرحام .

(٣٣) ولئن لم نكن بأرض : أي لئن لم تجمعنا الآن أرض واحدة ، فإننا ، بسبب اتصال الهوى ، ومن أجل توثّق المحبة والمودة بيننا ، بدار مقام . وبدار مقام : أي بدار واحدة من دور الإقامة .

(٣٤) ائتلاف النفوس : توافقها ، واجتماعها على الأنَسَة والمحبة . والعهد : الموثق . وكرم العهد : رعاية المودة .

والمعنى : أن تعارف الأرواح وتوافقها أصدق عهداً من أن يتلاقى الأشخاص تلاقياً عابراً محدوداً موقوتاً ، لا بقاء له ، ولا دوام .



أَلْـمَـعِـيٌّ لَـهُ بَـدِيـهَـةُ رَأْيٍ تُـدْرِكُ الْـغَـيْـبَ مِنْ وَرَاءِ لِـثَـامِ [٣٥]

وَقَــرِيضٌ كَـمَـا وَشَـتْ نَـسَـمَـاتٌ بِـضَمِيـرِ الأَزْهَـارِ إِثْـرَ الْغَـمَـامِ [٣٦]

هَـزَّنِـي شِـعْـرُهُ فَـأَيْـقَظَ مِـنِّـي فِكْـرَةً كَـانَ حَـظُّهَـا فِي الْمَنَامِ [٣٧]

سُـمْتُـهَـا الْقَـوْلَ بَـعْـدَ لأْيٍ فَبَضَّتْ بِـيَـسِـيـرٍ لَـمْ يَـرْوِ عُـودَ ثُـمَـامِ [٣٨]

فَـارْضَ مِـنِّي بِـمَـا تَـيَـسَّـرَ مِـنْـهَـا رُبَّ ثَـمْـدٍ فِيـهِ غِـنـىً عَـنْ جِمَـامِ [٣٩]

وَلَـوْ أَنِّـي أَرَدْتُ شَـرْحَ وِدَادِي وَاشْتِيَـاقِي لَضَـاقَ وُسْـعُ الْكَـلَامِ [٤٠]

أَنَـا أَهْـوَاكَ فِطْـرَةً لَـيْسَ فِـيـهَـا مِـنْ مَـسَـاغٍ لِـلنَّـقْضِ وَالإِبْـرَامِ [٤١]

وَإِذَا الْـحُـبُّ لَـمْ يَـكُـنْ ذَا دَوَاعٍ كَـانَ أَرْسَى قَـوَاعِـداً مِنْ شَمَـامِ [٤٢]

---

(٣٥) ألمعيّ : أي ذكيّ ، متوقّد الذهن ، صادق الفراسة . والبديهة : سداد الرأي عند المفاجأة . واللثام : الحجاب والستار .

(٣٦) القريض : الشعر . ووشى به : سعى به ، ونمّ عليه . والمراد بالوشي أو الوشاية هنا : النشر ، والإذاعة . وضمير الأزهار : ما تضمره وتخفيه ، أي ما يكون كامناً فيها من روائحها العطرية الذكية . والغمام : السحاب ، ويراد به المطر .

(٣٧) هزني شعره : أطربني ، وحرك مشاعري .

(٣٨) سمتها القول : سمت الفكرة القول ، أي أردته منها ، وألزمتها به . وبعد لأي : أي بعد جهد ومشقة . وبضّتْ : رشحتْ ، ونضحتْ ، والمراد أنتجتْ إنتاجاً قليلاً ضئيلاً . وبضّتْ عينه : أي دمعت قليلاً . وبيسير : بقليل ضئيل . وأرواه : سقاه. والثمام (بضم الثاء) : نبت ضعيف ، لا يطول ، فروعه مزدحمة متجمعة .

(٣٩) منها : أي من الفكرة ، أي من الشعر القليل الذي أنتجتْه فكرتي . والثمد (بفتح فسكون) : الماء القليل الذي ليس له مدد . والجمام : الكثير المجتمع من كل شيء . وجمام الماء : معظمه ، وكثرته .

(٤٠) الوسع (بضم فسكون) : الطاقة ، والقوّة . ووُسْع الكلام : مجاله ونطاقه .

(٤١) أهواك : أحبك ، والخطاب لصديقه وممدوحه « شكيب » . وفطرة الإنسان : صفته الطبيعية . وأهواك فطرة : أي أحبك حباً فطرياً طبيعياً ، خالصاً نقياً . وليس فيها : ليس في الفطرة . والمساغ : المدخل ، والمنفذ . ونقض ما أبرمه غيره : أي أبطله . والإبرام : ضد النقض .

(٤٢) الدواعي : الأسباب ، والدوافع . وحب ذو دواع : أي حب متكلّف ، غير خالص . وأرسى : أثبت . وشمام : جبل .



فَتَقَبَّلْ شُكْرِي عَلَى حُسْنِ وُدٍّ ... رُحْتُ مِنْهُ مُقَلَّدًا بِوِسَامِ (٤٣)

أَتَبَاهَى بِهِ إِذَا كَانَ غَيْرِي ... يَتَبَاهَى بِزِينَةِ الإِنْعَامِ (٤٤)

دُمْتَ فِي نِعْمَةٍ تَرِفُّ حُلاَهَا ... فَوْقَ فَرْعٍ مِنْ طِيبِ أَصْلِكَ نَامِي (٤٥)

وَقَالَ يَشْكُرُ الأَمِيرَ شَكِيبَ أَرْسَلان(*) :

أَشَدْتَ بِذِكْرِي بَادِئاً وَمُعَقِّبَاً ... وَأَمْسَكْتُ لَمْ أَهْمِسْ وَلَمْ أَتَكَلَّمِ (١)

وَمَا ذَاكَ ضَنّاً بِالْوِدَادِ عَلَى امْرِئٍ ... حَبَانِي بِهِ لَكِنْ تَهَيَّبْتُ مَقْدَمِي (٢)

فَأَمَّا وَقَدْ حَقَّ الْجَزَاءُ فَلَمْ أَكُنْ ... لأَنْطِقَ إِلاَّ بِالثَّنَاءِ الْمُنَمْنَمِ (٣)

---

(٤٣) « حسن الود » : المحبة والمودة الخالصة . ورحتُ : صرتُ . وقلّده القلادة : جعلها في عنقه . وقلّده نعمة : أعطاه عطية ، أو أسدى إليه معروفاً . والوسام : السمة أو العلامة ويطلق على حلية أو نحوها ، يمنحها رئيس الدولة من امتاز بعمل يستحق من أجله التمجيد والتكريم .

(٤٤) يقول : إذا كان غيري يفخر بما أنعم عليه من أوسمة وقلائد ونحوها ، فإني أفخر بودّ هذا الممدوح وأخوّته وصداقته ، وما أولاني إياه من ثقة وإطراء .

(٤٥) رفت عليه النعمة ، أو السعادة : زكتْ ، وكثرتْ ، واتسعتْ . وحلى النعمة : نضارتها ، وبهجتها .

(*) كان الأمير « شكيب أرسلان » ذكر أبياتاً لصاحب هذا الديوان في بعض مقالاته الأدبية التي كان يراسل بها جريدة الأهرام ، وأثنى على قائلها من غير أن يصرح باسمه .

ثم أورد له بعد ذلك أبياتاً في مقالة أخرى ، نوّه فيها باسمه ؛ فقال يشكره على ذلك . وأرسل إليه بهذه الأبيات ، وبالرسالة بعدها .

(١) أشاد بذكره : رفعه بحسن الثناء عليه . وأمسك عن الأمر : كفّ عنه ، وامتنع .

(٢) الضنّ : البخل . وحباه بكذا : أعطاه إياه بلا عوض أو جزاء . وتهيّبه : حذره ، وخافه ، واتّقاه . ومقدمي : إقدامي وإقبالي .

ومعنى هذا البيت والذي قبله : أن الممدوح ، وهو الأمير « شكيب أرسلان » نوّه بالبارودي ، وعظّمه ، وتودّد إليه ، ورفعه بحسن الثناء عليه بَدْءاً وعَوْداً ، فأمسك البارودي برهة عن شكره ، تهيّباً له ، لا بخلاً بالوداد ، ولا تقصيراً فيه .

(٣) « حقّ » : ثبت ، ووجب . والجزاء : الثواب ، والمكافأة . والثناء : الشكر . والمنمنم : المزخرف .



وَكَيْفَ أُذُودُ الْفَضْلَ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ ... وَأُنْكِرُ ضَوْءَ الشَّمْسِ بَعْدَ تَوَسُّمِ ؟[٤]

وَأَنْتَ الَّذِي نَوَّهْتَ بِاسْمِي وَرِشْتَنِي ... بِقَوْلٍ سَرَا عَنِّي قِنَاعَ التَّوَهُّمِ[٥]

لَكَ السَّبْقُ دُونِي فِي الْفَضِيلَةِ فَاشْتَمِلْ ... بِحُلَّتِهَا فَالْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ[٦]

وَدُونَكَهَا يَا بْنَ الْكِرَامِ حَبِيرَةً ... مِنَ النَّظْمِ سَدَّاهَا بِمَدْحِ الْعُلَا فَمِي[٧]

« هٰذِهِ أَبْيَاتٌ تَفَطَّرتْ[١] بِهَا الْقَرِيحَةُ[٢] بَعْدَ الْعُقْمِ[٣] ، وَتَنَفَّسَتْ لَهَا الطَّبِيعَةُ[٤] بَعْدَ مُعَانَاةِ[٥] السُّقْمِ . جَعَلْتُهَا شُكْراً لِمَا قَرَأْتُهُ فِي الْأَهْرَامِ مِنْ عَوَاطِفِ الْبِرِّ وَالإِكْرَامِ . وَلَوْلَا أَنِّي فِي مَكَانٍ حَرِيدٍ[٦] ، وَقَدْ حَانَ قِيَامُ الْبَرِيدِ[٧] ، لَأَطَلْتُ عِنَانَ[٨]

---

(٤) الاستفهام في أول هذا البيت : معناه النفي ، أي لا سبيل إلى ذَوْد الفضل ، وإنكار ضوء الشمس . وأذود الفضل : أبعده وأمنعه . والفضل والفضيلة : الخير والبرّ . ومستقرّ الفضل : مكان استقراره ، وإقامته . وتوسّمت في فلان الخير توسّماً : أي تفرّسته فيه ، ورأيت فيه أماراته ، وعلاماته . ويراد بالتوسّم هنا : الرؤية والمعرفة التامة اليقينية .

(٥) نوّه باسم فلان : أي شهره ، ورفع شأنه ، وعظّمه . ورشتني : أحسنتَ إليّ ، وتفضّلتَ عليّ . ويراد بالقول هنا : ما قاله الأمير « شكيب أرسلان » ونشره في جريدة الأهرام من تقريظ شعر « البارودي » ، والتنويه باسمه ، والإشادة بذكره . وسرا الشيء عنه : نزعه ، وكشفه .

(٦) الفضيلة : الدرجة الرفيعة في الفضل والخير وحسن الخلُق . واشتمل بالثوب : تلفّف به . والحلة : الثوب الجيد الجديد .

(٧) «دونكها » : خذها ، أي خذ هذه الحبيرة ، وهي الجديدة الناعمة الموشّاة من الثياب . ويراد بالحبيرة من النظم : هذه القصيدة . وسدّاها : نظمها ، وألفها .

(١) تفطّرت القريحة بالأبيات : أنتجتْها ، أو جادت بها .

(٢) وقريحة الإنسان : ملكة يستطيع بها ابتداع الكلام .

(٣) والعقم : ما يمنع النسل . وعقم القريحة : توقّفها عن القول ، ونظم الشعر .

(٤) والطبيعة السجية : يراد بها هنا شاعرية الشاعر ، ويراد بتنفّس الطبيعة : شفاؤها ، وتخلّصها من السقم .

(٥) وعانى السقم ونحوه : كابده ، وقاساه .

(٦) والحريد : المعتزل ، البعيد .

(٧) والبريد (في الأصل) : الدابة التي تحمل الرسائل . ويطلق البريد أيضاً على الرسائل والرسول .

(٨) والعنان : سير اللجام الذي تمسك به الدابة ، ويقاد به الفرس .

الثَّنَاءِ ، وَمَلأْتُ صَدْرَ الإِنَاءِ[٩] . وَلَسَوْفَ أَفِي بِذِمَّةِ[١٠] الْوَعْدِ ، إِنْ أَضَاءَ نَجْمُ السَّعْدِ[١١] . فَاقْبَلْ مِنِّي عَلَى عُدَوَاءِ[١٢] الدَّارِ سَلاماً عَلَى جَنَاحِ الْبِدَارِ »[١٣] .

وَقَالَ يَرْثِي وَالِدَتَهُ ، وَقَدْ وَرَدَ نَعْيُهَا وَهُوَ فِي الْحَرْبِ :

هَوىً كَانَ لِي أَنْ أَلْبَسَ الْمَجْدَ مُعْلَمَا ... فَلَمَّا مَلَكْتُ السَّبْقَ عِفْتُ التَّقَدُّمَا[١]

وَمَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا رَأَى مَا يَسُرُّهُ ... مِنَ الْعَيْشِ هَمّاً يَتْرُكُ الشُّهْدَ عَلْقَمَا[٢]

وَأَيُّ نَعِيمٍ فِي حَيَاةٍ وَرَاءَهَا ... مَصَائِبُ لَوْ حَلَّتْ بِنَجْمٍ لأَظْلَمَا[٣]

إِذَا كَانَ عُقْبَى كُلِّ حَيٍّ مَنِيَّةٌ ... فَسِيَّانِ مَنْ حَلَّ الْوِهَادَ وَمَنْ سَمَا[٤]

وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّا نَرَى الْحَقَّ جَهْرَةً ... وَنَلْهُو كَأَنَّا لاَ نُحَاذِرُ مَنْدَمَا[٥]

يَوَدُّ الْفَتَى فِي كُلِّ يَوْمٍ لُبَانَةً ... فَإِنْ نَالَهَا أَنْحَى لأُخْرَى وَصَمَّمَا[٦]

---

(٩) وملء صدر الإناء : كناية عن الإسهاب في الشكر ، والإطناب في المديح .

(١٠) وذمّة الوعد : حقّه ، وحرمته .

(١١) وإضاءة نجم السعد : كناية عن إسعاد الله له .

(١٢) وعلى عدواء الدار : أي مع بعد الدار .

(١٣) والبدار : المسارعة .

(١) لُبس المجد : تحصيل أسبابه ، والتمكّن منه ، وهو تعبير مجازيّ . ومعلماً : متميزاً ظاهراً . وملكت السبق : أي ملكتُ أسبابه ، وتمكّنتُ منه . وعفْتُ التقدّم : أي زهدتُ فيه .

(٢) الشهد : عسل النحل . والعلقم : كل شيء مُرّ .

(٣) المعنى : أن حياة الإنسان في الدنيا مهددة بكوارث ونكبات ، لو أصابت الكواكب النيرات لأطفأت أضواءها ، وجعلتها ظلمات بعضها فوق بعض ؛ فأنّى له نعيم البال مع هذه الحال .

(٤) عقبى كل شيء : آخره . والمنية : الموت . وسيان : مثلان ، أو متماثلان . وحلّ الوهاد : نزل بها ، جمع وهدة ، وهي الأرض المنخفضة . وسما : علا ، وارتفع . والمراد سما إلى القمم والنجاد .

(٥) المعنى : أنه مما يثير الدهش ، ويدعو إلى العجب أن الناس يغترون بزخرف الدنيا وباطلها ، ويغرقون في اللهو واللعب ، وهم يعلمون أن نعيمها سراب خادع ، ولا يحذرون الوقوع في الندم .

(٦) اللبانة : الحاجة من غير فاقة . وأنحى : مال ، وقصد .

طَمَاعَةُ نَفْسٍ تُورِدُ الْمَرْءَ مَشْرَعاً ... مِنَ الْبُؤْسِ لاَ يَعْدُوهُ أَوْ يَتَخَطَّمَا(٧)

أَرَى كُلَّ حَيٍّ غَافِلاً عَنْ مَصِيرِهِ ... وَلَوْ رَامَ عِرْفَانَ الْحَقِيقَةِ لاَنْتَمَى(٨)

فَأَيْنَ الأُلَى شَادُوا وَبَادُوا أَلَمْ نَكُنْ ... نَحُلُّ كَمَا حَلُّوا وَنَرْحَلُ مِثْلَمَا ؟(٩)

مَضَوْا وَعَفَتْ آثَارُهُمْ غَيْرَ ذُكْرَةٍ ... تُشِيدُ لَنَا مِنْهُمْ حَدِيثاً مُرَجَّمَا(١٠)

سَلِ الأَوْرَقَ الْغِرِّيدَ فِي عَذَبَاتِهِ ... أَنَاحَ عَلَى أَشْجَانِهِ أَمْ تَرَنَّمَا ؟(١١)

تَرَجَّحَ فِي مَهْدٍ مِنَ الأَيْكِ لاَ يَنِي ... يَمِيلُ عَلَيْهِ مَائِلاً وَمُقَوَّما(١٢)

يَنُوحُ عَلَى فَقْدِ الْهَدِيلِ وَلَمْ يَكُنْ ... رَآهُ فَيَا لِلَّهِ كَيْفَ تَهَكَّمَا ؟(١٣)

وَشَتَّانَ مَنْ يَبْكِي عَلَى غَيْرِ عِرْفَةٍ ... جِزَافاً وَمَنْ يَبْكِي لِعَهْدٍ تَجَرَّمَا(١٤)

---

(٧) الطماعة : شدة الطمع . وأورده الماء : جعله يرده ، ويُشرف عليه . والمشرع : مورد الماء . ولا يعدوه : لا يتجاوزه ، ولا يتعداه .

(٨) المعنى : أن الموت مصير كل مخلوق حيّ ، وأن غفلة المرء عن الموت غفلة عن مصيره المحتوم . ويراد بعرفان الحقيقة أن يعرف الانسان حقيقة مصيره ليتدبر أمور الموت والحياة وينتفع بهذا التدبر .

(٩) شاد البناء : رفعه وأحكم بنيانه . وبادوا : هلكوا ، وانقرضوا . وحلّ المكان ، وحلّ به : نزل به ، أو سكن فيه . ورحل عنه : غادره وتركه .

(١٠) عفا الأثر : امحى . وآثار السابقين : ما خلّفوه من ديار . والذكرة (بضم فسكون) : الشيء يجري على اللسان ، بعد نسيانه . وتُشيد : المراد تَروي ، وتحدّث . وحديث مرجّم : مظنون غير مستيقن .

(١١) الأورق : الطائر الرماديّ اللون ، ومؤنثه الورقاء . والعذبات : الأغصان . وناحت الحمامة : سجعتْ . وترنّم : رجّع صوته ، وطرّب به .

(١٢) ترجّح : تحرّك . ومهد الطائر : ما يألفه ، ويسكنه . والأيك : جمع أيكة ، وهي الشجر الكثير الملتفّ الكثيف . ولا يني : لا يفتر ، ولا يكلّ . ويميل عليه : أي يهتزّ فوقه ، ويتحرّك . وقوّمه تقويماً : أي عدّله ، وأزال ميله وعوجه .

(١٣) الهديل : أب للحمام ، أو فرخ كان على عهد نوح عليه السلام ، ثم مات عطشاً ، وضيعه ، أو صاده جارح من جوارح الطير؛ فما من حمامة إلا وهي تحنّ إليه ، وتبكي عليه . و « يا لله » أسلوب استغاثة . وتهكّم : تندّم ، أي تحسّر . والمراد سجع وهدر وناح .

(١٤) عِرفة : معرفة . وبكاه جزافاً : أي بكاه على غير معرفة . والعهد : الزمان . وتجرّم : مضى ، وانقضى .

لَعَمْـرِي لَقَـدْ غَـالَ الـرَّدَى مَنْ أُحِبُّـهُ وَكَـانَ بِـوُدِّي أَنْ أَمُـوتَ وَيَسْلَمَـا(١٥)

وَأَيُّ حَـيَـاةٍ بَـعْـدَ أُمٍّ فَـقَـدْتُـهَـا كَمَا يَفْقِدُ الْمَرْءُ الزُّلَالَ عَلَى الظَّمَا(١٦)

تَـوَلَّتْ فَـوَلَّى الصَّبْـرُ عَنِّي وَعَـادَنِي غَـرَامٌ عَلَيْهَـا شَفَّ جِسْمِي وَأَسْقَمَـا(١٧)

وَلَـمْ يَـبْـقَ إِلَّا ذُكْـرَةٌ تَـبْـعَـثُ الأَسَـى وَطَيْفٌ يُـوَافِينِي إِذَا الـطَّرْفُ هَـوَّمَـا(١٨)

وَكَـانَـتْ لِعَـيْنِـي قُـرَّةً وَلِـمُـهْـجَتِـي سُرُوراً فَخَابَ الطَّرْفُ وَالْقَلْبُ مِنْهُمَا(١٩)

فَلَوْلَا اعْتِقَـادِي بِـالْقَضَـاءِ وَحُكْمِـهِ لَقَـطَّعْتُ نَفْسِي لَهْـفَـةً وَتَنَـدُّمَـا(٢٠)

فَـيَـا خَبَـراً شَـفَّ الْفُـؤَادَ فَـأَوْشَـكَـتْ سُـوَيْـدَاؤُهُ أَنْ تَسْتَحِيـلَ فَتَسْجُمَـا(٢١)

إِلَيْـكَ فَقَـدْ ثَـلَّمْتَ عَـرْشـاً مُـمَـنَّـعـاً وَفَلَّلْتَ صَمْصَـامـاً وَذَلَّلْتَ ضَيْغَمَـا(٢٢)

أَشَـادَ بِـهِ النَّـاعِي وَكُـنْتُ مُـحَـارِبـاً فَأَلْقَيْتُ مِنْ كَفِي الْحُسَامَ الْمُصَمِّمَا(٢٣)

---

(١٥) غال : اغتال وأهلك .
(١٦) الزلال : الماء العذب الصافي . والظمأ : شدة العطش .
(١٧) تولّى ، وولّى : أدبر ، وذهب . وعادني : أتاني . والغرام : أي التعلّق الشديد ، ويراد به هنا : الأسى والحزن الشديد . وشفّه الهمّ أو الحبّ : هزله وأنحله . وأسقمه : أمرضه .
(١٨) الذكرة : التذكر . والأسى : الحزن . والطيف : الخيال . ويوافيني : يأتيني ، أو يفاجئني . والطرف : العين . وهوّم تهويماً : نام نوماً خفيفاً . وتهويم عينيه : وَسَنه ، ونعاسه .
(١٩) القرة : البهجة والسرور . والمهجة : الروح والنفس . وخاب : خسر . والطرف : العين .
(٢٠) « الاعتقاد بالقضاء » : الايمان به . ويراد به هنا : قضاء الموت وقَدَره . واللهفة : الحزن . والتندم : مصدر تندّم على الشيء ، أي تحسّر عليه .
(٢١) يريد بالخبر : نبأ الموت . وشفّه الهمّ والمرض ونحوهما : أوهنه ، وأضناه . وتستحيل : تتحوّل ، وتتغيّر . وتسجم : تسيل ، وتنصبّ .
(٢٢) إليك : اسم فعل أمر بمعنى تنحَّ عني . وثلمت : كسرت وحطمت . والعرش : العز . والممنع : المنيع الحصين . وثلم عرشه الممنع : أي أوهى ما كان قوياً من أمره وضعضعه . وفللت : كسرت وحطمت . والصمصام : السيف الصارم ، الحاد القاطع . وذللت : اضعفت . والضيغم : الأسد الواسع الشدق .
(٢٣) أشاد بالشيء : أعلنه ، ورفع به صوته . والمصمم : القاطع .

وَطَارَتْ بِقَلْبِي لَوْعَةٌ لَوْ أَطَعْتُهَا لأَوْشَكَ رُكْنُ الْمَجْدِ أَنْ يَتَهَدَّمَا(٢٤)

وَلَكِنَّنِي رَاجَعْتُ حِلْمِي لأَنْثَنِي عَنِ الْحَرْبِ مَحْمُودَ اللِّقَاءِ مُكَرَّمَا(٢٥)

فَلَمَّا اسْتَرَدَّ الْجُنْدَ صِبْغٌ مِنَ الدُّجَى وَعَادَ كِلَا الْجَيْشَيْنِ يَرْتَادُ مَجْثِمَا(٢٦)

صَرَفْتُ عِنَانِي رَاجِعاً وَمَدَامِعِي عَلَى الْخَدِّ يَفْضَحْنَ الضَّمِيرَ الْمُكَتَّمَا(٢٧)

فَيَا أُمَّتَا زَالَ الْعَزَاءُ وَأَقْبَلَتْ مَصَائِبُ تَنْهَى الْقَلْبَ أَنْ يَتَلَوَّمَا(٢٨)

وَكُنْتُ أَرَى الصَّبْرَ الْجَمِيلَ مَثُوبَةً فَصِرْتُ أَرَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَأْثَمَا(٢٩)

وَكَيْفَ تَلَذُّ الْعَيْشَ نَفْسٌ تَدَرَّعَتْ مِنَ الْحُزْنِ ثَوْباً بِالدُّمُوعِ مُنَمْنَمَا ؟(٣٠)

تَأَلَّمْتُ فِقْدَانَ الأَحِبَّةِ جَازِعاً وَمَنْ شَفَّهُ فَقْدُ الْحَبِيبِ تَأَلَّمَا(٣١)

وَقَدْ كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَرَاكِ سَقِيمَةً فَكَيْفَ وَقَدْ أَصْبَحْتِ فِي التُّرْبِ أَعْظُمَا(٣٢)

بَلَغْتِ مَدَى تِسْعِينَ فِي خَيْرِ نِعْمَةٍ وَمَنْ صَحِبَ الأَيَّامَ دَهْراً تَهَدَّمَا(٣٣)

---

(٢٤) طارتْ بقلبي : ذهبت به . وركن المجد : عماد العزّ .

(٢٥) راجعت حلمي : رجعت إلى صبري وضبطت نفسي . وأنثني عن الحرب : أعود منها . واللقاء المحمود : هو القائم على الاستبسال ، وحسن البلاء .

(٢٦) الصبغ : يراد به هنا ظلمات الليل ودياجيه . ومجثم : اسم مكان من جثم ، أي لزم مكانه ، فلم يبرح . واستردّ دجى الليل الجند : أي وجد المتحاربون فيما أسدله الليل من ظلماته فرصة مؤقتة ، يرجعون فيها إلى شيء من الراحة .

(٢٧) « صرفت عناني راجعاً » : كناية عن عودته ورجوعه من القتال . وكتّم الشيء تكتيماً : بالغ في كتمانه وستره .

(٢٨) يا أمّتا : يا أُمّتي ، أي يا أُمّي . ويتلوّم القلب: يصبر.

(٢٩) الصبر الجميل : هو الصبر الذي لا يساوره الجزع . والمثوبة : الثواب ، وحسن الجزاء . والمأثم : مصدر أثم ، أي عمل ما لا يحلّ .

(٣٠) تدرّعتْ : لبستْ الدرع ، وهو القميص أو الثوب . ونمنمه : زخرفه ، وزيّنه .

(٣١) « جازعاً » : لم يجد صبراً ، والجزع أبلغ من الحزن ؛ أو هو الحزن الذي يصرف الإنسان عما هو بصدده . وشفّه الهمّ أو الوجد : أوهنه ، وبراه ، وأضناه .

(٣٢) الأعظم : العظام ، واحدها عظم ، مثل سهم ، وأسهم ، وسهام .

(٣٣) المدى : الأمد . وبلغت مدى تسعين : أي عشت في الدنيا تسعين سنة . والنعمة : الحالة الحسنة التي يستلذها الإنسان .

إِذَا زَادَ عُـمْـرُ الْـمَـرْءِ قَـلَّ نَـصِيبُـهُ ... مِنَ الْعَيْشِ وَالنُّقْصَانُ آفَةُ مَنْ نَمَا[٣٤]

فَيَـا لَيْتَنَـا كُنَّـا تُـرَابَـاً وَلَـمْ نَـكُـنْ ... خُلِقْنَـا وَلَمْ نَقْدَمْ إِلَى الـدَّهْرِ مَقْـدَمَـا[٣٥]

أَبَى طَبْـعُ هَـذَا الـدَّهْـرِ أَنْ يَتَكَـرَّمَـا ... وَكَيْفَ يَدِي مَنْ كَانَ بِالْبُخْلِ مُغْرَمَا ؟[٣٦]

أَصَـابَ لَـدَيْـنَـا غِـرَّةً فَـأَصَـابَـنَـا ... وَأَبْصَـرَ فِينَـا ذِلَّـةً فَـتَـحَـكَّـمَـا[٣٧]

وَكَيْفَ يَصُـونُ الـدَّهْـرُ مُهْجَةَ عَـاقِـلٍ ... وَقَـدْ أَهْلَكَ الْحَيَّيْنِ عَـاداً وَجُـرْهُـمَـا[٣٨]

هُـوَ الأَزْلَمُ الْخَـدَّاعُ يَـخْفِـرُ إِنْ رَعَـى ... وَيَغْـدِرُ إِنْ أَوْفَى وَيُـصْمِـي إِذَا رَمَى[٣٩]

فَكَمْ خَـانَ عَهْـداً وَاسْتَبَـاحَ أَمَـانَـةً ... وَأَخْلَفَ وَعْـداً وَاسْتَحَـلَّ مُحَـرَّمَـا[٤٠]

فَـإِنْ تَـكُنِ الأَيَّـامُ أَخْـنَتْ بِـصَـرْفِهَـا ... عَلَيَّ فَـأَيُّ النَّـاسِ يَبْقَى مُسَلَّمَـا ؟[٤١]

وَإِنِّـي لأَدْري أَنَّ عَـاقِـبَـةَ الأَسَـى ... وَإِنْ طَـالَ لاَ يُـرْوِي غَلِيـلاً تَضَـرَّمَـا[٤٢]

---

(٣٤) العيش : المعيشة ، والحياة . والآفة : كل مـا يصيب شيئاً فيفسده . ونما : زاد وكثر . و « النقصان آفة من نما » : في معنى « لكل شيء إذا ما تمّ نقصان » .

(٣٥) العبارتان : « ولم نكن خلقنا » « ولم نقدم إلى الدهر » : كلتاهما تفسير وتأكيد لمعنى : « فيا ليتنا كنا تراباً » .

(٣٦) ودى القاتل القتيل : أعطى وليّه أو أهله ديته ، وهي العوض الماليّ . والمغـرم : المولـع بالشيء ، لا يصبر على مفارقته .

يقـول : ليس في طبع الـدهر شيء من التكـرّم ، أو الخيـر . ولكن في طبيعتـه الشرّ والشوائن . وإنه ليقتل ، ويسيء ، ويصيب ، ويبخل كلّ البخل بالدية ، أو التعويض .

(٣٧) الغرّة : الغفلة . وتحكم : استبد .

(٣٨) عاقل : لاجىء ، والمراد : لاجىء إلى الدهر ، متحصّن به ، أو هو اسم فاعل من عقل ، أي تميّز بالعقل والإدراك . والمعنى : أن عقل العاقل لا يصونه من غوائل الدهر .

(٣٩) الأزلم : الدهر الشديد ، الكثير البلايا والأحداث . ويخفـر : يغدر ، ويخـون . ورعاه : حفظه ، وحماه .

(٤٠) البيت تكرار ، وتأكيد ، وتفصيل ، وتمثيل لمعنى البيت السابق .

(٤١) أخنى عليه الدهر : أتى عليه ، وأهلكه . وصرف الدهر : نوائبه ومصائبه . وأخنتْ عليه الأيام والليالي بصرفها : أي صبّت عليه بلاياها ، وأصابتْه بكوارثها .

(٤٢) الغليل : شدة العطش ، وحرارته . وتضرّم : اشتدّ ، وجاوز الحدّ .

وَلَـكِنَّهَـا نَفْسٌ تَـرَى الصَّبْـرَ سُبَّـةً   عَلَيْهَـا وَتَـرْضَى بِـالتَّلَهُّفِ مَغْنَمَـا[٤٣]

وَكَيْـفَ أَرَانِـي نَـاسِيـاً عَـهْـدَ خُـلَّةٍ   أَلِفْتُ هَـوَاهَـا نَـاشِئـاً وَمُحَكَّمَـا[٤٤]

وَلَـوْلاَ أَلِيمُ الْخَـطْبِ لَمْ أَمْـرِ مُـقْلَةً   بِـدَمْعٍ وَلَمْ أَفْغَـرْ بِقَـافِيَـةٍ فَمَـا[٤٥]

فَيَـا رَبَّةَ الْقَبْـرِ الْكَـرِيمِ بِمَـا حَـوَى   وَقَتْـكِ الـرَّدَى نَفْسِي وَأَيْنَ وَقَلَّمَـا[٤٦]

وَهَـلْ يَسْتَطِيـعُ الْمَرْءُ فِـدْيَـةَ رَاحِـلٍ   تَخَـرَّمَـهُ الْمِقْـدَارُ فِيمَنْ تَخَـرَّمَـا ؟[٤٧]

سَقَتْـكِ يَـدُ الـرِّضْوَانِ كَـأْسَ كَـرَامَـةٍ   مِنَ الْكَوْثَرِ الْفَيَّاضِ مَعْسُولَـةَ اللَّمَى[٤٨]

وَلاَ زَالَ رَيْـحَـانُ الـتَّـحِيَّـةِ نَـاضِـراً   عَلَيْـكِ وَهَفَّـافُ الـرِّضَـا مُتَنَسِّمَـا[٤٩]

لِيَبْـكِ عَـلَيْـكِ الْقَـلْبُ لاَ الْعَـيْنُ إِنَّـنِي   أَرَى الْقَلْبَ أَوْفَى بِـالْعُهُـودِ وَأَكْـرَمَـا[٥٠]

---

(٤٣) السُبّة : العار . والمغنم : الغنيمة .

(٤٤) أراني ناسياً : أظنني ناسياً . والعهد : الوفاء ، والمودة ، وهو أيضاً : الزمان . والخلة : الخليل والصديق . وألفه : أنس به ، وأحبه . والناشىء : الغلام جاوز حدّ الصغر . والمحكّم : الشيخ المجرّب .

(٤٥) الخطب : الأمر الشديد ، والمصيبة . ومرى مقلته بالدمع : أي أرسل الدمع من عينيه غزيراً . وفغر فمه : فتحه . وفغر فمه بقافية : أي نطق بشعر .

(٤٦) ربّة القبر : صاحبته . ووقاه الله السوء : حفظه ، وصانه . والردى : الهلاك . و« وقتْك الردى نفسي » : أي وقيتك بنفسي من الردى .

(٤٧) الفدية : ما يقدّم من مال ونحوه لتخليص المفدى . وتخرّمه : استأصله ، وأهلكه ، وأفناه . والمقدار : القدر ، ويراد به : قضاء الموت .

(٤٨) الرضوان : الرضا الكثير . والمراد : رضوان الله تبارك وتعالىٰ . والكرامة : التكريم . والكوثر : الخير العظيم ، أو هو نهر عظيم في الجنة . ومعسولة : ممزوجة بالعسل . واللمى : سمرة مستحسنة في باطن الشفة . وقد يطلق اللمى على الريق البارد ، أي اللعاب البارد . ويراد باللمى هنا : الشراب الشهي الذي حوتْه الكأس .

(٤٩) الريحان : نبت ، ذو رائحة ذكية عطرية . وريحان التحية : الريحان الرامز إلى التحية . وناضر : ذو نضرة ، وهي الحسن . وهفّاف : صيغة مبالغة من هفّتْ الريح ، أي هبّتْ ؛ فسمع هفيفها ، أي صوت هبوبها . وريح هفّافة : طيّبة ، سريعة . ومتنسم : طيّب ، معتدل الحركة .

(٥٠) آثر أن يبكي أمّه بقلبه لا بعينيه ، فإن القلب في قمّة البرّ والكرم ، وأعلى مراتب الوفاء بالعهود .

فَـوَالـلَّهِ لَا أَنْسَـاكَ مَـا ذَرَّ شَـارِقٌ ... وَمَـا حَنَّ طَيْـرٌ بِـالأَرَاكِ مُـهَيْنِمَـا[٥١]

عَـلَيْـكَ سَـلاَمٌ لَا لِـقَـاءَةَ بَـعْـدَهُ ... إِلَى الْحَشْرِ إِذْ يَلْقَى الأَخِيرُ الْمُقَـدَّمَا[٥٢]

وَقَالَ يَرْثِي أَحَدَ قُوَّادِ الْجَيْشِ ، وَقَدْ مَاتَ بِأَقْرِيطِشَ(*) :

أَيُّ فَـتـىً لِـلْعَـظِيـمِ نَـنْـدُبُـهُ ... شَـاطَ عَلَى أَنْصُلِ الـرِّمَاحِ دَمُـهْ[١]

أَسْـلَمَـهُ صَـحْـبُـهُ وَمَـا عَـلِمُـوا ... أَنْ سَـوْفَ يَمْحُو وُجُـودَهُمْ عَدَمُـهْ[٢]

زَالَ الأُلَـى حَـاذَرُوا مَـصَـارِعَـهُـمْ ... وَلَمْ تَـزُلْ عَنْ مَكَـانِهَـا قَـدَمُـهْ[٣]

طَـاحَ بِـجُـثْـمَـانِـهِ الـرَّدَى وَرَقَـا ... إِلَـى سَـمَـوَاتِ رَبِّـهِ نَـسَـمُـهْ[٤]

---

(٥١) ذرّتْ الشمس : ظهرتْ أول شروقها . والشارق : الشمس حين تشرق . وحنّ الطير : من الحنين ، وهو صوت الطرب عن حزن وتوجّع ، أو عن شوق وتوقان نفس ، أو فرح وسرور . والأراك : الشجر . ومهينماً : اسم فاعل من هينم ، أي تكلم ، وأخفى كلامه .

(٥٢) لقاءة : بمعنى لقاء . والحشر : مصدر حشر الله الموتى ، أي بعثهم من قبورهم . ويوم الحشر : يوم القيامة . ويراد بالأخير والمقدّم : اللاحقون والسابقون .

(*) « أقريطش » ، وتسمى أيضاً « كريت » : جزيرة مشهورة بالبحر الأبيض المتوسط ، تقع في الجنوبيّ الشرقي من بلاد اليونان ، وقد احتلها الأتراك العثمانيون (من سنة ١٦٤٥ إلى سنة ١٨٩٨م) .

وقد شبّت في وجه الحكم التركي ، ثورة سنة ١٨٦٥م ، بتشجيع روسيا ، ومساعدة اليونان ؛ فأرسلت الدولة العثمانية جيشاً لإخمادها . وبعث الخديوي إسماعيل من مصر نجدة عسكرية ، كان « محمود سامي البارودي » من كبار ضباطها .

(١) قيل إن المرثي بهذه القصيدة هو « إسماعيل سليم » ناظر الجهادية ، والقائد العام للحملة .

أي لن نجد بعد اليوم فتى عظيماً نندبه للأمر العظيم . ونندبه : ندعوه . وشاط دمه : سال ، وتصبب . ونصل الرمح : سنانه الذي يجرح ويقتل . والرماح : جمع الرمح ، وهو قناة في رأسها سنان يطعن به .

(٢) أسلمه : خذله .

(٣) زال عن مكانه : تحول عنه ، وانتقل منه . والألى : الذين . وحاذره : خافه . والمصارع : اسم مكان من صرعه أي قتله ، والذين حاذروا مصارعهم : أي جبنوا ، وحذروا الموت .

(٤) طاح به : أطاحه ، وأهلكه . والردى : الموت . ورقا : سما ، وارتفع . والنسم : جمع نسمة ، وهي النفس والروح .

نِعْمَ فَتَى الْحَرْبِ فِي الْهِيَاجِ إِذْ | شَبَّ لَظَى الْبَأْسَاءِ وَاعْتَلَى ضَرَمُهْ(٥)
قَدْ أَلِفَتْ صُحْبَةَ الْقَنَا يَدُهُ | وَاعْتَادَ « لَبَّيْكَ » فِي السَّمَاحِ فَمُهْ(٦)
لَيْسَ بِهَيَّابَةٍ وَلَا وَكَلٍ | بَلْ صَادِقٌ فِي اللِّقَاءِ مُعْتَرِفُهْ(٧)
إِنْ صَالَ فَلَّ الْعِدَا بِصَوْلَتِهِ | أَوْ قَالَ أَرْوَتْ مُشَاشَنَا كَلِمُهْ(٨)
يَنْكَفِتُ الْجَيْشُ حِينَ يَفْجَؤُهُ | وَيَصْعَقُ الْقِرْنُ حِينَ يَلْتَزِمُهْ(٩)
بَكَى بِدَمْعِ الْفِرِنْدِ صَارِمُهُ | وَانْشَقَّ مِنْ طُولِ حُزْنِهِ قَلَمُهْ(١٠)
فَمَنْ إِلَى مَلْجَإِ الضَّعِيفِ إِذَا | أَقْبَلَ لَيْلٌ وَأَطْبَقَتْ ظُلَمُهْ(١١) ؟
وَمَنْ يَقُودُ الزُّحُوفَ رَاجِفَةً | وَالْيَوْمُ بِالْحَرْبِ سَاطِعٌ قَتَمُهْ(١٢) ؟

---

(٥) فتى الحرب : بطلها المقدام . ويراد بالهياج هنا : ثوران الحرب ، وشدتها . والبأساء : الحرب . واعتلى : ارتفع . والضرم : لهب النار .

(٦) المعنى : من محاسن المرثي ومحامده أنه محارب شجاع مقدام ، وجواد كريم معطاء ، وأن هذه الفضائل متأصلة فيه .

(٧) هيابة : جبان . والوكل : الجبان ، والعاجز الضعيف . ويراد باللقاء : ملاقاة العدو . والصدق في اللقاء : الثبات ، والصبر ، والشجاعة . واعترف للأمر اعترافاً : صبر عليه ، وقوي .

(٨) صال : وثب مقاتلاً . وفل الجيش : هزمه ، وقهره . وأروت : سقت . والمشاش : النفس .
والمعنى : أن المرثي شديد البأس في القتال ، وبصولةٍ من صولاته يستطيع كسر أعدائه ، وقهرهم ، وتشتيت شملهم . وهو إلى شجاعته ، وقوته ، وإقدامه في الحروب ، أديب عذب القول ، ساحر البيان ، يقع كلامه من نفوس الناس موقع الماء من ذي الغلة الصادي .

(٩) ينكفت : ينهزم . ويصعق : يهلك ، أو يغشى عليه . وقرن المرء : مثله في الشجاعة . ويلتزمه : يعتنقه . واعتنقوا في الحرب : أخذ كل منهم بعنق قرنه .

(١٠) الفرند : جوهر السيف ، ووشيه . والصارم : السيف القاطع . ودمع الفرند : الفرند الشبيه بالدمع .
جعل رونق السيف ، وماءه ، وما يلمح في صفحته من أثر تموج الضوء دمعاً ؛ وقال : إن سيف المرثي بكاه بهذا الدمع ، وإن قلمه انشق ، أي انفلق وتلف من طول حزنه عليه .

(١١) المعنى : لمن يلجأ الضعفاء إذا أصابتهم مصيبة أو ألمّ بهم مكروه ؟ .

(١٢) راجفة : متهيئة للحرب والقتال . وساطع : عال ، مرتفع . والقَتَم : الغبار الأسود ، ومثله القتام . وسطوع القتام : كناية عن اشتداد الحرب واحتدامها .

مَـاتَ وَأَبْـقَـى شَـجَـىً لِـفُـرْقَـتِـهِ يَـكَـادُ يَفْـرِي قُـلُـوبَنَـا أَلَـمُـهْ[١٣]

فَـاذْهَبْ عَلَيْـكَ السَّـلَامُ مِنْ بَـطَلٍ مَـاتَ وَعَـاشَتْ مِنْ بَعْـدِهِ نِعَمُـهْ[١٤]

وَقَالَ يَفْتَخِرُ :

سَلَامَـةُ عِـرْضِي فِي خِفَـارَةِ صَـارِمِي وَإِنْ كَـانَ مَـالِي نُهْبَـةً لِلْمَكَـارِمِ[١]

بَلَغْتُ عُـلاً لَا يَبْلُغُ النَّجْمُ شَـأْوَهَـا إِذَا هُـوَ لَـمْ يَنْـهَضْ لَـهَـا بِقَـوَادِمِ[٢]

إِذَا الْمَـرْءُ لَـمْ يَـطْرَبْ إِلَى اللَّهْـوِ وَالصِّبَا فَمَـا هُـوَ إِلَّا مِنْ عِـدَادِ الْـبَهَـائِـمِ[٣]

فَـأَيَّـةُ أَرْضٍ لَـمْ تَجُـبْهَـا سَـوَابِقِـي وَغَمْرَةِ بَـأْسٍ لَمْ تَخُضْهَا صَـوَارِمِي[٤]

وَمَـا الـلَّيْـلُ إِلَّا هَبْـوَةٌ مِـنْ كَتَـائِـبِي وَلَا الشُّهْبُ إِلَّا لَمْعَـةٌ مِنْ لَـهَـاذِمِي[٥]

جَنَـانٌ تَحِيـدُ الْأُسْـدُ عَنْـهُ وَعَـزْمَـةٌ هِيَ الْمَـوْتُ بَيْنَ الْمَـأْزَقِ الْمُتَـلَاحِمِ[٦]

---

(١٣) الشجى : الهمّ ، والحزن . والفرقة : الافتراق . ويفري : يشقّ ، ويقطع .

(١٤) النعم : جمع النعمة وهي العارفة والصنيعة واليد والمنة والفضل والاحسان .

(١) عرض الإنسان : ما ينبغي أن يصونه ، ويحميه . والخفارة : الذمة ، والعهد ، والحماية . والصارم : السيف القاطع . والنهبة : الغنيمة ، والشيء المنهوب . والمراد : أن مالي مبذول ، أجود به عن طيب نفس في وجوه الخير والبرّ والمكارم .

(٢) العلا : الرفعة ، والشرف . والشأو : الغاية . ونهض : قام ، وارتفع . والقوادم : ريشات كبار في مقدّم جناح الطائر ، واحدتها قادمة .

(٣) طرب للغناء : ارتاح له . والمقصود هنا الفرح والسرور . والصبا : الحداثة والصغر . ويراد بالصبا هنا ، دواعي الشباب ، وملابساته ، وما يكون من مرح الشبان ولهوهم ، وشهواتهم ، ولذاتهم . ومن عداد البهائم ، أو في عدادها : أي يعد منها . والبهائم : جمع البهيمة ، وهي كل حيوان لا يميز .

(٤) أرض لم تجبْها سوابقه ، وغمرة لم تخضها صوارمه : أي أنه قطع بسوابقه كل بقاع الأرض ، وخاض بصوارمه كل غمرات البأس .

(٥) الهبوة : الغبرة ، وما يثار وينتشر في الجو من الغبار . والكتائب : جمع الكتيبة ، وهي الجيش . والشهب : جمع شهاب ، وهو الكوكب المضيء . واللهاذم : جمع لهذم ، وهو كل شيء قاطع من سيف ، أو سنان .

(٦) تحيد : تميل ، وتبعد . والعزمة : الإرادة القاطعة القوية . والمأزق : المضيق الحرج . والمتلاحم : المجتمع . ويراد بالمأزق المتلاحم : شدائد الحرب وأهوالها .

وَلَـكِنَّنِي أَمْسَيْتُ لِلْحُبِّ خَـاضِـعـاً ... وَلِلْحُبِّ سُلْطَانٌ عَلَى كُـلِّ حَـاكِـمِ (٧)

وَبِي مِنْ صَمِيمِ الْعُـرْبِ حَـوْرَاءُ طَفْلَةٌ ... نَحِيلَةُ مَجْرَى الْبَنْدِ رَيَّـا الْمَعَـاصِمِ (٨)

لَهَـا نَظْرَةٌ لَـوْ خَـامَـرَتْ قَلْبَ حَـازِمٍ ... لأَصْبَحَ مَسْلُوبَ النُّهَى غَيْـرَ حَـازِمِ (٩)

أَطَعْتُ الْهَـوَى فِيهَـا وَإِنْ كَـانَ ظَـالِمَـاً ... وَعَـاصَيْتُ فِي حُبِّي لَهَـا كُـلَّ رَاحِمِ (١٠)

وَمِـنْ عَـجَـبٍ أَنِّـي أَدِيـنُ لِـحُـكْـمِـهَـا ... وَأَكْبَـرُ أَنْ أَنْقَـادَ طَـوْعَ الْخَـزَائِمِ (١١)

فَـقَـلْبِـيَ حُـرٌّ لاَ يَـدِيـنُ لِـصَـوْلَـةٍ ... وَعُـودِيَ صُلْبٌ لاَ يَلِينُ لِعَـاجِمِ (١٢)

وَقَالَ فِي هَوىً(١) لَهُ وَقَدْ مَرِضَ :

---

(٧) يقول : إنه في مجال الهوى والغرام ضعيف مغلّب ، يخضع لسلطان الحب ، ولا يكاد يقاومه ، أو يغالبه .

(٨) الصميم من كل شيء : المحض الخالص . والحوراء من النساء : البيضاء . وطفلة : ناعمة ، لينة . والبند : الحزام ، أو النطاق يشد به الوسط . ومجرى البند : كناية عن وسط المتغزل بها ، أو خاصرتيها . وريًّا : ممتلئة . والمعاصم : جمع المعصم ، وهو موضع السوار من اليد .

(٩) خامرت : خالطت . وحازم : قوي ، سديد الرأي . ومسلوب : منتزع ، مفقود . والنهى : العقل .

(١٠) المعنى : أن حبه لهذه الحسناء قد استبدّ به ، وغلبه على أمره ، فانقاد لـه ، ولم يكترث لشروره وآفاته ، ولم يستمع لنصح رحمائه المشفقين عليه .

(١١) أدين : أخضع ، وأنقاد . والحكم : السلطان ، والسيطرة . وأكْبُر : أعْظم . والمراد أنه يكبر على الانقياد ، أي يأباه ويرفضه . والخزائم : جمع الخزامة ، وهي حلقة توضع في ثقب أنف البعير ، وبها يربط الحبل الذي يقاد به ، وهو الزمام . ومن المجاز : جعلتُ في أنف فلان الخزامة : إذا أذللته وسخرته . وطوع الخزائم : تأكيد لمعنى الانقياد ، أي أكبُر أن أنقاد ، وأكبر أن أكون طوع الخزائم ؛ فهو طوع إرادة من يهواها ، منقاد لها ، خاضع لحكمها ، أبيّ كل الإباء على غيرها .

(١٢) الصولة : السيطرة ، والغلبة . وعاجم : اسم فاعل من عجم عود فلان ، أي امتحنه واختبره .

(١) هويه : أحبه ، وتعلّق به . والهوى هنا : المهويّ ، أي المحبوب المعشوق .



دَعْ حَبِيبَ الْقَلْبِ يَا سَقَمُ ... فَبِنَفْسِي لَا بِهِ الأَلَمُ
كَيْفَ حَلَّ السُّقْمُ فِي بَدَنٍ ... خُلِقَتْ مِنْ حُسْنِهِ النِّعَمُ ؟
يَا لَهَا مِنْ لَوْعَةٍ شَعَبَتْ ... رُكْنَ قَلْبِي وَهْوَ مُلْتَئِمُ(٢)
مَنَعُونِي عَنْ زِيَارَتِهِ ... وَحِمَى قَلْبِي لَهُ حَرَمُ(٣)
حَكَمُوا أَنِّي بِهِ دَنِفٌ ... أَنَا رَاضٍ بِالَّذِي حَكَمُوا(٤)
أَوَّلُوا وَجْدِي بِهِ عَبَثاً ... لَيْتَهُمْ قَالُوا بِمَا عَلِمُوا(٥)
أَتْهَمُونِي فِي مَوَدَّتِهِ ... وَالْهَوَى مِنْ شَأْنِهِ التُّهَمُ
رَبِّ قَنِّعْهُمْ بِفِرْيَتِهِمْ ... وَانْتَصِفْ مِنْهمْ بِمَا زَعَمُوا(٦)
وَاشْفِ نَفْساً أَنْتَ بَارِئُهَا ... فَإِلَيْكَ الْبُرْءُ وَالسَّقَمُ

وَقَالَ مُنَوِّهاً بِبَعْضِ فُحُولِ الشُّعَرَاءِ الَّذِينَ أُعْجِبَ بِهِمْ ، فَسَلَكَ سَبِيلَهُم ، وَنَسَجَ عَلَى مِنْوَالِهِمْ . وَهُمْ :

١ ـ أَبُو نُواسٍ الْحَسَنُ بْنُ هَانِىء .

٢ ـ وَمُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ الأَنْصَارِيّ .

---

(٢) اللوعة : حرقة الوجد والهمّ ونحوهما . وشعبت : فرقت ، ومزّقت . ويراد بركن قلبه : قلبه القوي الركين المتين . وملتئم : مجتمع ، قوي .

(٣) يقول : إن الحبيب يحتل من قلبه حصناً حصيناً ، وحرماً آمناً .

(٤) دنف المريض : اشتد مرضه ، وأشفى على الموت . وقد شاع استعمال الدنف في المرض الذي يعتري العاشق بسبب العشق .

(٥) أوّلوا : فسروا . ووجدي به : حبّي له . والعبث : اللعب ؛ والعمل الذي لا قيمة له ، ولا فائدة فيه .

(٦) قنّعهم : عاقبهم . ومن المجاز : قنع فلاناً بالسيف ، علاه به . والفرية : الكذب ، واختلاقه . وانتصف : أمر من الانتصاف ، وهو الانتقام والعقاب . والزعم : الكذب ، أو هو مطيّة الكذب .

٣ - وَأَبُو تَمَّامٍ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ الطَّائِيّ .

٤ - وَأَبُو عُبَادَةَ الْوَلِيدُ بْنُ عُبَيْدٍ الْبُحْتُرِيُّ .

٥ - وَأَبُو الطَّيِّبِ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْمُتَنَبِّي .

مَضَى « حَسَنٌ » في حَلْبَةِ الشِّعْرِ سَابِقاً — وَأَدْرَكَ لَمْ يُسْبَقْ وَلَمْ يَأْلُ « مُسْلِمُ »[١]

وَبَارَاهُمَا « الطَّائِيُّ » فَاعْتَرَفَتْ لَهُ — شُهُودُ الْمَعَانِي بِالَّتِي هِيَ أَحْكَمُ[٢]

وَأَبْدَعَ فِي الْقَوْلِ « الْوَلِيدُ » فَشِعْرُهُ — عَلَى مَا تَرَاهُ الْعَيْنُ وَشْيٌ مُنَمْنَمُ[٣]

وَأَدْرَكَ فِي الأَمْثَالِ « أَحْمَدُ » غَايَةً — تَبُزُّ الْخُطَى مَا بَعْدَهَا مُتَقَدَّمُ[٤]

وَسِرْتُ عَلَى آثَارِهِمْ وَلَرُبَّمَا — سَبَقْتُ إِلَى أَشْيَاءَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ[٥]

وَقَالَ :

لَعَمْرُكَ مَا يُدْعَى الْفَتَى بَيْنَ قَوْمِهِ — بِذِي كَرَمٍ حَتَّى يَكُونَ كَرِيمَا

---

(١) مضى في الأمر : نفذ فيه ، وأتمه . و« حسن » : أبو نواس ، الحسن بن هانىء . وحلبة الشعر : مجاله ، وميدانه . وأدرك « مسلم » : أي وبارى مسلم بن الوليد الأنصاريُّ « أبا نواس » ، فأدركه ، ولحقه . ولم يسبق (بالبناء للمجهول) : أي لم يسبق « مسلماً » أحد من أقرانه . أو هي (بالبناء للمعلوم) : أي لحق « مسلم » بأستاذه « أبي نواس » فأدركه ، ولم يسبقه . ولم يأل : لم يقصّر .

(٢) باراه : سابقه ، وعارضه . و« الطائي » : أبو تمام ، « حبيب بن أوس » . واعترف بالشيء : أقرّ به ، وشهد . وشهود المعاني : المعاني الشبيهة بالشهود . وأحكم : أكثر حكمة . وأحكم الأمر إحكاماً : أحسنه ، وأتقنه .

(٣) الوليد : أبو عبادة البحتري . ووَشي : موشى محسَّن ، مزخرف . ومثله منمنم : من النمنمة ، وهي الوشي .

(٤) أدرك الغاية : بلغ النهاية ، أي نهاية الإجادة والإبداع والإتقان . والأمثال : جمع مثل ، وهو القول السائر بين الناس . وأحمد : أبو الطيب المتنبي . وبزه يبزه : غلبه وسبقه . و« غاية تبز الخطى » : أي أمد بعيد ، لا تستطيع بلوغه خطوات منافسيه ومساعيهم . وما بعدها متقدّم : أي ليس بعدها مجال للسبق أو التقدم .

(٥) الآثار : جمع الأثر وهو العلامة وما خلفه السابقون .

وَلَنْ يَلْبَثَ الْمَرْءُ الضَّنِينُ بِمَالِهِ إِذَا خَافَ غُرْمَاً أَنْ يُعَدَّ لَئِيمَا[1]
فَلَيْسَ الْفَتَى مَنْ حَازَ مَالاً وَإِنَّمَا فَتَى الْقَوْمِ مَنْ أَغْنَتْ يَدَاهُ عَدِيمَا[2]
فَمِزْ بَيْنَ مَا تَخْتَارُ فِي الْفِعْلِ وَالْتَمِسْ لِنَفْسِكَ حَظّاً كَيْ تَكُونَ عَظِيمَا[3]

وَقَالَ عَلَى طَرِيقَةِ الْمَدِيحِ :

لَهُ نَظْرَتَا جُودٍ وَبَأْسٍ أَثَارَتَا غَمَامَيْنِ سَالاَ بِالْفَوَاضِلِ وَالدمِ[1]
فَكَمْ أَحْيَتِ الأُولَى لُبَانَةَ مَعْشَرٍ وَكَمْ أَرْدَتِ الأُخْرَى حُشَاشَةَ مُجْرِمِ[2]

وَقَالَ :

عَلِيلٌ أَنْتَ مُسْقِمُهُ فَمَا لَكَ لاَ تُكَلِّمُهُ ؟[1]
سَرَى فِيهِ الضَّنَى حَتَّى بَدَتْ لِلْعَيْنِ أَعْظُمُهُ[2]

---

(١) ضنّ بالشيء : بخل به بخلاً شديداً ، فهو ضنين . والغرم : الخسارة .
(٢) يقول : ليست الفتوّة والرجولة الحقيقية في حيازة المال ، وإنما تكون في بذل المال في وجوه البر والخير ، وسيّد القوم من أغنى بماله المعدم .
(٣) مز : أمر من ماز الشيء من غيره أي فرّق وفصل . و « مز بين ما تختار في الفعل » : أي مايز بين ما تختاره من الأفعال ، وفاصل بين الأعمال . و « التمس لنفسك حظاً » : أي أطلب لنفسك نصيباً موفوراً من البر والخير لتكون عظيماً بين الناس .
(١) له : للممدوح . والبأس : القوة ، والشجاعة . والغمام : السحاب . وإثارة الغمام : تحريكه وسوقه . والفواضل : الهبات ، والنعم العظيمة . أي للمدوح نظرة مقرونة بالرضا تثير سحابة ، فيجري بالنعم والهبات على أحبابه . وله نظرة أخرى مقرونة بالغضب تثير سحاباً ، فينصبّ على أعدائه بالتجريح والتقتيل . أي يمدحه في حالتي رضاه وغضبه ، أو في حالتي سلمه وحربه .
(٢) الأولى : نظرة الجود ، أو الغمامة التي تسيل بالفواضل . والأخرى : نظرة البأس ، أو الغمامة التي تسيل بالدم . واللبانة : الحاجة . وأوردتْ : أهلكت . والحشاشة : يراد بها هنا : النفس .
(١) عليل : مريض . وأسقمه : أمرضه .
(٢) سرى : سار . والضنى : شدة المرض .



فَلَا إِنْ بَاحَ تَعْذِرُهُ ... وَلَا إِنْ نَاحَ تَرْحَمُهُ[٣]

إِذَا كَانَ الْهَوَى ذَنْبِي ... فَقُلْ لِي كَيْفَ أَكْتُمُهُ؟

وَدَمْعِي أَنْتَ مُرْسِلُهُ ... وَقَلْبِي أَنْتَ مُؤْلِمُهُ

وَلَا وَاللَّهِ مَا لِي فِي الْـ ... ـهَوَى ذَنْبٌ فَأَعْلَمُهُ

فَوَيْلِي مِنْ غَرِيبِ الدَّلْـ ... ـلِ أَبْلَانِي تَحَكُّمُهُ[٤]

تَرَدَّدَ فِي مَحَبَّتِهِ ... وَلَمْ يَسْمَحْ بِهَا فَمُهُ

غَزَالٌ أَحْوَرُ الْعَيْنَيْـ ... ـنِ لَا يَسْلُو مُتَيَّمُهُ[٥]

يَهِيمُ بِحُسْنِ صُورَتِهِ ... فُؤَادِي وَهُوَ يَظْلِمُهُ

نَسَبْتُ بِهِ فَبَانَ عَلَى ... جَبِينِ الشِّعْرِ مِيسَمُهُ[٦]

فَمَا لِي فِي الَّذِي أُمْلِيـ ... ـهِ مِنْ فَضْلٍ فَأَغْنَمُهُ[٧]

وَلَكِنْ حُسْنُهُ يَبْدُو ... إِلَى عَيْنِي فَتَرْسُمُهُ

وَيَنْثُرُ لَفْظُهُ دُرّاً ... عَلَى سَمْعِي فَأَنْظِمُهُ[٨]

---

(٣) باح : المراد باح بسره ، أي أباحه وكشفه وأظهره . وناح : بكى .

(٤) ويلي : عذابي ، وشقائي . وأدل على محبه إدلالاً : وثق بمحبته ، فحمله ما لا يطيق . وأبلاني : أضناني ، وأعياني . والتحكم : التغلب ، والسيطرة .

(٥) غزال : تشبه المرأة بالغزال في جمال العنق ، وجمال العينين ، ورشاقة الجسم ، وخفة الحركة ، وحسن التثني . وأحور : صفة من الحور ، وهو من محاسن العين . ومعناه أن يشتد بياض بياضها ، وسواد سوادها . وسلاه ، وسلا عنه : نسيه ، وصبر على بُعْده . والمتيم : الذي تيّمه العشق ، أي ذلّله .

(٦) نسب الشاعر بفلانة : شبَّب بها في شعره ، وتغزل . والميسم : العلامة ، والسمة ، وأثر الحسن والجمال .

(٧) يقول : إنه لا فضل له فيما يمليه من شعر الغزل أو النسيب ، وإنما الفضل كله لمن يتغزل بها .

(٨) نثر الحب وغيره : رماه متفرقاً . والدر : جمع درة ، وهي اللؤلؤة العظيمة ، ونظم الدر وغيره : جمعه ، وألّفه ، ومن المجاز : نظم الشعر ، ونظم الكلام .

وَلَوْلَا ذَاكَ مَا لَاحَتْ ... بِأُفُقِ الشِّعْرِ أَنْجُمُهُ
فَقُلْ مَا شِئْتَ فِي شِعْرِي ... وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَحْكَمُهُ

وَقَالَ :

وَفَاتِنَةِ الْحَدِيثِ لَهَا نِكَاتٌ ... تَحُولُ بِسِحْرِهَا دُونَ الْمَرَامِ (١)
شَكَوْتُ لَهَا ضَنَى جَسَدِي فَقَالَتْ ... بِطَرْفِي مَا بِجِسْمِكَ مِنْ سَقَامِ (٢)
فَقُلْتُ عِدِي بِوَصْلٍ مِنْكِ صَبّاً ... بَرَتْهُ يَدُ الصَّبَابَةِ وَالْغَرَامِ (٣)
فَقَالَتْ سَوْفَ تَلْقَانِي قَرِيباً ... فَقُلْتُ مَتَى فَقَالَتْ فِي الْمَنَامِ

وَقَالَ :

ذَنْبِي إِلَيْكَ غَرَامِي ... فَهَلْ يَحِلُّ مَلَامِي ؟
يَا ظَالِمِي فِي هَوَاهُ ... هَلَّا رَعَيْتَ ذِمَامِي ؟
حَتَّامَ تُعْرِضُ عَنِّي ... وَلَا تَرُدُّ سَلَامِي ؟
عَطْفاً عَلَيَّ فَإِنِّي ... بَرَى هَوَاكَ عِظَامِي
فَكَيْفَ تُنْكِرُ وَجْدِي ؟ ... أَمَا رَأَيْتَ سَقَامِي ؟(١)

---

(١) فاتنة الحديث : أي كلامها يستميل الأسماع ، ويحتل القلوب . والنكات : جمع النكْتة ، وهي ، من المجاز ، الكلام الطريف العجيب . وتحول : تمنع . والمرام : المطلب . وتحول بسحرها دون المرام : أي يحول سحرها بين العاشق ومرامه ، أي يمنعه من إدراك مطلبه .

(٢) الضنى : المرض الملازم ، والهزال الشديد .

(٣) عدي : أمر من وعده الأمر ، ووعده بالأمر . والوصل : ضد الهجران . والصب : المشوق المستهام . وبرته : أضنته ، وهزلته .

(١) وجد بفلان (من باب وعد) وجداً : أي أحبه حباً شديداً . والسقام : المرض الطويل .

وَيْلاهُ مِمَّا أُلاقِي ... مِنْ لَوْعَتِي وَهُيَامِي[٢]
رَقَّ النَّسِيمُ لِحَالِي ... وَسَالَ دَمْعُ الْغَمَامِ
وَسَاعَدَتْنِي فَنَاحَتْ ... عَلَيَّ وِرْقُ الْحَمَامِ[٣]
فَيَا سَمِيرَ فُؤَادِي ... فِي يَقْظَتِي وَمَنَامِي[٤]
مَتَى يَفُوزُ بِوَصْلٍ ... أَسِيرُ لَحْظِكَ « سَامِي »

وَقَالَ :

قَالَتْ أَرَاكَ عَلِيلَ الْجِسْمِ قُلْتُ لَهَا ... مَنْ شَفَّهُ الْحُبُّ أَبْلَى جِسْمَهُ السَّقَمُ[١]
قَالَتْ فَهَلْ مِنْ دَوَاءٍ يُسْتَطَبُّ بِهِ ... قُلْتُ الْوِصَالُ فَرَاحَتْ وَهْيَ تَبْتَسِمُ
فَبِتُّ فِي حَيْرَةٍ لاَ الْقَلْبُ مُصْطَبِرٌ ... وَلاَ الْوُصُولُ إِلَى مَا يَشْتَهِي أَمَمُ[٢]
وَمَنْ أَطَاعَ هَوَاهُ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ ... بِمَا يَكُونُ فَعُقْبَى أَمْرِهِ نَدَمُ[٣]

وَقَالَ نَاظِماً قَوْلَ رَجُلٍ أَحَبَّ امْرَأَةً دُونَ قَدْرِهِ فَعَذَلَهُ عَمُّهُ ، فَقَالَ : يَا عَمِّ ، لاَ تَلُمْ مُجْبَراً عَلَى سَقَمِهِ ؛ فَإِنَّ الْمُقِرَّ عَلَى نَفْسِهِ مُسْتَغْنٍ عَنْ مُنَازَعَةِ خَصْمِهِ ، وَإِنَّمَا يُلاَمُ مَنِ اقْتَرَفَ مَا يَقْدِرِ عَلَى تَرْكِهِ وَلَيْسَ أَمْرُ الْهَوَى إِلَى الرَّأْيِ فَيَمْلِكَهُ ، وَلاَ إِلَى الْعَقْلِ فَيُدَبِّرَهُ ، بَلْ قُدْرَتُهُ أَغْلَبُ ، وَجَانِبُهُ أَعَزُّ مِنْ أَنْ تَنْفُذَ فِيهِ حِيلَةُ حَازِمٍ ، وَلُطْفُ مُحْتَالٍ .

---

(٢) « ويلاه » : كلمة يعبر بها عن التفجّع والتوجع . ولوعة الحب : حرقته ووصبه . والهيام : جنون العشق .
(٣) ناحت الحمامة : سجعتْ . ونواح الحمام يبدو كأنه صوت الحزين الواجد ، ورنين اللوعة والأسى . وحمامة ورقاء : رمادية اللون ، والجمع ورق (بضم فسكون) .
(٤) السمير والمسامر : صاحبك الذي تألفه ، وتأنس به .
(١) عليل : سقيم مريض . وشفه الحب : هزله ، وأنحله . وأبلاه : أذابه ، وأضعفه . والسقم : المرض ، والضنى ، والهيام .
(٢) مصطبر : صابر . ويشتهي : أي يشتهيه القلب . وأمَم : هيّن ، واضح ، قريب المتناول .
(٣) غير مكترث : غير مبال ، وغير مهتم . وعقبى كل شيء : خاتمته ، ونهايته .

أَلاَ لاَ تَلُمْ صبّاً عَلَى طُولِ سُقْمِهِ ... وَدَعْهُ فَلَيْسَ الأَمْرُ فِيهِ لِحُكْمِهِ(١)

فَلَيْسَ الْهَوَى مِمَّا يُرَدُّ بِحِيلَةٍ ... وَلَكِنَّهُ يَثْنِي الْفَتَى دُونَ عَزْمِهِ(٢)

وَمَا يَسْتَوِي جَانٍ أَتَى الإِثْمَ طائِعاً ... وَآخَرُ لَمْ يَقْرفْهُ إِلاَّ بِرَغْمِهِ(٣)

إِذَا مَا أَقَرَّ الْمَرْءُ يَوْماً بِذَنْبِهِ ... فَمَاذَا الَّذِي تُغْنِي لَجَاجَةُ خَصْمِهِ ؟(٤)

وَقَالَ(*) :

مَنَحْتُكَ أَلْقَابَ الْعُلاَ فَادْعُنِي بِاسْمِي ... فَمَا تَخْفِضُ الأَلْقَابُ حُرّاً وَ لاَ تُسْمِي(١)

إِذَا كَانَ عُقْبَانُ الْجَدِيدِ إِلَى بِلًى ... فَلاَ فَرْقَ مَا بَيْنَ الْحَدِيثِ وَلاَ الرَّسْمِ(٢)

تَأَمَّلْ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنٍ بَصِيرَةٍ ... لَعَلَّكَ تَرْضَى بِالْقَلِيلِ مِنَ الْقَسْمِ(٣)

فَمَا الْعَيْشُ إِلاَّ خَطْرَةٌ عَرَضِيَّةٌ ... تَزُولُ كَمَا زَالَ الْحَثِيثُ مِنَ النَّسْمِ(٤)

---

(١) الصبّ : العاشق الولهان . والصبابة : حرارة الشوق ، والولع الشديد . ودعه : اتركه . والحكم : مصدر حكم ، أي قضى ، وفصل . ويراد بالحكم هنا : الإرادة والاختيار .

(٢) ثنيت فلاناً : رَدَدْته ، وصرفته عن مراده . والعزم : الصبر ، والجد .

(٣) الجاني : الآثم المذنب . والإثم : الذنب . وقرف الإثم ، واقترفه : ارتكبه ، وفعله ، ووقع فيه . وبرغمه : أي على كره منه ، وبلا إرادة واختيار .

(٤) أقرّ : إعترف . وتغني : تفيد . واللَّجاجة : التمادي في الخصومة ، والإصرار عليها .

(*) أخفقت الثورة المصرية العرابية . وفي أعقابها احتل الإنجليز مصر سنة ١٨٨٢ وحكم على « محمود سامي البارودي باشا » بالإعدام ثم استبدل به النفي المؤبَّد ، والتجريد من الألقاب والأملاك والحقوق الوطنية .

(١) منحتك : أعطيتك ، ووهبت لك . والحرّ : الكريم ، والعزيز . وتُسمي : تُعْلي ، وترفع .

(٢) عقبان الشيء : نهايته وآخره . والبلى : القِدَم . والرسم : ما كان بالأرض من آثار الديار ؛ ويراد به هنا : البالي القديم الفاني ، وهو ما يقابل الجديد الحديث .

(٣) عين بصيرة : أي عين قوية ، صادقة الإبصار ، كاشفة . ويراد بالعين البصيرة هنا : الفطنة ، وقوة الإدراك . والقسم (بكسر فسكون) : الحصة ، والنصيب ، والجزء من الشيء المقسوم . أو القسم (بفتح فسكون) : بمعنى العطاء ، أي ما يُعْطَى .

(٤) العيش : المعيشة . والخطرة : البرهة ، والمدة اليسيرة . وعرضية : نسبة إلى العرض

وَهَـلْ نَحنُ إِلاَّ مِثْلُ مَنْ كَـانَ قَبْلَنَـا ؟ فَسَلْ عَنْ جَدِيسٍ أَيْنَ وَلَّتْ وَعَنْ طَسْمِ (٥)

تَـزَوَّدْ مِنَ الـدُّنْيَـا بِمَـا فِيـهِ بُلْغَـةٌ فَسَوْفَ تُعَانِي الْجَدْبَ يَا رَاعِيَ الْوَسْمِي (٦)

لَعَمْـرِي لَنِعْمَ الْمَرْءُ مَنْ بَـاتَ رَاضِيـاً بِمَـا خَصَّهُ مِنْ فَيْضِهِ سَـابِقُ الـرَّسْمِ (٧)

تَـفَلْسَـفَ قَـوْمٌ فِي الْـمَقَـالَ وَمَـا دَرَوْا جَرِيرَةَ مَا أَبْقَوا عَلَى الـدَّهْرِ مِنْ وَسْمِ (٨)

وَلَـوْ رَاجَعُـوا هَـذِي النُّفُـوسَ لَعَـالَجُـوا بِتَرْكِ الْخَطَايَا مُعْضِلَ الـدَّاءِ بِالْحَسْمِ (٩)

فَـدَعْ هَـذِهِ الـدُّنْيَـا وَإِنْ هِيَ أَقْـبَلَتْ عَلَيْـكَ بِإِيمَـاضِ الْبَشَاشَـةِ وَالْبَسْمِ (١٠)

(بفتحتين) ، والعَرَض : اسم لما لا دوام له . يقال : هذا الأمر عرَض ، أي عارض زائل . والحثيث : السريع . والنسم : الرّيح نفسها ، أو هبوبها وحركتها العارضة السريعة الزوال ، والنسم (أيضاً) : طير سراع كالخطاطيف ، تعلوهنّ خُضْرة .

(٥) « جديس » و « طسم » : قبيلتان من العرب البائدة ، كانتا تسكنان « اليمامة » إلى الجنوب الشرقي من « نجد » في عهد ملوك الطوائف من الفرس .

(٦) تزوَّد : أخذ الزاد ، وهو ما يتخذ من الطعام للسفـر ، وما يـدخره المـرء للانتفـاع به وقت الحاجة . والبلغة : ما يكفي لسد الحاجة ، ولا يفضل عنها . وتعاني : تقاسي ، وتكابد . والجدب : القحط . والوسمي : أول مطر الربيع . ويراد بالوسمي : كلأ هذا المطر ونباته . وراعي الوسمي : من يقود الماشية في المرعى ، لتأكل من هذا الكلأ والنبات .

(٧) خصّه بكذا : آثره به على غيره ، أي جعله له دون غيره . والفيض : الكثير ، الغزير . ويراد بسابق الرسم : ما رسمه الله تبارك وتعالىٰ ، أي ما قضاه وقدره للإنسان من الرزق وغيره .

(٨) تفلسف قوم في المقال : أي اتجهوا في مقالاتهم إلى الفلسفة ، ولونوا بها كلامهم وبحوثهم في تكلف وتنطّع ، بلا اعتـدال ولا احسان . ومـا دروا : أي ولم يعلمـوا ولم يفـطنـوا . والجريرة : الجناية ، والذنب . والوسم : السمة ، والأثر ، والعلامة .

(٩) هذه النفوس : إشارة إلى النفوس المريضة المنحرفة التي حاول المتفلسفون علاجها بفلسفتهم الملتوية الخاطئة . والخطايا : جمع الخطيئـة ، وهي الإثم ، والذنب . وداء معضـل : لا يرجى البرء منه .

(١٠) دع : اترك ، ويراد بترك الدنيا : الإعراض عنها ، والزهد فيها ، والاحتراس من خداعها . والإيماض : اللمعان الخفيف . والبشاشة : تهلل الوجه ، وإشراقه ، وطلاقته . والبسم : أقل الضحك وأحسنه ، ومثله الابتسام ، والتبسّم .

فَلَوْ جَـرَّبَ الإِنْسَـانُ أَخْـلَاقَ دَهْـرِهِ   لأَمْسَكَ بِالْيَأْسِ الْمُرِيحِ عَنِ الْعَسْمِ [١١]

فَمَنْ لِي بِـرَأْيٍ صَـادِقٍ أَقْتَفِـي بِـهِ   مَـدَارِجَ قَوْمٍ أَدْرَكُـوا الأَمْرَ بِـالْقَسْمِ [١٢]

بَـرَتْنِي تَبَـارِيـحُ الْحَيَـاةِ فَلَمْ تَـدَعْ   لَـدَيَّ سِـوَى رُوحٍ تَـرَدَّدَ فِي جِسْمِ [١٣]

يَقُـولُـونَ « مَحْمُـودٌ » وَيَـا لَيْتَ أَنَّنِـي   كَمَا زَعَمُوا أَوْ لَيْتَ لِي طَائِعاً كَاسْمِي [١٤]

وَقَالَ :

قَـالُـوا أَلَا تَـصِفُ الْـغَـرَامَ لَـنَـا   حَتَّى يُحِيطَ بِنَعْتِـهِ الْـفَـهْـمُ ؟[١]

فَـأَجَبْتُـهُـمْ هَـيْـهَـاتَ أَنْـعَـتُ مَـا   يَـعْتَـلُّ دُونَ صِـفَـاتِـهِ الْـوَهْـمُ[٢]

الْـحُـبُّ يَـنْـفُـذُ بِـالْـفُـؤَادِ كَـمَـا   يَمْضِي عَـلَى غُـلَوَائِـهِ الـسَّـهْـمُ[٣]

يَـعْـنُـو لِـسَـوْرَتِـهِ الْـمَـلِـيـكُ وَلَا   يَقْـوَى عَلَى صَـدَمَـاتِـهِ الشَّهْمُ[٤]

---

(١١) أمسك باليأس : أخذ بـه ، واعتصم . والعسم : الطمع والتهافت والتكالب على حطام الدنيا .

(١٢) اقتفاه : تبعه ، وسار في أثره . ومدارج قوم : أي مذاهبهم ، ومسالكهم . ويراد بالأمر : شأن هذه الحياة وحالها . والقسم (بفتح فسكون) : الرأي ، والعقل . وأدركوا الأمر بالقسم : أي أدركوا أمر هذه الحياة بالرأي الصادق .

(١٣) براه : هزله ، وأضعفه . وتباريح الحياة : شدائدها وبلاياها . وتردد : أصله تتردد ، أو يتردد .

(١٤) « محمود » : اسم الشاعر . وكما زعموا : أي كما قالوا ، أو مثلما ظنوا . وطائع : مطيع ، منقاد .

(١) النعت : الوصف .

(٢) يعتل : يمرض ، والمراد : يعيا ، ويعجز . والوهم : ما يقع في الذهن من الخاطر .

(٣) نفذ السهم ونحوه : خرق الرمية ، وخرج منها . ويراد بالنفوذ أو النفاذ هنا : الاستقرار والتمكن والثبات . والغلواء : الغلوّ ، والسرعة . ومضى السهم على غلوائه : إنطلق في شدة ، وقوة ، وسرعة بالغة .

(٤) يعنو : يذل ، ويخضع . ولسورته : أي لسورة الحب ، أي سطوته وشدته وحدته . والشهم : القوي ، الشديد . والذكي الفؤاد ، السديد الرأي .

وَقَالَ فِي غَدَاةِ أُنْسٍ (*) :

أَدِرْهَا قَبْلَ تَغْرِيدِ الْحَمَامَهْ ... فَمَا يَنْفِي الْهُمُومَ سِوَى الْمُدَامَهْ (١)

مُعَتَّقَةً إِذَا سَلَكَتْ ضَمِيراً ... مَحَتْ عَنْهُ الْكَلَالَةَ وَالسَّآمَهْ (٢)

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ أَصْبَحَتِ الْغَوَادِي ... لَهَا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ عَلَامَهْ ؟ (٣)

فَكَمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ مَجْرَى غَدِيرٍ ... وَكَمْ فِي الْجَوِّ مِنْ مَسْرَى غَمَامَهْ

فَبَادِرْ صَفْوَةَ الْأَيَّامِ تَغْنَمْ ... لَذَاذَتَهَا وَلَا تَخْشَ الْمَلَامَهْ

وَلَا تَحْزَنْ عَلَى شَيْءٍ تَوَلَّى ... فَإِنَّ الْحُزْنَ مِقْرَاضُ السَّلَامَهْ

وَقَالَ :

مَتَى يَنْقَضِي عُمْرُ الْحَيَاةِ فَتَنْقَضِي ... مَآرِبُ كَانَتْ عِلَّةً لِلْمَظَالِمِ (١)

تَسَاوَتْ نُفُوسُ الْخَلْقِ فِي الشَّرِّ فَاسْتَعِذْ ... بِرَبِّ الْبَرَايَا مِنْ جَهُولٍ وَعَالِمِ ؟ (٢)

(*) الغداة : ما بين الفجر وطلوع الشمس .

(١) أدرها : يريد أدر كؤوس الخمر علينا . وتغريد الحمامة : هديرها ، أو هديلها . وقبل تغريد الحمامة : أي قبل أن تطلع الشمس ، ويمتد النهار . والمدامة : الخمر .

(٢) معتقة : قديمة . ويراد بالضمير هنا : قلب شاربها ، أو عقله . والكلالة : الإعياء ، والعجز . والسآمة : الملل ، والضجر .

(٣) الغوادي : أمطار الصباح ، الواحدة غادية . وعلامات الغوادي : سماتها ، وأماراتها ، وآثارها في بقاع الأرض ونواحيها من الغدران ، والأنهار ، والكلأ .

(١) المآرب : الحاجات ، جمع مأرب ، أو مأربة . وعلة : سبب .
يستبطىء الشاعر أو يتمنى أن تفنى الدنيا ، وينتهي عمرها ؛ لتنقطع بفنائها حاجات الناس ومطامعهم ؛ فإن التكالب عليها سبب الشرور والآفات ، والخصومات والمظالم في هذه الحياة .

(٢) الخلق : الناس . واستعاذ بالله : أي لجأ إليه ، واعتصم به . والبرايا : جمع البرية ، وهي الخلق ، والناس .

وَلَـوْ عَـرَفُـوا مَـا أَنْكَـرُوهُ لأَيْقَـنُـوا ... بِـأَنَّ نَعِيمَ الـدَّهْـرِ خُـدْعَـةُ حَـالِمِ [٣]

تَـأَمَّلْ رُوَيْـداً يَـا بْنَ وُدِّي هَـلْ تَـرَى ... عَلَى صَفَحَاتِ الأَرْضِ غَيْرَ مَعَالِمِ ؟[٤]

يَـظُنُّ عَلِيـلُ الْقَـوْمِ فِي الـطِّبِّ بُـرْأَهُ ... وَلَمْ يَـدْرِ أَنَّ الـطَّبَّ لَيْسَ بِسَـالِمِ ؟[٥]

فَـطِرْ لِلسُّهَـا أَوْ فَـاتَّخِـذْ لَـكَ سُلَّمَـاً ... لِتَـرْقَى إِلَى أَبْـرَاجِـهِ بِـالسَّلاَلِمِ [٦]

وَكَيْفَ تَنَـالُ النَّفْسُ فِي الـدَّهْـرِ عِيشَةً ... تَلَذُّ بِهَـا وَالـدَّهْـرُ غَيْـرُ مُسَـالِمِ ؟[٧]

وَقَالَ :

خَلِيلَيَّ ! مَا فِي الـدَّهْـرِ أَطْـوَلُ حَسْـرَةً ... مِنَ الْمَـرْءِ يَـلْقَى فُـرْصَـةً فَـيَخِيمُ[١]

وَإِنَّ امْـرَءاً يَـلْقَـى فَـوَاضِـلَ نِـعْـمَـةٍ ... بِـأَرْضٍ وَيَنْـوِي غَيْـرَهَـا لَـمُلِيـمُ[٢]

وَقَالَ :

أَخُو الْعِلْمِ فِي الدُّنْيَا لِذِي الْجَهْلِ مُحْوَجٌ ... وَكُـلٌّ لَـهُ عِنْـدَ الْقِيَـاسِ مَعَـالِمُ[١]

---

(٣) أنكروه : جهلوه ، أو جحدوه . والخدعة : الإسم من خدعه ومكر به مكراً سيئاً ، وأظهر له خلاف ما يخفيه .

(٤) رويداً : متمهلاً . وصفحات الأرض : جوانبها ، ونواحيها .

(٥) الطب : علم علاج الجسم والنفس . والطبّ (بفتح الطاء) : الطبيب المداوي .

(٦) السها : كوكب صغير ، خفي الضوء ، يمتحن الناس به أبصارهم . وأبراجه : أي أبراج السها . وأبراج النجوم : منازلها المختصة بها في السماء .

(٧) الاستفهام في أول البيت معناه النفي ، أي لا سبيل إلى أن ينال المرء في دهره عيشة راضية .

(١) الحسرة : التأسف ، والحزن ، والتلهف الشديد على الشيء الفائت . والفرصة : المنفعة المشروعة ، تتهيأ لك برهة قليلة ، فإذا لم تغتنمها ندمت وتحسرت . ويخيم عن الفرصة : أي يقعد عن انتهازها واغتنامها .

(٢) النعمة : المسرة ، والفضل ، والخير . وفواضل النعمة أو النعم : كثرتها ، وزيادتها . وينوي غيرها : أي يقصد أرضاً غيرها . ومليم : ملوم ، أي أتى ما يلام عليه .

(١) محوج: محتاج. ومعنى الشطر الأول : أن العالم يحتاج إلى الجاهل ، والجاهل يحتاج إلى العالم ، فلا غنى لأحدهما عن الآخر . وكل : أي وكل من العالم والجاهل . والقياس : التقدير ، والاعتبار . ومعالم : خصائص ، وعلامات ، وصفات مميّزة .

فَلَوْلاَ وُجُودُ الْعِلْمِ مَا عَاشَ جَاهِلٌ وَلَوْلاَ وُجُودُ الْجَهْلِ مَا عَاشَ عَالِمُ

وَقَالَ :

أَنَا فِي الْحُبِّ وَفِيٌّ لَيْسَ لِي بِالْغَدْرِ عِلْمُ
لاَ تَظُنُّوا بِيَ سُوءاً إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمُ

وَقَالَ :

أَنَا فِي الدَّهْرِ ضَائِعٌ بَيْنَ فَهْمٍ فَاتِكٍ حَدُّهُ وَجَدٍّ كَهَامِ (١)
حُزْتُ عِلْمَاً وَمَا رُزِقْتُ قَبُولاً فَكَأَنِّي مَجَلَّةُ الأَحْكَامِ (٢)

وَقَالَ :

إِذَا مَا كَتَمْتُ الْحُبَّ كَانَ شَرَارَةً وَإِنْ بُحْتُ بِالْكِتْمَانِ كَانَ مَلاَمَا
فَكَيْفَ احْتِيَالِي بَيْنَ أَمْرَيْنِ أَشْكَلاَ عَلَيَّ فَصَارَا شِقْوَةً وَغَرَامَا ؟

---

(١) حد كل شيء : طرفه الرقيق الحاد القاطع ، كحد السيف والسكين ونحوهما . وحد فاتك : أي ماض ، قاطع . وفهم فاتك،حده : أي فهم حاد ، قويّ . والجد (بفتح الجيم) : الحظ . وجد كهام : حظ سيء عاثر ، من قولهم : سيف كهام : أي كليل ، لا يقطع .

(٢) في البيت السابق شكا ضياعه وشقاءه بين حدة فهمه وكهامة جده . وفي هذا البيت تأكيد وتمثيل لهذه الشكوى ؛ فإنه ، مع حدة فهمه ، وغزارة علمه ، واتساع معارفه ، لا يجد من الناس ما يكافىء فضله ومزاياه من القبول والرضا . مثله في هذا مثل مجلة الأحكام القضائية ؛ فإنها تعنى كل العناية بدراسة القضايا التي تنشرها ، وتستقصي ما يتصل بها من الحقائق العلمية ، ولكنها مع هذا كله لا تلقى من جماهير القراء ما تستحقه من الإقبال والانتشار والرواج .

(١) احتال احتيالاً : طلب الشيء ، أو عالجه بالحيلة ، وهي الحذق ، وجودة النظر . وأشكلا : خفيا ، والتبسا ؛ فصعب علاجهما . والشقوة : الشقاء ، والشدة . والغرام : العذاب الدائم الملازم .

وَقَالَ بَعْدَمَا اسْتَقَالَ مِنْ وَزَارَةِ الْحَرِبِيَّةِ(*) ، يَذُمُّ بَعْضَ الْوُزَرَاءِ :

مَـا لِي بِـوُدِّكَ بَعْـدَ الْيَـوْمِ إِلْـمَـامُ ... فَـاذْهَبْ فَـأَنْتَ لَئِيمُ الْعَهْـدِ نَمَّـامُ[1]

قَـدْ كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَدْرَكْتُ مَـأْرُبَـةً ... مِنَ الْمُنَى فَـإِذَا مَـا خِلْتُ أَحْـلَامُ[2]

هَيْهَاتَ مِنِّي الـرِّضَـا مِنْ بَعْدِ تَجْـرِبَـةٍ ... إِنَّ الْـمَـوَدَّةَ بَيْـنَ النَّـاسِ أَقْسَـامُ[3]

فَـاطْلُبْ لِنَفْسِـكَ غَيْـرِي إِنَّنِي رَجُـلٌ ... يَـأْبَى لِيَ الْـغَـدْرَ أَخْـوَالٌ وَأَعْمَـامُ[4]

كُـلُّ امْـرِىءٍ تَـابِـعٌ أَعْـرَاقَ نَبْعَتِـهِ ... وَالْخَيْـرُ وَالـشَّـرُّ أَنْسَـابٌ وَأَرْحَـامُ[5]

فَـانْـظُرْ لِفِعْـلِ الْفَتَى تَعْـرِفْ مَنَـاسِبَهُ ... إِنَّ الْفِعَـالَ لأَصْـلِ الْمَـرْءِ إِعْـلَامُ[6]

(*) في غرة ربيع الأول سنة ١٢٩٨هـ (السادس من فبراير سنة ١٨٨١م) عزل الخديوي «توفيق» « عثمان رفقي » وزير الحربية في وزارة « مصطفى رياض » ، وأسند هذه الوزارة إلى « محمود سامي البارودي » في مستهلّ الثورة العرابية ؛ وفي ٢٥ من رمضان سنة ١٢٩٨هـ (٢ من أغسطس سنة ١٨٨١م) اضطر إلى الاستقالة من وزارة الحربية ، ووزارة الأوقاف التي كانت معه من قبل ، بسبب السعايات والنمائم التي اتهمته بأنه ضالع مع «أحمد عرابي » وجماعة الضباط الثائرين . ولا ريب أن هذه الاستقالة أو الإقالة قد أصابته إصابة بالغة في أمانيه الشخصية ، ولهذا اشتدتْ ثورته النفسية ، واشتدّ سخطه على من سعى بـه ؛ فهجاه بهـذه الميمية المقذعة اللاذعة .

(١) الود : المودة والمحبة . وألمّ بالقوم إلماماً : زارهم زيارة غير طويلة . ورجل لئيم العهد : أي لا يراعي عهداً ، ولا يحفظ وداً . ونمام : فتّان مُفسد .

(٢) أحسبني : أظنني . والمأربة : البغية والأمنية . والمنى : الأماني والآمال .

(٣) يجهر الشاعر بشدة سخطه على المهجو ، ويؤكد إصراره على مقاطعته ، ويقـول : إنه لن يرضى عنه بعد ما جربه من نفاقه وغدره . ويضيف أن المودة بين الناس تختلف باختلافهم : فمنها ما يقوم على الصدق والإخلاص، ومنها ما يقوم على الخداع والتدليس.

(٤) ما زال الشاعر يؤكد على مقاطعة المهجو، والنفور من مصاحبته . وفي البيت تعريض بغدره وخيانته .

(٥) الأعراق : الأصول ، جمع عرق . والنبعة : واحدة النبع ، وهو شجر ينبت في الجبال ، تتخذ منه القسيّ والسهام . ومن المجاز : فلان من نبعة كريمة ، أي من أصل كريم .

(٦) مناسبه : أصوله وأعراقه . وإعلام : إظهار ، وإبانة . أي أن أعمال المرء وتصرفاته تنم على أصله وعرقه .

وَلَا يَـغُـرَّنَّـكَ وَجْـهٌ رَاقَ مَـنْـظَرُهُ فَـالنَّصْلُ فِيـهِ الْمَنَايَـا وَهْـوَ بَسَّـامُ[٧]

مَـا كُـلُّ ذِي مِنْسَـرٍ فَتْخَـاءَ كَـاسِـرَةً كَـلَّا وَلَا كُـلُّ ذِي نَـابَيْنِ ضِـرْغَـامُ[٨]

فَـإِنْ يَكُنْ غَـرَّنِي حِلْمِـي فَـلَا عَجَبٌ إِنَّ الْحُسَـامَ لَيَنْبُـوا وَهْـوَ صَمْصَـامُ[٩]

ظَـنَـنْـتُ خَـيْـراً وَلَـمْ أُدْرِكْ عَـوَاقِـبَـهُ فَـكَـانَ شَـرّاً وَبَعْضُ الـظَّنِّ آثَـامُ[١٠]

فَـيَـا لَـهَـا ضِـلَّةً مَـا إِنْ أَبِـهْـتُ لَـهَـا حَتَّى تَـرَدَّتْ بِهَـا فِي الشَّـرِّ أَقْـدَامُ[١١]

آلَيْتُ أُكْـذِبُ نَفْسِي بَعْـدَهَـا سَـفَـهَـاً إِنَّ الْمُنَى عِنْدَ صِدْقِ النَّفْسِ أَوْهَـامُ[١٢]

فَيَـا بْنَ مَنْ تَـزْدَرِيـهِ النَّفْسُ مِنْ ضَعَـةٍ فَـمَـا يُـحَسُّ لَـهُ وَجْـدٌ وَإِعْـدَامُ[١٣]

---

(٧) لا يغرنك : لا يخدعنك . وراق : صفا ، وحسن . وراقني الشيء : أعجبني . ونصل الرمح ونحوه : حديدته ، أو حده الذي يقطع . والمنايا : جمع المنية ، وهي الموت . وبسام : لامع ، براق ، جذاب .

(٨) المنسر : للطائر الجارح مثل المنقار لغير الجارح . والفتخاء : العقاب اللينة الجناحين ، وهي من الطيور الكاسرة الجارحة ؛ قوية المخالب ، لها منقار قصير أعقف ، هو منسرها ، وبصرها حاد ، يضرب المثل بحدته وقوته . والناب : السن بجانب الرباعية ، يذكّر ويؤنث . وللإنسان نابان في كل فك . والضرغام : الأسد الضاري الشديد .

(٩) الحلم : العقل ، والأناة . والحسام : السيف الماضي القاطع . ونبا السيف : أخطأ الإصابة . وسيف صمصام : قاطع ماض .

(١٠) ولم أدرك عواقبه : أي ولم أفطن لنتائج هذا الظن ، وقدرت سلامة العواقب ، فكان ظني شراً ، أي خاطئاً سيىء العواقب. والآثام: جمع الإثم ، وهو الخطيئة والذنب .

(١١) « يا لها » : أسلوب تعجب . أي يا عجباً لها ، أي للضلة (بكسر الضاد) : بمعنى الضلال ، ومثلها الضلة (بفتح الضاد) . وأبه له ، وأبه بـه : أي فطن لـه ، وتنبه . وتـردت : هوت وسقطت .

(١٢) آلى إيلاء : أقسم وحلف . وأكذب نفسي : أي لا أكذبها . وسفهاً : أي بسبب السفه . والسفه : الخفة والطيش ، والحماقة ، ونقص العقل . والمنى : الأماني والآمال . والأوهام : جمع الوهم ، وهو ما يقع في الذهن ، وما يخطر بالخلد .

(١٣) تزدريه النفس : تحتقره ، وتتهاون به . والضعة : الذلة ، والمهانة . ورجل وضيع : أي دنيء حقير . ويراد بالوجد والإعدام : الوجود والعدم .

دَعِ الْفَخَارَ وَخُذْ فِيمَا خُلِقْتَ لَهُ ... مِنَ الصَّغَارِ فَإِنَّ الطَّبْعَ إِلْزَامُ[١٤]

وَاذْكُرْ مَكَانَكَ مِنْ « عَبَّاسَ » حَيْثُ مَضَتْ ... عَلَيْكَ فِي الدَّارِ أَعْوَامٌ وَأَعْوَامُ[١٥]

تَبِيتُ مُرْتَفِعَاً فِي ظِلِّ دَسْكَرَةٍ ... لِكُلِّ بَاغٍ بِهَا وجْدٌ وَتَهْيَامُ[١٦]

وَفَوْقَ ظَهْرِكَ لِلأَنْفَاسِ مُعْتَرَكٌ ... وَفِي حَشَاكَ لِنَارِ الْفِسْقِ إِضْرَامُ[١٧]

وَيْلُمِّهَا خِزْيَةٌ طَارَتْ بِشُنْعَتِهَا ... صَحَائِفٌ وَجَرَتْ بِالذَّمِّ أَقْلاَمُ[١٨]

فَاخْسَأْ فَمَا الْكَلْبُ أَدْنَى مِنْكَ مَنْزِلَةً ... وَ « اخْسَأْ » لِمِثْلِكَ إِعْزَازٌ وَإِكْرَامُ[١٩]

هٰذَا الَّذِي تَكْرَهُ الأَبْصَارُ طَلْعَتَهُ ... فَحَظُّهَا مِنْهُ إِيذَاءٌ وَإِيلاَمُ[٢٠]

---

(١٤) دع : اترك . والفخار : الاعتزاز بالمناقب والمحاسن . وخلقت لـه : طبعت عليه ، أي جبلت . يريد أن الصغار ، والذل ، والهوان مركوز في خلقته وطبعه . وألزمه الشيء إلزاماً : أوجبه عليه ، وأثبته له . ومعنى « الطبع إلزام » : أن المهجو طبع على الصغار ، فلزمه ، ووجب له .

(١٥) عباس الأول بن طوسون بن محمد علي ، رأس الأسرة المحمدية العلوية التي حكمت مصر . تولّى الحكم بعد وفاة عمه إبراهيم سنة ١٨٤٨م ، وقد مات مقتولاً في قصره عام ١٨٥٤م .
يقول الشاعر : إن المهجو كان في عهد عباس الأول خاملاً ساقطاً ، منزوياً في داره ، لا يكاد يفارقها ، ولا يكاد يحس به أحد . وقد لبث زماناً طويلاً في هذا الخمول والانزواء .

(١٦) مرتفعاً : إشارة إلى الكراسي المرتفعة التي يجلس عليها روّاد الحانات . والدسكرة : كلمة فارسية من معانيها : بيوت يكون فيها الشراب والملاهي . وظل الدسكرة : سواد حانوت الخمّار ، أي ضوءها الضعيف الخافت . والباغي : الظالم . والوجد : الحب ، وشدة التعلق بالشيء .

(١٧) الأنفاس : جمع نَفَس ، كناية عن المتنفسين من الرجال . ومعترك : من الاعتراك ، وهو الازدحام والتدافع . والحشا : ما انطوت عليه الضلوع ، وما حواه البطن . والفسق : الخروج عن طاعة الله . والإضرام : الإشعال .

(١٨) الويل : الهلاك وحلول الشر . وويلمها : ويل لأمها . والخزية : الذّل والعار . والشنعة : القبح الشديد . وطارت بشنعتها : أي شهرت الخزية ، وأعلنتها ، ونشرتها .

(١٩) إخسأ : أي إبعد . ويقال إخسأ عني : أي ابتعد . وتحمل هذه الكلمة ـ مع الإبعاد والطرد ـ معنى الإذلال ، والإهانة ، والتحقير .

(٢٠) هذا : إشارة إلى المهجوّ . وطلعته : وجهه أو رؤيته . وحظها : نصيبها .

فِي وَجْهِهِ سِمَةٌ لِلْغَدْرِ بيِّنَةٌ | وَبَيْنَ جَنْبَيْهِ أَحْقَادٌ وَأَوْغَامُ (٢١)

لَهُ عَلَى الشَّرِّ إِقْدَامٌ وَلَيْسَ لَهُ | إِلَّا عَنِ الْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ إِحْجَامُ (٢٢)

كَأَنَّمَا أَنْفُهُ مِنْ طُولِ سَجْدَتِهِ | فِي حَانَةِ اللَّهْوِ حَرْفٌ فِيهِ إِدْغَامُ (٢٣)

كَعَقْرَبِ الْمَاءِ يَمْشِي مِشْيَةً صَدَداً | فَخَلْفُهُ عِنْدَ جِدِّ الْأَمْرِ إِقْدَامُ (٢٤)

أَبْدَى بِعَاتِقِهِ الْمَنْدِيلُ سِيمَتَهُ | وَحتَّ مَوْضِعَهُ مِنْ كَفِّهِ الْجَامُ (٢٥)

وَكَيْفَ يَصْلُحُ أَمْرُ النَّاسِ فِي بَلَدٍ | حُكَّامُهُ لِبنَاتِ اللَّهْوِ خُدَّامُ ؟ (٢٦)

---

(٢١) سمة : علامة . وبينة : واضحة ، جلية . والأحقاد : الأضغان ، جمع حقد ، وهو الانطواء على العداوة ، وإضمارالبغضاء . والأوغام : جمع وغم ، وهو الحقد الثابت في الصدر .

(٢٢) الإقدام : مصدر أقدم على الأمر ، وأسرع في إنجازه بلا تردد أو توقف . والإحجام : ضد الإقدام : مصدر أحجم عن الشيء ، أي نكص عنه ، وكف ، وجبن .

(٢٣) الحانة : موضع بيع الخمر ، أي حانوت الخمّار . والإدغام : إدخال الحرف في الحرف .

والمعنى : أن المهجو من مدمني الخمر ، المولعين بمجالس اللهو والشراب في الحانات ؛ فهو لا يفتأ يتردد إليها . ومن عادته أن ينكفىء بأنفه على مناضدها ، ولطول انكفائه وانكباب أنفه عليها يخيل إليك أنه دخل فيها، وأدغم ، كما يدغم الحرف في الحرف .

(٢٤) عقرب الماء : سرطان الماء ، ومن خصائصه أنه يستطيع وهو يمشي أن يتحرك جانبياً ؛ فمشيته غير مستقيمة ، بل فيها عوج ، والتواء ، وانحراف . والصدد : الناحية ، والجانب . ويمشي مشية صدداً : أي يمشي مشية جانبية ؛ فهي ليست معتدلة ، ولا مستقيمة . وخلفه : ظهره . وخلف : وراء ، وضدها « قُدَّام » . وجد الأمر : الحالة التي تتطلب الجد .

(٢٥) عاتق الإنسان : ما بين منكبه وعنقه . وسيمته : سيمة المهجو ، أي علامته التي يتميز بها من غيره . وحتّه : فركه ، ودلكه . والجام : الكأس ، ويراد بها هنا : كأس الخمر .

يقول : اعتاد المهجو أن يضع منديله على عاتقه ؛ فكان هذا من سماته الظاهرة . واعتاد كذلك شرب الخمر وإدمانها ؛ حتى تركت كأسها في كفه أثراً ظاهراً . وربما كان المراد بالشطر الأول من هذا البيت : أن المهجو خالط الخمارين ، واندمج في سلكهم ، فتشبه بهم . ومن عادة النادل (وهو من يقوم على خدمة القوم في الأكل ، أو الشرب) أن يضع على عاتقه منديلاً ، أو شيئاً يشبه المنديل ، كالفوطة مثلاً .

(٢٦) أي لا سبيل إلى صلاح أمر الناس أو إصلاحه في بلد حكامه لاهون فاسقون . وبنات اللهو : الماجنات الساقطات العواهر من النساء .

قَـدْ يَمَّمَتْـهُ الْمَخَـازِي فَهْيَ نَـازِلَـةٌ مِنْـهُ بِحَيْثُ تَـلَاقَـى اللُّؤْمُ وَالـذَّامُ (٢٧)

مَـا إِنْ أَصَبْتُ لَـهُ خُلْقاً فَـأَحْمَـدُهُ فَـكُـلُّ أَخْـلَاقِـهِ لِلنَّـفْسِ آلَامُ (٢٨)

فَظٌّ غَـلِيظٌ مِـقِـيـتٌ سَـاقِطٌ وَجِـمٌ وَغْـدٌ لَئِيمٌ ثَـقِيـلُ الـظِّلِّ حَـجَّـامُ (٢٩)

جَـاءَتْ بِـهِ عَـجُـزٌ لَيْسَتْ بِـطَاهِـرَةٍ لَهَـا بِمَـدْرَجَـةِ الْفَحْشَـاءِ أَزْلَامُ (٣٠)

مُسْتَيْقِظٌ لِلْمَخَـازِي غَـيْـرَ أَنَّ لَـهُ طَرْفاً عَنِ الْعِـرْضِ وَالْأَوْتَـارِ نَـوَّامُ (٣١)

أَسْـتَغْـفِـرُ الـلَّهَ إِلَّا مِـنْ عَـدَاوَتِـهِ فَـإِنَّـهَـا لِجَـلَالِ الـلَّهِ إِعْـظَامُ (٣٢)

---

(٢٧) يممته : قصدته ، وعلقتْ به . والمخازي : الخصال السيئة القبيحة . والذام : العيب ، والمذمة .

(٢٨) خالط الشاعر المهجو وزامله في المناصب الحكومية الكبيرة ، وعرفه معرفة صحيحة ؛ فلم يجد في سيرته وسلوكه ، وأخلاقه وطبائعه ما يرتضى ويحمد ، بل أثبتت التجربة أن أخلاقه سيئة رديئة ، تؤلم النفوس ، وتنفّر القلوب .

(٢٩) رجل فظّ : غليظ ، قاس جاف . ومقيت : ممقوت ، بغيض ، مكروه أشد الكراهية . وساقط : رذل ، خسيس ، لئيم في نفسه وحسبه . ووجم (بوزن كتف) : عابس الوجه . ووغد : أحمق ، ضعيف العقل . وثقيل الظل : أي ثقيل على الناس ، مقيت إليهم ، مكروه منهم . والحجام : من يعالج المريض بامتصاص جزء من دمه ، وحرفته الحجامة (بوزن الكتابة) . والحجام ثقيل الظل على الناس .

(٣٠) العجز : مؤخر الشيء ، ويراد بها هنا ، فرج المرأة . وليست بطاهرة : ليست عفيفة ، ولا محصنة . والمدرجة : المسلك والطريق . والفحشاء : ما شنع ، وفظع . وقد يكنى بالفحشاء عن الزنا . والأزلام : جمع زلم وهو السهم الذي لا ريش عليه . وللعجز أزلام بمدرجة الفحشاء : كناية عن اعتيادها الفاحشة والرذيلة .

(٣١) مستيقظ للمخازي : منتبه لها ، حريص عليها . والطرف : العين ، والنظر . والعرض : موضع المدح والذم من الإنسان . يقال : هو نقي العرض ، أي ليس فيه ما يثلب ويعاب . والأوتار : جمع وتر وهو الثأر . و« نوام » : أي كثير النوم .

(٣٢) أعظمه إعظاماً : فخّمه وكبّره وعظّمه ، أو رآه عظيماً .

المعنى : أن عداوة الشاعر لمثل هذا المهجو ليست من الذنوب التي يرجى فيها من الله المغفرة ، ولكنها تمجيد وتعظيم لجلال الله وعظمته ؛ وكأنها من العبادات والقربات ؛ فالشاعر يتقرب إلى الله تعالىٰ بالإمعان في مثل هذا الهجاء ، والتنديد بما يمقته الله عزّ وجلّ .



فَــاذْهَبْ كَمَـا ذَهَبَ الــطَّاعُـونُ مِنْ بَلَدٍ   تَـقْفُــوهُ بِــالـلَّعْنِ أَرْوَاحٌ وَأَجْسَــامُ(٣٣)

وَهَــاكَ مَـا أَنْتَ أَهْــلٌ فِي الْهِجَــاءِ لَــهُ   فَــالْهَجْــوُ فِيـكَ لِنَقْضِ الْحَقِّ إِبْـرَامُ(٣٤)

مِنْ كُــلِّ قَــافِيَــةٍ فِي الأَرْضِ سَــائِـرَةٍ   لَهَــا بِعِــرْضِـكَ إِنْجَــادٌ وَإِتْهَــامُ(٣٥)

شِعْـرٌ لِـوَجْـهِ الْمَخَـازِي مِنْـهُ سَـافِيَـةٌ   بِحَـاصِبٍ وَلأَنْفِ الْجَهْـلِ إِرْغَـامُ(٣٦)

تَـبْلَى الْـعِـظَامُ وَيَـبْقَـى ذِكْــرُهُ أَبَـدَاً   فِي كُـلِّ عَصْـرٍ لَــهُ سَجْـعٌ وَتَــرْنَـامُ(٣٧)

وَقَالَ يَهْجُو :

هَـجَـوتُــكَ غَـيْــرَ مُبْـتَـدِعٍ مَـقَــالاً   سِــوَى مَــا فِيــكَ مِنْ دَنَسٍ وَشُـؤْمِ (١)

فَــإِنْ تَــجْـزَعْ فَـمِــنْ خَــوَرٍ وَجُـبْــنٍ   وَإِنْ تَـصْبِــرْ فَـمِـنْ ضَــعَــةٍ وَلُـؤْمِ (٢)

---

(٣٣) الطاعون : الوباء ، أو الموت من الوباء . وتقفوه : تتبعه ، وتسير وراءه . واللعن : الطرد ، والإبعاد من الخير . ولعن فلان فلاناً : أي دعا عليه ، وسبه ، وأخزاه .

(٣٤) « هاك » : اسم فعل أمر ، بمعنى « خذ » . وهو أهل لكذا : أي مستحق له ، أي وخذ من الهجاء ما تستأهله . ونقض الحق : إهداره وتضييعه والتفريط فيه . وأبرم الشيء : أحكمه .

(٣٥) العرض : ما يمدح ويذم من الانسان ، وهو ما ينبغي أن يصونه من نفسه وشرفه . والإنجاد : الارتفاع . والاتهام : الانخفاض .

(٣٦) سافية : حاملة . والحاصب : الريح الشديدة تحمل الحصباء والتراب . ويراد بالحاصب هنا: ما تثيره الرياح، وترمي به من الحصى والتراب ونحوهما. والجهل: السفاهة والجفاء والغلظة وسوء الخلق. وأرغمه إرغاماً: ألقاه في الرغام، وهو التراب.

(٣٧) تبلى : تفنى . والعظام : عظام الموتى من الناس . والذكر : الصيت . والسجع : الترديد . والترنام : رجع الصوت وإجادة الغناء .

(١) مبتدع : اسم فاعل من ابتدع الشيء ، أي استحدثه ، واخترعه ، وأنشأه على غير مثال . ودَنَس : قذارة وتلوّث . والشؤم : السوء ، والشر ، والفساد .

يقول: إنه لم يتجنّ على المهجو بهجائه، ولم يرمه إلا بمساويه، ومعايبه، وما فيه من قذارة وشرور وفساد.

(٢) جزع : ضعفت قوته عن حمل ما نزل به ، ولم يجد صبراً عليه . والخور : الضعف والانكسار . والجبن : صفة الجبان ، وهو الذي يحجم حيث ينبغي الإقدام . والضعة :



وَقَالَ فِي رَجُلٍ :

أَلَا مَـنْ مُـعِـينِـي عَـلَى صَـاحِـبٍ	جَـرَعْـتُ بِصُحْبَتِـهِ الْعَلْقَمَـا ؟[١]
يَـسُـوءُ الْـخَـلِيـلَ وَيُؤْذِي الْـجَلِيـ	ـسَ وَيَـأْنَـفُ إِنْ زَلَّ أَنْ يَـنْـدَمَـا[٢]
يَـلُومُ عَـلَى غَـيْـرِ ذَنْـبٍ جَـرَى	وَيَـغْضَبُ مِنْ قَبْـلِ أَنْ يَـفْـهَـمَـا[٣]
فَـإِنْ قُـلْتُ مَـهْـلًا لَـوَى شِـدْقَـهُ	وَإِنْ لَـمْ أُجِبْ قَـوْلَـهُ بَـرْطَـمَـا[٤]
لَـهُ جَـهَـلَاتٌ تُـمِـيـتُ الـرِّضَـا	وَحُـمْـقٌ يَـكَـادُ يُـسِـيـلُ الـدِّمَـا[٥]
يُـكَـابِـرُ فِـي الْـحَـقِّ إِنْ مَـضَّـهُ	وَلَا يَـدَعُ الـظَّنَّ أَوْ يَـأْثَـمَـا[٦]
فَـلَا أَنَـا مِـنْـهُ أَرَى رَاحَـةً	وَلَا أَنَـا عَـنْـهُ أَرَى مَـنْـسِـمَـا[٧]
تَـبَـدَّلَ أُنْـسِـي بِـهِ وَحْـشَـةً	وَعَـادَ نَـهَـارِي بِـهِ مُـظْلِمَـا

الوَضاعة ، والدناءة ، والخسة . ورجل وضيع : دنيء خسيس ، ساقط . واللؤم : نقيصة تجمع عدة نقائص ، كشح النفس ، ودناءة الأصل ، والمهانة .

(١) عاسر هذا الصاحب الشاعر معاسرة شديدة ، وجرعه في صحابته العلقم ؛ حتى ضاق به ذرعاً ، فاستنجد ، واستغاث ، وطلب من يخفف عنه ثقله وبلواه .

(٢) من عيوب المهجو إيذاء جلسائه ، والإساءة إلى أخلائه ؛ والتشبث بالخطإ والزلل ، والتمادي في الجهل والسفه .

(٣) إن هذا الصاحب ينحى بلائمته على غير المذنب ، ويسارع إلى الغضب قبل الفهم ، وتحكيم العقل .

(٤) الشدق : جانب الفم مما تحت الخد . وليّ الشدق : كناية عن التبرم والغضب ، وأمارة من أمارات السخط والإعراض . وبرطم : اغتاظ ، وانتفخ ، وأدلى شفتيه من الغضب .

(٥) جهلات : جمع جهلة ، بمعنى السفاهة والحماقة . والحمق : قلة العقل ، أو فساده .

(٦) يكابر في الحق: يجاحد فيه، ويعاند. ومضه وأمضه: آلمه وأوجعه، وشقّ عليه. ويأثم: يقع في الإثم، وهو الذنب والخطيئة.

(٧) المنسم : الطريق .

والمعنى : أنه يتوق إلى قطع صلته بهذا الصاحب المتعب النكد ؛ ولكنه لا يكاد يجد الحيلة أو الطريق إلى ما يرغب فيه ويتمناه .



فَلاَ رَحِمَ اللّٰهُ يَوْماً جَرَى عَلَيَّ بِهِ طَائِراً أَشْأَمَا[8]

وَقَالَ[*] :

كَمْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ وَلَرُبَّ تَالٍ بَزَّ شَأْوَ مُقَدَّمِ[1]
فِي كُلِّ عَصْرٍ عَبْقَرِيٌّ لاَ يَنِي يَفْرِي الْفَرِيَّ بِكُلِّ قَوْلٍ مُحْكَمِ[2]
وَكَفَاكَ بِي رَجُلاً إِذَا اعْتُقِلَ النُّهَى بِالصَّمْتِ أَوْ رَعَفَ السِّنَانُ بِعَنْدَمِ[3]

---

(٨) الأشأم : المشؤوم . ومن كلامهم : « جرى لهم الطائر الأشأم » : أي أصابهم الشؤم ، وهو الشر ، والسوء ، والبلاء .

(*) هذه القصيدة من فخريات البارودي ، وعيون شعره ، وفيها ـ مع الفخر ـ وفاء لمصر ، وتعلق بها ، وثناء عليها ، وتغن بمحاسنها . فبعد عودته من منفاه في سبتمبر سنة ١٨٩٩ استقبله الناس بحفاوة بالغة ، وعادت داره منتدى الأدباء والشعراء ، وأهل العلم . وفي إحدى ندواته سأله الأديب الشاب « مصطفى صادق الرافعي » شيئاً من شعره الحديث ، فقال : « إن عنترة بن شداد العبسي » يقول :

هل غادر الشعراء من متردَّم أم هل عرفت الدار بعد توهّم ؟

وقد نقضت هذه القصيدة بقولي :

كم غادر الشعراء من متردّم ولسرب تال بَزَّ شأو مقدّم

والقصيدتان على وزن وروي واحد .

(١) غادره: تركه وأبقاه. ومتردّم: أي مجال تردّم، من تردّم كلامه تردّماً، أي تتبعه حتى أصلحه، وسدّ خلله . والمراد أن السابقين من الشعراء تركوا للاحقين مجالاً واسعاً فسيحاً للقول ، والافتنان فيه ، والتجديد ، والابتداع . وتالٍ : تابع . وضده المقدّم : اسم مفعول من قدمه تقديماً ، أي غلبه وفاقه ، وفضله . والشأو : الغاية والأمد .

(٢) لا يني : لا يفتر ، ولا يضعف ، ولا يتوانى . وفرى الشيء يفريه : قطعه على وجه الإصلاح . والفريّ : الأمر العجيب . وفلان يفري الفري : إذ أجاد عمله وأحكمه وأتقنه ، وأتى فيه بالعجيب . والمحكم : المتقن .

(٣) كفاك بي رجلاً : أسلوب يفيد الفخر بأنه الرجل الذي تكون به الكفاية ، ويستغنى به عمن سواه من الرجال . واعتقل لسانه : حبس ، فلم يستطع الكلام . والنهى : العقل . واعتقال العقول والألسنة بالصمت : كناية عن نضوب القرائح ، وخمود الأذهان . ورعف فلان : خرج من أنفه الدم . وسنان الرمح ونحوه : نصله . والعندم : دم الأخوين . ويراد بالعندم هنا : دم



أَحْيَيْتُ أَنْفَاسَ الْقَرِيضِ بِمَنْطِقِي وَصَرَعْتُ فُرْسَانَ الْعَجَاجِ بِلَهْذَمِي (٤)

وَفَرَعْتُ نَاصِيَةَ الْعُلاَ بِفَضَائِلٍ هُنَّ الْكَوَاكِبُ فِي النَّهَارِ الْمُظْلِمِ (٥)

سَلْ مِصْرَ عَنِّي إِنْ جَهِلْتَ مَكَانَتِي تُخْبِرْكَ عَنْ شَرَفٍ وَعِزٍّ أَقْدَمِ (٦)

بَلِهٌ نَشَأْتُ مَعَ النَّبَاتِ بِأَرْضِهَا وَلَثَمْتُ ثَغْرَ غَدِيرِهِ الْمُتَبَسِّمِ (٧)

فَنَسِيمُهَا رُوحِي وَمَعْدِنُ تُرْبِهَا جِسْمِي وَكَوْثَرُ نِيلِهَا مَحْيَا دَمِي (٨)

فَإِذَا نَطَقْتُ فَبِالثَّنَاءِ عَلَى الَّذِي أَوْلَتْهُ مِنْ فَضْلٍ عَلَيَّ وَأَنْعُمِ (٩)

أَهْلِي بِهَا وَأَحِبَّتِي وَكَفَى بِهِمْ فَخْراً مَلَكْتُ بِهِ عِنَانَ الأَنْجُمِ (١٠)

الجرحى والقتلى من المحاربين . ورعف الأسنة بالدماء : كناية عن استحرار القتال ، واشتداد لظى الحرب والنزال .

(٤) صرعه : طرحه على الأرض . والعجاج : الغبار الذي تثيره سنابك الخيل ، وحركات المتحاربين . وفرسان العجاج : أي فوارس الحرب والقتال . واللهذم : كل شيء قاطع من سنان أو سيف أو غيرهما . وسيف لهذم : حاد قاطع .

(٥) فرعت : صعدت ، وعلوت ، وارتقيت . والناصية : مقدم الرأس ، أو شعر مقدّم الرأس . والعلا : العلاء ، والرفعة ، والشرف . وناصية العلا : قمة المعالي .

(٦) المكانة : المنزلة ، ورفعة الشأن .
يفخر بسمو منزلته ، وجلال قدره ، وأصالة شرفه وعزه . ويقول : إن مصر وأهلها يعرفون له كل هذا ، ويشهدون به .

(٧) « بله » : حَسَن الخُلق . والبله والأبله : من غلبته سلامة صدره . واللثم : التقبيل . والثغر : المبسم . ونشأته مع النبات : إشارة إلى غضارة طفولته ، ونضارة صباه . واللثم هنا : كناية عن الشرب . والثغر : كناية عن المشرب ، أو المورد . وغديره : غدير النبات ، أي ما يروي النبات ويسقيه من الغدران ، والأنهار . والغدير بصفاء مائه ، وحسن روائه يبدو كالمتبسم .

(٨) نسيمها : نسيم مصر . ومعدن الشيء : أصله . والترب : التراب . والكوثر : الخير العظيم ، أو نهر عظيم في الجنة . وعلى هذا المعنى يكون « كوثر نيلها » أي نيلها الشبيه بكوثر الجنة . والمحيا : الحياة . وحياة دمه : حياة جسمه .

(٩) الثناء : ذكر المحامد . وأولاه معروفاً : أسداه إليه ، وصنعه . والفضل : الإحسان . والأنعم : جمع نعمة ، أو نعماء ، وهي كل عطاء حسن .

(١٠) أحبتي : من أحبهم ويحبونني . والعنان : سير اللجام الذي تمسك به الدابة وتقاد ، وجمعه



وَأَحَـقُّ دَارٍ بِـالْـكَـرَامَـةِ مَـنْـزِلٌ لِلْقَلْبِ فِيـهِ عَـلَاقَـةٌ لَمْ تَـصْـرَمِ [11]
هِـيَ جَنَّـةُ الْـحُسْنِ الَّتِـي زَهَـرَاتُـهَـا حُـورُ الْمَهَـا وَهَـزَارُ أَيْكَتِهَـا فَمِي [12]
مَـا إِنْ خَلَعْتُ بِهَـا سُيُـورَ تَـمَـائِمِـي حَتَّى لَبِسْتُ بِهَا حَمَـائِـلَ مِخْـذَمِي [13]
وَغَـنِيتُ عَنْ قُـلَتِي بِـعَـامِـلِ أَسْـمَـرٍ وَسَلَوْتُ عَنْ مَهْـدِي بِصَهْـوَةِ أَدْهَمِ [14]
وَفَجَـرْتُ يَنْبُـوعَ الْبَيَـانِ بِـمَـنْـطِقٍ عَـذْبٍ رَوَيْتُ بِـهِ غَلِيـلَ الْحُـوَّمِ [15]

أعنة . وامتلاك أعنة النجوم : كناية عن التحكم فيها ، والسيطرة عليها . وهذه كناية عن بلوغه أعلى مراتب الرفعة والمجد .

(١١) الدار والمنزل : مصر . ولم تصرم : لم تقطع .

يقول : لقلبه بمصر علاقة وثيقة ثابتة لا انفصام لها . لذا فهي أحب بلاد الله إليه ، وأعزها عليه ، وأحقها ببره وتكريمه .

(١٢) زهرات مصر : فتياتها الحسان الجميلات . والحور : جمع حوراء ، صفة من الحور (بفتحتين) ، وهو من محاسن العين . ومعناه : أن يشتد بياض بياضها ، وسواد سوادها ، وتستدير حدقتها ، ويحسن اتساعها . والمها : البقر الوحشي ، واحدته مهاة ، والحور من صفات عينيها . والهزار (بوزن سلام) : طائر من طيور الغرد ، صوته حسن . والأيكة : واحدة الأيك ، وهو الشجر الكثير الملتف .

(١٣) خلع الشيء : نزعه ، وألقاه . والسيور : جمع سير ، وهو رباط من الجلد . والتمائم : جمع تميمة ، وهو عُوذة ، أو خرزة تربط في السير ، توضع في عنق الطفل ، يعوّذونه بها . وهي ـ في زعمهم ـ تدفع العين والحسد ، وتعصمه من الشر . وتعليق التمائم كناية عن الطفولة والصغر ، وخلعها كناية عن مجاوزتهما ، وبلوغ الرشد . والحمائل : جمع حمالة ، وهي علاقة السيف ونحوه . والمخذم : السيف القاطع . ولبس حمائل المخذم : كناية عن الرجولة والقوة .

(١٤) غنيت عن قلتي بعامل أسمر : أي استغنيت عن لعب الأطفال واستبدلت بها الرماح . والقلة (بوزن الكرة) : من لعب الصبيان . وعاملٍ أسمر: أعلا الرمح . وسلا عن الشيء : نسيه . والمهد : الفراش . والدهمة : السواد . وفرس أدهم : اشتدت سمرته ، حتى ذهب بياضه .

(١٥) فجر الماء : شق له طريقاً ، فسال وجرى . والينبوع : عين الماء . ومن المجاز : فجر الله على لسان فلان ينابيع الحكمة . وينبوع البيان : أي البيان الشبيه بالينبوع . والمنطق : الكلام . وعذوبة الكلام : سهولته وبلاغته . ورويت : سقيت . والغليل : شدة العطش . والحوّم : العطاش .



وَلَكَمْ أَثَرْتُ غَيَابَةً مِنْ قَسْطَلٍ بِمُهَنَّدِي وَحَلَلْتُ عُقْدَةَ مُبْرَمِ (١٦)
أَخْتَالُ طَوْراً فَوْقَ ذِرْوَةِ مِنْبَرٍ وَأَكُرُّ طَوْراً فَوْقَ نَهْدٍ شَيْظَمِ (١٧)
حَتَّى رَبَأْتُ مِنَ الْمَعَالِي هَضْبَةً شَمَّاءَ تُزْلِقُ أَخْمَصَ الْمُتَسَنِّمِ (١٨)
نَشَأَتْ بِطَبْعِي لِلْقَرِيضِ بَدَائِعٌ لَيْسَتْ بِنِحْلَةِ شَاعِرٍ مُتَقَدِّمِ (١٩)
يَصْبُو بِهَا « الحَكَمِيُّ » صَبْوَةَ عَاشِقٍ وَتَخِفُّ مِنْ طَرَبٍ عَرِيكَةُ « مُسْلِمِ » (٢٠)
قَوَّمْتُهُ بَعْدَ اعْوِجَاجِ قَنَاتِهِ وَالرُّمْحُ لَيْسَ يَرُوقُ غَيْرَ مُقَوَّمِ (٢١)

---

(١٦) أثرت : هيجّت ، ونشرت . والغيابة : كل ما غيّب شيئاً ، وواراه . والقسطل : بيان للغيابة ، وهو الغبار الذي تثيره في الحرب سنابك الخيل وحركات المتحاربين ، وهي كناية عن أنه محارب شجاع ، شديد البأس . والمهند : السيف المطبوع من حديد الهند ، وكان أجود السيوف عندهم .

(١٧) اختال : تبختر وتكبو . وكر الفارس : عاد مرة بعد أخرى . وكرّ على عدوه : حمل عليه في الحرب ونحوها ، أي هجم . وفرس نهد : قوي ضخم . والشيظم : الطويل ، الجسيم ، والسريع .

(١٨) ربأت : علوت ، وارتقيت . والمعالي : الرفعة والشرف . والهضبة : الجبل المنبسط . وشمّاء : عالية مرتفعة . والترتيب الأصلي لهذا الكلام : « حتى ربأت هضبة شماء من المعالي » . وزلقت القدم : زلت ، وسقطت . والأخمص : باطن القدم . والمتسنم : من تسنمت البعير ، أي ركبت سنامه . ومن المجاز : تسنم فلان ذروة الشرف ، أي علاها وارتقاها .

(١٩) القريض : الشعر . وبدائعه : روائعه . أي أن شعره مطبوع ، أي يجري على الطبع والسليقة . والنِحلة : اسم من انتحل فلان شعر غيره ، إذا ادعاه ، ونسبه إلى نفسه .

(٢٠) صبا إلى الشيء : مال إليه ، وتشوّق . وبها : أي ببدائع شعره . والحكمي : أبو نواس ، الحسن بن هانىء بن عبد الأول بن صباح الحكمي ، شاعر العراق في عصره (١٤٦ - ١٩٨ هـ) . وتخف : تنشط وتهتز . والطرب : خفة من سرور وفرح . والعريكة : الطبيعة ، والنفس . ومسلم (٧٤٧ - ٨٢٣ م) : أبو الوليد ، مسلم بن الوليد الأنصاري ، الملقب بصريع الغواني ، من الشعراء النابهين المبرزين في العصر العباسي الأول . أجاد الشعر وهو صبي ، ومدح الرشيد والبرامكة ، وكان خليعاً ماجناً ، ثم جنح للنسك والعبادة ، وظل متنسكاً حتى مات بجرجان ، بالقرب من بحر قزوين سنة ٢٠٨هـ .

(٢١) قومته : قومت شعري ، أي عدلته ، ونقحته . وتقويم قناة الشعر : تعبير مجازي في معنى التهذيب والتنقيح ، وتخليص الكلام من عيوبه ، وإخراجه جيداً محكماً رائقاً .



فِقَـرٌ يَكَـادُ الـسِّحْـرُ يَبْلُغُ بَعْضَ مَـا فِي طَيِّهَـا لَـوْ كَـانَ غَيْـرَ مُحَـرَّمِ (٢٢)

مُتَشَـابِـهُ الـطَّرَفَيْنِ يُنْبِـىءُ صَـدْرُهُ عَمَّـا تَـلَاحَقَ فَهْـوَ بَـادِي الْمَعْلَمِ (٢٣)

أَحْكَمْتُ مَـنْـطِقَـهُ بِـلَهْـجَـةِ مُـفْلِقٍ يَقِظِ الْبَـدِيهَةِ فِي الْقَـرِيضِ مُحَكَّمِ (٢٤)

يَـبْـتَـزُّ أُهْبَـةَ كُـلِّ فَـارِسِ بُـهْـمَـةٍ وَيَـزُمُّ شِقْشِقَـةَ الْفَـتِيـقِ الْمُـقْـرَمِ (٢٥)

ذَلَّـلْتُ مِـنْـهُ غَـوَارِبـاً لَا تُـمْـتَـطَى وَخَـطَمْتُ مِنْـهُ مَـوَارِنـاً لَمْ تُخْـطَمِ (٢٦)

شِعْـرٌ جَمَعْتُ بِـهِ ضُـرُوبَ مَـحَـاسِنٍ لَـمْ تَجْـتَمِـعْ قَبْلِي لِـحَـيٍّ مُـلْهَـمِ (٢٧)

فَـإِذَا نَـسَـبْـتُ فَـتَـنْـتُ كُـلَّ مُـقَـنَّـعٍ وَإِذَا نَـأَمْـتُ ذَعَـرْتُ كُـلَّ مُـلَثَّـمِ (٢٨)

---

(٢٢) فقر الكلام والشعر : جمله ، وأجزاؤه ، وأبياته . ويراد بما في طيها : ما تنطوي عليه الفقر ، أي الأبيات ، كروعة التأليف ، وإبداع التركيب ، وقوة التأثير في الأسماع والأبصار والقلوب والأذهان .

(٢٣) يريد بتشابه طرفي شعره ، وإنباء صدره بما تتابع بعده : أن شعره متماثل في الوضوح والبيان . وبادي المعلم : أي واضح المعالم ، لا يكاد يخفى منه شيء .

(٢٤) أحكمت منطقه : أتقنت نظمه وتأليفه . واللهجة : لغة الإنسان . ومفلق : مُبدع . ويقظ البديهة : حاضر الجواب ، ولديه تمام استعداد لنظم الشعر في شتى فنونه وأغراضه . ومحكّم : يفصل بين المتحاكمين .

(٢٥) يبتز : يأخذ أخذ مغالبة ومقاهرة ، وفاعله ضمير الشعر . والأهْبَة : الاستعداد . والبهمة (بضم فسكون) : الشجاع . ويراد بفارس البهمة هنا : البارع المتفوق في قو ل الشعر . وابتزاز أهبته : التغلب عليه . وزم البعير خطمه : أي جعل على أنفه خطاماً : اي زماماً ، وشده به . والشقشقة هنا : الفصاحة . والفتيق : الفصيح ، الحاد اللسان . والمقرم : السيد المعظم المكرم . ويراد بالفتيق المقرم : الشاعر المفلق . وزمّ شقشقته : كناية عن قهره والتغلب عليه .

(٢٦) ذللت : سهلت ، ومهّدت . ومنه : من الشعر . والغوارب : جمع الغارب ، وهو من البعير ما بين سنامه وعنقه . ولا تمتطى : لا تركب ، أي لا يسهل ركوبها . وخطمت البعير : جعلت الخطام ، أي الزمام ، على خطمه ، أي مقدّم أنفه وفمه . ومنه : من الشعر . والموارن : جمع مارن ، وهو الجزء اللين من الأنف .

(٢٧) ضروب : صنوف ، وأنواع . ويراد بالحي : الإنسان ، أو الشاعر . وشاعر ملهم : شاعر موهوب .

(٢٨) نسب الشاعر : قال نسيباً أي غزلاً . وفتنت : استملت واستهويت . والمقنع : كناية عن



كَـالـرَّوْضِ تَسْمَـعُ مِنْـهُ نَغْمَـةَ بُلْبُـلٍ	وَالْغِيْـلُ تَسْمَـعُ مِنْـهُ زَأْرَةَ ضَيْـغَمِ (٢٩)
أَدْرَكْتُ قَـاصِيَـةَ الْمَحَـامِـدِ وَالْـعُـلا	وَشَـأَوْتُ فِيهَـا كُـلَّ أَصْيَـدَ مُسْنِمِ (٣٠)
فَـأَنَـا ابْنُ نَفْسِي إِنْ فَخَـرْتُ وَإِنْ أَكُنْ	لأَغَـرَّ مِنْ سَلَفِ الأَكَـارِمِ أَنْتَمِـي (٣١)
وَالْـفَـخْـرُ بِـالآبَـاءِ لَـيْسَ بِنَـافِـعٍ	إِنْ كَـانَتْ الأَبْنَاءُ خُـورَ الأَعْـظُمِ (٣٢)
هَـذَا وَرُبَّـتْ لَـذَّةٍ بَـاشَـرْتُـهَـا	فِي ظِـلِّ أَخْضَـرَ بِـالْعَـرَارِ مُنَمْنَمِ (٣٣)
طَـفِقَ الـنَّسِيـمُ يَـحُـوكُ وَشْـيَ بُـرُودِهِ	بِـأَنَـامِـلٍ تَمْـرِي خُيُـوطَ الْمِـرْزَمِ (٣٤)

المرأة المحجبة . ونأمت القوس : صوتت . والنئيم : صوت الأسد . وذعرتُ : خوفتُ ، وأفزعتُ . والملثّم :كناية عن المحارب

(٢٩) البلبل : طائر صغير يضرب المثل بحسن صوته ، وطلاقة لسانه . والغيل : الأجمة ، أي الشجر ، الكثير الملتفّ .

والمعنى : أن شعره متفاوت بتفاوت فنونه وأغراضه ؛ فهو في النسيب ونحوه عذب رقيق سهل ، وفي الحماسة ونحوها جزل قوي ضخم ؛ فنغمة البلبل كناية عن الرقة والعذوبة والسهولة ، وزأرة الضيغم كناية عن الجزالة ، واستحكام القوة .

(٣٠) قاصية الشيء : غايته . وشأوت القوم : سبقتهم . وفيها : في العلا والمحامد . والأصيد : المتكبر ، المزهو بنفسه . ومسنم : عال مرتفع .

(٣١) أنا ابن نفسي : أي أنا عصامي ، نهضت بي كفاياتي وأخلاقي وأعمالي . والأغرّ : المشهور . وسلف الرجل : آباؤه المتقدمون .

يقول : إن فخرت فإنما أفخر بنفسي ، لا بآبائي ، وإن كانوا من الغر الأطيبين الأكارم .

(٣٢) خور : ضعاف . والأعظم : العظام .

(٣٣) اللذات التي باشرها : أي استمتع بها . ويعبر بالظل عن الرحاب والستر والوقاية . وأخضر : أي في ظل روض أخضر . والعرار هنا : أزهار الروض وأنواره ذات الرائحة العطرية الذكية . ومنمنم : مرقش مزين .

(٣٤) طفق : بدأ ، وشرع . ويحوك : ينسج . والوشي : الثياب الموشية ، أي المنقوشة . وبروده : أي برود الروض ، جمع بُرد ، وهو كساء مخطط . ويحوك وشي بروده : أي ينسج بروده ويوشيها ويزخرفها . ويراد بالخيوط : المطر يسقط من السحاب في انسجام وتتابع واتصال ، كأنه الخيوط . والمرزم (بوزن المنبر) : أي النجوم المبشرة بالمطر .

فَبِكُلِّ أُفْقٍ مُزْنَةٌ فَيَّاضَةٌ … وَبِكُلِّ أَرْضٍ جَدْوَلٌ كَالأَرْقَمِ [٣٥]
هَاتِيكَ تَجْرِي فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا … سُفُنٌ وَهَذَا فِي الْخَمَائِلِ يَرْتَمِي [٣٦]
فَالرَّوْضُ بَيْنَ مُوَشَّحٍ وَمُؤَزَّرٍ … وَالزَّهْرُ بَيْنَ مُدَنَّرٍ وَمُدَرْهَمِ [٣٧]
طَلْقُ الْجَبِينِ تَبَسَّمَتْ أَزْهَارُهُ … عَنْ دُرِّ قَطْرٍ كَالْعُقُودِ مُنَظَّمِ [٣٨]
عَبِقُ الإِزَارِ كَأَنَّمَا جَرَتِ الصَّبَا … فِيهِ بِجُؤْنَةِ عَنْبَرٍ لَمْ تُخْتَمِ [٣٩]
صَبَحَ الْغَمَامُ غُصُونَهُ فَتَرَنَّحَتْ … طَرَباً لِرَجْعِ الطَّائِرِ الْمُتَرَنِّمِ [٤٠]
فَنَسِيمُهُ أَرِجٌ وَطَائِرُ أَيْكِهِ … هَزِجٌ وَجَدْوَلُهُ بَرُودُ الْمَبْسِمِ [٤١]
يَسْتَوْقِفُ الأَلْبَابَ حُسْنُ رُوَائِهِ … وَيَصِيدُ عَيْنَ النَّاظِرِ الْمُتَوَسِّمِ [٤٢]

---

(٣٥) يصف كثرة السحب الممطرة ، وانتشارها في الآفاق ، وكثرة الجداول وقنوات الماء ، وانسيابها بين الأشجار والزروع كالأفاعي .

(٣٦) هاتيك : إشارة إلى المزنة في البيت السابق . وهذا : إشارة إلى الجدول . والخمائل : جمع خميلة ، وهي الموضع تكثر فيه الأشجار . ويرتمي : يزيد ويكثر .

(٣٧) موشّح : يضع الوشاح . والمؤزّر : يضع الإزار . فالزهر مدنّر على التشبيه بالدينار ، بلونه الذهبي ، ومدرهم ، أي يشبه الدرهم ، بلونه الفضي .

وفي هذا البيت وصف أثر الأمطار والجداول في إحياء الأرض ، واكتساء مثل هذا الروض بأنواع الزروع والنبات ، وتزيّنه بما يشبه الدراهم والدنانير من ألوان الورد والزهر .

(٣٨) وصف هذا الروض بطلاقة الجبين والإشراق . وقال : إن أزهاره تفتحت في أجمل صورها . وضاعف جمالها ما تحمله أوراقها من قطرات الندى في الصباح . هذه القطرات تشبه قلائد الجواهر ، وعقود الدرر واللآلىء المنسقة .

(٣٩) عبق به الطيب : ظهرتْ فيه رائحته الذكية العطرية ؛ فهو عبق . وإزار الروض : ما يكسوه ويزينه من الشجر والزرع والنبات والزهر . والصبا : ريح طيبة ، وهي أحب الرياح إلى العرب . والجؤنة : ما يحفظ فيها العطار الطيب والعنبر .

(٤٠) صبحه : سقاه الصَّبوح ، وهو شراب الصباح . والغمام : السحاب . وترنحت : تمايلت واهتزت . ورجع الطائر : شدا ، وترنم .

(٤١) نسيم أرج : أي عطر . والأيك : جمع أيكة ، وهي الشجر الكثير الملتف . وطائر هزج : يغرد ، ويطرّب . وبرود : أي ماؤه عذب بارد . والمبسم : الثغر ، ويراد به هنا : المذاق . من قولهم : « والله ما بسمت فيه » : أي ما ذقته .

(٤٢) الألباب : العقول . والرواء : المنظر الحسن . والمتوسم : المتعرّف والمتفرّس .

وَالْـمَـرْءُ طَـوْعُ يَـدِ الـزَّمَـانِ يَقُـودُهُ	قَـوْدَ الْـجَنِيبِ لِـغَـايَـةٍ لَمْ تُـعْلَمِ (٤٣)
فَـلَكٌ يَـدُورُ وَأَنْـجُـمٌ لاَ تَـأْتَـلِي	تَـبْـدُو وَتَغْـرُبُ فِـي فَضَـاءٍ أَقْـتَمِ (٤٤)
صُـوَرٌ إِذَا نَـادَيْـتَـهَـا لَـمْ تَـسْـتَـجِـبْ	أَوْ رُمْتَ مِنْـهَـا الـنُّـطْقَ لَـمْ تَـتَكَلَّمِ (٤٥)
فَـدَعِ الْخَفِيَّ وَخُـذْ لِنَفْسِـكَ حَـظَّـهَـا	مِـمَّـا بَـدَا لَـكَ فَهْـوَ أَهْنَـأُ مَغْنَمِ (٤٦)
لاَ يَـسْتَـطِـيـعُ الْـمَـرْءُ يَبْلُغَ مَـا نَـأَى	عَنْـهُ وَلَـوْ صَعِـدَ السَّمَـاءَ بِـسُلَّمِ (٤٧)
بَـيْـنَـا يَـشُـقُّ بِـهِ الْـجِـوَاءَ تَـرَفُّـعَـاً	أَهْـوَى بِـهِ فِي كِسْـرِ بَيْتٍ مُـظْلِمِ (٤٨)
إِنَّ الْـحَـيَـاةَ شَـهِـيَّـةٌ مَـا لَـمْ تَـكُـنْ	غَـرَضـاً لإِمْـرَةِ ظَـالِمٍ لَمْ يَـرْحَمِ (٤٩)
لاَ أَرْتَـضِـي عَـيْشَ الْـجَـبَـانِ وَلاَ أَرَى	فَضْـلاً لِـذِي حَسَبٍ إِذَا لَمْ يُقْـدِمِ (٥٠)
وَلَـرُبَّ مَـلْحَمَـةٍ سَـرَيْـتُ قِـنَـاعَـهَـا	عَن وَجْـهِ نَصْـرٍ بِـالْـغُـبَـارِ مُـلَثَّمِ (٥١)

(٤٣) طوع يد الزمان : أي منقاد له تمام الانقياد . والجنيب : الفرس ، أو الأسير .

(٤٤) يراد بالفلك الدائر : دوران النجوم ، والكواكب في أفلاكها . ولا تأتلي : لا تقصر ، ولا تفتر ، ولا تتوانى . والأقتم : القاتم ، وهو ما كان لونه أغبر ضارباً إلى سواد أو حمرة .

(٤٥) صور : جمع صورة ، وهي الشكل ، والتمثال المجسم . ويراد بالصور هنا : ما نـراه من ظواهر الكائنات الصامتة ، متحركة ، أو ساكنة . ولم تستجب : لم تجب . ورام الشيء : اراده وطلبه .

(٤٦) ينصح أن يأخذ كل امرىء لنفسه ما ينفعها من ظواهر الكون ، وصور الكائنات ، والمعارف القريبة المفيدة المهيأة للإنسان ؛ فإنها خير المغانم وأيسرها . وينهى عن الكد في طلب ما لا يتسنى لنا إدراكه من الخفايا والغيوب والمحجبات التي لا سبيل إليها .

(٤٧) المعنى : أن الإنسان لا يمكنه الوصول إلى ما لم يقدر له ، ولو توسل إليه بكل الوسائل .

(٤٨) يقول : إن الذي يحاول بلوغ ما نأى عنه ، أي ما لم يتهيأ له ، ولا قدرة له عليه يهلك دون بلوغه وإدراكه . والبيت المظلم : كناية عن القبر.

(٤٩) شهية : مشتهاة ، لذيذة . والغرض : الهدف . والإمرة : الإمارة ، والحكم .

(٥٠) يفخر بأنه عزيز أبي ، لا يرضى حياة الجبناء ، ولا يعترف لامرىء بفضل وإحسان إلا إذا كان باسلاً شجاعاً مقداماً .

(٥١) ملحمة : حرب شديدة . وسرا عنه الثوب : نزعه وألقاه .

لَـوْ كَـانَ لِـلإِنْسَـانِ عِلْمٌ بِـالَّـذِي ... فِي الْغَيْبِ لَمْ يَفْـرَحْ وَلَـمْ يَتَـنَـدَّمِ (٥٢)

فَـدَعِ الأُمُـورَ إِلَـى مُـدَبِّـرِ شَـأْنِـهَـا ... وَارْغَبْ عَنِ الـدُّنْيَا بِنَفْسِـكَ تَسْلَمِ (٥٣)

وَقَالَ :

بِـأَيِّ غَـزَالٍ فِي الْـخُـدُورِ تَـهِـيـمُ ... وَغِـزْلاَنُ « نَجْدٍ » مَـا لَهُنَّ حَمِيمُ ؟(١)

يَـقُـدْنَ زِمَـامَ الـنَّـفْسِ وَهْـيَ أَبِـيَّـةٌ ... وَيَخْـدَعْنَ لُبَّ الْمَـرْءِ وَهْـوَ حَكِيمُ(٢)

فَـإِيَّـاكَ أَنْ تَغْشَى الـدِّيَـارَ مُخَـاطِـراً ... فَـدُونَ حِمَـاهَـا لِـلأُسُـودِ نَئِيمُ(٣)

فَـوَارِسُ لاَ يَـعْـصُـونَ أَمْـرَ حَـمِـيَّـةٍ ... وَلاَ يَـرْهَبُـونَ الْخَـطْبَ وَهْـوَ عَـظِيمُ(٤)

يقول : إن المعارك التي خاض غمارها ، وكشف أقنعتها كانت عنيفة ، والانتصارات التي ظفر بها كانت وجوهها مغطاة بالغبار القاتم الكثيف الذي أثارته سنابك الخيـل ، وهجمات المتحاربين .

(٥٢) المعنى : أنه لو اطلع الإنسان على الغيب ، وسكنت نفسه إلى قضاء الله تعالىٰ وقدره ، لم يعبأ بما تحمله إليه الأقدار من أسباب البشر والسرور ، وعوامل الأسى والحزن .

(٥٣) يراد بالأمور : شؤون الحياة الدنيا ، وما لا قدرة لك على تغييره أو تعديله . ومدبر شأنها : المتصرف فيها ، وهو الله تبارك وتعالىٰ . ورغب عن الدنيا : زهد فيها ، وأعرض عنها .

(١) جرى شعراء العرب من قديم الزمان على تشبيه الجميلات الحسان من نسائهم وفتياتهم بالظباء والغزلان ، والبارودي مقتد بهم ، ناسج على منوالهم . والخدور : جمع خدر ، وهو ستر يمدّ للمرأة في ناحية البيت . وما لهن حميم : أي ليس لهن اهتمام بمن يتودد إليهن ، ويتعلق بهن .

(٢) الزمام : المقود ، أي الحبل الذي تقاد به الدابة . وفي القيادة معنى التسلط والتحكم . وأبية : عزيزة ، حرة . ويراد بالخدع أو الخديعة هنا : الاستهواء ، والفتنة . واللب : العقل . ولب حكيم : أي راجح وناضج .

(٣) « إياك أن تغشى الديار » : أسلوب تحذير وتخويف . ويراد بالديار : منازل حسان نجـد . و« دون » : ظرف مكان منصوب يتضح معناه مما يضاف إليه ، ومعنـاه هنا : « أمـام » . والحمى : المكان المصون المحميّ الممتنـع . وحماهـا : أي حمى هذه الـديار . ويـراد بالأسود : الرجال الشجعان الأشداء البواسل الذين يحمون الديار . والنئيم : صوت الأسد .

(٤) الحمية : شدة الغيرة على العرض ، والمغالاة في صيانته ، والدفاع عنه . ولا يرهبون : لا يخافون . والخطب : الأمر الشديد الخطير .

يَصُونُونَ فِي حُجْبِ الأَكِلَّةِ ظَبْيَةً ... لَهَا نَسَبٌ بَيْنَ الْحِسَانِ صَمِيمُ(٥)

مِنَ الْهِيفِ أَمَّا نَعْتُ مَا فِي إِزَارِهَا ... فَرَابٍ وَأَمَّا خَصْرُهَا فَهَضِيمُ(٦)

أَنَاةٌ بَرَاهَا اللَّهُ فِي الْحُسْنِ آيَةً ... يَدِينُ إِلَيْهَا جَاهِلٌ وَحَلِيمُ(٧)

يَمِيلُ بِهَا سُكْرُ الشَّبَابِ إِذَا مَشَتْ ... كَمَا مَالَ بِالْغُصْنِ الرَّوِيِّ نَسِيمُ(٨)

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي أَدُمْيَةُ بِيعَةٍ ... تَرَدَّدَ فِيهَا الْحُسْنُ أَمْ هِيَ رِيمُ ؟(٩)

يَلُومُونَنِي أَنْ هِمْتُ وَجْداً بِحُسْنِهَا ... وَأَيُّ امْرِئٍ بِالْحُسْنِ لَيْسَ يَهِيمُ ؟(١٠)

وَهَلْ يَغْلِبُ الْمَرْءُ الْهَوَى وَهْوَ غَالِبٌ ... وَيُخْفِي شَكَاةَ الْقَلْبِ وَهْوَ كَلِيمُ ؟(١١)

فَإِنْ أَكُ مَحْسُوراً بِهَا فَلَرُبَّمَا ... مَلَكْتُ عِنَانَ الْقَلْبِ وَهْوَ كَظِيمُ(١٢)

---

(٥) صان الشيء : حفظه ووقاه . والحجب : جمع حجاب ، وهو الستر. والأكلة : الحجب والستور ، الواحد إكليل . وإضافة الحجب إلى الأكلة : من إضافة الشيء إلى مرادفه . والظبية : الغزالة ، ويراد بها الفتاة المتغزل بها . والنسب : القرابة .

(٦) الهيف : جمع هيفاء ، أي دقيقة الخاصرة ، ضامرة البطن . والإزار : ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن . وما في إزارها : كناية عن أعجازها وروادفها . وراب : نام ممتلىء . وهضيم : ضامر ، نحيل .

(٧) الأناة من النساء : المترفة المنعمة . وبراها الله : خلقها . والآية : المعجزة . ويدين لها : يطيعها ، وينقاد لها .

(٨) يميل بها : يميلها ، أي يجعلها تتمايل في مشيتها . وسكر الشباب : زهوه ، وخيلاؤه . وغصن رويّ : ناعم ، ريان . ومال النسيم بالغصن : أماله ، وحركه حركات خفيفة لطيفة .

(٩) الدمية : الصورة المزينة ، والتمثال . والبيعة : معبد النصارى ، ومثلها الكنيسة . وتردد الحسن : أي هو متجدد حيّ قويّ . والرئم : الغزال الخالص البياض .

(١٠) هام بالشيء : أحبه ، وتعلق به . ووجداً : حبّاً .

(١١) غلبه : قهره ، وغالب : اسم فاعل منه . والاستفهام في أول البيت معناه النفي ، فالإنسان لا يستطيع أن يغلب الهوى ، وليس في مقدرته أن يخفي شكوى قلبه الجريح .

(١٢) محسوراً بها : منقطعاً إليها . وملكت عنان قلبي : كناية عن ضبط النفس ، والصبر على المكاره ، والآلام . وكظيم : مغيظ ، مغتم .



وَكَـابَـدْتُ فِيهَـا مَـا لَـوِ انْقَضَّ بَعْضُـهُ عَلَى جَبَـلٍ لانْهَـالَ مِنْـهُ قَـوِيـمُ[١٣]

فَيَـا رَبَّـةَ الْبَـيْتِ الْـمَنِيـعِ جِـوَارُهُ أَمَـا مِنْ مُسَامٍ عِنْـدَكُمْ فَـأُسِيمُ ؟[١٤]

بَخِلْتِ عَـلَيْنَـا بِـالسَّـلامِ ضَنَـانَـةً وَجَـدُّكِ مَـطْرُوقُ الْفِنَـاءِ كَـرِيـمُ[١٥]

فَكَيْـفَ تَلُومِـينِي عَلَى مَـا أَصَـابَنِـي مِنَ الْحُبِّ يَا « لَيْلَى » وَأَنْتِ غَرِيمُ ؟[١٦]

وَقَـدْ عِشْـتُ دَهْـراً لا أَدِيـنُ لِـظَالِـمٍ وَلَـمْ يَحْتَكِـمْ يَـوْمـاً عَليَّ زَعِـيمُ[١٧]

فَـأَنْتِ الَّتِي مَـرَّهْتِ عَـيْنِيَ بِـالْبُكَـا وَأَسْقَمْتِ هَـذَا الْقَلْبَ وَهْـوَ سَلِيمُ[١٨]

تَنَـامِيـنَ عَنْ لَـيْلِي وَعَـيْنِي قَـرِيحَـةٌ وَتُشْجِينَ قَـلْبِي وَهْـوَ فِيـكِ مُلِيمُ[١٩]

مَنَحْتُـكِ نَفْسِي وَهْـيَ نَفْسٌ عَـزِيـزَةٌ عَـلَيَّ وَمَـا لِي مِـنْ هَـوَاكِ قَسِيـمُ[٢٠]

فَـإِنْ يَـكُ جِسْمِي عَنْ فِنَـائِـكِ رَاحِـلٌ فَـإِنَّ هَـوَى قَـلْبِي عَـلَيْـكِ مُقِيـمُ[٢١]

---

(١٣) كابد الأمر : عاناه ، وقاسى شدته . وفيها : أي بسبب المتغزل بها . وانقضّ : سقط . وانهال : انهار وتساقط . وقويم : قائم .

(١٤) ربة البيت : صاحبته ، وسيدته . والمنيع : الحصين . والجوار : المجاورة . تقول : أنا في جوار فلان : أي في عهده وحمايته ، وأمانه وذمته . وسامت الماشية : رعت . وأسامها الراعي : أخرجها إلى المرعى . ومسام : مرعى .

(١٥) ضنانة : بخلاً شديداً . والجدّ : أبو الأب وأبو الأم . ومطروق الفناء : كناية عن جوده وكرمه وسخائه .

(١٦) يعجب من ليلاه ، فهي تلومه على ما أصابه من حرق الوجد والغرام ، والحب والهيام ، مع علمها أنها سبب هذه الإصابات بإعراضها عنه ، وتجاهلها لغرامه .

(١٧) يقول : إنه عاش حياته كلها حراً عزيزاً ، فلم يخضع لظالم ، ولم يسيطر عليه حاكم .

(١٨) المره : مرض يصيب العين ، ومره البكاء عينه تمريهاً : قرحها وأفسدها .

(١٩) نامت معشوقته عن ليله : غفلت عما يقاسيه في ليله من الحرقة واللوعة ، والأرق والبكاء ، ولم تبال شيئاً من هذا . وعينه قريحة : مجروحة . والشجو : الهم والحزن . وفيك : أي بسببك ، ومن أجلك . ومليم : اسم فاعل من ألام إلامة ، أي فعل ما يستوجب لومه وعذله .

(٢٠) قسيم : حصة ، وحظ ، ونصيب .

(٢١) يقول : إنه مغادر ديارها ، راحل عن منازل قومها بشخصه وجثمانه ، أما قلبه فسيبقى على الدوام مقيماً لديها ، حريصاً عليها ، مستهاماً بها صبّاً .



شَكَـوْتُ إلَى مَنْ لَيْسَ يَـرْحَمُ بَـاكِيـاً وَمَـا كُـلُّ مَنْ يُشْكَى إِلَيْـهِ رَحِيمُ(٢٢)

فَحَتَّـامَ أَلْقَى فِي الْهَـوَى مَـا يَسُـوؤُنِي وَأَحْمِـل عِبْءَ الصَّبْرِ وَهْـوَ عَـظِيمُ(٢٣)

وَإِنِّـي لَـحُـرٌّ بَـيْـنَ قَـوْمِـي وَإِنَّـمَـا تَـعَـبَّـدَنِي حُلْوُ الـدَّلَالِ رَخِيـمُ(٢٤)

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْمُسَـالِمَ فِي الْهَـوَى لَـذُو تُـدْرَإٍ فِي النَّـائِبَـاتِ خَصِيمُ(٢٥)

أَفُـلُّ شَبَـاةَ الْخَصْـمِ وَهْـوَ مُنَـازِلٌ وَأَرْهَبُ كَـرَّ الـطَّرْفِ وَهْـوَ سَقِيمُ(٢٦)

أَلَا قَـاتَـلَ الـلَّهُ الْـهَـوَى مَـا أَلَـذَّهُ ! عَـلَى أَنَّـهُ مُـرُّ الْمَـذَاقِ أَلِـيـمُ(٢٧)

طَـوَيْتُ لَـهُ نَفْسِي عَلَى مَـا يَسُـوؤُهَـا وَأَصْبَحْتُ لَا يَلْوِي عَلَيَّ حَـمِـيمُ(٢٨)

فَـمَنْ لِـي بِقَـلْبٍ غَـيْـرِ هَـذا فَـإِنَّـنِي بِـهِ عِنْـدَ رَوْعَـاتِ الْفِـرَاقِ عَـلِيمُ(٢٩)

كَـأَنِّـي أُدَارِي مِنْـهُ بَـيْـنَ جَـوَانِـحِي لَـظًى حَرُّهَـا يَكْـوِي الْحَشَـا وَيَضِيمُ(٣٠)

---

(٢٢) شكا إليها ما يؤلمه ويبكيه ، فلم تحاول تخفيف همه وبلواه ، ولم يجد لديها شيئاً من الرحمة ؛ فقد يشكو الملهوف إلى من لا يرحم ؛ فتذهب شكواه أدراج الرياح .

(٢٣) يجهر الشاعر بضجره وتبرمه ، ويستبطىء ما يسوؤه ويثقله ، ويشكو ما يحمله من أعباء التجلد والمصابرة ، وهي أحمال ثقال ، تنوء بها رواسي الجبال .

(٢٤) تعبدني : استعبدني ، وسلب حريتي . ودلال المرأة : حسن حديثها ، ولطف مزاجها ، وخفة كلامها وظلها على القلوب . ورخيم : رقيق وليّن . وجارية رخيمة ورخيم : منطقها حلو ورقيق .

(٢٥) التدرأ : القوة ، والأنفة ، والحمية . وفلان ذو تدرأ : أي قوي ، أبيّ ، شديد البأس ، لا يضعف ، ولا يلين . والنائبات ، والنوائب : النوازل ، والمصائب ، والكوارث .

(٢٦) فله : كسره ، وحطمه . وشباة السنان ونحوه : حده القاطع الجارح . وشباة الخصم : قوته ، وصرامته . ومنازل : محارب مقاتل . وأرهب : أخاف ، وأتهيب . والطرف : العين . وكرّه : نظراته الساحرة .

(٢٧) تعجب الشاعر من الهوى والغرام ؛ فهو يستهوي العاشق استهواء لا نظير له ، مع أنه يجمع اللذة والألم ، والحلاوة والمرارة .

(٢٨) طوى نفسه : كتمها . ولوى عليه : عطف . والحميم : القريب ، والصديق الذي توده ويودك .

(٢٩) روعات الفراق : جمع روعة ، أي الفزع والخوف .

(٣٠) داراه : دافعه . والجوانح : أضلاع الصدر . واللظى : النار ، أو لهبها . والحشا : ما

بَلَوْتُ لَـهُ طَعْـمَيْـنِ أَمَّـا مَـذَاقُـهُ ... فَـعَـذْبٌ وَأَمَّـا سُؤْرُهُ فَـوَخِـيـمُ[٣١]
وَجَـرَّبْتُ إِخْـوَانَ الصَّـفَـاءِ فَلَمْ أَجِـدْ ... صَـدِيقاً لَـهُ فِي الطَّيِّبَـاتِ قَسِيمُ[٣٢]
لَـهُمْ نَـزَوَاتٌ بَـيْـنَـهُـنَّ تَـفَـاوُتٌ ... وَعَـنٌّ عَـلَى طُـولِ اللِّقَـاءِ ذَمِيـمُ[٣٣]
بِمَنْ يَثِقُ الإِنْسَـانُ وَالْغَـدْرُ شِيمَـةٌ ... لِكُـلِّ ابْنِ أُنْثَى وَالْـوَفَـاءُ عَـقِيـمُ ؟
فَـلاَ تَعْتَمِـدْ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ فِي الَّـذِي ... تَـوَدُّ مِـنَ الْحَـاجَـاتِ فَـهْـوَ رَحِيـمُ
وَلاَ تَبْتَئِسْ مِنْ مِحْنَـةٍ سَـاقَهَـا الْقَضَـا ... إِلَـيْـكَ فَـكَـمْ بُـؤْسٍ تَـلاَهُ نَـعِـيـمُ
فَقَـدْ تُـورِقُ الأَشْجَـارُ بَعْـدَ ذُبُـولِهَـا ... وَيَـخْضَـرُّ سَـاقُ النَّبْـتِ وَهْـوَ هَشِيمُ
إِذَا مَـا أَرَادَ الـلَّهُ إِتْـمَـامَ حَـاجَـةٍ ... أَتَـتْـكَ عَـلَى وَشْـكٍ وَأَنْـتَ مُـقِـيـمُ

وَقَالَ :

سَبَقْتَ بِـالْفَضْلِ فَـاسْمَعْ مَـا وَحَـاهُ فَمِي ... فَـأَنْتَ أَوْلَى بِهَـذَا الـدُّرِّ مِنْ كَلِمِي[١]

انضمت عليه الضلوع ، وحواه الصدر ، وجمعه أحشاء . وضامه (من باب باع) : أي ضرّه ، وعذّبه ، وآلمه .

(٣١) بلوت : جربت ، واختبرت . ومذاقه : طعمه الأول ، أي ما يتذوقه العاشق في ابتداء الأمر من حلاوة العشق ولذاذته . وعذب : سائغ ، لذيذ ، حلو . وسؤر الشيء : بقيته . ويراد بالسؤر : الطعم الثاني من طعمي الهوى والغرام ، أي ما يتجرعه العاشق في نهاية الأمر من مرارة العشق وآلامه . ووخيم : ثقيل . وأمر وخيم العاقبة : أي نهايته وبيلة ، سيئة ، ضارة ، ممقوتة .

(٣٢) إخوان الصفاء : الإخوان والأصدقاء الذين صفت مودتهم ، وصدقت أخوّتهم . ويراد بالطيبات : المحامد والمكرمات . وقسيم : حصة وحظ ونصيب .

(٣٣) لهم : لمن جربهم . ونزوات : شرور ، وحماقات ، جمع نزوة . وبينهن تفاوت : أي نزوات متفاوتة مختلفة باختلاف أصحابها وتفاوتهم في الاحتداد والتسرع . وعنّ ذميم : أي إعراض مذموم . وعلى طول اللقاء : أي على الرغم من طول اللقاء .

(١) وحاه : ألقاه . وأولى : أحرى ، وأجدر . والدرّ : اللؤلؤ الكبير ، الواحدة درة . والكلم : أي كلمات هذه المدحة وأبياتها .

يَـا رَائِـدَ الْـوُدِّ قَـدْ صَـادَفْتَ مُنْتَجَعـاً بَيْنَ الْجَـوَانِـحِ فَـانْزِلْـهُ وَلاَ تَـرِمِ [٢]
أَوْلَيْتَنِي مِنْـكَ فَضْـلاً قَـدْ مَـلَكْتَ بِـهِ قَلْبِي فَهَـاكَ يَـدِي فِي الْـوُدِّ فَـاحْتَكِمِ [٣]

إِنَّ الْـمَـوَدَّةَ إِنْ صَحَّـتْ غَـدَتْ نَسَبـاً بَيْنَ الأَبَـاعِـدِ تُغْنِيهِمْ عَنِ الـرَّحِـمِ [٤]
فَـثِقْ بِـذِمَّـةِ عَـهْـدٍ فِيـكَ صَـادِقَـةٍ فَلَيْسَ كُـلُّ خَلِيـلٍ صَـادِقَ الـذِّمَمِ [٥]

وَاعْـذِرْ إِذَا لَمْ أَجِـدْ فِي الْقَـوْلِ مُتَّسَعـاً فَـالْمَـرْءُ لاَ يَبْلُغُ الأَفْـلاَكَ بِـالْهِمَمِ [٦]

لاَ زِلْـتَ تَـرْفُـلُ فِي أَثْـوَابِ عَـافِيَـةٍ مَـوْشِيَّـةٍ بِـطِرَازِ الْحَـمْـدِ وَالنِّـعَمِ [٧]

وَقَالَ :

خَـلِّ الْـعِتَـابَ فَـلَوْ طَلَبْـتَ مُـهَـذَّبـاً أَعْـيَـاكَ مَـطْلَبُـهُ بِهَـذَا الْـعَـالَـمِ [١]

---

(٢) رائد الود : طالبه . وصادفه مصادفة : لاقاه ، ووجده من غير موعد ، ولا توقّع . والمنتجع : الموضع يقصد لما فيه من كلأ وماء . ومن المجاز : انتجعت فلاناً : أي قصدته طالباً معروفه . والجوانح : الأضلاع القصيرة مما يلي الصدر . والشاعر يكني بالمنتجع الذي بين جوانحه عن قلبه .

(٣) أوليتني : منحتني ، وأعطيتني . وهاك يدي : تعبير يراد به الانقياد لدواعي الإخاء والمودة ، والمحبة والصداقة .

(٤) يراد بصحة المودة : صفاؤها ونقاؤها . وغدت : صارت . والنسب : القرابة ، ومثلها الرحم . والأباعد : جمع الأبعد ، ويراد بها الأجانب الذين لا تجمعهم صلة القربى ، أو الرحم أو النسب .

(٥) يريد أنك أوليتني فضلاً ومودة ؛ فأعطيتك الذمة والعهد ، في رعاية هذه المودة وصيانتها والمحافظة عليها .

(٦) متسعاً : مجالاً يتسع لما أريده وأحرص عليه من الإطناب في إطرائك وحسنِ الثناء عليك .

(٧) ختم الشاعر هذه الأبيات بالدعاء لصاحبه أن يبقى على الدوام رافلاً في ثياب العافية والسلامة ، مزهوّاً بحلل الصحة والرفاهة ، حامداً محموداً متنعماً برغد العيش ، وطيب الحياة .

(١) خلِّ العتاب : دعه ، واتركه . وأعياك : أعجزك ، واستعصى عليك . والعالم : الكون .

إِنْ كَـانَ لِـي ذَنْبٌ إِلَـيْـكَ جَـرَى بِـهِ ... قَـدَرٌ فَـإِنِّـي مِـنْ سُـلاَلَـةِ آدَمِ (٢)

وَقَالَ :

سُكُـوتِـي إِذَا دَامَ الْـحَـدِيـثُ كَـلاَمُ ... وَتَـقْلِيبُ عَيْـنِـي فِي الْـوُجُـوهِ مَـلاَمُ

وَصَبْـرِي عَلَى الأَيَّـامِ لاَ مِنْ مَـذَلَّـةٍ ... وَلَـكِـنْ يَـدٌ مَـغْـلُولَـةٌ وَحُـسَـامُ

أُلاَمُ عَـلَى أَنِّـي صَبَـرْتُ وَهَـلْ فَـتَـىً ... عَلَى الصَّبْـرِ إِنْ قَـلَّ الْمُعِيـنُ يُـلاَمُ ؟

وَقَالَ :

يَـا بَـانَـةً ! مَـنْ لِي بِـضَمِّـكْ ؟ ... يَـا زَهْـرَةً ! مَنْ لِي بِشَمِّـكْ ؟ (١)

يَـا بِـنْـتَ سَـيِّـدَةِ الـنِّـسَـا ... ءِ ! تَـرَفَّـقِي بِـحَـيَـاةِ أُمِّـكْ (٢)

مَـا فِـيَّ مَـنْـبِـتُ شَـعْـرَةٍ ... إِلاَّ بِـهِ أَثَـرٌ لِـسَـهْـمِـكْ (٣)

كَـلاَّ وَلاَ فِـي مُـهْـجَـتِـي ... مِنْ طُـولِ صَـدِّكِ غَيْـرُ هَمِّكْ (٤)

أَصْـبَـحْـتُ مُـمْـتَـنِـعَ الْـكَـرَى ... لَـمَّـا جَـفَـانِـي بَـدْرُ تَـمِّـكْ (٥)

إِنْ لَـمْ تَـجُـودِي بِـالـلِّـقَـا ... ءِ عَـلَى الْمُحِبِّ وَلاَ بِلَثْمِـكْ (٦)

---

(٢) القدر : ما يقدره الله تعالىٰ على عباده ، أي يقضي به ، ويحكم . والشاعر يريد أن ذنبه إلى معاتبه كان من الأمور التي جرى بها قدر الله تعالىٰ فلا ينبغي أن ينكره عليه ، ويؤاخذه به .

(١) البانة : واحدة البان ، وهو ضرب من الشجر به تشبّه حسان النساء في حسن الطول ، وجمال القد ، واعتدال القوام ، والمرونة .

شبه المتغزل بها بالبانة ثم بالزهرة ، وتمنى أن يعان على عناقها وشمها .

(٢) استحلف معشوقته بحياة أمها أن تترفق به ، وترحمه ، وترقّ له ، وتعطف عليه .

(٣) منبت الشعرة في الجسم : أصلها ومستقرها . ويراد بمنابت الشعر : الجسم كله . وسهام الحسناء : محاسنها ، ومفاتنها ، ونظراتها الساحرة التي تستهوي بها العاشق .

(٤) يقول : إن طول إعراضها عنه أذابه وأضناه ، ولم يبق في قلبه غير الهموم والأحزان .

(٥) الكرى : النوم والنعاس . وجفاني : أعرض عني ، وهجرني . والبدر : القمر ليلة كماله ، وتمام ضيائه . وبدر تمك : بدرك التامّ .

(٦) اللثم : التقبيل . وجواب « إن » الشرطية في البيت الآتي : « فتسامحي . . . » .

فَـتَـسَـامَـحِـي لِـي مَـرَّةً حَـتَّـى أَفُـوزَ بِـلَثْـمِ كُـمِّـكْ[٧]

وَقَالَ :

دَعِ الْهَـزْلَ وَاحْـذَرْ تُـرَّهَـاتِ الْمُنَـادَمَـهْ فَكَمْ مِنْ غَـوِيٍّ قَدْ أَسَـالَ الْمُنَى دَمَـهْ[١]

فَمَـهْ لاَ تَفُـهْ بِـالْقَـوْلِ قَبْـلَ انْتِقَـادِهِ فَـرُبَّ كَـلاَمٍ فَضَّ مِنْ قَـائِـلٍ فَمَـهْ[٢]

وَقَالَ :

لاَ تَـعْـذِلَنِّي عَلَى وَفْـرٍ سَـمَحْتُ بِـهِ لِلْمُعْـتَفِينَ فَـإِنِّي مَـاجِـدُ الشِّيَمِ[١]

إِنْ لَـمْ يَكُـنْ لِلْفَـتَـى جُـودٌ يَـسُـدُّ بِـهِ مَفَـاقِـرَ الصَّحْبِ فَـالْمَثْـرَاةُ كَـالْعَـدَمِ[٢]

فَـإِنْ يَكُنْ قَـلَّ مَـالِـي بَعْـدَ وَفْـرَتِـهِ فَـإِنَّ مَـالِـيَ لاَ يَقْـوَى عَـلَى كَـرَمِـي

وَقَالَ :

الشِّعْـرُ زَيْـنُ الْمَـرْءِ مَـا لَـمْ يَكُـنْ وَسِـيـلَةً لِـلْمَـدْحِ وَالـذَّامِ[١]

---

(٧) تسامح في كذا : تساهل . والكم : مدخل اليد ومخرجها من الثوب . ولعل المقصود يدُ هذه الحسناء التي تبرزها الكم .

(١) الهزل : المزاح والدعابة ، وضده الجد والصرامة . والمراد الهزل الممقوت الذي يقوم على قبح الكلام ، ويخالف الأدب . والترهات : الأباطيل ، وما لا نفع فيه من الأقوال ، الواحدة ترهة ، (بوزن سُكَّرة) . والمنادمة : مصدر نادمه ، أي رافقه ، وشاربه ، وسامره . والغوي : المنقاد للهوى ، المنهمك في الجهل . والمنى : الأماني والآمال .

(٢) « مه » : اسم فعل أمر بمعنى اكفف ، وامتنع ، أي عن الكلام الذي لا قيمة له . ولا تفه : لا تنطق ، مضارع فاه بالقول ، أي نطق به . وانتقاد القول : فحصه ، وتدبره وتمحيصه ، لتعرّف عيوبه ، وتمييز غثه من سمينه . وفض الشيء : فرقه ، وكسره .

(١) عذله : لامه . والوفر : المال الكثير . والمعتفي : طالب المعروف . وماجد الشيم : نبيل الطباع ، كريم الأخلاق .

(٢) المفاقر : الحاجات ، ووجوه الفقر والإعواز . والصحب : جمع صاحب . والمثراة هنا : الثراء والغنى . والعدم : الفقر ، والإعواز .

(١) وسيلة : ذريعة . والذام : مصدر ذامه ، أي ذمه ، وعابه .

قَــدْ طَــالَـمَــا عَـزَّ بِــهِ مَـعْـشَـرٌ وَرُبَّـمَــا أَزْرَى بِــأَقْــوَامِ (٢)
فَــاجْعَلْهُ فِـيمَـا شِئْتَ مِنْ حِكْمَــةٍ أَوْ عِــظَةٍ أَوْ حَـسَــبٍ نَــامِــي (٣)
وَاهْتِفْ بِــهِ مِـنْ قَـبْـلِ إِطْــلاَقِــهِ فَــالسَّهْمُ مَنْسُــوبٌ إِلَى الــرَّامِـي (٤)

وَقَالَ :

أَيُّـهَــا الشَّــاعِــرُ الْـمُجِــيــدُ تَــدَبَّــرْ وَاجْعَــلِ الْقَــوْلَ مِنْــكَ ذَا تَحْكِيــمِ (١)
لاَ تَــذُمَّ الــلَّئِيــمَ وَامْــدَحْ كَــرِيــمــاً إِنَّ مَــدْحَ الْكَــرِيــمِ ذَمُّ الــلَّئِيــمِ (٢)

وَقَالَ :

حَنَى الشَّيْبُ عُــودِي فَــاسْتَقَــامَتْ رَوِيَّتِي وَلَوْلاَ انْحِنَاءُ الْقَوْسِ مَا صَرَّدَ السَّهْمُ (١)

وَقَالَ يَفْتَخِرُ :

---

(٢) عزّ : قوي ، ورفض المذلة والمهانة ، وكان عزيزاً . وأزرى به : تهاون به ، وحقره ، وصغره . وأزرى بأقوام : نقيض « عز به معشر » .

(٣) حسب المرء : شرف أصله ، وكرم محتده . ونام : اسم فاعل من نما الشيء ، بمعنى كثر ، وزاد ، أو بمعنى علا ، وارتفع . وفلان ينميه حسبه ، وقد نماه جد كريم : أي رفعه ، وأعلى شأنه .

(٤) هتف به : صاح به . ويراد بالهتاف هنا : أن يرجّع الشاعر شعره ، ويردده في نفسه ولنفسه قبل أن يجهر به ، ويخرجه للناس . ومن قبل إطلاقه : أي من قبل إعلانه للرواة والناس .

(١) شاعر مُجيد : يأتي بالجيد الرائق من الشعر . وتدبر : فكّر ، وانظر . وقول ذو تحكيم : قول سديد ، وكلام يفصل بين الخطأ والصواب .

(٢) يقول : أهمل اللئيم ، وترفع عن التصريح بذمه ، ولا تجعله موضوعاً لشعرك . وامدح الكريم بما يستحقه ؛ فإن مدحك إياه ، وتنويهك بصفاته ومزاياه ذم ضمني للئيم الموصوم بأضداد هذه الصفات .

(١) حنى العود : ثناه ، ولواه . والروية : الفكر ، والنظر ، والتدبر . واستقامة رويته ، أو رويئته : استقامة تفكيره ، وصحة تدبيره . وصرد السهم تصريداً : أصاب الرمية .



فِي قَـائِمِ السَّيْفِ إِنْ عَـزَّ الـرِّضَـا حَكَمُ ... فَالْحُكْمُ لِلسَّيْفِ إِنْ لَمْ تَصْدَعِ الْكَلِمُ[1]

تَـأْبَى لِيَ الضَّـيْـمَ نَـفْسٌ حُـرَّةٌ وَيَـدٌ ... أَطَـاعَهَـا الْمُـرْهَفَـانِ السَّيْفُ وَالْقَلَمُ[2]

وَعَـزْمَـةٌ بَـعَـثَـتْـهَـا هِـمَّـةٌ شَـهَـرَتْ ... بِهَـا عَلَى الـدَّهْـرِ عَضْباً لَيْسَ يَنْثَلِمُ[3]

وَفِتْيَـةٌ كَـأُسُـودِ الْغَـابِ لَيْسَ لَـهُـمْ ... إِلَّا الـرِّمَـاحُ إِذَا احْمَـرَّ الْـوَغَى أَجَمُ[4]

كَـالْبَرْقِ إِنْ عَـزَمُوا وَالـرَّعْدِ إِنْ صَـدَمُـوا ... وَالْغَيْثِ إِنْ رَحِمُوا وَالسَّيْلِ إِنْ هَجَمُوا[5]

إِنْ حَـارَبُـوا مَعْشَـراً فِي جَحْفَـلٍ غَلَبُـوا ... أَوْ خَـاصَمُوا فِئَةً فِي مَحْفِلٍ خصمُـوا[6]

لَا يَـرْهَـبُـونَ الْمَـنَـايَـا أَنْ تُلِمَّ بِـهِـمْ ... كَـأَنَّ لُقْيَ الْمَنَايَـا عِنْـدَهُمْ حَـرَمُ[7]

---

(١) قائم السيف : مقبضه ، والمراد السيف نفسه . وعـزّ : صعب ، واستعصى . وحكم (بفتحتين) : حاكم . أي إن عزّ التراضي ، أو شقّ على نفوسنا الرضا بما يريدنا عليه خصمنا ، احتكمنا إلى السيف ، واعتمدنا عليه . والحكم (بضم فسكون) : القضاء ، والفصل في المنازعات . وإن لم تصدع الكلم : أي إن لم تحسم النزاع كلمات المفاوضة والملاينة والمحاسنة . وصدع بالحق : أي جهر به وصرّح .

(٢) الضيم : مصدر ضامه (من باب باع) أي ظلمه ، أو أذله . وضامه حقه : انتقصه ، وغبنه . وسيف مرهف : حادّ ، قاطع . وقلم مرهف : قوي بليغ ، شديد التأثير .

(٣) العزمة : الجدّ ، والإرادة القوية القاطعة . وبعثتها : أيقظتها . والهمّة : العزم القوي . وشهر المحارب سيفه : سله ، وجرده . والدهر هنا : ما يصيب الناس ، أو يهددهم من الخطوب والنكبات . والعضب : السيف الحاد القاطع . وليس ينثلم : لا يكل ، ولا يفل ، ولا ينبو .

(٤) احمرار الوغى : كناية عن استحرار القتال ، وشدة البأس ، وكثرة ما يسيل من دماء الجرحى والقتلى . والأجم : جمع أجمة ، وهي الشجر الكثير المجتمع الملتفّ ؛ فهي بمعنى الغابة ، وهي أيضاً مأوى الأسد .

(٥) يمتدح هؤلاء الفتيان بأنهم إذا عزموا أمراً نفّذوه في سرعة البرق الخاطف وقوته ، وإذا حاربوا عدواً كان صدامهم له كالرعد الجالب القاصف ، والسيل العارم الذي لا يصد ولا يطاق . وهم في السلم رحماء محسنون كرماء ، وغيث لا ينقطع .

(٦) المعشر : الجماعة من الناس . والجحفل : الجيش الكثير . وخاصمه فخصمه : غلبه في الخصومة ، وهي المنازعة . والمحفل : المجلس ومكان الاجتماع .

(٧) لا يرهبون : لا يخشون . والمنايا : جمع المنية ، وهي الموت . وألمّ به : أتاه ، فنزل به . واللقى : اللقاء . وحرم الرجل : ما يحميه ، ويدافع عنه . والمراد بهذه المعاني كلها أن

مُـرَفَّـهُـونَ حِسَـانٌ فِـي مَجَـالِسِهِـمْ ... وَفِـي الْحُـرُوبِ إِذَا لاَقَـيْتَـهُمْ بُـهَـمُ[8]

مِـنْ كُـلِّ أَزْهَـرَ كَـالـدِّينَـارِ غُـرَّتُـهُ ... يَجْلُو الْكَرِيهَـةَ مِنْـهُ كَـوْكَبٌ ضَـرِمُ[9]

لاَ يَـرْكَنُـونَ إِلَى الـدُّنْـيَـا وَزِينَـتِهَـا ... إِذَا هُمُ شَعَـرُوا بِـالـذُّلِّ أَوْ نَقِمُـوا[10]

قَـدْ حَبَّبَ الْمَـوْتَ كُـرْهُ الضَّيْمِ فِي نَفَرٍ ... لَـوْلاَهُمُ لَمْ تَـدُمْ فِي الْعَـالَمِ النِّعَمُ[11]

مَـاتُـوا كِـرَامَـاً وَأَبْقَـوْا لِلْعُـلاَ أَثَـراً ... نَـالَتْ بِـهِ شَـرَفَ الْحُـرِّيَّـةِ الأُمَمُ[12]

فَكَيْفَ يَـرْضَى الْفَتَى بِـالـذُّلِّ يَحْمِلُهُ ... وَالـذُّلُّ تَـأْنَفُـهُ الْعُبْدَانُ وَالْخَـدَمُ ؟[13]

إِنْ لَـمْ يَكُـنْ لِلْفَتَى فَـضْـلٌ وَمَحْمِيَـةٌ ... فَـإِنَّ وِجْـدَانَـهُ فِـي أَهْلِهِ عَـدَمُ[14]

الممدوحين يلقون المنايا في جرأة واستبسال، وشجاعة وإقدام ، كأنهم يلقون شيئاً محبوباً لديهم ، عزيزاً عليهم .

(٨) مرفهون : منعمون . وبهم : جمع بهمة (بضم فسكون) ، وهو المحارب الشجاع .

(٩) رجل أزهر : مضيء الوجه ، نابه الشأن . وغرة الرجل : طلعته ، ووجهه المشرق المضيء . ويجلو : يكشف ويزيل . والكريهة : النازلة والكارثة . وكرائه الدهر : شدائده ، وما يكره منه . وضَرِم (بفتح فكسر) : مشرق مضيء . وقد يكون المراد بالكوكب الضرم : السيف اللامع المصقول .

(١٠) ركن إلى الدنيا : اعتمد عليها ، ووثق بها . وزينة الدنيا : ما يحرص عليه الناس من متاعها . ونقم الأمر : أنكره ، وعابه ، واستهجنه .

(١١) الضيم : الظلم . وكره الضيم : كراهيته . والنفر : ما دون العشرة من الرجال . والعالم : الخلق والناس . ويراد بالنعم : ما يتسع لمثل الأمن والسلام والطمأنينة .

(١٢) إن هؤلاء المكافحين الأبطال ماتوا في سبيل المجد ، كراماً أجواداً ، وبذلوا أرواحهم في رضا وارتياح ، فلم ينته الأمر بموتهم ، بل خلدوا للمعالي آثاراً عميقة باقية ، حققت لأممهم ما كانت تطمح إليه ، من الحرية والعزة ، والمنعة والقوة .

(١٣) يحمله : يحتمله ، ويصبر عليه . وتأنفه : تستنكف منه ، وتكرهه . والعبدان : العبيد .

(١٤) الفضل : الإحسان ابتداء بلا علة . والمحمية : الحماية ، والمنعة . والوجدان : الوجود (ضد العدم) .

يقول : إذا لم يكن المرء فاضلاً كريماً ، قويّاً عزيزاً ، أبيّاً شجاعاً ، يحمي ذماره ، ويصون حماه فقد قيمته في أهله وقومه .

فَـالْحِلْمُ مَـا لَمْ يَكُنْ عَنْ قُـدْرَةٍ خَـوَرٌ ... وَالصَّبْـرُ فِي غَيْرِ مَـرْضَاةِ الْعُـلاَ نَدَمُ (١٥)

فَـارْغَبْ بِنَفْسِـكَ عَنْ حَـالٍ تُضَـامُ بِهَـا ... فَلَيْس بَعْـدَ اطِّـرَاحِ الـذُّلِّ مَـا يَصِمُ (١٦)

وَلاَ تَـخَـفْ وِرْدَ مَـوْتٍ أَنْـتَ وَارِدُهُ ... مَنْ أَخْـطَأَتْـهُ الـرَّزَايَـا غَـالَـهُ الْهَـرَمُ (١٧)

إِنَّ الْـعُـلاَ أَثَـرٌ تَـحْـيَـا بِـذُكْـرَتِـهِ ... أَسْمَـاءُ قَوْمٍ طَـوَى أَحْسَابَهَـا الْقِـدَمُ (١٨)

وَقَالَ :

أَلَمْ يَـأْنِ أَنْ يَـرْضَى عَنِ الـدَّهْـرِ مُغْـرَمُ ... أَمِ الْعُمْـرُ يَفْنَى وَالْمَـآرِبُ تُعْـدَمُ ؟ (١)

أُحَـاوِلُ وَصْـلاً مِنْ حَبِيـبٍ مُـمَنَّـعٍ ... وَبَعْضُ أَمَـانِي النَّفْسِ غَيْبٌ مُـرَجَّمُ (٢)

وَمَـا كُـلُّ مَـنْ رَامَ الْعَـظَائِـمَ نَـالَهَـا ... وَلاَ كُـلُّ مَنْ خَاضَ الْكَـرِيهَـةَ يَغْنَمُ (٣)

---

(١٥) الحلم : الأناة ، وضبط النفس . والخور : الضعف والانكسار . والمرضاة : الرضا . والعلا : العلاء ، والرفعة ، والشرف .

(١٦) رغب عن الشيء : أعرض عنه . ورغب بنفسه عن الضيم : كرهه لها ، واستنكف منه . وضامه : ضاره ، وقهره . واطرح الشيء اطراحاً : طرحه ، وألقاه . ووصمه : ثلبه ، وعابه .

(١٧) ورد الماء : بلغه ، ووافاه . ومعنى الشطر الأول : أنه لا ينبغي أن تتهيب الموت ؛ فإنك وارده لا محالة . والرزايا : جمع الرزيئة ، وهي المصيبة . ويراد بها هنا : مصيبة الموت . وغاله : أخذه من حيث لا يدري ، فأهلكه وأرداه . والهرم : الشيخوخة .

(١٨) الذكرة : الصيت ، والثناء . ويراد بأسماء قوم : ما اقترن بأسماء المجاهدين في سبيل العزة والكرامة من أعمال البطولة والمجد . والأحساب : جمع حسب ، وهو الكرم ، وشرف الأصل .

(١) ألم يأن : ألم يحن . ومغرم : عاشق مستهام . والمآرب : الحاجات ، أو المطالب .

(٢) الوصل : الوصال ، والقرب . وممنع : منيع يصعب الوصول إليه . ومرجّم : تأكيد لمعنى الغيب .

(٣) رام الشيء : أراده ، وطلبه . والعظائم : معالي الأمور . وخاض الغمرات : اقتحمها . والكريهة : الحرب ، أو الشدة فيها . وغنم الغازي في الحرب : ظفر بمال عدوه ، وأخذه بالقهر غنيمة .

يَسُــرُّ الْفَتَى مِنْ عِشْقِــهِ مَــا يَسُــوؤُهُ وَفِي الــرَّاحِ لَهْوٌ لِلنُّفُــوسِ وَمَغْـرَمُ(٤)

وَلَــوْ كَــانَ لِــلإِنْسَــانِ عِلْمٌ يَــدُلُّــهُ عَلَى خَـافِيَـاتِ الْغَيْبِ مَـا كَـانَ يَنْـدَمُ(٥)

كَتَمْتُ الْهَــوَى خَـوْفَ الْـوُشَـاةِ فَلَمْ يَـزَلْ بِيَ الــدَّمْـعُ حَتَّى بَــانَ مَـا كُنْتُ أَكْتُمُ(٦)

وَكَـيْفَ أُدَارِي الــنَّفْسَ وَهْـيَ مَـشُــوقَــةٌ وَأَحْلُمُ عَنْهَــا وَالْهَــوَى لَيْسَ يَحْلُمُ ؟(٧)

وَتَحْتَ جَنَــاحِ اللَّيْـلِ مِنِّي ابْنُ لَــوْعَــةٍ يَــرِقُّ إِلَيْــهِ الــطَّائِــرُ الْـمُــتَــرَنِّـمُ(٨)

إِذَا مَــدَّ مِــنْ أَنْــفَــاسِــهِ لاَحَ بَــارِقٌ وَإِنْ حَــلَّ مِنْ أَجْفَانِــهِ فَــاضَ خِضْـرِمُ(٩)

وَإِنَّ الْـتِي يَـشْـتَـاقُـهَــا الْـقَـلْبُ غَــادَةٌ لَهَــا الـرُّمْــحُ قَـدٌّ وَالْمُهَنَّــدُ مِعْصَمُ(١٠)

يَـنُمُّ بِـهَــا صُبْـحٌ مِـنَ الْـبِيضِ أَزْهَـرٌ وَيَكْتُمُهَــا نَقْـعٌ مِنَ اللَّيْــلِ مُــظْلِمُ(١١)

---

(٤) الراح : الخمر. واللهو: المتعة واللذة . والمغرم : الغرامة ، والخسارة . وقد يراد به : الإثم والذنب .

(٥) الخافيات : جمع خافية ، من خفي الشيء ، أي استتر وغاب . والخافيات من الغيب : من إضافة الكلمة إلى ما يرادفها .

(٦) الوشاة : جمع الواشي ، وهو النمام ، والسّاعي بالفساد بين الناس

(٧) داراه : لاطفه وحاسنه وأشفق عليه ، أو خالفه ودافعه واتقاه . وأحلم عنها : أرفق بها ، وأصبر عليها .

(٨) لوعة الحب : حرقته . ويريد بابن اللوعة : نفسه . و « تحت جناح الليل » : كناية عن أرقه وسهره ، في ظلمات الليل . ورق له : رحمه ، وعطف عليه . والمترنم : اسم فاعل من ترنم أي طرّب بصوته تطريباً ، وتغنى .

(٩) البارق : البرق . ولاح : أومض ، ولمع . وحلّ أجفانه : فتح عينيه . والخضـرم : البحر العظيم . وفيضان الخضرم هنا : كناية عن شدة بكاء « ابن اللوعة » وغزارة دموعه .

(١٠) الغادة : الفتاة اللينة ، الناعمة . والقد : القامة . وقامة المرأة : قوامها ، واعتدالها ، وحسن طولها . ويشبّه قدّ الحسناء بالرمح في الاعتدال ، والاستواء ، والمرونة . والمهند : السيف المطبوع من حديد الهند . والمعصم : اليد ، أو موضع السوار منها . شبه يدها بالسيف في البياض والنقاء والصفاء .

(١١) ينم بها : ينم بالغادة ، أي يظهرها ، ويجليها . والبيض : السيوف ، جمع الأبيض . وصبح أزهر : مشرق مضيء . والنقع : الغبار القاتم الذي تثيره في ميدان القتـال سنابك الخيل وحركات المتحاربين . ونقع مظلم : أي نقع أقتم أسود ، كأنه ظلمة الليل الحالكة .

إِذَا رَاسَلَتْ كَـانَـتْ رِسَـالَـةُ حُبِّـهَـا	بِضَرْبِ الظُّبَا تُوحِي وَبِالطَّعْنِ تَعْجُمُ(١٢)
لَهَـا مِنْ دِمَاءِ الصِّيـدِ فِي حَـوْمَـةِ الْـوَغَى	شَـرَابٌ وَمِنْ هَامِ الْفَـوَارِسِ مَطْعَمُ(١٣)
فَـتِـلْكَ الَّـتِـي لاَ وَصْـلُهَـا مُـتَـوَقَّـعٌ	لَـدَيْـنَـا وَلاَ سُلْوَانُـهَـا مُـتَـصَـرَّمُ(١٤)
عَـلِقْتُ بِـهَـا وَهْيَ الْـمَعَـالِي وَقَـلَّمَـا	يَهِيمُ بِهَـا إِلَّا الـشُّجَـاعُ الْـمُصَـمِّمُ(١٥)
هَـوًى لَـيْسَ فِيـهِ لِـلْمَـلاَمَـةِ مَسْـلَكٌ	وَلاَ لاِمْـرِئٍ نَاجَى بِـهِ النَّفْسَ مَـأْثَمُ(١٦)
تَـلَذُّ بِـهِ الآلاَمُ وَهْـيَ مُـبِـيـرَةٌ	وَيَحْلُو بِـهِ طَعْمُ الـرَّدَى وَهْـوَ عَلْقَمُ(١٧)
فَمَنْ يَـكُ بِـالْبِيضِ الْكَـوَاعِبِ مُغْـرمـاً	فَـإِنِّيَ بِـالْبِيضِ الْقَـوَاضِبِ مُغْـرَمُ(١٨)

(١٢) راسله مراسلة : أرسل إليه رسولاً ، أو رسالة . والمراد : راسلت عاشقيها من أبطال الوغى ، وصناديد القتال . والظبا : جمع ظبة ، وهي الحد القاطع من السيف . وتوحي بضرب الظبا : أي توحي إلى عاشقيها أن يضربوا بظباتهم أعداءهم في الحروب . وتعجم : تبلو ، وتجرّب ، وتختبر وتمتحن .

(١٣) لها : أي للغادة . والصيد : جمع الأصيد ، وهو المتكبر المزهوّ بنفسه . والوغى : الحرب . وحومة الوغى : ميدان الحرب ، وساحة القتال . والهام : جمع الهامة ، وهي الرأس . وقد تطلق على الجثة . ومطعم : طعام . والترتيب الأصلى للكلام : للغادة في حومة الوغى شراب من دماء الصيد ، وطعام من هام الفوارس .

(١٤) السلوان : النسيان . والتصرّم : بمعنى التجلّد ، أي التصبّر . يريد أن السلو عنها غير متجلد عليه ، أي غير مستطاع .

(١٥) علقت بها : هويتها ، وعشقتها ، وأحببتها . والمعالي : جمع المعلاة ، وهي الرفعة والشرف . وهام بها : شُغف بها حبّاً . والمصمم : الماضي في الأمور بعزيمة ثابتة صامدة ، وإرادة قوية قاطعة .

(١٦) يقول : إن تعلق المرء بالمعالي ، وهيامه بها ، من الهوى الذي لا إثم فيه ، وليس للعذل او الملامة طريق اليه ، وفي استطاعته أن يجهر به وهو آمن مطمئن .

(١٧) تلذ : تحلو وتطيب . وبه : بالهوى ، أي بسببه ومن أجله . ومبيرة : مهلكة ، قاتلة . والردى : الموت والهلاك . وهو : أي طعم الردى . وعلقم : شديد المرارة .

(١٨) البيض في الشطر الأول : جمع بيضاء ، أي فمن يك مغرماً بالبيض الحسان الكواعب من النساء . وفي الشطر الثاني : جمع أبيض ، وهو السيف . وبينهما جناس تام . والكواعب : جمع كاعب ، وهي الفتاة التي كعب ثديها ، أي برز ، وظهر ، وارتفع . والمغرم : المولع بالشيء ، أي الذي اشتد تعلقه به . وسيف قاضب : حادّ ، قاطع .



أَسِيرُ وَأَنْفَاسُ الْعَوَاصِفِ رُكَّدٌ وَأَسْرِي وَأَلْحَاظُ الْكَوَاكِبِ نُوَّمُ[١٩]

وَمَا بَيْنَ سَلِّ السَّيْفِ وَالْمَوْتِ فُرْجَةٌ لَدَى الْحَرْبِ إِلَّا رَيْثَمَا أَتَكَلَّمُ[٢٠]

أَنَا الْمَرْءُ لَا يَثْنِيهِ عَمَّا يَرُومُهُ نَهِيتُ الْعِدَا وَالشَّرُّ عُرْيَانُ أَشْأَمُ[٢١]

أُغِيرُ عَلَى الْأَبْطَالِ وَالصُّبْحُ أَشْهَبٌ وَآوِي إِلَى الضِّيفَانِ وَاللَّيْلُ أَدْهَمُ[٢٢]

وَيَصْحَبُنِي فِي كُلِّ رَوْعٍ ثَلَاثَةٌ حُسَامٌ وَطِرْفٌ أَعْوَجِيٌّ وَلَهْذَمُ[٢٣]

وَيَنْصُرُنِي فِي كُلِّ جَمْعٍ ثَلَاثَةٌ لِسَانٌ وَبُرْهَانٌ وَرَأْيٌ مُحَكَّمُ[٢٤]

فَمَا أَنَا بِالْمَغْمُورِ إِنْ عَنَّ حَادِثٌ وَلَا بِالَّذِي إِنْ أَشْكَلَ الْأَمْرُ يَفْحَمُ[٢٥]

---

(١٩) الأنفاس : جمع نفس (بفتحتين) ، وهو نسيم الهواء ، وحركة الريح إذا كانت ضعيفة . ويراد بالعواصف هنا : الفتن ، والخطوب . وركد : ساكنة ، هادئة . وأسري : أسير ليلاً . ويراد بالألحاظ هنا : العيون . ونوّم : جمع نائم ، كناية عن ظلمة الليل الحالكة . والبيت كله تمدح بالشجاعة والإقدام على المخاوف والأخطار ، والتمرس بالحروب والخطوب .

(٢٠) سلّ المحارب سيفه : شهره . وبينهما فرجة : مسافة قصيرة . ولعله يريد بتكلمه : أمره لجنوده بشهر السيوف .

(٢١) لا يثنيه : لا يصرفه ، ولا يرده . ويرومه : يريده ، ويطلبه . ونهيت العدا : أصواتهم الشديدة المزعجة . والعدا : الأعداء . وأشأم : مشؤوم ، من الشؤم ، وهو التشاؤم . وعري الشر وشؤمه : كناية عن شدته ، وضراوته ، واستحراره .

(٢٢) أغار على أعدائه : هجم عليهم ، وأوقع بهم . وأشهب : صفة من الشهب ، أو الشهبة ، وهي بياض يغلب عليه السواد . وشهبة الصبح : وقت الفجر . وأوى إليه : عاد إليه ورجع . والضيفان : جمع الضيف . وأدهم : أسود ، مظلم . ودهمة الليل وظلمته : إشارة إلى كرم الضيافة ؛ ففي الليل المظلم تشتد حاجة الساري إلى من يضيفه ، ويؤويه .

(٢٣) صحبه : رافقه ، ولازمه . والروع : الحرب . والحسام : السيف القاطع . والطرف (بكسر فسكون) : الفرس الأصيل الكريم . وأعوجي : نسبة إلى « أعوج » ، وهو فرس لبني هلال ، تنسب إليه الأعوجيات ، وهي ضرب من جياد الخيل . واللهذم : الحاد القاطع من الرماح والسيوف والأسنة ونحوها .

(٢٤) يريد بلسانه : فصاحته . والبرهان : الحجة البينة الفاصلة . ورأي محكم : سديد رشيد .

(٢٥) المغمور من الناس : الخامل المطمور . وعنّ : بدا . والحادث : الكارثة ، والمصيبة . وأشكل الأمر : التبس ، واختلط . ويفحم : يعيا ، ويعجز .

لِسَانِي كَنَصْلِي فِي الْمَقَالِ وَصَارِمِي ... كَغَرْبِ لِسَانِي حِينَ لَمْ يَبْقَ مُقْدِمُ[٢٦]

إِذَا صُلْتُ فَدَّتْنِي « فِرَاسٌ » بِشَيْخِهَا ... وَإِنْ قُلْتُ حَيَّانِي « شَبِيبٌ » وَ« أَكْثَمُ »[٢٧]

فَلاَ تَحْتَقِرْ فَضْلَ الْكَلاَمِ فَإِنَّهُ ... مِنَ الْقَوْلِ مَا يَبْنِي الْمَعَالِي وَيَهْدِمُ[٢٨]

وَمَا هُوَ إِلاَّ جَوْهَرُ الْفَضْلِ وَالنُّهَى ... يُسَرَّدُ فِي سِلْكِ الْمَقَالِ وَيُنْظَمُ[٢٩]

فَمَا كُلُّ مَنْ حَاكَ الْقَصَائِدَ شَاعِرٌ ... وَلاَ كُلُّ مَنْ قَالَ النَّسِيبَ مُتَيَّمُ[٣٠]

فَإِنْ يَكُ عَصْرُ الْقَوْلِ وَلَّى فَإِنَّنِي ... بِفَضْلِي وَإِنْ كُنْتُ الأَخِيرَ مُقَدَّمُ[٣١]

---

(٢٦) النصل : الحديدة القاطعة في السيف . ولسانه في المقال كنصله في القتال : تمدّح بكفايتيه الحربية والكلامية . والصارم : السيف الماضي . وغرب كل شيء : حده الجارح القاطع ، وغرب اللسان : طرفه وحدّه . يشير إلى الفصاحة ، والبلاغة ، والبيان . ومقدم : متقدّم ، شجاع .

(٢٧) صلت : هجمت ووثبت . وفداه : استنقذه ، فخلصه مما كان فيه . و« فراس » : قبيلة عربية . وقد عرف بنو فراس بالشجاعة . ومنهم ربيعة بن مكَدَّم ، الفارس المشهور . ولعل البارودي يعنيه هنا ، ويعده شيخ هذه القبيلة وفارسها . ولعل المراد بشبيب : شبيب بن شيبة ، الذي لقب لفصاحته بالخطيب . وكان شريفاً من الدهاة ، ينادم خلفاء بني أمية . توفي سنة ١٧٠هـ (٧٨٦م) . و« أكثم » بن صيفي : المتوفى في السنة التاسعة الهجرية (٦٣٠م) ، حكيم العرب في الجاهلية ، وأحد المعمّرين .

(٢٨) فضل الكلام : مزيته ، وأثره . والمعالي : جمع المعلاة ، وهي الرفعة ، والشرف .

(٢٩) هو : أي الكلام ، أو القول . والنهى : العقل . ويسرد : ينسج أو ينظم . أي وليس الكلام إلا حقيقة الفضل والعقل ينظمها المتكلم في سلك مقاله .

(٣٠) حاك الثوب : نسجه . ومن المجاز : حاك الشاعر الشعر . ومتيم : مستهام ، برّح به الوجد ، واشتد به العشق . من تيمه الهوى أو الحبيب : أي استعبده ، وتهيّمه ، وأولهه ، وذهب بعقله .

يقول : إن المرء قد ينظم الشعر ، ويحوك القصائد ، ولا يعد مع هذا شاعراً ؛ وقد ينظم كذلك شعراً في النسيب ، وهو لا يكاد يعرف الشوق أو الوجد أو الصبابة .

(٣١) يراد بعصر القول : زمن إجادة الشعر والنثر ، وعصر قوة الأدب وازدهاره . وولى : مضى ، وانقضى . وفضل البارودي هنا : مزيته ، وموهبته ، ومقدرته الأدبية الفائقة ، ونتاجه الكثير الرائق الرائع من الشعر والنثر الفني . ومقدّم : متقدّم ، سابق .

وَقَالَ فِي الْمَدْحِ(*) :

يَـا لَـكَ مِنْ ذِي أَدَبٍ ! أَطْلَعَـتْ	فِـكْـرَتُـهُ ثَـاقِبَـةَ الأَنْـجُـمِ (١)
حَـازَ مَـدًى قَـصَّـرَ عَـنْ شَـأْوِهِ	كُـلُّ أَخِي سَـابِـقَـةٍ مِـرْجَـمِ (٢)
فَـهْـوَ إِذَا قَـالَ عَـلاَ أَوْ جَـرَى	بَـرَّزَ أَوْ نَـاضَـلَ لَـمْ يُـحْـجِـمِ (٣)
ذُو فِـكْـرَةٍ فَـاضَـتْ بِـمَـا أُودِعَـتْ	مِنْ حِكْمَـةٍ كَـالْعَـارِضِ الْمُثْجِمِ (٤)
ذَاكَ فَـتًـى نَـبْـعَـتُـهُ لَـمْ تَـلِنْ	لِـعَـاجِمٍ مِـنْ خَـوَرِ الْمَـعْـجَـمِ (٥)
أَلْـفَـاظُـهُ تُـعْـزَى إِلَـى « يَـعْـرُبٍ »	وَفِـكْـرُهُ مُـقْـتَـبَـسٌ مِـنْ « جَـمِ »(٦)

(*) قيل إن الممدوح بهذه القصيدة هو الشيخ « جمال الدين الأفغاني » ١٨٣٨ - ١٨٩٧ .

(١) ثاقبة الأنجم : النجوم الثاقبة ، أي المضيئة النيرة .
يقول : إن الممدوح أديب ألمعي ، ذهنه متوقد ، وفكره ثاقب ، ينتج أدباً عالياً رائعاً فائقاً مشرقاً ، كالنجوم الثواقب .

(٢) المدى : الغاية ، ومثله الشأو . وقد يراد بالشأو : الهمّة . وأخو السابقة : السابق المتقدم وله سابقة في هذا الأمر : أي سبق الناس إليه . والمرجم : القويّ الشديد . ولسان مرجم قوّال .

(٣) برز : سبق وتقدم ، وفاق . وناضله : باراه في الرمي . ولم يحجم : لم يتردد .

(٤) يراد بالفكرة : الذهن ، والعقل ، والفهم . والعارض : السحاب يعترض في الأفق بكثرة حتى يسده . ومثجم : ممطر .

(٥) نبعته : عوده . ومن كلامهم : « فلان صليب النبع » إذا كان شديد المراس . وعاجم : اسم فاعل من عجم الشيء ، أي عضه ، ليعلم صلابته من رخاوته . والخور : الضعف والانكسار . والمعجم : مكان العجم ، وموضعه .

(٦) ألفاظه : ألفاظ الممدوح وكلماته وعباراته . وتعزى : تنسب . و« يعرب » بن قحطان : أبو القبائل اليمنية . ومقتبس : مأخوذ ، أو مستفاد . و« جم » : اختزال لـ« جمشيد » وهو اسم أحد ملوك الفرس قبل الإسلام . ومن سيرته أنه نظم شؤون الملك تنظيماً يدل على رجحان عقله ، وثاقب فكره ، وسداد رأيه ، ومحكم تدبيره . وقد بقيت بعده أنظمته إلى الفتح الإسلامي .

لَمْ يَنْـظِمِ الْحُـوشِيَّ عُجْبَـاً بِـهِ   وَلَـمْ يُسَـمِّ الْـوَرْدَ بِـالْحَـوْجَـمِ [٧]

لَـكِنَّـهُ رَازَ الْـحِجَـا فَـاكْـتَـفَـى   بِـوَاضِـحِ الْقَـوْلِ عَنِ الْمُعْجَـمِ [٨]

دَانَ لَـهُ بِـالْـفَـضْـلِ عَـنْ خِـبْـرَةٍ   كُـلُّ فَصِيـحِ الْقَـوْلِ أَوْ أَعْجَمِ [٩]

دَلَّ عَـلَى مَـعْـدِنِـهِ فَـضْـلُهُ   دَلَالَـةَ التِّبْـرِ عَـلَى الْمَـنْـجَمِ [١٠]

وَقَالَ :

يَـدُلُّ عَلَى أَنْ لَيْسَ فِي الـدَّهْـرِ رَحْمَةٌ   خِيَانَةُ « شِمْرٍ » بَعْدَ غَدْرِ « ابْنِ مُلْجَمِ » [١]

هُمَـا مَنْجمـا شَـرٍّ وَصِنْـوَا ضَـلَالَـةٍ   وَكُلُّ امْرِىءٍ فِي الدَّهْرِ يُعْـزَى لِمَنْجَمِ [٢]

---

(٧) نظم الأشياء : ألفها ، وجمعها . وحوشيّ الكلام : وحشيه ، وغريبه . « والحوجم » : الورد الأحمر ، واحدته حوجمة . وعُجْباً به : إعجاباً به .

(٨) رازه : جربه ، واختبره . ورازه : وزنه ليعرف قدره . والحجا : العقل ، والفطنة . والمراد أنه راز الحجا فيما ينظمه ويؤلفه . واكتفى بالشيء : استغنى به ، وقنع . والمعجم : المبهم والمعقّد والغامض .

(٩) دان له : أقرّ واعترف . وفصيح القول : منطلق اللسان ، واضح الكلام ، رائق البيان . وقد يكون المراد به هنا : العربي . والأعجم ، والعجميّ : خلاف العربيّ .

(١٠) يراد بمعدن الممدوح : فطرته ، وجبلته ، وأصله . والتبر : الذهب قبل أن يسبك ويصاغ . والمنجم : المكان الذي يوجد فيه الذهب ويستخرج منه ؛ فالتبر في مكان ما يدلنا على منجم من مناجم الذهب في ذلك المكان .

(١) شمر بن ذي الجوشن الضبابي : من رؤساء هوازن ، كانت إقامته بالكوفة ، وشارك في قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما . فطلبه المختار الثقفي بدم المقتول ، فخرج من الكوفة ، فقتل في خارجها سنة ٦٦هـ (٦٨٦م) .

وعبد الرحمٰن بن ملجم المرادي : فاتك ثائر ، فارس شديد البأس ، أدرك الجاهلية ، وهاجر في خلافة عمر ، ثم شهد فتح مصر ، وسكنها . وكان من شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وشهد معه حرب « صفين » ، ثم خرج عليه ، فقصد الكوفة ، وتربص به ، فلما خرج من بيته لصلاة الفجر في المسجد اغتاله ليلة السابع عشر من رمضان سنة ٤٠هـ (٦٦٠م) . وما لبث الحسن بن علي أن قتله قصاصاً بعد وفاة أبيه بثلاثة أيام .

(٢) منجم الشر : أصله . والصنوان : مثنى الصنو ، وهو الأخ الشقيق ، والنظير ، والمثل . ويعزى : ينسب .

شَقِيَّانِ هَامَا فِي الضَّلَالِ فَأَصْبَحَا دَرِيئَةَ لَعْنٍ مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِ (٣)

لَقَدْ فَوَّقَا سَهْمَيْهِمَا وَتَطَاوَلَا إِلَى فَلَكٍ عَالٍ مُحَاطٍ بِأَنْجُمِ (٤)

لَعَمْرِي لَقَدْ بَاءَا بِخِزْيٍ وَلَعْنَةٍ وَمَنْ يَحْتَقِبْ خِزْيَاً مِنَ اللَّهِ يُرْجَمِ (٥)

وَقَالَ :

وَمَا مِصْرُ عُمْرَ الدَّهْرِ إِلَّا غَنِيمَةٌ لِمَنْ حَلَّ مَغْنَاهَا وَنَهْبٌ مُقَسَّمُ (١)

تَدَاوَلَهَا الْمُلَّاكُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ وَنَالَ بِهَا حَظّاً فَصِيحٌ وَأَعْجَمُ (٢)

فَمَا أَهْلُهَا إِلَّا عَبِيدٌ لِمَنْ سَطَا وَلَا رَيْعُهَا إِلَّا لِمَنْ شَاءَ مَغْنَمُ (٣)

عِدَادُكَ فِي سِلْكِ الْبَرِيَّةِ خِزْيَةٌ وَدَعْوَاكَ حَقَّ الْمُلْكِ أَدْهَى وَأَعْظَمُ (٤)

---

(٣) هام : خرج على وجهه في الأرض ، لا يدري أين يتوجه . ويراد بهيمانهما في الضلال : الإمعان ، والتمادي . وأصبحا دريئة لعن : أي صارا هدفاً تتوالى عليه لعنات اللاعنين . ويراد بالفصيح والأعجم : العربي والعجمي ، أي الناس جميعاً .

(٤) فوق السهم تفويقاً : جعل الوتر في فوقه عند الرمي . ويراد بتفويق السهمين : إعدادهما للرمي والإصابة والقتل . وتطاول إلى الشيء : مد عنقه ليراه . ويراد بالفلك العالي : كل واحد من القتيلين الشهيدين العظيمين . ويراد بالأنجم : أنصاره النابهون اللامعون .

(٥) باء : عاد ، ورجع . والخزي : الذل والهوان . واحتقب الإثم : ارتكبه واكتسبه . ومن يحتقب خزياً يرجم من الله : أي ومن يقترف خطيئة يلعنه الله ، أو يستحق عذاب الله وانتقامه .

(١) عمر الدهر : مدى الدهر ، أي طوال الزمان . والغنيمة : ما يأخذه المحاربون من مال أعدائهم وعتادهم عنوة وقهراً . والمراد : أن أموال مصر وكنوزها وغلاتها وخيراتها ميسَّرة للأجانب الوافدين عليها من شتى البلاد والأقطار ، يتملكونها على الرغم من أهلها الذين يعيشون في بلادهم غرباء أذلاء . والمغنى : المنزل . والنهب : المال المنهوب .

(٢) تداولت الأيدي الشيء : أخذته هذه مرة ، وهذه مرة . والحظ : الحصة والنصيب . ويراد بالفصيح والأعجم : مختلف الشعوب والأمم ، وشتى الأجناس والألوان .

(٣) سطا عليه : قهره ، وأذله بشدة البطش . وريع كل شيء : ربحه ، وغلته ، وثمرته . ومغنم : غنيمة .

(٤) عدادك : انتسابك . ويراد بسلك البرية : المجتمع الإنساني ، أو جماعة البشر . والخزية : الشرّ ، والبلية .

لَقَدْ هَانَتِ الدُّنْيَا عَلَى النَّاسِ عِنْدَمَا رَأَوْكَ بِهَا فِي مُلْكِ « يُوسُفَ » تَحْكُمُ[٥]

فَإِنْ تَكُ أَوْلَتْكَ الْمَقَادِيرُ حُكْمَهَا فَقَدْ حَازَهَا مِنْ قَبْلُ عَبْدٌ مُزَنَّمُ[٦]

وَشَتَّانَ عَبْدٌ بِالْمَحَجَّةِ نَاطِقٌ وَحُرٌّ إِذَا نَاقَشْتَهُ الْقَوْلَ أَغْتَمُ[٧]

فَهَذَا أَذَلَّ الْمُلْكَ وَهْوَ مُعَزَّزٌ وَذَاكَ أَعَزَّ الْمُلْكَ وَهْوَ مُهَضَّمُ[٨]

فَمَنْ شَكَّ فِي حُكْمِ الْقَضَاءِ فَهَذِهِ جَلِيَّةُ مَا شَاءَ الْقَضَاءُ الْمُحَتَّمُ[٩]

وَقَالَ :

رُدِّي الْكَرَى لأَرَاكِ فِي أَحْلاَمِهِ إِنْ كَانَ وَعْدُكِ لاَ يَفِي بِذِمَامِهِ[١]

---

(٥) المعنى : تداول مصر في قديم الزمان وحديثه حاكمان مختلفان كل الاختلاف ، وحُكمان على طرفي نقيض : حكم المهجو القائم على الظلم والإفساد ، وحُكْم يوسف الصدّيق القائم على العدل والإحسان . ولما رأى الناس المهجو يعيث حيث أصلح يوسف ، هانت عليهم الدنيا ، وسقط اعتبارها عندهم ، ورأوا الحياة ذليلة مهينة، حقيرة وضيعة . والغرض تصوير سخط المصريين على المهجو ، واستخفافهم بالدنيا ، واحتقارهم للحياة في عهده ، وبيان شيء من المفارقات والمتناقضات التي شهدتها مصر في ماضيها وحاضرها .

(٦) المقادير : جمع المقدار ، وهو اختلاف الأيام والأحوال ، وانقلاب الدولة والزمان . وحازها : حاز مصر ، أي استولى عليها وحكمها . والعبد : الرقيق المملوك لغيره . ومزنم : دعيّ . ويراد بالعبد المزنم : « كافور » الإخشيديّ (٢٩٢ ـ ٣٥٧هـ) (٩٠٥ ـ ٩٦٨م) .

(٧) وشتان عبد وحرّ : أي افترقا ، وبَعُد ما بينهما . وناطق بالمحجة : أي نطقه فصيح صحيح ، وكلامه واضح مستقيم . وناقشته القول : حاورته ، وجادلته . وأغتم : عيي غير فصيح ، فيه غتمة ، وهي العُجْمة واللكْنة .

(٨) هذا : إشارة إلى المهجو . وذاك : إشارة إلى كافور . ومهضّم : ضعيف محطم .

(٩) يراد بالقضاء : قضاء الله تبارك وتعالىٰ وقدره . وهذه : إشارة إلى قصة مصر . والجلية : الخبر اليقين . وجلية الأمر : حقيقته . وحتم به : قضى به وحكم ، فهو محتوم .

(١) الكرى : النوم . والذمام : العهد والحق .

يقول : إن العشق سلبه نومه ، وأورثه الأرق والسهاد . ومعشوقته تعد بالوصال ، ولا تكاد تفي بذمة الوعد ، أي بحقه وحرمته . وقد عزّ لقاؤها ، واستعصتْ عليه رؤيتها في اليقظة ؛ فطلب إليها أن تردّ إليه أمنة النعاس ، وراحة النوم ، ليراها في منامه وأحلامه .



أَوْ فَـابْـعَـثِـي قَـلْـبِـي إِلَـيَّ فَـإِنَّـهُ جَـارَى هَـوَاكِ فَـقَـادَهُ بِـزِمَـامِـهِ[2]

قَـدْ كَـانَ خَلَّفَنِي لِمَـوْعِـدِ سَـاعَـةٍ مِنْ يَـوْمِـهِ فَقَضَى مَسِيـرَةَ عَـامِـهِ[3]

لَـمْ أَدْرِ هَـلْ ثَـابَـتْ إِلَـيْـهِ أَنَـاتُـهُ أَمْ لَـمْ يَـزَلْ فِـي غَـيِّـهِ وَهُـيَـامِـهِ[4]

عَهْـدِي بِـهِ صَعْبُ الْقِيَـادِ فَمَـا لَـهُ أَلْـقَى يَـدَاً لِلسِّلْـمِ بَـعْـدَ غَـرَامِـهِ[5]

خَـدَعَتْـهُ سَـاحِـرَةُ الْعُـيُـونِ بِنَـظْرَةٍ مِنْهَـا فَـمَلَّكَـهَـا عِـذَارَ لِجَـامِـهِ[6]

يَـا هَـلْ يَعُـودُ إِلَى الْجَـوَانِـحِ بَعْـدَمَـا سَلَبَتْ فَتَـاةُ الْحَيِّ ثِنْيَ لِجَـامِـهِ ؟[7]

تَـالـلَّهِ لَـوْ مَلَكَـتْ يَـدَايَ جِمَـاحَـهُ لَعَقَـدْتُ قَـائِمَ رَسْنِـهِ بِخِـدَامِـهِ[8]

---

(٢) جارى هواك : جرى مع الحب ، وتبعه ، وانقاد له ، ووقع في أسره . والزمام : المقود . وقاده بزمامه : أي قاد هواك قلبي بزمام القلب ؛ فالهوى قائد ، والقلب مقود .

(٣) خلفني : تركني ، وفارقني . وقضى : مضى وذهب . ومسيرة : سير . والمراد أن غيبته طالت لمدة عام .

(٤) ثابت : رجعت وعادت . والأناة : الحلم الوقار . والغيّ : الإمعان في الضلال . والهيام : جنون العشق .

(٥) العهد هنا : العلم والمعرفة . و« عهدي به صعب القياد » : أي عرفت قلبي لا ينقاد . ومن معاني اليد : الطاعة والاستسلام . والسلم : المسالمة والصلح . وألقى يده إلى السلم : أي خضع .

(٦) يقولون : عين ساحرة ، ويشيرون بالسحر إلى ما فيها من جاذبية واستمالة وتأثير شديد . وملكها عذار لجامه : كناية عن أنه جعلها مالكة لأمره ، مسيطرة عليه ، متحكّمة فيه .

(٧) الجوانح : أضلاع الصدر ، ويراد بها هنا : مستودع القلب ، ومستقره في صدره . ويراد بثني اللجام : عنانه ، أو سيره أو حبله .

(٨) جمح الفرس : عتا عن أمر صاحبه ، واستعصى عليه . وملكت يداي جماحه : أي استطعت السيطرة عليه . والرسن : الحبل الذي يقاد به البعير ونحوه . وقائم الرسن : طرفه الذي يمسك به من يقود الدابة . والخدام : جمع خدمة (بوزن قصبة) ؛ وهي الساق . وعقد قائم الرسن بخدام البعير ونحوه : كناية عن إحكام تقييده ، ومنعه من الجموح والإفلات ؛ فإن الرسن أو المقود يربط أنفه بساقه ، أو بالقيد الذي في رجله . وهذه قيود وموانع تمكن منه ، وترده إلى الطاعة والانقياد .

يَـا لائِمَ الْمُشْتَـاقِ فِـي أَطْـرَابِـهِ مَـهْـلاً إِلَيْـكَ فَـلَسْتَ مِنْ لُـوَّامِـهِ(٩)

أَظَـنَـنْـتَ لَـوْعَـتَـهُ فُـكَـاهَـةَ مَـازِحٍ فَـطَفِقْتَ تَعْذِلُـهُ عَلَى تَهْيَـامِـهِ ؟(١٠)

إِنْ كُنْتَ تُـنْكِـرُ شَـجْـوَهُ فَـانْـظُر إِلَى أَنْـفَـاسِـهِ وَدُمُـوعِـهِ وَسَـقَـامِـهِ(١١)

صَبٌّ بَـرَتْـهُ يَـدُ الضَّنى حَتَّى اخْتَفَى عَنْ أَعْيُـنِ الْعُـوَّادِ غَيْـرَ كَـلاَمِـهِ(١٢)

نَـطَقَتْ مَـدَامِعُـهُ بِسِـرِّ ضَـمِـيـرِهِ وَذَكَتْ جَـوَانِحُـهُ بِنَـارِ غَـرَامِـهِ(١٣)

طَـوْراً يُـخَـامِـرُهُ الـذُّهُـولُ وَتَـارَةً يَبْكِي بُكَـاءَ الـطِّفْلِ عِنْدَ فِـطَامِـهِ(١٤)

يَـصْبُـو إِلَـى بَـانِ الْـعَقِـيـقِ وَرَنْـدِهِ وَعَـرَارِهِ وَبَـرِيـرِهِ وَبَـشَـامِـهِ(١٥)

---

(٩) يراد بالمشتاق : العاشق الصب . والأطراب : جمع الطرب ، ويراد به لوعة الشوق وحرارته . وإليك عني : اسم فعل أمر بمعنى ابتعد عني . ولست من لوامه : أي أنك لم تجرب العشق، والشوق ، ولم تحترق بنارهما ؛ فلا يحق لك أن تلوم العاشق المشتاق الذي هزّه الطرب والاشتياق إلى من يحبها .

(١٠) اللوعة : حرقة الهوى والوجد . وطفق يفعل كذا : أي جعل ، أو استمرّ ، وهو خاص بالإثبات . وهام بها تهياماً : شغفتْه حباً .

(١١) الشجو : الهم ، والحزن . والسقام : المرض .

(١٢) صبّ : صفة من الصبابة ، وهي رقة الشوق ، وحرارة الهوى . والضنى : المرض الشديد . ويكثر استعمال الضنى في أوصاب الهوى والحب ، وتباريح العشق والغرام . والعوّاد : الزائرون .

(١٣) المدامع : مسايل الدمع . ويراد بها هنا : الدموع . ويريد بسرّ ضميره : ما كان يحرص على إضماره وكتمانه من أسرار حبه وغرامه . وذكت النار : توقّدت ، واشتد لهبها . والجوانح : أضلاع الصدر ، ويراد بها هنا : القلب .

(١٤) الطور ، والتارة : الحين والمرة . ويخامره : يخالطه ، ويلابسه . والذهول : التحير . وفطام الطفل : فصاله عن امه ، ومنعه من الرضاع . وفي الفطام يشتد بكاء الطفل وتسوء حاله .

(١٥) يصبو إليه : يميل ، ويحن ، ويتشوق . والبان : ضرب من الشجر ، لين ، سبط القوام ، تشبه به قدود الحسان . والعقيق : موضع بالمدينة ، وقد تغنى الشعراء بوادي العقيق ، وجعلوه مغنى غرامهم ، ومرتع الغيد الحسان اللائي تغزلوا بهن ، وتودّدوا إليهن . والبارودي يحاكيهم في هذا ، ويقتدي بهم . والرند : شجر طيب الرائحة . والعرار : بهار ناعم أصفر ، طيب الرائحة ، وقد يطلق على النرجس البري ، واحدته عرارة . والبرير : ثمر الأراك إذا اشتدّ وصلب ، الواحدة بريرة . والأراك : واحدته أراكة ، وهي شجرة كثيرة الفروع ، تتخذ منها



وَادٍ سَرَى فِي جَوِّهِ كَنَسِيمِهِ وَبَكَى عَلَى أَغْصَانِهِ كَحَمَامِهِ[١٦]

أَرِجُ النَّبَاتِ كَأَنَّمَا غَمَرَ الثَّرَى طِيباً مُرُورُ « الْخِضْرِ » بَيْنَ إِكَامِهِ[١٧]

مَالَتْ خَمَائِلُهُ بِخُضْرِ غُصُونِهِ وَصَفَتْ مَوَارِدُهُ بِزُرْقِ جِمَامِهِ[١٨]

يَا صَاحِبِي ! إِنْ جِئْتَ ذَيَّاكَ الْحِمَى فَاحْذَرْ عُيُونَ الْعِينِ مِنْ آرامِهِ[١٩]

وَاسْأَلْ عَنِ الْبَدْرِ الَّذِي كَسَمِيِّهِ فِي نُورِ غُرَّتِهِ وَبُعْدِ مَرَامِهِ[٢٠]

فَإِنِ اشْتَبَهْتَ وَلَمْ تَجِدْ لَكَ هَادِياً فَاسْمَعْ أَنِينَ الْقَلْبِ عِنْدَ خِيَامِهِ[٢١]

المساويك ، ثمرها أحمر ؛ داكن اللون ، يؤكل . وهي من نبات البلاد الحارة . والبشام : شجر طيب الرائحة والطعم ، يستاك بقضبانه ، لا ثمر له ، وإذا قطع شيء من أوراقه وأغصانه سال منه سائل أبيض يشبه اللبن ، واحدته بشامة .

(١٦) سرى : سار ليلاً ، والمراد مطلق السير . والنسيم : الريح الطيبة اللطيفة اللينة .

(١٧) أرج النبات : أي نباتِ هذا الوادي طيب عطريّ ذكيّ الرائحة . وغمره الماء ونحوه : علاه . والثرى : الأرض . ويراد بالطيب : الأريج ، والخصب ، والنماء . و« الخضر » : صاحب سيدنا موسى عليهما السلام ، نبيّ ، أو وليّ ، أو صدّيق ، أي فوق الولاية ، ودون النبوّة ، وقصة تصاحبهما مذكورة في القرآن الكريم . والإكام : تلال الأرض وروابيها ومرتفعاتها ، الواحدة أكمة (بوزن قصبة) .

(١٨) الخمائل : جمع الخميلة ، وهي الشجر الكثير المجتمع الملتف الذي لا يرى فيه الشيء إذا وقع في وسطه . وكل موضع كثر فيه الشجر خميلة . والموارد : المناهل والمشارب ، جمع مورد . والجمام : جمع جمّ ، وهو الكثير المجتمع من كل شيء ، أو هو جمع جمة (بضم الجيم) ، وهي من الماء معظمه . وماء أزرق : شديد الصفاء والنقاء . وجمام زرق : مياه صافية رائقة نقية ، كثيرة غزيرة .

(١٩) الحمى : المكان المحمي المصون المنيع . وفيه إشارة إلى تمنع المتغزل بهن ، واحتجابهن ، وصعوبة الوصول إليهن . ويراد بالحمى : وادي العقيق ، أي ديار محبوبته وأترابها . والعين : جمع عيناء ، وهي المرأة التي اتسعت عيناها في حسن وجمال . والآرام : جمع رئم ، وهو الظبي الخالص البياض ، تشبّه به الحسناء من النساء في الرشاقة والمرونة ، وجمال الجيد والعينين .

(٢٠) يريد بالبدر محبوبته . ويريد بسميّه : البدر الحقيقي . وسميك : من كان اسمه كاسمك . والغرة : بياض في جبهة الفرس . وغرة الإنسان : وجهه . والمرام : المطلب . ورامه : أراده ، وطلبه .

(٢١) اشتبه الأمر عليه : اختلط ، والتبس . ويراد باشتباه صاحبه : صعوبة اهتدائه إلى المعشوقة .



فَــبِـذَلِــكَ الْــوَادِي غَــزَالَــةُ كِــلَّةٍ   تَـرْوِي حَدِيثَ الْفَتْـكِ عَنْ ضِرْغَـامِهِ[٢٢]

ضَــاهَـتْ بِقَـامَـتِهَــا سِــرَاحَ قَـنَـاتِــهِ   وَحَكَتْ بِلَحْـظَتِهَـا مَضَـاءَ حُسَـامِــهِ[٢٣]

هِـيَ مِثْلُهُ فِي الْـفَتْـكِ أَوْ هُـوَ مِـثْلُهَــا   سِيَّــانِ وَقْـعُ لِحَــاظِهَـا وَسِهَــامِــهِ[٢٤]

فَسَقَى الْحِـمى دَمْـعِي إِذَا ضَـنَّ الْحَـيَـا   بِجُمَــانِ دِرَّتِــهِ سُــلاَفَــةَ جَـامِــهِ[٢٥]

مَـغْنَـىً رَعَيْـتُ بِــهِ الشَّـبِيـبَــةَ غَـضَّــةً   وَرَوَيْتُ قَلْبِي مِنْ سُــلاَفِ غَمَـامِــهِ[٢٦]

فَـنَـسِـيـمُ رُوحِـي مِـنْ أُثَيْــرِ هَــوَائِــهِ   وَقِــوَامُ جِسْمِي مِنْ مِـزَاجِ رَغَـامِــهِ[٢٧]

وأنَّ المريض أنيناً : إذا تأوّه ، وتوجّع . وخيامه : خيام البدر ، أي الحبيب .

(٢٢) الكلة : الستر . وفتك به : قتله على غرة ، وغدر به ، واغتاله . وضرغامه : ضرغام الوادي . والضرغام : الأسد الضاري الشديد ، والرجل الشجاع .

(٢٣) ضاهت : فاقت . والقامة : القدّ . والقناة : الرمح . وحكت : ضاهت وشابهت . واللحظة : النظرة السريعة . والحسام : السيف الحادّ القاطع . ومضاؤه : حدته ، وسرعة قطعه .

(٢٤) هي : أي الحسناء التي يشبّب بها ، أو نظراتها الفاتنة . ومثله : مثل « الضرغام » . وهو مثلها : أي هي تشبهه في الفتك بعشاقها ، وهو يشبهها في الفتك بأعدائه . وسيان : مثنى سيّ ، وهو المثل ، والشبيه . ولحاظها : نظراتها .

(٢٥) الحمى : المكان المحميّ ، ويراد به : وطن الشاعر ، ومسرح حبه وغرامه . وضن : شح وبخل . والحيا : المطر . والجمان : اللؤلؤ ، ويراد به هنا : قطرات المطر . والدرة (بكسر الدال وفتحها) : اللبن أو كثرته ، وتستعار للمطر . وسلافة كل شيء وسلافه : خالصه . والجام : إناء للشراب والطعام ، يكون من الفضة أو نحوها . وسلافة الجام : ما تحتويه من خالص الشراب . والترتيب الأصلي لهذا الكلام : « فسقى دمعي الحمى سلافة جامه إذا ضن الحيا عليه بجمان درته » .

(٢٦) المغنى : المنزل الذي غني به أهله . ورعيت : راعيت . وغضة : ناضرة فتيّة . والغمام : السحاب ، واحدته غمامة . وسلاف الغمام : المطر .

(٢٧) نسيم روحي : الهواء الطيب اللطيف الذي اتنفس منه وتحيا به نفسي . وأثير هوائه : خالص هواء وطني . وقوام جسمي : عماده ، وما يقوم به ، أو ما يقيمه ويحفظه من القوت والغذاء . والمزاج : ما يمزج به الشراب ونحوه . والرغام : التراب . ومزاج رغام الوطن : ما تنبته أرضه .



لَا يَنْتَهِي شَوْقِي إِلَيْهِ وَقَلَّمَا يَسْلُو حَمَامُ الأَيْكِ عَنْ تَرْنَامِهِ[٢٨]

يَا حَبَّذَا عَصْرُ الشَّبَابِ وَحَبَّذَا رَوْضٌ جَنَيْتُ الْوَرْدَ مِنْ أَكْمَامِهِ[٢٩]

عَصْرٌ إِذَا رَسَمَ الْخَيَالُ مِثَالَهُ فِي لَوْحِ فِكْرِي لَاحَ لِي بِتَمَامِهِ[٣٠]

إِنِّي لَأَذْكُرُهُ وَأَعْلَمُ أَنَّنِي بَاقٍ عَلَى التَّبِعَاتِ مِنْ آثَامِهِ[٣١]

مَا كَانَ أَحْسَنَ عَهْدَهُ لَوْ دَامَ لِي مِنْهُ الْوِدَادُ وَكَيْفَ لِي بِدَوَامِهِ ؟[٣٢]

وَالدَّهْرُ مَصْدَرُ عِبْرَةٍ لَوْ أَنَّنَا نَتْلُو سِجِلَّ الْغَدْرِ مِنْ آثَامِهِ[٣٣]

عَمْرِي لَقَدْ رَحَلَ الشَّبَابُ وَعَادَنِي شَيْبٌ تَحَيَّفَ لِمَّتِي بِثَغَامِهِ[٣٤]

وَقَالَ :

أَعِدْ عَلَى السَّمْعِ ذِكْرَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ وَاعْذِرْ شَآبِيبَ دَمْعِي إِنْ جَرَتْ بِدَمِ[١]

---

(٢٨) إليه : إلى الحمى ، أي الوطن . وسلاه ، وسلا عنه : نسيه . والأيك : جمع أيكة ، وهي الكثير المجتمع الملتف من الأشجار . ورنم المغني والحمام : أي رجّع صوته ، وتغنى . والترنام (بفتح التاء) : مصدر يدل على الكثرة والمبالغة .

(٢٩) عصر الشباب : زمنه ، وطوره . والأكمام : جمع كمّ ، وهو غطاء الزهرة ، أي الغلاف الذي يحيط بها ، فيسترها ، ثم ينشق عنها . ويريد بالروض : عصر شبابه . ويريد بالورد : ما استمتع به من لذّات الشباب ومباهجه .

(٣٠) يشير إلى شدّة تعلقه بشبابه الراحل ، وحنينه إليه ، وتأثره به ، وتذكّره لعصره ؛ فإذا تخيّله رأى صورته حاضرة أمامه ، مرسومة في ذهنه ، واضحة جلية .

(٣١) أذكره : أذكر عصر شبابي ، أي أتذكّره . والتبعات : جمع تبعة ، وهي عاقبة الأمر ، ومغبته . وآثام : جمع إثم ، وهو الذنب ، والخطيئة .

(٣٢) عهده : عهد الشباب ، أي زمانه . ومنه : من الشباب ، أو من عهده .

(٣٣) في هذا البيت شكا الدهر ، وتبرم به ، وسخط عليه ؛ فإن ذهاب شبابه أثر من آثار تقلب الدهر . ولو قرأنا من سجلات آثامه وجرائره سجلّ غدره وخياناته لأفدنا منه كثيراً من العبر والعظات ، وتوقينا كثيراً من الشرور والآفات .

(٣٤) عمري : أسلوب قسم ، أي أحلف بحياتي . وعادني : عراني وأصابني . وتحيف لمتي : تنقص سوادها ، وذهب به . واللمة : شعر الرأس . وثغام الشيب (بفتح الثاء) : بياضه .

(١) البان : ضرب من الشجر . ومن معاني العلم : العلامة والأثر . ويشار بالبان والعلم إلى أماكن



مَـلَاعِبُ لِلصِّبَـا أَقْـوَتْ وَمَـا بَـرِحَتْ مَـلَاعِبـاً لِـلأَسَى وَالأَعْيُنِ السُّجُمِ (٢)
كَـانَتْ لَنَـا سَكَنـاً حَتَّى إِذَا قَـوِيَـتْ مِنَّا غَـدَتْ سَكَنـاً لِلرِّيحِ وَالـدِّيَمِ (٣)
لَـمْ أَتَّخِـذْ بَـعْـدَهَـا دَاراً أُقِيـمُ بِـهَـا إِلَّا تَـذَكَّـرْتُ أَيَّـامِي بِـذِي سَلَمِ (٤)
وَكَيْفَ أَنْسَى دِيَـاراً قَـدْ نَشَـأْتُ بِهَـا فِي مَنْبِتِ الْعِزِّ بَيْنَ الأَهْلِ والْحَشَمِ ؟(٥)
يَـا مَنْزِلاً لَمْ يَـدَعْ وَشْـكُ الْفِـرَاقِ بِـهِ إِلَّا رُسُـومـاً كَـوَحْيِ الْخَطِّ بِـالْقَلَمِ (٦)
أَيْنَ الَّـذِينَ بِـهِمْ كَـانَـتْ نَـوَاظِـرُنَـا تَـرْعَى الْمَحَاسِنَ مِنْ فَـرْعٍ إِلَى قَدَمِ (٧)
وَدَّعْتُ شَـطْرَ حَيَـاتِي يَـوْمَ فُـرْقَتِـهِمْ وَصَـافَحَتْنِي يَـدُ الأَحْـزَانِ وَالْهَرَمِ (٨)
فَيَـا أَخَـا الْعَـذْلِ لَا تَعْجَـلْ بِـلَائِمَـةٍ عَلَيَّ فَـالْحُبُّ مَعْـدُودٌ مِنَ الْقِسَمِ (٩)

معينة في شبه الجزيرة العربية ، رددها شعراء العرب قديماً في أشعارهم ، وأكثروا من التغني بها ، والحنين إليها . وهو هنا يعني بـالبان والعلم : مـلاعب نشأتـه وصباه ، ومنـازل حبه وغرامه . والشآبيب : جمع الشؤبوب ، وهو الدفعة من المطر . وشآبيب دمعـه : أي دمعه الغزير . وإذا تقرّحتْ العين من كثرة البكاء اختلط دمعها بدم القروح .

(٢) أقوتْ : أقفرت وخلتْ . والسجم : جمع سجوم ، من سجمت العين دمعها ، أي أسالته .

(٣) قويت : خلتْ وأقفرت . وغدتْ : صارت . والديم : جمع ديمة ، وهي المطر يدوم أياماً .

(٤) « ذو سلم » : موضع في جزيرة العرب ، ردده قدامى الشعراء في أشعارهم . وهو هنا يشير بذي سلم ، والبان ، والعلم إلى ملاهيه وملاعبه في طفولته وصغره ، ومسارحه ومراتعه في حداثته وصباه .

(٥) حشـم المرء : خاصته الذين يقومون على خدمته من أهله وأقاربه ، أو خدمه وعبيده .

(٦) لم يدع : لم يترك . ووشك الفراق : سرعة البين والرحيل . ورسوم المنازل : آثارها الباقية . ووحي الخط بالقلم : كتابة من يخطّ بقلمه على ورق ونحوه .

(٧) نواظرنا : عيوننا . وترعى : تنظر وتراقب . وفرع المرأة : شعرها . والترتيب الأصلي لهذا الكلام : أين الذين كانت نواظرنا ترعى فيهم المحاسن من فرع إلى قدم .

(٨) ودّعت : المراد فارقت . وشطر الشيء : نصفه . والهرم : الشيخوخة .

(٩) أخو العذل : العاذل اللائم . واللائمة : الملامة ، واللوم . والقسم : جمـع قسمة ، وهي الحظ والنصيب .



أَسْرَفْتَ فِي اللَّوْمِ حَتَّى لَوْ أَصَبْتَ بِهِ مَقَاطِعَ الْحَقِّ لَمْ تَسْلَمْ مِنَ التُّهَمِ(١٠)

فَارْحَمْ شَبَابَ فَتىً أَلْوَتْ بِنَضْرَتِهِ أَيْدِي الضَّنَى فَغَدَا لَحماً عَلَى وَضَمِ(١١)

تَاللَّهِ مَا غَدْرَةُ الْخُلَّانِ مِنْ أَرَبِي وَلَا التَّلَوُّنُ فِي الأَخْلَاقِ مِنْ شِيَمِي(١٢)

فَكَيْفَ أُنْكِرُ وُدّاً قَدْ أَخَذْتُ بِهِ عَلَى الْوَفَاءِ عُهُوداً بَرَّةَ الْقَسَمِ ؟(١٣)

إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْفَتَى عَقْلٌ يَصُونُ بِهِ عَلَائِقَ الْوُدِّ ضَاعَتْ ذِمَّةُ الْحُرَمِ(١٤)

وَأَيْنَ مَنْ تَمْلِكُ الأَحْرَارَ شِيمَتُهُ وَالْغَدْرُ فِي النَّاسِ دَاءٌ غَيْرُ مُنْحَسِمِ ؟(١٥)

فَانْفُضْ يَدَيْكَ مِنَ الدُّنْيَا فَلَسْتَ تَرَى خِلّاً وَفِيّاً وَعَهْداً غَيْرَ مُنْصَرِمِ(١٦)

---

(١٠) أصبت بلومك مقاطع الحق : أي كان لومك صائباً سديداً ، قائماً على الحق والصدق . والتهم : جمع تهمة ، وهي تغليب الظن في القول والحكم .

(١١) ألوى به : ذهب به ، وأهلكه ، وألوى الضنى بنضرته : ذهب بها ، ومحاها . والنضرة : الحسن ، والبهاء . والضنى : المرض الملازم ، والهزال الشديد ، والإشراف على الموت . وغدا : صار . والوضَم : خشبة الجزار التي يقطّع عليها اللحم . وغدا المريض لحماً على وضَم : تعبير يراد به ذهاب الصحة ، وانحلال الجسم وتهدمه .

(١٢) الغدرة : المرة من الغدر ، وهو الخيانة ونقض العهد . والخلان : الأخلاّء ، جمع الخليل ، وهو الصديق الخالص . والأرب : البُغْية . أي ليس الغدر بأخلائي مما أطلبه وأبتغيه وأفكر فيه ، أو ليس من سلوكي وخُلقي ، أو ليس مما يلائم أدبي ويسايره . وتلون الأخلاق : ضعفها وانحلالها . من قولهم : فلان متلون ، أي متقلب متغير ، لا يثبت على خُلق . والشيم : جمع شيمة ، وهي الخلق والغريزة .

(١٣) العهود : جمع عهد ، وهو الموثق واليمين . والقسَم : اليمين .

(١٤) علائق الود : علاقاته ، وأواصره ، وروابطه . والذمة : العهد ، والكفالة . والحرم : جمع حرمة ، وهي ما وجب القيام به ورعايته .

(١٥) غير منحسم : غير منقطع ، أي داء عياء ، لا طب له ، ولا برء منه .

ينفي أو يستبعد وجود الحرّ الكريم الذي يأسر الأحرار بشيمه النبيلة ، وسجاياه الحميدة ، وبره ووفائه وصدق وداده . وسبب هذا النفي أو الاستبعاد أن الغدر شائع في طبائع الناس ، وداء عضال لا سبيل إلى علاجه .

(١٦) نفض يديه من الدنيا : أعرض عنها ، وزهد فيها ، ولم ينخدع بها .

هَيْهَـاتَ لَمْ يَبْقَ فِي الـدُّنْيَـا أَخُـو ثِقَـةٍ ... يَـرْعَى الْمَـوَدَّةَ أَوْ يُلْقِي يَـدَ السَّلَمِ [١٧]

فَـلَا يَـغُـرَّنْـكَ مِنْ وَجْـهٍ بَشَـاشَتُـهُ ... فَـالنَّـارُ كَـامِنَـةٌ فِي نَـاخِـرِ السَّلَمِ [١٨]

تَـغَيَّـرَ الـنَّـاسُ عَمَّـا كُنْتُ أَسْـمَـعُـهُ ... وَاسْتَحْكَمَ الْغَدْرُ فِي السَّادَاتِ وَالْحَشَمِ [١٩]

وَظَـلَّ أَعْـدَلُ مَـنْ تَلْقَـاهُ مِـنْ رَجُـلٍ ... أَعْدَى عَلَى الْخَلْقِ مِنْ ذِئْبٍ عَلَى غَنَمِ [٢٠]

مِنْ كُـلِّ أَشْـوَهَ فِي عِـرْنِينِـهِ فَـطَسٌ ... خَـالٍ مِنَ الْفَضْلِ مَمْلُوءٍ مِنَ النَّهَمِ [٢١]

سُـودُ الْخَـلَائِقِ دَلَّاجُـونَ مَـا طُبِعُـوا ... عَلَى الْمَحَارِمِ هَدَّاجُـونَ فِي الظُّلَمِ [٢٢]

لَا يُحْسِنُـونَ التَّقَـاضِي فِي الْحُقُـوقِ وَلَا ... يُـوفُـونَ بِـالْعَهْـدِ إِلَّا خِيفَـةَ النِّقَمِ [٢٣]

---

(١٧) هيهات : اسم فعل ماض بمعنى بَعُدَ . وأخو ثقة : شخص أو صديق يوثق بـه . ويرعى المودة : يصون المحبة القائمة بينه وبين أحبائه . ومن معاني اليد : الطاعة ، والانقياد .

(١٨) لا يغرنك : لا يخدعنك . وبشاشة الوجه : تهلله وبشره وطلاقته . وكامنة : متوارية مستترة . والسَّلم : شجر شائك ، واحدته سلمة . وناخر السلم : القديم البالي المتفتت .

(١٩) السادات : جمع سادة . والحشم : العبيد ، والخدم ، والأتباع . واستحكام الغدر في السادات والحشم : شيوع الخيانة ونقض العهد في الناس جميعاً .

(٢٠) يتكلم الشاعر عن الناس فيقول إن فتكهم بغيرهم أشد وأقسى ، وأنكى وأفظع من فتك الذئاب بالأغنام . يشير بهذا إلى ما في طبائعهم من الشر والأذى ، والبغي والعدوان ، والظلم .

(٢١) أشوه : قبيح دميم ، سيىء المنظر . والعرنين : ما صلب من عظم الأنف . والفطس : انخفاض قصبة الأنف ، وضده الشمم : وهو ارتفاع في قصبة الأنف . والنهم : الإفراط في شهوة الطعام وغيره . ويراد به هنا : الحرص والشره ، والطمع الممقوت .

(٢٢) الخلائق : جمع الخليقة ، وهي الطبيعة التي خلق المرء عليها . ويعبر بالسواد في مثل هذا المقام عن الشر والقبح والسوء . وسود الخلائق : طبائعهم سيئة قبيحة ، مرذولة ممقوتة . ودلّاجون : جمع دلاج ، من قولهم بات ليلته يدلج دلوجاً ، أي يسير عامة الليل . وهو في مقام الهجاء كناية عن سوء السلوك . والمحارم : جمع محرم ، أو جمع محرمة ، وهي ما حرمه الله تعالىٰ ، وما لا يحل انتهاكه من عهد أو ميثاق أو نحوهما .

(٢٣) التقاضي في الحقوق : المطالبة بها ، واستردادها من آخذيها . والنقم : جمع نقمة ، وهي العقوبة والانتقام .



صُفْـرُ الْـوُجُـوهِ مِنَ الأَحْقَـادِ تَحْسِبُهُمْ — وَهُمْ أَصِحَّـاءُ فِي دِرْعٍ مِنَ السَّقَـمِ (٢٤)

فَـلاَ ذَمَـامَـةَ فِي قَـوْلٍ وَلاَ عَـمَـلٍ — وَلاَ أَمَـانَـةَ فِي عَهْـدٍ وَلاَ قَـسَـمِ (٢٥)

بَلَوْتُ مِنْهُمْ خِـلاَلاً لَـوْ وَسَمْتَ بِـهَـا — وَجْـهَ الْغَـزَالَـةِ لَمْ تُشْـرِقْ عَلَى عَلَمِ (٢٦)

لَمْ أَدْرِ هَـلْ نَبَغَتْ فِي الأَرْضِ نَـابِغَـةٌ — أَمْ هَـذِهِ شِيمَةُ الـدُّنْيَـا مِنَ الْقِدَمِ ؟ (٢٧)

لاَ يُـدْرِكُ الْـمَجْـدَ إِلاَّ مَـنْ إِذَا نَهَـضَتْ — بِـهِ الْحَمِيَّـةُ لَمْ يَقْعُـدْ عَـلَى رَغَمِ (٢٨)

لَـوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْمَسَـاعِي مَـا يَبِينُ بِـهِ — فَضْلُ الرِّجَالِ تَسَاوَى النَّاسُ فِي الْقِيَمِ (٢٩)

فَـأَيُّ غَـامِضَـةٍ لَمْ تَجْلُهَـا فِـطَنِـي ؟ — وَأَيُّ بَـاذِخَـةٍ لَمْ تَعْلُهَـا قَـدَمِي ؟ (٣٠)

وَكَـيْفَ لاَ تَـسْبِـقُ الْـمَـاضِينَ بَـادِرَتِـي — وَالسَّمْهَرِيَّةُ تَخْشَى الْفَتْكَ مِنْ قَلَمِي ؟ (٣١)

---

(٢٤) حقد عليه : أضمر له العداوة . وتحسبهم : تظنهم . وجملة « وهم أصحاء » : جملة حالية . والدرع : القميص . والسقم : المرض .

(٢٥) الذمامة : الذمة ، والحق . والذمامة (بفتح الذال) : الحياء والخجل والإشفاق من الذمّ . والعهد : ما يجب مراعاته ، والمحافظة عليه .

(٢٦) بلوت : خبرت ، وجرّبت . ومنهم : من المهجوين أو من الناس الذين خالطهم وعاملهم . والخلال : الخصال ، والأخلاق . ووسمه ، جعل له سمة ، أي علامة يعرف بها . والغزالة : الشمس . والعلم : الجبل .

(٢٧) نبغ : بدا ، وظهر . والشيمة : الخلق .

(٢٨) المجد : العز والرفعة . والحمية : القوة الغضبية إذا كثرت وزادت . والرغم : الذل والهوان . ونهضت به حميته : رفعته في مراتب العزة والكرامة ، وأبتْ عليه أن يقيم على الضيم ، أو يرضى بالهوان . وأرغمه الله وأدغمه : أي أذله وأخزاه .

(٢٩) المساعي : المكرمات وأعمال الخير والبر . ويبين : يبدو ويظهر . والفضل : الخير ، والفضيلة . وقيمة الشيء : قدره ، واعتباره .

(٣٠) الفطن : جمع فطنة ، وهي الحذق ، والمهارة . وبذخ الجبل ونحوه : ارتفع ، فبان علوه وارتفاعه . ويراد بالباذخة : المرتبة الرفيعة العالية من مراتب المجد والعز ، والشرف والسودد .

(٣١) البادرة : البديهة ، ويراد بها ما يرتجله من الشعر والنثر . ورماح سمهرية : نسبة إلى « سمهر » (بوزن جعفر) ، وهو رجل اشتهر عند العرب بتثقيف الرماح وتقويمها . ويريدون بنسبتها إليه أنها أجود الرماح وأمضاها . وفتك به : بطش به ، وقتله .



لِكُلِّ عَصْرٍ رِجَالٌ يُذْكَرُونَ بِهِ ... وَالْفَضْلُ بِالنَّفْسِ لَيْسَ الْفَضْلُ بِالْقِدَمِ (٣٢)

وَقَالَ(*) :

مَنْ لِعَيْنٍ إِنْسَانُهَا لا يَنَامُ ... وَفُؤَادٍ قَضَى عَلَيْهِ الْغَرَامُ(١)

أَقْطَعُ اللَّيْلَ بَيْنَ حُزْنٍ وَدَمْعٍ ... وَسُهَادٍ وَالنَّاسُ عَنِّي نِيَامُ(٢)

لا صَدِيقٌ يَرْثِي لِمَا بِتُّ أَلْقَا ... هُ وَلا مُسْعِدٌ فَأَيْنَ الْكِرَامُ ؟(٣)

لَمْ تَدَعْ لَوْعَةُ الصَّبَابَةِ مِنِّي ... غَيْرَ نَفْسٍ غِذَاؤُهَا الآلامُ(٤)

رَقَّ طَبْعُ النَّسِيمِ رِفْقاً بِحَالِي ... وَبَكَى رَحْمَةً عَلَيَّ الْحَمَامُ(٥)

وَبِنَفْسِي لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ نَفْسِي ... قَمَرٌ نُورُهُ عَلَيَّ ظَلامُ(٦)

---

(٣٢) يقول : لكل زمان دولته ورجاله الذين اشتهروا به ، واشتهر بهم . وفضل الأفاضل منهم لا يكون بقدم الزمان ، أو حداثته . وإنما يكون بما تنطوي عليه نفوسهم من الفضائل وكرم الخلال ، وما يخلدونه من الأعمال العظيمة ، والآثار النافعة ، والمساعي والمكارم .

(*) يعارض البارودي بهذه القصيدة قصيدة لأبي الطيب المتنبي مطلعها :

لا افتخار إلا لمن لا يضام ... مدرك أو محارب لا ينام

فالقصيدتان متفقتان في الوزن والروي ، وفي بعض المعاني .

(١) إنسان العين : حدقتها ، أو سوادها .

اشتدّ به الوجد والغرام ، فذهب بقلبه ، وأورثه الهمّ والأرق ؛ فاستنجد بمن يعينه على أمره ، ويخفّف أوصابه ومتاعبه . والحبيب المتغزل به خير من ينجده بقربه ووصاله ، ويردّ إليه أمنة النعاس ، ويحيي فؤاده ، ويحقق مراده .

(٢) أقطع الليل : أقضيه كله . والسهاد : الأرق ، والسهر . ونام عنه : غفل عنه .

(٣) رثي له : رحمه ، ورقّ له . والمسعد : النصير ، والمجير ، اسم فاعل من أسعده ، أي أعانه وأنجده .

(٤) لم تدع : لم تترك . واللوعة : الحرقة . والصبابة : رقة الهوى ، وحرارة الشوق .

(٥) النسيم : الريح الطيبة اللينة اللطيفة . ورقّة طبع النسيم : لينه واعتداله ولطف حركته .

(٦) شَبَّه حبيبه بالقمر وقال : إنه ضنين عليه باللقاء والوصال ؛ فلا يكاد يستمتع بشيء من ضيائه وبهائه ؛ ولهذا يعيش كئيباً ملتاعاً في ظلمات الصدود والهجران . ثم قال : إن نفسه ليست له ، وإنما هي لهذا الحبيب ، ولو عادت إليه لفداه بها .

تَسْتَطِيبُ الْقُلُوبُ فِيهِ الرَّزَايَا   وَتَلَذُّ الضَّنَى بِهِ الأَجْسَامُ(٧)
صَنَمٌ حَامَتِ الْقُلُوبُ عَلَيْهِ   فَانْظُرُوا كَيْفَ تُعْبَدُ الأَصْنَامُ ؟(٨)
غَيَّرَتْهُ الْوُشَاةُ فَازْوَرَّ عَنِّي   وَهْوَ مِنِّي بِنَجْوَةٍ لاَ تُرَامُ(٩)
زَعَمُونِي أَتَيْتُ ذَنْباً وَمَا لِي   يَعْلَمُ اللَّهُ فِي هَوَاهُ أَثَامُ(١٠)
سَوْفَ يَلْقَى كُلُّ امْرِىءٍ مَا جَنَاهُ   وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأَحْكَامُ(١١)
يَا نَدِيمَيَّ عَلِّلاَنِي فَلَنْ تَهْـ   ـلِكَ نَفْسٌ قَدْ عَلَّلَتْهَا النِّدَامُ(١٢)
رُبَّ قَوْلٍ يَرُدُّ لَهْفَةَ قَلْبٍ   وَكَلاَمٍ تَجِفُّ مِنْهُ الْكِلاَمُ(١٣)
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ تَرَاهُ سَلِيمَاً   وَهْوَ دَاءٌ تَدْوَى بِهِ الأَفْهَامُ(١٤)

---

(٧) استطابه يستطيبه : وجده طيباً حسناً . وفيه : في الحبيب المتغزل به . والرزايا : المصائب والبلايا . والضنى : المرض الملازم الذي يشرف به المريض على الموت .

(٨) الصنم : الوثن . وحام حول الشيء ، وحام عليه : دار حوله ، وطاف به .

(٩) الوشاة : جمع الواشي ، وهو النمّام الذي يفسد بين الناس . وازورّ عني : أعرض عني . والنجوة : ما ارتفع من الأرض . وهو بنجوة مني : أي هو بعيد عني . ولا ترام : لا تنال .

(١٠) زعم : ظن . وأكثر استعمال الزعم فيما يكون كاذباً أو باطلاً ، أو فيما يكون موضع شك وارتياب . والأثام : الإثم والذنب .

(١١) جنى ، جناية : أجرم وأذنب . وتجنى عليه : رماه بإثم لم يرتكبه . وترجع (بالبناء للمفعول) : من الرجع ، مصدر رجع إليه الشيء ، أي رده إليه وأعاده . أو هو (بالبناء للفاعل) : من الرجوع ، مصدر رجع الشيء ، أي عاد . والأحكام : جمع الحكم ، مصدر حكم بكذا ، أي قضى به ، وفصل .

(١٢) نديمك : منادمك ، أي مسامرك ، ومصاحبك ، وجمعه ندام . وعلله : سقاه سقياً بعد سقي . وعلله : عالجه من علته وداواه .

(١٣) اللهفة : الحزن والأسى . ولهفة قلب العاشق : احتراقه ، ولوعته . وردّ اللهفة : صرفها ، وأزالها . والكلام في آخر البيت : الجروح . وجفاف الكلام : اندمالها ، وبرؤها ، وشفاؤها .

(١٤) تراه : تحسبه وتظنه . وسليماً : أي سليم القلب والضمير ، سالماً من الأحقاد والضغائن ، والمثالب والمعايب . و « هو داء » : أي تحسبه سليماً والحال أنه غير سليم . وقد بالغ فجعله الداء نفسه . وتدوى : تمرض . جعل الأفهام تدوى به ، لأنها تنخدع برهة بسلامة ظاهره .



قَدْ ـ لَعَمْرِي ـ بَلَوْتُ دَهْرِي فَمَا أَحْـ ـمَدْتُ مِنْهُ مَا تَحْمَدُ الأَقْوَامُ(١٥)

صَلَفٌ لاَ يَبُلُّ غُلَّةَ صَادٍ وَمَرَاعٍ هَشِيمُهَا لاَ يُشَامُ(١٦)

أَطْلُبُ الصِّدْقَ فِي الْوِدَادِ وَأَنَّى يَصْدُقُ الْوُدُّ وَالْعُهُودُ رِمَامُ ؟(١٧)

كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ أَصَبْتُ خَلِيلاً أَضْحَكَتْنِي مِنْ غَدْرِهِ الأَيَّامُ(١٨)

فَتَفَرَّدْ تَعِشْ بِنَفْسِكَ حُرّاً رُبَّ فَرْدٍ يَخْشَاهُ جَيْشٌ لُهَامُ(١٩)

وَاحْذَرِ الضَّيْمَ أَنْ يَمَسَّكَ فَالضَّيْـ ـمُ حِمَامٌ يَفِرُّ مِنْهُ الْحِمَامُ(٢٠)

ضَلَّ قَوْمٌ تَوَهَّمُوا الصَّبْرَ حِلْمَاً وَهْوَ ـ إِلاَّ لَدَى الْكَرِيهَةِ ـ ذَامُ(٢١)

يَحْسَبُونَ الْحَيَاةَ فِي الذُّلِّ عَيْشاً وَهْوَ مَوْتٌ يَعِيشُ فِيهِ اللِّئَامُ(٢٢)

وَقَالَ :

---

(١٥) بلوت : اختبرت ، وامتحنت وجربت . ودهر المرء : مدة حياته .

(١٦) صلف صَلَفاً : أي قلّ خيره وغَناؤه . والغُلة : شدة العطش وحرارته . والصادي : العطشان . والهشيم : المهشوم المتكسر من النبات الجاف . ولا يشام : لا يعتدّ به ، ولا يؤبه له .

(١٧) رمام : خَلَق ، من قولهم : حبل رمام ، أي بـال متقطّع مستهلك . يقـال : عظم رميم ، وعظام رمام .

(١٨) الخليل : الصديق الخالص .

يقول : كلما ظن أنه عثر على صديق صادق الود أخلفت الأيام ظنه ، وخيبت التجربة رجاءه ، وأظهرتْ له أن هذا الصديق كاذب في وداده ، فضحك سخرية ، أو فزعاً ، أو عجباً من عقم الدهر ، وضياع الوفاء ، وشيوع الكذب ، وقلة الصدق في الناس .

(١٩) تفرّد : اعتزل عن الناس . وجيش لهام : عظيم ، كثير ، قوي .

(٢٠) الضيم : الظلم ، والقهر . والحمام : الموت .

جعل الضيم أفظع وأنكى من الموت ، وحذّر قبوله ، والرضا به .

(٢١) ضلّ : ضـاع ، وهلك . وتـوهّم الشيء : ظنـه ، أو تمثّله وتخيّله . والحلم : الأنساة ، والصفح . والكريهة : الحرب ، أو الشدة فيها . وذام : عيب ، ونقص ، ومذمّة .

(٢٢) يحسبون : يظنون . والعيش : المعيشة والحياة . واللئام : جمع اللئيم ، صفة من اللؤم ، وهو أن يجتمع في الشخص الشحّ والبخل ، وخسّة النفس ، ودناءة الطبع .

يَـا نَـدِيمَيَّ فِي « سَـرَنْـدِيبَ » كُـفَّـا ... عَنْ مَـلَامِي فَـلَيْسَ يُغْـنِي الْـمَـلَامُ[1]

أَنَـا فِـي هٰـذِهِ الـدِّيَـارِ غَـرِيـبٌ ... وَغَـرِيـبُ الـدِّيَـارِ لَـيْسَ يُـلَامُ[2]

وَاذْكُـرَا لِي « فُسْـطَاطَ » مِصْـرَ فَـإِنِّي ... بِـهَـوَاهَـا مُتَـيَّـمٌ مُـسْـتَـهَـامُ[3]

---

(١) نديمك : منادمك ، أي مجالسك على الشراب . و« سرنديب » أو « سيلان » جزيرة كبيرة من أرض الهند ، إليها نفي الشاعر وستة من رفاقه قادة الثورة العرابية بعد إخفاقها في شهر صفر سنة ١٣٠٠هـ الموافق ديسمبر سنة ١٨٨٢م . وفيها نظم البارودي أجود شعره ، وأشده تأثيراً في النفس . وقد لبث في ذلك المنفى السحيق زهاء سبعة عشر عاماً . وكفّ عن الشيء : انصرف عنه وامتنع . والملام : اللوم . ويغني : يفيد وينفع .

(٢) احتجّ الشاعر لنفسه ، واستنكر أن يلومه لائم ؛ فإنه غريب في « سرنديب » ، بعيد عن وطنه وأهله ، منكوب بالنفي والإبعاد . ولائمه يظلمه ويعاسره ، وإن كان مشفقاً راحماً ؛ لأنه يجمع عليه مرارة اللوم والتثريب ، ومرارة الغربة والبعد ، وحسرة الفراق والحرمان .

(٣) الفسطاط : مصر القديمة التي أسسها عمرو بن العاص في موضع فسطاطه بعد فتحه مصر سنة ٢١هـ (٦٤١م) . وبهواها : بحبها ، أي بحب مصر . وهـو متعلق بـ« متيم » ، أي متيم مستهام بسبب هواها . وهو هائم بحبيبه ، ومستهام به : أي اشتد تعلقه بـه ، حتى أصابـه الهيام ، وهو جنون الحب والعشق والغرام .

قافيــة النــون

وقَالَ يَذْكُرُ وَدَاعَهُ لِلْوَطَنِ* ، وَيَشْكُرُ صَاحِباً عَلَى صِدْقِ وِدَادِهِ :

مَحَا الْبَيْنُ مَا أَبْقَتْ عُيُونُ الْمَهَا مِنِّي ... فَشِبْتُ وَلَمْ أَقْضِ اللُّبَانَةَ مِنْ سِنِّي [١]

عَنَاءٌ وَيَأْسٌ وَاشْتِيَاقٌ وَغُرْبَةٌ ... أَلَا شَدَّمَا أَلْقَاهُ فِي الدَّهْرِ مِنْ غَبْنِ [٢]

فَإِنْ أَكُ فَارَقْتُ الدِّيَارَ فَلِي بِهَا ... فُؤَادٌ أَضَلَّتْهُ عُيُونُ الْمَهَا مِنِّي [٣]

(*) في ٣ من ديسمبر سنة ١٨٨٢م حكمت المحكمة العسكريّة المصريّة بالإعدام على سبعة من قادة الثورة العرابيّة ، أولهم « أحمد عرابي » ، وثانيهم « محمود سامي البارودي » . وما لبث الخديوي « توفيق » أن خفّف هذاالحكم ، فاستبدل به النفي المؤبّد . وقبل فجر اليوم الثامن والعشرين من ديسمبر سنة ١٨٨٢م أقلّت إحدى السفن الإنجليزية هؤلاء المنفيين ، من ميناء السويس إلى « سيلان » ، واسمها أيضاً « سرنديب » ، وهي جزيرة كبيرة في المحيط الهندي إلى الجنوب الشرقي من الهند ، استعمرتها بريطانيا من سنة ١٧٩٥ إلى سنة ١٩٤٨ .

وفي ذلك اليوم العصيب نظم البارودي هذه القصيدة الخالدة .

(١) محاه : أزاله ، وأذهب أثره . والبين : البعد والفراق . والمها : البقر الوحشي ، الواحدة مهاة (بوزن قناة) ، وبها تشبّه الحسناء من النساء في جمال العينين ، وحسن اتساعهما . واللُّبانة (بضم اللام) : الحاجة .

(٢) العناء : التعب والمشقة . واليأس : القنوط ، وضده الرجاء . والاشتياق : نزاع النفس إلى الشيء ، ورغبتها فيه . والغربة : الاغتراب ، وهو النزوح عن الوطن . وشدّ الشيء : ثقل ، وصعب . وفي الدهر : أي في دهر الشاعر ، أي في حياته . والغبن (بفتح فسكون) : الشر ، والهوان .

(٣) أضله : أخفاه وغيّبه .

بَعَثْتُ بِـهِ يَـوْمَ النَّـوَى إِثْـرَ لَـحْـظَةٍ فَـأَوْقَعَـهُ الْمِقْـدَارُ فِي شَـرَكِ الْحُسْنِ(٤)

فَهَلْ مِنْ فَتىً فِي الدَّهْرِ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ؟ فَلَيْسَ كِـلاَنَـا عَنْ أَخِيـهِ بِمُسْتَغْنِ(٥)

وَلَـمَّـا وَقَـفْـنَـا لِلْوَدَاعِ وَأَسْـبَـلَتْ مَـدَامِعُنَا فَـوْقَ التَّـرَائِبِ كَـالْمُـزْنِ(٦)

أَهَبْتُ بِصَبْـرِي أَنْ يَعُـودَ فَـعَـزَّنِـي وَنَـادَيْتُ حِلْمِي أَنْ يَثُـوبَ فَلَمْ يُغْـنِ(٧)

وَلَـمْ تَـمْضِ إِلاَّ خَـطْرَةٌ ثُـمَّ أَقْـلَعَـتْ بِنَـا عَنْ شُطُوطِ الْحَيِّ أَجْنِحَـةُ السُّفْنِ(٨)

فَكَمْ مُهْجَةٍ مِنْ زَفْـرَةِ الْـوَجْـدِ فِي لَـظَىً وَكَمْ مُقْلَةٍ مِنْ غَزْرَةِ الدَّمْـعِ فِي دَجْنِ(٩)

وَمَـا كُنْتُ جَـرَّبْتُ النَّـوَى قَبْـلَ هٰـذِهِ فَلَمَّا دَهَتْنِي كِدْتُ أَقْضِي مِنَ الْحُزْنِ(١٠)

---

(٤) به : أي بفؤادي . والنوى : البعد والافتراق . وجاء في إثره ، وفي أثره : أي تبعه عن قرب ، أو جاء في عقبه . ولحظة : نظرة . والمقدار : القضاء والقدر . والشرك : حبالة الصيد . ويراد بالحسن : حسن الحسان الفاتنات .

(٥) الفتى هنا : اسم «من الفتوّة» ، بمعنى النجدة ، والكرم ، والشهامة . أي فهل يتاح لنا شهم كريم من ذوي النجدة يجمع بيننا ؟ .

(٦) أسبلت (بالبناء للفاعل) : سالت ، وجرت . والمدامع : واحدها مدمع ، وهو مسيل الدمع . ويراد بالمدامع هنا : الدموع . والترائب : عظام الصدر ، أو موضع القلادة منه . والمزن : جمع مزنة ، وهي المطرة ، أو السحابة تحمل الماء .

(٧) أهاب بصبره : دعاه وناداه . وعزني : غلبني ، واستعصى عليّ . والحلم : الأناة ، والتصبر ، وضبط النفس . ويثوب : يعود ويرجع . ولم يغن : لم ينفع . يقال : أغناني كذا ، أي كفاني . وما يغني عنك هذا : أي لا يجزىء عنك ، ولا ينفعك .

(٨) الخطرة : البرهة القصيرة . وأقلعت : ارتحلت ، وسارت . والشطوط : جمع شط ، وهو جانب النهر وشاطئه . ويراد بشطوط الحيّ هنا : السواحل المصرية . وأجنحة السفن : قلاعها ، وأشرعتها التي تنشر وتبسط .

(٩) المهجة : دم القلب ، أو الروح . ويراد بها هنا : القلب . والوجد : الأسى والحزن . وزفرته : لوعته ، وحرقته . واللظى : النار ، أو لهبها الخالص الذي لا دخان فيه . والمقلة : العين . وغزرة الدمع : كثرته وغزارته . والدجن : المطر الكثير .

(١٠) النوى : البعد ، والفُرْقة . ودهاه الأمر يدهاه : نزل به ، وأصابه . وقضى يقضي : هلك ومات . وكدت أقضي : أي أشرفت على الهلاك .



وَلَـكِـنَّـنِـي رَاجَعْتُ حِـلْـمِي وَرَدَّنِـي إِلَى الْحَزْمِ رَأْيٌ لَا يَحُومُ عَلَى أَفْنِ(١١)

وَلَـوْلَا بُـنَـيَّـاتٌ وَشِـيـبٌ عَـوَاطِـلٌ لَمَـا قَـرَعَتْ نَفْسِي عَلَى فَـائِتٍ سِنِّي(١٢)

فَيَـا قَلْبُ صَبْـرَاً إِنْ جَـزِعْتَ فَـرُبَّمَـا جَرَتْ سُنُحاً طَيْـرُ الْحَوَادِثِ بِـالْيُمْنِ(١٣)

فَقَـدْ تُـورِقُ الْأَغْصَـانُ بَعْـدَ ذُبُـولِهَـا وَيَبْدُو ضِيَاءُ الْبَدْرِ فِي ظُلْمَةِ الْـوَهْنِ(١٤)

وَأَيُّ حُـسَـامٍ لَـمْ تُـصِبْـهُ كَـهَـامَـةٌ وَلَهْـذَمُ رُمْحٍ لَا يُفَـلُّ مِنَ الـطَّعْنِ(١٥)

وَمَــنْ شَـاغَـبَ الْأَيَّـامَ لَانَ مَـرِيــرُهُ وَأَسْلَمَـهُ طُولُ الْمِـرَاسِ إِلَى الْوَهْنِ(١٦)

---

(١١) راجعت حلمي : أي رجعت إليه ، وغلّبته . والحلم : العقل ، والأناة ، وضبط النفس . والحزم: ضبط الأمر. وحام على الشيء: دار حوله. والأفن: الضعف، والفساد، ومنه المأفون: وهو الضعيف الرأي والعقل. ورأي لا يحوم على أفن: أي رأي صائب قويّ سديد، لا يعتوره خلل، أو ضعف، أو فساد.

(١٢) بنيات : جمع بنيّة ، تصغير « ابنة » . والشيب (بكسر الشين) : جمع الأشيب ، وهو الّذي ابيضّ شعره . وعطلت المرأة : خلت من الحلي ، فهي عاطل ، والجمع عواطل . وعطلت الإبل ونحوها : تركت بلا راع .. وهذا المعنى هو المراد هنا . وقرع عليه سنّه : صكّها ندماً وحسرة وأسفاً . وفائت : اسم فاعل من فاته الأمر ، أي أعوزه ، أو أفلت منه ، أو سبقه فلم يدركه .

(١٣) الجزع : الحزن الشديد . وسنح (بضمتين) : جمع سنيح (بوزن فصيح) ، صفة من سنح الطائر وغيره ، إذا مرّ من مياسرك إلى ميامنك ، فولّاك ميامنه . والعرب يتيمّنون به ويتبرّكون . والسنح (بضم فسكون) : اليمن والبركة والسعد . والحوادث : جمع الحادث والحادثة . وحوادث الدهر : كوارثه ، ونوائبه . واليمن (بضم فسكون) : البركة والخير والسعد ، وهو تأكيد لمعنى « سنحاً » ، أي جرت طير الحوادث سانحات باليمن .

(١٤) الوهن : نحوٌ من نصف الليل ، أو بعد ساعة منه ، أو حين يدبر .

(١٥) الحسام : السيف القاطع . وحسام السيف : طرفه الذي يضرب به . وكهامة : كلالة وضعف . وسيف كهام : كليل ، لا يقطع . ولهذم الرمح : سنانه ، أي حديدته القاطعة . وفلّه : ثلمه ، وكسره .

(١٦) شاغب الأيام : خاصمها ، وعاسرها . والشغب (بفتح فسكون) : الخصام ، والاضطراب ، وإثارة الفتنة . ويراد بالأيام : الناس ، أو ما يتخيّله مثل هذا الشاعر في طبع الليالي والأيام من معاسرة الكرام الأحرار ، ومياسرة اللئام الأشرار . ولان : سهل ، وانقاد . والمرير : العزيمة والقوة والبأس . وأسلمه للهلكة : أي انتهى به إليها ، فكانت مصيره وخاتمته . وطول



وَمَـا الْمَـرْءُ فِي دُنْيَـاهُ إِلَّا كَسَـالِـكٍ مَنَاهِجَ لَا تَخْلُو مِنَ السَّهْـلِ وَالْحَزْنِ[١٧]

فَـإِنْ تَكُنِ الـدُّنْيَـا تَـوَلَّتْ بِخَيْـرِهَـا فَـأَهْـوِنْ بِـدُنْيَـا لَا تَـدُومُ عَلَى فَنِّ ![١٨]

تَـحَمَّـلْتُ خَـوْفَ الْـمَـنِّ كُـلَّ رَزِيئَـةٍ وَحَمْـلُ رَزَايَا الـدَّهْرِ أَحْلَى مِنَ الْمَنِّ[١٩]

وَعَـاشَـرْتُ أَخْـدَانَـاً فَـلَمَّـا بَلَوْتُـهُمْ تَمَنَّيْتُ أَنْ أَبْقَى وَحِيـداً بِـلَا خِـدْنِ[٢٠]

إِذَا عَـرَفَ الْمَـرْءُ الْقُلُوبَ وَمَـا انْـطَوَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَغْضَاءِ عَـاشَ عَلَى ضِغْنِ[٢١]

يَـرَى بَـصَـرِي مَـنْ لَا أَوَدُّ لِـقَـاءَهُ وَتَسْمَـعُ أُذْنِي مَـا تَعَـافُ مِنَ اللَّحْنِ[٢٢]

وَكَـيْفَ مُـقَـامِي بَـيْنِ أَرْضٍ أَرَى بِـهَـا مِنَ الظُّلْمِ مَا أَخْنَى عَلَى الدَّارِ وَالسَّكْنِ[٢٣]

المراس : طول التمرس بمكافحة الشرور والمفاسد والآفات ، ومحاولة تعديل المعوجّ من الأمور العامة . والوهن (بفتح فسكون) : الضعف .

(١٧) المناهج : الطرق ، واحدها منهج . والحزن (بفتح فسكون) : ما غلظ من الأرض وصلب ، وجمعه حزون ، وضده السهل .

(١٨) تولت : أدبرت وذهبت . وتولى عنه : أعرض عنه ، وتركه . وأهون بدنيا : أسلوب تعجب ، ومثله : « ما أهون الدنيا » : أي ما أحقرها ! وما أذلها ! من هان الشيء يهون هواناً : أي ذلّ وحقر . والفنّ : الحال ، وجمعه أفنان ، وفنون .

(١٩) الرزايا : جمع الرزيّة ، وهي المصيبة ، وأصلها الهمز « رزيئة » ، والهمز والتسهيل فيها مستعملان . والمن : مصدر مَنَّ المرء على غيره ، إذا فخر بنعمته عليه ، حتّى كدّرها بفخره . وأحلى من المنّ : أهون ، وأخفّ ، وأيسر .

والبيت ـ مع جريانه مجرى الحكم والأمثال ـ من فخريات البارودي الشائعة في شعره . وهو تصوير صحيح صادق لمزيَّة من مزاياه ، وفضيلة من فضائله النفيسة ، وهي عزة نفسه ، وكبرياؤه المحمودة :

خُـلِقْتُ عَـيُـوفـاً لَا أَرَى لابْنِ حُـرَّةٍ عَلَيَّ يَـدَاً أُغْضِي لَهَـا حِينَ يَغْضَـبُ

(٢٠) الأخدان : جمع خدن (بكسر فسكون) ، وهو الصديق . وبلوتهم : اختبرتهم ، وجرّبتهم .

(٢١) البغضاء : شدة البغض والكراهية . والضغن (بكسر فسكون) : الحقد الشديد ، وهو الانطواء على العداوة والبغضاء ، وجمعه أضغان ، ومثله الضغينة ، وجمعها ضغائن .

(٢٢) تعاف : تكره . ويراد باللحن هنا : الكلام مطلقاً .

(٢٣) المقام (بضم الميم) : الإقامة . وبين أرض : أي في أرض ، أو بأرض ، أو بين أهلها وسكانها . ويريد بالأرض : أرض مصر التي فشا فيها الظلم والفساد ، أو يريد الظالمين

فَسَمْعُ أَنِينِ الْجَوْرِ قَدْ شَاكَ مِسْمَعِي وَرُؤْيَةُ وَجْهِ الغَدْرِ حَلَّ عُرَا جَفْنِي(٢٤)

وَصَعْبٌ عَلَى ذِي اللُّبِّ رِئْمَانُ ذِلَّةٍ يَظَلُّ بِهَا فِي قَوْمِهِ وَاهِيَ الْمَتْنِ(٢٥)

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَرْمِ الْهَنَاةَ بِمِثْلِهَا تَخَطَّى إِلَيْهِ الْخَوْفُ مِنْ جَانِبِ الأَمْنِ(٢٦)

فَلاَ تَعْتَرِفْ بِالذُّلِّ خِيفَةَ نِقْمَةٍ فَعَيْشُ الْفَتَى فِي الذُّلِّ أَدْهَى مِنَ السِّجْنِ(٢٧)

وَكُنْ رَجُلاً إِنْ سِيمَ خَسْفاً رَمَتْ بِهِ حَمِيَّتُهُ بَيْنَ الصَّوَارِمِ وَاللُّدْنِ(٢٨)

فَلاَ خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعِشْ مَهِيباً تَرَاهُ الْعَيْنُ كَالنَّارِ فِي دَغْنِ(٢٩)

وَلاَ تَرْهَبِ الأَخْطَارَ فِي طَلَبِ الْعُلاَ فَمَنْ هَابَ شَوْكَ النَّحْلِ عَادَ وَلَمْ يَجْنِ(٣٠)

المفسدين من حكامها ، وولاة الأمر فيها . وأخنى عليه : أفسده ، أو أهلكه وأرداه . والسكن (بفتح فسكون) : أهل الدار وسكانها .

(٢٤) الجور : الظلم . وشاكه : أضرّ به ، وآذاه . والمسمع : الأذن . والغدر : الإخلال بالموثق ، ونقض العهد ، وترك الوفاء . وانحلال عرا الجفون : كناية عن الأرق والسهاد .

(٢٥) صعب عليه : شقّ عليه ، واشتدّ . وذو اللب : العاقل . واللب : العقل . ورئمان الذلة : الرضا بالذل ، والإقامة على الضيم . مصدر رئم الإنسان الشيء : إذا ألفه ، واعتاده . والواهي : الضعيف .

(٢٦) الهناة : الداهية ، والأمر المنكر العظيم . وجمع الهناة هنوات (بوزن قناة وقنوات) . ورمى الهناة بمثلها : دفع الشر بالشر . وتخطّى إليه الخوف : أي مشى إليه ، واستولى عليه ، أي أن الخوف يفاجىء المرء من مأمنه ، أو أنه إن انخدع به فإنما ينخدع بأمن كاذب ، وسلام زائف .

(٢٧) اعترف بالشيء : أقرّ به . والخيفة والمخافة : الخوف والاهتياب . والنقمة (بكسر فسكون) : العقوبة ، وجمعها نقم (بوزن محنة ومحن) . وأدهى : أنكى وأشد .

(٢٨) سامه خسفاً : أولاه ذلاً ، وأراده على الهوان . والحمية : الأنفة ، والعزة . والصوارم : السيوف المواضي القواطع ، جمع صارم . واللدن : الرماح ، يقال رمح لدن (بفتح فسكون) : أي فيه لدانة ، أو لدونة ، وهي اللين والمرونة . واللدانة من صفات الجودة في الرماح .

(٢٩) هابه : أجلّه وعظّمه . ومهيب : أي يهابه الناس ويجلّونه . والدغن : الدجن ، أي الظلمة .

(٣٠) النهي في أول البيت : للنصح والإرشاد . ورهبه (من باب طرب) : حذره وخافه . والأخطار : جمع خطر (بوزن سبب وأسباب) ، وهو الإشراف على الهلاك ، وخوف التلف .



وَلَـوْلَا مُعَـانَـاةُ الشَّـدَائِـدِ مَـا بَـدَتْ مَزَايَا الْـوَرَى بَيْنَ الشَّجَاعَـةِ وَالْجُبْنِ(٣١)
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي الْمُدْنِ مَا شِئْتَ مِنْ قِرىً فَـأَصْحِرْ فَـإِنَّ الْبِيدَ خَيْـرٌ مِنَ الْمُـدْنِ(٣٢)

وخاطر بنفسه مخاطرة : أي فعل ما يكون الخوف فيه أغلب . والعلا : الرفعة والشرف ، ومثله العلاء. والعلا أيضاً: جمع العليا (بوزن الكبرى والكبر). وهابه: حذره وخافه. وجنى الثمرة (من باب رمى) واجتناها: تناولها من منبتها.

يحضّ على اقتحام الأخطار لبلوغ الأوطار ، ويدعو إلى ركوب الأهوال في طلب المعالي ، وتحقيق الآمال . والشطر الثاني تذييل جار مجرى المثل ، مؤكد لمعنى الشطر الأول ، فمن تهيّب المخاوف أخفق ، وباء بالحرمان ، « ولا بدّ دون الشهد من إبر النحل » . وصلة هذا البيت بما قبله وما بعده ظاهرة ، وهي التحريض على إباء الضيم ، ومكافحة الظلم ، والترغيب في حياة العز والكرامة . ويلاحظ أن الأبيات التي تقصد إلى النصح والإرشاد ، وتجري مجرى الحكم والأمثال كثيرة في هذه القصيدة ، وأكثرها في مثل هذا المعنى .

(٣١) عاناه معاناة : قاساه ، وكابده ، وضاناه . والشدائد : الصعاب ، والمشاقّ ، وما يحرّك الناس من البلايا ، وما يهزّهم من حوادث الدهر . ومعاناة الشدائد : ركوب الأهوال والصعوبات ، والتمرس بالنوائب والآفات . وبدتْ : اتضحتْ ، وظهرتْ . والمزايا : المنازل ، والمواقع (كما في تهذيب اللغة للأزهري) ، الواحدة مزية (بوزن عطية وعطايا) . والورى : الخلق ، والناس ، والأنام الذين على وجه الأرض . وفي الأصل المخطوط « ولو » وإنما يستقيم المعنى والوزن بـ « لولا » .

يقول : إن مواقع الناس ومنازلهم في حياتهم الدنيا تبدو متفاوتة بين النقيضين : الشجاعة ، والجبن ، أو بحسب ما يميزهم من الإقدام والإحجام . وإنما يظهر هذا التفاوت ما يكابدونه من صعوبات الحياة ، وما يهزّهم من بلايا الدهر ؛ فالمكافح المجالد شجاع مقدام ، والمستسلم المستكين جبان رعديد . والغرض الحضّ على مكافحة النوازل ، ومجالدة الخطوب في صبر وثبات ، وعزم وقوة ، وشجاعة وإقدام .

(٣٢) المدن (بضم فسكون ، أو بضمتين) ، وكذا المدائن : جمع المدينة ، وهي المصر الجامع ، أي الكورة الكبيرة ، تقام فيها الدور ، والأسواق ، والمدارس ، وغيرها من المرافق العامة . والقرى (بوزن الرضا) : ما يقدّم إلى الضيف . وقَرى المضيف ضيفه يقريه (كفداه يفديه) : أكرمه ، وأحسن إليه بما يقتضيه حسن الضيافة . ويراد بالقرى هنا : ما تتطلبه حياة الأحرار الكرام ذوي الأنفة والحمية من العزة ، والحرية ، والكرامة ، والمنعة . وأصحر : أمر يراد به النصح والإرشاد ، من أصحر إصحاراً : أي خرج إلى الصحراء . والبيد (بكسر

صَحَـارٍ يَعِيشُ الْمَـرْءُ فِيهَـا بِسَيْفِـهِ شَدِيدَ الْحُمَيَّـا غَيْرَ مُغْضٍ عَلَى دِمْنِ[٣٣]

وَأَيُّ حَـيَـاةٍ لِامْـرِىءٍ بَـيْـنَ بَـلْدَةٍ يَـظَلُّ بِهَـا بَيْنَ الْعَـوَاثِنِ وَالـدُّخْنِ ؟[٣٤]

لَـعَمْـرِي لَـكُـوخٌ مِنْ ثُـمَـامٍ بِتَـلْعَـةٍ أَحَبُّ إِلَى قَلْبِي مِنَ الْبَيْتِ ذِي الْكِنِّ[٣٥]

وَأَطْـرَبُ مِـنْ دِيـكٍ يَـصِيـحُ بِـكُـوَّةٍ أَرَاكِيَّـةٌ تَـدْعُـو هَـدِيـلاً عَلَى غُصْنِ[٣٦]

وَأَحْـسَـنُ مِـنْ دَارٍ وَخِـيـمٍ هَـوَاؤُهَـا مَبِيتُكَ مِنْ بُحْبُوحَةِ الْقَاعِ فِي صَحْنِ[٣٧]

الباء) : الفلوات ، والمفازات ، والصحاري ، والأراضي الواسعة المقفرة ، الواحدة بيداء (بوزن صحراء) .

(٣٣) يعيش المرء فيها بسيفه : أي يحيا فيها معتمداً على سيفه . وشديد الحميّا : عزيز النفس . ومغض : اسم فاعل من أغضى على ما يكره إغضاء ، أي سكت ، وصبر عليه . والدمن : ما اختلط من البعر والطين فتلبّد . والشاعر يكني بالدمن هنا عن الأذى والضيم ، والسوء والفساد .

(٣٤) العواثن : الدواخن ، وهما جمع على غير قياس للعُثان والدُّخان (بوزن واحد ، ومعنى واحد) ، وقد يراد بالعُثان : الغبار ، والدخن .

أشار إلى بعض عيوب المدن ، وأنكر الحياة فيها وعابها واحتقرها . وكنى بالعواثن والدخن عن فساد الجو ، وفساد البيئة ، وفساد المعيشة .

(٣٥) الثمام (بضم الثاء) : نبت ضعيف ، أو عشب ، يسمو إلى نحو متر ونصف متر ، واحدته ثمامة . والتلعة (بوزن القلعة) : ما ارتفع من الأرض ، وما انهبط منها ، فهو من الأضداد . والكنّ (بكسر الكاف) : وقاء كل شيء وستره ، وكل ما يردّ الحر والبرد من الأبنية وغيرها . ويريد بالبيت ذي الكنّ : البيت الحضريّ الذي اجتمعتْ فيه أسباب الدعة والرفاهية . ويقابله الكوخ المتخذ من الثمام في تلعة من تلاع الصحراء .

(٣٦) أطرب : اسم تفضيل من طرب ، وحق اسم التفضيل هنا أن يكون من الرباعي ؛ فيقال : الأراكية أشدّ إطراباً من ديك الصباح . والكوة : فتحة في الجدار يدخل منها الهواء والضوء . ويراد بالأراكية : الحمامة ، نسبة إلى شجر الأراك . والهديل : فرخ الحمام .

(٣٧) هواء وخيم : رديء ، فاسد . والبحبوحة (بضم الباءين) من كل شيء : وسطه . والقاع : أرض مستوية مطمئنة عما يحيط بها من الجبال والآكام . والصحن : الأرض الواسعة المنبسطة ، لا شجر فيها . وصحن الفلاة : ما اتسع منها . و« من » في الشطر الثاني : بيانية ، أي مبيتك في فضاء فسيح من قيعان الصحراء أحسن من إقامتك في دار وخيم هواؤها .

تَـرَى كُـلَّ شَيْءٍ نُصبَ عَيْنَيْـكَ مَـاثِـلاً | كَـأَنَّـكَ مِنْ دُنْيَـاكَ فِي جَنَّتَيْ عَـدْنِ(٣٨)
تَـدُورُ جِيَادُ الْخَيْـلِ حَـوْلَـكَ شُـرَّبـاً | تُجَـاذِبُ أَطْـرَافَ الأَعِنَّـةِ كَـالْجِنِّ(٣٩)
إِذَا سَمِعْتَ صَـوْتَ الصَّـرِيـخِ تَنَصَّبَتْ | فَتُـدْرِكُ مَـا لاَ تُبْصِـرُ الْعَيْنُ بِـالأُذْنِ(٤٠)

فَـتِلْكَ ـ لَـعَمْـرِي ـ عِـيشَـةٌ بَـدَوِيَّـةٌ | مُـوَطَّـأَةُ الأَكْنَـافِ رَاسِخَـةُ الـرُّكْنِ(٤١)
وَمَـا قُـلْتُ إِلاَّ بَـعْـدَ عِـلْمٍ أَجَـدَّ لِـي | يَقِينـاً نَفَى عَنِّي مُـرَاجَعَـةَ الـظَّنِّ(٤٢)
فَقَـدْ ذُقْتُ طَعْمَ الـدَّهْـرِ حَتَّى لَفَـظْتُـهُ | وَعَاشَرْتُ حَتَّى قُلْتُ لاِبْنِ أَبِي دَعْـنِي(٤٣)
وَلَـوْلاَ أَخٌ أَحْمَـدْتُ فِي الْـوُدِّ عَـهْـدَهُ | عَلَى حَدَثَانِ الـدَّهْرِ مَـا كُنْتُ أَسْتَثْنِي(٤٤)

---

(٣٨) نصب عينيك : أمامهما . وماثلاً : قائماً منتصباً ، أي كأنك في دنياك مقيم في جنات النعيم والخلود .

(٣٩) جياد الخيل : خيارها وكرامها . وشرّباً : جمع شارب ، اسم فاعل أو صيغة مبالغة من شرب ، وهو حال من جياد. وجاذبه الحبل وغيره، وتجاذباه : أي تنازعاه ، وجذبه كل منهما إلى نفسه . والأعنة : جمع عنان ، وهو سير اللجام الذي تمسك به الدابة . والجن : خلاف الإنس ، وبهم يضرب المثل في النشاط ، والقوة ، وخفة الحركة ، وشدة البأس .

(٤٠) صوت الصريخ : صوت المستغيث أو الاستغاثة.. وتنصّبتْ : أقامت آذانها ، ورفعتها ، وبدت عليها أمارات الاهتمام والتأهّب .

(٤١) موطأة : مهيأة ممهدة . والأكناف : الجوانب والنواحي ، جمع كنف (بوزن سبب) . وراسخة : ثابتة مستقرة . والركن : الأساس .

(٤٢) أجدّ له العلم يقينا : أي رفع علمه ومعرفته إلى مرتبة اليقين . وراجعه مراجعة : رجع إليه ، وعاوده .

والمعنى : أن قوله السابق في الحياتين : البدوية والحضرية مؤسس على العلم واليقين ، لا على الظن والتخمين .

(٤٣) ذقت طعم الدهر : أي خبرته وبلوته . ولفظ الشيء من فمه : رماه ، وقذف به . ولفظت طعم الدهر : أي لفظت الناس ، وضجرت منهم . وعاشر الناس : خالطهم ، وصاحبهم . وابن أبي : أخي . ودعني : اتركني ، وتنحّ عني .

(٤٤) أخ : أي صديق . وأحمده إحماداً : وجده محموداً ، وارتاح له . والود : المحبة . وعهده : زمانه ، أي زمن صحبته . وحدثان الدهر : نوائب الزمان ، وحوادثه .

وَرُبَّ بَعِيدِ الدَّارِ يُصْفِيكَ وُدَّهُ ... وَمُقْتَرِبٍ يَجْنِي عَلَيْكَ وَلَمْ تَجْنِ[٤٥]

وَمَا الْوُدُّ فِي الْقُرْبَى وَإِنْ هِيَ أَوْجَبَتْ ... وَلَكِنَّهُ فِي الطَّبْعِ وَالشَّكْلِ وَالْوَزْنِ[٤٦]

إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْوَدِيدَيْنِ خُلَّةٌ ... فَلَا أَدَبٌ يُجْدِي وَلَا نَسَبٌ يُدْنِي[٤٧]

فَذَاكَ أَخٌ لَوْلَاهُ أَنْكَرْتُ كُلَّ مَا ... سَمِعْتُ بِهِ عَنْ أَحْنَفِ الْحِلْمِ أَوْ مَعْنِ[٤٨]

فَإِنْ لَمْ أُصَرِّحْ بِاسْمِهِ خَوْفَ حَاسِدٍ ... يَنُمُّ عَلَيْهِ فَهْوَ يَعْلَمُ مَنْ أَعْنِي[٤٩]

عَلَى أَنَّ ذِكْرَاهُ ـ وَإِنْ كَانَ نَائِياً ـ ... سَمِيرُ فُؤَادِي فِي الإِقَامَةِ وَالظَّعْنِ[٥٠]

---

(٤٥) يريد ببعيد الدار : الصديق الذي لا تربطك به صلة رحم أو نسب ، وضده المقترب . وأصفاه الودّ : أخلصه له ، وكان صادق المحبّة والإخاء ، حريصاً على البرّ والوفاء . وجنى عليه : أجرم في حقه ، وأذنب ، وأساء إليه ، واعتدى عليه .

(٤٦) القربى والقرابة : صلة النسب . وأوجب : أي جعله واجباً لازماً ثابتاً . ويراد بالطبع والوزن والشكل : التوافق والوئام والانسجام بين الأصدقاء .

والمعنى : أن قرابة الرحم من شأنها أن تحتم التوادّ والتراحم بين الأقرباء ، ولكنها كثيراً ما تتخلّف ، فتكون الجفوة والقطيعة . وإنما يكون الود الصادق المثمر فيما يكون من توافق ووئام وائتلاف .

(٤٧) الوديد : المحب . والخلة (بضم الخاء) : الصداقة . والأدب : رياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ما ينبغي . وأجدى : نفع وأفاد. وأدنى الشيء: قرَّبه.

(٤٨) أنكر الشيء إنكاراً : جحده ، ولم يعترف به . والأحنف بن قيس : من سادات التابعين ، يضرب به المثل في الحلم والأناة ، وضبط النفس ، ورجاحة العقل ، والصبر المحمود ، وكان الأحنف ـ إلى حلمه ـ شهماً عزيزاً في قومه ، إذا غضب غضب له مائة ألف سيف ، لا يسألون لماذا غضب . توفي سنة ٦٧هـ .

و«أبو الوليد معن بن زائدة» : اشتهر بالشجاعة ، والجود ، وجزالة العطاء ، وخصه الشاعر « مروان بن أبي حفصة » بأكثر مدائحه . عاش في دولتي بني أمية ، وبني العباس ، ثم قتله الخوارج سنة ١٥١هـ .

(٤٩) حاسد : اسم فاعل من الحسد ، وهو تمني زوال نعمة من مستحق لها ، وربما كان مع ذلك سعي في إزالتها . ونمّ عليه : وشى به ، والإسم النميمة : وهي الوشاية ، والإفساد بين الناس . وأعني : أريد ، وأقصد .

(٥٠) الذكرى : كثرة التذكّر . والسمير : المسامر . وسمير فؤاده : مؤانسه الذي يسكن إليه ،

أُنُــوحُ لِبُعْــدِي عَنْــهُ حُــزْنــاً وَلَــوْعَــةً كَمَا نَاحَ مِنْ شَوْقٍ جَمِيلٌ عَلَى بُثْنِ[٥١]

فَمَنْ لِي بِـهِ خِــلاًّ كَــرِيمــاً نِجَـارُهُ ؟ فَقَـدْ سَئِمَتْ نَفْسِي مُعَـاشَـرَةَ الْهُجْنِ[٥٢]

تُـجَـاذِبُـنِـي نَـفْـسِـي إِلَـيْـهِ وَدُونَـنَـا أَهَـاوِيـلُ مُلْتَـجِّ الْغَـوَارِبِ مُسْتَنِّ[٥٣]

لَـعَـلَّ يَـدَ الأَيَّـامِ تَـسْـخُـو بِـلُقْـيَـةٍ أَرَاهُ بِـهَـا بَعْـدَ الْكَـزَازَةِ وَالضَّـنِّ[٥٤]

وتزول به وحشته . والظعن : السير والارتحال ، وضده الإقامة . وفي الإقامة والظعن : أي في دوام واستمرار .

(٥١) ناح : بكى في جزع وعويل . واللوعة : حرقة في القلب ، وألم من حب وشوق ، أو حزن وهمّ .

و« جميل » بن عبد الله بن معمر ، من بني عُذْرة ، أشهر الشعراء العشّاق العذريين في زمانه ، كان صادق الصبابة والعشق . ولد ونشأ بوادي القرى ، شمالي المدينة ، وتوفي ودفن بمصر سنة ٨٢هـ (٧٠١م) . عشق « بثينة » ، وهي من بني عُذْرة أيضاً .

وفى « جميل » لـ « بثينة » كل الوفاء ، وشهرها ، واشتهر بها حتى سمّي « جميل بثينة » ، وسمّاها في شعره « بثن » و« بثنة » و« بثين » و« بثينة » ، ولم يتغزل بغيرها ، ولم يتزوج . وأقام على حبها والتشبيب بها حتى مات . وقد رفض أهلها خطبته ، وزوّجوها غيره ، فلم يفتر تعلقها بجميل ، ولم تجد عنه سلواناً . ولما نعي إليها غشي عليها ، وبكته أحرّ البكاء . وأخبارهما كثيرة .

(٥٢) من لي به : أي من يجمعني به . والخلّ: الخليل والصديق . وكريم : صفة من الكرم بمعناه العامّ ، وهو جمّاع المحاسن الكبيرة ، والأفعال المحمودة . ونجاره : أصله ، وحسبه . وكريم النجار : شريف الأصل ، ماجد المحتد ، فاضل . والمعاشرة : المخالطة ، والمصاحبة . والهجن (بضم فسكون) : جمع هجين (بوزن ضنين) ، وهو اللئيم ، وأصله الرجل من أب عربي ، وأمّ غير عربية .

(٥٣) تجاذبني نفسي إليه : أي تشدني إليه ، وتربطني به . و« دون » : بمعنى « بين » . وأهاويل : أي مخاوف وأخطار ، جمع أهوال . وواحد الأهوال : هول (مثل قول ، وأقوال ، وأقاويل) : وهو الفزع . وملتجّ : اسم فاعل من التجّ البحر : إذا اضطرب ، وتلاطمت أمواجه . وغوارب البحر : أعالي موجه ، جمع غارب . ومستنّ : مضطرب ، متلاطم الأمواج ، وهو تأكيد لمعنى « ملتجّ الغوارب » . ولعل المراد بالمستنّ الملتج الغوارب : البحر الأحمر والمحيط الهندي ؛ وهما يفصلان بين مصر وسرنديب .

(٥٤) سخا يسخو : جاد ، وسمح ، وبذل ، وأعطى . ولقية : لِقاء . وأراه بها : أرى أخي فيها ، أي في اللقية . والكزازة : البخل ، والشحّ . والضنّ : البخل الشديد .

وصف الأيام بالكزازة ، ورجا أن تجود بعدها بلقية تجمع شمله بذلك الأخ الصديق .

وَإِنِّـي وَإِنْ طَـالَ الْـمِـطَالُ لَـوَاثِـقٌ بِـرَحْمَةِ رَبِّي فَهْـوَ ذُو الـطَّوْلِ وَالْمَنِّ[٥٥]

وَقَالَ وَهُوَ بِسَرَنْدِيبَ يَتَشَوَّقُ إِلَى الْوَطَنِ ، وَيَذْكُرُ أَعْدَاءَهُ :

أَعَـائِدٌ بِـكِ يَـا رَيْحَـانَـةُ الـزَّمَنُ ؟ فَيَلْتَقِي الْجَفْنُ بَعْـدَ الْبَيْـنِ وَالْـوَسَنُ[١]

أَشْتَـاقُ رَجْعَـةَ أَيَّـامِي لِكَـاظِمَـةٍ وَمَـا بِيَ الـدَّارُ لَـوْلَا الْأَهْـلُ وَالسَّكَنُ[٢]

فَهَـلْ تَـرُدُّ اللَّيَـالِي بَعْضَ مَـا سَلَبَتْ ؟ أَمْ هَـلْ تَعُودُ إِلَى أَوْطَانِهَـا الـظُّعُنُ ؟[٣]

أَهَنْتُ لِـلْحُبِّ نَـفْسِـي بَعْـدَ عِـزَّتِـهَـا وَأَيُّ ذِي عِـزَّةٍ لِـلْحُبِّ لَا يَـهِـنُ ؟[٤]

لَـوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْهَوَى سِرٌّ لَمَـا ظَهَـرَتْ بِـوَحْيِ قُـدْرَتِـهِ فِي الْعَـالَمِ الْفِتَنُ[٥]

---

(٥٥) المطال (بكسر الميم) : المماطلة ، والتسويف . والطول (بفتح فسكون) : الإفضال والإنعام ، مصدر طال عليه : أي أنعم عليه ، وأحسن إليه . والمنّ : الإنعام .

(١) بك : أي بلقائك . و « ريحانة » : اسم ، أو صفة لمحبوبته التي يتغزل بها ، ويتمنى لقاءها . وهو في الحقيقة يتغنى بمصر ، ويصبو إليها . والريحانة (في الأصل) : واحدة الريحان ، وهو نبت طيب الرائحة ، وجمعه رياحين . ويريد بالزمن : ماضيه السعيد ، وما كان يستمتع به في مصر قبل النفي من اجتماع الشمل ، وهناءة العيش . والبين : من أسماء الأضداد ؛ فهو يأتي بمعنى الوصل ، وبمعنى الفرقة ، والمعنيان صالحان هنا ، والأول أرجح وأقرب . والوسن : النعاس . ويراد بالتقاء الجفن والوسن : استمتاعه بالنوم الهنيء بعد معاناة الأرق والسهاد من طول الافتراق ، وقسوة البعاد والاغتراب ، وهو يكني بالنوم عن رخاء البال ، واطمئنان النفس ، وصلاح الحال .

(٢) رجعة : رجوع ، وعودة . و « كاظمة » : موضع على سيف البحر ، على مرحلتين من البصرة ، ويريد بها مصر وطنه . وما بي الدار : أي ما بي شوق إلى الدار .

(٣) الاستفهام في شطري البيت للتمني ؛ فهو يتمنى أن تردّ الليالي إليه وإلى أمثاله بعض ما انتزعته . وسلبته الشيء : انتزعته منه ، وأخذته قهراً . والظعن (بضمتين) : جمع الظعينة ، وهي الراحلة ، من ظعن : أي سار ، وارتحل ، وسافر .

(٤) أهنت نفسي : أذللتها ، من الإهانة ، وهي الإذلال والاستخفاف . وللحب : أي بسبب الحب ، ومن أجله . والعزة : القوة ، والغلبة ، فكل عزيز قويّ تنهار عزته وقوته تحت سلطان الحب والغرام . ووهن يَهِنُ : ضعف وانكسر .

(٥) المعنى : في الهوى سرّ ظهرتْ الفتن في العالم بوحي قدرته .

فَكَيْفَ أَمْلِكُ نَفْسِي بَعْدَمَا عَلِقَتْ ... بِيَ الصَّبَابَةُ حَتَّى شَفَّنِي الْوَهَنُ[٦]

لَوْلَا جَرِيرَةُ عَيْنِي مَا سَمَحْتُ بِهَا ... لِلدَّمْعِ تَسْفَحُهُ الْأَطْلَالُ وَالدِّمَنُ[٧]

دَعَتْ إِلَى الْغَيِّ قَلْبِي فَاسْتَبَدَّ بِهِ ... شَوْقٌ تَوَلَّدَ مِنْهُ الْهَمُّ وَالشَّجَنُ[٨]

وَدُونَ مَا تَبْتَغِيهِ النَّفْسُ مِنْ أَرَبٍ ... بَيْدَاءُ تَصْهَلُ فِي أَرْجَائِهَا الْحُصُنُ[٩]

وَفِي الْأَكِلَّةِ آرَامٌ تُطِيفُ بِهَا ... أُسْدٌ بَرَاثِنُهَا الْخَطِّيَّةُ اللُّدُنُ[١٠]

مِنْ كُلِّ حَوْرَاءَ مِثْلِ الظَّبْيِ لَوْ نَظَرَتْ ... لِعَابِدٍ لَشَجَاهُ اللَّهْوُ وَالدَّدَنُ[١١]

---

(٦) الاستفهام في أول هذا البيت معناه النفي ، أي فلست أملك نفسي . والصبابة : رقّة الشوق ، وحرارة الهوى . وشفّني : هزلني ، ونحلني . والوهن : ضعف في البدن .

(٧) الجريرة : الجناية ، والذنب . وجريرة عينه : أنها نظرتْ إلى الحسناء المتغزل بها ، فهويها ، وتعلّق بها ، وكان من آثار الهوى ما شكاه في هذا البيت من فرط وجده ، وكثرة بكائه ، وغزارة دمعه . وسمح له بكذا : أذن له فيه ، أي ولولا جريرة عيني ما سمحت لدمعي أن يجري بها . وتسفحه : أي تسفح الدمع ، أي تصبّه وتجريه . و«الأطلال»: جمع طلل ، وهو ما بقي قائماً ظاهراً من آثار الديار التي هجرها أهلها ، ومثلها الدمن : جمع دمنة ، أي آثار المنازل والديار التي ارتحل عنها أهلها .

(٨) دعاه إلى الشيء : أي حثه عليه ، وساقه إليه . والغيّ : الجهل والضلال . ويراد بالغيّ هنا : الهوى والغرام . واستبدّ بقلبه الشوق : سيطر عليه . وتولّد : نشأ . والهمّ : الحزن والقلق . والشجن : الحزن .

(٩) « دون » هنا : ظرف مكان ، بمعنى « قبل » أو بمعنى « بين » . وتبتغيه : تريده وتطلبه . والأرب : الحاجة . والبيداء : الفلاة ، والصحراء . والأرجاء : النواحي . والحصُن : جمع حصان (بكسر الحاء) ، وهو الذكر من الخيل . وصهيل الحصُن في أرجاء البيداء : كناية عن امتداد نواحيها ، وتباعد أطرافها .

(١٠) الأكلّة : جمع إكليل ، وهو الستر الذي تحتجب به الفتاة المخدّرة وتصان . والمراد منازل الحسناوات المتغزّل بهن . والآرام : جمع رئم ، وهو الظبي . وتشبّه به الحسناء من النساء . وتطيف بها : تحيط بها . وإطافة الأساد بالأكلّة والآرام : كناية عن مناعة هؤلاء الحسان ، ومبالغة أهلهن في حمايتهن ، وصعوبة وصول عشاقهن إليهن . والخطيّة : الرماح المنسوبة إلى الخطّ ، وهو موضع ببلاد البحرين ، تباع فيه الرماح ، وتنسب إليه ، واحدها الخطّي . ورمح لدن ، ورماح لدان ولدن (بضم فسكون) : أي فيها لين ومرونة . واللدانة واللدونة من الصفات المستحسنة في الرماح .

(١١) الحوراء من النساء : البيضاء . والظبي : الغزال ، وتشبّه حسان النساء بالظباء . وشجاه :



فِي نَشْـوَةِ الـرَّاحِ مِنْ أَلْحَـاظِهَـا أَثَـرٌ ... وَفِي الْجَـآذِرِ مِنْ أَلْفَـاظِهَـا غُنَـنُ[١٢]

دَقَّـتْ وَجَـلَّتْ وَلَانَـتْ وَهْـيَ قَـاسِـيَـةٌ ... كَـذَاكَ حَـدُّ الْمَـوَاضِي لَيِّنٌ خَشِنُ[١٣]

طَـوَتْ بِهِنَّ النَّـوَى عَنِّـي بُـدُورَ دُجًى ... لَا يَسْتَبِيـنُ لِعَيْنِـي بَعْـدَهَـا سَنَنُ[١٤]

أَتْبَعْـتُهُـمْ نَـظَرَاتٍ كُـلَّمَـا بَـلَغَـتْ ... أُخْـرَى الْحُمُولِ ثَنَاهَا مَـدْمَـعٌ هُتُنُ[١٥]

يَـا رَاحِلِينَ وَفِـي أَحْـدَاجِـهِمْ قَـمَـرٌ ... يَكَـادُ يَعْبُـدُهُ مِنْ حُسْنِـهِ الْـوَثَـنُ[١٦]

أهمّه ، وشغل باله . والددن : اللهو واللعب .

يكني الشاعر بهذا كله عن فائق حسن هذه النساء ، وسحر نظراتهن ، وشدة تأثيرهن فيمن يراهنّ ، ولو كان من العبّاد الزهّاد .

(١٢) الراح : الخمر . ونشوتها : سكرتها . وألحاظها : نظراتها ، أي نظرات الحور اللائي يتغزل بهن . والجآذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية . وتشبّه المرأة الحسناء بالبقرة الوحشية في جمال العينين ، وحسن اتساعهما . والغنن : جمع غنّة ، وهي صوت رخيم يخرج من الخيشوم .

(١٣) دقّتْ : رقّتْ ، من الدقّة والرقّة . وجلّتْ: عظمتْ ، وهي نقيض « دقّتْ » . ولان الشيء : سهل ، وانقاد ، فهو ليّن ، أي سهل ومرن . وقاسية : صلبة . وحدّ المواضي : السيوف القواطع . وليّن : مرن . وخشن : قاس شديد الأثر .

(١٤) طوى الشيء : ضم بعضه على بعض ، أو لفّ بعضه فوق بعض . والنوى : البعد ، والفرقة . وطوته النوى عني : غيّبته وأخفتْه . وبهن : أي بالآرام . والدجى : جمع دجية ، وهي الظلمة . ولا يستبين : لا يظهر ، ولا يتضح . وبعدها : أي بعد النوى ، أو بعد بدور الدجى ، أي بعد فرقتها وبعدها ، وغيابها . وسنن الطريق : نهجه وجهته .

شبههن بالأقمار المكتملة ، تنشر الضياء ، وتبدّد الظلمات ، فلما طوتهنّ النوى عنه أظلمت الدنيا في وجهه ، واستبهمتْ أمامه الطرقات .

(١٥) أتبعتهم نظراتي : أي أرسلت نظراتي إليهم في أثناء الرحيل ؛ فهي تتبعهم وتلحقهم ، وتسير في إثرهم . والحمول (بضم الحاء) : جمع حمل ، وهو الهودج ، أو البعير عليه الهودج . وثناها : صرفها ، وردّها ، أي النظرات . والمدمع : مسيل الدمع ، ويراد به الدمع ، أي دموع هتن (بضمتين) : جمع هتون (بوزن صبور) أي غزير ، منصبّ ، متتابع .

(١٦) الأحداج : جمع الحدج (بكسر فسكون) ، وهو مركب من مراكب النساء كالهودج . ويعبده من حسنه الوثن : أي يعبده الوثن لحسنه ، أو بسبب حسنه . والوثن : التمثال الذي يعبد .

مُنُّـوا عَلَيَّ بِـوَصْـلٍ أَسْتَعِيـدُ بِـهِ	مِنْ مُهْجَتِي رَمَقـاً يَحْيَا بِـهِ الْبَدَنُ(١٧)
أَوْ فَـاسْمَحُـوا لِي بِـوَعْـدٍ إِنْ وَنَتْ صِلَةٌ	فَالْوَعْـدُ مِنْكُمْ بِطِيبِ الْعَيْشِ مُقْتَـرِنُ(١٨)
لَمْ أَلْقَ مِنْ بَعْـدِكُـمْ يَـوْمـاً أُسَـرُّ بِـهِ	كَـأَنَّ كُـلَّ سُـرُورٍ بَعْـدَكُمْ حَـزَنُ(١٩)
يَـا جِيـرَةَ الْحَيِّ مَـا لِي لاَ أَنَـالُ بِـكُمْ	مَعُـونَـةً وَبِكُمْ فِي النَّـاسِ يُعْتَـوَنُ؟(٢٠)
مَـاذَا عَـلَيْكُـمْ وَأَنْتُـمْ أَهْـلُ بَـادِرَةٍ	إِذَا تَـرَنَّمَ فِيـكُمْ شَـاعِـرٌ فَـطِنُ ؟(٢١)
أَفِي السَّـوِيَّـةِ أَنْ يَبْكِـي الْحَـمَـامُ وَلاَ	يَبْكِي عَلَى إِلْفِـهِ ذُو لَـوْعَـةٍ ضَمِنُ ؟(٢٢)
يَـا حَبَّـذَا مِصْـرُ لَـوْ دَامَتْ مَـوَدَّتُهَـا	وَهَلْ يَدُومُ لِحَيٍّ فِي الْـوَرَى سَكَنُ ؟(٢٣)

---

(١٧) منّ عليه : أنعم . والوصـل : ضد الهجـر . والمهجة : الـروح والنفس . والرمق (بفتحتين) : بقيّة الروح . وبدن الإنسان : جسده .

(١٨) سمح له بكذا : جاد ، وأعطى ، أو وافق على ما أريد منه . ويراد بالوعد : وعد الوصال . ونتْ : عزّتْ وصعبتْ . وطيب العيش : لذته وحلاوته . ومقترن : متصل .

(١٩) من بعدكم : أي من بعد فراقكم ، والخطاب للراحلين .

(٢٠) جيـرة ، جمع جـار ، وهو المجـاور في السكن . والجار أيضـاً : الحليف ، والنـاصـر ، والمجير . ويا جيرة الحيّ : أي يا من يجاورون حيّنا ، أو يا من يجيرونه وينصرونه . والشاعر هنا يستجير كل من يرقّ له ، ويرثي لحاله ، ويستطيع إنجاده ونصرته . ولا أنال بكم : أي لا أنال منكم . والمعونة : النُّصْرة ، والمسـاعدة . وفي النـاس : أي فيما يصيب النـاس من الشـدائد والأزمـات. وقد تكـون «في» بمعنى «من»، أي وبأمثـالك من النـاس يعتون، أي يستعان.

(٢١) الاستفهام في أول البيت معناه النفي ، أي لا تثريب عليكم ، ولن يلومكم أحد . وأهـل بادرة : أي أهل نجدة ، وأصحاب معونة . وبدر إلى الخير : سارع إليه . وترنّم : تغنّى . وفطن : ذو فطنة ، وهي الفهم ، والحذق .

(٢٢) أفي السويّة : أي لا يستويان ، أو ليس من العدل والإنصاف . ويراد ببكاء الحمام : سجعه وهديره ونواحه . والإلف : الحبيب ، والصديق . ويراد بـالإلف هنا : الـوطن ، والأهل ، والصحب . واللوعة : حرقة الشوق والحب ، أو نحوهما . وضمن : زمن (بفتح فكسر) ، أي مريض طال مرضه ، ولازمته علّته . من الضمانة والزمانة : وهي العلة الطويلة المزمنة .

(٢٣) في الشطر الأول مدح مصر ، وأشار إلى أن نفيه منها ، قد حرمه مودتها ، وتمنى لو دامت له المودة . ثم عزّى نفسه بالشطر الثاني قائلاً : إن الناس معرّضون لمثل ما ابتلي به ، وإنه لا سبيل إلى دوام الاستقرار ورخاء البال في هذه الحياة .

تَـاللَّهِ مَـا فَـارَقَتْهَـا النَّفْسُ عَنْ مَـلَلٍ وَإِنَّـمَـا هِـيَ أَيَّـامٌ لَـهَـا إِحَـنُ[٢٤]

فَـلَا يَسُـرَّ عُـدَاتِـي مَـا بُـلِيتُ بِـهِ فَسَـوْفَ يَفْنَى وَيَبْقَى ذِكْـرِيَ الْحَسَنُ[٢٥]

ظَنُّـوا ابْتِعَـادِيَ إِغْفَـالاً لِـمَنْقَـبَتِي وَذَاكَ عِـزٌّ لَـهَـا لَـوْ أَنَّـهُـمْ فَطَنُوا[٢٦]

فَـإِنْ أَكُنْ سِـرْتُ عَنْ أَهْلِي وَعَنْ وَطَنِي فَالنَّاسُ أَهْلِي وَكُلُّ الأَرْضِ لِي وَطَنُ[٢٧]

لَا يَـطْمِسُ الْجَهْلُ مَـا أَثْقَبْتُ مِنْ شَـرَفٍ وَكَيْفَ يَحْجُبُ نُورَ الْجَوْنَةِ الدَّخَنُ ؟[٢٨]

قَـدْ يَـرْفَـعُ العِلْمُ أَقْـوَامَـاً وَإِنْ تَـرِبُـوا وَيَخْفِضُ الْجَهْلُ أَقْوَاماً وَإِنْ خَزَنُـوا[٢٩]

فَـرُبَّ مَـيْتٍ لَـهُ مِـنْ فَضْـلِهِ نَـسَـمُ وَرُبَّ حَـيٍّ لَـهُ مِـنْ جَـهْـلِهِ كَـفَـنُ[٣٠]

فَـلَا تَـغُـرَّنْـكَ أَشْبَـاهٌ تَـمُـرُّ بِـهَـا هَيْهَـاتَ مَـا كُـلُّ طِـرْفٍ سَـابِقٌ أَرِنُ[٣١]

---

(٢٤) الإحن (بكسر ففتح) : جمع إحنة (بكسر فسكون) ، وهي الحقد ، والضغن . وقد يراد بإحن الأيام : ضغائن أهل الدهر ، وشرار الناس الذين انطاعوا للحقد والضغينة ، فنكّلوا بالمجاهدين الأحرار .

(٢٥) العداة (بضم العين) : جمع العادي ، بمعنى العدوّ . وبلاه : جرّبه ، وامتحنه . وما بُلي به الشاعر : ما أصابه من النفي والإبعاد . و« يفنى » ينكشف ، ويزول ، ويذهب . والذكر (بكسر فسكون) : الصيت ، والشهرة الحسنة .

(٢٦) أغفل الشيء : أهمله ، وتركه . والمنقبة : المفخرة . ومناقب الإنسان : ما عرف به من الخصال الحميدة ، والأخلاق الكريمة . والعزّ : القوة والغلبة . ولها : أي للمنقبة . وفطن : فهم ، وأدرك .

(٢٧) سار عنه : فارقه ، وابتعد عنه .

(٢٨) طمسه : محاه ، وأزاله . وأثقب : أضاء . وشهاب ثاقب : أي مضيء . والجونة : الشمس . والدخن (بفتحتين) : الدخان .

(٢٩) ترب الرجل : افتقر ، كأنه لصق بالتراب . وخزن المال : أحرزه ، وجعله في الخزانة .

يقول : العلم يرفع قدر المرء ولو كان فقيراً . والجهل يخفض الجاهل ، ويزري به ولو كان ثرياً كثير المال .

(٣٠) الفضل والفضيلة : الخير والمحمدة . ومن الفضل : العلم ، والعمل الصالح . والنسم (بفتحتين) : الحياة الطيبة الكريمة . والكفن : أثواب يلفّ فيها الميت .

والمعنى : أن الفضيلة ، والخير ، والعلم ، والعمل الصالح يحيي الإنسان حياة طيبة كريمة ، أو يخلّد له بعد موته الذكر ، وحسن الثناء . والجهل يميته ، ويخمله ، ويحط قدره .

(٣١) غره : خدعه . والأشباه : جمع شبه وهو المثل والنظير . وهيهات : اسم فعل ماض ، معناه

فَلَا مَلَامَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَدَثٍ فَكُلُّنَا بِيَدِ الأَقْدَارِ مُرْتَهَنُ(٣٢)

لَوْ كَانَ لِلْمَرْءِ حُكْمٌ فِي تَصَرُّفِهِ لَعَاشَ حُرّاً وَلَمْ تَعْلَقْ بِهِ الْمِحَنُ(٣٣)

وَأَيُّ حَيٍّ وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ يَبْقَى وَأَيُّ عَزِيزٍ لَيْسَ يُمْتَهَنُ ؟(٣٤)

كُلُّ امْرِىءٍ غَرَضٌ لِلدَّهْرِ يَرْشُقُهُ بِأَسْهُمٍ لَا تَقِي أَمْثَالَهَا الْجُنَنُ(٣٥)

فَلْيَشْغَبِ الدَّهْرُ أَوْ تَسْكُنْ نَوَافِرُهُ فَلَسْتُ مِنْهُ عَلَى مَا فَاتَ أَحْتَزِنُ(٣٦)

غَنِيتُ عَمَّا يُهِينُ النَّفْسَ مِنْ عَرَضٍ فَمَا عَلَيَّ لِحَيٍّ فِي الْوَرَى مِنَنُ(٣٧)

لَكِنَّنِي بَيْنَ قَوْمٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ إِنْ عَاقَدُوا غَدَرُوا أَوْ عَاشَرُوا دَهَنُوا(٣٨)

بعد . والطرف (بكسر فسكون) : الكريم من الخيل . وأرن : نشيط .

والمعنى : أن الناس ليسوا سواء ؛ فلا تنخدع بما تشابه من ظواهرهم ، فإن الخيل متشابهة ، ولكن ليس كل فرس نشيطاً مرحاً ، جواداً سبّاقاً .

(٣٢) الملام : العتاب . والحدث (بفتحتين) : الأمر الحادث غير المعتاد ، وأحداث الدهر : نوائبه ومصائبه . والأقدار : جمع القدر ، وهو ما يقدره الله تعالىٰ . ومرتهن : مرهون ، مقيد .

(٣٣) الحكم : الفصل ، والقضاء . وتصرّفه : عمله وما يقوم به . وعلق به الشيء : نشب فيه ، واستمسك . والمحن : البلايا والشدائد والأزمات .

(٣٤) الاستفهام في شطري البيت معناه النفي . فليس لحيّ من الخلق بقاء ولو طالت سلامته ، ولا دوام لعزة عزيز . والامتهان هنا يقابل العزة . والممتهن (بصيغة اسم المفعول) يقابل العزيز القويّ .

(٣٥) الغرض : الهدف الذي يرمى إليه . ورشقه بالنبل : رماه . والأسهم : جمع سهم ، وهو عود من خشب يسوى في طرفه نصل يرمى به عن القوس . والجنن : جمع جُنّة ، وهي كل ما واراك ووقاك من سلاح عدوك ، وكل ما استترت به منه .

(٣٦) شغب عليهم ، وبهم : هيج الشر عليهم . ويراد بنوافر الدهر : ثورانه وشروره . وأحتزن : أحزن .

(٣٧) غنيت عن الشيء : استغنيت عنه . والعرض : متاع الدنيا . ويراد بالحيّ : الإنسان . والورى : الخلق والناس . والمنن : جمع منة (بكسر الميم فيهما) : الصنيعة ، والإنعام ، والإحسان .

(٣٨) قوم لا خلاق لهم : أي مجردون من الفضائل ، أو ليس لهم حظ من الخير . ودهنوا : خدعوا .

يُخْفُـونَ مِنْ حَسَـدٍ مَـا فِي نُفُـوسِهِمُ وَيُظْهِرُونَ خِدَاعَـاً غَيْـرَ مَـا بَطَنُـوا[٣٩]

يَـا لَلْحُمَـاةِ أَمَـا فِي النَّاسِ مِنْ رَجُـلٍ وَارِي الضَّمِيـرِ لَـهُ عَقْـلٌ بِـهِ يَـزِنُ ؟[٤٠]

أَكُـلُّ خِـلٍّ أَرَاهُ لاَ وَفَـاءَ لَـهُ ؟ وَكُـلُّ قَلْبٍ عَلَيَّ الْيَـوْمَ مُضْـطَغِنُ ؟[٤١]

تَـغَيَّـرَ النَّـاسُ عَمَّـا كُنْـتُ أَعْـهَـدُهُ فَـالْيَـوْمَ لاَ أَدَبٌ يُغْـنِي وَلاَ فِـطَنُ[٤٢]

فَـالْخَيْـرُ مُنْقَبِضٌ وَالشَّـرُّ مُنْبَسِطٌ وَالْجَهْـلُ مُنْتَشِـرٌ وَالْعِلْمُ مُنْـدَفِـنُ[٤٣]

لَـمْ تَلْقَ مِنْهُـمْ سَلِيمـاً فِـي مَـوَدَّتِـهِ كَـأَنَّ كُـلَّ امْـرِىءٍ فِي قَلْبِـهِ دَخَنُ[٤٤]

طَـوَاهُمُ الْغِـلُّ طَيَّ الْقِـدِّ وَانْتَشَـرَتْ بِـالْغَـدْرِ بَيْنَهُمُ الأَحْقَـادُ وَالـدِّمَنُ[٤٥]

فَـلاَ صَـدِيقَ يُـرَاعِي غَيْبَ صَـاحِبِـهِ وَلاَ رَفِيقَ عَـلَى الأَسْـرَارِ يُـؤْتَـمَـنُ[٤٦]

---

(٣٩) بطن الشيء : خفي ، واستتر . والإبطان يقابل الإظهار .

(٤٠) « يا للحماة » : أسلوب استغاثة . والحماة : جمع الحامي ، اسم فاعل من حماه ، أي منعه ، ونصره . وضمير وار : أي متقد ، بمعنى مرهف ، أو مستيقظ .

(٤١) الخل : الخليل ، والصديق ، والصاحب . ومضطغن : حاقد ، يضمر الضغينة .

(٤٢) أعهده : أعرفه . والأدب : رياضة النفس على ما ينبغي ، والجميل من النظم والنثر ، أو كل ما أنتجه العقل الإنساني من ضروب المعرفة . والفطن : جمع فطنة ، وهي الحذق ، والمهارة .

(٤٣) منقبض : منطو . ومنبسط : منتشر . والانقباض خلاف الانبساط والاتساع والانتشار . واندفن : استتر وتوارى ، فهو مندفن .

(٤٤) سلامة المودة : صفاؤها ، ونقاؤها ، وبراءتها من النفاق والدهان والرياء . والدخن : الحقد ، وفساد الباطن .

(٤٥) الغلّ : الحقد الكامن ، والعداوة المستترة . والقدّ : السير يقدّ من الجلد ، أي يشقّ ويقطع . والغدر : الخيانة ، ونقض العهد ، وضده الوفاء . والأحقاد : جمع حقد ويراد به إضمار العداوة . والدمن : جمع دمنة ، وهي الضغن ، وإضمار العداوة والبغضاء ، والحقد القديم الدائم الثابت في الصدر .

(٤٦) راعى غيب صاحبه : أي حفظه في غيبته ، فلم يغتبه ، ولم يسىء إليه بوشاية ، أو سعاية ، أو مكيدة ، أو غيرها . ومن معاني الغيب : السرّ .

بَـلَوْتُهُـمْ فَسَئِمْتُ الْـعَيْشَ وَانْـصَـرَفَتْ | نَفْسِي عَنِ النَّاسِ حَتَّى لَيْسَ لِي شَجَنُ[٤٧]
فَـإِنْ يَـكُنْ فَـاتَـنِي مَـا كُـنْتُ أَمْـلُكُـهُ | فَـالْبُعْـدُ عَنْهُمْ لِمَـا أَتْلَفْتُـهُ ثَـمَنُ[٤٨]
كَفَى بِحَـرْبِ النَّوَى سِلْمـاً نَجَـوْتُ بِـهِ | وَرُبَّ مَـخْشِيَّـةٍ فِـي طَـيِّـهَـا أَمَـنُ[٤٩]
لَـعَـلَّ مُـزْنَـةَ خَيْـرٍ تَـسْتَـهِـلُّ عَـلَى | رَوْضِ الْأَمَانِي فَيَحْيَا الْأَصْلُ وَالْفَنَنُ[٥٠]
وَكُـلُّ شَـيْءٍ لَـهُ بَـدْءٌ وَعَـاقِـبَـةٌ | وَكَيْفَ يَبْقَى عَلَى حِدْثَانِهِ الزَّمَنُ ؟[٥١]

وَقَالَ يَذْكُرُ سَفَرَهُ مَعَ الْجُنْدِ الْمِصْرِيِّ إِلَى جَزِيرَةِ « أَقْرِيطِش » سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَـانِينَ

---

(٤٧) بلاه : اختبره ، وامتحنه ، وجربه . والشجن : الحاجة الشاغلة ، والجمع شجون وأشجان .

(٤٨) أتلفه : أهلكه وأفناه .

لعله يشير إلى مصادرة أمواله وأملاكه ، ونفيه عن وطنه في أعقاب الثورة العرابية . ويقول : إنه وجد الراحة والطمأنينة في بعده عن أولئك الذين ندّد بهم في الأبيات السابقة ، وإن هذا البعد المريج ثمن لما فقده من ماله ومتاعه .

(٤٩) النوى : البعد . والسلم : الصلح ، والسلام . والأمن (بوزن الفرح) : الأمان ، والطمأنينة .

والمعنى : إذا كانت النوى حرباً ووبالاً على من يصلاها ، فقد كانت على الشاعر برداً وسلاماً ؛ فالإنسان قد يخشى ما ينطوي على الأمن السلامة ، ويحمل إليه الطمأنينة ورخاء البال .

(٥٠) المزنة : السحابة تحمل الماء ، وجمعها المزن (بضم فسكون) . واستهلّ المطر استهلالاً : اشتدّ انصبابه مع صوت . والفنن (بفتحتين) : الغصن المستقيم من الشجرة . وأصل الشجرة : ما يقابل الفرع . ويراد بحياة الأصل والفنن : حياة الشجر كلها ، أصلها ، وساقها ، وفروعها ، وأغصانها ، أي حياة الأماني المشبّهة بالرياض .

فتح الشاعر لمثله أبواب الأمل ، المضيء المشرق ، وتفاءل بمستقبله على الرغم من شؤم حاضره ؛ واستشعر الراحة والطمأنينة في رياض الأماني ، ورجا أن ينتهي الأمر بانفراج الكرب والبلاء ، واستهلال الخير والرخاء .

(٥١) بدء الشيء : أوله وفاتحته . وعاقبته : آخره وخاتمته . وحدثان الزمن : حوادثه ونوائبه ومصائبه .

والمعنى : أن الزمن بطبعه متقلب لا يدوم على حال ؛ فإذا كانت بداءة أمره إعناتاً ومعاسرة للبارودي وأمثاله ؛ فالمأمول أن تكون عاقبة أمره موادعة ومياسرة .

وَمَائَتَيْنِ وَأَلْفِ هِجْرِيَّةٍ (١٢٨٢هـ - ١٨٦٥م) حِينَ خَرَجَ سُكَّانُهَا عَنِ الطَّاعَةِ وَيُعَرِّضُ* بِأَشْيَاءَ فِي نَفْسِهِ ، وَيَتَشَوَّقُ إِلَى مِصْرَ :

أَخَذَ الْكَرَى بِمَعَاقِدِ الأَجْفَانِ ... وَهَفَا السُّرَى بِأَعِنَّةِ الْفُرْسَانِ(١)

وَاللَّيْلُ مَنْشُورُ الذَّوَائِبِ ضَارِبٌ ... فَوْقَ الْمَتَالِعِ وَالرُّبَى بِجِرَانِ(٢)

لاَ تَسْتَبِينُ الْعَيْنُ فِي ظَلْمَائِهِ ... إِلاَّ اشْتِعَالَ أَسِنَّةِ الْمُرَّانِ(٣)

نَسْرِي بِهِ مَا بَيْنَ لُجَّةِ فِتْنَةٍ ... تَسْمُو غَوَارِبُهَا عَلَى الطُّوفَانِ(٤)

فِي كُلِّ مَرْبَأَةٍ وَكُلِّ ثَنِيَّةٍ ... تَهْدَارُ سَامِرَةٍ وَعَزْفُ قِيَانِ(٥)وَال

(*) عرّض بالشيء تعريضاً : أي ألمح إليه ، ولم يبيّنه بقول صريح ؛ فالتعريض خلاف التصريح .

(١) أخذ به : أمسك به . والكرى : النعاس . ومعاقد الأجفان : ما تنعقد عليه الأجفان ، كناية عن العيون . وهفت الريح بالشيء : حركته ، وذهبت به . والسرى : سير الليل . والأعنة : جمع عنان ، وهو سير اللجام الذي تمسك به الدابة . وأعنة الفرسان : أي أعنة أفراس الفرسان .

والمعنى : أن الليل لفّ الناس بأستاره فناموا . أما الشاعر وجنده فقد هفا سير الليل بأعنة خيلهم ، أي زايلهم الكرى ، وجفاهم النوم ؛ لأنهم في حالة حرب وقتال ؛ فالناس في أمن ورخاء ، والمحاربون في سهر وحرب .

(٢) الذوائب : جمع الذؤابة ، وهي من كل شيء طرفه وأعلاه . وانتشار ذوائب الليل : كناية عن إطباقه ، وإظلامه ، وشدة سواده . والمتالع : الأراضي المرتفعة العالية ، ومثلها الربى: جمع ربوة . وجران البعير (بكسر الجيم) : باطن عنقه ، أو مقدّمه . وضرب البعير بجرانه : إذا برك ، ومدَّ عنقه على الأرض . وضرب الليل بجرانه : أي أقبل .

(٣) استبان الشيء : تبيّنه ، ورآه . والأسنة : جمع سنان ، وهو نصل الرمح . والمران : الرماح اللدنة الصلبة ، أي اللينة في صلابة . واشتعال أسنة المران : لمعانها وبريقها .

(٤) نسري به : أي نسير بالليل . والفتنة : الحرب . ولجتها : عنفوانها ، وشدتها . وتسمو : تعلو وترتفع . وغواربها : أعاليها . وغوارب الماء : أعالي موجه . وغواربها : أي غوارب اللجة ، أو غوارب الفتنة المشبهة باللجة .

(٥) المربأة : المكان المرتفع العالي . والثنية : الطريق في الجبل . وتهدار الحمام : هديره ، أو

تَـسْـتَـنُّ عَـادِيَـةٌ وَيَـصْـهَـلُ أَجْـرَدٌ	وَتَصِيـحُ أَحْـرَاسٌ وَيَـهْتِفُ عَـانِي[٦]
قَـوْمٌ أَبَـى الـشَّـيْـطَانُ إِلاَّ نَـزْغَـهُـمْ	فَتَسَلَّلُوا مِنْ طَـاعَـةِ الـسُّلْطَانِ[٧]
مَـلأُوا الْفَضَـاءَ فَمَـا يَبِينُ لِنَـاظِـرٍ	غَيْـرُ الْتِمَاعِ الْبِيضِ وَالْخُـرْصَـانِ[٨]
فَـالْبَـدْرُ أَكْـدَرُ وَالسَّـمَـاءُ مَـرِيضَـةٌ	وَالْبَحْـرُ أَشْكَـلُ وَالـرِّمَـاحُ دَوَانِي[٩]
وَالْـخَيْـلُ وَاقِـفَـةٌ عَـلَى أَرْسَـانِـهَـا	لِـطِرَادِ يَـوْمِ كَـرِيـهَـةٍ وَرِهَـانِ[١٠]
وَضَعُـوا السِّـلاَحَ إِلَى الصَّبَـاحِ وَأَقْبَلُوا	يَـتَـكَـلَّـمُـونَ بِـأَلْـسُنِ الـنِّـيـرَانِ[١١]

هديله . والسامرة : المتسامرون ، أي المتحدثون ليلاً . وتهدار السامرة : صوت السمار وحديثهم . والقيان : جمع قينة ، وهي الأمة ، خلاف الحرة ، وغلب على المرأة المغنية .

(٦) تستنّ : تعدو إقبالاً وإدباراً . والعادية : الخيل المغيرة . والأحراس : الحراس . ويهتف : يصيح . والعاني : الأسير .

(٧) يريد بالقوم : أهل جزيرة « كريت » الثائرين في وجه الحكم التركي . ونزغهم : إفسادهم . وتسللوا : خرجوا . والسلطان : الملك ، ويراد به هنا : سلطان تركيا .

(٨) يبين : يتضح ، ويبدو . والبيض : السيوف ، واحدها أبيض . والخرصان : الأسنّة ، الواحد خرص ، والخرص أيضاً : الدرع .

(٩) أكدر : صفة من الكدرة ، وهي من الألوان ما مال إلى السواد والغبرة . وكدرة البدر هنا : احتجاب ضيائه ، وضياع صفائه في مثار النقع ، وسحب الغبار المنعقد في جوّ المعركة . ومرض السماء : تعبير مجازي في معنى كدرة البدر ، وانطفاء أضواء القمر والنجوم في قتام المعركة وغبار الحرب . وبحر أشكل : أي خالطت مياهه حمرة الدماء المتصببة من القتلى والجرحى . ودوان : جمع دان ، اسم فاعل من دنا الشيء ، أي قرب . والمراد أن الرماح دانية من المتقاتلين يسددها بعضهم إلى بعض ، أو أنها متدانية متشابكة باشتباك الجيشين المتحاربين .

(١٠) الأرسان : الأعنّة ، والمقاود ، واحدها رسن . ووقوف الخيل على أرسانها : كناية عن انقيادها ، وانطياعها للفرسان . وطارده : دافعه وزاحمه . والكريهة : الحرب ، أو الشدّة في الحرب . وراهنه على كذا مراهنة ورهانا : خاطره ، وسابقه على الخيل . وقد يكون المراد بالرهان هنا : الكريهة والحرب ، فإنها مراهنة ومسابقة إلى كسب النصر والغلبة .

(١١) وضعوا السلاح إلى الصباح : أي قاتلوا بأسلحتهم طوال الليل . والتكلم بألسنة النيران : كناية عن احتدام المعركة ، وتوقد نيرانها ؛ فقد انقطعت ألسنة التفاوض والتفاهم ، وانطلقت ألسنة النيران في حرب عوان .

حَتَّى إِذَا مَـا الصُّبْـحُ أَسْفَـرَ وَارْتَمَـتْ ... عَيْنَـايَ بَيْنَ رُبىً وَبَيْنَ مَحَـانِي[١٢]

فَـإِذَا الْجِبَـالُ أَسِنَّـةٌ وَإِذَا الْـوِهَـا ... دُ أَعِنَّـةٌ وَالْمَـاءُ أَحْمَـرُ قَـانِـي[١٣]

فَتَـوَجَّسَتْ فَـرَطُ الـرِّكَـابِ وَلَمْ تَـكُنْ ... لِتَهَـابَ فَـامْتَنَعَتْ عَلَى الأَرْسَـانِ[١٤]

فَـزِعَـتْ فَـرَجَّعَتِ الْحَنِيـنَ وَإِنَّـمَـا ... تَحْنَـانُـهَـا شَجَـنٌ مِنَ الأَشْجَـانِ[١٥]

ذَكَـرَتْ مَـوَارِدَهَـا بِـمِصْـرَ وَأَيْـنَ مِنْ ... مَـاءٍ بِمِصْـرَ مَنَـازِلُ الـرُّومَـانِ ؟[١٦]

وَالـنَّفْسُ مُـولَـعَـةٌ وَإِنْ هِيَ صَـادَفَـتْ ... خَـلَفـاً بِـأَوَّلِ صَـاحِبٍ وَمَـكَـانِ[١٧]

فَسَقَـى الـسِّـمَـاكُ مَـحَـلَّةً وَمَـقَـامَـةً ... فِـي مِصْـرَ كُـلَّ رَوِيَّـةٍ مِـرْنَـانِ[١٨]

---

(١٢) أسفر الصبح : أضاء ، وأشرق . وارتمت عيناي : وقعتا ، أي أبصرتا . والربى : التلال والجبال ومرتفعات الأرض ، جمع ربوة . والمحاني : جمع محنية ، وهي من الوادي منحناه ، ومنعطفه . والمحاني هنا تقابل الربى ، أي بين مرتفعات الأرض ومنخفضاتها .

(١٣) « إذا » في أول البيت فجائية ، أي لما أسفر الصبح ، وارتمت عيناي بين الربى والمحاني فاجأني أن الجبال أسنّة . والوهاد : جمع وهدة ، وهي الأرض المنخفضة . والأعنة : جمع عنان ، وهو سير اللجام الذي يحكم الراكب به دابته . ويراد بالأعنة هنا : الخيل وفرسانها . وقاني : شديد الحمرة .

(١٤) توجّست : تهيّبت ، وخافت . والركاب : المطايا . ويراد بفرط الركاب : الخيل المتقدمة في ميدان القتال . وهابه : خافه . والأرسان : جمع رسن . ويراد بامتناع الخيل على الأرسان : أن التوجس والاهتياب حملها على التعصي والتأبّي ، ومقاواة الإرسان ، والخروج عن طاعة الفرسان .

(١٥) فزع : ذعر ، وخاف . ورجّع صوته : ردّده في حلقه . والتحنان : الحنين الشديد . والشجن : الهمّ ، والحزن .

(١٦) الموارد : جمع المورد ، وهو المنهل ، أو الطريق إلى الماء . ويراد بمنازل الرومان : جزيرة « كريت » ؛ فقد حكمها الرومان قبل أن يسيطر عليها الأتراك . وهي بعيدة عن ماء مصر ونيلها .

(١٧) مولعة : راغبة ومائلة . وصادفت : التقت . والخلف : البدل . وأول صاحب ومكان للخيل : مصر وأهلها .

(١٨) السماكان : نجمان نيران ، أحدهما في الشمال ، والآخر في الجنوب . و« سقى السماك » : يرادِ به الدعاء . والمحلة : المكان ينزل فيه القوم . والمقامة (بفتح الميم) :

حَتَّى تَعُــودَ الأَرْضُ بَعْــدَ مُحُــولِهَــا	شَتَّى النَّـمَـاءِ كَثِيـرَةَ الأَلْـوَانِ[١٩]
بَـلَدٌ خَـلَعْـتُ بِـهَـا عِـذَارَ شَبِيبَتِـي	وَطَـرَحْتُ فِي يُمْنَى الْغَـرَامِ عِنَـانِي[٢٠]
فَصَعِيدُهَـا أَحْـوَى النَّبَاتِ وَسَـرْحُهَـا	أَلْمَى الـظِّلَالِ وَزَهْـرُهَـا مُتَـدَانِي[٢١]
فَـارَقْتُـهَـا طَلَبـاً لِمَـا هُـوَ كَـائِنٌ	وَالْمَـرْءُ طَـوْعُ تَـقَـلُّبِ الأَزْمَـانِ[٢٢]
حَـمَـلَ الـزَّمَـانُ عَلَيَّ مَـا لَـمْ أَجْنِـهِ	إِنَّ الأَمَـاثِـلَ عُـرْضَـةُ الْحِـدْثَـانِ[٢٣]
نَقَمُـوا عَلَيَّ وَقَـدْ فَتَكْتُ شَجَـاعَتِي	إِنَّ الشَّجَـاعَـةَ حِلْيَـةُ الفِتْيَـانِ[٢٤]
فَلْيَهْنَـإِ الـدَّهْـرُ الْغَيُـورُ بِـرِحْلَتِي	عَنْ مِصْـرَ وَلْتَهْـدَأْ صُـرُوفُ زَمَـانِي[٢٥]
فَـلَئِنْ رَجِـعْتُ وَسَـوْفَ أَرْجِـعُ وَاثِـقَـاً	بِـاللَّهِ أَعْلَمْتُ الـزَّمَـانَ مَكَـانِـي[٢٦]

المجلس . والمقامة (بضم الميم) : موضع الإقامة . وسحابة رويّة : أي مطرها غزير . ومرنان : ذات رنين .

(١٩) يريد بالأرض : أرض مصر . والمحول ، والإمحال : الإجداب ، وهو انقطاع المطر . ونمى الزرع : زاد وكثر . ويراد بالنماء : ما ينمو في الأرض من الزرع والنبات . ونبات شتى : أي متنوع . والألوان : الأنواع ، والأصناف .

(٢٠) يريد بالبلد : مصر . يقال : خلع فلان عذاره : إذا انهمك في الغيّ ، وقلّ حياؤه واحتشامه . وخلع عذار شبيبته : أطلق لشبابه العنان ، وجرى في أهوائه وملذاته . وطرح الشيء : رماه وألقاه . والعنان : سير اللجام الذي تمسك به الدابة ، وتقاد .

(٢١) الصعيد : وجه الأرض ، أو ما ارتفع منها . ونبات أحوى : اشتدت خضرته ، فضرب إلى السواد . والسرح : ما طال وعظم من الشجر ، الواحدة سرحة . وظل ألمى : أي كثيف أسود . ومتدان : متقارب .

(٢٢) أي أن الأيام والليالي تتقلب بالمرء ، وهو منطاع لها ، محكوم بتصرفاتها .

(٢٣) حمل عليه الشيء : حمّله إياه ، أو كلفه أن يحمله . وجنى جناية : أذنب واجترم . وما لم أجنه : أي ما لم أرتكبه من الجنايات والذنوب . والأماثل : خيار الناس وأفاضلهم ، جمع الأمثل . وهو عرضة لكذا : معرّض له . وحدثان الدهر : نوائبه ومصائبه .

(٢٤) نقم عليه الأمر : أنكره عليه ، وعابه . وحلية الرجل : ما يتحلّى به من صفات حميدة .

(٢٥) هنىء به : سر به وابتهج . وغيرة الدهر : ما يلقى به الشاعر ، ويدبّره له من المشاغبة والمساءة . وصروف الزمان : شروره ، ونوائبه .

(٢٦) أعلمت الزمان : أي أخبرت أهله ، أي الناس . وهو يريد أهل زمانه الذين نقموا عليه شجاعته ، وتمنوا أن تغتاله المنون في حرب « كريت » .

صَـادَقْتُ بَعْضَ الْقَـوْمِ حَتَّى خَـانَنِي وَحَفِـظْتُ مِنْـهُ مَغِيبَـهُ فَـرَمَـانِي(٢٧)

زَعَـمَ النَّـصِيحَـةَ بَعْـدَ أَنْ بَـلَغَتْ بِـهِ غِشّـاً وَجَـازَى الْحَـقَّ بِـالْبُهْتَـانِ(٢٨)

فَلْيَجْـرِ بَـعْـدُ كَـمَـا أَرَادَ بِنَـفْسِـهِ إِنَّ الشَّـقِـيَّ مَـطِيَّـةُ الشَّـيْـطَانِ(٢٩)

وَكَـذا الـلَّئِيـمُ إِذَا أَصَـابَ كَـرَامَـةً عَـادَى الصَّـدِيقَ وَمَـالَ بِـالإِخْـوَانِ(٣٠)

كُـلُّ امْـرِىءٍ يَـجْـرِي عَلَى أَعْـرَاقِـهِ وَالـطَّبْـعُ لَيْسَ يَحُـولُ فِي الإِنْسَـانِ(٣١)

فَـعَـلامَ يَلْتَـمِسُ الْعَـدُوُّ مَسَـاءَتِـي ؟ مِنْ بَعْـدِ مَـا عَـرَفَ الْخَـلائِقُ شَـانِي(٣٢)

أَنَـا لاَ أَذِلُّ وَإِنَّـمَـا يَـزَعُ الْـفَـتَـى فَـقْـدُ الـرَّجَـاءِ وَقِـلَّةُ الأَعْـوَانِ(٣٣)

فَـلْيَعْـلَمَنَّ أَخُـو الْـجَـهَـالَـةِ قَـصْـرَهُ عَـنِّـي وَإِنْ سَـبَـقَـتْ بِـهِ قَـدَمَـانِ(٣٤)

فَلَرُبَّـمَـا رَجَـحَ الْخَسِيسُ مِنَ الْـحَصَـى بِـالـدُّرِّ عِنْـدَ تَمَـاثُـلِ الْمِيـزَانِ(٣٥)

---

(٢٧) حفظت منه مغيبه : أي راعيت ما تفرضه المصادقة ؛ فحفظته في غيابه ، أي لم أخنه بالغيب . ورماني : تخلى عني وتنكر لي .

(٢٨) نصح الشاعر لهذا الرجل ؛ فانتفع بنصحه وإرشاده . ولما بلغ الغاية التي أملها تنكّر للناصح الأمين ، وجحد حقه وفضله ، وافترى عليه الكذب ، فعدّ نصيحته خداعاً وغشاً ، فجمع بين نكران الجميل ، والإساءة إلى المحسن ، والإغراق في الباطل .

(٢٩) الشقي : صفة من الشقاوة ، وهي خلاف السعادة . والمطية : الركوبة ، للذكر والأنثى ، فالبعير مطية ، والناقة مطية .

(٣٠) يقول : إن اللئيم إذا أصاب خيراً تنكّر لأصدقائه وإخوانه الذين أكرموه ، وأحسنوا إليه ؛ فجفاهم ، وعاداهم ، وظلمهم ، وتمرّد عليهم ؛ إذ الخير والكرامة والنعمة تظهر لؤم اللئيم ، وتكشف عن خسته ومهانته .

(٣١) أعراقه : أصوله . ويحول : يتغير ، ويتبدل .

(٣٢) يلتمس : يطلب ويريد . وساءه مساءة : فعل به ما يكرهه . والخلائق : الخلق والناس . وشأني : منزلتي وقدري .

(٣٣) ذل : ضعف ، وهان . ويزعه : يكفّه ، ويمنعه . والأعوان : جمع معين وهو النصير .

(٣٤) أخو الجهالة : الجاهل . وقصر عن الشيء : عجز عنه . فأخو الجهالة قاصر عاجز عن إدراك شأو الشاعر ولو سبقت به قدماه .

(٣٥) رجح الشيء : زاد وزنه وثقل . والخسيس : الرذل ، الدنيء . والدرّ : اللؤلؤ العظيم



شَـرَفٌ خُصِصْتُ بِـهِ وَأَخْـطَأَ حَـاسِـدٌ ... مَـسْعَـاتَـهُ فَـهَـذَى بِـهِ وَقَـلَانِي[٣٦]

وَقَالَ فِي صِبَاه :

صَبَـوْتُ إِلَى الـمُـدَامَـةِ وَالْـغَـوَانِـي ... وَحَـكَّمْـتُ الْغَـوَايَـةَ فِـي عِـنَـانِـي[١]

وَقُـلْتُ لِعِـفَّـتِـي بَـعْـدَ امْـتِـنَـاعٍ ... إِلَـيْـكِ فَقَـدْ عَـنَـانِي مَـا عَـنَـانِي[٢]

فَمَـا لِي عَنْ هَـوَى الْحَسْنَـاءِ صَبْـرٌ ... يُـوقِّـرُ عِنْـدَ سَـوْرَتِـهِ جَنَـانِـي[٣]

وَكَـيْـفَ يَـضِـيـقُ مَـنْ دَارَتْ عَـلَيْـهِ ... كُؤُوسُ هَـوًى مِن الْحَدْقِ الْحِسَانِ ؟[٤]

أَعَـاذِلُ خَـلِّنِـي وَشُـؤُونَ قَـلْبِـي ... وَخُـذْ مَـا شِئْـتَـهُ فِـي أَيِّ شَـانِ[٥]

فَـقَـدْ شَبَّ الْـهَـوَى مَنْ رَامَ نُـصْـحِي ... وَأَغْـرَى فِي الْمَـحَبَّـةِ مَـنْ نَهَـانِـي[٦]

الكبير ، واحدته درّة . وتماثل الشيئان : تشابها ، وتعادلا . ورجح الحصى بالدرّ : أي خفّ الدرّ ، فثقل الحصى ، وزاد عليه في الوزن .

(٣٦) خصصت به : انفردت به . والمسعاة : واحدة المساعي ، أي المحاولة . وأخطأ حاسد مسعاته : أي أخفق حاسدي ، فلم يصب ما طلبه . وهذى : أي تكلم بغير معقول . وقلاه : أبغضه ، وكرهه غاية الكراهية ، فهجره واجتنبه .

(١) صبا إليه : مال إليه ، وتشوّق . والمدامة : الخمر . والغواني : جمع الغانية ، وهي المرأة التي غنيت بحسنها الطبيعي عن الزينة . وحكمه في الشيء : جعل له الحكم فيه ، والسيطرة عليه . والغواية : الإمعان في الضلال ، والانهماك في الجهل . وتحكيم الغواية في عنانه : كناية عن انقياده لها وسيطرتها عليه .

(٢) العفّة : مصدر عفّ ، أي كفّ ، وامتنع . وإليك : أي إليك عني ، ابتعدي . وعناني : عرض لي ، وشغلني .

(٣) الوقار : الثبات والسكون ، والرزانة والاستقرار . وسار : وثب وثار . وسورة الهوى : شدته وحرقته . والجنان : القلب . وسورته : أي سورة الهوى ، أو سورة الجنان ،أي ثورانه واضطرابه بسبب الهوى .

(٤) الحدق : جمع الحدقة ، وهي السواد المستدير وسط العين . ويراد بالحدق هنا : العيون .

(٥) عاذل : اسم فاعل من عذله ، أي لامه ، محاولاً صده عن هواه . وخلّني : اتركني .

(٦) شب : أوقد ، وأضرم . ورامه : أراده وطلبه . وأغراه : أولعه ، وحضه .

رَضِيتُ مِنَ الْهَـوَى بِنُحُـولِ جِسْمِـي ... وَمِنْ صِلَةِ الْبَخِيلَةِ بِالأَمَانِي[7]

وَلَسْتُ بِطَالِبٍ فِي النَّاسِ خِلاًّ ... يُنَاصِحُنِي فَعَقْلِي قَدْ كَفَانِي[8]

بَلَوْتُ النَّاسَ وَاسْتَخْبَرْتُ عَنْهُمْ ... صُرُوفَ الدَّهْرِ آناً بَعْدَ آنِ[9]

فَمَا أَبْصَرْتُ غَيْرَ أَخِي كِذَابٍ ... خَلُوبِ الْوُدِّ مَصْنُوعِ الْحَنَانِ[10]

يُصَرِّحُ بِالْعَدَاوَةِ وَهْوَ نَاءٍ ... وَيَمْذُقُ فِي الْمَحَبَّةِ وَهْوَ دَانِي[11]

لَهُ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ لِسَانٌ ... يَدُورُ بِهِ عَلَى حُكْمِ الزَّمَانِ[12]

فَلاَ تَأْمَنْ عَلَى نَجْوَاكَ صَدْراً ... فَرُبَّ خَدِيعَةٍ تَحْتَ الأَمَانِ[13]

وَلاَ يَغْرُرْكَ قَوْلٌ دُونَ فِعْلٍ ... فَإِنَّ الْحُسْنَ قُبْحٌ فِي الْجَبَانِ[14]

---

(٧) النحول : الهزال ، وضعف الجسم . والأماني : جمع الأمنية ، وهي ما يتمناه الإنسان ، ويبتغيه .

(٨) الخل : الصديق ، الخليل . ويناصحني : ينصح لي ، وأنصح له . وكفاني عقلي : أي أغناني عن الأخلاّء .

(٩) بلاه : جربه ، واختبره . واستخبرت صروف الدهر عنهم : أي سألتها عنهم ، وطلبت منها أخبارهم وأنباءهم . وصروف الدهر : نوازل الزمان ، وشدائد الأيام . وآناً بعد آن : أي حيناً بعد حين . واستخبرت صروف الدهر عن الناس : أي عرفت حقيقة أخبارهم من نوائب الدهر ، وحدثان الزمان .

(١٠) الكذاب : الكذب . وأخ الكذاب : الكذّاب . وخلوب الود : أي وده كاذب خادع زائف . من خلبه : إذا خدعه باللسان ، ولطيف الكلام . والحنان : رقة القلب ، والرحمة . وحنان مصنوع : أي حنان خادع كاذب ، لا ينبع من القلب ، ولا يتصل به .

(١١) يصرح بالعداوة : يظهرها ، ويكشفها . وناء : بعيد . ومذق فيه يمذق : أي مزجه وخلطه . ومن المجاز : فلان يمذق الود : إذا لم يخلصه . ودان : قريب .

(١٢) له : أي لأخي الكذاب . والجارحة : العضو العامل من أعضاء الجسد ، كاليد والرجل . والحكم : القضاء والفصل في الأمور .

(١٣) النجوى: السر. والصدر هنا: القلب. ومن كلامهم «صدور الأحرار قبور». والخديعة: اسم من خدعه، أي أظهر له خلاف ما يخفيه.

(١٤) المعنى : لا تطمئن إلى قول امرىء ما لم يصدّقه فعله ؛ فالقول بلا فعل خداع وتغرير ، وكذب وجبن ، ثم إن محاسن الجبان قبائح .



وَمَـا أَنَـا والـطِّبَاعُ لَـهَـا انْخِـدَاعٌ	بِـذِي تَـرَفٍ يُـرَوَّعُ بِـالشِّنَـانِ[١٥]
رَغِبْتُ بِشِيمَـتِي وَعَـرَفْتُ نَفْسِي	وَلَـمْ أَدْخُـلْ لَـعَمْـرُكَ فِي قِـرَانِ[١٦]
وَمَـا شُـرْبِي الْـمُـدَامَ هَـوىً وَلَكِـنْ	عَقَـدْتُ بِحَدِّ سَـوْرَتِهَـا لِسَـانِي[١٧]
مَـخَـافَـةَ أَنْ تَهِـيجَ بَنَـاتِ صَـدْرِي	فَـيَـظْهَـرَ بَعْضُ سِـرِّي لِلْعِيَـانِ[١٨]
وَفِيمَ وَقَـدْ بَـلَوْتُ الـدَّهْـرَ أَبْغِـي	صَـدِيقـاً أَوْ أَحِنُّ إِلَـى مَكَـانِ ؟[١٩]
وَلَسْـتُ أَرَى سِـوَى صُبْـحٍ وَجُـنْـحٍ	إِلَـيْـنَـا بِـالـرَّدَى يَتَـسَابَـقَـانِ[٢٠]
فَـيَـا مَـنْ ظَـنَّ بِـالأَيَّـامِ خَـيْـراً	رُوَيْـدَكَ فَـهْـيَ أَقْـرَبُ لِـلْحِـرَانِ[٢١]
أَتَـرْغَـبُ فِي الـسَّـلاَمَـةِ وَهْـيَ دَاءٌ ؟	وَتَـجْمَـعُ لِـلْبَقَـاءِ وَأَنْـتَ فَـانِي ؟[٢٢]

---

(١٥) روعه ترويعاً : أفزعه ، وأخافه . والشنان : جمع الشنّ ، وهو الجلد القديم اليابس ، تحركه فتسمع له صوتاً . ومن أمثالهم : « لا يقعقع لي بالشنان » : أي لا يروعني ما لا حقيقة له . والقعقعة : تحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت .

(١٦) رغبت بشيمتي : أي اعتززت بها ، وفضّلتها على غيرها . وعرفت نفسي : أي عرفت لها عزتها وكرامتها ، فجنبتها الجبن والضعف ، والخداع . و« في قران » : في مقارنة . والمعنى : أنه حرص على أن يبقى منفرداً بنفسه غير مقترن بغيره ؛ أو مقارن نفسه بغيره .

(١٧) المدام : الخمر . وعقد لسانه : كفه ، وصانه ، فلم يطلقه بما يشينه ويضره . وسورة الخمر : حدتها ، وشدتها ، وقوة تأثيرها في شاربها . وحدّ السورة : كسرها ، أو منعها .

(١٨) المخافة : الخوف ، أي عقدت لساني بكسر سورة الخمر خوفاً من أن تهيج بنات صدري . وهاج الشيء : ثار. وبنات صدري: الأسرار التي تكتم . أي مخافة أن تهيج سورة الخمور همومي ؛ فأبوح ببعض سري . أو مخافة أن تهيج سورة الخمر ما أكتمه من أسراري ، فيظهر بتأثيرها بعضها . والعيان هنا : الناس الذين يعاينون أي يرون أعمالي وأقوالي ويتفحصونها .

(١٩) المعنى : أنه ابتلى الدهر وأهله ، وتمرس بآفاته ، وعرف ما يحمله للناس من الصروف والأحداث ، فزهد في الدنيا ، وانصرف عنها ، وآثر الوحدة والانفراد ، ولم يجد فائدة من ابتغاء الأصدقاء ، واتخاذ الأخلاء ، والحنين إلى الأمكنة .

(٢٠) جنح الليل : ظلامه . ويراد بالصبح والجنح : النهار والليل . والردى : الموت والهلاك .

(٢١) رويدك : تمهل . والمعنى : لا تعجل فتحسن الظن بالأيام ، وترقب منها الخير . والحران : اسم من حرن الفرس ونحوه ، أي عاصى صاحبه ، وعاسره ، وخرج عن طاعته وقيادته .

(٢٢) المعنى أن السلامة داء أيضاً ، لأنه إذا كان الداء ينتهي بالإنسان إلى الموت والهلاك ، فلا

دَعِ الدُّنْيَا وَسَلِّ الْهَمَّ عَنْهَا	إِذَا اعْتَكَرَتْ بِصَافِيَةِ الدِّنَانِ[٢٣]
فَإِنَّ الرَّاحَ رَاحَةُ كُلِّ نَفْسٍ	إِذَا دَارَتْ عَلَى نَغَمِ الْقِيَانِ[٢٤]
مِنَ الْخَمْرِ الَّتِي دَرَجَتْ عَلَيْهَا	أَفَانِينٌ مِنَ الْعُصُرِ الفَوَانِي[٢٥]
تَخَالُ وَمِيضَهَا فِي الْكَأْسِ نَاراً	فَتَلْمِسُهَا بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ[٢٦]
فَخُذْهَا غَيْرَ مُدَّخِرٍ نَفِيساً	فَلَيْسَ الْعُمْرُ يَدْخُلُ فِي ضَمَانِ[٢٧]
وَخَلِّ النَّاسَ عَنْكَ فَلَيْسَ فِيهِمْ	سَلِيمُ الْقَلْبِ عِنْدَ الامْتِحَانِ[٢٨]
تَمَاثِيلٌ تَدُورُ بِلاَ عُقُولٍ	وَأَلْفَاظٌ تَمُرُّ بِلاَ مَعَانِي[٢٩]

ريب أن السلامة مثله ، وأن الموت نهاية كل منهما ، وكذلك فإن جمع المال ونحوه ؛ وكأن الانسان باق مخلد يدعو إلى العجب ، أو يدعو إلى الإنكار والاستهجان .

(٢٣) دع : اترك ، واجتنب . والهمّ : الحزن والقلق . وسلاه من همه ، وعن همه : كشفه عنه ، وأزاله . واعتكرتْ : تكدرتْ ، وزال صفاؤها . وصافية الدنان : كناية عن الخمر الجيدة المعتّقة التي تركت زماناً في دنانها أو خوابيها حتى رقّت ، وراقت ، وصفت .

(٢٤) الراح : الخمر . والنغم : التطريب في الغناء . والقيان : الإماء المغنيّات .

(٢٥) درجت عليها : مرت عليها . وأفانين : ضروب وأنواع . والعصر : جمع عصر ، وهو الزمان والدهر . وعصر أفانين : أي منوعة مختلفة ، وهذا أدعى لتعتيقها ، ورفع قيمتها . والفواني : التي فنيتْ ، وذهبت .

والمعنى : أنها خمر جيدة ، نقية ، صافية ، معتّقة بطول ما مرّ بها من العصور المتنوعة .

(٢٦) تخال : تحسب وتظن . والوميض : اللمعان والبريق . والبنان : الأصابع ، الواحدة بنانة .

(٢٧) مدّخر (بالذال والدال) : اسم فاعل من ادخر الشيء ادخاراً ، أي أعدّه لوقت الحاجة . وشيء نفيس : غال . والنفيس : المال الكثير . والضمان : الكفالة .

(٢٨) خلّ الناس عنك : أي اتركهم ، واجتنبهم . وسلامة القلب : كناية عن سلامة دواعي الصدر ، أي البراءة من آفات النفس وسوءاتها ، كالحقد والحسد .

(٢٩) « تماثيل » : جمع تمثال ، وهو ما نحت من حجر ، أو صنع من نحاس أو نحوه كهيئة الإنسان وغيره .

وفي هذا البيت شبّههم بالتماثيل المتحركة ، وجرّدهم من العقول والأفهام ، وجرد كلامهم من المعاني والأفكار .

تَـشَـابَـهَـتِ الْأَسَـافِـلُ بِـالْأَعَـالِـي فَمَـا يُـدْرَى الْهَجِينُ مِنَ الْهِجَـانِ(٣٠)

تَـرَى كُـلَّ ابْـنِ أُنْثَـى لَا يُـبَـالِـي بِمَـا جَـرَّتْ عَلَيْـهِ مِنَ الْـهَـوَانِ(٣١)

يُـدِلُّ بِـنَـفْـسِـهِ إِنْ غِـبْـتُ عَـنْـهُ وَيَـشْـرَقُ بِـالـزُّلَالِ إِذَا رَآنِـي(٣٢)

فَـمَـنْ لِـي وَالْأَمَـانِـي كَـاذِبَـاتٌ بِـيَـوْمٍ فِـي الْـكَـرِيـهَـةِ أَرْوَنَـانِ(٣٣)

أُلَاعِـبُ فِـيـهِ أَطْـرَافَ الْـعَـوَالِـي وَأُطْـلِقُ بَيْـنَ هَـبْـوَتِـهِ حِـصَـانِـي(٣٤)

تَـرَانِـي فِـيـهِ أَوَّلَ كُـلِّ دَاعٍ وَيَـرْتَـفِـعُ الْـغُـبَـارُ فَـلَا تَـرَانِـي(٣٥)

إِلَـى أَنْ تَـنْـجَـلِي الْـغَـمَـرَاتُ عَـنْـهُ وَيَـعْـرِفَـنِي بِفَـتْـكِـي مَـنْ بَـلَانِـي(٣٦)

أَنَـا ابْنُ اللَّيْـلِ وَالْخَيْـلِ الْـمَـذَاكِي وَبِيضِ الْهِـنْـدِ وَالسُّـمْـرِ الـلِّدَانِ(٣٧)

---

(٣٠) الهجين من الناس : من ولد من أب عربي وأم أعجمية . والهجين أيضاً : اللئيم . ورجل هجان : كريم الحسب ، نقيّ الأصل .

(٣١) ترى كل ابن أنثى : أي ترى كل امرىء . وجرّ على نفسه : أي جنى جناية . والهوان : الذل والحقارة .

(٣٢) أدلّ عليه إدلالاً : اجترأ ، أو افتخر . وشرق بالماء : غصّ به ، فلم يكد يسيغه . والزلال : الماء العذب . والشرق بالزلال : كناية عن الاضطراب ، والخور ، والانكسار .

(٣٣) « فمن لي بيوم » : استفهام يراد به التمني . وكذبتْ الأمنية ، فهي كاذبة : أي لم تتحقق . والكريهة : الحرب ، أو الشدة فيها . ويوم أرونان : يوم عصيب ، صعب ، شديد الهول . والرون (بوزن القول) : أقصى المشارّة . وران اليوم : اشتدّ حرّه ، أو غمّه ، أو هوله .

(٣٤) لاعبه : لعب معه . وفي ملاعبة أطراف العوالي : إشارة إلى تمرّسه باستخدام الأسنّة والعوالي ، والقنا والرماح ، وسائر أنواع السلاح . والعوالي : جمع العالية ، وهي أعلى القناة . والهبوة : الغبار الذي تثيره سنابك الخيل .

(٣٥) ارتفاع الغبار هنا : كناية عن احتدام القتال ، وقيام الحرب على ساقها .

(٣٦) تنجلي : تنكشف ، وتزول . وغمرات الحرب : شدائدها . وعنه : أي عن اليوم الأرونان ، أي إلى أن تنتهي شدائده وأهواله ، وتضع الحرب أوزارها . والفتك : مصدر فتك ، ضرب وقتل . وبلاه : جربه واختبره وامتحنه .

(٣٧) ابن الليل : كناية عن الشجاعة ، ورباطة الجأش ، وشدة البأس . والمذاكي من الخيل : ما تمّتْ سنّه ، وكملتْ قوّته . والبيض : السيوف . وإضافتها إلى الهند لاشتهارها بإتقان صنعها ، وتجارتها . والسمر : القنا والرماح . يقال : قناة سمراء ، ورمح أسمر . والجمع

إِذَا عَـيْـنٌ أَجَـدَّ بِـهَـا طِـمَـاحٌ جَـعَلْتُ مَـكَـانَ حَبَّـتِهَـا سِنَـانِي[38]

وَقَالَ وَهُوَ بسَرَنْدِيبَ يَتَشَوَّقُ إِلَى الْوَطَنِ ، وَيَذْكُرُ صَدِيقاً لَهُ[*] :

وَاطُـولَ شَـوْقِـي إِلَـيْـكَ يَـا وَطَـنُ ! وَإِنْ عَـرَتْـنِـي بِحُبِّـكَ الْـمِحَـنُ[1]

أَنْتَ الْمُنَى وَالْحَـدِيثُ إِنْ أَقْبَـلَ الصُّـ ـبْـحُ وَهَـمِّـي إِنْ رَنَّقَ الْـوَسَـنُ[2]

فَـكَـيْـفَ أَنْـسَـاكَ بِـالْـمَـغِـيبِ وَلِـي فِـيـكَ فُـؤَادٌ بِـالْـوُدِّ مُـرْتَـهَـنُ ؟[3]

لَسْتُ أُبَـالِـي وَقَـدْ سَلِمْـتَ عَلَى الـدْ دَهْـرِ إِذَا مَـا أَصَـابَـنِـي الْـحَـزَنُ[4]

لَـيْـتَ بَـرِيـدَ الْـحَـمَـامِ يُـخْـبِـرُنِـي عَـنْ أَهْـلِ وُدِّي فَلِي بِـهِـمْ شَـجَـنُ[5]

سمر . واللدان (بكسر اللام) : جمع لدن ، ولدنة ، صفة من اللدونة ، وهي اللين والمرونة .

(38) أجدّ في الأمر : اجتهد ، واشتدّ . والطماح (بكسر الطاء) : مصدر طمح بصره إلى الشيء ، أي ارتفع واستشرف . وحبة العين : ناظرها ، أو سوادها . والسنان (بكسر السين) : نصل الرمح ، أي حديدته القاطعة الجارحة . وأجدّ الطماح بالعين : أي طمحت فخرجتْ عن حدّ القصد ، والاستقامة ، والاعتدال . وجعلت مكان حبّتها سناني : أي فقأتها ، وأعميت صاحبها .

(*) الصديق المذكور في هذه القصيدة بحسن الثناء هو الشيخ محمد عبده (١٨٤٥ - ١٩٠٥) .

(1) « وا » : حرف نداء . وعرتني : أصابتني . وبحبك : أي بسبب حبك . والمحن : البلايا والشدائد .

(2) المنى : جمع منية ، وهي البغية ، ومثلها الأمنية . ويراد بالحديث : حديث النفس ، أي ما يشغلها ، فتتحدّث به ، وتشتاق إليه . والهمّ : مصدر همّه الأمر أي أقلقه وأحزنه . والمراد أن بعده عن وطنه لا يفتأ يقلقه ويحزنه . والوسن : أول النعاس ، أي فتور الحواس ، ومقاربة النوم . ورنق النوم في عينيه ترنيقاً : أي خالطهما وخامرهما .

(3) الاستفهام في أول البيت معناه النفي ؛ فهو لا ينسى وطنه ، ولا يسلوه . والمغيب : التغيب ، أي لن أنساك في غيبتي وبعدي عنك . والودّ : الحبّ . ومرتهن : ثابت ، مقيم على الود .

(4) لا أبالي : لا أهتم ، ولا أكترث . وسلمت على الدهر : أي سلمت على مدى الدهر ، أي سلامة باقية دائمة بقاء الزمان .

(5) البريد : أصله الدابّة التي تحمل الرسائل ، ويطلق على الرسول ، والرسائل . وكانوا يختارون

أَهُمْ عَلَى الْوُدِّ أَمْ أَطَافَ بِهِمْ وَاشٍ أَرَاهُمْ خِلَافَ مَا يَقِنُوا ؟(٦)

فَإِنْ نَسُونِي فَذُكْرَتِي لَهُمُ وَكَيْفَ يَنْسَى حَيَاتَهُ الْبَدَنُ ؟(٧)

أَصْبَحْتُ مِنْ بَعْدِهِمْ بِمَضْيَعَةٍ تَكْثُرُ فِيهَا الْهُمُومُ وَالإِحَنُ(٨)

بَيْنَ أُنَاسٍ إِذَا وَزَنْتَهُمُ بِالذَّرِّ عِنْدَ الْبَلَاءِ مَا وَزَنُوا(٩)

لَا فِي مَوَدَّاتِهِمْ إِذَا صَدَقُوا رِبْحٌ وَلَا فِي فِرَاقِهِمْ غَبَنُ(١٠)

مِنْ كُلِّ فَظٍّ يَلُوكُ فِي فَمِهِ مُضْغَةَ سُوءٍ مِزَاجُهَا عَفِنُ(١١)

يَنْضَحُ شِدْقَاهُ بِالرُّؤَالِ كَمَا عُلَّ بِنَضْحِ الْعَتِيرَةِ الْوَثَنُ(١٢)

نوعاً من الحمام، ويعوّدونه الطيران برسالة يعلّقونها في عنقه، فيطير بها إلى حيث عوّدوه، ويسمونه حمام الزاجل. وأهل وده: أحباؤه وأصفياؤه. والشجن: الهمّ، والحزن، وهوى النفس. ولي بهم شجن: أي لي بهم هوى، وتعلّق، واهتمام.

(٦) أطاف بهم: ألمّ بهم، أو أحاط بهم. والواشي: اسم فاعل من الوشاية، وهي النيمة، والسعاية، والإفساد بين الناس بتأليف الكذب. ويقن الشيء: علمه، وتحققه، واستيقنه.

(٧) يقول: إن نسيني أهل ودي فإني ذاكر لهم، مقيم على ودهم؛ فإنهم مني بمنزلة الروح من الجسد، ولن ينسى الجسد روحه وحياته.

(٨) المضيعة: الضياع بسبب الانقطاع عن وطنه وأهل وده. والإحن: جمع الإحنة، وهي الغضب، والضغن، والحقد الشديد.

(٩) الذرّ: صغار النمل. والبلاء: المحنة، والشدة.

يقول: إذا بلوتهم، فوازنت بينهم وبين الذرّ ما ساووه. ووصم من يقيم بينهم من الناس في منفاه بالخسة، والحقارة، وتفاهة الشأن، وهوان الأمر.

(١٠) الغبن: مصدر غبنه، أي خدعه، وغلبه ونقصه. والغبن هنا: يقابل الربح.

(١١) فظّ: غليظ، جاف. ولاك اللقمة في فمه: أدارها فيه، ومضغها أهون مضغ. والمضغة: القطعة التى تلاك وتمضغ من لحم وغيره. ومضغة سوء: أي مضغة سيئة مكروهة. والمضغة العفنة التي يلوكونها في أفواههم: مضغة التبغ.

(١٢) ينضح: يرشح. والشدق: جانب الفم مما تحت الخدّ. والرؤال: لعاب الدابة، وزبد أفواه الخيل. وعلّ: سقي. والنضح: رشاش الماء ونحوه. والعتيرة: ذبيحة كانوا يذبحونها لآلهتهم في الجاهلية. والوثن: الصنم.

يقول: إن زبد ما يمضغونه يسيل من أشداقهم، كما يسيل دم العتيرة على وجه الوثن وجسمه.

شُعْثٌ عُرَاةٌ كَأَنَّهُمْ خَرَجُوا   مِنْ نَفَقِ الأَرْضِ بَعْدَ مَا دُفِنُوا(١٣)

لاَ يُحْسِنُونَ الْمَقَالَ إِنْ نَطَقُوا   جَهْلاً وَلاَ يَفْقَهُونَ إِنْ أَذِنُوا(١٤)

أَرَى بِهِمْ وَحْشَةً إِذَا حَضَرُوا   وَطِيبَ أُنْسٍ إِذَا هُمُ ظَعَنُوا(١٥)

وَكَيْفَ لِي بِالْمُقَامِ فِي بَلَدٍ   مَا لِي بِهَا صَاحِبٌ وَلاَ سَكَنُ ؟(١٦)

كُلُّ خَلِيلٍ لِخِلِّهِ وَزَرٌ   وَكُلُّ دَارٍ لأَهْلِهَا أَمَنُ(١٧)

فَهَلْ إِلَى عَوْدَةٍ أَلُمُّ بِهَا   شَمْلِي وَأَلْقَى « مُحَمَّداً » سَنَنُ ؟(١٧)

ذَاكَ الصَّدِيقُ الَّذِي وَثِقْتُ بِهِ   فَهْوَ بِشُكْرِي وَمِدْحَتِي قَمِنُ(١٩)

عَاشَرْتُهُ حِقْبَةً فَأَنْجَدَنِي   مِنْهُ الْحِجَا وَالْبَيَانُ وَاللَّسَنُ(٢٠)

وَهْوَ إِلَى الْيَوْمِ بَعْدَ مَا عَلِقَتْ   بِيَ الرَّزَايَا مُخَيَّلٌ هُتُنُ(٢١)

---

(١٣) شعث : جمع أشعث ، صفة من الشعث ، وهو اغبرار شعر الرأس . وشعث رأسه وبدنه : اتسخ ، وقذر .

(١٤) جهلاً : أي بسبب جهلهم ، وقلة درايتهم . وفقه الكلام : فهمه ، وفطن له . وأذن : استمع .

(١٥) بهم : أي بحضورهم . والوحشة : الهمّ ، وانقباض القلب ، وضدها الأنْس . وقد أنس به : أي ألفه ، وسكن إليه قلبه ، واطمأنت نفسه . وطيب الأنس : أفضله . وظعن : سار ، وارتحل .

(١٦) الاستفهام في أول البيت معناه النفي . أي لن يطيب لي المقام في بلد . والمقام : الإقامة والاستقرار .

(١٧) الخليل : الصديق ، ومثله الخلّ . والوزر : الملجأ ، والسند . وأمن (بفتحتين ، أو بفتح فسكون) : أمان ، واطمئنان .

(١٨) الاستفهام في أول البيت معناه التمني . وشملي : ما تفرّق من أمري . ولمّه : جمعه ، وضمه . وسنن الطريق : نهجه ، وقصده ، أي هل إلى عودة من سبيل ؟

(١٩) المدحة : الكلام أو الشعر الذي يمدح به الشاعر غيره ، وكذا المديح . وقمن : قمين ، وخليق ، وجدير .

(٢٠) حقبة : مدة . وأنجدني : أعانني ، ونصرني . والحجا : العقل ، والفطنة . والبيان : الحجة ، والمنطق الفصيح . واللسن : الفصاحة والبلاغة .

(٢١) علقتْ به : نشبتْ فيه ، واستمسكتْ به ، والمراد أصابته . والرزايا : المصائب ، واحدتها

يَنْصُرُنِي حَيْثُ لاَ يَكَادُ حَمٌ — يَمْنَحُنِي وُدَّهُ وَلاَ خَتَنُ[٢٢]
قَدْ كَانَ ظَنِّي يُسِيءُ بِالنَّاسِ لَوْ — لاَهُ وَفَرْدٌ يَحْيَا بِهِ الزَّمَنُ[٢٣]

فَهْوَ لَدَى الْمُعْضِلاَتِ مُسْتَنَدٌ — وَعِنْدَ فَقْدِ الرَّجَاءِ مُؤْتَمَنُ[٢٤]
نَمَّتْ عَلَى فَضْلِهِ شَمَائِلُهُ — وَنَفْحَةُ الْوَرْدِ سِرُّهَا عَلَنُ[٢٥]

لَوْ كَانَ يَعْلُو السَّمَاءَ ذُو شَرَفٍ — لَكَانَ بِالنَّيِّرَاتِ يَقْتَرِنُ[٢٦]
فَلْيَحْيَ حُرّاً مُمَتَّعاً بِجَمِيـ — ـلِ الذِّكْرِ فَالذِّكْرُ مَفْخَرٌ حَسَنُ[٢٧]

وَقَالَ أَيْضاً فِي صِبَاهُ :

الرزيّة . ومخيّل : اسم فاعل من خيّلت السماء تخييلاً ، أي تهيّأتْ للمطر . وهتن : جمع هتون ، أي كثير المطر . يقال : سحاب هتون ، أي مطره متتابع غزير .

(٢٢) حم الرجل : أبو زوجته . والختن : زوج ابنة الرجل ، أو زوج أخته .

(٢٣) أساء به الظن : ارتاب ، وشكّ في أمره .

لقي الشاعر من الناس في محنته جفوة وإعراضاً ، وتنكّراً وخذلاناً ، فساء ظنه بهم ، لولا ما أفاضه عليه الممدوح من ودّ ونصرة ، وإقبال ، واحتفال .

(٢٤) المعضلات : جمع المعضلة ، وهي المسألة المشكلة . ومستند : سند يستند إليه ، ويعتمد عليه في حلّ المعضلات . ومؤتمن : مأمون ، يوثق به ، ويطمأنّ إليه .

(٢٥) نمتْ على فضله شمائله : أي أظهرتْ شمائله فضله وأذاعته ، من قولهم : « نمّتْ على المسك رائحته » . والشمائل : جمع الشمال (بكسر الشين) ، وهو الحلق ، والطبع . ونفحة الورد : رائحته المنتشرة . والعلن : خلاف السر . وعلن الأمر : أي شاع ، وظهر ، وانتشر ؛ فهو عَلن ، أي ظاهر منتشر . وسرّها علن ، أي لا سرّ لها ، أو ليست من الأسرار ؛ فهي بطبيعتها على الدوام فائحة منتشرة ، ترتاح لها النفوس ، وترتوي منها القلوب .

(٢٦) علا الشيء : رقيه ، وصعده . والشرف : العلوّ ، والمجد . والنيرات : الكواكب المضيئة . واقترن الشيء بغيره : اتصل به ، وصاحبه .

(٢٧) الذكر : الصيت . والفخر : ما فُخر به ، ومثله المفخرة .

ختم القصيدة بأن دعا لممدوحه بدوام حياة الحرية والعزة والكرامة ، والاستمتاع بما له في الناس من ذكر جميل ، وصيت ذائع ، ومفاخر ومحامد .

خَلَعْتُ فِي حُبِّ غِـزْلاَنِ الْحِمَى رَسَنِـي | وَبِعْتُ بِالسُّهْدِ فِي لَيْـلِ الْهَوَى وَسَنِي (١)
وَأَعْـجَبَتْنِي عَـلَى ذَمٍّ الْـعَـذُولِ لَـهَـا | صَبَـابَـةٌ نَقَـلَتْ سِـرِّي إِلَى الْـعَلَنِ (٢)
فَلْيَبْـلُغِ الْعَـذْلُ مِـنِّي مَـا أَرَادَ فَـقَـدْ | أَسْلَمْتُ لِلشَّوْقِ رُوحِي وَالضَّنَى بَدَنِي (٣)
تِلْكَ الْحَمَـائِمُ لَـوْ تَـدْرِي بِمَـا لَقِيتْ | أَهْـلُ الْمَحَبَّـةِ لَمْ تَسْجَـعْ عَلَى فَنَنِ (٤)
يَـا رَبَّـةَ الْخِـدْرِ قُـومِي فَـانْظُرِي عَجَباً | إِلَـى غَـرَائِبَ لَـمْ تُقْـدَرْ وَلَـمْ تَكُـنِ (٥)
هٰـذِي يَـدِي جَسَّهَـا الآسِي وَخَـامَـرَهُ | يَـأْسٌ فَغَـادَرَهَـا صَرْعَى مِنَ الْـوَهَنِ (٦)
وَقَـالَ لاَ تَـكْـتُـمَـنْ أَمْـراً عَـلَيَّ فَـقَـدْ | عَلِمْتُ مَـا بِـكَ مِنْ بَـادٍ وَمُكْـتَمِـنِ (٧)
فَلَمْ أُجِبْ غَـيْـرَ أَنَّ الـدَّمْـعَ نَمَّ عَـلَى | وَجْـدِي وَدَلَّتْـهُ أَنْفَـاسِي عَلَى شَجَنِي (٨)

---

(١) الغزلان : جمع الغزال ، وتشبه به الحسناء من النساء . والحمى : المكان يحميه صاحبه ويمنعه . وغزلان الحمى : نساؤه المحميات المحجّبات . والرسن : الحبل يشدّ به الفرس ونحوه من أنفه ورأسه . ومن كلامهم : « خلع فلان رسنه » يكنون بهذا عن ترك الحياء ، والإمعان في اللهو والمجانة . والسهد : الأرق ، وامتناع النوم . والهوى : العشق والغرام . والوسن : النعاس والنوم .

(٢) العذول : الكثير العذل والملامة . والصبابة : رقة الهوى ، وحرارة الشوق .

(٣) الضنى : المرض الشديد .

(٤) الحمائم : جمع الحمامة . وأهل المحبة : العشاق . وسجعت الحمامة : هدرت . والفنن : الغصن ، وجمعه أفنان .

(٥) الخدر : ستر يمدّ للمرأة في ناحية البيت ، وما يفرد لها من السكن . وربّة الخدر : صاحبته . وربّات الخدور : المصونات المحجبات من النساء . ولم تقدر : أي لم تقدر على غيري ، أي لم يصب بها غيري . ولم تكن : أي لم توجد . ومعنى غرائب : أي لا نظائر لها .

(٦) الآسي : الطبيب . وخامره : خالطه وداخله . وغادرها : غادر يدي ، أي تركها . وصرعى : يريد في حالة تشبه الشلل أو التشنّج . والوهن : الضعف .

(٧) الأمر : الشأن ، والحال . وباد : ظاهر ، واضح ، وضده المكتمن : اسم فاعل من اكتمن اكتماناً ، أي اختفى ، واستتر .

(٨) نمّ الدمع على وجده : دلّ عليه ، وأظهره . والوجد : الحب الشديد . والشجن : الحزن ، والهمّ ، والحاجة الشاغلة .

عَـطْفـاً عَلَيَّ فَلَمْ أَطْلُبْ إِلَيْـكِ سِـوَى   أَنْ أُمْتِـعَ الْعَيْنَ مِنْ تِمْثَالِـكِ الْحَسَنِ[٩]

مَـا لِلْعَـذُولِ رَأَى وَجْـدِي فَـأَحْفَـظَهُ   حَتَّى أَتَـاكُمْ بِقَـوْلٍ مِنْ هَنٍ وَهَنٍ ؟[١٠]

لاَ تَقْبَلِي الْعَـذْلَ فِي مِثْلِي فَكُـلُّ فَتَىً   حُـرِّ الشَّمَائِـلِ مَحْسُودٌ عَلَى الْفِطَنِ[١١]

وَالنَّاسُ أَعْدَاءُ أَهْـلِ الْفَضْلِ مُذْ خُلِقُوا   مِنْ عَهْـدِ آدَمَ سَبَّاقُـونَ فِي الإِحَنِ[١٢]

فَـلاَ صَـدِيـقَ عَـلَى وُدٍّ بِـمُـتَّـفِـقٍ   وَلاَ خَـلِيـلَ عَـلَى سِـرٍّ بِـمُؤْتَـمَـنِ[١٣]

فَـلَيْتَ لِـي وَدَوَاعِـي الـنَّـفْسِ كَـاذِبَـةٌ   خِـلًّا يَكُـونُ سُـرُورَ الْعَيْنِ وَالأُذُنِ[١٤]

أُصْـفِـيـهِ وُدِّي وَأُمْـلِيـهِ الهَـوَى وأَرَى   مِنْـهُ الصَّـوَابَ وَأَرْجُـوهُ عَلَى الـزَّمَنِ[١٥]

هَـيْهَـاتَ أَطْـلُبُ أَمْـراً لَـيْسَ يَـبْـلُغُـهُ   حَيٌّ وَلَـوْ سَـارَ مِنْ هِنْـدٍ إِلَى يَمَنِ[١٦]

مَهْلاً أَخَا الْجَهْـلِ لاَ يُغْوِيكَ مَا نَـظَرَتْ   عَيْنَـاكَ فِي هٰـذِهِ الـدُّنْيَـا مِنَ الْفِتَنِ[١٧]

---

(٩) المعنى : احتجبت عنه محبوبته ، وتمنّعتْ ، فاستعطفها ، وقصر سؤاله وأمله على أن تظهر له ، ليستمتع بالنظر إليها ، ورؤية محاسنها .

(١٠) العذول : المسرف في اللوم . وأحفظه الوجد : أغضبه . والهن : كلمة كناية ، ومعناها شيء . وقول من هن وهن : أي قول ملفّق .

(١١) حر الشمائل : كريم الأخلاق ، شريف الطباع . والفطن : جمع فطنة ، وهي الحذق ، والمهارة ، وتوقد الذهن ، وقوة الفهم .

(١٢) أهل الفضل : أصحاب الخير ، والبر ، والإنعام . والإحن : جمع الإحنة ، وهي الحقد ، وإضمار العداوة والبغضاء .

(١٣) الود : المحبة . والخليل : الصديق الخالص .

(١٤) يراد بدواعي النفس : احتياجاتها ، ورغائبها ، وآمالها . ويراد بالكاذبة : البعيدة المنال ، التي لا تكاد تتحقق .

(١٥) أصفاه الود : أخلصه له ، وصدق فيه . وأملاه هواه : أدامه له ، وأمتعه به . من قولهم : أملاه الله العيش : أي أطاله له . وأرجوه على الزمن : أي آمل خيره على مدى الزمان ، وطوال الدهر .

(١٦) هيهات : اسم فعل ماض بمعنى بعد ؛ فهي كلمة تبعيد . ويراد بالحيّ : الإنسان . ولو سار من هند إلى يمن : أي ولو نقّب في البلاد ، وقطع أقطار الأرض .

(١٧) لا يغويك : لا يضلّك . وفتنه الشيء : أعجبه وسره واستماله ، ومنه الفتن : جمع الفتنة . وفتنة الدنيا : زينتها وزخرفها ، ومتاعها وباطلها الذي تغرّ به الناس وتخدعهم .

هٰذِي الْبَرِيَّةُ فَانْظُرْ إِنْ وَجَدْتَ بِهَا غَيْرَ الَّذِي قُلْتُ فَاهْجُرْنِي وَلاَ تَرَنِي(١٨)

أَنَا الَّذِي عَرَفَ الأَيَّامَ وَانْكَشَفَتْ لَهُ سَرَائِرُهَا مِنْ كُلِّ مُخْتَزَنِ(١٩)

طُفْتُ الْبِلاَدَ وَجَرَّبْتُ الْعِبَادَ فَلَمْ أَرْكَنْ لِخِلٍّ وَلَمْ أَجْنَحْ إِلَى سَكَنِ(٢٠)

خُلِقْتُ حُرّاً فَلاَ قَدْرِي بِمُتَّضِعٍ عِنْدَ الْمُلُوكِ وَلاَ عِرْضِي بِمُمْتَهَنِ(٢١)

لاَ عَيْبَ فِيَّ سِوَى أَنِّي عَتَبْتُ عَلَى دَهْرِي فَقَدَّمَ مَنْ دُونِي وَأَخَّرَنِي(٢٢)

وَهٰذِهِ شِيمَةُ الدُّنْيَا وَمِنْ عَجَبٍ أَنِّي أَرَى مِحْنَتِي فِيهَا وَتُعْجِبُنِي(٢٣)

لَيْسَ السُّرُورُ الَّذِي يَأْتِي الزَّمَانُ بِهِ يَفِي بِقَدْرِ الَّذِي يَمْضِي مِنَ الْحَزَنِ(٢٤)

فَاسْتَبْقِ نَفْسَكَ إِنْ كُنْتَ امْرَأً فَطِناً وَاقْنَعْ بِعَيْشِكَ فِي سِرْبَالِكَ الْخَشِنِ(٢٥)

---

(١٨) البرية : الخلق والناس . وهذي البرية : أي هذه حقيقتها ، وقصّتها . وغير الذي قلت : أي غير ما ذكرته ، من فتن الدنيا التي تغوي الجاهل ، وتخدع الغافل ، ومن قلة الوفاء ، وكثرة الغدر ، وندرة الأخلاء . ولا ترني : قاطعني ، وأعرضْ عني .

(١٩) يريد بالأيام : تقلّب الزمان ، أو ما ينطوي عليه من الخير والشر . أو يريد أهل الزمان ، وما يخفونه تحت أثواب النفاق من الغدر والخيانة . والسرائر : جمع السريرة ، وهي السر الذي يكتم ، ويسرّ . ومختزن : ما اختُزن وأُخفي .

(٢٠) يقول : إنه نقّب في البلاد ، وجرّب الناس ، فلم يجد الصديق الذي يثق به ، ولا المسكن الذي يطمئن إليه .

(٢١) القدر : الشأن والحال ، والدرجة والمنزلة . ومتّضع : هيّن ، حقير ، وضيع . والعِرض : ما يمدح ويذمّ من الإنسان . وممتهن : مبتذل .

(٢٢) عتب عليه : لامه في غضب وتسخّط ، أو أنكر عليه شيئاً من فعله . وقدّم من دوني : أي قدّم عليّ من هو أقلّ مني .

(٢٣) هذه شيمة الدنيا : أي هذه عادة الدهر من معاسرة الكرام الأحرار ، ورميهم بالبلايا والمحن . والشيمة : الخلق ، والطبع . والمحنة : البلاء والشدة .

(٢٤) قدر الشيء : مبلغه ، ومقداره . ويفي بقدره : يماثله ويساويه .

(٢٥) السربال : القميص . وسربالك الخشن : كناية عن شظف العيش .

والمعنى : من الفطنة ، وجودة الفهم ، أن تحيا حياة القناعة ، وخشونة العيش ؛ وبهذا تستبقي نفسك ، وتقيها من الطمع الممقوت ، والإغراق في الترف ، ونحوهما من المفسدات المرديات .

وَلَا تَفُـهْ بِحَـدِيـثِ الـنَّـفْسِ إِنَّ بِـهِ شَـرَّ الْحَيَـاةِ وَسَعْيَ الْحَـاسِـدِ الأَفِنِ[٢٦]
وَلَا تَسَـلْ أَحَـداً عَـوْنـاً عَلَى أَمَـلٍ حَتَّى تَكُـونَ أَسِيرَ الشُّكْـرِ وَالْمِنَنِ[٢٧]

خَيْـرُ الْمَعِيشَـةِ مَـا كَـانَتْ مُـذَلَّـلَةً هَـوْنـاً وَثَـوْبُـكَ مَعْصُـومٌ مِنَ الـدَّرَنِ[٢٨]
وَعَـاشِرِ النَّـاسَ بِـالْحُسْنَى فَـإِنْ عَـرَضَتْ إِسَـاءَةٌ فَتَغَـمَّـدْهَـا عَلَى الـظِّنَنِ[٢٩]

فَالصَّفْحُ عَنْ بَعْضِ مَـا يُمْنَى الْكَرِيمُ بِـهِ فَضْـلٌ يَـطِيـرُ بِـهِ شُكْـرٌ بِـلَا ثَمَنِ[٣٠]
هَـذَا الـطَّرِيقُ فَـإِنْ أَخْـطَأْتَ شِـرْعَتَـهُ أَضَعْتَ نَفْسَكَ بَيْنَ الْحَوْضِ وَالْعَطَنِ[٣١]

وَقَالَ يَفْتَخِرُ عَلَى طَرِيقَةِ الْعَرَبِ(*) :

---

(٢٦) فاه بالقول : نطق به . ويراد بحديث النفس : ما يسره الإنسان ، ويضمره في نفسه . وسعي الحاسد : ما يسعى إليه ، ويحرص عليه من الإضرار بك ، والكيد لك . والأفن : الفاسد ، الأحمق ، الضعيف الرأي والعقل .

(٢٧) على أمل : أي على تحقيق أمل من آمالك . وحتى تكون : أي لكيلا تكون . والمنن : جمع منّة ، وهي الإنعام والإحسان .

(٢٨) مذللة : ميسرة سهلة . وهوناً : هيّنة سهلة . والهون : الرفق ، والتؤدة . ومعصوم : محفوظ ، مصون . والدرن : الوسخ والقذر . وعصمة ثوب المرء من الدرن: كناية عن استقامته ، ونقاء عرضه .

(٢٩) بالحسنى : أي بالخلق الحسن . وعرضتْ : بدتْ وظهرتْ . وتغمدها : أي استرها ، وتجاوز عنها . والظنن : جمع الظنة ، وهي التهمة . أي لا تلق الإساءة بالإساءة ، ولا تحاول محاسبتهم على ما تتهمهم به .

(٣٠) الصفح : العفو . ويمنى : يبتلى ويصاب . وشكر بلا ثمن : أي شكر يأتيه من الناس عفواً بلا عوض ، ومن غير مسألة .

(٣١) هذا الطريق : أي ما رسمته لك هو طريق الاستقامة ، والسلامة ، والسعادة . وأخطأ الهدف : انحرف عنه ، ولم يصبه . والشرعة : الطريق ، والمذهب المستقيم . والحوض : مجتمع الماء . والعطن : مبرك الإبل ، ومربض الغنم حول الماء .

يقول : إن من ينحرف عن هذا الطريق يضيع نفسه في أضيق مجال ، وبأهون الأسباب ، وينتهي أمره إلى البوار والخسران .

(*) يراد بطريقة العرب : منهاج شعرائهم القدامى .

أَحْبِبْ بِـهِـنَّ مَـعَـاهِـدَاً وَمَـعَـانَـا كَـانَـتْ مَنَـازِلُنَـا بِـهَـا أَحْيَـانَـا(١)

دِمَنٌ عَفَتْ بَعْـدَ الأَنِيسِ فَـأَصْبَحَتْ لِلْجَـازِئَـاتِ مِنَ الـظِّبَـاءِ مَكَـانَـا(٢)

وَلَقَـدْ نَـرَى فِيهَـا مَـلاَعِبَ لَـمْ تَـزَلْ تُـشْجِي الْفُؤَادَ وَلاَ نَـرَى إِنْسَـانَـا(٣)

عَـرَفَتْ بِهَا الْجُـرْدُ الْعِتَاقُ مَجَـالَهَـا فَـغَـدَتْ تُحَـمْحِمُ رِقَّـةً وَحَنَـانَـا(٤)

بِتْنَـا بِهَـا مُتَسَـانِـدِينَ عَـلَى الثَّـرَى نَصِفُ الْكَـلاَلَ وَنَـذْكُـرُ الإِخْـوَانَـا(٥)

أَيَّـامَ لاَ يَـرِدُ الْـجِـمَـامَ لِـعِـزِّهَـا أَحَـدٌ وَلاَ يَـرْعَى الْجَمِيمَ سِـوَانَـا(٦)

فِي مَعْشَـرٍ رَسَخَتْ حَصَـاةُ حُلُومِهِـمْ أَدَبـاً وَخَـفُّـوا لِلْوَغَـى فُـرْسَـانَـا(٧)

---

(١) أحبب بهن : أسلوب تعجّب . والمعاهد : جمع المعهد ، وهو المنزل . والمعـان (بوزن المجال) : المنزل .

(٢) الدمن : آثار الديار التي ارتحل عنها أهلها ، الواحدة دمنة . وعفت : درستْ ، وامحتْ . والأنيس : المؤانس الـذي تأنس بـه ، وتطمئن إليـه . والجـازئـات : جمـع جـازئـة ، أي المكتفية .

(٣) فيها : أي في المعاهد التي خلت من أهلها . وأشجاه يشجيه : حزنه ، وأسفه .

(٤) عرفت بها : أي بالديار المهجورة . والجـرد : نجائب الخيـل ، وخيارهـا . يقال : فـرس أجرد ، أي كريم . وعتاق الخيل : خيـارها ونجـائبها . وفـرس عتيق : أي نجيب كريم ؛ فالعتاق تأكيد لمعنى الجرد . ومجالها : المكان الذي كانت تجول فيه وتدور . وتحمحم : تصهل صهيلاً خافتاً . والحنان : رقّة القلب .

(٥) تساند إليه : أي ركن إليه ، واعتمد عليه ، واتكـأ . والثرى : الأرض. والكـلال : الإعياء والتعب ، مصدر كلّ الإنسان والدابّة من المشي . وفي وصفهم الكلال إشارة إلى أنهم قصدوا لتلك المعاهد من مسافات بعيدة ، وتجشّموا لها شدائد السفر ومتاعبه لمكانتها في نفوسهم ، وحرصهم على زيارتها .

(٦) ورد الماء : صار إليـه ، وأتاه . والجمـام : جمع جَمّـة ، وهي البئر الكثيـرة الماء . وعـزّ الجمام : كناية عن عزة أهلها وقوّتهم . والجميم : النبت الكثير ، أو الناهض المنتشر الذي غطى الأرض . وسوانا : أي سوى ماشيتنا ، أو لا يرعى الماشيـة ، ويسرحهـا في الجميم سوانا .

(٧) المعشـر : الجماعـة . ومعشر الـرجـل : أهله وعشيـرتـه . ورسختْ : ثبتتْ ، وتمكّنتْ . والحصاة : الرزانة والوقار . والحلوم : العقول . وحصاة الحلوم : رجاحة العقول وقوّتها .



قَـرَنُوا الشَّجَـاعَـةَ بِـالسَّمَـاحَـةِ فَـاغْتَـدَوْا قَـيْـدَ الْمَحَـامِـدِ شِـدَّةً وَلِيَـانَـا(٨)
طَلَعُـوا عَلَى الـزَّمَنِ الْبَهِيمِ فَـأَثْقَبُـوا نَـارَ الْفَضَـائِـلِ حُـجَّـةً وَبَيَـانَـا(٩)
مِـنْ كُـلِّ مَشْبُـوبٍ تَخَـالُ لِسَـانَـهُ عِنْـدَ التَّخَـاصُـمِ فِي النَّدِيِّ سِنَـانَـا(١٠)
إِنْ قَـالَ بَـرَّ وَإِنْ أَتَـاهُ مُـطَرَّدٌ آوَى وَإِنْ سُئِـلَ الْـكَـرَامَـةَ لاَنَـا(١١)
أَنَـا مِنْـهُـمُ وَالْعُـودُ يَـتْـبَـعُ أَصْـلَهُ وَابْنُ الْهَجِينَـةِ لاَ يَكُـونُ هِجَـانَـا(١٢)
فَـاكْـوِ الْحَسُـودَ بِنَـاظِـرَيْـهِ وَقُـلْ لَـهُ : إِنْ كُنْتَ تَجْهَلُنَـا فَكَيْفَ تَـرَانَـا ؟(١٣)
إِنَّـا إِذَا مَـا الْحَـرْبُ شَبَّ سَعِيـرُهَـا نَحْمِي النَّـزِيـلَ وَنَمْنَـعُ الْجِيـرَانَـا(١٤)

والأدب : رياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ما ينبغي . وخفوا : نشطوا ، وسارعوا . والوغى : الحرب . ورسخت حصاة قلوبهم أدباً : أي أرسخ الأدب حلومهم ، وأنضج عقولهم ، وعوّدهم صحة التفكير ، وجودة التدبير .

(٨) قرن الشيء بالشيء : وصله به ، وضمه إليه . والسماحة : الجود والكرم . واغتدوا قيد المحامد : أي صاروا مقيدين بها ، لا تفارقهم ، ولا يفارقونها . والليان : خلاف الشدة .

(٩) البهيم : الأسود . وليل بهيم : لا ضوء فيه . وزمن بهيم : لا خير فيه . وأثقب النار : أوقدها . والحجة : الدليل والبرهان . والبيان : المنطق الفصيح .

من مفاخر الشاعر ومعشره أنهم أقبلوا على زمان قلّ خياره ، وكثر أشراره ، وأظلم بظلمات المفاسد والمناقص ؛ فرفعوا بالحجة والبرهان ، وسحر البيان مشاعل الخير والفضيلة .

(١٠) رجل مشبوب : حسن الوجه ، ذكي الفؤاد . والنديّ : مجلس القوم ومجتمعهم . والسنان : نصل الرمح ، أي حديدته القاطعة الجارحة .

(١١) برَّ : صدق ووفى . ومطرد : طريد شريد ، لاجىء ملهوف . وآواه إيواء : ضمّه إليه ، وآمنه ، وطمأنه .

مدحهم بالبرّ والصدق والوفاء ، وإيواء الخائف الملهوف ، وإكرام السائل وملاينته .

(١٢) منهم : أي من المعشر الذين عدّد بعض مفاخرهم . والعود : الغصن بعد أن يقطع . والهجينة من الناس والخيل والإبل والدوابّ : من اختلط أصلها ؛ فكان الأب عربياً ، والأمّ غير عربيّة . وهجان الأشياء : أجودها ، وأكرمها أصلاً . ورجل هجان : أصله نقي خالص ، ونسبه غير مختلط .

(١٣) بناظريه : أي في عينيه . وكواه بالنار : أي أحرق جلده بحديدة محماة .

(١٤) شبّتْ النار : توقّدتْ . والسعير : لهب النار . والنزيل : الضيف . ونحميه : نحافظ عليه ، وندافع عنه . ونمنع الجار : نجيره ونحميه .

وَنَـرُدُّ عَـادِيَـةَ الْـخَـمِيسِ بِـأَنْفُسٍ عَلِمَتْ بِـأَنَّ مِنَ الْحَيَـاةِ هَـوَانَـا[١٥]

فَتَـرَى عِتَاقَ الْخَيْـلِ حَـوْلَ بُيُـوتِنَـا قُـبَّ الْبُـطُونِ تُـنَـازِعُ الأَرْسَـانَـا[١٦]

مَـشَقَ الـطِّرَادُ لُـحُـومَـهُـنَّ فَـلَمْ يَـدَعْ إلاّ خَـوَاصِـرَ كَـالْـقِسِيِّ مِتَـانَـا[١٧]

مِنْ كُـلِّ مُـنْـتَـصِـبٍ عَـلَى أَقْـيَـادِهِ مُـتَـطَلِّعٍ يَـتَـنَـظَّرُ الْـحَـدَثَـانَـا[١٨]

بَـذَخَـتْ قَـوَائِـمُـهُ وَأَقْـبَـلَ مَـتْـنُـهُ وَانْـضَـمَّ كَـلْكَـلُهُ وَطَـالَ عِـنَـانَـا[١٩]

فَـإِذَا عَـلاَ حَـزْنـاً أَطَـارَ شَـرَارَهُ وَإِذَا أَتَـى سَـهْـلاً أَطَـارَ دُخَـانَـا[٢٠]

وَالْخَيْـلُ أَكْـرَمُ صَـاحِبٍ يَـوْمَ الْـوَغَى وَالـسِّلْمِ تَـبْـعَـثُ غَـارَةً وَرِهَـانَـا[٢١]

---

(١٥) العادية : الخيل المغيرة . وعادية الخميس : هجومه ، وعدوانه . والخميس : الجيش القويّ الكثير الجرّار . يشار بهذا إلى أنه خمس فرق . والهوان : الذل والمهانة .

(١٦) عتاق الخيل : نجائبها ، وجيادها . وقبّ البطون : أي بطونها ضامرة غير ممتلئة . وضمورها : هزالها ، وقلة لحمها ، وهو من محاسن الخيل . وقبّ الفرس : دقّ خصره ، وضمر بطنه ، فهو أقبّ ، وهي قبّاء ، والجمع قبّ (بضم القاف ، وتشديد الباء) . والفرس ينازع فارسه العنان : أي يجاذبه . وهو أمارة قوة ونشاط وتحفّز . والأرسان : جمع رسن ، وهو الزمام ، أو المقود .

(١٧) مشق لحومهن : رقّقها ، وقلّلها . والطراد : المطاردة في الحرب ولحاق الأعداء . والخواصر : جمع الخاصرة ، وهي من الإنسان والحيوان وسطه . والقسيّ : جمع القوس وهي آلة ترمى بها السهام . ومتان : جمع متين ، أي قويّ شديد .

(١٨) منتصب : قائم ، متهيّىء ، متأهّب . والأقياد : جمع قيد ، وهو حبل ونحوه ، يجعل في رجل الدابة ، فيقيّدها . ومتطلّع : مترقب بشوق واهتمام . ويتنظّر : ينتظر ، ويتوقّع . وحدثان الدهر : نوائبه ، ونوازله العارضة .

(١٩) بذخَتْ : علتْ ، وارتفعتْ . والمتن : الظهر . وإقبال المتن : طوله ، وانبساطه . والكلكل : الصدر . وطول عنان الفرس : كناية عن أصالته وعتقه وجودته ، وهو ملائم لبذوخ قوائمه ، وإقبال متنه .

(٢٠) الحزن : ما غلظ من الأرض ، وقلّما يكون إلا مرتفعاً ، وهو خلاف السهل . وأرض سهلة : منبسطة ممتدة . والدخان : يراد به هنا الغبار الذي تثيره سنابك الخيل في الحرب ، وهي إشارة إلى قوة الجواد وسرعته .

(٢١) الوغى : الحرب ؛ لما فيها من الصوت والجلبة . والغارة : الهجوم على العدو . وتبعث

فَعَلَى بُطُونِ خِيَارِهَا أَرْزَاقُنَا وَعلى ظُهُورِ جِيَادِهَا مُغْدَانَا(٢٢)

هَذَا الْفَخَارُ فَدُرْ بِعَيْنَيْكَ حَيْثُمَا دَارَ الزَّمَانُ فَلَنْ تَرَى نُقْصَانَا(٢٣)

وَقَالَ :

يَا قَرِيرَ الْعَيْنِ بِالْوَسَنِ ! مَا الَّذِي أَلْهَاكَ عَنْ شَجَنِي(١)

كَيْفَ لَا تَرْثِي لِمُكْتَئِبٍ شَفَّهُ بَرْحٌ مِنَ الْحَزَنِ ؟(٢)

هَبْكَ لَمْ تَسْمَعْ شَكَاةَ فَمِي أَوَ لَمْ تُبْصِرْ ضَنَى بَدَنِي ؟(٣)

يَا عِبَادَ اللَّهِ مَنْ لِفَتىً بِيَدِ الأَشْوَاقِ مُرْتَهَنِ ؟(٤)

الغارة : تثيرها وتطلقها وتهيجها . والرهان : مصدر راهنه على كذا ، أي خاطره ، وسابقه . فالغارة يوم الوغى ، والرهان يوم السلم .

(٢٢) الخيار : جمع خير ، وهو المنتقى المختار ، والنافع الكثير . والأرزاق : جمع رزق ، وهو كل ما ينتفع به ، أو كل ما يؤكل ويتغذى به . يشير إلى الاغتذاء بلحوم الخيل ، وكان العرب يأكلونها . أو يشير إلى استيلادها ، وفي أولادها ونتاجها الرزق الواسع ، والمال الوافر ، والخير الكثير . وجياد : جمع جواد ، وهو النجيب العتيق الكريم من الخيل . ومغدانا : غدوّنا ، وهو الذهاب وقت الغدوة بين الفجر وطلوع الشمس . أو هو الانطلاق والذهاب مطلقاً في أيّ وقت .

(٢٣) يقول : هذا فخرنا ، وهذه مفاخرنا ، ولن ترى فينا ـ حيثما نظرت ـ نقيصة أو مثلبة .

(١) قرّتْ عينه : بردتْ سروراً . وهو قرير العين : أي راض ، مغتبط ، مسرور . والوسن : النعاس . وألهاك : شغلك . والشجن : الحزن ، والهمّ . والشجن أيضاً : الحاجة التي تهم المحتاج وتشغله . والحاجة الشاغلة للمحبّ : أن ينتبه له حبيبه ، ويقبل عليه .

(٢) رثي له : رقّ له ، ورحمه . والمكتئب : من تغيّرتْ نفسه ، وانكسرت ، وساء حاله من شدة الهمّ والحزن . وشفّه الحزن ونحوه : ضمّره وهزله . وبَرْح الحزن ونحوه : شدته وتبريحه .

(٣) هبك لم تسمع : أي افرض . والشكاة : الشكوى . والهمزة في أول الشطر الثاني للاستفهام المراد به اللوم والعتاب . والواو بعده عاطفة ، أي أغفَلْتَ ، ولم تبصر . والضنى : المرض الشديد الملازم الذي يهزل الجسم وينحله ، ويشرف به المريض على الموت .

(٤) مرتهن : مرهون ، مقيّد ، محبوس .

رَعَتِ الأَشْوَاقُ مُهْجَتَهُ ... وَبَرَاهُ الْوَجْدُ فَهْوَ ضَنِي(٥)

آهِ مِنْ ظَبْيٍ خَلَعْتُ بِهِ ... فِي مَيَادِينِ الْهَوَى رَسَنِي(٦)

سَاحِرُ الْعَيْنَيْنِ مَا بَرِحَتْ ... لَحْظَتَاهُ مَصْدَرَ الْفِتَنِ(٧)

سَلَكَتْ بَعْضُ الْوُشَاةِ بِهِ ... مِنْ نَمِيمِ الْغَيِّ فِي سَنَنِ(٨)

صَرَفُوهُ عَنْ طَبِيعَتِهِ ... وَعِنَانُ الْقَلْبِ فِي الأُذُنِ(٩)

وَقَرِينُ السُّوءِ مَجْلَبَةٌ ... لِدَوَاعِي الْهَمِّ وَالْمِحَنِ(١٠)

فَاتْرُكِ الدُّنْيَا فَلَسْتَ تَرى ... صَاحِباً إِلاَّ عَلَى دَخَنِ(١١)

مَنْ جَرَى فِي غَيْرِ حَلْبَتِهِ ... كَانَ مَوْقُوفاً عَلَى الظِّنَنِ(١٢)

---

(٥) المهجة : القلب . ورعتْها الأشواق : أتتْ عليها ، وأهلكتْها .

(٦) « آه » : كلمة توجّع ، وتألّم . وخلعتُ به : أي خلعتُ بسببه ، ومن أجله . والرسن : الزمام ، والمقود . ويقال : خلع فلان رسنه ، أو عذاره : إذا ترك الحياء ، وركب هواه ، وانطلق في مجال حبه وغرامه ، لا يثنيه شيء .

(٧) عين ساحرة : فائقة الحسن ، جذّابة ، فاتنة . ومابرحتْ : ما فتئتْ . ويراد باللحظتين هنا : العينان . والفتن (بكسر ففتح) : جمع الفتنة (بكسر فسكون) وهي إعجابك بالشيء . وفتنته المرأة : سلبته عقله ، واشتدّ به الوجد ؛ فهام وتحيّر .

(٨) سلك به الطريق : أي أسلكه إياه وسيره فيه . والوشاة : جمع الواشي ، من الوشاية . ومثلها النميمة ، وهي السعي بين الناس ، والإفساد ، وإيقاع الفتنة والوحشة ، وإلقاء العداوة والبغضاء بينهم . والغي : الإمعان في الضلال ، والانهماك في الجهل . وإضافة النميم إلى الغيّ : من إضافة الخاصّ إلى العامّ . وسنن الطريق : نهجه .

(٩) صرفه : ردّه ، ودفعه ، ونحّاه . والعنان : سير اللجام الذي تمسك به الدابة . وانقياد القلب للأذن : كناية عن الاستماع للوشاية ، والتأثر بها .

(١٠) القرين : المقارب والمصاحب . والسوء : اسم جامع للمقابح والآفات . والهمّ : الحزن والغمّ والقلق . والمحن : جمع محنة ، وهي البلاء والشدّة .

(١١) الدخن : الحقد ، والانطواء على العداوة والبغضاء .

زهد الشاعر في الدنيا ، وزهّد غيره فيها ، لقلة الخير والوفاء في الناس ، وشيوع الحقد والفساد ، وكثرة من ابتلي بهم من الوشاة ، وقرناء السوء .

(١٢) الحلبة (بفتح فسكون) : خيل تجمع للسباق من كل ناحية . وجرى المرء في غير حلبته :

وَقَالَ(*) :

أَطَعْتُ الْغَيَّ فِي حُبِّ الْغَوَانِي وَلَمْ أَحْفِلْ مَقَالَةَ مَنْ نَهَانِي[1]

وَمَا لِي لاَ أَهِيمُ وَكُلُّ شَهْمٍ بِحُبِّ الْغِيدِ مَشْغُوفُ الْجَنَانِ ؟[2]

وَلِي فِي الأَرْبَعِينَ مَجَالُ لَهْوٍ تَنَالُ يَدِي بِهِ عَقْدَ الرِّهَانِ[3]

فَكَيْفَ أَذُودُ عَنْ نَفْسِي غَرَاماً تَضَيَّفَ مُهْجَتِي بِاسْمِ الْحِسَانِ[4]

أَبَحْتُ لَهُ الْفُؤَادَ فَعَاثَ فِيهِ وَحَقُّ الضَّيْفِ إِعْزَازُ الْمَكَانِ[5]

فَدَعْنِي مِنْ مَلاَمِكَ إِنَّ قَلْبِي أَبِيٌّ لاَ يَقُرُّ عَلَى الْهَوَانِ[6]

أي صاحب من لا يشاكله . وهو موقوف على كذا : أي مقصور عليه ، لا يفارقه . والظنن : التهم .

(*) نظم البارودي هذه القصيدة وهو في الحرب الروسية التركية التي انتهت في ٢٨ من صفر سنة ١٢٩٥هـ (٢١ فبراير سنة ١٨٧٨م) وكان يومئذ في نحو الأربعين من عمره .

(١) الغي : الإمعان في الضلال ، والانهماك في الجهل ، وهو خلاف الرشد . والغواني : جمع الغانية ، وهي المرأة التي غنيتْ بجمالها الطبيعي عن الزينة . ولم أحفل : لم أبال ، ولم أكترث . والمقالة : القول .

(٢) هام بفلانة : شغفتْه حبّاً . والشهم : الذكي الفؤاد ، السديد الرأي . والغيد : جمع غيداء ، وهي المرأة الناعمة ، اللينة الأعطاف . وشفّه الحب : هزله ، وأضناه . والجنان (بفتح الجيم) : القلب .

(٣) المجال : مكان الجولان ، وهو التطواف . واللهو : كل ما استمتع به الإنسان من زينة الحياة الدنيا ولذاتها . وعقد (بفتح فسكون) : بمعنى ما تعاقد عليه المتراهنون من الجوائز ونحوها .

(٤) أذود : أدفع . وتضيّفه : ضافه ، أي نزل عنده ضيفاً . والمهجة : القلب . والحسان : جمع الحسناء .

(٥) له : أي للغرام ، أو للمحبوب . وعاث : أفسد . والمراد أن الغرام استباح قلبه ، وتمكّن منه ، فكان هذا لوناً من ألوان الإفساد . وحق الضيف : أي الحق المتوجب عليه . وإعزاز المكان : كناية عن الحب ، والحفاوة .

(٦) دع : اترك . والملام : اللوم والعذل . ودعني من ملامك : أي لا تلمني . وأبيّ : عزيز

فَـمَـا بِـالْـحُـبِّ عَـارٌ أَتَّـقِـيـهِ	وَإِنْ أَخْنَـى عَـلَى دَمْعِي زَمَـانِـي[٧]
رَضِيتُ مِنَ الْهَـوَى بِنُحُـولِ جِسْمِـي	وَمِـنْ صِـلَةِ الْبَـخِـيلَةِ بِـالأَمَـانِـي[٨]
وَلَـسْـتُ بِـطَالِـبٍ فِي الـنَّـاسِ خِـلاًّ	يُـنَـاصِـحُنِي فَـعَقْـلِي قَـدْ كَفَـانِـي[٩]
فَـإِنْ يَـكُنِ الْـهَـوَى قَـدْ رَاضَ نَفْسِي	فَـلَسْـتُ لِـغَـيْـرِهِ سَلِسَ الْـعِـنَـانِ[١٠]
أَشَـدُّ مِـنَ الـصُّـخُـورِ الـصُّـمِّ قَـلْبِـي	وَأَرْهَـفُ مِنْ شَـبَـا سَـيْـفِي لِـسَـانِي[١١]
وَلَـوْ كَـانَ الْـغَـرَامُ يَـخَـافُ بَـأْسـاً	أَمَـلْتُ إِلَـيْـهِ كَـفِّـي بِـالـسِّـنَـانِ[١٢]
فَـكَـمْ بَـطَـلٍ خَـضَـبْـتُ الأَرْضَ مِـنْـهُ	بِـأَحْـمَـرَ مِنْ دَمِ التَّـأْمُـورِ قَـانِي[١٣]
وَمَـا أَنَـا بِـالـذَّلِـيـلِ أَرَدْتُ خَـتْـلاً	وَلَـكِـنِّـي أَزِفُّ إِلَـى الـطِّـعَـانِ[١٤]

مترفع . ولا يقرّ : أي لا يقيم ، ولا يسكن . والهوان : المذلة ، والضعف ، والانكسار .

(٧) اتقى الشيء ، وتوقّاه : حذره وتجنّبه . وأخنى عليه الزمان : طال .

(٨) يقول : إن محبوبته متأبّية عليه ، معرضة عنه ، بخيلة بالوصال . وإن الهوى قد نحل جسمه وهزله وأضناه ، وهو مع هذا كله راض قانع به ، مقيم عليه ، متعلق بالأماني والآمال .

(٩) الخلّ : الصديق المختصّ ، ومثله الخليل . ويناصحني : ينصح لي ، وأنصح له ، من المناصحة ، وهي أن ينصح كل منهما لصاحبه .

(١٠) راض الهوى نفسه : دللها ، وطوّعها . وسلس : سهل ، لين ، منقاد . وفرس سلس العنان : أي ذلول ، سهل الانقياد .

(١١) حجر أصمّ : أي صلب . وأرهف : أكثر حدّة . وشباة السيف : طرفه الرقيق الحاد القاطع .

(١٢) يقول : لو كان الحب يخشى القوة والبأس لدفعته بقوة السلاح . ومعنى هذا أن سلطان الغرام أمضى من القنا والسهام .

(١٣) خضب الشيء : غيّر لونه بالخضاب ، وهو ما يختضب به من حناء ونحوه . والتأمور : القلب . وأحمر قانىء : أي شديد الحمرة .

يفتخر بكثرة من قتلهم من أبطال أعدائه ، وخضب الأرض بدماء قلوبهم .

(١٤) الذليل : الضعيف . والختل : الخداع . وزفّ : أسرع . والطعان : الضرب بالرمح وغيره .

وَلِي فِي « سَرْنَسُوفَ » مَقَامُ صِدْقٍ أَقَرَّ بِهِ إِلَيَّ الْخَافِقَانِ[15]

وَمَا أَبْقَتْ بِهِ الأَشْوَاقُ مِنِّي سِوَى رَمَقٍ تَجُولُ بِهِ الأَمَانِي[16]

وَيَسْلُبُ أَنْفُسَ الأَبْطَالِ سَيْفِي وَتَسْلُبُ مُهْجَتِي حَدَقُ الْحِسَانِ[17]

فَلَوْ بَرَزَ الْحِمَامُ إِلَيَّ شَخْصاً دَلَفْتُ إِلَيْهِ بِالسَّيْفِ الْيَمَانِي[18]

وَقَالَ يَرْثِي الْمَرْحُومَ عَلِي رِفَاعَةَ باشا(*) :

نَعَاءِ عَلَيْهِ أَيُّهَا الثَّقَلاَنِ فَقَدْ أَقْصَدَتْهُ أَسْهُمُ الْحَدَثَانِ[1]

مَضَى وَأَقَمْنَا بَعْدَهُ فِي مَأْتَمٍ عَلَى الْفَضْلِ نَبْكِيهِ بِأَحْمَرَ قَانِي[2]

---

(١٥) « سرنسوف » : إقليم بأكرانيا من روسيا ، على أحد روافد نهر « دنيبر » . ومقام صدق : أي مقام قتال ، واستبسال ، .وجهاد صادق . وأقرّ له : اعترف . ويراد بالخافقين هنا : الناس جميعاً من أعداء وأولياء .

(١٦) به : « بسرنسوف » ، أي بهذا المكان ، أو بهذا البلد . والرمق : بقية الروح ، أو بقية الحياة . وتجول : تطوف وتدور في غير استقرار .

يقول : إن أشواقه إلى وطنه برّحتْ به ، واشتدّتْ عليه ، فلم تبق فيه غير بقية قليلة من الحياة تطوف بها آمال العودة ، واجتماع الشمل ، ولقاء الأحبّاء .

(١٧) سلب الشيء : انتزعه قهراً ، وأخذه عنوة وقسراً . والمهجة : القلب . والحدق : جمع الحدقة ، وهي السواد المستدير وسط العين . ويراد بالحدق هنا : العيون . والحسان : جمع الحسناء .

(١٨) برز : خرج وظهر بعد خفاء . وبرز له : انفرد لينازله ويقاتله . والحمام : الموت . ودلفتُ : تقدّمْتُ . واليماني : المنسوب إلى اليمن ، وكانت مشهورة بصناعة السيوف وتجارتها .

(*) عليّ باشا ابن رفاعة الطهطاوي (١٢٦٥ - ١٣٢١هـ / ١٨٤٨ - ١٩٠٣م) كان وكيلاً لوزارة المعارف المصرية ، وتوفي بالقاهرة . ومن مؤلفاته المطبوعة : « قدوة الفرع بأصله ، وحب الوطن وأهله » .

(١) «نعاء فلاناً » : اسم فعل أمر بمعنى انعه ، وأذع خبر وفاته . ولعل مراد الشاعر هنا : ابكيا عليه ، واندباه . والثقلان : الإنس والجانّ . وأقصدته : أصابتْه إصابة مباشرة قاتلة ، من قولهم : أقصد فلاناً إقصاداً ، أي طعنه ، فلم يخطىء مقاتله . والحدثان : الليل والنهار . وحدثان الدهر : نوائبه وحوادثه .

(٢) مضى : ذهب . ومضى فلان لسبيله : مات . وعلى الفضل : أي من أجل فضله وإحسانه . وبأحمر قان : أي بدم أحمر شديد الحمرة .



فَـلَا عَـيْنَ إلَّا وَهْـيَ بِـالـدَّمْـعِ ثَـرَّةٌ وَلَا قَـلْـبَ إلَّا وَهْـوَ ذُو خَـفَـقَـانِ(٣)

حِفَـاظَـاً وَإشْفَـاقَـاً عَـلَى مُتَـرَحِّـلٍ خَلَتْ أَرْبُـعٌ مِنْ شَخْصِـهِ وَمَغَـانِي(٤)

فَقَـدْنَـاهُ فِقْـدَانَ الـظِّمَـاءِ شَـرَابَهُمْ بِـدَيْمُـومَـةٍ وَالْـوِرْدُ لَيْسَ بِـدَانِـي(٥)

فَيَـا لِلْعُلَى كَيْفَ اسْتُبِيـحَ ذِمَـارُهَـا وَلِلْفَضْـلِ إذْ يُـرْمَى بِـهِ الـرَّجَـوَانِ(٦)

لَعَمْرِي لَقَـدْ هَـاجَ الأَسَى بَعْـدَ فَقْـدِهِ بِـنَـا لَـوْعَـةً لَا تَـنْـثَنِـي بِـعِـنَـانِ(٧)

ضَـمَـانٌ عَلَى قَـلْبِي صِـيَـانَـةُ عَهْـدِهِ وَمَـا خَيْـرُ قَلْبٍ لَا يَفِي بِـضَمَـانِ ؟(٨)

تَـخَلَّى عَـنِ الـدُّنْـيَـا وَأَبْـقَى مَـآثِـرَاً يُقِـرُّ لَهَـا بِـالْفَضْـلِ كُـلُّ لِسَـانِ(٩)

فَـإنْ يَـكُ أَوْدَى فَـهْـوَ حَـيٌّ بِـفَـضْـلِهِ وَمَنْ كَـانَ مَـذْكُـوراً فَلَيْسَ بِفَـانِي(١٠)

---

(٣) عين ثرّة بالدمع : أي دمعها غزير كثير .

(٤) حفاظاً : صيانة ومراعاة . ويراد بالحفاظ هنا : شدة التعلق بالمرثيّ ، والحزن على فراقه . وإشفاقاً : عطفاً ، وخوفاً عليه . ومترحّل : مفارق . وخَلَتْ : خَوَتْ . والأربع : الديار ، والمنازل ، جمع ربع . والمغاني : جمع المغنى ، وهو المكان أو المنزل الذي غني به أهله ، أي أقاموا به ، ثم ظعنوا ، وارتحلوا عنه .

(٥) فقدناه : عدمناه ، وخسرناه . والظماء : جمع الظمآن ، وهو الذي اشتدّ عطشه . ويراد بالشراب : الماء . والديمومة : الصحراء الواسعة لا ماء فيها . والورد : الماء الذي يورد . وليس بدان : أي بعيد ، غير قريب .

(٦) يا للعلى : أسلوب استغاثة ، والمستغاث به محذوف ، والتقدير : فيا لله للعلى . واستباحه : عدّه مباحاً غير محظور . والذمار : كل ما ينبغي حمايته وحياطته وحفظه والدفاع عنه . والفضل : الخير والبر والإحسان . والرجا : الناحية . وللبئر رجوان . ورُمِي به الرجوان : أي طُرح في المهالك .

(٧) لا تنثني بعنان : أي لا يردها تصبر ، ولا يخففها سلوان .
يقول : إن الأسى لفقدانه أضرم في القلوب لوعة لا يطفئها تصبر أو سلوان .

(٨) الضمان : الكفالة ، والالتزام . وصيانة العهد : رعايته ، ووقايته ، والمحافظة عليه ، والوفاء به .

(٩) تخلّى عن الدنيا : تركها وفارقها . ومآثر : جمع مأثرة ، وهي الفعل الحميد ، والمكرمة . وأقرّ : اعترف .

(١٠) أودى : هلك ومات . وفان : هالك .

وَأَيُّ امْـرِىءٍ يَبْقَـى وَدُونَ بَقَـائِـهِ نَـهَـارٌ وَلَـيْـلٌ بِـالـرَّدَى يَـفِـدَانِ[١١]

أَلاَ قَـاتَـلَ الـلَّهُ الْـحَـيَـاةَ فَـإِنَّـهَـا إِلَى الْمَـوْتِ أَدْنَى مِنْ فَـمٍ لِبَنَـانِ[١٢]

إِذَا مَـا بَنَانَـا الـدَّهْـرُ ظَلَّتْ صُرُوفُـهُ تُهَـدِّمُنَـا وَالـدَّهْـرُ أَغْـدَرُ بَـانِي[١٣]

تُخَـادِعُنَا الـدُّنْيَـا فَنَلْهُـو وَلَمْ نَخَـلْ بِـأَنَّ الـرَّدَى حَتْمٌ عَلَى الْحَيَـوانِ[١٤]

إِذَا مَـا الأَبُ الأَعْلَى مَضَى لِسَبِيلِهِ فَمَـا لِبَنِيـهِ بِـالْبَقَـاءِ يَـدَانِ[١٥]

لَقَـدْ فَجَعَتْـنَـا أُمُّ دَفْـرٍ وَمَـا دَرَتْ بِـأَرْوَعَ مِنْ نَسْـلِ الـنَّبِيِّ هِجَـانِ[١٦]

سَلِيمُ نَـوَاحِي الصَّـدْرِ لاَ يَسْتَـفِـزُّهُ نِـزَاعٌ إِلَى الْبَغْضَـاءِ وَالـشَّنَـآنِ[١٧]

---

(١١) الردى : الهلاك والموت . ووفد يفد : ورد ، وقدم .
يقول : لا بقاء لإنسان ؛ فإن الليل والنهار لا يفتآن يأتيان بالموت الذي يحول دون البقاء ويمنعه .

(١٢) قاتل الله الحياة : أسلوب تعجّب وتعجيب من قصر الحياة ، وسرعة زوالها ، وقربها من الموت . وأدنى : أقرب . والبنان : أطراف الأصابع ، الواحدة بنانة .

(١٣) يقول : إن الدهر يبني الإنسان ، ولا يلبث أن يسلّط عليه نوائبه وحوادثه ، فيهدّمه تهديماً . وقد جعله أغدر البناة ، وأبعدهم عن الوفاء ، كأن البناء عهد ، والهدم نقض لهذا العهد . فالحياة والموت بنيان وهدم ، وهما متدانيان متقاربان .

(١٤) تخادعنا : تخدعنا . وخدعه : أظهر له خلاف ما يخفيه ، وأضمر له الشرّ ، وأراد به المكروه من حيث لا يعلم . واللهو : ما يشغل الإنسان عما يهمّه ويعنيه . ويعبّر باللهو عن الاستمتاع ، والترويح عن النفس بما لا تقتضيه الحكمة . وخال الشيء : حسبه . والردى : الموت والهلاك . وحتم : مقضيّ ، محتوم . والحيوان : ما فيه الحياة ، وكل ذي روح .

(١٥) يراد بالأب الأعلى : آدم أبو البشر . ومضى لسبيله : مات . واليد : القدرة ، والقوة ، ومثناها يدان . ومالي بهذا الأمر يدان : أي لا قوة لي عليه ، ولا طاقة لي به .

(١٦) فجعته المصيبة : أوجعته ، وآلمته إيلاماً شديداً . وأم دفر : كنية الدنيا . والأروع : الشهم . ومن نسل النبيّ : أي من ذريته وسلالته ، فالمرثي يتصل نسبه بالإمام الحسين بن عليّ بن أبي طالب . ورجل هجان (بكسر الهاء) : كريم الحسب . والهجان من كل شيء : خياره وخالصه .

(١٧) سلامة نواحي الصدر : تمام براءته ونقائه من الأدغال ، والأضغان ، وفساد الباطن . ولا يستفزه : لا يستخفه ، ولا يثيره . ونزاع : ميل . والبغضاء : شدة البغض والكراهية . والشنآن : البغض والكراهية ، مع العداوة وسوء الخلق .

يُعَاشِرُ بِالْحُسْنَى فَإِنْ رِيبَ لَمْ يَفُهْ ... بِسُوءٍ وَلَمْ تَرْمِزْ لَهُ شَفَتَانِ(١٨)

لَقَدْ كَانَ خِلّاً لاَ يُشَانُ بِغَدْرَةٍ ... وَصَاحِبَ غَيْبٍ طَاهِرٍ وَعِيَانِ(١٩)

إِذَا قَالَ كَانَ الْقَوْلُ عُنْوَانَ فِعْلِهِ ... وَيَا رُبَّ قَوْلٍ نَافِذٍ كَسِنَانِ(٢٠)

خِلاَلٌ يَفُوحُ الْمِسْكُ عَنْهَا مُحَدِّثاً ... وَيُثْنِي عَلَى آثَارِهَا الْمَلَوَانِ(٢١)

فَلاَ غَرْوَ أَنْ تَدْمَى الْعُيُونُ أَسَافَةً ... عَلَيْكَ وَيَرْعَى الْحُزْنُ كُلَّ جَنَانِ(٢٢)

فَأَنْتَ ابْنُ مَنْ أَحْيَا الْبِلاَدَ بِعِلْمِهِ ... وَأَبْقَى لَهُ ذِكْراً بِكُلِّ مَكَانِ(٢٣)

---

(١٨) ريب (بالبناء للمجهول) : أصابه من معاشره ما يسوؤه . ورابني فلان ، ورابني منه كذا : إذا رأيت منه ما يريبك ، وتكرهه . ولم يفه : لم ينطق . ورمز إليه ، أومأ وأشار بالشفتين أو غيرهما .

يقول : إنه كان يعاشر الناس بالحسنى ؛ فإن رابه من معاشره شيء لم يتكلم بما أصابه منه ، ولم يشر إليه ؛ لعفّة قلبه ولسانه ؛ فهو من الكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس .

(١٩) الخلّ : الصديق المختصّ ، ومثله الخليل . ولا يشان : لا يعاب . والغدرة : اسم مرة من غدره ، وغدر به : إذا نقض عهده . والغيب : كل ما غاب عنك . والعيان : خلاف الغيب .

(٢٠) كان قول المرثي عنوان فعله : أي كان قوله صادقاً ، مقترناً بفعله . والقول إذا لم يصدقه الفعل كان لوناً من ألوان الكذب ، أو النفاق . أي أن أقوال المؤبّن كلها صادقة مقترنة بأفعاله ، نافذة نفاذ الأسنّة ، بريئة من الإخلاف والتسويف ونحوهما .

(٢١) خلال : خصال ، وشمائل ، وأخلاق . ويفوح: ينتشر . والمسك : ضرب من الطيب . وأثنى عليه : وصفه بخير ، ومدحه . وآثارها : أي آثار الخلال ونتائجها . والملوان : الليل والنهار .

(٢٢) لا غرو : أي لا عجب . وتدمي : يخرج منها الدم ، كناية عن شدة البكاء . والأسافة : الأسف . ويرعى : يبرح ، ويحرق . والجنان : القلب .

(٢٣) الذكر : الصيت . والبيت في تأبين ورثاء رفاعة رافع الطهطاوي (١٢١٦ - ١٢٩٠هـ / ١٨٠١ - ١٨٧٣م) ، عالم مصريّ من أركان نهضة مصر العلمية في العصر الحديث . ولد في طهطا بصعيد مصر . وقصد القاهرة سنة ١٢٢٣هـ فتعلم في الأزهر ، ثم أرسلته الحكومة المصرية إماماً للصلاة والوعظ مع بعثة من الشبان لدراسة العلوم الحديثة في أوروبا ، فتعلم الفرنسية ، وثقف الجغرافية والتاريخ . ولما عاد إلى مصر ولي رياسة الترجمة في المدرسة الطبية ، وأنشأ جريدة الوقائع المصرية ، وألّف وترجم عن الفرنسية كتباً كثيرة .

أَفَـادَ بَنِي الأَوْطَـانِ فَضْـلاً سَمَـوْا بِـهِ ... إِلَى هَضَبَـاتٍ فِي الْعُـلاَ وَقِنَـانِ(٢٤)

وَأَنْتَ ابْنُـهُ وَالْفَـرْعُ يَتْبَـعُ أَصْلَهُ ... وَمَـا مِنْكُـمَـا إِلاَّ جَـوَادُ رِهَـانِ(٢٥)

هُـوَ الأَوَّلُ السَّبَّـاقُ فِي كُـلِّ حَلْبَـةٍ ... وَأَنْتَ لَـهُ دُونَ الْبَـرِيَّـةِ ثَـانِـي(٢٦)

فَيَـا رَحْمَـةَ اللَّهِ اسْتَهِلِّي عَلَيْهِمَـا ... بِسَجْلَيْنِ لِلرِّضْـوَانِ يَنْهَـمِـلاَنِ(٢٧)

وَعُـمِّي قُبُـورَ الْعَـالَمِيـنَ كَـرَامَـةً ... لِقَبْـرَيْـنِ بِـالْبَـطْحَـاءِ يَلْتَقِيَـانِ(٢٨)

عَلَيْـكَ سَـلاَمُ اللَّهِ مِـنِّي تَـحِيَّـةٌ ... يُـوَافِيـكَ فِي خُلْدٍ بِهَـا الْمَلَكَـانِ(٢٩)

وَقَالَ فِي الزُّهْدِ :

---

(٢٤) هضبات : جمع هضبة ، وهي الجبل المنبسط الممتدّ على وجه الأرض . والقنان : جمع القنة ، وهي الجبل المنفرد المرتفع في السماء . وقنة كل شيء : قمّته .

(٢٥) الجواد : النجيب النفيس من الخيل . ويراد بالرهان هنا : الأهداف والجوائز التي يتسابق عليها المتسابقون .

جعله تابعاً لوالده ، متأسّياً به ، مساوياً له في الفضائل والمحامد التي أشار إليها في البيتين السابقين ، ولا غرو ، فإن الفرع يتبع أصله ، والابن يشابه أباه .

(٢٦) الحلبة : مجال الخيل للسباق . يقال : تجاروا في الحلبة . ومن المجاز : فلان يركض في كل حلبة من حلبات المجد : إذا كان سبّاقاً إلى المكرمات ، فائقاً في أعمال المجد والشرف والرفعة والعلاء . والبرية : الخلق والناس .

(٢٧) استهلّي : من استهلّ المطر ونحوه استهلالاً ، أي اشتدّ انصبابه . وعليهما : أي على الولد والوالد . والسجل (بوزن السهم) : الدلو العظيمة الملأى . والمثنى هنا في معنى الجمع ، أي بسجال من الرضوان ، وهو الرضا الكثير . وينهملان : يفيضان على الدوام ، من انهملت السماء : أي دام مطرها في سكون .

(٢٨) عمّ المطر الأرض : شملها . والكرامة : التكريم ، والتعظيم ، والحفاوة ، والإعزاز . والبطحاء : المكان المتسع . ويلتقيان : يجتمعان .

دعا بالرحمة العامة الشاملة لقبور الموتى كلهم تكريماً لقبري المرثيّين .

(٢٩) حيّاه الله تحية : أي جعل له حياة طيبة . وسلام الله وتحيته : رحمته ، وحفاوته ، وإنعامه ، وإحسانه . ويوافيك بها : أي يلقاك بالتحية ، ويحملها إليك . وخلد : دام ، وبقي . ويراد بالخلد هنا : دار الخلد ، أي جنات عدن . ويراد بالملكين : ملائكة الرحمة .

أَيُّ شَيْءٍ يَبْقَى عَلَى الْحَدَثَانِ ؟ وَالْمَنَايَا خَصِيمَةُ الْحَيَوَانِ[1]

قَدْ بَلَوْنَا كَيْدَ الزَّمَانِ وَلٰكِنْ شَغَلَتْنَا عَنْهُ ضُرُوبُ الأَمَانِي[2]

فَلَكٌ لَا يَزَالُ يَجْرِي عَلَى النَّا سِ بِضِدَّيْنِ مِنْ عُلاً وَهَوَانِ[3]

فَهْوَ طَوْراً يَكُونُ كَالْوَالِدِ الْبَرْ رِ وَطَوْراً كَالنَّاقِمِ الْغَضْبَانِ[4]

لَيْسَ يُبْقِي عَلَى وَلِيدٍ وَلَا كَهْ لٍ وَلَا سُوقَةٍ وَلَا سُلْطَانِ[5]

كَيْفَ يَرْجُو الإِنْسَانُ فِيهِ خُلُوداً بَعْدَ مَا قَدْ مَضَى أَبُو الإِنْسَانِ ؟[6]

أَيْنَ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا مُنْذُ دَارَتْ كُرَةُ الأَرْضِ وَهْيَ ذَاتُ دُخَانِ ؟[7]

---

(١) الاستفهام في أول البيت معناه النفي ، أي لا شيء يبقى على الحدثان ، وهما الليل والنهار . وحدثان الدهر : نوائبه وحوادثه . والمنايا : جمع المنية ، وهي الموت . وخصيمة : عدوّة . والحيوان : ما فيه الحياة ، وكل ذي روح .

(٢) بلونا : اختبرنا ، وعرفنا . وكيد الزمان : خديعته . وضروب : صنوف ، وأنواع . والأماني : جمع الأمنيّة ، وهي ما يتمناه الإنسان ، ويبتغيه .

(٣) الفلك : مجرى الكواكب ، ومدار النجوم . ويراد بالفلك هنا : ما يدور على الناس من الأمور والأحوال المختلفة ، كالعلا والهوان ، والغنى والحرمان ، والحياة والموت . . . والعلا : الرفعة ، والعزة . والهوان : المهانة ، والمذلة . والعلا والهوان ضدان : أي مختلفان ، متناقضان ، لا يلتقيان ، ولا يجتمعان .

(٤) هو : أي الفلك . والطور : المرة . والبرّ (بفتح الباء) ، صفة من البرّ (بكسر الباء) ، وهو الفضل ، والخير ، والتوسّع في الإحسان . والناقم : اسم فاعل من نقم الأمر ، أي كرهه أشدّ الكراهية .

(٥) يقول : إن الدهر يأتي على الناس جميعاً ، فلا يبقي على أحد ، ولا يخلد فيه أحد ، كبيراً كان أو صغيراً ، عظيماً كان أو حقيراً .

(٦) الاستفهام في أول البيت معناه النفي ، أي لا سبيل إلى خلود الإنسان ، ولا أمل فيه . وفيه : أي في الزمان ، والمراد في الحياة الدنيا . وأبو الإنسان : آدم عليه السلام .

(٧) « أين » : استفهام عن المكان ، والغرض منه النفي ، أي لا وجود لمن كان قبلنا من الأحياء ؛ فقد فنوا جميعاً ، وأخنى عليهم الدهر . وهي ذات دخان : أي في أول خلقها ، أو في أقدم الأزمنة .

أَمَمٌ أَخْلَدَتْ إِلَى الدَّهْرِ حِيناً ... ثُمَّ ضَاعَتْ فِي لُجَّةِ النِّسْيَانِ(٨)

حَصَدَتْهَا يَدُ الْمَنُونِ فَصَارَتْ ... خَبَراً فِي الْوُجُودِ بَعْدَ عِيَانِ(٩)

فَتَرَسَّمْ مَعَالِمَ الأَرْضِ وَاسْأَلْ ... فَعَسَى أَنْ يُجِيبَكَ الْهَرَمَانِ(١٠)

أَثَرٌ دَلَّ صُنْعُهُ أَنَّ « هُرْمِيـ ... ـسَ » بَنَاهُ مِنْ أَبْدَعِ الْبُنْيَانِ(١١)

خَافَ ضَيْعَ الْعُلُومِ حِينَ أَتَتْهُ ... بَيِّنَاتٌ دَلَّتْ عَلَى الطُّوفَانِ(١٢)

فَبَنَاهُ مِنَ الصُّخُورِ اللَّوَاتِي ... جَلَبَتْهَا الْقُيُونُ مِنْ أُسْوَانِ(١٣)

طَبَقَاتٌ فِي جَوْفِهَا حُجُرَاتٌ ... ضُمِّنَتْ كُلَّ حِكْمَةٍ وَبَيَانِ(١٤)

---

(٨) أخلدتْ إلى الدهر : أطمأنتْ إليه ، وسكنتْ . واللجّة : معظم البحر ، وتردّد أمواجه .

(٩) حصدتْها : أهلكتْها ، واستأصلتْها . وعيان : معاينة ومشاهدة .

(١٠) ترسّم : انظر ، وتأمّل . ومعالم الأرض : علاماتها وآثارها ، ويراد بها : ما بقي من آثار الأقدمين ، وشواهد حياتهم وتاريخهم ، الواحد معلم ، وهو الأثر يستدلّ به على الطريق . والهرمان : بناءان عظيمان ، يعدّان من عجائب الدنيا ، على مقربة من مدينة الجيزة ، في جنوبها الغربيّ ، أولهما هرم « خوفو » ، وهو أضخم الأهرام ، وأعلاها . والثاني هرم « خفرع » .

(١١) أثر الشيء : بقيّته ، ويراد به هنا : الأهرام . و« هرميس » ـ فيما يزعم الرواة الأقدمون ـ : أول من بنى الهياكل ، وتكلم في الأشياء العلوية ، ونظر في الطب والحكمة . عاش قبل الطوفان ، وكان مسكنه صعيد مصر . وبناه أبدع بنيان : أي أعظمه ، وأجوده .

(١٢) الضيع : الضياع والفقدان . وبيّنات : جمع بيّنة ، وهي الحجة والدليل ، والشاهد ، والبرهان . والطوفان : الفيضان العظيم الذي أهلك قوم نوح .

يقول : إن « هرميس » جاءته شواهد دلته على الطوفان قبل أن يقع ؛ فخاف أن تضيع العلوم ، وتتلف صحائفها في لجج الماء ؛ فبنى الأهرام لحفظها وصيانتها وتخليدها .

(١٣) « بناه » : أي بنى الأثر ، أي الأهرام . والقيون : جمع قين (بوزن عين وعيون) ، وهو في الأصل الحدّاد ، ثم أطلق على كل صانع كيفما كانت صناعته . و« أسوان » : مدينة قديمة ، فرعونية الإسم ، فيها أغنى محاجر الجرانيت التي ارتادها المصريون في مختلف العصور ؛ للبحث عن أجود أنواع الصخر اللازم لمبانيهم . ومن معالمها الحديثة : سدّ أسوان ، أو السدّ العالي الذي شرع في إقامته سنة ١٩٦٠ ، وهي حاضرة محافظة أسوان .

(١٤) يقول : إن الصخور التي بنيتْ بها الأهرام طبقات بعضها فوق بعض . وفي جوف الهرم حجرات احتوتْ على ما أنتجه حكماء ذلك الزمان وأدباؤه من الحكم ، والعلوم ، والآداب .

بَقِيَتْ بَعْدَ صَانِعِيهَا فَكَانَتْ	أَثَراً نَاطِقاً بِغَيْرِ لِسَانِ[١٥]
سَوْفَ تَبْلَى مِنْ بَعْدِ حِينٍ وَيُمْحَى	ذِكْرُ « هُرْمِيس » مِنْ سِجِلِّ الزَّمَانِ[١٦]
إِنَّمَا هٰذِهِ الْحَيَاةُ غُرُورٌ	تَنْقَضِي بِالشَّقَاءِ وَالْحِرْمَانِ[١٧]
لَيْسَ فِيهَا سِوَى خَيَالاَتِ وَهْمٍ	تَمْتَرِيهَا قَرَائِحُ الأَذْهَانِ[١٨]
خَطَرَاتٌ قَدْ ضَمَّنُوهَا كَلاَماً	فَلْسَفِيّاً لَمْ يَقْتَرِنْ بِمَعَانِي[١٩]
كُلُّ حَيٍّ يَظُنُّ أَمْراً وَلٰكِنْ	أَيْنَ مِنْهُ مَحَجَّةُ الْبُرْهَانِ ؟[٢٠]
قَدْ عَرَفْنَا مَا كَانَ مِنَّا قَرِيباً	وَجَهِلْنَا مَا لاَ تَرَى الْعَيْنَانِ[٢١]

---

(١٥) معنى هذا البيت : أن بناة الأهرام فنوا وبادوا ، وبقيتْ الأهرام أثراً بعدهم يشهد لهم بالعظمة والمجد والسلطان .

(١٦) المعنى : أن الأهرام ، أو الآثار التي تركها قدماء المصريين وأمثالهم مصيرها إلى البلى والزوال . وسوف يأتي النسيان على تاريخ أصحابها ؛ فلا يبقى لهم ذكر في كتاب الزمان .

(١٧) غرور : خداع . والغُرور أيضاً : ما يغترّ به الإنسان من متاع الدنيا وزخرفها . والغَرور (بفتح الغين) : الدنيا . والغُرور (بضم الغين) : الأباطيل . وتنقضي : تنتهي وتختتم .

(١٨) خيالات : جمع خيالة (بوزن سحابة) ، وهي الطيف ، وما تشبّه لك . ووهمت الشيء ، وتوهّمته : وقع في خلدي ، ودار في بالي ؛ فالوهم من خطرات القلب ، وجمعه أوهام . وتمتريها : تستخرجها ، وتظهرها . والقرائح : جمع القريحة . وقريحة الإنسان : طبيعته . والأذهان : جمع ذهن ، وهو الفهم ، والعقل . ويراد بقرائح الأذهان : ما تسارع الأفهام والعقول إلى إدراكه من أول وهلة قبل التدبير ، والنظر ، والتعمق في التفكير ؛ وهو شأن الأوهام والخيالات التي تستهوي الإنسان وتخدعه .

(١٩) خطرات : خيالات وأوهام ، جمع خطرة : اسم مرة من خطر الشيء بباله ، أي مرّ به ، ولاح في فكره . وضمّنوها : أودعوها . والكلام الفلسفيّ هنا : الكلام المعقّد الذي لا يحمل معنى واضحاً سديداً ، ولا فكرة قيّمة صائبة ، ولا يهدي إلى رشاد .

(٢٠) المعنى : أن كل واحد من هؤلاء المتفلسفين يبني أموره ، أو كلامه الفلسفيّ على الظن والتخمين ، لا على الحق واليقين .

(٢١) معنى هذا البيت : أن القريب منا معروف لنا ، ظاهر مستيقن . وما لا يقع تحت حواسنا مجهول غير معلوم ؛ فلا ينبغي أن نقيم عليه كلاماً فلسفيّاً ، لا معنى له ، ولا غناء فيه .

فَـدَعِ الْقَـوْلَ فِي التَّفَلْسُفِ وَاخْـضَـعْ   لِجَـلاَلِ الْمُهَيْـمِنِ الـدَّيَّـانِ(٢٢)
أَنَـا يَـا دَهْـرُ عَـالِـمٌ بِـمَـصِـيـرِي   فِيـكَ لَكِنَّنِي جَمُـوحُ الْعِنَـانِ(٢٣)
قَـدْ تَـمَـادَيْتُ فِي الْـغَـوَايَـةِ حَتَّى   كَبَـحَ الـدَّهْـرُ شِـرَّتِي وَثَـنَـانِي(٢٤)

وَقَالَ يَصِفُ لَيْلَةَ أُنْسٍ :

لاَعَـبَ الـسُّـكْـرُ قَـدَّهُ فَـتَـثَـنَّـى   وَدَعَـاهُ فَـرْطُ الـسُّـرُورِ فَـغَـنَّـى(١)
رَشَـأٌ تَـعْـبُـدُ الـنَّـوَاظِـرُ مِـنْـهُ   وَاحِـداً فِي الْجَـمَـالِ لَيْسَ يُثَنَّى(٢)
أَنْبَتَ الْـحُـسْـنُ فَـوْقَ خَـدَّيْـهِ وَرْداً   لَـيْسَ إِلَّا بِـغَـمْـزَةِ الـلَّحْظِ يُـجْـنَى(٣)
لَـمْ يَـزَلْ يَـرْضَـعُ السُّـلاَفَـةَ حَتَّى   غَـابَ عَـنَّـا كَـأَنَّـهُ لَـيْسَ مِـنَّـا(٤)

---

(٢٢) دع : اترك ، واجتنب . ويراد بالتفلسف هنا : الفلسفة بالمعنى الذي يستهجنه الشاعر ويمقته ، وهو التعمية ، والتعقيد ، والتشكيك ، وصرف الأذهان عن الجادّة الواضحة . والمهيمن : الرقيب على كل شيء ، والمسيطر عليه . والديان : الحاكم والجازي بالخير والشر .
نهى عن الأقوال الفلسفية المضللة المحيّرة ، وأمر ، وأرشد إلى الحقيقة الكبرى ، وهي الإيمان بالله الواحد القهّار ، المهيمن الديّان ، والخضوع لجلاله وسلطانه .
(٢٣) جموح العنان : صعب الانقياد .
(٢٤) تمادى في الغيّ : دام على الضلال ولم يقلع عنه . وكبح الفرس ونحوه : جذب رأسه إليه بالعنان أو اللجام وهو راكب ، لكي يقف ، ولا يجري . والشرّة (بكسر الشين) : الحدّة ، والمعصية . وثناه عن كذا : صرفه عنه ، ومنعه منه .
(١) قدّه : أي قدّ الفتاة ، أو المرأة التي يتغزّل بها . والقدّ : القوام ، وهو حسن الطول ، واعتدال القامة . وتثنى في مشيته : انعطف ، وتمايل . وفرط السرور : شدّته وزيادته .
(٢) الرشأ : ولد الظبية ، وتشبّه به الحسناء من النساء في جمال الجيد والعينين ، والرشاقة . والنواظر : العيون . ويراد بالعبادة : الافتتان ، والإعجاب . وثنّاه تثنية : جعله اثنين .
(٣) يتغزل بجمال خدّيها ، ويقول : إن هذا الجمال ورد أنبته الحسن . وإنما يجنى بلحظات العيون وغمزاتها . يريد أن العاشق يستمتع بالنظر إلى وجهها ، ووجناتها .
(٤) السلافة : أفضل الخمر ، وأجودها . ويرضعها : يحتسيها .

فَـأَنْـمَـنَـاهُ فَـوْقَ مَـهْـدٍ وَثِـيـرٍ   بُـرْهَـةً كَـيْ يُفِيقَ ثُـمَّ انْصَـرَفْـنَـا(٥)

فَـلَبِـثْـنَـا هُـنَـيْـهَـةً ثُـمَّ لَـمَّـا   خَـفَّ مِـنْ سُـكْـرِهِ وَأَقْـبَـلَ قُـمْـنَـا(٦)

وَأَدَرْنَـا الْـكُـؤُوسَ حَـتَّـى تَـوَلَّـتْ   أَنْـجُمُ الـلَّيْـلِ مِـنْ أُحَـادَ وَمَـثْنَى(٧)

يَـا لَـهَـا لَـيْلَةً أَبَـحْـنَـا بِـهَـا الـلَّهْـ   ـوَ إِلَـى وَرْدَةِ الْـغَـدَاةِ وَتُـبْـنَـا(٨)

وَقَالَ في مُدَارَاة الصَّدِيقِ :

دَارِ الـصَّـدِيـقَ وَلَا تَـأْمَـنْ بَـوَادِرَهُ   فَـرُبَّـمَا عَـادَ بَعْـدَ الصِّـدْقِ خَـوَّانَـا(١)

يُفْضِي بِسِـرِّكَ أَوْ يَـسْعَـى بِـأَمْـرِكَ أَوْ   يَقُـولُ عَنْـكَ حَـدِيثَ السُّـوءِ بُهْتَـانَـا(٢)

فَـإِنْ تَنَصَّلْتَ قَـالُـوا فِيـكَ مَعْـرِفَـةً   تَنْفِي المِـرَاءَ مَعَ الْـوُدِّ الَّـذِي كَـانَـا(٣)

وَأَكْـثَـرُ الْخَـلْقِ مَـطْبُـوعٌ عَـلَى ظِـنَـنٍ   تَقْضِي عَلَيْـهِ بِلَبْسِ الْحَقِّ أَحْيَـانَـا(٤)

---

(٥) المهد : الفراش ، أو السرير . ووثير : مريح . والبرهة : المدة ، والزمن طال أو قصر . وأفاق السكران : صحا ، وعاد إليه وعيه .

(٦) لبثنا : مكثنا وانتظرنا . وهنيهة : قليلاً من الزمان . وخفّ من سكره : صحا من نشوته ، وأفاق من غفوته .

(٧) تولّت النجوم : كناية عن إدبار الليل وانقضائه . و« من » : بيانية . وتولّتْ أحاد : أي أفَلَتْ واحداً واحداً . وغابت مثنى : أي غابتْ اثنين اثنين .

(٨) اللهو : كل ما استمتعت به ، وألهاك عما يهمّك ويعنيك ، وخالف الجدّ والحكمة . والغداة : أول النهار ، بين الفجر وطلوع الشمس . ووردة الغداة : حمرتها . وتبنا (بالتاء) : من التوب أو التوبة ، ترك الذنب لقبحه ، والندم على ما فرط منه ، وعقد العزم على عدم العودة إليه .

(١) داره: أي لاطفه ولاينه . والبوادر : جمع البادرة ، وهي الغضبة السريعة ، وما يبدو من المرء عند حدّته وغضبه من خطإ أو سقط . وخوّان : صيغة مبالغة ، أي كثير الخيانة .

(٢) أفضى بالسرّ : باح به . وسعى بأمره : نمّ عليه ، ووشى به . والبهتان : الباطل والكذب .

(٣) تنصّلتَ : تبرّأت . والمراء : الاعتراض ، والشكّ .

(٤) طبع على كذا (بالبناء للمجهول) : اعتاده ونشأ عليه . والظنن : جمع ظنة (بوزن ملة وملل)، وهي التهمة (بضم ففتح). يريد أن أكثر الناس قد اعتادوا سماع الاتهامات ، وتصديقها ، وترويجها بلا تمحيص ، أو تثبّت . وتقضي عليه : تفرض عليه ، وتحكم ، أي على أكثر الخَلْق . ولبس الحق : إخفاؤه ، وخلطه بالباطل .



وَقَــلَّ فِي النَّـاسِ مَنْ جَــرَّبْتُــهُ فَــرَأى ... بَيْنَ الْحَقِيقَــةِ وَالْبُهْتَــانِ فُــرْقَــانَــا[٥]

وَقَالَ فِي لُزُومِ الاحْتِرَاسِ مِنَ الْعَدُوِّ :

لَا تَـخْشَ بُـؤْسَــاً مِــنْ عَــدُوٍّ ظَــاهِــرٍ ... وَاخْشَ الْمَكِيــدَةَ مِنْ عَــدُوٍّ بَــاطِــنِ[١]

كَـم بَـيْــنَ شَــرٍّ ظَــاهِــرٍ مُـسْـتَــدْرَكٍ ... مِنْــهُ الْخَــلَاصُ وَبَيْنَ شَــرٍّ بَــاطِــنِ[٢]

وَقَالَ يُعَاتِبُ :

قَـدْ عَــاقَنِي الشَّــكُّ فِي أَمْــرٍ أَضَعْتُ لَــهُ ... عَــزِيمَــةَ الــرَّأْيِ حَتَّى ضَــاقَ كِتْمَــانِي[١]

أَوْلَـيْتَـنِــي مِـنْــكَ وُدّاً قَــبْــلَ مَـعْــرِفَــةٍ ... ثُــمَّ انْثَـنَيْـتَ بِـصَــدٍّ قَـبْــلَ إِعْــلَانِ[٢]

فَـسَــرَّنِي مِـنْــكَ مَــا قَــدَّمْتَ مُـبْـتَــدَأً ... وَسَــاءَنِي مِنْكَ مَــا أَخَّــرْتَ فِي الثَّــانِي[٣]

---

(٥) الفرقان : مصدر فرق بين الشيئين ، أي فصل بينهما ، وماز أحدهما من الآخر .
يقول : إن التجربة أثبتت أن قلّتهم القليلة هم الذين يفرقون بين الحقّ والباطل ، ويميزون الخبيث من الطيب .

(١) البؤس : الأذى ، والضرّ . والمكيدة : المكر السيء . وعدوّ باطن : أي عدوّ عداوته باطنة خفيّة غير ظاهرة .

(٢) استدرك الشر بالخلاص: أي حاول التخلّص منه، واتّقاه. وشرّ باطن: شرّ خفيّ، مستور، غير ظاهر.
يقول : إن الفرق كبير ، والبون شاسع بين الشرّ العلنيّ الظاهر ، والشرّ الخفيّ الباطن ؛ فإن الأول يمكن التخلّص منه ، واتقاؤه ، والثاني يصعب استدراكه ، ودفعه ، وتوقّيه .

(١) عاقه : منعه ، وشغله ، وصرفه . ويراد بعزيمة الرأي : قوّة التفكير والتدبير .

(٢) أوليتني : أعطيتني ، ومنحتني . والودّ : المودّة والمحبّة . وقبل معرفة : أي قبل أن تعرفني ، أو قبل أن نتعارف . يريد أن المعاتب سارع إلى الودّ في أول التلاقي والتعارف . وانثنى بالصدّ : ارتدّ ، وانصرف بالصدود والإعراض . وقبل إعلان : أي قبل إظهار الصدود ، والتمهيد له ، وكشف أسبابه .

(٣) يقول : إنه سرّه وأفرحه ما قدّمه المعاتب ، وبدأ به من الوداد والإقبال ، ثم ساءه وحزنه ما أخّره ، وثنّى به من الإعراض والقطيعة .



فَـإِنْ يَكُنْ سُوءُ رَأْيٍ أَوْ مَـلَالُ هَـوىً ... فَـإِنَّ كِلْتَيْهِمَـا فِي الْقُبْـحِ سِيَّـانِ[٤]

فَـاكْشِفْ لَنـا عَنْ قِنَـاعِ الشَّـكِّ نَحْيَ بِـهِ ... إِمَّـا وِصَـالاً وَإِمَّـا مَحْضَ هِجْـرَانِ[٥]

وَقَالَ :

أَوَّلُ الـنَّـفْسِ نُـطْفَـةٌ أَخْـلَصَـتْـهَـا ... شَـهْـوَةٌ صَـاغَـهَـا مِـزَاجٌ دَفِـيـنُ[١]

قَـذَفَـتْـهَـا إِلَـى الْـبُـطُونِ ظُـهُـورُ ... وَحَـوَتْـهَـا بَعْـدَ الـظُّـهُـورِ بُـطُونُ[٢]

ثُـمَّ أَرْسَـى بِـهَـا هُـبُـوطٌ يَـلِـيـهِ ... حَـرَكَـاتٌ مِنْ بَعْـدِهِـنَّ سُكُـونُ[٣]

فَهْيَ طَـوْراً تَـكُـونُ فِي عَـالَـمِ الْغَيْـ ... ـبِ وَطَـوْراً فِي مِثْـلِ ذَاكَ تَـكُـونُ[٤]

مُـبْـتَـدَاهَـا وَمُـنْـتَـهَـاهَـا سَـوَاءُ ... وَهْـيَ مَـا بَـيْـنَ ذَاكَ حَـيٌّ مَـهِـيـنُ[٥]

---

(٤) قدّر الشاعر أن المعاتب صدّ عنـه وأعرض لأنه مل صحبته ووداده ، أو لأن رأيه فيه ساء ، وقبح . وقال : إن هذين الأمرين كليهما متساويان متماثلان في القبح والرداءة .

(٥) في هذا البيت دعاه إلى التصريح بالحقيقة ، وإزالة هذا الشكّ الذي يحجبها ويغطّيها ، وخيّره بين صريح الوصال ، ومحض الهجران ؛ ففي التصريح المطلوب راحة وحياة للشاعر ، أو لهما جميعاً .

(١) يقول : خلق الإنسان في أول أطوار خلقه من نطفة ، أخرجتْها ـ خالصة متميّزة ـ شهوة قويّة ، بعثها وأثارها طبع ، أو استعداد قويّ طبيعيّ ، مركوز في الأعماق .

(٢) في هذا البيت إشارة إلى الطور الثاني من أطوار خلقه ؛ فإن الشهوة لما أخرجتْ النطفة من أصلاب الرجال رمتها بسرعة وقوة في أرحام النساء ، فاحتوتْها ، ويسّرت لها التمكّن والاستقرار .

(٣) لعلّه يشير بهذا البيت إلى هبوط الطفل من رحم أمّه ، ورسوّه على الأرض إذا ولد . ويلي هذا ، ويتصل به حركات حياته في الدنيا ، ثم سكون الموت .

(٤) هي : أي النطفة . والطور : المرة ، والتارة . وعالم الغيب : كلّ ما غاب عن الإنسان، ويقابله عالم الشهادة .

في هذا البيت أشار إلى طورين متشابهين متماثلين من أطواره؛ فهو حينما كان في رحم أمّه كان في عالم الغيب، وحينما يموت ينتقل إلى عالم غائب عنا كذلك.

(٥) مبتداها : مبتدأ النطفة ، أي نشأتها الأولى . والمنتهى : الغاية والنهاية . وسواء : متساويان ، متشابهان ، متماثلان . و « ذاك » : إشارة إلى المبتدأ والمنتهى .

فَـعَـلَامَ الْـبُـكَـاءُ فِـي إِثْـرِ دَارٍ بِـالـرَّزَايَـا فِنَـاؤُهَـا مَشْـحُـونُ ؟[٦]

تَتَفَـانَـى الـرِّجَـالُ حِـرْصَـاً عَلَيْـهَـا وَهْـوَ حِـرْصٌ أَدَّى إِلَيْـهِ الْجُنُـونُ[٧]

حَـارَ فِيهَـا « أَرِسْـطَطَالِيسُ » قِـدْمـاً وَنَعَـاهَـا الْحَكِيـمُ « أَفْـلَاطُـونُ »[٨]

وَقَالَ :

ومَـلْمَـسِ عِـفَّـةٍ قَـدْ نِـلْتُ مِـنْـهُ بِـأَيْـدِي اللَّهْـوِ مَـا شَـاءَ التَّمَنِّي[١]

مَـلَكْـتُ بِـهِ عِنَـانَ الـشَّـوْقِ حَـتَّـى قَـضَـيْـتُ لُـبَـانَـتِي وَأَرَحْـتُ ظَـنِّـي[٢]

---

(٦) الاستفهام هنا للإنكار ؛ فالشاعر ينكر على الباكين بكاءهم ، ويستهجنه ، ويزدريه . وجاء في إثره : أي في عقبه . ويراد بالدار : الدنيا . والرزايا : المصائب ، الواحدة رزية ، ورزيئة . وفناء الدار : ساحتها . ومشحون : مملوء .

(٧) تتفانى الرجال : يفني بعضهم بعضاً . وربما أريد بالتفاني هنا : التهافت ، والتكالب ، والحرص الممقوت .

(٨) حار : تحيّر ، ولم يهتد للصواب . و « أرسطوطاليس » أو « أرسطو » (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق.م) : فيلسوف يوناني . وقدما (بكسر فسكون) : أي في الزمان القديم . ونعى الناعي الميت (من باب سعى) : أذاع خبر موته . ويراد بالنعي هنا : إذاعة هوان الدنيا وتفاهتها ، وحقارة شأنها . والحكيم : الفيلسوف ، وذو الحكمة : و« أفلاطون » (٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق.م) : فيلسوف يوناني شهير ، تلميذ « سقراط » ، ومعلّم « أرسطوطاليس » .

(١) ملمس العفّة : ما يحرم على كلّ من الرجل والمرأة أن يلمسه من صاحبه بمقتضى العفّة وحكمها . وجسم المرأة كلّه ملمس عفّة . ونلتُ : أخذتُ ، وأصبتُ . واللهو : ما لهوتَ به ، وشغلك ، أو استمتعتَ به .

والمعنى : أنه انساق مع اللهو والمجانة والغواية حتى ظفر بما أراده وتمنّاه من المتعة المحرّمة ؛ فلمس ما تحرِّم العفّة لمسه من جسم المرأة التي جالسها .

(٢) به : أي باللهو ، أو بما نلته من ملمس العفّة . والعنان : المقود . وملك عنان الشوق : أي سيطر عليه ، وتمكّن منه . والإنسان يغلب الشوق ، ويملك عنانه : إذا قضى وطره ، وبلغ أمنيّته ، ونال ما كان يشتاقه ، ويتوق إليه . واللبانة : الحاجة . ويراد بالظن هنا : القلب ، والبال .

فَــلاَ تَــسْــأَلْ عَــلَــى مَــا كَــانَ مِــنْــهُ ... وَلاَ تَــسْــأَلْ عَــلَــى مَــا كَــانَ مِــنِّــي[٣]

فَــلَوْلاَ أَنَّ جُــنْــدَ الــصُّــبْــحِ وَافَــتْ ... طَــلاَئِــعُــهُ وَزَالَ الــلَّــيْــلُ عَــنِّــي[٤]

لَــدُمْــتُ عَــلَــى مُــعَــاقَــرَةِ الأَمَــانِــي ... وَلٰــكِــنْ رُبَّــمَــا عَــاوَدْتُ فَــنِّــي[٥]

وَقَالَ يَتَشَوَّقُ إِلَى إِلْفٍ لَهُ :

يَــا رَاحِــلاً غَــابَ صَبْــرِي بَعْــدَ فُــرْقَتِــهِ ... وَأَصْبَحَتْ أَسْهُمُ الأَشْــوَاقِ تُصْمِيــنِي[١]

إِنْ كَــانَ يُــرْضِيــكَ مَــا أَلْقَــاهُ مِنْ كَمَــدٍ ... فِي الْحُبِّ مُذْ غِبْتَ عَنِّي فَهْوَ يُرْضِينِي[٢]

لَــمْ أَلْقَ بَــعْــدَكَ يَــوْمــاً أَسْتَبِــينُ بِــهِ ... وَجْــهَ الْــمَسَــرَّةِ إِلاَّ ظَــلَّ يُــبْكِــينِي[٣]

قَــدْ كُنْتُ لاَ أَكْتَفِي بِــالشَّمْــلِ مُجْتَمِعَــاً ... فَــالْيَــوْمَ نَــظْرَةُ عَيْنٍ مِنْــكَ تَكْفِينِي[٤]

وَقَالَ :

إِنَّ لِــي صَــاحِــبَــاً وَلاَ بُــدَّ مِــنْــهُ ... قَــلَّ صَبْــرِي بِــهِ وَزَادَتْ شُجُــونِــي

أَحْــمَــقٌ لاَ يَــكَــادُ يَــفْــقَــهُ قَــوْلاً ... مِنْ حَــدِيثٍ وَالْحُمْقُ نِصْفُ الْجُنُــونُ

---

(٣) نهى عن السؤال عما كان منها ، وعما كان منه ، قاصداً بالنهي التشويق . أي لو سألت لعرفتَ أن المتعة كانت تامة موفورة .

(٤) وافتنا طلائع جند الصبح : أي فاجأتنا تباشير الصباح ؛ فكادت تكشف المستور من أمرنا .

(٥) معاقرة الأماني : استدامة ما كنا نباشره من المتع واللذات . والأماني : جمع الأمنيّة ، وهي ما تتمناه ، وترغب فيه . وعاودتُ الشيء : رجعت اليه بعد الانصراف عنه . والفن : الحال ، ويراد به هنا : ما انحرف إليه الشاعر من ضروب المتع واللذات التي أشار إليها .

(١) راحل : اسم فاعل من الرحيل ، وهو الانتقال ، والمضيّ . والفرقة : الافتراق . وأصماه يصميه : رماه ، فأصابه ـ وهو يراه ـ إصابة قاتلة .

(٢) الكمد : تغيّر اللون ، وذهاب صفائه ، والحزن الشديد . وكمد الحبّ : ما يقاسيه المحبّ من الضنى .

(٣) استبانه يستبينه : تبيّنه ، وعرفه . والمسرة : السرور والفرح .

(٤) اجتماع الشمل : اجتماع الأمر ، ويقصد اجتماعه بها .

وَقَالَ :

إِذَا أَتَـاكَ خَـلِيـلٌ بَـعْـدَ مَـنْـدَمَـةٍ ... مِنْـهُ عَلَى مَـا مَضَى مِنْ زَلَّـةٍ فَهُـنِ(١)

وَإِنْ صَفَحْـتَ فَـلاَ تَعْـرِضْ بِـمَعْـتَبَـةٍ ... فَـالْعَتْبُ يُفْسِـدُ مَـا قَـدَّمْتَ مِنْ حَسَنِ(٢)

وَقَالَ :

أَحْـبِبْ وَأَبْـغِضْ وَقُـلْ بِـحَـقٍّ ... وَلاَ تُـسَـاهِـلْ وَلاَ تُـخَـاشِـنْ(١)

فَـالْحُبُّ يُعْمِـي عَنِ الْـمَسَـاوِي ... وَالْبُغْضُ يُعْمِـي عَنِ الْـمَحَـاسِـنْ

وَقَالَ :

لاَ تَـعْكُـفَنَّ عَـلَى الْمُـدَامِ بَـغَيْـرِ مَـا ... صَـوْتٍ يَهِيـجُ بِلَحْنِـهِ النَّـدْمَـانَـا(١)

إِنَّ الْغِنَـاءَ سَـرِيـرَةٌ فِـي النَّـفْسِ قَـدْ ... ضَـاقَتْ بِهَـا فَتَفَـجَّـرَتْ أَلْحَـانَـا(٢)

---

(١) المعنى : إذا بدرتْ من صديقك بادرة ، أو رأيت منه ما يسوؤك، ثم جاءك نادماً معتذراً ، فتقبّل معذرته .

(٢) يقول : إذا صفحتَ عن زلّة هذا الصديق فلا تعاتبه ؛ إذ العتاب يفسد الصفح ، ويكدّر الصفو .

(١) دعا إلى الاعتدال ، والتوسّط في الحبّ والبغض ، وفي الأقوال والأعمال . ونهى عن التطرّف في المساهلة والمخاشنة ، وتجاوز القصد والرشد . وخير الأمور أوساطها .

(١) عكف على الشيء : أقبل عليه . والمدام : الخمر . وهاجه : أثاره ، وشجنه . ولحن الصوت : نغمه ، وموسيقاه . والندمان (بوزن السكران) : من ينادمك ، أي يجالسك على الشراب .

يدعو إلى الجمع بين إدمان الخمر والاستمتاع بسماع الغناء ؛ فإن الغناء يطرب الندماء ، ويكمل متعتهم .

(٢) سريرة : سرّ مكتوم في النفس . وتفجّر الماء ونحوه تفجّراً : انفجر ، وانبثق . والألحان : الأغاني ، جمع لحن ، وهو الأغنيّة ، والصوت الموسيقيّ .

والمعنى : أن الأغاني في أصلها ، أو في حقيقتها سرائر وعواطف مكتومة تختلج في الصدور ، فإذا ضاقت بها ، ولم تستطع كتمانها تفجّرتْ ألحاناً وأنغاماً .

وَقَالَ :

خَفِّضْ عَلَيْكَ وَلَا تَجْزَعْ لِنَائِبَةٍ فَالدَّهْرُ يَعْتَرُّ بِالإِنْسَانِ أَحْيَانَا[1]

فَكُلُّ نَاءٍ قَرِيبٌ إِنْ صَبَرْتَ لَهُ وَكُلُّ صَعْبٍ إِذَا قَاوَمْتَهُ هَانَا[2]

وَقَالَ فِي النَّمَّامِ :

لَا تَرْكَنَنَّ إِلَى النَّمَّامِ إِنَّ لَهُ خَدْعاً يُفَرِّقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْبَدَنِ[1]

لَوْ لَمْ تَكُنْ قِصَّةُ النَّمَّامِ كَاذِبَةً مَا كَانَ يَسْتُرُهَا عَنْ مَعْرِضِ الْعَلَنِ[2]

وَقَالَ :

وَذِي وَجْهَيْنِ تَلْقَاهُ طَلِيقاً مُحَيَّاهُ وَبَاطِنُهُ حَزِينُ[1]

يُعَاطِيكَ الْمُنَى بِلَحَاظِ رِيمٍ وَبَيْنَ ضُلُوعِهِ ضَبٌّ كَمِينُ[2]

---

(١) خفّض عليك : أي هوّن الأمر على نفسك ، وسهّله . ولا تجزع : نهي عن الجزع ، وهو نقيض الصبر . والجزع أبلغ من الحزن ، وأشدّ ، وأخصّ ؛ فإنه حزن يصرف الإنسان عما هو بصدده ، ويقطعه عنه . والنائبة : النازلة ، والكارثة ، والمصيبة . والدهر يعترّ بالإنسان : أي يعترض له بالأذى والسوء . والمعنى على هذا : أنك إذا هوّنت الأمر على نفسك ، وتجلّدت لنوائب الدهر، خدعته بهذا التجلّد، فلم يتماد في الحملة عليك، والإساءة إليك.

(٢) ناء : بعيد . وصبرت له : صبرت عليه ، وتجلّدت له . وقاومته : كافحته ، وجالدته . وفي المقاومة معنى المصابرة . وهان : سهل ، وخفّ ، ولان .

(١) ركن إليه : مال إليه ، وسكن ، واطمأنّ . والنمام : صيغة مبالغة من نمّ الكلام ، أي زيّنه بالكذب ، وسعى به للفتنة والإفساد ، وإغراء العداوة بين الناس . وخدعه خدعاً : إذا أظهر له خلاف ما يخفيه ، وأراد به المكروه من حيث لا يعلم . والتفرقة بين الروح والبدن : كناية عن التفرقة بين المتحابين ، أو المتعاونين على الخير والحياة .

(٢) قصة النمام : حديثه وكلامه ، وما يلفّقه من الأقوال ، وما ينقله من الأخبار . ومعرض الشيء : موضع عرضه وإظهاره . والعلن : أي الظهور .

(١) رجل ذو وجهين : أي ظاهره يخالف باطنه ويناقضه . والمحيّا : الوجه . وطليق : ضاحك ، بسّام ، من الطلاقة ، وهي البشاشة .

(٢) يعاطيك : يناولك ، ويعطيك . والمنى : الأماني والآمال . واللحاظ : النظرات . والرئم :

وَقَالَ يَهْجُو :

حَوَيْتَ مِنَ السَّوْءَاتِ مَا لَوْ طَرَحْتَهُ عَلَى الشَّمْسِ لَمْ تَطْلُعْ بِكُلِّ مَكَانِ
وَمَا تَرَكَ الْهَاجُونَ فِيكَ بَقِيَّةً يَدُورُ عَلَيْهَا فِي الْهِجَاءِ لِسَانِي

وَقَالَ :

إِذَا مَا الْمَرْءُ أَعْقَبَ ثُمَّ أَوْدَى تَعَادَلَ فَهْوَ مَوْجُودٌ وَفَانِي[1]
وَمَا الدُّنْيَا سِوَى أَخْذٍ وَرَدٍّ وَهَدْمٍ نَابَ عَنْهُ بِنَاءُ بَانِي[2]

وَقَالَ :

كَتَمْتُ هَوَاكِ حَتَّى لَيْسَ يَدْرِي لِسَانِي مَا تَضَمَّنَهُ جَنَانِي[1]
وَلِي بَيْنَ الْجَوَانِحِ مِنْكِ سِرٌّ خَفِيٌّ لاَ يَعِيهِ الْكَاتِبَانِ[2]
وَكَيْفَ يَخُطُّهُ الْمَلَكَانِ عَنِّي وَلَمْ يَنْطِقْ بِغَامِضِهِ لِسَانِي ؟

ولد الظبية ، ويشار بالرئم هنا إلى الوداعة ، والمسالمة . والضلوع : عظام قفص الصدر . والضبّ : الحقد ، والغلّ ، والغيظ الكامن في الصدر . وكمين : كامن ، خفيّ .

(١) أعقب الإنسان إعقاباً : ترك عقباً ، وهو ولده ، وولد ولده . وأودى : هلك ، ومات . وتعادل تعادلاً : تعادل أمراه ، أي تساويا بالإعقاب والموت ؛ فهو بالإعقاب موجود ؛ وبالموت فان .
والمعنى : أن الإنسان يحيا بعد موته في ذرّيته ونسله .

(٢) يراد بالأخذ والرد : الموت والحياة . وكذلك الهدم والبناء . أي ليست الدنيا سوى أخذ وهدم بالإماتة ، ورد وبناء بالإحياء .

(١) يقول لمن عشقها إنه بالغ في كتمان عشقه ؛ فلم يدر لسانه ما انطوى عليه جنانه ، أي قلبه .

(٢) الجوانح : أضلاع الصدر . وبين الجوانح : القلب . ووعى الحديث ونحوه : عرفه ، وفهمه . والكاتبان : الملكان اللذان يكتبان أقوال الإنسان وأعماله ، وحسناته وسيئاته .
والمعنى : أن تعلقه بهذه الحبيبة سرّ يكتمه في قلبه بين جوانحه ، ولا يعرفه الملكان . والغرض تصوير مغالاته في كتمان الهوى وأسراره .

وَقَالَ وَهُوَ يَنْقُضُ بِهَا قَوْلَ الصَّابِىءِ(*) :

يَمُـوتُ مَعِي سِـرُّ الصَّـدِيـقِ وَلَحْـدُهُ ضَمِيـرٌ لَـهُ الْـجَنْبَـانِ مُكْـتَنِفَـانِ(١)

وَأُسْـأَلُ يَـوْمَ الْبَعْثِ عَنْ كُـلِّ مَـا وَعَى سَـمَـاعٌ وَمَـا فَـاهَتْ بِـهِ شَـفَتَـانِ(٢)

فَـأُنْكِـرُهُ مِنْ بَـيْنِ مَـا فِـي صَحِـيفَـتِي وَأَجْـحَـدُهُ إِذْ يَـشْـهَـدُ الْـمَـلَكَـانِ(٤)

وَذَنْبِي فِي ذَا الْجَحْـدِ أَيْسَـرُ مَـحْمَـلاً مِنَ الـذَّنْبِ فِي إِفْشَـائِـهِ بِلِسَـانِي(٤)

وَقَالَ :

عَـرَفَ الْهَـوَى فِي نَـظْرَتِي فَنَهَـانِي خِـلٌّ رَعَـيْـتُ وِدَادَهُ فَـرَعَـانِـي(١)

(*) إبراهيم بن هلال الصابىء الحرّانيّ : ولد ومات في بغداد (٣١٣ - ٣٨٤هـ / ٩٢٥ - ٩٩٤م) ، أديب ، كاتب ، شاعر ، درس الرياضة ، والفلك ، والفلسفة ، ثم غلب عليه الأدب . واتصل ببني بويه ، وألّف «التاجيّ» في أخبارهم ، وكتب للمهلّبيّ ، وتولّى ديوان الرسائل والمظالم ، واشتهر برسائله الديوانية والإخوانية ، وعرف بكرم الأخلاق ، وسجن عدة مرات . وله ديوان شعر .

(١) اللحد : القبر يدفن فيه الميت . والضمير : ما تضمره في نفسك وتخفيه . ويراد به هنا : القلب ، أو الصدر . واكتنفاه : أحاطا به ، وانطبقا عليه ، فهما مكتنفان . جعل ضميره قبراً لما يكتمه من السرّ .

(٢) يوم البعث : يوم يبعث الله الناس من قبورهم ، أي يخرجهم ، وينشرهم ، ويحشرهم للحساب ، ثم الثواب ، أو العقاب . ووعى الحديث : أدركه ، وفهمه . والسماع : السمع ، وهو الأذن . وفاه بالقول : نطق به ، وتلفّظ .

(٣) أنكر الشيء : جحده . وضدّ الإنكار والجحود : الإقرار والاعتراف . والملكان : اثنان من ملائكة الرحمٰن ، يرصدان المرء طوال حياته ، ويسجّلان عليه أقواله وأعماله ، وحسناته وسيئاته .

(٤) أيسر : أخفّ ، وأهون . والمحمل : الحمل . وأفشى السرّ والخبر : نشره ، وأذاعه . وضدّه الكتمان .

(١) اشتدّ الغرام بالشاعر ؛ فظهر أثره وأماراته في عينيه ونظراته ؛ فعرفه خليل من أخلاّئه جمعت بينهما أواصر الصداقة والمودة الخالصة فنهاه عن الهوى إشفاقاً عليه ، وإحساناً إليه .

أَخْفَيْتُ عَنْـهُ سَـرِيـرَتِي فَـوَشَى بِهَـا ... دَمْـعٌ أَبَـاحَ لَـهُ حِمَى كِتْمَـانِـي[٢]

فَـبِـأَيِّ مَـعْـذِرَةٍ أُكَـذِّبُ لَـوْعَـةً ... شَهِدَتْ بِهَا الْعَبَرَاتُ مِنْ أَجْفَانِي ؟[٣]

يَـا صَاحِ لَا أَبْصَرْتَ مَا صَنَعَ الْهَوَى ... بِـأَخِيـكَ يَـوْمَ تَفَـرُّقِ الأَظْعَـانِ[٤]

يَـوْمٌ فَـقَـدْتُ الْحِلْمَ فِـيـهِ وَشَفَّنِي ... وَلَـهٌ أَصَـابَ جَـوَانِحِي فَـرَمَـانِي[٥]

فَـعَلَيْـكَ مِـنْ قَلْبِي السَّـلَامُ فَـإِنَّـهُ ... تَبِـعَ الْهَـوَى فَمَضَى بِغَـيْـرِ عِنَـانِ[٦]

هَيْهَـاتَ يَـرْجِـعُ بَعْـدَمـا عَلِقَتْ بِـهِ ... لَحَظَـاتُ ذَاكَ الـشَّـادِنِ الـفَـتَّـانِ[٧]

وَعَـلَى الـرَّحَـائِـلِ نِسْـوَةٌ عَـرَبِيَّـةٌ ... يَـخْـدَعْنَ لُـبَّ الْحَـازِمِ الْـيَقْـظَانِ[٨]

---

(٢) السريرة : السرّ الذي يكتم . ووشى بها : كشفها ، وأظهرها . وأباحه : جعله مباحاً ، أي غير محظور ، ولا ممنوع . والحمى : الشيء المحميّ المصون .

(٣) يقول : إنه لا يجد حجة ، أو وسيلة ، أو عذراً يعتذر به عن نفسه ، ويكذّب شواهد حبه وغرامه .

(٤) يا صاح : أي يا صاحبي ، والظعينة : المرأة في الهودج ، وجمعها ظعائن ، وأظعان .

(٥) الحلم : الأناة ، والصبر . وشفّني : هزلني ، وأمضّني . والوله : مصدر وله ، أي اشتدّ حزنه حتى ذهب عقله . والجوانح : الأضلاع القصيرة مما يلي الصدر ، الواحدة جانحة . ويراد بالجوانح : ما تحتويه ، وتنضم عليه ، وهو القلب .

(٦) مضى بغير عنان : أي انطلق به ، لا يتوقّف ، ولا يصدّه شيء . حيّاها بعد ارتحالها تحية قلبية خالصة ، وقال : إن حبه لها سيطر على قلبه ؛ فانساق للهوى ، ومضى معه .

(٧) «هيهات» : اسم فعل ماض بمعنى بعد ، فهي كلمة تبعيد . وعلقتْ : نشبتْ فيه ، واستمسكتْ به . والمراد : استهوتْه . واللحظات : النظرات الساحرة الفاتنة . والشادن : الظبي ، أي الغزال إذا شدن ، أي ترعرع ، وقوي ، واستغنى عن أمّه . وتشبّه الحسان من النساء بالغزلان في الرشاقة ، وحسن التثني ، وخفّة الحركة ، وجمال الجيد والعينين . والفتّان : صيغة مبالغة من فتنتْ المرأة الرجل ، أي أعجبتْه ، واستهوتْه .

(٨) الرحائل : جمع الرحالة (بوزن الرسالة) ، وهي السرج ، أو الرحل ، وكل ما يوضع على ظهر الدابة ليركب عليها راكبها . ويراد بالخدع هنا : الفتنة ، والاستمالة ، والاستهواء . واللب : العقل ، أو القلب . والحازم : الذي يضبط أمره ، ويأخذ فيه بالثقة .

أَغْوَيْنَنِي فَتَبِعْتُ شَيْطَانَ الْهَوَى إِنَّ النِّسَاءَ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ(٩)

مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ بَادِرَةِ النَّوَى أَنَّ الأُسُودَ فَرَائِسُ الْغِزْلَانِ(١٠)

رَحَلُوا فَأَيَّةُ عَبْرَةٍ مَسْفُوحَةٍ وَيَدٍ تَضُمُّ حَشاً مِنَ الْخَفَقَانِ ؟(١١)

وَلَقَدْ حَنَنْتُ لِبَارِقٍ شَخَصَتْ لَهُ مِنَّا الْعُيُونُ بِأَبْرَقِ الْحَنَّانِ(١٢)

يَسْتَنُّ فِي عُرْضِ الْغَمَامِ كَأَنَّهُ لَهَبٌ تَرَدَّدَ فِي سَمَاءِ دُخَانِ(١٣)

فَانْظُرْ لَعَلَّكَ تَسْتَبِينُ رِكَابَهُ طَوْعَ الرِّيَاحِ يُصِيبُ أَيَّ مَكَانِ ؟(١٤)

فَهُنَاكَ تَجْتَمِعُ الشُّعُوبُ وَتَلْتَقِي هُدْبُ الْخُدُورِ عَلَى غُصُونِ الْبَانِ(١٥)

---

(٩) أشار إلى النسوة العربيات اللائي رآهن على الرحائل ، فانخدع بهن ، ومال إليهن . فقد أغوينه ؛ فانقاد للغرام ، وتبع شيطان الهوى .

(١٠) البادرة : اسم فاعل من بدر إلى الشيء ، أي عجل إليه ، وسارع . والنوى : البعد ، والافتراق . وبادرة النوى : الفرقة العاجلة السريعة . ويراد بالأسود : شجعان الرجال وأقوياؤهم ، جمع أسد . وفرائس : جمع فريسة ، من فرس الأسد ونحوه فريسته : أي صادها وقتلها . ومعنى الشطر الثاني : أن حسان النساء يصرعن الشجعان من الرجال .

(١١) رحلوا : إن الجمع هنا يشمل المرتحلين من الرجال والنساء ، أي رحل الراحلون ومعهم الظعائن . والعبرة : الدمعة . ومسفوحة : منهمرة ، منسكبة . والحشا : ما اضطمْست عليه الضلوع ، وما حواه الصدر . ويراد به هنا : القلب . وخفقان القلب : اضطرابه وحركته .

(١٢) حنّ إليه حنيناً : نزع ، واشتاق . والبارق هنا : البرق . وشخصتْ العيون : انفتحتْ . وأبرق الحنان : موضع .

يذكر حنينه وتوقان نفسه إلى برق لمع في أبرق الحنّان ؛ فاسترعى انتباهه ، وأثار اهتمامه ، وشخص بصره إليه في تأمّل واشتياق . ولعل حبيبته أو حبيباته رحلن إلى أبرق الحنّان .

(١٣) يستنّ : يضطرب . والعرض (بضم فسكون) : الوسط . والغمام : السحاب .

(١٤) استبان الشيء : تبيّنه ، ورآه ، وعرفه . والركاب : المطيّ ، أو الإبل التي تركب . وهو طوع الرياح : أي منقاد منطاع لها .

(١٥) هناك : إشارة إلى المكان الذي يصيبه المطر ، فيحييه . والشعوب : الجماعات والقبائل . والخدور : جمع خدر (بكسر فسكون) ، وهو كل ما واراك من بيت ونحوه . ويطلق الخدر على البيت إن كان فيه امرأة . والهدب من الثوب : طرفه الذي لم ينسج ، واحدته هدبة ،



فَاخْلَعْ عِذَارَكَ وَاغْتَنِمْ زَمَنَ الصِّبَا قَبْلَ الْمَشِيبِ فَكُلُّ شَيْءٍ فَانِي(١٦)

وَقَالَ :

سَلْ حَمَامَ الأَيْكِ عَنِّي إِنَّهُ أَدْرَى بِحُزْنِي(١)
نَحْنُ فِي الْحُبِّ سَوَاءٌ كُلُّنَا يَبْكِي لِغُصْنِ(٢)
غَيْرَ أَنَّ الْوَجْدَ مِنْهُ لَيْسَ مِثْلَ الْوَجْدِ مِنِّي(٣)
أَنَا أَبْكِي مِنْ غَرَامِي وَهْوَ فِي الْغُصْنِ يُغَنِّي(٤)
وَهْوَ بِالدَّمْعِ بَخِيلٌ وَدُمُوعِي مِلْءُ عَيْنِي(٥)
لَسْتَ فِي الصَّبْوَةِ مِثْلِي فَانْصَرِفْ يَا طَيْرُ عَنِّي(٦)

وَقَالَ :

والجمع أهداب . والبان : ضرب من الشجر ، تشبّه به قدود الحسان من النساء في الطول واللين . وغصون البان : كناية عن الحسان اللائي يتميّزن بجمال القدود والقامات ، وحسن الطول والتقطيع .

(١٦) خلع فلان عذاره : قلّ حياؤه ، واتّبع هواه ، وانهمك في الغيّ واللهو . واغتنم الشيء اغتناماً : انتهز غنمه ، أو عدّه غنيمة ، وهي ما يفوز به المرء ، أو يناله بلا بدل . والصبا (بكسر الصاد) : الصغر والحداثة ، أو الفتوّة والشباب .

(١) الأيك : جمع أيكة ، وهي الشجر الكثير الملتفّ . وحمام الأيك : الحمام الوحشيّ ، يألف الغياض ، والرياض .

(٢) يقول : إنه والحمام متساويان في الحب ، وفي البكاء الذي يكون من المحب الواجد الولهان . ويبكي لغصن : أي فوق غصنٍ .

(٣) الوجد : الحب . والوجد أيضاً : الحزنُ .

(٤) يقول : إن بكاءه نتيجة لحبه وغرامه ، وما يضانيه من أوصاب العشق ، وإعراض الحبيب . أما الحمام فهو على الأغصان يطرّب ، أو يتغنّى ، أو يسجع .

(٥) من الفوارق الظاهرة التي تميز الشاعر من الحمام ، أو الإنسان من الطير ، أن الحمام لا يكاد يجود بدموع عينيه . أما دموع الواجد الصبّ المستهام فإنها فياضة منهمرة غزيرة .

(٦) الصبوة : الحنين ، والتشوّق . وانصرف عنه : تحوّل عنه ، وتركه .

ذَكَرَ الصِّبَا فَبَكَى وَلَاتَ أَوَانِ مِنْ بَعْدِ مَا وَلَّى بِهِ الْمَلَوَانِ[1]

هَيْهَاتَ يَرْجِعُ فَائِتٌ لَعِبَتْ بِهِ عُصُرٌ أَوَائِلُ أُرْدِفَتْ بِثَوَانِي[2]

هَوِّنْ عَلَيْكَ فَكُلُّ شَيْءٍ ذَاهِبٌ وَالدَّهْرُ مَصْدَرُ عِزَّةٍ وَهَوَانِ[3]

وَاحْذَرْ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ بِالْبِشْرِ فَهْيَ كَثِيرَةُ الْأَلْوَانِ[4]

وَدَعِ التَّعَلُّقَ بِالْمُحَالِ فَمَنْ يَعِشْ فِي غِبْطَةٍ يُرْمَى بِهِ الرَّجَوَانِ[5]

لَا تَأْمُلَنَّ بِكُلِّ عَامٍ مُقْبِلٍ خَيْراً فَكُلُّ الدَّهْرِ عَامُ جِوَانِ[6]

وَالدَّهْرُ أَيَّامٌ تُبِيدُ صُرُوفُهَا وَتُشِيدُ فَهْيَ هَوَادِمٌ وَبَوَانِي[7]

---

(١) الصبا : الصغر والحداثة . والأوان : الوقت ، والزمان . ومعنى «ولات أوان» : وليس الوقت وقت بكاء . يريد أن البكاء على الصبا بعد فواته لا يجدي ، ولا يفيد . وولّى به : ذهب به ، ومضى . والملوان : الليل والنهار .

(٢) لعبت به العصر : أفنته وأبادتْه . من قولهم : لعبت الرياح بالمنزل : أي درستْه ، ومحته ، وأزالتْه ، وأذهبتْ أثره . والعصر (بضم العين والصاد) : جمع العصر ، وهو الزمان ، أو اليوم . وأردفتْ : أتبعتْ . والثواني : خلاف الأوائل ، جمع ثانية .

(٣) هوّن : من هوّن الأمر ، أي خفّفه ، وسهّله . والهوان : المذلّة والضعف ، وضدّه العزّة والقوّة .

(٤) يقول ناصحاً واعظاً : احذر الدنيا ، ولا تنخدع بها إذا هي أقبلتْ عليك بما يسرّك ؛ فإنها متلوّنة متقلّبة ، لا تبقى لها مسرّة ، ولا تدوم على حال .

(٥) دع : اترك. والمحال (بضم الميم): ما لا يمكن وجوده. والتعلّق بالمحال: الاستمساك بالباطل ، والطمع في غير الممكن ، ويراد به : الإسراف في حب الدنيا ، والاغترار بزهرتها وزخرفها . والغبطة (بكسر فسكون) : حسن الحال ، والمسرّة . والرجا : الناحية . ورجوا البئر : حافتاها . ويرمى به الرجوان : أي يطرح في المهالك ، وينتهي أمره إلى الردى والفناء .

(٦) أمله يأمله : رجاه ، وترقّبه . وجِوان (بوزن صعاب) : جمع جون وجونة ، بمعنى أسود ، أي فأعوام الدهر كلّها سوداء حالكة السواد . يكني بهذا عن كثرة رزايا الدهر وآفاته ، وقلة خيراته ومسرّاته .

(٧) أباده إبادة : أهلكه وأفناه . وصروف الأيام : نوائبها وبلاياها .

أَنَّى يَفِرُّ الْمَرْءُ مِن شَرَكِ الرَّدَى ... وَالْمَوْتُ مَقْدُورٌ عَلَى الْحَيَوَانِ(٨)

وَقَالَ فِي الزُّهْدِ :

مَا أَطْيَبَ الْعَيْشَ لَوْلَا أَنَّهُ فَانِي ... تَبْلَى النُّفُوسُ وَلَا يَبْلَى الْجَدِيدَانِ(١)

قَدْ كُنْتُ فِي غِرَّةٍ حَتَّى إِذَا انْقَشَعَتْ ... أَبْقَتْ تَبَارِيحَ لَا تَنْفَكُّ تَغْشَانِي(٢)

وَشَيْبَةً كَلِسَانِ الْفَجْرِ نَاطِقَةً ... بِمَا طَوَاهُ عَنِ الإِفْشَاءِ كِتْمَانِي(٣)

أَضْحَتْ قَذًى لِعُيُونِ الْغَانِيَاتِ وَقَدْ ... كَانَتْ حِبَالَةَ أَبْصَارٍ وَأَذْهَانِ(٤)

كَأَنَّنِي لَمْ أَقُدْ شَعْوَاءَ جَافِلَةً ... وَلَمْ أَبِتْ بَيْنَ دَارَاتٍ وَنِدْمَانِ(٥)

---

(٨) الشرك (بفتحتين) : حبالة الصائد . والردى : الموت والهلاك . ومقدور : حتم ، مقضيّ ، لا بدّ منه . والحيوان : ما فيه الحياة ، أو كل ذي روح .

(١) « ما أطيب العيش » : أسلوب تعجّب . وفان : ذاهب ، لا بقاء له . وتبلى : تفنى ، وتهلك . وكل مخلوق صائر إلى البلى والفناء . والجديدان : الليل والنهار ؛ لأنهما لا يبليان أبداً .

(٢) الغرّة (بكسر فسكون) : غفلة في اليقظة . وانقشعتْ : زالت ، وانكشفتْ . وتباريح : شدائد ، وهموم . ولا تنفكّ : لا تزال . وتغشاني : تصيبني ، أو تحلّ بي .

(٣) الشَّيْبة : الشيب . ولسان الفجر : ما يبدو من ضوئه . ويراد بالنطق : الدلالة الواضحة الظاهرة . وطواه عنه : كتمه ، وأخفاه . والإفشاء : النشر ، والإذاعة . والكتمان : مصدر كتم السرّ ، أي ستره وأخفاه .

(٤) أضحت : صارت . والقذى : ما يقع في العين فيهيجها ويؤذيها من تراب ونحوه . والغانيات : جمع غانية ، وهي المرأة الحسناء . والحبالة : المصيدة . والأبصار : جمع بصر ، وهو العين . والأذهان : جمع الذهن ، وهو العقل ، والفطنة .

(٥) غارة شعواء : منتشرة ، ممتدة ، عظيمة . وجافلة : جارفة كاسحة ، أو هي حافلة (بالحاء المهملة) : بمعنى محتشدة . والدارات : جمع الدارة ، وهي أخصّ من الدار ، وتطلق على المنزل . ويراد بالدارات هنا : مجالس الأنس واللهو والشراب . وندمان : جمع نديم ، وهو من ينادمك ، أي يسامرك ويجالسك على الشراب .

وَلَـمْ أَقُمْ فِـي مَـقَـامَـاتٍ وَأَنْـدِيَـةٍ شَتَّى الْهَـوَى غَيْـرَ رِعْـدِيـدٍ وَلاَ وَانِي (٦)
فَـالْيَـومَ أَصْبَحَتُ لاَ سَيْفِي بِمُـنْصَلِتٍ عَلَى الْعَـدُوِّ وَلاَ قَـوْسِـي بِمِـرْنَـانِ (٧)
لاَ أَذْكُـرُ الـلَّهْـوَ إِلاَّ أَنْ تُـذَكِّـرَنِـي وَرْقَـاءُ تَـدْعُـو هَـدِيـلاً بَيْنَ أَغْصَـانِ (٨)
إِنَّ الثَّـلاَثِينَ وَالْخَـمْسَ الَّتِي عَـرَضَتْ ثَنتْ قُـوَايَ وَفَلَّتْ غَـرْبَ أَشْجَـانِي (٩)
وَخَـلَّفَتْنِي عَـلَى مَـا كَـانَ مِنْ طَـرَبٍ بَـادِي الأَسَافَـةِ فِي قَـوْمِي وَجِيـرَانِي (١٠)
وَكَـانَ يَحْـزُنُنِي شَيْبِي فَـصِـرْتُ أَرَى أَنَّ الَّـذِي بَعْـدَهُ أَوْلَى بِـإِحْـزَانِي (١١)
وَهَـوَّنَ الأَمْـرَ عِـنْـدِي أَنَّ كُـلَّ فَـتَـى وَإِنْ تَمَـلأَّ مِنْ مَـاءِ الصِّبَـا فَـانِي (١٢)
يَـا نَفْسُ لاَ تَـذْهَبِي يَـأْسَاً بِمَـا كَسَبَتْ يَـدَاكِ فَـالـلَّهُ ذُو مَنٍّ وَغُـفْـرَانِ (١٣)

---

(٦) المقامات : جمع المقامة ، وهي المجلس ، والجماعة من الناس . والأندية : جمع النادي ، وهو مجلس القوم ما داموا مجتمعين فيه . وشتى الهوى : أي أهواؤه كثيرة ، ومتعه منوّعة . والرعديد : الجبان . ووان : ضعيف منكسر .

(٧) منصلت : صقيل ، قاطع . ومرنان : صيغة مبالغة من رنتْ القوس ونحوها ، أي صوّتتْ . ورنينها : صوتها .

(٨) ورقاء : حمامة رمادية اللون . ودعاه يدعوه : صاح به ، وناداه . ودعا الميت : ندبه ، وبكاه . والهديل : فرخ ، أو أب للحمام .

(٩) عرض الشيء : ظهر ، وأشرف . وغرب كل شيء : حدّه القاطع . والأشجان : جمع شجن ، وهو الحاجة الشاغلة ، وهوى النفس . وَفَلْتُ غرب أشجانه : أي صرفته عن رغائبه ، وحاجاته الشاغلة .

(١٠) الأسافة : الأسف ، وهو أشدّ الحزن .
والمعنى : أنه كان يحيا حياة الغبطة والمسرّة ، والمرح ورخاء البال ، فلمّا بلغ خمساً وثلاثين سنة انقلب حاله ، واشتدّ حزنه على ذلك الماضي السعيد ، ولم يستطع كتمان أسفه ، فبدا حزنه وغمه لقومه وجيرانه .

(١١) أرى : أعتقد ، مضارع رأى ، أي نظر بالعين ، أو بالعقل ، والثاني هو المراد هنا . وأولى : أحقّ ، وأجدر ، وأقرب . ويريد بما بعد الشيب : الموت والفناء ، والشيب نذير الموت ، والمؤذن بالهلاك .

(١٢) هوّن الأمر : خفّفه ، ويسّره . والمعنى : أن الفناء مصير كل إنسان ولو تملأ بصباه وشبابه .

(١٣) لا تذهبي : لا تهلكي ؛ فالذهاب هنا : بمعنى الموت والهلاك . ويأساً : أي من أجل



يَعْفُـو عَنِ الـذَّنْبِ حَتَّى يَسْتَـوِي كَـرَمـاً لَـدَيْهِ ذُو الْعَمَـلِ الْمَبْـرورِ وَالْجَـانِي[١٤]

هُـوَ الَّـذِي جَـعَـلَ الأَفْـلاكَ دَائِـرَةً وَصَـوَّرَ الْخَلْقَ مِنْ إِنْسٍ وَمِنْ جَـانِ[١٥]

وَقَـدَّرَ الشَّمْسَ تَجْـرِي فِي مَنَـازِلِهَـا وَالنَّجْمَ وَالْقَمَـرَ السَّارِي بِحُسْبَـانِ[١٦]

وَأَرْسَـلَ الْغَيْـثَ أَرْسَـالاً بِـرَحْـمَـتِـهِ وَأَنْبَتَ الأَرْضَ مِـنْ حَبٍّ وَرَيْـحَـانِ[١٧]

سُبْحَـانَـهُ جَـلَّ عَنْ وَصْفٍ يُحِيطُ بِـهِ وَكَيْفَ يُدْرِكُ وَصْفَ الدَّائِمِ الْفَانِي ؟[١٨]

اليأس ، وبسببه ، وهو فقدان الرجاء ، وانقطاع الأمل . وكسب الإثم : ارتكبه ، واقترفه . والمنّ : الإنعام . والغفران : العفو .

(١٤) استوى الأمران : تساويا ، وتماثلا وتعادلا . والبرّ : التوسّع في طاعة الله تعالىٰ ، وفعل الخير . وعمل مبرور : أي صالح مقبول . والجاني : المذنب الآثم .

(١٥) المعنى : أن الله تبارك وتعالىٰ هو الخالق البارىء المصور لجميع الكائنات والمخلوقات ، محسوسات ، وغير محسوسات ، خلق الإنس والجن ، ومن دلائل قدرته أن ترى النجوم معلّقة في السماء ، والكواكب دائرة سابحة في أفلاكها .

(١٦) قدّر الله الشيء تقديراً : أحكم خلقه ، وأتقنه ، أو جعله على مقدار مخصوص ، ووجه مخصوص . ومنازل الشمس : بروجها المختصة بها ، المتنقلة فيها . ويراد بالنجم : الكواكب السابحة في أفلاكها .

(١٧) الغيث : المطر الخاصّ بالخير ، الكثير المنافع . وأرسالاً : دفعات ، مفعول مطلق ، مؤكّد لفعله . والمراد بالأرض هنا : النبات . وأنبت الله النبات : أخرجه من الأرض . وأنبتتْ الأرض : أخرجتْ النبات . ولو قال : «وأنبت النبت» لاستغنى عن المجاز . وفي القرآن الكريم : ﴿ وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزّتْ وربتْ وأنبتتْ من كل زوج بهيج ﴾ الآية رقم ٥ من سورة الحجّ . والحبّ : ما يكون في السنبل والأكمام ، كالقمح والشعير . والريحان : كل نبات طيّب الرائحة . وفي القرآن الكريم : ﴿ وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ﴾ الآية رقم ٩٩ من سورة الأنعام. وفي التنزيل العزيز: ﴿والأرض وضعها للأنام. فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام. والحبّ ذو العصف والريحان﴾ الآيات ١٠ ـ ١٢ من سورة الرحمٰن.

(١٨) سبحان الله : كلمة أو تعبير ، معناه تنزيه الله وتقديسه ، وتحميده ، وتعظيمه ؛ فذات الله تعالى وصفاته ، وأفعاله كلّها مبرّأة من النقص والسوء ، وكلها في أعلى مراتب الكمال والجلال . و« سبحان » : مصدر منصوب على أنه مفعول مطلق ، أي أسبّح الله تسبيحاً . وجلّ : عظم قدره ، وعلا شأنه . والله تعالىٰ يجلّ عن أن يحيط به وصف ، وعن أن يدرك بالحواسّ : « لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير » . والاستفهام في

لَـقَـدْ تَـفَـرَّدَ فِـي لاَهُـوتِ قُـدْرَتِـهِ فَمَـا لَـهُ أَبَـدَاً فِي مُلْكِـهِ ثَـانِي[١٩]

وَإِنَّمـا نَـحْـنُ نُـطْرِيـهِ كَـمَـا سَبَقَـتْ بِـهِ الإِرَادَةُ مِـنْ وَصْـفٍ وَتِـبْـيَـانِ[٢٠]

كُـلٌّ يَـقُـولُ عَـلَى مِـقْـدَارِ فِـطْنَـتِـهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِـالْقَـاصِي وَبِـالـدَّانِي[٢١]

تَـبَـارَكَ اللَّهُ عَـمَّـا قِيـلَ وَابْتُـدِعَـتْ فِي ذَاتِـهِ مِنْ أَضَـالِيـلٍ وَبُهْـتَـانِ[٢٢]

قَـدْ لَـفَّقُـوهَـا أَ سَـاطِيـراً مُحَـبَّـرَةً بِـحِكْمَـةٍ ذَاتِ أَشْكَـالٍ وَأَلْـوَانِ[٢٣]

كَـأَنَّهُمْ قَـدْ أَصَـابُـوا طُـرْفَـةً عَجَبَـاً أَوْ جَـاءَهُمْ نَبَـأُ صِـدْقٍ بِبُـرْهَـانِ[٢٤]

أول الشطر الثاني معناه النفي ، وهو مع النفي يفيد تعظيم الله ذي الجلال والإكرام . والدائم : الباقي ، وهو الله عزّ وجلّ . والبقاء : ضدّ الفناء . والهالك الفاني : هو الإنسان ، وسائر المخلوقات ﴿ لا إله إلاّ هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ﴾ الآية رقم ٨٨ من سورة القصص .

في البيت السابق إشارة إلى المطر والنبات ، وهما من أعظم نعم الرحمٰن على الإنسان . والتفكير فيهما يهدي إلى الإيمان بالله القدير الديّان . وفي هذا البيت تسبيح وإجلال لله عن أن تحيط به الأوصاف ، أو تدركه الحواس .

(١٩) تفرّد الله : انفرد ، وتوحد بربوبيته . ولاهوت قدرته : أي قدرته الإلٰهية .

(٢٠) نطريه : نحمده ، ونحسن الثناء عليه . ويراد بالإرادة : إرادة الله تبارك وتعالىٰ . والتبيان : الوصف والبيان .

(٢١) الفطنة : العلم ، والفهم ، والمعرفة . والقاصي : البعيد . والداني : القريب . ويراد بالداني والقاصي : القريب والبعيد ، والحق والباطل من أقوال الناس في ذات الله ، وصفاته ، وأفعاله .

(٢٢) تبارك الله : تقدس ، وتنزه ، وتعالىٰ . وابتدع الشيء : أنشأه على غير مثال سابق . ويراد بالمبتدع في ذات الله : ما تصوَّره الملاحدة والمشركون ، وقالوه في ذات الله تبارك وتعالىٰ من أكاذيب ومفتريات . والبهتان : الكذب يبهت سامعه ، أي يدهشه ويحيّره لفظاعته . والأضاليل والبهتان : بيان لما ابتدعه الملاحدة والمشركون في ذات الله ، وخرجوا به على الحق والرشاد ، وانحرفوا عن الهدى والإيمان .

(٢٣) لفّقوها : أي لفّقوا الأضاليل والأكاذيب التي ابتدعوها في ذات الله تعالىٰ . وتلفيق الحديث : زخرفته ، وتمويهه بالباطل . ومحبَّرة : مزيّنة ، منمقة . ويراد بالحكمة هنا : السفسطة ، أو الفلسفة المنحرفة عن الحق والصواب . وذات أشكال وألوان : إشارة إلى اختلاف صورها وهيئاتها ، وبعدها عن الحق والرشاد .

(٢٤) أصاب الشيء : أدركه ، وناله . والطرفة (بوزن الغرفة) : كل شيء مستحدث عجيب .

وَلَـوْ تَكَشَّفَ هٰـذَا الأَمْـرُ لَارْتَـدَعَتْ   مَعَـاشِـرٌ خَلَطُوا كُـفْـرَاً بِـإِيمَـانِ[٢٥]

يَـا رَبِّ إِنَّـكَ ذُو مَـنٍّ وَمَـغْـفِـرَةٍ   فَـاسْتُـرْ بِعَفْـوِكَ زَلَّاتِي وَعِصْيَـانِي[٢٦]

وَلَا تَـكِلْنِي إِلَى مَـا كَـانَ مِـنْ عَمَلِي   فَـإِنَّـهُ سَبَبٌ يُفْضِي لِحِـرْمَـانِي[٢٧]

وَقَالَ :

أُتْـرُكِ الـدُّنْيَـا فَلَسْـتَ تَـرَى   صَـاحِبـاً فِي الْـوُدِّ لَـمْ يَخُـنِ[١]

وَاجْـتَنِـبْ مَـنْ لَا تُـشَـاكِـلُهُ   تَـنْـجُ مِـنْ غَـدْرٍ وَمِـنْ غَـبَـنِ[٢]

مَـنْ جَـرَى فِـي غَـيْـرِ حَـلْبَـتِـهِ   كَـانَ مَـوْقُـوفَـاً عَلَى الـظِّنَنِ[٣]

وَقَالَ :

كُـنْ كَـمَـا شِئْـتَ مِـنْ رَشَـادٍ وَغَـيٍّ   كُـلُّ حَـيٍّ بِـمَـا جَـنَـاهُ رَهِـيـنُ[١]

---

(٢٥) تكشَّف الشيء : انكشف ، واتضح . وارتدع : كفّ ، وامتنع . ومعاشر : جماعات .

(٢٦) منّ عليه بكذا : أنعم به عليه من غير تعب . والمغفرة : الستر ، والصفح . وعفا عن ذنبه : تجاوز عنه ، ولم يؤاخذه به ، ولم يعاقبه . والزلات : جمع الزلة ، وهي السقطة ، والخطيئة .

(٢٧) وكله إلى نفسه : تركه ، ولم يعنه . ووكله إلى عمله : آخذه به ، وحاسبه عليه ، أو خلّاه وعمله ، فلم يتداركه برحمته . وأفضى الأمر إلى كذا : بلغه ، وانتهى إليه .

(١) الود : المودة والمحبة . وخيانة الود : نقضه ، والإخلال به ، والغدر بالمحب الودود .

(٢) شاكله مشاكلة : وافقه ، وشابهه . والغدر : الخيانة ، ونقض العهد . والغبن (بفتحتين) : الخديعة ، أو ضعف الرأي ، وقلة الفطنة .

(٣) جرى في غير حلبته : أي صاحب من لا يشاكله . ووقفه على كذا : حبسه عليه ، وقصره ، فهو موقوف ، أي مقصور عليه ، لا يتجاوزه ، ولا يتعداه . والظنة : التهمة ، اسم من ظننته : إذا اتهمته . والجمع : ظنن (بوزن ملل) .

(١) الرشاد : الاهتداء ، والاستقامة . وضده الغي : وهو الإمعان في الضلال ، والجهل القائم على فساد الاعتقاد . وجناه : اكتسبه من خير أو شر . ورهين : مرهون ، محبوس . ورهين بما جناه : أي مجزّى به ، مكافأ عليه .

كُـلُّنَـا لِـلْفَـنَـاءِ أَوْ تَـصْـعَـق الأَرْ ... ضُ وَتَـأْتِـي بَعْـدَ الـشُّـؤونِ شُـؤُونُ(٢)

يَـسْتَـفِـزُّ الْـحَلِيـمَ رَوْنَـقُـهَـا الْـبَـا ... هِـرُ حَـتَّـى يَـخِـفَّ وَهْـوَ رَكِـيـنُ(٣)

ذَهَـبَـا غَـيْـرَ ذُكْـرَةٍ سَـوْفَ تَـفْـنَـى ... بَـعْـدَ ضِـنٍّ وَكُـلُّ شَـيْءٍ يَـحِـيـنُ(٤)

فَـاحْـتَقِبْ سِيـرَةَ الْمَحَـامِـدِ فَـالـذِّكْـ ... ـرُ حَـيَـاةٌ لِـمَـنْ طَـوَتْـهُ الْـمَـنُـونُ(٥)

وَقَالَ :

يَـا ذُكْـرَةً أَبْـصَـرْتُ فِـي ... مِـرْآتِـهَـا صُـوَرَ الـتَّـمَـنِّـي(١)

خَـطَـرَتْ عَـلَـيَّ فَـنَـفَّـرَتْ ... طَيْـرَ الْكَـرَى مِنْ وَكْـرِ جَفْنِي(٢)

---

(٢) الفناء : الموت والهلاك . والشؤون : جمع الشأن ، وهو الأمر والحال .

(٣) يستفز : يستخف ، ويطرب . والحليم : الرزين ، والوقور . ورونقها : أي رونق الأرض ، وهو حسنها ، وبهجتها . والباهر : الغالب . ويخفّ : يهتزّ ، ويطرب . وركين : رزين ، وقور .

(٤) ذهبا : أي ذهب من انخدع برونق الدنيا ، وذهبتْ معه دنياه . والذكرة : ضد النسيان . وذهبتْ ذكرته : أي ذهب ما كان مذكوراً محفوظاً من أمره وسيرته وذكره . والضن : البخل الشديد ، والحرص البالغ . ويحين : يهلك ، ويفنى .

(٥) احتقب خيراً أو شرّاً :حمله ،واكتسبه ، وادّخره . وسيرة الرجل :سلوكه بين الناس ، وصحيفة أعماله . والمحامد : جمع المحمدة ، وهي ما يحمد المرء به ، أو عليه . وسيرة المحامد: السيرة القائمة على المحامد ، أي الأعمال المرضية ، الصالحة المحمودة . والذكر : الصيت ، وحسن الثناء . ولفلان ذكر في الناس : أي صيت ، وسيرة جميلة مشهورة . والطيّ : ضد النشر . والمنون : المنية ، والموت .

(١) ذكر الإنسان الشيء: تذكّره، واستحضره في ذهنه بعد نسيانه. ويراد بالذكرة هنا: إحدى الذكريات التي بقيت في ذهن الشاعر من ماضيه اللاهي السعيد . وتمنى الشيء : رغب فيه ، وأحب أن يصير إليه .

(٢) خطرت عليه : وقعت في باله وقلبه ، ووردت في خاطره وذهنه ، أو ذَكَرها بعد نسيان . ونفّره عن الشيء : أزعجه ، وأفزعه . والكرى : النعاس ، والنوم . وطير الكرى : الكرى الشبيه بالطير . ووكر الطائر : عشه . ووكر جفني : أي جفني الشبيه بالوكر . وقد يراد بالجفن هنا العين .

عَـلِقَـتْ حِـبَـالَـةُ خَـاطِـرِي مِـنْـهَـا بِـمَـكْـحُـولٍ أَغَـنِّ[٣]
كَـانَـتْ مِـثَـالاً خَـطَّهُ بِـمَـخِـيلَتِي نَـقَّـاشُ ذِهْـنِي[٤]
هِـيَ لُـقْـيَـةٌ وَهْـمِـيَّـةٌ سَمَحَتْ بِهَـا خَـطَرَاتُ ظَنِّي[٥]

وَقَالَ :

أَتُـرَى الصَّبَا خَـطَرَتْ بِوَادِي الْمُنْحَنَى ؟ فَجَنَتْ عَبِيرَ الْمِسْكِ مِنْ ذَاكَ الْجَنَى ؟[١]
مَـرَّتْ بِنَـا طَفَـلَ الْـعَشِـيِّ فَمَـا دَرَى أَحَـدٌ بِـسِـرٍّ ضَـمِـيـرِهَـا إِلَّا أَنَـا[٢]
وَتَـحَـمَّلَتْ سِـرَّ الْـهَـوَى فَـتَـرَدَّدَتْ بِـرَسَـائِـلِ الْأَشْـوَاقِ فِيمَـا بَيْنَنَـا[٣]

---

(٣) علق في الحبالة : وقع فيها . والحبالة : الشرك (بوزن السبب) ، وهو المصيدة . والخاطر : القلب ، أو النفس . وحبالة خاطري : أي خاطري الشبيه بالحبالة . ومنها : أي من الذكرة . وكحل العين : جعل فيها الكحل ، فهي مكحولة . وظبي أغنّ : أي يخرج صوته من خياشيمه ، فتكون فيه غنة . وكنى بالمكحول الأغن عن فتاة حسناء ، كحيلة العينين ، تشبه الغزال في الرشاقة .

(٤) المثال : التمثال ، والصورة المصورة . وخطّه : رسمه ، وصوّره . والمخيلة : التخيل ، والتصوّر . ونقّاش : صيغة مبالغة من نقش الشيء ، أي رسمه ، ولوّنه بالألوان . والذهن : الفهم ، والعقل ، والفطنة .

(٥) لقية : لقاء . ووهمية : متوهّمة ، متخيّلة ، أو هي من خطرات القلب . وسمح به سماحاً وسماحة : جاد ، وأعطى . وخطرات ظني : أي خواطري المتوهمة المظنونة التي لا حقيقة لها .

(١) ترى (بالبناء للمجهول) : بمعنى تظن ، (وبالبناء للمعلوم) : بمعنى تبصر وتحسّ . والصبا : ريح مهبّها من مشرق الشمس إذا استوى الليل والنهار . وخطرت : مرتْ . ووادي المنحنى : مكان يعنيه الشاعر ويقصده ، وفيه من يهواها ، ويتغزّل بها . وجنى الثمرة : التقطها ، وقطفها . والعبير : أخلاط تجمع من الطيب . والمسك : ضرب من الطيب .
مرّتْ ريح الصبا بالشاعر أرجة عطرة، فتخيلها مرّت بديار محبوبته ، فحملتْ إليه منها عبير المسك ، وذكاء رائحته .

(٢) الطفل (بفتحتين) : إقبال الليل بظلمته على النهار ، أو الوقت قبيل غروب الشمس . والعشيّ : آخر النهار . وطفل العشيّ : وقت اصفرار الشمس وغروبها .

(٣) تحمّلتْ : حملتْ في مشقة ، والمشقة هنا : أعباء كتمان السرّ ، وصيانته ، والمحافظة عليه . وتردّدتْ : رجعتْ مرة بعد أخرى .

عَبِقَتْ غَلاَئِلُهَا بِنَشْرِ عَرَارَةٍ بَدَوِيَّةٍ بِسِوَى الأَنَامِلِ تُجْتَنَى(٤)
تَحْمِي مَنَابِتَهَا قَسَاوِرُ غَارَةٍ يَجِدُونَ صَعْبَ الْمَوْتِ خَطْباً هَيِّنا(٥)
مِنْ كُلِّ مُشْتَمِلٍ بِشُعْلَةِ صَارِمٍ أَمْضَى مِنَ الأَجَلِ الْوَحِيِّ إِذَا دَنَا(٦)
وَبِمَسْقَطِ الْعَلَمَيْنِ جُؤْذُرُ كِلَّةٍ يُصْمِي بِنَظْرَتِهِ الأُسُودَ إِذَا رَنَا(٧)
صَنَعَ الْوُشَاةُ لَهُ حَدِيثاً كَاذِباً فَقَسَا عَلَيَّ وَكَانَ سَهْلاً لَيِّنَا(٨)
مَاذَا عَلَيْهِ وَلاَ أُرِيدُ مَلاَمَةً لَوْ جَادَ مَعْهَا بِالتَّحِيَّةِ أَوْ كَنَى ؟(٩)
إِنِّي لأَقْنَعُ مِنْ هَوَاهُ بِنَظْرَةٍ تُرْوِي الْغَلِيلَ مِنَ الصَّدَى لَوْ أَمْكَنَا(١٠)
أَخْنَى عَلَيَّ مَعَ الزَّمَانِ وَلَيْتَهُ لَمَّا أَسَاءَ الدَّهْرُ صُنْعاً أَحْسَنَا(١١)

---

(٤) عبق به الطيب : لزق به ، وظهرتْ فيه رائحته . وغلائلها : غلائل الصبا ، جمع غلالة ، وهي ثوب رقيق يلي جسد الإنسان. والعرارة: واحدة العرار، من أزهار البادية، طيّب الريح، ينبت أيام الربيع. و«بسوى الأنامل تجتنى»: أي لا تجتنى بالأنامل؛ فنشر العرارة مشموم غير ملموس.

(٥) القساور : جمع قسور (بوزن جعفر) ، وقسورة (بوزن ثعلبة) ، وهو الأسد ، والقويّ الجريء الشجاع من الرجال والشبان. والخطب: الأمر صغر، أو عظم. وغلب استعماله للأمر العظيم، وجمعه خطوب.

(٦) مشتمل : اسم فاعل من اشتمل بسيفه ، أي تقلده وحمله . والصارم : السيف القاطع . وشعلة صارم : أي صارم كالشعلة ، وهي اللهب . والأجل هنا : الموت . والوحيّ (بوزن الغنيّ) : السريع ، العاجل .

(٧) مسقط العلمين : موضع ، ومكان يعنيه الشاعر ، وفيه من يتغزل بها . والجؤذر : ولد البقرة الوحشية ، وتشبّه الحسناء من النساء بالجؤذر في جمال العينين ، وحسن اتساعهما . والكلة : ستر رقيق ، يخاط شبه البيت. ويصمي : يصيب. ورنا: أدام النظر.

(٨) صنع الحديث : لفقه . وله : أي للجؤذر المكنى به عن حبيبته . والوشاة : الساعون بالكذب للإفساد والتفرقة بين المتحابين .

(٩) الملامة : اللوم . ومعها : أي مع القساوة التي حملها عليها الوشاة المفسدون.

(١٠) الغليل : شدة العطش . والصدى : العطش الشديد . ويراد بالغليل والصدى : حرقة الوجد والصبابة .

(١١) أخنى عليه : أساء إليه .



وَرَأى الْـمَـشِـيـبَ تَـلَوَّنَـتْ أَلْـوَانُـهُ   فِـي عَـارِضَـيَّ مِـنَ الأَسَى فَـتَلَوَّنَـا[١٢]

وَالْمَـرْءُ فِي الـدُّنْـيَـا رَهِيـنُ حَـوَادِثٍ   تُـودِي بِجِـدَّتِـهِ وَتُلْبِسُـهُ الضَّـنَى[١٣]

لَـيْتَ الْـمَشِـيبَ تَـأَخَّـرَتْ أَيَّـامُـهُ   حَتَّى أَفُـوزَ مِنَ الشَّبِيبَـةِ بِـالْمُـنَى[١٤]

---

(١٢) برّح الوجد بالشاعر ، وشيّبه الأسى ، ورأى الحبيب بياض الشيب في عارضيه ؛ فتنكّر له ، وتغيّر حاله معه .

(١٣) رهين : مرهون ، مقيّد . ورهين حوادث : أي معرّض لها . وحوادث الدهر : نوائبه وكوارثه . وأودى بالشيء : ذهب به . وجدّة الإنسان : صباه ، وشبابه ، وقوّته . والضنى : المرض الشديد .

(١٤) المشيب : الشيب . والشبيبة : الفتاء والحداثة .

قافيـة الهـاء

وَقَالَ يَذْكُرُ لَيْلَةَ أُنْسٍ بِحُلْوَانَ(*) :

مَـا لِـي وَلِلدَّارِ مِـنْ « لَيْـلَى » أُحَيِّيهَـا ... وَقَـدْ خَلَتْ مِنْ غَـوَانِيهَـا مَغَـانِيهَـا ؟(١)

دَعِ الـدِّيَـارَ لِـقَـوْمٍ يكْـلَفُـونَ بِـهَـا ... وَاعْكُفْ عَلَى حَـانَةٍ كَـالْبَـدْرِ سَـاقِيهَا(٢)

كَـمْ بَيْـنَ دَاثِـرَةٍ أَقْـوَتْ مَـعَـالِـمُـهَـا ... وَبَيْنَ عَـامِـرَةٍ تَـزْهُـو بِمَنْ فِيهَـا ؟(٣)

هَيْهَـاتَ مَـا الـدَّارُ تُشْجِينِي بِسَاحَتِهَـا ... وَإِنَّمَـا الـدَّارُ تُشْجِيـنِي بِـأَهْـلِيهَـا(٤)

فَخَـلِّ هَـذَا وَخُـذْ فِي وَصْفِ غَـانِيَـةٍ ... سَـرَتْ بِحُلْوَانَ فِي قَلْبِي سَـوَارِيهَـا(٥)

(*) أنس به وإليه : سكن إليه واطمأن .

(١) الغواني : جمع غانية ، وهي المرأة التي غنيتْ بحسنها الطبيعي عن الزينة والحسن المجلوب المصنوع . والمغاني : جمع مغنى ، وهو المنزل الذي غني به أهله ، أي أقاموا فيه .

(٢) كلف بكذا : أولع به ، وأحبه ، وتعلق به تعلقاً شديداً . وعكف على الشيء : لازمه ، ولم ينصرف عنه . والحانة : الموضع الذي يباع فيه الخمر .

(٣) دثر المنزل : درس ، وتهدّم . وداثرة : اسم فاعل منه . ومعالمها : علاماتها ، وآثارها . وأقوت معالمها : درستْ ، وامّحت ، وخفيت . وعامرة : أي دار عامرة بأهلها ، مسكونة ، مأهولة . والعامرة : ضد الداثرة الدارسة . وتزهو : تتيه وتفتخر .

(٤) يستبعد وينفي أن تشجيه الدار بساحتها . وتشجيني : تطربني ، وتهزّ مشاعري .

(٥) « خلّ » : دع واترك . وهذا : إشارة إلى الديار الدارسة ، والمنازل المهجورة . ويراد بوصف الغانية : التغزل بها ، والتغني بمحاسنها . وسرى فيه الشيء : خامره ، وخالطه . وسواري الغانية : ما خالط قلبه ، من عواطف الحب ، وآثار الإعجاب .

رَيَّانَةُ الْقَدِّ لَوْ أَنَّ الضَّجِيعَ لَهَا ... خَافَ الْعُيُونَ عَلَيْهَا كَادَ يَطْوِيهَا(٦)

فِي نَشْوَةِ الْخَمْرِ سِرٌّ مِنْ مَرَاشِفِهَا ... وَفِي الأَرَاكَةِ شَكْلٌ مِنْ تَهَادِيهَا(٧)

يَا لَيْلَةً بِتُّ أُسْقَى مِنْ بَنَانَتِهَا ... وَمِنْ لَوَاحِظِهَا خَمْراً وَمِنْ فِيهَا(٨)

أَحْيَيْتُهَا وَأَمَتُّ النَّوْمَ مُعْتَصِماً ... بِلَذَّةٍ لَا يَكَادُ الدَّهْرُ يُنْسِيهَا(٩)

حَتَّى إِذَا رَفَّ خَيْطُ الْفَجْرِ وَابْتَدَرَتْ ... حَمَائِمُ الأَيْكِ تَشْدُو فِي أَغَانِيهَا(١٠)

قَامَتْ تَمَايَلُ سَكْرَى فِي مَآزِرِهَا ... وَالرَّوْعُ يَبْعَثُهَا طَوْراً وَيَثْنِيهَا(١١)

تَخْشَى الضِّيَاءَ وَفِي أَزْرَارِهَا قَمَرٌ ... يَسْتَوْقِفُ الْعَيْنَ حَيْرَى فِي مَجَارِيهَا(١٢)

---

(٦) ريّانة : ممتلئة في نضرة ، ولين . والقدّ : القامة المعتدلة . والضجيع : المضاجع . وطوى الشيء يطويه طيّاً : ضمّ بعضه إلى بعض .

(٧) نشوة الخمر : أول إسكارها . ورشف الماء : مصّه بشفتيه . والمراشف : جمع المرشف ، وهو موضع الرشف . ويراد بمراشفها : ما يجري على شفتيها من ريقها ولعابها . وسرّ المراشف : مزيّتها المسكرة الساحرة الخفيّة ، أو ريقها العذب الحلو الطيب الخالص . والأراكة : شجرة كثيرة الفروع ، خوّارة العود . وتهادت المرأة تهادياً : أي مشت متمايلة . والتهادي من محاسن النساء ، وبواعث الفتنة .

(٨) البنانة : طرف الإصبع . ويراد بها هنا : الكف ، أو اليد . واللواحظ : العيون . واستقاؤه الخمر من فيها : كناية عن تقبيلها ، وارتشاف شفتيها .

(٩) أحيَيْتها : أحييت الليلة ، أي سهرتها . وإماتة النوم : تأكيد لمعنى السهر . ومعتصماً : مستمسكاً . واعتصامه باللذة : حرصه عليها ، واستمتاعه بها .

(١٠) رفّ : تحرك ، وتلألأ . وخيط الفجر : بياض أول النهار . وابتدرتْ : تسارعت .

(١١) « قامت تمايل » : أصلها تتمايل ، أي تترنّح . والمآزر : جمع مئزر ، وهو ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن ، ومثله الإزار . ويراد بمآزرها : ثيابها . والروع : الفزع والخوف . ويبعثها : يحملها على التقدّم والانطلاق . والطور : المرة والتارة . ويثنيها : يردها ، ويقيّدها ، ويحملها على التوقّف .

(١٢) يقال : فلانة تستوقف العين ، أي تشغلها بالنظر .

خافت هذه الحسناء افتضاح أمرها بضياء النهار ، وهي تزّر أزرارها على قمر تامّ الضياء ، يستوقف العيون ، ويسحر الأبصار .

ثُمَّ انْثَنَتْ وَيَـدِي قَيْـدٌ لِخَـاصِـرَةٍ	كَـالْخَيْزُرَانَـةِ رَيّـا فِي تَثَنِّيهَـا[١٣]
فِي بُلْجَـةٍ لَا تَـكَـادُ الْعَيْنُ تُنْكِـرُهَـا	وَسُمْـرَةٍ رُبَّمَـا شَفَّتْ نَـوَاحِيهَـا[١٤]
حَتَّى تَجَاوَزْتُ أَحْـرَاسـاً عَلَى شَـرَفٍ	يَكَـادُ يَمْنَـعُ هَمَّ النَّفْسِ دَاعِيهَـا[١٥]
وَحَـرَّكَتْ حَلَقَـاتِ الْبَـابِ فَـانْفَتَحَتْ	عَنْ سَاحَـةٍ سَكَنَتْ فِيهَـا تَـرَاقِيهَـا[١٦]
فَعُـدْتُ وَالْعَيْنُ غَـرْقَى فِي مَـدَامِعِهَـا	وَالْقَلْبُ فِي لَـوْعَةٍ تَنْـزُو نَـوَازِيهَـا[١٧]
فَيَـا لَهَـا لَيْـلَةً! كَـانَـتْ بِـوُصْلَتِـهَـا	تَـارِيخَ لَهْـوٍ يَهِيجُ النَّفْسَ رَاوِيهَـا[١٨]

---

(١٣) انثنت في مشيتها : تمايلت ، وتبخترت . ويده قيد لخاصرتها : أي يده في خاصرتها ، مقيّدة لها . والخيزرانة : واحدة الخيزران ، وهو شجر هنديّ ، ليّن القضبان . ومن كلامهم : « كأنّ قدّها غصن بان ، أو قضيب خيزران » . وريّا : ممتلئة في نضارة وغضارة . وتثنّت المرأة : انثنتْ في مشيتها ، وتمايلت ، وتبخترتْ .

(١٤) البلجة : ضوء الصبح عند انصداع الفجر . ويراد بالسمرة هنا : الظلمة القليلة الخفيفة الباقية في الأفق من ظلام الليل ، قبل تبلّج الصبح . وشفّتْ (بالفاء) : رقّتْ وخفّتْ ، من قولهم : شفّ الثوب ونحوه ، أي رقّ حتى يرى ما خلفه . وشفّتْ نواحيها : تأكيد لمعنى السمرة، أي قلة الظلمة وخفّتها في نهاية الليل ، وأول النهار عند انصداع الفجر .

(١٥) تجاوزه : تعدّاه . والأحراس : جمع حارس ، اسم فاعل من حرسه أي حفظه ووقاه . والشرف : الموضع العالي ، يشرف على ما حوله . ومعنى الشطر الثاني : أن هؤلاء الحرّاس من اليقظة ، والتمكن بحيث يرهبون غيرهم ، ويردّونه عما همّ به في نفسه ، وعزم عليه .

(١٦) حلقات الباب : جمع حلقة ، وهي ما يعلّق عليه ، ليقرع به . والتراقي : جمع الترقوة ، وهي مقدّم الحلق في أعلى الصدر ، حيث يترقّى النَّفَس . وسكون التراقي : كناية عن الصمت ، وسكون الأصوات .

يقول : إنها فتحتْ باب بيتها ، فانفتح عن ساحة ما زال من فيها نائمين .

(١٧) المدامع : جمع مدمع ، وهو مسيل الدمع . ويراد بالمدامع هنا : الدموع . واللوعة : حرقة الحب . ونوازيها : شدائدها . وغرق عينيه في المدامع ، والتياع قلبه : تعبير بليغ عما ساوره من الغمّ والحسرة بافتراق ما اجتمع من الشمل ، وانقطاع اللهو واللذة بانتهاء تلك الليلة .

(١٨) تهيّأ للشاعر في تلك الليلة ما لم يتهيّأ له في غيرها من وصال ، وشراب ، ومتع ، ولذات ، فتعجّب منها ، وتحسّر على فواتها ، وقال : إن تاريخها تاريخ لهو ومجانة ، يهيج النفس ويطربها كلما روي ونقل .

وَقَالَ يَصِفُ رَوْضَةَ « بَرَدِينِيَا » فِي جَزِيرَةِ « سَرَنْدِيبَ » ، وَهْيَ إِحْدَى جِنَانِ الدُّنْيَا :

وَمَسْــرَحٍ لِسِــوَامِ الْعَيْـنِ لَيْسَ لَـهُ	فِي عَــالَمِ الظَّنِّ تَقْـدِيـرٌ وَلَا شَبَـهُ[1]
بَــاكَرْتُــهُ سُحْــرَةً وَالشَّمْسُ نَــاعِسَـةٌ	فِي خِـدْرِهَـا وَحَمَــامُ الأَيْكِ مُنْتَبِــهُ[2]
وَلِـلْغَمَــائِـمِ بَيْـنَ الأُفْـقِ مُـنْـسَـحَبٌ	وَلِلنَّسَــائِمِ نَحْـوَ الـرَّوْضِ مُتَّجَـهُ[3]
وَالْـجَــوُّ فِـي حُـلَّةٍ دَكْـنَــاءَ مَــازَجَـهَــا	خَيْطٌ مِنَ الْفَجْـرِ يَبْـدُو ثُمَّ يَشْتَبِــهُ[4]
فَــالـنُّــورُ مُنْقَبِضٌ وَالــظِّلُّ مُـنْبَسِطٌ	وَالــطَّيْـرُ مُنْشَــرِحٌ وَالْجَــوُّ مُــدَّلِـهُ[5]
مَنَــاظِـرٌ لَــوْ رَأَى « بَهْـزَادُ » صُــورَتَهَــا	لَاعْتَــادَهُ مِنْ تَمَــادِي الْحَيْـرَةِ الْبَـلَهُ[6]

(١) المسرح : اسم مكان من سرحت الماشية ، أي رتعت ، ورعت . والسوام : مصدر سامت الإبل ، أي رعت حيث شاءت .
يقول : إن هذه الروضة الأنيقة مسرح عظيم ، ومجال واسع لما يمتع العيون ، ويبهج النواظر ، ويفوق كلّ ما يذهب إليه ظن الإنسان وخياله .

(٢) باكرته : بادرت إليه ، باكراً في أول النهار . والسحر والسحرة : آخر الليل ، قبيل الصبح . وناعسة : نائمة . والخدر : الستر . والأيك : جمع أيكة ، وهي الشجر الكثير الكثيف ، المجتمع الملتفّ . ومنتبه : يقظان .
والمعنى : أنه سارع إلى هذه الروضة بعد انصداع الفجر ، وانتباه الطير ، وقبيل طلوع الشمس ، وامتداد النهار .

(٣) الغمائم : جمع غمامة ، وهي السحابة . ومنسحب : حركة . والنسائم : جمع النسيم ، وهو الريح اللينة اللطيفة الطيبة .

(٤) دكناء : من الدكنة ، وهي لون يضرب إلى السواد . ومازجها : خالطها . وخيط الفجر : ضوؤه وقت انصداع الصبح ، وطلوع النهار .

(٥) مدّله : متحيّر ، متردّد .
يشير إلى بعض ظواهر الجمال الطبيعي الباهر في تلك الروضة الأريضة : فأشجارها كثيرة عظيمة ، كثيفة ، ملتفّة ، ذات ظلّ منبسط ممدود ، وضياء الشمس فيها منقبض محدود ، وجوّها متردد بين كثافة الظلّ ، وضياء الشمس ، وطيرها في بهجة وانشراح ، ومرح وارتياح .

(٦) كمال الدين أستاذ بهزاد ، (١٤٤٠ ـ ١٥٢٢) : من أعلام التصوير الإسلامي ، وأشهر مصوري الفرس ، وفنّانيهم ، وخطّاطيهم . تمتاز صوره بالتلوين المحكم ، والدّقة الفائقة في الأداء ، والحيوية المنبعثة من أشكاله وألوانه المضيئة . واعتاده : انتابه ، وأصابه . وتمادي الحيرة : طول التحيّر . والبله : قلة الفطنة ، وضعف العقل .

كَــأَنَّمَــا الــدَّوْحُ قَصْــرٌ وَالْحَمَــامُ بِــهِ ... سِــرْبٌ مِنَ الْغِيـدِ بِــالأَلْحَـانِ تَبْتَــدِهُ(٧)

طَــوْراً تُـغَنِّـي وَأَحْيَــانَــاً تَـنُــوحُ فَمَــا ... ذَاكَ الْغِنَــا وَهَـذَا النَّــوْحُ وَالْــوَلَــهُ ؟(٨)

كَــأَنَّمَــا الأَوْرَقُ الْغِـرِّيــدُ حِينَ شَــدَا ... فِي سُـرْبَةِ الإِنْسِ مِنْهَـا شَـارِبٌ فَكِـهُ(٩)

شَــارَفْتُ سَــاحَتَهَــا فِي فِـتْيَــةٍ أَلِـفُــوا ... صِدْقَ الْوِدَادِ فَلَمْ تَعْـرِضْ لَهُمْ شُبَـهُ(١٠)

مُــوَقَّـرُونَ كِــرَامٌ لَا يَـخِـفُّ بِــهِــمْ ... طَيْشٌ وَلَمْ يَجْـرِ فِي أَخْـلَاقِهِمْ سَفَــهُ(١١)

مِنْ كُـلِّ مَـاضِي الشَّبَـا وَالـرَّوْعُ مُحْتَـدِمٌ ... وَمُسْتَنِيــرِ الْحِجَــا وَالأَمْــرُ مُشْتَبِــهُ(١٢)

---

(٧) الدوح : جمع دوحة ، وهي الشجرة العظيمة . والسرب : الطائفة ، أو الجماعة . يقال : سرب من النساء ، على التشبيه بسرب الظباء . والغيد : جمع غيداء ، وهي المرأة الناعمة ، تتمايل ، وتتثنى في لين ونعومة . وتبتده : تستقبل .

(٨) يقول : هذا التغريد مختلف منوّع ؛ فهو أحياناً يشبه الغناء الـذي يبعث الفرح والسـرور ، وأحياناً يشبه النواح الذي يثير الوله والشجن ، وأحياناً ينمّ عن الحنين ، أو التوجّع . يشير بهذا كله إلى كثرة الطير ، وتنوّعها ، واختلاف أصواتها الموسيقية .

(٩) الأورق : الطائر الرماديّ اللون ، صفة من الورقة (بضم فسكون) ، وهي لون بين البياض والسواد ، كلون الرماد . وشدا : تغنّى ، وترنّم . وسربة الإنس : جماعة الإنس . وشارب : مخمور. وفكه: مزّاح ، كثير الدعابة .

شبّه الأورق الغرّيد بالشارب الفكه ، يشدو ويطرّب في جماعة من الناس .

(١٠) شارف الشيء : دنا منه . وساحتها : ساحة الروضة . ويريد بالفتية هنا : جماعة من صحبه وخلصائه . وصدق الوداد : المودة الخالصة ، والصحبة الصادقة . وعرض : بدا ، وظهر . والشبه : جمع شبهة ، وهي الالتباس . ولم تعرض لهم شبه : تأكيد لمعنى صدق ودادهم .

(١١) موقّرون : معـظّمون ، ومُبجّلون . والـطيش : النزق ، والخفّـة . ولا يخفّ بهم : أي لا يعتـريهم طيش يذهب بـوقارهم ورزانتهم . والسفـه : الحمق ، والجهـل . وضـده الحلم والرزانة ، والعقل ، والوقار .

(١٢) ماض : حادّ . وشباة السّيف : حدّه القاطع . والروع: الفـزع . ومحتدم : متقد ملتهب . ومستنير : منير مضيء . والحجا : العقل .



إنْ حَـدَّثُوا مَـلأُوا الأَسْمَـاعَ مِنْ أَدَبٍ هُمْ أَهْلُهُ وَإذَا مَـا أَنْصَتُـوا فَـقِهُـوا[١٣]

شَـرَابُنَـا صَفْـوُ مَـاءٍ لاَ يُـمَـازِجُـهُ إلاَّ حَـدِيـثٌ كَنُـوَّارِ الـرُّبَى نَـزِهُ[١٤]

فَـإنْ يَكُنْ فِي عَفَـافِ النَّفْسِ مَحْمِـدَةٌ لَهَـا فَفِي مِثْـلِ هَـذَا يَحْسُنُ الشَّـرَهُ[١٥]

وَقَالَ يَمْدَحُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ « عَلِيّاً » كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ :

أَحْبَبْتُ مَنْ وَالَى « عَلِيّـاً » رَغْبَـةً فِـي فَضْلِهِ وَكَـرِهْـتُ مَـنْ عَـادَاهُ

هُـوَ ذَلِـكَ الْـحَبْـرُ الَّـذِي مَـنْ أَمَّـهُ نَـالَ الـرِّضَـا وَأُجِيـبَ مَـنْ نَـادَاهُ

وَكَفَـى بِسِبْـطَيْـهِ إمَـامَـا رَحْـمَـةٍ نَـالاَ مِنَ الـرِّضْـوَانِ مَـا قَصَـدَاهُ

قَـدْ عَـزَّ مَـنْ وَالاَهُ فِي الـدُّنْيَـا وَفِي يَـوْمِ الْـحِسَـابِ وَذَلَّ مَـنْ بَادَاهُ

فَاقْصِـدْ لَـهُ وَاعْـرِفْـهُ وَاسْتَمْسِـكْ بِـهِ تَـلْقَ الْهُـدَى وَكَفَـى الْـمُـرِيـدَ هُـدَاهُ

وَإذَا عَـرَتْـكَ مُـلِمَّـةٌ فَـاهْـتِـفْ بِـهِ تَـسْمَـعْ بِـقَلْبِـكَ حَيْثُ كُنْتَ صَـدَاهُ

وَقَالَ فِي الاسْتِغَاثَةِ(*) :

سَـلْ مَـالِـكَ الْمُلْكِ فَهْـوَ الآمِـرُ النَّـاهِي وَلاَ تَـخَفْ عَـادِيـاً فَـالْـحُكْـمُ لِـلَّهِ[١]

---

(١٣) يراد بالأدب : الحديث الجميل ، النافع بضروب العلم والمعرفة .

(١٤) النوّار : الزهر ، واحدته نوارة . والربى : جمع ربوة ، وهي ما ارتفع من الأرض . وحديث نزه : نزيه ، عفيف ، يجد فيه المستمع كلّ ما يروقه ويشوقه ، ويعجبه .

(١٥) العفاف : الامتناع عما لا يحلّ ولا يجمل من الأقوال والأفعال . والمحمدة : ما يحمد الإنسان به ، أو عليه . والشره : الرغبة الشديدة والاشتهاء للشيء .

(*) هذه المقطوعة من السرنديبيات التي نظمها الشاعر بعد أن برح به الوجد والكرب ، وأضناه البعد والحرمان ، وطال مقامه في منفاه .

(١) العادي : المعتدي الظالم . والحكم : القضاء ، والسلطان .

هُـوَ الَّـذِي يَنْعَشُ الْمَـظْلومَ إنْ عَلِقَتْ ... بِـهِ الـرَّزَايَـا وَيَجْـزِي كُـلَّ تَيَّـاهِ[٢]

فَـاسْجُـدْ لَـهُ وَاقْتَـرِبْ تَبْلُغْ بِـطَاعَتِـهِ ... مَا شِئْتَ فِي الدَّهْـرِ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ جَاهِ[٣]

يَـا رَبُّ قَـدْ طَـالَ بِي شَـوْقِي إلَى وَطَنِي ... فَـاحْلُلْ وَثَـاقِي وَأَلْحِقْنِي بِـأَشْبَـاهِي[٤]

وَامْنُنْ عَلَيَّ بِفَضْـلٍ مِنْـكَ يَـعْصِمُنِـي ... مِنْ كُـلِّ سُـوءٍ فَـإِنِّي عَـاجِـزٌ وَاهِي[٥]

هٰـذَا دُعَـائِي وَحَسْبِي أَنْـتَ مِنْ حَـكَمٍ ... يَعْنُـو لَـهُ كُـلُّ شَـاهٍ أَوْ شَـهِنْشَـاهِ[٦]

وَقَالَ أَيْضاً :

دِينِـي الْـحَنِـيفُ وَرَبِّـيَ الـلَّهُ ... وَشَـهَـادَتِـي أَنْ لَـيْسَ إِلَّا هُـو[١]

لَا جَـاهَ لِـي إِلَّا بِـطَاعَـتِـهِ ... وَلَنِعْمَ عُقْبَى الـطَّاعَـةِ الْجَـاهُ[٢]

أَنَـا خَـاشِـعٌ لِجَـلَالِ قُـدْرَتِـهِ ... مُـتَـقَـلِّبُ الْـجَـنْبَـيْـنِ أَوَّاهُ[٣]

---

(٢) نعشه الله : تداركه من ورطته ، وأقال عثرته . والرزايا : المصائب والأرزاء . وتيّاه : صيغة مبالغة من تاه ، أي تكبّر ، وتجبّر . ويراد هنا مع التكبّر : البغي والعدوان ، والظلم والطغيان .

(٣) المعنى : أن الصلاة ، والعبادة ، والطاعة ، وإخلاص الدين لله تقرّب العبد من الله ، وتبلغه ما يريده ويتمناه في دنياه من عزّ ومنعة ، وجاه ، ورفعة شأن .

(٤) طال نفي الشاعر واغترابه ، فبلغ سبعة عشر عاماً أو تزيد ، وبرّح به الوجد والشوق إلى أهله ووطنه ؛ فاتجه إلى الله تبارك وتعالىٰ مستنجداً مستغيثاً ، داعياً أن يفكّ أسره ، ويلحقه بأمثاله .

(٥) منّ عليه : أنعم عليه نعمة طيّبة . وفضل الله : رحمته ، وإحسانه . وعصمه : حفظه ، ووقاه . وواه : ضعيف ، عاجز .

(٦) الحكم : من أسماء الله تعالىٰ ، ومعناه الحاكم . ويعنو : يذلّ ، ويخضع . والشاه : الملك . والشهنشاه : ملك الملوك .

(١) الدين الحنيف : المستقيم الذي لا عوج فيه ، وهو الإسلام . وحنيفاً : أي مائلاً عن سائر الأديان الباطلة إلى الدين الحق .

(٢) الجاه : المنزلة ، والقدر . والعقبى ، والعاقبة : الثواب ، وجزاء الأمر .

(٣) تقلّب جنبيه : كناية عن عدم استقراره في نومه ، لفرط خشوعه ، وضراعته لله ، واشتغال قلبه بذكر الله .



فَـأَضَـالِعِي لِلْوَجْدِ نَـارُ غَضىً   وَمَحَاجِرِي بِـالـدَّمْـعِ أَمْوَاهُ(٤)
زَهَـتِ الْقُلُوبُ بِنُـورِ حِكْمَتِـهِ   وَتَعَـطَّرَتْ بِـالـذِّكْـرِ أَفْـوَاهُ(٥)
أَنَـا أُمَّـةٌ وَحْـدِي عَـلَى سَـرَفٍ   فِـي حُبِّـهِ وَالنَّـاسُ أَشْبَـاهُ(٦)
إِنْ تَـاهَ غَيْـرِي بِـالـزَّمَـانِ فَلِي   قَـلْبٌ بِـذِكْـرِ الـلَّهِ تَـيَّـاهُ(٧)

وَقَالَ :

جُـدْ بِـالـنَّـوَالِ فَـرِزْقُ اللَّهِ مُتَّصِـلٌ   وَلَا تَكُنْ عَنْ صَنِيعِ الْخَيْرِ بِـالـلَّاهِي
فَـالْبُخْـلُ وَالْجُبْنُ فِي الإِنْسَـانِ مَنْقَصَـةٌ   لَمْ يَجْنِهَـا غَـيْـرُ سُـوءِ الـظَّنِّ بِـاللَّهِ

وَقَالَ :

لِمُصْـطَفَى صَادِقٍ فِي الشِّعْـرِ مَنْـزِلَـةٌ   أَمْسَى يُعَـادِيـهِ فِيهَـا مَنْ يُصَـافِيـهِ(١)

---

(٤) الأضالع ، والأضلاع : عظام قفص الصدر . ويريد بأضالعه : ما انطوت عليه ضلوعه ، أو يريد القلب . والوجد : الحب . والغضى : شجر خشبه من أصلب الخشب ، وجمره يبقى زماناً طويلاً لا ينطفىء . والمحاجر : جمع محجر ، وهو من العين ما أحاط بها . والأمواه : المياه ، جمع ماء .

(٥) زها : أضاء ، وأنار . والحكمة من الله تعالىٰ : معرفة الأشياء ، وإيجادها على غاية الإحكام والإتقان . ومن الإنسان : معرفة الموجودات ، وفعل الخيرات .

(٦) الأمّة : الرجل الجامع لخصال الخير . والسرف : الضراوة بالشيء ، والولوع به ، ومجاوزة الحدّ فيه . والناس أشباه : أي متشابهون في الغفلة عن ذكر الله ، والاغترار بالدنيا .

(٧) تاه : تكبّر ، وتجبّر . ويراد بالزمان : إقبال الدنيا بزينتها وزخرفها . وقلب تيّاه بذكر الله : أي كثير ذكر الله ، صيغة مبالغة من تاه (كباع) ، بمعنى ابتهى وافتخر .

(١) مصطفى صادق الرافعي (١٨٨٠ ـ ١٩٣٧) : شاعر ، ناثر ، أديب ، ناقد ، من شعراء مدرسة البارودي ، ومن أصدقائه . احتفل في شعره بالمعاني ، وأخرج عدة دواوين ، ودارت بينه وبين المجددين في الشعر والأدب معارك نقدية عنيفة حامية . ومن مؤلفاته المطبوعة : حديث القمر ، والمساكين ، وتاريخ آداب العرب ، وإعجاز القرآن ، ووحي القلم ، وتحت راية القرآن . وصافاه : صدقه الإخاء والمودة .

صَاغَ الْقَرِيضَ بِإِتْقَانٍ فَلَوْ تُلِيَتْ صُدُورُهُ عُلِمَتْ مِنْهَا قَوَافِيهِ[٢]

مُهَذَّبُ الطَّبْعِ مَأْمُونُ الضَّمِيرِ إِذَا بَلَوْتَهُ كَانَ بَادِيهِ كَخَافِيهِ[٣]

حَازَ الْكَمَالَ فَلَمْ يَحْتَجْ لِمَنْقَبَةٍ فَلَسْتَ تَنْعَتُهُ إِلَّا بِمَا فِيهِ[٤]

وَقَالَ فِي أَهْلِ « سَرَنْدِيبَ » :

إِنَّ « سَرَنْدِيبَ » عَلَى حُسْنِهَا يَسْكُنُهَا قَوْمٌ قِبَاحُ الْوُجُوهْ[١]

مِنْ كُلِّ فَدْمٍ لَائِكٍ مُضْغَةً يَمُجُّهَا كَالدَّمِ فِي الْأَرْضِ فُوهْ[٢]

تَحْسَبُهُ مِنْ نَضْحِ أَشْدَاقِهِ رَكِيَّةً تَجْرِي دَمًا أَوْ تَمُوهْ[٣]

لَا يُشْبِهُ الْوَالِدُ مَوْلُودَهُ مِنْهُمْ وَلَا الْمَوْلُودَ مِنْهُمْ أَبُوهْ[٤]

---

(٢) صاغ الشعر : أنشأه ونظمه . والقريض : الشعر . وصدوره : أوائله ، ومقدّماته . ويراد بقوافيه : أواخره ونهاياته .

(٣) طبع مهذّب : سليم مستقيم . ومأمون الضمير : سليم دواعي الصدر ، مترفّع عن الخيانة . وبلاه يبلوه : جرّبه ، واختبره . وباديه : ظاهره . والخافي : ضد البادي . وباديه كخافيه : تأكيد لمعنى « مأمون الضمير » ؛ فهو لا يضمر خلاف ما يظهر .

(٤) المنقبة : الفعل الكريم ، والمفخرة . وضدها المنقصة ، والعيب . ولم يحتج لمنقبة : أي مناقبه ومحامده صحيحة صادقة ، فلا يحتاج إلى أن ينتحل لنفسه منقبة ، أو يدّعي من المفاخر ما ليس له .

(١) يقول : في طبيعة « سرنديب » حسن وبهجة ، وفي وجوه سكّانها قبح ودمامة .

(٢) وصم سكّان « سرنديب » بالفدامة ، أي قلة الفهم ، وندّد بعادة من عاداتهم المرذولة المستقذرة ، وهي أنهم يلوكون في أفواههم مضغات التبغ ، ثم يمجّونها في الأرض كالدم الغليظ .

(٣) تحسبه ركيّة : أي تظن الواحد من أهل « سرنديب » ركيّة . والنضح : الرشّ ، أو الرشح . يقال : نضح الإناء بما فيه . والأشداق : جمع الشدق ، وهو جانب الفم ، مما تحت الخدّ . والركيّة : البئر التي لم تطو ، أي التي لم تبن . وماهت البئر تموه : ظهر ماؤها ، أو كثر .

(٤) قد رمى الشاعر أهل « سرنديب » بالتفريط في الأعراض ، واختلاط الأنساب ، ونفى عن الأمهات العفّة والحصانة بنفيه المشابهة والمشاكلة التي ينبغي أن تكون بين الوالد ومولوده .

يَـغْـلُظُ طَـبْـعٌ مِـنْـهُـمُ فَـاقِـدٌ مَـزِيَّـةَ الْـعِـلْـمِ وَوَجْـهُ يَـشُـوهْ[٥]

مَـنْ أَيْنَ يَـدْرِي الْـفَـضْـلَ مَـعْـدُومُـهُ لَا يَـعْـرِفُ الْـمَـعْـرُوفَ إِلَّا ذَوُوهْ[٦]

لَا تَـلْبَـثُ الْـحِـكْـمَـةُ مَـا بَـيْـنَـهُـمْ وَلَا يَـرِيـثُ الْفَـضْـلُ حَـتَّـى يَـتُـوهْ[٧]

تَـظُنُّ بَـعْـضَ الْـقَـوْمِ عَـلَّامَـةً وَهْـوَ إِذَا يَـنْـطِقُ هَـامٌ يَـنُـوهْ[٨]

لَا تَـعْـرِفُ الْـمَـرْءَ بِـأَخْـلَاقِـهِ فِـي غَمْـرَةِ الْعَـالَمِ حَـتَّـى يَـفُـوهْ[٩]

---

(٥) رماهم بغلظ الطباع ، وجفاء الأخلاق ، والجهل ، ودمامة الوجوه ، وقبح الخلقة .
(٦) جرّدهم من الفضل ، والمعروف ، والخير والبرّ .
(٧) راث : أبطأ . وتاه في الأرض : ضلّ ، وذهب متحيّراً .
(٨) الهام : جمع هامة ، وهي البومة . وناهت الهامة تنوه : رفعتْ رأسها ، فصرختْ .
(٩) الغمرة : الزحمة . والعالم : الخلق ، والناس . وفاه بالقول يفوه : نطق به، ولفظ ، ومثله تفوّه .

وقَالَ في رَجُلٍ اسْمُهُ زُنْبُورٌ :

لَـقَـدْ أَسْـمَـوْكَ زُنْـبُـوراً فَـلَـمْ يُـخْـطِـئْـكَ مَـعْـنَـاهُ[١]

وَقَـدْ قَـالُـوا لِـكُـلِّ اسْـمٍ نَـصِـيـبٌ مِـنْ مُـسَـمَّـاهُ[٢]

(١) الزنبور : ذباب لسّاع ، أو حشرة أليمة اللسع ، والجمع زنابير . وأخطأ الهدف ونحوه : لم يصبه . ولم يخطئك معنى الزنبور : أي أنت مثله في الإيذاء والإضرار .
(٢) اسم المهجوّ « زنبور » . ومسمّاه : الحشرة اللاسعة المؤذية . ونصيب المهجو من هذا المسمى أنه شابه الزنبور في الإيذاء والإضرار .

قافيـة الـواو

وَسَأَلَهُ بَعْضُ أَصْدِقَائِهِ أَنْ يُوَازِنَ(*) قَصِيدَةَ الْبُحْتُرِيِّ(**) الَّتِي أَوَّلُهَا :

لَـنَـا أَبَـداً بَـثٌّ نُـعَـانِـيـهِ فِـي « أَرْوَى »
وَ « حُـزْوَى » وَكَمْ أَدْنَتْـكَ مِنْ لَـوْعَـةٍ « حُـزْوَى »

فَقَالَ :

(*) وازن الشيء الشيء : ساواه في الوزن . ووازن الشاعر قصيدة غيره : إذا نـظم قصيدة من بحرها ، على وزنها ، ورويّها . والقصيدتان هنا من الطويـل ، أول بحور الشعـر العربي ، وأطولها ، وأشهرها . والرويّ فيهما : الواو ، وهو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة ، وتنسب إليه .

(**) البحتري : أبو عبادة ، الوليد بن عبيد البحتري الطائي ، شاعر مطبوع ، تصرف في فنون الشعر ، ما عدا الهجاء ؛ فقد كان عنده قليلاً ضيقاً ، ولما أحس بدنو أجله أحرق ما نظمه فيه على ضيقه وقلته . وبلغ البحتري بشعره المرتبة العليا ، حتى سماه النقاد سلاسل الذهب . وسئل أبو العلاء المعري : من أشعر الثلاثة : أبو تمام ، أم البحتري ، أم المتنبي ؟ فقال : أبو تمام والمتنبي حكيمان ، وإنما الشاعر البحتري . وقد مدح المتوكل العباس وغيره من خلفاء الدولة العباسية وأمرائها وأكابر الناس . وأقام ببغداد دهراً طويلاً ، ثم عاد إلى الشام ، وكانت ولادته بمنبج ، وهي بلدة قديمة بين حلب والفرات . وتوفي بها سنة ٢٨٤هـ عن ثمانين عاماً . وديوان شعره جزءان في ٧٩٩ صفحة ، طبعة المطبعة الأدبية ببيروت ـ لبنان سنة ١٩١١م . وقصيدته الواوية التي قدمنا مطلعها نظمها في مدح أبي عيسى بن صاعد ، وعدد أبياتها واحد وأربعون بيتاً ، فهي أطول قليلاً من قصيدة البارودي .

أَقِلَّا مَلَامِي فِي هَـوَى الشَّادِنِ الْأَحْـوَى	فَقَلْبِي عَلَى حَمْـلِ الْمَلَامَـةِ لَا يَقْوَى[1]
كَفَى بِـالْهَوَى شُغْـلاً عَنِ اللَّوْمِ بِامْـرِئٍ	بَرَاهُ الضَّنَى وَاسْتَمْطَرَتْ عَيْنَـهُ الْبَلْوَى[2]
فَلَيْسَ الْهَـوَى سَهْـلاً فَـأَلْـوِي عِنَـانَـهُ	وَإِنْ كُنْتُ يَـوْمَ الـرَّوْعِ ذَا مِـرَّةٍ أَلْـوَى[3]
هُـوَ الْحُبُّ يَعْتَـامُ الْكِـرَامَ وَلَنْ تَـرَى	لَئِيماً يَنَالُ السَّبْقَ فِي الْفَضْلِ أَوْ يَهْوَى[4]
وَمَنْ ذَا الَّـذِي يَقْـوَى عَلَى دَفْـعِ مَـا أَتَى	بِـهِ الْحُبُّ مِنْ جَـوْرٍ وَسُلْطَانُـهُ أَقْوَى[5]
سَبُـوقٌ إِذَا جَـارَى لَحُـوقٌ إِذَا هَـوَى	غَـلُوبٌ إِذَا بَـادَى قَتُـولٌ إِذَا أَهْـوَى[6]

---

(١) أقلا ملامي : أي كفا عن لومي ، ولا تحاولاه . والملام والملامة : اللوم والعذل . والشادن : ولد الظبية ، ويراد به الفتاة الحسناء التي هويها الشاعر ، وهام بها . والعرب تشبّه حسان النساء بالغزلان . والأحوى : صفة من الحوة ، وهي حمرة تضرب إلى السواد . وشفّة حوّاء : أي حمراء . وحوّة الشفة من محاسن النساء عند العرب .

(٢) عن اللوم بامرىء : أي عن لوم امرىء . وبراه : هزله وأنحله ، وأرق جسمه ، وأضناه . والضنى : المرض الشديد . واستمطر استمطاراً : طلب المطر . والبلوى : الاختبار . ويكون البلاء بالخير ، وبالشر . ويراد بالبلوى هنا : محنة الحب . واستمطرتْ البلوى عينه : أي اشتدّ به الحب ، حتى بكى بكاء شديداً بدموع منهمرة غزيرة .

(٣) ألوي عنانه : أكفه ، وأصرفه عني . يريد أن الهوى صعب عسير ، ينطلق في مجاله ، ويسيطر على المحب ، ويسلبه إرادته واختياره . والروع : الفزع والذعر . ويوم الروع : يوم الحرب . وذو مرة : صاحب قوّة ، وحصافة . والمرّة : العقل ، أو شدّته واستحكامه . ورجل ألوى : شديد الخصومة ، قويّ .

(٤) يعتام : يقصد .

والمعنى : أن الفاضل الكريم يحب ويهوى ، أما المهين اللئيم فإنه لا يسبق إلى الفضل ، ولا يهواه ، ولا يكاد ينفتح قلبه للحب ، أو يستشعره ، أو يتمناه .

(٥) الجور : الظلم ، والميل عن القصد ، ويراد به هنا : الغلبة ، والسيطرة . وسلطان الحب : قوّته ، وسيطرته . وسلطان الحب أقوى : أي سلطانه أقوى من قوّة القويّ ، ومدافعة المدافع .

(٦) سبوق : سبّاق . وجاراه : سابقه في الجري . ولحوق : صيغة مبالغة من لحقه ، ولحق به ، إذا أدركه . وهوى يهوي : سقط من عُلْو إلى سُفْل . وغلوب : صيغة مبالغة من غلبه ، أي قهره . وباداه مباداة : بارزه ، ونازله . وقتول : صيغة مبالغة من القتل . وأهوى يهوي إهواء : انقضّ ، وهجم .

لَـهُ سُورَةٌ لَـوْ صَـادَمَتْ رُكْنَ يَـذْبُـلٍ ... وَرَضْوَى لَهدَّتْ يَذْبُلاً وَمَحَتْ رَضْوَى[٧]

فَحَتَّـامَ يَلْحَـانِي الْعَـذُولُ عَلَى الْهَـوَى ؟ ... أَلَيْس يَـرَى مَـا بِي فَيَجْتَنِبَ الشَّكْـوَى[٨]

لَقَـدْ سَـامَنِي طَيَّ الْـغَـرَامِ وَمَـا دَرَى ... بِـأَنَّ الْهَوَى الْعُـذْرِيَّ يَكْبُرُ أَنْ يُـطْوَى[٩]

وَبِي بَـلْ بِقَـوْمِي الأَكْـرَمِينَ خَـرِيـدَةٌ ... إِذَا سَفَرَتْ كَادَتْ لَهَا الشَّمْسُ أَنْ تَضْوَى[١٠]

مِنَ الْغِيـدِ كَحْـلاَءُ الْمَحَـاجِرِ لَـوْ رَنَتْ ... إِلَى القَسِّ فِي نَامُوسِهِ أَخْطَأَ النَّجْوَى[١١]

تُمِيتُ وَتُحْـيِـي مَنْ تَـشَـاءُ بِلَحْـظِـهَـا ... فَمِنْ عَـاشِقٍ يَحْيَا وَمِنْ عَـاشِقٍ يَثْوَى[١٢]

بَـعَثْـتُ لَهَـا قَـلْبِي عَـلَى إِثْـرِ لَـحْـظَةٍ ... فَمَا عَادَ إِلاَّ وَهْـوَ بِالْحُسْنِ مُسْتَهْـوَى[١٣]

وَأَفْنَيْتُ عُمْـرِي فِي رِضَـاهَـا فَلَمْ أَنَـلْ ... سِـوَى رَاحَـةٍ تَـرْتَـدُّ أَوْ عِـدَةٍ تُلْوَى[١٤]

وَأَصْـبَحْـتُ مَغْـلُوبَ الـرَّشَـادِ وَقَـلَّمَـا ... يَعُودُ رَشِيداً صَالِحَ الْعَقْلِ مَنْ يَغْوَى[١٥]

---

(٧) سورة : سطوة ، وصولة . وصادمه : دافعه . وركن الشيء : أحد جوانبه التي يستند إليها ، ويقوم عليها . ويراد بركن « يذبل » وركن « رضوى » : هذان الجبلان .

(٨) لحاه : لامه وعذله . والعذول : اللوّام . والشكوى هنا : اللوم ، والعتاب .

(٩) سامه كذا : كلّفه إيّاه ، وألزمه به . وطوى الأمر : كتمه ، وأخفاه .

(١٠) الخريدة : الفتاة العذراء . وسفرت المرأة : كشفتْ عن وجهها ، فهي سافر . وضوى يضوى : هزل ، وضعف . ويراد بالضوى هنا : كسوف الشمس ، واحتجابها ، فضياء المتغزل بها يكاد يحجب ضياء الشمس ، وإذا كشفتْ عن وجهها كادت الشمس تكسف حياءً وخجلاً .

(١١) الغيد : جمع غيداء ، وهي الفتاة الناعمة ، الليّنة الجوانب . ورنا : أدام النظر في سكون طرف . والقسّ : القِسّيس ، وهو رئيس دينيّ من رؤساء النصارى . والناموس : بيت الراهب وصومعته . والنجوى : إسرار الحديث . ويراد بها هنا : نجْوى العبادة .

(١٢) المعنى : أن نظراتها فاتنة ساحرة تنعش بها من تقبل عليه من عشاقها ، وتهلك من تعرض عنه .

(١٣) استهواه الحسن استهواء : تيّمه ، وشغل قلبه .

(١٤) الراحة : الكف . وارتدادها : كناية عن الإخفاق ، وعدم الظفر بالمراد . والعدة : الوعد . والمراد وعد الإقبال والوصال . وتلوى : تمطل ، وتسوّف .

(١٥) الرشاد ، والرشد : الاهتداء ، والصلاح ، والاستقامة على طريق الحق . وضده الغيّ

خَضَعْتُ لأَحْكَامِ الْهَوَى وَلَطَالَمَا — أَبَيْتُ فَلَمْ أَخْضَعْ لِمَنْ يَهَبُ الْجَدْوَى[١٦]

وَإِنِّي امْرُؤٌ لَوْلاَ الْهَوَى مَا وَجَدْتَنِي — أَدِينُ لِغَيْرِ اللَّهِ أَوْ أَرْهَبُ الْعَدْوَى[١٧]

بَعِيدُ مَنَاطِ الْهَمِّ تُرْهَبُ صَوْلَتِي — إِذَا مَا دَجَا خَطْبٌ وَبَادِرَتِي تُرْوَى[١٨]

لِسَانِيَ خَلُوبٌ فِي الْجِدَالِ وَصَارِمِي — رَسُوبٌ وَرَأْيِي مِنْ سَمَاءِ الضُّحَى أَضْوَى[١٩]

وَعِنْدِي إِذَا مَا الْحَرْبُ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا — عَزِيمَةُ لَيْثٍ مَا تَهِرُّ وَمَا تُعْوَى[٢٠]

وَحِلْمُ كَرِيمٍ يَمْلأُ الْغَيْظُ قَلْبَهُ — فَيَكْظِمُهُ وَالْحِلْمُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى[٢١]

وَعِفَّةُ نَفْسٍ لاَ تُزَنُّ بِرِيبَةٍ — وَجُودٌ بِهِ ظَلَّتْ عُفَاةُ النَّدَى تَرْوَى[٢٢]

والضلال . والرشيد : المهتدي ، وذو الرشد . ومغلوب الرشاد : أي رشاده مغلوب مقهور . وغوى يغوي غواية : أمعن في الضلال ، وخاب ، وفسد عيشه ، وانهمك في الجهل .

(١٦) أبى : استعصى ، وامتنع . ووهب له الشيء يهبه : أعطاه إيّاه بلا عوض . والجدوى : الهبة ، والعطيّة .

(١٧) يقول : إنه خضع لأحكام الحب ، ولم يكن قلبه يدين لغير الله عزّ وجلّ ، ولم يكن يخاف ظلم الظالمين ، وعدوان المعتدين ؛ ولكنه على الرغم من قوّته وإبائه دان للهوى واستكان .

(١٨) بعيد مناط الهمّ : أي همّتي عظيمة . وترهب : تخاف وتتّقى (بالبناء للمجهول) . والصولة : السطوة ، والبطش في الحرب ونحوها . ودجا : أظلم ، والمراد اشتدّ . والخطب : الأمر الشديد ، ينزل بالناس . وخطوب الدهر : نوائبه وشدائده . والبادرة : الغضبة السريعة . وتروى : تنقل . والمراد أن الناس ، أو الرواة يتناقلون بوادري ، ويذيعونها إعجاباً ، أو عَجَباً ، أو اهتياباً وخوفاً .

(١٩) خلوب : خلّاب ، قاطع ، غلّاب . والصارم : السيف القاطع الباتر . وسيف رسوب : يمضي ، أو ينفذ . وأضوى : أضوأ ، أي أشدّ إضاءة ، وأعظم نوراً .

(٢٠) إلقاء الحرب قناعها : كناية عن اشتدادها ، وتوقّد نارها . والليث : الأسد . وعزيمة لا تهرّ ، ولا تعوى (بالبناء للمجهول فيهما) : أي عزيمة قاطعة قوية ، لا يعتريها ضعف أو فتور .

(٢١) الحلم : الأناة ، والصبر المحمود ، وضبط النفس . وكريم : أي كريم الأخلاق . والغيظ : الغضب الشديد . وكظم الرجل غيظه : أمسك على ما في نفسه منه صافحاً متسامحاً . والتقوى : خشية الله .

(٢٢) عفّ : كفّ عما لا يحلّ . ولا تزنّ بريبة : أي لا تتّهم بسوء . والجود : البذل . والعفاة : جمع العافي ، وهو من يطلب الفضل والمعروف . والندى : الجود ، والسخاء .

وَلِي هِمَّةٌ لَوْلاَ الْعَوائِقُ مَهَّدَتْ ... يَدُ الْمَجْدِ فِي أُفْقِ السَّمَاءِ لَهَا مَثْوَى(٢٣)

بَلَغْتُ بِهَا بَعْضَ الْمُنَى غَيْرَ أَنَّنِي ... جَدِيرٌ بِأَنْ أَحْوِي بِهَا كُلَّ مَا أَهْوَى(٢٤)

فَإِنْ سَادَ غَيْرِي بِالْجُدُودِ فَإِنَّنِي ... بِهِمْ وَبِفَضْلِي رِشْتُ سَهْمِي فَمَا أَشْوَى(٢٥)

وَلَيْسَ عُلُوُّ النَّفْسِ بِالْجَدِّ وَحْدَهُ ... وَلَيْسَ كَمَالُ الْمَرْءِ فِي شَرَفِ الْمَأْوَى(٢٦)

إِذَا حَرَّكَتْنِي نَحْوَ أَرْضٍ وَتِيرَةٌ ... رَكِبْتُ لَهَا عَزْمِي وَإِنْ بَعُدَ الْمَهْوَى(٢٧)

فَإِنْ كَانَ سَوَّى الدَّهْرُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ ... أَرَى مِنْ بَنِيهِ فِي الْحُظُوظِ فَمَا سَوَّى(٢٨)

بَرِئْتُ مِنَ الْغِلِّ الَّذِي أَصْبَحَتْ بِهِ ... قُلُوبُهُمُ مِنْ شَرِّ مَا حَمَلَتْ تَدْوَى(٢٩)

نَصَحْتُ وَغَشُّوا واسْتَقَمْتُ وَرَاوَغُوا ... وَهَلْ مَنْ هَدَى بَيْنَ الأَنَامِ كَمَنْ أَغْوَى(٣٠)

وَإِنِّي إِذَا مَا الْخَطْبُ أَمْقَرَ طَعْمُهُ ... نَبَذْتُ بِهِ رَأْياً أَلَذَّ مِنَ السَّلْوَى(٣١)

---

(٢٣) الهمة : العزم القويّ . والعوائق : الموانع . وعوائق الدهر : الشواغل من أحداثه . ومهّد : بسط ، ووطّأ . والمثوى : المستقرّ .

(٢٤) يقول : إنه بلغ بهمته بعض آماله ، ولكنه خليق أن يجمع بها كل ما يرغب فيه ، ويطمح إليه من الغايات البعيدة ، والمطامع الرفيعة .

(٢٥) ساد : عظم ، وشرف . ويريد بفضله : فضائله ، وكفاياته . ورشت سهمي فما أشوى : أي أعددت سهمي إعداداً تامّاً للرماية ، فاستدّ ، وما أخطأ الهدف .

(٢٦) يراد بشرف المأوى : مجد الآباء والأجداد . أي وليس علوّ النفس في مجد الجدود وحده ، وليس كمال المرء في شرف المأوى وحده .

(٢٧) الوتيرة : الثأر . وركبت لها : أي ركبت للأرض ، أو للوتيرة . والعزم : الصبر ، والجدّ ، والإرادة القاطعة الماضية القوية . والمهوى : اسم مكان من هوى يهوي ، إذا سقط من أعلى إلى أسفل . والمراد : وإن بعدت الشُّقّة ، وامتدت الطريق ، وشقّ السفر .

(٢٨) سوّى في الشطر الأول : بمعنى ساوى وعادل أو ماثل . وسوّى في آخر البيت : بمعنى قوّم ، وعدّل ، وأصلح . والمراد : فما عدل في تسويته ، ولا أنصف .

(٢٩) الغلّ : الضغن ، والحقد ، والغشّ . وتدوى : يخامرها داء الحقد والضغينة .

(٣٠) راوغه مراوغة : خادعه وخاتله . والناصح : ضد الغاشّ . والمستقيم : ضد المراوغ . وأغواه إغواء : أضلّه ، وأفسده . وهو ضدّ أرشده وهداه .

(٣١) الخطب : الأمر الشديد ، ينزل بالناس . وأمقر الشيء إمقاراً : صار مرّاً . وإمقار طعم الخطب : كناية عن اشتداده وفدحه . ونبذ الشيء : طرحه وألقاه .

أَصَبْتُ كُلَى الأَحْـدَاثِ حَتَّى تَـرَكْتُهَـا ... عَلَى جَمَرَاتِ الْغَيْظِ تَأْمُورُهَا يُشْـوَى[٣٢]

وَصُغْتُ مِنَ السِّحْرِ الْحَـلاَلِ قَصَـائِـدَاً ... تَظَلُّ بِهَا نَفْسُ الْمُعِيـدِ لَهَـا نَشْـوَى[٣٣]

فَمَـا قَيَّـدَتْنِي لَفْـظَةٌ دُونَ حِكْمَةٍ ... وَلاَ غَرَّنِي قَوْلٌ فَمِلْتُ إِلَى الدَّعْوَى[٣٤]

وَيَا طَالَمَـا رُمْتُ الْقَوَافِي فَـأَقْبَلَتْ ... سِرَاعاً فَلاَ أَرْوَى ذَكَرْتُ وَلاَ حُزْوَى[٣٥]

فَـلاَ يَحْـذُوَنَّ النَّـاسُ حَـذْوَ بَـلاَغَتِي ... فَأَقْرَبُ مَا فِي شَأْوِهَا الْغَايَـةُ الْقُصْوَى[٣٦]

وَقَالَ فِي الْغَزَلِ :

وَيْـلاَهُ مِـنْ نَـارِ الْـهَـوَى ... وَآهِ مِـنْ طُـولِ الْـجَـوَى[١]

أَرْسَـلْتُ طَـرْفِـي رَائِـداً ... فَـمَـا عَـلاَ حَـتَّـى هَـوَى[٢]

---

(٣٢) الكلى : جمع كلية . والأحداث : جمع حدث ، وهو الأمر الحادث المنكر غير المعتاد . والغيظ : غضب شديد كامن للعاجز . وجمرات الغيظ : أي الغيظ الذي يتوقّد من شدته ، ويلتهب التهاب الجمر . والتأمور : النفس ، والقلب . وتأمورها : تأمور الأحداث .

(٣٣) صاغ الكلام : نظمه . ويراد بالسحر الحلال : البيان الرائع ، والشعر الرصين الحكيم . ونشوى : سكرى .

(٣٤) يقول : إنه لا يتقيّد في شعره وبيانه بالألفاظ ، يجري وراءها ، ويحرص عليها ، فتصرفه عن الحكمة ، وفصل الخطاب . وكذلك لا يغترّ بقوله فيدّعي دعاوى باطلة ، أو يزيّن بشعره الباطل ، أو ينحرف به عن الحق والسداد .

(٣٥) رام الشيء : أراده ، وطلبه . ويراد بالقوافي هنا : القصائد التي نظمها الشاعر في شتى أغراض الشعر ، وضروبه ، وأبوابه وفنونه . ويريد بإقبالها عليه سراعاً : أنها منطاعة له ، سهلة عليه . و« أروى » و« حزوى » : موضعان في شبه الجزيرة العربية . ولعلهما من مواطن الحب ، ومنازل الغرام التي ردّدها البحتري وأمثاله . ولعل المراد بالشطر الثاني : أنه لم يقصد في شعره إلى محاكاة غيره ، أو ترديد ما ردده شعراء العرب من قبله ، وإنما كان يصدر عن شعوره وفكره وخوالج نفسه .

(٣٦) حذا فلان حذو فلان : أي فعل مثل ما يفعل . والشأو : الأمد ، والغاية ، ومنتهى الشيء . والغاية القصوى : الغاية البعيدة ، أو المتناهية في البعد .

(١) ويلاه : أسلوب ندبة ، وهي هنا : نداء المتوجع منه . وآه : كلمة تأوه وتوجع . والجوى : طول المرض من العشق والحب .

(٢) الطرف : العين ، والنظر . والرائد : من يتقدم القوم . وراد الشيء : تلمسه وطلبه . وهوى : هُوِيّاً : سقط من علو إلى سفل .

وَسَارَ قَلْبِي خَلْفَهُ فَلَمْ يَعُدْ حَتَّى اكْتَوَى[٣]

قَدْ طَالَمَا زَجَرْتُهُ يَا لَيْتَهُ كَانَ ارْعَوَى[٤]

لِكُلِّ شَيْءٍ آفَةٌ وَآفَةُ الْقَلْبِ الْهَوَى[٥]

أَمَا كَفَى هَذَا الْجَفَا حَتَّى أَعَانَتْهُ النَّوَى ؟[٦]

أَيْنَ اللِّوَى وَعَهْدُهُ ؟ أَيْهَاتَ عَهْدٌ بِاللِّوَى[٧]

وَظَبْيِ أُنْسٍ سُمْتُهُ إِنْجَازَ وَعْدِي فَلَوَى[٨]

طَلَبْتُ مِنْهُ قُبْلَةً فَازْوَرَّ عَنِّي وَالْتَوَى[٩]

وَسُمْتُهُ وَعْدَ الْمُنَى فَانْحَازَ عَنِّي وَانْزَوَى[١٠]

يَا سَائِلِي عَنْ حَالَتِي دَعْنِي فَصَبْرِي قَدْ ذَوَى[١١]

---

(٣) سار قلبه وراء عينه ، فما لبث أن احترق بلواعج الحب والهيام .

(٤) زجرته : منعته ، ونهيته . وارعوى : كفّ ، وارتدع .

(٥) الآفة : العاهة . ولا ريب أن الحب يصيب القلب ؛ فيسيطر عليه ، ويصرفه عن جد الحياة ، ومهامّ الأمور . وهذا هو الإفساد .

(٦) الجفا : الجفاء . وجفا الحبيب : صدّ ، وأعرض . وضده الإقبال ، والوصال . والنوى : البعد ، والفراق .

(٧) اللوى (كإلى) : ما التوى من الرمل ، وانحنى . ويراد بالعهد : ما كان بينه وبين الحبيب من التقاء ، وذمة ، وموثق . وأيهات : هيهات ، اسم فعل ماض ، معناه بعد ؛ فهي كلمة تبعيد .

(٨) الظبي : الغزال ، وتشبه به الحسناء من النساء . والأنس (بضم فسكون) : ضد الوحشة ، أي ورب ظبي مؤانس ملاطف . أو هي « إنس » (بكسر فسكون) : أي ظبي من الناس ، لا من الحيوان . وسمته إنجاز وعده : أردته ، وطلبته . ولوى : أعرض ، أو تثاقل وتباطأ .

(٩) ازورّ عنه : مال ، وأعرض . والتوى : عسر ، وصعب . والتوى عن الأمر : تثاقل ، وتباطأ ؛ فهو تأكيد لمعنى الازورار .

(١٠) سمته : أي طلبتُ من هذا الحبيب . والمنى : جمع منية ، وهي الأمنية . ووعد المنى : الوعد الذي تمنيته ، أو الوعد الذي مناني به . وانحاز عني : عدل عني ، وازور . وانزوى انزواء : انقبض ، وتجهم .

(١١) دعني : بمعنى اتركني . وذوى : ذبل ، وضعف . وذوى صبره : نفد ، وفنى .

وَكَـانَ قَـلْبِـي رَاشِـدَاً لَـكِـنَّـهُ الْـيَـوْمَ غَـوَى[١٢]
أُوقِـعَ فِـي أَشْـرَاكِـهِ لِـكُـلِّ حَـيٍّ مَـا نَـوَى[١٣]
فَـكَـيْـفَ أَمْضِـي فِـي الْـهَـوَى وَالْـجِسْـمُ مَحْـلُـولُ الْقُـوَى[١٤]
وَأَيْـنَ أَبْـغِـي نَـاصِـرَاً ؟ هَـيْهَـاتَ وَالْـخَيْـرُ انْـطَوَى[١٥]
أَصْـبَـحْـتُ فِـي تَـيْـهُـورَةٍ يَـسْـأَمُ فِـيـهَـا مَـنْ ثَـوَى[١٦]
لَا صَـاحِـبٌ وَافَـى وَلَا خِـلٌّ إِلَـى حَـالِـي أَوَى[١٧]
فَـيَـا إِلٰـهِـي رَاعِـنِـي وَادْفَـعْ عَـنِ النَّـفْسِ التَّـوَى[١٨]
وَلَا تَـكِـلْنِـي لِـلَّتِـي لَـوْ صَـادَفَتْ نَجْمَـاً خَـوَى[١٩]

---

(١٢) رشد : اهتدى ، وأصاب الصواب ، فهو راشد . وغوى : أمعن في الضلال ، فالرشد والاهتداء : ضد الغيّ والضلال .

(١٣) الأشراك : جمع شرك ، وهو حبالة الصيد ، أي المصيدة .
يريد : أنه نظر إلى هذه الحسناء نظرة عابرة بريئة ، بنيّة بعيدة عن الريب والشبهات ، ولكنه على الرغم من هذا كلّه ما لبث أن تعلّق بها قلبه ، ووقع في حبائل الهوى ، وأشراك الغرام .

(١٤) المعنى : فلن أستطيع المضي في سبيل الهوى مع انحلال جسمي ، وذهاب قواي .

(١٥) يستبعد وجود الناصر والمعين . وقد يراد بالناصر هنا : من يخفف بلواه ، ويعينه على أمره ، ويقرّب إليه حبيبه .

(١٦) التيهور ، والتيهورة : ما بين أعلى الوادي والجبل وأسفلهما ، وما اطمأن من الأرض وانخفض ، وموج البحر إذا ارتفع . ويقال : وقعوا في تيهور من الرمل : وهو الذي ينهار وينهال ، ولا يتماسك . ولعل الشاعر يشير بالتيهورة هنا إلى منفاه ومحبسه البغيض الممقوت .
وسئم الشيء ، وسئم منه : ملّه ، وضجر منه . وثوى بالمكان ، وفيه : لبث فيه ، وأقام به ، واستقرّ .

(١٧) وافاه موافاة : أتاه . والخلّ : الصديق الخالص ومثله الخليل . وأوى له ، وإليه : رق له ، ورحمه ، وأشفق عليه .

(١٨) راعاه : حفظه ، ووقاه ، ولاحظه محسناً إليه . والتوى : الهلاك .

(١٩) وكل فلاناً إلى نفسه : إذا تركه ، وتخلّى عنه ، ولم يعنه . وللتي : أي إلى الحال التي . . . . وصادفت : وجدت ، ولاقت . وخوى النجم : هوى ، وسقط . وخوت الدار : تهدّمت .



وَقَالَ يَفْتَخِرُ ، وَيُعَرِّضُ (*) :

تَصَابَيْتُ بَعْدَ الْحِلْمِ وَاعْتَادَنِي شَجْوِي	وَأَصْبَحْتُ قَدْ بَدَّلْتُ نُسْكِيَ بِاللَّهْوِ (١)
فَقُمْ عَاطِنِيهَا قَبْلَ أَنْ يَحْكُمَ النُّهَى	عَلَيَّ وَيَسْتَهْوِي الزَّمَانُ عَلَى زَهْوِي (٢)
فَمَا الدَّهْرُ إِلَّا نَابِلٌ ذُو مَكِيدَةٍ	إِذَا نَزَعَتْ كَفَّاهُ فِي الْقَوْسِ لَمْ يُشْوِ (٣)
فَخُذْ مَا صَفَا مِنْ وُدِّهِ قَبْلَ فَوْتِهِ	فَلَيْسَ بِبَاقٍ فِي الْوِدَادِ عَلَى الصَّفْوِ (٤)
أَلَا إِنَّمَا الأَيَّامُ دُولابُ خُدْعَةٍ	تَدُورُ عَلَى أَنْ لَيْسَ مِنْ ظَمَإٍ تُرْوِي (٥)
فَبَيْنَا تُرَى تَعْلُو عَلَى النَّجْمِ رِفْعَةً	بِمَنْ كَانَ يَهْوَاهَا إِذِ انْقَلَبَتْ تَهْوِي (٦)

(*) عرّض بفلان ، ولفلان تعريضاً : إذا قال قولاً وهو يعنيه ويريده ، ولم يصرّح به ، ولم يبيّنه ؛ فالتعريض : خلاف التصريح .

(١) تصابى تصابياً : تكلّف الصبا ، وهو الصغر والحداثة ، ومال إلى اللهو واللعب . والحلم : الرزانة ، والوقار ، والعقل . وهو هنا يقابل التصابي . واعتادني الشيء : انتابني ، وأصابني . والشجو : الطرب . يقال : شجاه الحديث ، إذا أطربه ، وهزّ مشاعره . والنسك : التزهّد والعبادة . واللّهو : الاستمتاع بملذات الحياة ، وهو خلاف النسك ، فاللهو واللعب كلاهما : الاشتغال بما لا تقتضيه الحكمة ، من هوى وطرب ونحوهما .

(٢) عاطنيها : أعطني الخمر ، أي اسقنيها . والنهى : العقل ، لأنه ينهى عن القبيح . وقبل أن يحكم النهى عليّ : أي قبل أن يردّني عن الشراب . والزهو : الكبر ، والتيه ، والفخر . ويراد بالزهو هنا : ما يقارن الصبا والشباب من النضرة ، والقوّة ، والإعجاب بالنفس . واستهوى الزمان زهوي : هوى به ، وأذهبه . من قولهم : استهوته الشياطين : إذا هوت به ، وأذهبته .

(٣) النابل : الرامي بالنبال ، وهي السهام . والمكيدة : الخديعة . ونزع النابل في القوس : مدّها ، أي جذب وترها للرمي عنها . ولم يشو : لم يخطىء .

(٤) يقول : إن الدهر بالناس متقلب ، وإنّ وداده الصافي لا بقاء له ، ولا دوام ؛ فاغتنم الفرصة ، وانتفع بمسالمته الموقوتة قبل فواتها .

(٥) يقول : ليست الأيام إلا ساقية خادعة ، تدور ولكنها لا تروي غلّة ، ولا تطفىء ظمأ . يريد أن في طبيعة الزمان المخاتلة والخداع ؛ فهو يخدع الناس بالأمانيّ الكاذبة ، ولا يكاد يحقّق لهم شيئاً منها .

(٦) ترى : أي الأيّام المشبّهة بالدولاب . ويهواها : يحبها ، ويتعلق بها . وتهوي : تسقط من علو إلى سفل .



فَـرَاقِبْ بِجِدٍّ سَهْـوَةَ الـدَّهْـرِ وَالْتَمِسْ مُنَـاكَ فَمَـا يُعْـطِيـكَ إِلاَّ عَلَى السَّهْـوِ(٧)
وَلاَ يَـزَعَنْـكَ الصَّبْـرُ عَنْ نَيْـلِ لَـذَّةٍ فَعَمَّـا قَلِيلٍ يَسْلُبُ الشَّيْبُ مَـا تَحْوِي(٨)

أَلاَ رُبَّ لَيْـلٍ قَصَّـرَ الـلَّهْـوُ طُـولَـهُ بِهَيْفَـاءَ مِثْـلِ الْغُصْنِ بَيِّنَـةِ السَّرْوِ(٩)
فَتَـاةٌ تُـرِيـكَ الْبَـدْرَ تَحْتَ قِنَـاعِهَـا إِذَا سَفَرَتْ وَالْغُصْنَ فِي مَلْعَبِ الْحَقْوِ(١٠)

إِذَا انْفَتَلَتْ بِـالْكَـأْسِ خِلْتَ بَنَـانَـهَـا يُصَـرِّفُ نَجْماً زَلَّ عَنْ دَارَةِ الْجَوِّ(١١)
وَإِنْ خَـطَرَتْ بَـيْنَ الـنَّـدَامَـى تَـأَوَّدَتْ كَأَنْ لَيْسَ عُضْوٌ فِي الْقَوَامِ عَلَى عُضْوِ(١٢)
وَإِنِّـي مِنَ الْـقَـوْمِ الَّـذِينَ إِذَا انْـتَـوَوْا مَهُـولاً مِنَ الأَخْـطَارِ بَـأَوُوا عَلَى بَـأْوِ(١٣)

---

(٧) بجد : أي باجتهاد ويقظة . والسهوة : الغفلة . وقد سها عن الشيء : إذا غفل عنه ، ونسيه . والتمس : أمر من الالتماس ، وهو الطلب . والمنى : جمع منية ، وهي ما يتمنّاه الإنسان ، ويرغب فيه .
(٨) لا يزعنك : لا يمنعنك . ووزعه : كفّه ، ومنعه . ويراد بالصبر هنا : التواني ، والتقصير . وسلب الشيء : أخذه عنوة وقسراً ، وانتزعه اغتصاباً وقهراً . وما تحوي : أي ما تملك .
(٩) هيفاء : امرأة دقيقة الخصر ، ضامرة البطن . ومماثلة الهيفاء لغصن الشجرة : في المرونة واللين ، والغضارة والنضارة . وبينة : واضحة ظاهرة . والسرو : الشرف ، والرفعة ، والنفاسة .
(١٠) القناع : ما تغطي به المرأة رأسها . وكنى بما تحت قناعها عن وجهها . وسفرت المرأة : كشفت عن وجهها ، فهي سافر . وتريك الغصن في ملعب الحقو : أي تريك الغصن في مكان خاصرتها ، أو في ثوبها .
(١١) انفتلتْ : دارت . وخلت : ظننت . والبنان : أطراف الأصابع . ويصرّف : يوجّه . وزلّ : سقط . ودارة النجم : الفضاء السماويّ الذي يقيم به ، أو يدور فيه . والجو : الفضاء بين السماء والأرض ، ويراد به هنا منازل الكواكب والنجوم في السماء . وزلّ عن دارة الجوّ : أي زل عن دارته في السماء .
(١٢) خطرتْ في مشيها : اهتزّتْ ، وتبخترتْ . والندامى : جمع ندمان ، وهو من ينادمك ، أي يجالسك على الشراب . وتأوّدت : تثنّت . وقوام الإنسان : قامته .
(١٣) انتوى الشيء : نواه ، وعزم عليه . وهاله الأمر : أفزعه ، وأخافه . ومهول (بوزن مقول) : تأكيد . والبأو : الفخر .



أُنَاسٌ إِذَا مَا أَجْمَعُوا الأَمْرَ أَصْبَحُوا وَمَا هُمْ بِنَظَّارِينَ لِلْغَيْمِ وَالصَّحْوِ[١٤]

إِذَا غَضِبُوا رَدُّوا الأُمُورَ لأَصْلِهَا كَمَا بَدَأَتْ وَاسْتَفْتَحُوا الأَرْضَ بِالْغَزْوِ[١٥]

وَإِنْ حَارَتِ الأَبْصَارُ فِي مُدْلَهِمَّةٍ مِنَ الأَمْرِ جَاؤُوا بِالإِنَارَةِ وَالضَّحْوِ[١٦]

شَدَدْتُ بِهِمْ أَزْرِي وَحَكَّمْتُ شِرَّتِي وَأَطْلَقْتُ مِنْ حَبْلِي وَأَبْعَدْتُ فِي شَأْوِي[١٧]

وَأَصْبَحْتُ مَرْهُوبَ اللِّسَانِ كَأَنَّنِي سَعَرْتُ لَظًى بَيْنَ الْحَضَارَةِ وَالْبَدْوِ[١٨]

فَيَا عَجَبًا لِلْقَوْمِ يَبْغُونَ خُطَّتِي وَمَا شَأْوُهُمْ شَأْوِي وَلاَ عَدْوُهُمْ عَدْوِي[١٩]

إِذَا مَا رَأَوْنِي مُقْبِلاً أَوْحَدُوا لَهُمْ شَكَاةً فَلاَ زَالُوا عَلَى ذَلِكَ الشَّكْوِ[٢٠]

---

(١٤) الأناس : الناس ، والمراد الرجال . وأجمعوا الأمر إجماعاً : عزموا عليه . ونظّار : صيغة مبالغة من نظر ، بمعنى انتظر ، وارتقب .

(١٥) يفخر بأنه وقومه أولو قوّة ، وأولو بأس شديد ؛ فإذا أغضبهم مغاضب ردوا الأمر إلى نصابه ، وقطعوا أسباب الإغضاب ؛ ففتحوا بالحرب والقتال أرضه ودياره .

(١٦) حار : تحيّر ، وضل سبيله . والأبصار : العيون . ومدلهمّة : أمر مشكل مستبهم ، من ادلهمّ الليل : إذا اشتد ظلامه وسواده ، وادلهم الظلام : إذا كثف . والضحو : ضوء الشمس ، أو ارتفاع النهار وامتداده بعد طلوع الشمس .

يفخر بسداد آرائهم ، وقوّة بصائرهم ، واضطلاعهم بحلّ المشكلات ، وتبديد المدلهمّات .

(١٧) شدّ به أزره : ضاعف به قوته . والشرّة : القوة ، والنشاط . والشرّة أيضاً : الحدّة والغضب . وتحكيم الشرّة : ضبطها بين الإفراط والتفريط . والشأو : الأمد والغاية . وكنى بإبعاده في شأوه : عن انطلاقه إلى الغايات البعيدة ؛ فهو تأكيد لمعنى : « وأطلقت من حبلي » : أي انطلقت في الحياة ، قويّ العزم ، عالي الهمّة .

(١٨) مرهوب : مخيف . ولسانه مرهوب : قويّ الحجة ، ناصع البيان ، يرهب بأدبه وشعره أعداءه . وسعر النار : أوقدها وألهبها . واللّظى : النار . والحضارة هنا : أهل الحضر . والبدو : أهل البادية . وتسعير اللظى بين البدو والحضر : كناية عن إثارة اهتمامهم بشعره ، وتنافسهم فيه .

(١٩) يعجب ممن يبتغون مثل منزلته ويقول : إنه ابتغاء لغير الممكن ، وطمع في البعيد الذي لا يستطيعونه ؛ لعظم التفاوت ، واتساع المسافة بينهم وبينه .

(٢٠) أوحدوا شكاتهم : جعلوها واحدة غير متعدّدة ، أي اجتمعوا كلّهم حول شكوى واحدة .

يقول : إذا ما رأوني مقبلاً عليهم اجتمعوا ، وأقاموا على الشكوى والتحسر والتألم . أي



يَـرُومُـونَ مَسْعَـاتِـي وَدُونَ مَنَـالِـهَـا	مَـرَاقٍ تَظَلُّ الـطَّيْرُ مِنْ بُعْدِهَا تَهْوِي[٢١]
وَلَا وَأَبِي مَا النَّصْلُ فِي الْفِعْـلِ كَالْعَصَـا	وَلَا الْقَوْسُ مَلآنَ الْحَقِيبَـةِ كَـالْخِلْوِ[٢٢]
لَقُلْتُ وَقَـالُـوا فَـاعْـتَلَوْتُ وَخَـفَّضُـوا	وَلَيْسَ أَخُـو صِدْقٍ كَمَنْ جَـاءَ بِاللَّغْـوِ[٢٣]
وَمَـا ذَاكَ إِلَّا أَنَّـنِـي بِـتُّ سَـاهِـراً	وَنَـامُـوا وَمَـا عُقْبَى التَّيَقُّظِ كَالْغَفْـوِ[٢٤]
فَـأَصْبَحْتُ مَشْبُـوبَ الـزَّئِيرِ وَأَصْبَحَتْ	لَـوَاطِىءَ فِيمَـا بَيْنَ دَارَاتِهَـا تَعْـوِي[٢٥]

وَقَالَ(*) :

تَصَـابَيْتُ بَعْدَ الْحِلْمِ وَاعْتَـادَنِي زَهْـوِي	وَأَبْـدَلْتُ مَـأْثُـورَ النَّـزَاهَـةِ بِـاللَّهْـوِ[١]

أن عجزهم عن بلوغ شأوه ، وقصورهم عن إدراك مسعاته يربطهم بالشكوى ، وهي شكوى العجز والقصور ، والكآبة والحرمان .

(٢١) رام الشيء : أراده ، وطلبه . والمسعاة : المكرمة ، وجمعها المساعي . ومنالها : إدراكها . والمراقي : جمع المرقى (بوزن المسعى) ، وهي وسيلة الرقي ، وأداته . وهوى يهوي : سقط من علو إلى سفل . وهوى في السير : مضى ، وأسرع ، أو صعد ، وارتفع .

(٢٢) وأبي : قسم بأبيه . والنصل : الحديدة المسنونة تكون للسيف ، والرمح . ويراد بالحقيبة هنا : الكنانة ، وهي جعبة صغيرة ، يجعل فيها النبل . والخلو : الخالي الفارغ .

(٢٣) اعتلوت : ارتفعت . والمراد : ارتفعت بقولي عن اللغو والهذر والفضول ، وتحرّيت به الحق والصدق والصواب . وخفّض الشيء : خفضه . أي حطّه ، أو نقص منه . وهو ضد رفعه . والمراد : أن منافسيه ، أو حساده ، أو أعداءه الذين يعرض بهم انخفضوا بأقوالهم إلى مهواة الكذب ، والهذر ، والفضول . واللغو : الخطأ ، والباطل .

(٢٤) « ذاك » إشارة إلى الفوارق الكبيرة الواسعة التي تفرق بينه وبين أعدائه أو منافسيه . وعقبى الأمر : عاقبته ، وخاتمته . والغفو : النوم . ويراد بالسهر : الجد والاجتهاد ، ويراد بالنوم : الكسل ، والتواني . وما عقبى التيقّظ كالغفو : أي وليست عاقبة اليقظة والجد مثل عاقبة الغفلة والتواني .

(٢٥) مشبوب : قوي عال . والزئير : صوت الأسد من صدره . ولواطىء : لاصقات بالأرض ، جمع لاطئة . والدارات : جمع دارة ، وهي الدار . ومشبوب الزئير : كناية عن قوته ، وشدة بأسه ، ونباهة شأنه .

(١) اعتادني الشيء : انتابني ، أو تعوّدته . والزهو : التيه ، والتكبر . وشيء مأثور : منقول ، أو مفضّل مختار . والنزاهة : البعد عن الشر والسوء .

وَمَـا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَعُـودَ غَـوَايَتِي ... إِلَيَّ وَلٰكِنْ نَـظْرَةٌ حَـرَّكَتْ شَجْـوِي[٢]

عَـلَى أَنَّنِي غَـالَبْتُ شَـوْقِي فَـعَـزَّنِي ... وَنَـادَيْـتُ حِلْمِي أَنْ يَعُـودَ فَـلَمْ يَلْوِ[٣]

وَمَـاذَا عَلَى مَنْ خَـامَـرَ الْحُبُّ قَـلْبَـهُ ... إِذَا مَـالَ مَعْـهُ لِلْخَـلَاعَـةِ وَالصَّبْـوِ ؟[٤]

إِذَا الْمَـرْءُ لَمْ يُعْطِ الْحَيَـاةَ نَصِيبَـهَـا ... مِنَ اللَّهْـوِ قَادَتْـهُ الْهُمُـومُ إِلَى الشَّكْـوِ[٥]

وَهَـلْ فِي الصِّبَا وَاللَّهْـوِ عَـارٌ عَلَى الْفَتى ... إِذَا الْعِرْضُ لَمْ يَدْنَسْ بِـإِثْمٍ وَلَا بَعْوِ ؟[٦]

لَعَمْـرُكَ مَـا قَـارَفْـتُ فِي الْـحُبِّ زَلَّـةً ... وَلَا قَـادَنِي مَعَهَـا إِلَى سَـوْءَةٍ خَـطْوِي[٧]

وَلٰكِنَّنِي أَهْـوَى الْـخَـلَاعَـةَ وَالصِّبَـا ... وَأَتْـبَـعُ آثَـارَ الْـفَـضِيـلَةِ وَالـسَّـرْوِ[٨]

سَـجِيَّـةُ نَـفْسٍ أَدْرَكَـتْ مَـا تُـرِيـدُهُ ... مِنَ الدَّهْرِ فَاعْتَاضَتْ عَنِ السُّكْرِ بالصَّحْوِ[٩]

---

(٢) الغواية : الانهماك في الجهل ، والإمعان في الضلال . والشجو : الهمّ ، ويراد به هنا : شجو العشق .

(٣) غالبه مغالبة : حاول كل منهما أن يغلب الآخر . وعزّني : غلبني ، وقهرني . ولم يلو : أي لم يستمع للنداء ، ولم يستجب .

(٤) الاستفهام في أول البيت معناه النفي : أي لا حرج ، ولا إثم . وخامره : خالطه ، وأثر فيه . ومال معه : أي مال مع الحب . والخلاعة : أي ترك الحياء . والصبو : جهل الفتوّة ، ولهو الشباب .

(٥) يرى أن اللهو يخفّف الهموم ، أو يبدّدها ، وأن الحياة ينبغي أن يشوبها الهزل والمجانة والصبوة ونحوها ؛ فإذا كانت كلها جداً وصرامة ، ثقلت همومها على الإنسان ؛ فتشكّى ، وضجر ، وتبرم ، وتألم ، وضاق بها ذرعه .

(٦) الاستفهام في أول البيت معناه النفي : أي لا عار ، ولا عيب في الصبا واللّهو . والصبا : اللهو ، والغزل ، وجهلة الفتوة . والعرض : النفس ، والجسد ، وما يمدح المرء إذا صانه ، ويذمّ إذا تهاون به ، وفرط فيه . ودنس الثوب : توسّخ . والإثم : الذنب والخطيئة . والبعو : الجناية والجرم .

(٧) قارف الذنب والخطيئة : قاربها ، وخالطها ، أي كسبها وارتكبها . والزلّة : السقطة ، والهفوة . والسوءة : الخلة القبيحة ، والفاحشة ، وكل عمل شائن . والخطو : المشي .

(٨) أهوى : أحب . والخلاعة : مصدر خلع ، أي ترك الحياء ، وركب هواه ؛ فهو خليع . والصبا : الشوق إلى المرأة ، وجهلة الفتوة . والسرو : الشرف ، والمروءة .

(٩) السجيّة : الخلق ، والطبيعة . وأدرك الإنسان المعنى بعقله : فهمه . واعتاضت : عوّضت .



وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ إِذَا انْتَوَوْا ... مَهُولاً مِنَ الأَخْطَارِ بَاؤُوا عَلَى بَأْوِ(١٠)

أُنَاسٌ إِذَا مَا أَجْمَعُوا الأَمْرَ أَصْبَحُوا ... وَمَا هُمْ بِنَظَّارِينَ لِلْغَيْمِ وَالصَّحْوِ(١١)

إِذَا غَضِبُوا رَدُّوا الأُمُورَ لأَصْلِهَا ... كَمَا بَدَأَتْ وَاسْتَفْتَحُوا الأَرْضَ بِالْغَزْوِ(١٢)

وَإِنْ حَارَتِ الأَبْصَارُ فِي مُدْلَهِمَّةٍ ... مِنَ الأَمْرِ جَاؤُوا بِالإِنَارَةِ وَالضَّحْوِ(١٣)

شَدَدْتُ بِهِمْ أَزْرِي وَأَحْكَمْتُ مِرَّتِي ... وَأَطْلَقْتُ مِنْ حَبْلِي وَأَبْعَدْتُ فِي شَأْوِي(١٤)

أَصْبَحْتُ مَرْهُوبَ اللِّسَانِ كَأَنَّنِي ... سَعَرْتُ لَظَىً بَيْنَ الْحَضَارَةِ وَالْبَدْوِ(١٥)

فَيَا عَجَباً لِلْقَوْمِ يَبْغُونَ خُطَّتِي ... وَمَا خَطْوُهُمْ خَطْوِي وَلاَ عَدْوُهُمْ عَدْوِي(١٦)

يَرُومُونَ مَسْعَاتِي وَدُونَ مَنَالِهَا ... مَرَاقٍ تَظَلُّ الطَّيْرُ مِنْ بُعْدِهَا تَهْوِي(١٧)

فَإِنْ تَكُ سِنِّي مَا تَطَاوَلَ بَاعُهَا ... فَإِنِّي جَدِيرٌ بِالإِصَابَةِ فِي الأَتْوِ(١٨)

وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ امْرِىءِ الْقَوْمِ الَّذِي ... إِذَا رَامَ أَمْراً لَمْ يَجُزْ سَاحَةَ الْبَهْوِ(١٩)

لَقُلْتُ وَقَالُوا فَاعْتَلَوْتُ وَخَفَّضُوا ... وَلَيْسَ أَخُو صِدْقٍ كَمَنْ جَاءَ بِاللَّغْوِ(٢٠)

(١٠-١٣) أبيات مكررة مع القصيدة السابقة .

(١٤) أحكم الشيء : أوثقه . والمرّة : القوة ، وشدة العقل . وإحكام المرّة : في معنى شدّ الأزر ، فهو تأكيد له .

(١٥) بيت مكرر مع القصيدة السابقة .

(١٦) ما خطوهم خطوي : أي ليس خطوهم مثل خطوي ؛ فالشاعر متقدّم سبّاق ، وخصومه ، أو منافسوه ، كلهم لاحقون متأخّرون .

(١٧) بيت مكرر مع القصيدة السابقة .

(١٨) المعنى : أنه على صغر سنّه مستقيم في سيره ، وواسع العطاء ، مسرع في الخير ، طويل الباع في الإحسان .

(١٩) يقول : شتّان ما بيني وبين امرىء القوم . . . ورام الأمر : أراده وطلبه وابتغاه . ولم يجز : لم يتجاوز .

(٢٠) بيت مكرر مع القصيدة السابقة.

وَمَــا ذَاكَ إِلَّا أَنَّــنِــي بِــتُّ سَــاهِــراً وَنَــامُــوا وَمَــا عُقْبَى التَّيَقُّظِ كَالــغَفْــوِ[٢١]

فَأَصْبَحْتُ مَشْبُــوبَ الــزَّئِيــرِ وَأَصْبَحَتْ كَــأَكْــلُــبِ حَيٍّ بَــيْــنَ دَارَاتِــهِ تَــلْوِي[٢٢]

---

(٢١) بيت مكرر مع القصيدة السابقة.

(٢٢) أكلب : جمع كلب . وتلوي : تقف ، وتنتظر .

قافيــة اليــاء

قَالَ فِي ذِكْرِ الشَّوْق :

كَفَى بِـالضَّنَى عَنْ سَوْرَةِ الْعَـذْلِ نَـاهِيَا ... فَـأَهْـوَنُ مَـا أَلْقَـاهُ يُـرْضِـي الأَعَـادِيَـا(١)

بَلَوْتُ الْهَـوَى حَـتَّى بَـلِيتُ وَطَـالَ بِـي ... مَـرِيـرُ النَّـوَى حَتَّى نَسِيتُ التَّـلَاقِيَـا(٢)

وَمَـا كُـنْتُ ذَا غَـيٍّ وَلٰكِـنْ إِذَا الْـهَـوَى ... أَصَـابَ حَلِيمَ الْقَـوْمِ أَصْبَـحَ غَـاوِيَـا(٣)

إِلَى اللّٰهِ أَشْكُـو نَـظْرَةً مَـا تَجَـاوَزَتْ ... حِمَى الْعَيْنِ حَتَّى أَوْرَدَتْنِي الْمَهَـاوِيَـا(٤)

رَمَيْتُ بِهَـا عَنْ غَيْـرِ عَمْـدٍ فَلَمْ تَعُـدْ ... عَلَى النَّفْسِ إِلَّا بِـالَّذِي كَـانَ قَـاضِيَـا(٥)

---

(١) كفاه الشيء : إذا أغناه عن غيره . والضنى : مرض يخامر المريض ويلازمه حتى يشتد به الضعف والهزال والنحول ، ويشرف على الموت . والعـذل : اللّوم . وسورتـه : شدّتـه ، وحدّته . وأهون : أيسر ، وأقلّ . والأعادي : جمع الأعداء . والأعداء : جمع العدوّ .

(٢) بلوته : جربته ، واختبرته . وبلى الثوب ونحوه : أدركه البلى ، أي صار بالياً ، فانياً . وأبلاه الهوى ونحوه : هـزله ، وأرق جسمـه وأضنـاه . والنـوى : البعـد والفـراق . والتـلاقي : الاجتماع .

(٣) غوى يغوي غيّاً : انهمك في الجهل ، وأمعن في الضلال ؛ فهو غاو . والحليم : صفة من الحلم ، وهو الأناة والعقل .

(٤) يراد بحمى العين هنا : العين المحميّة . والمهاوي : جمع المهواة ، وهي الحفرة ، أو الوهدة العميقة .

(٥) بها : أي بالنظرة . ورمى بها : ألقاها . وقاض : قاتل .

هَجَـرْتُ لَهَـا أَهْلِي وَفَـارَقْتُ جِيـرَتِي وَغَاضَبْتُ فِي الخُلَّانِ مَنْ كَـانَ رَاضِيَا(٦)

وَأَصْبَحْـتُ مَسْـلُوبَ الْجَنَـانِ كَـأَنَّنِي شَـرِبْتُ بِكَأْسٍ تَتْـرُكُ الْعَقْـلَ سَـاهِيَا(٧)

أَدُورُ وَلَا أَدْرِي وَإِنْ كُـنْـتُ حَـازِمـاً يَمِينِيَ أَدْنَى لِلْهُـدَى مِـنْ شِمَـالِيَـا(٨)

صَرِيـعُ هَـوًى لَا أَذْكُـرُ الْيَـوْمَ بِـاسْمِـهِ وَلَا أَعْـرِفُ الأَشْخَـاصَ إِلَّا تَمَـادِيَـا(٩)

فَيَـا عَيْنُ لَا زَالَتْ يَـدُ السُّهْـدِ تَمْتَـرِي أَسَـاكِيبَ دَمْعٍ مِنْـكِ تُرْوِي الْمَـآقِيَا(١٠)

فَـأَنْتِ الَّتِي أَوْرَدْتِ قَلْبِي مِنَ الْـهَـوَى مَـوَارِدَ لَمْ تَتْـرُكْ مِنَ الصَّبْـرِ بَـاقِيَـا(١١)

أَطَعْتُـكِ فَـاسْتَسْلَمْتُ بَعْـدَ شَكِيمَـةٍ أَعَضَّتْ بِـأَطْرَافِ الشَّكِيمِ الْمَـذَاكِيَا(١٢)

---

(٦) لهـا : أي للنظرة ، أي من أجـل الحبّ وبسببه . والجيـرة : الجيران . والخـلان : جمع الخليل ، وهو الصديق الصادق الود .

(٧) سلبه : انتزعه منه قهراً . وسلبت المعشوقة فؤاد عاشقها أو عقله : استهوته ، واستولت عليه . والجنان : القلب ، أو العقل . وساه : غافل ، غير صاح .

(٨) المعنى : أنه يدور ويطوف ويهيم على وجهه ، ولا يكاد يهتدي لطريق القصد وسبيل الرشاد ، وإن كان في الوقت نفسه حازماً بصيراً يعلم أن الإقلاع عن الهوى هدى وكمال ، وأن التمادي فيه غيّ وضلال .

(٩) صريع هوى : أي قتيل حبّ وغرام . وقد يراد بالصريع : المجنون . وتمادى به الأمر : تطاول وتأخر . والمراد أنه لا يعرف الشخص من الناس إلا بعد جهد ومشقّة ، وطول تبصّر وتأمّل ؛ وذلك لضعف وعيه ، وشدّة تأثير الهوى في عقله وحواسّه .

(١٠) السهد : الأرق . وتمتري : تستدرّ ، وتستخرج . والأساكيب : جمع أسكوب ، وهو المطر المنسكب .

يدعو على عينه أن تبقى ساهرة باكية ، تقاسي الأرق والسهاد ، وتجري بالدموع مآقيها .

(١١) أوردته المهالك : أي أوقعته فيها . والموارد : جمع مورد ، وهـو المنهل ، والمشـرب . وأوردت عينه قلبه موارد الهوى : أي نظر إلى الحسناء التي يتغزّل بها ، فولّهته ، وتعلّق بها قلبه أشدّ التعلّق . ويريد بالباقي : البقيّة القليلة .

(١٢) استسلم : انقاد ، وانطاع ، وخضع . والشكيمة : قوّة القلب . ويقال فلان ذو شكيمة : إذا كان شديد النفس ، قوي البأس . وأعضّه الشيء إعضاضاً : جعله يعضّه ، أي يستمسك به . والشكيم : جمع الشكيمة ، وهي في اللّجام : الحديدة المعترضة في فم الفرس . والمذاكي من الخيل : التي تمت سنها ، وكملت ، وعظمت قواها .



فَإِنْ أَنَا سَالَمْتُ الْهَوَى بَعْدَ هٰذِهِ فَلَسْتُ ابْنَ أُمِّ الْمَجْدِ إِنْ عُدْتُ ثَانِيَا(١٣)

يَلُومُونَ أَشْوَاقِي كَأَنِّي ابْتَدَعْتُهَا وَلَوْ عَلِمُوا لَامُوا الظِّبَاءَ الْجَوَارِيَا(١٤)

وَمَا لِيَ ذَنْبٌ عِنْدَهُمْ غَيْرَ أَنَّنِي شَدَوْتُ فَعَلَّمْتُ الْحَمَامَ الْأَغَانِيَا(١٥)

وَهَلْ يَكْتُمُ الْمَرْءُ الْهَوَى وَهْوَ شَاعِرٌ وَيَثْنِي عَلَى أَعْقَابِهِنَّ الْقَوَافِيَا ؟(١٦)

فَيَا نَسَمَاتِ الْفَجْرِ مَا لَكِ كُلَّمَا تَنَسَّمْتِ أَضْرَمْتِ الْهَوَى فِي فُؤَادِيَا ؟(١٧)

وَيَا سَجَعَاتِ الْأَيْكِ رِفْقاً بِمُهْجَةٍ ....(١٨)

وَيَا لَمَحَاتِ الْبَرْقِ بِاللَّهِ خَبِّرِي أَخِلَّايَ بِالْمِقْيَاسِ عَنِّي سَلَامِيَا(١٩)

وَيَا عَذَبَاتِ الْبَانِ إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تَمِيلُ مَعِي شَوْقاً فَلُقِّيتَ دَاوِيَا(٢٠)

---

(١٣) ابن أمّ المجد : كناية عن أنه أصيل عريق في المجد والكرم والشرف والرفعة والعلاء .

(١٤) ابتدع الشيء : أحدثه ، واخترعه . والظباء : جمع ظبي ، وهو الغزال ، وتشبه به الحسناء من النساء . والجواري : جمع الجارية ، وهي الشّابة الفتيّة من النساء .

(١٥) عندهم : أي عند لائميه وعذاله . وشدا بالشعر : ترنّم به وتغنى ، وطرب .

(١٦) الاستفهام في أول البيت معناه النفي ؛ فالشاعر لا يستطيع كتمان هواه . وثناه عن كذا : صرفه عنه ، وكفّه . والعقب : عظم مؤخّر القدم . وثناه على عقبه : ردّه ، وصرفه .

(١٧) النسمات : جمع نسمة (بفتحتين) ، وهي الريح الطيّبة اللطيفة ، ومثلها النسيم . وتنسّمت الريح تنسّما : هبت بلطف ولين واعتدال . وأضرم النار : أوقدها ، وأشعلها .

(١٨) السجعات : جمع سجعة ، اسم مرة من سجعت الحمامة (من باب قطع) : إذا هدرتْ ، وردّدتْ صوتها على طريقة واحدة . والأيك : جمع أيكة ، وهي الشجر الكثير الملتفّ . ورفق به رفقاً : لطف به ، وعطف عليه . والمهجة : القلب ، أو الروح . والشطر الثاني غير موجود في الأصل .

(١٩) لمحات البرق : لمعاته وائتلاقاته . والأخلّاء : جمع خليل ، وهو الصديق الخالص . وروضة المقياس : جزيرة كبيرة ، يحيط بها نهر النيل ، شرقيّ الجيزة .

(٢٠) العذبات : الأغصان ، جمع عذبة (بوزن قصبة) . والبان : شجر تشبه به حسان النساء في اللين ، والمرونة ، وجمال القدّ ، واحدته بانة . ولقّيت : لاقيت ، ووجدت . ويراد بالداوي هنا : المرض الشديد .



عَـوَائِـدُ شَـوْقٍ أَلْهَبَتْ لَاعِـجَ الأَسَى	وَرَدَّتْ أَمَـانِيَّ الضَّمِيـرِ هَـوَافِـيَـا(٢١)
لَعمْـرُكَ مَـا فَـارَقْتُ رَبْعِيَ عَنْ قِلًى	وَلَا أَنَـا وَدَّعْـتُ الأَحِبَّـةَ سَـالِيَـا(٢٢)
وَلْكِنْ عَـدَتْنِي عَـنْ بِـلَادِي وَجِيـرَتِـي	عَـوَادٍ أَبَتْ فِي الْبُعْـدِ إِلَّا تَمَـادِيَـا(٢٣)
زَمَـانٌ تَـوَلَّـى غَيْـرَ أَعْقَـابِ ذُكْـرَةٍ	تَسُوقُ إِلَى الْمَرْءِ الْحَلِيمِ التَّصَابِيَا(٢٤)
فَيَـا رَوْضَـةَ الْمِقْيَـاسِ جَـادَكِ سَلْسَـلٌ	مِنَ النِّيـلِ يَـدْعُـو لِلْحَنِينِ السَّوَاقِيَا(٢٥)
وَلَا بَـرِحَتْ تَغْشَـاكِ لِلْفَجْـرِ نَسْـمَـةٌ	تَـرُدُّ جَبِينَ النَّـوْرِ أَزْهَـرَ ضَـاحِيَـا(٢٦)
بِـلَادٌ صَحِبْتُ الْعَيْشَ فِيـهَـا مُنَعَّمَـاً	وَأَجْرَيْتُ أَفْـرَاسَ الْبَـطَالَـةِ لَاهِيَـا(٢٧)
فَـكَـمْ لَـذَّةٍ أَدْرَكْـتُ فِـيـهَـا وَنِعْـمَـةٍ	أَصَبْتُ وَآدَابٍ تَـرَكْـتُ وَرَائِـيَـا(٢٨)

---

(٢١) عوائد : جمع عائدة ، أي راجعة . وعوائد الشَّوْق : ما ينتاب المشوق ، ويعاوده . ولاعج الأسى : ألم الحزن . ومعنى الشطر الثاني : أن آماله ضلَّتْ ، وارتدَّتْ إليه مسرعة مخفقة خائبة ، لم يتحقق له منها شيء .

(٢٢) العمر : الحياة . والربع : الدار ، ومحلَّة القوم ، ومجازاً : القوم والعشيرة . والقلى : البغض والكراهية ، مصدر قلاه ، إذا أبغضه ، وكرهه . وسالياً : ناسياً .

(٢٣) عَدَاه : صَرَفه . والعوادي : الصوارف . وعوادي الدهر : عوائقه ونوائبه وصروفه . وتمادى في الأمر : أمعن فيه .

(٢٤) تولى : أدبر وذَهَبَ . والأعقاب : جمع عقب ، وهو من كل شيء آخره . والذكرة (بضم فسكون) : الشيء يخطر بالقلب ، ويجري على اللسان ، ومثله الذِكْرى . ويراد بأعقاب الذُّكْرة : بقاياها التي ما زالت تساور القلب وتخامره . وتصابَى تصابياً : حنَّ ، وتاق .

(٢٥) جاد الغيث القوم : عَمَّ أرضهم ، وشملهم بخيره . وماء سَلْسَل : عذب ، صاف . يدعو لروضة المقياس ووطنه الحبيب بالسُّقْيا والخصب ،والبركة والنماء .

(٢٦) لا برِحت : لا زالت . وغشيه يغشاه : أتاه ، وحلّ به . والنسمة : الريح اللطيفة ، الطيبة . والنور : الزهر الأبيض، واحدته نورة، وجمعه أنوار. وجبين النور : وجهه . والأزهر : كل لون أبيض نقيّ . وضاح : منير .

(٢٧) صحبه : رافقه ، ولازمه . والعيش : الحياة والمعيشة . ونعّمه تنعيماً : رفّهه ترفيهاً . يذكر في تحسّر وتأسّف ما كان له في روضة المقياس ، ووطنه الحبيب من حياة ناعمة رافهة ، وعيش رغيد سعيد ، وانطلاق في مجال اللّهو والبطالة ، وضروب المتع واللّذات .

(٢٨) أدرك الشيء : لحقه ، وبلغه . والنعمة : الحالة الحسنة التي يستلذها الإنسان ، وما أنعم به

هِيَ الْـوَطَنُ الْمَأْلُـوفُ وَالنَّفْسُ صَبَّـةٌ بِمَنْـزِلِهَـا الأَدْنَى وَإِنْ كَـانَ نَـائِيَـا(٢٩)

فَـلاَ حَبَّـذَا الـدُّنْيَـا إِذَا هِـيَ أَدْبَـرَتْ وَإِنْ أَقْبَلَتْ يَـوْماً فَيَـا حَبَّـذَا هِيَـا(٣٠)

نَشَـدْتُ الْمُنَى عَـوْداً وَقَـدْ كُنْتُ بَـدْأَةً مَـطَافَ أُنَـاسٍ يَنْشُـدُونَ الأَمَـانِيَـا(٣١)

فَـإِنْ لَمْ أَنَـلْ مِنْـهَـا نَصِيبـاً فَـإِنَّنِي أَرَى الْيَأْسَ عَنْ بَعْضِ الْمَطَالِبِ كَافِيَا(٣٢)

وَمَـاذَا الَّـذِي تُجْـدِي عَلَيَّ فَضَـائِلِي إِذَا كُنَّ فِي عَيْنِ الْعَـدُوِّ مَسَـاوِيَـا ؟(٣٣)

فَـلاَ اخْضَرَّ سَـاقُ الْبَقْـلِ إِنْ بِتُّ طَـاوِيـاً وَلاَ انْهَـلَّ مَاءُ الْمُزْنِ إِنْ مِتُّ صَادِيَـا(٣٤)

وَقَالَ يُعَاتِبُ صَدِيقاً :

أَتَـانِـي أَنَّ « عَـبْـدَ الـلّٰهِ » أَصْـغَـى إِلَـى وَاشٍ فَـغَـيَّـرَهُ عَـلَـيَّـا(١)

عليك من رزق ومال وغيرهما . وأصبت الشيء : أدركته ، وحصّلته . والآداب : جمع الأدب ، وهو رياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ما ينبغي . والأدب أيضاً : الجميل الممتع من النظم والنثر .

(٢٩) « هي » : يريد روضة المقياس . والمألوف : المحبوب . وهي صبّة : مشتاقة . ويراد بالمنزل الأدنى : الوطن القريب من القلب . والنائي : البعيد .

(٣٠) أقبلت الدنيا عليه ، فكان سعيداً في وطنه ، مجتمع الشمل بأهله ؛ فاستأهلتْ المدح ، وحسن الثناء . ثم أدبرتْ عنه فشقي ، وأبعد عن أهله ووطنه ؛ فذمّها ، وتبرّم بها .

(٣١) نشد الضالة ينشدها : طلبها ، وسأل عنها . والمنى : الأمانيّ والآمال . وعوداً : مصدر عاد ، إذا رجع . والمراد أنه نشدها في آخر أمره بعد أن ساءت حاله ، وانقلب أمره . وبدأة ، أو بدءاً : أي في أول الأمر . والمطاف : موضع الطواف.

(٣٢) نال الشيء : أصابه ، وظفر به . ومنها : أي من المنى المنشودة . والنصيب : الحظ . واليأس : انقطاع الأمل ، وفقدان الرجاء . وكافياً : مغنياً . ويريد ببعض المطالب : الطلبات ، أو الحاجات الميؤوس منها .

(٣٣) يفخر بفضائله ومحامده ، ويأسى لأنها لا تكاد تنفعه ، أو تشفع له لدى أعدائه الذين اشتدّتْ عداوتهم له ، حتى رأوا حسناته سيّئات .

(٣٤) طاو : جائع . وانهلّ المطر انهلالاً : انسكب ، وانصبّ بشدة . والمزن : السحاب يحمل الماء ، جمع مزنة (بضم فسكون) . والصادي : العطشان الذي اشتدّ عطشه .

(١) أتاني : جاءني ، وانتهى إليّ . وأصغى إليه إصغاء : استمع له . والواشي : الذي يزوّر

وَمَا عَهْدِي بِهِ غِرّاً وَلَكِنْ ... تَوَلَّتْ أَمْرَ فِطْنَتِهِ الْحُمَيَّا(٢)

فَقُلْتُ لَهُ تَثَبَّتْ تَلْقَ رُشْداً ... فَكَمْ مِنْ سُرْعَةٍ وَهَبَتْكَ غَيّا(٣)

فَإِنَّكَ لَوْ عَرَفْتَ وِدَادَ قَلْبِي ... إِلَيْكَ لَجِئْتَ مُعْتَذِراً إِلَيَّا(٤)

كلامه ، ويزخرفه بالكذب ؛ ليفسد به بين الناس . وغيّره عليّ : أي غيّر شأنه معي ؛ فجفاني بعد تودّد . وأعرض عني بعد إقبال .

(٢) العهد : المعرفة . وبه : أي بالمعاتب . والغِرّ : من ينخدع إذا خدع . وما عهدي به غرّاً : أي لست أعرف فيه غفلة أو غرارة . وتولّى الأمر : تقلّده ، وقام به . وتولّى أمره : سيطر عليه . والفطنة ، والفطانة : الحذق ، والمهارة ، وقوة الفهم . وحميّا كل شيء : شدّته ، وحدّته .

والمعنى : أني أعرف المعاتب فطيناً يقظاً ، جيد الفهم ، ولكن استماعه للواشي ، وتأثّره بالوشاية أُغري به عليّ بلا حق ؛ فكدّرت سورة الغضب ذهنه ، وسيطرت على فطنته .

(٣) تثبّت : تأنّ . ولا تعجل . والرشد والرشاد : الهداية والصلاح . ووهبتك السرعة غيّاً : أي أغوتك ، وأضلّتك ، وصرفتك عن الرشد والهدى ، والسداد والصواب .

(٤) الوداد : المودّة ، والمحبّة . واعتذر إليه : طلب قبول معذرته .

نهاية قافية الياء ، وهي نهاية الديوان . والحمد لله أولاً وأخيراً .

ديوان البارودي

ولد « محمود سامي البارودي » يوم الأحد ٢٧ من رجب سنة ١٢٥٥هـ ، الموافق ٦ من أكتوبر سنة ١٨٣٩م . وتوفي يوم الاثنين ٦ من شوال سنة ١٣٢٢هـ ، الموافق ١٢ من ديسمبر سنة ١٩٠٤م . وأصل ديوانه المخطوط الذي في أيدينا يملأ ٣١٤ صفحة من الفولسكاب ، أتمّ نقله بقلمه « مصطفى عبد الخالق » يوم ١٠ من سبتمبر سنة ١٩٠٨ . والقوافي التي نظم فيها البارودي شعره هي : الهمزة ، والألف المقصورة ، والباء ، والتاء ، والثاء ، والجيم ، والحاء ، والدال ، والذال ، والراء ، والزاي ، والسين ، والشين ، والصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء ، والعين ، والفاء ، والقاف ، والكاف ، واللام ، والميم ، والنون ، والهاء ، والواو ، والياء . وترتيبها في أصل الديوان يطابق ترتيب حروف الهجاءِ . وقد استغرقتْ كلّ الحروف الهجائية ما عدا الخاء ، والغين . أمّا ترتيب القصائد والمقطوعات في كل قافية ، فيبدو لنا أنه من إعداد الناظم نفسه، أو من إعداد غيره تحت إشرافه. ولا نعرف الأساس الذي بني عليه هذا الترتيب.

ويعيب هذا الأصل كثير من تصحِيفات الناسخ ، وتحريفاته . وفيه إلى هذا نقص ، وزيادة ، وتكرار ، وأخطاء إملائية ، ونحوية ، ولغوية ، وأبيات مكسورة ، اختلّتْ أوزانها ، وفسدتْ معانيها ، وكلمات غامضة ، مستبهمة ، مستغلقة ، لا تنكشف للقارىء المتمرّس إلا بجهد ، ومشقّة ، واصطبار ، ومعاناة . . . وفيه قصائد ،

ومقطوعات ، وأبيات مطموسة ، عدّتها خمسة وسبعون بيتاً ، كشفناها كلها ما عدا ستة أبيات في قافية الباءِ ، بولغ في طمسها ، فلم نستطع قراءتها . وبحول الله تبارك وتعالى وتوفيقه حققنا هذا الأصل ، وصححناه ، وضبطناه ، وشرحناه ، وقرّبناه إلى الطالب ، ويسّرناه كل التيسير . . . وفي أثناء الشرح نبّهنا القارىء على بعض ما صححناه وعالجناه ، من عيوب الأصل المخطوط ، ومناقصه ، وآفاته . وأغفلنا الإشارة إلى كثير منها .

وللباروديّ فوق هذا كله قصيدة ميمية مطوّلة في ٤٤٧ بيتاً ، نظمها في مدح النبيّ محمّد صلى الله عليه وسلّم ، وسمّاها : « كشف الغمّة في مدح سيّد الأُمّة » . وله أبيات أخرى لم تأت في ديوانه . ولا يسعنا إلا أن نقدم شكرنا لكلّ من أعان على إنجاز هذا الديوان ، وتيسير طبعه ونشره .

والحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه ، وعظيم سلطانه .

٨ شارع المختار بالروضة بالقاهرة .

محمد شفيق معروف



الفهرس



